١٠٢٩

كتاب المواهب اللدنية للشيخ الإمام العالم العلامة فخر العلماء العاملين محيي السنة والصالحين عمدة الفقهاء والمحدثين عين أعيان البلغاء والمفسرين مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد ابن الخطيب القسطلاني نفعنا الله به

حسبي الله وكفى
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عبده

١٠٤٧

٢٤٠٠

في نوبة العبد الفقير إلى الله تعالى ... محمد تاج الدين المنوفي استكتابا بخط الشيخ محمد ... الكاتب ... غايتها ... شهر صفر ... شهور سنة ١٠١٩ ... محمد

انتقل هذا الكتاب الشريف ... ملك محمد أبو بكر الصديقي سبط الحسن سجاده نشين

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 893

RAGIP P.
Ka. N.
1036

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذى اطلع فى سماء الازل شمس انوار معارف النبوة المحمديه واشرق من افق اسرار الرسالة مظاهر تجلى الصفات الاحمديه احمده على ان وضع اساس نبوته على سوابق ازليته ورفع دعائم رسالته على لواحق ابديته واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الفرد المنفرد فى فردانيته بالعظمة والجلال الواحد المتوحد فى وحدانيته باستحقاق الكمال واشهد ان سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله اشرف نوع الانسان وانسان عيون الاعيان المستخلص من خالص خلاصة ولد عدنان الممنوح ببدايع الآيات المخصوص بعموم الرسالة وغرايب المعجزات السر الجامع الفرقانى والمختص بمواهب القرب من النوع الانسانى مورد الحقايق الازلية ومصدرها وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها وخطيبها اذا حضر فى حظاير قدسها ومحضرها بيت الله المعمور الذى اتخذه لنفسه وجعله ناظما لحقايق قدسه مركز مداد نقطة الاكوان ومنبع ينابيع الحكمة والعرفان الممد من مداد بحر الوفا على القايل من اهل المعارف والاصطفا حيث خاطب ذاته الاقدسيه بالمنح الانفسيه فقال

فانت رسول الله اعظم كائن … وانت لكل الخلق بالحق مرسل
عليك مدار الخلق اذ انت قطبه … وانت منار الحق تعلو وتعدل
فؤادك بيت الله دار علومه … وباب عليه منه للحق يدخل
ينابيع علم الله منه تفجرت … ففى كل حى منه لله منهل
منحت لفيض الفضل كل مفضل … فكل له فضل به منك يفضل
نظمت نثار الانبياء فتاجهم … لديك بانواع الكمال مكمل
فيا مركز الامداد نقطة خطه … ويا ذروة الاطلاق اذ يتسلسل
محال يحول القلب عنك واننى … وحقك لا اسلو ولا اتحول
عليك صلوة الله منه تواصلت … صلوة اتصال عنك لا تتنصل

تخصصت ابصار بصاير سكان سدرة المنتهى لجلال جماله وحنت ارواح رؤساء

الانبيا الى مشاهدة كماله وتلفتت لفتات نفس الملا الاعلى الى نفايس نفحاته وتطاولت اعناق العقول الى اعين لحاظه ولحظاته فعرج به الى المستوى الاقدس واطلعه على السر الانفس فى احاطته الجامعه وحضرات حظيرة قدسه الواسعه فوقفت اشخاص الانبيا فى حرم الحرمه على اقدام الخدمه وقامت اشباح الملايكه فى معارج الجلال على ارجل الاجلال وهامت ارواح العشاق فى مقامات الاشواق

كل البلاد بكله مشتاق … وعليه من رقبائه احداق
يهواك ما ناح الحمام بايكه … او لاح برق فى الدجا خفاق
شوق اليه لا يزال يديره … فجميعه لجميعه عشاق

قد اشتاق القمر لمشاهدته فانشق فشق مرائر الاشقياء المنافقين وحن الغار الجذع فتصدع فانصدعت قلوب الاغبياء المنافقين ولله در القايل
وكان انشقاق البدر اكبر آية … تشق قلوب الحاسدين وتعرس
وبرقت من مشكاة بعثته بوارق طلايع الحقايق وانقادت لدعوته العامة خاصة خلاصة الخلايق ولم يزل يجاهد فى الله بصادق عزماته وينظم شتات الاسلام بعد افتراق جماعاته حتى كملت كمالات دينه وحججه البالغه وتمت على امته الامية نعمته السابغه وخير فاختار الرفيق الاعلى وآثر الآخرة على الاولى فنقله الله قايما على قدم السلامه الى دار السلام وفردوس الكرامه وبواه اسنى مرافق التكريم فى دار المقامه ومنحه اعلى مواهب الشرف فى اليوم المشهود فهو الشاهد المشهود والمحمود بالمحامد التى يلهمها الحامد المحمود ذو المنزلة العليه والدرجة السنيه فى حظاير القدس الاقدسيه والمشاهد الانفسيه واصل الله عليه فواضل الصلوات وشرايف التسليم ونوامى البركات وعلى آله الاطهار واصحابه الابرار صلوة وسلاما لا ينقطع عنهما امد المدد ولا يحصيهما العدد ابد الابد

وبعد فهذه لطيفة من لطايف نفحات العواطف الرحمانيه ومنحة من منح مواهب العطايا الربانيه تنبئ عن نبذة من كمال شرف نبينا محمد عليه افضل الصلوات وانمى التسليم واسنى الصلوات وسبق نبوته فى الازمان الازليه وثبوت رسالته فى الغايات الابديه والتبشير باحمديته فى الاعصر الخاليه والتنويه بمحمديته فى الامم الماضيه واشراق بوارق لوامع انوار آيات ولادته التى صار ضوء فجرها فى ساير بريته وذاع نشر فجرها فى اقطار ملته وعواطف لطايف رضاعه وحضانته وينابيع اسرار سر مسراه وبعثته وهجرته وعوارف معارف عبوديته الشارى عرف شذاها فى آفاق قلوب اهل ولايته ونفايس نفايس احواله الزكيه ودقايق حقايق سيرته العليه الى حين نقلته لروضة قدسه الاحديه وتشريفه بشرايف الآيات وتكريمه بكرايم المعجزات وترفيعه فى آى التنزيل برفعة ذكره

وعلو خطره • وتعظيم محاسن شمايله وخلايقه • وتخصيصه بعموم رسالته • ووجوب
محبته واتباع طريقه • وسيادته الجامعة لجوامع السودد في مشهد مشاهد المرسلين
وتفضيله بالشفاعة العظمى العامة لعموم الاولين والآخرين • الى غير ذلك من
عجايب آياته ومنحه • وغرايب اعلام نبوته وحججه • اوردتها حججا قاهرة على الملحدين
وذكرى نافعة للموحدين • وتنبيها لعزايم المهتدين • ولم اكن والله اهلا لذلك
ولا ارتضي نفسي فيما هنالك • لصعوبة هذا المسلك • ومشقة السير في طريق لم يكن
لمثلي يسلك • وانما هو نكتة سر قرأتي كتاب الشفا • بحضرة التخصيص والاصطفا •
في مكتب التاديب والتعليم • في مشهد مشاهد المؤانسة والتكريم • مستجليا في مجالي
تجليات الانوار الاحمدية • محاسن صفات خلقته • وعظيم اخلاقه الزكية • ساريا
بسر سيرته • في منهاج ملته • الى سما هديه الاسنى • راتعا في رياض روضة سنته
النزيهة الحسنا • مستمدا من فتح الباري • فيض فضل الساري • فمنحني صاحب هذه
المنح من مصون حقايقه • وابرز لي مما اكتن من مكنون رقايقه • فانفتحت بالفتح المحمدي
عين بصيرة الاستبصار • وتنزه الناظر في رياض ازهار رقايق الاسرار • فاستجليت
من ابكار مخدرات السنة النبوية من كل صورة معناها • واقتبست من تلالؤ مصباح
مشكاة المعارف من كل بارقة اضواها • وانتشقت من كل عبقة صوفية شذاها واجتنيت
من افنان لطايف تاويل آي الكتاب العزيز من كل ثمرة مشتهاها • ولا زلت في جنات
لطايف هذه المنح اغدو واروح • في غبوق وصبوح • حتى انهلت غمايم المعاني على
ارض رياض المباني • فاينعت ازهارها • وتكللت بنفايس جواهر العلوم اوراقها •
وطابت لمجتني رقايق الحقايق ثمارها • وتدفقت حياض بدايع الفاظها • بزلال
جوامع كلماتها • وخطب خطيب قلوب ابنا الهوى على منبر الغرام الاقدس • يدعو
لكمال محاسن الحبيب الانفس • فترنحت بسلاف افراح الارتياح • نفايس الارواح
وتمايلت بمطربات الحان الحنين الى جمال المحبوب كرايم الاشباح • وزمزم مزمزم
الصفا • بحضرة خلاصة اولي الوفا • منشدا مرددا •

• حضر الحبيب وغاب عنه رقيبه	حسبي نعيم زال عنه حسيبه •
• داوى فؤادي الوصل من ادوائه	طوبى لقلبي والحبيب طبيبه •
• صدق المحب حبيبه في حبه	فحباه صدق الحب منه حبيبه •
• لباه لب فؤاده فاجابه	لما دعاه الى الغرام وجيبه •
• وبجامع الاهوا اجتمع حبه	وبحسنه خطب القلوب خطيبه •

فلما سمعت هذه المواهب اذن قلوب اولي الالباب • تلفتت عيون اعيانهم
لتلخيص خلاصة جوهر هذا الخطاب • في سفر يسفر عن وجه المنح النبوية نتايج النقاب
فثنيت عنان القلم الى تحصيل مآربهم • وتسطير مطالبهم • جانحا صوب الصواب • مودعا

ماكان

ما كان مستودعا في غيابات الغيب في هذا الكتاب • مستعينا في ذلك بالقوي الوهاب
حتى اتاح الله لي ذلك • وتم ما هنالك • فاوضحت ما خفي من الدليل • ومهدت
ما توعر من السبيل • وسميته بالمواهب اللدنية • بالمنح المحمدية
ورتبته على عشرة مقاصد • تسهيلا للسالك والقاصد

المقصد الاول

في تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام

بسبق نبوته • في سابق ازليته • ونشر منشور رسالته • في مجلس مؤانسته • وكتبه
توقيع عنايته • في حظاير قدس كرامته • وطهارة نسبه • وبراهين اعلام آيات حمله
وولادته • ورضاعه وحضانته • ودقايق حقايق بعثته وهجرته • ولطايف عجايب
مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته • مرتبا على السنين من حين نشاته الى وقت وفاته
ونقلته لرياض روضته

المقصد الثاني

في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال اخلاقه المنيفة واولاده الكرام الطاهرين
وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين • واعمامه وعماته • واخوته من الرضاعة وجداته
وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه • وكتبه الى اهل الاسلام • في الشرايع والاحكام
ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام • وآلات حروبه ودوابه والوافدين اليه
صلى الله وسلم عليه • وفيه عشرة فصول •

المقصد الثالث

فيما فضله الله به من كمال خلقته وجمال صورته
وكرمه سبحانه به من الاخلاق الزكية • وشرفه به من الاوصاف المرضية • وما تدعو ضرورة
حياته اليه • والى الله تعالى صلاته وسلامه عليه • وفيه ثلاثة فصول •

المقصد الرابع

في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما اختص به من خصايص
آياته وبدايع كراماته • وفيه فصلان • •

المقصد الخامس

في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصايص المعراج والاسرى
وتعميمه بعموم لطايف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والآيات الكبرى

المقصد السادس

فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته له بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته وأخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا منه ومنة ان ادركوه ليؤمنن به ولينصرنه والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل وفيه عشرة انواع

المقصد السابع

في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته وفرض محبة آله وأصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاثة فصول

المقصد الثامن

في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وانبائه بالانباء المغيبات وفيه ثلاثة فصول

المقصد التاسع

في لطيفة من حقائق عباداته ويشتمل على سبعة انواع

المقصد العاشر

في اتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته اليه وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الآخرة بفضائل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم والدرجات العليات وتشريفه بخصائص الزلفى في مشهد مشاهد الانبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسودد في مجمع مجامع الاولين والآخرين وترقيه في جنة عدن ارقى مدارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد اعلا معالي الحسنى وزيادة وفيه ثلاثة فصول والله تعالى جل جلاله وعز مجده أسأل بوجاهة وجهه الوجيه ونبيه النبيه ان يمدني في هذا الكتاب العزيز بمدد الاقبال والقبول وينيلني ومن كتبه او قرأه او سمعه والمسلمين من العواطف النبوية لطائف السول ونهاية المأمول وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل

في تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام بسبق نبوته في سابق ازليته ونشره منشور رسالته في مجلس مؤانسته وكتبه توقيع عنايته في حظائر قدس كرامته وطهارة نسبه وبراهين اعلام آيات حمله وولادته ورضاعه وحضانته وذكر حقائق بعثته وهجرته ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته مرتبا على السنين من حين نشأته الى وقت وفاته ونقلته لرياض جنته

اعلم يا ذا العقل السليم والمتصف باوصاف الكمال والتتميم وفقني الله واياك بالهداية الى الصراط المستقيم انه لما تعلقت ارادة الحق تعالى بايجاد خلقه وتقدير رزقه ابرز الحقيقة المحمدية من الانوار الصمدية في الحضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على صورة حكمه كما سبق في سابق ارادته وعلمه ثم اعلمه تعالى بنبوته وبشره برسالته هذا وآدم لم يكن الا كما قال بين الروح والجسد ثم انبجست منه صلى الله عليه وسلم عيون الارواح فظهر بالملا الاعلى وهو بالمنظر الاجلى فكان لهم المورد الاحلى فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه صلى الله عليه وسلم الى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان الى الاسم الظاهر فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسما وروحا فهو صلى الله عليه وسلم وان تأخرت طينته فقد عرفت قيمته فهو خزانة السر وموضع نفوذ الامر فلا ينفذ امر الا منه ولا ينقل خير الا عنه وهو كما قال القائل

الا بأبي من كان ملكا وسيدا ... وآدم بين الماء والطين واقف
فذاك الرسول الابطحي محمد ... له في العلا مجد تليد وطارف
اتى بزمان السعد في آخر المدى ... وكان له في كل عصر مواقف
اتى لانكسار الدهر يجبر صدعه ... فاثنت عليه ألسن وعوارف
اذا رام امرا لا يكون خلافه ... وليس لذاك الامر في الكون صارف

خرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو ام الكتاب ان محمدا خاتم النبيين وعن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته رواه احمد والبيهقي والحاكم وقال صحيح الاسناد وقوله لمنجدل يعني طريحا ملقى على الارض قبل نفخ الروح فيه وعن ميسرة الضبي قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد هذا لفظ رواية الامام احمد ورواه البخاري في تاريخه وابو نعيم في الحلية وصححه الحاكم واما ما اشتهر على الالسنة بلفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فقال شيخنا الحافظ ابو الخير

السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى وقال الحافظ ابن
رجب في اللطائف وبعضهم يرويه متى كتبت من الكتاب انتهى قلت كذا
رويناه في جزء من حديث ابي عمرو اسماعيل بن نجيد بلفظ متى كتبت نبيا قال كنت نبيا
وآدم بين الروح والجسد فتحمل هذه الرواية مع رواية العرباض بن سارية على وجوب
نبوته وثبوتها وظهورها في الخارج فان الكتابة تستعمل فيما هو واجب قال تعالى
كتب عليكم الصيام وكتب الله لاغلبن وعن ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله متى وجبت
لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذي وقال حديث حسن وروينا
في جزء من امالي ابي سهل القطان عن سهل بن صالح الهمداني قال سألت ابا جعفر محمد
ابن علي كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم مقدما للانبياء وهو آخر من بعث قال ان الله
تعالى لما اخذ الميثاق من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست
بربكم كان محمد صلى الله عليه وسلم اول من قال بلى ولذلك صار مقدم الانبياء وهو
آخر من بعث فان قلت ان النبوة وصف لا بد ان يكون الموصوف به موجودا
وانما يكون بعد بلوغ اربعين سنة ايضا فكيف يوصف به قبل وجوده وارساله
اجاب الغزالي في كتابه النفخ والتسوية عن هذا وعن قوله عليه الصلوة والسلام
انا اول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا بان المراد بالخلق هنا التقدير دون الايجاد
فانه قبل ان ولدته امه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة في
التقدير لاحقة في الوجود قال وهو معنى قولهم اول الفكرة آخر العمل وآخر العمل
اول الفكرة وبيانه ان المهندس المقدر للدار اول ما يمثل في نفسه صورة الدار
فتحصل في تقديره دارا كاملة وآخر ما يوجد من اعماله هي الدار الكاملة فالدار الكاملة
هي اول الاشياء في حقه تقديرا وآخرها وجودا لان ما قبلها من ضرب اللبنات وبناء
الحيطان وتركيب الجذوع وسيلة الى غاية وكمال وهي الدار فالغاية هي الدار الكاملة
ولاجلها تقوم الآلات والاعمال ثم قال واما قوله عليه الصلوة والسلام كنت
نبيا فاشارة الى ما ذكرناه وانه كان نبيا في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه السلام
لانه لم ينشأ خلق آدم الا لينتزع من ذريته محمد صلى الله عليه وسلم ويستصفى
تدريجا الى ان يبلغ كمال الصفا قال ولا يفهم هذه الحقيقة الا بان يعلم ان للدار
وجودين وجودا في ذهن المهندس ودماغه وانه ينظر الى صورة الدار خارج الذهن في
الاعيان والوجود الذهني سبب الوجود الخارجي العيني فهو سابق لا محالة وكذلك
فاعلم ان الله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا انتهى وهو متعقب
بقول الشيخ تقي الدين السبكي انه قد جاء ان الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد
تكون الاشارة بقوله كنت نبيا الى روحه الشريفة او الى حقيقة من الحقائق تقصر عقولنا
عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن امده الله تعالى بنور الهي ثم ان تلك الحقائق

يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم
قد تكون من خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بان يكون خلقها متهيئة لذلك
وافاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبيا وكتب اسمه على العرش واخبر عنه بالرسالة
ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تأخر جسده
الشريف المتصف بها او اتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة
الالهية وانما يتأخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته
الشريفة وحقيقته معجل لا تأخر فيه وكذلك استنباؤه وايتاؤه الكتاب والحكم
والنبوة وانما المتأخر تكونه وتنقله الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا
ان من فسره بعلم الله تعالى بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله تعالى
محيط بجميع الاشياء ووصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي
ان يفهم منه انه امر ثابت له في ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير
في المستقبل لم يكن له خصوصية بانه نبي وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء
يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم
لاجلها اخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى وعن الشعبي قال
رجل يا رسول الله متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حين اخذ مني الميثاق رواه
ابن سعد من رواية جابر الجعفي فيما ذكره ابن رجب فهذا يدل على انه من حين صور آدم
طينا استخرج منه محمد صلى الله عليه وسلم ونبئ واخذ منه الميثاق ثم اعيد الى ظهر آدم حتى
يخرج وقت خروجه الذي قدر الله خروجه فيه فهو اولهم خلقا لا يقال خلق آدم
قبله لان آدم كان حينئذ مواتا لا روح فيه ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين
استخرج ونبئ واخذ منه ميثاقه فهو اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فان قلت
ان استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه كما دل عليه اكثر الاحاديث والذي
تقرر هنا انه استخرج ونبئ واخذ منه الميثاق قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام اجاب
بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فان محمدا
صلى الله عليه وسلم هو المقصود من خلق النوع الانساني وهو عينه وخلاصته وواسطة
عقده والاحاديث السابقة صريحة في ذلك والله اعلم وروي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه قال لم يبعث الله تعالى نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد
صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه
وهو مروي عن ابن عباس ايضا ذكرهما العماد ابن كثير في تفسيره وقيل ان الله تعالى
لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم امره ان ينظر الى انوار الانبياء عليهم السلام
فغشيهم من نوره ما انطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى
هذا نور محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم انبياء قالوا آمنا به

وبنبوته فقال الله تعالى اشهدوا عليكم قالوا نعم فذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله وانا معكم من الشاهدين **قال** الشيخ تقي الدين السبكي في هذه الآية من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى **وفيه** مع ذلك انه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيمة وتكون الانبياء واممهم كلهم من امته ويكون قوله بعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا **ويتبين** بهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد **ثم قال** فاذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وابرهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم انتهى وسيأتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى في المقصد السادس **وذكر** العارف الرباني عبد الله بن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس ومن قبله ابن سبع في شفاء الصدور عن كعب الاحبار قال لما اراد الله تعالى ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل عليه السلام ان يأتيه بالطينة التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها قال فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيع الاعلى فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم في معين انهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والارض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وفضله قبل ان تعرف آدم عليهما السلام **وقيل** لما خاطب الله تعالى السموات والارض بقوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين اجاب موضع الكعبة الشريفة ومن السما ما يحاذيها **وقد قال** ابن عباس اصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة **فقال** بعض العلماء هذا يشعر بان ما اجاب من الارض الا ذرة المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ومن موضع الكعبة دحيت الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل في التكوين والكائنات تبع له **وقيل** لذلك سمي اميا لان مكة ام القرى وذرته ام الخليقة **فان قلت** تربة الشخص مدفنه فكان مقتضى هذا ان يكون مدفنه عليه الصلوة والسلام بمكة حيث كانت تربته منها **فقد اجاب** عنه صاحب عوارف المعارف افاض الله تعالى علينا من عوارفه وعطف علينا بعواطفه بانه قيل ان الما لما تموج رمى الزبد الى النواحي فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم الى ما يحاذي تربته بالمدينة فكان صلى الله عليه وسلم مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة انتهى **وفي** المولد الشريف

لابن ظغربك

لابن ظغربك قال ويروى انه لما خلق الله تعالى آدم الهمه ان قال يا رب لم كنيتني بابي محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع راسك فرفع راسه فرأى نور محمد صلى الله عليه وسلم في سرادق العرش فقال يا رب ما هذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السما احمد وفي الارض محمد لولاه ما خلقتك ولا خلقت سما ولا ارضا **ويشهد** لهذا ما رواه الحاكم في صحيحه ان آدم عليه الصلوة والسلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك **ولله در من قال**

وكان لدى الفردوس في زمن الرضى … واثوابُ شمل الانس محكمة السدا
يشاهد في عدن ضياء مشعشعا … يزيد على الانوار في الضوء والهدى
فقال الهي ما الضياء الذي ارى … جنود السما تعشو اليه ترددا
فقال نبي خير من وطئ الثرى … وافضل من في الخير راح او اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا … والبسته قبل النبيين سوددا

فان قلت ان مذهب الاشاعرة ان افعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض فكيف تكون خلقة محمد صلى الله عليه وسلم علة في خلق آدم عليه الصلوة والسلام **أجيب** بان الظاهر من الادلة تعليل بعض الافعال بالحكم والمصالح التي هي غايات ومنافع لافعاله تعالى لا بواعث على اقدامه ولا علل مقتضية لفاعليته لان ذلك محال في حقه تعالى لما فيه من استكماله بغيره والنصوص شاهدة بذلك كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي قرنت الخلق بالعبادة اي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة فالتعليل لفظي لا حقيقي لان الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة اليه ولا الى غيره لان الله تعالى قادر على ايصال المنفعة الى الغير من غير واسطة العمل انتهى **وروى** عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قلت يا رسول الله بابي انت وامي اخبرني عن اول شي خلقه الله تعالى قبل الاشيا قال يا جابر ان الله تعالى خلق قبل الاشيا نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شا الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سما ولا ارض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا انسي فلما اراد الله تعالى ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزا فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزا فخلق من الاول السموات ومن الثاني الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الجزء الرابع على اربعة اجزا فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث **وقد** اختلف

هل القلم اول المخلوقات بعد النور المحمدي **فقال** الحافظ ابو يعلى الهمداني الاصح ان
العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قدر الله مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة
وكان عرشه على الماء **فهذا** صريح ان التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير وقع
عند اول خلق القلم لحديث عبادة بن الصامت مرفوعا اول ما خلق الله القلم قال
له اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء رواه احمد والترمذي
وصححه **وروينا** ايضا من حديث ابي رزين العقيلي مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش
وروى السدي باسانيد متعددة ان الله لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء
فيجمع بينه وبين ما قبله بان اولية القلم بالنسبة الى ما عدا النور المحمدي
والماء والعرش انتهى **وقيل** الاولية في كل بالاضافة الى جنسه اي اول ما خلق الله
من الانوار نوري وكذا في باقيها **وفي** احكام ابن القطان مما ذكره ابن مرزوق عن
علي بن الحسين عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدي
ربي قبل خلق آدم باربعة عشر الف عام **وفي** الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل
ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره ثم رفعه الله تعالى
على سرير مملكته وحمله على اكتاف ملائكته وامرهم فطافوا به في السموات ليرى عجائب
ملكوته **وقال** جعفر بن محمد مكث الروح في راس آدم مائة عام وفي صدره مائة عام
وفي ساقيه وقدميه مائة عام ثم علمه الله تعالى اسماء جميع المخلوقات ثم امر الملائكة
بالسجود له فسجدوا الا ابليس فطرده الله تعالى وابعده واخزاه وكان السجود لآدم
سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فالمسجود له بالحقيقة هو
الله تعالى وآدم كالقبلة **وروى** عن جعفر الصادق انه قال كان اول من سجد
لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون **وعن** ابي الحسن
النقاش اول من سجد اسرافيل قال ولذا جوزي بتولية اللوح المحفوظ **وعن** ابن عباس
كان يوم الجمعة من وقت الزوال الى العصر ثم خلق الله تعالى له حواء وجنته من ضلع
من اضلاعه اليسرى وهو نائم وسميت حواء لانها خلقت من حي فلما استيقظ ورآها
سكن اليها ومد يده لها فقالت الملائكة مه يا آدم قال ولم وقد خلقها الله تعالى لي
فقالوا حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث
مرات **وذكر** ابن الجوزي في كتابه سلوة الاحزان انه لما رام القرب منها طلبت منه المهر
فقال يا رب وماذا اعطيها قال يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة ففعل
ثم ان الله تعالى اباح لهما نعيم الجنة ونهاهما عن شجرة الحنطة وقيل شجرة العنب وقيل
شجرة التين فحسدهما ابليس فهو اول من حسد وتكبر فاتى الى باب الجنة فاحتال حتى دخل
الجنة واتى الى آدم وحواء فوقف وناح بياحة احزنتهما فهو اول من ناح فقالا له ما يبكيك

قال

قال عليكما تموتان وتفقدان النعيم الا ادلكما على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما انه
ناصح فهو اول من حلف كاذبا واول من غش فاكلت حواء منها ثم زينت لآدم حتى اكل
وظنا ان احدا لا يتجاسر ان يحلف بالله كاذبا فقال الله تعالى يا آدم الم يكن فيما ابحتك
من الجنة مندوحة عن الشجرة فقال بلى يا رب وعزتك ولكن ظننت ان احدا لا يحلف بك
كاذبا قال الله وعزتي وجلالي لاهبطنك الى الارض لا تنال العيش الا كدا فاهبط
من الجنة **وعن** ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت قال زينته لي حواء
قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها وادميتها في الشهر مرتين **وقال**
وهب بن منبه لما اهبط آدم الى الارض مكث يبكي ثلاث مائة عام لا يرقا له دمع **وقال**
المسعودي لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر حين اخرجه الله من الجنة
وقال مجاهد بكى آدم مائة عام لا يرفع راسه الى السماء وانبت الله من دموعه العود الرطب
والزنجبيل والصندل وانواع الطيب وبكت حواء حتى انبت الله من دموعها القرنفل
والافاوية **يا بني آدم** انظروا كيف بكى ابوكم على فعلة واحدة ثلاث مائة عام فكيف
بكم يا ارباب الكبائر العظيمة فاعتبروا يا اولي الابصار كان كلما رأى الملائكة تصعد
وتهبط ازداد شوقا الى الاوطان فتذكر العهد والجيران يا اصحاب الذنوب احذروا
زلة يقول فيها الحبيب هذا فراق بيني وبينك فيا ذا العقل السليم انظر كيف جلس ابوك
آدم على سرير المملكة فمد يده الى لقمة نهي عنها فاخرج من الجنة فاحذروا يا بنيه عواقب
المعاصي فانها من نزلت به زلت به وحطته عن مرتبته **فان قلت** هذه الفعلة
التي اهبط بها آدم من الجنة ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة
فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة وغير ذلك **اجاب**
الزمخشري بانها ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي
هي اجل الطاعات واعظم الاعمال وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها
وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء الماثم **يا هذا**
انظر كم لله من لطف وحكمة في اهباط آدم من الجنة الى الارض لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهد
واجتهاد العابدين المجتهدين ولا صعدت زفرات انفاس التائبين ولا نزلت قطرات
دموع المذنبين **يا آدم** ان كنت اهبطت من دار القرب فاني قريب اجيب دعوة الداع
ان كان حصل لك بالاخراج من الجنة كسر فانا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ان كان فاتك
في السماء زجل المسبحين فقد تعوضت في الارض انين المذنبين انين المذنبين احب الينا
من تسبيحهم زجل المسبحين ربما يشوبه الافتخار وانين المذنبين يزينه الانكسار لو
لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم **سبحان** من اذا
لطف بعبده في المحن قلبها منحا واذا خذل عبدا لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه وبالا
لقن الله آدم حجته والقى عليه ما تقبل به توبته وطرد ابليس اللعين بعد طول خدمته

نزلت صح

فلبيه صح

فصار عمله هبآء منثورا. قال اخرج منها فانك رجيم. وان عليك اللعنة الى يوم الدين
اذا وضع عدله على عبد لم تبق له حسنة. واذا بسط فضله على عبد لم تبق له سيئة
انظر لما ظهرت فضائل آدم عليه السلام على الخلائق بالعلم وكان العلم لا يكمل الا بالعمل
بمقتضاه والجنة ليست دار عمل ومجاهدة. انما هي دار نعيم ومشاهدة **قيل** له
يا آدم اهبط الى ارض الجهاد. وصابر جنود الهوى بالجد والاجتهاد. وكانك بالعيش
الماضي وقد عاد. على اكمل من ذلك المعتاد. لما اظهر ابليس عليه اللعنة الحسد سعى في
الاذى حتى كان سببا في اخراج السيد آدم من الجنة وما فهم الابله ان آدم اذا خرج
من الجنة كملت فضائله ثم عاد الى الجنة على اكمل من الحال الاول قالوا وفيه اشارة
كانه تعالى يقول لو عفوت في الجنة لما تبين كرمي بان اغفر لنفس واحدة بل اخرجه
الى الدنيا وآتي بالالوف من العصاة حتى اغفر له ولهم ليتبين كرمي وجودي وايضا
علم الله تعالى ان في صلبه الاولاد والجنة ليست دار توالد وايضا ليخرج من ظهره
في الدنيا من لا نصيب له في الجنة يا هذا الجنة ان شاء الله اقطاعنا وقد وصل
منشور الاقطاع مع جبريل عليه السلام الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبشر الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار انما تخرج الاقطاع
عمن خرج عن الطاعة نسال الله تعالى التوفيق **وقد** اختلف في الجنة التي سكنها
آدم فقيل هي جنة الخلد وقيل غيرها جعلها الله تعالى دار ابتلاء لان جنة الخلد
انما يدخل اليها يوم القيمة وبانها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وامر ونهي ودار سلامة
لا دار ابتلاء وامتحان ودار قرار لا دار انتقال واحتج القائلون بانها جنة الخلد بان
الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيمة وقد دخلها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسراء وبان ما ذكروا من ان الجنة لا يوجد فيها ما وجد آدم من الحزن والنصب
فانما هو اذا دخلها المؤمنون يوم القيمة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فان نفي
ذلك مقرون بدخول المؤمنين اياها والله اعلم انتهى **وروي** انه لما اخرج
آدم من الجنة راى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد صلى الله عليه
وسلم مقرونا باسم الله تعالى فقال يا رب هذا محمد من هو فقال الله تعالى هذا ولدك
الذي لولاه ما خلقتك فقال يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم
لو تشفعت الينا بمحمد صلى الله عليه وسلم في اهل السموات والارض لشفعناك
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف
آدم الخطيئة قال يا رب اسالك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم وكيف
عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك
رفعت راسي فرايت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك
لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب

الخلق الي واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في
دلائله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقال انفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه
وذكره الطبراني وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك وفي حديث سلمان عند
ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول ان
كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا اكرم علي منك ولقد
خلقت الدنيا واهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا
وما احسن قول سيدي علي الوفوي حيث قال في قصيدة تائية له

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد *** هذا النعيم هو المقيم الى الابد
روح الوجود حياة من هو واجد *** لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم *** هم اعين هو نورها لما ورد
لو ابصر الشيطان طلعة نوره *** في وجه آدم كان اول من سجد
او لو رأى النمرود نور جماله *** عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الحق جل فلا يرى *** الا بتخصيص من الله الصمد
فابشر بمن سكن الجوانح منك يا *** انا قد ملأت من المنا عينا ويد
عين الوفا معنى الصفا سر الندى *** نور الهدى روح التهى جسد الرشد
هو للصلوة من السلام المرتضى *** الجامع المخصوص ما دام الابد

ولما خلق الله تعالى حوى لتسكن الى آدم ويسكن اليها فحين وصل لديها فاضت
بركاته عليها فولدت له في تلك الاعوام الحسنا اربعين ولدا في عشرين بطنا ووضعت
شيثا وحده كرامة لمن اطلع الله تعالى بالنبوة سعده **ولما** توفي آدم كان شيث عليه
السلام وصيا على ولده ثم اوصى شيث ولده بوصية آدم ان لا يضع هذا النور الا
في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان ادى
الله تعالى النور الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من
سفاح الجاهلية. كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الاحاديث المرضية **قال** ابن عباس
فيما رواه البيهقي في سننه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح
الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح الاسلام والسفاح بكسر المهملة الزنا والمراد به هنا
ان المراة تسافح رجلا مدة ثم يتزوجها بعد ذلك **وروى** ابن سعد وابن عساكر
عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة
ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية وعن علي بن ابي طالب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم
الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح اهل الجاهلية شيء رواه الطبراني في
الاوسط وابو نعيم وابن عساكر **وروى** ابو نعيم عن ابن عباس مرفوعا لم يلتق

ابواى قط على سفاح لم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة
مصفا مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما وعنه فى قوله تعالى وتقلبك
فى الساجدين قال من نبى الى نبى حتى اخرجتك نبيا رواه البزار وعنه ايضا فى الآية
ما زال النبى صلى الله عليه وسلم يتقلب فى اصلاب الانبياء حتى ولدته امه رواه ابو
نعيم وعن جعفر بن محمد عن ابيه فى قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم قال لم
يصبه شىء من ولادة الجاهلية قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح
غير سفاح وعن انس قال قرا النبى صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم بفتح
الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا
نكاح رواه ابن مردويه وفى الدلائل لابى نعيم عن عائشة عنه صلى الله عليه
وسلم عن جبريل قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد
صلى الله عليه وسلم ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم وكذا اخرجه الطبرانى فى
الاوسط قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر لوائح الصحة ظاهرة على صفحات
هذا المتن وفى البخارى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بعثت من خير
قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وفى مسلم عن واثلة
ابن الاسقع قال قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل
واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم
ورواه الترمذى وعن العباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
الخلق فجعلنى فى خير فرقهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلنى فى خير القبيلة
ثم تخير البيوت فجعلنى فى خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا رواه الترمذى
هكذا منفردا به وقال الحديث حسن اى خيرهم روحا وذاتا وخيرهم بيتا اى اصلا
وفى حديث رواه الطبرانى عن ابن عمر قال ان الله تعالى اختار خلقه فاختار
منهم بنى آدم ثم اختار من بنى آدم العرب ثم اختارنى من العرب فلم ازل خيارا من
خيار الا من احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغض العرب فببغضى ابغضهم ثم
اعلم انه عليه الصلوة والسلام لم يشركه فى ولادته من ابويه اخ ولا اخت لانتهاء
صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة
غاية ولتمام الشرف نهاية وانت اذا اختبرت حال نسبه الشريف وعلمت طهارة
مولده تيقنت انه سلالة آباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم النبى العربى الابطحى
الحرمى الهاشمى القرشى نخبة بنى هاشم المختار المنتخب من خير بطون
العرب واعرقها فى النسب واشرفها فى الحسب وانضرها عودا واطولها عمودا واطيبها
ارومة واعزها جرثومة وافصحها لسانا واوضحها بيانا وارجحها ميزانا واصحها
ايمانا واعزها نفرا واكرمها معشرا من قبل ابيه وامه ومن اكرم بلاد الله على الله

وعلى عباده فهو محمد بن عبد الله الذبيح بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد فى قول
ابن اسحاق وهو الصحيح وقيل سمى به لانه ولد وفى راسه شيبة وقيل اسمه عامر
وهو قول ابن قتيبة وتابعه عليه المجد الشيرازى وكنيته ابو الحارث بابن له اكبر
ولده قيل وانما قيل له عبد المطلب لان اباه هاشما قال لاخيه المطلب وهو بمكة حين
حضرته الوفاة ادرك عبدك بيثرب فمن ثم سمى عبد المطلب وقيل ان عمه المطلب
جاء به الى مكة رديفه وهو بهيئة بذة فكان يسال عنه فيقول هو عبدى حياء من ان
يقول ابن اخى فلما ادخله واحسن من حاله اظهر انه ابن اخيه فلذلك قيل له عبد المطلب
وهو اول من خضب بالسواد من العرب وعاش مائة واربعين سنة ابن هاشم واسمه عمرو
وانما قيل له هاشم لانه كان يهشم الثريد لقومه فى الجدب ابن عبد مناف واسمه المغيرة
ابن قصى بفتح القاف تصغير قصى اى بعيد لانه بعد عن عشيرته فى بلاد قضاعة حين
احتملته امه فاطمة واسمه مجمع قال الشاعر

ابوكم قصى كان يدعى مجمعا	به جمع الله القبائل من فهر

وقيل زيد قال الشافعى كما حكاه عنه الحاكم ابو احمد يزيد بن كلاب وهو اما منقول
من المصدر الذى فى معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة واما من الكلاب جمع كلب لانهم
يريدون الكثرة كما تسموا بسباع وسئل اعرابى لم تسمون ابناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب
وعبيدكم باحسن الاسماء نحو رزق ومرزوق ورباح فقال انما نسمى ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا
لانفسنا يريدون ان الابناء عدة للاعداء وسهام فى نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء
واسم كلاب حكيم وقيل عروة بن مرة بن كعب وهو اول من جمع يوم العروبة وكانت تجتمع
اليه قريش فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم
بانه من ولده ويامرهم باتباعه والايمان به وينشد فى ذلك ابياتا منها قوله

يا ليتنى شاهد نجواء دعوته	حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

ابن لؤى تصغير اللاى وهو الثور ابن غالب بن فهر واسمه قريش واليه تنسب قريش
فما كان فوقه فكنانى لا قرشى على الصحيح ابن مالك بن النضر واسمه قيس بن كنانة
وقيل هو جماع قريش ابن خزيمة تصغير خزمة ابن مدركة بن الياس بكسر الهمزة فى قول ابن
الانبارى وبفتحها فى قول قاسم بن ثابت ضد الرجاء واللام فيه للتعريف والهمزة للوصل
قال السهيلى وهذا اصح وهو اول من اهدى البدن الى البيت الحرام ويذكر انه كان
يسمع فى صلبه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ابن مضر وهو اول من سن الحداء
للابل وكان من احسن الناس صوتا ابن نزار بكسر النون من النزر وهو القليل قيل لانه
لما ولد ونظر ابوه الى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا واطعم
وقال ان هذا كله نزر اى قليل لحق هذا المولود فسمى نزارا لذلك ابن معد بن عدنان
قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب

الى عدنان ولم يتجاوزه انتهى ولله در القائل

ونسبة عن هاشم من اصولها سمت رتبة علنا اعظم تقدّن	ومجد هما المرضي اكرم محتد ولم نسم الآبا النبي محمد

وبرحم الله القائل

وكم اب قد علا بابن ذرى شرف   كما علت برسول الله عدنان

وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون مرتين او ثلاثا رواه في مسند الفردوس لكن قال السهيلي والاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد وروي عن عمر انه قال انما ننتسب الى عدنان وما فوق ذلك لا ندري ما هو وعن ابن عباس بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وقال عروة بن الزبير ما وجدنا احدا يعرف ما بعد معد بن عدنان وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من اخبره بذلك وكذا روي عنه في رفع نسب الانبياء عليهم السلام فالذي ينبغي لنا الاعراض عما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للالفاظ وعواصة تلك الاسماء مع قلة الفائدة وقد ذكر الحافظ ابو سعيد النيسابوري عن ابي بكر بن ابي مريم عن سعيد بن عمرو الانصاري عن ابيه عن كعب الاحبار ان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد المطلب وادرك نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فبقي متحيرا لا يدري من فعل به ذلك فاخذ ابوه بيده ثم انطلق به الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا له اعلم ان اله السموات قد اذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قيلة فولدت له الحارث ثم ماتت فزوجه بعدها هند بنت عمرو وكان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وكانت قريش اذا اصابها قحط شديد تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير فيتقربون به الى الله تعالى ويسألونه ان يسقيهم الغيث فكان الله يغيثهم ويسقيهم ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم غيثا عظيما ولما قدم ابرهة ملك اليمن من قبل صاحبه النجاشي لهدم بيت الله الحرام وبلغ عبد المطلب ذلك قال يا معاشر قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ثم جاء ابرهة فاستاق ابل قريش وغنمها وكان لعبد المطلب فيها اربعمائة ناقة فركب عبد المطلب في قريش حتى طلع جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على البيت الحرام مثل السراج فلما نظر عبد المطلب الى ذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور

متى لنا ان يكون الظفر لنا فرجعوا متفرقين ثم ان ابرهة ارسل رجلا من قومه ليهزم الحبشي فلما دخل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروي انه لما حضر عبد المطلب عند ابرهة امر سايس فيله الابيض العظيم الذي كان لا يسجد للملك ابرهة كما تسجد ساير الفيلة ان يحضره بين يديه فلما نظر الفيل الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وانطق الله تعالى الفيل فقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب كذا رواه في النطق المفهوم ولما دخل جيش ابرهة ومعهم الفيل لهدم الكعبة الشريفة برك الفيل فضربوا في رأسه ضربا شديدا ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل من البحر مع كل طير منها ثلاثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كامثال العدس لا تصيب احدا منهم الا اهلكته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة في جسده بداء فتساقطت انامله انملة انملة وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انصدع قلبه والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى بقوله لنبيه عليه الصلوة والسلام الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل السورة الى آخرها فان قلت لم قال تعالى له عليه السلام الم تر مع ان هذه القصة كانت قبل المبعث بزمان طويل فالجواب ان المراد من الرؤية هنا العلم والتذكير وهو اشارة الى ان الخبر به متواتر فكان العلم الحاصل به ضروري مساو في القوة للرؤية وقد كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وتاسيسا لنبوته وارهاصا لها واعذارا لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء به حتى دانت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على ساير الناس بحماية الله لهم ودفعه عنهم مكر ابرهة الذي لم يكن لساير العرب بقتاله قدرة وكان ذلك كله اظهارا لنبوته عليه السلام قال الرازي ومذهبنا انه يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تاسيسا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله عليه السلام يعني قبل بعثته وخالف العلامة السيد في شرح المواقف تبعا لغيره فاشترط في المعجز ان لا يتقدم على الدعوى بل يكون مقارنا لها كما سيأتي ان شاء الله تعالى في المقصد الرابع فان قلت ان الحجاج خرب الكعبة ولم يحدث شيء من ذلك فالجواب ان ذلك وقع ارهاصا لامر نبينا صلى الله عليه وسلم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه فلما ظهر عليه السلام وتأكدت نبوته بالدلايل القطعية فلا حاجة الى شيء من ذلك والله اعلم ولما فرج الله تعالى عن عبد المطلب ورجع ابرهة خائبا فبينما هو يوما نائما في الحجر اذ رأى مناما عظيما فانتبه فزعا مرعوبا واتى كهنة قريش فقص عليهم رؤياه فقالت له الكهنة ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به اهل السموات والارض وليكونن

في الناس علماً مبيناً فتزوج فاطمة وحملت في ذلك الوقت بعبد الله الذبيح وقصته
في ذلك مشهورة مخرجة عند الرواة مسطورة وكان سببها حفر ابيه عبد المطلب زمزم
لان الجرهمي عمرو بن الحارث لما احدث قومه بحرم الله الحوادث وقيض الله لهم من اخرجهم
من مكة فعمد عمرو الى نفايس فجعلها في زمزم وبالغ في طمها وفر الى اليمن بقومه فلم
تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى ان رفعت عنها الحجب برؤيا منام رآها عبد
المطلب لتدله على حفرها بالعلامات عليها فمنعته قريش من ذلك ثم آذاه من السفهاء من
آذاه واشتد بذلك بلواه ومعه ولده الحارث ولم يكن له ولد سواه فنذر لئن جاءه
عشرة بنين وصاروا له اعوانا ليذبحن احدهم لله قربانا ثم احتفر عبد المطلب
زمزم فكانت له فخرا وعزا فلما تكامل بنوه عشرة وهم الحارث والزبير وحجل وضرار
والمقوم وابو لهب والعباس وحمزة وابو طالب وعبد الله وقر الله عينه بهم نام ليلة
عند الكعبة المطهرة فرأى في المنام قائلا يقول يا عبد المطلب أوف بنذرك لرب
هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش واطعمه للفقراء والمساكين ثم نام
فرأى ان قرب ما هو اكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى ان قرب
ما هو اكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا واطعمه للمساكين ثم نام فنودي ان قرب
ما هو اكبر من ذلك فقال وما اكبر من ذلك قال قرب احد اولادك الذي نذرت فاغتم
غما شديدا وجمع اولاده واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفا فقالوا انا نطيعك فمن تذبح
منا فقال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح سهم بغير نصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم
ائتوا به ففعلوا واخذ قداحهم ودخل على هبل اسم صنم عظيم وكان في جوف الكعبة
وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده فيستقسمون بها اي يرتضون بما يقسم
لهم ثم يضرب بها القيم الذي لها فدفع عبد المطلب الى ذلك القيم القداح وقام
يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان احب ولده اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده
عبد الله واخذ الشفرة ثم اقبل الى اساف ونائلة صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح عند
النسائك فقام اليه سادة قريش فقالوا ما تريد ان تصنع فقال اوفي بنذري فقالوا
لا ندعك ان تذبحه حتى تعذر فيه الى ربك ولئن فعلت هذا الامر لا يزال الرجل يأتي
بابنه فيذبحه وتكون سنة وقالوا انطلق الى فلانة الكاهنة قلت قيل
اسمها قطبة كما ذكره عبد الغني الحافظ في كتاب المبهمات وذكر ابن اسحاق ان اسمها
سجاح فلعلها ان تأمرك بامر فيه فرج لك فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقص عليها
عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم
ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح فان خرجت
القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا ايضا هكذا حتى يرضى ربكم عليكم فاذا
خرجت على الابل فانحروها فقد رضي ربكم وتخلص صاحبكم فرجع القوم الى مكة

وقربوا

وقربوا عبد الله وقربوا عشرا من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على عبد الله
ولم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فنحرت
وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روي كما عند الزمخشري في الكشاف
انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وعند الحاكم في المستدرك عن
معاوية بن ابي سفيان كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال
يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي مما
افاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر
عليه الحديث ويأتي بتتمته قريبا ان شا الله تعالى ويعني بالذبيحين عبد الله واسمعيل
ابن ابرهيم وان كان قد ذهب بعض العلما الى ان الذبيح اسحاق فان صح هذا فالعرب
تجعل العم ابا قال الله تعالى اخبارا عن بني يعقوب عليهم السلام أم كنتم شهداء اذ
حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله
آبائك ابرهيم واسمعيل واسحاق فجعل اسمعيل ابا وهو عم وفي حديث معاوية
الموعود بتتمته قريبا قال معاوية ان عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الله امرها
ان ينحر بعض ولده فاخرجهم واسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه
فمنعه اخواله من بني مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح
واسمعيل الذبيح الثاني قال ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح اسمعيل انه
لا ريب ان الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين
الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرا بشان اسمعيل وامه واقامة لذكر الله تعالى
ومعلوم ان اسمعيل وامه هما اللذان كانا بمكة دون اسحاق وامه ثم قال
ولو كان الذبح بالشام كما يزعم اهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر
بالشام لا بمكة وايضا فان الله سمى الذبيح حليما لانه لا احلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة
لربه ولما ذكر اسحاق سماه عليما وايضا فان الله اجرى العادة البشرية ان بكر الاولاد
احب الى الوالدين ممن بعده وابرهيم لما سال ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة
من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة
وان لا يشارك فيها فلما اخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من
قلب الخليل فامر بذبح المحبوب فلما قدم على ذبحه وكانت محبة الله اعظم عنده من محبة
الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة
انما هي في العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدي الذبيح وصدق
الخليل الرؤيا انتهى وقد انشد بعضهم

ان الذبيح هديت اسماعيل ... نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا ... وابانه التفسير والتأويل

وروى ما ذكره المعافا بن زكريا أن عمر بن عبد العزيز سأل رجلا أسلم من علماء
اليهود أي ابني إبرهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين إن اليهود ليعلمون أنه
إسماعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون أباكم للفضل الذي ذكره الله تعالى
عنه فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم انتهى فانظر أيها
الخليل لما في هذه القصة من السر الجليل وهو أن الله تعالى يري عباده الجبر بعد الكسر
واللطف بعد الشدة فإنه كان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة
والتسليم لذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك
لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم الدين وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعه
من خلقه بعد استضعافه وذله وانكساره وصبره وتلقيه القضاء بالرضا قال
الله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم
الوارثين ونمكن لهم في الأرض ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
وقد استشكل بعض الناس أن عبد المطلب نذر نحر بعض بنيه إذا بلغوا عشرة وقد قيل
كان تزويجه هالة أم ابنه حمزة بعد وفائه بنذره فحمزة والعباس إنما ولدا بعد الوفاء
بنذره وإنما كان أولاده عشرة قال السهيلي ولا إشكال في هذا فإن جماعة
من العلماء قالوا كان أعمامه عليه السلام اثني عشر فإن صح هذا فلا إشكال في الخبر
وإن صح قول من قال كانوا عشرة لا يزيدون فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة
لا مجازا فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى
بنذره ويقع أيضا في بعض السير أن عبد الله كان أصغر بني أبيه عبد المطلب
وهو غير معروف ولعل الرواية أصغر بني أمه وإلا فحمزة كان أصغر من عبد الله
والعباس أصغر من حمزة وروي عن العباس أنه قال أذكر مولد النبي صلى الله عليه
وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها فجيء به حتى نظرت إليه وجعل النسوة يقلن
لي قبل أخاك فقبلته فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الأصغر ولكن رواه البكائي ولروايته
وجه وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس
ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الإبل مر على امرأة من بني أسد بن عبد العزى
وهي عند الكعبة واسمها قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية ويقال لها رقية
بنت نوفل فقالت له حين نظرت إلى وجهه وكان أحسن رجل رئي في قريش لك مثل
الإبل التي نحرت عنك وقع علي الآن لما رأت في وجهه من نور النبوة ورجت أن تحمل
بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقال لها أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه
وقيل أجابها بقوله

أما الحرام فالممات دونه	والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه	يحمي الكريم عرضه ودينه

وعند

وعند أبي نعيم والخرائطي وابن عساكر من طريق عطاء عن ابن عباس قال لما خرج
عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة متهودة قد قرأت الكتب
يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له وذكر
نحوه ثم خرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ
سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش
نسبا وموضعا فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها عبد الله مكانه فوقع عليها يوم الاثنين
أيام منى في شعب أبي طالب عند الجمرة فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج
من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه نفسها فأعرضت فقال لها ما لك لا تعرضين
علي اليوم ما عرضت بالأمس قالت فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي
بك اليوم حاجة إنما أردت أن يكون النور في فأبى الله إلا أن يجعله حيث شاء ولما
حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر لحمله عجائب ووجد لإيجاده
غرائب فذكروا أنه لما استقرت نطفته الزكية ودرته المحمدية في صدفة آمنة القرشية
نودي في الملكوت ومعالم الجبروت أن عطروا جوامع القدس الأسنى وبخروا
جهات الشرف الأعلى وافرشوا سجادات العبادات في صفف الصفا لصوفية الملائكة
المقربين أهل الصدق والوفا فقد انتقل النور المكنون إلى بطن آمنة ذات العقل
الباهر والفخر المصون قد خصها الله تعالى القريب المجيب بهذا السيد المصطفى الحبيب
لأنها أفضل قومها حسبا وأنجب وأزكاهم أصلا وفرعا وأطيب وقال سهل
ابن عبد الله التستري فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ لما أراد الله تعالى خلق
محمد صلى الله عليه وسلم في بطن أمه آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة أمر الله تعالى
في تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس وينادي مناد في السموات
والأرض ألا إن النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي في هذه الليلة
يستقر في بطن آمنة الذي فيه يتم خلقه ويخرج إلى الناس بشيرا ونذيرا وفي
رواية كعب الأحبار أنه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها والأرض وبقاعها
أن النور المكنون الذي منه رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقر الليلة في بطن آمنة
فيا طوبى لها ثم يا طوبى وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا منكوسة وكانت قريش
في جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الأرض وحملت الأشجار وأتاهم الرغد
من كل جانب فسميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة
الفتح والابتهاج وطوبى الطيب والحسنى والخير والخيرة قاله في القاموس وقال
غيره فرح وقرة عين وقال الضحاك غبطة وقال عكرمة نعم وفي الحديث طوبى
للشام فإن الملائكة باسطة أجنحتها عليها فالمراد بها ههنا فعلى من الطيب وغيره
مما ذكر لا الجنة ولا الشجرة وفي حديث ابن إسحاق أن آمنة كانت تحدث أنها

ونادي

أتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وقيل
ما شعرت باني حملت به ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد النساء الا اني انكرت
رفع حيضتي واتاني آت وانا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بانك حملت بسيد
الانام ثم امهلني حتى اذا دنت ولادتي اتاني فقال قولي اعيذه بالواحد من شر كل
حاسد ثم سميه محمدا وفي رواية غير ابن اسحاق وعلقي عليه هذه التميمة قالت
فانتبهت وعند راسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه النسخة

اعيذه بالواحد ۞ من شر كل حاسد ۞ وكل خلق رائد ۞ من قائم وقاعد ۞
عن السبيل حائد ۞ عن الفساد جاهد ۞ من نافث او عاقد ۞ وكل خلق مارد ۞
يأخذ بالمراصد ۞ في طرق الموارد ۞

قال الحافظ عبد الرحيم العراقي هكذا
ذكر هذه الابيات بعض اهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا اصل لها انتهى
نعم عند البيهقي من حديث ابن اسحاق اعيذه بالواحد ۞ من شر كل حاسد ۞
في كل بر عاهد ۞ وكل عبد رائد ۞ يرود غير رائد ۞ فانه عبد الحميد الماجد ۞
حتى اراه قد اتى المشاهد ۞ وعن شداد بن اوس ان رجلا من بني عامر سأل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما حقيقة امرك فقال بدء شاني اني دعوة ابي ابراهيم وبشرى اخي
عيسى واني كنت بكر ابي وامي وانها حملت بي كاثقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكي الى صواحبها
ثقل ما تجد ثم ان امي رات في منامها ان الذي في بطنها نور الحديث ففيه انها امه
عليه السلام وجدت الثقل في حمله وفي سائر الاحاديث انها لم تجد ثقلا وجمع ابو نعيم
الحافظ بينهما بان الثقل به كان في ابتداء علوقها به والخفة عند استمرار الحمل به فيكون على
الحالين خارجا عن المعتاد المعروف وخرج ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة كانت لقريش نطقت
تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو امام الدنيا وسراج
اهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش
المغرب بالبشارات وكذلك اهل البحار يبشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله
نداء في الارض ونداء في السماء ان ابشروا فقد آن ان يظهر ابو القاسم صلى الله عليه وسلم
ميمونا مباركا الحديث وهو شديد الضعف وعن غيره لم يبق في تلك الليلة دار الا اشرقت
ولا مكان الا دخله النور ولا دابة الا نطقت وعن ابي زكريا يحيى بن عائذ بقي في بطن امه
تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ريحا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء
وكانت تقول والله ما رايت من حمل هو اخف منه ولا اعظم بركة منه ولما تم لها من
حمله شهران توفي عبد الله وقيل توفي وهو في المهد قاله الدولابي وعن ابن ابي خيثمة
وهو ابن شهرين وقيل وهو ابن سبعة وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا والراجح
المشهور الاول وكان عبد الله قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة

(هامش: أتى المشاهد)

بيثرب

يثرب فتخلف عند اخواله بني عدي بن النجار فاقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم اصحابه
مكة سالهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث اليه الحارث فوجده قد توفي
ودفن في دار النابغة وقيل دفن بالابواء وقالت آمنة ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم ۞ وجاور لحدا خارجا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فاجابها ۞ وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره ۞ تعاوره اصحابه في التزاحم
فان تك غالته المنايا وريبها ۞ فقد كان معطاء كثير التراحم

ويذكر عن ابن عباس انه لما توفي عبد الله قالت الملائكة الهنا وسيدنا بقي نبيك
يتيما فقال الله تعالى انا له حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه
وسلم من ابويه قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق نقله عنه ابو حيان في البحر وروى
ابو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت ابي وكان من اوعية العلم قال لما حضرت ولادة آمنة
قال الله تعالى لملائكته افتحوا ابواب السماء كلها وابواب الجنان والبست الشمس يومئذ نورا
عظيما وكان قد اذن الله تلك السنة لنساء الدنيا ان يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه
وسلم الحديث وهو مطعون فيه وذكر ابو سعيد عبد الملك النيسابوري في كتابه
الكبير كما نقله عنه صاحب كتاب السعادة والبشرى عن كعب في حديثه الطويل ورواه
ابو نعيم من حديث ابن عباس قال كانت آمنة تحدث وتقول اتاني آت حين مر من حملي
ستة اشهر في المنام وقال لي يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا
واكتمي شانك قالت ثم لما اخذني ما ياخذ النساء ولم يعلم بي احد لا ذكر ولا انثى واني لوحيدة
في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالني ثم رايت كان
جناح طائر ابيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل وجع اجده ثم التفت فاذا
انا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابني نور عال ثم رايت نسوة كالنخل طولا كانهن من بنات
عبد مناف يحدقن بي فبينما انا اتعجب واقول واغوثاه من اين علمن بي قال في غير
هذه الرواية فقلن لي نحن آسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين
واشتد بي الامر وانا اسمع الوجبة في كل ساعة اعظم واهول مما تقدم فبينما انا كذلك
اذا بديباج ابيض قد مد بين السماء والارض واذا بقائل يقول خذاه عن اعين الناس
قالت ورايت رجالا قد وقفوا في الهواء بايديهم اباريق من فضة فنظرت فاذا انا
بقطعة من الطير قد اقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد واجنحتها من الياقوت
فكشف الله عن بصري فرايت مشارق الارض ومغاربها ورايت ثلاثة اعلام مضروبات
علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فاخذني المخاض فوضعت محمدا
صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل
ثم رايت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني فسمعت مناديا ينادي

طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته
ويعلمون انه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا محي في زمنه ثم تجلت عنه في اسرع
وقت الحديث وروى الخطيب البغدادي بسنده كما ذكره صاحب السعادة والبشرى
ايضا ان آمنة قالت لما وضعته عليه السلام رأيت سحابة عظيمة لها نور اسمع فيها
صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عني فسمعت مناديا
ينادي طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن
والانس والملائكة والطيور والوحوش واعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة
نوح وخلة ابرهيم ولسان اسماعيل ورضى اسحاق وفصاحة صالح وحكمة لوط
وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت
داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه في
اخلاق النبيين قالت ثم انجلت عني فاذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا
شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم
على الدنيا كلها لم يبق خلق من اهلها الا دخل طائعا في قبضته قالت ثم نظرت اليه
واذا به كالقمر في ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الاذفر واذا بثلاثة نفر في يد احدهم
ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمرد اخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها
فاخرج منها خاتما تحار ابصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم
ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم احتمله فادخله بين اجنحته ساعة ثم رده
الي ورواه ابو نعيم عن ابن عباس وفيه نكارة وروى الحافظ ابو بكر بن عائذ
في كتاب المولد كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح بردة المديح عن ابن عباس
لما ولد صلى الله عليه وسلم قال في اذنه رضوان خازن الجنان ابشر يا محمد فما بقي لنبي علم
الا وقد اعطيته فانت اكثرهم علما واشجعهم قلبا وروى محمد بن سعد من حديث جماعة
منهم عطاء وابن عباس ان آمنة بنت وهب قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم
خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا على يديه ثم اخذ
قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء وروى الطبراني انه لما وقع الى
الارض وقع مقبوضة اصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروى عن عثمان
ابن ابي العاص عن امه ام عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت لما حضرت
ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم
تدنو حتى ظننت انها ستقع علي رواه البيهقي واخرج احمد والبزار والطبراني والحاكم
والبيهقي عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله
وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك اني دعوة ابي ابرهيم
وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت وكذلك امهات الانبياء يرين وان ام رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا اضاءت له قصور الشام قال الحافظ ابن حجر
صححه ابن حبان والحاكم واخرج ابو نعيم عن عطاء بن يسار عن ام سلمة عن آمنة
قالت لقد رأيت ليلة وضعه نورا اضاءت له قصور الشام حتى رأيتها واخرج ايضا
عن بريدة عن مرضعته في بني سعد ان آمنة قالت رأيت كأنه خرج من فرجي شهاب اضاءت
له الارض حتى رأيت قصور الشام وعن همام بن يحيى عن اسحاق بن عبد الله ان ام رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجي نور اضاء له قصور الشام فولدته
نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب في شعره حيث قال

وانت لما ولدت اشرقت الا ... رض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النو ... ر وسبل الرشاد نخترق

قال في اللطايف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من النور الذي
اهتدى به اهل الارض وزال به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه
الآية واما اضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو اشارة الى ما خص الشام
من نور نبوته فانها دار ملكه كما ذكر كعب ان في الكتب السالفة محمد رسول الله مولده
بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا عليه الصلوة والسلام
والى الشام انتهى ملكه ولهذا اسري به صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما
هاجر قبله ابرهيم عليه السلام الى الشام وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وهي
ارض المحشر والمنشر واخرج احمد وابو داود وابن حبان والحاكم في صحيحيهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من ارضه يجتبي اليها
خيرته من عباده انتهى ملخصا واخرج ابو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف عن امه الشفا
قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فاستهل فسمعت
قائلا يقول رحمك الله قالت الشفا واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى
بعض قصور الروم قالت ثم ألبسته واضجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة ورعب
وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق قالت فلم
يزل الحديث مني على بال حتى ابتعثه الله فكنت في اول الناس اسلاما ومن عجائب
ولادته عليه السلام ما اخرجه البيهقي وابو نعيم عن حسان بن ثابت قال اني لغلام
ابن سبع سنين او ثمان اعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودي يصرخ ذات غداة يا معشر
يهود فاجتمعوا اليه وانا اسمع قالوا ويلك ما لك قال طلع نجم احمد الذي ولد به في
هذه الليلة وعن عائشة قالت كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التي
ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد الليلة فيكم مولود
قالوا لا نعلم قال انظروا فانه ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة بين كتفيه علامة

فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودي معهم
الى أمه فأخرجته لهم فلما رآه اليهودي العلامة خر مغشيا عليه وقال ذهبت النبوة
من بني اسرائيل يا معشر قريش اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى
المغرب رواه يعقوب بن سفيان باسناد حسن كما قاله في فتح الباري ومن عجائب
ولادته ايضا ما روى من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط اربعة عشر شرافة من شرفاته
وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد كما رواه البيهقي والخرائطي
وابو نعيم في الهواتف وابن عساكر وفي سقوط الاربعة عشر شرفة اشارة الى انه يملك
منهم ملوك وملكات بعدد الشرافات وقد ملك منهم في اربع سنين عشرة ذكره ابن ظفر
وزاد ابن سيد الناس وملك الباقون الى خلافة عثمان رضي الله عنه ومن ذلك ايضا
ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم من استراق
السمع ولقد احسن السقراطيسي حيث قال

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت ... بشرى الهواتف في الاشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده ... وانقض منكسر الارجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت ... مذ الف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الاوثان وانبعثت ... ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل

وولد صلى الله عليه وسلم معذورا اي مختونا مسرورا اي مقطوع السرة كما روي
من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم عند ابن عساكر وروى الطبراني في الاوسط
وابو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كرامتي على ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوأتي وصححه الضياء في المختارة وعن
ابن عمر ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا رواه ابن عساكر وقال الحاكم
في المستدرك تواترت الاخبار انه عليه السلام ولد مختونا انتهى وتعقبه الحافظ
الذهبي فقال ما اعلم صحة ذلك فكيف يكون متواترا واجيب باحتمال ان يكون اراد
بتواتر الاخبار اشتهارها وكثرتها في السير لا من طريق السند المصطلح عليه عند ائمة الحديث
وقد حكى الحافظ زين الدين العراقي ان الكمال ابن العديم ضعف احاديث كونه عليه
السلام ولد مختونا فقال انه لا يثبت في هذا شيء من ذلك ووافقه عليه وبه صرح ابن القيم
ثم قال ليس هذا من خصايصه فان كثيرا من الناس ولد مختونا وحكى الحافظ ابن حجر
ان العرب تزعم ان الغلام اذا ولد في القمر فسخت قلفته اي اتسعت فيصير كالمختون
وفي الوشاح لابن دريد قال ابن الكلبي بلغنا ان آدم خلق مختونا واثني عشر نبيا
من بعده خلقوا مختتنين آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم شيث وادريس ونوح وسام
ولوط ويوسف وموسى وسليمان وشعيب ويحيى وهود وصالح صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين انتهى وفي هذه العبارة تجوز لان الختان هو القطع وهو غير

ظاهر

ظاهر لان الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع فيحمل الكلام باعتبار الاثر على
صفة المقطوع وقد حصل من الاختلاف في ختانه ثلاثة اقوال احدها انه ولد
مختونا كما تقدم الثاني انه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مادبة
وسماه محمدا رواه الوليد بن مسلم بسنده الى ابن عباس وحكاه ابن عبد البر في التمهيد
الثالث انه ختن عند حليمة كما ذكره ابن القيم والدمياطي ومغلطاي وقال الا ان
جبريل عليه السلام ختنه حين طهر قلبه وكذا اخرجه الطبراني في الاوسط وابو نعيم
من حديث ابي بكرة قال الذهبي وهذا منكر واعلم ان الختان هو قطع القلفة التي تغطي
الحشفة في الرجل وقطع بعض الجلدة التي في اعلا الفرج من المراة ويسمى ختان الرجل
اعذارا بالعين المهملة والذال المعجمة والراء وختان المراة خفضا بالخاء المعجمة والفاء والضاد
المعجمة ايضا واختلف العلماء هل هو واجب فذهب اكثرهم الى انه سنة وليس
بواجب وهو قول مالك وابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وذهب الشافعي الى
وجوبه وهو مقتضى قول سحنون من المالكية وذهب بعض اصحاب الشافعي الى انه
واجب في حق الرجال سنة في حق النساء واحتج من قال انه سنة بحديث ابي المليح بن اسامة
عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الختان سنة للرجال مكرمة للنساء رواه احمد
في مسنده والبيهقي واجاب من اوجبه بانه ليس المراد بالسنة هنا خلاف
الواجب بل المراد الطريقة واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا
وثبت في الصحيحين من حديث ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وبما روى ابو داود من قوله
عليه الصلوة والسلام للرجل الذي اسلم الق عنك شعار الكفر واختتن واحتج
القفال لوجوبه بان بقاء القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة الصلوة فيجب ازالتها
وقال الفخر الرازي الحكمة في الختان ان الحشفة قوية الحس فما دامت مستورة
بالقلفة تقوى اللذة عند المباشرة فاذا قطعت القلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة
وهو اللائق بشريعتنا تقليلا للذة لا قطعا لها كما تفعل المانوية فذلك افراط
وابقاء القلفة تفريط فالعدل الختان انتهى واذا قلنا بوجوب الختان فمحل
الوجوب بعد البلوغ على الصحيح من مذهبنا لما روى البخاري في تاريخه عن ابن عباس
انه سئل مثل من انت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا يومئذ مختون
وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك وقال بعض اصحابنا يجب على الولي ان يختن الصبي
قبل البلوغ والله اعلم وقد اختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون
على انه عام الفيل وبه قال ابن عباس ومن العلماء من حكى الاتفاق عليه وقال كل قول
يخالفه وهم والمشهور انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما واليه ذهب السهيلي في جماعة
وقيل بعده بخمس وخمسين يوما وحكاه الدمياطي في آخرين وقيل بشهر وقيل باربعين

يوما وقيل بعد الفيل بعشر سنين وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة وقيل غير ذلك والمشهور انه بعد الفيل لان قصة الفيل كانت توطئة لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثته والا فاصحاب الفيل كما قاله ابن القيم كانوا نصارى اهل كتاب وكان دينهم خيرا من دين اهل مكة اذ ذاك لانهم كانوا عباد اوثان فنصرهم الله تعالى على اهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي صلى الله عليه وسلم الذي خرج من مكة وتعظيما للبلد الحرام **واختلفوا** في الشهر الذي ولد فيه والمشهور انه ولد في شهر ربيع الاول وهو قول جمهور العلماء ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه وفيه نظر فقد قيل في صفر وقيل في ربيع الآخر وقيل في رجب ولا يصح وقيل في شهر رمضان نعم روي عن عمر باسناد لا يصح وهو موافق لمن قال ان امه حملت به في ايام التشريق واغرب من قال ولد في عاشوراء **وكذا اختلف** ايضا في اي يوم من الشهر فقيل انه غير معين انما ولد يوم الاثنين من ربيع الاول من غير تعيين والجمهور على انه يوم منه معين فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلت منه قال الشيخ قطب الدين القسطلاني وهو اختيار اكثر اهل الحديث ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم وهو اختيار اكثر من له معرفة بهذا الشان واختاره الحميدي وشيخه ابن حزم وحكى القضاعي في عيون المعارف اجماع اهل التاريخ عليه ورواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وايام العرب اخذ ذلك عن ابيه جبير وقيل لعشر وقيل لاثني عشر وعليه عمل اهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة وقيل لثمان بقين منه وقيل ان هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية **والمشهور انه ولد** يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول وهو قول ابن اسحاق وغيره وانما كان في شهر ربيع على الصحيح ولم يكن في المحرم ولا رجب ولا رمضان ولا غيرها من الاشهر ذوات الشرف لانه عليه السلام لا يتشرف بالزمان وانما الزمان يتشرف به كالاماكن فلو ولد في شهر من الشهور المذكورة لتوهم انه تشرف بها فجعل الله تعالى مولده عليه الصلوة والسلام في غيرها ليظهر عنايته به وكرامته عليه واذا كان يوم الجمعة الذي خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيرا الا اعطاه اياه فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين ولم يجعل تعالى في يوم الاثنين يوم مولده عليه الصلوة والسلام من التكليف بالعبادات ما جعل في يوم الجمعة المخلوق فيه آدم من الجمعة والخطبة وغير ذلك اكراما لنبيه عليه الصلوة والسلام بالتخفيف عن امته بسبب عنايته بوجوده قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ومن جملة ذلك عدم التكليف **واختلف** ايضا في الوقت الذي ولد فيه **والمشهور** انه يوم الاثنين فعن قتادة الانصاري انه عليه الصلوة والسلام

سئل عن صيام يوم الاثنين قال ذلك يوم ولدت فيه وانزلت علي فيه النبوة رواه مسلم وهذا يدل على انه ولد نهارا **وفي المسند** عن ابن عباس قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين انتهى وكذا فتح مكة ونزول سورة المائدة يوم الاثنين **وقد** روي انه ولد عند طلوع الفجر فعن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال كان بمر الظهران راهب يسمى عيصى من اهل الشام وكان يقول يوشك ان يولد منكم يا اهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سأل عنه فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصى فناداه فاشرف عليه فقال له عيصى كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت احدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين فقال له عبد المطلب ولد لي الليلة مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا قال والله لقد كنت اشتهي ان يكون هذا المولود فيكم اهل هذا البيت بثلاث خصال نعرفه فقد اتى عليهن منها انه طلع نجمه البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد رواه ابو جعفر بن ابي شيبة واخرجه ابو نعيم في الدلائل بسند فيه ضعف **وقيل** كان مولده عليه الصلوة والسلام عند طلوع الغفر وهي ثلاثة انجم صغار ينزلها القمر وهو مولد النبيين ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان وهو برج الحمل وكان لعشرين مضت منه **وقيل** ولد ليلا فعن عائشة قالت كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال ولد الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى ادخلوه على امه فقالوا اخرجي لنا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما افاق قالوا ما لك ويلك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل رواه الحاكم قال الشيخ بدر الدين الزركشي والصحيح ان ولادته عليه السلام كانت نهارا قال واما ما روي من تدلي النجوم فضعفه ابن دحية لاقتضائه ان الولادة كانت ليلا قال وهذا لا يصلح ان يكون تعليلا فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا انتهى **فان قلت** اذا قلنا انه عليه الصلوة والسلام ولد ليلا فايما افضل ليلة القدر او ليلة مولده عليه الصلوة والسلام **اجيب** بان ليلة مولده عليه السلام افضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة احدها ان ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له وما شرف بظهور ذات المشرف من اجله اشرف مما شرف بسبب ما اعطيه ولا نزاع في ذلك فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار افضل الثاني ان ليلة القدر شرفت بنزول

الملائكة فيها وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم فيها ومن شرفت به ليلة
المولد افضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الاصح المرتضى فتكون ليلة المولد افضل
الثالث ان ليلة القدر وقع التفضل فيها على امة محمد صلى الله عليه وسلم وليلة
المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات فهو النبي بعثه الله عز وجل رحمة
للعالمين فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد اعم نفعا فكانت
افضل فيا شهرا ما اشرفه وما افخم حرمة لياليه كانها لآلئ في العقود ويا وجها
ما اشرفه من مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا

يقول لسان الحال منه … وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي … ربيع في ربيع في ربيع

واختلف ايضا في مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم فقيل تسعة اشهر
وقيل عشرة وقيل ثمانية وقيل ستة وولد عليه السلام في الدار التي كانت لمحمد
ابن يوسف اخي الحجاج وقيل في الشعب ويقال بالردم ويقال بعسفان وارضعته
صلى الله عليه وسلم ثويبة عتيقة ابي لهب اعتقها حين بشرته بولادته عليه السلام
ورؤي ابو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك فقال في النار الا انه خفف
عني كل ليلة اثنين وامص من بين اصبعي هاتين ماء واشار براس اصبعه وان ذلك
باعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له قال
ابن الجوزي فاذا كان هذا ابو لهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه
ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم به فما حال المسلم الموحد من امته عليه الصلاة والسلام
يسر بمولده ويبذل ما تصل اليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم لعمري انما يكون
جزاؤه من الله الكريم ان يدخله بفضله العميم جنات النعيم ولا زال اهل الاسلام
يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه
بانواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده
الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم ومما جرب من خواصه انه امان
في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام فرحم الله امرا اتخذ ليالي شهر
مولده المبارك اعيادا ليكون اشد علة على من في قلبه مرض واعياء ولقد اطنب
ابن الحاج في المدخل في الانكار على ما احدثه الناس من البدع والاهواء والغناء بالآلات
المحرمة عند عمل المولد الشريف فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل ويسلك بنا سبيل
السنة فانه حسبنا ونعم الوكيل وقد ذكروا انه لما ولد صلى الله عليه وسلم
قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التي لا يوجد لمثلها قيمة قالت الطيور نحن نكفله
ونغتنم خدمته العظيمة وقالت الوحوش نحن اولى بذلك لننال شرفه وتعظيمه فنادى
لسان القدرة ان يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة ان نبيه الكريم

ان يكون

ان يكون رضيعا لحليمة الحليمة قالت حليمة فيما رواه ابن اسحاق وابن راهويه وابو
يعلى والطبراني والبيهقي وابو نعيم قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء
في سنة شهباء فقدمت على اتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام
ليلنا ذلك اجمع مع صبينا ذلك لا يجد في ثديي ما يغنيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا
مكة فوالله ما علمت منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه
اذا قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره قلت
لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم
فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته
حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت ان ايقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت
منه رويدا فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه
نور حتى دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن فاقبل
عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فابى وكانت تلك حاله بعد قال اهل العلم
اعلمه الله تعالى ان له شريكا فالهمه الله العدل قالت فروي وروي اخوه ثم اخذته فما
هو الا ان جئت به رحلي فقام صاحبي تعني زوجها الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب
ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال لي صاحبي يا حليمة والله اني لاراك قد اخذت
نسمة مباركة الم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين اخذناه فلم يزل الله يزيدنا
خيرا قال في رواية ذكرها ابن ظغربك في النطق المفهوم فلما نظر صاحبي الى هذا قال
لي اسكتي واكتمي امره فمن ليلة ولد هذا الغلام اصبح الاحبار قياما على اقدامها لا يهنأ لهم
عيش النهار ولا نوم الليل قالت حليمة فودعت الناس بعضهم بعضا وودعت انا
ام النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت اتاني واخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدي قالت
فنظرت الى الاتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الى السماء
ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي وصار الناس يتعجبون مني ويقلن النساء
لي وهن ورائي يا بنت ابي ذؤيب اهذه اتانك التي كنت عليها وانت جائية معنا تخفضك
طورا وترفعك اخرى فاقول تالله انها هي فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشأنا عظيما
قالت فكنت اسمع اتاني تنطق وتقول والله ان لي لشأنا ثم شأنا بعثني الله بعد
موتي ورد لي سمني بعد هزلي ويحكن يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على
ظهري على ظهري خيار النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب
العالمين قالت حليمة فيما ذكره ابن اسحاق وغيره ثم قدمنا منازل بني سعد ولا اعلم
ارضا من ارض الله اجدب منها وكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به شباعا لبنا فنحلب
ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون
لرعاتهم اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت ابي ذؤيب فتروح اغنامهم جياعا ما تبض بقطرة

لبن وتروح اغنامى شباعا لبنا فلله درها من بركة كثرت بها مواشى حليمة ونمت
وارتفع قدرها به وسمت ولم تزل حليمة تخترف بالخير والسعادة وتفوز منه
بالحسنى وزيادة ولله در القائل

لقد بلغت بالهاشمى حليمة ... مقاما علا فى ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها واخصب ربعها ... وقد عم هذا السعد كل بنى سعد

قال ابن الطراح رايت فى كتاب الترقيص لابى عبد الله محمد بن المعلى الازدى ان
من شعر حليمة مما كانت ترقص به النبى صلى الله عليه وسلم

يا رب اذ اعطيته فابقه ... واعله الى العلى وارقه
وادحض اباطيل العدى بحقه

وعند غيره وكانت الشيما اخته من الرضاع
تحضنه وترقصه وتقول

هذا اخ لم تلده امى ... وليس من نسل ابى وعمى
فديته من مخول معمى ... فانمه اللهم فيما تنمى

واخرج البيهقى والصابونى فى المائتين وابن عساكر والخطيب فى تاريخهما وابن
طغربك السياف فى النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله
دعانى للدخول فى دينك امارة لنبوتك رايتك فى المهد تناغى القمر وتشير اليه باصبعك
فحيثما اشرت اليه مال قال انى كنت احدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكا واسمع وجبته
حين يسجد تحت العرش قال البيهقى تفرد به احمد بن ابرهيم الحلبى وهو مجهول
وقال الصابونى هذا حديث غريب الاسناد والمتن وهو فى المعجزات حسن والمناغاة
المحادثة وعدنا غنت الام صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة وفى فتح
البارى عن سيرة الواقدى انه صلى الله عليه وسلم تكلم فى اوايل ما ولد وذكر ابن سبع
فى الخصايص ان مهده كان يتحرك بتحريك الملايكة واخرج البيهقى وابن عساكر عن
ابن عباس قال كانت حليمة تحدث انها اول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تكلم فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا فلما ترعرع كان يخرج
فينظر الى الصبيان يلعبون فيتجنبهم الحديث وقد روى ابن سعد وابو
نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت
عنه فخرج مع اخته الشيما فى الظهيرة الى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع اخته
فقالت فى هذا الحر فقالت اخته يا امه ما وجد اخى حرا رايت غمامة تظل عليه اذا وقف
وقفت واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع الحديث وكان صلى الله عليه وسلم
يشب شبابا لا يشبه الغلمان قالت حليمة فلما فطمته قدمنا به على امه ونحن احرص شى
على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا امه وقلنا لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى
عليه وبا مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد ما قدمنا بشهرين او

ثلاثة

ثلاثة مع اخيه من الرضاع لفى بهم لنا خلف بيوتنا جاء اخوه يشتد عدوا فقال ذاك اخى
القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه
نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال اى بنى ما شانك قال جاءنى
رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى وشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم
رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابنى قد اصيب
فانطلقى نرده الى اهله قبل ان يظهر به ما نتخوف قالت حليمة فاحتملناه
حتى قدمنا به الى امه فقالت ما ردكما به فقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى عليه الاتلاف
والاحداث فقالت ما ذاك بكما فاصدقانى شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره
قالت اخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكاين لابنى
هذا شان فدعاه عنكما وفى حديث شداد بن اوس عن رجل من بنى عامر عند
ابى يعلى وابى نعيم وابن عساكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا فى
بنى ليث بن بكر فبينا انا ذات يوم فى بطن واد مع اتراب لى من الصبيان اذا انا برهط
ثلاثة معهم طست من ذهب ملى ثلجا فاخذونى من بين اصحابى وانطلق الصبيان هرابا
مسرعين الى الحى فعمد احدهم فاضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق
صدرى الى منتهى عانتى وانا انظر اليه لم اجد لذلك مسا ثم اخرج احشاء بطنى ثم غسلها
بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح ثم
ادخل يده فى جوفى فاخرج قلبى وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه مضغة سوداء
فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيئا فاذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظر
دونه فختم به قلبى فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت
برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدرى
الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدى فانهضنى من مكانى
انهاضا لطيفا ثم قال للاول زنه بعشرة من امته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة
من امته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فرجحتهم فقال دعوه لو وزنتموه
بامته كلها لرجحهم ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا راسى وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب
لن ترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك الحديث وفى رواية ابن
عباس عند البيهقى قالت حليمة اذا انا بابنى ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح باكيا
ينادى يا ابت يا اماه الحقا محمدا فما تلحقاه الا ميتا اتاه رجل فاختطفه من اوسطنا
وعلا به ذروة الجبل حتى شق صدره الى عانته وفيه انه عليه السلام قال اتانى رهط
ثلاثة بيد احدهم ابريق من فضة وفى يد الثانى طست من زمردة خضراء الحديث فان
قلت هل غسل قلبه الشريف فى الطست خاص به او فعل بغيره من الانبياء عليهم السلام
اجيب بانه ورد فى خبر التابوت والسكينة انه كان فيه الطست الذى غسلت

فيه قلوبا لانبياء ذكره الطبري وعزاه العماد ابن كثير في تفسيره لرواية السدي عن
ابي مالك عن ابن عباس فان قلت ما الحكمة في ختم قلبه المقدس اجيب
بانه اشارة الى ختم الرسالة به وهذا مسلم ان كان الختم خاصا به اما اذا ورد انه
ليس خاصا به بل لكل نبي وسياتي ان شاء الله قريبا ما في الخاتم الشريف من المباحث فتكون
الحكمة انه علامة تميزه بها عن غيره ممن ليس بنبي والمراد بالوزن في قوله زنه بعشرة
الى اخره الوزن الاعتباري فيكون المراد الرجحان في الفضل وهو كذلك وفائدة فعل
الملكين ذلك ليعلم الرسول عليه السلام ذلك حتى يخبر به غيره ويعتقد اذ هو من
الامور الاعتقادية وقد وقع شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجيء جبريل له بالوحي
في غار حراء ومرة اخرى عند الاسراء به وسياتي كل في موضعه ان شاء الله تعالى وروي
الشق ايضا وهو ابن عشر او نحوها مع قصة له مع عبد المطلب ابو نعيم في الدلائل وفي فتح
الباري في كتاب التوحيد عزو ذلك الحديث لرواية عن عبد الله بن احمد في زوايد المسند
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات ووثقهم ابن حبان وروي خامسة ولا
تثبت والحكمة في شق صدره الشريف في حال الصبا واستخراج العلقة منه تطهيره عن
حال الصبا حتى يتصف في سن الصبا باوصاف الرجولية ولذلك نشأ عليه السلام على اكمل
الاحوال من العصمة وقد روي انه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه وكان ينم مسكا وانه
مثل زر الحجلة ذكره البخاري وفي مسلم جمع عليه خيلان كانها الثاليل السود عند نغض
كتفه ويروى غضروف كتفه اليسرى وفي كتاب ابي نعيم الايمن وفي مسلم ايضا
كبيضة الحمامة وفي صحيح الحاكم شعر مجتمع وفي البيهقي مثل السلعة وفي الشمائل بضعة
ناشزة وفي حديث عمرو بن اخطب كشيء يختم به وفي تاريخ ابن عساكر مثل البندقة وفي
الترمذي ودلائل البيهقي كالتفاحة وفي الروض كاثر المحجم القابضة على اللحم وفي
تاريخ ابن ابي خيثمة شامة خضراء محتفرة في اللحم وفيه ايضا شامة سوداء تضرب الى الصفرة
حولها شعرات متراكبات كانها عرف الفرس وفي تاريخ القضاعي ثلاث شعرات مجتمعات وفي
كتاب الترمذي الحكيم كبيضة حمام مكتوب في باطنها الله وحده لا شريك له وفي ظاهرها
توجه حيث كنت فانك المنصور وفي كتاب المولد لابن عائذ كان نورا يتلالا وفي سيرة
ابن ابي عاصم عذرة كعذرة الحمام قال ابو ايوب يعني قرطمة الحمام وفي تاريخ نيسابور مثل
البندقة من لحم مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله وعن عائشة كتينة صغيرة تضرب الى
الدهمة وكان مما يلي الفقار قالت فلمسته حين توفي فوجدته قد رفع حكى هذا كله
الحافظ مغلطاي لكن قال في فتح الباري ما ورد من ان الخاتم كان كاثر محجم او كالشامة
السوداء او الخضراء مكتوب عليها محمد رسول الله او سر فانك المنصور فلم يثبت منها شيء
قال ولا تغتر بما وقع في صحيح ابن حبان فانه غفل حيث قال صح ذلك وقال تلميذه
الهيثمي في موارد الظمآن بعد ان اورد الحديث ولفظه مثل البندقة من اللحم مكتوب

عليه

عليه محمد رسول الله قال الهيثمي اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذي
كان يختم به وتحط الحافظ ابن حجر على الهيثمي البعض المذكور هو اسحاق بن ابرهيم
قاضي سمرقند وهو ضعيف وقوله زر الحجلة بالزاي والرا والحجلة بالحاء المهملة والجيم
قال النووي هي واحد الحجال وهي بيت كالقبة لها ازرار كبار وعرى هذا هو
الصواب وقال بعضهم المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها واشار اليه
الترمذي وانكره عليه العلماء وقوله جمع بضم الجيم واسكان الميم اي كجمع الكف وهو
صورته بعد ان تجمع الاصابع وتضمها وقوله خيلان بكسر الخاء المعجمة واسكان
التحتية جمع خال وهو الشامة على الجسد وقوله نغض بالنون والغين والضاد
المعجمتين قال النووي النغض والنغض والناغض اعلا الكتف وقيل هو العظم
الرقيق الذي على طرفه وقيل ما يظهر منه عند التحرك سمي ناغضا للتحركه وقوله بضعة
ناشزة بالمعجمة والزاي اي قطعة لحم مرتفعة على جسده وبيضة الحمام معروفة انتهى
والثاليل بالمثلثة جمع ثولول وهو حبيب يعلو ظاهر الجسد واحدة كالحمصة فما دونها
وفي القاموس وقرطمة الحمام بكسر القاف نقطتان على اصل منقاره وقال بعض
العلما اختلف اقوال الرواة في خاتم النبوة وليس ذلك باختلاف بل كل شبهه
بما سنح له او كلها الفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم ومن قال شعر فلان الشعر
حوله متراكب عليه كما في الرواية الاخرى وقال القرطبي الاحاديث الثابتة تدل
على ان خاتم النبوة كان شيئا بارزا احمر عند كتفه الايسر اذا قلل قدر بيضة الحمامة
واذا كبر جمع اليد وقال القاضي عياض وهذه الروايات متقاربة متفقة على انه
شاخص في جسده قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة اما رواية جمع الكف فظاهرها
المخالفة فتتاول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف لكنه
اصغر منه في قدر بيضة الحمامة قال وهذا الخاتم هو اثر شق الملكين بين كتفيه قال
النووي هذا الذي قاله ضعيف بل باطل لان شق الملكين انما كان في صدره وبطنه
انتهى ويشهد له قول انس في حديث عند مسلم ياتي في ذكر قلبه الشريف من المقصد
الثالث ان شاء الله تعالى فلقد كنت ارى اثر المخيط في صدره لكن اجيب بانه في حديث
عتبة بن عبد السلمي عند الامام احمد والطبراني ان الملكين لما شقا صدره قال
احدهما للاخر خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة فلما ثبت ان خاتم النبوة
كان بين كتفيه حمل القاضي عياض ذلك على ان الشق لما وقع في صدره ثم خيط
حتى التأم كما كان ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك اثر الختم وفهم النووي
وغيره منه ان قوله بين كتفيه متعلق بالشق وليس كذلك بل هو متعلق باثر الختم
وحينئذ فليس ما قاله عياض بباطل وقال السهيلي والصحيح انه يعني خاتم
النبوة كان عند نغض كتفه الايسر واختلف هل ولد وهو به او وضع

بعد ولادته على قولين وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم وكيف وضع وممن
وضعه في حديث ابي ذر عند البزار وغيره قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي
وبما علمت حتى استيقنت قال اتاني آتيان وفي رواية ملكان وانا ببطحاء مكة فوقع
احدهما بالارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال احدهما لصاحبه اهو هو قال
هو هو قال فزنه برجل الحديث وفيه ثم قال احدهما لصاحبه شق بطنه فشق
بطني فاخرج قلبي فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم وطرحهما فقال احدهما
لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاءة قال احدهما لصاحبه
خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن ووليا عني وكاني ارى
الامر معاينة وعند ابي نعيم في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت
امه ان الملك غمسه في الماء الذي انبعه ثلاث غمسات ثم اخرج سرقة من حرير ابيض
فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة تضيء كالزهرة وقيل ولد به والله
اعلم واخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال لم يبعث الله نبيا الا وقد
كان عليه شامة النبوة في يده اليمنى الا ان يكون نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
فان شامة النبوة كانت بين كتفيه وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء
قلبه مما اختص به عن سائر الانبياء والله اعلم ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربع
سنين وقيل ست وقيل خمس وقيل سبع وقيل تسع وقيل اثني عشر سنة وشهرا وعشرة
ايام ماتت امه بالابواء وقيل بشعب ابي ذئب بالحجون وفي القاموس ودار رابعة
بمكة فيها مدفن امنة ام النبي صلى الله عليه وسلم واخرج ابن سعد عن ابن عباس
وعن الزهري وعن عاصم بن عمرو بن قتادة دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا
لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به امه الى اخواله بني عدي
ابن النجار بالمدينة تزورهم ومعه ام ايمن فنزلت به دار النابغة فاقامت به عندهم
شهرا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر امورا كانت في مقامه ذلك ونظر
الى الدار فقال ههنا نزلت بي امي واحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان
قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبي
هذه الامة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به امه
الى مكة فلما كانت بالابواء توفيت وروى ابو نعيم من طريق الزهري عن
اسماء بنت رهم عن امها قالت شهدت امنة ام رسول الله صلى الله عليه وسلم في
علتها التي ماتت بها ومحمد صلى الله عليه وسلم غلام يفع له خمس سنين عند رأسها
فنظرت الى وجهه ثم قالت

بارك فيك الله من غلام ۞ يا ابن الذي من حومة الحمام
نجى بعون الملك المنعام ۞ فدى غداة الضرب بالسهام

رعاية

بمائة من ابل سوام ۞ ان صح ما ابصرت في المنام
فانت مبعوث الى الانام ۞ من عند ذي الجلال والاكرام
تبعث في الحل وفي الحرام ۞ تبعث في التحقيق والاسلام
دين ابيك البر ابراهام ۞ فالله انهاك عن الاصنام
ان لا تواليها مع الاقوام

ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وانا ميتة وذكري باق وقد
تركت خيرا وولدت طهرا ثم ماتت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك

نبكي الفتاة البرة الامينة ۞ ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة ۞ ام نبي الله ذي السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة ۞ صارت لدى حفرتها رهينة

وقد روي ان آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فقد روى
الطبري بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام
به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سألت ربي عز وجل فاحيى لي امي فآمنت بي ثم
ردها ورواه ابو حفص بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له بلفظ قالت عائشة
حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون وهو باك حزين
مغتم فبكيت لبكائه ثم انه نزل فقال يا حميرا استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث
مليا ثم عاد الي وهو فرح متبسم فقال ذهبت لقبر امي فسألت ربي ان يحييها فاحياها
فآمنت بي وكذا روي من حديث عائشة ايضا احياء ابويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا
به اورده السهيلي وكذا الخطيب في السابق واللاحق وقال السهيلي ان في اسناده مجاهيل
وقال ابن كثير انه حديث منكر جدا وسنده مجهول وقال ابن دحية هذا الحديث موضوع
يرده القرآن والاجماع انتهى وقد جزم بعض العلماء بان ابويه صلى الله عليه وسلم
ناجيان وليسا في النار متمسكا بهذا الحديث وغيره وتعقبه عالم آخر بانه لم ير احدا صرح
بان الايمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه فان ادعى احد الخصوصية فعليه
الدليل انتهى وقد سبقه لذلك ابو الخطاب بن دحية وعبارته ان من مات كافرا لم
ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة
انتهى وتعقبه القرطبي في التذكرة بان فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم
تزل تتوالى وتتابع الى حين مماته فيكون هذا مما فضله الله به واكرمه قال وليس احياؤهما
وايمانهما بممتنع عقلا ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره
بقاتله وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم احيى الله
على يديه جماعة من الموتى واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك
زيادة في كرامته وفضيلته ثم قال وقوله من مات كافرا الى آخر كلامه مردود بما روي في

الخبر ان الله رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها ذكره الطحاوي وقال
انه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه لا يتجدد به الوقت لما ردها عليه
فكذلك يكون احيا ابوي النبي صلى الله عليه وسلم نافعا لايمانهما وتصديقهما بالنبي
صلى الله عليه وسلم انتهى وقد طعن بعضهم في حديث رد الشمس كما سياتي ان شا الله
تعالى في مقصد المعجزات وقد تمسك القائل بنجاتهما ايضا بانهما ماتا قبل البعثة
في زمن الفترة ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال
وقد اطبقت الائمة الاشاعرة من اهل الاسلام والاصول والشافعية من الفقها
على ان من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا قال وقال الامام فخر الدين الرازي
في كتابه اسرار التنزيل ما نصه قيل ان آزر لم يكن والد ابرهيم بل كان عمه واحتجوا عليه
بوجوه منها ان ابا الانبيا ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى الذي
يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قيل معناه انه كان ينتقل نوره من ساجد
الى ساجد قال فبه دلالة على ان جميع آبا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين ثم
قال ومما يدل على ان ابا محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام
لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس
فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا كذا قاله وتعقب بانه لا دلالة في قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين على ما ادعاه فقد ذكر البيضاوي في تفسيره وغيره ان معنى الآية
وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام
تلك الليلة بيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت
الزنابير لما سمع من دويها من دندنتهم بذكر الله تعالى وقد ورد النص بان ابا
ابرهيم عليه الصلوة والسلام مات على الكفر كما صرح به البيضاوي وغيره قال تعالى
فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه واما قوله انه كان عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل
انتهى واجاب صاحب العقايق بانهم كانوا ساجدين بعضهم للصمد وبعضهم للصنم
ونقل الامام ابو حيان في البحر عند تفسير قوله تعالى وتقلبك في الساجدين ان الرافضة
هم القائلون ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين مستدلين بقوله تعالى
وتقلبك في الساجدين وبقوله عليه السلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الحديث
انتهى وروى ابن جرير عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن ابيه ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قبر فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا
يا رسول الله انا راينا ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي
واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فما رئي باكيا اكثر من يومئذ وروى ابن
ابي حاتم عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما الى المقابر
فاتبعناه فجا حتى جلس الى قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر

ابن الخطاب

ابن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال لنا ما ابكاكم قلنا بكينا لبكائك فقال ان
القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي واني استاذنته
في الدعا لها فلم ياذن لي وانزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد ورواه الطبراني من حديث ابن عباس
وفي مسلم استاذنت ربي ان استغفر لامي فلم ياذن لي واستاذنته في ان ازور
قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة قال القاضي عياض بكاؤه عليه
السلام على ما فاتها من ادراك ايامه والايمان به وفي مسلم ايضا ان رجلا قال يا رسول
الله اين ابي قال في النار فلما قفى دعاه فقال ان ابي واباك في النار قال النووي فيه ان
من مات على الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين وفيه ان من مات في الفترة على
ما كانت عليها العرب من عبادة الاوثان فهو في النار وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ
الدعوة فان هولا كانت بلغتهم دعوة ابرهيم وغيره من الانبيا وقال الامام فخر الدين
من مات مشركا فهو في النار وان مات قبل البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية
دين ابرهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه وليس معهم حجة من الله ولم يزل معلوما
من دين الرسل كلهم من اولهم الى آخرهم قبح الشرك والوعيد عليه في النار واخبار عقوبات
الله لاهله متداولة بين الامم قرنا بعد قرن فلله الحجة البالغة على المشركين في كل وقت
وحين ولو لم يكن الا ما فطر الله تعالى عباده عليه من توحيد ربوبيته وانه يستحيل
في كل فطرة وعقل ان يكون معه اله آخر وان كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه
الفطرة وحدها فلم تزل دعوة الرسل الى التوحيد في الارض معلومة لاهلها فالمشرك
مستحق للعذاب في النار لمخالفته دعوة الرسل وهو مخلد فيها دائما كخلود اهل الجنة في
الجنة انتهى وقد تعقب العلامة ابو عبد الله الابي من المالكية فيما وضعه
على صحيح مسلم قول النووي الماضي وفيه ان من مات في الفترة على ما كانت عليها العرب
من عبادة الاوثان في النار الى آخره بما معناه تامل ما في كلامه من التنافي فان من بلغتهم
الدعوة ليسوا باهل فترة لان اهل الفترة هم الامم الكائنة بين ازمنة الرسل الذين
لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني كالاعراب الذين لم يرسل اليهم عيسى عليه السلام
ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين كالفترة
بين نوح وهود لكن الفقها اذا تكلموا في الفترة فانما يعنون التي بين عيسى ونبينا
عليهما الصلوة والسلام وذكر البخاري عن سلمان انها كانت ستمائة سنة ولما
دلت القواطع على انه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا انهم غير معذبين فان قلت
قد صحت احاديث بتعذيب اهل الفترة كحديث رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار
ورايت صاحب المحجن في النار وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فاذا ابصر به قال انما تعلق
بمحجني اجيب باجوبة احدها انها اخبار آحاد فلا تعارض القطع الثاني قصر التعذيب

المذكور في هذه الاحاديث على هؤلاء والله اعلم بالسبب **الثالث** قصر التعذيب المذكور في هذه الاحاديث على من غير وبدل من اهل الفترة بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الاوثان وتغيير الشرايع فان اهل الفترة ثلاثة اقسام **القسم الاول** من ادرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير واهل نجران وورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث **القسم الثاني** من اهل الفترة وهم من بدل وغير فاشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم وهم الاكثرون كعمرو بن لحي اول من سن للعرب عبادة الاصنام وشرع الاحكام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام وتبعته العرب في ذلك وغيره مما يطول ذكره **القسم الثالث** من اهل الفترة وهم من لم يشرك بالله ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله وفي الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم اهل الفترة الى ثلاثة اقسام فيحمل من صح تعذيبه على اهل القسم الثاني لكفرهم بما تعدوا به من الخبايث والله سبحانه وتعالى قد سمى جميع هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال احد سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ثم قال تعالى ولكن الذين كفروا الاية والقسم الثالث هم اهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين واما اهل القسم الاول كقس وزيد بن عمرو فقد قال عليه السلام في كل منهما انه يبعث امة وحده واما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه واهل نجران فحكمهم حكم اهل الدين الذي دخلوا فيه ما لم يلحق احد منهم الاسلام الناسخ لكل دين انتهى ملخصا وسيأتي ما قيل في ورقة في حديث المبعث ان شاء الله تعالى فهذا ما تيسر من البحث في مسئلة والديه صلى الله عليه وسلم وقد كان الاولى ترك ذلك وانما جرنا اليه ما وقع من المباحثة فيه بين علماء العصر **وقد** احسن الحافظ الشيخ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي حيث قال

حبى الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فاحيى امه وكذا اباه ... لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وان كان الحديث به ضعيفا

فالحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بانه اذا ذكر ابو الشخص بما ينقصه او وصف بوصف به وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة **وقد قال** عليه السلام لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات رواه الطبراني في الصغير ولا ريب ان اذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله ان لم يتب عندنا وسيأتي في مباحث ذلك ان شاء الله تعالى في الخصايص من مقصد المعجزات **ولقد اطنب** بعض العلماء في الاستدلال لايمانهما

فالله

فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل **قال** الحافظ ابن حجر في بعض كتبه والظن بآله صلى الله عليه وسلم يعني الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان اكراما له صلى الله عليه وسلم لتقر عينه **وقال** في الاصابة ونحن نرجو ان يدخل عبد المطلب في جملة من يدخلها طائعا فينجو الا ابا طالب فانه ادرك البعثة ولم يؤمن **وقد** كانت ام ايمن بركة داينته وحاضنته بعد موت امه وكان عليه السلام يقول لها انت امي بعد امي **ومات** جده عبد المطلب كافله وله ثمان سنين وقيل ثمان سنين وشهر وعشرة ايام وقيل تسع وقيل عشر وقيل ست وقيل ثلاث وفيه نظر وله عشر ومائة سنة وقيل مائة وخمسون سنة وكفله ابو طالب واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب قد اوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله **وقد** اخرج ابن عساكر عن جلهمة ابن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من هاهنا وهاهنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل

والثمال بكسر المثلثة الملجأ والغياث وقيل المطعم في الشدة وعصمة للارامل اي يمنعهم من الضياع والحاجة والارامل المساكين من رجال او نساء ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده ارمل وهو بالنساء اخص واكثر استعمالا والواحد ارمل وارملة **وهذا البيت** من ابيات في قصيدة لابي طالب ذكرها ابن اسحاق بطولها وهي اكثر من ثمانين بيتا قالها لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام **واولها** لما رايت القوم لا ود عندهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسايل

وقد جاهرونا بالعداوة والاذى ... وقد طاوعوا امر العدو المزايل
اعبد مناف انتم خير قومكم ... فلا تشركوا في امركم كل واغل
فقد خفت ان لم يصلح الله امركم ... تكونوا كما كانت احاديث وائل
اعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء او ملح بباطل
وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه ... وراق ليرقى في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت في بطن مكة ... وبالله ان الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزي محمدا ... ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ومعنى نناضل نجادل ونخاصم وندافع ونبزي بضم النون وسكون الموحدة آخره زاي اي نقهر ونغلب عليه **قال** ابن التين ان في شعر ابي طالب هذا دليلا على انه كان

يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا وغيره من شأنه وتعقبه الحافظ أبو الفضل ابن حجر بأن ابن إسحاق ذكر أن إنشاء أبي طالب لهذا الشعر كان بعد البعث ومعرفة أبي طالب بنبوته عليه السلام جاءت في كثير من الأخبار وتمسك بهذا الشيعة في أنه كان مسلماً قال ورأيت لعلي بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب وزعم أنه كان مسلماً وأنه مات على الإسلام وأن الحشوية تزعم أنه مات كافراً واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه انتهى **ولما بلغ** رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب واسمه جرجيس فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له وما علمك بذلك فقال إنكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجد إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة وإنا نجده عندنا في كتبنا وسأل أبا طالب أن يرده خوفاً عليه من اليهود الحديث رواه ابن أبي شيبة وفيه أنه صلى الله عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله وبحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصوراً **قال** الذهبي في تجريد الصحابة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعث وآمن به وذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة وهذا ينبني على تعريفهم الصحابي بمن رآه صلى الله عليه وسلم هل المراد حال النبوة أو أعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية وهو محل نظر وسيأتي البحث فيه إن شاء الله تعالى في المقصد السابع **وخرج** الترمذي وحسنه والحاكم وصححه أن في هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله عليه السلام فاستقبلهم بحيرا فقال لهم ما جاء بكم قالوا إن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس فقال أفرأيتم أمراً أراد الله تعالى أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه فأقاموا معه ورده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالاً **قال** البيهقي هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي انتهى وضعف الذهبي الحديث لقوله في آخره وبعث معه أبو بكر بلالاً فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلاً ولا اشترى بلالاً **وقال** الحافظ ابن حجر الحديث رجاله ثقات وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته **وفي** حديث عند البيهقي وأبي نعيم أن بحيرا رأى وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها الحديث **وفيه** أن بحيرا قام فاحتضنه وأنه جعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من

صفته

صفته التي عنده وتقدم أن أخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة وغمامة تظله إذا وقف وقفت وإذا سار سارت رواه أبو نعيم وابن عساكر **ولله در** القائل

إن قال يوماً ظللته غمامة … هي في الحقيقة تحت ظل القائل

ونقل الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض أهل المعرفة أنه صلى الله عليه وسلم كان معتدل الحرارة والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد وأنه كان في ظل غمامة من اعتداله كذا نقل رحمه الله **وأخرج** ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام في تجارة حتى نزل منزلاً فيه سدرة فقعد في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شيء فقال له من الرجل الذي في ظل الشجرة قال محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال هذا والله نبي ما استظل تحتها بعد عيسى عليه السلام إلا محمد صلى الله عليه وسلم ووقع في قلب أبي بكر التصديق فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اتبعه **قال** الحافظ أبو الفضل ابن حجر في الإصابة إن صحت هذه القصة فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب انتهى **ثم** خرج صلى الله عليه وسلم ثانياً مع ميسرة غلام خديجة ابنة خويلد بن أسد في تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى وقيل سوق حباشة بتهامة وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة فنزل تحت ظل شجرة فقال نسطورا الراهب ما نزل تحت ظل هذه الشجرة إلا نبي **وفي** رواية بعد عيسى وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس فلما رجعوا إلى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلان عليه رواه أبو نعيم **وتزوج** صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً وقيل كان سنها إحدى وعشرين سنة وقيل ثلاثين سنة وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة وكانت تحت أبي هالة بن زرارة التميمي فولدت له هنداً وهالة وهما ذكران ثم تزوجها عتيق بن عابد المخزومي فولدت له هنداً وكان لها حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة وبعض أخرى وكانت عرضت نفسها عليه فذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها عليه السلام وأصدقها عشرين بكرة وحضر أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب **فقال** الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به فإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد بن عبد الله ممن قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها قال [illegible]

الاصل وحصنته بنبيه اى لكافلين له والقائمين بخدمته وسوس حرمه اى متولو امره
قال ابن اسحاق وزوجه اباها خويلد وقد ذكر الدولابى وغيره ان النبى صلى الله
عليه وسلم اصدق خديجة اثنى عشر اوقية ذهبا ونشا قالوا وكل اوقية اربعون درهما
والنش نصف اوقية ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة خافت
قريش ان تهدم الكعبة من كثرة السيول فامروا باقوم بحوحرة فالفى فقا فمضمونه
قوا وساكنة فيهم النجار النبطى مولى سعيد بن العاصى وصانع المنبر الشريف بان يبنى
الكعبة المعظمة وحضر صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة وكانوا يضعون
ازرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم فلبط به يعنى
اى سقط من قيام كما فى القاموس ونودى عورتك فكان ذلك اول ما نودى فقال له
ابو طالب والعباس يا ابن اخى اجعل ازارك على راسك فقال لما اصابنى ما اصابنى
الا من التعرى ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اربعين سنة وقيل واربعين يوما
وقيل وعشرة ايام وقيل وشهرين يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان
وقيل لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة وقال ابن عبد البر يوم الاثنين لثمان من
ربيع الاول لسنة احدى واربعين من الفيل وقيل فى اول ربيع بعثه الله
رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين اجمعين ويشهد لبعثته يوم الاثنين ما رواه
مسلم عن ابى قتادة انه صلى الله عليه وسلم سئل عن يوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه
انزل على وقال ابن القيم فى الهدى النبوى واحتج القائلون بانه كان فى رمضان
بقوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن قالوا اول ما اكرمه الله بنبوته انزل
عليه القرآن وقال الآخرون انما انزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر الى بيت العزة
ثم نزل نجوما بحسب الوقايع فى ثلاث وعشرين سنة وقيل كان ابتدا البعث فى رجب
وروى البخارى فى الصحيحين من حديث عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح
وكان ياتى حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع
الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجاءه الحق وهو فى غار حرا فجاءه الملك فيه فقال اقرا فقلت
ما انا بقارئ فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ
فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرا فقلت ما انا بقارئ
فاخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرا باسم ربك الذى خلق
حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملونى
فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لى واخبرها الخبر ثم قال لقد خشيت على
فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل
الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة

ابن نوفل

ابن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة اخى ابيها وكان امرا تنصر
فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربى فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله ان يكتب
وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة اى ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال
ورقة ماذا ترى فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم ما راى فقال له ورقة هذا الناموس
الذى انزل على موسى يا ليتنى فيها جذعا اكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم او مخرجى هم فقال ورقة نعم لم يات رجل قط بما جئت به
الا عودى وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر
الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدى منه مرارا كى يتردى
من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال
يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى
غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك وقد تكلم
العلماء فى معنى قوله عليه السلام لخديجة قد خشيت على فذهب الاسماعيلى الى ان هذه
الخشية كانت منه قبل ان يحصل له العلم الضرورى بان الذى جاءه ملك من عند الله
وكان اشق شى عليه ان يقال عليه مجنون وقيل ان خشيته كانت من قومه ان يقتلوه
ولا غرو فانه بشر يخشى من القتل والاذية كما يخشى البشر وقوله ما انا بقارئ اى انا امى فلا
اقرا الكتب وقال القاضى عياض وغيره انما ابتدئ عليه الصلوة والسلام بالرؤيا لئلا
يفجاه الملك ويانيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشرية فبدئ باوائل خصال
النبوة وتباشير الكرامة انتهى فان قلت فلم كرر قوله ما انا بقارئ ثلاثا
اجاب ابو شامة كما فى فتح البارى بان يحمل قوله اولا ما انا بقارئ على
الامتناع وثانيا على الاخبار بالنفى المحض وثالثا على الاستفهام والحكمة فى الغط
ثلاثا شغله عن الالتفات لشى آخر واظهار للشدة والجد فى الامر تنبيها على ثقل
القول الذى سيلقى اليه وقيل ابعادا لظن التخيل والوسوسة لانهما ليسا من صفات
الجسم فلما وقع ذلك بجسمه علم انه من امر الله فان قلت من اين عرف النبى صلى
الله عليه وسلم ان جبريل ملك من عند الله وليس من الجن فالجواب من وجهين
احدهما ان الله تعالى اظهر على يدى جبريل عليه السلام معجزات عرفه بها كما اظهر الله
تعالى على يدى محمد صلى الله عليه وسلم معجزات عرفناه بها وثانيهما ان الله تعالى خلق
فى محمد صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بان جبريل من عند الله ملك لا جنى ولا شيطان
كما ان الله تعالى خلق فى جبريل علما ضروريا بان المتكلم معه هو الله تعالى وان المرسل
له ربه تعالى لا غيره وقوله ورقة يا ليتنى فيها جذعا الضمير للنبوة اى ليتنى
كنت شابا عند ظهورها حتى ابالغ فى نصرتها وحمايتها واصل الجذع فى اسنان الدواب
وهو ما كان منها شابا فتيا واخرج البيهقى من طريق العلاء بن حارثة الثقفى عن بعض

اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة كان
لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه وسمع منه فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه
وعن يمينه وعن شماله ولا يرى الا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة
السلام عليك يا رسول الله الحديث وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم ار شيئا
ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت راسي فرايت شيئا فلم
اثبت له فاتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها
المدثر قم فانذر وربك فكبر الاية وذلك قبل ان تفرض الصلوة رواه البخاري
ومسلم والترمذي ولم يكن جواره عليه الصلوة والسلام لطلب النبوة لانها اجل من ان
تنال بالطلب والاكتساب وانما هي موهبة من الله تعالى وخصوصية يخص بها من يشاء
من عباده الله اعلم حيث يجعل رسالاته ولم تكن الرجفة المذكورة خوفا من جبريل عليه
السلام فانه صلى الله عليه وسلم اجل من ذلك واثبت جنانا وانما رجف غبطة بحاله
واقباله على الله عز وجل وخشي ان يشتغل بغير الله عن الله وقيل خاف من ثقل اعباء
النبوة وفي رواية البيهقي في الدلائل ان خديجة قالت لابي بكر يا عتيق اذهب
الى ورقة فاخذه ابو بكر فقص عليه ما راى فقال عليه الصلوة والسلام اذا خلوت
وحدي سمعت نداء يا محمد يا محمد فانطلق هاربا فقال لا تفعل اذا قال فاثبت
حتى تسمع ثم ائتني فاخبرني فلما خلا ناداه يا محمد فثبت فقال قل بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الى آخرها ثم قال قل لا اله الا الله الحديث واحتج به من قال
باولية نزول الفاتحة والصحيح ان اول ما نزل عليه صلى الله وسلم عليه من القرآن
اقرا كما صح ذلك عن عائشة وروي عن ابي موسى الاشعري وعبيد الله بن عمير
قال النووي وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف واما ما روي عن
جابر وغيره ان اول ما نزل يا ايها المدثر فقال النووي ضعيف بل هو باطل وانما نزلت
بعد فترة الوحي واما حديث البيهقي انه الفاتحة كقول بعض المفسرين فقال
البيهقي هذا منقطع فان كان محفوظا فيحتمل ان يكون خبرا عن نزولها بعد ما انزلت
عليه اقرا باسم ربك ويا ايها المدثر وقال النووي بعد ذكر هذا القول بطلانه اظهر
من ان يذكر انتهى وقد روي ان جبريل عليه السلام اول ما نزل بالقرآن على النبي
صلى الله عليه وسلم امره بالاستعاذة كما رواه الامام ابو جعفر بن جرير عن ابن عباس
قال اول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ قال استعيذ بالسميع
العليم من الشيطان الرجيم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال اقرا باسم ربك
الذي خلق قال عبد الله وهي اول سورة انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم قال
الحافظ عماد الدين بن كثير بعد ان ذكره وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان

نخ وعبدالله

في اسناده ضعفا وانقطاعا والله اعلم وقد افرد ابن ابي جمرة سؤالا وهو انه لما
اختص صلى الله عليه وسلم بغار حراء فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع واجاب
بان هذا الغار له فضل زائد على غيره من جهة انه منزوي مجموع لتحنثه وهو يبصر بيت
ربه والنظر الى البيت عبادة فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات الخلوة والتحنث
والنظر الى البيت وغيره ليس فيه هذه الثلاث ولله در المرجاني حيث قال
في فضائل حراء وما اختص به ه

تامل حراء في جمال محياه	فكم من اناس في حلا حسنه تاهوا
فما حوى من جا العلياه زائر	يفرج عنه الهم في حال مرقاه
به خلوة الهادي الشفيع محمد	وفيه له غار له كان مرقاه
وقبلته للقدس كانت بغاره	وفيه اتاه الوحي في حال مبداه
وفيه تجلى الروح بالموقف الذي	به الله في وقت البداءة سواه
وتحت تخوم الارض في السبع اصله	ومن بعد هذا اهتز بالسفل اعلاه
ولما تجلى الله قدس ذكره	لطور تشظى فهو احدى تشظياه
ومنها ثبير ثم ثور بمكة	كذا قد اتى في نقل تاريخ مبداه
وفي طيبة ايضا ثلاثا فعدها	فعير افو رقانا واحدا رويناه
ويقبل فيه ساعة الظهر من دعا	به وينادي من دعا اجتباه
وفي احد الاحوال في عقبتي حرا	اتى ثم قابيل لهابيل غشاه
ومما حوى سرا حوته صخوره	من التبر اكسيرا يقام سبكناه
سمعت به تسبيحها غير مرة	واسمعته جمعا فقالوا اسمعناه
به مركزا النور الالهي مثبتا	فلله ما احلا مقاما باعلاه

وروى ابو نعيم ان جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قالا اقرا باسم ربك
الايات الحديث وفيه فقال ورقة ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك
على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وكذا روى شق صدره الشريف هنا ايضا الطيالسي
والحارث في مسنديهما والحكمة فيه ليتلقى النبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه بقلب
قوي في اكمل الاحوال من التطهير وقال ابن القيم وغيره وكمل الله تعالى له عليه
الصلوة والسلام من الوحي مراتب عديدة احدها الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا
الا جاءت مثل فلق الصبح الثانية ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه
كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل
رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب الحديث رواه ابن ابي الدنيا في القناعة وصححه
الحاكم والروع بضم الراء اي نفسي وروح القدس جبريل عليه السلام الثالثة كان يتمثل
له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له فقد كان ياتيه في صورة دحية الكلبي وله

النسائي بسند صحيح من حديث ابن عمر **قلت** وقد كان دحية جميلا وسيما اذا قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه **فان قلت** اذا اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية فاين تكون روحه فان كان في الجسد الذي له ستمائة جناح فالذي اتى لا روح جبريل ولا جسده وان كان في هذا الذي هو في صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم ام يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه الى الجسد المشبه بجسد دحية **اجيب** كما ذكره العيني بانه لا يبعد ان لا يكون انتقالها موجب موته فيبقى الجسد حيا لا ينقص من معارفه شيء ويكون انتقال روحه الى الجسد الثاني كانتقال ارواح الشهداء الى اجواف طير خضر وموت الاجساد بمفارقة الارواح ليس بواجب عقلا بل بعادة اجراها الله تعالى في بني آدم فلا يلزم في غيرهم انتهى **الرابعة** كان ياتيه في مثل صلصلة الجرس وكان اشده عليه حتى ان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد حتى ان راحلته لتبرك به في الارض **ولقد** جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها **قلت** وروى الطبراني عن زيد بن ثابت قال كنت اكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا انزل عليه اخذته برحاء شديدة وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سري عنه وكنت اكتب وهو يملي علي فما افرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن حتى اقول لا امشي على رجلي ابدا ولما نزلت عليه سورة المائدة كادت ان تنكسر عضد ناقته من ثقل السورة رواه احمد والبيهقي في الشعب **الخامسة** ان يرى الملك في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح فيوحي اليه ما شاء الله ان يوحيه وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم **السادسة** ما اوحى الله تعالى اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها **السابعة** كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى قال وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهو تكليم الله له كفاحا بغير حجاب انتهى **قال** شيخ الاسلام ولي الدين العراقي وكان ابن القيم اخذ ذلك من روض السهيلي لكنه لم يذكر نزول اسرافيل اليه بكلمات من الوحي قبل جبريل **فقد ثبت** في الطرق الصحاح عن عامر الشعبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين وياتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن **واما** قوله اعني ابن القيم السادسة ما اوحاه الله اليه فوق السموات يعني ليلة المعراج السابعة كلام الله بلا واسطة فان اراد ما اوحاه اليه جبريل فهو داخل فيما تقدم لانه اما ان يكون جبريل له في تلك الحالة على صورته الاصلية او على صورة الآدمي وكلاهما قد تقدم ذكره وان اراد وحي الله بلا واسطة وهو الظاهر فهي الصورة التي بعدها **واما** قوله وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا من غير حجاب فهذا على مذهب من يقول انه عليه الصلوة والسلام راى ربه تعالى وهي مسئلة خلاف ياتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى ويحتمل ان ابن القيم رحمه الله اراد بالمرتبة السادسة وحي جبريل وغيره

بينه وبين ما قبله باعتبار محل الايحاء اي كونه فوق السموات بخلاف ما تقدم فانه كان في الارض **ولا** يقال يلزم عليه ان تتعدد اقسام الوحي باعتبار البقعة التي جاء فيها جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير ممكن لانا **نقول** الوحي الحاصل في السماء باعتبار ما في تلك المشاهد من الغيب نوع غير الارضي على اختلاف بقاعها انتهى **قلت** ويزاد ايضا كلامه تعالى له في المنام كما في حديث الترمذي اتاني ربي في احسن صورة فقال يا محمد اتدري فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث **ثم مرتبة** اخرى وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الاحكام لانه اتفق على انه عليه الصلوة والسلام اذا اجتهد اصاب قطعا وكان معصوما من الخطأ وهذا خرق للعادة في حقه دون الامة وهو يفارق النفث في الروع من حيث حصوله بالاجتهاد والنفث بدونه **ومرتبة** اخرى وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية لان دحية كان معروفا عنده ذكره ابن المنير وان كانت داخلة في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم **وذكر** الحليمي ان الوحي كان ياتيه على ستة واربعين نوعا فذكرها وغالبها كما قال في فتح الباري من صفة حامل الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر والله اعلم **وذكر** ابن المنير ان الحال كان يختلف في الوحي باختلاف مقتضاه فان نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الآدمي وخاطبه من غير كلل وان نزل بوعيد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس **وقد ذكر** ابن عادل في تفسيره ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين الف مرة ونزل على آدم عليه السلام اثنتي عشرة مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابراهيم اثنين واربعين مرة وعلى موسى اربعمائة مرة وعلى عيسى عشر مرات كذا قاله رحمه الله تعالى **وقد** روي ان جبريل عليه السلام بدا له صلى الله عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم امره ان يتوضأ وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه الوضوء والصلوة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها فغشي عليها من الفرح ثم امرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك اول فرضها ركعتين ثم ان الله اقرها في السفر كذلك واتمها في الحضر **وقال** مقاتل كانت الصلوة اول فرضها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار **وقال** في فتح الباري كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل الاسراء قطعا وكذا اصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلوة ام لا فقيل ان الفرض كان صلوة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها والحجة في قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهى **وقال** النووي اول ما وجب الانذار والدعاء الى التوحيد

ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في اول سورة المزمل ثم نسخه بما في آخرها ثم نسخه
بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسرا بمكة **واما** ما ذكره في هذه الرواية من ان
جبريل علمه الوضوء وامره به فيدل على ان فرضية الوضو كانت قبل الاسرا ثم فتر
الوحي فترة حتى شق عليه صلى الله وسلم عليه واحزنه وفترة الوحي عبارة عن تاخره
مدة من الزمان وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه الصلوة والسلام من الروع
وليحصل له التشوق الى العود وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين كما جزم به ابن
اسحاق **وفي** تاريخ الامام احمد ويعقوب بن سفيان عن الشعبي انزلت عليه النبوة
وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشئ
ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل
عليه القرآن على لسانه عشرين سنة وكذا رواه ابن سعد والبيهقي **فقد** تبين
ان نبوته عليه الصلوة والسلام كانت متقدمة على ارساله كما قال ابو عمر وغيره وكما حكاه
ابو امامة بن النقاش فكان في نزول سورة اقرا نبوته وفي نزول سورة المدثر رسالته بالنذارة
والبشارة والتشريع وهذا قطعا متاخر عن الاول لانه لما كانت سورة اقرا متضمنة
لذكر اطوار الادمي من الخلق والتعليم والافهام ناسب ان تكون اول سورة انزلت
وهذا هو الترتيب الطبيعي وهو انه يذكر سبحانه وتعالى ما اسداه الى نبيه صلى الله
عليه وسلم من العلم والفهم والحكمة والنبوة ويمن عليه بذلك في معرض تعريف عباده بما
اسداه اليهم من نعمة البيان الفهمي والنطقي والخطي ثم يامره سبحانه وتعالى بان يقوم
فينذر عباده **وكان** اول من آمن بالله وصدق صديقة النسا خديجة فقامت باعبا
الصديقية قال لها عليه الصلوة والسلام خشيت على نفسي فقالت ابشر فوالله لا يخزيك
الله ابدا ثم استدلت بما فيه من الصفات والاخلاق والشيم على ان من كان كذلك لا يخزى
ابدا **وكان** اول ذكر آمن بعدها صديق الامة واسبقها الى الاسلام ابو بكر فازره في
الله **وعن** ابن عباس انه اول الناس اسلاما **واستشهد** بقول حسان بن ثابت

اذا تذكرت شجوا من اخي ثقة	فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها	بعد النبي واوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده	واول الناس قدما صدق الرسلا

رواه ابو عمر **وممن** وافق ابن عباس وحسانا على ان الصديق اول الناس اسلاما اسما
بنت ابي بكر والنخعي وابن الماجشون ومحمد بن المنكدر والاخنفش **وقيل** ان علي بن ابي طالب
اسلم بعد خديجة وكان في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون اول من اسلم من الرجال
ابو بكر ويكون علي اول صبي اسلم لانه كان صبيا لم يدرك ولذا قال

سبقتكم الى الاسلام طرا — صغيرا ما بلغت اوان حلمي

وكان سن علي اذ ذاك عشر سنين فيما حكاه الطبري **وقال** ابو عمر وممن ذهب الى ان عليا

اوّل

اول من اسلم من الرجال سلمان وابو ذر والمقداد وخباب وجابر وابو سعيد
الخدري وزيد بن ارقم وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم **قلت** واتفقوا
على ان خديجة اول من اسلم مطلقا **وقيل** اول رجل اسلم ورقة بن نوفل ومن يمنع
يدعي انه ادرك نبوته لا رسالته عليه الصلوة والسلام لكن جا في السير وهو في
رواية ابي نعيم المتقدمة انه قال ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك
على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد وان ادرك ذلك لاجاهدن
معك فهذا تصريح منه بتصديقه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم **قال** البلقيني
بل يكون بذلك اول من اسلم من الرجال **وبه** قال العراقي في نكته على ابن الصلاح
وذكره ابن منده في الصحابة وحكى العراقي كون علي اول من اسلم عن اكثر الصحابة **وحكى**
ابن عبد البر الاتفاق عليه **وادعى** الثعلبي اتفاق العلماء على ان اول من اسلم خديجة
وان اختلافهم انما هو في اول من اسلم بعدها **قال** ابن الصلاح والاورع ان يقال
اول من اسلم من الرجال الاحرار ابو بكر ومن الصبيان او الاحداث علي ومن النساء
خديجة ومن الموالي زيد ومن العبيد بلال والله اعلم انتهى **وقال** الطبري الاولى
التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال اول من اسلم مطلقا خديجة **واول**
ذكر اسلم علي بن ابي طالب وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا باسلامه **واول** رجل عربي بالغ
اسلم واظهر اسلامه ابو بكر ابن ابي قحافة **واول** من اسلم من الموالي زيد **قلت** وهذا
متفق عليه لا اختلاف فيه وعليه يحمل قول من قال اول من اسلم من الرجال ابو بكر اي الرجال
البالغين الاحرار **ويؤيد** هذا ما روي عن الحسن بن علي بن ابي طالب قال ان ابا بكر
سبقني الى اربع لم اوتهن سبقني الى افشا الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار
واقام الصلوة وانا يومئذ بالشعب يظهر الاسلام واخفيه الحديث خرجه صاحب
فضايل ابي بكر وخيثمة بمعناه **واما ما روي** من صحبة الصديق للنبي صلى
الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة وهم يريدون الشام في تجارة وحديث بحيرا
وانه وقع في قلب ابي بكر اليقين وقول ميمون بن مهران والله لقد آمن ابو بكر بالنبي
صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اليقين بصدقه وهو ما وقر في قلبه
والا فالنبي صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وسافر الى الشام قبل البعثة ثم اسلم
بعده زيد بن حارثة وعثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف
وسعد ابن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله بدعا ابي بكر الصديق فجا بهم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فاسلموا وصلوا ثم اسلم ابو عبيدة عامر
ابن عبد الله بن الجراح وابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بعد تسعة انفس والارقم
ابن ابي الارقم المخزومي وعثمان بن مظعون الجمحي واخواه قدامة وعبد الله وعبيدة
ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وامراته فاطمة

ابنة الخطاب وقال ابن سعد اول امراة اسلمت بعد خديجة ام الفضل زوج العباس واسماء بنت ابي بكر وعائشة اختها كذا قال ابن اسحاق وغيره وهو وهم لانه لم تكن عائشة ولدت بعد فكيف اسلمت وكان مولدها سنة اربع من النبوة قاله مغلطاي وغيره

ودخل الناس في الاسلام ارسالا من الرجال والنساء ثم امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يصدع بما جاء به اي يواجه المشركين به وقال مجاهد هو الجهر بالقرآن في الصلوة وقال ابو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت عليه فاصدع بما تؤمر فخرج هو واصحابه وقال البيضاوي فاصدع بما تؤمر من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع انتهى قالوا وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة وهي المدة التي اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم امره الى ان امره الله تعالى باظهاره فنادى قومه بالاسلام وصدع به كما امره الله تعالى ولم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها وكان ذلك في سنة اربع كما قاله العتقي فاجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وحدب عليه عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم واظهر بعضهم لبعض العداوة وتآمرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب وبني المطلب وقال مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابي طالب يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى ابي طالب يريدون بالنبي صلى الله عليه وسلم سوءا فقال ابو طالب حين تروح الابل ان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم وقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم	حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة	وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه	من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة	لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقد كفى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم المستهزئين كما قال تعالى واعرض عن المشركين اي لا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين يعني بقمعهم واهلاكهم **وقد قيل** انهم كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب وكانوا يبالغون في ايذائه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فاتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه

فاصاب

فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات واشار الى انف حارثة فانتفخ فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي **وكان** صلى الله عليه وسلم يطوف على الناس في منازلهم يقول يا ايها الناس ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وابو لهب وراءه يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد ابن المغيرة بالسحر وتبعه قومه على ذلك وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على راسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا فجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر دونه وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقال ابن عمر كما في البخاري بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ثم قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله **وقد** ذكر العلماء ان ابا بكر رضي الله عنه افضل من مؤمن آل فرعون لان ذاك اقتصر حيث انتصر على اللسان واما ابو بكر رضي الله عنه فاتبع اللسان يدا ونصر بالقول والفعل محمدا صلى الله عليه وسلم **وفي** رواية البخاري ايضا كان عليه الصلوة والسلام يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم الا تنظرون الى هذا المرائي ايكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة وهي جويرية فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى فقال اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اصحاب القليب لعنة واستدل بهذا الحديث على ان من عرض له في صلاته ما يمنع انعقادها ابتداء لا تبطل صلاته فلو كانت نجاسة فازالها في الحال ولا اثر لها صحت اتفاقا واستدل به ايضا على طهارة فرث ما يؤكل لحمه وعلى ان ازالة النجاسة ليست بفرض وهو ضعيف واجاب النووي بانه عليه الصلوة والسلام لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحابا

لا يصل الطهارة ونتعقب بانه مشكل على قولنا بوجوب الاعادة في مثل هذه الصلوة وأجيب عنه بان الاعادة انما تجب في الفريضة فان ثبت انها فريضة فالوقت متسع فلعله اعاد ونتعقب بانه لو اعاد لنقل ولم ينقل وبان الله لا يقره على صلوة فاسدة وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد في المذكورين لانه لم يقتل ببدر بل ذكر اصحاب المغازي انه مات بارض الحبشة وله قصة مع النجاشي اذ تعرض لامرأته فامر النجاشي ساحرا ينفخ في احليل عمارة من سحر عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم الى ان مات في خلافة عمر واجيب بان كلام ابن مسعود انه رآهم صرعى في القليب محمول على الاكثر ويدل عليه ان عقبة بن ابي معيط لم يطرح وانما قتل صبرا بعد ان رحلوا عن بدر مرحلة وامية بن خلف لم يطرح في القليب كما سيأتي ان شاء الله تعالى وقوله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع اهل القليب لعنة يحتمل ان يكون من تمام الدعاء الماضي فيكون فيه علم عظيم من اعلام النبوة ويحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم بعد ان القوا في القليب ثم اسلم حمزة بن عبد المطلب وكان اعز فتى في قريش واشدهم شكيمة وكان اسلامه فيما قاله مغلطاي في سنة ست فعز به النبي صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلا وقال حمزة حين اسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي	الى الاسلام والدين الحنيفي
لدين جاء من رب عزيز	خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا	تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء احمد من هداها	بآيات مبينة الحروف
واحمد مصطفى فينا مطاع	فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم	ولما نقض فيهم بالسيوف

وعند مغلطاي وسألوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئي قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه او نعذر فيك فقال لهم عليه الصلوة والسلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي اصبر لامر ربي حتى يحكم الله بيني وبينكم والرئي بفتح الراء وقد تكسر ثم همزة فياء مشددة جني يرى فيحب وبالكسر للمحبوب منها قاله في القاموس ثم ان النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط ذهبا الى احبار يهود فسألاهم عنه صلى الله عليه وسلم فقالوا لهما سلاه عن ثلاثة فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول وعن رجل طواف وعن الروح ما هو فقال لهم عليه الصلوة والسلام اخبركم غدا ولم يقل ان

شاء الله فلبث الوحي اياما ثم نزل قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وانزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا وهم اصحاب الكهف وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين وقال فيما سألوه من الروح ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي الآية وفي البخاري من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا انا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب اذ مر به اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقالوا ما رابكم اليه وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فامسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي قال الحافظ ابن كثير وهذا يقتضي فيما يظهر من بادي الرأي ان هذه الآية مدنية وانها انما نزلت حين سألوه اليهود عن ذلك بالمدينة مع ان السورة كلها مكية وقد يجاب عن هذا بانه قد تكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ومما يدل على نزولها بمكة ما رواه الامام احمد من حديث ابن عباس قال قالت قريش ليهود اعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسألوه فنزلت الحديث انتهى وهذا الحديث رواه الترمذي ايضا باسناد رجاله رجال مسلم فيحمل على تعدد النزول كما اشار اليه ابن كثير ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك وقد اختلف في المراد بالروح المسئول عنه في هذا الخبر فقيل روح الانسان وقيل جبريل وقيل عيسى وقيل ملك يقوم وحده صفا يوم القيمة وقيل غير ذلك وقال القرطبي الراجح انهم سألوه عن روح الانسان لان اليهود لا تعترف بان عيسى روح الله ولا تجهل ان جبريل ملك وان الملائكة ارواح وقال الامام فخر الدين المختار انهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحيوة وان الجواب وقع على احسن الوجوه وبيانه ان السؤال عن الروح يحتمل عن ماهيتها وهل هي متحيزة ام لا وهل حالة في متحيز ام لا وهل هي قديمة او حادثة وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد او تفنى وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير ذلك من متعلقاتها قال وليس في السؤال ما يخصص احد هذه المعاني الا ان الاظهر انهم سألوه عن الماهية وهل الروح قديمة او حادثة والجواب يدل على انها شيء موجود مغاير للطبايع والاخلاط وتركيبها فهي جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بمحدث وهو قوله تعالى كن فكانه قال هي موجودة محدثة بامر الله وتكوينه ولها تأثير في افادة الحيوة للجسد ولا يلزم من عدم العلم بكيفيته المخصوصة نفيه قال ويحتمل ان يكون المراد بالامر في قوله تعالى من امر ربي الفعل كقوله تعالى وما امر فرعون برشيد اي فعله فيكون الجواب انها حادثة ثم قال وقد سكت السلف عن البحث في هذه الاشياء والتعمق فيها انتهى وقال في فتح الباري وقد تنطع قوم فتباينت اقوالهم فقيل هي النفس الداخل الخارج وقيل

جسم لطيف يحل في جميع البدن وقيل هي الدم وقيل ان الاقوال فيها بلغت المائة ونقل ابن مندة عن بعض المتكلمين ان لكل نبي خمسة ارواح ولكل مؤمن ثلاثة وقال ابن العربي اختلفوا في الروح والنفس فقيل متغايران وهو الحق وقيل هما شيء واحد وقال وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس وقال ابن بطال المعرفة حقيقة الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه بدليل هذا الخبر قال والحكمة في ابهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم الى رد العلم اليه وقال القرطبي الحكمة في ذلك اظهار عجز المرء لانه اذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق من باب اولى وقال بعضهم ليس في الآية دلالة على ان الله تعالى لم يطلع نبيه على حقيقة الروح بل يحتمل ان يكون اطلعه ولم يأمره ان يطلعهم وقد قالوا في علم الساعة نحو هذا والله اعلم انتهى ملخصا ولما كثر المسلمون وظهر الايمان اقبل كفار قريش على من آمن يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم حتى انه مر عدو الله ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها وكان الصديق اذا مر باحد من العبيد يعذب اشترى منهم واعتقه منهم بلال وعامر بن فهيرة وعن ابي ذر كان اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله تعالى بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون يعذبونهم فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول احد احد رواه احمد في مسنده وعن مجاهد مثله وزاد في قصة بلال وجعلوا في عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان يلعبون به حتى اثر الحبل في عنقه فانظر كيف قد فعل ببلال ما فعل من الاكراه على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له ايضا عند موته كانت امراته تقول واحرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا ولله در ابي محمد الشقراطسي حيث قال

لاقى بلال بلاء من امية قد — احله الصبر فيه اكرم النزل
اذا اجهدوه بضنك الاسر وهو على — شدائدا لازدتبا لاز ولم يزل
القوه بطحا برمضاء البطاح وقد — عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اجلالا وقد ظهرت — بظهره كندوب الطل في الطلل
ان قد تطهر ولي الله من دبر — فقد قد قلب عدو الله من قبل

يعني ان كان طهر ولي الله بلال قد ظهر فيه التعذيب فقد تجوزى عدو الله امية

وفقد قلبه ببدر لانه قتل يومئذ وكان عبد الرحمن بن عوف قد اسره يومئذ واراد استبقاءه لاخوة كانت بينهما في الجاهلية فرآه بلال معه فصاح باعلا صوته يا انصار الله رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا فضربوه باسيافهم حتى قتلوه واخرج البيهقي عن عروة ان ابا بكر اعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم الزنيرة فذهب بصرها وكانت ممن يعذب في الله تعالى فتابى الا الاسلام فقال المشركون ما اصاب بصرها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها والزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة كسكينة كما في القاموس ثم اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة وذلك في رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذوو عدد ومنهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا احد عشر رجلا وقيل اثني عشر رجلا واربع نسوة وقيل وخمس نسوة وقيل وامرأتان واميرهم عثمان بن مظعون وانكر ذلك الزهري وقال لم يكن فيهم امير وخرجوا مشاة الى البحر فاستاجروا سفينة بنصف دينار وكان اول من خرج عثمان بن مظعون مع امراته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول الى انس قال ابطا على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رايتهما وقد حمل عثمان امراته على حمار فقال ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد لوط فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وامنهم ارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله ابن ابي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشي واسمه اصحمة وكان معه عمارة ابن الوليد ليردهم الى قومهم فابى ذلك وردهما خائبين بهديتهما واسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة ايام فيما قاله ابو نعيم بدعوته صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام بابي جهل او بعمر بن الخطاب وكان المسلمون اذ ذاك بضعة واربعين رجلا واحدى عشرة امرأة وكان سبب اسلامه فيما ذكره اسامة بن زيد عن ابيه عن جده عن عمر انه قال بلغني اسلام اختي فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني عنك انك صبوت ثم ضربتها فسال الدم فلما رأت الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت قال فدخلت وانا مغضب فاذا كتاب في ناحية البيت فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي قال ثم رجعت اليها فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه مني فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت في اسفل الصفا فدخلت واخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه فارسلوني فجلست بين يديه فاخذ بمجمع ثيابي فجبذني اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه فقلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول

الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة وكان الرجل اذا اسلم استخفى ثم خرجت
فذهبت الى رجل لم يكن يكتم السر فقلت له انى صبوت قال فرفع صوته باعلاه الا
ابن الخطاب قد صبا فما زال الناس يضربونى واضربهم فقال خالى ما هذا قالوا
ابن الخطاب فقام على الحجر واشار بكمه فقال الا انى قد اجرت ابن اختى قال فانكشف
الناس عنى قال فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله تعالى الاسلام قال ابن عباس
لما اسلم عمر قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر اهل السما باسلام
عمر رواه ابن ماجة ولما رات قريش عزة النبى صلى الله عليه وسلم بمن معه
واسلام عمر وعزة اصحابه بالحبشة وفشو الاسلام فى القبائل اجمعوا على ان يقتلوا
النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فادخلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن اراد قتله فاجابوه لذلك حتى
كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رات قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا
ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم
ولا يبيعوا اليهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا ابدا حتى يسلموا رسول
الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوه فى صحيفة بخط منصور بن عكرمة وقيل
بغيض بن عامر فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع
من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابى طالب فدخلوا معه فى شعبه الا ابا
لهب فكان مع قريش فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا وقال ابن سعد سنتين
حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شئ الا سرا وقدم نفر من مهاجرة الحبشة حين
قرا عليه الصلوة والسلام والنجم اذا هوى حتى بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى القى الشيطان فى امنيته اى فى تلاوته تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى فلما ختم السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المشركون
لتوهمهم انه ذكر آلهتهم بخير وفشى ذلك فى الناس واظهره الشيطان حتى بلغ ارض
الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون واصحابه وتحدثوا ان اهل مكة قد
اسلموا كلهم وصلوا معه صلى الله عليه وسلم وقد امن المسلمون بمكة فاقبلوا سراعا
من الحبشة والغرانيق فى الاصل الذكور من طير الما واحدها غرنوق وغرنيق سمى به
لبياضه وقيل هو الكركى والغرنوق ايضا الشاب الابيض الناعم وكانوا يزعمون
ان الاصنام تقربهم الى الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلو فى السما وترتفع
ولما تبين للمشركين عدم ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا عليه وقد تكلم القاضى عياض
فى الشفا على هذه القصة وتوهين اصلها بما يكفى ويشفى لكن نتعقب فى بعضه كما سياتى
ان شا الله تعالى وقال الامام فخر الدين الرازى مما لخصته من تفسيره هذه القصة
باطلة موضوعة لا يجوز القول بها قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى

يوحى

يوحى وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى وقال البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة
النقل ثم اخذ يتكلم فى ان رواة هذه القصة مطعونون وايضا فقد روى البخارى فى
صحيحه انه عليه الصلوة والسلام قرا سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون
والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس
فيها البتة حديث الغرانيق ولا شك ان من جوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر
لان من المعلوم بالضرورة ان اعظم سعيه كان فى نفى الاوثان ولو جوزنا ذلك ارتفع
الامان عن شرعه وجوزنا فى كل واحد من الاحكام والشرائع ان لا يكون كذلك ويبطل
قوله تعالى يايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته
فانه لا فرق فى العقل بين النقصان فى الوحى وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه عرفنا
على سبيل الاجمال ان هذه القصة موضوعة وقد قيل ان هذه القصة من وضع
الزنادقة لا اصل لها انتهى وليس كذلك بل لها اصل فقد خرجها ابن ابى حاتم والطبرى
وابن المنذر من طرق وكذا ابن مردويه والبزار وابن اسحاق فى السيرة وموسى بن عقبة
فى المغازى وابو معشر فى السيرة كما نبه عليه الحافظ عماد الدين ابن كثير وغيره لكن قال
ان طرقها كلها اما مرسلة وانه لم يرها مسندة من وجه صحيح وهذا متعقب بما سياتى
وكذا نبه على ثبوت اصلها شيخ الاسلام والحفاظ ابو الفضل العسقلانى فقال
اخرج ابن ابى حاتم والطبرى وابن المنذر من طرق عن شعبة عن ابى بشر عن سعيد بن جبير
قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم فلما بلغ افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت هذه الآية
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الآية
واخرجه البزار وابن مردويه من طريق امية بن خالد عن شعبة فقال فى اسناده
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما احسب ثم ساق الحديث وقال البزار لا يروى
متصلا الا بهذا الاسناد وتفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور قال وانما يروى هذا
من طريق الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس انتهى والكلبى متروك لا يعتمد عليه وكذا اخرجه
النحاس بسند آخر فيه الواقدى وذكرها ابن اسحاق فى السيرة مطولة واسندها عن محمد
ابن كعب وكذلك موسى بن عقبة فى المغازى عن ابن شهاب الزهرى وكذلك ابو معشر فى
السيرة له عن محمد بن كعب القرظى ومحمد بن قيس واورده من طريقه الطبرى واورده ابن ابى
حاتم من طريق اسباط عن السدى ورواه ابن مردويه من طريق عباد بن صهيب عن يحيى بن كثير
عن الكلبى عن ابى صالح وعن ابى بكر الهذلى وايوب عن عكرمة وسليمان التيمى عمن حدثه
ثلاثتهم عن ابن عباس واوردها الطبرى ايضا من طريق العوفى عن ابن عباس ومعناهم
كلهم فى ذلك واحد وكلها سوى طريق سعيد بن جبير اما ضعيف او منقطع لكن كثرة الطرق تدل

على ان للقصة اصلا مع ان لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح احدهما ما
اخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام فذكر نحوه والثاني ما اخرجه ايضا من طريق المعتمر بن سليمان وحماد
ابن سلمة فرقهما عن داود بن ابي هند عن ابي العالية قال الحافظ ابن حجر وقد تجرا
ابن العربي كعادته فقال ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا اصل لها وهذا اطلاق
مردود عليه وكذا قول القاضي عياض هذا الحديث لم يخرجه اهل الصحة ولا رواه ثقة
بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده وكذا قوله
ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب
واكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية قال وقد بين البزار انه لا يعرف من طريق يجوز
ذكره الا طريق ابي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في اصله واما الكلبي فلا
تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه ثم رده من طريق النظر بان ذلك لو وقع لارتد كثير ممن اسلم
قال ولم ينقل ذلك انتهى وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت
مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح وهي
مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمراسيل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض واذا
تقرر ذلك تعين تاويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله القى الشيطان على لسانه تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فان ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لانه يستحيل عليه
صلى الله عليه وسلم ان يزيد في القرآن عمدا ما ليس فيه وكذا سهوا اذا كان مغايرا لما جاء
به من التوحيد لمكان عصمته وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل جرى ذلك
على لسانه حين اصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك احكم الله آياته وهذا اخرجه
الطبري عن قتادة ورده القاضي عياض بانه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ذلك ولا ولاية
للشيطان عليه في النوم وقيل ان الشيطان الجاه الى ان قال ذلك بغير اختياره ورده
ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الآية فلو كان للشيطان
قوة على ذلك لما بقي لاحد قوة على طاعة وقيل ان المشركين كانوا اذا ذكروا آلهتهم وصفوها
بذلك فعلق ذلك بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا وقد رد ذلك
القاضي عياض فاجاد وقيل لعله قال ذلك توبيخا للكفار قال القاضي عياض وهذا
جائز اذا كانت هناك قرينة تدل على المراد ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في
الصلاة جائزا والى هذا نحا الباقلاني وقيل انه لما وصل الى قوله ومناة الثالثة
الاخرى خشي المشركون ان ياتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا الى ذلك الكلام
فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القول
والغوا فيه ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك او المراد بالشيطان شيطان
الانس وقيل المراد بالغرانيق العلى الملائكة وكان الملائكة يقولون الملائكة بنات الله

ويعبدونها فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله الكم الذكر وله الانثى فلما سمع المشركون حملوه
على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنا ورضوا بذلك فنسخ الله تينك الكلمتين واحكم آياته
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من
السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من
دنا اليه فظنها من قوله واشاعها قال وهذا احسن الوجوه ويؤيده ما ورد عن
ابن عباس من تفسير تمنى بتلا وكذا استحسن ابن العربي هذا التاويل فقال معنى قوله
في امنيته اي في تلاوته فاخبر تعالى في هذه الآية ان سنة الله في رسله اذا قالوا قولا
زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في ان الشيطان زاد في قول النبي صلى الله
عليه وسلم لا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله وقد سبق الى ذلك الطبري مع جلالة قدره
وسعة علمه وشدة ساعده في النظر وصوب هذا المعنى انتهى ثم هاجر المسلمون
الثانية الى ارض الحبشة وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم
وثماني عشرة امراة وكان فيهم عبيد الله بن جحش مع امراته ام حبيبة بنت ابي سفيان فتنصر
هناك ثم توفي على دين النصرانية وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت
ابي سفيان سنة سبع من الهجرة الى المدينة وهي بالحبشة كما سياتي ان شاء الله تعالى في
المقصد الثاني عند ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم وخرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه
مهاجرا حتى بلغ برك الغماد ورجع في جوار سيد القارة مالك بن الدغنة بفتح الدال
المهملة وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون وبضم الدال والغين وتشديد النون يعبد ربه
في داره وابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرا القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين
وابناؤهم ويعجبون منه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرا القرآن فافزع
ذلك اشراف قريش من المشركين وقالوا لابن الدغنة انا قد خشينا ان يفتن نساءنا
وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى الا ان يعلن
فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك فقال ابو بكر لابن الدغنة فاني
ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله تعالى الحديث رواه البخاري ثم قام رجال
في نقض الصحيفة فاطلع الله تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام على ان الارضة اكلت جميع
ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع الا اسم الله تعالى فقط فلما انزلت لتمزق وجدت
كما قال عليه الصلوة والسلام وذلك في السنة العاشرة ولما اتت عليه صلى
الله عليه وسلم تسع واربعون سنة وثمانية اشهر واحد عشر يوما مات عمه ابو طالب
وله سبع وثمانون سنة وقيل مات في النصف من شوال من السنة العاشرة وقال
ابن الجزار قبل هجرته عليه الصلوة والسلام بثلاث سنين وروي انه صلى الله عليه
وسلم كان يقول له عند موته يا عم قل لا اله الا الله كلمة استحل لك بها الشفاعة يوم
القيامة فلما راى ابو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ابن اخي والله لولا

مخافة قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا اقولها الا لاسرك بها فلما تقارب من ابي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن اخي والله لقد قال اخي الكلمة التي امرته بها فقال صلى الله عليه وسلم لم اسمع كذا في رواية ابن اسحاق انه اسلم عند الموت ورواه البيهقي في الدلائل بغير طريق يونس ابن بكير عن ابن اسحاق حدثنا العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض اهله عن ابن عباس فذكره وقال البيهقي انه منقطع واجيب عنه مع شذوذه ونكارته بان شهادة العباس لابي طالب لو اداها بعد ما اسلم كانت مقبولة ولم ترد بقوله عليه الصلوة والسلام لم اسمع لان الشاهد العدل اذا قال سمعت وقال من هو اعدل لم اسمع اخذ بقول من اثبت السماع ولكن العباس شهد بذلك قبل ان يسلم مع ان الصحيح من الحديث قد اثبت لابي طالب الوفاة على الشرك والكفر كما رويناه في صحيح البخاري من حديث سعيد ابن المسيب حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله عز وجل في ابي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء واجيب ايضا بان ابا طالب لو قال كلمة التوحيد ما نهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار له وفي الصحيح عن العباس انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال لعله ينفعه شفاعتي يوم القيمة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وفي رواية يونس عن ابن اسحاق زيادة فقال يغلي منها دماغه حتى يسيل على قدميه قال السهيلي من باب النظر في حكمة الله ومشاكلة الجزاء للعمل ان ابا طالب كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته متحزبا له الا انه كان مثبتا لقدميه على ملة عبد المطلب حتى قال عند الموت انا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على ملة آبائه ثبتنا الله على الصراط المستقيم وفي شرح التنقيح للعراقي الكفار اربعة اقسام فذكر منها من آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع كما حكي عن ابي طالب انه كان يقول اني لاعلم ان ما يقول ابن اخي لحق ولولا اني اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته وفي شعره يقول

لقد علموا ان ابننا لا مكذب ... يقينا ولا يعزى لقول الاباطل ه

فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير انه لم يذعن انتهى وحكي عن هشام بن السائب الكلبي او ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش فاوصاهم فقال يا معشر قريش انتم صفوة الله من خلقه الى ان قال واني اوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في

قريش

قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كاني انظر الى صعاليك العرب واهل الوبر والاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها اربابا واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واصفت له فؤادها واعطته قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك احد سبيله الا رشد ولا ياخذ احد بهديه الا سعد ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تاخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك فثم بعد ذلك بثلاثة ايام وقيل بخمسة في رمضان بعد البعث بعشر سنين على الصحيح ماتت خديجة رضي الله عنها وكان عليه الصلوة والسلام يسمي ذلك العام عام الحزن فيما ذكره جماعة وكانت مدة اقامتها معه عليه الصلوة والسلام خمسا وعشرين سنة على الصحيح ثم من بعد ايام من موت خديجة تزوج عليه الصلوة والسلام سودة بنت زمعة ثم خرج عليه الصلوة والسلام الى الطايف بعد موت خديجة بثلاثة اشهر في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما نال منه قريش بعد موت ابي طالب وكان معه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ه وعبد يا ليل بمثناة تحتية وبعدها الف ثم لام مكسورة ثم تحتية ساكنة ثم لام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام وكان ابن عبد يا ليل من اكابر اهل الطائف من ثقيف ه وقرن الثعالب هو ميقات اهل نجد ويقال له قرن المنازل وافاد ابن سعد ان مدة اقامته عليه الصلوة والسلام بالطائف كانت عشرة ايام ولما انصرف عليه الصلوة

والسلام عن اهل الطايف مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حايط لهما فلما
رايا ما لقي تحركت له رحمهما فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب فلما وضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في القطف قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه
ثم قال والله ان هذا الكلام ما تقوله اهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من اي
البلاد انت وما دينك قال نصراني من نينوى فقال عليه الصلوة والسلام من قرية الرجل
الصالح يونس بن متى فقال وما يدريك قال ذاك اخي وهو نبي مثلي فاكب عداس على
يديه وراسه ورجليه يقبلها واسلم رضي الله عنه ولما نزل نخلة وهو موضع على ليلة
من مكة صرف الله اليه سبعة من جن نصيبين مدينة بالشام وكان عليه الصلوة والسلام
قد قام في جوف الليل يصلي فاستمعوا له وهو يقرا سورة الجن وفي الصحيح ان الذي
اذنه صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سالوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم
الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم وفي هذا رد على من زعم
ان الجن لا تاكل ولا تشرب وذكر صاحب الروض من اسما السبعة الذين اتوه عليه
الصلوة والسلام عن ابن دريد منشى وناشي وشاصر وماصر والاحقب لم يرد على
تسمية هولاء قال ابن كثير وقد ذكر ابن اسحاق خروجه عليه الصلوة والسلام الى
اهل الطايف ودعاه اياهم وانه لما انصرف عنهم بات بنخلة فقرا تلك الليلة
من القران فاستمعه الجن من اهل نصيبين قال وهذا هو الصحيح لكن قوله ان الجن
كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فان الجن كان استماعهم في ابتداء الايحاء ويدل
له حديث ابن عباس عند احمد قال كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون
فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احدهم لا ياتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق
ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا من امر قد حدث فبعث جنوده
فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فاخبروه قال هذا الحدث الذي حدث
في الارض رواه النسائي وصححه الترمذي قال وخروجه عليه الصلوة والسلام
الى الطايف كان بعد موت عمه وروى ابن ابي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال
هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا القران ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا انصتوا
فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية فهذا مع رواية
ابن عباس يقتضي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة وانما
استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم وفوجا
بعد فوج انتهى وفي طريقه عليه الصلوة والسلام بالدعاء المشهور اللهم اليك اشكو ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين
الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني ام الى صديق قريب كلفته امري ان لم تكن غضبانا علي فلا

ابالي

ابالي غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح
عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بي غضبك او يحل بي سخطك لك العتبى حتى
ترضى ولا حول ولا قوة الا بك اورده ابن اسحاق ورواه الطبراني في كتاب الدعا
عن عبد الله بن جعفر قال لما توفي ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى
الطايف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم
اليك اشكو فذكره وقوله يتجهمني بتقديم الجيم على الهاء اي يلقاني بالغلظة والوجه
الكريه ثم دخل عليه الصلوة والسلام مكة في جوار المطعم بن عدي ولما كان
في ربيع الاول اسري بروحه وجسده يقظة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم عرج
به من المسجد الاقصى الى فوق سبع سموات وراى ربه بعيني راسه واوحى اليه ما اوحى
وفرض عليه الصلوات الخمس ثم انصرف في ليلته الى مكة فاخبر بذلك وصدقه الصديق
وكل من امن بالله وكذبه الكفار واستنعتوه مسجد بيت المقدس فمثله الله تعالى
له فجعل ينظر اليه ويصفه قال الزهري وكان ذلك بعد المبعث بخمس سنين
حكاه عنه القاضي عياض ورجحه القرطبي والنووي واحتج بانه لا خلاف ان خديجة
صلت معه بعد فرض الصلوة ولا خلاف انها توفيت قبل الهجرة اما بثلاث واما بخمس
ولا خلاف ان فرض الصلوة كان ليلة الاسرا وتعقب بان موت خديجة بعد المبعث
بعشر سنين على الصحيح في رمضان وذلك قبل ان تفرض الصلوة ويؤيده اطلاق حديث
عايشة ان خديجة ماتت قبل ان تفرض الصلوات الخمس ويلزم منه ان يكون موتها
قبل الاسرا وهو المعتمد واما تردده في سنة وفاتها فيرده جزم عايشة بانها ماتت
قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ ابن حجر وقيل قبل الهجرة بسنة قاله ابن حزم
وادعى فيه الاجماع وقيل قبل الهجرة بسنة وخمسة اشهر قاله السدي واخرجه من
طريقه الطبري والبيهقي فعلى هذا كان في شوال وقيل كان في رجب حكاه ابن عبد
البر وقبله ابن قتيبة وبه جزم النووي في الروضة وقيل كان قبل الهجرة بسنة وثلاثة
اشهر فعلى هذا يكون في ذي الحجة وبه جزم ابن فارس وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين
ذكره ابن الاثير وقال الحربي انه كان في سابع عشري ربيع الاخر وكذا قال النووي
في فتاويه لكن قال في شرح مسلم في ربيع الاول وقيل كانت ليلة السابع والعشرين
من رجب واختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي واما اليوم الذي يسفر
عن ليلتها فقيل الجمعة وقيل السبت وعن ابي جبير يكون ان شا الله تعالى يوم الاثنين
ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فان هذه اطوار الانتقالات وجودا ونبوة
ومعراجا وهجرة ووفاة وسياتي ان شاء الله تعالى قصة الاسرا والمعراج وما فيهما من المباحث
والله الموفق والمعين ولما اراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز موعده
له خرج صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه الانصار الاوس والخزرج فعرض

صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة
لقي رهطا من الخزرج اراد الله تعالى بهم خيرا فقال لهم من انتم قالوا نفر من الخزرج قال
افلا تجلسون اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم الاسلام
وتلى عليهم القرآن وكان من صنع الله ان اليهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا اهل كتاب
وكان الاوس والخزرج اكثر منهم فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا ان نبيا سيبعث الآن
قد اظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت فقال
بعضهم لبعض لا تسبقنا اليهود اليه فاجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا
منه ما عرض عليهم من الاسلام فاسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج وهم ابو امامة
اسعد بن زرارة وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفرا ورافع بن مالك بن
العجلاني وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن عبد الله بن
رئاب وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ومن اهل العلم بالسير من يجعل فيهم
عبادة بن الصامت ويسقط جابر بن رئاب فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون
ظهري حتى ابلغ رسالة ربي فقالوا يا رسول الله انما كانت بعاث عام الاول يوم من ايامنا
اقتتلنا به فان تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا
لعل الله يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله ان يجمعهم عليك فان
اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا احد اعز منك وموعدك الموسم العام القابل
وانصرفوا الى المدينة ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم **فلما** كان العام المقبل اتيه اثنا عشر رجلا وفي الاكليل احد عشر رجلا وهي العقبة
الثانية فيهم خمسة من الستة المذكورين وهم ابو امامة وعوف بن عفرا ورافع بن مالك
وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رئاب
لم يحضرها والسبعة تتمة الاثني عشر هم معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفرا
اخو عوف والمذكور وذكوان بن عبد قيس الزرقي وقيل انه رحل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى مكة فسكنها معه فهو مهاجري انصاري قتل يوم احد وعبادة بن الصامت
ابن قيس وابو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي والعباس بن عبادة بن نضلة وهؤلا
من الخزرج ومن الاوس رجلان ابو الهيثم بن التيهان من بني عبد الاشهل وعويم
ابن ساعدة فاسلموا وبايعوا على بيعة النساء اى وفق بيعتهم التي نزلت بعد ذلك عند
فتح مكة وهي ان لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا نأتي
ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه في معروف والسمع والطاعة في العسر
واليسر والمنشط والمكره واثرة علينا وان لا ننازع الامر اهله وان نقول الحق حيث كنا
لا نخاف في الله لومة لائم قال صلى الله عليه وسلم فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك
شيئا كان امره الى الله ان شا عذبه وان شا عفى عنه ولم يفرض يومئذ القتال **ثم** انصرفوا

الى المدينة

الى المدينة فاظهر الله الاسلام وكان اسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن اسلم وكتبت
الاوس والخزرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ابعث الينا من يقرئنا القرآن فبعث اليهم
مصعب بن عمير **وروى** الدارقطني عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كتب الى مصعب بن عمير ان يجمع بهم الحديث وكانوا اربعين رجلا فاسلم على يدي
مصعب بن عمير خلق كثير من الانصار واسلم في جماعتهم سعد بن معاذ واسيد
ابن حضير واسلم باسلامهم جميع بني عبد الاشهل في يوم واحد الرجال والنسا ولم يبق
احد منهم الا اسلم حاشى الاصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش فانه تاخر باسلامه الى
يوم احد فاسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واحدة واخبر صلى الله عليه وسلم انه
من اهل الجنة ولم يكن في عبد الاشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفا مخلصين
رضي الله عنهم **ثم قدم** على النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الثالثة في العام
المقبل في ذي الحجة اوسط ايام التشريق منهم سبعون رجلا وقال ابن سعد يزيدون
رجلا او رجلين وامرأتان وقال ابن اسحاق ثلاث وسبعون وامرأتان وقال
ابن اسحاق خمسة وسبعون نفسا فكان اول من ضرب على يده عليه السلام البرا بن معرور
ويقال ابو الهيثم ويقال اسعد بن زرارة على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساهم وابناهم وعلى حرب
الاحمر والاسود وكانت اول آية نزلت في الاذن بالقتال اذن للذين يقاتلون الآية
وفي الاكليل ان الله اشترى من المؤمنين الآية ونقب عليهم اثني عشر نقيبا **وفي** حديث
جابر عند احمد باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين
يتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها يقول من يؤويني من ينصرني حتى ابلغ رسالة
ربي وله الجنة حتى بعثنا الله له من يثرب فذكر الحديث وفيه وعلى ان تنصروني اذا
قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناكم ولكم الجنة
الحديث وحضر العباس العقبة تلك الليلة متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ومؤكدا على اهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه **قال** ابن اسحاق ولما تمت
بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانت سرا عن كفار قريش امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام
بمكة ينتظر ان يؤذن له في الخروج فكان اول من هاجر من مكة الى المدينة ابو سلمة
ابن عبد الاسد قبل بيعة العقبة بسنة قدم من الحبشة لمكة فآذاه اهلها وبلغه
اسلام من اسلم من الانصار فخرج اليهم ثم عامر بن ربيعة وامرأته ليلى ثم عبد الله بن جحش
ثم المسلمون ارسالا ثم عمر بن الخطاب واخوه زيد وعياش بن ربيعة في عشرين راكبا
فقدموا المدينة فنزلوا في العوالي ثم خرج عثمان بن عفان حتى لم يبق معه صلى الله عليه
وسلم الا علي بن ابي طالب وابو بكر كذا قال ابن اسحاق **قال** مغلطاي وفيه نظر
لما يأتي بعد وكان الصديق كثيرا ما يستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة

يمنعون تمامه

فيقول لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع ان يكون هو ثم اجتمع
قريش ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي في دار الندوة دار قصي بن كلاب وكانت
قريش لا تقضي امرا الا فيها يتشاورون فيما يصنعون في امره صلى الله عليه وسلم فاجتمع
رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك فان قيل لم تمثل الشيطان في صورة نجدي فالجواب
لانهم قالوا كما ذكره بعض اهل السير لا يدخلن معكم في المشاورة احد من اهل تهامة
لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل في صورة نجدي انتهى ثم اتى جبريل عليه السلام
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه
فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فامر صلى الله عليه وسلم
عليا فنام مكانه فغطي ببرد اخضر فكان اول من شرى نفسه وفي ذلك يقول

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى	ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف ان يمكروا به	فنجاه ذو الطول الاله من المكر

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اخذ الله على ابصارهم فلم يره احد منهم
ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فاغشيناهم
فهم لا يبصرون ثم انصرف صلى الله عليه وسلم حيث اراد فاتاهم آت ممن لم يكن معهم
فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليه السلام عليكم
ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على راسه ترابا وانطلق لحاجته اما ترون ما بكم فوضع كل
رجل يده على راسه فاذا عليه تراب وفي رواية ابن ابي حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن
عباس فما اصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفي هذه نزل قوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الآية ثم اذن الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اخرجه الترمذي
وصححه الحاكم فان قلت ما الحكمة في هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة واقامته
بها الى ان انتقل الى ربه عز وجل اجيب بان حكمة الله قد اقتضت انه صلى الله عليه
وسلم تتشرف به الاشياء لا انه يتشرف بها فلو بقي عليه السلام في مكة الى انتقاله الى ربه
لكان يتوهم انه قد تشرف بمكة اذ ان شرفها قد سبق بالخليل واسماعيل عليهما السلام
فاراد الله ان يظهر شرفه صلى الله عليه وسلم فامره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها
تشرفت به حتى وقع الاجماع على ان افضل البقاع الموضع الذي ضم اعضاءه الكريمة صلى
الله عليه وسلم وذكر الحاكم ان خروجه صلى الله عليه وسلم كان بعد بيعة العقبة
بثلاثة اشهر او قريبا منها وجزم ابن اسحاق بانه خرج اول يوم من ربيع الاول فعلى
هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما وكذا جزم الاموي في المغازي عن
ابن اسحاق فقال كان مخرجه من مكة بعد بيعة العقبة بشهرين وليال قال وخرج

لهلال

لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع قال في فتح الباري
وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه يوم الاثنين ودخوله
المدينة كان يوم الاثنين الا ان موسى بن محمد الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس
ويجمع بينهما بان خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين
لانه اقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج اثناء ليلة
الاثنين وكانت مدة اقامته بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة
ويدل عليه قول صرمة

ثوى في قريش بضع عشرة حجة	يذكر لو يلقى صديقا مواتيا

وقيل غير ذلك وامره جبريل ان يستصحب ابا بكر واخبر عليه السلام عليا بمخرجه
وامره ان يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس قال ابن شهاب
قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل
لابي بكر هذا رسول الله متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها قال ابو بكر فدى له ابي وامي
والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن
فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما
هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله قال السهيلي وذلك ان عائشة قد كان
ابوها انكحها منه عليه الصلوة والسلام قبل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انه قد اذن
لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة بابي انت وامي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم
نعم فقال ابو بكر فخذ بابي انت يا رسول الله احدى راحلتي قال له رسول الله بل بالثمن
فان قلت لم لم يقبلها الا بالثمن وقد انفق عليه ابو بكر من ماله ما هو اكثر من
هذا فقد اجيب بانه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه
صلى الله عليه وسلم في استكمال فضل الهجرة الى الله تعالى وان تكون على اتم الاحوال
انتهى قالت عائشة فجهزناهما احب الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت
اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين
قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار ثور جبل باسفل مكة وكان
من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت وفي
والله انك لاحب ارض الله الي وانك لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجوني
منك ما خرجت وهذا من اصح ما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة ولم يعلم بخروجه
صلى الله عليه وسلم الا علي وآل ابي بكر وروي انهما خرجا من خوخة لابي بكر في ظهر
بيته ليلا الى الغار ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة اعلاها
واسفلها وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور اثره هنالك فلم
يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا

بما أثرنا قد لمن رده **ولله در الشيخ شرف الدين** البوصيري حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بارض　　الفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه　　وقلوه ووده الغرباء
اخرجوه منها وآواه غار　　وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت　　ما كفته الحمامة الحصداء

يقال شجرة حصدا اي كثيرة الورق فكانه استعارة للحمامة لكثرة ريشها **وذكر قاسم** ابن ثابت في الدلائل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وابو بكر معه انبت الله على بابه الراءة قال قاسم وهي شجرة معروفة وهي ام غيلان فحجبت عن الغار اعين الكفار وعن ابي حنيفة يكون مثل قامة الانسان لها خيطان وزهر ابيض يحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن **وفي** مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما لك قال رايت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال آخر ادخلوا الغار فقال امية بن خلف وما اربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد **وقد روي** ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخلاه لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتامل كيف اظلت الشجرة المطلوب واضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها فحاكت سترا حتى عمي على القائف الطلب

والعنكبوت اجادت حوك حلتها　　فما تخال خلال النسج من خلل

ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك **وما احسن قول** ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا　　يجمل لبسه في كل شيء
فان العنكبوت اجل منه　　بما نسجت على راس النبي

وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله فجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار **وهذا يشير اليه** قول صاحب البردة

اقسمت بالقمر المنشق ان له　　من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم　　وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما　　وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على　　خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله اغنت عن مضاعفة　　من الدروع وعن عال من الاطم

اي عموا عما في الغار مع خلق الله تعالى ذلك فيهم لانهم ظنوا ان الحمام لا يحوم حوله صلى الله عليه وسلم وان العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت العادة به ان هذين الحيوانين متوحشان لا ياويان الغار معمورا فهما احسا بالانسان فرا منه وما علموا ان الله تعالى يسخر ما شاء من خلقه لمن يشاء من عباده وان وقاية الله عبده بما يشاء تغني عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالي من الاطم وهي الحصون **فلله در** الابوصيري من شاعر **وما احسن قوله** في قصيدته اللامية حيث قال

وما غير ناجين ضحى الغار وهو به　　كمثل قلبي معمور وما هو لي
كانما المصطفى فيه وصاحبه　　الصديق ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على　　وهن فيا حبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها　　وما مكايدهم الا الاضاليل
اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما　　كان ابصارهم من زيغها حول

وفي الصحيح عن انس قال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما **وروي** ان ابا بكر قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت انه صلى الله عليه وسلم لم يكن تعود الحفا والجفوة **وروي** ايضا ان ابا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه راى جحرا فيه فالقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت الحيات والافاعي يضربنه ويلسعنه فجعلت دموعه تتحدر **وفي رواية** فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجر ابي بكر ونام فلدغ ابو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر فقال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده رواه رزين **وروي** ايضا ان ابا بكر لما راى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر فانزل الله سكينته وهي امنة تسكن عندها القلوب على ابي بكر لانه كان منزعجا وايده يعني النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة ليحرسوه في الغار او ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته **انظر** لما راى الرسول حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوى قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا كانت تحفة ثاني اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لما وقى الرسول بماله ونفسه جوزي بمواراته معه في رمسه وقام مؤذن التشريف ينادي على منا

الابصار ثاني اثنين اذ هما في الغار ولقد احسن حسان حيث قال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد	طاف العدو به اذ صاعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا	من الخلائق لم يعدل به بدلا

وتامل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فموسى خص بشهود المعية ولم يتعد منه الى اتباعه ونبينا تعدى منه الى الصديق ولم يقل معي لانه امد ابا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة على ابي بكر والا لم يثبت تحت اعبا هذا التجلي والشهود واين معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام من معية الالهية في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم قاله العارف شمس الدين ابن اللبان واخرج ابو نعيم في الحلية عن عطاء بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم في الغار وكذا نسجت على الغار الذي دخل عبد الله بن انيس لما بعثه صلى الله عليه وسلم يقتل خالد بن نبيح الهذلي بالعرنة فقتله ثم حمل راسه ودخل في غار فنسجت عليه العنكبوت وجاء الطلب فلم يجدوا شيا فانصرفوا راجعين وفي تاريخ ابن عساكر ان العنكبوت نسجت ايضا على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب لما صلب عريانا في سنة احدى وعشرين ومائة وكان مكثه صلى الله عليه وسلم وابو بكر في الغار ثلاث ليال وقيل بضعة عشر يوما والاول هو المشهور وكان يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف اي ثابت المعرفة بما يحتاج اليه لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت معهم فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر عبد الله ابن ارقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذ بهم على طريق السواحل فمروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم وكان القوم مرملين مسنتين فطلبوا لبنا ولحما يشترونهما منها فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك فقال اتاذنين لي ان احلبها فقالت بابي انت وامي ان رايت بها حلبا فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط اي يشبع الجماعة

حتى

حتى يربضوا فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى علا بعد نهل ثم غادره عندها وذهبوا فقلما لبثت حتى جاء زوجها ابو معبد قال السهيلي لا يعرف اسمه وقال العسكري اسمه اكثم بن ابي الجون ويقال ابن الجون يسوق اعنزا عجافا يتساوكن هزلا مخهن قليل فلما راى ابو معبد اللبن عجب وقال ما هذا يا ام معبد انى لك هذا والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت فقالت لا والله انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا فقال صفيه يا ام معبد فقالت رايت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينيه دعج وفي اشفاره وطف وفي صوته صحل احور اكحل ازج اقرن شديد سواد الشعر في عنقه سطع وفي لحيته كثافة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البها وكان منطقه خرزات نظم يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر اجهر الناس واجمله من بعيد واحلاه واحسنه من قريب ربعة لا تشنوه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو انضر الثلاثة منظرا واحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به اذا قال استمعوا لقوله واذا امر تبادروا الى امره محفود محشود لا عابس ولا مفند فقال هذا والله صاحب قريش لو رايته لاتبعته قالت اسماء بنت ابي بكر ولما خفي علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا نفر من قريش منهم ابو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال اين ابوك فقلت والله لا ادري اين ابي قالت فرفع ابو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي قالت ثم انصرفوا ولما لم ندر اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين حلا خيمتي ام معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا	فافلح من امسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم	به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم	ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها	فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت	له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب	تردده في مصدر ثم مورد

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم وقوله مرملين اي نفدت ازوادهم ومسنتين اي مجدبين ويروى مشتين اي دخلوا في الشتاء وكسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها وسكون السين جانبها وتفاجت بتشديد الجيم فتحت ما بين رجليها ويربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة اي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض في المكان يربض اذا لصق به

واقام والنج السيلان ورقة وانية تحلب تجاجتى علاه الثمال بضم المثلثة الرغوة
واحدة ثمالة والبها اى بها اللبن وهو وبيض رغوته وتساوكن هزلا اى تمايلن
ويروى تشاركن من المشاركة اى تساوين فى الهزال وغادره بالغين المعجمة ابقاه
والشاء عازب بعيدة المرعى والابلج بالجيم المشرق الوجه المضيئه والحيال
بكسر الحاء المهملة جمع حائل وهى التى ليس بها حمل والوضاءة الحسن والثجلة بفتح
الثاء المهملة وسكون الجيم عظم البطن ويروى بالنون والحاء نحول ورقة والصعلة
صغر الراس وهى ايضا الرقة والنحول فى البدن والوسيم الحسن وكذلك القسيم
وفى عينيه دعج اى سواد والوطف قال فى القاموس محركة كثرة شعر الحاجبين
والعينين وفى صوته صحل بالتحريك هو كالبحة بضم الموحدة وان لا يكون حاد
الصوت والحور قال فى القاموس الحور بالتحريك ان يشتد بياض بياض العين
وسواد سوادها والكحل بفتحتين سواد فى اجفان العين خلقة والرجل اكحل
وكحيل والازج الرقيق طرف الحاجبين وفى القاموس والزجج محركة دقة الحاجبين
فى طول والاقرن المقرون الحاجبين وفى عنقه سطع بفتحتين اى ارتفاع وطول
وفى لحيته كثافة بمثلثتين الكثافة فى اللحية ان تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها
كثافة يقال رجل كث اللحية بالفتح وقوم كث بالضم واذا تكلم سما وعلاه البهاء
اى ارتفع وعلا على جلسائه وفصل بالصاد المهملة ولا نذر بسكون المعجمة ولا
هذر بفتحها اى بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل ولا تشنوه من طول كذا جاء
فى رواية اى لا يبغض لفرط طوله ويروى ولا يتشنى من طول ابدل من الهمزة ياء يقال
شنئته اشنؤه شنا وشنانا قاله ابن الاثير ولا يقتحمه عين من قصر اى لا تتجاوزه
الى غيره احتقارا له وكل شئ ازدريته فقد اقتحمته ومحفود اى مخدوم والمحشود
الذى عنده حشد وهو الجماعة ولا عابس من عبوس الوجه والمفند الذى يكثر اللوم
وهو التفنيد والضرع لحمة الضرع وغادرها اى خلف الشاة عندها مرتهنة بان
تدر واخرج ابن سعد وابو نعيم من طريق الواقدى حدثنى حزام بن هشام عن
ابيه عن ام معبد قالت بقيت الشاة التى لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمان
الرمادة زمان عمر بن الخطاب وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما فى الارض قليل ولا
كثير ثم تعرض لهما بقديد سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى فبكى ابو بكر
وقال يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت
قوائم فرسه وطلب الامان فقال اعلم ان قد دعوتما على فادعوا لى ولكما ان ارد الناس
عنكما ولا اضركما فالله قال فدعا لى فركبت فرسى حتى جئتهما قال ووقع فى نفسى حين لقيت
ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهما
الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى واجتاز صلى الله عليه وسلم فى وجهه
ذلك بعبيد بن عبد بن عمرو فكان من شانه ما رويناه من طريق البيهقى بسنده عن قيس بن النعمان

قال

قال فلما انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه
اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير ان ها هنا عناقا حملت اول وما بقى لها لبن وقد
امتحنت بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى انزلت وجاء ابو بكر بمجن
فحلب فسقى ابا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من انت
فوالله ما رايت مثلك فقال او تراك تكتم على حتى اخبرك قال نعم قال فانى محمد
رسول الله فقال انت الذى تزعم قريش انه صابى قال انهم ليقولون ذلك قال
فاشهد انك نبى وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبى وانا متبعك
قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فاتنا قال الحافظ
مغلطاى بعد ذكره لقصة ام معبد وفى الاكليل قصة اخرى شبيهة بقصة ام معبد
قال الحاكم فلا ادرى اهى هى ام غيرها ولما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى
يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم
اوفى رجل من يهود على اطم من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه يزول بهم السراب فلم يملك اليهودى نفسه فنادى باعلا صوته يا بنى
قيلة هذا جدكم اى حظكم ومطلوبكم قد اقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج
سراعا بسلاحهم فتلقوه فنزل بقباء على بنى عمرو بن عوف الحديث رواه البخارى وفيه
ان ابا بكر قام للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من
الانصار ممن لم ير رسول الله يحيى ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
ذلك وظاهر هذا انه عليه الصلوة والسلام كانت الشمس تصيبه وما تقدم من تظليل
الغمام والملك له كان قبل بعثته كما هو صريح فى موضعه قال موسى بن عقبة
عن ابن شهاب وكان قدومه عليه السلام لهلال ربيع الاول اى اول يوم منه وفى
رواية جرير بن حازم عن ابن اسحاق قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول ونحوه
عند ابى معشر لكن قال ليلة الاثنين وعن ابن سعد قدمها لاثنتى عشرة ليلة خلت
من ربيع الاول وفى شرف المصطفى من طريق ابى بكر بن حزم قدم لثلاث عشرة من ربيع
الاول وهذا يجمع بينه وبين الذى قبله بالحمل على الاختلاف فى رؤية الهلال وقيل
كان حين اشتد الضحى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة منه وبه جزم النووى فى كتاب
السير من الروضة وقال ابن الكلبى خرج من الغار يوم الاثنين اول يوم من ربيع الاول
ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة منه وقيل لليلتين منه وعند البيهقى لثنتين
وعشرين ليلة وقال ابن حزم خرج من مكة وقد بقى من صفر ثلاث ليال واقام
على بمكة بعد مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام ثم ادركه بقبا يوم الاثنين سابع

نخه مسعد

وقيل ثامن عشر ربيع **وكانت** مدة مقامه مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة او ليلتين
وامر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة وقيل ان عمر اول من ارخ وجعله
من الهجرة واقام صلى الله عليه وسلم بقبا في بني عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة
وفي صحيح مسلم اقام فيهم اربع عشرة ليلة ويقال انه اقام يوم الاثنين والثلاثا
والاربعا والخميس **واسس** مسجد قبا الذي اسس على التقوى على الصحيح وهو اول
مسجد بني في الاسلام واول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم باصحابه جماعة ظاهرا
واول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة وان كان تقدمه بنا غيره من المساجد لكن لخصوص
الذي بناه **ثم خرج** صلى الله عليه وسلم من قبا يوم الجمعة حين ارتفع النهار
فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة
في بطن وادي رانونا براء ممهملة ونونين ممدود كعاشورا وتاسوعا واسم المسجد الغبيب
بضم الغين المعجمة تصغير غبب كما ضبطه صاحب المغانم المطابة والوادي ذي صلب ولذا
سمي مسجد الجمعة وهو مسجد صغير مبني بحجارة قدر نصف القامة وهي على يمين السالك
الى مسجد قبا **وركب** صلى الله عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها للمدينة **وروى**
انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم اقبل الى المدينة وهو مردف ابا بكر وابو بكر
شيخ يعرف والنبي صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف قال فيلقى الرجل ابا بكر فيقول
يا ابا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك قال فيقول هذا الرجل يهديني السبيل
قال فيحسب الحاسب انه انما يعني الطريق وانما يعني سبيل الخير الحديث رواه البخاري
وقد روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر اله عني الناس
فكان اذا سئل من انت قال باغي حاجة فاذا قيل من هذا معك قال هذا يهديني
السبيل **وفي حديث** الطبراني من رواية اسما فكان ابو بكر رجلا معروفا في الناس
فاذا لقيه لاق يقول لابي بكر من هذا معك فيقول هذا يهديني السبيل يريد
الهداية في الدين ويحسبه الآخر دليلا وانما كان ابو بكر معروفا لاهل المدينة لانه
مر عليهم في سفره للتجارة وكان صلى الله عليه وسلم لم يشب وكان صلى الله عليه
وسلم اسن من ابي بكر **وفي حديث** انس لم يكن في الذين هاجروا اشمط غير ابي بكر
وكان صلى الله عليه وسلم كلما مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام عندهم
يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعني ناقته فانها مامورة
وقد ارخى زمامها وما يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا حتى اذا اتت دار مالك
ابن النجار بركت على باب المسجد وهو يومئذ مربد لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو
وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفرا ويقال اسعد بن زرارة وهو المرجح ثم ثارت
منه وبركت في مبركها وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب ابي ايوب
الانصاري ثم ثارت منه وبركت في مبركها الاول والقت جرانها بالارض يعني

باطن

باطن عنقها او مقدمه من المذبح وارزمت يعني صوتت من غير ان تفتح فاها ونزل
عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شا الله تعالى واحتمل ابو ايوب رحله
وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار اوسط دور الانصار وافضلها
وهم اخوال عبد المطلب جده عليه السلام **وفي حديث** لابي ايوب الانصاري عند يوسف
ابن يعقوب في كتاب الذكر والدعا لما نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم
المدينة فكنت في العلو فلما خلوت الى ام ايوب فقلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
احق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فما بت تلك الليلة لا انا ولا ام
ايوب فلما اصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة انا ولا ام ايوب قال لم يا ابا ايوب
قلت كنت احق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي لا والذي بعثك
بالحق لا اعلو سقيفة انت تحتها ابدا الحديث ورواه الحاكم ايضا **وقد ذكر**
ان هذا البيت الذي لابي ايوب بناه له عليه السلام تبع الاول لما مر بالمدينة وترك
بها اربعمائة عالم وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم ودفعه الى كبيرهم وسأله ان
يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم فتداول الدار الملاك الى ان صارت لابي ايوب وهو
من ولد ذلك العالم قال واهل المدينة الذين نصروه صلى الله عليه وسلم من ولد
اولئك العلما فعلى هذا انما نزل في منزل نفسه لا في منزل غيره كذا حكاه في تحقيق
النصرة **وفرح** اهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم واشرقت المدينة بحلوله
فيها وسرى السرور الى القلوب **قال** انس بن مالك لما كان اليوم الذي دخل
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضا منها كل شي وصعدت ذوات الخدور
على الاجاجير عند قدومه يقلن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ... وجب الشكر علينا ما دعى لله داع

قلت انشاد هذا الشعر عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة رواه
البيهقي في الدلائل وابو الحسن ابن المقرئ في كتاب الشمائل له عن ابن عائشة
وذكره الطبري في الرياض عن ابن الفضل ابن الجحي قال سمعت ابن عائشة يقول
اراه عن ابيه فذكره وقال خرجه الحلواني على شرط الشيخين انتهى وسميت ثنية
الوداع لانه صلى الله عليه وسلم ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة في بعض اسفاره
وقيل لانه عليه السلام شيع اليها بعض سراياه فودعه عندها وقيل لان المسافر
من المدينة كان يشيع اليها ويودع عندها قديما وصحح القاضي عياض هذا الاخير واستشهد
عليه بقول نسا الانصار حين مقدمه صلى الله عليه وسلم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
فدل على انه اسم قديم **وقال** ابن بطال انما سميت ثنية الوداع لانهم كانوا يشيعون
الحاج والغزاة اليها ويودعونهم عندها واليها كانوا يخرجون عند التلقي انتهى
قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي وهذا كله مردود ففي صحيح البخاري وسنن ابي داود

والترمذي عن السايب بن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك
خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع قال وهذا صريح فانها من جهة الشام ولهذا لما
نقل والدي رحمه الله في شرح الترمذي كلام ابن بطال قال انه وهم قال وكلام ابن عايشة
معضل لا تقوم به حجة انتهى وسبقه الى ذلك ابن القيم في الهدي النبوي فقال هذا
وهم من بعض الرواة لان ثنية الوداع انما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة
ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام وانما وقع ذلك عند قدومه من تبوك انتهى لكن قال
ابن العراقي ايضا ويحتمل ان تكون الثنية التي من كل جهة يصل اليها المشيعون يسمونها
ثنية الوداع انتهى **وفي** شرف المصطفى واخرج البيهقي عن انس لما نزلت الناقة على باب
ابي ايوب خرج جوار من بني النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار من بني النجار   يا حبذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم اتحببنني قلن نعم يا رسول الله وفي رواية الطبراني في الصغير
فقال صلى الله عليه وسلم الله يعلم ان قلبي يحبكم وقال الطبري وتفرق الغلمان والخدم
في الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله ووعك ابو بكر وبلال فكان ابو بكر اذا اخذته
الحمى يقول

كل امرئ مصبح في اهله   والموت ادنى من شراك نعله

وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة   بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة   وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوباء قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا
في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت يعني عايشة وقدمنا
المدينة وهي اوبا ارض الله فكان بطحان يجري نجلا تعني ماء آجنا وقال عمر اللهم ارزقني شهادة
في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك رواه البخاري وقوله يرفع عقيرته اي صوته
لان العقيرة الساق كان الذي قطعت رجله رفعها وصاح ثم قيل لكل من صاح ذلك
حكاه الجوهري وشامة وطفيل عينان بقرب مكة والمراد بالوادي وادي مكة وجليل
نبت ضعيف واقام صلى الله عليه وسلم عند ابي ايوب سبعة اشهر وقيل الى صفر من السنة
الثانية وقال الدولابي شهرا وكان يصلي حيث ادركته الصلوة **ولما اراد** صلى
الله عليه وسلم بنا المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحايطكم قالوا لا نطلب ثمنه الا
الى الله تعالى فابى ذلك وابتاعها بعشرة دنانير اداها من مال ابي بكر رضي الله عنه وكان
قد خرج من مكة بماله كله قال انس وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فامر
بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت ثم امر باتخاذ اللبن فاتخذ وبني المسجد
وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وعمل فيه المسلمون وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين

لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام للناس اجر ولك اجران
وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية وروينا انه صلى الله عليه
وسلم كان ينقل معهم اللبن في بنائه ويقول وهو ينقل

هذا الحمال لا حمال خيبر   هذا ابر ربنا واطهر
اللهم ان الاجر اجر الآخره   فارحم الانصار والمهاجره

قال ابن شهاب ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا
انتهى وقد قيل ان الممتنع عليه انشاء الشعر لا انشاده ولا دليل على منع انشاده متمثلا
وقوله هذا الحمال بكسر الحاء المهملة وتخفيف الميم اي المحمول من اللبن ابر عند الله من حمال
خيبر اي التي يحمل منها من التمر والزبيب ونحو ذلك وفي رواية المستملي بالجيم انتهى وفي
كتاب تحقيق النصرة قيل ووضع عليه السلام رداءه فوضع الناس وهم يقولون

لئن قعدنا والنبي يعمل   ذاك اذا للعمل المضلل

وآخرون يقولون

لا يستوي من يعمر المساجدا   يداب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

وجعلت قبلة المسجد للقدس وجعل له ثلاثة ابواب باب في مؤخره وباب يقال
له باب الرحمة والباب الذي يدخل منه وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع
وفي الجانبين مثل ذلك او دونه وجعل اساسه قريبا من ثلاثة اذرع وبنى بيوتا
الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد فلما فرغ من البناء بنى لعائشة في البيت
الذي يليه شارعا الى المسجد وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه الى الباب
الذي يلي آل عثمان ثم تحول عليه السلام من دار ابي ايوب الى مساكنه التي بناها وكان
قد ارسل زيد بن حارثة وابا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وام كلثوم وسودة
بنت زمعة واسامة بن زيد وام ايمن وخرج عبد الله بن ابي بكر بعيال ابيه وكان في
المسجد موضع مظلل تاوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون اهل الصفة
وكان صلى الله عليه وسلم يدعوهم بالليل فيفرقهم على اصحابه وتتعشى طائفة منهم
معه عليه السلام **وفي** البخاري من حديث ابي هريرة لقد رايت سبعين من اصحاب
الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ
نصف الساق ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته وهذا يشعر
بانهم كانوا اكثر من سبعين وهولاء الذين رآهم ابو هريرة غير السبعين الذين بعثهم في
غزوة بير معونة وكانوا من اهل الصفة ايضا لكنهم استشهدوا قبل اسلام ابي هريرة **وقد**
اعتنى بجمع اصحاب الصفة ابن الاعرابي والسلمي والحاكم وابو نعيم وعند كل منهم ما ليس
عند الآخر وفيما ذكروه اعتراض ومناقشة قاله في فتح الباري وكان صلى الله عليه وسلم
يخطب يوم الجمعة الى جذع في المسجد قائما فقال ان القيام قد شق علي فصنع له المنبر وكان
عمله وحنين الجذع في السنة الثامنة بالميم من الهجرة وبه جزم ابن النجار وعوض بما في حديث

الافك في الصحيحين قالت عائشة فثار الحيان الاوس والخزرج حتى كادوا ان يقتتلوا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وجزم ابن سعد بان عمل المنبر
كان في السنة السابعة وعورض بذكر العباس وتميم فيه وكان قدوم العباس بعد الفتح
في آخر سنة ثمان وقدوم تميم سنة تسع وعن بعض اهل السير انه عليه السلام كان يخطب
على منبر من طين قبل ان يتخذ المنبر الذي من خشب وعورض بان الاحاديث الصحيحة
انه كان يستند الى الجذع اذا خطب وستاتي قصة حنين الجذع ان شاء الله تعالى في
مقصد المعجزات ولما كان بعد قدومه بخمسة اشهر آخى عليه السلام بين المهاجرين والانصار
وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة واربعون على الحق والمواساة والتوارث وكانوا
كذلك الى ان نزل بعد بدر واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الآية وبنى بعائشة
على راس تسعة اشهر وقيل ثمانية وقيل ثمانية عشر شهرا في شوال وكان الناس كما في
السير وغيرها انما يجتمعون الى الصلاة لتحين مواقيتها من غير دعوة وقيل كان في السنة
الثانية واخرج ابن سعد في الطبقات من مراسيل سعيد بن المسيب ان بلالا كان ينادي
للصلاة بقوله الصلاة جامعة الحديث وشاور صلى الله عليه وسلم اصحابه فيما يجمعهم به
للصلاة وكان ذلك فيما قيل في السنة الثانية فقال بعضهم ناقوس كناقوس النصارى
وقال آخرون بوق كبوق اليهود وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس
اقبلوا الى الصلاة فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه في منامه رجلا فعلمه
الاذان والاقامة فلما اصبح اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما رأى وفي رواية
معاذ بن جبل عند الامام احمد قال يا رسول الله اني رأيت فيما يرى النائم ولو قلت اني لم
اكن نائما لصدقت رأيت شخصا عليه ثوبان اخضران فاستقبل القبلة فقال الله اكبر
الله اكبر مثنى مثنى حتى فرغ من الاذان الحديث فقال صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ان
شاء الله قم مع بلال فالق عليه ما رأيت فليؤذن به فانه اندى صوتا منك قال فقمت مع
بلال فجعلت القيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته
فخرج يجر رداءه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى ووقع
في الاوسط للطبراني ان ابا بكر ايضا رأى الاذان وفي الوسيط للغزالي انه رآه
بضعة عشر رجلا وعبارة الجيلي في شرح التنبيه اربعة عشر وانكره ابن الصلاح ثم النووي
وفي سيرة مغلطاي انه رآه سبعة من الانصار قال الحافظ ابو الفضل بن حجر رحمه
الله ولا يثبت شيء من ذلك الا لعبد الله بن زيد وقصة عمر جاءت في بعض الطرق انتهى
قال السهيلي فان قلت ما الحكمة التي خصت الاذان بان يراه رجل من المسلمين
في نومه ولم يكن عن وحي من الله لنبيه كسائر العبادات والاحكام الشرعية وفي قوله صلى
الله عليه وسلم له انها لرؤيا حق ثم بنى حكم الاذان عليها وهل كان ذلك عن وحي من الله
له ام لا واجاب بانه صلى الله عليه وسلم قد اريه ليلة الاسراء فروى البزار

عن علي قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال
لها البراق فركبها حتى اتى بها الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من
الحجاب فقال يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا
الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء
الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وذكر بقية الاذان قال السهيلي وهذا اقوى
من الوحي فلما تأخر فرض الاذان الى المدينة واراد اعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي
حتى رأى عبد الله الرؤيا فوافقت ما رأى صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها لرؤيا حق
ان شاء الله وعلم حينئذ ان مراد الله بما رآه في السماء ان يكون سنة في الارض وقوي
ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للانصاري انتهى وتعقب بان حديث البزار
في اسناده زياد بن المنذر ابو الجارود وهو متروك وقال في فتح الباري وقد استشكل
اثبات حكم الاذان برؤيا عبد الله بن زيد فان رؤيا غير الانبياء لا ينبني عليها حكم شرعي
واجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك ويؤيده ما رواه عبد الرزاق وابو داود
في المراسيل من طريق عبيد بن عمير الليثي احد كبار التابعين ان عمر لما رأى الاذان جاء
ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الوحي قد ورد بذلك فما راعه الا اذان بلال فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بذلك الوحي وهذا اصح مما حكى الداودي ان جبريل
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان قبل ان يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية ايام
وقد عرفت رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن اسحاق وغيره وذلك انه قال طاف
بي وانا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع الناقوس قال وما تصنع
به قلت ندعو به للصلاة قال افلا ادلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى قال تقول
الله اكبر الله اكبر وذكر بقية كلمات الاذان قال ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال اذا قمت
الى الصلاة فقل الله اكبر الله اكبر الى آخر كلمات الاقامة وروى ابو داود باسناد
صحيح ولم نعرف كيفية رؤيا عمر حين رأى النداء وقد قال رأيت مثل الذي رأى وفي
مسند الحارث اول من اذن بالصلاة جبريل اذن في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال
فسبق عمر بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بها فقال عليه السلام لبلال سبقك
بها عمر وظاهره ان عمر سمع ذلك في اليقظة وقد وردت احاديث تدل على ان الاذان
شرع بمكة قبل الهجرة منها للطبراني من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال لما اسري
بالنبي صلى الله عليه وسلم اوحى الله اليه الاذان فنزل به وعلمه بلالا وفي اسناده طلحة
ابن زيد وهو متروك ومنها للدارقطني في الافراد من حديث انس ان جبريل امر النبي
صلى الله عليه وسلم بالاذان حين فرضت الصلاة واسناده ضعيف ومنها حديث البزار عن
علي المتقدم قال في فتح الباري والحق انه لا يصح شيء من هذه الاحاديث وقد جزم ابن المنذر
بانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى ان هاجر الى المدينة

الى ان وقع التشاور في ذلك والله اعلم فان قلت هل اذن صلى الله عليه وسلم بنفسه قط اجاب السهيلي بانه روى الترمذي من طريق يدور على عمر بن الرماح قاضي بلخ يرفعه الى ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم اذن في سفر وصلى وهم على رواحلهم الحديث قال فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى انه صلى الله عليه وسلم اذن بنفسه انتهى وليس هذا من حديث ابي هريرة انما هو من حديث يعلى بن مرة وكذا جزم النووي بانه عليه الصلوة والسلام اذن مرة في السفر وعزاه للترمذي وقواه لكن روى الحديث الدارقطني وقال فيه امر بلالا ولم يقل اذن قال السهيلي والمفصل يقضي على المجمل المحتمل وفي مسند احمد من الوجه الذي اخرج منه الترمذي هذا الحديث فامر بلالا فاذن قال في فتح الباري فعرف ان في رواية الترمذي اختصارا وان قوله اذن امر كما يقال اعطى الخليفة فلانا الفا وانما باشر العطاء غيره ونسب للخليفة لكونه آمرا انتهى نعم ثبت في صحيح مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف عبد الرحمن بن عوف ولفظه عن المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك فتبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الغائط فحملت معه اداوة قبل صلوة الفجر الحديث الى ان قال فاقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى لهم فادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى الركعتين وصلى مع الناس الركعة الاخيرة فلما سلم عبد الرحمن بن عوف قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم صلاته فافزع ذلك المسلمين فاكثروا التسبيح فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته اقبل عليهم ثم قال احسنتم او قال اصبتم يغبطهم ان صلوا الصلوة لوقتها ورواه ابو داود في السنن بنحوه ولفظه ووجدنا عبد الرحمن وقد ركع لهم ركعة من صلوة الفجر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصف مع المسلمين فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية ثم سلم عبد الرحمن فقام النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته الحديث قال النووي فيه جواز اقتداء الفاضل بالمفضول وجواز اقتداء النبي صلى الله عليه وسلم خلف بعض امته قال واما بقاء عبد الرحمن في صلاته وتأخر ابي بكر ليتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فالفرق بينهما ان عبد الرحمن كان قد ركع ركعة فترك النبي صلى الله عليه وسلم التقدم لئلا يختل ترتيب صلوة القوم بخلاف صلوة ابي بكر نعم في السيرة الشامية ان ابا بكر كان الامام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتم به لكنه كما قال السهيلي حديث مرسل في السيرة قال والمعروف في الصحاح ان ابا بكر كان يصلي بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلوة ابي بكر لكن قد روي عن انس من طريق متصل ان ابا بكر كان الامام يومئذ واختلف فيه عن عائشة رضي الله عنها انتهى وفي الترمذي مصححا من حديث انس آخر صلوة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد متوشحا به خلف ابي بكر قال ابن الملقن وقد نص هذا القول غير واحد من الحفاظ منهم الضياء وابن ناصر وقال صح وثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف ابي بكر مقتديا به في مرضه الذي مات فيه ثلاث مرات

ولا ينكر

ولا ينكر هذا الا جاهل لا علم له بالرواية وقد قيل انه كان مرتين جمعا بين الاحاديث وبه جزم ابن حبان وروى الدارقطني من طريق المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مات نبي حتى يؤمه رجل من امته ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه الصلوة والسلام لاثنتي عشرة خلت من ربيع الآخر قال الدولابي يوم الثلاثاء وقال السهيلي بعد الهجرة بعام او نحوه زيد في صلوة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلوة الفجر لطول القراءة فيها وصلوة المغرب لانها وتر النهار واقرت صلوة السفر وفي البخاري عن عائشة فرضت الصلوة ركعتين ركعتين ثم هاجر عليه الصلوة والسلام الى المدينة ففرضت اربعا وتركت صلوة السفر على الفريضة الاولى وقيل انها فرضت اربعا ثم خفف عن المسافر ويدل له حديث ان الله وضع عن المسافر شطر الصلوة وقيل انما فرضت في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وهو قول ابن عباس قال رضي الله عنه فرض الله تعالى على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم وغيره وسيأتي مزيد بحث لذلك ان شاء الله تعالى في اول الصلوة من مقصد عباداته عليه الصلوة والسلام قال ابن اسحاق وغيره ونصبت احبار يهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا وعداوة وسحره لبيد بن الاعصم وهو من يهود بني زريق فكان يخيل اليه انه يفعل الفعل وهو لا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاطة ودفنه في بئر ذي اروان واكثر اهل الحديث يقول ذروان تحت راعوفة البئر كما ثبت في الصحيح وليس هذا بقادح في النبوة فان الانبياء يبتلون في ابدانهم بالجراحات والسموم والقتل وغير ذلك مما جوزه العلماء عليهم وانضاف الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا انهم قهروا بظهور الاسلام فاتخذوه جنة من القتل ونافقوا في السر منهم عبد الله بن ابي ابن سلول وكان رأس المنافقين وهو الذي قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل كما سيأتي ان شاء الله تعالى في غزوة بني المصطلق واذن الله تعالى لرسوله عليه الصلوة والسلام بالقتال قال الزهري واول آية نزلت في الاذن بالقتال اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير اخرجه النسائي باسناد صحيح قال في البحر والماذون فيه في الآية محذوف اي في القتال لدلالة يقاتلون عليه وعلل الاذن بانهم ظلموا كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجر فاذن له بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية انتهى وقال غيره وانما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت اللائق به لانهم لما كانوا بمكة كان المشركون اكثر عددا فلو امر المسلمين وهم قليل بقتال الباقين لشق عليهم فلما بغى المشركون واخرجوه عليه الصلوة والسلام من بين اظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه الصلوة والسلام بالمدينة واجتمع عليه اصحابه وقاموا بنصره وصارت المدينة لهم دار اسلام ومعقلا

يلجأون اليه شرع الله تعالى الجهاد للاعداء فبعث صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا
وغزا وقاتل هو واصحابه حتى دخل الناس في دين الله افواجا افواجا وكان عدد
مغازيه عليه الصلوة والسلام التي خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين قاتل في تسع
منها بنفسه بدر واحد والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين
والطائف وهذا على قول من قال فتحت مكة عنوة وكانت سراياه التي بعث فيها
سبعا واربعين سرية وقيل انه قاتل في بني النضير وافاد في فتح الباري ان السرية بفتح
المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية هي التي تخرج بالليل والسارية التي تخرج بالنهار
قال وقيل سميت بذلك يعني السرية لانها يخفى ذهابها وهذا يقتضي انها اخذت من السر
ولا يصح لاختلاف المادة وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود اليه وهي من مائة الى خمسمائة
فما زاد على خمسمائة يقال له منسر بالنون ثم المهملة فان زاد على الثمانمائة سمي جيشا فان زاد
على اربعة آلاف سمي جحفلا والخميس الجيش العظيم وما افترق من السرية يسمى بعثا والكتيبة
ما اجتمع ولم ينتشر انتهى ملخصا وكان اول بعوثه صلى الله عليه وسلم على راس سبعة اشهر
في شهر رمضان وقيل في ربيع الاول سنة اثنين بعث عمه حمزة وامره على ثلاثين رجلا
من المهاجرين وقيل من الانصار وفيه نظر لانه لم يبعث احدا من الانصار حتى غزا بهم
بدرا لانهم شرطوا له ان يمنعوه في دارهم فخرجوا يعترضون عير القريش فيها ابو جهل
اللعين فلقيه في ثلاثمائة راكب فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص فلما تصافوا حجز بينهم
مجدي بن عمرو الجهني وكان عليه الصلوة والسلام قد عقد له لواء ابيض واللواء هو العلم
الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله امير الجيش وقد يدفعه لمقدم
العسكر وقد صرح جماعة من اهل اللغة بترادف اللواء والراية لكن روى احمد والترمذي
عن ابن عباس كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه ابيض ومثله عند
الطبراني عن بريدة وعند ابن عدي عن ابي هريرة وزاد مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر في التغاير فلعل التفرقة بينهما عرفية وذكر ابن اسحاق
وكذا ابو الاسود عن عروة ان اول ما حدثت الرايات يوم خيبر وما كانوا يعرفون
قبل ذلك الا الالوية ثم سرية عبيدة بن الحارث الى بطن رابغ في شوال
على راس ثمانية اشهر في ستين رجلا وعقد له لواء ابيض حمله مسطح بن اثاثة فلقي ابا سفيان
ابن حرب وكان على المشركين وقيل مكرز بن حفص وقيل عكرمة ابن ابي جهل في مائتين ولم
يكن بينهم قتال الا ان سعد بن ابي وقاص رمى بسهم فكان اول سهم رمي في الاسلام
قال ابن اسحاق فكانت راية عبيدة فيما بلغنا اول راية عقدت في الاسلام وبعض الناس
يقول راية حمزة قال وانما اشكل امرها لانه عليه الصلوة والسلام بعثهما معا فاشتبه
ذلك على الناس انتهى وهذا يشكل بقولهم ان بعث حمزة كان على راس سبعة اشهر لكن يحتمل
ان يكون صلى الله عليه وسلم عقد رايتهما معا ثم تاخر خروج عبيدة الى راس الثمانية

لامر

لامر اقتضاه والله اعلم ثم سرية سعد ابن ابي وقاص الى الخرار بخاء معجمة
وراءين بينهما الف وهو واد بالحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في القعدة على راس تسعة
اشهر وعقد له لواء ابيض حمله المقداد بن عمرو في عشرين رجلا يعترض عير قريش فخرجوا
على اقدامهم فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالامس ثم غزوة
ودان وهي الابواء وهي اول مغازيه ذكره ابن اسحاق وفي البخاري عنه اولها الابواء
خرج صلى الله عليه وسلم في صفر على راس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد قريشا في
ستين رجلا وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب فكانت الموادعة اي المصالحة على ان بني ضمرة
لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عدوا واستعمل على المدينة سعد بن عبادة
وليس فيما وقع في سيرة ابن اسحاق وبين ما نقله عنه البخاري اختلاف لان الابواء
وودان مكانان متقاربان بينهما ستة اميال او ثمانية ثم غزوة بواط بفتح
الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو وآخره مهملة وهي الثانية غزاها صلى الله عليه وسلم
في شهر ربيع الاول على راس ثلاثة عشر من الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوى بفتح الراء
وسكون المعجمة مقصورا في مائتين من اصحابه يعترض عير القريش فيهم امية بن خلف
الجمحي واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون فرجع ولم يلق كيدا اي حربا قال
ابن الاثير والكيد الاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا ثم غزوة العشيرة
بالشين المعجمة والتصغير آخره هاء لم يختلف اهل المغازي في ذلك وفي البخاري العشير
او العسيرة بالتصغير والاولى بالمعجمة بلا هاء والثانية بالمهملة وبالهاء واما غزوة العسرة
بالمهملة بغير تصغير فهي غزوة تبوك وستاتي ان شاء الله تعالى ونسبت هذه الى المكان
الذي وصلوا اليه وهو موضع لبني مدلج بينبع وخرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى
وقيل الآخرة على راس ستة عشر شهرا من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل مائتي رجل ومعهم
ثلاثون بعيرا يعتقبونها وحمل اللواء وكان ابيض حمزة يريد عير قريش التي صدرت من مكة
الى الشام بالتجارة فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت ووادع بني مدلج من كنانة
وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غير ابن اسحاق بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد
رسول الله لبني ضمرة فانهم آمنون على اموالهم وانفسهم وان لهم النصر على من دهمهم الا ان
يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة وان النبي اذا دعاهم لنصر اجابوه عليهم بذلك
ذمة الله وذمة رسوله قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد ثم
غزوة بدر الاولى قال ابن اسحاق ولما رجع عليه الصلوة والسلام اي من غزوة
العشيرة بعشرة ايام حتى اغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم
في طلبه حتى بلغ سفوان بفتح المهملة والفاء موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر وتسمى
بدر الاولى قال ابن هشام واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ثم سرية امير المؤمنين عبد الله بن جحش في رجب على

رأس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية وقيل اثنى عشر رجلا من المهاجرين الى نخلة على ليلة
من مكة في رجب يترصد قريشا فمرت بهم عيرهم تحمل زبيبا وادما من الطايف فيها عمرو بن
الحضرمي فتشاور المسلمون وقالوا نحن في آخر يوم من رجب فان قاتلناهم هتكنا حرمة
الشهر وان تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة فاجمعوا على قتلهم فقتلوا عمرا واستاسروا عثمان
ابن عبد الله والحكم بن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت اول غنيمة في
الاسلام فقسمها عبد الله بن جحش وعزل الخمس في ذلك قبل ان يفرض وقيل بل قدم
بالغنيمة كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام فاخر الاسيرين
والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنايمها وتكلمت قريش ان محمدا سفك الدماء
واخذ المال في الشهر الحرام فانزل الله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية وفي
ذلك يقول عبد الله بن جحش

تعدون قتلا في الحرام عظيمة	واعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد	وكفر به والله راء وشاهد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا	بنخلة لما اوقد الحرب واقد

وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء الاسيرين وهما عثمان
ابن عبد الله والحكم بن كيسان ففاداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما الحكم فاسلم
وحسن اسلامه واقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بير معونة شهيدا
واما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا **ثم حولت القبلة** الى الكعبة وكان
صلى الله عليه وسلم يصلي الى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر وقيل سبعة عشر وقيل ثمانية
عشر شهرا وقال الحربي قدم صلى الله عليه وسلم المدينة في ربيع الاول فصلى الى بيت
المقدس تمام السنة وصلى من سنة اثنتين ستة اشهر ثم حولت القبلة وقيل كان تحويلها
في جمادى وقيل كان يوم الثلاثا في نصف شعبان وقيل يوم الاثنين نصف رجب وظاهر
حديث البرا في البخاري انها كانت صلوة العصر ووقع عند النسائي من رواية ابي سعيد بن العلا
انها الظهر واما اهل قبا فلم يبلغهم الخبر الى صلوة الفجر من اليوم الثاني كما في الصحيحين عن
ابن عمر انه قال بينما الناس بقبا في صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى
الكعبة وفي هذا دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله لانهم
لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشا والله اعلم **وروى** الطبري عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود اكثر اهلها يستقبلون
بيت المقدس امره الله تعالى ان يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر
شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب ان يستقبل قبلة ابرهيم فكان يدعو وينظر الى السما
فنزلت الآية قال في فتح الباري وظاهر حديث ابن عباس هذا ان استقبال بيت المقدس

انما وقع بعد الهجرة الى المدينة لكن اخرج احمد من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما كان صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه قال
والجمع بينهما ممكن بان يكون امره لما هاجر ان يستمر على الصلوة لبيت المقدس واخرج
الطبري ايضا من طريق ابن جريج قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم اول ما صلى الى الكعبة
ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى اليه بعد قدومه المدينة
ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة وقوله في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
الاول امره الله تعالى يرد قول من قال انه صلى الى بيت المقدس باجتهاد وعن ابي العالية
انه صلى الى بيت المقدس يتالف اهل الكتاب وهذا لا ينفي ان يكون بتوقيف واختلفوا
في المسجد الذي كان يصلي فيه فعند ابن سعد في الطبقات انه صلى ركعتين من الظهر
في مسجده بالمسلمين ثم امر ان يتوجه الى المسجد الحرام فاستدار اليه ودار معه المسلمون
ويقال انه صلى الله عليه وسلم زار ام بشر البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما
وكانت الظهر فصلى عليه الصلوة والسلام لاصحابه ركعتين ثم امر فاستدار الى الكعبة
واستقبل الميزاب فسمي مسجد القبلتين قال ابن سعد قال الواقدي هذا عندنا اثبت
ولما حول الله تعالى القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار واليهود
ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي ما لهؤلاء
تارة يستقبلون كذا وتارة كذا فانزل الله جوابهم في قوله قل لله المشرق والمغرب فاينما
تولوا فثم وجه الله اي الحكم والتصرف والامر كله لله فحيثما وجهنا توجهنا فالطاعة
في امتثال امره ولو وجهنا كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصريفه
وخدامه حيثما وجهنا توجهنا ولله تعالى بنبينا عليه الصلوة والسلام وبامته عناية
عظيمة اذ هداهم الى قبلة خليله قال عليه الصلوة والسلام فيما رواه احمد من حديث
عائشة رضي الله عنها ان اليهود لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا
الله اليها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله اليها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام
آمين وقال بعض المومنين فكيف صلاتنا التي صلينا ها نحو بيت المقدس فانزل الله وما
كان الله ليضيع ايمانكم وقيل قال اليهود اشتاق الى بلد ابيه وهو يريد ان يرضي قومه ولو
ثبت على قبلتنا لرجونا ان يكون هو النبي الذي ننتظر ان ياتي فانزل الله تعالى وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعني ان اليهود الذين انكروا استقبالكم الكعبة وتركم
عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجهك اليها بما في كتبهم عن انبيائهم **ثم فرض شهر
رمضان** بعد ما حولت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان على راس ثمانية عشر شهرا من
مقدمه عليه الصلوة والسلام **وزكوة الفطر** قبل العيد بيومين ان تخرج عن الصغير والكبير
والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر او صاع من زبيب او صاع من شعير او صاع من بر
وذلك قبل ان تفرض زكوة الاموال وقيل ان زكوة الاموال فرضت فيها وقيل قبل الهجرة والله

اعلم **ثم غزوة بدر الكبرى** وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال وهي قرية
مشهورة نسبت الى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر بن الحارث حافر بئرها
وقيل بدر اسم البئر التي بها سميت لاستدارتها او لصفاء مائها ورؤيتها البدر فيها وقال
ابن كثير وهو يوم الفرقان الذي اعز الله فيه الاسلام واهله ودمغ فيه الشرك وخرب
محله وهذا مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة
الكاملة والخيول المسومة والخيلاء الزائدة اعز الله رسوله واظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه
النبي صلى الله عليه وسلم وقبيله واخزى الشيطان وجيله ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده
المؤمنين وحزبه المتقين ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اي قليل عددكم لتعلموا ان
النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد انتهى **فقد** كانت هذه الغزوة اعظم
غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها اشرق على الآفاق نوره ومن حين وقوعها
اذل الله الكفار واعز من حضرها من المسلمين فهو عنده من الابرار وكان خروجهم يوم السبت
لثنتي عشرة خلت من رمضان على راس تسعة عشر شهرا ويقال لثمان خلون منه قاله ابن
هشام **واستخلف** ابا لبابة الانصاري وخرج معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت
معه **وكان** عدة من خرج معه ثلاثمائة وخمسة وثمانية لم يحضروها انما ضرب لهم بسهمهم
واجرهم فكانوا كمن حضرها وكان معهم ثلاثة افراس بعزجة فرس المقداد واليعسوب فرس
الزبير وفرس لمرثد الغنوي لم يكن لهم يومئذ خيل غير هذه وكان معهم سبعون بعيرا وكان
المشركون الفا ويقال تسعمائة وخمسون رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير **وكان**
قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان وقيل يوم الاثنين وقيل غير ذلك وكانت
من غير قصد من المسلمين اليها ولا ميعاد كما قال تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن
ليقضي الله امرا كان مفعولا وانما قصد صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير قريش وذلك
ان ابا سفيان كان بالشام في ثلاثين راكبا منهم عمرو بن العاص فاقبلوا في قافلة عظيمة فيها
اموال قريش حتى اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فندب اصحابه
اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها اموال فاخرجوا اليها
لعل الله ان ينفلكموها فلما سمع ابو سفيان بسيره عليه الصلوة والسلام استاجر ضمضم بن عمرو
الغفاري ان ياتي قريشا بمكة فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لعيرهم في اصحابه
فنهضوا في قريب من الف مقنع ولم يتخلف احد من اشراف قريش الا ابو لهب وبعث مكانه العاصي
ابن هشام بن المغيرة **وخرج** رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى بلغ الروحاء
فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس
في طلب العير وحرب النفير فقال ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش وكان
العير احب اليهم فقام ابو بكر فقال فاحسن ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال
يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب

انت

انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما
مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك
من دونه حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال عليه الصلوة
والسلام ايها الناس وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله
انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع
منه انفسنا وابناءنا ونساءنا وكان صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار
ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من
بلادهم فلما قال ذلك عليه الصلوة والسلام قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا
يا رسول الله قال اجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي
بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد
وما نكره ان تلقى عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا
ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين
والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم قال ثابت عن انس قال عليه الصلوة والسلام هذا
مصرع فلان ويضع يده على الارض ههنا وههنا قال فما ماط احدهم اي ما تنحى عن موضع
يده عليه الصلوة والسلام **تنبيه** قال ابن سيد الناس في عيون الاثر روينا
من طريق مسلم ان الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما يعرف ذلك عن سعد
ابن معاذ كذلك رواه ابن اسحاق وغيره واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرا ولم
يذكره ابن عقبة ولا ابن اسحاق في البدريين وذكره الواقدي والمدائني وابن الكلبي
منهم انتهى **ثم ارتحل** عليه الصلوة والسلام قريبا من بدر ونزلت قريش بالعدوة
القصوى من الوادي ونزل المسلمون على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب
وسبقهم المشركون الى ماء بدر فاحرزوه وحفروا القلب لانفسهم واصبح المسلمون
بعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء ووسوس الشيطان
لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم المشركون
على الماء وانتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر اعداؤكم الا ان يقطع العطش
رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا فارسل الله عليهم مطرا سال منه
الوادي فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الاسقية واطفأ
الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت
انفسهم وذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به اي من الاحداث والجنابة
ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته وليربط على قلوبكم بالصبر ويثبت به الاقدام
حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيده الارض **وبني** لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه

ثم خرج عتبة بن ربيعة بين اخيه شيبة بن ربيعة والوليد ابنه ابن عتبة ودعا الى المبارزة
فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحارث وامهما عفراء وعبد الله بن رواحة
فقالوا من انتم فقالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة ثم نادى مناديهم
يا محمد اخرج لنا اكفاءنا من قومنا فقال صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة
قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من انتم فتسموا لهم قالوا اكفاء كرام فبارز عبيدة
وكان اسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة
فقتل علي الوليد هكذا ذكره ابن اسحاق وعند موسى بن عقبة كما نقله في فتح الباري
فبرز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلي للوليد ثم اتفقا فقتل علي الوليد وقتل حمزة الذي
بارزه واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبيدة ومال حمزة
وعلي على الذي بارز عبيدة فاعاناه على قتله وعند الحاكم من طريق عبد خير عن علي
مثل قول موسى بن عقبة وعند ابي الاسود عن عروة مثله واورد ابن سعد من طريق عبيدة
السلماني ان شيبة لحمزة وعبيدة لعتبة وعليا للوليد ثم قال الثبت ان عتبة لحمزة
وشيبة لعبيدة واخرج ابو داود عن علي قال تقدم عتبة وتبعه ابنه واخوه
فنادى من يبارز فانتدب له شبان من الانصار فقال من انتم فاخبروه فقال لا حاجة
لنا فيكم انما اردنا بني عمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حمزة قم يا علي قم
يا عبيدة فاقبل حمزة الى عتبة واقبلت الى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان
فاثخن كل واحد منهما صاحبه ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة قال الحافظ
ابن حجر وهذا اصح الروايات لكن الذي في السير من ان الذي بارزه علي هو المشهور
وهو اللائق بالمقام لان عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة بخلاف علي والوليد
فكانا شابين وقد روى الطبراني باسناد حسن عن علي قال اعنت انا وحمزة عبيدة
ابن الحارث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبي صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وهو موافق
لرواية ابي داود والله اعلم انتهى قال ابن اسحاق ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش معه ابو بكر ليس معه فيه غيره وهو عليه
الصلوة والسلام يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة
من اهل الايمان اليوم فلا تعبد في الارض ابدا وابو بكر يقول يا رسول الله خل بعض
مناشدتك ربك فان الله تعالى منجز لك ما وعدك وعند سعيد بن منصور من طريق
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المشركين فتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام ابو بكر عن يمينه فقال
عليه الصلوة والسلام وهو في صلاته اللهم لا تخذلني اللهم انشدك ما وعدتني وروى
النسائي والحاكم عن علي قال قاتلت يوم بدر شيئا من قتال ثم جئت فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول في سجوده يا حي يا قيوم فرجعت فقاتلت ثم جئت فوجدته كذلك وفي

الصحيح

الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق اخذت
رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال ابشر يا ابا بكر هذا
جبريل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر
فان قلت كيف جعل ابو بكر يامره عليه الصلوة والسلام بالكف عن الاجتهاد في
الدعاء ويقوي رجاءه ويثبته ومقام رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقام الاحمد ويقينه
فوق يقين كل احد اجاب السهيلي نقلا عن شيخه بان الصديق في تلك الساعة كان
في مقام الرجاء والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مقام الخوف لان لله تعالى ان يفعل ما يشاء فخاف
ان لا يعبد الله في الارض بعدها فخوفه ذلك عبادة انتهى وقال الخطابي لا يتوهم احد ان
ابا بكر كان اوثق بربه من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحال بل الحامل للنبي صلى الله
عليه وسلم على ذلك شفقته على اصحابه وتقويته قلوبهم فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال
لتسكن نفوسهم عند ذلك لانهم كانوا يعلمون ان وسيلته مستجابة فلما قال له ابو بكر
ما قال كف عن ذلك وعلم انه استجيب له لما وجد ابو بكر في نفسه من القوة والطمانينة
فلهذا اعقبه بقوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحال
في مقام الخوف وهو اكمل حالات الصلوة وجاز عنده ان لا يقع النصر يومئذ لان وعده
بالنصر لم يكن معينا في تلك الواقعة وانما كان مجملا هذا هو الذي يظهر وانما قال عليه الصلوة
والسلام اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام فلن تعبد بعد اليوم لانه علم انه
خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه حينئذ لا يبعث احد ممن يدعو الى الايمان واما
شدة اجتهاده عليه الصلوة والسلام ونصبه في الدعاء فانه راى الملائكة تنصب في القتال
وجبريل على ثناياه الغبار وانصار الله يخوضون غمرات الموت والجهاد على ضربين جهاد
بالسيف وجهاد بالدعاء ومن سنة الامام ان يكون وراء الجند لا يقاتل معه فكان الكل
في جد واجتهاد ولم يكن ليريح نفسه من احد الجدين والجهادين وانصار الله وملائكته
يجتهدون ولا ليؤثر الدعة وحزب الله مع اعدائه يجتلدون انتهى وفي صحيح مسلم
عن ابن عباس قال عمر بن الخطاب لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ودخل العريش فاستقبل القبلة
ومد يده وجعل يهتف بربه اللهم انجز لي ما وعدتني فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى
سقط رداؤه عن منكبيه فاخذ ابو بكر رداءه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال
يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله تعالى اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم مرسل اليكم مددا لكم بالف من الملائكة مردفين متتابعين
بعضهم في اثر بعض وعلى قراءة فتح الدال معناه اردف الله عز وجل المسلمين وجاءهم بهم مددا
وفي الاية الاخرى بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين فقيل في معناه ان الالف اردفهم
بثلاثة آلاف فكان الاكثر مددا للاقل وكان الالف مردفين لمن وراءهم والالف

هم الذين قاتلوا مع المؤمنين وهم الذين قال لهم فثبتوا الذين آمنوا وكانوا في صورة الرجال
ويقولون للمؤمنين اثبتوا فان عدوكم قليل وان الله معكم وقال الربيع بن انس امد الله
المسلمين بالف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف وقال سعيد بن ابي عروبة
عن قتادة امد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف وعن عامر الشعبي ان المسلمين بلغهم
يوم بدر ان كرز بن جابر يمد المشركين فشق عليهم فانزل الله الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين الى قوله مسومين قال فبلغت كرزا الهزيمة فلم يمد
المشركين ولم يمد المسلمون بالخمسة وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاء ابليس يوم بدر
في جند من الشياطين معه راية في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان
للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اقبل جبريل عليه الصلوة والسلام
والملائكة كانت يده في يد رجل من المشركين فانتزع يده ثم نكص على عقبيه فقال الرجل
يا سراقة اتزعم انك لنا جار فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب
وروى ان جبريل نزل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل
بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكتافهم وقال
ابن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر وعن علي كانت
سيما الملائكة يوم بدر الصوف الابيض وكانت سيماهم ايضا في نواصي خيلهم رواه
ابن ابي حاتم وروى ابن مردويه عن ابن عباس يرفعه في قوله تعالى مسومين قال معلمين
وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم حنين عمائم حمر وروى ابن ابي حاتم
عن الزبير ان الملائكة نزلت وعليهم عمائم صفر فقيل ولم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر
من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وبذلك صرح العماد ابن كثير في
تفسيره فقال المعروف من قتال الملائكة انما كان يوم بدر ثم روى عن ابن عباس
قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وقال ابن عرفة ولم تكن تقاتل في غيرها بل تحضر
خاصة على المختار من الاقوال عند بعضهم وفي نهاية البيان في تفسير القرآن عند تفسير
قوله تعالى ويوم حنين وهل قاتلت الملائكة يومئذ ام لا فيه قولان احدهما وهو قول
الجمهور انها لم تقاتل انتهى وهذا يرده حديث مسلم في صحيحه عن سعد بن ابي وقاص
انه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب
بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما الصلوة والسلام يقاتلان كأشد
القتال قال النووي فيه بيان اكرامه صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة تقاتل
معه وبيان ان قتالهم لم يختص بيوم بدر قال وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه
فهذا صريح في الرد عليه قال وفيه ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء عليهم الصلوة
والسلام بل يراهم الصحابة والاولياء انتهى قال ابن الانباري كانت الملائكة
لا تعلم كيف تقتل الآدميون فعلمهم الله تعالى بقوله فاضربوا فوق الاعناق اي الرؤس

واضربوا

واضربوا منهم كل بنان قال ابن عطية كل مفصل قال السهيلي جاء في التفسير انه ما
وقعت ضربة يوم بدر الا في راس او مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار
سود في الاعناق والبنان وعن ابن عباس قال حدثني رجل من بني غفار قال اقبلت
انا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل يشرف على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من
تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة
الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه
واما انا فكدت اهلك حتى تماسكت رواه البيهقي وابو نعيم والدبرة بسكون الموحدة
الهزيمة في القتال وحيزوم اسم فرس جبريل قاله في القاموس وروى ابو امامة عن
سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك
فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو
نعيم وقال الشيخ تقي الدين السبكي سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي صلى
الله عليه وسلم مع ان جبريل قادر على ان يدفع الكفار بريشة من جناحه فقلت ذلك
لارادة ان يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتكون الملائكة مددا على
عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب التي اجراها الله تعالى في عباده والله تعالى
فاعل الجميع ولما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصباء
فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه ومنخريه
منها شيء فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد قريش واسر من اشرافهم وقال
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا
يوم بدر اخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة
في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وقد روى
غير واحد ان هذه الآية نزلت في رميه عليه الصلوة والسلام يوم بدر وان كان قد فعل
ذلك يوم حنين ايضا كما سيأتي ان شاء الله تعالى وقد اعتقد جماعة ان المراد بالآية
سلب فعل الرسول عنه واضافته الى الرب تعالى وجعلوا ذلك اصلا في الجبر وابطال
نسبة الافعال الى العباد وتحقيق نسبتها الى الرب وحده وهذا غلط منهم في فهم
القرآن ولو صح ذلك لوجب طرده فيقال لما صليت اذ صليت ولا صمت اذ صمت ولا فعلت
كل ذلك اذ فعلت ولكن الله فعل ذلك فان طردوا ذلك لزمهم في افعال العباد طاعاتهم
ومعاصيهم اذ لا فرق وان خصوه بالرسول وحده وافعاله جميعها او رميه وحده ناقضوا
فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما اريد بالآية ومعلوم ان تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ
فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدأ الرمي وهو الحذف ومن الرب تعالى نهايته وهو الايصال
فاضاف اليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته ونظير
هذا في الآية نفسها قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ثم قال وما رميت اذ رميت

ولكن الله رمى فاخبر انه تعالى وجده هو الذي تفرد بايصال الحصا الى اعينهم ولم يكن برسوله ولكن وجه الاشارة بالاية انه سبحانه اقام اسبابا تظهر للناس فكان ما جعل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافا اليه وبه وهو خير الناصرين قال ابن اسحاق وقاتل عكاشة بن محصن الاسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه جذلا من حطب فقال قاتل به فهزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة فقاتل به حتى فتح على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده وجاءه عليه الصلوة والسلام يومئذ فيما ذكره القاضي عياض عن ابن وهب معاذ ابن عمرو يحمل يده ضربه عليها عكرمة فتعلقت بجلدة فبصق عليه الصلوة والسلام عليها فلصقت قال ابن اسحاق ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان وعن عروة بن الزبير عن عائشة امر صلى الله عليه وسلم بالقتلى ان يطرحوا في القليب فطرحوا فيه الا ما كان من امية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملاها فالقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة وانما القوا في القليب ولم يدفنوا لانه عليه الصلوة والسلام كره ان يشق على اصحابه لكثرة جيف الكفار ان يامرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب ايسر عليهم وفي الطبراني عن انس بن مالك قال انشا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن اهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله قال عمر والذي بعثه بالحق ما اخطا الحدود التي حدها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني حقا وفي رواية فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف ويا ابا جهل بن هشام وفي بعضه نظر لان امية بن خلف لم يكن في القليب لانه كان كما تقدم ضخما وانتفخ فالقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيبه لكن يجمع بينهما بانه كان قريبا من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة روسائهم وقال ابن اسحاق حدثني بعض اهل العلم انه عليه الصلوة والسلام قال يا اهل القليب بئس العشيرة كنتم كذبتموني وصدقني الناس فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها قال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا شيئا وتاولت عائشة ذلك فقالت انما اراد النبي صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليعلمون ان الذي اقول لهم الحق ثم قرات انك لا تسمع الموتى الاية فقالوا يدل على انها كانت تنكر ذلك مطلقا لقولها انهم الآن ليعلمون وقال قتادة احياهم الله تعالى توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وفيه رد على من انكر انهم يسمعون كما روي عن عائشة رضي الله عنها ومن الغرائب ان في المغازي لابن اسحاق رواية يونس بن بكير باسناد جيد عن عائشة حديثا وفيه ما انتم باسمع لما اقول منهم واخرجه الامام احمد باسناد حسن

فان كان محفوظا فكانها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها في رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة وقال الاسماعيلي كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه لكن لا سبيل الى رد رواية الثقة الا بنص مثله يدل على نسخه او تخصيصه او استحالته فكيف والجمع بين الذي انكرته واثبته غيرها ممكن لان قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لا ينافي قوله عليه الصلوة والسلام انهم الآن يسمعون لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع في اذن السامع فالله تعالى هو الذي اسمعهم بان ابلغهم صوت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك واما جوابها بانه انما قال انهم ليعلمون فان كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها وقال السهيلي ما محصله ان في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك لنبيه صلى الله عليه وسلم لقول الصحابة له اتخاطب قوما قد جيفوا فاجابهم بما اجابهم قال واذا جاز ان يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز ان يكونوا سامعين وذلك اما باذان رؤسهم اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد او الى بعضه عند المسئلة وهو قول اكثر اهل السنة واما باذان القلب او الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال الى الروح من غير رجوع الى الجسد او الى بعضه قال وقد روي عن عائشة انها احتجت بقوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير وهذه الاية كقوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي اي ان الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعظة الى اذان القلوب لا انت وجعل الكفار امواتا وصما على جهة التشبيه بالاموات وبالصم فالله تعالى هو الذي يسمعهم على الحقيقة اذا شاء لا نبيه ولا احد فاذا لا تعلق بالاية من وجهين احدهما انما انزلت في دعاء الكفار الى الايمان الثاني انه انما نفى عن نبيه ان يكون هو المسمع لهم وصدق الله فانه لا يسمعهم اذا شاء الا هو يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير انتهى ولقد احسن العلامة ابن جابر حيث قال

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله | كواكب في افق المواكب تنجلي
وجبريل في جند الملائك دونه | فلم تغن اعداد العدو المخذل
رمى بالحصى في اوجه القوم رمية | فشردهم مثل النعام المجفل
وجادلهم بالمشرفي فسلموا | فجادل بالنفس كل مجندل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع | حديثهم في ذلك اليوم من علي
هموا عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا | فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفا تبادرت | اليه العوالي بالخضاب المعجل
وجال ابو جهل فحقق جهله | غداة تردى بالردى عن تذلل
فاضحى قليبا في القليب وقومه | يؤمونه فيها الى شر منهل
وجاءهم خير الانام موبخا | فنخ في اسماعهم كل مقفل
واخبر ما انتم باسمع منهم | ولكن لا يهتدون لمقول

سلام عليهم يوم السلام اذ تضاحكوا	فعادوا بكاً عاجلاً لم يؤجل
الم يعلموا علم اليقين بصدقه	ولكنهم لا يرجعون لمعقل
فيا خير خلق الله جاهك ملجأي	وحبك ذخري في الحساب وموئلي
عليك صلوة يشمل الآل عرفها	واصحابك الاخيار اهل التفضل

وحكى العلامة ابن مرزوق ان ابن عمر رضي الله عنهما مر ببدر فاذا رجل يعذب
وين فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر رضي الله عنهما فلا ادري اعرف اسمي او
كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقني فاردت ان افعل
فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر وروى الطبراني في الاوسط قال ومن آيات
بدر الباقية ما كنت اسمعه من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون
كهيئة طبل ملوك الوقت ويرون ان ذلك لنصر اهل الايمان قال وربما انكرت ذلك
وربما تأولته بان الموضع لعله صلب فتستجيب فيه حوافر الدواب فكان يقال لي انه دهس
وغالب ما يسير هناك الابل واخفافها لا تصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمال
قال ثم لما من الله علي بالوصول الى ذلك الموضع المشرف نزلت عن الراحلة امشي وبيدي
عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت اسمع فا
راعني وانا اسير في الهاجرة الا وواحد من عبيد الاعراب الجمالين يقول اتسمعون الطبل
فاخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت اخبرت به وكان في الجو تحفظ
ريح فسمعت صوت الطبل وانا دهش مما اصابني من الفرح او الهيبة او ما الله اعلم به فشككت
وقلت لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي وجدت مثل هذا الصوت وانا حريص
على طلب التحقيق لهذه الآية العظيمة فالقيت العود من يدي وجلست الى الارض او وقفت
قائما او فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا او صوتا لا اشك فيه انه
صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة المشرفة ثم نزلنا الى بدر فظللت
اسمع ذلك الصوت يومي اجمع المرة بعد المرة قال وقد اخبرنا ان ذلك الصوت لا يسمعه
جميع الناس انتهى وروى الطبراني من حديث ابي اليسر انه اسر العباس وقيل العباس
وكان جسيما كيف اسرت ابا اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك فقال ما هو الا ان
لقيته فظهر في عيني كالخندمة وهي بالخاء المعجمة جبل من جبال تهامة قاله في القاموس قال
ولما ولي عمر بن الخطاب وثاق الاسرى شد وثاق العباس فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم
يئن فلم يأخذه النوم فبلغ الانصار فاطلقوا العباس فكان الانصار فهموا رضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه وسألوا ان يتركوا له الفدا طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم
وفي حديث انس عند الامام احمد استشار عليه الصلوة والسلام الناس في الاسارى يوم
بدر فقال ان الله قد امكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب اعناقهم

فاعرض

فاعرض عنه عليه الصلوة والسلام فعل ذلك ثلاثا فقام ابو بكر فقال يا رسول الله ان
تعف عنهم وان تقبل منهم الفدا فذهب من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه
من الغم فعفى وقبل منهم الفدا قال فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الآية ويأتي الكلام عليها في النوع الثاني
في ازالة الشبهات عن الآيات المشكلات من المقصد السادس ان شاء الله تعالى واخرج
ابن اسحاق من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال يا عباس افد نفسك وابني
اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو وقال اني كنت مسلما
ولكن القوم استكرهوني فقال الله اعلم بما تقول ان يك ما تقول حقا فان الله سيجزيك ولكن
ظاهر امرك انك كنت علينا وذكر موسى بن عقبة ان فداهم كان اربعين اوقية ذهبا
وعند ابي نعيم في الدلائل باسناد حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما انه جعل
على العباس مائة اوقية وعلى عقيل ثمانين فقال له العباس اللقرابة صنعت هذا فانزل الله
تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله الآية فقال العباس وددت
لو كنت اخذت مني اضعافها لقوله تعالى يؤتكم خيرا مما اخذ منكم وكان قد استشهد يوم بدر
من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ستة من الخزرج واثنان
من الاوس تنبيه لا يقدح في وعد الله ان يستشهد هؤلاء الصحابة وانما هذا الوعد
كقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
فقد نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا فكان وعد الله مفعولا ونصر للمؤمنين ناجزا فالحمد لله وحده
وقتل من المشركين سبعون واسر سبعون وكان من افضلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل
ابن ابي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكل اسلم وكان العباس فيما قاله اهل العلم
بالتاريخ قد اسلم قديما وكان يكتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي صلى
الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ففادى نفسه ورجع الى مكة
وقيل انه اسلم يوم بدر فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء وكان معه
حين فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقيل اسلم يوم فتح خيبر وقيل كان يكتم اسلامه واظهره
يوم فتح مكة وكان اسلامه قبل بدر وكان يكتب باخبار المشركين الى النبي صلى الله عليه
وسلم وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه عليه الصلوة والسلام
ان مقامك بمكة خير لك وقيل ان سبب اسلامه انه خرج ليدر بعشرين اوقية من ذهب
ليطعم بها المشركين فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين
اوقية من فدائه فابى وقال اما شيء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس
تركتني اتكفف قريشا فقال له عليه الصلوة والسلام فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل
وقت خروجك من مكة فقال العباس وما يدريك فقال اخبرني به ربي فقال اشهد انك صادق
فان هذا لم يطلع عليه الا الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ولما

فرغ صلى الله عليه وسلم من بدر في آخر رمضان واول يوم من شوال بعث زيد بن
حارثة بشيرا فوصل المدينة ضحى وقد نفضوا ايديهم من تراب رقية بنت النبي صلى
الله عليه وسلم وهذا هو الصحيح في وفاة رقية وقد روي انه صلى الله عليه وسلم
شهد دفن بنته رقية فقعد على قبرها وقد دمعت عيناه وقال ايكم لم يقارف الليلة
فقال ابو طلحة انا فامره ان ينزل في قبرها وانكر البخاري هذه الرواية وخرج الحديث
في الصحيح فقال فيه عن انس شهدنا دفن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث
ولم يسم رقية ولا غيرها وذكر الطبراني انها ام كلثوم فحصل في حديث الطبراني
التبيين ومن قال كانت رقية فقد وهم وكان عثمان رضي الله عنه قد تخلف لاجل
رقية زوجته فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه واجره وامر صلى الله عليه
وسلم عند انصرافه عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب بقتل عقبة بن ابي
معيط فقتله صبرا ثم اقبل عليه الصلوة والسلام قافلا الى المدينة ومعه الاسارى
من المشركين واحتمل النفل الذي اصيب منهم وجعل عليه عبد الله بن كعب من بني مازن
فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل بين المسلمين على السواء وامر عليا بالصفراء بقتل
النضر بن الحارث ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم
فلما قدموا فرقهم بين اصحابه وقال استوصوا بهم خيرا وقد استقر الحكم في الاسارى
عند الجمهور من العلماء ان الامام مخير فيهم ان شاء قتل كما فعل صلى الله عليه وسلم
ببني قريظة وان شاء فادى بمال كما فعل باسارى بدر وان شاء استرق من اسر هذا مذهب
الشافعي وطائفة من العلماء وفي المسئلة خلاف آخر مقرر في كتب الفقه ولما قدم
ابو سفيان بن الحارث من بدر الى مكة سأله ابو لهب عن خبر قريش فقال ما هو الا ان لقينا
القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما
لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يقوم لها شيء قال
ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان غلاما للعباس بن عبد المطلب
وكان الاسلام قد دخلنا فقلت تلك والله الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي
ضربة فقامت ام الفضل الى عمود فضربت به في رأس ابي لهب وقالت استضعفته اذ غاب
سيده قال فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهي قرحة كانت العرب
تتشاءم بها وقيل انها تعدي اشد العدوى فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله وبقي بعد موته
ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود
في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه قال ابن عقبة اقام النوح على قتلى قريش شهرا
ثم سرية عمير بن عدي الخطمي وكانت لخمس ليال بقين من رمضان على
رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة الى عصماء بنت مروان زوج يزيد بن زيد الخطمي وكانت تعيب الاسلام
وتؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءها ليلا وكان اعمى فدخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها

ينام

نيام منهم من ترضعه فجسها بيده ونحى الصبي عنها ووضع سيفه على صدرها حتى انفذه
من ظهرها ثم صلى الصبح معه صلى الله عليه وسلم بالمدينة واخبره بذلك فقال لا ينتطح
فيها عنزان اي لا يعارض فيها معارض ولا يسأل عنها فانها هدر قالوا وهذا من الكلام
المفرد الموجز البليغ الذي لم يسبق اليه عليه الصلوة والسلام وسيأتي لذلك نظائر
ان شاء الله تعالى وفي اول شوال صلى صلوة الفطر وفي شوال ايضا وقيل بعد
بدر بسبعة ايام وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث خرج عليه الصلوة والسلام يريد بني
سليم فبلغ ماء يقال له الكدر وتعرف بغزوة قرقرة الكدر وهي ارض ملساء والكدر طير في
الوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع فاقام عليه الصلوة والسلام ثلاثا وقيل عشرا فلم يلق
احدا وكانت غيبته عليه الصلوة والسلام خمس عشرة ليلة واستخلف على المدينة سباع
ابن عرفطة وقيل ابن ام مكتوم وحمل اللواء علي بن ابي طالب وذكرها ابن سعد بعد غزوة
السويق ثم سرية سالم بن عمير الى ابي عفك اليهودي وكان شيخا كبيرا
قد بلغ عشرين ومائة سنة وكان يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر
فاقبل اليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش فصاح عدو الله
ابو عفك فثار اليه ناس ممن هم على قوله فادخلوه منزله فقتل وكانت هذه السرية في
شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ثم غزوة بني قينقاع
بتثليث النون والضم اشهر بطن من يهود المدينة لهم شجاعة وصبر وكانت يوم السبت
نصف شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع النبي صلى
الله عليه وسلم على ثلاثة اقسام قسم وادعهم عليه الصلوة والسلام على ان لا يحاربوه
ولا يمالؤا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وبنو قينقاع
وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش وقسم تاركوه وانتظروا ما يؤول
اليه امره كطوائف من العرب فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة وبالعكس
كبني بكر ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون وكان اول
من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم عليه الصلوة والسلام في شوال
بعد وقعة بدر قال الواقدي بشهر واغرب الحاكم فزعم ان اجلاء بني قينقاع واجلاء
النضير كان في زمن واحد ولم يوافق على ذلك لان اجلاء بني النضير كان بعد بدر
بستة اشهر على قول عروة او بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن اسحاق وكان
من امر بني قينقاع ان امرأة من العرب جلست الى صائغ يهودي فراودها على كشف
وجهها فابت فعمد الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها
فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فشدت اليهود على
المسلم فقتلوه ووقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع فسار اليهم النبي صلى الله عليه
وسلم بعد ان استخلف لبابة بن عبد المنذر فحاصرهم اشد الحصار خمسة عشر ليلة

الى جلاء ذي القعدة وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب وكان ابيض فقذف الله في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان له اموالهم وان لهم النساء والذرية فامر عليه الصلوة والسلام المنذر بن قدامة بتكتيفهم وكلم عبد الله بن ابي ابن سلول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم والح عليه من اجلهم فامر عليه الصلوة والسلام ان يجلوا وتركهم من القتل وامر ان يجلوا من المدينة فلحقوا باذرعات فما كان اقل بقائهم فيها واخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة وكانت بنو قينقاع حلفا لعبد الله بن ابي وعبادة بن الصامت فتبرأ عبادة من حلفهم فقال يا رسول الله اتبرأ الى الله ورسوله من حلفهم واتولى الله ورسوله والمؤمنين من حلف الكفار وولايتهم فيه وفي عبد الله انزل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون **ثم غزوة السويق** في ذي الحجة يوم الاحد لخمس خلون منها على راس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة وقال ابن اسحاق في صفر وسميت غزوة السويق لانه كان اكثر زاد المشركين وغنمه المسلمون واستخلف ابا لبابة وكان سبب هذه الغزوة ان ابا سفيان حين رجع بالعير من بدر الى مكة نذر ان لا يمس النساء والدهن حتى يغزو محمدا عليه الصلوة والسلام فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى اتوا العريض ناحية من المدينة على ثلاثة اميال فحرقوا نخلا وقتلوا رجلا من الانصار فرأى ابو سفيان ان قد حلت يمينه فانصرف بقومه راجعين وخرج عليه الصلوة والسلام في طلبهم في مائتين من المهاجرين والانصار وجعل ابو سفيان واصحابه يلقون جرب السويق وهي عامة ازوادهم يتخففون للهرب فتاخذها المسلمون ولم يلحقهم عليه السلام فرجع الى المدينة وكانت غيبته خمسة ايام وفي ذي القعدة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد وامر بالاضحية وفيه مات عثمان بن مظعون وفي شوال ولد عبد الله بن الزبير وفي هذه السنة تزوج علي بفاطمة رضي الله عنهما كما قاله الحافظ مغلطاي وغيره وقال الطبري في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى تزوجها في صفر في السنة الثانية وبنى بها في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا من التاريخ وقال ابو عمر بعد وقعة احد وقال غيره بعد بنائه صلى الله عليه وسلم بعائشة باربعة اشهر ونصف وتزوجها وهي بنت خمسة عشر سنة وخمسة اشهر او ستة ونصفا وسنه يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ولم يتزوج عليها حتى ماتت وعن انس قال جاء ابو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيئا فانطلقا الى علي يأمرانه بطلب ذلك قال علي فنبهاني لامر فقمت اجر ردائي حتى اتيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجني فاطمة قال وعندك شيء قلت فرسي وبدني قال اما فرسك فلا بد لك منها واما بدنك فبعها فبعتها باربعمائة وثمانين فجئته بها فوضعها في حجره فقبض منها قبضة فقال اي بلال ابتع لنا بها طيبا وامرهم ان يجهزوها

فجعل

فجعل لها سرير مشرط ووسادة من ادم حشوها ليف وقال لعلي اذا اتتك فلا تحدث شيئا حتى آتيك فجاءت مع ام ايمن حتى قعدت في جانب البيت وانا في جانب وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ههنا اخي قالت ام ايمن اخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم ودخل صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ائتيني بماء فقامت الى قعب في البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين يديها وعلى راسها وقال اللهم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ادبري فادبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلي ثم قال ادخل باهلك بسم الله والبركة اخرجه ابو حاتم واحمد في المناقب بنحوه وفي حديث انس عند ابي الخير القزويني الحاكمي خطبها علي بعد ان خطبها ابو بكر ثم عمر فقال عليه الصلوة والسلام قد امرني ربي بذلك قال انس ثم دعاني عليه الصلوة والسلام بعد ايام فقال لي يا انس ادع لي ابا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الانصار فلما اجتمعوا واخذوا مجالسهم وكان علي غائبا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ امره في سمائه وارضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه واعزهم بدينه واكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وامرا مفترضا اوشج به الارحام والزمها الانام فقال عز من قائل وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فامر الله تعالى يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر اجل ولكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ثم ان الله عز وجل امرني ان ازوج فاطمة من علي بن ابي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على اربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك علي ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان الله عز وجل امرني ان ازوجك فاطمة على اربعمائة مثقال فضة ارضيت بذلك فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام جمع الله شملكما واعز جدكما وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا طيبا قال انس فوالله لقد اخرج الله منهما الكثير الطيب والعقد لعلي وهو غائب محمول على انه كان له وكيل حاضر او على انه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر او على تخصيصه بذلك جمعا بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور واخرج الدولابي عن اسماء قالت اولم علي على فاطمة فما كان وليمة في ذلك الزمان افضل من وليمته رهن درعه عند يهودي بشطر شعير وكانت وليمته آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس التمر والاقط واخرج احمد في المناقب عن علي كان جهاز فاطمة خميلة وقربة ووسادة من ادم حشوها ليف **ثم سرية محمد بن مسلمة** ومن بعثه معه الى كعب بن الاشرف اليهودي لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وروى

ابو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك
عن ابيه ان كعب بن الاشرف كان شاعرا يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه
كفار قريش وكان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة واهلها اخلاط فاراد استصلاحهم
وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين اشد الاذى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالصبر فلما ابى كعب بن الاشرف ان ينزع عن اذاه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد
ابن معاذ ان يبعث رهطا ليقتلوه وفي رواية قال عليه الصلوة والسلام من لنا بابن
الاشرف وفي اخرى من لكعب بن الاشرف اي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا
وهجائنا وقد خرج الى قريش فجمعهم على قتالنا وقد اخبرني الله بذلك ثم قرا على المسلمين
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله وفي الاكليل فقد
آذانا بشعره وقوى المشركين وفي رواية ابن اسحاق فقال محمد بن مسلمة اخو بني عبد الاشهل
انا لك به يا رسول الله انا اقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك قال يا رسول الله انه
لا بد لنا ان نقول قال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة
وابو نائلة بنون وبعد الالف تحتانية سلكان بن سلامة وكان اخا كعب من الرضاعة
وعباد بن بشر والحارث بن اوس بن معاذ وابو عبس بن جبر وهؤلاء الخمسة من الاوس
وفي رواية ابن سعد فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام عليه الصلوة
والسلام تلك الليلة يصلي فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف انهم قتلوه ثم انتهوا اليه فقال
افلحت الوجوه فقالوا ووجهك يا رسول الله ورموا براسه بين يديه فحمد الله تعالى على قتله
وفي كتاب شرف المصطفى ان الذين قتلوا كعبا حملوا راسه في مخلاة الى المدينة فقيل انه
اول راس حمل في الاسلام واصاب ذباب السيف الحارث بن اوس فجرح ونزف الدم فتفل
عليه الصلوة والسلام على جرحه فلم يؤذه بعد **غزوة غطفان** وهي غزوة ذي
امر بفتح الهمزة والميم وسماها الحاكم غزوة انمار وهي بناحية نجد وكانت لثنتي عشرة مضت
من ربيع الاول على راس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بني ثعلبة
ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي وسماه الخطيب
غورث وغيره غويرث وكان شجاعا فندب صلى الله عليه وسلم المسلمين وخرج في اربعمائة
وخمسين فارسا واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلما سمعوا بمهبطه صلى الله عليه وسلم
هربوا في رؤس الجبال فاصابوا رجلا منهم يقال له جبار من بني ثعلبة فادخل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدعاه الى الاسلام فاسلم وضمه الى بلال واصاب النبي صلى الله عليه
وسلم مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وهم ينظرون فقالوا لدعثور
قد انفرد محمد فعليك به فاقبل ومعه سيف حتى قام على راسه عليه الصلوة والسلام فقال
من يمنعك مني اليوم فقال صلى الله عليه وسلم الله فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده

فاخذه

فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له من يمنعك مني فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا
الله وانك رسول الله ثم اتى قومه فدعاهم الى الاسلام وانزل الله يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية ويقال كان ذلك في ذات
الرقاع ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة
غزوة بحران وتسمى غزوة بني سليم من ناحية الفرع بضم الفاء والراء كما قيده
السهيلي وقال في القاموس وبحران موضع بناحية الفرع كذا رايته بخط بضم الفاء لا غير
وسببها انه بلغه عليه الصلوة والسلام ان بها جمعا كثيرا من بني سليم فخرج في ثلاثمائة
من اصحابه فوجدهم قد تفرقوا في مياههم فرجع ولم يلق كيدا وكان قد استعمل على المدينة
ابن ام مكتوم كما قاله ابن هشام وكانت غيبته عشر ليال **سرية زيد بن حارثة**
الى القردة بالقاف المفتوحة وسكون الراء وقيل بالفاء وكسر الراء كما ضبطه ابن الفرات اسم
ماء من مياه نجد وسببها كما قاله ابن اسحاق ان قريشا خافوا من طريقهم التي يسلكون
الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم
ابو سفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة وعند ابن سعد بعثه صلى الله عليه وسلم
لهلال جمادى الاخرة على راس ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة في مائة راكب يعترض عيرا
لقريش فيها صفوان بن امية وحويطب بن عبد العزى ومعهم مال كثير وآنية فضة
فاصابوها وقدموا بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخمسها فبلغ الخمس قيمة
عشرين الف درهم وعند مغلطاي خمسة وعشرين الف درهم وذكرها ابن اسحاق
قبل قتل ابن الاشرف **غزوة احد** وهو جبل مشهور بالمدينة على اقل من فرسخ
سمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال اخر هناك ويقال له ذو عينين قال في القاموس
بكسر العين وبفتحها مثنى جبل باحد انتهى وهو الذي قال فيه عليه الصلوة والسلام
احد جبل يحبنا ونحبه قيل وفيه قبر هارون اخي موسى عليه الصلوة والسلام وكانت
عنده الوقعة المشهورة في شوال سنة ثلاث بالاتفاق يوم السبت لاحدى عشرة ليلة
خلت منه وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل في نصفه وعن مالك بعد بدر بسنة
وعنه ايضا كانت على راس احد وثلاثين شهرا من الهجرة وكان سببها كما ذكره ابن اسحاق
عن شيوخه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وابو الاسود عن عروة وابن سعد قالوا وجمع
قال منهم ما حاصله ان قريشا لما رجعوا من بدر الى مكة وقد اصيب اصحاب القليب ورجع
ابو سفيان بعيره قال عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل في جماعة ممن اصيب
آباؤهم واخوانهم وابناؤهم يوم بدر يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم
فاعينونا بهذا المال على حربه يعنون عير ابي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة
لعلنا ان ندرك منه ثارا فاجابوا لذلك فباعوها وكانت الف بعير والمال خمسين الف دينار
وفيهم كما قال ابن اسحاق وغيره انزل الله ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن

سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم وسار بهم ابو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل احد مقابل المدينة وكان رجال من المسلمين اسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيا فلما اصبح قال اني والله قد رأيت خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاما البقر فناس من اصحابي يقتلون واما الثلم الذي رأيت في سيفي فهو رجل من اهل بيتي يقتل وقال ابن عقبة ويقول رجال كان الذي بسيفه ما اصاب وجهه فان العدو اصابوا وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته وفي رواية قال عليه الصلوة والسلام واولت الدرع الحصينة المدينة فامكثوا فان دخل القوم الازقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت فقال اولئك القوم يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى اعدائنا انا جبنا عنهم فصلى عليه الصلوة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وامرهم بالجد والاجتهاد واخبرهم ان لهم النصر ما صبروا وامرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر اهل العوالي ثم دخل عليه الصلوة والسلام بيته ومعه صاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه والبساه وصف الناس ينتظرون خروجه عليه الصلوة والسلام فقال لهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهي بالهمزة وقد تترك تخفيفا الدرع وتقلد سيفه فندموا جميعا على ما صنعوا فقالوا ما كان لنا ان نخالفك فاصنع ما شئت فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه وفي حديث ابن عباس عند احمد والنسائي والطبراني وصححه الحاكم نحو حديث ابن اسحاق وفيه اشارة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ان لا يبرحوا من المدينة وايثارهم الخروج لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه اني رأيت اني في درع حصينة الحديث وعقد عليه الصلوة والسلام ثلاثة الوية لواء بيد اسيد بن الحضير ولواء المهاجرين بيد علي بن ابي طالب وقيل بيد مصعب بن عمير ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة دارعين واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة وادلج عليه الصلوة والسلام في السحر وكان قد رد جماعة من المسلمين لصغرهم منهم اسامة وابن عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري والنعمان بن بشير قاله مغلطاي وفيه نظر وكان المسلمون الف رجل ويقال تسعمائة والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة ونزل عليه الصلوة والسلام باحد ورجع عنه عبد الله بن ابي في ثلاثمائة ممن تبعه من قومه من اهل النفاق ويقال

ان

ان النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط ويقال باحد ثم صف المسلمون باصل احد وصف المشركون بالسبخة قال ابن عقبة وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن ابي جهل وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة وهم خمسون رجلا عبد الله بن جبير وقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم كذا في البخاري من حديث البراء وفي حديث ابن عباس عند احمد والطبراني والحاكم انه صلى الله عليه وسلم اقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا قال ابن اسحاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام اليه ابو دجانة سماك فقال وما حقه يا رسول الله قال ان تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال انا آخذه بحقه يا رسول الله فاعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه عليه الصلوة والسلام قال انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن قال الزبير بن العوام فيما قاله ابن هشام فقلت والله لانظرن ما يصنع ابو دجانة فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء فعصب بها رأسه فقالت الانصار اخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

انا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل
ان لا اقوم الدهر في الكيول ... اضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى احدا من المشركين الا قتله وقوله في الكيول بفتح الكاف وتشديد المثناة التحتية مؤخر الصفوف وهو فيعول من كال الزند يكيل كيلا اذا كبا ولم يخرج نارا فشبه مؤخر الصفوف به لان من كان فيه لا يقاتل قال ابو عبيد ولم يسمع الا في هذا الحديث وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل ارطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف والتقى حنظلة الغسيل وابو سفيان فضربه شداد بن اوس فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان حنظلة لتغسله الملائكة فسألوا امرأته جميلة اخت عبد الله بن ابي فقالت خرج وهو جنب فقال عليه الصلوة والسلام لذلك غسلته الملائكة وبذلك تمسك من قال من العلماء ان الشهيد يغسل اذا كان جنبا وقتل علي طلحة بن ابي طلحة صاحب لواء المشركين ثم حمل لواءهم عثمان بن ابي طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه ثم انزل الله نصره على المسلمين فحسوا بالمهملة الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة فولوا الكفار لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل وتبعهم المسلمون حتى اجهضوهم ووقعوا ينتهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم وفي البخاري قال البراء فقال اصحاب عبد الله بن جبير اي قوم الغنيمة ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين وفي حديث

عائشة عند البخاري أيضًا لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة فصاح إبليس أي عباد الله أخراكم فرجعت أولاهم فاجتلدت مع أخراهم **وعند** أحمد والحاكم من حديث ابن عباس أنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض **وفي** رواية غيرهما ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من النفر الرماة فقتلوهم وأميرهم عبد الله بن جبير **وفي** البخاري أنهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فكان كأمس الذاهب وكان وحشي كامنا تحت صخرة فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت من بين وركيه فكان آخر العهد به انتهى **وكان** مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وكان الذي قتله ابن قمئة وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قمئة إن محمدا قتل ويقال كان ذلك أزب العقبة ويقال بل هو إبليس لعنه الله تصور في صورة جعال وقال قائل أي عباد الله أخراكم احذروا من جهة أخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت طائفة منهم إلى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل وقال موسى بن عقبة ولما فقد عليه الصلاة والسلام قال رجل منهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فارجعوا إلى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم فإنهم داخلوا البيوت وقال رجال منهم إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهداء منهم أنس بن مالك بن النضر شهد له بها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ قال في عيون الأثر كذا وقع في هذا الخبر أنس بن مالك وإنما هو أنس بن النضر عم أنس بن مالك بن النضر انتهى **وثبت** رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انكشفوا عنه وثبت معه من الصحابة أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق وسبعة من الأنصار **وفي** البخاري لم يبق معه عليه الصلاة والسلام إلا اثنا عشر رجلا فأصابوا منا سبعين وكان عليه الصلاة والسلام وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو سفيان أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم والحرب سجال **وتوجه** صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رباعيته والذي جرح وجهه عبد الله بن قمئة وعتبة بن أبي وقاص أخو سعد هو الذي كسر رباعيته ومن ثم لم يولد من نسله ولد فيبلغ الحنث إلا وهو أبخر أو أهتم أي مكسور الثنايا من أصلها يعرف ذلك في عقبه وقال ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وأن عبد الله ابن شهاب الزهري شجه في جبهته وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها المسلمين **وفي** رواية وهشموا البيضة على رأسه أي كسروا الخوذة ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر فأخذ علي بيده واحتضنه طلحة ابن عبيد الله حتى استوى قائما ونشبت حلقتان من المغفر في وجهه فانتزعهما أبو عبيدة عامر بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه وامتص مالك ابن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام من مس دمي دمه لم تصبه النار وسيأتي إن شاء الله تعالى حكم دمه عليه الصلاة والسلام **وفي** الطبراني من حديث أبي أمامة قال رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشجه في وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قمئة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقماك الله فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة **وروى** ابن إسحاق عن حميد الطويل عن أنس قال كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ورواه أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد به **وعند** ابن عائذ من طريق الأوزاعي بلغنا أنه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيئا فجعل ينشف دمه وقال لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون **وروى** عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها قال في فتح الباري وهذا مرسل قوي ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة انتهى **وقاتلت** أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد فيما قال ابن هشام فجرحت ولما انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلي أصابني ابن قمئة أقماه الله تعالى لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا قالت فاعترضت له فضربني هذه الضربة ولكن ضربته ضربات على ذلك ولكن عدو الله عليه درعان قالت أم سعد بن الربيع فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور **وترس** دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ابن إسحاق أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك **ورمى** سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد فلقد رأيته يناولني النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي حتى إنه ليناولني السهم ما له نصل فيقول ارم

واصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فاتى بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا ورواه الدارقطني بنحوه ويأتي لفظه ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات ورمي ابو رهم الغفاري كلثوم بن الحصين بسهم فوقع في نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرا وانقطع سيف عبد الله بن جحش فاعطاه صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا فقاتل به وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من امراء المعتصم بالله في بغداد بمائتي دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر الا ان سيف عكاشة كان يسمى العون واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم اصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشراف اصحابه وكان اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما عرفوه نهضوا ونهض معهم نحو الشعب معه ابو بكر وعمر وعلي ورهط من المسلمين فلما اسنده رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب ادركه ابي بن خلف وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فقالوا يا رسول الله يعطف عليه رجل منا فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فلما دنا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة فلما اخذها منه عليه الصلوة والسلام انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله عليه الصلوة والسلام فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعا من اضلاعه فلما رجع الى قريش قال قتلني والله محمد اليس قد كان قال لي بمكة انا اقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به الى مكة رواه البيهقي وابو نعيم ولم يذكر فكسر ضلعا من اضلاعه قال الواقدي وكان ابن عمر يقول مات ابي بن خلف ببطن رابغ فاني لاسير ببطن رابغ بعد هدي من الليل اذا نار تاجج لي فهبتها واذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح العطش واذا رجل يقول لا تسقه فان هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ابي بن خلف ورواه البيهقي ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب ملأ علي بن ابي طالب درقته من المهراس وهي صخرة منقورة تسع كثيرا من الماء وقيل هو اسم ماء باحد فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغسل عن وجهه الدم وصب على راسه وهو يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعدا من الجراح التي اصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا قال ابن اسحاق ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان والانف وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ولما اراد ابو سفيان الانصراف

اشرف على الجبل ثم صرخ باعلى صوته انعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر اعل هبل وكان ابو سفيان حين اراد الخروج الى احد كتب على سهم نعم وعلى الآخر لا واجالهما عند هبل فخرج سهم نعم فخرج الى احد فلما قال اعل هبل اي زد علوا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر اجبه فقل الله اعلى واجل فقال ابو سفيان انعمت فعال اي اترك ذكرها فقد صدقت في فتواها وانعمت اي اجابت بنعم فقال لعمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال عليه الصلوة والسلام قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ولما انصرف ابو سفيان واصحابه نادى ان موعدكم بدر العام القابل فقال عليه الصلوة والسلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد وذكر الطبراني انه لما انصرف المشركون خرج النساء الى الصحابة يعينونهم فكانت فاطمة فيمن خرج فلما لقيت النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم فلما رأت ذلك اخذت شيئا من حصير احرقته بالنار وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم ثم ارسل عليه الصلوة والسلام محمد بن مسلمة كما ذكره الواقدي فنادى في القتلى يا سعد بن الربيع مرة بعد اخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني انظر ما صنعت فاجابه بصوت ضعيف فوجده جريحا في القتلى وبه رمق فقال ابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له يقول لك جزاك الله عنا خير ما جزي نبيا عن امته وابلغ قومك عني السلام وقل لهم لا عذر لكم عند الله ان يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم مات وقتل ابو جابر فما عرف الا ببنانه اي اصابعه وقيل اطرافها وجدتها بنانه وخرج صلى الله عليه وسلم يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع انفه واذناه فنظر عليه الصلوة والسلام الى شيء لم ينظر الى شيء اوجع لقلبه منه فقال رحمة الله عليك لقد كنت فعولا للخير وصولا للرحم اما والله لامثلن بسبعين منهم مكانك قال فنزلت عليه خواتيم سورة النحل فصبر وكفر عن يمينه وامسك عما اراد وممن مثل به كما مثل بحمزة عبد الله بن جحش ابن اخت حمزة ولذا يعرف بالمجدع في الله وكان حين قتل ابن بضع واربعين سنة ودفن مع حمزة في قبره ولما اشرف عليه الصلوة والسلام على القتلى قال انا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيمة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وفي رواية عبد الله بن ثعلبة قال عليه الصلوة والسلام لقتلى احد زملوهم بجراحهم وروى ابو بكر بن مردويه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا جابر الا اخبرك ما كلم الله تعالى احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا فقال سلني اعطك فقال اسالك ان ترد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق مني انهم لا يرجعون الى الدنيا قال اي رب فابلغ من ورائي فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله

ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب قال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على نبيه هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا رواه احمد قال بعض من تكلم على هذا الحديث قوله ثم تاوي الى قناديل يصدقه قوله والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وانما تاوي الى تلك القناديل ليلا وتسرح نهارا وبعد دخول الجنة في الآخرة لا تاوي الى تلك القناديل وانما ذلك في البرزخ وقال مجاهد الشهداء ياكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها وقد رد هذا القول ويشهد له ما وقع في مسند ابن ابي شيبة وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهداء بنهر او على نهر يقال له بارق عند باب الجنة في قباب خضر ياتيهم رزقهم منها بكرة وعشيا قال الحافظ عماد الدين بن كثير كان الشهداء اقسام منهم من تسرح ارواحهم في الجنة ومنهم من تكون على هذا النهر بباب الجنة ويحتمل ان يكون منتهى سيرهم الى هذا النهر فيجتمعون هنالك ويغدى عليهم برزقهم ويراح قال وقد روينا في مسند الامام احمد حديثا فيه بشرى لكل مؤمن بان روحه تكون في الجنة ايضا وتسرح فيها وتاكل من ثمارها وترى ما فيها من النعيم والسرور وتشاهد ما اعد الله لها من الكرامة قال وهو باسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الائمة الاربعة اصحاب المذاهب المتبعة فان الامام احمد رواه عن الشافعي عن مالك ابن انس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه يرفعه نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وقوله تعلق اي تاكل وفي هذا الحديث ان روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة واما ارواح الشهداء ففي حواصل طير خضر فهي كالكواكب بالنسبة الى ارواح عموم المؤمنين فانها تطير بانفسها فنسأل الكريم المنان ان يميتنا على الايمان وقد استشهد يوم احد من المسلمين سبعون فيما قاله مغلطاي وغيره وقيل خمسة وستون اربعة من المهاجرين وروى ابن منده من حديث ابي بن كعب قال استشهد يوم احد من الانصار اربعة وستون ومن المهاجرين ستة وصححه ابن حبان من هذا الوجه وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلا وقتل عليه الصلوة والسلام بيده ابي بن خلف وحضرت الملائكة يومئذ ففي حديث سعد بن ابي وقاص عند مسلم في صحيحه انه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل يقاتلان كاشد القتال وفيه كما قدمناه في غزوة بدر ان قتال الملائكة معه صلى الله عليه وسلم لا يختص بيوم بدر خلافا لمن زعمه كما نص عليه النووي في شرح مسلم كما قدمته والله اعلم ولما بكى المسلمون على قتلاهم سر بذلك المنافقون وظهر غش اليهود **تنبيه** ذكر القاضي عياض في الشفا عن الفقيه ابي عبد الله ابن المرابط من المالكية انه قال من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب

فان

فان تاب والا قتل لانه متنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته انتهى وهذا موافق لمذهبنا لكن قال العلامة البساطي من المالكية هذا القائل ان كان يخالف في اصل المسئلة اعني حكم الساب فله وجه وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى وقد كان في قصة احد وما اصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية اشياء عظيمة منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا منه ومنها عادة الرسل ان تبتلى وتكون لهم العاقبة والحكمة في ذلك انه لو انتصروا دائما لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب وذلك ان نفاق المنافقين كان مخفيا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة واظهر اهل النفاق ما اظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحا وعرف المسلمون ان لهم عدوا في دورهم واستعدوا لهم وتحرزوا منهم. ومنها ان في تاخير النصر في بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشموخها فلما ابتلي المسلمون صبروا وجزع المنافقون. ومنها ان الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها اعمالهم فقيض لهم اسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها. ومنها ان الشهادة من اعلى مراتب الاولياء فساقها اليهم. ومنها انه اراد اهلاك اعدائه فقيض لهم الاسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في اذى اوليائه فمحص بذلك ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين

غزوة حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة عن يسار الطريق اذا اردت ذا الحليفة وكانت صبيحة يوم الاحد لست عشرة مضت وقيل لثمان خلون من شوال على راس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة لطلب عدوهم بالامس فنادى مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يخرج معنا احد الا من حضر يومنا بالامس من شهد احدا خرج عليه الصلوة والسلام مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم واقام عليه الصلوة والسلام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر عليه الصلوة والسلام في مخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة ابن ابي العاص فامر بضرب عنقه صبرا قال الحافظ مغلطاي وحرمت الخمر في شوال ويقال سنة اربع انتهى قال ابو هريرة فيما رواه احمد حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فانزل الله يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الى آخر الآية فقال الناس ما حرم علينا انما قال فيهما اثم كبير وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوما من الايام صلى رجل من المهاجرين ام اصحابه في المغرب خلط في قراءته فانزل الله اية اغلظ منها يا ايها الذين امنوا انما الخمر

والمنبر الى قوله لعلكم تفلحون قال انتهينا ربنا فالمنبر لغمار وقيل غيره وولد الحسين ابن علي في هذه السنة **ثم سرية ابي سلمة** عبد الله بن عبد الاسد هلال المحرم على راس خمس وثلاثين من الهجرة الى قطن جبل بناحية فيد ومعه مائة وخمسون رجلا من الانصار والمهاجرين لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد فلم يجدهما ووجدا ابلا وشاء فاغار عليه ولم يلق كيدا **ثم سرية عبد الله بن انيس** وخرج يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على راس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة الى سفيان بن خالد الهذلي بعرنة واد عند عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع لحربه فلما وصل اليه قال له من الرجل قال رجل من بني خزاعة سمعت بجمعك لمحمد صلى الله عليه وسلم فجئتك لاكون معك قال اجل فمشى معه ساعة ثم اغتره وقتله واخذ راسه فكان يسير الليل ويتوارى النهار حتى قدم المدينة فقال له عليه الصلوة والسلام افلح الوجه قال افلح وجهك يا رسول الله ووضع راسه بين يديه وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم **ثم سرية عاصم بن ثابت** في صفر على راس سنة وثلاثين شهرا من الهجرة الى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز كانت الوقعة بالقرب منه فسميت به **وحديث عضل والقارة** بفتح الضاد المعجمة بعدها لام بطن من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ينسبون الى عضل بن الديش واما القارة فبالقاف وتخفيف الراء بطن من الهون ايضا ينسبون الى الديش المذكور قال ابن دريد القارة اكمة سوداء فيها حجارة كانهم نزلوا عندها فسموا بها **وقصة** عضل والقارة كانت في بعث الرجيع لا في سرية بئر معونة وقد فصل بينهما ابن اسحاق فذكر بعث الرجيع في اواخر سنة ثلاث وبئر معونة في اوائل سنة اربع **وذكر** الواقدي ان خبر بئر معونة وخبر اصحاب الرجيع جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة وسياق ترجمة البخاري يوهم ان بعث الرجيع وبئر معونة شيء واحد وليس كذلك لان بعث الرجيع كان سرية عاصم وخبيب واصحابهما وهي مع عضل والقارة وبئر معونة كانت سرية القراء وهي مع رعل وذكوان وكان البخاري ادمجها معها لقربها منها ويدل على قربها منها ما في حديث انس من تشريك النبي صلى الله عليه وسلم بين بني لحيان وبني عصية وغيرهم في الدعاء ولم يرد البخاري رحمه الله انهما قصة واحدة ولم يقع ذكر عضل والقارة عنده صريحا وانما وقع ذلك عند ابن اسحاق فانه بعد ان استوفى قصة احد ذكر يوم الرجيع حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد احد رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا فبعث معهم ستة من اصحابه وامر عليه الصلوة والسلام على القوم مرثد بن مرثد الغنوي كذا في السيرة له **وفي** الصحيح وامر عليهم عاصم بن ثابت كما سياتي وهو اصح فخرجوا مع القوم حتى اتوا على الرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا فلم يرع القوم وهم في رحالهم الا

الرجال

الرجال بايديهم السيوف وقد غشوهم فاخذوا اسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا لهم انا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ان لا نقتلكم فابوا فاما مرثد وخالد وعاصم فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا **وفي** البخاري وامر عليهم عاصم بن ثابت حتى اذا كانوا بالهداة بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم بقريب مائتي رجل وعند بعضهم فتبعوهم بقريب من مائة رام والجمع بينهما واضح بان تكون المائة الاخرى غير رماة **وفي** رواية ابي معشر في مغازيه فنزلوا بالرجيع سحرا فاكلوا تمر عجوة فسقط نواه بالارض وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار فجاءت امراة من هذيل ترعى غنما فرات النوات وانكرت صغرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت في قومها قد اتيتم فجاؤا في طلبهم فوجدوهم قد كمنوا في الجبل واتبعوا اثارهم حتى لحقوهم **وفي** رواية ابن سعد فلما احس بهم عاصم واصحابه لجاؤا الى فدفد بفائين مفتوحتين ومهملتين الاولى ساكنة وهي الرابية المشرفة فاحاط بهم القوم فقالوا لهم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم بن ثابت ايها القوم اما انا فلا انزل في ذمة كافر ثم قال اللهم اخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فاخبر رسوله خبرهم يوم اصيبوا فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما ونزل اليهم على العهد والميثاق خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة والنون المفتوحة وعبد الله بن طارق فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيبا فلبث خبيب عندهم اسيرا حتى اجمعوا قتله استعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها يعني يحلق عانته فغفلت عن ابن لها صغير فاقبل اليه الصبي فاجلسه عنده فخشيت المراة ان يقتله ففزعت فقال خبيب ما كنت لاغدر فقالت والله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته ياكل قطفا من عنب مثل راس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وما كان الا رزقا رزقه الله وهذه كرامة جعلها الله لخبيب اية على الكفار وبرهانا لنبيه لتصحيح رسالته والكرامة للاولياء ثابتة مطلقا عند اهل السنة لكن استثنى بعض المحققين منهم كالعلامة الرباني ابي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الانبياء فقال ولا يصلون لمثل الايجاد وولد عن غير اب ونحو ذلك وهذا اعدل المذاهب في ذلك وان اجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والمكاشفة بما يغيب عن العين والاخبار بما سياتي ونحو ذلك قد كثر جدا حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب الى الصلاح كالعادة فانحصر الخارق الآن في نحو ما قاله القشيري وتعين تقييد من اطلق بان كل معجزة وجدت لنبي يجوز ان تقع كرامة لولي ووراء ذلك ان الذي استقر عند العامة ان خرق العادة يدل على ان من وقع له ذلك يكون من اولياء الله وهو غلط فان الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية اولياء الله الى فارق واولى ما ذكروه ان يختبر حال من وقع له ذلك فان كان متمسكا بالاوامر الشرعية والنواهي

كان علامة على ولايته ومن لا فلا انتهى ملخصا من الفتح ولما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي ركعتين وعند موسى بن عقبة انه صلاهما في موضع مسجد التنعيم وقال اللهم احصهم عددا ولا تبق منهم احدا واقتلهم بددا يعني متفرقين فلم يحل الحول ومنهم احد حي وفي رواية بريدة بن سفيان فقال خبيب اللهم اني لا اجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه وفي رواية ابي الاسود عن عروة فجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك الحديث ثم انشا خبيب يقول

فلست ابالي حين اقتل مسلما ... على اي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشا ... يبارك على اوصال شلو ممزع

والاوصال جمع وصل وهو العضو والشلو بكسر المعجمة الجسد ويطلق على العضو لكن المراد به هنا الجسد والممزع بالزاي ثم المهملة المقطع ومعنى الكلام اعضاء جسد مقطع وعند ابي الاسود عن عروة زيادة في هذا الشعر

لقد اجمع الاحزاب حولي والبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
الى الله اشكو غربتي بعد كربتي ... وما ارصد الاحزاب لي عند مصرعي

وساق ابن اسحاق هذه الابيات ثلاثة عشر بيتا قال ابن هشام ومن الناس من ينكرها لخبيب وكان خبيب اول من سن الركعتين عند القتل لكل مسلم قتل صبرا كذا قال ابن اسحاق وقوله هذا يدل على انه سنة جارية وانما صار فعل خبيب سنة والسنة انما هي من اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعاله وتقريره لانه فعله في حال حياته فاستحسن ذلك من فعله واستحسنها المسلمون والصلوة خير ما ختم به عمل العبد وقد صلى هاتين الركعتين زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في حياته عليه السلام كما رويناه من طريق السهيلي بسنده الى الليث بن سعد قال بلغني ان زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطائف فاشترط عليه الكري ان ينزله حيث شا قال فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا في الخربة قتلى كثيرة قال فلما اراد ان يقتله قال له دعني حتى اصلي ركعتين قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا قال فلما صليت اتاني ليقتلني فقلت يا ارحم الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله فهاب ذلك فخرج يطلب فلم ير شيئا فرجع الي فناديت يا ارحم الراحمين فعل ذلك ثلاثا واذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في راسها شعلة نار فطعنه بها فانفذه من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة الاولى يا ارحم الراحمين كنت في السماء السابعة فلما دعوت المرة الثانية كنت في سماء الدنيا فلما دعوت الثالثة اتيتك انتهى ووقع في رواية ابي الاسود عن عروة فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب يعني خبيبا نادوه وناشدوه اتحب ان محمدا مكانك قال لا والله ما احب ان يفديني بشوكة في قدمه ويقال ان الذي قال ذلك زيد بن الدثنة وان ابا سفيان قال له يا زيد انشدك بالله اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك تضرب عنقه وانت في اهلك فقال والله ما احب

ان

ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني لجالس في اهلي قالت يقول ابو سفيان ما رايت احدا من الناس يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس بكسر النون وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر وقيل العظيم المذكور عقبة بن ابي معيط فان عاصما قتله صبرا بامر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر ووقع في رواية ابن اسحاق وكذا في رواية بريدة بن سفيان ان عاصما لما قتل ارادت هذيل اخذ راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعيد وهي ام مسافع وجلاس ابني طلحة العبدري وكان عاصم قتلهما يوم احد وكانت قد نذرت حين اصابت ابنيها يوم احد لئن قدرت على راس عاصم لتشربن الخمر في قحفه بكسر القاف وهو ما انفلق من الجمجمة فبان قال الطبري وجعلت لمن جاء براسه مائة ناقة فمنعهم منه الدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة الزنابير فلم يقدروا منه على شيء وكان عاصم بن ثابت قد اعطى الله عهدا ان لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا فكان عمر لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته وانما استجاب الله تعالى في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما اراد من اكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه سرية المنذر بن عمرو بفتح العين المهملة الى بئر معونة بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو وبعدها نون موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان في صفر على راس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد وبعث معه المطلب السلمي ليدلهم على الطريق وكانت مع رعل بكسر الراء وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون الى رعل بن عوف بن مالك وذكوان بطن من بني سليم ايضا ينسبون الى ذكوان بن ثعلبة فنسبت الغزوة اليهما وهذه الغزوة تعرف بسرية القراء وكان من امرها كما قاله ابن اسحاق انه قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الاسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام وقال يا محمد لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوتهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه السلام اني اخشى اهل نجد عليهم قال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فبعث عليه الصلوة والسلام المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل اربعون وقيل ثلاثون وفي بين قتادة في روايته انهم كانوا يحتطبون في النهار ويصلون بالليل وفي رواية ثابت يشترون به الطعام لاهل الصفة ويتدارسون القران بالليل فساروا حتى نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل العامري ومات كافرا وليس هو عامر بن الطفيل الاسلمي الصحابي فلما اتاه لم ينظر في كتابه حتى عدى على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية ورعلا فاجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا اسيافهم وقاتلوهم

بغتة

حتى قتلوا الى آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق
شهيدا واسر عمرو بن امية الضمري فلما اخبرهم انه من مضر اخذه عامر بن الطفيل واعتقه
عن رقبة زعم انها كانت على امه فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم قال هذا عمل ابي
براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فمات اسفا على ما صنع عامر بن الطفيل
وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده دفنته الملائكة قال ابن سعد عن انس
ابن مالك ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على احد ما وجد على اصحاب بئر
معونة **وفي** صحيح مسلم عن انس انه دعا صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب بئر
معونة ثلاثين صباحا يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعصية عصت الله ورسوله قال انس
انزل الله في الذين قتلوا يوم بئر معونة قرانا قراناه ثم نسخ بعد بلغوا قومنا انا قد
لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه كذا وقع في هذه الرواية وهو يوهم ان بني لحيان ممن
اصاب القراء يوم بئر معونة وليس كذلك وانما اصاب هؤلاء رعل وذكوان وعصية ومن
صحبهم من سليم واما بنو لحيان فهم الذين اصابوا بعث الرجيع وانما اتى الخبر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنهم كلهم في وقت واحد فدعا على الذين اصابوا اصحابه في الموضعين
دعاء واحدا **غزوة بني النضير** بفتح النون وكسر الضاد المعجمة قبيلة كبيرة
من اليهود في ربيع الاول سنة اربع وذكرها ابن اسحاق هنا قال السهيلي وكان ينبغي
ان يذكرها بعد بدر لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزهري قال كانت غزوة بني
النضير على راس ستة اشهر من وقعة بدر قبل احد ورجح الداودي ما قاله ابن اسحاق
من ان غزوة بني النضير بعد بئر معونة مستدلا بقوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتاب من صياصيهم قال الحافظ ابو الفضل بن حجر وهو استدلال واه
فان الآية نزلت في شان بني قريظة فانهم هم الذين ظاهروا الاحزاب واما بنو النضير
فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل كان من اعظم الاسباب في جمع الاحزاب وما وقع من اجلائهم
فانه كان من رؤسهم حيي بن اخطب وهو الذي حسن لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب
حتى كان من هلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقا انتهى **وقد** تقدم قريبا ان
عامر بن الطفيل اعتق عمرو بن امية لما قتل اهل بئر معونة عن رقبة على امه فخرج عمرو الى
المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو ممن انتما فذكرا انهما من بني عامر فتركهما حتى ناما
فقتلهما عمرو وظن انه ظفر ببعض ثار اصحابه فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
فقال لقد قتلت قتيلين لادينهما قال ابن اسحاق وغيره ثم خرج عليه السلام الى بني النضير
يستعينهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن امية للجوار الذي كان صلى الله
عليه وسلم عقده لهما وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما اتاهم عليه
السلام يستعينهم في ديتهما قالوا يا ابا القاسم نعينك على ما احببت مما استعنت بنا عليه

ثم خلا

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذه الحال وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى جنب جدار من بيوتهم قالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة
عليه فيقتله ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فصعد ليلقي عليه الصخرة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم
قال ابن سعد فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم وانه لنقض
العهد الذي بيننا وبينه قال ابن اسحاق واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من
السماء بما اراد القوم فقام عليه السلام مظهرا انه يقضي حاجته وترك اصحابه في مجلسهم
ورجع مسرعا الى المدينة واستبطا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقاموا في طلبه
حتى انتهوا اليه فاخبرهم الخبر بما ارادت يهود من الغدر به قال ابن عقبة ونزل
في ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم الاية قال ابن اسحاق فامر عليه السلام بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم
قال ابن هشام واستعمل على المدينة ابن ام كلثوم ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم
ست ليال قال ابن اسحاق فتحصنوا منه في الحصون فقطع النخل وحرقها وخربها
فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها
قال السهيلي قال اهل التاويل وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام
حتى انزل الله ما قطعتم من لينة الاية الى قوله وليخزي الفاسقين واللينة الوان التمر
ما عدا العجوة والبرني ففي الاية انه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس
يقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة **وفي** الحديث العجوة من الجنة وتمرها يغذو احسن غذاء
والبرني ايضا كذلك ففي قوله تعالى ما قطعتم من لينة ولم يقل من نخلة على العموم تنبيه على
كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو اذا رجي ان يصل الى المسلمين قال ابن اسحاق
وقد كان رهط من بني عوف من الخزرج منهم عبد الله بن ابي ابن سلول بعثوا الى بني النضير
ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم فتربصوا
فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم
عن ارضهم ويكف عن دمائهم **وعند** ابن سعد انهم حين هموا بغدره صلى الله عليه
وسلم واعلمه الله بذلك بعث اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي ولا تساكنوني بها
وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد اجلتكم عشرا فمن رؤي منكم بعد ذلك ضربت عنقه
فمكثوا على ذلك اياما يتجهزون ويتكارون من ناس من اشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله بن ابي
ابن سلول لا تخرجوا من دياركم واقيموا في حصونكم فان معي الفين من قومي من العرب يدخلون
حصنكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيي فيما قاله ابن ابي فارسل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فاظهر صلى الله عليه وسلم
التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وسار اليهم عليه السلام في اصحابه فصلى العصر بفناء بني النضير

وعلى بحمل رايته فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة واعتزلهم ابن أبي ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فيئسوا من نصرهم فحاصرهم صلى الله عليه وسلم وقطع نخلهم وقال لهم عليه السلام اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة وهي بإسكان اللام قال في القاموس الدرع فنزلت يهود على ذلك وكان حاصرهم خمسة عشر يوما فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم ثم أجلاهم عن المدينة وولي إخراجهم محمد بن مسلمة وحملوا النساء والصبيان وتحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا وقبض صلى الله عليه وسلم الأموال ووجد من الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفا وكانت بنو النضير صفيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حبسا لنوائبه ولم يخمسها لأنه لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وإنما قذف في قلوبهم الرعب وجلوا عن منازلهم إلى خيبر ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم فقسمها عليه السلام بين المهاجرين والأنصار ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار إذ كانوا قد قاسموهم في الأموال والديار غير أنه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما وفي الإكليل وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق وكان سيفا له ذكر عندهم

غزوة ذات الرقاع

واختلف فيها متى كانت فعند ابن إسحاق بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع وبعض جمادى وعند ابن سعد وابن حبان في المحرم سنة خمس وجزم أبو معشر بأنها بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس فتكون ذات الرقاع في آخر السنة وأول التي تليها قال في فتح الباري وقد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر واستدل لذلك بأمور ومع ذلك فذكرها قبل خيبر فلا أدري هل تعمد ذلك تسليما لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها أو أن ذلك من الرواة عنه أو إشارة إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين كما أشار إليها البيهقي على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بأنها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها انتهى والذي جزم به ابن عقبة تقديمها لكن تردد في وقتها فقال لا ندري كانت قبل بدر أو بعدها أو قبل أحد أو بعدها قال الحافظ ابن حجر وهذا التردد لا حاصل له بل الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع فدل على تأخرها بعد الخندق ثم قال عند قول البخاري وهي بعد خيبر لأن أبا موسى جاء بعد خيبر وإذا كان كذلك وثبت أن أبا موسى شهد غزوة ذات الرقاع لزم أنها كانت بعد خيبر قال وعجيب من ابن سيد الناس كيف قال جعل البخاري حديث أبي موسى هذا حجة في أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر قال وليس في خبر أبي موسى ما يدل على شيء من ذلك انتهى كلام ابن سيد الناس قال وهذا النفي مردود والدلالة من ذلك واضحة كما قررته قال وأما الدمياطي فادعى غلط الحديث الصحيح وأن جميع أهل السير على خلافه وقد تقدم أنهم مختلفون في زمانها فالأولى الاعتماد على ما ثبت في الحديث الصحيح وأما قول الغزالي إنها آخر

الغزوات

الغزوات فهو غلط واضح وقد بالغ ابن الصلاح في إنكاره وقال بعض من انتصر للغزالي لعله أراد آخر غزوة صليت فيها صلاة الخوف وهو انتصار مردود بما أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان من حديث أبي بكرة أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف وإنما أسلم أبو بكرة بعد غزوة الطائف بالاتفاق انتهى وأما تسميتها ذات الرقاع فلأنهم رقعوا فيها راياتهم قاله ابن هشام وقيل بشجر في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل الأرض التي نزلوا بها كانت فيها بقع سود وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل إن خيلهم كان بها سواد وبياض كما قاله ابن حبان وقال الواقدي سميت بجبل هناك فيه بقع قال الحافظ ابن حجر وهذا لعله مستند ابن حبان ويكون قد تصحف عليه بجبل قال وأغرب الداودي فقال سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة الخوف فيها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها انتهى قال السهيلي وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وكان من خبر هذه الغزوة كما قاله ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم غزا نجدا يريد بني محارب وبني ثعلبة بالمثلثة من غطفان بفتح الغين المعجمة والمهملة لأنه عليه الصلاة والسلام بلغه أنهم جمعوا الجموع فخرج في أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة واستعمل على المدينة عثمان بن عفان وقيل أبا ذر الغفاري حتى نزل نخلا بالخاء المعجمة موضع من نجد من أراضي غطفان قال ابن سعد فلم يجد في محالهم إلا النسوة فأخذهن وقال ابن إسحاق فلقي جمعا منهم فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد أخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس قال ابن سعد وكان ذلك أول ما صلاها فقد رويت صلاة الخوف من طرق كثيرة وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على ما يجب منها في مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة خمسة عشر ليلة وفي البخاري عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه يعني سله من غمده فقال تخافني قال لا قال فمن يمنعك مني قال الله وعند أبي عوانة فسقط السيف من يده فأخذه عليه الصلاة والسلام من يده فقال من يمنعك مني قال كن خير آخذ قال تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قال لا غير أني أعاهدك أني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى سبيله فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس وفي رواية عند البخاري ولم يعاقبه وإنما لم يؤاخذه عليه السلام بما صنع وعفا عنه لشدة رغبته عليه السلام في استئلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام وفي رواية أبي اليمان عند البخاري في الجهاد قال من يمنعك مني ثلاث

مرات وهو استفهام انكاري اى لا يمنعك منى احد وكان الاعرابى قائما على راسه والسيف فى يده والنبى صلى الله عليه وسلم جالس لا سيف معه ويؤخذ من مراجعة الاعرابى له فى الكلام ان الله سبحانه منع عن نبيه والا فما الذى احوجه الى مراجعته مع احتياجه الى الحظوة عند قومه بقتله وفى قوله صلى الله عليه وسلم فى جوابه الله اى يمنعنى منك اشارة الى ذلك ولذلك لما اعادها الاعرابى فلم يزده على ذلك الجواب وفى ذلك غاية التهكم وعدم المبالاة به وذكر الواقدى فى نحو القصة انه اسلم ورجع الى اهله واهتدى به خلق كثير وذكر فيه انه رمى بالزلخة بضم الزاى وتشديد اللام حين هم بقتله صلى الله عليه وسلم فندر السيف من يده وسقط الى الارض والزلخة بضم الزاى وتشديد اللام وجع يأخذ فى الصلب وقال البخارى قال مسدد عن ابى عوانة عن ابى بشر اسم الرجل غورث بن الحارث ثابى على جعفر وحكى الخطابى فيه غويرث بالتصغير وقد تقدم فى غزوة غطفان وهى غزوة ذى امر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور وانه اقام على راسه صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك منى فقال عليه السلام الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده وانه اسلم قال فى عيون الاثر والظاهر ان الخبرين واحد وقال غيره من المحققين الصواب انهما قضيتان فى غزوتين وفى هذه القصة فرط شجاعته وقوة يقينه وصبره على الاذى وحلمه على الجهال صلى الله عليه وسلم وفى انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة ابطأ جمل جابر بن عبد الله فنخسه عليه السلام فانطلق متقدما بين يدى الركاب ثم قال اتبيعنيه فابتاعه منه وقال لك ظهره الى المدينة فلما وصلنا اعطاه الثمن وارجح ووهب له الجمل والحديث اصله فى البخارى ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط لما وقع فيه من الاضطراب وقيل غير ذلك مما يطول ذكره والله اعلم

غزوة بدر الاخيرة

وهى الصغرى وتسمى بدر الموعد وكانت فى شعبان بعد ذات الرقاع قال ابن اسحاق لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع اقام بها جمادى الاولى الى اخر رجب ثم خرج فى شعبان الى بدر لميعاد ابى سفيان ويقال كانت فى هلال ذى القعدة وميعاد ابى سفيان هو ما سبق ان ابا سفيان قال يوم احد الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل فقال عليه السلام لرجل من اصحابه قل نعم هو بيننا وبينكم موعد فخرج عليه السلام ومعه الف وخمسمائة من اصحابه وعشرة افراس واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة فاقاموا على بدر ينتظرون ابا سفيان وخرج ابو سفيان حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ويقال عسفان ثم بدا له الرجوع فقال يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم اهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق واقام عليه السلام ببدر ثمانية ايام وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وانزل الله فى المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول الى قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء الاية والصحيح

ان هذه الاية نزلت فى شان حمراء الاسد كما نص عليه العماد بن كثير

غزوة دومة الجندل

وهى بضم الدال المهملة دومة وهى مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة او ست عشرة ليلة قال ابو عبيد البكرى سميت بدومة بن اسمعيل كان ينزلها وكانت فى شهر ربيع الاول على راس تسعة واربعين شهرا من الهجرة وكان سببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم فخرج عليه السلام لخمس ليال بقين من شهر ربيع فى الف من اصحابه فكان يسير الليل ويكمن النهار واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة فلما دنا منهم لم يجد الا النعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب من اصاب وهرب من هرب فى كل وجه وجاء الخبر اهل دومة فتفرقوا ونزل عليه السلام بساحتهم فلم يلق بها احدا فاقام بها اياما وبث السرايا وفرقها فرجعت ولم تصب منهم احدا ودخل المدينة فى العشرين من ربيع الاخر

غزوة المريسيع

بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتانيتين بينهما مهملة مكسورة واخره عين مهملة وهو ماء لبنى خزاعة بينه وبين الفرع يومان وتسمى غزوة بنى المصطلق بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المشالة المهملة وكسر اللام بعدها قاف وهو لقب واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بطن من خزاعة وكانت يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس وفى البخارى قال ابن اسحاق سنة ست وقال موسى بن عقبة سنة اربع انتهى قالوا وكانه سبق قلم اراد ان يكتب سنة خمس فكتب سنة اربع والذى فى مغازى موسى بن عقبة من عدة طرق اخرجها الحاكم وابو سعيد النيسابورى والبيهقى فى الدلائل وغيرهم سنة خمس وسببها انه عليه السلام بلغه ان رئيسهم الحارث بن ابى ضرار سار فى قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابوه وتهيئوا للمسير معه فبعث عليه السلام بريدة بن الحصيب الاسلمى يعلم علم ذلك فاتاهم ولقى الحارث بن ابى ضرار وكلمه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليه السلام مسرعا فى بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا فى غزاة قط مثلها واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وقاد الخيل وكانت ثلاثين فرسا وخرجت عائشة وام سلمة وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه السلام فسىء بذلك هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم من كان معهم من العرب وبلغ عليه السلام المريسيع وصف اصحابه ودفع راية المهاجرين الى ابى بكر وراية الانصار الى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم امر عليه السلام اصحابه فحملوا حملة رجل واحد فقتلوا عشرة واسروا سائرهم وسبوا النساء والرجال والذرية والنعم والشاء ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد كذا ذكره ابن اسحاق والذى فى صحيح البخارى من حديث ابن عمر يدل على انه اغار عليهم على حين غفلة منهم فاوقع بهم ولفظه اغار على بنى المصطلق وهم غارون اى غافلون وانعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء فيحتمل ان يكونوا حين الايقاع بهم ثبتوا قليلا فلما كثر فيهم القتل انهزموا بان يكون لما دهمهم وهم على الماء تصافوا ووقع

القتال الطائفتين ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم قيل وفي هذه الغزوة نزلت
آية التيمم وفي الصحيحين من حديث عائشة انها قالت خرجنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بعض اسفاره فذكر حديث التيمم قال في فتح الباري قولها في بعض
اسفاره قال ابن عبد البر في التمهيد يقال انه كان في غزوة بني المصطلق وجزم بذلك
في الاستذكار وسبقه الى ذلك ابن سعد وابن حبان وغزاة بني المصطلق هي غزاة
المريسيع وفيها كانت قصة الافك لعائشة وكان ابتداء ذلك بسبب وقوع عقد
ايضا فان كان ما جزموا به ثابتا حمل على انه سقط منها في تلك السفرة مرتين لاختلاف
القصتين كما هو مبين في سياقهما قال واستبعد بعض شيوخنا ذلك لان المريسيع من
ناحية مكة بين قديد والساحل وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها في الحديث
حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش وهما بين مكة وخيبر كما جزم به النووي قال وما جزم
به مخالف لما جزم به ابن التين فانه قال البيداء هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق
مكة وذات الجيش وراء ذي الحليفة وقال ابو عبيد البكري في معجمه ادنى الى مكة
من ذي الحليفة ثم ساق حديث عائشة هذا ثم قال وذات الجيش من المدينة على بريد قال
وبينها وبين العقيق سبعة اميال والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر فاستقام ما قاله
ابن التين وقد روى لعوم بتعدد ضياع العقد ومنهم محمد بن حبيب الاخباري فقال سقط
عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق واختلف اهل المغازي في اي
الغزوتين كانت اولا وقال الواقدي كانت قصة التيمم في غزاة الفتح ثم تردد في ذلك
وروى ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة قال لما نزلت آية التيمم لم ادر كيف اصنع فهذا
يدل على تأخرها عن غزوة بني المصطلق لان اسلام ابي هريرة كان في السنة السابعة وهي
بعدها بلا خلاف وكان البخاري يرى ان غزوة ذات الرقاع كانت بعد قدوم ابي موسى
وقدومه كان وقت اسلام ابي هريرة ومما يدل على تأخر القصة ايضا عن قصة الافك ما
رواه الطبراني من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن ابيه عن عائشة قالت
لما كان من امر عقدي ما كان وقال اهل الافك ما قالوا خرجت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة اخرى فسقط ايضا عقدي حتى حبس الناس على التماسه فقال لي ابو بكر يا بنية
في كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس فانزل الله الرخصة في التيمم فانزل الله فقال ابو بكر
انك لمباركة وفي اسناده محمد بن حميد الرازي وفيه مقال وفي سياقه من الفوائد بيان عتاب
ابي بكر الذي ابهم في حديث الصحيح والتصريح بان ضياع العقد كان مرتين في غزوتين انتهى
وفي هذه الغزوة قال ابن ابي لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسمعه
زيد بن ارقم ذو الاذن الواعية فحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فارسل الى
ابن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فانزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد صدقك يا زيد رواه البخاري وكانت غيبته عليه السلام

في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوما **غزوة الخندق** وهي الاحزاب
جمع حزب اي طايفة فاما تسميتها بالخندق فلاجل الخندق الذي حفر حول المدينة بامره
عليه السلام ولم يكن اتخاذ الخندق من شان العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذي اشار
بذلك سلمان فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فامر النبي صلى
الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين واما تسميتها بالاحزاب فلاجتماع
طوايف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن معهم وقد
انزل الله في هذه القصة صدرا من سورة الاحزاب واختلف في تاريخها فقال موسى
ابن عقبة كانت في شوال سنة اربع وقال ابن اسحاق في شوال سنة خمس وبذلك
جزم غيره من اهل المغازي ومال البخاري الى قول موسى بن عقبة وقواه بقول ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه يوم احد وهو ابن اربع عشرة فلم يجزه وعرضه
يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فاجازه فيكون بينهما سنة واحدة واحد كانت سنة
ثلاث فيكون الخندق سنة اربع ولا حجة فيه اذا ثبت لنا انها كانت سنة خمس لاحتمال
ان يكون ابن عمر في احد كان اول ما طعن في الرابعة عشرة وكان في الاحزاب استكمل الخمس
عشرة وبهذا اجاب البيهقي وقال الشيخ ولي الدين ابن العراقي والمشهور انها في
السنة الرابعة وكان من حديث هذه الغزوة ان نفرا من يهود خرجوا حتى قدموا على قريش
مكة وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستاصله فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج
اولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس غيلان فدعوهم الى حربه عليه الصلوة والسلام
واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم
فخرجت قريش وقائدها ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن
في فزارة والحارث بن عوف المري في مرة وكان عدتهم فيما ذكره ابن اسحاق عشرة آلاف
والمسلمون ثلاثة آلاف وقيل غير ذلك وذكر ابن سعد انه كان مع المسلمين ستة
وثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وبما اجمعوا عليه من
الامر ضرب على المسلمين الخندق فعمل فيه عليه الصلوة والسلام ترغيبا للاجر وعمل معه
المسلمون فدأب ودأبوا وابطا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين في عملهم
ذلك ناس من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف عن العمل وفي البخاري عن سهل
ابن سعد قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على
اكتادنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والانصار
والاكتاد بالمثناة الفوقية جمع كتد بفتح اوله وكسر ثانيه وهو ما بين الكاهل الى الظهر
وفي بعض نسخ البخاري اكبادنا بموحدة وهو موجه على ان يكون المراد به ما يلي الكبد من الجنب
وفي البخاري ايضا عن انس قال فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن
لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع فقال اللهم لا عيش الا عيش الآخرة

فاغفر للانصار والمهاجره ۔ فقالوا مجيبين له نحن الذين بايعوا محمدا ۔ على الجهاد ما بقينا ابدا
قال ابن بطال وقوله اللهم لا عيش الا عيش الآخره هو من قول ابن رواحة تمثل به عليه
الصلوة والسلام وعند الحارث بن ابي اسامة من مرسل طاوس زيادة في آخر الرجز
والعن عضلا والقاره ۔ هم كلفونا نقل الحجاره ۔ وفي البخاري من حديث البراء قال لما كان
يوم الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته ينقل من تراب الخندق حتى وارى
عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب
ويقول

اللهم لولا انت ما اهتدينا ۔ ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا ۔ وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الاولى رغبوا علينا ۔ وان ارادوا فتنة ابينا

قال يمد بها صوته ۔ وفي رواية له ايضا ۔

ان الاولى قد بغوا علينا ۔ اذا ارادوا فتنة ابينا ۔

وفي حديث سلمان التيمي عن ابي عثمان النهدي انه صلى الله عليه وسلم حين ضرب في الخندق
قال

بسم الاله وبه بدينا ۔ ولو عبدنا غيره شقينا
فحبذا ربا وحب دينا ۔ ۔

قال في النهاية يقال بديت بالشيء بكسر الدال اي بدات به فلما خففت الهمزة كسرت الدال
فانقلبت الهمزة ياء وليس هو من بنات الياء انتهى وقد وقع في حفر الخندق آيات من اعلام
نبوته عليه الصلوة والسلام منها ما في الصحيح عن جابر قال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية
شديدة وهي بضم الكاف وتقديم الدال المهملة على التحتانية وهي القطعة الصلبة فجاؤا
النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر
ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقا فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول وضرب فعاد
كثيبا اهيل او اهيم كذا بالشك من الراوي وفي رواية الاسماعيلي باللام من غير شك
والمعنى انه صار رملا يسيل ولا يتماسك واهيم بمعنى اهيل وقد قيل في قوله تعالى
فشاربون شرب الهيم المراد الرمال التي لا يرويها الماء وقد وقع عند احمد والنسائي في
هذه القصة زيادة باسناد حسن من حديث البراء قال لما كان حين امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تاخذ منها المعاول فاشتكينا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء واخذ المعول فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فنثر
ثلثها وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب
الثانية فقطع ثلثا آخر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر قصر المداين
الابيض الآن ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله اكبر اعطيت مفاتيح
اليمن والله اني لابصر صنعاء من مكاني الساعة ومن اعلام نبوته ما ثبت في الصحيح من حديث
جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق كما سياتي ان شاء الله تعالى مستوفى في مقصد

المعجزات

المعجزات مع غيره وقد وقع عند موسى بن عقبة انهم اقاموا في عمل الخندق قريبا من عشرين
ليلة وعند الواقدي اربعا وعشرين وفي الروضة للنووي خمسة عشر يوما وفي الهدي
النبوي لابن القيم اقاموا شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق
اقبلت قريش حتى نزلت بمجمع السيول في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تبعهم من بني
كنانة وتهامة ونزل عيينة بن حصن في غطفان ومن تبعهم من اهل نجد الى جانب احد
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع وكانوا
ثلاثة آلاف رجل فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وكان لواء
المهاجرين بيد زيد بن حارثة ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة وكان صلى الله عليه
وسلم يبعث الحرس الى المدينة خوفا على الذراري من بني قريظة قال ابن اسحاق وخرج
عدو الله حيي بن اخطب حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم
وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده فاغلق كعب دونه باب
حصنه وابى ان يفتح له فقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤم واني قد عاهدت محمدا
فلست بناقض ما بيني وبينه فاني لم ار منه الا وفاء وصدقا فقال ويلك افتح لي فلم يزل
به حتى فتح له وقال ويلك يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى انزلتهم بمجتمع
الاسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على ان لا يبرحوا حتى نستاصل محمدا
ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن عبد الله بن الزبير قال كنت يوم الاحزاب انا وعمر بن ابي سلمة مع النساء في
اطم حسان فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف الى بني قريظة مرتين او ثلاثا فلما
رجعت قلت يا ابت رايتك تختلف قال رايتني يا بني قلت نعم قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من ياتي بني قريظة فياتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت
جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه فقال فداك ابي وامي اخرجه الشيخان و
الترمذي حديث حسن وفي رواية اصحاب المغازي فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير
ليعرفوا الخبر فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتبرؤا من عقده وعهده ثم اقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالوا عضل والقارة اي كغدرهما باصحاب الرجيع فعظم عند ذلك البلاء
واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم
النفاق من بعض المنافقين وانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا الآيات وقال رجال ممن معه يا اهل يثرب لا مقام لكم
فارجعوا وقال اوس بن قيظي يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو فاذن لنا فنرجع
الى دارنا فانها خارج المدينة قال ابن عائذ واقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي

على فرس له يوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية على ان تدفعوه الينا ندفنه فرد اليهم النبي صلى الله
انه خبيث خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا ارب لنا في ديته
وقال ابن اسحاق واقام عليه الصلوة والسلام والمسلمون وعدوهم محاصرهم
ولم يكن بينهم قتال الا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن عبد ود العامري اقتحم هو ونفر معه
خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى صاروا بالسبخة فبارزه علي فقتله وبرز نوفل
ابن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله علي ورجعت بقية الخيول منهزمة ورمي
سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل وهو بفتح الهمزة والمهملة بينهما كاف ساكنة عرق
في وسط الذراع قال الخليل هو عرق الحيوة يقال ان في كل عضو منه شعبة فهو في
اليد الاكحل وفي الظهر الابهر وفي الفخذ النسا اذا قطع لم يرقأ الدم وكان الذي رمى سعدا
ابن العرقة احد بني عامر بن لؤي قال خذها مني وانا ابن العرقة فقال له سعد عرق الله
وجهك في النار ثم قال سعد اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقني لها فانه لا قوم
احب الي ان اجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه واقام عليه السلام واصحابه بضع
عشرة ليلة فمشى نعيم بن مسعود الاشجعي وهو مخف اسلامه فثبط قوما عن قوم واوقع
بينهم شرا لقوله عليه السلام الحرب خدعة فاختلفت كلمتهم وروى الحاكم عن حذيفة
قال لقد رايتنا ليلة الاحزاب وابو سفيان ومن معه من فوقنا وقريظة اسفل منا نخافهم
على ذرارينا وما اتت علينا ليلة اشد ظلمة ولا ريحا منها فجعل المنافقون يستاذنون ويقولون
بيوتنا عورة فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وانا جاث على ركبتي ولم يبق معه الا ثلاثمائة فقال
اذهب فائتني بخبر القوم قال ودعا لي فاذهب الله عني القر والفزع فدخلت عسكرهم
فاذا الريح فيه لا تجاوز شبرا فلما رجعت رايت فوارس في طريقي فقالوا اخبر صاحبك ان
الله كفاه القوم وفي رواية ان حذيفة لما ارسله عليه السلام لياتيه بالخبر سمع ابا سفيان
يقول يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الخف والكراع واخلفتنا
بنو قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل
عقال يديه وهو قائم ووقع في البخاري انه عليه السلام قال يوم الاحزاب من ياتينا
بخبر القوم فقال الزبير انا ثم قال من ياتينا بخبر القوم فقال الزبير انا قالها ثلاثا وقد
استشكل ذكر الزبير في هذه فقال ابن الملقن وقع هنا ان الزبير هو الذي ذهب والمشهور
انه حذيفة بن اليمان قال الحافظ ابن حجر وهذا الحصر مردود فان القصة التي
ذهب الزبير لكشفها غير القصة التي ذهب حذيفة لكشفها فقصة الزبير كانت لكشف
خبر بني قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشا على محاربة المسلمين
وقصة حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق وتمالات عليهم الطوايف
ثم وقع بين الاحزاب الاختلاف وحذرت كل طائفة من الاخرى وارسل الله عليهم الريح

واشتد

واشتد البرد تلك الليلة فانتدب عليه السلام من ياتيه بخبر قريش فانتدب له حذيفة
بعد تكريره طلب ذلك وقصته في ذلك مشهورة لما دخل بين قريش في الليل وعرف قصتهم
وفي البخاري من حديث عبد الله بن ابي اوفى قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الاحزاب فقال اللهم منزل السحاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم
وروى احمد عن ابي سعيد قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد
بلغت القلوب الحناجر قال نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب الله وجوه
اعدائنا بالريح وفي ينبوع الحيوة لابن ظفر قيل انه صلى الله عليه وسلم دعا فقال
يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وباصحابي
فاتاه جبريل فبشره بان الله سبحانه يرسل عليهم ريحا وجنودا فاعلم اصحابه ورفع يديه
قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية وكفأت
القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا في ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة
السلاح فارتحلوا هرابا في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم قال فذلك قوله تعالى
فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وفي البخاري عن علي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يوم الخندق ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلوة الوسطى
حتى غابت الشمس ومقتضى هذا انه استمر اشتغاله بقتال المشركين حتى غابت الشمس
ويعارضه ما في صحيح مسلم عن ابن مسعود انه قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن صلوة العصر حتى احمرت الشمس واصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شغلونا عن الصلوة الوسطى الحديث ومقتضى هذا انه لم يخرج الوقت بالكلية قال
الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد الحبس انتهى الى ذلك الوقت الحمرة او الصفرة ولم تقع
الصلوة الا بعد المغرب انتهى وفي البخاري عن عمر بن الخطاب انه جاء يوم الخندق
بعد ما كادت الشمس تغرب فقال صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها فنزلنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم بطحان فتوضأنا للصلوة وتوضأ لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس
ثم صلى بعدها المغرب وقد يكون ذلك للاشتغال باسباب الصلوة او غيرها ومقتضى
هذه الرواية المشهورة انه لم يفت غير العصر وفي الموطا الظهر والعصر وفي الترمذي عن
ابن مسعود ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اربع صلوات يوم الخندق
وقال ليس باسناده باس الا ان ابا عبيدة لم يسمع من عبد الله فمال ابن العربي الى الترجيح وقال
الصحيح ان التي اشتغل عنها صلى الله عليه وسلم واحدة وهي العصر وقال النووي طريق
الجمع بين هذه الروايات ان وقعة الخندق بقيت اياما فكان هذا في بعض الايام وهذا في
بعضها قالوا واما تاخيره عليه السلام صلوة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلوة
الخوف قال العلماء يحتمل ان يكون اخرها نسيانا لا عمدا وكان السبب في النسيان
الاشتغال بامر العدو ويحتمل انه اخرها عمدا للاشتغال بالعدو وكان هذا عذرا في

وبعض

تأخير الصلوة قبل نزول صلوة الخوف واما اليوم فلا يجوز تأخير الصلوة عن وقتها بسبب
العدو والقتال بل يصلي صلوة الخوف على حسب الحال **وقد** اختلف في المراد بالصلوة
الوسطى وجمع الحافظ الدمياطي في ذلك مؤلفا مفردا سماه كشف المغطى عن الصلوة الوسطى
فبلغ تسعة عشر قولا وهي الصبح او الظهر او العصر او المغرب او جميع الصلوات وهو
يتناول الفرائض والنوافل واختاره ابن عبد البر او الجمعة وصححه القاضي حسين في صلوة
الخوف من تعليقه او الظهر في الايام والجمعة يوم الجمعة او العشا لانها بين صلاتين لا تقصر
او الصبح والعشا او الصبح والعصر لقوة الادلة فظاهر القران الصبح ونص السنة العصر
او صلوة الجماعة او الوتر او صلوة الخوف او صلوة عيد الاضحى او الفطر او صلوة الضحى
او واحدة من الخمس غير معينة او الصبح او العصر على الترديد وهو غير القول السابق او التوقف
وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعا لسبع ليال بقين من
ذي القعدة وكان قد اقام بالخندق خمسة عشر يوما وقيل اربعة وعشرين يوما وقال
عليه السلام لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفي ذلك علم من اعلام النبوة فانه عليه الصلوة
والسلام اعتمر في السنة فصدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم الى ان نقضوها
فكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الامر كما قال عليه السلام وسيأتي ذلك ان شاء الله تعالى
وقد اخرج البزار من حديث جابر باسناد حسن شاهدا لهذا ولفظه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يوم الاحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة لا تغزوكم قريش بعدها ابدا ولكن انتم
تغزونهم **ولما دخل** صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاربعا هو واصحابه ووضعوا
السلاح جاءه جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج
وفي رواية البخاري من حديث عائشة انه لما رجع صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل
اتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم واشار الى بني قريظة
وعند ابن اسحاق ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم فمزلزل
بهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا فاذن في الناس من كان سامعا مطيعا
فلا يصلين العصر الا ببني قريظة وعند ابن عائذ قم فشد عليك سلاحك فوالله لادقنهم
دق البيض على الصفا وبعث يومئذ مناديا ينادي يا خيل الله اركبي **وعند** الحاكم
والبيهقي وبعث عليا على المقدمة **وخرج** رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثرهم **وعند**
ابن سعد ثم سار اليهم في المسلمين وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا **وكان**
ذلك يوم الاربعا لسبع بقين من ذي القعدة واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم فيما قاله
ابن هشام **ونزل** عليه السلام على بئر من آبار بني قريظة وتلاحق به الناس فاتى رجال من بعد
عشا الآخرة ولم يصلوا العصر لقوله عليه السلام لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة
فصلوا العصر بها بعد عشا الآخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله
صلى الله عليه وسلم **وفي** البخاري عن ابن عمر فادرك بعضهم العصر في الطريق فقال

بعضهم

بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم كذا وقع في جميع النسخ من البخاري انها العصر واتفق عليه
جميع اهل المغازي ووقع في مسلم انها الظهر مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ
واحد باسناد واحد ووافق مسلما ابو يعلى وآخرون وجمع بين الروايتين باحتمال ان يكون
بعضهم قبل الامر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها فقيل لمن لم يصلها لا يصلين احد
الظهر ولمن صلاها لا يصلين احد العصر وجمع بعضهم باحتمال ان تكون طائفة منهم راحت
بعد طائفة فقيل للطائفة الاولى الظهر وللطائفة التي بعدها العصر والله اعلم
قال ابن اسحاق وحاصرهم عليه السلام خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار
وعند ابن سعد خمس عشرة **وعند** ابن عقبة بضع عشرة ليلة وقذف الله في قلوبهم
الرعب فعرض عليهم رئيسهم كعب بن اسد ان يؤمنوا فقال لهم يا معشر يهود قد نزل بكم
من الامر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هي قال
نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين انه لنبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم
فتأمنون على دمائكم واموالكم وابنائكم ونسائكم فابوا فقال فاذا ابيتم على هذه فهلم
نقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين بالسيوف لم نترك وراءنا
ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه فقالوا
اي عيش لنا بعد ابنائنا ونسائنا فقال ان ابيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت
وعسى ان يكون محمد واصحابه قد امنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد واصحابه غرة
قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيمن كان قبلنا الا من علمت فاصابه ما لم
يخف عليك من المسخ وارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الينا ابا لبابة
وهو رفاعة بن عبد المنذر نستشيره في امرنا فارسله اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال
وجهش اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم وقالوا يا ابا لبابة اترى ان
ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فوالله ما زالت
قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة على وجهه
فلم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح
من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بني قريظة ابدا ولا
ارى في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره
وكان قد استبطأه قال اما لو جاءني لاستغفرت الله له واما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي
اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه قال واقام ابو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال تأتيه
امرأته في وقت كل صلوة فتحله للصلوة ثم يعود فيرتبط بالجذع **وروى** ابو عمر عن ابن
وهب عن مالك عن عبد الله بن ابي بكر ان ابا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة
ليلة حتى ذهب سمعه فما كاد يسمع وكاد يذهب بصره وكانت ابنته تحله اذا حضرت

وقولنا

الصلوة او اراد ان يذهب لحاجة فاذا فرغ اعاده وعن عبد الله بن قسيط ان توبة
ابي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فقالت قلت مم تضحك اضحك الله
سنك قال تيب على ابي لبابة قالت قلت افلا ابشره يا رسول الله قال بلى ان شئت قال
فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر
فقد تاب الله عليك قالت فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى صلوة الصبح اطلقه
وروى البيهقي في دلائله بسنده عن مجاهد في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم
قال هو ابو لبابة اذ قال لقريظة ما قال واشار الى حلقه بان محمدا يذبحكم ان نزلتم على حكمه
قال البيهقي وترجم محمد بن اسحاق بن يسار ان ارتباطه كان حينئذ وقد روينا
عن ابن عباس ما دل على ان ارتباطه بسارية المسجد كان لتخلفه عن غزوة تبوك كما قال
ابن المسيب قال وفي ذلك نزلت هذه الآية ولما اشتد الحصار ببني قريظة اذعنوا
ان ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان قد جعله
في خيمة في المسجد الشريف لامراة من اسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى فلما حكمه
اتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطاوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فاما المهاجرون من قريش فيقولون انما اراد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الانصار واما الانصار فيقولون عم بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم المسلمين فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم
فقال سعد فاني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنسا
فقال عليه الصلوة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة والرقيع السما
سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم ووقع في البخاري قال قضيت فيهم بحكم الله وربما
قال بحكم الملك بكسر اللام وفي رواية محمد بن صالح لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم
فيهم به من فوق سبع سموات وفي حديث جابر عن ابن عائذ فقال احكم فيهم يا سعد فقال
الله ورسوله احق بالحكم قال قد امرك الله ان تحكم فيهم وفي هذه القصة جواز الاجتهاد
في زمنه صلى الله عليه وسلم وهي مسئلة اختلف فيها اهل اصول الفقه والمختار الجواز سوى
كان في حضرته صلى الله عليه وسلم ام لا وانما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع امكان
القطع ولا يضر ذلك لانه بالتقرير يصير قطعيا وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته عليه السلام
كما في هذه القصة وغيرها انتهى وانصرف صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لسبع ليال خلون
كما قال الدمياطي او لخمس كما قال مغلطاي خلون من ذي الحجة وامر عليه السلام ببني قريظة فادخلت
المدينة وحفر لهم اخدود في السوق وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت

اعناقهم

اعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة وقال السهيلي المكثر يقول انهم ما بين
الثمانمائة الى التسعمائة وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان باسناد
صحيح انهم كانوا اربعمائة مقاتل فيحتمل في طريق الجمع ان يقال ان الباقين كانوا اتباعا
واصطفى (صلى الله عليه وسلم صح) لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها وقيل كان يطاها بملك اليمين ثم امر
بالغنائم فجمعت واخرج الخمس من المتاع والسبي ثم امر بالباقي فبيع فيمن يريد وقسمه بين
المسلمين فكانت على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما للفرس سهمان ولصاحبه سهم وصار
الخمس الى محمية بن جزء الزبيدي فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتق منه ويهب ويخدم
منه من اراد وكذلك كان يصنع بما صار اليه من الرثة وهو السقط من المتاع وانفجر
جرح سعد بن معاذ فمات شهيدا وفي البخاري انه دعا اللهم انك تعلم انه ليس
احد احب الي ان اجاهد فيك من قوم كذبوا رسولك اللهم اني اظن انك قد وضعت
الحرب فافجرها واجعل موتي فيها فانفجرت من لبته فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني
غفار الا الدم يسيل اليهم فقالوا يا اهل الخيمة ما هذا الدم الذي ياتينا من قبلكم فاذا
سعد يغذو جرحه دما فمات منها وقد كان ظن سعد مصيبا ودعاؤه في هذه القصة
مجابا وذلك انه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب
يكون ابتدا القصد فيه من المشركين فانه عليه الصلوة والسلام تجهز الى العمرة فصدوه
عن دخول مكة وكاد الحرب ان يقع بينهم فلم تقع كما قال تعالى وهو الذي كف ايديهم
عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم ثم وقعت الهدنة واعتمر عليه
السلام من قابل واستمر ذلك الى ان نقضوا العهد فتوجه اليهم غازيا ففتحت مكة
فعلى هذا فالمراد بقوله اظن انك قد وضعت الحرب اي ان يقصدونا محاربين وهو كقوله
عليه السلام نغزوهم ولا يغزونا كما تقدم وقد بين سبب انفجار جرح سعد في مرسل حميد
ابن هلال عند ابن سعد ولفظه انه مرت به عنز وهو مضطجع فاصاب ظلفها موضع
النحر فانفجرت حتى مات وحضر جنازته سبعون الف ملك واهتز لموته عرش الرحمن
رواه الشيخان قال النووي اختلف العلما في تاويله فقالت طائفة هو على
ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله تعالى في العرش تمييزا
حصل به هذا ولا مانع منه كما قال وان منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو ظاهر
الحديث وهو المختار قال المازري قال بعضهم هو على حقيقته وان العرش تحرك
لموته قال وهذا لا ينكر من جهة العقل لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة والسكون
قال لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك الا ان يقال ان الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة
على موته وقال آخرون المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول ومنه قول العرب فلان
يهتز للمكارم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه اليها واقباله
عليها وقال الحربي هو عبارة عن تعظيم شان وفاته والعرب تنسب الشي المعظم

الى اعظم الاشيا فيقولون اظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيمة وقال جماعة
المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول باطل يرده صريح الروايات التي ذكر
مسلم اهتز لموته عرش الرحمن وانما قال هولاء هذا التاويل لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات
التي ذكرها مسلم والله اعلم انتهى وقيل المراد اهتزاز العرش اهتزاز حملة العرش وصحح
الترمذي من حديث انس قال لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون ما اخف
جنازته فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة كانت تحمله وعن البرا اهديت
للنبي صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل اصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى
الله عليه وسلم تعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها والين هذا
لفظ رواية ابي نعيم في مستخرجه على مسلم والمناديل جمع منديل بكسر الميم في المفرد وهو معروف
قال العلما اشارة الى عظم منزلة سعد في الجنة وان ادنى ثيابه فيها خير من هذه لان
المنديل ادنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره افضل **واخرج** ابن سعد
وابو نعيم من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال قبض انسان
يومئذ بيده من تراب قبره فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هي مسك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله حتى عرف ذلك في وجهه
فقال الحمد لله لو كان احد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها ضمة ثم فرج الله عنه **واخرج**
ابن سعد عن ابي سعيد الخدري قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك
كلما حفرناه قال الحافظ مغلطاي وغيره وفي هذه السنة فرض الحج وقيل سنة ست وصحح
غير واحد وهو قول الجمهور وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان ورجح جماعة من العلماء سنة تسع
البحث في ذلك ان شا الله تعالى في ذكر وفد عبد القيس من المقصد الثاني في ذكر حجه
عليه السلام من مقصد عباداته **ثم سرية محمد بن مسلمة** الى القرطا بطن
من بني ابي بكر بن كلاب وهم ينزلون بناحية ضرية بالبكرات وبين ضرية والمدينة
سبع ليال لعشر ليال خلون من المحرم سنة ست على راس تسعة وخمسين شهرا من الهجرة
بعثه في ثلاثين راكبا فلما اغار عليهم هرب سائرهم **وعند** الدمياطي فقتل
نفرا منهم وهرب سائرهم واستاق نعما وشا وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه
ثمامة بن اثال الحنفي اسيرا فربط بامره عليه الصلوة والسلام بسارية من سواري المسجد
ثم اطلق بامره عليه الصلوة والسلام فاغتسل واسلم وقال يا محمد والله ما كان على الارض
وجه ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله ما كان من دين ابغض الي من
دينك فاصبح دينك احب الاديان كلها الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فاصبح
بلدك احب البلاد الي وان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى
الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن اسلمت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم ذكر قصته البخاري **ثم غزوة بني لحيان** بكسر اللام وفتحها لغتان
في ربيع الاول سنة ست من الهجرة وذكرها ابن اسحاق في جمادى الاولى على راس ستة اشهر
من قريظة قال ابن حزم الصحيح انها في الخامسة قالوا وجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على عاصم بن ثابت واصحابه وجدا شديدا فاظهر انه يريد الشام وعسكر في مائتي
رجل ومعهم عشرون فرسا واستخلف على المدينة عبد الله بن ام مكتوم ثم اسرع السير
حتى انتهى الى بطن غران واد بين امج وعسفان وبينها وبين عسفان خمسة اميال حيث
كان مصاب اصحابه اهل الرجيع الذين قتلوا ببير معونة فترحم عليهم ودعا لهم
فسمعت بهم بنو لحيان فهربوا في رؤس الجبال فلم يقدر منهم على احد فاقام يوما او يومين
يبعث السرايا في كل ناحية ثم خرج حتى اتى عسفان فبعث ابا بكر في عشرة فوارس لتسمع
بهم قريش فيذعرهم فاتوا كراع ثم رجعوا ولم يلقوا احدا **وانصرف** صلى الله عليه
وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا وهو يقول ايبون تائبون عابدون لربنا حامدون و
غاب عن المدينة اربع عشرة ليلة **غزوة الغابة** وتعرف بذي قرد بفتح القاف
والرا وبالدال المهملة وهو ما على بريد من المدينة في ربيع الاول سنة ست قبل الحديبية
وعند البخاري انها كانت قبل خيبر بثلاثة ايام وفي مسلم نحوه قال مغلطاي وفي
ذلك نظر لاجماع اهل السير على خلافهما انتهى **وسببها** انه كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم عشرون لقحة وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ترعى بالغابة
وكان ابو ذر فيها فاغار عليهم عيينة بن حصن الفزاري ليلة الاربعا في اربعين فارسا
فاستاقوها وقتلوا ابن ابي ذر قال ابن اسحاق وكان فيهم رجل من غفار وامراة
فقتلوا الرجل وسبوا المراة فركبت ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم ليلا حين غفلتهم ونذرت
لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته بذلك فقال لا نذر
في معصية ولا لاحد فيما لا يملك ونودي يا خيل الله اركبي وكان اول ما نودي بها
وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خمسمائة وقيل سبعمائة واستخلف على المدينة
ابن ام مكتوم وخلف سعد بن عبادة في ثلثمائة يحرسون المدينة وكان قد عقد للمقداد
ابن عمرو لواء في رمحه وقال له امض حتى تلحقك الخيول وانا على اثرك فادرك اخريات
العدو وقتل ابو قتادة مسعدة فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه
وقتل عكاشة بن محصن ابان بن عمرو وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة
وادرك سلمة بن الاكوع القوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل ويقول خذها
وانا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع يعني يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع
اي رضع اللوم في بطن امه وقيل معناه اليوم يعرف من ارضعته الحرب من صغره وتدرب
فيها ويعرف غيره ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء قال سلمة
فقلت يا رسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في ايديهم

قال القرطبي شارح مسلم لا يختلف اهل السير ان غزوة ذي قرد كانت بعد الحديبية فيكون ما وقع في حديث سلمة من وهم بعض الرواة انتهى

من السرح واخذت باعناق القوم فقال صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح وهى بهمزة قطع ثم
سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة اى فارفق واحسن والسجاحة السهولة اى لا تاخذ
بالشدة بل ارفق فقد حصلت النكاية فى العدو ولله الحمد ثم قال انهم الآن ليقرون فى غطفان
وذهب الصريخ الى بنى عمرو بن عوف فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تاتى والرجال على اقدامهم
وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد فاستنقذوا عشر لقاح
وافلت القوم بما بقى وهى عشرة وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد صلوة الخوف
واقام يوما وليلة ورجع وقد غاب خمس ليال وقسم فى كل مائة من اصحابه جزورا ينحرونها

سرية عكاشة بن محصن الاسدى الى غمر
بالغين المعجمة المفتوحة ابن مرزوق وهو ماء لبنى اسد على ليلتين من فيد فى شهر ربيع الاول
سنة ست من الهجرة فى اربعين رجلا فخرج سريعا فنذر بهم القوم بكسر الذال المعجمة كفرح
فهربوا فنزل على بلادهم فاستاقوا مائتى بعير وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يلقوا كيدا **ثم سرية محمد بن مسلمة الى ذى القصة** بالقاف
والصاد المهملة المشددة المفتوحتين موضع بينه وبين المدينة اربعة وعشرون ميلا
فى شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بنى ثعلبة فورد عليهم ليلا فاحدق
بهم القوم وهم مائة رجل فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الاعراب عليهم بالرماح فقتلوهم
الا محمد بن مسلمة فوقع جريحا وجردوهم من ثيابهم ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة
فحمله حتى ورد به المدينة **فبعث** رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة بن الجراح
فى ربيع الآخر فى اربعين رجلا الى مصارعهم فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا فى الجبال
واصابوا رجلا واحدا فاسلم وتركه واخذ نعما من نعمهم فاستاقه ورثة من متاعهم
وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم ما بقى عليهم قال
فى القاموس الرثة السقط من متاع البيت كالرثة بالكسر **ثم سرية زيد بن حارثة
الى بنى سليم** بالجموم ويقال الجموح ناحية ببطن نخل من المدينة على اربعة اميال
فى شهر ربيع الآخر سنة ست فاصابوا امراة من مزينة يقال لها حليمة فدلتهم على محلة
من محال بنى سليم فاصابوا نعما وشاء واسرى فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما قفل زيد
بما اصاب وهبه رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها **ثم سرية
زيد بن حارثة ايضا الى العيص** موضع على اربع ليال من المدينة فى
جمادى الاولى سنة ست ومعه سبعون راكبا لما بلغه عليه الصلوة والسلام ان عيرا لقريش
قد اقبلت من الشام يتعرض لها فاخذوها وما فيها واخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن امية
واسر منهم ناسا منهم ابو العاص بن الربيع وقدم بهم المدينة فاجارته زوجته زينب ابنة
النبى صلى الله عليه وسلم ونادت فى الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر انى
قد اجرت ابا العاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علمت بشىء من هذا وقد اجرنا

من

من اجرت ورد عليه ما اخذ منه **وذكر** ابن قتيبة ان اسره كان على يد ابى بصير بعد
الحديبية وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردها النبى صلى الله عليه وسلم بالنكاح
الاول قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل قبل انقضاء العدة وفى حديث
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها له بنكاح جديد سنة سبع **ثم سرية زيد
ابن حارثة ايضا الى الطرف** وهو ماء على ستة وثلاثين ميلا من المدينة
فى جمادى الآخرة سنة ست فخرج الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا فاصاب نعما وشاء وهربت
الاعراب وصبح زيد بالنعم المدينة وهى عشرون بعيرا ولم يلق كيدا وغاب اربع ليال **ثم
سرية زيد ايضا الى حسمى** بكسر المهملة وهى وراء ذات القرى وكانت فى
جمادى الآخرة سنة ست وسببها انه اقبل دحية بن خليفة الكلبى من عند قيصر وقد اجازه
وكساه فلقيه الهنيد فى ناس من جذام بحسمى فقطعوا عليه الطريق فسمع بذلك نفر من بنى
الضبيب فنفروا اليهم فاستنقذوا لدحية متاعه وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد
يسير الليل ويكمن النهار فاقبل بهم حتى هجم مع الصبح على القوم فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم
فاوجعوا وقتلوا الهنيد وابنه واغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم فاخذوا من النعم
الف شاة ومائة من النساء والصبيان فرحل زيد بن رفاعة الجذامى فى نفر من قومه فدفع
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذى كان كتب له ولقومه ليالى قدم عليه واسلم
فبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى زيد بن حارثة يامره ان يخلى بينهم وبين حرمهم
واموالهم فرد عليهم **ثم سرية زيد بن حارثة ايضا الى وادى القرى**
ايضا فى رجب سنة ست فقتل من المسلمين قتلى وارتث زيد اى حمل من المعركة رثيثا اى جريحا
وبه رمق وهو مبنى للمجهول قاله فى القاموس **ثم سرية عبد الرحمن بن عوف
الى دومة الجندل** فى شعبان سنة ست ومعه سبعمائة رجل فلما ودعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف فاقعده بين يديه وعممه بيده وقال
اغز بسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغدر ولا تقتل وليدا وبعثه الى كلب
بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة
الجندل فمكث ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام فاسلم الاصبغ بن عمرو الكلبى وكان نصرانيا
وكان راسهم واسلم معه ناس كثير من قومه واقام من اقام على اعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن
تماضر بضم المثناة الفوقية وكسر الضاد المعجمة بنت الاصبغ وقدم بها المدينة فولدت له ابا
سلمة **ثم سرية على بن ابى طالب** فى شعبان سنة ست من الهجرة ومعه مائة رجل
الى بنى سعد بن بكر لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان لهم جمعا يريدون ان يمدوا
يهود خيبر فاغاروا عليهم بين فدك وخيبر فاخذوا خمسمائة بعير والفى شاة وهربت بنو
سعد وقدم على ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا **ثم سرية زيد بن حارثة الى ام قرفة**

فاطمة بنت ربيعة بن زيد الفزارية بناحية وادي القرى على سبع ليال من المدينة في رمضان سنة ست من الهجرة **وكان سببها** ان زيد بن حارثة خرج في تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر فضربوه وضربوا اصحابه واخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فبعثه عليه السلام اليهم فكمن هو واصحابه بالنهار وساروا بالليل ثم صبحهم زيد واصحابه فكبروا واحاطوا بالحاضر واخذوا ام قرفة وكانت ملكة رئيسة واخذوا ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمد قيس بن المحسر الى ام قرفة وهي عجوز كبيرة فقتلها قتلا عنيفا ربط بين رجليها حبلا ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام اليه عريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وساله فاخبره بما ظفره الله به

ثم سرية عبد الله بن عتيك لقتل ابي رافع

عبد الله ويقال سلام بن ابي الحقيق اليهودي وهو الذي حزب الاحزاب يوم الخندق وكانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست كذا ذكره ابن سعد هاهنا **وذكر** في تجهيز عبد الله بن عتيك انه بعثه في ذي الحجة الى ابي رافع سنة خمس بعد وقعة بني قريظة وقيل في جمادى الآخرة سنة ثلاث **وفي** البخاري قال الزهري بعد قتل كعب بن الاشرف وارسل معه اربعة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن انيس وابا قتادة والاسود بن خزاعي ومسعود بن سنان وامرهم بقتله فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل جاؤوا الى منزله فصعدوا درجة له وقدموا عبد الله بن عتيك لانه كان يرطن باليهودية فاستفتح وقال جئت ابا رافع بهدية ففتحت له امراته فلما رأت السلاح ارادت ان تصيح فاشاروا اليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه الا ببياضه فعلوه باسيافهم **وفي البخاري** وكان ابو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكان في حصن له فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي ان ادخل فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كانه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني اريد ان اغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم علق الاغاليق على ود قال فقمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان ابو رافع يسمر عنده وكان في علالي له فلما ذهب عنه اهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا اغلقت علي من داخل فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا ادري اين هو من البيت فقلت يا ابا رافع قال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه ضربة بالسيف وانا دهش فما اغنيت شيئا وصاح فخرجت من البيت فامكث غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع فقال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف قال فاضربه ضربة اثخنته ولم اقتله ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره فعرفت اني قتلته **وفي رواية** له ثم جئت كاني اغيثه فقلت

مالك يا ابا رافع وغيرت صوتي فقال الا اعجبك لامك الويل دخل علي رجل فضربني قال فعمدت له ايضا فاضربه اخرى فلم تغن شيئا فصاح وقام اهله قال ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث واذا هو مستلق على ظهره فاضع السيف في بطنه ثم انكفئ عليه فسمعت صوت العظم فجعلت افتح الابواب حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلي وانا ارى اني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة فلما صاح الديك قام الناعي على السور فانطلقت الى اصحابي فقلت النجا فقد قتل الله ابا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها فكانما لم اشتكها قط هذا لفظ رواية البخاري **وفي رواية** محمد بن سعد ان الذي قتله عبد الله بن انيس والصواب ان الذي دخل عليه فقتله عبد الله بن عتيك وحده كما في البخاري

سرية عبد الله ابن رواحة الى اسير بن رزام

اليهودي بخيبر في شوال سنة ست **وكان** سببها انه لما قتل ابو رافع سلام بن ابي الحقيق امرت يهود عليها اسير فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرا فسال عن خبره وغرته فاخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فندب عليه السلام الناس فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله ابن رواحة فقدموا عليه وقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين حتى اذا كانوا بقرقرة ضربه عبد الله بن انيس وكان في السرية بالسيف فسقط عن بعيره ومالوا على اصحابه فقتلوهم غير رجل ولم يصب من المسلمين احد ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين

سرية كرز بن جابر الفهري

بضم الكاف وسكون الرا بعدها زاي **الى العرنيين** بضم العين وفتح الرا المهملتين حي من قضاعة وحي من بجيلة والمراد هنا الثاني كذا ذكره ابن عقبة في المغازي وذكر ابن اسحاق ان قدومهم كان بعد غزوة ذي قرد وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وذكرها البخاري بعد الحديبية وكانت في ذي القعدة منها وعند الواقدي في شوال منها وتبعه ابن سعد وابن حبان **وفي** البخاري في كتاب المغازي عن انس ان ناسا من عكل بضم العين وسكون الكاف وعرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا رسول الله انا كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف واستوخموا المدينة فامر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذود وراع وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فامر بهم فسمروا اعينهم وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم وفي لفظ فسمر اعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا

وفى لفظ ولم يحسمهم اى لم يكو مواضع القطع فينحسم الدم وقال انس انما سمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اعينهم لانهم سمروا اعين الرعاء رواه مسلم فيكون مما فعل بهم قصاصا وفى رواية انهم كانوا ثمانية **وعند** البخارى ايضا فى المحاربين انهم كانوا فى الصفة قبل ان يطلبوا الخروج الى الابل وفى رواية قال انس فلقد رايت احدهم يكدم الارض بفيه حتى ماتوا **وعند** الدمياطى كابن سعد ان اللقاح كانت خمس عشرة لقحة بكسر اللام وسكون القاف ويقال لها ذلك الى ثلاثة اشهر **وفى** صحيح مسلم ان السرية كانت عشرين فارسا من الانصار **وروى** ابن مردويه عن سلمة بن الاكوع قال كان للنبى صلى الله عليه وسلم مولى يقال له يسار فنظر اليه يحسن الصلوة فاعتقه وبعثه فى لقاح له بالحرة فكان بها قال فاظهر قوم الاسلام من عرينة وجاءوا وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم وعدوا على يسار فذبحوه وجعلوا الشوك فى عينيه ثم طردوا الابل فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى آثارهم خيلا من المسلمين اميرهم كرز بن جابر الفهرى فلحقهم فجاء بهم اليه فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم قال ابن كثير غريب جدا **وروى** ابن جرير عن محمد بن ابراهيم عن جرير بن عبد الله البجلى قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرينة الحديث وفيه قال جرير فبعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفرا من المسلمين حتى ادركناهم فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم فجعلوا يقولون الماء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النار حتى هلكوا قال وكره الله عز وجل سمل الاعين فانزل الله هذه الآية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الى آخر الآية وهو حديث غريب ضعيف وفيه ان امير السرية جرير بن عبد الله البجلى قال مغلطاى فيه نظر لان اسلام جرير كان بعد هذه بنحو اربع سنين **وفى** مغازى ابن عقبة ان امير هذه السرية سعيد بن زيد كذا عنده بزيادة يا وعند غيره انه سعد بسكون العين ابن زيد الاشهلى وهذا انصارى فيحتمل انه كان رأس الانصار وكان كرز امير الجماعة واما قوله فكره الله سمل الاعين فانزل الله هذه الآية فانه منكر فقد تقدم فى صحيح مسلم انهم سملوا اعين الرعاء فكان ما فعل بهم قصاصا والله اعلم **تنبيه** قال فى فتح البارى وزعم ابن التين تبعا للداودى ان عرينة هم عكل وهو غلط بل هما قبيلتان متغايرتان عكل من عدنان وعرينة من قحطان **ثم سرية عمرو بن امية الضمرى الى ابى سفيان** بن حرب بمكة لانه ارسل للنبى صلى الله عليه وسلم من يقتله غدرا فاقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا ليريد غدرا فجذبه اسيد بن الحضير بداخلة ازاره فاذا بالخنجر فسقط فى يده فقال صلى الله عليه وسلم اصدقنى ما انت قال وانا آمن قال نعم فاخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم وبعث عمرو بن امية ومعه سلمة بن اسلم ويقال جبار بن صخر الى ابى سفيان وقال ان اصبتما منه

غرة

غرة فاقتلاه ومضى عمرو بن امية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن ابى سفيان فاخبر قريشا بمكانه فخافوه وطلبوه وكان فاتكا فى الجاهلية فحشد له اهل مكة وتجمعوا فهرب عمرو وسلمة فلقى عمرو عبيد الله بن مالك التيمى فقتله وقتل آخر ولقى رسولين لقريش بعثتهما يتجسسان الخبر فقتل احدهما واسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وهو يضحك عليه السلام **ثم الحديبية** بتخفيف الياء وتشديدها وهى بئر سمى المكان بها وقيل شجرة وقال المحب الطبرى قرية قريبة من مكة اكثرها فى الحرم وهى على تسعة اميال من مكة خرج عليه السلام يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة واخرج معه زوجته ام سلمة فى الف واربعمائة ويقال الف وخمسمائة وقيل الف وثلاثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا اكثر من الف واربعمائة فمن قال الف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال الف واربعمائة الغاه ويؤيده رواية البراء الف واربعمائة او اكثر واعتمد على هذا الجمع النووى واما رواية الف وثلاثمائة فيمكن حملها على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة مائتين لم يطلع هو عليهم والزيادة من الثقة مقبولة واما قول ابن اسحاق انهم كانوا سبعمائة فلم يوافق احد عليه لانه قاله استنباطا من قول جابر نحرنا البدنة عن عشرة وكانوا نحروا سبعين بدنة وهذا لا يدل على انهم كانوا نحروا غير البدن مع ان بعضهم لم يكن احرم اصلا وجزم موسى بن عقبة بانهم كانوا الفا وستمائة وعند ابن ابى شيبة من حديث سلمة بن الاكوع الفا وسبعمائة وحكى ابن سعد الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين **واستخلف** على المدينة ابن ام مكتوم ولم يخرج معه بسلاح الا سلاح المسافر السيوف فى القرب **وفى** البخارى فى المغازى عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فى بضع عشرة مائة من اصحابه فلما كان بذى الحليفة قلد الهدى واشعر واحرم منها وفى رواية احرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان بغدير الاشطاط اتاه عينه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك فقال اشيروا على ايها الناس اترون ان اميل الى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون ان يصدونا عن البيت وفيه قال ابو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل احد ولا حرب احد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله **وزاد** احمد كان ابو هريرة يقول ما رأيت احدا قط كان اكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم **وفى رواية** للبخارى حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت راحلته فقال الناس حل حل فالحت يعنى تمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصوى

خلأت القصوى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصوى وما ذاك لها بخلق ولكن
حبسها حابس الفيل اي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك
ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع بينهم القتال لكن سبق في علم
الله انه سيدخل في الاسلام منهم خلق ويستخرج من اصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون انتهى
ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا
اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الما
يعني حفيرة فيها ماء قليل يتبرضه الناس تبرضا اي ياخذونه قليلا قليلا فلم يلبثه الناس
حتى نزحوه وشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم
ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل
ابن ورقا الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي نزلوا اعداد مياه الحديبية
معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والعوذ بالذال المعجمة جمع
عائذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التي معها اطفالها يريد انهم خرجوا
معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بالبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه او كنى بذلك
عن النساء معهن الاطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم واولادهم لارادة طول المقام
ليكون ادعى الى عدم الفرار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد ولكنا
جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا
بيني وبين الناس فان شاؤا فان اظهر فان شاؤا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا
والا فقد جموا يعني استراحوا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري
هذا حتى تنفرد سالفتي اي صفحة العنق كنى بذلك عن القتل ولينفذن الله امره
فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا قد جئناكم من هذا الرجل
وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا
ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذو الراي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا
فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقام عروة بن مسعود فقال اي قوم الستم بالوالد
قالوا بلى قال ولست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني
استنفرت اهل عكاظ فلما بلحوا علي وهو بالمهملة اي تمنعوا من الاجابة جئتكم باهلي وولدي
ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد اي خصلة خير وصلاح اقبلوها
ودعوني آتيه فاتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من
قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد ارايت ان استاصلت امر قومك هل سمعت باحد من
العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لا ارى وجوها واني لارى اشوابا يعني
اخلاطا من الناس خليقا ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق رضي الله عنه امصص

المفضي الى سفك الدما ونهب الأموال كما لو قدر دخول الفيل

بظر

بظر اللات نحن نفر عنه او ندعه قال العلماء وهذا مبالغة من ابي بكر في سب عروة فانه
اقام معبود عروة وهو صنمه مقام امه وحمله على ذلك ما اغضبه به من نسبته الى الفرار
والبظر بالموحدة المفتوحة والظاء المعجمة الساكنة قطعة تبقى بعد الختان في فرج المراة
واللات اسم صنم والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم انتهى فقال اي عروة من هذا
قالوا ابو بكر فقال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك
قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على
راس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده الى لحية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال اخر يدك عن لحية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد قال العلماء وقد كانت عادة العرب ان يتناول الرجل لحية من
يكلمه لا سيما عند الملاطفة وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كان صلى الله
عليه وسلم يغضي لعروة استمالة له وتاليفا والمغيرة يمنعه اجلالا للنبي صلى الله عليه
وسلم وتعظيما انتهى قال فرفع عروة راسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال
اي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم
ثم جاء فاسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل واما المال فلست منه في شيء
ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول
الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا
امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم
عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له قال في فتح الباري وفيه اشارة الى الرد
على ما خشيه من فرارهم فكانهم قالوا بلسان الحال من يحبه هذه المحبة ويعظمه هذا
التعظيم كيف يظن به انه يفر عنه ويسلمه لعدوه بل هم اشد اغتباطا به وبدينه ونصره
من هذه القبائل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم والله اعلم انتهى قال فرجع عروة الى اصحابه
فقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان
رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت
في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا
يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له
وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته
فلما اشرف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان
وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما
راى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع الى اصحابه قال رايت
البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز
ابن حفص بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الرا بعدها زاي فقال دعوني آتيه فلما اشرف عليهم

قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل غادر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم
فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فاخبرني ايوب عن عكرمة انه لما جاء سهيل
قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من امركم وفي رواية ابن اسحاق فدعت قريش
سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل فصالحه فقال صلى الله عليه وسلم قد ارادت
قريش الصلح حين بعثت هذا فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم جرى بينهما القول حتى
وقع بينهما الصلح على ان توضع الحرب بينهم عشر سنين وان يامن بعضهم بعضا وان يرجع
عنهم عامهم هذا وقال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب
بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن الرحيم فوالله ما ادري ما هو ولكن
اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم فكتب هذا ما صالح عليه
محمد رسول الله اهل مكة الحديث فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك
عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله
اني لرسول الله وان كذبتموني وفي رواية لهما اي البخاري ومسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لعلي امحه فقال ما انا بالذي امحاه وهي لغة في امحوه قال العلماء وهذا الذي
فعله علي من باب الادب المستحب لانه لم يفهم من النبي صلى الله عليه وسلم تحتيم محو علي نفسه
ولهذا لم ينكر عليه ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلي تركه انتهى ثم قال صلى الله عليه وسلم ارني
مكانها فاراه مكانها فمحاه وكتب ابن عبد الله وفي رواية البخاري في المغازي فاخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد
ابن عبد الله وكذا اخرجه النسائي واحمد ولفظه فاخذ الكتاب وليس يحسن ان يكتب
فكتب مكان رسول الله هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال في فتح الباري وقد
تمسك بظاهر هذه الرواية ابو الوليد الباجي فادعى ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب بيده
بعد ان لم يكن يحسن ان يكتب فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه ورموه بالزندقة وان
الذي قاله يخالف القرآن حتى قال قائلهم شعرا

برئت ممن شرى دنيا باخرة ... وقال ان رسول الله قد كتبا

فجمعهم الامير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال هذا لا ينافي القرآن
بل يؤخذ من مفهوم القرآن لانه قيد النفي بما قبل ورود القرآن قال تعالى وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وبعد ان تحققت اميته وتقررت بذلك معجزته
وامن الارتياب في ذلك لا مانع من ان يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة
اخرى وذكر ابن دحية ان جماعة من العلماء وافقوا الباجي على ذلك منهم شيخه ابو ذر

الهروي وابو الفتح النيسابوري وآخرون من علماء افريقية واحتج بعضهم لذلك بما
اخرجه ابن ابي شيبة من طريق مجالد عن عون بن عبد الله ما مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى كتب وقرأ قال مجالد فذكرته للشعبي فقال صدق قد سمعت من يذكر
ذلك قال القاضي عياض وردت آثار تدل على معرفة حروف الخط وحسن تصويرها
كقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر لك وقوله الق الدواة وحرف القلم وفرق
السين ولا تعور الميم الى غير ذلك قال وهذا وان لم يثبت انه كتب فلا يبعد ان يرزق
علم وضع الكتابة فانه اوتي علم كل شيء واجاب الجمهور بضعف هذه الاحاديث
وعن قصة الحديبية بان القصة واحدة والكاتب فيها علي بن ابي طالب وقد صرح في
حديث المسور بن مخرمة بان عليا هو الذي كتب فيحمل على ان النكتة في قوله فاخذ
الكتاب وليس يحسن يكتب لبيان ان قوله ارني اياها انه انما احتاج الى ان يريه موضع
الكلمة التي امتنع علي من محوها الا لكونه كان لا يحسن الكتابة وعلى ان قوله بعد ذلك
فكتب فيه حذف تقديره فمحاها فاعادها لعلي فكتب واطلق كتب بمعنى امر بالكتابة
وهو كثير كقوله كتب الى كسرى وقيصر وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه
الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة ان يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه
اميا فان كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف صور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده
وخصوصا الاسماء ولا يخرج بذلك عن كونه اميا ككثير من الملوك ويحتمل ان يكون
جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فتكون معجزة
اخرى في ذلك الوقت خاصة ولا يخرج بذلك عن كونه اميا وبهذا اجاب ابو جعفر
السمناني احد ائمة الاصول من الاشاعرة وتبعه ابن الجوزي وتعقب ذلك
السهيلي وغيره بان هذا وان كان ممكنا ويكون آية اخرى لكنه يناقض كونه اميا لا يكتب
وهي الآية التي قامت بها الحجة وافحم الجاحد وانحسمت الشبهة فلو جاز ان يصير يكتب
بعد ذلك لعادت الشبهة وقال المعاند كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك قال والمعجزات
يستحيل ان يدفع بعضها بعضا والحق ان معنى قوله فكتب امر عليا ان يكتب انتهى قال
وفي دعوى ان كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة يستلزم مناقضة المعجزة ويثبت
كونه غير امي نظر كبير والله اعلم واما قوله اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله اما الرحمن
فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم الى آخره فقال العلماء وافقهم عليه السلام
في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله
وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع انه لا مفسدة في هذه الامور اما
البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد وكذلك قوله محمد بن عبد الله هو ايضا رسوله وليس
في ترك وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ولا في ترك وصفه صلى الله
عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها فلا مفسدة فيما طلبوه وانما كانت المفسدة تكون لو طلبوا

ان يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك انتهى قال في رواية البخاري فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال صلى الله عليه وسلم على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما والضغطة بالضم قال في القاموس الضيق والاكراه والشدة انتهى فان قلت ما الحكمة في كونه عليه السلام وافق سهيلا على انه لا يأتيه رجل منهم وان كان على دين الاسلام الا ويرده الى المشركين فالجواب ان المصلحة المترتبة على تمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة واسلام اهلها كلهم ودخول الناس في دين الله افواجا وذلك انهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا يتظاهر عندهم امور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاؤا الى المدينة وذهب المسلمون الى مكة وخلوا باهلهم واصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه وسمعوا منهم احوال النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة واعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بانفسهم كثيرا من ذلك فمالت نفوسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فاسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة وازداد الآخرون ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح اسلموا كلهم لما كان قد تمهد لهم من الميل وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون باسلامهم اسلام قريش فلما اسلمت قريش اسلمت العرب في البوادي قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فالله ورسوله اعلم انتهى قال في رواية البخاري فبينما هم كذلك اذ دخل ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد اول ما اقاضيك عليه ان ترده الي فقال صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله اذا لا اصالحك على شيء ابدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فاجزه لي قال ما انا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل قال مكرز بل قد اجزناه لك قال ابو جندل اي معشر المسلمين ارد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا زاد ابن اسحاق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وان الله جاعل لك فرجا ومخرجا ووثب عمر يمشي الى جنبه ويقول اصبر فانما هم المشركون وانما دم احدهم كدم كلب قال الخطابي تأول العلماء ما وقع في قصة ابي جندل على وجهين احدهما ان الله قد اباح التقية للمسلم اذا خاف الهلاك ورخص له ان يتكلم بالكفر مع اضمار الايمان ان لم تمكنه التورية فلم يكن رده اليهم اسلاما لابي جندل الى الهلاك مع وجود السبيل الى الخلاص من الموت بالتقية والوجه الثاني انه انما رده الى ابيه والغالب ان اباه لا يبلغ به

الى الهلاك

الى الهلاك وان عذبه او سجنه فله مندوحة بالتقية ايضا واما ما يخاف عليه من الفتنة فان ذلك امتحان من الله يبتلي به صبر عباده المؤمنين واختلف العلماء هل يجوز الصلح مع المشركين على ان يرد اليهم من جاء مسلما من عندهم ام لا فقيل نعم على ما دلت عليه قصة ابي جندل وابي بصير وقيل لا وان الذي وقع في القصة منسوخ وان ناسخه حديث انا بريء من مسلم بين مشركين وهو قول الحنفية وعند الشافعية يفصل بين العاقل والمجنون والصبي فلا يردان وقال بعض الشافعية ضابط جواز الرد ان يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب والله اعلم قاله في فتح الباري قال في رواية البخاري فقال عمر بن الخطاب فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت الست نبي الله حقا قال بلى قال السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت اوليس كنت تحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى فاخبرتك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال فاتيت ابا بكر فقلت يا ابا بكر اليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال ايها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت اوليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف به قال بلى افاخبرك انه يأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين واذلال المبطلين واما جواب ابي بكر لعمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته في ذلك على غيره وكان الصلح بينهم عشر سنين كما في السير واخرجه ابو داود من حديث ابن عمر ولابي نعيم في مسند عبد الله بن دينار كانت اربع سنين وكذا اخرجه الحاكم في البيوع من المستدرك والاول اشهر وكان الصلح على وضع الحرب بحيث يأمن الناس فيها ويكف بعضهم عن بعض وان لا يدخل البيت الا العام القابل ثلاثة ايام ولا يدخلوها الا بجلبان السلاح وهو القراب بما فيه والجلبان بضم الجيم وسكون اللام شبه الجراب من الادم يوضع فيه السيف مغمودا ورواه القتيبي بضم الجيم واللام وتشديد الباء وقال هو اوعية السلاح بما فيها وفي بعض الروايات ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وانما اشترطوا ذلك ليكون علما وامارة للسلم اذ كان دخولهم صلحا وقال مكي بن ابي طالب القيرواني في تفسيره وبعث عليه السلام بالكتاب اليهم مع عثمان بن عفان وامسك سهيل ابن عمرو عنده فامسك المشركون عثمان فغضب المسلمون وقال مغلطاي فاحتبسته قريش عندها فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان قد قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على ان لا يفروا انتهى ووضع النبي صلى الله عليه وسلم

شماله في يمينه وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال صلى الله عليه وسلم بيده
اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده الحديث ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا
وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فقوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين وحلق
الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحروا هداياهم بالحديبية قال مغلطاي
وارسل الله ريحا حملت شعورهم فالقتها في الحرم واقام عليه السلام بالحديبية
بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما ثم قفل وفي نفوس بعضهم شيء فانزل الله تعالى
سورة الفتح يسليهم بها ويذكرهم نعمه فقال تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال
ابن عباس وانس والبراء بن عازب الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح بعد ان كان
المنافقون يظنون ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا اي حسبوا انهم
لا يرجعون بل يقتلون كلهم واما قوله تعالى واثابهم فتحا قريبا فالمراد فتح خيبر على الصحيح
لانها وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين وقد روى احمد وابو داود والحاكم من حديث
مجمع بن جارية قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا
عند كراع الغميم وقد جمع الناس يقرا عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية فقال له رجل يا رسول
الله او فتح هو قال اي والذي نفسي بيده انه لفتح وروى سعيد بن منصور باسناد
صحيح عن الشعبي انا فتحنا لك فتحا مبينا الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وتبايعوا بيعة الرضوان واطعموا نخيل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المسلمون بنصر الله
واما قوله اذا جاء نصر الله والفتح وقوله لا هجرة بعد الفتح ففتح مكة باتفاق قال الحافظ
ابن حجر فبهذا يرتفع الاشكال والله اعلم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
وفي هذه السنة كسفت الشمس وظاهر اوس بن الصامت من امراته خولة وفي هذه السنة
ايضا استسقى في رمضان ومطر الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح الناس مؤمن بالله
وكافر بالكوكب قاله مغلطاي وجزم الدمياطي في سيرته بان تحريم الخمر كان سنة الحديبية
وذكر ابن اسحاق انه كان في وقعة بني النضير وهي بعد احد وذلك سنة اربع على الراجح
وفيه نظر لان انسا كان الساقي يوم حرمت وانه لما سمع المنادي بتحريمها بادر فاراقها
فلو كان ذلك سنة اربع لكان انس يصغر عن ذلك واخرج النسائي والبيهقي بسند صحيح عن
ابن عباس انما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الانصار شربوا فلما ثمل القوم عبث بعضهم
ببعض فلما ان صحوا جعل الرجل يرى في وجهه وراسه الاثر فيقول صنع هذا اخي فلان
وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فيقول والله لو كان بي رحيما ما صنع بي هذا حتى وقعت
في قلوبهم الضغائن فانزل الله تعالى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى فهل
انتم منتهون فقال ناس من المتكلفين هي رجس وهي في بطن فلان وفلان وقد قتل يوم
احد فانزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى المحسنين

وآية

وآية تحريم الخمر نزلت في عام الفتح قبل الفتح والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي به
عصير العنب اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا
وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه
ثم اشتد حل شرب ما دون السكر انتهى واما الحشيشة وتسمى القنب الهندي والحيدرية
والقلندرية فلم يتكلم فيها الائمة الاربعة ولا غيرهم من علماء السلف لانها لم تكن في
زمنهم وانما ظهرت في اواخر المائة السادسة واول السابعة واختلف هل هي مسكرة
فيجب فيها الحد او مفسدة للعقل فيجب التعزير والذي اجمع عليه الاطباء انها مسكرة وبه
جزم الفقهاء وصرح به ابو اسحاق الشيرازي في كتاب التذكرة في الخلاف والنووي في
شرح المهذب ولا نعرف فيه خلافا عندنا ونقل عن ابن تيمية انه قال الصحيح انها
مسكرة كالشراب فان آكليها ينتشون عنها ولذلك يتناولونها بخلاف البنج وغيره
فانه لا ينشي ولا يشتهى قال الزركشي ولم ار من خالف في هذا الا القرافي في
قواعده فقال النص العلماء بالنبات في كتبهم انها مسكرة والذي يظهر لي انها مفسدة
في كلام تعقبه الزركشي يطول ذكره وقد تظافرت الادلة على حرمتها ففي صحيح مسلم
كل مسكر حرام وقد قال تعالى ويحرم عليهم الخبائث واي خبيث اعظم مما يفسد العقول
التي اتفقت الملل والشرائع على ايجاب حفظها ولا ريب ان تناول الحشيشة
يظهر به آثار التغير في انتظام الفعل والقول المستمد كماله من نور العقل وقد روى
ابو داود باسناد حسن عن ديلم الحميري قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله انا بارض باردة نعالج فيها عملا شديدا وانا نتخذ شرابا من هذا القمح
نتقوى به على اعمالنا وعلى برد بلادنا قال فهل يسكر قلت نعم قال فاجتنبوه قلت
فان الناس غير تاركيه قال فان لم يتركوه فقاتلوهم وهذا منه صلى الله عليه وسلم
تنبيه على العلة التي لاجلها حرم المزر فوجب ان كل شيء عمل عمله يجب تحريمه ولا شك
ان الحشيش يعمل ذلك وفوقه وروى احمد في مسنده وابو داود في سننه عن ام سلمة
قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال العلماء المفتر كل ما يورث
الفتور والخدر في الاطراف وهذا الحديث ادل دليل على تحريم الحشيشة وغيرها من
المخدرات فانها ان لم تكن مسكرة كانت مفترة مخدرة ولذلك يكثر النوم من متعاطيها
وتثقل رؤسهم بواسطة تبخيرها في الدماغ وقد نقل الاجماع على تحريمها غير واحد
منهم القرافي وابن تيمية وقال ان من استحلها فقد كفر وتعقبه الزركشي بان تحريمها
ليس معلوما من الدين بالضرورة سلمنا ذلك لكن لا بد ان يكون دليل الاجماع قطعيا
على احد الوجهين وقد ذكر اصحابنا ان المسكر من غير عصير العنب كعصير العنب في وجوب
الحد لكن لا يكفر مستحله لاختلاف العلماء فيه واختلف هل يحرم تعاطي اليسير الذي
لا يسكر فقال النووي في شرح المهذب انه لا يحرم اكل القليل الذي لا يسكر من الحشيش

بخلاف الخمر حيث حرم قليلها الذي لا يسكر والفرق ان الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز شرب قليله للنجاسة وتعقبه الزركشي بانه صح في الحديث ما اسكر كثيره فقليله حرام قال والمتجه انه لا يجوز تناول شيء من الحشيش لا قليل ولا كثير واما قول النووي انها طاهرة وليست بنجسة فقطع به ابن دقيق العيد وحكى الاجماع عليه قال والافيون وهو لبن الخشخاش اقوى فعلا من الحشيش لان القليل منه يسكر جدا وكذلك السيكران والجوز الطيب مع ان طاهرها بالاجماع انتهى **وقد جمع** بعضهم في الحشيشة مائة وعشرين مضرة دينية وبدنية حتى قال بعضهم كلما في الخمر من المذمومات موجود في الحشيش وزيادة فان اكثر ضرر الخمر في الدين لا في البدن وضررها فيهما فمن ذلك فساد العقل وعدم المروءة وكشف العورة وترك الصلوات والوقوع في المحرمات وقطع النسل والبرص والجذام والاسقام والرعشة والابنة ونتن الفم وسقوط شعر الاجفان وحفر الاسنان وتسويدها وتضييق النفس وتصفير الالوان وتنقيب الكبد وتجعل الاسد كالجعل وتورث الكسل والفشل وتجعل العزيز ذليلا والصحيح عليلا والفصيح ابكما والصحيح ابلما تذهب السعادة وتنسي الشهادة فصاحبها بعيد عن السنة طريد عن الجنة موعود من الله باللعنة الا ان يفزع من الندم سنه ويحسن بالله ظنه

وقد احسن القائل

قل لمن ياكل الحشيشة جهلا ... يا خسيسا قد عشت شر معيشه
دية العقل بدرة فلماذا ... يا سفيها قد بعتها بحشيشه

غزوة خيبر وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحاق خرج النبي صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم سنة سبع فاقام يحاصرها بضع عشرة ليلة الى ان فتحها وقيل كانت في آخر سنة ست وهو منقول عن مالك وبه جزم ابن حزم قال الحافظ ابن حجر والراجح ما ذكره ابن اسحاق ويمكن الجمع بان من اطلق سنة ست بناه على ان ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الاول واغرب ابن سعد وابن ابي شيبة فرويا من حديث ابي سعيد الخدري خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر لثمان عشرة من رمضان واسناده حسن لكنه خطأ ولعلها كانت الى حنين فتصحفت وتوجيهه ان غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح وغزوة الفتح خرج صلى الله عليه وسلم فيها في رمضان جزما قال وذكر الشيخ ابو حامد في التعليقة انها كانت سنة خمس وهو وهم ولعله انتقال من الخندق الى خيبر **وكان معه** عليه السلام الف واربعمائة راجل ومائتا فارس ومعه ام سلمة زوجته وفي البخاري من حديث سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر يا عامر الا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فنزل يحدو بالقوم يقول

اللهم لولا انت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما ابقينا ... وثبت الاقدام ان لاقينا
وانزلن سكينة علينا ... انا اذا صيح بنا اتينا
وبالصياح عولوا علينا

وفي رواية اياس بن سلمة عن ابيه عند احمد في هذا الرجز من الزيادة

ان الذين قد بغوا علينا ... اذا ارادوا فتنة ابينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري من هذا السائق قالوا عامر بن الاكوع قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت يا نبي الله لولا امتعتنا به الحديث **وفي رواية** احمد فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب وهذه كانت عادتهم اذا ارادوا تنشيط الابل في السير ينزل بعضهم فيسوقها ويحدو في تلك الحال وقوله اللهم لولا انت ما اهتدينا كذا الرواية قالوا وصوابه في الوزن لا هم او تالله كما في الحديث الآخر وقوله فداء لك قال المازري هذه اللفظة مشكلة فانه لا يقال للباري سبحانه فديتك لان ذلك انما يستعمل في مكروه يتوقع حلوله بالشخص فيختار شخص آخر ان يحل ذلك به ويفديه منه قال ولعل هذا وقع من غير قصد الى حقيقة معناه كما يقال قاتله الله ولا يريدون بذلك حقيقة الدعاء عليه وكقوله عليه السلام تربت يداك تربت يمينك وفيه كله ضرب من الاستعارة لان المفادي مبالغ في طلب رضى المفدى حين بذل نفسه عن نفسه للمكروه فكان مراد الشاعر اني ابذل نفسي في رضاك وعلى كل حال فان المعنى وان امكن صرفه الى جهة صحيحة فاطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر الى ورود الشرع بالاذن فيه قال وقد يكون المراد بقوله فداء لك رجلا يخاطبه وفصل بين الكلام بذلك ثم عاد الى تمام الاول فقال اغفر ما ابقينا قال وهذا تاويل يصح معه اللفظ والمعنى لولا ان فيه تعسفا اضطرنا اليه تصحيح الكلام انتهى وقيل انه يخاطب بهذا الشعر النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تواخذنا بتقصيرنا في حقك ونصرك وعلى هذا فقوله اللهم لم يقصد بها الدعاء وانما افتتح بها الكلام والمخاطب بقول الشاعر لولا انت النبي لكن يعكر عليه بعد ذلك فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا فانه دعاء الله تعالى ويحتمل ان يكون المعنى فاسال ربك ان ينزل ويثبت والله اعلم **وقوله** اذا صيح بنا اتينا اي اذا صيح بنا للقتال ونحو من المكارم اتينا وفي رواية ابينا بالموحدة بدل المثناة اي ابينا الفرار **وقوله** وبالصياح عولوا علينا اي استغاثوا بنا واستفزعونا للقتال قيل هو من التعويل على الشيء وهو الاعتماد عليه وقيل من العويل وهو الصوت **وقوله** من هذا السائق قالوا عامر قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت اي ثبتت له الشهادة وستقع قريبا وكان معلوما عندهم ان من دعا له صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء في هذا الموطن استشهد

فقالوا اهلا لا استغنيتا به اى وددنا انك اخرت الدعا له بهذا الى وقت آخر لنتمتع
بمصاحبته ورؤيته مدة **وفي** البخاري من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اتى خيبر
ليلا وكان اذا اتى قوما بليل لم يغر بهم حتى يصبح فلما اصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم
فلما راوه قالوا محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم خربت خيبر انا اذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وفي رواية فرفع يديه وقال الله اكبر خربت خيبر
والخميس الجيش سمي به لانه مقسوم بخمسة اقسام المقدمة والساقة والميمنة والميسرة
والقلب ومحمد خبر مبتدا اى هذا محمد **قال** السهيلي يوخذ من هذا الحديث التفاول
لانه عليه السلام لما راى آلة الهدم تفاءل ان مدينتهم ستخرب انتهى ويحتمل كما قاله في
فتح الباري ان يكون قال اخربت خيبر بطريق الوحي ويويده قوله بعد ذلك انا اذا نزلنا
بساحة قوم فساء صباح المنذرين **وفي رواية** انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح قريبا من
خيبر بغلس ثم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين **وقال**
مغلطاي وغيره وفرق عليه السلام الرايات ولم تكن الرايات الا بخيبر وانما كانت الالوية
وقال الدمياطي وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم السوداء من برد لعايشة **وفي**
البخاري وكان علي بن ابي طالب تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان رمدا فلحق فلما بتنا
الليلة التي فتحت قال لاعطين الراية غدا او لياخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله
يفتح الله عليه فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجون ان يعطاها
فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه
الراية فقال علي يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم
ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا
واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم الحديث **ولما تصاف** القوم كان سيف
عامر قصيرا فتناول به ساق يهودي ليضربه ويرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات
منه فلما قفلوا قال سلمة قلت يا رسول الله فداك ابي وامي زعموا ان عامرا حبط عمله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كذب من قاله ان له لاجرين وجمع بين اصبعيه انه لجاهد مجاهد
رواه البخاري ايضا **وعن** يزيد بن ابي عبيد قال رايت اثر ضربة بساق سلمة فقلت ما هذه
الضربة قال هذه ضربة اصابتها يوم خيبر فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث
نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة اخرجه البخاري **وعنه** ايضا عن ابي هريرة شهدنا
خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي الاسلام هذا من اهل النار
فلما حضر القتال قاتل الرجل اشد القتال حتى كثرت به الجراحة فكاد بعض الناس يرتاب فوجد
الرجل الم الجراحة فاهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجال من
المسلمين فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال قم يا فلان

فاذن

فاذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي رواية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو
للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل
الجنة الحديث **وقاتل** النبي صلى الله عليه وسلم اهل خيبر وقاتلوه اشد القتال
واستشهد من المسلمين خمسة عشر وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون وفتحها الله عليه حصنا
حصنا وهي النطاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير والشق وحصن
ابي وحصن البراء والقموص والوطيح والسلالم وهو حصن بني ابي الحقيق واخذ كنز
آل ابي الحقيق الذي كان في مسك الحمار وكانوا قد غيبوه في خربة فدل الله رسوله عليه
فاستخرجه وقلع علي باب خيبر ولم يحركه سبعون الا بعد جهد وفي رواية ابن اسحاق
سبعة واخرجه من طريقه البيهقي في الدلائل وعزاه الحاكم عن البيهقي من جهة ليث
ابن ابي سليم عن ابي جعفر محمد بن علي بن حسين عن جابر ان عليا حمل الباب يوم خيبر
وانه جرب بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلا وليث ضعيف وفي رواية البيهقي
ان عليا لما انتهى الى الحصن اجتذب احد ابوابه فالقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون
رجلا فكان جهدنا ان اعادوا الباب مكانه **قال** شيخنا السخاوي وكلها واهية
ولذا انكره بعض العلما انتهى **وفي** البخاري وتزوج عليه السلام بصفية بنت حيي بن اخطب
وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وكانت عروسا فذكر له جمالها فاصطفاها
لنفسه فخرج بها حتى بلغت سد الصهبا حلت له يعني طهرت من الحيض فبنى بها عليه السلام
فصنع حيسا في نطع صغير ثم قال لانس آذن من حولك فكانت تلك وليمته على صفية قال
ثم خرجنا الى المدينة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يحوي لها وراه بعباءة ثم يجلس عند بعيره
فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب **وفي رواية** له فقال المسلمون
احدى امهات المؤمنين او مما ملكت يمينه قالوا ان حجبها فهي احدى امهات المؤمنين وان لم
يحجبها فهي مما ملكت يمينه فلما ارتحل وطا لها ومد الحجاب وفي رواية انه صلى الله عليه
وسلم قتل المقاتلة وسبى الذرية وكان في السبي صفية فصارت الى دحية الكلبي ثم صارت
الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عتقها صداقها **وفي** رواية فاعتقها وتزوجها وفي
رواية قال صلى الله عليه وسلم لدحية خذ جارية من السبي غيرها وفي رواية لمسلم انه صلى
الله عليه وسلم اشترى صفية منه بسبعة ارؤس واطلاق الشرا على ذلك على سبيل المجاز
وليس في قوله سبعة ارؤس ما ينافي قوله في رواية البخاري خذ جارية من السبي غيرها اذ
ليس هنا دلالة على نفي الزيادة والله اعلم **وانما** اخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك
من ملوكهم وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان
في السبي مثل صفية في نفاستها فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة
ارتجاعها منه واختصاصه عليه السلام بها فان في ذلك رضى الجميع وليس ذلك من الرجوع

في الهبة في شيء انتهى. وقال مغلطاي وغيره وكانت صفية رأت قبل ان القمر سقط
في حجرها فتزوجها بذلك قال الحاكم وكذا جرى لجويرية وفي هذه الغزوة حرم النبي صلى
الله عليه وسلم لحوم الحمر الاهلية كما في البخاري ولفظه فلما امسى الناس مسا اليوم الذي
فتحت عليهم يعني خيبر اوقدوا نيرانا كثيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه
النيران على اي شيء توقدون قالوا على لحم قال اي لحم قالوا لحم حمر الانسية فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اهريقوها واكسروها فقال رجل يا رسول الله او نهريقها ونغسلها
قال او ذاك والمشهور في الانسية كسر الهمزة منسوبة الى الانس وهم بنو آدم وحكي ضم
الهمزة ضد الوحشية ويجوز فتحها والنون ايضا مصدر انست به آنس انسا وانسة وفيه قال
نهى يوم خيبر عن اكل الثوم وعن لحوم حمر الاهلية. وفي رواية نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر
الاهلية ورخص في الخيل قال ابن ابي اوفى فتحدثنا انه انما نهى عنها لانها لم تخمس
وقال بعضهم نهى عنها البتة لانها كانت تاكل العذرة قال العلماء فانما امر باراقتها
لانها نجسة محرمة وقيل انما نهى عنها للحاجة اليها وقيل لاخذها قبل القسمة وهذان
التاويلان للقائلين باباحة لحومها والصواب ما قدمناه. واما قوله صلى الله عليه وسلم
اكسروها فقال رجل او نهريقها ونغسلها قال او ذاك فهذا محمول على انه صلى الله عليه وسلم
اجتهد في ذلك فرأى كسرها ثم تغير اجتهاده او اوحي اليه بغسلها. واما لحوم الخيل فاختلف
العلماء في اباحتها فمذهب الشافعي والجمهور من السلف والخلف انه مباح لا كراهة
فيه وبه قال عبد الله بن الزبير وانس بن مالك واسما بنت ابي بكر وفي صحيح مسلم عنها
قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلناه ونحن بالمدينة وفي رواية
الدارقطني فاكلناه نحن واهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قال في فتح الباري
ويستفاد من قولها ونحن بالمدينة ان ذلك بعد فرض الجهاد فيرد على من استند الى منع اكلها
لعلة انها من آلات الجهاد ومن قولها واهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الرد على من زعم
انه ليس فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على ذلك مع ان ذلك لو لم يرد لم يظن بآل ابي بكر
انهم يقدمون على فعل شيء في زمنه صلى الله عليه وسلم الا وعندهم العلم بجوازه لشدة
اختلاطهم به عليه السلام وعدم مفارقتهم له هذا مع توفر داعية الصحابة الى سؤاله عليه
السلام عن الاحكام ومن ثم كان الراجح ان الصحابي اذا قال كنا نفعل كذا على عهده عليه
السلام كان له حكم الرفع لان الظاهر اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ذلك وتقريره واذا كان ذلك
في مطلق الصحابة فكيف بآل ابي بكر وقال الطحاوي ذهب ابو حنيفة الى كراهة اكل الخيل
وخالفه صاحباه وغيرهما واحتجوا بالاخبار المتواترة في حلها انتهى وقد نقل بعض التابعين
الحل عن الصحابة مطلقا من غير استثناء احد فاخرج ابن ابي شيبة بسند صحيح على شرط الشيخين
عن عطاء قال لم يزل سلفك ياكلونه قال ابن جريج قلت له اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال نعم. واما ما نقل في ذلك عن ابن عباس من كراهتها فاخرجه ابن ابي شيبة وعبد الرزاق

بسندين

بسندين ضعيفين وقال ابو حنيفة في الجامع الصغير اكره لحوم الخيل فحمله ابو بكر الرازي
على التنزيه وقال لم يطلق ابو حنيفة فيه التحريم وليس هو عنده كالحمار الاهلي وصحح
اصحاب المحيط والهداية والذخيرة عنه التحريم وهو قول اكثرهم وقال القرطبي في شرح
مسلم مذهب مالك الكراهة وقال الفاكهاني المشهور عند المالكية الكراهة والصحيح
عند المحققين منهم التحريم وقال ابن ابي جمرة الدليل على الجواز مطلقا واضح لكن سبب
كراهة مالك لاكلها لكونها تستعمل غالبا في الجهاد فلو انتفت الكراهة لكثر استعماله
ولو كثر لافضى الى فنائها فيؤول الى النقص من ارهاب العدو الذي وقع الامر به في قوله
تعالى ومن رباط الخيل ترهبون فعلى هذا فالكراهة بسبب خارج وليس البحث فيه فان
الحيوان المتفق على اباحته لو حدث امر يقتضي انه لو ذبح لافضى الى ارتكاب محذور لامتنع
ولا يلزم من ذلك القول بتحريمه انتهى. واما قول بعض المانعين لو كانت حلالا لجازت
الاضحية بها فمنتقض بحيوان البر فانه ماكول ولم تشرع الاضحية به. واما حديث خالد
ابن الوليد عند ابي داود والنسائي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الخيل والبغال
والحمير فضعيف ولو سلم ثبوته لا ينتهض معارضا لحديث جابر الدال على الجواز وقد وافقه
حديث اسما وقد ضعف حديث خالد بن الوليد احمد والبخاري والدارقطني والخطابي
وابن عبد البر وعبد الحق وآخرون وزعم بعضهم ان حديث جابر دال على التحريم لقوله
رخص لان الرخصة استباحة المحظور مع قيام المانع فدل على انه رخص لهم بسبب المخمصة
التي اصابتهم بخيبر فلا يدل ذلك على الحل المطلق واجيب بان اكثر الروايات جاء
بلفظ الاذن كما رواه مسلم وفي رواية له اكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش ونهانا النبي
صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي وعند الدارقطني من حديث ابن عباس نهانا
النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمر الاهلية وامر بلحوم الخيل فدل على ان المراد بقوله رخص
اذن ونوقض ايضا بالاذن في اكل الخيل ولو كان رخصة لاجل المخمصة لكانت الحمر الاهلية
اولى بذلك لكثرتها وعزة الخيل حينئذ فدل على ان الاذن في اكل الخيل انما كان للاباحة
العامة لا لخصوص الضرورة وقد نقل عن مالك وغيره من القائلين بالتحريم انهم
احتجوا للمنع بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقرروا ذلك باوجه
احدها ان اللام للتعليل فدل على انها لم تخلق لغير ذلك لان العلة المنصوصة
تفيد الحصر فاباحة اكلها تقتضي خلاف ظاهر الآية. ثانيها عطف البغال والحمير
فدل على اشتراكها معها في حكم التحريم فيحتاج من افرد حكم ما عطفت عليه الى دليل
ثالثها ان الآية سيقت مساق الامتنان فلو كان ينتفع بها في الاكل لكان الامتنان به
اعظم والحكيم لا يمتن بادنى النعم ويترك اعلاها ولا سيما وقد وقع الامتنان بالاكل
في المذكورات قبلها. رابعها لو ابيح اكلها لفاتت المنفعة بها فيما وقع الامتنان به من
الركوب والزينة واجيب بان آية النحل مكية اتفاقا والاذن في اكل الخيل كان بعد

نزول

الهجرة من مكة باكثر من ست سنين فلو فهم النبي صلى الله عليه وسلم من الآية المنع لما اذن
في الاكل وايضا فاية النحل ليست نصا في منع الاكل والحديث صريح في جوازه وايضا فلو سلمنا
ان اللام للتعليل لم نسلم افادة الحصر في الركوب والزينة فانه ينتفع بالخيل في غيرهما
وفي غير الاكل اتفاقا وانما ذكر الركوب والزينة لكونهما اغلب ما تطلب له الخيل ونظيره
حديث البقرة المذكورة في الصحيحين حين خاطبت راكبها فقالت لم اخلق لهذا وانما
خلقت للحرث فانه مع كونه اصرح في الحصر لم يقصد به الا الاغلب والا فهي تؤكل وينتفع
بها في اشياء غير الحرث اتفاقا وقال البيضاوي واستدل بها اي باية النحل على حرمة
لحومها ولا دليل فيها اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره
اصلا انتهى وايضا فلو سلم الاستدلال للزم منه منع حمل الاثقال على الخيل والبغال والحمير
ولا قائل به واما عطف البغال والحمير فدلالة العطف انما هي دلالة اقتران وهي ضعيفة
واما انها سيقت مساق الامتنان انما قصد به غالب ما كان ينتفع به انتفاعهم بالخيل
فخوطبوا بما الفوا وعرفوا ولم يكونوا يعرفون اكل الخيل لعزتها في بلادهم بخلاف الانعام
فان اكثر انتفاعهم بها كان لحمل الاثقال وللاكل فاقتصر في كل من الصنفين على الامتنان
باغلب ما ينتفع به فلو لزم من ذلك الحصر في هذا الشق لاضر واما قولهم لو ابيح اكلها
لفاتت المنفعة بها الخ فاجيب عنه بانه لو لزم من الاذن في اكلها ان تفنى للزم مثله
في البقر وغيرها مما ابيح اكله ووقع الامتنان به وانما اطلت في ذلك لامر اقتضاه والله
اعلم وفي هذه الغزوة ايضا نهى صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذي ناب من السباع وعن بيع
المغانم حتى تقسم وان لا توطا الحبالى حتى يستبرأن وفي هذه الغزوة ايضا سمت النبي
صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم كما في البخاري من حديث ابي
هريرة ولفظه لما فتحت خيبر اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال صلى [رسول الله صح]
الله عليه وسلم اجمعوا الي من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم اني سائلكم عن شيء فهل انتم صادقي عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابوكم قالوا ابونا فلان فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كذبتم بل ابوكم فلان فقالوا صدقت وبررت فقال هل انتم صادقي عن شيء
ان سالتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في ابينا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا
فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال
هل انتم صادقي عن شيء ان سالتكم عنه فقالوا نعم فقال هل جعلتم في هذه الشاة
سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك فقالوا اردنا ان كنت كذابا ان نستريح منك وان
كنت نبيا لم يضرك وفي حديث جابر عند ابي داود ان يهودية من اهل خيبر سمت
شاة مصلية ثم اهدتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه و

فاكل

فاكل منها واكل رهط من اصحابه معه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم
وارسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتني هذه في
يدي للذراع فقالت نعم قلت ان كان نبيا فلن يضره وان كان لم يكن نبيا استرحنا
منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذي اكل من الشاة وفي رواية غيره
جعلت زينب بنت الحارث امراة ابن مشكم تسال اي الشاة احب الى محمد فيقولون الذراع
فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم لا يبطئ يعني لا يلبث ان يقتل
من ساعته وقد شاورت يهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة
واكثرت في الذراعين والكتف فوضعت بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر
ابن البراء وتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهس منها وتناول بشر بن البراء عظما آخر
فلما ازدرد صلى الله عليه وسلم لقمته ازدرد بشر بن البراء ما في فيه واكل القوم فقال
صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني انها مسمومة وفيه ان بشر بن
البراء مات وفيه انه دفعها صلى الله عليه وسلم الى اولياء بشر بن البراء فقتلوها رواه
الدمياطي وقد اختلف هل عاقبها صلى الله عليه وسلم فعند البيهقي من حديث ابي
هريرة فما عرض لها ومن طريق ابي نضرة عن جابر نحوه قال فلم يعاقبها وقال الزهري
اسلمت فتركها قال البيهقي يحتمل ان يكون تركها اولا ثم لما مات بشر بن البراء من الاكلة
قتلها وبذلك اجاب السهيلي وزاد انه تركها لكونها اسلمت وانما اخر قتلها حتى مات
بشر لان بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه وفي مغازي سليمان التيمي انها قالت
ان كنت كاذبا ارحت الناس منك وقد استبان لي الآن انك صادق وانا اشهدك
ومن حضر اني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال فانصرف عنها
حين اسلمت وفيه موافقة الزهري على اسلامها والله اعلم وفي هذه الغزوة ايضا
نام صلى الله عليه وسلم عن صلوة الفجر لما وكل بها بلالا كما في حديث ابي هريرة عند مسلم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة حتى اذا ادركه الكرى عرس وقال
لبلال اكلا لنا الليل فصلى بلال ما قدر له ونام صلى الله عليه وسلم واصحابه فلما قارب
الفجر استند بلال الى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند الى راحلته فلم
يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ولا احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولهم استيقاظا ففزع فقال اي بلال فقال بلال اخذ
بنفسي الذي اخذ بابي انت وامي يا رسول الله بنفسك قال اقتادوا فاقتادوا رواحلهم
شيئا ثم توضا صلى الله عليه وسلم وامر بلالا فاقام الصلوة فصلى بهم الصبح فلما قضى الصلوة
قال من نسي الصلوة فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى قال اقم الصلوة لذكري وفيها
قدم جعفر ومن معه من الحبشة واختلف في فتح خيبر هل كان عنوة او صلحا وفي حديث

عبد العزيز بن صهيب عن انس التصريح بانه كان عنوة وبه جزم ابن عبد البر ورد على من قال فتحت صلحا قال وانما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين اللذين اسلمهما اهلهما لتحقن دماؤهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال انتهى

ثم فتح وادي القرى في جمادى الآخرة بعد ما اقام بها اربعا حاصرهم وقاتلوا فاكثر من ذلك واصاب مدعما مولاه سهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الشملة التي غلها من خيبر لتشتعل عليه نارا وصالحه اهل تيماء على الجزية قاله الحافظ مغلطاي

ثم سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى تربة في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فخرج معه دليل من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فاتى الخبر الى هوازن فهربوا وجاء عمر بن الخطاب محالهم فلم يلق منهم احدا فانصرف راجعا الى المدينة

ثم سرية ابي بكر الصديق رضي الله عنه الى بني كلاب ناحية ضرية في شعبان سنة سبع ويقال الى بني فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفي صحيح مسلم فزارة وهو الصواب

ثم سرية بشير بن سعد الانصاري الى بني مرة بفدك في شعبان سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فقتلوا وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه وقيل قد مات وقدم ابن زيد الحارثي يخبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي الى الميفعة ناحية نجد من المدينة على ثمانية برد في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة في مائة وثلاثين رجلا فهجموا عليهم في وسط محالهم فقتلوا من اشرف لهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة قالوا وفي هذه السرية قتل اسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد ان قال لا اله الا الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شققت عن قلبه فتعلم اصادق ام كاذب فقال اسامة لا اقاتل احدا يشهد ان لا اله الا الله وفي الاكليل فعل ذلك اسامة في سرية كان هو اميرا عليها سنة ثمان وفي البخاري عن ابي ظبيان قال سمعت اسامة بن زيد يقول بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصاري عنه وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم

ثم سرية بشير بن سعد الانصاري ايضا الى يمن وجبار بفتح الجيم وهي ارض لغطفان ويقال لفزارة وعذرة في شوال سنة سبع من الهجرة وبعث معه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا واصاب لهم نعما كثيرة فغنمها واسر رجلين وقدم بهما الى المدينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما

ثم عمرة القضية وتسمى عمرة القضاء لانه قاضى فيها قريشا لا انها قضاء عن العمرة التي صد عنها لانها لم تكن فسدت

حتى يجب

حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة ولهذا عدوا عمر النبي صلى الله عليه وسلم اربعا كما سيأتي ان شاء الله تعالى وقال آخرون بل كانت قضاء عن العمرة الاولى وعدوا عمرة الحديبية في العمر لثبوت الاجر فيها لا لانها كملت وهذا الخلاف مبني على الاختلاف في وجوب القضاء على من اعتمر فصد عن البيت فقال الجمهور يجب عليه الهدي ولا قضاء عليه وعن ابي حنيفة عكسه وعن احمد روايتان انه لا يلزمه هدي ولا قضاء واخرى يلزمه القضاء والهدي فحجة الجمهور قوله تعالى فان احصرتم فما استيسر من الهدي وحجة ابي حنيفة ان العمرة تلزم بالشروع فاذا احصر جاز له تأخيرها فاذا زال الحصر اتى بها ولا يلزم من التحلل بين الاحرامين سقوط القضاء وحجة من اوجبهما ما وقع للصحابة فانهم نحروا الهدي حين صدوا واعتمروا من قابل وساقوا الهدي وحجة من لم يوجبهما ان تحللهم بالحصر لم يتوقف على نحر الهدي بل امر من معه هدي ان ينحره ومن ليس معه هدي ان يحلق انتهى

قال الحاكم في الاكليل تواترت الاخبار انه صلى الله عليه وسلم لما اهل ذو القعدة يعني سنة سبع امر اصحابه ان يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية وان لا يتخلف احد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف منهم الا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المسلمين الفان واستخلف على المدينة ابا رهم الغفاري وساق عليه السلام ستين بدنة وحمل السلاح والبيض والدروع والرماح وقاد مائة فرس فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد بن مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد **واحرم** صلى الله عليه وسلم ولبى والمسلمون يلبون معه ومضى محمد بن مسلمة في الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسألوه فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تعالى فأتوا قريشا فاخبروهم ففزعوا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن يأجج حيث ينظر الى انصاب الحرم وخلف عليه اوس بن خولي الانصاري في مائتي رجل وخرجت قريش من مكة الى رؤوس الجبال وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي امامه فحبس بذي طوى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته القصواء والمسلمون متوشحو السيوف محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم يلبون فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وابن رواحة آخذ بزمام راحلته وفي رواية الترمذي في الشمائل من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول شعرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من نضح النبل ورواه عبد الرزاق من حديث انس ايضا من وجهين بلفظ ه

خلوا بني الكفار عن سبيله	قد انزل الرحمن في تنزيله
بان خير القتل في سبيله	نحن قتلناكم على تاويله
كما قتلناكم على تنزيله	ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله	يا رب اني مؤمن بقيله

وعند ابن عقبة في المغازي بعد قوله قد انزل الرحمن في تنزيله في صحف تتلى على
وزاد ابن اسحاق بعد قوله يا رب اني مؤمن بقيله اني رايت الحق في قبوله
وقال ابن هشام ان قوله نحن ضربناكم على تاويله الى آخر الشعر من قول عمار بن ياسر
قاله يوم حنين قالوا ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن بمحجنه
مضطبعا بثوبه وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم
وفي البخاري عن ابن عباس قال المشركون انه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب
فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا الاشواط الثلاثة وان يمشوا ما بين الركنين
ولم يمنعهم ان يرملوا الاشواط كلها الا الابقاء عليهم **وفي رواية** قال ارملوا ليرى المشركين
قوتهم والمشركون من قبل قعيقعان ومعنى قوله الا الابقاء عليهم اي لم يمنعه من امرهم
بالرمل في جميع الطوفات الا الرفق بهم والاشفاق عليهم ثم طاف رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف
الهدي عند المروة قال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عند المروة وحلق هناك وكذلك
فعل المسلمون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا منهم ان يذهبوا الى اصحابهم ببطن
ياجج فيقيموا على السلاح ويأتي الآخرون فقضوا نسكهم ففعلوا واقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمكة ثلاثا **وفي** البخاري من حديث البراء فلما دخلها يعني مكة ومضى الاجل اتوا عليا
فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة
حمزة تنادي يا عم يا عم فتناولها علي فاخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فحملتها
فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال علي انا اخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر ابنة عمي وخالتها
تحتي فقال زيد ابنة اخي فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة
الام الحديث وانما اقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على اخذها مع اشتراط المشركين ان لا يخرج
باحد من اهلها اراد الخروج لانهم لم يطلبوها وقوله الخالة بمنزلة الام اي في هذا الحكم
الخاص لانها تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء الى ما يصلح الولد ويؤخذ منه ان
الخالة في الحضانة مقدمة على العمة لان صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ
واذا قدمت على العمة مع كونها اقرب العصبات من النساء فهي مقدمة على غيرها ويؤخذ منه
تقديم اقارب الام على اقارب الاب انتهى **قال** ابن عباس **وتزوج** صلى الله عليه
وسلم ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه
قال سعيد بن المسيب وهل ابن عباس وان كانت خالته ما تزوجها صلى الله عليه وسلم الا بعد

ما حل

ما حل ذكره البخاري ووهل بكسر الهاء اي غلط وقال يزيد بن الاصم عن ميمونة تزوجني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف رواه مسلم وسيأتي في الخصائص من مقصد
معجزاته ان شاء الله تعالى ان له صلى الله عليه وسلم النكاح في حال الاحرام على اصح الوجهين
عند الشافعية **ثم سرية ابن ابي العوجاء السلمي الى بني سليم**
في ذي الحجة سنة سبع في خمسين رجلا فاحدق بهم الكفار من كل ناحية وقاتل القوم قتالا
شديدا حتى قتل عامتهم واصيب ابن ابي العوجاء جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى بلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اول صفر سنة ثمان **ثم سرية غالب بن عبد الله
الليثي الى بني الملوح** بالحاء المهملة بالكديد بفتح الكاف في صفر سنة
ثمان بن مهاجر فغنم وفي هذا الشهر قدم خالد بن الوليد وعثمان بن ابي طلحة وعمرو
ابن العاص المدينة فاسلموا وقال ابن ابي خيثمة كان ذلك سنة خمس وقال الحاكم سنة سبع
ثم سرية غالب ايضا الى مصاب اصحاب بشير بن سعد بفدك
في صفر سنة ثمان ومعه مائتا رجل فاغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى واصابوا نعما
ثم سرية شجاع بن وهب الاسدي الى بني عامر بالسي
ماء من ذات عرق الى وجرة على ثلاث مراحل من مكة الى البصرة وخمس مراحل من المدينة في شهر
ربيع الاول سنة ثمان ومعه اربعة وعشرون رجلا الى جمع من هوازن وامره ان يغير عليهم
فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فاصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا
المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهمانهم خمسة عشر بعيرا
وعدلوا البعير بعشر من الغنم **ثم سرية كعب بن عمير الغفاري
الى ذات اطلاح** وراء وادي القرى في ربيع الاول سنة ثمان في خمسة عشر رجلا
فساروا حتى انتهوا الى ذات اطلاح فوجدوا جمعا كثيرا فقاتلهم الصحابة اشد القتال حتى
قتلوا وافلت منهم رجل جريح في القتلى وقال مغلطاي قيل هو الامير فلما برد عليه الليل
تحامل حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فشق ذلك عليه وهم بالبعث
اليهم فبلغه انهم ساروا الى موضع آخر فتركهم **ثم سرية مؤتة** بضم الميم
وسكون الواو بغير همز لاكثر الرواة وبه جزم المبرد وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس
بالهمز وحكى غيرهم الوجهين وهي من عمل البلقاء بالشام دون دمشق في جمادى الاولى
سنة ثمان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ارسل الحارث بن عمير الازدي
بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم غيره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة
الاف وقال ان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض
المسلمون برجل من بينهم يجعلوه عليهم **وفي حديث** عبد الله بن جعفر عند النسائي
واحمد باسناد صحيح ان قتل زيد فاميركم جعفر الحديث قالوا وعقد لهم صلى الله عليه وسلم

لوآ ابيض ودفعه الى زيد بن حارثة واوصاهم ان ياتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا
من هناك الى الاسلام فان اجابوا والا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم وخرج مشيعا لهم
حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم
صالحين غانمين فقال ابن رواحة لكنني اسال الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا لهم وقام فيهم شرحبيل بن عمرو فجمع
اكثر من مائة الف وقدم الطلائع امامه وقد نزل المسلمون معان بفتح الميم موضع من ارض
الشام وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم وان هرقل نزل بارض البلقا في مائة الف من العرب
فاقاموا ليلتين لينظروا في امرهم وقالوا نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر
فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي فمضوا الى موتة ووافاهم المشركون فجاء منهم ما لا قبل
لاحد به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب والتقى المسلمون والمشركون
فقاتل الامرا يومئذ على ارجلهم فاخذ اللوا زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه
على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح ثم اخذ اللوا جعفر بن ابي طالب فنزل عن فرس له شقرا
وقاتل حتى قتل ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في احد نصفيه بضعة وثمانون
جرحا وفيما اقبل من بدنه اثنان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح قال في رواية
البخاري ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية وفي رواية ان ابن عمر وقف
على جعفر يومئذ وهو قتيل قال فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شي في دبره
ذكر ابن اسحاق باسناد حسن وهو عند ابي داود من طريقه عن رجل من مرة
قال والله لكاني انظر الى جعفر بن ابي طالب حين اقتحم عن فرس له شقرا فعقرها ثم تقدم
فقاتل حتى قتل قال ثم اخذ اللوا عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل فاخذ اللوا ابن اقرم
العجلاني الى ان اصطلح الناس على خالد بن الوليد فاخذ اللوا وانكشف الناس فكانت الهزيمة
فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين وقال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل
منهم مقتلة عظيمة واصاب غنيمة وقال ابن سعد انما انهزم بالمسلمين وقال ابن حجر
انحازت كل طائفة من غير هزيمة ورفعت الارض لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر
الى معترك القوم وعن عبد الله بن الزبير قال حدثني ابي الذي ارضعني وكان احد بني مرة
قال شهدت موتة مع جعفر بن ابي طالب واصحابه فرايت جعفرا حين التحم القتال اقتحم عن فرس
له شقرا ثم عقرها وقاتل القوم حتى قتل اخرجه البغوي في معجمه وقطعت في تلك الواقعة
يداه جميعا ثم قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ابدله بيديه جناحين يطير
بهما في الجنة حيث شا اخرجه ابو عمر وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها لما جا قتل
ابن رواحة وابن حارثة وجعفر بن ابي طالب جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فيه
الحزن الحديث واخرج الطبراني باسناد حسن عن عبد الله بن جعفر قال قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك ابوك يطير مع الملائكة في السما وعن ابي هريرة رضي الله عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت جعفر بن ابي طالب يطير مع الملائكة اخرجه الترمذي
والحاكم وفي اسناده ضعف لكن له شاهد من حديث علي عند ابن سعد وعن ابي هريرة ايضا
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مر بي جعفر الليلة في ملا من الملائكة وهو مخضب الجناحين
بالدم اخرجه الترمذي والحاكم باسناد على شرط مسلم واخرج ايضا هو والطبراني عن ابن عباس
مرفوعا دخلت البارحة الجنة فرايت فيها جعفر بن ابي طالب يطير مع الملائكة وفي طريق اخرى
عنه ان جعفر يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه واسناد هذا جيد
فقد عوضه الله تعالى عن قطع يديه في هذه الوقعة حيث اخذ اللوا بيمينه فقطعت ثم
اخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل قال السهيلي له جناحان ليسا كما يسبق
الى الوهم كجناحي الطائر وريشه لان الصورة الادمية اشرف الصور واكملها فالمراد بالجناحين
صفة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر وقد عبر القرآن عن العضو بالجناح توسعا في قوله
واضمم يدك الى جناحك وقال العلما في اجنحة الملائكة انها صفات ملكية لا تفهم
الا بالمعاينة فقد ثبت ان لجبريل ستمائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة اجنحة فضلا عن
اكثر من ذلك واذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها انتهى
قال الحافظ ابن حجر وهذا الذي جزم به في مقام المنع والذي حكاه عن العلما ليس صريحا
في الدلالة لما ادعاه ولا مانع من الحمل على الظاهر الا من جهة ما ذكره من المعهود وهو
قياس الغائب على الشاهد وهو ضعيف وكون الصورة البشرية اشرف الصور لا يمنع من حمل
الخبر على ظاهره لان الصورة باقية وقد روى البيهقي في الدلائل من مرسل عاصم
ابن عمر بن قتادة ان جناحي جعفر من ياقوت وجا في جناحي جبريل انهما من لؤلؤ اخرجه
ابن منده في ترجمة ورقة وذكر موسى بن عقبة في المغازي ان يعلى بن امية قدم بخبر
اهل موتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرني وان شئت اخبرتك
قال اخبرني فاخبره خبرهم فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره
وعند الطبراني من حديث ابي اليسر الانصاري ان ابا عامر الاشعري هو الذي اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بمصابهم ثم سرية عمرو بن العاص الى ذات
السلاسل وسميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا
وقيل لان بها ما يقال له السلسل وراء ذات القرى من المدينة على عشرة ايام وكانت في جمادى
الاخرة سنة ثمان وقيل كانت سنة سبع وبه جزم ابن ابي خالد في كتاب صحيح التاريخ ونقل
ابن عساكر الاتفاق على انها كانت بعد غزوة موتة الا ابن اسحاق فقال قبلها وسببها
انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا للاغارة فعقد له لوا ابيض
وجعل معه راية سودا وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون
فرسا فسار الليل وكمن النهار فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث
بفتح الميم الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه ابا عبيدة بن الجراح

وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهم وامره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فاراد ابو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مددا وانا الامير فاطاع له بذلك ابو عبيدة فكان عمرو يصلي بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلى وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا

ثم سرية ابي عبيدة بن الجراح وسماها البخاري غزوة سيف البحر **وتعرف بسرية الخبط** وبعث معه صلى الله عليه وسلم ثلثمائة كما في الصحيحين وغيرهما وهو المشهور لكن في رواية للنسائي وبضع عشرة فان صحت هذه الرواية فلعله اقتصر في الرواية المشهورة على الثلثمائة اسقطها لاجل الكسر والاخذ بالزيادة مع صحتها واجب وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتلقى عيرا لقريش رواه مسلم **وعنده** ايضا الى ارض جهينة ولا منافاة بينهما فالجهة ارض جهينة والقصد تلقي عير قريش وهي الابل المحملة طعاما او غيره **لكن** في كتب السير ان البعث الى حي من جهينة بالقبلية بفتح القاف والموحدة مما يلي ساحل البحر وبينها وبين المدينة خمس ليال ولعل البعث لمقصدين رصد عير قريش ومحاربة حي من جهينة **قال** ابن سعد وكانت في رجب سنة ثمان وفيه نظر فان تلقي عير قريش ما يتصور ان يكون في هذه المدة لانهم حينئذ كانوا في الهدنة فالصحيح ان تكون هذه السرية في سنة ست او قبلها قبل هدنة الحديبية **نعم** يحتمل ان يكون تلقيهم العير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة ولهذا لم يقع في شيء من طرق الخبر انهم قاتلوا احدا بل فيه انهم اقاموا نصف شهر واكثر في مكان واحد والله اعلم قاله الحافظ ابن حجر **لكن قال** شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب قالوا وكانت هذه السرية في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد نكث قريش العهد وقبل الفتح فانه كان في رمضان من السنة المذكورة انتهى قالوا وزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر فلما فني اكلوا الخبط وهو بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة ورق السلم **وفي** رواية ابي الزبير وكنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله وهذا يدل على انه كان يابسا خلافا لمن زعم انه كان اخضر رطبا وقد كان معهم تمر غير الجراب النبوي ويدل عليه حديث البخاري في الجهاد خرجنا ونحن ثلثمائة نحمل زادنا على رقابنا ففني زادنا حتى كان الرجل منا ياكل كل يوم تمرة وابتاع قيس بن سعد جزورا ونحرها لهم واخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فاكلوا منها وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيدا **وفي رواية** جابر عند الائمة الستة بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة راكب اميرنا ابو عبيدة ابن الجراح فاقمنا على الساحل حتى فني زادنا حتى اكلنا الخبط ثم ان البحر القى لنا دابة يقال لها العنبر فاكلنا منها نصف شهر حتى صلحت اجسامنا فاخذ ابو عبيدة ضلعا من اضلاعه فنصبه ونظر الى اطول بعير فجاز تحته الحديث زاد الشيخان في رواية فلما قدمنا المدينة اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق اخرجه الله لكم فهل معكم

شى

شيء من لحمه فتطعمونا قال فارسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فاكل

ثم سرية ابي قتادة بن ربعي الانصاري الى خضرة

وهي ارض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا الى غطفان فقتل من اشرف منهم وسبى سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتي بعير والغنم الفي شاة وكانت غيبته خمس عشرة ليلة

ثم سرية ابي قتادة ايضا الى بطن اضم فيما بين ذي خشب وذي المروة على ثلاثة برد من المدينة في اول شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم ان يغزو اهل مكة بعث ابا قتادة في ثمانية نفر سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولان تذهب بذلك الاخبار فلقوا عامر بن الاضبط فسلم عليهم بتحية الاسلام فقتله محلم بن جثامة فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا الى آخر الآية رواه احمد وهو عند ابن جرير من حديث ابن عمر بنحوه وزاد فجاء محلم بن جثامة في بردين فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا غفر الله لك فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت سابعة حتى مات فلفظته الارض وعند غيره ثم عادوا به فلفظته الارض فلما غلب قومه عمدوا الى صدين فسطحوه ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه. وفي رواية ابن جرير فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن يريد الله ان يعظكم **ونسب** ابن اسحاق هذه السرية لابن ابي حدرد ومعه رجلان الى الغابة لما بلغه صلى الله عليه وسلم ان رفاعة بن قيس يجمع لحربه فقتلوا رفاعة وهزموا عسكره وغنموا غنيمة عظيمة حكاه مغلطاي

ثم فتح مكة زادها الله شرفا وهو كما قال في زاد المعاد **الفتح الاعظم** الذي اعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الامين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من ايدي الكفار والمشركين وهو الفتح الذي استبشر به اهل السماء وضربت اطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دين الله افواجا واشرق به وجه الدهر ضياء وابتهاجا **خرج له** صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية فانه كان قد وقع الشرط انه من احب ان يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير فاصاب منهم رجلا يقال له منبه فاستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال وامدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في اربعين

راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي اصابهم ويستنصرونه فقام وهو يجر رداه وهو يقول لا نصرت ان لم انصركم بما انصر منه نفسي **وفي** المعجم الصغير للطبراني من حديث ميمونة انها سمعته صلى الله عليه وسلم يقول في متوضايه ليلا لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول في متوضائك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت ثلاثا كانك تكلم انسانا فهل كان معك احد فقال صلى الله عليه وسلم هذا راجز بني كعب يستصرخني ويزعم ان قريشا اعانت عليهم بني كعب **ثم** خرج عليه السلام فامر عائشة ان تجهزه ولا تعلم احدا قالت فدخل عليها ابو بكر فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت والله ما ادري فقال والله ما هذا زمان غزو بني الاصفر فاين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله لا علم لي قالت فاقمنا ثلاثا ثم صلى الصبح بالناس **فسمعت** الراجز ينشد

يا رب اني ناشد محمدا	حلف ابينا وابيه الاتلدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا ان لست تدعو احدا	فانصر هداك الله نصرا ابدا
وادع عباد الله ياتوا مددا	فيهم رسول الله قد تجردا

ان سيم خسفا وجهه تربدا

قال في القاموس وتربد يعني بالكسر تغير انتهى **وزاد ابن اسحاق**

هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعا وسجدا
وزعمنا ان لست تدعو احدا	وهم اذل واقل عددا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم فكان ذلك ما هاج فتح مكة **وقد ذكر** البزار من حديث ابي هريرة بعض الابيات المذكورة **وقدم** ابو سفيان ابن حرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يسأله ان يجدد العهد ويزيد في المدة فابى عليه فانصرف الى مكة فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير اعلام احد بذلك فكتب حاطب كتابا وارسله الى مكة يخبر بذلك فاطلع الله نبيه على ذلك فقال عليه السلام لعلي بن ابي طالب والزبير والمقداد انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب قال فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا في قريش يقول كنت حليفا ولم اكن من انفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهليهم واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم افعله ارتدادا

عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله فقد ضل سواء السبيل رواه البخاري **قال** في فتح الباري وانما قال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض المنافقين فظن ان من خالف ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استاذن في قتله واطلق عليه منافقا لكونه ابطن خلاف ما اظهر وعذر حاطب ما ذكره فانه صنع ذلك متاولا ان لا ضرر فيه **وعند** الطبري من طريق الحارث عن علي في هذه القصة فقال اليس قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فان شئت الحكم بترك قتله وعند الطبري ايضا عن عروة فاني غافر لكم وهذا يدل على ان المراد بقوله غفرت اغفر على طريق التعبير عن الآتي بالواقع مبالغة في تحققه وقال الذي يظهر ان هذا الخطاب خطاب اكرام وتشريف تضمن ان هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتاهلوا ان يغفر لهم ما يستانف من الذنوب اللاحقة وقد اظهر الله تعالى صدق رسوله في كل من اخبر عنه بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على اعمال اهل الجنة الى ان فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من احدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى ويعلم ذلك من احوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم قاله القرطبي **وذكر** بعض اهل المغازي وهو في تفسير يحيى بن سلام ان لفظ الكتاب الذي كتبه حاطب اما بعد يا معشر قريش فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش كالليل يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وانجز له وعده فانظروا لانفسكم والسلام كذا حكاه السهيلي **وروى** الواقدي بسند له مرسل ان حاطبا كتب الى سهيل بن عمرو وصفوان بن امية وعكرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في الناس بالغزو ولا اراه يريد غيركم وقد احببت ان تكون لي عندكم يد انتهى **وبعث** رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من حوله من العرب فجلبهم اسلم وغفار ومزينة وجهينة واشجع وسليم فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف **وفي** الاكليل وشرف المصطفى اثنا عشر الفا ويجمع بينهما بان العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة ثم تلاحق به الالفان **واستخلف** على المدينة ابن ام مكتوم وقيل ابا رهم الغفاري **وخرج** عليه السلام يوم الاربعاء لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة قاله الواقدي وعند احمد باسناد صحيح عن ابي سعيد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان فما قاله الواقدي

لبس بقوي لمخالفته ما هو أصح منه. وفي تعيين هذا التاريخ أقوال أخر منها عند مسلم لست
عشرة، ولأحمد لثماني عشرة، وفي أخرى لثنتي عشرة، والذي في المغازي دخل لتسع عشرة
مضت وهو محمول على الاختلاف في أول الشهر، ووقع في أخرى لتسع عشرة أو سبع عشرة على
الشك **ولما بلغ** صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف الماء الذي بين قديد وعسفان
أفطر فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر رواه البخاري وفي أخرى له أفطر وأفطروا. الحديث
وكان العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلما مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجحفة وكان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض
وكان ممن لقيه في الطريق أبو سفيان بن الحارث بن عمه عليه السلام وأخوه من الرضاع حليمة
السعدية ومعه ولده جعفر بن أبي سفيان وكان أبو سفيان يألف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما بعث عاداه وهجاه وكان لقاؤهما له عليه السلام بالأبواء وأسلما قبل دخوله
مكة وقيل بل لقيه هو وعبد الله بن أبي أمية بن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا
والعرج فأعرض صلى الله عليه وسلم عنهما لما كان يلقى منهما من شدة الأذى والهجو فقالت
له أم سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك وقال علي لأبي سفيان فيما
حكاه أبو عمر وصاحب ذخائر العقبى ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه
فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين فإنه
لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم
لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ويقال إنه ما رفع رأسه إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه. قالوا ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل ثم نزل مر الظهران عشاء
فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون لما يخافون
من غزوه إياهم فبعثوا أبا سفيان بن حرب وقالوا إن لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فخرج
أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء حتى أتوا مر الظهران فلما رأوا العسكر
أفزعهم **وفي** البخاري فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان ما هذه لكأنها
نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال أبو سفيان بنو عمرو أقل من ذلك
فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأسلم أبو سفيان بن حرب فلما سار قال للعباس احبس أبا سفيان
عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله
عليه وسلم تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة فقال يا عباس من هذه قال
هذه غفار قال ما لي ولغفار ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها
قال من هذه قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فقال سعد بن عبادة
يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار

بالمعجمة

بالمعجمة المكسورة أي الهلاك قال الخطابي تمنى أبو سفيان أن تكون له يد فيحمي قومه
ويدفع عنهم وقيل هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه وقيل
هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من أن ينالني مكروه قال ابن إسحاق وزعم
بعض أهل العلم أن سعدا قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من
المهاجرين فقال يا رسول الله ما آمن أن تكون لسعد في قريش صولة فقال لعلي أدركه
فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها **وقد روى** الأموي في المغازي أن أبا سفيان
قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه أمرت بقتل قومك قال لا فذكر له ما قال سعد
ابن عبادة ثم ناشده الله والرحم فقال يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا
وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قيس **وعند** ابن عساكر من طريق أبي
الزبير عن جابر قال لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امرأة من قريش رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت ه ه ه

يا نبي الهدى إليك لجا ... حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأرض ... وعاداهم إله السماء
إن سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء

فلما سمع هذا الشعر دخلته رأفة لهم ورحمة وأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت إلى
ابنه قيس **وعند** أبي يعلى من حديث الزبير أن النبي صلى الله عليه وسلم دفعها إليه
فدخل مكة بلواءين وإسناده ضعيف جدا لكن جزم موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري
أنه دفعها إلى الزبير بن العوام فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه الراية التي نزعت من
سعد والذي يظهر في الجمع أن عليا أرسل لينزعها وأن يدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر
بدفعها إلى ابنه قيس ثم إن سعدا خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي صلى الله عليه وسلم
فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير قال في رواية
البخاري ثم جاءت كتيبة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وراية النبي صلى الله عليه
وسلم مع الزبير فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال ألم تعلم ما قال سعد
ابن عبادة قال ما قال قال قال كذا وكذا فقال كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه
الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة قال وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون
قال عروة وأخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال سمعت العباس يقول للزبير بن العوام يا
أبا عبد الله ههنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية قال نعم وأمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء أي بالفتح
والمد **ودخل** النبي صلى الله عليه وسلم من كدى بالضم والقصر فقتل من خيل
خالد يومئذ رجلان حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري قال الحافظ ابن حجر
وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة الآتية في البخاري أيضا أن خالدا دخل من أسفل مكة

والنبي صلى الله عليه وسلم من اعلاها يعني حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اقبل يوم الفتح
من اعلا مكة على راحلته مردفا اسامة بن زيد وحديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم دخل
عام الفتح من كدا التي باعلا مكة وغيرهما قال وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقا واضحا
فقال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم
وامره ان يدخل من كدا من اعلا مكة وامره ان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى ياتيه
وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وامره ان يدخل من اسفل مكة
وان يغرز رايته عند البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمة الانصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم واندفع
خالد بن الوليد حتى دخل من اسفل مكة وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناف
وناس من هذيل ومن الاحابيش الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا فقاتلهم
فانهزموا وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة او اربعة حتى انتهى
بهم القتل الى الحزورة الى باب المسجد حتى دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال
وصاح ابو سفيان من اغلق بابه وكف يده فهو آمن قال ونظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى البارقة فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل
وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من ان يقاتلهم قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ان اطمان لخالد بن الوليد لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدؤنا
بالقتال وقد كففت يدي ما استطعت فقال قضاء الله خير **وعند** ابن اسحاق فلما
نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفس العباس لاهل مكة فخرج ليلا راكبا بغلة النبي
صلى الله عليه وسلم لكي يجد احدا فيعلم اهل مكة بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم ليستامنوه
فسمع صوت ابي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فاردف ابا سفيان خلفه
واتى به النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وانصرفا لاخران ليعلما اهل مكة ويمكن الجمع بان الحرس
لما اخذوه استنقذه العباس **وروى** ان عمر رضي الله عنه لما راى ابا سفيان رديف
العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان دعني اضرب
عنقه فقال العباس يا رسول الله اني قد اجرته فقال صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس الى
رحلك فاذا اصبحت فائتني به فذهب فلما اصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله
الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك لقد ظننت ان لو كان مع الله اله
غيره لما اغنى عني شيئا ثم قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال
بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس
ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فاسلم وشهد
شهادة الحق فقال العباس يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال

نعم

نعم وامر صلى الله عليه وسلم فنادى مناديه من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار ابي سفيان
فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن الا المستثنيين وهم كما قاله مغلطاي وغيره
عبد الله بن سعد بن ابي سرح اسلم وابن خطل قتله ابو برزة وقينتاه وهما فرتنا بالفاء
المفتوحة والراء الساكنة والتاء المثناة الفوقية والنون وقريبة بالقاف والموحدة مصغر
اسلمت احداهما وقتلت الاخرى **وذكر** غير ابن اسحاق ان التي اسلمت فرتنا وان
قريبة قتلت وسارة مولاة لبني المطلب اسلمت ويقال كانت مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم والحارث
وله نبء علم امراة وقريبة قتلت وعكرمة بن ابي جهل اسلم والحويرث بن نقيد قتله علي
ومقيس بن صبابة بمهملة مضمومة وموحدتين الاولى خفيفة قتله نميلة الليثي وهبار
ابن الاسود اسلم وهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت
فنخس بها حتى سقطت على صخرة واسقطت جنينها وكعب بن زهير اسلم وهند بنت عتبة
اسلمت ووحشي بن حرب اسلم انتهى وابن خطل بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة وابن نقيد
بضم النون وفتح القاف وسكون المثناة التحتية آخره دال مهملة مصغرا ومقيس بكسر الميم
وسكون القاف وفتح المثناة التحتية آخره مهملة وجمع الواقدي عن شيوخه اسماء من لم يؤمن
يوم الفتح وامر بقتل عشرة انفس ستة رجال واربع نسوة **وروى** احمد ومسلم والنسائي
عن ابي هريرة قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث على احدى المجنبتين خالد
ابن الوليد وبعث الزبير على الاخرى وبعث ابا عبيدة على الحسر بضم الحاء المهملة وتشديد
السين المهملة اي الذين بغير سلاح فقال يا ابا هريرة اهتف بالانصار فهتف بهم فجاؤا
فاطافوا به فقال لهم اترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال باحدى يديه على الاخرى
احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما نشاء ان نقتل منهم
احدا الا قتلناه فجاء ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو آمن **قال** في فتح الباري وقد
تمسك بهذه القصة من قال ان مكة فتحت عنوة وهو قول الاكثر وعن الشافعي ورواية
وهو رواية عن احمد انها فتحت صلحا لما وقع من هذا التامين ولاضافة الدور الى اهلها
لانها لم تقسم ولان الغانمين لم يملكوا دورها والا لجاز اخراج اهل الدور منها وحجة
الاولين ما وقع التصريح به من الامر بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد وبتصريحه عليه
السلام بانها احلت له ساعة من نهار ونهيه عن التاسي به في ذلك واجابوا عن ترك
القسمة بانها لا تستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلد عنوة ويمن على اهلها ويترك
لهم دورهم قال واما قول النووي واحتج الشافعي بالاحاديث المشهورة بان النبي
صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخوله مكة ففيه نظر لان الذي
اشار اليه ان كان مراده ما وقع من قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار ابي سفيان فهو
آمن كما تقدم وكذا من دخل المسجد كما عند ابن اسحاق فان ذلك لا يسمى صلحا الا اذا التزم

من اشير اليه بذلك الكف عن القتال والذى ورد فى الاحاديث الصحيحة ظاهر فى ان قريشا
لم يلتزموا ذلك لانهم استعدوا للحرب وان كان مراده بالصلح وقوع عقده فهذا لم ينقل ولا
اظنه عنا الا ان الاحتمال الاول وفيه ما ذكرته انتهى ثم دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة فى كتيبة الخضرا وهو على ناقته القصوى بين
ابى بكر واسيد بن حضير فرآى ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس يا ابا الفضل لقد اصبح
ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وروى
انه صلى الله عليه وسلم وضع راسه تواضعا لله لما رآى ما اكرمه الله به من الفتح حتى ان راسه
ليكاد يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته ان احل له بلده ولم يحله لاحد قبله ولا لاحد بعده
وفى البخارى من حديث انس ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى راسه المغفر
وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الراس وفى المحكم
هو ما يجعل من فضل درع الحديد على الراس مثل القلنسوة فلما نزعه جاء رجل فقال ابن خطل
متعلق باستار الكعبة فقال اقتله وفى حديث سعيد بن يربوع عند الدارقطنى والحاكم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اربعة لا اؤمنهم فى حل ولا حرم الحويرث وهلال بن خطل ومقيس
ابن صبابة وعبد الله بن ابى سرح قال فاما هلال بن خطل فقتله الزبير الحديث وفى حديث
سعد بن ابى وقاص عند البزار والحاكم والبيهقى فى الدلائل نحوه لكن قال اربعة نفر وامراتان
وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة فذكره لكن قال عبد الله بن خطل
بدل هلال وقال عكرمة بدل الحويرث ولم يسم المراتين وقال فاما عبد الله بن خطل فادرك
وهو متعلق باستار الكعبة فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عمارا
وكان اشب الرجلين فقتله الحديث وروى ابن ابى شيبة من طريق ابى عثمان النهدى
ان ابا برزة الاسلمى قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة واسناده صحيح مع ارساله
ورواه احمد من وجه آخر وهو اصح ما ورد فى تعيين قاتله وبه جزم البلاذرى وغيره من
اهل الاخبار وتحمل بقية الروايات على انهم ابتدروا قتله فكان المباشر منهم له ابو برزة
ويحتمل ان يكون غيره شاركه فيه فقد جزم ابن هشام فى السيرة بان سعيد بن حريث
وابا برزة الاسلمى اشتركا فى قتله وانما امر بقتل ابن خطل لانه كان مسلما فبعثه صلى الله عليه
مصدقا وبعث معه رجلا من الانصار وكان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا فامر
المولى ان يذبح تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئا فعدى عليه فقتله
ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الجمع بين
ما اختلف فيه من اسمه انه كان يسمى عبد العزى فلما اسلم سمى عبد الله واما من قال هلال
فالتبس عليه باخ له اسمه هلال وفى رواية ابى داود من حديث مصعب لما كان يوم الفتح امن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر فذكرهم ثم قال واما ابن ابى سرح فاختبا
عند عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة

جابر

جاء به حتى اوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع
راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابى فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على اصحابه فقال اما كان فيكم
رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت عن بيعته فيقتله فقالوا يا رسول الله ما ندرى ما
فى نفسك الا اومات الينا قال انه لا ينبغى لنبى ان تكون له خائنة الاعين قال مالك كما فى
رواية البخارى ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى يومئذ محرما انتهى وقول
مالك هذا رواه عبد الرحمن بن مهدى عن مالك جازما به اخرجه الدارقطنى فى الغرائب
ويشهد له ما رواه مسلم من حديث جابر دخل صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مكة وعليه
عمامة سوداء بغير احرام وروى ابن ابى شيبة باسناد صحيح عن طاوس قال لم يدخل النبى
صلى الله عليه وسلم مكة الا محرما الا يوم فتح مكة وقد اختلف العلماء هل يجب على من
دخل مكة الاحرام ام لا فالمشهور من مذهب الشافعى عدم الوجوب مطلقا وفى قول
يجب مطلقا وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب وهو اولى بعدم الوجوب والمشهور عن
الائمة الثلاثة الوجوب وفى رواية عن كل منهم لا يجب وجزم الحنابلة باستثناء ذوى الحاجات
المتكررة واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات والله اعلم وقد زعم الحاكم فى الاكليل
ان بين حديث انس فى المغفر وبين حديث جابر فى العمامة السوداء معارضة وتعقبوه
باحتمال ان يكون اول دخوله كان على راسه المغفر ثم ازاله ولبس العمامة بعد ذلك فحكى كل
منهما ما رآه ويؤيده ان فى حديث عمرو بن حريث انه خطب الناس وعليه عمامة سوداء اخرجه
مسلم ايضا وكانت الخطبة عند باب الكعبة وذلك بعد تمام الدخول وهذا الجمع للقاضى
عياض وقال غيره يجمع بان العمامة السوداء كانت ملفوفة فوق المغفر وكانت تحت
المغفر وقاية لراسه من صدا الحديد فاراد انس بذكر المغفر كونه دخل متاهبا للحرب واراد
جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم وفى البخارى عن اسامة بن زيد انه قال زمن الفتح
يا رسول الله اين تنزل غدا قال النبى صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وفى
رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع او دور وكان عقيل ورث ابا طالب هو وطالب ولم
يرث جعفر ولا على شيئا لانهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين فكان عمر بن الخطاب
يقول لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر وفى رواية اخرى له قال عليه السلام منزلنا
ان شاء الله اذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر يعنى بالمحصب وذلك ان قريشا وكنانة
تحالفت على بنى هاشم وبنى عبد المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبى
صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفى رواية اخرى له ان يوم فتح مكة اغتسل فى بيت ام هانى
ثم صلى الضحى ثمانى ركعات قالت لم اره صلى صلوة اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود ولجا
الى ام هانى حموين لها فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد اجرنا من اجرت يا ام هانى والرجلان الحارث
ابن هشام وزهير بن امية بن المغيرة كما قاله ابن هشام وقد كان اخوها على بن ابى طالب اراد
ان يقتلهما فاغلقت عليهما باب بيتها وذهبت الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما كان الغد

من يوم الفتح قام عليه الصلوة والسلام خطيبًا فى الناس فحمد الله واثنى عليه ومجّده بما هو
اهله ثم قال ايها الناس ان الله حرّم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام بحرمة الله
الى يوم القيمة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك بها دمًا او يعضد بها شجرة
فان احد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله اذن لرسوله
ولم يأذن لكم وانما احلّت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس
فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون انى فاعل فيكم قالوا خيرًا اخ كريم
وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء اى الذين اطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطليق
الاسير اذا اطلق والمراد بالساعة التى احلت له عليه السلام ما بين اول النهار ودخول
وقت العصر كذا قاله فى فتح البارى **ولقد اجاد** العلامة ابو محمد الشقراطسى حيث
يقول فى قصيدته المشهورة

ويوم مكة اذ اشرفت فى امم … يضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها … فى قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذى لجب … عرمرم كزهاء الليل منسجل
وانت صلى عليك الله تقدمهم … فى بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق اغر الوجه منتجب … متوج بعزيز النصر مقتبل
تسمو امام جنود الله مرتديا … ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بها العز حين سمت … بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر املاك السماء بما … ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق … والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا فى اعنتها … والعيس تنثال رهوا فى ثنى الجدل
لولا الذى خطّت الاقلام من قدر … وسابق من قضاء غير ذى حول
اهل ثهلان بالتهليل من طرب … وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت … له النبوة فوق العرش فى الازل
شعبت صدع قريش بعدما قذفت … بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زارت كتائبه … كالاسد تزأر فى انيابها العصل
فويل مكة من آثار وطأته … وويل ام قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم … تلمم ولا بأليم اللوم والعذل
اضربت بالصفح صفحا عن غوائلهم … طولا اطال مقيل النوم فى المقل
رحمت واشج ارحام اتيح لها … تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذى لطف … مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
ازكى الخليقة اخلاقا واطهرها … واكرم الناس صفحا عن ذوى الزلل

وطفت

وطفت بالبيت محبورا وطاف به … من كان عنه قبيل الفتح فى شغل

والجحفل الجيش العظيم وقذف الارجاء اى متباعدها واللجب بالجيم الضجة من كثرة
الاصوات والعرمرم الضخم الكثير العدد وقوله كزهاء الليل شبهه بالليل فى سد الافق
واسوداده بالسلاح والمنسجل بالحاء المهملة الماضى فى سيره يتبع بعضه بعضًا وقوله
فى بهو اشراق شبه النور الذى يغشاه عليه السلام ببهو احاط به والبهو البناء العالى
كالايوان ونحوه والمنتجب المتخير من اصل نجيب كريم والمقتبل المستقبل الخير وترجف
تهتز والزهو الخفة من الطرب يعنى ان الارض اهتزت فرحا بهذا الجيش وفرقا من صولته
اى كادت تهتز قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر اى كادت تبلغ والجدل جمع جديل
وهو الزمام المضفور وثنى الجدل ما انثنى على اعناق الابل اى انعطف وثهلان اسم جبل
معروف واهل رفع صوته ويذبل اسم جبل ايضا والذبل الرماح الذوابل وهى التى لم
تقطع من منابتها حتى ذبلت اى جفت ويبست وتهليلا اى جبنا وفزعا يعنى لولا ما
سبق من تقدير الله ان الجبال لا تنطق لرفع ثهلان صوته وهلل الله من الطرب ولذاب يذبل
من الجزع والفرق وقوله شعبت اى جمعت واصلحت وقذفت اى فرقتهم مخافة شعوب
وشعوب اسم المنية لانها تفرق الجماعات من شعبت اى فرقت وهو من الاضداد
والشعاب الطريق فى الجبال والسهل خلاف الجبل والقلل رؤس الجبال يعنى انه صلى الله
عليه وسلم عفا عنهم بعد ما تصدعوا اى تفرقوا وهربوا من خوفه الى كل سهل وجبل وقوله
كالاسد تزأر فى انيابها العصل اى المعوجة **ولما فتح الله تعالى مكة**
على رسوله صلى الله عليه وسلم قال الانصار فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه ارضه وبلده يقيم بها وكان عليه السلام يدعو على الصفا
رافعا يديه فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شئ يا رسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه
فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وهم فضالة بن عمير
ابن الملوح ان يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنا منه قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم افضالة قال نعم يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به
نفسك قال لا شئ كنت اذكر الله فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم
وضع يده على صدره فسكن قلبه وكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدرى حتى
ما خلق الله شيئا احب الى منه وطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت يوم الجمعة لعشر بقين
من رمضان وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما فكلما مر بصنم اشار اليه بقضيبه
وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه رواه
البيهقى وفى رواية ابى نعيم قد الزقها الشياطين بالرصاص والنحاس وفى تفسير العلامة
ابن النقيب المقدسى ان الله تعالى لما اعلمه صلى الله عليه وسلم بان الله قد انجز له وعده
بالنصر على اعدائه وفتحه مكة واعلى كلمة دينه امره اذا دخل مكة ان يقول وقل جاء الحق

وزهق الباطل فصار صلى الله عليه وسلم يطعن الاصنام التي حول الكعبة بمحجنه ويقول
جاء الحق وزهق الباطل فيخر الصنم ساقطا مع انها كلها كانت مثبتة بالحديد والرصاص
وكانت ثلثمائة وستين صنما بعدد ايام السنة قال وفي معنى الحق والباطل
لعلماء التفسير اقوال قال قتادة جاء القرآن وذهب الشيطان وقال ابن جريج جاء
الجهاد وذهب الشرك وقال مقاتل جاءت عبادة الله وذهبت عبادة الشيطان
وقال ابن عباس وجد صلى الله عليه وسلم يوم الفتح حول البيت ثلثمائة وستين صنما كانت
لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها فشكى البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى متى
تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله تعالى اليه اني ساحدث لك نوبة جديدة يدفون
اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية قال
ولما نزلت الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ
مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما ويطعن في بطنه او عينه بمخصرته ويقول
جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله عليه السلام حتى صعد ورمى به فكسره فجعل
اهل مكة يتعجبون انتهى وعن ابن عباس قال لما قدم صلى الله عليه وسلم ابى ان يدخل البيت
وفيه الآلهة فامر بها فاخرجت فاخرجوا صورة ابرهيم واسمعيل في ايديهما الازلام يعني
القداح التي كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله اما والله لقد
علموا انهما لم يستقسما بها قط فدخل البيت وكبر في نواحيه ولم يصل رواه الترمذي وعن
ابن عمر قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصوى وهو مردف اسامة
حتى اناخ بفناء الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال ائتني بالمفتاح فذهب الى امه فابت ان
تعطيه فقال والله لتعطينه او ليخرجن هذا السيف من صلبي فاعطته اياه فجاء به النبي صلى الله
عليه وسلم فدفعه اليه ففتح الباب رواه مسلم وروى الفاكهي من طريق ضعيفة عن ابن عمر
ايضا قال كان بنو ابي طلحة يزعمون انه لا يستطيع احد فتح الكعبة غيرهم فاخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم المفتاح ففتحها بيده وعثمان المذكور هو عثمان بن طلحة بن ابي طلحة بن عبد العزى
ويقال له الحجبي بفتح المهملة والجيم ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان
ابن ابي طلحة وهو ابن عم عثمان وعثمان هذا لا ولد له وله صحبة ورواية واسم ام عثمان
سلافة بضم السين المهملة والتخفيف والفاء وفي الطبقات لابن سعد عن عثمان بن طلحة
قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما
يريد ان يدخل الكعبة مع الناس فاغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك
سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت
فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ ان الامر
سيصير الى ما قال فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ائتني بالمفتاح فاتيته به فاخذه مني ثم

دفعه

دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استأمنكم
على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال
الم يكن الذي قلت لك قال فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح يوما
بيدي اضعه حيث شئت فقلت بلى اشهد انك رسول الله وفي التفسير ان هذه الآية ان الله
يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي امره عليه السلام ان يأتيه
بمفتاح الكعبة فابى عليه واغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو علمت انه رسول الله
لم امنعه فلوى علي يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما
خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية
وامر صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال
اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال علي لقد انزل الله في شانك وقرأ عليه الآية فقال عثمان
اشهد ان محمدا رسول الله وجاء جبريل عليه السلام فقال ما دام هذا البيت او لبنة من لبناته
قائمة فان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان فكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى اخيه
شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيمة قال ابن ظفر في ينبوع الحياة قوله
لو علمت انه رسول الله لم امنعه هذا وهم لانه كان ممن اسلم فلو قال هذا كان مرتدا وعن
الكلبي لما طلب عليه السلام المفتاح من عثمان مد يده اليه فقال العباس يا رسول الله اجعلها
مع السقاية فقبض عثمان يده بالمفتاح فقال له صلى الله عليه وسلم ان كنت يا عثمان تؤمن
بالله واليوم الآخر فهاته فقال هاكه بالامانة فاعطاه اياه ونزلت الآية قال ابن ظفر
وهذا اولى بالقبول وفي رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو واسامة بن زيد
وبلال وعثمان بن طلحة الحجبي واغلقوا عليهم الباب قال ابن عمر فلما فتحوا كنت اول من ولج
فلقيت بلالا فسألته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بين العمودين
اليمانيين وذهب عني ان اساله كم صلى وفي احدى روايات البخاري جعل عمودا عن يساره
وعمودا عن يمينه وثلاثة اعمدة وراءه وليس بين الروايتين مخالفة لكن قوله في الرواية
الاخرى وكان البيت يومئذ على ستة اعمدة مشكل لانه يشعر بكون ما عن يمينه ويساره
كان اثنين ولهذا عقبه البخاري برواية اسمعيل بن ابي اويس التي قال فيها عمودين عن يمينه
ويمكن الجمع بين الروايتين بانه حيث ثنى اشار الى ما كان عليه البيت في زمنه صلى الله عليه
وسلم وحيث افرد اشار الى ما صار اليه بعد ذلك ويرشد اليه قوله وكان البيت يومئذ لان
فيه اشعارا بانه تغير عن هيئته الاولى ويحتمل ان يقال لم تكن الاعمدة الثلاثة على سمت
واحد بل اثنان على سمت والثالث على غير سمتهما ولفظ المتقدمين في احدى روايات البخاري
مشعر به وفي رواية لمسلم جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه عكس رواية اسمعيل
وكذا قال الشافعي وبشر بن عمر في احدى الروايتين عنهما وجمع بعض المتاخرين بين هاتين
الروايتين باحتمال تعدد الواقعة وهو بعيد لاتحاد مخرج الحديث وقد جزم البيهقي

بن جهم رواية اسماعيل ووافقه عليه ابن القاسم والقعنبي وابو مصعب ومحمد بن الحسن وابو حذافة وكذلك الشافعي وابن مهدي في احدى الروايتين عنهما انتهى ملخصا من فتح الباري **وقد** بين موسى بن عقبة في روايته عن نافع ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة اذرع وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع فيما اخرجه الدارقطني في الغرائب ولفظه وصلى بينه وبين القبلة ثلاثة اذرع **وفي** تاريخ مكة للازرقي والفاكهي ان معاوية سال ابن عمر اين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجعل بينك وبين الجدار ذراعين او ثلاثة فعلى هذا ينبغي لمن اراد الاتباع في ذلك ان يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة اذرع فانه تقع قدماه في مكان قدميه صلى الله عليه وسلم ان كانت ثلاثة سواء وتقع ركبتاه او يداه او وجهه ان كان اقل من ثلاثة اذرع والله اعلم **وفي رواية** عن ابن عباس قال اخبرني اسامة انه عليه السلام لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قبل البيت ركعتين فقال هذه القبلة رواه مسلم والجمع بينه وبين حديث ابن عمر ان اسامة اخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة كما رواه احمد والطبراني بان اسامة حيث اثبتها اعتمد في ذلك على غيره وحيث نفاها اراد ما في علمه لكونه لم يره حين صلى ويكون ابن عمر ابتدا بلالا بالسؤال ثم اراد زيادة الاستثبات في مكان الصلوة فسال اسامة ايضا **قال** النووي وقد اجمع اهل الحديث على الاخذ برواية بلال لانه مثبت فمعه زيادة علم فوجب ترجيحه قال واما نفي اسامة فيشبه انهم لما دخلوا الكعبة اغلقوا الباب واشتغلوا بالدعا فراى اسامة النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ثم اشتغل اسامة في ناحية من نواحي البيت والنبي صلى الله عليه وسلم في ناحية اخرى وبلال قريب منه ثم صلى النبي صلى الله عليه وسلم فراه بلال لقربه منه ولم يره اسامة لبعده واشتغاله وكانت صلاته عليه السلام خفيفة فلم يرها اسامة لاغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعا وجاز له نفيها عملا بظنه واما بلال فتحققها واخبر بها انتهى وتعقبوه بما يطول ذكره **واقرب** ما قيل في الجمع انه صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة لما غاب عنه اسامة من الكعبة لامر ندبه اليه وهو ان ياتي بما يمحو به الصور التي كانت في الكعبة فاثبت الصلوة بلال لرؤيته لها ونفاها اسامة لعدم رؤيته ويؤيده ما رواه ابو داود الطيالسي عن اسامة بن زيد قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة وراى صورا فدعا بدلو من ما فاتيته به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها ويقول قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون ورجاله ثقات **وافاد** الازرقي في تاريخ مكة ان خالد بن الوليد كان على باب الكعبة يذب عنه صلى الله عليه وسلم الناس **وفي** البخاري انه صلى الله عليه وسلم اقام خمس عشرة ليلة وفي رواية تسع عشرة ليلة وفي رواية ابي داود سبع عشرة وعند الترمذي ثمان عشرة وفي الاكليل اصحها بضع عشرة يقصر الصلوة وقال الفاسي في تاريخ مكة وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان **ثم سرية خالد بن الوليد عقب فتح مكة**

الى العزى

الى العزى بنخلة وكانت لقريش وجميع بني كنانة وكانت اعظم اصنامهم لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها فلما انتهوا اليها هدمها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاخبره فقال هل رايت شيئا قال لا قال فانك لم تهدمها فارجع اليها فاهدمها فرجع فجرد سيفه فخرجت اليه امراة عجوز عريانة سوداء ثائرة الراس فجعل السادن يصيح فيها فضربها خالد فجزلها باثنين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست ان تعبد ببلادكم ابدا **ثم سرية عمرو بن العاص الى سواع** صنم هذيل على ثلاثة اميال من مكة في شهر رمضان سنة ثمان حين فتح مكة قال عمرو فانتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهدمه قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت ويحك وهل يسمع او يبصر قال فدنوت منه فكسرته ثم قلت للسادن كيف رايت قال اسلمت لله **ثم سرية سعد بن زيد الاشهلي الى مناة** صنم للاوس والخزرج بالمشلل في شهر رمضان حين فتح مكة فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى اليها قال السادن ما تريد قال هدم مناة قال انت وذاك فاقبل سعد يمشي اليها فخرجت اليه امراة عريانة سوداء ثائرة الراس تدعو بالويل وتضرب صدرها فضربها سعد بن زيد فقتلها واقبل الى الصنم ومعه اصحابه فهدموه وانصرف راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لست بقين من رمضان **ثم سرية خالد بن الوليد الى بني جذيمة** قبيلة من عبد القيس اسفل مكة على ليلة بناحية يلملم في شوال سنة ثمان وهو يوم الغميصاء بعثه عليه السلام لما رجع من هدم العزى وهو صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة وبعث معه ثلاثمائة وخمسين رجلا داعيا الى الاسلام لا مقاتلا فلما انتهى اليهم قال لهم ما انتم قالوا مسلمين قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا **وفي** البخاري لم يحسنوا ان يقولوا ذلك فقالوا صبانا صبانا فقال لهم استاسروا فاستاسر القوم فامر بعضهم فكتف بعضا وفرقهم في اصحابه فلما كان السحر نادى منادي خالد من كان معه اسير فليقتله فقتلت بنو سليم من كان بايديهم واما المهاجرون والانصار فارسلوا اساراهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اني ابرا اليك من فعل خالد وبعث عليا فودى لهم قتلاهم **قال** الخطابي يحتمل ان يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الاسلام ولم ينقادوا الى الدين فقتلهم متاولا وانكر عليه صلى الله عليه وسلم العجلة وترك التثبت في امرهم قبل ان يعلم المراد من قولهم صبانا **ثم غزا صلى الله عليه وسلم حنينا** بالتصغير وهو واد قرب ذي المجاز وقيل ما بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف وتسمى غزوة هوازن وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها واسلم عامة اهلها مشت اشراف هوازن وثقيف بعضهم الى بعض وحشدوا وقصدوا محاربة المسلمين وكان رئيسهم مالك بن عوف النصري فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم

السبت لست ليال خلون من شوال في اثني عشر الفا من المسلمين عشرة آلاف من اهل المدينة
والفان ممن اسلم من اهل مكة وهم الطلقا يعني الذين خلى عنهم يوم الفتح واطلقهم فلم يسترقهم
واحدهم طليق فعيل بمعنى مفعول وهو الاسير اذا اطلق سبيله واستعمل صلى الله عليه وسلم
على مكة عتاب بن اسيد وخرج معه صلى الله عليه وسلم ثمانون من المشركين منهم صفوان بن امية
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار منه مائة درع باداتها فوصل الى حنين ليلة
الثلاثا لعشر ليال خلون من شوال فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر ياتونه بخبر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا اليه وقد تفرقت اوصالهم من الرعب ووجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حدرد الاسلمي فدخل عسكرهم فطاف به وجا بخبرهم وفي
حديث سهل بن الحنظلية عند ابي داود وباسناد حسن انهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاطنبوا السير فجا رجل فقال اني انطلقت من بين ايديكم حتى طلعت جبل كذا فاذا انا
بهوازن عن بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم
وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شا الله تعالى وقوله عن بكرة ابيهم كلمة للعرب يريدون
الكثرة وتوفر العدد وليس هناك بكرة في الحقيقة وهي التي يستقى عليها الما فاستعيرت هنا
وقوله بظعنهم اي بنسائهم وواحدتها ظعينة واصل الظعينة الراحلة التي ترحل ويظعن عليها
اي يسار وقيل للمراة ظعينة لانها تظعن مع زوجها حيث ما ظعن ولانها تحمل على الراحلة اذا
ظعنت وقيل الظعينة المراة في الهودج ثم قيل للمراة بلا هودج وللهودج بلا امراة
ظعينة انتهى وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن الربيع قال قال رجل يوم
حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركب صلى الله عليه
وسلم بغلته البيضا دلدل ولبس درعين والمغفر والبيضة فاستقبلهم من هوازن ما لم
يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك في غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي
فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم اهل مكة والناس ولم يثبت
معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا العباس بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب والفضل
ابن العباس وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابو بكر وعمر واسامة بن زيد في اناس
من اهل بيته واصحابه قال العباس وانا آخذ بلجام بغلته اكفها مخافة ان تصل الى
العدو لانه صلى الله عليه وسلم كان يتقدم في نحر العدو وابو سفيان بن الحارث آخذ
بركابه وجعل عليه السلام يقول للعباس ناد يا معشر الانصار يا اصحاب الشجرة يعني شجرة
بيعة الرضوان التي بايعوه تحتها ان لا يفروا عنه فجعل ينادي تارة يا اصحاب الشجرة
وتارة يا اصحاب سورة البقرة وكان العباس رجلا صيتا فلما سمع المسلمون ندا العباس
اقبلوا كانهم الابل اذا حنت الى اولادها وفي رواية لمسلم قال العباس فوالله لكان
عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها يقولون يا لبيك يا لبيك فتراجعوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع انحدر

فارسل

وارسل ورجع بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم عليه السلام ان يصدقوا
الحملة فاقتتلوا مع الكفار فاشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى قتالهم فقال
الآن حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب الذي يشبه حرها حره
وهذه من فصيح الكلام الذي لم يسمع من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وتناول صلى
الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه اي قبحت ورمى بها في وجوه المشركين
فما خلق الله انسانا الا املا عينيه من تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب من
الارض فيحتمل انه رمى بذا مرة وبالآخر اخرى ويحتمل ان يكون اخذ قبضة واحدة مخلوطة
من تراب وحصى ولاحمد وابي داود والدارمي من حديث ابي عبد الرحمن الفهري في قصة
حنين قال فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا عبد الله انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم عن فرسه فاخذ كفا من تراب قال فاخبرني
الذي كان ادنى اليه مني انه ضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه فهزمهم الله قال يعلى
ابن عطا راويه عن ابي همام عن ابي عبد الرحمن الفهري فحدثني ابناؤهم عن آبائهم انهم
قالوا لم يبق منا احد الا امتلات عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السما كامرار الحديد
على الطست الجديد بالجيم قال في النهاية وصف الطست وهي مؤنثة بالجديد وهو مذكر
اما لان تانيثها غير حقيقي فاوله على الانا والظرف ولان فعيلا يوصف به المؤنث بلا علامة
تانيث كما يوصف به المذكر نحو امراة قتيل انتهى ولاحمد والحاكم من حديث ابن مسعود
فحادت به صلى الله عليه وسلم بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا
من تراب فضرب وجوههم وامتلات اعينهم ترابا وجا المهاجرون والانصار سيوفهم
بايمانهم كانها الشهب فولى المشركون الادبار وروى ابو جعفر بن جرير بسنده عن
عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم
في آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضا فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال
فانهزمنا وركبوا اكتافنا وفي سيرة الدمياطي كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر
ارخوها بين اكتافهم وفي البخاري عن البرا وساله رجل من قيس افررتم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن
رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رايت
النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا وان ابا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا فيه اشارة الى ان صفة النبوة يستحيل معها
الكذب فكانه قال انا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب فيما اقول حتى انهزم بل انا
متيقن ان الذي وعدني الله به من النصر حق فلا يجوز علي الفرار واما ما في رواية مسلم عن سلمة

ابن الاكوع من قوله فارجع منهزما الى قوله مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فقال لقد راى ابن الاكوع فزعا قال العلما قوله منهزما حال من ابن الاكوع كما صرح اولا بانهزامه ولم يرد ان النبي صلى الله عليه وسلم انهزم وقد قالت الصحابة كلهم انه عليه السلام ما انهزم ولم ينقل احد قط انه انهزم في موطن من المواطن وقد نقلوا اجماع المسلمين على انه لا يجوز ان يعتقد انهزامه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان بن الحارث آخذين ببغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وقد تقدم في غزوة احد ما نسب لابن المرابط من المالكية مما حكاه القاضي عياض في الشفا ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل وان العلامة البساطي تعقبه بما لفظه هذا القائل ان كان يخالف في اصل المسئلة يعني حكم الساب فله وجه وان وافق على ان الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى قال بعضهم وقد كان ركوبه عليه السلام البغلة في هذا المحل الذي هو موضع الحرب والطعن والضرب تحقيقا لنبوته لما كان الله تعالى خصه به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمانينة ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة الا الخيل فبين عليه الصلوة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة وتوكلا على الله تعالى وقد ركبت الملائكة معه في الحرب عليه السلام على الخيل لا غير لانها بصدد ذلك عرفا دون غيرها من المركوبات ولهذا لا يسهم في الحرب الا للخيل والسر في ذلك انها المخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل انتهى وعند ابن ابي شيبة من مرسل الحكم بن عيينة لم يبق معه عليه السلام الا اربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي والعباس بين يديه وابو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الآخر ولم يقبل احد نحوه الا قتل وفي الترمذي باسناد حسن من حديث ابن عمر لقد رايتنا يوم حنين وان الناس لمولين وما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة رجل وفي شرح مسلم للنووي انه ثبت معه عليه السلام اثنا عشر رجلا وكانه اخذه من قول ابن اسحاق ووقع في شعر العباس

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... لما مسه في الله لا يتوجع

وقد قال الطبري الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود واما الاستطراد للكرة فهو كالمتحيز الى فئة واما قوله عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فقال العلما انه ليس بشعر لان الشاعر انما سمي شاعرا لوجوه منها انه شعر القول وقصده واهتدى اليه واتى به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفى فان خلا من هذه الاوصاف او بعضها لم يكن شعرا ولا قائله شاعرا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا اراده فلا يعد شعرا وان كان موزونا واما قوله عليه السلام انا ابن عبد المطلب ولم يقل انا ابن عبد الله فاجيب بان شهرته بجده كانت اكثر من شهرته بابيه لان اباه توفي

في

في حياة ابيه عبد المطلب قبل مولده عليه السلام وكان عبد المطلب مشهورا شهرة ظاهرة شائعة وكان سيد قريش وكان كثير من الناس يدعوا النبي صلى الله عليه وسلم ابن عبد المطلب ينسبونه الى الجد لشهرته ومنه حديث ضمام بن ثعلبة في قوله ايكم ابن عبد المطلب وقيل غير هذا وامر صلى الله عليه وسلم ان يقتل من قدر عليه وافضى المسلمون في القتل الى الذرية فنهاهم عليه السلام عن ذلك وقال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه وسلب ابو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلا وقال ابن القيم في الهدي النبوي كان الله تعالى قد وعد رسوله انه اذا فتح مكة دخل الناس في دين الله افواجا ودانت له العرب باسرها فلما تم الفتح المبين اقتضت حكمته سبحانه ان امسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وان يجمعوا ويتالبوا لحربه عليه الصلوة والسلام ليظهر امره تعالى وتمام اعزازه لرسوله ونصره لدينه ولتكون غنائمهم شكرانا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها مثلها ولا يقاومهم بعد احد من العرب فاقتضت حكمته سبحانه ان اذاق المسلمين اولا مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وقوة شوكتهم ليطامن رؤسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخل عليه السلام واضعا راسه منحنيا على مركوبه تواضعا لربه وخضوعا لعظمته ان احل بلده ولم يحله لاحد قبله ولا لاحد بعده وليبين لمن قال لن نغلب اليوم من قلة ان النصر انما هو من عند الله تعالى وانه من ينصره فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه وتعالى هو الذي تولى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي اعجبتكم فانها لم تغن عنكم شيئا فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبهم ارسلت خلع الجبر مع بريد انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته تعالى ان خلع النصر وجوايزه انما تفاض على اهل الانكسار ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الآية وبهاتين الغزاتين اعني حنينا وبدرا قاتلت الملائكة بانفسها مع المسلمين ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه المشركين بالحصبا فيهما انتهى وامر صلى الله عليه وسلم بطلب العدو فانتهى بعضهم الى الطايف وبعضهم نحو نخلة وقوم منهم الى اوطاس واستشهد من المسلمين اربعة منهم ايمن ابن ام ايمن وقتل من المشركين اكثر من سبعين قتيلا ثم

وعددهم

سرية ابي عامر الاشعري

وهو عم ابي موسى الاشعري وقال ابن اسحاق ابن عمه والاول اشهر بعثه صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حنين في طلب الفارين من هوازن يوم حنين الى اوطاس وهو واد في ديار هوازن وكان معه سلمة بن الاكوع فانتهى اليهم فاذا هم ممتنعون فقتل منهم ابو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كلا منهم الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه فقال اللهم لا تشهد علي برز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه ابو عامر فافلت ثم اسلم بعد فحسن اسلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راه قال هذا شريد ابي عامر ورمي

ابنا الحارث الغلاديا وفى قتلاه مخلفة ابو موسى الاشعرى فقاتلهم حتى فتح الله عليه
وكان فى السبى الشيما اخته عليه السلام من الرضاعة وقتل قاتل ابى عامر فقال صلى الله
عليه وسلم اللهم اغفر لابى عامر واجعله من اعلا امتى فى الجنة وفى البخارى قال يعنى ابا
عامر لابى موسى الاشعرى لما رمى بالسهم يا ابن اخى اقرئ النبى صلى الله عليه وسلم السلام
وقل له يستغفر لى ثم مات ورجعت فدخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته بخبرنا
وخبر ابى عامر وقال قل له استغفر لى فدعا بماء فتوضا ثم رفع يديه وقال اللهم اغفر لعبيد
ابى عامر ورايت بياض ابطيه ثم قال اللهم اجعله فوق كثير من خلقك فقلت ولى
فقال اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وادخله يوم القيمة مدخلا كريما قال ابو بردة
احداهما لابى عامر والاخرى لابى موسى **ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسى**
الى ذى الكفين صنم من خشب كان لعمرو بن حممة فى شوال لما اراد عليه السلام السير
الى الطايف ليهدمه ويوافيه بالطايف فخرج سريعا فهدمه وجعل يحش النار فى وجهه
ويحرقه ويقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا ... ميلادنا اقدم من ميلادكا
انى حششت النار فى فؤادكا

وانحدر معه من قومه اربعمائة سراعا فوافوا النبى صلى الله عليه وسلم بالطايف بعد مقدمه
باربعة ايام وعند مغلطاى وقدم معه اربعة مسلمون **ثم غزوة الطائف**
وهى بلد كبير على ثلاث مراحل او اثنين من مكة من جهة المشرق كثيرة الاعناب والفواكه
وقيل ان اصلها ان جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التى كانت لاصحاب الصريم فسار بها
الى مكة فطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث الطايف فسمى الموضع بها وكانت اولا بنواحى
صنعا واسم الارض وج بتشديد الجيم وسار اليها النبى صلى الله عليه وسلم فى شوال سنة
ثمان حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة وقدم خالد بن الوليد على مقدمته وكا
ن ثقيف لما انهزموا من اوطاس دخلوا حصنهم بالطايف واغلقوا عليهم بعد ان ادخلوا فيه
ما يصلحهم لسنة وتهيئوا للقتال وسار صلى الله عليه وسلم فى طريقه بقبر ابى رغال
وهو ابو ثقيف فيما يقال فاستخرج منه غصنا من ذهب ونزل قريبا من الحصن وعسكر
هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا كانه رجل جراد حتى اصيب ناس من المسلمين
بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلا فيهم عبد الله بن ابى امية ورمى عبد الله بن ابى بكر الصديق
يومئذ بجرح فاندمل ثم نقض عليه بعد ذلك فمات منه فى خلافة ابيه فارتفع صلى الله
عليه وسلم الى موضع مسجد الطايف اليوم وكان معه من نسائه ام سلمة وزينب فضرب لهما
قبتين وكان يصلى بين القبتين حصار الطايف كله فحاصرهم ثمانية عشر يوما ويقال خمسة
عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو اول منجنيق رمى به فى الاسلام وكان قدم به
الطفيل الدوسى معه لما رجع من سرية ذى الكفين فرمتهم ثقيف بالنبل فقتل منهم رجا
ل فامر صلى الله عليه وسلم بقطع اعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا ثم سالوه ان

يدعها

يدعها لله وللرحم فقال عليه السلام انى ادعها لله وللرحم ثم نادى مناديه عليه السلام ايما
عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر قال الدمياطى فخرج منهم بضعة عشر رجلا
فيهم ابو بكرة وعند مغلطاى ثلاثة وعشرون عبدا **وفى** البخارى عن عثمان النهدى
صوابه عن ابى عثمان
قال سمعت سعدا وابا بكرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عاصم لقد شهد عندى رجلان
اما احدهما فاول من رمى بسهم فى سبيل الله واما الآخر فنزل الى النبى صلى الله عليه وسلم
ثالث ثلاثة وعشرين من الطايف الحديث واعتق صلى الله عليه وسلم من نزل منهم ودفع
كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على اهل الطايف مشقة شديدة ولم
يؤذن له صلى الله عليه وسلم فى فتح الطايف وامر عمر بن الخطاب فاذن فى الناس بالرحيل
فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطايف فقال عليه السلام فاغدوا على
القتال فغدوا فاصابت المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله
تعالى فسروا بذلك واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك قال
النووى فقصد صلى الله عليه وسلم الشفقة عليهم والرفق بالرحيل عن الطايف لصعوبة
امره وشدة الكفار الذين فيه وتقويهم بحصنهم مع انه صلى الله عليه وسلم علم او رجا انه
سيفتحه بعد هذا بلا مشقة فلما حرص الصحابة على المقام والجهاد اقام وجد فى القتال فلما
اصابتهم الجراح رجع الى ما كان قصده اولا من الرفق بهم ففرحوا بذلك لما راوا من المشقة
الظاهرة ووافقوا على الرحيل فضحك صلى الله عليه وسلم تعجبا من تغير رايهم وفقئت عين
ابى سفيان صخر بن حرب يومئذ فذكر ابن سعد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له وهى فى
يده ايما احب اليك عين فى الجنة او ادعو الله ان يردها عليك قال بل عين فى الجنة ورمى
بها وشهد اليرموك فقاتل وفقئت عينه الاخرى يومئذ ذكره الحافظ زين الدين العراقى
فى شرح التقريب وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قولوا لا اله الا الله وحده صدق
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ان ارتحلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون
لربنا حامدون فانظر كيف كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج للجهاد يعتمد لذلك بجمع اسبابه
واتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاج اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع عليه الصلوة
والسلام يتبرى من ذلك ويرد الامر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله آيبون تائبون
عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وانظر
الحق له عليه السلام وهزم الاحزاب وحده فمعنى صلى الله عليه وسلم ما تقدم ذكره وهذا
هو معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو لله سبحانه وتعالى الذى
خلق ودبر واعان واجرى الامور على يد من شاء ومن اختار من خلقه فكل منه واليه ولو
شاء الله ان يبيد اهل الكفر من غير قتال لفعل قال الله تعالى ولو يشاء الله لانتصر منهم
ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثيب سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين قال
تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فعلى المكلف الامتثال

في الحالين اي امتثال تعاطي الاسباب والرجوع الى المولى والسكون اليه بساحة كرمه كما كان
صلى الله عليه وسلم ياتي الاسباب وثانيا تادبا مع الربوبية وتشريعا للامة ثم يظهر الله
تعالى على يديه ما يشاء من قدرته الغامضة التي ادخرها له عليه السلام قاله ابن الحاج
في المدخل. ولما قيل له يا رسول الله ادع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين
وكان عليه السلام قد امر ان يجمع السبي والغنائم مما افاء الله على رسوله يوم حنين فجمع
ذلك كله الى الجعرانة فكان بها الى ان انصرف عليه السلام من الطائف وكان السبي ستة آلاف
راس والابل اربعة وعشرين الف بعير والغنم اكثر من اربعين الف شاة واربعة آلاف اوقية
فضة. واستانى صلى الله عليه وسلم اي انتظر وتربص بهوازن ان يقدموا عليه مسلمين
بضع عشرة ثم بدا يقسم الاموال فقسمها **وفي** البخاري وطفق صلى الله عليه وسلم يعطي
رجالا المائة من الابل فقال ناس من الانصار يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي
قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدث رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمقالتهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ثم قال لهم اما ترضون ان يذهب
الناس بالاموال وتذهبون بالنبي صلى الله عليه وسلم الى رحالكم فوالله لما تنقلبون به خير
مما ينقلبون به قالوا يا رسول الله قد رضينا **وعن** جبير بن مطعم قال بينما انا مع النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم
الاعراب حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي
فلو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا
رواه مسلم **وذكر** محمد بن سعد كاتب الواقدي عن ابن عباس انه لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين
بقيتا من شوال قال ابن سيد الناس وهذا ضعيف والمعروف عند اهل السير ان النبي
صلى الله عليه وسلم انتهى الى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذي القعدة فاقام
بها ثلاث عشرة ليلة فلما اراد الانصراف الى المدينة خرج ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة
بقيت من ذي القعدة ليلا فاحرم بعمرة ودخل مكة **وفي** تاريخ الازرقي عن مجاهد انه عليه
السلام احرم من وراء الوادي حيث الحجارة المنصوبة **وعند** الواقدي من المسجد الاقصى الذي
تحت الوادي بالعدوة القصوى من الجعرانة وكانت صلاته عليه السلام اذ كان بالجعرانة
به. والجعرانة موضع بينه وبين مكة بريد كما قاله الفاكهي وقال الباجي ثمانية عشر
ميلا وسمي بامراة تلقب بالجعرانة كما ذكره السهيلي قالوا وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة
وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يوما **وبعث عليه السلام قيس بن سعد
ابن عبادة الى ناحية اليمن** في اربعمائة فارس وامره ان يقاتل قبيلة صداء
حين مروره عليهم في الطريق فقدم زياد بن الحارث الصدائي فسال عن ذلك البعث فاخبر
فقال يا رسول الله انا وافدهم فاردد الجيش وانا لك بقومي فردهم النبي صلى الله عليه وسلم

من

من قناة وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوما فاسلموا وتاتي قصة وفودهم في الفصل
العاشر من المقصد الثاني ان شاء الله تعالى **وبعث عيينة بن حصن الفزاري
الى بني تميم** بالسقيا وهي ارض بني تميم في المحرم سنة تسع في خمسين فارسا من العرب
ليس فيهم مهاجري ولا انصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم في صحراء فدخلوا وسرحوا
مواشيهم فلما راوا الجمع ولوا فاخذوا منهم احد عشر رجلا ووجدوا في المحلة احدى عشرة امراة
وثلاثين صبيا فقدم منهم عشرة من رؤسائهم منهم عطارد والزبرقان وقيس بن عاصم والاقرع
ابن حابس فجاءوا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا يا محمد اخرج الينا فخرج صلى الله عليه
وسلم واقام بلال الصلوة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم ثم
مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس فاجابهم ونزل فيهم ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات الاية ورد عليهم صلى الله عليه وسلم الاسرى والسبي **وفي** البخاري عن
عبد الله بن الزبير انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر امر
القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر ما اردت الا خلافي
قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزل في ذلك يا ايها الذين امنوا
لا تقدموا بين يدي الله حتى انقضت اي لا تقدموا القضاء في امر قبل ان يحكم الله ورسوله
فيه ولما نزل لا ترفعوا اصواتكم اقسم ابو بكر لا يتكلم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا كمن يسار صاحبه فنزل فيه وفي امثاله ان الذين يغضون اصواتهم الاية **ثم بعث
الوليد بن عقبة بن ابي معيط الى بني المصطلق** من خزاعة
يصدقهم وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية وكانوا قد اسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا
بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزر والغنم فرحا به وتعظيما لله ولرسوله
فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فرجع من الطريق قبل ان يصلوا اليه واخبر النبي
صلى الله عليه وسلم انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة فهم صلى الله عليه
وسلم ان يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد
فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا ان
جاءكم فاسق بنبا الى آخر الاية فقرا عليهم صلى الله عليه وسلم القرآن وبعث معهم عباد
ابن بشر ياخذ صدقات اموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن **وفي** شرف
المصطفى للنيسابوري مما ذكره مغلطاي انه عليه السلام بعث عبد الله بن عوسجة الى بني عمرو
ابن حارثة وقيل حارثة بن عمرو وقال وهو الاصح في مستهل صفر يدعوهم الى الاسلام فابوا
ان يجيبوا واستغفلوا بالصحيفة فدعا عليهم صلى الله عليه وسلم بذهاب العقل فهم الى اليوم اهل
رعدة وعجلة وكلام مختلط **ثم سرية قطبة بن عامر بن حديدة الى
خثعم** قريبا من تربة بفتح الراء من اعمال مكة سنة تسع وبعث معه عشرين رجلا وامره

ان يشنّ الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر الجرحى في الفريقين وقتل قطبة من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة وكانت سهامهم اربعة ابعرة والبعير يعدل بعشرة من الغنم بعد ان اخرج الخمس

ثم سرية الضحاك بن سفيان الكلابي الى بني كلاب

في ربيع الاول سنة تسع الى القرطاء فدعاهم الى الاسلام فابوا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا

ثم سرية علقمة بن مجزز المدلجي الى الحبشة

في ربيع الآخر وقال الحاكم في صفر سنة تسع وذكر ابن سعد ان سبب ذلك انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان ناسا من الحبشة تراءاهم اهل جدة فبعث اليهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة فانتهى الى جزيرة في البحر فلما خاض البحر اليهم هربوا فلما رجع تعجل بعض القوم الى اهليهم فامّر عبد الله بن حذافة على من تعجل وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق واوقدوا نارا يصطلون عليها فقال عزمت عليكم الا تواثبتم في هذه النار فلما همّ بعضهم بذلك قال اجلسوا انما كنت امزح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال من امركم بمعصية فلا تطيعوه ورواه الحاكم وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث ابي سعيد الخدري وبوّب عليه البخاري فقال سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال انها سرية الانصاري ثم روى عن علي قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل رجلا من الانصار وامرهم ان يطيعوه فغضب فقال أليس قد امركم النبي صلى الله عليه وسلم ان تطيعوني قالوا بلى قال فاجمعوا حطبا فجمعوا فقال اوقدوا فاوقدوها فقال ادخلوها فهمّوا وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا الى النبي صلى الله عليه وسلم من النار فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر في قوله ويقال انها سرية الانصاري اشارة الى احتمال تعدد القصة وهو الظاهر لاختلاف سياقيهما واسم اميريهما ويحتمل الجمع بينهما بضرب من التأويل يبعده وصف عبد الله بن حذافة السهمي القرشي المهاجري بكونه انصاريا ويحتمل ان يكون الحمل على المعنى الاعم اي انه نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجملة والى التعدد جنح ابن القيم واما ابن الجوزي فقال في قوله من الانصار وهم من بعض الرواة وانما هو سهمي قال في فتح الباري ويؤيده حديث ابن عباس عند احمد في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية انتهى قال النووي هذا الذي فعله هذا الامير قيل اراد امتحانهم وقيل كان مازحا وقيل ان هذا الرجل عبد الله بن حذافة السهمي قال وهذا ضعيف لانه قال في الرواية التي بعدها انه رجل من الانصار فدل على انه غيره انتهى

ثم سرية علي بن ابي طالب الى الفلس

بضم الفاء وسكون اللام وهو صنم طيء ليهدمه في ربيع الآخر سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا وعند ابن سعد مائتي رجل فهدمه وغنم سبيا ونعما وشاء وكان في السبي

سفانة بنت حاتم اخت عدي بن حاتم فاطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب اسلام عدي وعند ابن سعد ايضا ان الذي سباها خالد بن الوليد رضي الله عنه

ثم سرية عكاشة بن محصن الى الجناب

ارض عذرة وبلي وقيل ارض فزارة وكلب ولعذرة فيها شركة

قصة كعب بن زهير مع النبي صلى الله عليه وسلم

وكانت فيما بين رجوعه عليه السلام من الطائف وغزوة تبوك وكان من خبر كعب واخيه بجير ما ذكره ابن اسحاق وعبد الملك بن هشام وابو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري دخل حديث بعضهم في حديث بعض ان بجيرا قال لكعب اثبت حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه واعرف ما عنده فاقام كعب ومضى بجير فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه فآمن به وذلك ان زهيرا فيما زعموا كان يجالس اهل الكتاب فسمع منهم انه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه انه قد مُدّ سبب من السماء وانه قد مد يده ليتناوله ففاته فاوّله بالنبي الذي يبعث في آخر الزمان وانه لا يدركه واخبر بنيه بذلك واوصاهم ان ادركوه ان يسلموا ولما قدم صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير بن زهير الى اخيه كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه وان من بقي من شعراء قريش ابن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب قد هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل احدا جاءه تائبا وان انت لم تفعل فانج الى نجاتك وكان كعب قد قال

الا ابلغا عني بجيرا رسالة	فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
فبين لنا ان كنت لست بفاعل	على اي شيء غير ذلك دلكا
على خلق لم تلف اما ولا ابا	عليه ولا تلفي عليه اخا لكا
فان انت لم تفعل فلست بآسف	ولا قائل اما عثرت لعا لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية	فانهلك المأمون منها وعلكا

قال السهيلي لعا كلمة تقال للعاثر دعاء له انتهى قال ابن اسحاق وبعث بها الى بجير فلما اتت بجيرا كره ان يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سقاك بها المأمون صدق وانه لكذوب وانا المأمون ولما سمع على خلق لم تلف اما ولا ابا عليه قال اجل لم يلف عليه اباه ولا امه ثم قال عليه السلام من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب الى اخيه كعب بهذه الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك في التي	تلوم عليها باطلا وهي احزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده	فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت	من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه	ودين ابي سلمى علي محرم

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض واشفق على نفسه وارجف به من كان حاضره من عدوه فقال هو مقتول فلما لم يجد من شيء بدا قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه واستامنه فقام حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب ابن زهير قد جاء ليستامنك تائبا مسلما فهل انت قابل منه ان انا جئتك به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال انا يا رسول الله كعب بن زهير قال ابن اسحاق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة انه وثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله دعني وعدو الله اضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا قال فغضب كعب على هذا الحي من الانصار لما صنع صاحبهم وذلك انه لم يتكلم رجل من المهاجرين الا بخير ثم قال فقصيدته اللامية التي اولها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم اثرها لم يفد مكبول

ومنها

انبئت ان رسول الله اوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة الـ ... ـقرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني باقوال الوشاة ولم ... اذنب ولو كثرت في الاقاويل
ان الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما اسلموا زولوا
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب اذا عرد السود التنابيل

وفي رواية ابي بكر بن الانباري انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به ۝ مهند من سيوف الله مسلول رمى عليه الصلوة والسلام بردة كانت عليه وان معاوية بذل له فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا فاخذها منهم قال وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وقال ابن اسحاق قال عاصم بن عمر بن قتادة فلما قال كعب اذا عرد السود التنابيل وانما عنى معشر الانصار لما كان صاحبهم صنع به وخص المهاجرين بمدحته غضب عليه الانصار فقال بعد ان اسلم يمدح الانصار قصيدته التي يقول فيها

من سره كرم الحياة فلا يزل ... في مقنب من صالحي الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر ... ان الخيار هم بنو الاخيار
المكرهين السمهري باذرع ... كسوالف الهندي غير قصار
والناظرين باعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم ... للموت يوم تعانق وكرار

يتطهرون

يتطهرون يرونه نسكا لهم ... بدماء من علقوا من الكفار
قوم اذا خوت النجوم فانهم ... للطارقين النازلين مقار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وابوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام بن عقبة

غزوة تبوك

مكان معروف وهو نصف طريق المدينة الى دمشق ويقال لها غزوة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها وكانت يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع لعله خطأ من النساخ وكان حرا شديدا وجدبا كثيرا فلذلك لم يور عنها كعادته في سائر الغزوات ۝ وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن ابن عقيل قال خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء فكان ذلك عسرة في الماء وفي الظهر وفي النفقة فسميت غزوة العسرة ۝ وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة ان الروم تجمعت بالشام مع هرقل فندب صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج واعلمهم بالمكان الذي يريد ليتاهبوا لذلك وروى الطبراني من حديث عمران بن حصين قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك واصابتهم سنون فهلكت اموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه اربعين الفا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة ۝ وكان عثمان قد جهز عيرا الى الشام فقال يا رسول الله هذه مائتا بعير باقتابها واحلاسها ومائتا اوقية قال فسمعته يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وروى عن قتادة انه قال حمل عثمان في جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا ۝ وعن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان بن عفان بالف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره صلى الله عليه وسلم فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم خرجه الترمذي وقال حسن غريب ۝ وعند الفضائلي والملا في سيرته كما ذكره الطبري في الرياض النضرة من حديث حذيفة بعث عثمان يعني في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيمة ما يبالي ما عمل بعدها ولما تاهب صلى الله عليه وسلم للخروج قال لقوم من المنافقين لا تنفروا في الحر فنزل قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون وارسل عليه السلام الى مكة وقبائل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤون يستحملونه فقال عليه الصلوة والسلام لا اجد ما احملكم عليه وهم سالم بن عمير وعلبة بن زيد وابو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني والعرباض بن سارية وهرم بن عبد الله وعمرو بن عنمة وعبد الله بن مغفل وعبد الله بن عمرو المزني وعمرو بن الحمام ومعقل المزني وحضرمي بن مازن والنعمان بن سويد ومعقل وعقيل وسنان وعبد الرحمن وهند بنو مقرن وهم الذين قال الله تعالى فيهم تولوا واعينهم

تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون قاله مغلطاي وفي البخاري عن ابي موسى
قال ارسلني اصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسأله الحملان فقلت يا نبي الله
ان اصحابي ارسلوني اليك لتحملهم فقال والله لا احملكم على شيء فرجعت حزينا من منع
النبي صلى الله عليه وسلم ومن مخافة ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه
علي فرجعت الى اصحابي فاخبرتهم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فلم البث الا سويعة
اذ سمعت بلالا ينادي اين عبد الله بن قيس فاجبته فقال اجب رسول الله يدعوك
فلما اتيته فقال خذ هاتين القرينتين وهاتين القرينتين لستة ابعرة ابتاعهم حينئذ
من سعد فانطلق بهم الى اصحابك فقل ان الله او ان رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهن
الحديث وقام علبة بن زيد فصلى من الليل وبكا وقال اللهم انك قد امرت بالجهاد
ورغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما اتقوى به مع رسولك ولم تجعل في يد رسولك ما
يحملني عليه واني اتصدق على كل مسلم بكل مظلمة اصابني فيها مال او جسد او عرض ثم
اصبح مع الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين المتصدق في هذه الليلة فلم يقم احد ثم
قال اين المتصدق في هذه الليلة فلم يقم احد ثم قال اين المتصدق فليقم فقام اليه
فاخبره فقال صلى الله عليه وسلم ابشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكوة المتقبلة
رواه يونس والبيهقي في الدلائل كما ذكره السهيلي في الروض له وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم في التخلف فاذن لهم وهم اثنان وثمانون رجلا وقعد آخرون
من المنافقين بغير عذر واظهار علة جرأة على الله ورسوله وهو قوله تعالى وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله **واستخلف** على المدينة محمد بن مسلمة قال الدمياطي
وهو عندنا اثبت ممن قال استخلف غيره انتهى وقال الحافظ زين الدين العراقي في
في ترجمة علي بن ابي طالب من شرح التقريب لم يتخلف عن المشاهد الا تبوك فان النبي صلى
الله عليه وسلم خلفه على المدينة وعلى عياله وقال له يومئذ انت مني بمنزلة هارون من
موسى الا انه لا نبي بعدي وهو في الصحيحين من حديث سعد بن ابي وقاص انتهى وحكى
ابن عبد البر وقيل استخلف سباع بن عرفطة وتخلف نفر من المسلمين من غير شك
ولا ارتياب منهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وفيهم نزل وعلى
الثلاثة الذين خلفوا وابو ذر وابو خيثمة ثم لحقاه بعد ذلك ولما راى عليه السلام
ابا ذر الغفاري وكان عليه السلام نزل في بعض الطريق فقال يمشي وحده ويعيش وحده
ويموت وحده فكان كذلك وامر صلى الله عليه وسلم لكل بطن من الانصار والقبائل
من العرب ان يتخذ لواء وراية وكان معه عليه السلام ثلاثون الفا وعند ابي زرعة سبعون
الفا وفي رواية عنه ايضا اربعون الفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس ولما مر عليه السلام
بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بديار ثمود قال لا تشربوا من مائها شيئا ولا يخرج احد منكم
الا ومعه صاحب له ففعل الناس الا ان رجلين من بني ساعدة خرج احدهما لحاجته

وخرج

وخرج الآخر في طلب بعيره فاما الذي خرج لحاجته فخنق على مذهبه واما الذي خرج
في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طي فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال الم انهكم ثم دعا للذي خنق على مذهبه فشفي واما الآخر فاهدته طي
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وفي صحيح مسلم من حديث ابي حميد
انطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب عليكم الليلة
ريح شديدة فلا يقم احد منكم فمن كان له بعير فليشد عقاله فهبت ريح شديدة فقام
رجل فحملته الريح حتى القته بجبل طي وروى الزهري لما مر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا
انفسهم الا وانتم باكون خوفا ان يصيبكم ما اصابهم رواه الشيخان **ولما**
كان عليه السلام ببعض الطريق ضلت ناقته فقال زيد بن اللصيت وكان منافقا
اليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول وذكر مقالته واني والله لا اعلم الا ما علمني الله
وقد دلني الله عليها وهي في الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا
حتى تاتوني بها فانطلقوا فجاؤوا بها رواه البيهقي وابو نعيم وفي مسلم من حديث معاذ
ابن جبل انهم وردوا عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء وانهم غرفوا منها قليلا قليلا حتى
اجتمع في شيء ثم غسل صلى الله عليه وسلم به وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت بماء كثير
فاستقى الناس الحديث ويأتي ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات **ولما انتهى**
صلى الله عليه وسلم الى تبوك اتاه صاحب ايلة فصالحه واعطاه الجزية واتاه اهل جربا
بالجيم واذرح بالذال المعجمة والراء والحاء المهملة بلدين بالشام بينهما ثلاثة ايام فاعطوه
الجزية وكتب لهم صلى الله عليه وسلم كتابا ووجد هرقل بحمص فارسل خالد بن الوليد الى
اكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكا عظيما بدومة الجندل في اربعمائة وعشرين
فارسا في رجب سرية وقال عليه السلام انك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد
وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو واخوه حسان فشدت عليه
خيل خالد فاستاسر اكيدر وقتلوا اخاه حسانا وهرب من كان معهما فدخل الحصن
ثم اجار خالد اكيدر من القتل حتى ياتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له
دومة الجندل ففعل وصالحه على الفي بعير وثمانمائة فرس واربعمائة درع واربعمائة
رمح وفي هذه الغزوة كتب صلى الله عليه وسلم في تبوك الى هرقل يدعوه الى الاسلام
فقارب الاجابة ولم يجب رواه ابن حبان في صحيحه من حديث انس وفي مسند احمد
ان هرقل كتب من تبوك الى النبي صلى الله عليه وسلم اني مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كذب هو على نصرانيته وفي كتاب الاموال لابي عبيدة بسند صحيح من مرسل بكر بن عبد الله
نحوه ولفظه فقال كذب عدو الله ليس بمسلم ثم انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك بعد

ان اقام بها بضع عشرة ليلة وقال الدمياطي ومن قبله ابن سعد عشرين ليلة يصلي
بها ركعتين ولم يلق كيدا وبنى في طريقه مساجد واقبل عليه السلام حتى نزل بذي
اوان بفتح الهمزة بلفظ الاوان الحين وبينها وبين المدينة ساعة جاءه خبر مسجد الضرار
من السماء فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي العجلاني فقال انطلقا الى هذا
المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه فخرجا فحرقاه وهدماه وذلك بعد ان انزل
الله فيه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا الآية قال الواحدي قال ابن عباس ومجاهد
وقتادة وعامة اهل التفسير الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثني عشر رجلا يضارون
به مسجد قبا وذلك انهم قالوا في طائفة من المنافقين نبني مسجدا فنقيل فيه فلا نحضر
خلف محمد وقال المفسرون ولما بنوا ذلك لاغراضهم الفاسدة عند ذهاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك قالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة والليلة
المطيرة ونحن نحب ان تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فقال عليه السلام انا على جناح سفر
واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت
الآية ولما دنى صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان
والولائد يقلن • طلع البدر علينا من ثنيات الوداع • وجب الشكر علينا ما دعى لله داع
وقد وهم بعض الرواة كما قدمته وقال انما كان هذا عند مقدمه المدينة وهو وهم ظاهر
لان ثنيات الوداع انما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة الى المدينة ولا يراها
الا اذا توجه الى الشام كما قدمت ذلك وفي البخاري لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة
تبوك فدنا من المدينة قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا
معكم حبسهم العذر وهذا يؤيد معنى ما روى نية المؤمن خير من عمله فان نية هؤلاء خير
من اعمالهم فانها بلغت بهم مبلغ اولئك العاملين بابدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم والمسابقة
الى الله تعالى والى الدرجات العلى انما تبلغ بالنيات والهمم لا بمجرد الاعمال ولما اشرف
صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا احد جبل يحبنا ونحبه ولما دخلها قال
العباس يا رسول الله ائذن لي امتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما ... في صلبه انت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض ... وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور ... وسبل الرشاد نخترق

وقوله

وقوله من قبلها طبت الخ اي في ظلال الجنة اي كنت طيبا في صلب آدم حيث كان في الجنة
وقوله من قبلها اي من قبل نزولك الى الارض فكنى عنها ولم يتقدم ذكر لها لبيان المعنى
وقوله ثم هبطت البلاد لا بشر اي لما اهبط الله آدم الى الدنيا كنت في صلبه غير بالغ
هذه الاشياء وقوله فقد الجم نسرا واهله الغرق يريد الصنم الذي كان يعبده قوم
نوح وهو المذكور في قوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا وقوله حتى احتوى بيتك
المهيمن الخ النطق جمع نطاق وهي اعراض من جبال بعضها فوق بعض اي نواحي واوساط
منها شبهت بالنطق التي يشد بها اوساط الناس ضربت مثلا في ارتفاعه وتوسطه
في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال • واراد ببيته شرفه والمهيمن نعته اي
اي احتوى شرفك الشاهد على فضلك اعلا مكان من نسب خندف وهو بكسر الخاء المعجمة
والدال المهملة • وجاءه صلى الله عليه وسلم من كان تخلف عنه فحلفوا له فعذرهم واستغفر
لهم وارجأ امر كعب وصاحبيه حتى نزلت توبتهم في قوله تعالى لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق
منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب
عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم • والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن امية
ومرارة بن ربيعة • وعند البيهقي في الدلائل من مرسل سعيد بن المسيب ان ابا لبابة
لما اشار لبني قريظة بيده الى حلقه انه الذبح فاخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال له صلى الله عليه وسلم احسبت ان الله غفل عن يدك حين تشير اليهم بها
الى حلقك فلبث حينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب عليه ثم غزا تبوكا فتخلف عنه
ابو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها جاءه ابو لبابة يسلم عليه
فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزع ابو لبابة فارتبط بسارية التوبة سبعا
وقال لا ازال هكذا حتى افارق الدنيا او يتوب الله علي الحديث وعنده ايضا من
حديث ابن عباس في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا قال كانوا
عشرة رهط تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم
اوثق سبعة منهم انفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع في
المسجد عليهم فقال من هؤلاء قالوا هذا ابو لبابة واصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله
حتى تطلقهم وتعذرهم قال اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى يكون الله هو
الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو فانزل الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم
فلما نزلت ارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاطلقهم وعذرهم الحديث قالوا ولما
قدم عليه السلام من تبوك وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى فلاعن عليه السلام بينهما

ثم حجة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بالناس سنة تسع

في ذي القعدة كما ذكره ابن سعد وغيره بسند صحيح عن مجاهد ووافقه عكرمة بن خالد فيما
اخرجه الحاكم في الاكليل وقال قوم في ذي الحجة وبه قال الداودي والثعلبي والماوردي
ويؤيده ان ابن اسحاق صرح بان النبي صلى الله عليه وسلم اقام بعدما رجع من تبوك
رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث ابا بكر اميرا على الحج فهو ظاهر في ان بعث ابي بكر
كان بعد انسلاخ ذي القعدة فيكون حجه في ذي الحجة على هذا والله اعلم وكان مع ابي بكر
ثلثمائة رجل من المدينة وعشرون بدنة وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ابا
بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع في رهط يؤذن
في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم اردف النبي
صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب وامره ان يؤذن ببراءة فاذن معنا في اهل منى
ببراءة وان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال فنبذ ابو بكر الى الناس
في ذلك العام فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة
الوداع مشرك فانزل الله تعالى في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها
الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الآية وقد دلت
هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما في الصحيح المؤمن لا ينجس واما نجاسة بدنه فالجمهور
على انه ليس بنجس البدن والذات وذهب بعض الظاهرية الى نجاسة ابدانهم وهذا
ضعيف لان اعيانهم لو كانت نجسة كالكلب والخنزير لما طهرهم الاسلام ولا استوى
في النهي عن دخول المشركين المسجد الحرام وغيره من المساجد فالمراد الاجتناب لما فيهم من خبث
الظاهر بالكفر وخبث الباطن بالعداوة قاله مقاتل وروى النسائي عن جابر ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من عمرة الجعرانة بعث ابا بكر على الحج واقبلنا معه حتى اذا كان
بالعرج ثوب بالصبح فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره فوقف على التكبير فقال
هذه رغوة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الجدعاء لقد بدا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم في الحج فلعله ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصلي معه فاذا علي عليها
فقال له ابو بكر امير ام رسول قال لا بل رسول ارسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة
اقرؤها على الناس في مواقف الحج فقدمنا مكة فلما كان قبل التروية بيوم قام ابو بكر
فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي فقرا على الناس براءة حتى ختمها ثم خرجنا
معه حتى اذا كان يوم عرفة قام ابو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم حتى اذا فرغ قام
علي فقرا على الناس براءة حتى ختمها ثم كان يوم النحر فافضنا فلما رجع ابو بكر خطب الناس
فحدثهم عن افاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرا على الناس براءة
حتى ختمها فلما كان يوم النفر الاول قام ابو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف
يرمون يعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام علي فقرا على الناس براءة حتى ختمها وهذا السياق
فيه غرابة من جهة ان امير الحج سنة عمرة الجعرانة انما هو عتاب بن اسيد فاما ابو بكر

رضي الله

رضي الله عنه فانما كان سنة تسع • واستدل بهذه القصة على ان فرض الحج كان قبل
حجة الوداع والاحاديث في ذلك شهيرة كثيرة وذهب جماعة الى ان حج ابي بكر هذا لم
يسقط عنه الفرض بل كان تطوعا قبل فرض الحج ولا يخفى ضعفه • وفي هذه السنة مات
عبد الله بن ابي ابن سلول فجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه
قميصه يكفن فيه اباه فاعطاه ثم ساله ان يصلي عليه فقام ليصلي عليه فقام عمر رضي
الله عنه فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد
نهاك ربك ان تصلي عليه فقال صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر
لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد على السبعين قال انه منافق
فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات
ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون رواه الشيخان
والنسائي • وفي هذه السنة ايضا آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا وجحش شقه
اي خدش وجلس في مشربة له درجها من جذوع فاتاه اصحابه يعودونه فصلى بهم
جالسا وهم قيام فلما سلم قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا صلى قائما فصلوا قياما
وان صلى قاعدا فصلوا قعودا ولا تركعوا حتى يركع ولا ترفعوا حتى يرفع ونزل لتسع
وعشرين قالوا يا رسول الله انك آليت شهرا فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين

ثم بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن قبل حجة الوداع

كل واحد منهما على مخلاف قالوا واليمن مخلافان ثم قال يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا
وقال لمعاذ انك ستاتي قوما اهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم
صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم اطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم
اموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب رواه البخاري • والمخلاف
بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فا بلغة اهل اليمن الكورة والاقليم والرستاق وكانت
جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمل الجند بفتح الجيم والنون وله بها مسجد
مشهور وكانت جهة ابي موسى السفلى **ثم ارسل خالد بن الوليد ايضا**
قبل حجة الوداع في ربيع الاول سنة عشر وفي الاكليل في ربيع الآخر وقيل جمادى الاولى الى بني
عبد المدان قبيلة بنجران فاسلموا **ثم ارسل علي بن ابي طالب الى اليمن** في
شهر رمضان سنة عشر من الهجرة وعقد له لواء وعممه بيده واخرج ابو داود واحمد
والترمذي من حديث علي قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله
تبعثني الى قوم اسن مني وانا حديث السن لا ابصر القضاء قال فوضع يده في صدري وقال
اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا علي اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع
من الآخر الحديث فخرج في ثلثمائة فارس ففرق اصحابه فاتوا بنهب وغنائم ونساء واطفال

وتنعم وشاء وغير ذلك ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فابوا ورموا بالنبل ثم حمل عليهم علي باصحابه فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فاسرعوا واجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام ثم قفلوا فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر

ثم حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وتسمى حجة الاسلام

وحجة البلاغ وكره ابن عباس ان يقال حجة الوداع وكان صلى الله عليه وسلم لما قام بالمدينة يضحي كل عام ويغزو المغازي فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة اجمع على الخروج الى الحج قال ابن سعد ولم يحج غيرها منذ تنبأ الى ان توفاه الله تعالى وفي البخاري عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا تسع عشرة غزوة وانه حج بعدما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها حجة الوداع قال وقال ابن اسحاق وبمكة اخرى وقيل حج بمكة حجتين هذا بعد النبوة وقبلها لا يعلمه الا الله فخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة وجزم ابن حزم بان خروجه كان يوم الخميس وفيه نظر لان اول ذي الحجة كان يوم الخميس قطعا لما ثبت وتواتر ان وقوفه بعرفة كان يوم الجمعة فتعين ان اول الشهر كان يوم الخميس ولا يصح ان يكون خروجه يوم الخميس بل ظاهر الخبر ان يكون يوم الجمعة لكن ثبت في الصحيحين عن انس قال صلينا مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بالمدينة اربعا والعصر بذي الحليفة ركعتين فدل على ان خروجهم لم يكن يوم الجمعة ويحمل قول من قال لخمس بقين اي ان كان الشهر ثلاثين فاتفق ان جاء تسعا وعشرين فيكون يوم الخميس اول ذي الحجة بعد مضي اربع ليال لا خمس وبها تتفق الاخبار هكذا جمع الحافظ عماد الدين ابن كثير بين الروايات وقوى هذا الجمع بقول جابر انه خرج لخمس بقين من ذي القعدة او اربع وصرح الواقدي بان خروجه عليه السلام كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وكان خروجه من المدينة بين الظهر والعصر وكان دخوله مكة صبح رابعة كما ثبت في حديث عائشة وذلك يوم الاحد وهذا يؤيد ان خروجه من المدينة كان يوم السبت كما تقدم فيكون مكث في الطريق ثمان ليال وهي المسافة الوسطى وخرج معه عليه السلام تسعون الفا ويقال مائة الف واربعة عشر الفا ويقال اكثر من ذلك كما حكاه البيهقي ويأتي الكلام على حجة الوداع وما فيها من المباحث في مقصد العبادات ان شاء الله تعالى

ثم سرية اسامة بن زيد بن حارثة الى اهل ابنا

بالشراة ناحية بالبلقاء وكانت يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة وهي آخر سرية جهزها النبي صلى الله عليه وسلم واول جيش جهزه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لغزو الروم مكان قتل ابيه زيد فلما كان يوم الاربعاء بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما اصبح يوم الخميس عقد لاسامة لواء

بيده

بيده فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة الاسلمي وعسكر بالجرف فلم يبق احد من وجوه المهاجرين والانصار الا انتدب فيهم ابو بكر وعمر فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين فخرج صلى الله عليه وسلم وقد عصب راسه وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تاميري اسامة ولئن طعنتم في امارتي اسامة لقد طعنتم في امارتي اباه من قبله وايم الله ان كان للامارة لخليقا وان ابنه من بعده لخليق للامارة وان كان لمن احب الناس الي فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل عن المنبر فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فدخل اسامة من معسكره والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور وهو اليوم الذي لدوه فيه فطأطأ اسامة فقبله ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعهما على اسامة قال اسامة فعرفت انه يدعو لي ورجع اسامة الى معسكره ثم دخل يوم الاثنين واصبح صلى الله عليه وسلم مفيقا فودعه اسامة وخرج الى معسكره فامر الناس بالرحيل فبينا هو يريد الركوب اذا رسول ام ايمن قد جاءه يقول ان رسول الله صلى الله عليه يموت فاقبل هو وعمر وابو عبيدة فتوفي عليه السلام حين زاغت الشمس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول واستشكله السهيلي ومن تبعه وذلك انهم اتفقوا على ان ذا الحجة كان اوله يوم الخميس فمهما فرضت الشهور الثلاثة توام او نواقص او بعضها لم يصح قال الحافظ ابن حجر وهو ظاهر لمن تامله واجاب البارزي ثم ابن كثير باحتمال وقوع الاشهر الثلاثة كوامل وكان اهل مكة والمدينة اختلفوا في رؤية هلال ذي الحجة فرآه اهل مكة ليلة الخميس ولم يره اهل المدينة الا ليلة الجمعة فحصلت الوقفة برؤية اهل مكة ثم رجعوا الى المدينة فارخوا برؤية اهلها فكان اول ذي الحجة الجمعة وآخره السبت واول المحرم الاحد وآخره الاثنين واول صفر الثلاثاء وآخره الاربعاء واول ربيع الاول الخميس فيكون ثاني عشره الاثنين قال وهذا الجواب بعيد من حيث انه يلزم منه توالي اربعة اشهر كوامل وقد جزم سليمان التيمي احد الثقات بان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم كان يوم السبت الثاني والعشرين من صفر ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول فعلى هذا يكون صفر ناقصا ولا يمكن ان يكون اول صفر السبت الا ان كان ذو الحجة والمحرم ناقصين فيلزم منه نقص ثلاثة اشهر متوالية قال والمعتمد ما قاله ابو مخنف انه توفي في ثاني ربيع الاول وكان سبب غلط غيره انهم قالوا مات في ثاني شهر ربيع الاول فغيرت فصارت ثاني عشر واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضا من غير تامل انتهى **ثم ان وفاته** صلى الله عليه وسلم

يوم الاثنين من ربيع الاول بلا خلاف بل كاد يكون اجماعا لكن في حديث ابن مسعود في جمادى
عشر رمضان رواه البزار والمعتمد ما تقدم والله اعلم انتهى وسياتي ان شا الله تعالى
حديث الوفاة الشريفة في المقصد الاخير ولما توفي عليه السلام دخل المسلمون الذين
عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلوا اسامة معقودا حتى اتى به باب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده بابه فلما بويع ابو بكر الصديق رضي الله عنه امر بريدة
ان يذهب باللوا الى بيت اسامة ليمضي لوجهه فمضى به الى معسكرهم الاول وخرج
اسامة هلال ربيع الاخر سنة احدى عشرة الى اهل ابنا فشن عليهم الغارة فقتل من
اشرف له وسبى من قدر عليه وحرق منازلهم ونخلهم وقتل قاتل ابيه في الغارة ثم رجع
الى المدينة ولم يصب احد من المسلمين وخرج ابو بكر في المهاجرين واهل المدينة يتلقونه
سرورا والله اعلم فجميع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه سبع وعشرون

المقصد الثاني

في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة وذكر اولاده الكرام الطاهرين
وازواجه الطاهرات امهات المؤمنين واعمامه وعماته واخوته من الرضاعة وجداته
وخدمه ومواليه وحرسه وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام في الشرايع والاحكام
ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام والاته حروبه ودوابه والوافدين اليه
صلى الله وسلم عليه وفيه عشرة فصول

الفصل الاول

في ذكر اسمائه الشريفة المنبئة عن كمال صفاته المنيفة

اعلم ان الاسما جمع اسم وهو كلمة وضعتها العرب بازا مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك
المسمى فعلى هذا لا بد من مراعاة اربعة اشيا الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمي بكسرها
والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها وتخصيصها عن غيرها كلفظ
زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمي هو الواضع لذلك
اللفظ والتسمية هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا
اطلق واحس فهم ذلك المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى او غيره وهي مسئلة طويلة
تكلم الناس فيها قديما وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله
تعالى سبح اسم ربك الاعلى والتسبيح انما هو للرب جل وعلا فدل على ان اسمه هو هو
واجيب بانه اشرب معنى سبح اذكر فكانه قال اذكر اسم ربك كقوله تعالى واذكر
اسم ربك بكرة واصيلا اي سبح ربك بكرة واصيلا وقد اشرب معنى اذكر سبح عكس الاول
قال تعالى واذكر ربك اي سبح ربك والاشراب جار في لغتهم يشربون معنى فعل فعلا

واستشكل

واستشكل على معنى كونه هو المسمى اضافته اليه فانه يلزم منه اضافة الشي الى نفسه
واجيب بان الاسم هنا بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية هي اللفظ
بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا واحتج من قال بان الاسم عين المسمى
ايضا بقوله تعالى بغلام اسمه يحيى ثم قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدل
على انه المسمى وجوابه ان المعنى يا ايها الغلام الذي اسمه يحيى ولو كان الاسم عين
المسمى لكان من قال النار احترق لسانه ومن قال العسل ذاق حلاوته وكثرة الاسما
تدل على شرف المسمى وقد سمى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم
باسما كثيرة في القران العظيم وغيره من الكتب السماوية وعلى السنة
انبيائه عليهم السلام ثم ان اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم محمد وبه سماه جده عبد المطلب
وذلك انه لما قيل له ما سميت ولدك قال محمد فقيل له كيف سميته باسم ليس لاحد
من ابائك وقومك فقال لاني ارجو ان يحمده اهل الارض كلهم وذلك لرؤيا كان راها
عبد المطلب كما ذكر حديثها علي القيرواني العابر في كتاب البستان قال كان عبد المطلب
قد راى في المنام كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السما وطرف في المشرق
وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب
كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه اهل المشرق واهل
المغرب ويحمده اهل السما والارض فلذلك سماه محمدا مع ما حدثته به امه امنة حين قيل
لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا وعن ابن عباس قال
لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث
ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم ابائه قال اردت ان يحمده الله في السما ويحمده
الناس في الارض وعن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لي اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب رواه الشيخان وقد روي قدمي
بتخفيف اليا بالافراد وبالتشديد على التثنية قال النووي في شرح مسلم معنى الروايتين
يحشرون على اثري وزماني ورسالتي وفي رواية نافع بن جبير عند البخاري في
تاريخه الصغير والاوسط والحاكم في مستدركه وصححه وابو نعيم في الدلايل وابن سعد
انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال اتحصي اسما رسول الله صلى الله عليه وسلم
التي كان جبير بن مطعم يعدها قال نعم هي ستة فذكر الخمسة التي ذكرها محمد
ابن جبير وزاد الخاتم وفي حديث حذيفة احمد ومحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة
ولفظ رواية ابي نعيم هي ستة محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح فاما حاشر
فبعث مع الساعة نذيرا لكم بين يدي عذاب شديد واما عاقب فانه اعقب الانبيا
واما ماح فان الله عز وجل محا به سيات من اتبعه وذكر بعضهم ان العدد ليس من

قول النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكره الراوي بالمعنى وفيه نظر لتصريحه في الحديث بان لي
خمسة اسماء والذي يظهر انه اراد ان لي خمسة اسماء اختص بها لم يتسم بها احد قبلي او
مشهورة في الامم الماضية لا انه اراد الحصر فيها وبهذا يجاب عن الاستشكال
الوارد وهو ان المقرر في علم المعاني ان تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر لكن ورود الروايات
بما هو اكثر يدل على انه ليس حصرا مطلقا فالطريق في ذلك ان يحمل على حصر مقيد كما ذكر
والله اعلم **وروى** النقاش عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد ويس
وطه والمزمل والمدثر وعبد الله وقد جاءت من القابه صلى الله عليه وسلم وسماته في القرآن
عدة كثيرة وقد تعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عددا مخصوصا فمنهم من بلغ تسعة
وتسعين موافقة لعدد اسماء الله الحسنى الواردة في الحديث قال القاضي عياض وقد خصه
الله تعالى بان سماه من اسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسما وقال ابن دحية في كتابه
المستوفى اذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفى الثلاثمائة انتهى
ورأيت في كتاب احكام القرآن للقاضي ابي بكر بن العربي قال بعض الصوفية لله تعالى
الف اسم وللنبي الف اسم انتهى والمراد الاوصاف فكل الاسماء التي وردت اوصاف مدح
واذا كان كذلك فله صلى الله عليه وسلم من كل وصف اسم ثم ان منها ما هو مختص به او الغالب
عليه ومنها ما هو مشترك وكل ذلك بين في المشاهدة لا يخفى واذا جعلنا له من كل وصف
من اوصافه اسما بلغت اوصافه ما ذكر بل اكثر **والذي رأيته** في كلام شيخنا
في القول البديع والقاضي عياض في الشفا وابن العربي في القبس والاحكام له وابن سيد الناس
وغيرهم **يزيد** على اربعمائة **وقد سردتها مرتبة على حروف المعجم**
وهي ا الابر بالله • الابطحي • اتقى الناس • الاجود • اجود الناس • الاحد • الاحسن •
احسن الناس • احمد • احيد بضم اوله وكسر المهملة ثم تحتانية • الآخذ بالحجزات • آخذ
الصدقات • الآخر • الاخشى لله • اذن خير • ارجح الناس عقلا • ارحم الناس بالعيال
الازهر وهو النير المشرق الوجه • اشجع الناس • الاصدق في الله • اطيب الناس ريحا
الاعز • الاعلى • الاعلم بالله • اكثر الناس تبعا • الاكرم • اكرم الناس • اكرم ولد آدم
المص • امام الخير • امام الرسل • امام المتقين • امام النبيين • الامام • الآمر • الآمن • امنة
اصحابه • الامين • الامي • انعم الله • الاول • اول شافع • اول المسلمين • اول مشفع
اول المؤمنين • اول من تنشق عنه الارض • ب البر • البار • البرقليط • الباطن • البرهان
بشرى • بشرى عيسى • البشير • البصير • البليغ • بالغ البيان • البينة • ت التالي • التذكرة
التقي • التنزيل • التهامي • ث ثاني اثنين • ج الجبار • الجد • الجواد • جامع • ح حاتم حزب الله
الحاشر • الحافظ • الحاكم بما اراه الله • الحامد • حامل لواء الحمد • الحائد لامته عن النار
الحبيب • حبيب الرحمن • حبيب الله • الحجازي • الحجة • الحجة البالغة • حجة الله على
الخلائق • حرز الاميين • الحرمي • حريص • الحريص على الايمان • الحسيب • الحفيظ • الحق

الحكيم

الحكيم • الحليم • حماد • حمطايا او قال حمياطا • حمعسق • حفي • الحمد • الحنيف • خ الخبير
خاتم النبيين • خاتم المرسلين • الخاتم • الخازن لمال الله • الخاشع • الخاضع • الخالص
خطيب الانبياء • خطيب الامم • خطيب الوافدين على الله • الخليل • خليل الرحمن • خليل الله
الخليفة • خير الانبياء • خير البرية • خير خلق الله • خير العالمين طرا • خير الناس • خير هذه
الامة • خيرة الله • د دار الحكمة • الداعي الى الله • دعوة ابراهيم • دعوة النبيين • دليل
الخيرات • ذ الذاكر • الذكر • ذكر الله • ذو الحوض المورود • ذو الخلق العظيم • ذو الصراط
المستقيم • ذو القوة • ذو مكانة • ذو عزة • ذو فضل • ذو المعجزات • ذو المقام المحمود • ذو الوسيلة
ر الراضع • الراضي • الراغب • الرافع • راكب البراق • راكب البعير • راكب الجمل • راكب الناقة
راكب النجيب • الرحمة • رحمة الامة • رحمة العالمين • رحمة مهداة • الرحيم • الرسول
رسول الراحة • رسول الرحمة • رسول الله • رسول الملاحم • الرشيد • الرفيع الذكر • رافع
الرتب • رفيع الدرجات • الرقيب • روح الحق • روح القدس • الرؤوف • ركن المتواضعين
ز الزاهد • زعيم الانبياء • الزكي • الزمزمي • زين من في القيامة • س السابق • السابق
بالخيرات • سابق العرب • الساجد • سبيل الله • السراج المنير • السراط المستقيم • السعيد
سعد الله • سعد الخلائق • السميع • السلام • السيد • سيد ولد آدم • سيد المرسلين • سيد
الناس • سيد الثقلين • سيد الكونين • سيف الله المسلول • ش الشارع • الشافع • الشاكر
الشاهد • الشكور • الشكار • الشمس • الشهيد • ص الصابر • الصاحب • صاحب الآيات
صاحب المعجزات • صاحب البرهان • صاحب البيان • صاحب التاج • صاحب الجهاد • صاحب
الحجة • صاحب الحطيم • صاحب الحوض المورود • صاحب الخاتم • صاحب الخير • صاحب الدرجة
العالية الرفيعة • صاحب الرداء • صاحب الازواج الطاهرات • صاحب السجود للرب المحمود
صاحب السرايا • صاحب السلطان • صاحب السيف • صاحب الشرع • صاحب الشفاعة
الكبرى • صاحب العطايا • صاحب العلامات الباهرات • صاحب العلو والدرجات
صاحب الفضيلة • صاحب الفرج • صاحب القضيب الاصفر • صاحب قول لا اله الا الله
صاحب القدم • صاحب الكوثر • صاحب اللواء • صاحب المحشر • صاحب المدينة • صاحب
المغفر • صاحب المغنم • صاحب المعراج • صاحب المظهر المشهود • صاحب المقام المحمود
صاحب المنبر • صاحب الميزان • صاحب النعلين • صاحب الهراوة • صاحب الوسيلة • الصادع
بما امر • الصادق • الصبور • الصدق • صراط الله • صراط الذين انعمت عليهم • الصراط
المستقيم • الصفوح • الصفوح عن الزلات • الصفوة • الصفي • الصالح • ض الضارب
بالحسام المسلول • الضحاك • الضحوك • ط طاب طابه • الطاهر • الطيب • طسم
طس • طه • الطيب • ظ الظاهر • الظفور من الظفر وهو الفوز • ع العابد • العادل
العظيم • العافي • العاقب • العالم • علم الايمان • علم اليقين • العالم بالحق • العامل
عبد الله • العبد • العدل • العربي • العروة الوثقى • العزيز • العفو • العليم • العطوف

العلىّ • العلامة • عين العزّ • عبد الكريم • عبد الجبار • عبد الحميد • عبد المجيد • عبد
الوهاب • عبد القهار • عبد الرحيم • عبد الخالق • عبد القادر • عبد المهيمن • عبد القدوس
عبد الغياث • عبد الرزاق • عبد السلام • عبد المؤمن • عبد الغفار غ الغالب • الغفور
الغنىّ • الغنىّ بالله • الغيث • الغوث • الغياث • ف الفاتح • الفارقليط وقيل بالباء
وتقدم • الفارق • الفاروق • الفتاح • الفجر • الفرط • الفصيح • فضل الله • فواتح النور
ق القاسم • القاضي • القانت • قائد الخير • قائد الغر المحجلين • القائل • القائم • القتال
القتول • قثم • القثوم • قدم صدق • القرشي • القريب • القمّ • القيم • ومعناه الجامع
الكامل وصوابه بالمثلثة بدل الباء • القوي ك كافة الناس • الكفيل • الكامل في جميع
أموره • الكريم • كهيعص ل اللسان • م الماجد • ماذ ماذ • المؤمّل • الماحي • المأمون
المانح • الماء المعين • المبارك • المبتهل • المبرّأ • المبشر • مبشر البائسين • المبعوث بالحق
المبعوث • المبلغ • المبيح • المبين • المتين • المتبتل • المتبسم • المتربص • المترحم • المتضرع
المتقي • المتلو عليه • المتهجد • المتوسط • المتوكل • المتثبت • مجاب • مجيب • المجتبى
المجيب • المحرض • المحرم • المحفوظ • المحلل • محمد • المحمود • المخبر • المختار • المخصوص بالشرف
المخصوص بالعز • المخصوص بالمجد • المخلص • المدثر • المدني • مدينة العلم • المذكر • المذكور
المرتضى • المرتل • المرسل • المرتجى • المرحوم • المرفّع الدرجات • المزّ وهو الرجل الكامل
المروّق • المزكّى • المزمل • المسبح • المستغفر • المستغني • المستقيم • المسري به • المسعود
المسلم • المسلّم • المشاور • المشفّع • المشفوع • المشفّح • المشهود • المشير • المصباح • المصا
فح • مصحح الحسنات • المصدوق • المصطفى • المصلح • المصلّى عليه • المطاع • المطهّر
المظهر • المطلع • المطيع • المظفر • المعزّز • المعصوم • المعطى • المعقب • المعلّم • معلم أمته
المعلم • المعلن • المعلى • المفضال • المفضل • المفتاح • مفتاح الجنة • المقتصد • المقتفي
يعني قفا النبيين • المقدس • المقري • المقسط • المقسم • المقصوص عليه • المقفّى
وقيل بزيادة تاء بعد القاف كما تقدم • مقيل العثرات • مقيم السنة بعد الفترة •
المكرم • المكتفى • المكفى • المكين • المكي • الملاحمي • ملقى القرآن • الممنوح • المنادي • المنتصر
المنجي • المنذر • المنزل عليه • المنحمنا • المنصف • المنصور • المنيب • المنير • المهاجر
المهتدي • المهدي • المهداة • المهيمن • المؤتمن • المؤتى جوامع الكلم • الموحى إليه • الموصل
الموقر • المولى • المؤمن • المؤيد • الميسر ن نون • النابذ • الناجز • الناس لقوله
تعالى أم يحسدون الناس المفسّر به عليه السلام • الناسخ • الناشر • الناصح • الناصر • الناطق
بالحق • الناهي • نبي الأحمر • نبي الأسود • نبي التوبة • نبي الحرمين • نبي الراحة •
نبي الرحمة • النبي الصالح • نبي الله • نبي المرحمة • نبي الملحمة • نبي الملاحم • النبي • النجم
النجم الثاقب • نجي الله • النذير • النسيب • نصيح • ناصح • النعمة • نعمة الله • النقيب
النقي • النور • نور الأمم أي الهادي لها الذي وصلها • نور الله الذي لا يطفى • ه الهادي

هدية الله • الهاشمي و الوجيه • الواسط • الواسع • الواصل • الواضع • الواعد • الواعظ
الورع • الوسيلة • الوفي • الوافي • ولي الفضل • الولي ي اليثربي • يس وكنيته
المشهورة أبو القاسم كما جاء في عدة أحاديث صحيحة ويكنى بأبي ابرهيم كما في حديث أنس في مجيء
جبريل إليه عليهما الصلوة والسلام وقوله السلام عليك يا أبا ابرهيم ويا أبي الأرامل
فيما ذكره ابن دحية وبأبي المؤمنين فيما ذكره غيره واعلم أنه لا سبيل لنا أن نستوعب
شرح جميع هذه الأسماء الشريفة إذ في ذلك تطويل يفضي بنا إلى العدول عن غرض
الاختصار فلنذكر من ذلك ما يفتح الله به مما يدل على سواه وبالله تعالى أستعين
فأول ذلك ما له عليه السلام من معنى الحمد الذي هو اسمه المنبئ عن ذاته الذي سائر
أسمائه أو صفاته راجعة إليه وهو في المعنى واحد وله في الاشتقاق صيغتان لأن الاسم المبني
صيغته على صيغة أفعل المنبئة عن الانتهاء إلى غاية ليس وراءها منتهى وهو اسمه
أحمد والاسم المبني على صيغة التفعل المنبئة عن التضعيف والتكثير إلى عدد لا ينتهي
الإحصاء وهو اسمه محمد قال السهيلي محمد منقول من الصفة فالمحمد في اللغة
هو الذي يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مفعّل مثل مضرّب وممدّح إلا لمن تكرر منه
الفعل مرة بعد أخرى وأما أحمد وهو اسمه عليه السلام الذي سمي به على لسان عيسى
وموسى فإنه منقول أيضا من الصفة التي معناها التفضيل فمعنى أحمد أحمد الحامدين
لربه وكذلك هو في المعنى لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله
فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد وقال وأما محمد فمنقول من صفة أيضا وهو
في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما أن
المكرّم من أكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدّح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله
سبحانه وتعالى سماه به قبل أن يسمي به علم من أعلام نبوته عليه السلام إذ كان اسمه
صادقا عليه فهو صلى الله عليه وسلم محمود في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة
وهو محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم إنه لم يكن
محمدا حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو
محمد فذكره عيسى فقال اسمه أحمد وذكره موسى حين قال له ربه تلك أمة أحمد فقال
اللهم اجعلني من أمة أحمد فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لأن حمده لربه كان قبل حمد
الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد
التي يفتحها عليه فيكون أحمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف
ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر والوجود وفي الدنيا والآخرة تلح لك الحكمة
الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين انتهى وقال القاضي عياض كان عليه السلام أحمد
قبل أن يكون محمدا كما وقع في الوجود لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة وتسميته
محمد وقعت في القرآن وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس انتهى وهذا موافق لما

قال السهيلي وذكره في فتح الباري واقره عليه وهو يقتضي سبقية اسمه احمد خلافا لما ادعاه ابن القيم وذكر ابن القيم في اسمه احمد انه قيل فيه انه بمعنى مفعول ويكون التقدير احمد الناس اي احق الناس واولاهم ان يحمد فيكون محمدا في المعنى لكن الفرق بينهما ان محمدا هو الكثير الخصال التي يحمد عليها واحمد هو الذي يحمد افضل ما يحمد غيره فمحمد في الكثرة والكمية واحمد في الصفة والكيفية فيستحق من الحمد اكثر مما يستحق غيره اي افضل حمد حمده البشر فالاسمان واقعان على المفعول قال وهذا ابلغ في مدحه واكمل معنى فلو اريد معنى الفاعل لسمي الحماد اي كثير الحمد فانه صلى الله عليه وسلم كان اكثر الناس حمدا لربه فلو كان اسمه احمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى به الحماد كما سميت بذلك امته وايضا فان هذين الاسمين انما اشتقا من اخلاقه وخصائله المحمودة التي لاجلها استحق ان يسمى محمدا واحمد وقال القاضي عياض في باب تشريفه تعالى له عليه السلام بما سماه به من اسمائه الحسنى احمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد ثم ان في اسمه محمد خصائص منها كونه على اربعة احرف ليوافق اسم الله تعالى اسم محمد فان عدد الجلالة اربعة احرف كمحمد ومنها انه قيل ان مما اكرم به الادمي ان كانت صورته على شكل كتب هذا اللفظ فالميم الاولى راسه والحا جناحاه والميم سرته والدال رجلاه قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولها اعاذنا الله منها الا ممسوخ الصورة اكراما للصورة اللفظ حكاهما ابن مرزوق والاول ابن العماد في كتابه كشف الاسرار ومنها انه تعالى اشتقه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم	من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه	اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله	فذو العرش محمود وهذا محمد

واخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال كان ابو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد

وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بالفي الف عام كما ورد في حديث انس بن مالك من طريق ابي نعيم في مناجاة موسى وروى ابن عساكر عن كعب الاحبار قال انزل الله على ادم عصيا بعدد الانبياء والمرسلين ثم اقبل على ابنه شيث فقال اي بني انت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى فكلما ذكرت الله فاذكر الى جنبه اسم محمد فاني رايت اسمه مكتوبا على ساق العرش وانا بين الروح والطين ثم اني طفت السموات فلم ار في الجنة قصرا ولا غرفة الا رايت اسم محمد مكتوبا عليه ولقد رايت اسم محمد مكتوبا على نحور الحور العين وعلى ورق قصب اجام الجنة وعلى ورق شجرة طوبى وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى اطراف الحجب وبين اعين الملائكة فاكثر ذكره فان الملائكة تذكره في كل ساعاتها.

بيت مفرد

بدا مجده

بدا مجده من قبل نشأة آدم   فاسماؤه في العرش من قبل تكتب

وروينا في جزء الحسن بن عرفة من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي الى السما ما مررت بسما الا وجدت اي علمت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول الله وابو بكر من خلفي ووجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح امين ذكره في الشفا وعلى حجر بالخط العبراني باسمك اللهم جا الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران ذكره ابن ظفر في البشر عن معمر عن الزهري وشوهد كما ذكره في الشفا في بعض بلاد خراسان مولود ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وببلاد الهند ورد احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله **وذكر** العلامة ابن مرزوق عن عبد الله بن صوحان عصفت ريح ونحن في لجج بحر الهند فارسينا في جزيرة فراينا فيها وردا احمر ذكي الرائحة طيب الشم وفيه مكتوب بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وورد ابيض مكتوب عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله وفي تاريخ ابن العديم عن علي بن عبد الله الهاشمي الرقي انه وجد في بعض قرى الهند وردة كبيرة طيبة الرائحة سودا عليها مكتوب بخط ابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق قال فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح فكان فيها مثل ذلك وفي البلد منه شي كثير واهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله تعالى وقال ابو عبد الله بن مالك دخلت بلاد الهند فسرت الى مدينة يقال لها غيلة او ثميلة فرايت شجرة كبيرة تحمل ثمرا كاللوز له قشر فاذا كسرت ثمرته خرج منها ورقة خضرا مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله واهل الهند يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا الغيث حكاه القاضي ابو البقا ابن الضيا في منسكه وفي كتاب روض الرياحين لليافعي عن بعضهم انه وجد ببلاد الهند شجرة تحمل ثمرا كاللوز له قشران اذا كسر خرج منه ورقة خضرا طرية مكتوب فيها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها قال فحدثت بذلك ابا يعقوب الصياد فقال ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر الابلة فاصطدت سمكة على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رايتها قذفتها في الما احتراما لها. وعن بعضهم مما ذكره ابن مرزوق في شرحه لبردة الابوصيري انه اتي بسمكة فراى في احدى شحمتي اذنيها لا اله الا الله وفي الاخرى محمد رسول الله. وعن جماعة انهم وجدوا بطيخة صفرا فيها خطوط شتى بالابيض خلقة ومن جملة الخطوط كتب بالعربي في احد جنبيها الله وفي الاخر عز احمد بخط بين لا يشك فيه عالم بالخط وانه وجد في سنة تسع او قال سبع بالموصل ومما ثبت حبة عنب مكتوب فيها بخط بارع بلون اسود محمد **وفي** كتاب النطق المفهوم لابن طغربك السياف عن بعضهم انه راى بجزيرة شجرة

عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب فيه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة
واضحة جلية ابتدعها الله تعالى بقدرته في الورقة ثلاثة اسطر الاول لا اله الا الله
والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وقال ابن قتيبة ومن
اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم انه لم يسم قبله احد باسمه محمد صيانة من الله تعالى
لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من قبل سميا وذلك انه تعالى سماه في الكتب المتقدمة
وبشر به الانبيا فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت الشبهة الا انه لما قرب زمنه وبشر
اهل الكتاب بقربه سمى قوم اولادهم بذلك رجاء ان يكون هو هو والله اعلم حيث
يجعل رسالاته ۝ ما كل من زار الحمى سمع الندا ۝ من اهله اهلا بذاك الزائر ۝
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ۝ وقد عدهم القاضي عياض ستة ثم قال لا سابع لهم
وذكر ابو عبد الله بن خالويه في كتاب ليس والسهيلي في الروض انه لا يعرف في
العرب من سمي محمدا قبل النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة قال الحافظ ابو الفضل بن حجر
رحمه الله وهو حصر مردود والعجب ان السهيلي متاخر الطبقة عن عياض ولعله لم
يقف على كلامه قال وقد جمعت اسماء من سمي بذلك في جزء مفرد فبلغوا نحو العشرين لكن مع
تكرير في بعضهم ووهم في بعض فيتلخص منهم خمسة عشر نفسا ۝ واشهرهم محمد بن عدي
ابن ربيعة بن سواة بن جشم بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي ۝ ومنهم محمد
ابن احيحة بضم الهمزة وفتح المهملة ابن الجلاح بضم الجيم وتخفيف اللام آخره مهملة الاوسي
ومحمد بن اسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر ۝ ومحمد بن البراء وقيل البر بن طريف بن عتوارة
ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة البكري العتواري ۝ ومحمد بن الحارث بن خديج
ابن حويص ۝ ومحمد بن حرمان بن مالك اليعمري ۝ ومحمد بن حمران بن ابي حمران ربيعة بن مالك
الجعفي المعروف بالشويعر ۝ ومحمد بن خزاعي بن علقمة بن حرابة السلمي من بني ذكوان ۝ ومحمد
ابن خولي الهمداني ۝ ومحمد بن سفيان بن مجاشع ۝ ومحمد بن اليحمد الازدي ۝ ومحمد بن يزيد
ابن عمرو بن ربيعة ۝ ومحمد بن الاسيدي ۝ ومحمد الفقيمي ولم يدركوا الاسلام الا الاول
ففي سياق خبره ما يشعر بذلك والا الرابع فهو صحابي جزما ۝ وفيمن ذكره عياض محمد بن مسلمة
الانصاري وليس ذكره بجيد فانه ولد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بازيد من عشرين سنة ۝
لكنه قد ذكر تلو كلامه المتقدم محمد بن يحمد الماضي فصار من عنده ستة لا سابع لهم انتهى
واما اسمه عليه السلام **محمود** فاعلم ان من اسماء الله تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه تعالى
حمد نفسه وحمده عباده وقد سمي الرسول صلى الله عليه وسلم بمحمود وكذا وقع اسمه في زبور
داود **واما الماحي** ففسر في الحديث بمحو الكفر ولم يمح الكفر باحد من الخلق ما محي بالنبي صلى
الله عليه وسلم فانه بعث واهل الارض كلهم كفار ما بين عباد اوثان ويهود ونصارى
ضالين وصابئة ودهرية لا يعرفون ربا ولا معادا ومن عباد الكواكب وعباد النار
وفلاسفة لا يعرفون شرائع الانبيا ولا يقرون بها فمحاها برسوله حتى اظهر دينه على كل

دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار ۝ وسارت دعوته مسير الشمس في الاقطار ۝ ولما كانت
البحار هي الماحية للادران كان اسمه عليه السلام فيها الماحي **واما الحاشر** ففسر ايضا
في الحديث بانه الذي يحشر الناس على قدمه اي يقدمهم وهم خلفه وقيل على سابقته وقيل
قدامه وقيل حوله اي يجتمعون اليه في القيمة وقد كان حشر لاهل الكتاب اخراجهم
من حصونهم وبلادهم من هجرته الى حيث اذاقهم الله من شدة الحشر ما شاء في دار الدنيا
الى ما اتصل لهم بذلك في برزخهم وهو اول من تنشق عنه الارض فيحشر الناس على
اثره واليه يلجاؤن في محشرهم وقيل على سنته **واما العاقب** فهو الذي جاء عقب الانبيا
فليس بعده نبي لان العاقب هو الآخر اي عقب الانبيا قيل وهو اسمه في النار فاذا
جاء بحرمة شفاعة عند خمدت النار وسكنت كما روي ان قوما من حملة القرآن يدخلونها
فينسيهم الله تعالى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم حتى يذكرهم جبريل فيذكرونه فتخمد
النار وتنزوي عنهم **واما المقفي** فكذلك اي قفا آثار من سبقه من الرسل وهي لفظة
مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه اذا تاخر عنه ومنه قافية الراس وقافية البيت
فالمقفي اي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم ۝ **واما الاول** فلانه اول
النبيين خلقا كما مر وكما انه اول في البدء فهو اول في العود فهو اول من تنشق عنه الارض
واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع كما كان في اوليات البدء في عالم الذر
اول مجيب اذ هو اول من قال بلى اذ اخذ ربه الميثاق على الذرية الآدميين فاشهدهم
على انفسهم الست بربكم فهو صلى الله عليه وسلم اول في ذلك كله على الاطلاق **واما
الآخر** فلانه آخر الانبيا في البعث كما في الحديث **واما الظاهر** فلانه ظهر على جميع
الظاهرات ظهوره وظهر على الاديان دينه فهو الظاهر في وجوه الظهور كلها **واما
الباطن** فهو المطلع على بواطن الامور بواسطة ما يوحيه الله تعالى اليه **واما الفاتح الخاتم**
ففي حديث الاسرا عن ابي هريرة من طريق الربيع بن انس قول الله تعالى له وجعلتك فاتحا
وخاتما وفي حديث ابي هريرة ايضا في الاسرا قوله صلى الله عليه وسلم وجعلني فاتحا
وخاتما فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد ان كان مرتجا وفتح به اعينا عميا وآذانا
صما وقلوبا غلفا وفتح امصار الكفر وفتح به ابواب الجنة وفتح به طرق العلم النافع والعمل
الصالح والدنيا والآخرة والقلوب والاسماع والابصار والامصار وقد يكون المراد
المبدا المقدم في الانبيا والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول النبيين في الخلق
وآخرهم في البعث **واما الرؤف الرحيم** ففي القرآن لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز
عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وهو فعول من الرافة وهي ارق من
الرحمة قاله ابو عبيد والرحيم فعيل من الرحمة وقيل رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين
واما الحق المبين فقال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل اني انا النذير
المبين وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم وقال تعالى لقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد

عليه السلام وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره والمبين البين
امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم
واما المومن فقال الله تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير
لكم يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدق وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى
المومن **واما المهيمن** فقال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من
الكتاب ومهيمنا عليه قال محمد موتمن على القرآن قال فعلى قوله في الكلام محذوف كانه قال
وجعلناك يا محمد مهيمنا عليه وسماه العباس بن عبد المطلب في شعره مهيمنا في قوله

حين احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

وروي ثم اغتدى بيتك المهيمن قيل اراد يا ايها المهيمن قاله القتبي والامام ابو القاسم
القشيري **واما العزيز** فمعناه جلالة القدر او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقد
استدل القاضي عياض لهذا الاسم بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله اي فجاز ان يوصف
النبي صلى الله عليه وسلم بالعزيز والمعز لحصول العزة له ولقائل ان يقول هذا الوصف
ايضا للمومنين لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبي صلى الله عليه وسلم والغرض ما يختص به
قاله اليمني وعجبت من القاضي كيف خفي عليه مثل هذا او يجاب باختصاصه بتمام
من العز ليست لغيره والله اعلم **واما العالم والعليم والمعلم ومعلم امته** فقد قال تعالى
وعلمك ما لم تكن تعلم وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
واما الخبير فمعناه المطلع على كنه الشيء العالم بحقيقته وقيل المخبر فقال تعالى الرحمن فاسال
به خبيرا قال القاضي بكر بن العلا فيما ذكره في الشفا المامور بالسوال غير النبي صلى الله عليه
وسلم والمسوول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم
والمسوول الله عز وجل فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عليه
الصلوة والسلام عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته
بما اذن له في اعلامهم به انتهى **واما العظيم** فقال الله تعالى في شانه وانك لعلى خلق عظيم
ووقع في اول سفر من التورية عن اسماعيل وسيلد سيدا عظيما فهو صلى الله عليه وسلم
عظيم وعلى خلق عظيم **واما الشاكر والشكور** فقد وصف صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك
فقال افلا اكون عبدا شكورا اي اترك تهجدي فلا اكون عبدا شكورا والمعنى ان المغفرة
سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه وعلى هذا فتكون الفا للسببية وقال القاضي عياض
شكورا اي معترفا بنعم ربي عالما بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك
لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم **واما الشكار** فهو ابلغ من شاكر وفي حديث ابن ماجة
انه صلى الله عليه وسلم كان من دعائه رب اجعلني لك شكارا **واما الكريم والاكرم
واكرم ولد آدم** فسماه الله تعالى به في قوله تعالى انه لقول رسول كريم اي محمد صلى الله عليه
وسلم وليس المراد به جبريل لانه تعالى لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول

شاعر

شاعر ولا كاهن والمشركون لم يكونوا يصفوا جبريل بذلك فتعين ان يكون المراد
بالرسول الكريم هنا محمدا صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ان شاء الله تعالى بيانه في مقصد
آي التنزيل وقال عليه السلام انا اكرم ولد آدم **واما الولي والمولى** فقال عليه السلام انا
ولي كل مومن **واما الامين** فقد كان عليه السلام يعرف به وشهر به قبل النبوة وبعدها
وهو احق العالمين بهذا الاسم فهو امين الله على وحيه ودينه وهو امين من في السما
والارض **واما الصادق والمصدوق** فقد ورد في الحديث تسميته بهما ومعناهما
غير خفي وكذلك الاصدق وروي انه عليه السلام لما كذبه قومه حزن فقال
له جبريل انهم ليعلمون انك صادق **واما الطيب وماذماذ** بميم ثم الف ثم ذال معجمة
منونة ثم ميم ثم الف ثم ذال معجمة كذا رايته لبعض العلما ونقل العلامة الحجازي
في حاشيته على الشفا عن السهيلي ضم الميم واشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودا
وقال نقلته عن رجل اسلم من علما بني اسرائيل وقال معناه طيب طيب ولا ريب انه صلى
الله عليه وسلم اطيب الطيبين وحسبك انه كان يوخذ من عرقه ليتطيب به فهو صلى الله
عليه وسلم طيب الله الذي نفحه في الوجود فتعطرت به الكائنات وسمت واغتذت به
القلوب فطابت وتنسمت به الارواح فنمت **واما الطاهر والمطهر والمقدس** اي المطهر
من الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به
من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال تعالى ويخرجهم من الظلمات
الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية
واما العفو والصفوح فمعناهما واحد وقد وصفه الله تعالى بهما في القرآن والتورية
والانجيل كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عند البخاري ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح وامره تعالى بالعفو فقال تعالى خذ العفو وقال فاعف
عنهم واصفح **واما العطوف** فهو الشفوق وسمي به عليه السلام لكثرة شفقته على امته
ورافته بهم **واما النور** فقال تعالى قد جاءكم من الله نور قيل محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل القرآن فهو نور الله الذي لا يطفى **واما السراج** فسماه الله تعالى به في قوله
وسراجا منيرا لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب المومنين والعارفين بما جاء به
فهو نير في ذاته منير لغيره فهو السراج الكامل في الاضاءة ولم يوصف بالوهاج كالشمس لان
المنير هو الذي ينير من غير احراق بخلاف الوهاج **واما الهادي** فبمعنى الدال والداعي
قال الله تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه
واما البرهان فقال تعالى يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم قيل محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل معجزاته وقيل القرآن **واما النقيب** فروي انه صلى الله عليه وسلم لما مات
نقيب بني النجار ابو امامة اسعد بن زرارة وجد عليه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل عليهم
نقيبا بعده وقال انا نقيبكم فكانت من مفاخرهم والنقيب هو شاهد القوم وناظرهم

وحميتهم وأما الجبار فسمي به في مزامير داود في قوله من مزمور أربعة وأربعين تقلد
أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك لأنه الجبار الذي جبر
الخلق بالسيف على الحق وصرفهم عن الكفر جبرا قال القاضي عياض وقد نفى الله تعالى في
القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما أنت عليهم بجبار وأما الشاهد والشهيد
فسماه الله تعالى بهما في القرآن قوله تعالى إنا أرسلناك شاهدا على من بعثت إليهم بتصديقهم
وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا روي أن الأمم
يوم القيمة يجحدون بتبليغ الأنبيا فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو أعلم بهم إقامة للحجة
على المنكرين فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم
فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى
بمحمد عليه الصلوة والسلام فيسأل عن حال أمته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وإن
كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على أمته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة
على اختصاصهم يكون الرسول شهيدا عليهم قاله البيضاوي وأما الناشر فسمي به لأنه
نشر الإسلام وأظهر شرائع الأحكام وأما المزمل فأصله المتزمل فأدغمت التاء في الزاي
وسمي به لما روي أنه عليه الصلوة والسلام كان يفرق من جبريل ويتزمل بالثياب أول
ما جاءه وقيل أتاه وهو في قطيفة وقال السدي معناه يا أيها النائم قال وكان متلففا
في ثياب نومه وعن ابن عباس يعني المتزمل بالقرآن وعن عكرمة بالنبوة وقيل من
الزمل بمعنى الحمل ومنه الزاملة أي المتحمل بأعباء النبوة وعلى هذا يكون المتزمل مجازا وقال
السهيلي ليس المزمل باسم من أسمائه يعرف به وإنما هو مشتق من حالته التي كان التبس
بها حالة الخطاب والعرب إذا قصدت الملاطفة بالمخاطب بترك المعاتبة نادوه باسم مشتق
من حالته التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وقد نام ولصق
جبينه بالتراب قم يا أبا تراب إشعارا بأنه ملاطف له فقوله يا أيها المزمل فيه تأنيس
وملاطفة وأما ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان متزملا مرطا طوله
أربع عشرة ذراعا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه فكذب صراح لأن نزول يا أيها
المزمل عليه في أول مبعثه ودخوله بعائشة كان بالمدينة وأما المدثر فأصله المتدثر
فأدغمت التاء في الدال روي أنه عليه الصلوة والسلام قال كنت بحرا فنوديت فنظرت
عن يميني وشمالي فلم أر شيئا فنظرت فوقي فإذا هو على عرش بين السماء والأرض يعني
الملك الذي ناداه فرعبت منه فرجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل
وقال يا أيها المدثر وعن عكرمة يا أيها المدثر بالنبوة وأثقالها وقد تدثرت هذا الأمر
فقم به وقيل ناداه بالمزمل والمدثر في أول أمره فلما شرع خاطبه الله تعالى بالنبوة والرسالة
وأما طه فروى النقاش عنه عليه الصلوة والسلام لي في القرآن سبعة أسماء فذكر منها
طه وقيل هو اسم الله وقيل معناه يا رجل وقيل يا إنسان وقيل يا طاهر يا هادي يعني

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم وهو مروي عن الواسطي وقيل معناه يا مطمع الشفاعة للأمة
ويا هادي الخلق إلى الملة وقيل الطاء في الحساب بتسعة والهاء بخمسة وذلك أربعة عشر
فكأنه قال يا بدر وهذه من محاسن التأويل لكن المعتمد أنهما من أسماء الحروف وأما يس
فحكى أبو محمد مكي أنه روي عنه عليه الصلوة والسلام أنه قال لي عند ربي عشرة أسماء ذكر
منها يس وقد قيل معناه إنسان بلغة طي وقيل بالحبشية وقيل بالسريانية وأصله كما
قاله البيضاوي وابن الخطيب وغيرهما يا أنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به وقيل
بين لكن تعقب بأنه لا يعلم أن العرب قالوا في تصغيره أنيسين وأن الذي نقل عنهم
في تصغيره أنيسيان بياء بعدها ألف وبأن التصغير من التحقير الممتنع في حق النبوة
لنصهم على أن التصغير لا يدخل في الأسماء العظيمة شرعا ويأتي مزيد لذلك إن شاء الله تعالى
في الفصل الرابع من النوع الخامس من أنواع المقصد السادس وعن ابن الحنفية معناه
يا محمد وعن أبي العالية يا رجل وعن أبي بكر الوراق يا سيد البشر وعن جعفر الصادق
يا سيد مخاطبة له عليه الصلوة والسلام وفيه من تعظيمه على تفسير يا سيد ما فيه وأما
الفجر فقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لأن منه
تفجر الإيمان وهو تأويل غريب لم أره لغيره والصواب أنه الفجر المفسر بالصبح في قوله
والصبح إذا تنفس وأما القوي فقال تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد
وقيل جبريل عليهما الصلوة والسلام وسيأتي في المقصد السادس ما في ذلك وأما ما قاله
ابن عطا في قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم
حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله فلا يخفى ما فيه وأما النجم
فعن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين في تفسير قوله تعالى والنجم أنه محمد صلى الله عليه وسلم
إذا هوى إذا نزل من السماء ليلة المعراج وحكى السلمي في قوله تعالى والسماء والطارق وما
أدراك ما الطارق النجم الثاقب أن النجم هنا أيضا محمد صلى الله عليه وسلم والصحيح أن
المراد النجم على ظاهره وسمي به عليه الصلوة والسلام لأنه يهتدى به في طرق الهدى كما يهتدى
بالنجم وأما الشمس فسمي بها عليه الصلوة والسلام لكثرة نفعه وعلو رفعته وظهور [illegible]
وجلالة قدره وعظيم منزلته لأنه لا يحاط بكماله حتى لا يسع الرائي أن ينظر إليه ملء عينيه
إجلالا له كما أن الشمس في الرتبة أرفع من غالب الكواكب لأنها في السماء الرابعة والانتفاع
بها أكثر من غيرها كما لا يخفى ولا يدركها البصر لكبر جرمها فلما كان سائر الكواكب تستمد من
نورها ناسب تسميته عليه الصلوة والسلام بها لأن نور الأنبياء مستمد من نوره وأما
النبي والرسول فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه خاطبه تعالى بهما في القرآن دون
سائر الأنبياء ثم إن النبوة بالهمزة مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز تسهيلا أي أن
الله أطلعه على غيبه وأعلمه أنه نبيه فيكون نبيا منبأ أو يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى
به ومنبئا بما أطلعه الله عليه وبغير الهمزة يكون مشتقا من النبوة وهو ما ارتفع من

الارض اى ان له رتبة شريفة ومكانة عند الله منيفة قال الشيخ بدر الدين الزركشى
فى شرح البردة وكان نافع يقرا النبى بالهمزة فى جميع القرآن والاختيار تركه وهو لغة
النبى صلى الله عليه وسلم وقد جاء فى الحديث ان رجلا قال يا نبئ الله يعنى بالهمزة فقال له
لست بنبئ الله ولكنى نبى الله فانكر الهمز لانه لم يكن من لغته عليه الصلوة والسلام
قال الجوهرى والصاغانى انما انكره لان الاعرابى اراد يا من خرج من مكة الى المدينة
يقال نبات من ارض الى ارض اذا اخرجت منها الى اخرى وتكلم جماعة من القراء فى هذا الحديث
وقد رواه الحاكم فى المستدرك عن ابى الاسود عن ابى ذر وقال صحيح على شرط الشيخين وفيما
قاله نظر فان فيه حسين الجعفى كذا قاله بعضهم وليس من شرطهما ورواه ابو عبيد حدثنا
محمد بن سعد عن حمزة الزيات عن حمران بن اعين ان رجلا الحديث وهذا منقطع انتهى
والرسول انسان بعثه الله الى الخلق بشريعة مجددة يدعو الناس اليها واختلف هل
هما بمعنى او بمعنيين فقال بالاول قوم مستدلين بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى فاثبت لهما معا الارسال وعلى هذا فلا يكون النبى الا رسولا ولا الرسول
الا نبيا وقال آخرون بالثانى وانهما يجتمعان فى النبوة التى هى الاطلاع على الغيب والاعلام
بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا فى زيادة الارسال وحجتهم
من الآية نفسها التفريق بين الاسمين اذ لو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما فى الكلام
البليغ ويكون المعنى فما ارسلنا من نبى الى امة او نبى ليس بمرسل الى احد وذهب
آخرون الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به نبى غير رسول وان امر بالابلاغ
والانذار والصحيح ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا **نعم** نوزع فى هذا بانه
كلام يطلقه من لا تحقيق عنده فان جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة المكرمين بالرسالة
رسل لا انبيا فالانفصال عنه بان يقيد الفرق بين الرسول والنبى بالرسول البشرى
ثم ان النبوة والرسالة ليستا ذاتا للنبى صلى الله عليه وسلم ولا وصف ذات بل تخصيص الله
اياه بذلك خلافا للكرامية وقال القرافى كما نقله عنه ابن مرزوق يعتقد كثير
ان النبوة مجرد الوحى وهو باطل لحصوله لمن ليس بنبى كمريم وليست بنبية على الصحيح
مع انه تعالى يقول فارسلنا اليها روحنا الآية وان الله يبشرك وفى مسلم بعث الله
تعالى ملكا لرجل على مدرجته كان خرج فى زيارة اخ له فى الله تعالى وقال له ان الله يعلمك
انه يحبك كحبك لاخيك فى الله وليس بنبوة لانها عند المحققين ايحاء الله لبعض خلقه
انسان بحكم انشائى يختص به كقوله اقرا باسم ربك فهذا تكليف يختص به فى الوقت فهذه نبوة
لا رسالة فلما نزل قم فانذر كانت رسالة لتعلق هذا التكليف بغيره ايضا فالنبى
كلف بما يخصه والرسول بذلك وبتبليغ غيره فالرسول اخص مطلقا انتهى وهل نبينا
صلى الله عليه وسلم رسول الآن قال ابو الحسن الاشعرى هو صلى الله عليه وسلم
فى حكم الرسالة وحكم الشئ يقوم مقام اصل الشئ الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام

النكاح ويأتى لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى واما المذكر فقال تعالى فذكر انما انت
مذكر واما البشير والمبشر والنذير والمنذر فقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا اى مبشرا لاهل طاعته بالثواب وقيل بالمغفرة ونذيرا لاهل معصيته بالعذاب
وقيل محذرا من الضلالات واما المبلغ فقال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك واما الحنيف فقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا واما نبى التوبة فلان
الامم رجعت بهدايته عليه الصلوة والسلام بعدما تفرقت بها الطرق الى الصراط
المستقيم واما رسول الرحمة ونبى الرحمة ونبى المرحمة فقال الله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم فبعثه الله تعالى رحمة لامته
ورحمة للعالمين وروى انه قال انما انا رحمة مهداة فرحم الله تعالى به الخلق مؤمنهم
وكافرهم وهذا الاسم من اخص اسمائه وقد كان حظ آدم من رحمته سجود الملائكة له
تعظيما له اذ كان فى صلبه ونوح خروجه من السفينة سالما وابرهيم كانت النار عليه بردا
وسلاما اذ كان فى صلبه فرحمته عليه الصلوة والسلام فى البدء والختام والدوام لما ابقى
الله له من دعوة الشفاعة ولما كانت نبوته رحمة قائمة مكررة مضاعفة اشتق له من
الرحمة اسم للرحمة واما نبى الملحمة والملاحم وهى الحروب فاشارة الى ما بعث به من القتال
والسيف ولم يجاهد نبى قط وامته ما جاهد صلى الله عليه وسلم وامته والملاحم التى وقعت
وتقع بين امته والكفار لم يعهد مثلها قبله فان امته يقاتلون الكفار فى اقطار الارض
على تعاقب الاعصار حتى يقاتلون الاعور الدجال واما صاحب القضيب فهو السيف
كما وقع مفسرا فى الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على
انه القضيب الممشوق الذى كان يمسكه واما صاحب الهراوة فهى فى اللغة العصى وقد
كان عليه الصلوة والسلام يمسك فى يده القضيب كثيرا وكان يمشى بين يديه بالعصى
وتغرز له فى الارض فيصلى اليها قال القاضى واراها العصى المذكورة فى حديث الحوض
اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن اى لاجلهم ليتقدموا فلما كان صلى الله عليه وسلم
راعيا للخلق سائقا لجميعهم الى موارد هم كان صاحب الهراوة يرعى بها اهل الطواعية
وصاحب السيف يقتل به من لا يريد الحيوة الا شرا واما الضحاك بالمعجمة فهو الذى يسيل
دما العدو فى الحرب لشجاعته واما صاحب التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا
للعرب والعمائم تيجانها واما صاحب المغفر فهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفا
زرد ينسج من الدروع على قدر الراس كان صلى الله عليه وسلم يلبسه فى حروبه واما قدم
صدق فقال قتادة والحسن وزيد بن اسلم فى قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم
صدق عند ربهم هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن ابى سعيد الخدرى هى
شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم وعن سهل بن عبد الله
هى سابقة رحمة اودعها الله فى محمد صلى الله عليه وسلم واما نعمة الله فقال سهل

فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته محمد صلى الله عليه وسلم وقال
يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعنى يعرفون ان محمدا نبى ثم يكذبونه وهذا مروى عن
مجاهد والسدى وقال ابن الزجاج **واما الصراط المستقيم** فقال ابو العالية والحسن
البصرى فى تفسير سورة الفاتحة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته
واصحابه وحكى الماوردى ذلك فى تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد
واما العروة الوثقى فحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن بعضهم فى تفسير قوله تعالى فقد
استمسك بالعروة الوثقى الآية انه محمد صلى الله عليه وسلم **واما ركن المتواضعين** فلا
عمادهم وقد ظهر عليه صلى الله عليه وسلم من التواضع ما لم يظهر على غيره فكان يرقع القميص
ويخصف النعل ويخدم البيت ووقع فيما نرجوه من كتاب شعيا مما يدل صريحا فى البشارة
برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يميل الى الهوى ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة
الضعيفة بل يقوى الصديقين وهو ركن المتواضعين وهو ركن الله الذى لا يطفى **واما**
قثم وقثوم بالقاف وبالمثلثة فسره القاضى عياض بالجامع للخير وقال ابن الجوزى مشتق
من القثم وهو الاعطا يقال قثم له من العطا يقثم اذا اعطاه وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعظم الخلق ندا واسخاهم يدا **واما البارقليط والفارقليط** بالموحدة
وبالفاء بدلها وفتح الرا والقاف وبسكون الرا وفتح القاف وبفتح الرا مع سكون القاف وكسر
الرا وبسكون القاف غير منصرف للعجمة والعلمية فوقع فى انجيل يوحنا ومعناه روح القدس
وقال ثعلب الذى يفرق بين الحق والباطل وفى نهاية ابن الاثير فى صفته عليه الصلوة
والسلام ان اسمه فى الكتب السالفة محمد واحمد وحمياطا يعنى بالحا المهملة ثم ميم ساكنة
فمثناة تحتية فالف فطا مهملة فالف قال ابو عمرو وسالت بعض من اسلم من اليهود عنه
فقال معناه يحمى الحرم من الحرام ويعطى الحلال **واما احيد** وهو بهمزة مضمومة ثم حا مهملة
مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم دال مهملة كذا وجدته فى بعض نسخ الشفا المعتمدة
والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وسكون المثناة فقال النووى فى كتابه تهذيب الاسما واللغا
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمى فى القرآن محمد
وفى الانجيل احمد وفى التورية احيد وانما سميت احيد لانى احيد عن امتى نار جهنم **واما**
المنحمنا وهو بضم الميم وسكون النون وفتح المهملة وكسر الميم وتشديد النون الثانية المفتوحة
مقصور وضبطه بعضهم بفتح الميمين فمعناه بالسريانية محمد **واما المشفح** وهو بضم
الميم وبالشين المعجمة وبالفا المشددة المفتوحتين ثم حا مهملة وروى بالقاف بدل الفا
ففى كتاب شعيا فى البشارة به عليه الصلوة والسلام يفتح العيون العور والآذان الصم
ويحيى القلوب الغلف وما اعطيه لا اعطى احدا مشفح يحمد الله حمدا جديدا وهو بالسريانية
الحمد **واما مقيم السنة** ففى كتاب الشفا قال داود عليه الصلوة والسلام اللهم ابعث لنا
محمدا يقيم السنة بعد الفترة **واما المبارك** فمبدا الكون ونماؤه كالسر من بركته المستمد

من

من بركة الله ومن كمال بركته نبع الما من بين اصابعه وتكثير الطعام القليل ببركته
حتى اشبع الجيش الكثير وغير ذلك مما لمسه او باشره كما سياتى ذلك ان شا الله تعالى
فى مقصد معجزاته **واما المكين** فهو صلى الله عليه وسلم المكين لعلو مكانته عند ربه ومن ذلك
ان قرن سبحانه ذكره بذكره فما اذن باسم احد سواه ولا قرن اسم احد مع اسمه الا ايا
فاعلن له فى السابقة على ساق العرش واذن به فى اللاحقة على منار الايمان **واما الامى**
فهو من اخص اسمائه وقال تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه
نورا نهدى به من نشا من عبادنا فهو تعالى يقرئه ما كتبه بيده وما خطته اقلامه العلية
فى اللوح قدسه فيغنيه بذلك عن ان يقرا ما تكتبه الخلق **واما المكى** فقد كان بداية الا قدسيته صح
ظهوره عليه الصلوة والسلام فى الارض فى مكة التى هى حرم الله وهى مهد البركة ومنشا
الهدى فهو عليه الصلوة والسلام مكى الاقامة ومبدا النبوة ومكى الاعادة وكان من
آية ذلك توجيهه لها حيث ما توجه فهو عليه الصلوة والسلام المكى الذى لا يبرح وجودا
وقصدا والمرء حيث قصده لا حيث جسمه حتى كان من شرعه ان يوجه الميت للكعبة
ومن لوحى لشئ فهو لما اوحى ولذلك صحت الصلوة ايما **واما المدنى** فلان المدينة دار
هجرته واقامته لا رحلة له عنها وخصت تربتها بان ضمت اعضا النبى صلى الله عليه وسلم
المقدسة **واما عبد الكريم** فذكر الحسين بن محمد الدامغانى فى كتابه شوق العروس وانس
النفوس نقلا عن كعب الاحبار انه قال اسم النبى صلى الله عليه وسلم عند اهل الجنة عبد الكريم
وعند اهل النار عبد الجبار وعند اهل العرش عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد
وعند الانبيا عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القهار وعند الجن عبد الرحيم وفى
الجبال عبد الخالق وفى البر عبد القادر وفى البحر عبد المهيمن وعند الحيتان عبد القدوس
وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وعند السباع عبد السلام
وعند البهائم عبد المومن وعند الطيور عبد الغفار وفى التورية موذموذ وفى الانجيل
طاب طاب وفى الصحف عاقب وفى الزبور فاروق وعند الله طه ويس وعند المومنين
محمد صلى الله عليه وسلم **قال وكنيته ابو القاسم** لانه يقسم الجنة بين اهلها **واما**
عبد الله فسماه الله تعالى به فى اشرف مقاماته فقال وان كنتم فى ريب مما نزلنا على
عبدنا فاتوا بسورة من مثله وقال تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا وقال الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية فى مقام انزال الكتاب
عليه والتحدى بان ياتوا بمثله وقال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه فذكره فى مقام
الدعوة اليه وقال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا وقال فاوحى الى عبده ولو كان
له اسم اشرف منه لسماه به فى تلك الحالات العلية ولما رفعه الله تعالى الى الحضرة السنية
ورقاه الى اعلا المعالى العلوية الزمه تشريفا له اسم العبودية وقد كان صلى الله عليه
وسلم يجلس للاكل جلوس العبد وكان يتخلى عن وجوه الترفعات كلها فى ملبسه وماكله

ومبينه ومسكنه اظهارًا لظاهر العبودية فيما بينا لنا العيان صدقا عمّا في باطنه من تحقق
العبودية لربه تحقيقا لمعنى الذي جا بالصدق وصدّق به ولما خيّر بين ان يكون نبيًّا
ملكا او نبيا عبدا اختار ان يكون نبيا عبدا فاختار ما هو الاتم وكان صلى الله عليه
وسلم يقول كما في الصحيح لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ولكن قولوا عبد الله ورسوله
فاستثبت ما هو ثابت له واسلم لله ما هو له لا لسواه وليس للعبد الا اسم العبد ولذا
كان عبد الله احب الاسما الى الله ٭

الفصل الثاني

في ذكر اولاده الكرام عليه وعليهم الصلوة والسلام ٭

اعلم ان جملة ما اتفق عليه منهم ستة ٭ القاسم ٭ وابرهيم ٭ واربع بنات ٭ زينب ٭ ورقية
وام كلثوم ٭ وفاطمة ٭ وكلهن ادركن الاسلام وهاجرن معه ٭ واختلف فيما سوى هؤلاء
فعند ابن اسحاق ٭ الطاهر ٭ والطيب ايضا فيكون على هذا ثمانية اربعة ذكور واربعة اناث
وقال الزبير بن بكار كان له عليه الصلوة والسلام سوى ابرهيم القاسم وعبد الله
مات صغيرا بمكة ويقال له الطيب والطاهر ثلاثة اسما وهو قول اكثر اهل النسب قاله
ابو عمر وقال الدارقطني هو الاثبت وسمي عبد الله بالطيب الطاهر لانه ولد بعد
النبوة فعلى هذا يكون جملتهم سبعة ثلاثة ذكور وقيل عبد الله غير الطيب والطاهر
حكاه الدارقطني وغيره فيكون جملتهم على هذا تسعة خمسة ذكور وقيل كان له الطيب
والمطيب ولدا في بطن والطاهر والمطهر ولدا في بطن ذكره صاحب الصفوة فيكونون على
هذا احد عشر وقيل ولد له صلى الله عليه وسلم ولد قبل المبعث يقال له عبد مناف
فيكونون على هذا اثنى عشر وكلهم سوى هذا ولد في الاسلام بعد المبعث وقال
ابن اسحاق كلهم غير ابرهيم قبل الاسلام ومات البنون قبل الاسلام وهم يرتضعون
وقد تقدم من قول غيره ان عبد الله ولد بعد النبوة ولذلك سمي بالطيب والطاهر
فتحصل من جميع الاقوال ثمانية ذكور اثنان متفق عليهما القاسم وابرهيم وستة
مختلف فيهم عبد مناف وعبد الله والطيب والمطيب والطاهر والمطهر والاصح
انهم ثلاثة ذكور واربع بنات متفق عليهن وكلهن من خديجة بنت خويلد الا ابرهيم
فاما القاسم فهو اول ولد ولد له عليه الصلوة والسلام قبل المبعث وبه كان
يكنى وعاش حتى مشى وقيل عاش سنتين وقال مجاهد مكث سبع ليال وخطاه العلما
في ذلك وقال الصواب انه عاش سبعة عشر شهرا وقال ابن فارس بلغ ركوب الدابة
ومات قبل المبعث ٭ وفي مستدرك الفريابي ما يدل على انه توفي في الاسلام وهو اول
من مات من ولده عليه الصلوة والسلام **واما زينب** فهي اكبر بناته بلا خلاف الا ما
لا يصح وانما الخلاف فيها وفي القاسم ايهما ولد اولا ٭ وعن ابن اسحاق انها ولدت في

سنة

سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم وادركت الاسلام وهاجرت وماتت سنة
ثمان من الهجرة عند زوجها وابن خالتها ابي العاصي لقيط وقيل مهشم بن الربيع ابن عبد العزى
ابن عبد شمس وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه وردها صلى الله عليه وسلم له
بالنكاح الاول بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل بعد انقضاء العدة فيما
ذكره ابن عقبة وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ردها له بنكاح جديد
سنة سبع وولدت له عليا مات صغيرا قد ناهز الحلم وكان رديف رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ناقته يوم الفتح وولدت له ايضا امامة التي حملها صلى الله عليه
وسلم في صلوة الصبح على عاتقه وكان اذا ركع وضعها واذا رفع راسه من السجود اعادها
وتزوجها علي بن ابي طالب بعد موت فاطمة **واما رقية** فولدت سنة ثلاث
وثلاثين من مولده عليه الصلوة والسلام وذكر الزبير بن بكار وغيره انها اكبر بناته
صلى الله عليه وسلم وصححه الجرجاني في النسابة والاصح الذي عليه الاكثرون كما تقدم ان
زينب اكبرهن وكانت رقية تحت عتبة بن ابي لهب واختها ام كلثوم تحت اخيه عتيبة فلما
نزلت تبت يدا ابي لهب قال لهما ابوهما ابو لهب راسي من راسكما حرام ان لم تفارقا ابنتي
محمد ففارقاهما ولم يكن دخلا بهما فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة وهاجر بها الهجرتين
الى ارض الحبشة وكانت ذات جمال رائع وذكر الدولابي ان تزويجه بها كان في
الجاهلية وذكر غيره ما يدل على انه كان بعد اسلامه وتوفيت والنبي صلى الله عليه وسلم
ببدر وعن ابن عباس لما عزي رسول الله صلى الله عليه وسلم برقية قال الحمد لله دفن
البنات من المكرمات خرجه الدولابي **واما ام كلثوم** ولا يعرف لها اسم انما تعرف
بكنيتها وكانت عند عتيبة ابن ابي لهب كما قدمته ففارقها قبل الدخول ٭ ويروى ان
عتيبة لما فارق ام كلثوم جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كفرت بدينك وفارقت
ابنتك لا تحبني ولا احبك ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجرا
فقال صلى الله عليه وسلم اما اني اسال الله ان يسلط عليك كلبه وفي رواية اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك وابو طالب حاضر فوجم لها وقال ما كان اغناك عن دعوة
ابن اخي فخرج في تجر من قريش حتى نزلوا مكانا من الشام يقال له الزرقا ليلا فاطاف
بهم الاسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول يا ويل امي هو والله آكلي كما دعى على محمد
اقاتلي ابن ابي كبشة وهو بمكة وانا بالشام فعدا عليه الاسد من بين القوم فاخذ
براسه ففدغه وفي رواية فجا الاسد فجعل الاسد يتشمم وجوههم ثم ثنى ذنبه
فوثب فضربه ضربة واحدة فخدشه فقال قتلني ومات وفي رواية ان الاسد
اقبل يتخطاهم حتى اخذ براس عتيبة فقدغه ذكره الدولابي ولما توفيت رقية
خطب عثمان ابنة عمر حفصة فرده فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمر
ادلك على خير لك من عثمان وادل عثمان على خير له منك قال نعم يا نبي الله قال

تزوجني ابنتك وازوج عثمان ابنتي اخرجه الخجندي وكان تزوج عثمان بام كلثوم سنة
ثلاث من الهجرة وروي انه عليه الصلوة والسلام قال له والذي نفسي بيده لو ان عندي مائة
بنت يمتن واحدة بعد واحدة زوجتك اخرى بعد اخرى هذا جبريل اخبرني ان الله يأمرني
ان ازوجكها رواه الفضائلي وماتت ام كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها عليه الصلوة
والسلام ونزل في حفرتها علي والفضل واسامة بن زيد وفي البخاري جلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم على القبر وعيناه تذرفان وقال هل فيكم من احد لم يقارف الليلة فقال
ابو طلحة انا فقال انزل في قبرها فنزل وقد روي نحو ذلك في رقية وهو وهم فانه عليه الصلوة
والسلام لم يكن حاضرا دفنها بل كان في غزوة بدر كما قدمته وغسلتها اسماء بنت عميس وصفية
بنت عبد المطلب وشهدت ام عطية غسلها وروت قوله عليه الصلوة والسلام اغسلنها ثلاثا
او خمسا او سبعا او اكثر من ذلك ان رايتن بماء وسدر واجعلن في الاخيرة كافورا فاذا
فرغتن فآذنني فلما فرغنا آذناه فالقى الينا حقوه وقال اشعرنها اياه قالت ومشطناها
ثلاثة قرون والقيناها خلفها والحقو الازار واشعرنها اي اجعلنه شعارها الذي
يلي جسدها وذلك هو الشعار وما فوقه الدثار **واما فاطمة** الزهراء البتول
فولدت سنة احدى واربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو عمر وهو مغاير
لما رواه ابن اسحاق ان اولاده عليه الصلوة والسلام كلهم ولدوا قبل النبوة الا ابراهيم
وقال ابن الجوزي ولدت قبل النبوة بخمس سنين ايام بناء البيت وروي مرفوعا انما
سميت فاطمة لان الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيمة اخرجه الحافظ الدمشقي
وروى الغساني مرفوعا لان الله فطمها ومحبيها عن النار وسميت بتولا لانقطاعها
عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسنا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا الى الله قاله
ابن الاثير وتزوجت بعلي بن ابي طالب رضي الله عنه في السنة الثانية وقيل بعد احد
وقيل بعد بنائه عليه الصلوة والسلام بعائشة رضي الله عنها باربعة اشهر ونصف وبنى
بها ثم تزوجها بتسعة اشهر ونصف وقيل في صفر في السنة الثانية وبنى بها في ذي الحجة
على رأس اثنين وعشرين شهرا وكان تزويجها بامر الله ووحيه وتزوجت ولها خمس عشرة
سنة وخمسة اشهر ونصف ولعلي احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر وقيل غير ذلك وتقدم
مزيد لذلك في المغازي والسير من المقصد الاول قال ابو عمر وفاطمة وام كلثوم افضل
بنات النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فاطمة احب اهله اليه صلى الله عليه وسلم وكان يقبلها
في فيها ويمصها لسانه واذا اراد سفرا يكون آخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها
وقال عليه السلام فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني رواه البخاري وقال لها اما
ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين رواه مسلم وفي رواية احمد افضل نساء اهل الجنة
وتوفيت بعده عليه السلام بستة اشهر ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى
عشرة وهي ابنة تسع وعشرين سنة قاله المدايني وقيل توفيت بعده بثمانية اشهر وقيل

غير ذلك

غير ذلك والاول اصح كذا قالوه فيما رايته وهو غير منتظم مع السابق فليتامل وروينا انها
قالت لاسماء بنت عميس اني قد استقبحت ما يصنع بالنساء انه يطرح على المرأة الثوب فيصفها
فقالت اسماء يا بنت رسول الله الا اريك شيئا رايته بارض الحبشة فدعت بجرائد رطبة فحنتها
ثم طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمة رضي الله عنها ما احسن هذا تعرف به المرأة من الرجل فاذا
انا مت فاغسليني انت وعلي ولا يدخل علي احد الحديث خرجه ابو عمر وفي حديث ام سلمى انها
لما اشتكت اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت في وسط البيت ووضعت يدها اليمنى
تحت خدها ثم استقبلت القبلة وقالت اني مقبوضة الآن فلا يكشفني احد ولا يغسلني ثم
قبضت مكانها اي دخل علي فاخبر بالذي قالت فاحتملها فدفنها بغسلها ذلك ولم يكشفها ولا
غسلها احد رواه احمد في المناقب والدولابي وهذا لفظه مختصرا وهو مضاد لخبر اسماء المتقدم
قال ابو عمر فاطمة اول من غطي نعشها من النساء على الصفة المذكورة في خبر اسماء المتقدمة
ثم من بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك ايضا وولدت لعلي رضي الله عنه حسنا وحسينا
ومحسنا فمات محسن صغيرا وام كلثوم وزينب ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الا
من ابنته فاطمة رضي الله عنها فانتشر نسله الشريف منها من جهة السبطين الحسن والحسين
فيقال للمنسوب لاولهما حسني ولثانيهما حسيني وقد يضم الحسيني من يكون من ذرية اسحاق
ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الاسحاقي
فيقال الحسيني الاسحاقي واسحاق هذا هو زوج السيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن
ابن علي وله منها القاسم وام كلثوم ولم يعقبا وتزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ام كلثوم بنت
فاطمة فولدت له زيدا ورقية ولم يعقبا ثم تزوجت ام كلثوم بعد موت عمر بعون بن جعفر ثم تزوجت
بعد وفاته باخيه محمد بن جعفر فمات عنها فتزوجت باخيهما عبد الله بن جعفر ثم ماتت
عنده ولم تلد لواحد من الثلاثة سوى للثاني ابنة توفيت صغيرة وليس لها عقب ثم
تزوج عبد الله بن جعفر باختها زينب بنت فاطمة فولدت له عدة من الاولاد ومنهم علي وام
كلثوم وتزوج ام كلثوم هذه ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر بن ابي طالب فولدت له عدة
من الاولاد منهم فاطمة زوج حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام ولم منها عقب وبالجملة
فعقب عبد الله بن جعفر انتشر من علي واخته ام كلثوم ابني زينب بنت الزهراء ويقال
لكل من ينتسب الى هؤلاء جعفري ولا ريب ان هؤلاء اشراف واما الجعافرة المنسوبون
لعبد الله بن جعفر فلهم ايضا شرف لكنه يتفاوت فمن كان من ولده من زينب بنت الزهراء
فهو اشرف من غيرهم مع كونهم لا يوازون شرف المنسوبين للحسن والحسين لمزيد شرفهما
وكذا يوصف العباسيون بالشرف لشرف بني هاشم قال الحافظ ابن حجر في الالقاب
وقد لقب به يعني الشريف كل عباسي ببغداد وعلوي بمصر وفي شيوخ ابن الرفعة شخص يقال
له الشريف العباسي **واما عبد الله** بن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل مات صغيرا
بمكة فقال العاصي بن وائل قد انقطع ولده فهو ابتر فانزل الله سبحانه وتعالى ان شانئك

هو الابتر. واختلف هل ولد قبل النبوة او بعدها وهل هو الطيب والطاهر والصحيح انهما
لقبان له كما تقدم **وأما ابراهيم** فمن مارية القبطية وسياتي ذكرها في سراريه عليه الصلوة
والسلام ان شاء الله تعالى في الفصل التالي لهذا ان شاء الله في امهات المؤمنين. وولد في ذي
الحجة سنة ثمان من الهجرة. وقيل ولد بالعالية ذكره الزبير بن بكار. وكانت سلمى زوج ابي رافع
مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلته فبشر ابو رافع به النبي صلى الله عليه وسلم فوهب
له عبدا وعق عنه يوم سابعه بكبشين وحلق راسه ابو هند وسماه النبي صلى الله عليه وسلم
يومئذ وتصدق بزنة شعره ورقا على المساكين ودفنوا شعره في الارض وفي البخاري
من حديث انس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال ولد لي الليلة غلام فسميته باسم ابي
ابرهيم ثم دفعه الى ام سيف امراة قين بالمدينة يقال له ابو سيف الحديث وفيه انه بقي عنده
الى ان مات. والقين الحداد. ويجمع بينهما بان التسمية كانت قبل السابع كما في حديث انس
هذا ثم ظهرت فيه. واما حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عند الترمذي مرفوعا انه
امر بتسمية المولود يوم سابعه فيحمل على انها لا تتاخر عن السابع لا انها لا تكون الا فيه بل هي
مشروعة من الولادة الى السابع قال الزبير بن بكار وتنافست الانصار في من يرضع
ابرهيم عليه الصلوة والسلام فانهم احبوا ان يفرغوا مارية له صلى الله عليه وسلم فاعطاه
لام بردة بنت المنذر بن زيد الانصاري زوجة البراء بن اوس فكانت ترضعه بلبن ابنها في بني
مازن بن النجار وترجع به الى امه واعطى صلى الله عليه وسلم ام بردة قطعة نخل وقد تقدم انه
اعطاه ام سيف وبقي عندها الى ان مات فيحتمل ان يكون اعطاه اولا ام بردة ثم اعطاه ام
سيف وبقي عندها الى ان توفي لكن قد روي انه توفي عند ام بردة فيرجع في الترجيح الى الجمع بين
وعن انس بن مالك ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابرهيم مسترضعا
في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وكان ظئره قينا فياخذه فيقبله ثم يرجع
الحديث رواه ابو حاتم وفي حديث جابر اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن
ابن عوف فاتى به النخل فاذا ابنه ابرهيم يجود بنفسه فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوضعه في حجره ثم ذرفت عيناه ثم قال انا بك يا ابرهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب
ولا نقول ما يسخط الرب خرجه بهذا السياق ابو عمرو بن السماك ومعناه في الصحيح وتوفي
وله سبعون يوما فيما ذكره ابو داود في ربيع الاول يوم الثلاثاء لعشر خلون منه. وقيل بلغ
ستة عشر شهرا وثمانية ايام. وقيل سنة وعشرة اشهر وستة ايام. وحمل على سرير صغير وصلى عليه
النبي صلى الله عليه وسلم بالبقيع وقال ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون وروي عن
عائشة قالت دفنه عليه الصلوة والسلام ولم يصل عليه فيحتمل ان يكون لم يصل عليه بنفسه
وامر اصحابه ان يصلوا عليه ولم يصل عليه في جماعة. وروي ان الذي غسله ابو بردة. وروي
ان الفضل بن عباس ولعلهما اجتمعا عليه. ونزل في قبره الفضل واسامة والنبي صلى الله عليه وسلم
على شفير القبر ورش قبره وعلم بعلامة. قال الزبير وهو اول قبر رش وانكسفت الشمس يوم موته

فقال

فقال الناس انما كسفت الشمس لموت ابرهيم فقال عليه الصلوة والسلام ان الشمس والقمر آيتان
من آيات الله لا ينكسفان لموت احد رواه الشيخان. قيل والغالب ان الكسوف يكون يوم
الثامن والعشرين او التاسع والعشرين فكسفت يوم موت ابرهيم في العاشر فلذلك قالوا كسفت
لموته. وقال عليه الصلوة والسلام ان له مرضعا في الجنة رواه ابن ماجه. وقد روي من حديث
انس بن مالك انه قال لو بقي يعني ابرهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم لكان نبيا ولكن لم يبق
لان نبيكم آخر الانبياء اخرجه ابو عمر قال الطبري وهذا انما يقوله انس عن توقيف
يخص ابرهيم والا فلا يلزم ان يكون ابن النبي نبيا بدليل ابن نوح عليه الصلوة والسلام وقال
النووي في تهذيب الاسما واللغات واما ما روي عن بعض المتقدمين لو عاش ابرهيم لكان
نبيا فباطل وجسارة على الكلام على المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم انتهى قال شيخنا
في كتاب المقاصد الحسنة ونحوه قول ابن عبد البر في تمهيده لا ادري ما هذا فقد ولد نوح
غير نبي ولو لم يلد النبي الا نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد نوح انتهى قال الحافظ
ابن حجر ولا يلزم من الحديث المذكور ما ذكره الطبري لما لا يخفى وكانه سلف النووي وقال
ايضا عقب كلام النووي انه عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة قال وكانه لم يظهر
له وجه تاويله فقال في انكاره ما قال. وجوابه ان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع
ولا يظن بالصحابي الهجوم على مثل هذا بالظن قال شيخنا والطرق الثلاثة احدها
ما اخرجه ابن ماجه وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما لما مات ابرهيم ابن النبي صلى الله
عليه وسلم صلى عليه وقال ان له مرضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا ولو عاش لاعتقت
اخواله من القبط وما استرق قبطي وفي سنده ابو شيبة ابرهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف
ومن طريقه اخرجه ابن منده في المعرفة وقال انه غريب. ثانيها ما رواه ابرهيم السدي عن
انس قال لكان ابرهيم قد ملا المهد ولو بقي لكان نبيا الحديث. ثالثها ما عند البخاري من
طريق محمد بن بشر عن اسماعيل بن ابي خالد قال قلت لعبد الله بن ابي اوفى رايت ابرهيم ابن النبي
صلى الله عليه وسلم قال مات صغيرا ولو قضي ان يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي عاش ابنه ابرهيم
ولكن لا نبي بعده اخرجه احمد عن وكيع عن اسماعيل سمعت ابن ابي اوفى يقول لو كان بعد النبي
صلى الله عليه وسلم نبي ما مات ابنه انتهى.

الفصل الثالث

في ذكر ازواجه الطاهرات وسراريه المطهرات

قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم اي ازواجه عليه الصلوة والسلام
امهات المؤمنين سواء من مات عنها او ماتت عنه وهي تحته وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب
احترامهن لا في نظر وخلوة ولا يقال بناتهن اخوات المؤمنين ولا اباؤهن وامهاتهن اجداد
وجدات ولا اخوتهن واخواتهن اخوال وخالات قال البغوي يقال امهات المؤمنين و

النسآء وحكي ذلك عن عائشة رضي الله عنها وهو جار على الصحيح عند اصحابنا وغيرهم من اهل
الاصول ان النسآء لا يدخلن في خطاب الرجال قال وكان صلى الله عليه وسلم ابا للرجال
والنسآء ويجوز ان يقال ابو المومنين في الحرمة • وفضلت زوجاته صلى الله عليه وسلم على النسآء
وثوابهن وعقابهن مضاعفان ولا يحل سؤالهن الا من ورآء حجاب • وافضلهن خديجة وعائشة
رضي الله عنهما وفي افضلهما خلاف يأتي تحقيقه ان شآء الله تعالى قريبا **واختلف** في
عدة زوجاته صلى الله عليه وسلم وترتيبهن وعدة من ماتت منهن قبله ومن ماتت عنهن ومن
دخل بها ومن لم يدخل بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه • والمتفق عليه
انهن احدى عشرة امراة • ست من قريش خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب
ابن مرة بن كعب بن لوي • وعائشة بنت ابي بكر بن ابي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد
ابن تيم بن مرة بن كعب بن لوي • وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله
ابن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لوي • وام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب بن امية
ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي • وام سلمة بنت ابي امية
ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لوي • وسودة بنت زمعة
ابن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لوي • واربع عربيات
زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة
وميمونة بنت الحارث الهلالية • وزينب بنت خزيمة الهلالية ام المساكين • وجويرية بنت
الحارث الخزاعية المصطلقية • وواحدة غير عربية من بني اسرائيل وهي صفية بنت حيي من بني
النضير • ومات عنده صلى الله عليه وسلم منهن اثنتان • خديجة وزينب ام المساكين
ومات صلى الله عليه وسلم عن تسع ذكر اسمآءهن الحافظ ابو الحسن بن المفضل المقدسي نظما

فقال

توفي رسول الله عن تسع نسوة ... اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست ذكرهن مهذب

ولا خلاف في ان اول امراة تزوج بها منهن خديجة بنت خويلد وانه صلى الله عليه وسلم
لم يتزوج عليها حتى ماتت **وهذا** حين الشروع في ذكرهن على الترتيب **فاما** ام المومنين
خديجة وامها فاطمة بنت زائدة بن الاصم فكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة وكانت
تحت ابي هالة النباش بن زرارة فولدت له هندا وهالة وهما ذكران ثم تزوجها
عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له جارية اسمها هند وبعضهم يقدم عتيقا على ابي هالة
ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر اربعون سنة وبعض اخرى
وكان سنه عليه الصلوة والسلام احدى وعشرين سنة وقيل خمسا وعشرين سنة وقيل كثر
وقيل ثلاثين وكانت قد عرضت نفسها عليه فذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى
على خويلد بن اسد فخطبها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم واصدقها عشرين بكرة • وزاد

ابن اسحاق من طريق اخر وحضر ابو طالب ورؤسآء مضر فخطب ابو طالب وقد تقدمت
خطبته في المقصد الاول عند ذكر تزويجها له صلى الله عليه وسلم • وذكر الدولابي وغيره
ان النبي صلى الله عليه وسلم اصدق خديجة اثنتي عشرة اوقية ذهبا • وكانت خديجة
كما قدمته اول من آمن من الناس **وفي** الصحيحين من حديث ابي هريرة ان جبريل قال
للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجة قد اتتك باناء فيه طعام او ادام او شراب
فاذا هي اتتك فاقرا عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه
ولا نصب والقصب اللؤلؤ المجوف • قال ابن اسحاق كان صلى الله عليه وسلم لا يسمع
شيئا من رد عليه وتكذيب له عليه السلام فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه ذلك بخديجة
اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه امر الناس حتى ماتت **وعن**
عبد الرحمن بن زيد قال قال آدم عليه السلام اني لسيد البشر يوم القيمة الا رجلا من
ذريتي نبيا من الانبيآء يقال له احمد فضل علي باثنتين زوجته عاونته فكانت له
عونا وكانت زوجتي عونا علي واعانه الله على شيطانه فاسلم وكفر شيطاني خرجه
الدولابي كما ذكره الطبري **وخرج** الامام احمد عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال
افضل نسآء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد ومريم ابنة عمران وآسية امراة
فرعون **قال** الشيخ ولي الدين العراقي خديجة افضل امهات المومنين على الصحيح المختار
وقيل عائشة انتهى **وقال** شيخ الاسلام ابو يحيى زكريا الانصاري في شرح بهجة الحاوي
عند ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم وافضلهن خديجة وعائشة وفي افضلهما خلاف صحح ابن العماد
تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا
منها فقال لا والله ما رزقني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين
حرمني الناس **وسئل** ابن داود ايهما افضل فقال عائشة اقراها النبي صلى الله عليه
وسلم السلام من جبريل وخديجة اقراها جبريل من ربها السلام على لسان محمد فهي افضل
قيل له فمن افضل خديجة ام فاطمة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة هي
بضعة مني فلا اعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا ويشهد له قوله صلى الله
عليه وسلم اما ترضين ان تكوني سيدة نسآء اهل الجنة الا مريم **واحتج** من فضل عائشة بما
احتجت به من انها في الآخرة مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدرجة وفاطمة مع علي فيها
وسئل السبكي عن ذلك فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد افضل
ثم امها خديجة ثم عائشة ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه • واما خبر الطبراني خير نسآء العالمين
مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد ثم آسية امراة فرعون فاجاب
عنه ابن العماد بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة واختار
السبكي ان مريم افضل من خديجة لهذا الخبر وللاختلاف في نبوتها انتهى **وقال** ابو امامة
ابن النقاش ان سبق خديجة وتاثيرها في اول الاسلام وموازرتها ونصرها وقيامها في الدين

لله بما لها وتعينها لم يشركها فيه احد لا عائشة ولا غيرها من امهات المؤمنين وتاثير عائشة
في اخذ الاسلام وحمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من الامة ما لم يشركها فيه خديجة
ولا غيرها مما تميزت به عن غيرها انتهى **وماتت** خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين
وقيل باربع وقيل بخمس ودفنت بالحجون وهي ابنة خمس وستين سنة ولم يكن يومئذ يصلى
على الجنازة. وكانت مدة مقامها مع النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وقيل
اربعا وعشرين سنة **وأما** سودة بنت زمعة وامها الشموس بنت قيس فاسلمت قديما
وبايعت وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو واخو سهيل بن عمرو واسلم معها قديما
وهاجرا جميعا الى ارض الحبشة الهجرة الثانية فلما قدما مكة مات زوجها وقيل انه مات
بالحبشة **وتزوجها** صلى الله عليه وسلم بمكة بعد موت خديجة قبل ان يعقد على عائشة
هذا قول قتادة وابي عبيدة ولم يذكر ابن قتيبة غيره ويقال تزوجها بعد عائشة وجمع
بين القولين بانه صلى الله عليه وسلم عقد على عائشة قبل سودة ودخل بسودة قبل عائشة
والتزويج يطلق على كل واحد منهما وان كان المتبادر الى الفهم العقد دون الدخول **ولما**
كبرت سودة اراد صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته ان لا يفعل وجعلت يومها لعائشة
فامسكها **وتوفيت** بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين **وروى** البخاري في تاريخه باسناد
صحيح الى سعيد بن هلال انها ماتت في خلافة عمر وجزم الذهبي في التاريخ الكبير بانها ماتت
في آخر خلافة عمر **وقال** ابن سيد الناس انه المشهور **وأما** ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها
وامها ام رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبد شمس من بني مالك بن كنانة فكانت مسماة على جبير
ابن مطعم فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم واصدقها فيما قال ابن اسحاق اربعمائة درهم
وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلاث سنين ولها ست سنين واعرس
بها بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على راس ثمانية عشر شهرا ولها تسع سنين وقيل
بعد سبعة اشهر من مقدمه عليه السلام **وخرج** الشيخان عن عائشة انها قالت تزوج
بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابنة ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث
ابن الخزرج فوعكت فتمرق شعري فاتتني امي ام رومان واني لفي ارجوحة مع صواحب لي فصرخت
بي فاتيتها ما ادري ما تريد مني فاخذت بيدي حتى اوقفتني على باب الدار وانا انهج حتى سكن
بعض نفسي ثم اخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي وراسي ثم ادخلتني الدار فاذا نسوة من
الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة فاسلمتني اليهن فاصلحن من شاني فلم يرعني الا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمنني اليه وانا يومئذ بنت تسع سنين **واخرجه**
ابو حاتم بتغيير بعض الفاظه قال ابو عمر كان نكاحه عليه السلام لعائشة في شوال وابتنى
بها في شوال وكانت تحب ان تدخل النساء من اهلها واحبتها في شوال على ازواجهن وكانت
احب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وكانت اذا هويت الشيء تابعها عليه وفقدها
عليه السلام في بعض اسفاره فقال واعروساه خرجه احمد وقال لها عليه السلام كما في

الصحيحين

الصحيحين رايتك في المنام ثلاث ليال جاءني بك الملك في سرقة من حرير فيقول هذه امرأتك
فاكشف عن وجهك فقال ان يك من عند الله يمضه والسرقة شقة الحرير البيضاء **وفي**
الترمذي ان جبريل جاء به عليه السلام بصورتها في خرقة حرير خضراء فقال هذه زوجتك في
الدنيا والآخرة. وفي رواية عنده قال جبريل ان الله زوجك بابنة ابي بكر ومعه صورتها
وكانت مدة مقامها معه عليه السلام تسع سنين ومات عنها صلى الله عليه وسلم
ولها ثمانية عشر سنة ولم يتزوج بكرا غيرها **وكانت** فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة بايام العرب واشعارها روى عنها جماعة كثيرة
من الصحابة والتابعين **وكان** صلى الله عليه وسلم يقسم لها ليلتين ليلتها وليلة سودة
بنت زمعة لانها وهبت ليلتها لما كبرت لها كما تقدم ولنسائه ليلة ليلة وكان يدور على
نسائه ويختم بعائشة **وماتت** بالمدينة سنة سبع وخمسين وقال الواقدي ليلة
الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة
واوصت ان تدفن بالبقيع ليلا وصلى عليها ابو هريرة وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة
في ايام معاوية بن ابي سفيان. وكانت عائشة تكنى ام عبد الله يروى انها اسقطت من
النبي صلى الله عليه وسلم سقطا ولم يثبت والصحيح انها كانت تكنى بعبد الله بن الزبير
ابن اختها فانه عليه السلام تفل في فيه لما ولد وقال لعائشة هو عبد الله وانت ام عبد الله
قالت فما زلت اكنى بها وما ولدت قط اخرجه ابو حاتم **وأما** ام المؤمنين حفصة بنت
عمر بن الخطاب رضي الله عنها وامها زينب بنت مظعون فاسلمت وهاجرت وكانت قبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بضم المعجمة وفتح النون وبالسين المهملة ابن حذافة
السهمي هاجرت معه ومات عنها بعد غزوة بدر فلما تأيمت ذكرها عمر على ابي بكر وعثمان
فلم يجبه واحد منهما الى زواجها فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحه اياها في سنة
ثلاث من الهجرة وطلقها تطليقة واحدة ثم راجعها نزل عليه الوحي راجع حفصة فانها
صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين **وماتت**
في شعبان سنة خمس واربعين في خلافة معاوية وقيل سنة احدى واربعين وهي ابنة ستين
سنة وقيل انها ماتت في خلافة عثمان **وأما** ام المؤمنين ام سلمة هند وقيل رملة
والاول اصح وامها عاتكة بنت عامر بن ربيعة وليست عاتكة بنت عبد المطلب فكانت
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ابي سلمة بن عبد الاسد وكانت هي وزوجها
اول من هاجر الى ارض الحبشة فولدت له بها زينب وولدت له بعد ذلك سلمة وعمر
ودرة وقيل هي اول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة وقيل غيرها ومات ابو سلمة سنة
اربع وقيل سنة ثلاث من الهجرة وكانت ام سلمة سمعته عليه السلام يقول ما من مسلم
تصيبه مصيبة فيقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اخلف الله له خيرا
منها قالت فلما مات ابو سلمة قلت اي المسلمين خير من ابي سلمة ثم اني قلتها فاخلف الله لي

رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى صلى الله عليه وسلم حاطب بن ابى بلتعة يخطبنى له
وفى رواية فخطبها ابو بكر فابت وخطبها عمر فابت ثم ارسل اليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى خلالا ثلاثا انا امراة شديدة
الغيرة وانا امراة مصبية وانا امراة ليس لى ههنا احد من اوليائى فيزوجنى فغضب عمر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشد مما غضب لنفسه حين ردته فاتاها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اما ما ذكرت من غيرتك فانى ادعو الله ان يذهبها عنك واما
ما ذكرت من صبيتك فان الله سيكفيهم واما ما ذكرت من اوليائك فليس احد من اوليائك
يكرهنى فقالت لابنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه قال صاحب السمط الثمين
رواه بهذا السياق هدبة بن خالد وصاحب الصفوة وخرج احمد والنسائى طرفا منه ومعناه
فى الصحيح وفيه دلالة على ان الابن يلى العقد على امه وعندنا انه انما زوجها بالعصوبة
لانه ابن ابن عمها لان ابا سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله وام سلمة هند
بنت سهيل بن المغيرة بن عبد الله ولم يكن من عصبتها احد حاضر غيره وكانت ام سلمة
من اجمل الناس وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليال بقين من شوال من السنة التى
مات فيها ابو سلمة وماتت سنة تسع وخمسين وقيل سنة اثنين وستين والاول اصح ودفنت
بالبقيع وصلى عليها ابو هريرة وقيل سعيد بن زيد وكان عمرها اربعا وثمانين سنة واما
ام المؤمنين ام حبيبة رملة بنت ابى سفيان صخر بن حرب وقيل اسمها هند والاول اصح
وامها صفية بنت ابى العاص فكانت تحت عبد الله بن جحش وهاجر بها الى ارض الحبشة
الهجرة الثانية ثم تنصر وارتد عن الاسلام ومات هناك وثبتت ام حبيبة على الاسلام
واختلف فى وقت نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها وموضع العقد فقيل انه عقد
عليها بارض الحبشة سنة ست فروى انه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن امية الضمرى
الى النجاشى ليخطبها عليه فزوجها اياه واصدقها عنه اربعمائة دينار وبعث بها اليه مع
شرحبيل بن حسنة وروى ان النجاشى ارسل اليها جاريته ابرهة فقالت ان الملك يقول
لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى ان ازوجك منه وانها ارسلت الى خالد بن
سعيد بن العاص فوكلته واعطت ابرهة سوارين وخواتم من فضة سرورا بما بشرتها به
فلما كان العشى امر النجاشى جعفر بن ابى طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشى
فقال الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار واشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
اما بعد فقد اجبت الى ما دعى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصدقتها اربعمائة
دينار ذهبا ثم سكب الدنانير بين يدى القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال الحمد لله وحده
واستعينه واستغفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اما بعد فقد اجبت الى ما

دعى

دعى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته ام حبيبة بنت ابى سفيان فبارك الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها
ثم ارادوا ان يقوموا فقال اجلسوا فان سنة الانبياء اذا تزوجوا ان يؤكل طعام على
التزويج فدعى بطعام فاكلوا ثم تفرقوا اخرجه صاحب الصفوة كما قاله الطبرى وكان
ذلك فى سنة سبع من الهجرة قال ابو عمر واختلف فيمن زوجها فروى انه سعيد
ابن العاص وروى عثمان بن عفان وهى ابنة عمته وذكر البيهقى ان الذى زوجها
خالد بن سعيد بن العاص وهو ابن عم ابيها لكن ان صح التاريخ المذكور فلا يصح ان يكون
عثمان هو الذى زوجها فانه كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر فى السنة الثانية
من الهجرة وكان ابو سفيان ابوها حال نكاحها بمكة مشركا محاربا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل ان عقد النكاح عليها كان بالمدينة بعد رجوعها من ارض الحبشة والمشهور
الاول وماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وقيل سنة اثنين واربعين واما ام
المؤمنين زينب بنت جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم زوجها من زيد بن حارثة فمكثت عنده مدة ثم طلقها كما سياتى ان شاء الله
تعالى فى الخصائص فلما انقضت عدتها منه قال صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب
فاذكرنى لها قال فذهبت اليها فجعلت ظهرى الى الباب فقلت يا زينب بعثنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لاحدث شيئا حتى اوامر ربى عز وجل فقامت الى
مسجدها فانزل الله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل عليها بغير اذن اخرجه مسلم وقال المنافقون حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امراة
ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الاية وكانت زينب تفتخر
على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن اباؤكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات
رواه الترمذى وصححه وكان اسمها برة فسماها عليه السلام زينب وعن انس لما تزوج
صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو صلى
الله عليه وسلم يتهيا للقيام فلم يقوموا فلما راى ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر
فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فاخبرت
النبى صلى الله عليه وسلم انهم انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت لادخل فالقى الحجاب بينى وبينه
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبى الاية وكان تزويجها له صلى الله عليه
وسلم فى سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهى اول من مات من ازواجه بعده وقالت
عائشة فى شانها ولم تكن امراة خيرا منها فى الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم
صدقة واشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تتصدق به وتتقرب به الى الله رواه ابو مسلم
وماتت بالمدينة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة
وصلى عليها عمر بن الخطاب وهى اول من جعل على جنازتها نعش واما ام المؤمنين زينب

بنت خزيمة بن الحارث الهلالية وكانت تدعى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم فكانت
تحت عبد الله بن جحش في قول ابن شهاب فقتل عنها يوم احد فتزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم سنة ثلاث ولم تمكث عنده الا شهرين او ثلاثة وتوفيت في حياته صلى الله عليه وسلم
وقيل مكثت عنده ثمانية اشهر ذكره القضاعي وقيل كانت قبله عليه السلام تحت الطفيل بن الحارث
ثم خلف عليها اخوه عبيدة بن الحارث وقتل عنها يوم احد شهيدا فخلف عليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم والاول اصح **وتوفيت** في ربيع الآخر سنة اربع ودفنت بالبقيع قال
الطبري كذا ذكره القضاعي وانما يكون هذا على ما حكاه من انها مكثت عنده عليه السلام ثمانية
اشهر اما على ما حكاه ابو عمر فلا يصح اذا العقد كان في سنة ثلاث فمدتها عنده صلى الله عليه وسلم
شهران او ثلاثة فلا يصح ان تكون وفاتها في ربيع الآخر انتهى فليتأمل **واما** ام المؤمنين
ميمونة بنت الحارث الهلالية وامها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن حمير
فتزوجها صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة معتمرا سنة سبع بعد غزوة خيبر وكانت اختها
ام الفضل لبابة الكبرى تحت العباس بن عبد المطلب واختها لامها اسما بنت عميس تحت جعفر
وسلما بنت عميس تحت حمزة وكانت جعلت امرها الى العباس فانكحها النبي صلى الله عليه وسلم
وهو محرم فلما رجع بنا بها بسرف حلالا ذكره ابو عمر **وفي** الصحيح من افراد مسلم عنها انه صلى
الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال زاد البرقاني بعد قوله تزوجها حلالا وبنا بها حلالا وماتت
بسرف فيحمل قوله وهو محرم اي داخل الحرم فيكون العقد وقع بعد انقضاء العمرة ثم خرج منه
الى سرف وابتنى بها فيه وهو على عشرة اميال من مكة كذا قاله الطبري وسياتي في مقصد
المعجزات في ذكر الخصايص مزيد بيان لذلك ان شا الله تعالى **وكانت** ميمونة قبل
عند ابي رهم بن عبد العزى ويقال بل عبد الله بن ابي رهم وقيل بل عند حويطب بن عبد العزى
وقيل فروة بن عبد العزى قال ابن اسحاق ويقال انها وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه
وسلم وذلك ان خطبته عليه السلام انتهت اليها وهي على بعيرها فقالت البعير وما عليه
لله ولرسوله وقيل الواهبة نفسها غيرها **وتوفيت** ميمونة بسرف في الموضع الذي بنا
بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك سنة احدى وخمسين وقيل ست وستين وقيل ثلاث
وستين وصلى عليها ابن عباس ودخل قبرها **واما** ام المؤمنين جويرية بنت الحارث
ابن ابي ضرار بكسر الضاد المعجمة وتخفيف الرا فكانت تحت مسافع بالسين المهملة والفا
ابن صفوان المصطلقي وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري في
غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس وقيل سنة ست فكاتبته على نفسها
ثم جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا جويرية بنت الحارث وكان
من امري ما لا يخفى عليك ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس واني كاتبت نفسي فجئت
اسئلك في كتابتي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك الى ما هو خير قالت وما هو
يا رسول الله قال اؤدي عنك كتابتك واتزوجك قالت قد فعلت فتسامع الناس ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية فارسلوا ما في ايديهم من السبي فاعتقوهم وقالوا
اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة فما راينا امراة كانت اعظم بركة على قومها
منها اعتق في سببها مائة اهل بيت من بني المصطلق خرجه ابو داود من حديث عايشة
قال ابن هشام ويقال اشتراها صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس واعتقها
وتزوجها واصدقها اربعمائة درهم وعن ابن شهاب سبا صلى الله عليه وسلم جويرية
بنت الحارث يوم المريسيع فحجبها وقسم لها وكانت ابنة عشرين سنة وكان اسمها برة فحوله
صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية وقد تقدم مثل ذلك في زينب بنت جحش وتوفيت
وعمرها خمس وستون سنة في ربيع الاول سنة خمسين وقيل سنة ست وخمسين **واما**
ام المؤمنين صفية بنت حيي بن اخطب بن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين
وبالياء المثناة التحتية ابن ثعلبة بن عبيد من بني اسرائيل من سبط هارون بن عمران
عليه السلام وامها ضرة بفتح الضاد المعجمة وتشديد الرا بنت سموال بفتح السين المهملة
وفتح الميم وسكون الواو وفتح الهمزة وباللام فكانت تحت كنانة بن ابي الحقيق بضم الحا المهملة
وفتح القاف الاولى وسكون المثناة التحتية فقتل يوم خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة
قال انس لما افتتح صلى الله عليه وسلم خيبر وجمع السبي جاء دحية فقال يا رسول
الله اعطني جارية فقال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير ما تصلح
الا لك قال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي
غيرها قال واعتقها وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها
وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل فاصبح صلى الله عليه
وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به قال فبسط نطعا قال فجعل الرجل يجي بالاقط
وجعل الرجل يجي بالتمر وجعل الرجل يجي بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم **وفي** رواية فقال الناس ما ندري اتزوجها ام اتخذها ام ولد قالوا ان حجبها
فهي امراته وان لم يحجبها فهي ام ولد فلما اراد ان يركب حجبها **وفي رواية** فانطلقنا حتى اذا
راينا جدر المدينة هششنا اليها فرفعنا مطايانا ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطيته
قال وصفية خلفه قد اردفها قال فعثرت مطية رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرع وصرعت
قال فليس احد من الناس ينظر اليه والِيها حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسترها قال
فدخلنا المدينة فخرج جواري نسائه يتراءينها ويشمتن بصرعتها رواه الشيخان وهذا لفظ
مسلم **وروى** عن جابر انه صلى الله عليه وسلم اتي بصفية يوم خيبر وانه قتل اباها
واخاها وان بلالا مر بها بين المقتولين وانه صلى الله عليه وسلم خيرها بين ان يعتقها فترجع
الى من بقي من اهلها او تسلم فيتخذها لنفسه فقالت اختار الله ورسوله اخرجه في الصفوة
واخرج تمام في فوايده من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك في

قالت يا رسول الله لقد كنت اتمنى ذلك فى الشرك فكيف اذا امكننى الله منه فى الاسلام واخرج
ابو حاتم من حديث ابن عمر رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعين صفية خضرة فقال لها ما هذه
الخضرة فقالت كان رأسى فى حجر ابن ابى الحقيق وانا نائمة فرأيت قمرا وقع فى حجرى فاخبرته
بذلك فلطمنى وقال تمنين ملك يثرب وبنا بها صلى الله عليه وسلم بالصهبا وماتت
فى رمضان سنة خمسين فى زمن معاوية وقيل غير ذلك ودفنت بالبقيع فهؤلاء ازواجه اللاتى
دخل بهن بلا خلاف فى ذلك بين اهل السير والعلم بالاثر وقد ذكر انه صلى
الله عليه وسلم تزوج نسوة غير من ذكر وجملتهن اثنا عشر امرأة الاولى الواهبة نفسها له صلى الله
عليه وسلم واختلف من هى فقيل ام شريك القرشية العامرية واسمها غزية بضم الغين المعجمة
وفتح الزاى وتشديد المثناة التحتية بنت جابر بن عوف من بنى عامر بن لوى وقيل بنت داود بن عوف
وطلقها النبى صلى الله عليه وسلم واختلف فى دخوله بها وقيل هى ام شريك غزية الانصارية
من بنى النجار وفى الصفوة هى ام شريك غزية بنت جابر الدوسية قال والاكثرون انها التى
وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت وذكر ابن قتيبة فى المعارف
عن ابى اليقظان ان الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمى ويجوز ان تكونا وهبتا انفسهما من غير
تضاد وقال عروة بن الزبير كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن انفسهن للنبى صلى الله عليه وسلم
فقالت عائشة اما تستحيى المرأة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشاء منهن قالت عائشة
يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع لك فى هواك رواه الشيخان وهذه خولة هى زوجة عثمان
ابن مظعون ولعل ذلك وقع منها قبل عثمان الثانية خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها صلى
الله عليه وسلم فهلكت قبل ان تصل اليه الثالثة عمرة بنت يزيد بن الجون بفتح الجيم الكلابية
وقيل عمرة بنت يزيد بن عبيد بن رواس بن كلاب الكلابية قال ابو عمر فهذا اصح تزوجها صلى الله
عليه وسلم فتعوذت منه حين ادخلت عليه فقال لها لقد عذت بمعاذ فطلقها وامر اسامة بن زيد
فمتعها بثلاثة اثواب قال ابو عمر هكذا روى عن عائشة وقال قتادة كان ذلك فى امرأة
من سليم وقال ابو عبيدة انما ذلك لاسما بنت النعمان بن الجون وهكذا ذكره ابن قتيبة
وسيأتى وقال فى عمرة هذه ان اباها وصفها للنبى صلى الله عليه وسلم ثم قال وازيدك انها
لم تمرض قط فقال عليه السلام ما لهذه عند الله من خير فطلقها الرابعة اسما بنت النعمان بن الجون
بفتح الجيم ابن الحارث الكندية وهى الجونية اجمعوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها
واختلفوا فى سبب فراقه لها فقال ابو قتادة وابو عبيدة انه صلى الله عليه وسلم لما دعاها قالت
تعال انت وابت ان تجئ وقال بعضهم قالت اعوذ بالله منك فقال لقد عذت بمعاذ وقد اعاذك
الله منى وقيل ان نساءه صلى الله عليه وسلم علمنها ذلك فانها كانت من اجمل النساء فخفن ان
تغلبهن عليه فقلن لها انه يحب اذا دنا منك ان تقولى اعوذ بالله منك فقال لقد عذت بمعاذ
وطلقها ثم سرحها الى اهلها وكانت تسمى نفسها الشقية قال الجرجانى قلن لها ان اردت ان
تحظى عنده فتعوذى بالله منه فقالت ذلك فولى وجهه عنها وقيل المتعوذة غيرها قال ابو عمر

ويجوز

ويجوز ان يكونا تعوذتا وقال آخرون كان باسما وضح فقال لها الحقى باهلك وقد قيل فى
اسمها اميمة وقيل امامة الخامسة مليكة بنت كعب الليثية قال بعضهم هى التى استعاذت من النبى
صلى الله عليه وسلم وقيل دخل بها وماتت عنده والاول اصح ومنهم من ينكر تزويجه بها اصلا
السادسة فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها
حين نزلت اية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها عليه الصلوة والسلام فكانت بعد ذلك
تلتقط البعر وتقول هى الشقية اختارت الدنيا هكذا رواه ابن اسحاق لكن قال ابو عمر هذا
عندنا غير صحيح لان ابن شهاب يروى عن عروة عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم حين خير
ازواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتابع ازواج النبى صلى
الله عليه وسلم على ذلك وقال قتادة وعكرمة كان عنده صلى الله عليه وسلم عند التخيير تسع
نسوة وهن اللاتى توفى عنهن وقيل انه صلى الله عليه وسلم تزوجها سنة ثمان وقيل ان اباها
قال لم تصدع قط فقال عليه الصلوة والسلام لا حاجة لى بها السابعة عالية بنت ظبيان
ابن عمرو بن عوف تزوجها عليه الصلوة والسلام وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها وقل من
ذكرها وقال ابو سعد طلقها حين ادخلت عليه عليه الصلوة والسلام الثامنة قتيلة
بضم القاف وفتح المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية بنت قيس اخت الاشعث بن قيس
الكندى زوجه اياها اخوها فى سنة عشر ثم انصرف الى حضرموت فحملها فقبض صلى الله عليه وسلم
سنة احدى عشرة قبل قدومها عليه وقيل تزوجها عليه الصلوة والسلام قبل وفاته بشهرين وقال
قائلون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى بان تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت
من امهات المؤمنين وان شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن ابى جهل
بحضرموت فبلغ ذلك ابا بكر فقال لقد هممت ان احرق عليهما بيتهما فقال له عمر رضى الله عنه
ما هى من امهات المؤمنين ما دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب وقال
بعضهم لم يوص فيها بشئ ولكنها ارتدت حين ارتد اخوها وبذلك احتج عمر على ابى بكر رضى الله عنهما
انها ليست من امهات المؤمنين بارتدادها التاسعة سبا بنت اسما بن الصلت السلمية تزوجها
عليه الصلوة والسلام وماتت عنها قبل ان يدخل بها وعند ابن اسحاق طلقها قبل ان يدخل بها
العاشرة شراف بفتح الشين المعجمة وتخفيف الراء والفاء بنت خليفة الكلبية اخت دحية الكلبى تزوجها
صلى الله عليه وسلم فماتت قبل دخوله عليه الصلوة والسلام بها الحادية عشر ليلى بنت الحطيم بفتح
الحاء المهملة وكسر الطاء المهملة اخت قيس تزوجها صلى الله عليه وسلم وكانت غيورا فاستقالته فاقالها
فاكلها الذئب وقيل هى التى وهبت نفسها له صلى الله عليه وسلم الثانية عشر امرأة من غفار
تزوجها صلى الله عليه وسلم فامرها فنزعت ثيابها فرأى بكشحها بياضا فقال الحقى باهلك ولم يأخذ
مما آتاها شيئا خرجه احمد فهؤلاء جملة من ذكر من ازواجه صلى الله عليه وسلم وفارقهن فى حياته
بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعده كما ذكرناه فيكون جملة من عقد عليهن ثلاثا وعشرين امرأة
دخل ببعضهن دون بعض ماتت منهن عنده بعد الدخول خديجة وزينب بنت خزيمة

وماتت منهن قبل الدخول اثنتان اخت دحية وبنت الهذيل باتفاق واختلف في مليكة
وسبا هل ماتتا او طلقهما مع الاتفاق على انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بهما وفارق
بعد الدخول باتفاق بنت الضحاك وبنت ظبيان وقبله باتفاق عمرة واسما والغفارية
واختلف في ام شريك هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة والمستقيلة التي جهل حالها والفارقات
باتفاق سبع واثنتان على خلف والميتات في حياته باتفاق اربع ومات صلى الله عليه وسلم
عن عشر واحدة لم يدخل بها **وروى** انه صلى الله عليه وسلم خطب عدة نسوة **الاولى**
منهن امراة من بني مرة بن عوف بن سعد خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابيها فقال ان بها
برصا وهو كاذب فرجع فوجد البرص بها فيقال ان ابنها شبيب بن البرصا بن الحارث بن عوف
ذكره ابن قتيبة كما ذكره الطبري وعند ابن الاثير جمرة بنت الحارث بن عوف خطبها صلى
الله عليه وسلم فقال ابوها ان بها سوءا ولم يكن بها شيء فرجع اليها ابوها وقد برصت قال وهي
ام شبيب بن البرصا الشاعر **الثانية** امراة قرشية يقال لها سودة خطبها صلى الله عليه وسلم
وكانت مصبية فقالت اخاف ان يضغو صبيتي اي يصيحوا ويبكوا عند راسك فدعا لها وتركها
الثالثة صفية بنت بشامة بفتح الموحدة وتخفيف الشين المعجمة كان اصابها في سبي فخيرها
بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها **الرابعة** ولم يذكر اسمها قيل انه صلى الله
عليه وسلم خطبها فقالت استامر ابي فلقيت اباها فاذن لها فعادت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لها قد التحفنا لحافا غيرك **الخامسة** ام هاني فاختة بنت ابي طالب اخت علي بن ابي طالب
خطبها صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة مصبية واعتذرت اليه فعذرها **السادسة** ضباعة
بضم الضاد المعجمة وتخفيف الموحدة وبالعين المهملة بنت عامر بن قرط بضم القاف وسكون الرا
وبالطا المهملة خطبها صلى الله عليه وسلم الى ابنها سلمة بن هشام فقال حتى استامرها فقيل للنبي
صلى الله عليه وسلم انها قد كبرت فلما عاد ابنها وقد اذنت له سكت عنها صلى الله عليه وسلم فلم
ينكحها **السابعة** امامة بنت حمزة بن عبد المطلب عرضت عليه صلى الله عليه وسلم فقال هي ابنة
اخي من الرضاعة **الثامنة** عزة بنت ابي سفيان عرضتها اختها ام حبيبة عليه وسلم فقال انها لا تحل
لي لمكان اختها ام حبيبة تحت النبي صلى الله عليه وسلم وقيل تزوج عليه الصلوة والسلام جندعة
بضم الجيم وسكون النون وضم الدال وبالعين المهملة امراة من جندع وهي ابنة جندب بن ضمرة
ولم يدخل بها وانكره بعض الرواة **فهولاء** النسا اللاتي ذكر انه صلى الله عليه وسلم
تزوجهن او خطبهن او دخل بهن او لم يدخل بهن او عرضن عليه **واما سراريه** صلى الله
عليه وسلم فقيل انهن اربعة مارية القبطية بنت شمعون بفتح الشين المعجمة اهداها له المقوقس
القبطي صاحب مصر والاسكندرية واهدى معها اختها سيرين بكسر السين المهملة وسكون المثناة
التحتية وكسر الرا وبالنون آخرها وخصيا يقال له مابور والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا
لينا من قباطي مصر وبغلة شهبا وهي دلدل وحمارا اشهب وهو عفير ويقال يعفور وعسلا من عسل
بنها فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم العسل ودعا في عسل بنها بالبركة قال ابن الاثير وبنها بكسر

البا

البا وسكون النون قرية من قرى مصر بارك النبي صلى الله عليه وسلم في عسلها والناس اليوم
يفتحون البا انتهى ووهب صلى الله عليه وسلم سيرين لحسان بن ثابت وهي ام عبد الرحمن بن
حسان ومارية هي ام ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وماتت مارية في خلافة عمر رضي الله
عنهما في سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع وريحانة بنت شمعون من بني قريظة وقيل من بني
النضير والاول اظهر وماتت قبل وفاته عليه الصلوة والسلام مرجعه من حجة الوداع سنة عشر
ودفنت بالبقيع وكان عليه الصلوة والسلام يطاها بملك اليمين وقيل اعتقها وتزوجها
ولم يذكر ابن الاثير غيرها والاخرى وهبتها له زينب بنت جحش الرابعة اصابها في بعض السبي

الفصل الرابع

في اعمامه وعماته واخوته من الرضاعة

قال صاحب ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى كان له صلى الله عليه وسلم اثنا عشر عما
بنو عبد المطلب ابوه عبد الله ثالث عشرهم الحارث وابو طالب واسمه عبد مناف والزبير
ويكنى ابا الحارث وحمزة وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار والعباس
وقثم وعبد الكعبة وحجل بتقديم الجيم وهو السقا الضخم قال الدارقطني بتقديم الحاء
وهو القيد والخلخال ويسمى المغيرة وقيل كانوا احد عشر فاسقط المقوم وقيل هو عبد الكعبة
وقيل عشرة فاسقط الغيداق وحجلا وقيل تسعة فاسقط قثم **فاما** حمزة فامه هالة
بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ويكنى ابا عمارة وابا يعلى كنيتان له بابنيه عمارة ويعلى
وفي معجم البغوي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده انه مكتوب عند الله في السما
السابعة حمزة اسد الله واسد رسوله صلى الله عليه وسلم **وكان** اسلامه في السنة الثانية
من المبعث وقيل في السادسة بعد دخوله عليه الصلوة والسلام دار الارقم وقيل قبل اسلام
عمر بثلاثة ايام وشهد بدرا وقتل بها عتبة بن ربيعة مبارزة **قال** موسى بن عقبة وقيل
بل قتل شيبة بن ربيعة مبارزة قاله ابن اسحاق واول راية عقدها عليه الصلوة والسلام
لاحد من المسلمين كانت لحمزة واول سرية بعثها وقال عليه الصلوة والسلام خير اعمامي حمزة
رواه الحافظ الدمشقي **وروى** ابن السري مرفوعا سيد الشهدا يوم القيمة حمزة بن عبد المطلب
وذكر السلفي عن بريدة في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة قال حمزة بن عبد المطلب
وعن ابن عباس فمنهم من قضى نحبه قال حمزة واستشهد يوم احد قتله وحشي وعن
سعيد بن المسيب كان يقول كنت اعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى انه مات غريقا في الخمر
رواه الدارقطني على شرط الشيخين وقال ابن هشام بلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر
حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة **ولما** راى
النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى فلما راى ما مثل به شهق وعن ابي هريرة وقف عليه الصلوة
والسلام على حمزة وقد قتل ومثل به فلم ير منظرا كان اوجع لقلبه منه رواه ابو عمر والمخلص

وصاحب الصفوة وعند ابن هشام انه صلى الله عليه وسلم قال لن اصاب بمثلك ابدا
ما وقفت موقفا قط اغيظ لي من هذا وعند ابن شاذان من حديث ابن مسعود ما رأينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط اشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب وضعه في
القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشغ من البكاء يقول يا حمزة يا عم رسول الله واسد الله
واسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه
رسول الله والنشغ الشهيق حتى يبلغ به الغشي وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على جنازة
كبر عليها اربعا وكبر على حمزة سبعين تكبيرة رواه البغوي في معجمه وقد روى
انس بن مالك ان شهداء احد لم يغسلوا ودفنوا بدمائهم ولم يصل عليهم خرجه احمد وابو داود
فيحمل امر حمزة على التخصيص ومن صلى عليه غيره على انه جرح حال الحرب ولم يمت حتى انقضت
الحرب وكان سن حمزة يوم قتل تسعا وخمسين سنة ودفن هو وابن اخته عبد الله بن جحش
في قبر واحد واما العباس وكنيته ابو الفضل فامه نتيلة ويقال نتيلة بنت خباب بن كليب
ابن النمر بن قاسط ويقال انها اول عربية كست البيت الحرام الديباج واصناف الكسوة لان
العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته ان تكسو البيت وكان العباس وسيما جسيما ابيض
له ضفيرتان معتدلا وقيل كان طوالا وولد قبل الفيل بثلاث سنين وكان اسن من النبي صلى
الله عليه وسلم بسنتين او ثلاث وكان رئيسا في قريش واليه عمارة المسجد الحرام وكان مع النبي
صلى الله عليه وسلم يوم العقبة يعقد له البيعة على الانصار وكان عليه الصلوة والسلام يثق به
في امره كله ولما شدوا وثاقه في اسرى بدر سهر عليه الصلوة والسلام تلك الليلة فقيل له
ما يسهرك يا رسول الله قال لانين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه وفعل ذلك بالاسرى
كلهم ذكره ابو عمر وصاحب الصفوة وقيل كان يكتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر
فقال صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها فاسره كعب بن عمرو
ففادى نفسه ورجع لمكة وقيل انه اسلم يوم بدر ثم اقبل الى المدينة مهاجرا فاستقبل
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بالابواء وكان معه في فتح مكة وبه ختمت الهجرة وقال
ابو عمر اسلم يوم فتح خيبر وكان يكتم اسلامه ويسره ما يفتح الله على المسلمين واظهر اسلامه يوم
فتح مكة وشهد حنينا والطائف وتبوك ويقال ان اسلامه كان قبل بدر وكان يكتب باخبار
المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه ان مقامك بمكة خير لك وقال ابو مصعب اسماعيل
ابن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت حدثنا ابو حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي
الله عنه قال استأذن العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فكتب اليه يا عم
اقم مكانك الذي انت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة ورواه ابو يعلى
والهيثم بن كليب في مسنديهما والطبراني في الكبير وابو مصعب متروك لكن يعتضد بقول عروة
ابن الزبير كان العباس قد اسلم واقام على سقايته ولم يهاجر اخرجه الحاكم في مستدركه وذكر

السهمي

السهمي في الفضائل ان ابا رافع لما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه وكان عليه
الصلوة والسلام يكرم العباس بعد اسلامه ويعظمه ووصفه عليه الصلوة والسلام فقال
اجود الناس كفا واحناه عليهم رواه الفضائلي وفي معجم البغوي العباس عمي وصنو ابي من
آذاه فقد آذاني وفي الترمذي نحوه وقال حسن صحيح وذكر السهمي في الفضائل ان العباس اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قام اليه وقبل ما بين عينيه ثم اقعده عن يمينه ثم قال هذا
عمي فمن شاء فليباه بعمه فقال العباس نعم القول يا رسول الله قال ولم لا اقول هذا انت عمي
وصنو ابي وبقية آبائي ووارثي وخير من اخلف من اهلي وقال له عليه الصلوة والسلام يا عم
لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى آتيكم فان لي فيكم حاجة فلما اتاهم اشتمل عليهم بملاءته
ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه
قال فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين رواه ابن غيلان وابو
القاسم حمزة والسهمي ورواه ابن السري وفيه فما بقي في البيت مدرة ولا باب الا امن وروا
الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ فالبسنا كساء ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة
ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده وقال حسن غريب وعند ابن عبد الباقي
من حديث ابي هريرة اللهم اغفر للعباس ولولد العباس ولمن احبهم وفي تاريخ دمشق من حديث
ابن عباس عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له في فتح مكة اللهم انصر العباس
وولد العباس قالها ثلاثا ثم قال يا عم اما علمت ان المهدي من ولدك وروى الحاكم
في مستدركه والبغوي في معجمه عن سعيد بن المسيب انه قال العباس خير هذه الامة ووارث
النبي صلى الله عليه وسلم وعمه قال الذهبي سنده صحيح قال ويتكلف لتاويله يعني
ان كان قوله بالمعجمة والتحتية وفي الافراد للدارقطني عن جابر الانصاري رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لم يحب العباس بن عبد المطلب واهل بيته
فقد برئ من الله ورسوله وفي سنده عمر بن راشد الجاري وهو ضعيف جدا لكن يشهد له ما
رواه محمد بن حسين الاشناني ثم ابو بكر بن عبد الباقي في اماليه ومن طريقهما المنذري
من طريق منصور عن مسلم بن صبيح ابي الضحى عن مسروق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحب عمي هذا واخذ بيد العباس فرفعها لله عز وجل
ولم ابرئه مني فليس مني وللترمذي وقال حسن عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد
المطلب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان
حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال يا ايها الناس من آذى عمي فقد آذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وروى
البغوي انه عليه الصلوة والسلام قال له يا عم لك من الله حتى ترضى وروى السهمي في الفضائل
انه عليه الصلوة والسلام قال يا عباس ان الله عز وجل غير معذبك ولا احد من ولدك وفي
المعجم الكبير للطبراني عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر
للعباس وابنا العباس وابنا ابنا العباس وفي سنده عبد الرحمن بن حاتم المرادي المصري وهو

مترولت. وفي تاريخ دمشق مما هو شديد الوهاء عن ابي هريرة مرفوعاً اللهم اغفر للعباس ولولد
العباس ولمحبي ولد العباس وشيعتهم. وللسهمي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا عباس ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك وفي المناقب لاحمد بسند لا باس به
ان العباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال انظر هل ترى في السماء نجماً
قلت نعم قال ما ترى قلت الثريا قال اما انه يلي هذه الامة بعددها من صلبك وروى السهمي
من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال له الا ابشرك يا عم قال بلى بابي انت وامي فقال
عليه الصلوة والسلام ان من ذريتك الاصفيا ومن عترتك الخلفا. ومن حديث ابي هريرة
فيكم النبوة والمملكة وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن ابيه هذا عمي ابو الخلفا اجود قريش
كفا واجملها وان من ولده السفاح والمنصور والمهدي وذكر ابن حسان والملاء من حديث ابن عباس
انه عليه الصلوة والسلام قال يا ابا بكر هذا العباس قد اقبل وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده
من بعده السواد وعن جابر بن عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن
في ولده يعني العباس ملوك يكونون امرا امتي يعز الله بهم الدين قال الحافظ ابو الحسن
الدارقطني هذا حديث غريب من حديث عمرو بن دينار عن جابر خرجه الاصفهاني وتوفي
العباس في خلافة عثمان رضي الله عنهما قبل مقتله بسنتين بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة
وقيل لاربع عشرة خلت من رجب وقيل من رمضان سنة اثنتين وقيل ثلاث وثلاثين وهو
ابن ثمان وثمانين سنة وقيل سبع وثمانين سنة ادرك منها في الاسلام اثنين وثلاثين سنة
ودفن بالبقيع ودخل قبره ابنه عبد الله وكان عظيماً جليلاً وكان يسمى ترجمان القرآن وهو ابو
الخلفا. ويروى ان امه ام الفضل لما وضعته اتت به النبي صلى الله عليه وسلم فاذن في اذنه
اليمنى واقام في اليسرى وقال اذهبي بابي الخلفا رواه ابن حبان وغيره وقد ملا عقبه الارض
حتى قيل انهم بلغوا في زمن المامون ستمائة الف واستبعد والله اعلم وكان العباس اصغر
اعمامه صلى الله عليه وسلم ولم يسلم منهم الا هو وحمزة واسنهم الحارث واما عماته صلى
الله عليه وسلم بنات عبد المطلب بن هاشم فجملتهن ست. عاتكة. واميمة. والبيضا وهي ام حكيم
وبرة. وصفية. واروى. ولم يسلم منهن الا صفية ام الزبير بلا خلاف. واختلف في اروى
وعاتكة فذهب ابو جعفر العقيلي الى اسلامهما وعدهما في الصحابة. وذكر الدارقطني عاتكة
في جملة الاخوة والاخوات ولم يذكر اروى واما ابن اسحاق فذكر انه لم يسلم منهن غير صفية
فاما صفية فاسلمت باتفاق كما ذكرته وشهدت الخندق وقتلت رجلاً من اليهود وضرب لها
عليه الصلوة والسلام بسهم وامها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة شقيقة حمزة والمقوم
وحجل وكانت في الجاهلية عند الحارث بن حرب بن امية بن عبد شمس ثم هلك فخلف عليها العوام
ابن خويلد اخو خديجة ام المؤمنين فولدت له الزبير والسايب وعبد الكعبة. وتوفيت بالمدينة
في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة عشرين ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع
واما عاتكة المختلف في اسلامها فامها فاطمة بنت عمرو بن عايذ فتكون شقيقة عبد الله ابي النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وابي طالب والزبير وعبد الكعبة وهي صاحبة الرؤيا في قصة بدر واما
اروى ايضاً المختلف في اسلامها فامها صفية بنت جندب فهي شقيقة الحارث بن عبد المطلب
وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد قصي فولدت له طليباً ثم خلف عليها كلدة بن عبد مناف
ابن عبد الدار بن قصي واسلم طليب وكان سبباً في اسلام امه كما ذكره الواقدي واما
ام حكيم البيضا فهي شقيقة عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم واما برة فامها فاطمة ايضاً
وكانت عند ابي رهم بن عبد العزى العامري ثم خلف عليها عبد الاسد بن هلال المخزومي
فولدت له ابا سلمة بن عبد الاسد الذي كان عنده ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم
واما اميمة فامها فاطمة ايضاً وكانت تحت جحش بن رئاب فولدت له عبد الله وعبيد الله
وابا احمد وزينب وام حبيبة وحمنة اولاد جحش بن رئاب واما جداته عليه
الصلوة والسلام من ابيه فام عبد الله ابيه هي فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمر بن مخزوم وام
عبد المطلب سلمى ابنة عمرو من بني النجار وكانت قبل هاشم تحت احيحة بن الجلاح فولدت
له عمرو بن احيحة وهو اخو عبد المطلب لامه وام هاشم عاتكة بنت مرة بنت هلال بن فالج
ابن ذكوان من بني سليم وام عبد مناف عاتكة بنت فالج بن مليك بن ذكوان من بني سليم
وام قصي فاطمة بنت سعد من ازد السراة وام كلاب نعم بنت سرير بن ثعلبة بن مالك.
ابن كنانة وام مرة وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر وام كعب سلمى بنت محارب بن تيم
وام لؤي وحشية بنت مدلج بن مرة بن عبد مناف بن كنانة وام غالب سلمى بنت سعد بن هذيل
وام فهر جندلة بنت الحارث الجرهمي وام مالك هند بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان
وام النضر برة بنت مرة اخت تميم بن مرة ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف كما حكاه الطبري
عنه. وقال فالجدة الاولى مخزومية. والثانية نجارية. والثالثة سلمية. والرابعة سلمية
ايضاً وقيل خزاعية. والخامسة ازدية. والسادسة كنانية. والسابعة فهمية. والثامنة
فهمية ايضاً او فهرية الخط في الاصل يوهم. والتاسعة كنانية. والعاشرة هذلية.
والحادية عشر جرهمية. والثانية عشر قيسية. والثالثة عشر مرية. واما جداته
عليه الصلوة والسلام من امه فام آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب برة
بنت عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة وام ابيها يعني ام وهب قال ابن قتيبة وقال
ابو سعيد ام سفيان بنت اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة وام ام حبيب هي
برة بنت عوف قلابة بنت الحارث بن صعصعة بن عايذ بن لحيان بن هذيل وام قلابة
هند بنت يربوع من ثقيف قاله ابن قتيبة وقال ابن سعيد انها بنت مالك بن عثمان
من بني لحيان فالجدة الاولى والثانية والثالثة من امهات امه عليه الصلوة والسلام
قرشيات وام ابي امه سلمية والرابعة لحيانية هذلية والخامسة ثقفية فهي كل قبيلة من
قبايل العرب له عليه السلام علقة نسب واما اخوته عليه السلام من الرضاعة
فحمزة وابو سلمة بن عبد الاسد ارضعتهما معه صلى الله عليه وسلم ثويبة جارية ابي لهب

بلبن ابنها مسروح بن ثويبة وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضعته ورسول الله صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية وعبد الله وانيسة وحذافة وتعرف بالشيماء الثلاثة اولاد حليمة وقد روي ان خيلا له عليه السلام اغارت على هوازن فاخذ في جملة السبي فقالت انا اخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا محمد انا اختك فرحب بها وبسط لها رداءه واجلسها عليه ودمعت عيناه وقال عليه السلام ان احببت فاقيمي عندي مكرمة محببة وان احببت ان ترجعي الى قومك فصلتك قالت بل ارجع الى قومي فاسلمت واعطاها صلى الله عليه وسلم ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء ذكره ابو عمر وابن قتيبة واما امه من الرضاعة فحليمة بنت ابي ذويب من هوازن وهي التي ارضعته حتى كملت رضاعه وجاءته عليه السلام يوم حنين فقام اليها وبسط رداءه لها فجلست عليه وكذا ثويبة جارية ابي لهب ايضا واختلف في اسلامها كما اختلف في اسلام حليمة وزوجها فالله اعلم وكانت ثويبة تدخل عليه صلى الله عليه وسلم بعد ان تزوج خديجة فكانت تكرمها واعتقها ابو لهب وكان عليه السلام يبعث اليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر ذكره ابو عمر وكانت حاضنته ام ايمن بركة بنت ثعلبة بن حصين بن مالك غلبت عليها كنيتها وكنيت باسم ابنها ايمن الحبشي وهي ام اسامة بن زيد تزوجها زيد بعد عبيد فولدت له اسامة ويقال انها مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجرت الهجرتين الى ارض الحبشة والى المدينة وكانت لعبد الله بن عبد المطلب فورثها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كانت لامه عليه السلام وكان عليه السلام يقول ام ايمن امي بعد امي وكانت الشيماء بنت حليمة السعدية تحضنه ايضا مع امها حليمة السعدية

الفصل الخامس

في خدمه وحرسه ومواليه ومن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ويأذن عليه

اما خدمه فمنهم انس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الانصاري الخزرجي يكنى ابا حمزة خدم النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين او عشر سنين ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة وقال ابو هريرة ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم منه وتوفي في سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة اثنين وقيل سنة احدى وتسعين وقد جاوز المائة ومنهم ربيعة بن كعب الاسلمي صاحب وضوئه وتوفي سنة ثلاث وستين ومنهم ايمن ابن ام ايمن صاحب مطهرته عليه السلام استشهد يوم حنين ومنهم عبد الله بن مسعود بن غافل بالمعجمة والفاء ابن حبيب الهذلي احد السابقين الاولين شهد بدرا والمشاهد وكان صاحب الوساد والسواك والنعلين والطهور وكان يلي ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم وكان اذا قام النبي صلى الله عليه وسلم البسه نعلاه واذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم وتوفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة ثلاث

ومنهم عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني وكان صاحب بغلته يقود به عليه السلام في الاسفار وروينا عنه انه قال بينا اقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نقب من تلك النقاب اذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب يا عقبة قال فاجللت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اركب مركبه ثم اشفقت ان يكون معصية قال فركبت هنيهة ثم نزلت ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم وقدت به فقال لي يا عقبة الا اعلمك من خير سورتين قرا بهما الناس فقلت بلى بابي انت وامي يا رسول الله فقال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس الحديث رواه احمد وابو داود والنسائي ولاحمد قال يا عقبة الا اعلمك خير ثلاث سور انزلت في التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم قال قلت بلى قال فاقرأني قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وكان عقبة بن عامر عالما بكتاب الله وبالفرايض فصيحا شاعرا مفوها ولي مصر لمعاوية سنة اربع واربعين ثم صرفه بمسلمة بن مخلد وتوفي بها سنة ثمان وخمسين ومنهم اسلع بن شريك صاحب راحلته وفي الطبراني عن الربيع بن بدر حدثني ابي عن ابيه عن رجل يقال له الاسلع قال كنت اخدم النبي صلى الله عليه وسلم وارحل له فقال لي ذات يوم يا اسلع قم فارحل فقلت يا رسول الله قد اصابتني جنابة فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاه جبريل باية الصعيد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا اسلع فتيمم قال فتيممت ثم رحلت له ثم سار حتى مر بماء فقال لي يا اسلع مس وامس هذا جلدك قال فاراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين انتهى ومنهم سعد مولى ابي بكر وقيل سعيد ولم يثبت وروى عنه ابن ماجة ومنهم ابو ذر جندب بن جنادة الغفاري اسلم قديما وتوفي بالربذة سنة احدى وثلاثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود ثم مات بعده في ذلك اليوم قاله ابن الاثير في معرفة الصحابة وفي التقريب للحافظ ابن حجر سنة اثنين وثلاثين ومنهم مهاجر مولى ام سلمة ومنهم حنين والد عبد الله مولى ابن عباس كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ثم وهبه لعمه العباس ومنهم نعيم بن ربيعة الاسلمي ومنهم ابو الحمراء مولاه صلى الله عليه وسلم وخادمه واسمه هلال بن الحارث او ابن ظفر نزل حمص ومنهم ابو السمح خادمه عليه السلام واسمه اياد ومن النساء بركة ام ايمن الحبشية وهي والدة اسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنه وخولة جدة حفص وسلمى ام رافع زوج ابي رافع وميمونة بنت سعد وام عباس مولاة رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكان يضرب الاعناق بين يديه علي ابن ابي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن ابي الاقلح والضحاك بن سفيان وكان قيس بن سعد بن عبادة بين يديه عليه السلام بمنزلة صاحب الشرطة وكان بلال على نفقاته ومعيقيب بن ابي فاطمة الدوسي على خاتمه وابن مسعود على سواكه ونعله كما تقدم وابو رافع واسمه اسلم وقيل غير ذلك قبطي كان على بغلته واذن عليه السلام في المشربة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه رباح النوبي واما حرسه

فمنهم سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس سيد الاوس اسلم بين العقبتين على يدي مصعب ابن عمير وشهد بدرا واحدا والخندق رمي فيه بسهم عاش شهرا ثم انتقض جرحه فمات ومنهم محمد بن مسلمة الانصاري حرس النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين نام في العريش ومنهم الزبير بن العوام حرسه يوم الخندق ومنهم بلال المؤذن مولى ابي بكر حرسه يوم احد رضي الله عنه اسلم قديما وعذب في الله وسكن الشام اخيرا ولا عقب له ويأتي وفاته ان شاء الله تعالى وكان يحرس النبي صلى الله عليه وسلم بوادي القرى وكان ابو بكر الصديق يوم بدر في العريش شاهرا سيفه على راسه صلى الله عليه وسلم لئلا يصل اليه احد من المشركين رواه ابن السمان في الموافقة ووقف المغيرة بن شعبة على راسه بالسيف يوم الحديبية وكان يحرسه عليه السلام ايضا عباد بن بشر فلما نزلت والله يعصمك من الناس ترك ذلك

واما مواليه صلى الله عليه وسلم فمنهم اسامة وابوه زيد بن حارثة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقه وزوجه مولاته ام ايمن واسمها بركة فولدت له اسامة وكان زيد قد اسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم منها ذكر قصته ابن اسحاق في السيرة وان اباه وعمه اتيا مكة فوجداه فطلبا ان يفدياه فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يدفعه لهما او يبقى عنده فاختار ان يبقى عنده عليه السلام وفي رواية الترمذي قال يا رسول الله لا اختار عليك احدا واستشهد زيد في غزوة مؤتة ومات ابنه اسامة بالمدينة او بوادي القرى سنة اربع وخمسين ومنهم ثوبان لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة اربع وخمسين وابو كبشة اوس ويقال سليم من مولدي مكة وشهد بدرا وشقران بضم الشين المعجمة وسكون القاف واسمه صالح الحبشي ويقال فارسي شهد بدرا وهو مملوك ثم عتق قال الحافظ ابن حجر وقال اظنه مات في خلافة عثمان ورباح وهو بفتح الراء والموحدة الاسود وكان يأذن عليه احيانا اذا انفرد وهو الذي اذن لعمر بن الخطاب في المشربة كما تقدم ويسار الراعي وهو الذي قتله العرنيون وزيد وهو ابو يسار وليس زيد بن حارثة والد اسامة ذكره ابن الاثير ومدعم بكسر الميم وفتح العين المهملة عبد اسود كان لرفاعة بن زيد الضبيبي بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة الاولى فاهداه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو رافع واسمه اسلم القبطي وكان للعباس فوهبه النبي صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبي صلى الله عليه وسلم باسلام العباس اعتقه توفي قبل قتل عثمان بيسير ورفاعة بن زيد الجذامي وسفينة واختلف في اسمه فقيل طهمان وقيل كيسان وقيل مهران وقيل غير ذلك وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لانهم كانوا حملوه شيئا كثيرا في السفر ومابور القبطي وهو من جملة ما اهداه المقوقس للنبي صلى الله عليه وسلم وواقد ابو واقد وانجشة الحادي ويأتي ذكره في حدايته عليه السلام ان شاء الله تعالى وسلمان الفارسي ابو عبد الله ويقال له سلمان الخير اصله من اصبهان وقيل من

رام هرمز

رام هرمز واول مشاهده الخندق ومات سنة اربع وثلاثين ويقال بلغ ثلاثمائة سنة وشمعون ابن زيد ابو ريحانة قال الحافظ ابن حجر حليف الانصار ويقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح دمشق وقدم مصر وسكن بيت المقدس وابو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة جد القاضي الجليل بكار بن قتيبة الحنفي قاضي مصر المدفون بها **ومن النساء** ام ايمن الحبشية وسلمى ام رافع زوج ابي رافع ومارية وريحانة وقيصر اخت مارية وغير ذلك قال ابن الجوزي مواليه ثلاثة واربعون واماؤه احدى عشرة

الفصل السادس

في امرائه ورسله وكتابه وكتبه الى اهل الاسلام في الشرائع والاحكام ومكاتباته

اما كتابه صلى الله عليه وسلم فجمع كثير وجم غفير وذكرهم بعض المحدثين في تاليف له بديع استوعب فيه جملا من اخبارهم ونبذا من سيرهم وآثارهم وصدر فيه بالخلفاء الاربعة الكرام خواص حضرته عليه الصلوة والسلام فاولهم في التقديم ابو بكر الصديق وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة وفي الاسلام عبد الله وسمي بالصديق لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله صدقه ويلقب عتيقا لجماله او لانه ليس في نسبه ما يعاب به وقيل لانه عتيق من النار ولي الخلافة سنتين ونصفا وشهرين المصطفى عليه الصلوة والسلام وتوفي مسموما واسلم ابوه ابو قحافة يوم الفتح وتوفي بعد ولده في خلافة عمر واسلمت امه ام الخير سلمى بنت صخر قديما في دار الارقم وعمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى استخلفه ابو بكر فاقام عشر سنين وستة اشهر واربع ليال وقتله ابو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة وعثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية وكانت خلافته احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ثم قتل يوم الدار شهيدا وروي عن عائشة مما ذكره الطبري في فضائله من كتاب الرياض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمستند ظهره الى وان جبريل ليوحي اليه القرآن وانه ليقول له اكتب يا عثيم رواه احمد وروى البيهقي عن جعفر بن محمد عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس جلس ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه وكان كاتب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن ابي طالب واقام في الخلافة اربع سنين وتسعة اشهر وثمانية ايام وتوفي شهيدا على يد شقيه عبد الرحمن بن ملجم واختص على بكتابة الصلح يوم الحديبية وطلحة بن عبيد الله التيمي احد العشرة استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين والزبير بن العوام بن خويلد الاسدي ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه احد العشرة ايضا قتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل قتله عمرو ابن جرموز بوادي السباع غيلة وهو نائم وسعيد بن العاص اخو خالد وابان وابن ابي وقاص وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله عنه وعبد الله بن الارقم القرشي الزهري

كان يكتب الرسائل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الملوك وغيرهم وكتب بعده لابي بكر
ثم لعمر من بعده رضي الله عنهم واستعمله عمر على بيت المال سنة ولايته ثم عثمان من بعده
الى ان استعفى عثمان من الولاية وبقي عاطلا وكان امير المؤمنين عمر يقول في حقه ما رايت
اخشى لله منه مات في خلافة عثمان رضي الله عنهما وأبي بن كعب بضم الهمزة وفتح الموحدة
من سباق الانصار كان يكتب الوحي له صلى الله عليه وسلم وهو احد الستة الذين حفظوا
القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم واحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهده عليه الصلاة
والسلام توفي بالمدينة سنة تسع عشرة وقيل سنة عشرين وقيل غير ذلك وهو الذي كتب
الكتاب لملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندا كما سيأتي ان شاء الله تعالى وثابت بن قيس
ابن شماس استشهد باليمامة وهو الذي كتب كتاب قطن بن حارثة العليمي كما سيأتي ان شاء
الله تعالى وحنظلة بن الربيع الاسيدي الذي غسلته الملائكة حين استشهد وابو سفيان
صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي وابنه معاوية ولي لعمر الشام
واقره عثمان قال ابن اسحاق وكان اميرا عشرين سنة وخليفة امير المؤمنين بعد الحسن بن
علي سبط سيد المرسلين وروينا في مسند الامام احمد من حديث العرباض قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب
وهو مشهور بكتابة الوحي اسلم يوم الفتح فتح مكة ومات في العشر الاخير من رجب سنة
تسع وخمسين وقيل سنة ستين وقد قارب الثمانين وقال ابن عبد البر عن ثنتين وثمانين
سنة والله اعلم واخوه يزيد بن ابي سفيان بن حرب امره عمر على دمشق حتى مات بها سنة
عشرة بالطاعون فوليها بعده اخوه معاوية حتى جرته الى الخلافة وكان يزيد رضي
الله عنه من سروات الصحابة وسادتهم اسلم يوم الفتح ايضا واعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من غنائم حنين مائة بعير واربعين اوقية وزنها له بلال رضي الله عنه وزيد
ابن ثابت بن الضحاك الانصاري النجاري مشهور بكتابة الوحي مات سنة خمسين او ثمان
واربعين وقيل بعد الخمسين وكان احد فقهاء الصحابة وهو احد من جمع القرآن في خلافة
ابي بكر ونقله الى المصحف في زمن عثمان وشرحبيل بن حسنة وهي امه وهو قديم كاتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم والعلاء بن الحضرمي وخالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي سيف الله
اسلم بين الحديبية والفتح مات سنة احدى واثنين وعشرين وعمرو بن العاص بن وائل
السهمي فاتح مصر في ايام امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما اسلم عام الحديبية وولي امرة
مصر مرتين ومات بها سنة نيف واربعين وقيل بعد الخمسين والمغيرة بن شعبة الثقفي
اسلم قبل الحديبية وولي امرة البصرة ثم الكوفة مات سنة خمسين على الصحيح وعبد الله بن
رواحة الخزرجي الانصاري احد السابقين شهد بدرا واستشهد بمؤتة ومعيقيب
وآخره موحدة مصغرا ابن ابي فاطمة الدوسي من السابقين الاولين وشهد المشاهد مات
في خلافة عثمان او علي وحذيفة بن اليمان من السابقين صح في مسلم انه صلى الله عليه وسلم اعلمه

بما كان

بما كان وما يكون الى ان تقوم الساعة وابوه صحابي ايضا استشهد باحد ومات حذيفة
في اول خلافة علي سنة ست وثلاثين وحويطب بن عبد العزى العامري اسلم يوم الفتح
عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة اربع وخمسين وله كتاب اخر سوى هؤلاء ذكروا في
الكتاب الذي تقدم ذكره وكان معاوية وزيد بن ثابت الزمهم لذلك واخصهم بها قاله
الحافظ ابن حجر وقد كتب له قبل زيد بن ثابت ابي بن كعب وهو اول من كتب له بالمدينة
واول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد بن ابي سرح ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام
يوم الفتح وممن كتب له في الجملة اكثر من غيره الخلفاء الاربعة وابان وخالد ابنا سعيد بن العاص
ابن امية وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى اهل الاسلام كتبا في الشرائع
والاحكام منها كتابه في الصدقات الذي كان عند ابي بكر وكتبه ابو بكر لانس لما وجهه
الى البحرين ولفظه كما عند البخاري وابي داود والنسائي بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة
الصدقة التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والتي امر الله بها رسوله
فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعط في اربع وعشرين
من الابل فما دونها من الغنم في كل خمس شاة فاذا بلغت خمسا وعشرين الى خمس وثلاثين ففيها
بنت مخاض انثى فان لم تكن بنت مخاض فابن لبون ذكر فاذا بلغت ستا وثلاثين الى خمس
واربعين ففيها بنت لبون انثى فاذا بلغت ستا واربعين الى ستين ففيها حقة طروقة
الجمل فاذا بلغت احدى وستين الى خمس وسبعين ففيها جذعة فاذا بلغت ستا وسبعين
الى تسعين ففيها ابنتا لبون فاذا بلغت احدى وتسعين الى عشرين ومائة ففيها حقتان
طروقتا الجمل فاذا زادت على عشرين ومائة ففي كل اربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة
ومن لم يكن معه الا اربع من الابل فليست فيها صدقة الا ان يشاء ربها فاذا بلغت خمسا
من الابل ففيها شاة ومن بلغت عنده من الابل صدقة الجذعة وليست عنده جذعة
وعنده حقة فانها تقبل منه الحقة ويجعل معها شاتين ان استيسرتا له او عشرين درهما
ومن بلغت عنده صدقة الحقة وعنده الجذعة فانها تقبل منه الجذعة ويعطيه المصدق
عشرين درهما او شاتين ومن بلغت عنده صدقة الحقة وليست عنده الا ابنة لبون
فانها تقبل منه بنت لبون ويعطي شاتين او عشرين درهما ومن بلغت صدقته بنت لبون
وعنده الحقة فانها تقبل منه الحقة ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين ومن بلغت
عنده صدقة بنت لبون وليست عنده وعنده بنت مخاض فانها تقبل منه بنت المخاض ويعطي
معها عشرين درهما او شاتين ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست عنده وعنده
بنت لبون فانها تقبل منه بنت لبون ويعطيه المصدق عشرين درهما او شاتين فان لم يكن
عنده بنت مخاض على وجهها وعنده ابن لبون فانه يقبل منه وليس معه شيء وفي صدقة
الغنم في سائمتها اذا بلغت اربعين الى عشرين ومائة شاة شاة فان زادت على عشرين
ومائة الى مائتين ففيها شاتان فان زادت على مائتين الى ثلاثمائة ففيها ثلاث شياه فاذا

زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة من اربعين شاة شاة
واحدة فليس فيها صدقة الا ان يشاء ربها ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع
خشية الصدقة وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية ولا يخرج في الصدقة
هرمة ولا ذات عوار ولا تيس الا ان يشاء المصدق **وفي الرقة** ربع العشر فان لم تكن
الا تسعين ومائة فليس فيها صدقة الا ان يشاء ربها والرقة الدراهم المضروبة والهاء
فيه عوض من الواو المحذوفة في الورق قاله ابن الاثير في الجامع **وقال** في فتح الباري
وهو بكسر الراء وتخفيف القاف الفضة الخالصة سواء كانت مضروبة او غير مضروبة
ومنها كتابه الذي كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نصب الزكوة وغيرها
كما رواه ابو داود والترمذي عن سالم عن ابيه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كتب صلى
الله عليه وسلم كتاب الصدقة ولم يخرجه الى عماله وقرنه بسيفه حتى قبض فعمل به ابو بكر حتى
قبض ثم عمل به عمر حتى قبض وكان فيه في خمس من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمس عشرة
ثلاث شياه وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان زادت
واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس واربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان
زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى
تسعين فان زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت الابل اكثر من ذلك
ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون وفي الغنم في كل اربعين شاة شاة الى عشرين
ومائة فان زادت واحدة فشاتان الى مائتين فان زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه
الى ثلاثمائة فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ
المائة ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة وما كان من الخليطين
فانهما يتراجعان بينهما بالسوية ولا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عيب قال الزهري
واذا جاء المصدق قسم الشاء اثلاثا ثلث خيار وثلث اوساط وثلث شرار واخذ من الوسط
رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح انتهى قال ورواه يونس وغير واحد عن
الزهري عن سالم ولم يرفعه **وقال** ابن الاثير في النهاية الخليط المخالط يريد به الشريك
الذي يخلط ماله بمال شريكه والتراجع بينهما هو ان يكون لاحدهما مثلا اربعون بقرة وللآخر
ثلاثون بقرة وما لهما مختلط فياخذ الساعي عن الاربعين مسنة وعن الثلاثين تبيعا
فيرجع باذل المسنة بثلاثة اسباعها على شريكه وباذل التبيع باربعة اسباعه على شريكه لان
كل واحد من السنين واجب على الشيوع كان المال ملك واحد انتهى **وقال** في فتح الباري
واختلف في المراد بالخليط فعند ابي حنيفة انه الشريك واعترض عليه بان الشريك لا يعرف
عين ماله وقد قال انهما يتراجعان بينهما بالسوية ومما يدل على ان الخليط لا يستلزم ان
يكون شريكا قوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وقد بينه قبل ذلك بقوله ان هذا اخي له تسع
وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة واعتذر بعضهم عن الحنفية بانهم لم يبلغهم هذا الحديث

او زادوا ان الاصل قوله ليس فيما دون خمس ذود صدقة وحكم الخلطة يغاير هذا الاصل
فلم يقولوا به **وقال** ابو حنيفة لا يجب على احد منهم فيما يملك الا مثل الذي يجب
عليه لو لم تكن خلطة وقال سفيان الثوري لا يجب حتى يتم لهذا اربعون شاة ولهذا
اربعون شاة **وقال** الشافعي واحمد واصحاب الحديث اذا بلغت ماشيتهما النصاب
زكيا والخلطة عندهم ان يجتمعا في المسرح والمبيت والحوض والفحل والشركة اخص منها
انتهى **ومنها كتابه** عليه السلام الى اهل اليمن وهو كتاب جليل فيه من انواع
الفقه في الزكوة والديات والاحكام وذكر الكبائر والطلاق والعتاق واحكام الصلوة
في الثوب الواحد والاحتباء فيه ومس المصحف وغير ذلك واحتج الفقهاء كلهم بما فيه من
مقادير الديات ورواه النسائي وقال قد روى هذا الحديث يونس عن الزهري مرسلا
وابو حاتم في صحيحه وغيرهما متصلا عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن وكان في كتابه ان من اعتبط مؤمنا
قتلا عن بينة فانه قود الا ان يرضى اولياء المقتول وفيه ان الرجل يقتل بالمرأة وفيه
في النفس الدية مائة من الابل وعلى اهل الذهب الف دينار وفي الانف اذا اوعب جدعه
الدية مائة من الابل وفي اللسان الدية وفي الشفتين الدية وفي البيضتين الدية وفي
الذكر الدية وفي الصلب الدية وفي العينين الدية وفي الرجل الواحدة نصف الدية وفي
المأمومة ثلث الدية وفي الجائفة ثلث الدية وفي المنقلة خمس عشرة من الابل وفي كل
اصبع من اصابع اليد والرجل عشر من الابل وفي السن خمس من الابل وفي رواية مالك
وفي العين خمسون وفي اليد خمسون وفي الرجل خمسون وفي الموضحة خمس من الابل انتهى
واما مكاتباته عليه السلام الى الملوك وغيرهم **فروى** انه لما رجع
عليه السلام من الحديبية كتب الى الروم فقيل له انهم لا يقرؤون كتابا الا ان يكون مختوما
فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر
وختم الكتاب وانما كانوا لا يقرؤون الكتاب الا مختوما خوفا من كشف اسرارهم وللاشعار
بان الاحوال المعروضة عليهم ينبغي ان تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وعن انس ان ختم
كتاب السلطان والقضاة سنة متبعة وقال بعضهم هو سنة لفعله صلى الله عليه وسلم
فكتب الى قيصر المدعو هرقل ملك الروم يومئذ ثم قال بعد تمام كتابة الكتاب من
ينطلق بكتابي هذا الى قيصر وله الجنة فقالوا وان لم يصل يا رسول الله قال وان لم يصل
فاخذه دحية بن خليفة الكلبي وتوجه الى حمص فكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
رسول الله وفي رواية البخاري عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم وفي رواية غير
البخاري الى قيصر صاحب الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية
الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا

بعضنا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون رواه البخاري وكان
ارساله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب مع دحية بن خليفة الكلبي في آخر سنة ست بعد ان
رجع من الحديبية كما قاله الواقدي ووقع في تاريخ ابن خليفة ان ارساله كان في سنة خمس
والاول اثبت بل هذا غلط لتصريح ابي سفيان بان ذلك كان في مدة صلح الحديبية كما في
حديثا البخاري في المدة التي كان عليه السلام ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش يعني مدة
صلح الحديبية وكانت سنة ست اتفاقا ولم يقل صلى الله عليه وسلم الى هرقل ملك الروم
لانه معزول بحكم الاسلام ولم يخله من الاكرام لمصلحة التاليف وقوله يؤتك الله اجرك مرتين
اي لكونه مؤمنا بنبيه ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله فان عليك اثم الاريسيين
اي فان عليك مع اثمك اثم الاتباع بسبب انهم اتبعوك على استمرار الكفر وقيل انه عليه
السلام كتب هذه الآية يعني يا اهل الكتاب قبل نزولها فوافق لفظه لفظها لما نزلت
لان هذه الآية نزلت في قصة وفد نجران وكانت قصتهم سنة الوفود سنة تسع وقصة
ابي سفيان هذه كانت قبل ذلك سنة ست وقيل نزلت في اليهود وجوز بعضهم نزولها
مرتين وهو بعيد والله اعلم ولما قرا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم غضب ابن اخي قيصر غضبا
شديدا وقال ارني الكتاب فقال له وما تصنع به فقال انه بدا بنفسه وسماك صاحب الروم
فقال له عمه والله انك لضعيف الراي اتريد ان ارمي كتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر او كلاما
هذا معناه اولى ان ارمي بكتاب ولم اعلم ما فيه لئن كان رسول الله لاحق ان يبدا بنفسه
ولقد صدق انا صاحب الروم والله مالكي وما لكم ثم امر بانزال دحية واكرامه الى ان كان من
امره ما ذكره البخاري في حديثه انتهى وكتب صلى الله عليه وسلم الى كسرى ابرويز بن هرمز
ابن انوشروان ملك فارس بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس
سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله ادعوك بداعية الله عز وجل فاني رسول الله الى الناس كلهم لينذر من كان
حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان ابيت وتوليت فعليك اثم المجوس فلما قرئ
عليه الكتاب شققه ومزقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مزق ملكه
وفي البخاري من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه الى كسرى
مع عبد الله بن حذافة السهمي فامره ان يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى
فلما قراه مزقه فحسبت ان ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يمزقوا كل ممزق وقيل بعثه مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي في البخاري هو الصحيح
وفي كتاب الاموال لابي عبيد من مرسل عمر بن اسحاق قال كتب رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى كسرى وقيصر فاما كسرى فلما قرا الكتاب مزقه واما قيصر فلما قرا الكتاب طواه
ثم رفعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هؤلاء فيمزقون واما هؤلاء فستكون لهم
بقية وروي انه لما جاءه جواب كسرى قال مزق ملكه ولما جاء جواب هرقل قال ثبت ملكه

وذكر

وذكر شيخ الاسلام ابو الفضل ابن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه فتح الباري عن
سيف الدين قلج المنصوري احد امراء الدولة القلاوونية انه قدم على ملك الغرب
بهدية من الملك المنصور قلاوون فارسله ملك الغرب الى ملك الفرنج في شفاعة
وانه قبله واكرمه وقال لاتحفنك بتحفة سنية فاخرج له صندوقا مصفحا بذهب
فاخرج منه مقلمة من ذهب فاخرج منها كتابا قد زالت اكثر حروفه وقد التصقت عليه
خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن واوصانا
آباؤنا عن آبائهم الى قيصر انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا فنحن نحفظه
غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا انتهى وكتب
صلى الله عليه وسلم الى النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك
الحبشة اما بعد فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن واشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة
فحملت بعيسى حملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني ادعوك الى الله وحده لا شريك
له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك
وجنودك الى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي وقد بعثت اليكم ابن عمي
جعفرا ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى وبعث الكتاب مع عمرو بن امية
الضمري فقال النجاشي له عندما قرا الكتاب اشهد بالله انه النبي الامي الذي ينتظره اهل
الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وان العيان ليس باشفى من
الخبر عنه ولكن اعواني من الجيش قليل فانظر حتى اكثر الاعوان والين القلوب انتهى ثم
كتب النجاشي جواب الكتاب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد
رسول الله من النجاشي اصحمة سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته الذي لا اله الا
هو الذي هداني للاسلام اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من امر عيسى
فورب السماء والارض ان عيسى عليه السلام لا يزيد على ما ذكرت ثفروقا انه كما ذكرت وقد
عرفت ما بعثت به الينا فاشهد انك رسول الله صادقا مصدقا وقد تابعتك وبايعت
ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين وقد بعثت اليك بابني وان شئت ان آتيك
بنفسي يا رسول الله فاني اشهد ان ما تقول حق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم انه
ارسل ابنه في ستين من عنده مع جعفر بن ابي طالب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا
سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام
فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن
وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام وفيهم انزل الله تعالى ولتجدن
اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الى آخر الآية لانهم كانوا من اصحاب الصوامع

انتهى والتعرف علاقة ما بين النبوة والبعثة وهذا هو اصحمة الذى هاجر اليه المسلمون
فى رجب سنة خمس من البعثة وكتب له النبى صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام
مع عمرو بن امية سنة ست من الهجرة فآمن به واسلم على يدى جعفر بن ابى طالب وتوفى فى
رجب سنة تسع ونعاه النبى صلى الله عليه وسلم يوم توفى وصلى عليه بالمدينة واما النجاشى
الذى ولى بعده وكتب له النبى صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام فكان كافرا لم يعرف
اسلامه ولا اسمه وقد خلط بعضهم ولم يميز بينهما وفى صحيح مسلم عن قتادة ان نبى الله
صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشى والى كل جبار يدعوهم الى الله
وليس بالنجاشى الذى صلى عليه وكتب عليه السلام الى المقوقس ملك مصر والاسكندرية
واسمه جريج بن مينا بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط
سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك
مرتين فان توليت فعليك اثم القبط ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا
نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا
اشهدوا بانا مسلمون وبعث به مع حاطب بن ابى بلتعة فتوجه اليه الى مصر فوجده بالاسكندرية
فذهب اليها فرآه فى مجلس مشرف على البحر فركب سفينة اليه وحاذى مجلسه واشار بالكتاب اليه
فلما رآه امر باحضاره بين يديه فلما جئ به اليه ووقف بين يديه ونظر الى الكتاب فضه
وقراه وقال لحاطب ما منعه ان كان نبيا ان يدعو على فيسلط على فقال له حاطب وما منع
عيسى ان يدعو على من خالفه ان يسلط عليه فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت فقال له
حاطب انه كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم
به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك فقال ان لنا دينا لن ندعه الا لما هو خير
منه فقال حاطب ندعوك الى دين الله وهو الاسلام الكافى به الله فقد ما سواه ان هذا النبى
صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له يهود واقربهم منه
النصارى ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا
اياك الى القرآن الا كدعائك اهل التورية الى الانجيل وكل نبى ادرك قوما فهم من امته فالحق
عليهم ان يطيعوه فانت ممن ادركه هذا النبى ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نامرك
به فقال المقوقس انى قد نظرت فى امر هذا النبى فوجدته لا يامر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب
فيه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء
والاخبار بالنجوى وسانظر واخذ كتاب النبى صلى الله عليه وسلم فجعله فى حق من عاج ودفعه
لجارية له ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبى صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط اما بعد فقد قرات كتابك وفهمت ما ذكرت فيه
وما تدعوا اليه وقد علمت ان نبيا قد بقى وكنت اظن ان يخرج من الشام وقد اكرمت رسولك
وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة واهديت لك بغلة لتركبها

والسلام

والسلام ولم يزد على هذا ولم يسلم وكتب صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى
ذكر الواقدى باسناده عن عكرمة قال وجدت هذا الكتاب فى كتب ابن عباس بعد موته
فنسخته فاذا فيه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن ساوى
وكتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فكتب المنذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
بعد يا رسول الله فانى قرات كتابك على اهل البحرين فمنهم من احب الاسلام واعجبه ودخل
فيه ومنهم من كرهه وبارضى يهود ومجوس فاحدث الى فى ذلك امرك فكتب اليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك
فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اما بعد
فانى اذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلى ويتبع امرهم
فقد اطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وان رسلى قد اثنوا عليك خيرا وانى قد شفعتك فى
قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح
فلن نعزلك عن عملك ومن اقام على يهودية او مجوسية فعليه الجزية وكتب عليه السلام
الى ملكى عمان وبعثه مع عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر
وعبد ابنى الجلندا سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوكما بدعاية الاسلام اسلما تسلما
فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما
بالاسلام وليتكما وان ابيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلى تحل بساحتكما
وتظهر نبوتى على ملككما وكتب ابى بن كعب وختم الكتاب قال عمرو فخرجت حتى انتهيت
الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان احلم الرجلين واسهلهما خلقا فقلت انى رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخى المقدم على بالسن والملك وانا
اوصلك اليه حتى تقرا كتابك عليه ثم قال وما تدعوا اليه قلت ادعوك الى الله وحده لا شريك
له وتخلع ما عبد من دونه وتشهد ان محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك ابن سيد قومك
فكيف صنع ابوك فان لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت
انه كان اسلم وصدق به وقد كنت على مثل رايه حتى هدانى الله للاسلام قال فمتى تبعته قلت
قريبا فسالنى اين كان اسلامك قلت عند النجاشى واخبرته ان النجاشى قد اسلم قال فكيف
صنع قومه بملكه قلنا اقروه واتبعوه قال والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم قال
انظر يا عمرو ما تقول انه ليس من خصلة افضح له من كذب قلت ما كذبت وما نستحله فى
ديننا ثم قال فاخبرنى ما الذى يامر به وينهى عنه قلت يامر بطاعة الله عز وجل وينهى
عن معصيته ويامر بالبر والصلة والرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر
وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال ما احسن هذا الذى يدعوا اليه ولو كان اخى يتابعنى
لركبنا حتى نؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصدق به ولكن اخى اضن بملكه من ان يدعه ويصير
ذنبا قلت انه ان اسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فاخذ الصدقة من غنيهم فردها

على فقرائهم قال ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فاخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الصدقات في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو يوخذ من سوائم مواشينا
التي ترعى الشجر وترد المياه فقلت نعم فقال والله ما ارى قومي في بعد دارهم وكثرة
عددهم يطيعون بهذا قال فمكثت ببابه اياما وهو يصل الى اخيه فيخبره كل خبري ثم انه
دعاني يوما فدخلت عليه فاخذ اعوانه بضبعي فقال دعوه فارسلت فذهبت لاجلس
فابوا ان يدعوني اجلس فنظرت فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض
ختمه وقراه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى اخيه فقراه مثل قراءته الا اني رايت اخاه ارق منه
فقال الا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب في الدين واما مقهور بالسيف
قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى
الله انهم كانوا في ضلال فما اعلم احدا بقي غيرك في هذه الحرجة وان لم تسلم اليوم وتتبعه
يوطئك الخيل فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال
دعني يومي هذا وارجع الي غدا فرجعت الى اخيه فقال يا عمرو اني لارجو ان يسلم ان لم يضن
بملكه حتى اذا كان الغد اتيت اليه فابى ان ياذن لي فانصرفت الى اخيه فاخبرته اني لم اصل
اليه فاوصلني اليه فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما
في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله الفت قتالا ليس كقتال من لاقى فقلت وانا
خارج غدا فلما ايقن بمخرجي خلا به اخوه فاصبح فارسل الي فاجابا الى الاسلام هو واخوه جميعا
وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي
عونا على من خالفني **وكتب** صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن علي
وارسله مع سليط بن عمرو العامري بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة
ابن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم
واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما
انزله وحياه واقترا عليه الكتاب فرد ردا دون رد وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم ما
احسن ما تدعو اليه واجمله والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الامر اتبعك واجاز سليطا
بجائزة وكساه اثوابا من نسج هجر فقدم بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقرا
النبي صلى الله عليه وسلم كتابه وقال لو سالني سيابة من الارض ما فعلت باد وباد ما في يده
فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام اخبره بان هوذة مات
فقال صلى الله عليه وسلم اما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي فكان كذلك
وكتب صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن ابي شمر الغساني وكان بدمشق بغوطتها
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدى
وآمن بالله وصدق واني ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك
وارسله مع شجاع بن وهب وقال صاحب باعثنا النفوس وعن ابي هند الداري

قال

قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ستة نفر تميم بن اوس الداري واخوه
نعيم ويزيد بن قيس وابو عبد الله بن عبد الله وهو صاحب الحديث واخوه الطيب بن عبد الله
فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وفاكهة بن النعمان فاسلمنا وسالنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يقطعنا ارضا من ارض الشام فقال عليه الصلوة والسلام سلوا
حيث شئتم قال ابو هند فنهضنا من عنده صلى الله عليه وسلم الى موضع نتشاور فيه
اين نسال فقال تميم ارى ان نساله بيت المقدس وكورتها فقال ابو هند ارايت ملك
العجم اليوم اليس هو بيت المقدس قال تميم نعم فقال ابو هند فكذلك يكون فيه ملك العرب
واخاف ان لا يتم لنا هذا قال تميم نساله بيت جبرون وكورتها فقال ابو هند اكبر واكبر
فقال تميم فاين ترى ان نساله فقال ارى ان نساله القرى التي نصنع فيها حصوننا
مع ما فيها من آثار ابرهيم عليه السلام فقال تميم اصبت ووفقت قال فنهضنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا تميم اتحب ان تخبرني بما كنتم فيه او اخبركم فقال تميم
بل تخبرنا فنزداد ايمانا فقال عليه السلام اردت يا تميم امرا واراد هذا غيره ونعم الراي
راي ابي هند فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعة من ادم وكتب لنا فيها كتابا نسخته
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
للداريين اذا اعطاه الله الارض وهب لهم بيت عينون وجبرون والمرطوم وبيت
ابرهيم ومن فيهم الى ابد الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل
ابن حسنة وكتب قال ثم دخل بالكتاب الى منزله فعالج في زاوية الرقعة بشيء لا يعرف
وعقد من خارج الرقعة بسير عقدتين وخرج الينا به مطويا وهو يقول ان اولى الناس
بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ثم قال انصرفوا حتى
تسمعوا اني هاجرت قال ابو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا
عليه وسالناه ان يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا
ما انطى محمد رسول الله لتميم الداري واصحابه اني انطيتكم بيت عينون وجبرون والمرطوم
وبيت ابرهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم
من بعدهم ابد الابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد ابو بكر بن ابي قحافة وعمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وكتب فلما قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر وجند الجنود الى الشام كتب كتابا نسخته
بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر الصديق الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد
اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فامنع من كان يؤمن بالله واليوم الاخر من الفساد
في قرى الداريين وان كان اهلها قد جلوا عنها واراد الداريون يزرعونها فليزرعوها
واذا رجع اليها اهلها فهي لهم واحق والسلام عليك ۞ نقل من كتاب اسعاف الاخصاء
بفضائل المسجد الاقصى **وكتب** صلى الله عليه وسلم ليوحنا بن روبة

صاحب ايلة لما اتاه بتبوك وصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه الجزية بسم الله
الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنة بن روبة واهل ايلة سفنهم
وسايرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معه من اهل الشام واهل اليمن
واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه
من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر او بحر هذا كتاب
جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكتب**
صلى الله عليه وسلم لاهل جربا واذرح لما اتوه بتبوك ايضا واعطوه الجزية بسم الله
الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لاهل اذرح انهم آمنون بامان الله وامان
محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل عليهم بالنصح والاحسان الى
المسلمين ومن لجأ اليهم من المسلمين في المخافة وعن حسين بن عبد الله بن ضميرة عن ابيه
عن جده ضميرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بام ضميرة وهي تبكي فقال ما يبكيك
اجائعة انت ام عارية فقالت يا رسول الله فرق بيني وبين ابني فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يفرق بين الوالدة وولدها ثم ارسل الى الذي عنده ضميرة فدعاه فابتاعه
منه ببكر قال ابن ابي ذئب ثم اقراني كتابا عنده بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد
رسول الله لابي ضميرة واهل بيته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقهم وانهم اهل بيت
من العرب ان احبوا اقاموا عند رسول الله وان احبوا رجعوا الى قومهم فلا يعرض لهم الا
بحق ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيرا وكتب ابي بن كعب **وكتب** عليه
السلام كتابا الى اهل وج سيأتي في وفد ثقيف في الفصل العاشر من هذا المقصد
ان شاء الله تعالى وكذا كتابه عليه السلام الى مسيلمة الكذاب في وفد بني حنيفة
وكتب عليه السلام لاكيدر ولاهل دومة الجندل لما صالحه بسم الله الرحمن الرحيم
هذا كتاب من محمد رسول الله لاكيدر ولاهل دومة ان لنا الضاحية من الضحل والبور
والمعامي واغفال الارض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل
والمعين من المعمور لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون
الصلوة لوقتها وتؤتون الزكوة بحقها عليكم بذلك عهد الله والميثاق ولكم به الصدق
والوفاء شهد الله ومن حضر من المسلمين والضاحي البارز الظاهر والضحل الماء القليل
والبور الارض تستخرج والمعامي اغفال الارض والحصن دومة الجندل والضامنة
النخل الذي معهم في الحصن والمعين الظاهر من الماء الدائم **وباع** صلى الله عليه وسلم
للعداء عبدا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة
من محمد رسول الله اشترى عبدا او امة شك الراوي لا داء ولا غائلة ولا خبثة بيع المسلم
المسلم رواه ابو داود والدارقطني والغائلة الاباق والسرقة والزنا والخبثة قال
ابن ابي عروبة بيع اهل عهد المسلمين وكان اسلام العداء بعد فتح خيبر وهذا يدل على

مشروعية الاشهاد في المعاملات قال الله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم والامر هنا ليس للوجوب
فقد باع عليه السلام ولم يشهد واشترى ورهن درعه عند يهودي ولم يشهد ولو كان
الاشهاد امرا واجبا لوجب مع الرهن خوف المنازعة والله اعلم **واما امراؤه**
عليه السلام فمنهم باذان بن ساسان من ولد بهرام امره صلى الله عليه وسلم على اليمن
وهو اول امير في الاسلام على اليمن واول من اسلم من ملوك العجم وامر صلى الله عليه وسلم
على صنعاء خالد بن سعيد وولى زياد بن لبيد الانصاري حضرموت **وولى** ابا موسى
الاشعري زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل الجند وولى ابا سفيان بن حرب نجران
وولى ابنه يزيد تيماء وولى عتاب بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية ابن اسيد بفتح الهمزة
وكسر السين المهملة مكة واقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان وولى علي بن ابي طالب القضاء
باليمن وولى عمرو بن العاص عمان واعمالها وولى ابا بكر الصديق اقامة الحج سنة تسع وبعث
في اثره عليا فقرأ على الناس براءة فقيل لان اولها نزل بعد ان خرج ابو بكر الى الحج وقيل اردفه
ليكونا له عونا ومساعدا ولهذا قال له الصديق امير او مأمور قال بل مأمور واما الرافضة
فقالوا بل عزله وهذا لا يستبعد من بهتهم وافترائهم **وقد** ولى عليه السلام الصدقات جماعة
كثيرة **واما رسله** صلى الله عليه وسلم فقد روي انه عليه السلام بعث ستة نفر في
يوم واحد في المحرم سنة سبع وذكر القاضي عياض في الشفا مما عزاه للواقدي انه اصبح كل رجل
منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم انتهى وكان اول رسول بعثه صلى الله عليه وسلم عمرو
ابن امية الضمري الى النجاشي ملك الحبشة وكتب اليه كتابين يدعوه في احدهما الى الاسلام
ويتلو عليه القرآن فاخذه النجاشي ووضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم اسلم
وشهد شهادة الحق وقال لو كنت استطيع ان آتيه لاتيته وفي الكتاب الآخر ان يزوجه
ام حبيبة بنت ابي سفيان فزوجه اياها كما تقدم في ذكر الازواج ودعا بحق من عاج فجعل فيه
كتابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين
اظهرهم وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالحبشة كذا قاله الواقدي وغيره وليس
كذلك فان النجاشي الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو الذي كتب اليه
كما قدمته **وبعث** عليه السلام دحية بن خليفة الكلبي وهو احد الستة الى قيصر ملك
الروم واسمه هرقل يدعوه الى الاسلام فهم بالاسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه
فامسك وبعث عبد الله السهمي الى كسرى وهو الثالث وبعث الرابع وهو حاطب بن ابي بلتعة
الى المقوقس فاكرمه وبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم بجاريتين وكسوة وبغلة ولم يسلم وبعث
الخامس وهو شجاع بن وهب الاسدي الى ملك البلقاء الحارث بن ابي شمر الغساني وبعث
السادس وهو سليط بن عمرو العامري الى هوذة والى ثمامة بن اثال الحنفي فاسلم ثمامة
وبعث عمرو بن العاص في القعدة سنة ثمان الى جيفر وعبد ابني الجلندى بعمان فاسلما
وصدقا وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من

الجعرانة وقيل قبل الفتح فاسلم وصدق **وبعث** المهاجر بن ابي امية المخزومي الى الحارث بن
كلال الحميري باليمن فقال سانظر في امري وبعث ابا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل الى اليمن
عند انصرافه من تبوك سنة عشر في ربيع الاول داعيين الى الاسلام فاسلم عامة اهلها من غير
قتال ثم بعث علي بن ابي طالب بعد ذلك اليهم ووافاه بمكة في حجة الوداع وبعث جرير بن
عبد الله البجلي الى ذي الكلاع وذي عمرو يدعوهم الى الاسلام فاسلما وتوفي صلى الله عليه وسلم
وجرير عندهم وبعث عمرو بن امية الضمري الى مسيلمة الكذاب بكتاب وبعث الى فروة بن
عمرو الجذامي وكان عاملا لقيصر يدعوه الى الاسلام فاسلم وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم
باسلامه وبعث اليه بهدية مع مسعود بن سعد وهي بغلة شهباء يقال لها فضة وفرس يقال
له الظرب وحمار يقال له يعفور وبعث اليه اثوابا وقباء سندسيا مذهبا فقبل هديته
ووهب لمسعود بن سعد اثنا عشر اوقية **وبعث** المصدقين لاخذ الصدقات هلال
المحرم سنة تسع فبعث عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم وبعث بريدة ويقال كعب بن مالك
الى اسلم وغفار وبعث عباد بن بشر الى سليم ومزينة وبعث رافع بن مكيث الى جهينة وبعث
عمرو بن العاص الى فزارة وبعث الضحاك بن سفيان الى بني كلاب وبعث بشر بن سفيان
الكعبي ويقال النحام العدوي الى بني كعب وبعث عبد الله بن اللتبية الى ذبيان وبعث
رجلا من سعد هذيم الى قومه

الفصل السابع

في مؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه **اما مؤذنوه** فاربعة اثنان
بالمدينة بلال بن رباح وامه حمامة مولى ابي بكر الصديق وهو اول من اذن لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يؤذن بعده لاحد من الخلفا الا ان عمر لما قدم الشام حين فتحها اذن بلال فتذكر
الناس النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم مولى عمر فلم ار باكيا اكثر من يومئذ وتوفي بلال
سنة سبع عشرة او ثمان عشرة او عشرين بداريا بباب كيسان وله بضع وستون سنة وقيل
دفن بحلب وقيل بدمشق وعمرو بن ام مكتوم القرشي الاعمى وهاجر الى المدينة قبل النبي
صلى الله عليه وسلم واذن له عليه السلام بقبا سعد بن عائذ او ابن عبد الرحمن المعروف
بسعد القرظ وبالقرظي مولى عمار بقي الى ولاية الحجاج على الحجاز سنة اربع وسبعين وبمكة
ابو محذورة واسمه اوس الجمحي المكي ابوه مغير بكسر الميم وسكون المهملة وفتح التحتانية مات
بمكة سنة تسع وخمسين وقيل تاخر بعد ذلك وكان منهم من يرجع الاذان ويثني الاقامة
وبلال لا يرجع ويفرد الاقامة فاخذ الشافعي باقامة بلال واهل مكة اخذوا باذان
ابي محذورة واقامة بلال واخذ ابو حنيفة واهل العراق باذان بلال واقامة ابي محذورة
واخذ احمد واهل المدينة باذان بلال واقامته وخالفهم مالك في موضعين اعادة التكبير
وتثنية لفظ الاقامة **واما شعراؤه** عليه السلام الذين يذبون عن الاسلام
فكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة الخزرجي الانصاري وحسان بن ثابت بن المنذر

ابن عمرو بن حرام الانصاري دعا له عليه السلام فقال اللهم ايده بروح القدس فيقال اعانه
جبريل بسبعين بيتا وفي الحديث ان جبريل مع حسان ما نافح عني وهو بالحاء المهملة اي دافع
والمراد هجاء المشركين ومجاوبتهم على اشعارهم وعاش مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية
وستين في الاسلام وكذا عاش ابوه ثابت وجده المنذر وجد ابيه حرام كل واحد منهم مائة
وعشرين سنة وتوفي حسان سنة اربع وخمسين ولما جاءه عليه السلام بنو تميم وشاعرهم
الاقرع بن حابس فنادوه يا محمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا
شين فلم يرد عليه السلام على ان قال ذاك الله اذا امدح زان واذا ذم شان اني لم ابعث
بالشعر ولم اومر بالفخر ولكن هاتوا فامر عليه السلام ثابت بن قيس ان يجيب خطيبهم
فخطب فغلبهم فقام الاقرع بن حابس شاعرهم فقال

اتيناك كيما تعرف الناس فضلنا	اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤس الناس من كل معشر	وان ليس في ارض الحجاز كدارم

فامر النبي صلى الله عليه وسلم حسانا ان يجيبهم فقام فقال

بني دارم لا تفخروا ان فخركم	يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وانتم	لنا خول ما بين قن وخادم

وكان اول من اسلم شاعرهم وكان اشد شعرائه عليه السلام على الكفار حسانا وكعبا
ولما رجع عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد همدان عليهم مقطعات الحبرات والعمائم
العدنية جعل مالك بن نمط يرتجز بين يديه عليه السلام وكان خطيبه عليه السلام ثابت
ابن قيس بن شماس بمعجمة وميم مشددة وآخره مهملة وهو خزرجي شهد له صلى الله عليه وسلم
بالجنة وكان خطيبه وخطيب الانصار واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة **وكان**
يحدو بين يديه عليه السلام في السفر عبد الله بن رواحة وفي رواية الترمذي في الشمائل
عن انس انه عليه السلام دخل مكة في عمرة القضية وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول

خلوا بني الكفار عن سبيله	اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله	ويذهل الخليل عن خليله

وقد تقدم مزيد لهذا في عمرة القضية والله اعلم وعامر بن الاكوع بفتح الهمزة وسكون الكاف
وفتح الواو وبالعين المهملة وهو عم سلمة بن الاكوع واستشهد يوم خيبر ومرت قصته في
غزوتها وانجشة العبد الاسود وهو بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم وبالشين المعجمة
وكان حسن الحداء قال انس كان البراء بن مالك يحدو بالرجال وانجشة يحدو بالنساء وقد كان
يحدو وينشد القريض والرجز فقال له عليه السلام كما في رواية البراء بن مالك رويدك رفقا
بالقوارير اي النساء فشبههن بالقوارير من الزجاج لانه يسرع اليها الكسر فلم يامن عليه السلام
ان يصيبهن او يقع في قلوبهن حداؤه فامره بالكف عن ذلك وفي المثل الغناء رقية الزنا وقيل
اراد ان الابل اذا سمعت الحداء اسرعت في المشي واشتدت فازعجت الراكب واتعبته فنهاه عن

ذلك لان النساء يضعفن عن شدة الحركة

الفصل الثامن

في آلات حروبه عليه الصلوة والسلام كدروعه وقوسه ومنطقته واترسته

اما اسيافه عليه السلام فكان له تسعة اسياف مأبور وهو اول سيف ملكه عليه
السلام وهو الذي يقال انه قدم به الى المدينة في الهجرة والعضب ارسله اليه سعد بن عبادة
حين سار الى بدر وذو الفقار لانه كان في وسطه مثل فقرات الظهر ويجوز في فائه الفتح
والكسر وصار اليه يوم بدر وكان للعاصي بن منبه وكان هذا السيف لا يفارقه صلى الله عليه
وسلم يكون معه في كل حرب يشهدها وكانت قائمته وقبيعته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة
والقلعي بضم القاف وفتح اللام وهو الذي اصابه من قلع موضع بالبادية والبتار اي القاطع
والحتف وهو الموت والمخذم وهو القطع والرسوب اي يمضي في الضريبة ويغيب فيها
وهو فعول من رسب يرسب اذا ذهب الى اسفل واذا ثبت اصابهما من الفلس بضم الفاء واسكان
اللام صنم كان لطي والقضيب واما ادراعه فسبعة ذات الفضول بالضاد المعجمة
لطولها ارسل بها اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر وكانت من حديد وهي التي رهنها
عند ابي الشحم اليهودي على شعير وكان ثلاثين صاعا وكان الدين الى سنة وذات الوشاح
وذات الحواشي والسعدية ويقال بالعين وهي درع عكبر القينقاعي قيل وهي درع داود عليه
الصلوة والسلام التي لبسها حين قتل جالوت وفضة وكانا قد اصابهما من بني قينقاع والبتراء
لقصرها والخرنق باسم ولد الارنب وكان عليه صلى الله عليه وسلم يوم احد درعان ذات الفضول
وفضة وكان عليه يوم خيبر درعان ذات الفضول والسعدية واما اقواسه
عليه الصلوة والسلام فكانت ستة الزوراء وثلاثة من سلاح بني قينقاع قوس تدعى الروحاء
وقوس تدعى الصفراء وشوحط والكتوم كسرت يوم احد فاخذها قتادة والسداد وكانت
له جعبة تدعى الكافور وكانت له منطقة من اديم فيها ثلاث حلق من فضة والابزيم من فضة
والطرف من فضة واما اترسه فكان له عليه الصلوة والسلام ترس اسمه الزلوق
يزلق عنه السلاح وترس يقال له الفتق وترس اهدي له فيه صورة تمثال عقاب او كبش
فوضع يده عليه فاذهب الله ذلك التمثال واما ارماحه عليه الصلوة والسلام
فالمثوي قال ابن الاثير سمي به لانه يثبت المطعون به من الثوى وهو الاقامة والمثنى
ورمحان اخران وكانت له عليه السلام حربة تسمى البيضاء وكانت له عليه الصلوة والسلام
حربة اخرى صغيرة دون الرمح شبه العكاز يقال لها العنزة وكانت تركز امامه ويصلي اليها
وكان له عليه الصلوة والسلام مغفر من حديد يسمى السبوغ او ذات السبوغ وآخر يسمى الموشح

تكميل وكان له عليه الصلوة والسلام فسطاط يسمى الكن وكان له محجن قدر ذراع
او اكثر يمشي ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيره وكانت له مخصرة تسمى العرجون وقضيب

من الشوحط يسمى الممشوق وكان له قدح يسمى الريان وآخر يسمى المغيث وقدح مضبب
بسلسلة من فضة في ثلاث مواضع وآخر من عيدان وآخر من زجاج وتور من حجارة
يسمى المخضب وركوة تسمى الصادرة ومخضب من نحاس ومغتسل من صفر ومدهن
وربعة اسكندرانية يجعل فيها المراة ومشط من عاج وهو الذبل والمكحلة يكتحل منها
عند النوم ثلاثا في كل عين وكان في الربعة ايضا المقراض والسواك وهذه الربعة
اهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع مارية ام ابرهيم عليه السلام وكانت له
قصعة تسمى الغراء باربع حلق وصاع ومد وقطيفة وسرير قوائمه من ساج وفراش من
ادم حشوه ليف وخاتم من حديد ملوي بفضة وخاتم فضة فصه منه يجعله في يمينه
وقيل كان اولا في يمينه ثم حوله الى يساره منقوش عليه محمد رسول الله واهدى له
النجاشي خفين ساذجين فلبسهما وكان له ثلاث جباب يلبسهن في الحرب وجبة سندس
اخضر وجبة طيالسة وعمامة يقال لها السحاب واخرى سوداء ورداء صلوات الله وسلامه عليه

الفصل التاسع

في ذكر خيله عليه الصلوة والسلام وبغاله وحمره ودوابه

اما خيله عليه الصلوة
والسلام فالسكب يقال فرس سكب اي كثير الجري كانما يصب جريه صبا واصله من سكب الماء
يسكبه وهو اول فرس ملكه اشتراه عليه الصلوة والسلام بعشرة اواق وكان اغر محجلا
طلق اليمين كميتا وقال ابن الاثير كان ادهم والمرتجز بضم الميم وسكون الراء وفتح التاء
وكسر الجيم بعدها زاي سمي به لحسن صهيله ماخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر
وكان ابيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت فجعل شهادته شهادة رجلين واللزاز
بظاء معجمة واحد الظراب سمي به لكبره وسمنه وقيل لقوته وصلابة حافره اهداه له فروة
ابن عمرو الجذامي واللحيف بالمهملة اهداه له ربيعة بن ابي البراء سمي به لسمنه وكبره كانه
يلحف الارض اي يغطيها بذنبه لطوله فعيل بمعنى فاعل يقال لحفت الرجل باللحاف طرحته
عليه وقد يروى بالجيم وبالخاء المعجمة رواه البخاري ولم يحققه والمعروف بالحاء المهملة
قاله في النهاية واللزاز سمي به لشدة تلززه واجتماع خلقه ولزبه الشيء اي لزق به كانه
يلتزق بالمطلوب لسرعته وهذه اهداها له المقوقس والورد وسبحة بالموحدة من قولهم
فرس سابح اذا كان حسن مد اليدين في الجري فهذه سبعة متفق عليها وذكر ابن قتيبة
فيما حكاه الحافظ الدمياطي البحر في خيله عليه السلام قال وكان اشتراه من تجار قدموا
من اليمن فسبق عليه مرات فجثا صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ومسح وجهه وقال ما انت
الا بحر قال ابن الاثير وكان كميتا والسجل بكسر السين المهملة وسكون الجيم ذكره علي بن محمد
ابن الحسين بن عبدوس الكوفي ولعله ماخوذ من قولك سجلت الماء فانسجل اي صببته فانصب
وذو اللمة بكسر اللام وتشديد الميم ذكره ابن حبيب وذو العقاب بضم العين المهملة

وتشديد القاف وحكى بعضهم تخفيفها • والسرحان بكسر السين المهملة وسكون الراء
ذكره ابن خالويه • والطرف بكسر الطاء المهملة وسكون الراء بعدها فاء ذكره ابن قتيبة
في المعارف • وذكر في رواية انه الذي اشتراه من الاعرابي وشهد له بخزيمة بن ثابت
والمرتجل بكسر الجيم ذكره ابن خالويه من قولهم ارتجل الفرس ارتجالا اذا خلط العنق بشيء
من الهملجة • والمرواح بكسر الميم من ابنية المبالغة كالمطعام مشتق من الريح او من الرواح
لتوسعه في الجري اهداها له قوم من مذحج ذكره ابن سعد • وملاوح بضم الميم
وسكون الواو ذكره ابن خالويه • والمندوب ذكره بعضهم في خيله صلى الله عليه وسلم
والنجيب ذكره ابن قتيبة وان في رواية انه الذي اشتراه من الاعرابي وشهد له بخزيمة
واليعبوب واليعسوب ذكرهما قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل **وكان سرجه**
دفتاه من ليف **وكان** له عليه السلام من البغال دلدل بدالين مهملتين • وكانت شهباء
اهداها له المقوقس • وفضة اهداها له فروة بن عمرو الجذامي • واخرى اهداها له ابن
العلماء صاحب ايلة • واخرى من صاحب دومة الجندل • واخرى من عند النجاشي • قيل واهدى
له كسرى بغلة اخرى • وفي ذلك نظر لان كسرى مزق كتابه صلى الله عليه وسلم **وكان** له عليه
الصلوة والسلام من الحمير عفير اهداه له المقوقس • ويعفور اهداه له فروة بن عمرو
ويقال هما واحد • وذكر ان سعد بن عبادة اعطى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا فركبه
وكان له عليه الصلوة والسلام من اللقاح القصوى وهي التي هاجر عليها والعضباء
والجدعاء ولم يكن بهما عضب ولا جدع وانما سميتا بذلك • وقيل كان باذنها عضب • وقيل
العضباء والجدعاء واحدة والعضباء هي التي كانت لا تسبق فجاء اعرابي على قعود له فسبقها
فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلوة والسلام ان حقا على الله ان لا يرفع من الدنيا
شيئا الا وضعه **وغنم** عليه الصلوة والسلام جملا لابي جهل في انفه برة من فضة
فاهداه يوم الحديبية ليغيظ بذلك المشركين **وكانت** له عليه الصلوة والسلام خمسة
واربعون لقحة ارسل بها اليه سعد بن عبادة منها • الحلال والطارق • وبردة • والبغوم
وبركة • والحناء • وزمزم • والريا • والسعدية • والشقراء • والسمراء • والشقراء • وعجرة • والمرتس
وغوثة • وقيل غيثة • وقمر • ومروة • ومهرة • وورشة • والعسيرة **وكانت له**
مائة شاة • وكانت له سبعة اعنز منايح ترعاهن ام ايمن •

الفصل العاشر

في ذكر من وفد عليه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه

قال النووي الوفد الجماعة المختارة للتقدم في لقي العظماء واحدهم وافد انتهى وقد كان
ابتداء الوفود عليه بعد رجوعه عليه الصلوة والسلام من الجعرانة في آخر سنة ثمان وما بعدها
وقال ابن اسحاق بعد غزوة تبوك • وقال ابن هشام كانت سنة تسع تسمى سنة الوفود

وقد سرد محمد بن سعد في الطبقات الوفود وتبعه الدمياطي في السيرة له وابن
سيد الناس ومغلطاي والحافظ زين الدين العراقي ومجموع ما ذكروه يزيد على الستين
فقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن كما رواه البخاري وغيره وذكر
موسى بن عقبة في المغازي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف
في شوال الى الجعرانة وفيها السبي يعني سبي هوازن قدمت عليه وفود هوازن مسلمين
فيهم تسعة نفر من اشرافهم فاسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا يا رسول الله ان فيمن اصبتم
الامهات والاخوات والعمات والخالات فقال سأطلب لكم وقد وقعت المقاسم فاي
الامرين احب اليكم السبي ام المال فقالوا خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال فالحسب
احب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال اما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف اكلم
لكم المسلمين فكلموهم واظهروا اسلامكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاجرة
قاموا فتكلم خطباؤهم فابلغوا ورغبوا الى المسلمين في رد سبيهم ثم قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين فرغ فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال قد رددت الذي لبني هاشم
عليهم **وفي رواية** ابن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وذكر وفد هوازن
بالجعرانة وقد اسلموا فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم
يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله
ان اللواتي في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وانت
خير مكفول وانشد • امنن علينا رسول الله في كرم • فانك المرء نرجوه وندخر • الابيات
المشهورة الآتية ان شاء الله تعالى **وروينا** في المعجم الصغير للطبراني من ثلاثيات عن
زهير بن صرد الجشمي يقول لما اسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين يوم هوازن
وذهب يفرق السبي والشاء اتيته فانشأت اقول هذا الشعر •

امنن علينا رسول الله في كرم … فانك المرء نرجوه وندخر
امنن على بيضة قد عاقها قدر … ممزق شملها في دهرها غير
ابقت لنا الدهر هتافا على حزن … على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تنشرها … يا ارجح الناس حلما حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها … اذ فوك يملؤه من محضها الدرر
اذ انت طفل صغير كنت ترضعها … واذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته … واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت … وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه … من امهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به … عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه … هادي البرية اذ تعفو وتنتصر

فاعف عفى الله عما انت راهبه   يوم الغنيمة اذ يهدى لك الظفر
قال فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم
وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله • ومن بين الطبرانى وزهير لا يعرف لكن يقوى
حديثه بالمتابعة المذكورة فهو حديث حسن وقد وهم من زعم انه منقطع • وقد زاد
الطبرانى على ما اورده ابن اسحاق خمسة ابيات **وذكر** الواقدى ان وفد هوازن
كانوا اربعة وعشرين بيتا فيهم ابو برقان السعدى فقال يا رسول الله ان هذه الحظائر
لامهاتك وخالاتك وحواضنك ومرضعاتك فامنن علينا من الله عليك فقال قد
استانيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون وقد قسمت السبى **وقدم عليه** عليه السلام
وفد ثقيف بعد قدومه عليه السلام من تبوك وكان من امرهم انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف
من الطائف قيل له يا رسول الله ادع على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم ولما انصرف
عنهم اتبع اثره عروة بن مسعود حتى ادركه قبل ان يدخل المدينة فاسلم وسال ان يرجع
الى قومه بالاسلام فلما اشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام واظهر لهم دينه
رموه بالنبل من كل وجه فاصابه سهم فقتله ثم اقامت ثقيف بعد قتله اشهرا ثم انهم
ائتمروا بينهم وراوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا فاسلموا واجمعوا
ان يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا عبد يا ليل بن عمرو وعمير ومعه اثنان
من الاحلاف • الحكم بن عمرو بن معتب بن مالك • وشرحبيل بن غيلان • وثلاثة من بنى
مالك • عثمان بن ابى العاص • واوس بن عوف • ونمير بن خرشة فلما قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة فى ناحية المسجد وكان خالد بن سعيد بن العاصى هو
الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا واكتتبوا كتابهم وكان
خالد هو الذى كتبه • وكان فيما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدع لهم الطاغية
وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين فابى عليهم عليه الصلوة والسلام الا ان يبعث
ابا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها وكانوا سالوه مع ذلك ان يعفيهم
من الصلوة وان لا يكسروا اوثانهم الا بايديهم فقال عليه الصلوة والسلام كسروا اوثانكم
بايديكم واما الصلوة فلا خير فى دين لا صلوة فيه فلما اسلموا وكتب لهم الكتاب امر عليهم
عثمان بن ابى العاص • وكان من احدثهم سنا لكنه كان من احرصهم على التفقه فى الاسلام
وتعلم القران فرجعوا الى بلادهم ومعهم ابو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم
الطاغية فلما دخل المغيرة عليها علاها يضربها بالمعول وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين
عليها واخذ المغيرة بعد ان كسرها مالها وحليها **وكان** كتابه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذى كتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين
ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل شيئا من ذلك فانه يجلد وتنزع
ثيابه فان تعدى ذلك فانه يؤخذ فيبلغ النبى محمدا وان هذا امر النبى محمد رسول الله •

فكتب

فكتب خالد بن سعيد بامر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه احد فيظلم نفسه فيما امر به
محمد رسول الله • ووج واد بالطائف واختلف فيه هل هو حرم يحرم صيده وقطع شجره
فالجمهور انه ليس فى البقاع حرم الا حرم مكة والمدينة وخالفهم ابو حنيفة فى حرم المدينة
وقال الشافعى فى احد قوليه وج حرم يحرم صيده وشجره واحتج لهذا القول بحديثين احدهما
ما تقدم والثانى حديث عروة بن الزبير عن ابيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان صيد
وج وعضاهه حرم محرم لله رواه الامام احمد وابو داود لكن فى سماع عروة من ابيه نظر
وان كان قد رآه • وفى مغازى المعتمر بن سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى
عن عمه عمرو بن اوس عن عثمان بن ابى العاص قال استعملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا اصغر الستة الذين وفدوا عليه من ثقيف وذلك انى كنت قرات سورة البقرة
فقلت يا رسول الله ان القرآن يتفلت منى فوضع يده على صدرى وقال يا شيطان اخرج
من صدر عثمان فما نسيت شيئا بعده اريد حفظه **وفى** صحيح مسلم عن عثمان بن ابى
العاص قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال
ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا
قال ففعلت فاذهبه الله عنى **وقدم** وفد بنى عامر عليه صلى الله عليه وسلم قال
ابن اسحاق لما فرغ عليه السلام من تبوك واسلمت ثقيف وبايعت ضربت اليه وفود العرب
من كل وجه فدخلوا فى دين الله افواجا يضربون اليه من كل وجه فوفد اليه عليه السلام بنو عامر
فيهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس وخالد بن جعفر وجبار بن اسلم بن مالك وكان هؤلاء
النفر رؤساء القوم وشياطينهم فقدم عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يريد ان يغدر به فقال لاربد اذا اقدمنا على الرجل فانى شاغل عنك وجهه
فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف فكلم عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله
لاملانها عليك خيلا ورجالا فلما ولى قال عليه السلام اللهم اكفنى عامر بن الطفيل فلما
خرجوا قال عامر لاربد ويحك اين ما كنت امرتك به فقال والله ما هممت بالذى امرتنى به الا
دخلت بينى وبينه افاضربك بالسيف ولما كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر
ابن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله الله **وفى** صحيح البخارى ان عامرا اتى النبى صلى
الله عليه وسلم فقال اخيرك بين ثلاث خصال يكون لك اهل السهل ولى اهل المدر او اكون
خليفتك من بعدك او اغزوك بغطفان بالف اشقر والف شقراء فطعن فى بيت امراة فقال
اغدة كغدة البكر فى بيت امراة من بنى فلان ائتونى بفرسى فركب فمات على ظهر فرسه
وقدم وفد عبد القيس عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وهى قبيلة كبيرة يسكنون البحرين
ينسبون الى عبد القيس بن افصى بسكون الفاء بعدها صاد مهملة بوزن اعمى بن دعمى بضم الدال
وسكون العين المهملتين وكسر الميم بعدها تحتانية **وفى** الصحيحين من حديث ابن عباس
قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ممن القوم قالوا من ربيعة

قال مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يا رسول الله ان بيننا وبينك هذا الحي من كفار
مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بامر فصل ناخذ به ونامر به من وراءنا وندخل
به الجنة قال امركم باربع وانهاكم عن اربع امركم بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان
بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان
وان تعطوا من المغنم الخمس وانهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فاحفظوهن وادعوا
اليهن من وراءكم قال ابن القيم ففي هذه القصة ان الايمان بالله مجموع هذه الخصال من
القول والعمل كما على ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم
كلهم ذكره الشافعي في المبسوط وعلى ذلك ما ئة دليل من الكتاب والسنة ولم يعد الحج من هذه
الخصال وكان قدومهم في سنة تسع وهذا احد ما يحتج به على ان الحج لم يكن فرض بعد
وانه انما فرض في العاشرة ولو كان فرض لعده من الايمان كما عد الصوم والزكوة انتهى
وقد كان لعبد القيس وفادتان احداهما قبل الفتح ولهذا قالوا له عليه السلام حال بيننا
وبينك كفار مضر وكان ذلك قديما اما في سنة خمس وقبلها وكانت قريتهم بالبحرين وكان
عدد الوفد الاول ثلاثة عشر رجلا وقيل كانوا اربعة عشر راكبا وفيها سالوه عن الايمان
وعن الاشربة وكان فيهم الاشج وكان كبيرهم وقال له عليه السلام ان فيك خصلتين
يحبهما الله الحلم والاناة رواه مسلم من حديث ابي سعيد واخرج البيهقي بينا النبي
صلى الله عليه وسلم يحدث اصحابه قال سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير اهل المشرق
فقام عمر نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكبا فبشرهم بقوله عليه السلام ثم مشى معهم حتى اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرموا بانفسهم عن ركائبهم فاخذوا يده فقبلوها الحديث واخرج
البخاري في الادب المفرد فيمكن ان يكون احد المذكورين غير راكبا ومرتدفا وثانيتهما
كانت في سنة الوفود وكان عددهم حينئذ اربعين رجلا كما في حديث ابي خيرة الصباحي عند
ابن منده ويؤيد التعدد ما اخرجه من وجه آخر انه عليه السلام قال لهم ما لي ارى
الوانكم تغيرت ففيه اشعار بانه كان راهم قبل التغير وفي قولهم يا رسول الله دليل
على انهم كانوا حين المقالة مسلمين وكذا في قولهم كفار مضر وقولهم الله ورسوله اعلم ويدل
على سبقهم الى الاسلام ايضا ما في البخاري ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين وهي قرية لهم وانما جمعوا بعد
رجوع وفدهم اليهم قال في فتح الباري فدل على انهم سبقوا جميع القرى الى الاسلام
ومما جزم به ابن القيم من ان السبب في كونه لم يذكر الحج في الحديث لانه لم يكن فرض هو
المعتمد وقد قدمنا الدليل على قدم اسلامهم لكن جزم تبعا للواقدي بان قدومهم
كان في سنة تسع قبل فتح مكة ليس بجيد لان فرض الحج كان في السنة العاشرة حتى لا يرد
على مذهبه انه على الفور شيء وقد احتج الشافعي لكونه على التراخي بان فرض الحج كان بعد
الهجرة وانه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على الحج في سنة ثمان وفي سنة تسع ولم يحج الا في

سنة عشر وسيأتي حجته عليه السلام من مقصد عباداته بمزيد لذلك ان شاء الله تعالى
فان قلت كيف قال اربع والمذكورات خمس اجاب القاضي عبد الوهاب
تبعا لابن بطال بان الاربع ما عدا اداء الخمس قال وكانه اراد اعلامهم بقواعد الايمان
وفروض الاعيان ثم اعلمهم بما يلزمهم اخراجه اذا وقع لهم جهاد لانهم كانوا بصدد محاربة
كفار مضر ولم يقصد الى ذكرها بعينها لانها مسببة عن الجهاد ولم يكن الجهاد اذ ذاك
فرض عين قال وكذلك لم يذكر الحج لانه لم يكن فرض وقال غيره قوله وان تعطوا
معطوف على قوله باربع اي امركم باربع وان تعطوا ويدل عليه العدول عن سياق
الاربع والاتيان بان والفعل مع توجه الخطاب اليهم وقال القاضي ابو بكر بن العربي
يحتمل ان يقال انه عليه السلام عد الصلوة والزكوة واحدة لانها قرينتها في كتاب الله وتكون
الرابعة اداء الخمس او انه لم يعد الخمس لانه داخل في عموم ايتاء الزكوة والجامع بينهما انه
اخراج مال معين وقال البيضاوي الظاهر ان الامور الخمسة هنا تفسير للايمان وهو
احد الاربعة الموعود بذكرها والثلاثة الاخر حذفها الراوي اختصارا او نسيانا
ونعقب بانه وقع في صحيح البخاري ايضا في رواية امركم باربع شهادة ان لا اله الا
الله وعقد واحدة فدل على ان الشهادة احدى الاربع وقال القرطبي قيل ان اول
الاربع المامور بها اقام الصلوة وانما ذكر الشهادتين تبركا والى هذا نحا الطيبي فقال
عادة البلغاء ان الكلام اذا كان منصوبا لغرض جعلوا سياقه له وطرحوا ما عداه وهنا
لم يكن الغرض في الايراد ذكر الشهادتين لان القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمتي الشهادة
ولكن ربما كانوا يظنون ان الايمان مقصور عليهما كما كان الامر في صدر الاسلام قال
ولهذا لم يعد الشهادتين في الاوامر انتهى ملخصا من فتح الباري وقدم عليه
عليه الصلوة والسلام وفد بني حنيفة فيهم مسيلمة الكذاب فكان منزلهم في دار امرأة
من الانصار من بني النجار فاتوا بمسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستر بالثياب
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه في يده عسيب من سعف النخل فلما
انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وساله فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو سالتني هذا العسيب الذي في يدي ما اعطيتك وذكر
حديث ابن اسحاق على غير ذلك فقال حدثني شيخ من اهل اليمامة من بني حنيفة ان وفد
بني حنيفة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة في رحالهم فلما اسلموا ذكروا
له مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبا لنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا
فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما امر به للقوم وقال لهم انه ليس بشركم مكانا
يعني لحفظه ضيعة اصحابه ثم انصرفوا فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وقال
اني اشركت في الامر معه ثم جعل يسجع سجعات فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن
لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى وسجع اللعين

على سورة انا اعطيناك الكوثر فقال انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر
ان مبغضك رجل كافر وفي رواية انا اعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر
واحذر ان تحرص وتكاثر وفي رواية انا اعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في
الليالي الغوادر ولم يعرف الحذو لانه محروم عن المطلوب وسياتي في اوائل مقصد معجزاته
عليه الصلوة والسلام من تسجيع مسيلمة الركيك بزيد على ما ذكرته هنا ان شاء الله
تعالى وقيل انه ادخل البيضة في القارورة وادعى انها معجزة له فافتضح بنحو ما ذكر
ان النوشادر اذا ضرب في خل الخمر ضربا جيدا وجعلت فيه بيضة بنت يومها يوما وليلة
فانها تمتد كالخيط فتجعل في القارورة ويصب عليها الماء البارد فانها تجمد ولما سمع
اللعين ان النبي صلى الله عليه وسلم مج في بئر فكثر ماؤها وتفل في عين علي وكان ارمد
فبرئ فتفل اللعين في بئر فغار ماؤها وفي عين بصير فعمي ومسح بيده ضرع شاة
حلوب فارتفع درها ويبس ضرعها ولله در الشقراطسي حيث يقول يخاطب
النبي صلى الله عليه وسلم

عجزت بالوحي ارباب البلاغة في ... عصر البيان فضلت اوجه الحيل
سألتهم سورة في مثل حكمته ... فتلهم عنه حين العجز حين تلي
فرام رجس كذوب ان يعارضه ... بعي غي فلم يحسن ولم يطل
مشبج بركيك الافك ملتبس ... ملجلج بزبى الزور والخطل
يمج اول حرف منه سمع سامعه ... ويعتريه كلال العجز والملل
كانه منطق الورها شديه ... ليس من الخبل او مس من الخبل
امرت لبئر واعورت لمجتنة ... فيها واعمى بصير العين بالتفل
وايبس الضرع منه شؤم راحته ... من بعد ارسال رسل منه منهمل

فتشبه هذا الكلام الذي عارض به مسيلمة بكلام امراة ورها وهي الحمقا التي تتكلم
لحمقها بما لا يفهم فهي تهذي بكلام مشذب اي مختلط لا يقترن بعضه ببعض ولا يشبه
بعضه بعضا ككلام من به خبل بسكون البا اي فساد او مس من الخبل بفتحها اي جنون
ثم ان اللعين وضع عن قومه الصلوة واحل لهم الخمر والزنا وهو مع ذلك يشهد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انه نبي وقد كان كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة
رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد اشركت معك في الامر وان لنا نصف الامر
ولقريش نصف الامر فقدم عليه صلى الله عليه وسلم رسوله بهذا الكتاب فكتب اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام
على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
وفي الصحيحين من حديث نافع بن جبير عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذاب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ان جعل لي محمد الامر من بعده اتبعته وقدمها

في بشر كثير من قومه فاقبل النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد
النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في اصحابه فقال ان سالتني هذه
القطعة ما اعطيتكها ولن تعدو امر الله فيك ولئن ادبرت ليعقرنك الله واني لاراك
الذي اريت فيه ما رايت وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني ثم انصرف قال ابن عباس فسالت
عن قول النبي صلى الله عليه وسلم انك الذي اريت فيه ما رايت فاخبرني ابو هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رايت في يدي سوارين من ذهب فاهمني شانهما فاوحى
الله الي في المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي فهذان
هما احدهما العنسي صاحب صنعا والآخر مسيلمة فان قلت كيف يلتئم خبر ابن
اسحاق مع حديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع به وخاطبه وصرح بحضرة
قومه انه لو سالة القطعة من الجريدة ما اعطاه فالجواب ان المصير الى ما في
الصحيح اولى ويحتمل ان يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان تابعا وكان رئيس بني
حنيفة غيره ولهذا اقام في حفظ رحالهم ومرة متبوعا وفيها خاطبه النبي صلى الله عليه
وسلم او القصة واحدة وكانت اقامته في رحالهم باختياره انفة منه واستكبارا ان
يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وعامله عليه الصلوة والسلام معاملة الكرم على
عادته في الاستيلاف فقال لقومه انه ليس بشركم اي مكانا لكونه كان يحفظ رحالهم
واراد استيلافه بالقول والفعل فلما لم يفد في مسيلمة توجه بنفسه اليه ليقيم عليه
الحجة ويعذر اليه بالانذار والعلم عند الله وقدم عليه صلى الله عليه وسلم
وفد طي وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم فعرض عليهم الاسلام فاسلموا وحسن اسلامهم
وقال عليه الصلوة والسلام ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رايته دون ما
يقال فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما فيه ثم سماه زيد الخير فخرج راجعا الى قومه فلما
انتهى الى ماء من مياه نجد اصابته الحمى بها فمات قال ابن عبد البر وقيل مات في آخر
خلافة عمر وله ابنان مكنف وحريث اسلما وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا
قتال اهل الردة مع خالد وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد كندة في ثمانين
او ستين راكبا من كندة فدخلوا عليه مسجده قد رجلوا جممهم وتسلحوا ولبسوا جباب
الحبرات مكففة بالحرير فلما دخلوا قال صلى الله عليه وسلم اولم تسلموا قالوا بلى قال فما
هذا الحرير في اعناقكم فشقوه فنزعوه والقوه وقدم عليه زاده الله شرفا لدي
الاشعريون واهل اليمن قيل هو من عطف الخاص على العام وقال الحافظ ابو الفضل
شيخ الاسلام ابن حجر المراد بهم بعض اهل اليمن وهم وفد حمير قال ووجدت في كتاب الصحابة
لابن شاهين من طريق اياس بن عمرو الحميري انه قدم وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في نفر من حمير فقالوا اتيناك لنتفقه في الدين الحديث والحاصل ان الترجمة مشتملة على طائفتين
وليس المراد اجتماعهما في الوفادة فان قدوم الاشعريين كان مع ابي موسى في سنة سبع عند

فتح خيبر وقدوم حمير كان في سنة تسع وهي سنة الوفود ولهذا اجتمعوا مع بني تميم
وروى يزيد بن هارون عن حميد عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم
عليكم قوم هم ارق منكم قلوبا فقدم الاشعريون فجعلوا يرتجزون ● غدا نلقى الاحبة
محمدا وحزبه ● وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول جاء اهل اليمن هم ارق افئدة واضعف قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة
في اهل الغنم والفخر والخيلاء في الفدادين اهل الوبر قبل مطلع الشمس رواه مسلم **وفي**
البخاري ان نفرا من بني تميم جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا يا بني
تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء نفر من اهل
اليمن فقال اقبلوا البشرى اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا ثم قالوا يا رسول الله جئنا
لنتفقه في الدين ونسالك عن هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه
على الماء وكتب في الذكر كل شيء ● وقوله وجاء نفر من اهل اليمن هم الاشعريون قوم ابي موسى
وقدم عليه صلوات الله وسلامه عليه صرد بن عبد الله الازدي فاسلم وحسن
اسلامه في وفد من الازد فامره عليه السلام على من اسلم من قومه فامره ان يجاهد بمن اسلم
اهل الشرك من قبائل اليمن فخرج صرد يسير بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل
بجرش وبها قبائل من قبائل العرب فحاصروهم فيها قريبا من شهر وامتنعوا فيها فرجع عنهم
قافلا حتى اذا كان في جبل لهم وظنوا انهم انما ولى عنهم منهزما خرجوا في طلبه حتى اذا ركبوه
عطف عليهم فقتلهم قتلا شديدا وكان اهل جرش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلين منهم فبينما هما عنده عليه السلام عشية فقال لهما عليه السلام ان بدن الله لتنحر
عند شكر اي المكان الذي وقع به قومهم قال فجلس الرجلان الى ابي بكر وعثمان فقالا لهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينعى لكما قومكما فرجعا الى قومهما فوجداهم قد اصيبوا في
اليوم الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها صلى الله عليه وسلم
ما ذكر فخرج وفد جرش حتى قدموا عليه صلوات الله وسلامه عليه فاسلموا وحمى لهم حولا
قريتهم **وقدم وفد** بني الحارث بن كعب قال ابن اسحاق بعث صلى الله عليه
وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر وجمادى الاولى سنة عشر الى بني الحارث بن كعب بنجران
وامره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا فاقبل منهم وان لم
يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون
الى الاسلام ويقولون ايها الناس اسلموا تسلموا فاسلم الناس ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام
خالد يعلمهم الاسلام وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم اقبل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعه وفدهم منهم قيس بن الحصين ويزيد بن المحجل وشداد بن
عبد الله فقال لهم عليه الصلوة والسلام بم كنتم تغلبون من قاتلكم قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق
ولا نبدا احدا بظلم قال صدقتم وامر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم في بقية من

صوابه ما حول

شوال

شوال او من ذي القعدة فلم يمكثوا الا اربعة اشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد همدان فيهم مالك بن النمط وضمام بن مالك
وعمرو بن مالك فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات
الحبرات والعمائم العدنية على الرواحل المهرية والارحبية ومالك بن النمط يرتجز بين يديه
صلى الله عليه وسلم وذكروا له كلاما كثيرا حسنا فصيحا فكتب لهم عليه السلام كتابا
اقطعهم فيه ما سالوه وامر عليهم مالك بن النمط واستعمله على من اسلم من قومه وامره
بقتال ثقيف فكان لا يخرج لهم سرح الا اغار عليه **وروى** البيهقي باسناد صحيح
عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اهل اليمن يدعوهم
الى الاسلام قال البراء فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فاقمنا ستة اشهر يدعوهم
الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن ابي طالب وامره
ان يقفل خالدا الا رجلا ممن كان مع خالد ان يعقب مع علي فلما دنونا من القوم خرجوا
الينا فصلى بنا علي ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين ايدينا فقرا عليهم كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
باسلامهم فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع راسه فقال
السلام على همدان واصل الحديث في صحيح البخاري وهذا اصح مما تقدم ولم تكن همدان
تقاتل ثقيفا ولا تغير على سرحهم فان همدان باليمن وثقيف بالطائف قاله ابن القيم
في الهدي النبوي **وفد مزينة** روى البيهقي عن النعمان بن مقرن قال قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعمائة رجل من مزينة فلما اردنا ان ننصرف قال يا عمر
زود القوم قال ما عندي الا شيء من تمر ما اظنه يقع من القوم موقعا قال انطلق فزودهم
قال فانطلق بهم عمر فادخلهم منزله ثم اصعدهم الى علية فلما دخلنا اذا فيها من التمر
مثل الجمل الاورق فاخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت في آخر من خرج فنظرت
وما افقد موضع تمرة من مكانها **وفد دوس** وكان قدومهم عليه صلى الله عليه
وسلم بخيبر قال ابن اسحاق كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث انه قدم مكة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا
فقالوا انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين اظهرنا فرق جماعتنا وشتت امرنا
وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابيه وبين المرء واخيه وبين الرجل وزوجه وانا نخشى
عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله ما زالوا بي حتى
اجمعت ان لا اسمع منه شيئا ولا اكلمه حتى حشوت في اذني حين غدوت الى المسجد كرسفا
فرقا من ان يبلغني شيء من قوله قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقمت قريبا منه فابى الله الا ان يسمعني بعض قوله فسمعت
كلاما حسنا فقلت واثكل امياه والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح

فما يمنعني ان اسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلت وان كان قبيحا
تركت قال فمكثت حتى اتى عليه السلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته فقلت يا محمد
ان قومك قد قالوا لى كذا وكذا والله ما برحوا يخوفوني امرك حتى سددت اذني بكرسف لئلا
اسمع قولك ثم ابى الله الا ان يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فاعرض على امرك فعرض على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتلى على القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط احسن منه ولا امرا
اعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا رسول الله انى امرؤ مطاع فى قومى وانى
راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لى آية قال فخرجت الى قومى حتى اذا
كنت بثنية تطلعنى على الحاضر اذ وقع نور بين عينى مثل المصباح قال قلت اللهم فى غير
وجهى فانى اخشى ان يقولوا مثلة وقعت فى وجهى لفراق دينهم قال فتحول فوقع فى راس
سوطى كالقنديل المعلق وانا اهبط اليهم من الثنية حتى جئتهم واصبحت فيهم فلما نزلت
اتانى ابى وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عنى يا ابه فلست منى ولست منك قال ولم يا بنى
قلت قد اسلمت وتابعت دين محمد قال يا بنى فدينى دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل
وطهر ثيابك ثم تعال حتى اعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت
عليه الاسلام فاسلم ثم اتتنى صاحبتى فقلت لها اليك عنى فلست منك ولست منى قالت
لم قلت فرق الاسلام بينى وبينك اسلمت وتابعت محمدا عليه الصلوة والسلام قالت
فدينى دينك فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطؤا على فجئت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انه قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال
اللهم اهد دوسا ثم قال ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم ازل
بارض دوس ادعوهم الى الله ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فنزلت
المدينة بسبعين او ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لنا مع
المسلمين وهذا يدل على تقدم اسلامه وقد جزم ابن ابى حاتم بانه قدم مع ابى هريرة بخيبر
وكانت قدمته الثانية **وقدم عليه** صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران فلما
دخلوا المسجد النبوى بعد العصر حانت صلاتهم فقاموا يصلون فيه فاراد الناس منعهم
فقال عليه الصلوة والسلام دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا ستين راكبا
منهم اربعة وعشرون رجلا من اشرافهم والاربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر اليهم
يؤول امرهم العاقب امير القوم وذو رايهم وصاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح والسيد
صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الايهم بتحتانية ساكنة ويقال شرحبيل وابو حارثة بن
علقمة اخو بكر بن وائل قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم من اهل النصرانية
قد شرفوه وموّلوه وكان يعرف امر النبى صلى الله عليه وسلم وشانه وصفته مما علمه من
الكتب المتقدمة ولكن حمله جهله على الاستمرار فى النصرانية لما يرى من تعظيمه ووجاهته
عند اهلها فدعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام وتلى عليهم القرآن فامتنعوا فقال

ان انكرتم

ان انكرتم ما اقول فهلم اباهلكم **وفى** البخارى من حديث حذيفة فجاء السيد والعاقب
صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان ان يلاعناه يعنى يباهلاه فقال
احدهما لصاحبه لا تفعل **وعند** ابى نعيم ان القائل ذلك هو السيد وعند غيره
بل الذى قال ذلك هو العاقب لانه كان صاحب رايهم وفى رواية يونس بن بكير
فى المغازى ان الذى قال ذلك شرحبيل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه يعنى باهلناه لا نفلح
نحن ولا عقبنا من بعدنا **زاد** فى رواية ابن مسعود عند الحاكم ابدا **ثم** قالا انا
نعطيك ما سالتنا وابعث معنا رجلا ولا تبعث معنا الا امينا فقال لابعثن رجلا امينا
حق امين فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن
الجراح فلما قام قال صلى الله عليه وسلم هذا امين هذه الامة وفى رواية يونس بن بكير
انه صالحهم على الفى حلة الف فى رجب والف فى صفر ومع كل حلة اوقية وساق الكتاب الذى
بينهم مطولا **وذكر** ابن سعد ان السيد والعاقب رجعا بعد ذلك واسلما وفى ذلك
مشروعية مباهلة المخالف اذا اصر بعد ظهور الحجة وقد وقع ذلك لجماعة من العلماء سلفا وخلفا
ومما عرف بالتجربة ان من باهل وكان مبطلا لا تمضى عليه سنة من يوم المباهلة **وقدم
عليه** صلى الله عليه وسلم رسول فروة بن عمرو الجذامى ملك الروم وكان منزله معان
باسلامه واهدى له بغلة بيضاء ولما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه حتى اخذوه فحبسوه
ثم صلبوه على ماء بفلسطين وضربوا عنقه على ذلك الماء **وقدم عليه** صلى الله عليه
وسلم ضمام بن ثعلبة بعثه بنو سعد بن بكر **روى** البخارى من حديث انس بن مالك
قال بينما نحن جلوس مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد دخل رجل على جمل فاناخه فى المسجد
ثم عقله ثم قال ايكم محمد والنبى صلى الله عليه وسلم متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الابيض
المتكئ فقال له الرجل ابن عبد المطلب فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد اجبتك فقال انى
سائلك فمشدد عليك فى المسئلة فلا تجد على فى نفسك فقال سل عما بدا لك فقال اسالك
بربك ورب من قبلك الله ارسلك الى الناس كلهم فقال اللهم نعم فقال انشدك بالله الله
امرك ان تاخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال النبى صلى الله عليه
وسلم اللهم نعم فقال الرجل آمنت بما جئت به وانا رسول من ورائى من قومى وانا ضمام
ابن ثعلبة اخو بنى سعد بن بكر **وزاد** ابن اسحاق فى مغازيه فقال الله امرك ان نعبده
ولا نشرك به شيئا وان نخلع هذه الانداد التى كان اباؤنا يعبدون فقال صلى الله عليه
وسلم اللهم نعم وكان ضمام رجلا جلدا اشقر ذا غديرتين ثم اتى بعيره واطلق عقاله
ثم خرج حتى اتى قومه فاجتمعوا اليه وكان اول ما تكلم به ان قال بئست اللات والعزى
فقالوا مه يا ضمام اتق البرص والجنون والجذام قال ويلكم انهما لا يضران ولا ينفعان
ان الله قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا استنقذكم به وانى اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وانى قد جئتكم من عنده بما امركم به ونهاكم عنه فوالله ما امسى فى ذلك

اليوم في حاضر رجل ولا امرأة الا مسلما قال ابن عباس فما سمعنا بوافد قوم افضل من ضمام
ابن ثعلبة **وفد طارق** بن عبد الله وقومه روى البيهقي عن جامع بن شداد
قال حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله قال اني لقائم بسوق ذي المجاز اذ اقبل رجل
وهو يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول يا ايها
الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هذا غلام من بني هاشم يزعم انه رسول
الله قال قلت من هذا الذي يفعل به هذا فقالوا هذا عمه عبد العزى قال فلما اسلم الناس
وهاجروا اخرجنا من الربذة نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها
قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فاذا رجل في طمرين له فسلم وقال من اين اقبل القوم
قلنا من الربذة قال واين تريدون قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها
قال ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل احمر مخطوم فقال اتبيعوني جملكم هذا قالوا نعم بكذا وكذا
صاعا من تمر فاخذ بخطام الجمل فانطلق فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا
والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا اخذنا له ثمنا قال تقول المرأة التي معنا والله لقد رأيت
رجلا كان وجهه قطعة قمر ليلة البدر انا ضامنة لثمن جملكم **وفي رواية** ابن اسحاق فقالت
الظعينة فلا تلاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئا اشبه بالقمر ليلة البدر
من وجهه اذ اقبل رجل فقال انا رسول رسول الله اليكم هذا تمركم فكلوا واشبعوا واكتالوا
واستوفوا فاكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا
هو قائم على المنبر يخطب الناس فادركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم
اليد العليا خير من اليد السفلى **وقدم عليه** صلى الله عليه وسلم وفد تجيب وهم
من السكون ثلاثة عشر رجلا قد ساقوا معهم صدقات اموالهم التي فرض الله عليهم فسر
عليه الصلوة والسلام بهم واكرم منزلهم وامر بلالا ان يحسن ضيافتهم ثم جاؤا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يودعونه فامر بلالا فاجازهم بارفع مما كان يجيز به الوفود قال هل بقي منكم
احد قالوا غلام خلفناه على رحالنا هو احدثنا سنا قال ارسلوه الينا فلما اقبل الغلام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان حاجتي ليست كحاجة اصحابي وان كانوا
راغبين في الاسلام والله ما اخرجني من بلادي الا ان تسأل الله ان يغفر لي ويرحمني وان
يجعل غناي في قلبي فقال عليه الصلوة والسلام اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه
ثم امر له بما امر لرجل من اصحابه ثم انطلقوا راجعين الى اهليهم ثم وافوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمنى سنة عشر فقال ما فعل الغلام قالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا باقنع منه
بما رزقه الله لو ان الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها **قدوم وفد**
بني سعد هذيم من قضاعة روى الواقدي عن ابي النعمان عن ابيه من بني سعد
هذيم قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي فنزلنا ناحية من المدينة
ثم خرجنا نؤم المسجد الحرام فقمنا ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم حتى نلقى رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم بايعناه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا
وقد كنا خلفنا اصغرنا فبعث عليه الصلوة والسلام في طلبنا فاتي بنا اليه فتقدم صاحبنا
اليه فبايعه على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه اصغرنا وخادمنا فقال اصغر القوم
خادمهم بارك الله عليك قال فكان والله خيرنا واقرأنا بدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم امره علينا فكان يؤمنا ثم رجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام **وفد بني**
فزارة قال ابو الربيع بن سالم في كتاب الاكتفا ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تبوك قدم عليه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس
ابن اخي عيينة بن حصن وهو اصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون على ركاب عجاف
فسالهم عليه الصلوة والسلام عن بلادهم فقال احدهم يا رسول الله اسنتت بلادنا
وهلكت مواشينا واجدب جناننا وغرث عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا
وليشفع لنا ربك اليك فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك هذا انا شفعت
الى ربي عز وجل فمن الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العلي العظيم وسع كرسيه السموات
والارض فهي تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد وقال عليه الصلوة والسلام
ان الله عز وجل ليضحك من شغفكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي يا رسول الله ويضحك
ربنا عز وجل قال نعم فقال الاعرابي لن نعدمك من رب يضحك خيرا فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قوله وصعد المنبر فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه وكان مما
حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا طبقا واسعا محيي
عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا
اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعدا الحديث ورواه ابن سعد والبيهقي ويأتي
بتمامه ان شاء الله تعالى في الاستسقاء من مقصد عبادته عليه الصلوة والسلام
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد بني اسد عشرة رهط فيهم وابصة بن معبد
وطليحة بن خويلد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال متكلمهم
يا رسول الله انا شهدنا ان الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وجئناك ولم
تبعث الينا بعثا فانزل الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين **وقدم عليه** صلوات الله
وسلامه عليه وفد بهرا من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلا فلما انتهوا الى باب المقداد رحب
بهم وقدم لهم جفنة من حيس فاكلوا منها حتى نهلوا وردت القصعة وفيها شيء فجمع في قصعة
صغيرة وارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة فاصاب منها هو ومن معه
في البيت حتى نهلوا ثم اكل منها الضيف ما اقاموا يرددون ذلك عليهم وما تغيض حتى جعلوا
يقولون يا ابا معبد انك لتنهلنا من احب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا في الحين
فاخبرهم ابو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اكل منها وردها وان هذه بركة

اصابعه عليه الصلوة والسلام فجعل القوم يقولون نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا
وتعلموا الفرائض واقاموا اياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر لهم بجوائز وانصرفوا
الى اهليهم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد عذرة في صفر سنة تسع وكانوا اثني
عشر رجلا منهم حمزة بن النعمان فرحب بهم عليه الصلوة والسلام فاسلموا وبشرهم بفتح الشام
وهرب هرقل الى ممتنع من بلاده ثم انصرفوا وقد اجيزوا وقدم عليه سلام الله عليه وسلامه
وفد بلي فاسلموا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام
فهو في النار ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اجازهم وقدم عليه
صلى الله عليه وسلم وفد ذي مرة وكانوا ثلاثة عشر رجلا ورئيسهم الحارث بن عوف فقال
لهم عليه الصلوة والسلام كيف البلاد فقالوا انا لمسنتون فادع الله لنا فقال عليه
الصلوة والسلام اللهم اسقهم الغيث ثم اقاموا اياما ورجعوا بالجائزة فوجدوا بلادهم قد
امطرت في ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم عليه
زاده الله شرفا لديه وفد خولان في شعبان سنة عشر وكانوا عشرة فقالوا يا رسول الله نحن
مؤمنون بالله مصدقون برسول الله وقد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض
وسهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال عليه الصلوة والسلام اما
ما ذكرتم من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة خطاها بعير احدكم حسنة واما قولكم زائرين
لك فانه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيمة ثم قال عليه الصلوة والسلام ما فعل
صنم خولان الذي كانوا يعبدونه قالوا ابدلنا الله به ما جئت به الا ان عجوزا وشيخا كبيرا
يتمسكان به وان قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى ثم علمهم عليه الصلوة والسلام
فرائض الدين وامرهم بالوفا بالعهد واداء الامانة وحسن الجوار وان لا يظلموا احدا ثم
اجازهم ورجعوا الى قومهم وهدموا الصنم وقدم عليه صلى الله عليه وسلم
وفد محارب عام حجة الوداع وكانوا اغلظ العرب وافظهم عليه ايام عرضه على القبائل يدعوهم
الى الله فجاءه عليه الصلوة والسلام منهم عشرة فاسلموا ثم انصرفوا الى اهليهم وقدم عليه
صلى الله عليه وسلم وفد صداء في سنة ثمان وذلك انه لما انصرف من الجعرانة بعث قيس بن سعد
في اربعمائة وامره ان يطأ ناحية من اليمن فيها صداء فقدم رجل منهم علم بالبعث على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اردد الجيش وانا لك بقومي فرد قيسا ورجع الصدائي
الى قومه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا منهم فبايعوه على الاسلام
ورجعوا الى قومهم ففشا فيهم الاسلام فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة رجل
في حجة الوداع ذكره الواقدي وذكر من حديث زياد بن الحارث الصدائي انه الذي قدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اردد الجيش وقال كان زياد هذا معه صلى الله
عليه وسلم في بعض اسفاره وانه عليه الصلوة والسلام قال له يا اخا صداء هل معك ماء
قلت معي شيء في اداوتي قال صبه فصببته في قعب ثم وضع عليه الصلوة والسلام كفه فيه

فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه عينا تفور وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد
غسان في شهر رمضان سنة عشر وكانوا ثلاثة نفر فاسلموا واجازهم عليه الصلوة والسلام
بجوائز وانصرفوا راجعين وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد سلامان في شوال سنة
عشر كما قال الواقدي وكانوا سبعة نفر فيهم حبيب بن عمرو فاسلموا وشكوا اليه جدب بلادهم
فدعا لهم ثم ودعوه وامر لهم بالجوائز ورجعوا الى بلادهم فوجدوها قد امطرت في اليوم الذي
دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة وقدم عليه وفد بني عبس
فقالوا يا رسول الله قدم علينا قراؤنا فاخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا اموال
ومواشي فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا فقال عليه الصلوة والسلام
اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم من اعمالكم شيئا وقدم عليه وفد غامد سنة عشر
وكانوا عشرة فاقروا بالاسلام وكتب لهم كتابا بشرائع الاسلام وامر ابي بن كعب فعلمهم
قرآنا واجازهم عليه الصلوة والسلام وانصرفوا وقدم عليه وفد الازد ذكر ابو نعيم
في كتاب معرفة الصحابة وابو موسى المديني من حديث احمد بن ابي الحواري قال سمعت ابا سليمان
الداراني قال حدثني علقمة بن يزيد بن سويد الازدي قال حدثني ابي عن جدي قال وفدت
سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه اعجبه ما رأى
من سمتنا وزينا فقال ما انتم قلنا مؤمنون فتبسم عليه الصلوة والسلام وقال ان لكل
قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمسة عشر خصلة خمس منها امرتنا رسلك ان نؤمن
بها وخمس امرتنا ان نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها الا ان تكره منها شيئا
فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التي امرتكم بها رسلي قلنا امرتنا ان نؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التي امرتكم ان تعملوا بها قلنا امرتنا ان
نقول لا اله الا الله ونقيم الصلوة ونؤتي الزكوة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا
اليه سبيلا قال وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية قلنا الشكر عند الرخا والصبر عند
البلاء والرضا بمر القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء فقال صلى الله عليه
وسلم حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء ثم قال وانا ازيدكم خمسا فيتم لكم عشرون
خصلة ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا في شيء
انتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون
وفيه تخلدون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلوة والسلام وعملوا بها
وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد بني المنتفق روى عبد الله بن الامام احمد
في مسند ابيه عن دلهم بن الاسود عن عاصم بن لقيط ان لقيط بن عامر بن صبرة عن عبد الله
ابن المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن صعصعة ابا رزين العقيلي المعروف في اهل
الطائف خرج وافدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم
ابن مالك بن المنتفق فوافيناه صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلوة الغداة فقام في

الناس خطيبا فقال يا ايها الناس الا انى قد خبأت لكم صوتى منذ اربعة ايام لتسمعوا اليوم الا فهل من امرئ يعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثم لعله يلهيه حديث نفسه او حديث صاحبه الا وانى مسئول هل بلغت الا اسمعوا تعيشوا الحديث وفيه ذكر البعث والنشور والجنة والنار وفيه ثم قال قلت يا رسول الله على ما ابايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان لا تشرك بالله شيأ الحديث **وقدم عليه** صلى الله عليه وسلم وفد النخع وهم آخر الوفود قدوما عليه وكان قدومهم فى نصف المحرم سنة احدى عشرة فى مائتى رجل فنزلوا دار الاضياف ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يا رسول الله انى رايت فى سفرى هذا عجبا قال وما رايت قال رايت اتانا تركتها كانها ولدت جديا اسفع احوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت له مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك قال يا رسول الله فما باله اسفع احوى قال ادن منى فدنى منه قال هل بك من برص تكتمه قال والذى بعثك بالحق نبيا ما علم به احد ولا اطلع عليه غيرك قال فهو ذاك قال يا رسول الله ورايت النعمان بن المنذر عليه قرطان مدلجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب رجع الى احسن زيه وبهجته قال يا رسول الله ورايت عجوزا شمطاء خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورايت نارا خرجت من الارض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون فى آخر الزمان قال يا رسول الله وما الفتنة قال يقتلون الناس امامهم وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسئ فيها انه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن احلا من شرب الماء ان مات ابنك ادركت الفتنة وان مت انت ادركها ابنك قال يا رسول الله ادع الله ان لا ادركها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات فبقى ابنه فكان ممن خلع عثمان بن عفان رضى الله عنه انتهى ملخصا من الهدى النبوى والله الموفق وسيأتى هذا ان شاء الله تعالى فى تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا من المقصد الثامن ٥ ٥ ٥

المقصد الثالث

فيما فضله الله تعالى به من كمال خلقته ٥ وجمال صورته ٥ وكرمه تعالى به من الاخلاق الزكية وشرفه به من الاوصاف المرضية ٥ وما تدعو ضرورة حياته اليه صلى الله عليه وسلم **وفيه** اربعة فصول

الفصل الاول

فى كمال خلقته ٥ وجمال صورته ٥ صلى الله عليه وسلم ٥ وشرف وكرم **اعلم** ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على وجه

لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمى مثله فيكون ما يشاهد من خلق بدنه آيات على ما يتضح من عظيم خلق نفسه الكريمة وما يتضح من عظم اخلاق نفسه آيات على ما تحقق له من سر قلبه المقدس **ولله در** الابوصيرى حيث قال ٥

فهو الذى تم معناه وصورته	ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
منزه عن شريك فى محاسنه	فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعنى حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه لانه الذى تم معناه دون غيره وهى غير منقسمة بينه وبين غيره والا لما كان حسنه تاما لانه اذا انقسم لم ينله الا بعضه فلا يكون تاما **وفى الاثر** ان خالد بن الوليد خرج فى سرية من السرايا فنزل ببعض الاحيا فقال له سيد ذلك الحى صف لنا محمدا فقال اما انى افصل فلا فقال الرجل اجمل فقال الرسول على قدر المرسل ذكره ابن المنير فى اسرار الاسرا فمن ذا الذى يصل قدره ان يقدر قدره او يبلغ من الاطلاع على ماثور احواله المامول والسول **وقد** حكى القرطبى فى كتاب الصلاة عن بعضهم انه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما اطاقت اعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم **ولقد احسن** الابوصيرى حيث قال ايضا

اعيى الورى فهم معناه فليس يرى	للقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد	صغيرة وتكل الطرف من امم

وهذا مثل قوله ايضا

انما مثلوا صفاتك للنا ... س كما مثل النجوم الماء

واشار بقوله تظهر الى وجه التشبيه بالشمس لا مطلقا **ولقد بين** عيب التشبيه بها على الاطلاق ابو النواس حيث قال

تتيه الشمس والقمر المنير ... اذا قلنا كانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسى ... وان البدر ينقصه المسير

وهذه التشبيهات الواردة فى حقه عليه الصلوة والسلام انما هى على سبيل التقريب والتمثيل والا فذاته اعلا ومجده اغلا ٥ **فاما راسه الشريف** المقدس فحسبك ما ذكره الترمذى فى جامعه بسنده الى هند بن ابى هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة وقال نافع بن جبير وصف لنا على بن ابى طالب رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان عظيم الهامة **واما وجهه** الشريف فحسبك ما روى الشيخان من حديث البرا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير البائن **وعن ابى هريرة** ما رايت شيأ احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجرى فى وجهه رواه الترمذى والبيهقى واحمد وابن حبان قال الطيبى شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من تناهى التشبيه جعل وجهه مقرا ومكانا للشمس **ولله در القائل**

لم لا يضيء بك الوجود وليله فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق وببدر وجهك كل ليل مقمر

وفي البخاري سئل البرا اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل القمر وكان السائل اراد مثل السيف في الطول فرد عليه البرا فقال بل مثل القمر اى في التدوير ويحتمل ان يكون اراد مثل السيف في اللمعان والصقال فقال بل فوق ذلك وعدل الى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان وقال الحافظ النسابة ابو الخطاب ابن دحية رحمه الله تعالى في كتابه التنوير في مولد البشير النذير صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم وكرم عند ايراد حديث البرا المذكور ما لفظه في هذا الحديث من العلم ان التشبيه ممن لا يحسنه لا يصلح الاقرار عليه لان السائل شبه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالشمس لكان اولى فرد عليه البرا قوله فقال بل مثل القمر وابدع في تشبيهه لان القمر يملأ الارض بنوره ويونس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا كلل يزعج والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس الذي تغشي البصر وتجلب للناظر الضرر انتهى وفي رواية مسلم من حديث سمرة وقال له رجل اكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وانما قال مستديرا للتنبيه على انه جمع الصفتين لان قوله مثل السيف يحتمل ان يراد به الطول ويحتمل ان يراد به اللمعان كما تقدمت الاشارة اليه فيما سبق من العبارة فرده المسئول ردا بليغا ولما جرى التعارف به ان التشبيه بالشمس انما يراد به غالبا الاشراق وبالقمر انما يراد به الملاحة دون غيرهما فقوله وكان مستديرا اشارة به الى انه اراد به التشبيه في الصفتين معا الحسن والاستدارة وقال المحاربي عن اشعث عن ابي اسحاق عن جابر بن سمرة انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة اضحيان وعليه حلة حمرا فجعلت انظر اليه والى القمر فلهو كان احسن في عيني من القمر وفي رواية بعد قوله حمرا فجعلت اماثل بينه وبين القمر وروى الترمذي والبيهقي عن علي انه نعته صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم كان في وجهه تدوير والمكلثم المدور الوجه اي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل وفي حديث علي عند ابي عبيد في الغرايب وفي وجهه تدوير قال ابو عبيد في شرحه يريد انه ما كان في غاية التدوير بل كان فيه سهولة وهي احلا عند العرب وفي حديث ابي هريرة عند الذهلي في الزهريات في صفته صلى الله عليه وسلم كان اسيل الخدين قال ابن الاثير الاسالة في الخد الاستطالة وان لا يكون مرتفع الوجنة وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر ولعل هذا هو الحامل لمن سئل اكان وجهه مثل السيف واخرج البخاري عن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه اى الموضع الذي يتبين فيه السرور وهو جبينه

وقالت

وقالت عائشة رضي الله عنها دخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا تبرق اسارير وجهه ولذلك قال كعب كانه قطعة قمر وفي حديث جبير بن مطعم عن الطبراني التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر فهذا محمول على صفته عند الالتفات وقد اخرج الطبراني حديث كعب بن مالك من طرق في بعضها كانه دارة القمر ويسال عن السر في التقييد بالقطعة مع كثرة ما ورد في كثير من كلام البلغا من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد وقد كان كعب بن مالك قائل هذا من شعرا الصحابة فلا بد في التقييد بذلك من حكمة وما قيل في ان ذلك من الاحتراز عن السواد الذي في القمر ليس بقوى لان المراد بتشبيهه ما في القمر من الضيا والاستنارة وهو في تمامه لا يكون فيها اقل مما في القطعة المجردة فكان التشبيه وقع في بعض الوجه فناسب ان يشبه ببعض القمر وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر اخرجه ابو نعيم وروى البيهقي عن ابي اسحاق الهمداني عن امراة من همدان سماها قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم مرات فرايته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان احمران يكاد يمس شعره منكبه اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه الى فمه فيقبله قال ابو اسحاق فقلت لها شبهيه قالت كالقمر ليلة البدر لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وروى الدارمي والبيهقي وابو نعيم والطبراني عن ابي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ صفي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رايته لقلت الشمس طالعة وفي لفظ قالت يا بني لو رايته رايت الشمس طالعة وروى مسلم عن ابي الطفيل انه قيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان ابيض مليح الوجه وفيما اخرجه الترمذي من حديث هند بن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقالت ام معبد حين وصفته لزوجها متبلج الوجه يعني مشرقه مضيئه ومنه تبلج الصبح اذا اسفر وما احسن قول سيدي علي بن وفا حيث قال

ألا يا صاحب الوجه المليح سألتك لا تغيب فأنت روحي
متى ما غاب شخصك عن عياني رجعت فلا ترى إلا ضريحي
بحقك جد لرقك يا حبيبي وداوي لوعة القلب الجريح
ورق لمغرم في الحب أمسى وأصبح بالمودة نفاظر يجي
محب ضاق بالأشواق ذرعا وآوي منك للكرم الفسيح

وفي النهاية انه عليه السلام كان اذا سر فكان وجهه المراة وكان الجدر تلاحك وجهه صلى الله عليه وسلم قال والملاحكة شدة الملاءمة اي يرى شخص الجدر في وجهه صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وذلك لان القمر يملأ الارض بنوره ويونس كل من شاهده وهو يجمع النور من غير اذى ويتمكن من النظر اليه بخلاف الشمس التي تغشي البصر فتمنع من تمكن الرؤية والتشبيه بالبدر ابلغ في العرف من التشبيه

بالقمر لانه وقت كماله كما قال الفاروق رضي الله عنه حين رآه او كلما رآه

لو كنت من شيء سوى بشر ... كنت المنور ليلة البدر

وقد صادف هذا التشبيه تحقيقا فمن اسمائه صلى الله عليه وسلم البدر ولهذا انشد لما قدم المدينة طلع البدر علينا من ثنيات الوداع الخ ولقد احسن من قال

كالبدر والكاف ان انصفت زائدة ... فيه فلا تظننها كاف التشبيه

وما اخلى قول ابن الحلاوي

يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه ... وبدر الدجى عن ذلك الحسن منحط

كما شبهوا غصن النقا بقوامه ... لقد بالغوا بالمدح للغصن واشطوا

فقد حصل للبدر والغصن غاية من الفخر بهذا التشبيه على ان هذه التشبيهات الواردة في صفاته عليه الصلوة والسلام انما هي على عادة الشعراء العرب والا فلا شيء في هذه الحدثات تعادل صفاته الخلقية والخلقية ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي المالكي رحمه الله حيث قال

كم فيه للابصار حسن مدهش ... كم فيه للارواح راح مسكر

سبحان من انشاه من سبحانه ... بشرا باسرار الغيوب يبشر

فاسوه جهلا بالغزال تغزلا ... هيهات يشبهه الغزال الاحور

هذا وحقك ما له من مشبه ... وارى المشبه بالغزالة يكفر

يا في عظيم الذنب في تشبيهه ... لولا الرب جماله يستغفر

فخر الملاح بحسنهم وجمالهم ... وبحسنه كل المحاسن تفخر

فجماله مجلى لكل جميلة ... وله منار كل وجه نير

جنات عدن في جنا وجناته ... ودليله ان المراشف كوثر

هيهات الهو عن هواه بغيره ... والغير في حسن الاجانب يحشر

كتب الغرام علي في اسفاره ... كتبا توقد بالهوى وتفسر

فدع الدجى وما ادعاه في الهوى ... فدعيه بالهجر فيه يهجر

وعليك بالعلم العليم فانه ... لخطيبه في كل خطب منبر

واما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بقوله ما زاغ البصر وما طغى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى في الضوء رواه البخاري وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلما كما يرى في الضوء رواه البيهقي وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم اني لاراكم من وراء ظهري رواه البخاري ومسلم وعند مسلم من رواية انس انه صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا

بالسجود

بالسجود فاني اراكم من امامي ومن خلفي وعن مجاهد في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قال كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه رواه الحميدي في مسنده وابن المنذر في تفسيره وهذه الرؤية رؤية ادراك والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التي هي العين عند اهل الحق ولا شعاع ولا مقابلة وهذا بالنسبة الى القديم تعالى اما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية في حقه على الحاسة والشعاع والمقابلة بالاتفاق ولهذا كان خرق عادة في حقه عليه السلام وخالق البصر في العين قادر على خلقه في غيرها قال الحرالي وهذه الآية قد جعلها الله تعالى دالة على حقيقة امره في اطلاع الباطن لسعة علمه ومعرفته لما عرف بربه لا بنفسه اطلعه الله على ما بين يديه مما تقدم من امر الله وعلى ما وراء الوقت مما تاخر من امر الله فلما كان على ذلك من الاحاطة في ادراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في مدركات العيون فكان يرى المحسوسات من وراء ظهره كما يراها من بين يديه كما قال صلى الله عليه وسلم انتهى ومن الغريب ما ذكره الزاهدي مختار بن محمود شارح القدوري في رسالته الناصرية انه صلى الله عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما ولا تحجبهما الثياب وقيل بل كانت صورهم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة امثلتهم فيها فيشاهد افعالهم وهذا ان كان نقله عن الشارع عليه السلام بطريق صحيح فمقبول والا فليس المقام مقام رأي على ان الاولى في اثبات كونه معجزة حملها على الادراك من غير آلة والله اعلم وقد ذهب بعضهم الى ان هذه الرؤية رؤية قلبه الشريف وعن بعضهم المراد بها العلم اما بان يوحى الله اليه كيفية فعلهم واما بان يلهم والصحيح والصواب ما تقدم وقد استشكل على قول من يقول ان المراد بذلك العلم ما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بغير اسناد انه صلى الله عليه وسلم قال اني لا اعلم ما وراء جداري هذا فان صح فالمراد منه نفي العلم بالمغيبات فكيف يجتمعان واجيب بان الاحاديث الاول ظاهرها ينطق باختصاص ذلك بحالة الصلوة ويحمل المطلق منها على المقيد واما اذا ذهبنا الى الادراك بالبصر وهو الصواب فلا اشكال لان نفي العلم هنا عن الغيب وذاك عن مشاهدة وفي المقاصد الحسنة للحافظ شمس الدين السخاوي حديث ما اعلم ما خلف جداري هذا قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن حجر لا اصل له قلت ولكنه قال في تلخيص تخريج احاديث الرافعي عند قوله في الخصايص يرى من وراء ظهره كما يرى من قدامه هو في الصحيحين وغيرهما من حديث انس وغيره والاحاديث الواردة في ذلك مقيدة بحالة الصلوة وبذلك يجمع بينه وبين قوله لا اعلم ما وراء جداري هذا انتهى قال شيخنا وهذا مشعر بوروده وعلى تقدير وروده لا تنافي بينهما لعدم تواردهما على محل واحد فان قيل يشكل على هذا ايضا اخباره صلى الله عليه وسلم بكثير من المغيبات ووقعت كما اخبر صلى الله عليه وسلم فالجواب ان نفي العلم في هذا

وَرَدَ على اصل الوضع وهو ان علم الغيب مختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او الهام ويدل على ذلك الحديث الذي
فيه انه لما ضلت ناقته صلى الله عليه وسلم تكلم بعض المنافقين وقال ان محمدا يزعم انه
يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك والله
اني لا اعلم الا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا وكذا حبستها شجرة
بخطامها فذهبوا فوجدوها كما اخبر صلى الله عليه وسلم فصح انه لا يعلم ما وراء جدار
ولا غيره الا ما علمه ربه تبارك وتعالى وذكر القاضي عياض في الشفا انه صلى الله عليه
وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما وعند السهيلي اثني عشر وفي حديث ابن ابي هالة
واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره
الملاحظة وهي مفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ واما الذي في
الانف فالموق والماق وقوله واذا التفت التفت جميعا اراد انه لا يسارق النظر وقيل
لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذا نظر الى الشيء وانما يفعل ذلك الطايش الخفيف ولكن
كان يقبل جميعا ويدبر جميعا قاله ابن الاثير وعن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب العين بحمرة رواه البيهقي وعن جابر بن
سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم اشكل العينين منهوس العقبين
رواه مسلم والشكلة الحمرة تكون في بياض العين وهو محمود محبوب واما الشهلة فانها
حمرة في سوادها وهذا هو الصواب لا ما فسره به بعضهم بانه طول شق العين وعند
الترمذي في حديث علي انه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان في وجهه تدوير
ابيض مشربا ادعج العينين اهدب الاشفار الحديث والادعج الشديد سواد الحدقة والاهدب
الطويل الاشفار وهي شعر العين وعنده ايضا عن علي قال كان اسود الحدقة اهدب
الاشفار وعن علي بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن لاخطب يوما على الناس وحبر
من احبار اليهود واقف بيده سفر ينظر فيه فلما رآني قال صف لي ابا القاسم فقلت ليس بالطويل
البائن ولا بالقصير المتلاحق الحديث وفيه قال علي ثم سكت فقال الحبر وما ذا قلت هذا
ما يحضرني قال الحبر في عينيه حمرة حسن اللحية ثم قال علي هذه والله صفته قال الحبر فاني
اجد هذه الصفة في سفر آبائي واني اشهد انه نبي وانه رسول الله الى الناس كافة الحديث
وأما سمعه الشريف فحسبك انه قد قال صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا
ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا
وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى رواه الترمذي من رواية ابي ذر ومما رواه ابو
نعيم عن حكيم بن حزام بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه اذ قال لهم تسمعون ما
اسمع قالوا ما نسمع من شيء قال اني لاسمع اطيط السماء وما تلام ان تئط وما فيها موضع
شبر الا وعليه ملك ساجد او قائم وأما جبينه الكريم صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم فقد كان واضح الجبين مقرون الحاجبين بهذا وصفه علي كما عند ابن سعد
وابن عساكر فقال مقرون الحاجبين صلت الجبين اي واضحه والقرن اتصال شعر الحاجبين
وعند البيهقي عن رجل من الصحابة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل
حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در القائل

جبينه مشرق من فوق طرته	يبلو الضحى ليله والليل كا قرة
بالمسك خطت على كافور جبهته	من فوق نوناتها سينا صفا آرم
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه	منظر الحسن قد قلت نظائره

وقال ابن ابي هالة ازج الحواجب وفسر بالمقوس الطويل الوافر الشعر ثم قال في
غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اي يمتلئ دما اذا غضب كما يمتلئ الضرع لبنا
اذا در قاله في النهاية وعن مقاتل بن حيان قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام
اسمع واطع يا ابن الطاهرة البكر البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين
فاياي فاعبد وعلي فتوكل فسر لاهل سوران اني انا الله الحي القيوم الذي لا ازول
صدقوا النبي الامي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الراس
الصلت الجبين المقرون الحاجبين الاهدب الاشفار الادعج العينين الاقنى الانف
الواضح الخدين الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفح منه كان عنقه
ابريق فضة الحديث والانجل الواسع شق العين والقرن بالتحريك التقاء الحاجبين
وما وصفه به ابن ابي هالة مخالف لما في حديث مقاتل بن حيان ولما في حديث ام معبد
فانها قالت ازج اقرن اي مقرون الحاجبين قال ابن الاثير والاول هو الصحيح في صفته
يعني سوابغ من غير قرن والقنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب في وسطه
وقد وصفه عليه الصلوة والسلام غير واحد بانه كان عظيم الهامة اي الراس
كذا في حديث ابن ابي هالة المشهور وقال علي بن ابي طالب في حديث رواه الترمذي
وصححه والبيهقي ضخم الراس وكذا قال انس في رواية البخاري وكان عليه الصلوة
والسلام ايضا ضخم الكراديس وهي رؤس العظام كما وصفه به علي في حديث الترمذي
وقال ايضا في رواية الترمذي جليل المشاش والكتد وفسر برؤس العظام كالركبتين
والمرفقين والمنكبين اي عظيمها والكتد بفتحتين ويجوز كسر التاء مجتمع الكتفين
وكان عليه السلام دقيق العرنين اي اعلى الانف كما وصفه به علي في رواية ابن سعد
وابن عساكر وفي رواية ايضا عن ابن عمر من وصف علي له ايضا اقنى الانف وفسر
بالسائل المرتفع وسطه وقال ابن ابي هالة اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم
يتامله اشم والاشم الطويل قصبة الانف وأما فمه الشريف صلى
الله عليه وسلم ففي مسلم من حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان ضليع الفم يعني
واسعه وكذا وصفه به ابن ابي هالة وهو بفتح الكلام ويختمه باشداقه يعني لسعة

فمه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم وقالت شثن عظيم الاسنان وفي حديث عند البزار والبيهقي قال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسيل الخدين واسع الفم **ووصفه** صلى الله عليه وسلم ابن ابي هالة فقال اشنب مفلج الاسنان والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيزها والفلج في الاسنان اي متفرقها وقالت على مبلج الثنايا بالموحدة اخرجه ابن سعد من حديث ابي هريرة وعند ابن عساكر عن علي براق الثنايا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج الثنيتين اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه رواه الترمذي في الشمايل والدارمي والطبراني في الاوسط **وكان** عليه الصلوة والسلام احسن عباد الله شفتين والطفهم ختم فم

بحر من الشهد في فيه مراشفه ... ياقوته صدف فيه جواهره

وعن ابي قرصافة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وامي وخالتي فلما رجعنا قالت امي وخالتي يا بني ما راينا مثل هذا الرجل احسن وجها ولا انقى ثوبا ولا الين كلاما ورأينا كالنور يخرج من فيه **واما ريقه الشريف** ففي الصحيح عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوان يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقالوا يا رسول الله هو يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرئ كان لم يكن به وجع الحديث متفق عليه واتي بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صب في البئر او قال مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك رواه احمد من حديث وائل بن حجر وبزق في بئر في دار انس فلم يكن بالمدينة بئر اعذب منها رواه ابو نعيم **وكان** عليه الصلوة والسلام يوم عاشورا يدعو برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل في افواههم ويقول للامهات لا ترضعنهم الى الليل فكان ريقه يجزيهم رواه البيهقي ودخلت عليه عميرة بنت مسعود هي واخواتها يبايعنه وهن خمس فوجدنه ياكل قديدا فمضغ لهن قديدة فمضغنها كل واحدة قطعة قطعة فلقين الله وما وجد لافواههن خلوف رواه الطبراني **ومسح** صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بعد ان نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة وبطنه وكان به شرى فما كان يشم اطيب منه رائحة رواه الطبراني واعطى الحسن لسانه وكان قد اشتد ظماؤه فمصه حتى روي رواه ابن عساكر **ولله در** امام العارفين سيدي محمد وفا الشاذلي حيث يقول

جنا النحل من فيه وفيه حياتنا	ولكنه من لي بلثم لثامه
رحيق الثنايا والمثاني تنفست	اذا قال في فتح بطيب ختامه

واما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه

فكان

فكان صلى الله عليه وسلم افصح خلق الله واعذبهم كلاما واسرعهم اداء واحلاهم منطقا حتى كان كلامه ياخذ بمجامع القلوب ويسلب الارواح

ينظم در الثغر نثر مقوله	فيا حسنه في نثره ونظامه
يناجي فيبغي من يناجي من الجوى	وكل كليم نزوه في كلامه

فصاحة لسانه عليه الصلوة والسلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يداني منتهاها وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو به اليه عباده فهو ينطق بحكمه عن امره ويبين عن مراده بحقيقة ذكره افصح خلق الله اذا لفظ وانصحهم اذا وعظ لا يقول هجرا ولا ينطق هذرا كلامه كله يثمر علما وشرعا وحكما لا يتفوه بشر بكلام احكم منه في مقالته ولا اجزل منه في عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه واقام به الحجة على عباده ببيانه وبين مواضع فروضه واوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده ان يكون احكم الخلق جنانا وافصحهم لسانا واوضحهم بيانا **وقد** كان عليه الصلوة والسلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذ مسرع لا يحفظ **قالت** عائشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه وكان يعيد الكلمة ثلاثا لتفهم عنه **وكان** يقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم **وقد** قال له عمر بن الخطاب يا رسول الله ما لك افصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا فقال كانت لغة اسماعيل قد درست فجاءني بها جبريل فحفظنيها رواه ابو نعيم **وروى** العسكري في الامثال من حديث علي بسند ضعيف جدا قال قدم بنو نهد على النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه ذكر خطبتهم وما اجابهم النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلنا يا نبي الله نحن بنو اب واحد ونشانا في بلد واحد وانك تكلم العرب بلسان ما نفهم اكثره فقال ان الله عز وجل ادبني فاحسن ادبي ونشات في بني سعد بن بكر **وعن** محمد بن عبد الرحمن الزهري عن ابيه عن جده قال قال رجل يا رسول الله ايدالك الرجل امراته قال نعم اذا كان ملفجا فقال له ابو بكر يا رسول الله ما قال لك وما قلت له قال انما قال الرجل ايماطل الرجل اهله قلت له نعم اذا كان مفلسا قال ابو بكر يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت افصح منك قال ادبني ربي ونشات في بني سعد رواه ابن السري في الدلايل بسند واه وكذا اخرجه ابن عساكر قال في القاموس بعد الكرا اي ماطله انتهى **وقوله** ملفجا بضم الميم وفتح الفا اسم فاعل من الفج الرجل فهو ملفج اذا كان فقيرا وهو غير مقيس ومثله احصن فهو محصن واسهب فهو مسهب في الفاظ شذت والقياس الكسر قاله ابن عرفة لكن قال ابن الاثير لم يجي الا في ثلاثة احرف اسهب واحصن والفج **وقال** غيره معناه ايداعب الرجل امراته يعني قبل الجماع وسماه مطلا لكون غرضها الاعظم الجماع قال اذا كان عاجزا لكون ذلك يحرك الشهوة والعجزه يسمى مفلسا وقال ابن الاثير يماطلها

بمهرها اذا كان فقيرا واما ما يروى انا افصح من نطق بالضاد فقال ابن كثير لا اصل له
انتهى لكن معناه صحيح والله اعلم وقد حدوا الفصاحة بخلوص الكلمة من التنافر والغرابة
ومخالفة القياس والمراد بالتنافر تقارب مخارج الحروف كقوله غدائره مستشزرات الى العلى
فان السين والشين والتاء والزاى كلها متقاربة المخارج والغرابة كون الكلمة لا تدل
على المراد من اول وهلة لاحتمال معنى آخر ومخالفة القياس استعمال الكلمة على غير
قياس كابقاء وجود المثلين من كلمة واحدة من غير ادغام كقوله الحمد لله العلى الاجلل
والفصاحة يوصف بها الكلام والكلمة والمتكلم والبلاغة ان يطابق الكلام مقتضى
الحال مع فصاحته والجزالة خلاف الركاكة ففصاحته صلى الله عليه وسلم
الى الحد الخارق للعادة البالغ نهاية المزية والزيادة التى تصدع القلوب قبل
الاذهان وتقرع الجوارح قبل الاذان مما يروق ويفوق ويثبت له على سائر البشر
الحقوق التى لا تقابل بالعقوق فهو صاحب جوامع الكلم وبدائع الحكم وقوارع الزجر
وقواطع الامر والامثال السائرة والغرر السائلة والدرر المنثورة والدرارى المأثورة
والقضايا المحكمة والوصايا المبرمة والمواعظ التى هى على القلوب محكمة والحجج التى هى
للد الخصام مفحمة ملجمة وقليل هذا الوصف فى حقه صلى الله وسلم عليه وزاده فضلا
وشرفا لديه وقد روى الحاكم فى مستدركه وصححه من حديث ابن عباس ان اهل الجنة
يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى شاهد
ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع الناس من كلامه الفرد الموجز البديع الذى لم يسبق
اليه دواوين وفى كتاب الشفا للقاضى عياض من ذلك ما يشفى الغليل كقوله صلى الله
عليه وسلم وشرف وعظم وكرم المرء مع من احب وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك
مرتين وقوله السعيد من وعظ بغيره ومما لم يذكره القاضى عياض رحمه الله تعالى
عليه الصلوة والسلام انما الاعمال بالنيات رواه الشيخان وغيرهما وقوله ليس للعامل
من عمله الا ما نواه وتحت هاتين الكلمتين كنوز من العلم ولهذا قال الشافعى رحمه
الله حديث انما الاعمال بالنيات يدخل فى نصف العلم وذلك ان للدين ظاهرا وباطنا
والنية متعلقة بالباطن والعمل هو الظاهر وايضا فالنية عبودية القلب والعمل عبودية
الجوارح وقال بعض الايمة حديث الاعمال بالنيات ثلث الدين ووجهه ان الدين
قول وعمل ونية وقوله نية المرء خير من عمله رواه الطبرانى لكن قال بعضهم لا يصح
رفعه قال ورواه القضاعى عن اسماعيل بن عبد الرحمن الصفار اخبرنا على بن عبد الله
الفضل حدثنا محمد بن الحنفية الواسطى حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول نية المؤمن ابلغ من عمله قال وهذا اسناد لا يصح
عليه ويوسف بن عطية متروك الحديث ورواه عثمان بن عبد الله الشامى من حديث
النواس بن سمعان وقال نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وقال ابن عدى

عثمان بن عبد الله الشامى له احاديث موضوعات هذا من جملتها وقال ابن الجوزى
لا يصح رفعه وقال المعناه ان النية سر والعمل ظاهر والعمل السر افضل وهو يقتضى
انه لو نوى ان يذكر الله او يتفكر تكون نية الذكر والتفكر خيرا منه وليس بصحيح وقيل
ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهذا بعيد لان العمل اذا خلا عن النية
لم يكن فيه خير اصلا وقيل النية عمل القلب والفعل عمل الجوارح وعمل القلب خير من عمل
الجوارح فان القلب امير الجوارح وبينه وبينها علاقة فاذا تالمت تالم القلب واذا
تالم القلب تالمت فان تعددت الفرايض وتغير اللون فانه الملك الراعى والجوارح خدمه
ورعيته وعمل الملك ابلغ من عمل رعيته وقيل لما كانت النية اصل الاعمال كلها وروحها
ولبها والاعمال تابعة لها تصح بصحتها وتفسد بفسادها وهى التى تقلب العمل الصالح
فتجعله فاسدا وغير الصالح تجعله صالحا مثابا عليه ويثاب عليها اضعاف ما يثاب
على العمل فلذا كانت نية المؤمن خيرا من عمله وقال ابن دريد فى مجتناه المعنى والله
اعلم ان المؤمن ينوى الاشياء من ابواب البر نحو الصدقة والصوم وغير ذلك فلعله يعجز
عن بعض ذلك وهو معقود النية عليه فنيته خير من عمله وقوله يا خيل الله اركبى
رواه ابو الشيخ فى الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير والعسكرى عن انس وابن عائذ
فى المغازى عن قتادة ولفظه عند ابن عائذ قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ يعنى يوم الاحزاب مناديا ينادى يا خيل الله اركبى قال العسكرى وابن
دريد فى مجتناه وهذا على المجاز والتوسع اراد يا فرسان خيل الله اركبى فاختصر وقوله
الولد للفراش وللعاهر الحجر رواه الشيخان والمعنى والله اعلم ان حظ العاهر الحجر ولا
شئ له فى الولد وقيل اراد ان حظه الغلظة والخشونة من اقامة الحد التى نهايتها
رميه بالحجر وقيل اراد بالحجر هنا الكناية عن رجوعه بالخيبة فى الولد اذ لم تكن المراة
زوجا له والله اعلم وقوله كل الصيد فى جوف الفرا وهو بفتح الفاء حمار الوحش رواه
الرامهرمزى فى الامثال وسنده جيد ولكنه مرسل ونحوه عند العسكرى وقال الجوف
او جنب وهذا خاطب به النبى صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب
حين جاءه مسلما بعد ان كان عدوا له هجاء كثير الهجا متعذرا فيه فكانه يقول صلى
الله عليه وسلم ان الحمار الوحشى من اعظم ما يصاد وكل صيد دونه كما انك من اعظم
اهلى وامسهم رحما بى ومن اكرم ما يأتينى وكل دونك انتهى وقوله الحرب خدعة
رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة قال سمى النبى صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة
وليس عند مسلم سمى وقوله خدعة مثلث الخاء اشهرها فتح الخاء واسكان الدال قال
ثعلب وغيره وهى لغة النبى صلى الله عليه وسلم والثانية ضم الخاء واسكان الدال
والثالثة ضم الخاء وفتح الدال وقد قال ذلك صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب لما بعث
نعيم بن مسعود وامره ان يخذل بين قريش وغطفان واليهود واشار بذلك الى ان

ابو بكر ح

المماكرة انفع من المكاثرة قال النووي اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيفما امكن الا ان يكون فيه نقض عهد وامان فلا يحل وقوله اياكم وخضراء الدمن رواه الرامهرمزي والعسكري في الامثال وابن عدي في الكامل وابو بكر بن دريد في المجتنى والقضاعي في مسند الشهاب والديلمي من حديث الواقدي قال حدثنا محمد بن سعيد ابن دينار عن ابي وجزة يزيد بن عبيد عن عطاء بن يزيد الليثي عن ابي سعيد رفعه قيل يا رسول الله وما ذاك قال المرأة الحسناء في المنبت السوء قال ابن عدي تفرد به الواقدي ومعناه انه كره نكاح الفاسدة وقال ان اعراق السوء تنزع اولادها وتفسير حقيقته ان الريح تجمع الدمن وهو البعر في البقعة من الارض ثم يركبه الساقي فاذا اصابه المطر انبت نبتا غضا ناعما يهتز وتحته الاصل الخبيث فيكون ظاهره حسنا وباطنه قبيحا فاسدا. والدمن جمع دمنة وهي البعرة وانشد زفر بن الحارث

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

ومعنى البيت ان الرجلين قد يظهران الصلح والمودة وينطويان على البغضاء والعداوة كما ينبت المرعى على الدمن وهذا اكثر ما وكل في زماننا اشار اليه شيخنا وقوله الانصار كرشي وعيبتي رواه البخاري اي انهم بطانته وموضع سره والعيبة كذلك لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يضع ثيابه في عيبته وقيل اي هم الذين اعتمد عليهم وافزع اليهم واقوى بهم وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي ويقال عليه كرش من الناس اي جماعة ووقع في رواية الترمذي الا ان عيبتي التي اوي اليها اهل بيتي وان كرشي الانصار وقوله ولا يجني على المرء الا يده رواه احمد ولاحمد وابن ماجه من حديث عمرو ابن الاحوص لا يجني جان الا على نفسه الحديث وقد اراد صلى الله عليه وسلم بهذا ان لا يؤخذ انسان بجناية غيره ان قتل وجرح او جنى وانما يؤخذ بما جنته يده فيكون هي التي ادت الى ذلك وقوله ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب نفسه رواه ابن حبان في صحيحه ورواه الشيخان بلفظ ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب يعني انه اذا امسكها كان قد قهر اقوى اعدائه وشر خصومه ولذا قال اعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك وهذا من باب المجاز ومن فصيح الكلام لانه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شدة من الغضب فقهرها بحلمه وصرعها بثباته كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه وقوله ليس الخبر كالمعاينة رواه احمد وابن منيع والطبراني والعسكري وقوله المجالس بالامانة رواه العقيلي في ترجمة حسين بن عبد الله بن ضمرة عن ابيه عن جده عن علي رفعه وعن جابر بن عتيك اذا حدث الرجل ثم التفت فهي امانة ورواه ابو داود في سننه والترمذي في جامعه وابن ابي الدنيا في الصمت وغيرهم ففي هاتين الكلمتين من الحث على اداب العشرة واداب الصحبة وكتم السر وحفظ الود وحسن العهد واصلاح ذات البين والتحذير من النميمة

بين

بين الاخوان الموقعة للشنآن ما لا يكاد يخفى على مبادي الاذهان وقوله البلاء موكل بالمنطق رواه ابن ابي شيبة والبخاري في الادب المفرد من رواية ابرهيم عن ابن مسعود ورواه الديلمي عن ابي الدرداء مرفوعا البلاء موكل بالمنطق واورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث ابي الدرداء وابن مسعود قال شيخنا في المقاصد الحسنة ولا يحسن مع مجموع ما ذكرنا الحكم عليه بالوضع ويشهد لمعناه قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذي دخل عليه يعوده وقال لا باس طهور فقال الاعرابي بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور فقال صلى الله عليه وسلم فنعم اذا

وانشد في معناه

لا تنطقن بما كرهت فربما ... نطق اللسان بحادث فيكون

وقوله عليه السلام ترك الشر صدقة ومعنى ذلك ان من ترك الشر واذى الناس فكانه تصدق عليهم وعلم من ذلك ان فضل ترك الشر كفضل الصدقة انتهى وقوله اي داء ادوا من البخل رواه البخاري والبخل قد جعله صلى الله عليه وسلم داء وليس بداء مولم لصاحبه وانما شبهه بالداء اذ كان مفسدا للرجل مورثا له سوء الثنا كما ان الداء يؤول الى طول الضنا وشدة العنا والقصد في هذا النهي عن البخل اعاذنا الله منه وقوله لا ينتطح فيها عنزان اي لا يجري فيها خلف ولا نزاع وقوله الحياء خير كله متفق عليه وقوله اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع رواه في مسند الفردوس من حديث ابي هريرة وقوله سيد القوم خادمهم رواه ابو داود وعبد الرحمن السلمي في اداب الصحبة له عن عقبة بن عامر رفعه وفي سنده ضعف وانقطاع ورواه غيره ايضا وقوله فضل العلم خير من فضل العبادة رواه الطبراني والبزار وقوله الخيل معقود في نواصيها الخير متفق عليه من حديث مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه بلفظ الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيمة وفي لفظ لهما معقود في نواصيها الخير وقوله اعجل الاشيا عقوبة البغي رواه وقوله وان من الشعر لحكما رواه ابو داود من رواية صخر بن عبد الله بن بريدة عن ابيه عن جده سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما فقال صعصعة بن صوحان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اما قوله ان من البيان سحرا فالرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق واما قوله ان من العلم جهلا فيتكلف العالم الى علمه ما لا يعلم فيجهله واما قوله ان من الشعر حكما فهي هذه المواعظ والامثال التي يتعظ بها الناس ومفهومه ان بعض الشعر ليس كذلك لان من تبعيضية وفي البخاري ان من الشعر حكمة اي قولا صادقا مطابقا للحق قال الطبري وفي هذا الحديث رد على من كره الشعر مطلقا واحتج بقول ابن مسعود الشعر مزامير الشيطان وعن ابي امامة رفعه ان ابليس لما اهبط الى الارض قال رب اجعل لي قرانا قال قرانك الشعر ثم اجاب عن ذلك بانها احاديث واهية وهو كذلك فحديث ابي امامة فيه علي بن زيد الالهاني وهو ضعيف

وعلى تقدير ثبوتها فهو محمول على الإفراط فيه والإكثار منه ويدل على الجواز أحاديث كثيرة
منها ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن عمرو بن الشريد عن أبيه استنشدني النبي صلى
الله عليه وسلم من شعر أمية بن أبي الصلت فأنشدته مائة قافية وقوله الصحة والفراغ
نعمتان رواه البخاري وقوله استعينوا على الحاجات بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود
رواه الطبراني في معاجيمه الثلاثة عن معاذ بن جبل رفعه وأخرجه الخلعي عن علي مرفوعا
استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها وقوله المكر والخديعة في النار رواه الديلمي عن أبي
هريرة ومعناه أن ذا المكر والخديعة لا يكون تقيا ولا خائفا الله لأنه إذا مكر غدر وإذا
غدر خدع وإذا فعلهما أوبق وهذا لا يكون في تقي فكل خلة جانبت التقى فهي في النار
وقوله من غشنا فليس منا رواه مسلم في صحيحه وقوله المستشار مؤتمن رواه أحمد
وغيره ومعناه أن من أفضى إليك بسره وأمنك على ذات نفسه فقد جعلك موضع نفسه
فيجب عليك أن لا تشير عليه إلا بما تراه صوابا فإنه كالأمانة للرجل الذي لا يأمن على
إيداع ماله إلا الثقة في نفسه والسر الذي ربما كان في إذاعته تلف النفس أولى بأن
لا يجعل إلا عند الموثوق به وقوله الندم توبة رواه الطبراني في الكبير وقوله الدال
على الخير كفاعله رواه العسكري وابن جميع ومن طريقه المنذري عن ابن عباس في حديث
مرفوع بلفظ وكل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان
والمعنى أن من دلك على خير وأرشدك إليه فمثله بإرشاده فكأنه فعل ذلك الخير
وقوله حبك الشيء يعمي ويصم رواه أبو داود والعسكري من حديث بقية بن الوليد
عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن
أبيه مرفوعا ولم ينفرد به بقية بل توبع عليه وابن أبي مريم ضعيف وقد حكم الصغاني
عليه بالوضع وتعقبه العراقي وقال إن ابن أبي مريم لم يتهمه أحد بكذب ويكفينا سكوت
أبي داود عليه فليس بموضوع بل ولا شديد الضعف فهو حسن قال العسكري أراد
النبي صلى الله عليه وسلم أن من الحب ما يعميك عن طريق الرشد ويصمك عن استماع
الحق وأن الرجل إذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له رادع من عقل ودين أصمه حبه عن العذل
وأعماه عن الرشد ولذا قال بعض الشعراء

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

أشار إليه شيخنا في المقاصد الحسنة وقوله عليه السلام العارية مؤداة والمنحة
مردودة والدين مقضي والزعيم غارم رواه الترمذي وأبو داود وقوله سبقك
بها عكاشة رواه البخاري وقوله عجب ربك من كذا روي في عدة روايات عند البخاري
وغيره ومعناه كما قال ابن الأثير عظم ذلك عنده وكبر لديه أعلم الله أنه إنما يتعجب
الآدمي من الشيء إذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه فأخبرهم بما يعرفون ليعلموا
موقع هذه الأشياء عنده وقيل معنى عجب ربك أي رضي وأثاب فسماه عجبا مجازا

وليس

وليس بعجب في الحقيقة والأول الوجه وقوله قتل صبرا رواه غير واحد وقوله وليس
المسؤول بأعلم من السائل رواه مسلم وغيره وقوله ولا ترفع عصاك عن أهلك أدبا
رواه أحمد أي لا تدع تأديبهم وجمعهم على طاعة الله يقال شق العصا أي فارق الجماعة
وليس المراد الضرب بالعصا ولكنه جعله مثلا وقيل لا تغفل عن أدبهم ومنعهم من الفساد
قاله ابن الأثير وقوله إن مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم رواه البخاري وعده
ابن دريد وقال إنه من الكلام الفرد الوجيز الذي لم يسبق صلى الله عليه وسلم إلى معناه
أي كل ما أنبت الجدول وإسناد الإنبات إليه مجاز والمنبت في الحقيقة هو الله تعالى
وحبطا بفتح المهملة والموحدة والطاء المهملة أيضا وهو انتفاخ البطن من كثرة الأكل
حتى تنتفخ فتموت أو يلم بضم الياء أي يقرب من الهلاك وهو مثل للمنهمك في جمع الدنيا
المانع من إخراجها في وجهها وقوله عليه السلام خير المال عين ساهرة لعين نائمة
رواه ضر ومعناه عين ما تجري ليلا ونهارا وصاحبها نائم فجعل دوام
جريانها سهرا لها وقوله خير مال المرء مهرة مأمورة أو سكة مأبورة رواه الإمام أحمد
والطبراني عن سويد بن هبيرة ومعنى مأمورة أي كثيرة النتاج وسكة مأبورة أي طريقة
مصطفة من النخل ومنه قيل للأزقة سكك والتأبير تلقيح النخل انتهى وقوله عليه السلام
من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقوله زر غبا تزدد
حبا رواه البزار والحارث بن أبي أسامة عن أبي هريرة مرفوعا وفي بعض أحاديث الباب
أنه قيل له يا أبا هريرة أين كنت أمس قال زرت ناسا من أهلي فقال يا أبا هريرة زر غبا
تزدد حبا وقوله إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم رواه أبو يعلى والبزار
من طرق أحدها حسن بلفظ إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه
وحسن الخلق وقوله الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل رواه الطبراني
في الكبير والأوسط والبيهقي وقوله إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض
إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى رواه البزار والحاكم في علومه
والبيهقي في سننه كلهم من طريق محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا وهو مما
اختلف فيه على ابن سوقة في إرساله ووصله ورفعه ووقفه ثم في الصحابي أهو جابر
أو عائشة أو عمرو ورجح البخاري في تاريخه من حديث ابن المنكدر الإرسال ومعناه
أنه بقي في طريقه عاجزا عن مقصده لم يقض وطره وقد أعطب ظهره والوغول الدخول
فكأنه قال إن هذا الدين مع كونه يسيرا سهلا شديد فبالغوا فيه بالعبادة لكن
اجعلوا تلك المبالغة مع رفق فإن من بالغ بغير رفق وتكلف من العبادة فوق طاقته
يوشك أن يمل حتى ينقطع عن الواجبات فيكون مثله كمثل الذي يعسف الركاب ويحملها
من السير على ما لا تطيق رجاء الإسراع فينقطع ظهره فلا هو الذي قطع الأرض التي أراد
ولا هو أبقى ظهره سالما ينتفع به بعد ذلك وقوله عليه السلام من شاد هذا الدين

عليه رواه العسكري عن بريدة وللبخاري من حديث معن بن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن ابي هريرة مرفوعا ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة **وقوله** الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني رواه الحاكم عن شداد بن اوس وقال صحيح على شرط البخاري وتعقبه الذهبي بان ابن ابي مريم واه وكذا رواه العسكري والقضاعي والترمذي وابن ماجة **وقوله** ما حاك في صدرك فدعه رواه الطبراني في الكبير من حديث ابي امامة **وقوله** عليه السلام تنكح المرأة لمالها وجمالها ودينها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك متفق عليه من حديث ابي هريرة **وقوله** الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه رواه البيهقي واحمد وابو نعيم مختصرا والعسكري بتمامه كلهم من حديث دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد وله شواهد وانما كان الشتاء ربيع المؤمن لانه يرتع فيه في بساتين الطاعات ويسرح في ميادين العبادات وينزه قلبه في رياض الاعمال الميسرة فيه من الطاعات فان المؤمن يقدر على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة ولا يحصل له جوع ولا عطش فان نهاره قصير بارد فلا يحصل فيه مشقة الصيام **وقوله** عليه السلام القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى رواه الطبراني في الاوسط من حديث المنكدر بن محمد عن ابيه عن جابر والقضاعي بدون وكنز لا يفنى عن انس وفي القناعة احاديث كثيرة ولو لم يكن في القنع الا التمتع بالعز لكفى صاحبه وكان من دعائه عليه السلام اللهم قنعني بما رزقتني

وانشد بعضهم

ما ذاق طعم الغنى من لا قنوع له ... ولن ترى قانعا ما عاش مفتقرا

وقوله عليه السلام ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد رواه الطبراني في معجمه الاوسط من حديث انس **وقوله** عليه السلام الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم رواه البيهقي في الشعب والعسكري في الامثال وابن السني والديلمي من طريقه والقضاعي كلهم من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعا وضعفه البيهقي لكن له شاهد عند العسكري من حديث خلاد ابن عيسى عن ثابت عن انس رفعه الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين وكذا اخرجه الطبراني وابن لال ومن شواهده ايضا ما للعسكري عن انس رفعه السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وما عال امرؤ في اقتصاد وللديلمي من حديث ابي امامة رفعه السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وفي صحيح ابن حبان من حديث طويل عن ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق وهذا اللفظ عند البيهقي في الشعب وله ايضا وللعسكري عن علي مرفوعا التودد نصف الدين وما عال امرؤ قط على اقتصاد ای ما افتقر من انفق

فقدا

قصدا ولم يجاوزه الى الاسراف **وقوله** عليه السلام المؤمن من امنه الناس رواه الترمذي **وقوله** المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله متفق عليه عن ابن عمر عنه مرفوعا وعن ابي موسى ومسلم عن جابر **وقوله** قلة العيال احد اليسارين رواه صاحب مسند الفردوس ولفظه التدبير نصف المعيشة والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم وقلة العيال احد اليسارين **وقوله** عليه السلام اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك رواه ابو داود والترمذي من رواية شريك وقيس بن الربيع كلاهما عن ابي صالح والحارث من رواية الحسن كلاهما عن ابي هريرة وقال الترمذي حديث حسن غريب واخرجه الدارمي في مسنده والدارقطني والحاكم وقال انه صحيح على شرط مسلم ولكن اعله ابن حزم وكذا ابن القطان والبيهقي وقال ابو حاتم انه منكر وقال الشافعي انه ليس بثابت عند اهله وقال احمد هذا حديث باطل لا اعرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه صحيح قال شيخنا لكن بانضمامها يقوى الحديث انتهى **وقوله** الرضاع يغير الطباع رواه ابو الشيخ من حديث ابن عمر **وقوله** عليه السلام لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له رواه احمد وابو يعلى في مسنديهما والبيهقي في الشعب عن انس **وقوله** النساء حبائل الشيطان رواه في مسند الفردوس عن عقبة بن عامر **وقوله** عليه السلام حسن العهد من الايمان رواه الحاكم في مستدركه عن عائشة قالت جاءت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها من انت فقالت جثامة المزنية قال انت حسانة كيف انتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بابي انت وامي فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال قال انها كانت تأتينا زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان وقال انه صحيح على شرط الشيخين وليس له علة **وقوله** صلى الله عليه وسلم جمال الرجل فصاحة لسانه رواه القضاعي من حديث الاوزاعي والعسكري من حديث المنكدر بن محمد بن المنكدر كلاهما عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا واخرجه ايضا الخطيب وابن طاهر وفي اسناده احمد بن عبد الرحمن بن الجارود الرقي والديلمي من حديث جابر رفعه الجمال الصواب في المقال والكمال حسن الفعال بالصدق وعند العسكري من حديث العباس قلت يا نبي الله ما الجمال قال في الرجل قال فصاحة لسانه **وقوله** عليه السلام منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا رواه الطبراني في الكبير والقضاعي عن ابن مسعود وهو عند البيهقي في المدخل عن القاسم قال قال ابن مسعود منهومان لا يشبعان طالب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان اما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان واما صاحب العلم فيزداد من رضى الرحمن وقال انه موقوف منقطع وكذا رواه البزار والعسكري وغيرهما وبمجموعها يتقوى وان كانت مفرداته ضعيفة والله اعلم **وقوله** لا فقر اشد من الجهل ولا مال اعز من العقل ولا وحشة اشد من العجب رواه ابن ماجة **وقوله** عليه السلام الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما

شئت رواه في مسند الفردوس عن ابن عمر وقوله عليه السلام ما جمع شئ الى شئ احسن من حلم الى علم رواه العسكري في الامثال من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن الحسين عن علي مرفوعا بزيادة وافضل الايمان التحبب الى الناس وثلاث من لم تكن فيه فليس مني ولا من الله حلم يرد به جهل الجاهل وحسن خلق يعيش به في الناس وورع يحجزه عن معاصي الله وعنده ايضا من حديث جابر مرفوعا ما اوى شئ الى شئ احسن من حلم الى علم وصاحبا العلم غرثان الى الحلم وقوله عليه السلام التمسوا الرزق في خبايا الارض رواه في جزء تخريجه عن ابن ابي شريح والمراد الزرع

وانشدوا

تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يوما ان تجاب فترزقا

وقوله عليه السلام كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك في اهل القبور رواه البيهقي في الشعب والعسكري من حديث ابن عمر مرفوعا في حديث واخرجه البخاري والترمذي وغيرهم وقوله عليه السلام صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر اخرجه الطبراني في الكبير بسند حسن وقوله عليه السلام العفو لا يزيد العبد الا عزا والتواضع لا يزيده الا رفعة وما نقص مال من صدقة روى مسلم ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وروى القضاعي عن ابي سلمة عن ام سلمة مرفوعا ما نقص مال من صدقة ولا عفى رجل عن مظلمة الا زاده الله تعالى بها عزا وروى الديلمي من حديث ابي هريرة مرفوعا والذي نفس محمد بيده لا ينقص مال من صدقة ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيتي اخرجه ابو داود في جامعه والحاكم في مستدركه عن شكل وقوله عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من شر فتنة الغنى رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وقوله عليه السلام ان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر وان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل فكونوا ابناء الآخرة ولا تكونوا ابناء الدنيا فان كل ام يتبعها ولدها رواه ابو نعيم في الحلية من حديث شداد وقوله عليه السلام اخسر الناس صفقة من اذهب آخرته بدنيا غيره رواه بمعناه ابن النجار من حديث عبد الله بن عامر عن ابيه وهو مما بيض له الديلمي اخسر الناس صفقة رجل اخلق بدنه في آماله ولم تساعده الايام على امنيته فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله بغير حجة وقوله عليه السلام ان من كنوز البر كتمان المصائب وقوله عليه السلام اليمين حنث او ندم رواه ابو يعلى وابن ماجة الا انه قال الحلف وقوله عليه السلام لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك رواه الترمذي من حديث مكحول عن واثلة وقال حسن غريب وهو عند الطبراني ايضا وفي رواية لابن ابي الدنيا فيرحمه الله ويبتليك وروى الترمذي مرفوعا من عير اخاه بذنب

لم يمت حتى يعمله وقوله عليه السلام لابي هريرة جف القلم بما انت لاق قال صاحب فتح المنة بشرح الاخبار المحي السنة هو كناية عن جريان القلم بالمقادير وامضائها والفراغ منها فان الفراغ بعد الشروع يستلزم جفاف القلم عن مداده فهو من اطلاق اللازم على الملزوم وبهذا اللفظ لم يوجد في كلام العرب بل هو من الالفاظ التي لم تهتد اليها البلغا بل اقتضتها الفصاحة النبوية وقوله عليه السلام اليوم الرهان وغدا السباق والغاية الجنة والهالك من دخل النار رواه وقوله عليه السلام من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له على الله الجنة والمراد بما بين لحييه اللسان وما ياتي به النطق وما بين رجليه الفرج قال الداودي المراد بما بين اللحيين الفم فيتناول الاقوال والاكل والشرب وسائر ما ياتي بالفم وفي البخاري والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له الجنة وفي لفظ من توكل لي ما بين فقميه ورجليه اتوكل له بالجنة والفقم بالضم والفتح اللحي وفي لفظ آخر من تكفل لي تكفلت له وللديلمي بسند ضعيف عن انس فمن وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه وجبت له الجنة ولفظ الاحياء وقي بعني البطن من القبقبة وهو صوت يسمع في البطن وهو حكاية ذلك الصوت ويجوز ان يكون كناية عن اكل الحرام وشبهه واللقلق اللسان فهذا واشباهه مما يعسر استقصاؤه يدلك على ذلك انه صلى الله عليه وسلم قد رقى من الفصاحة وجوامع الكلم درجة لا يقاس بها غيره وحاز مرتبة لا يقدر قدره صلى الله عليه وسلم ومما عد من وجوه بلاغته ما ذكر انه جمع متفرقات الشرائع وقواعد الاسلام في اربعة احاديث وهي حديث انما الاعمال بالنية رواه الشيخان وحديث الحلال بين والحرام بين رواه مسلم وحديث البينة على المدعي واليمين على من انكر وحديث لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه رواه الشيخان فالحديث الاول يشتمل على ربع العبادات والثاني على ربع المعاملات والثالث على ربع الحكومات وفصل الخصومات والرابع على ربع الآداب والمناصفات ويدخل تحته التحذير من الجنايات قاله ابن المنير ومما عد ايضا من انواع بلاغته كلامه عليه السلام مع كل ذي لغة بليغة بلغته اتساعا في الفصاحة واستحداثا للالفة وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب اهل الحضر بكلام الين من الدهن وارق من المزن ويخاطب اهل البدو بكلام ارسى من الهضب وارهف من العضب فانظر الى دعائه لاهل المدينة وقد سالوه ذلك فقال اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدهم وفي حديث آخر بارك لنا في تمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم اني ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ومثله معه ثم انظر دعاءه لبني نهد وقد وفدوا عليه في جملة الوفود فقام طهفة بن زهير النهدي يشكو الجدب فقال اتيناك يا رسول الله من غوري تهامة باكوار الميس ترتمي بنا العيس

نستحلب الصبير • ونستحلب الخبير • ونستعضد البرير • ونستخيل الرهام • ونستجيل
الجهام • من ارض غايلة النطا • غليظة الموطا • قد نشف المدهن • ويبس الجعثن • وسقط
الاملوج • ومات العسلوج • وهلك الهدي • ومات الودي • برئنا اليك يا رسول الله
من الوثن والعنن • وما يحدث الزمن • لنا دعوة السلام • وشريعة الاسلام • ما طما البحر
واقام تعار • ولنا نعم همل اغفال ما تبل ببلال • ووقير كثير الرسل • قليل الرسل • اصابتها
سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل • فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد
وبارك له في المال والولد من اقام الصلوة كان مسلما • ومن اتى الزكوة كان محسنا •
ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا • لكم يا بني نهد ودائع الشرك • ووضائع الملك
لا تلطط في الزكوة • ولا تلحد في الحيوة • ولا تثاقل عن الصلوة • ثم كتب معه
كتابا الى بني نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بني نهد بن زيد السلام
على من امن بالله عز وجل ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض
والفريش وذو العنان الركوب • والفلو الضبيس • ولا يمنع سرحكم • ولا يعضد طلحكم
ولا يحبس دركم • ما لم تضمروا الاماق • وتاكلوا الرباق • من اقر بما في هذا الكتاب فله
من الله الوفا بالعهد والذمة • ومن ابى فعليه الربوة • ويحتاج هذه الالفاظ
البالغة اعلا انواع البلاغة الى التفسير • فالمبيس شجر صلب تعمل منه اكوار الابل
ورحالها • ونستحلب بالحا المهملة • الصبير بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة هو سحاب
ابيض متراكب متكاثف اي نستدر السحاب • ونستحلب بالخا المعجمة • الخبير بالخا المعجمة
ايضا ثم الموحدة النبات والعشب شبه بخبير الابل وهو وبرها • واستحلابه احتشاشه
بالمخلب وهو المنجل • والخبير يقع على الوبر والزرع والاكار وقال ابن الاثير • ونستعضد
البرير اي نقطعه فنجتنيه من شجره للاكل • وهو بموحدة وراين بينهما مثناة تحتية
ثمر الاراك اذا اسود وبلغ وقيل هو اسم له في كل حال وكانوا ياكلونه في الجدب • ونستخيل
بالخا المعجمة الرهام بكسر الرا هي الامطار الضعيفة واحدتها رهمة اي نتخيل الما في السحاب
القليل وقيل الرهمة اشد وقعا من الديمة • ونستجيل بالجيم اي نراه جايلا تذهب به
الريح هاهنا وههنا • والجهام بالجيم اي السحاب الذي فرغ ماؤه • ومن روى نستخيل
بالخا المعجمة فهو نستفعل من خلت اخال اذا ظننت اراد لا نتخيل في السحاب خالا الا
المطر وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه • ومن رواه بالحا المهملة فهو الاشهر اراد
لا ننظر من السحاب في حال الا الى الجهام من قلة المطر • وارض غايلة بالغين المعجمة • والنطا
بكسر النون اي مهلكة للبعد يقال بلد نطي اي بعيد ويروى المنطى وهو مفعل منه • والمدهن
نقرة في الجبل • والجعثن بالجيم والمثلثة اصل النبات ويقال اصل الصليان خاصة
وهو نبت معروف • والعسلوج بضم العين وبالسين المهملتين اخره جيم هو الغصن

اذا يبس

اذا يبس وذهبت طراوته • وقيل هو القضيب الحديث الطلوع يريد ان الاغصان يبست
وهلكت من الجدب وجمعه عساليج • والاملوج بالضم والجيم ورق شجر يشبه الطرفا والسرو
وقيل هو ضرب من النبات ورقه كالعيدان • وقيل هو نوى المقل • وفي رواية وسقط
الاملوج من البكار بالكسر جمع البكر بالفتح يريد ان السمن الذي قد علا بكارة الابل
بما رعت من هذه الشجرة قد سقط عنها فسماه باسم المرعى اذ كان سببا له • وهلك الهدي
بفتح الها وكسر الدال المهملة والتشديد كالهدي بالتخفيف وهو ما يهدى الى البيت الحرام
من النعم لتنحر فاطلق على جميع الابل وان لم تكن هديا تسمية للشي ببعضه يقال كم
هدي بني فلان اي كم ابلهم • ومات الودي بالتشديد فسيل النخل يريد هلكت
الابل ويبست النخيل • وبرئنا اليك من الوثن والعنن • الوثن الصنم • والعنن
الاعتراض يقال عن لي الشي اي اعترض كانه قال برئنا اليك من الشرك والظلم وقيل
اراد به الخلاف والباطل • وما طما البحر اي ارتفع بامواجه • وتعار بكسر التا المثناة
الفوقية يصرف ولا يصرف اسم جبل • ولنا نعم همل اي مهملة لا رعا لها ولا فيها
ما يصلحها ويهديها فهي كالضالة • والابل الاغفال لا لبن فيها • وقوله عليه السلام
في محضها بالحا المهملة والضاد المعجمة اي خالص لبنها • ومخضها بالمعجمتين ما مخض من
اللبن واخذ زبده • ومذقها بفتح الميم وسكون المعجمة وبالقاف اي ممزوج بالما • وابعث
راعيها في الدثر بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ثم الرا المال الكثير • وقيل الخصب
والنبات الكثير • وافجر له الثمد بفتح المثلثة الما القليل اي صيره كثيرا • وودايع الشرك
قيل المراد بها العهود والمواثيق يقال توادع الفريقان اذا اعطى كل واحد منهم عهده
للاخر لا يغزوه • وقيل كانوا استودعوهم من ولاة الكفار الذين لم يدخلوا في الاسلام
اراد احلالها لهم لانها مال كافر قدر عليه من غير عهد ولا شرط • ووضايع الملك جمع
وضيعة وهي الوظيفة التي تكون على الملك وهي ما يلزم الناس في اموالهم من الزكوة
والصدقة اي لكم الوظايف التي تلزم المسلمين لا نتجاوز عنكم ولا نزيد عليكم فيها
شيا • ولا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاان الاولى مكسورة والثا
مجزومة على النهي اي لا تمنعها • ولا تلحد في الحيوة بضم المثناة الفوقية واسكان اللام
وكسر الحا المهملة اخره دال مهملة اي لا تمل عن الحق ما دمت حيا قال بعضهم كذا رواه
القتيبي لا تلطط ولا تلحد على النهي للواحد ولا وجه له لانه خطاب للجماعة ورواه
غيره ما لم يكن عهد ولا موعد ولا تثاقل عن الصلوة ولا تلطط في الزكوة ولا تلحد
في الحيوة قال الحافظ ابو السعادات الجزري وهو الوجه لانه خطاب للجماعة
واقع على ما قبله • وقوله ولا تثاقل عن الصلوة اي لا تتخلف • والوظيفة الحق الواجب
والفريضة هي الهرمة المسنة اي لا ناخذ في الصدقات هذا الصنف كما انا لا ناخذ
خيار المال • والفارض بالفا والضاد المعجمة المريضة • والفريش بفتح الفا اخره شين

معجمة وهى من الابل كالنفسا من بنات آدم اى لكم خيار المال وشراره ولنا وسطه
وذو العنان بكسر العين سير اللجام • والركوب بفتح الرا اى الفرس الذلول والفتبيس بفتح
المعجمة وكسر الموحدة آخره مهملة المهر العسر الصعب امتن عليهم بترك الصدقة فى الخيل جيدها
ورديتها • ولا يمنع بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الرا
وبالحا المهملة ما سرح من المواشى اى لا يدخل عليكم احد فى مراعيكم • ولا يعضد طلحكم
اى لا يقطع • ولا يحبس دركم اى لا تحبس ذوات الدر عن المرعى الى ان تجتمع الماشية ثم
تعد او انا منعناه ان ياخذها لما فى ذلك من الاضرار • والاماق بالميم اى ما لم تضمروا
الغيظ والبكا بما يلزمكم من الصدقة قاله فى القاموس وقال الزمخشرى المراد اضمار
الكفر والعمل على ترك الاستبصار فى دين الله • وفى رواية الرماق بالرا والميم اى النفاق
يقال رامقته رماقا وهو ان تنظر اليه شزرا نظر العداوة يعنى ما لم تضق قلوبكم عن الحق
يقال عيش رماق اى ضيق وعيش رمق ومرمق اى يمسك الروح والرمق بقية الروح
وآخر النفس • وتاكلوا الرباق بكسر الرا والموحدة المخففة اى الا ان تنقضوا العهد
واستعار الاكل لنقض العهد لان البهيمة اذا اكلت الربق وهو الحبل يجعل فيه عرى
وتشد به خلصت من الرباط • والربوة بكسر الرا وفتحها وضمها اى الزيادة يعنى من تقاعد
عن اعطا الزكوة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له • فانظر الى هذا الدعا والكتا
الذى انطبق على لغتهم وجاد وزاد عليها فى الجزالة والبداوة • واين هذا من كتابه عليه
الصلوة والسلام لانس فى الصدقة • واين ذلك من كتابه عليه الصلوة والسلام بين قريش
والانصار انهم امة واحدة دون الناس من قريش على رباعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم
الاولى ويفكون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وان المؤمنين المتقين ايديهم
على من بغى عليهم او ابتغى دسيعة ظلم وان سلم المؤمنين واحد على سوا وعدل بينهم وان
كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضا من اعتبط مؤمنا قتلا فهو قود الا ان يرضى
ولى المقتول • ومن ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن
كذا روى مختصرا من حديث ابن شهاب • وقوله دسيعة ظلم اى عظيمة من الظلم • ورباعتهم
امرهم القديم الذى كانوا عليه • ويتعاقلون بينهم معاقلهم الاولى اى يكونون على
ما كانوا عليه من اخذ الديات واعطائها وهو تفاعل من العقل • والعاقل الديات جمع
معقلة يقال بنو فلان على معاقلهم التى كانوا عليها اى مراتبهم وحالاتهم • ولا يوتغ
اى لا يهلك • ويعقب بعضهم بعضا اى يكون بعضهم نوبا فاذا خرجت طائفة ثم
عادت لم تكلف ان تعود ثانية حتى يعقبها غيرها • واين هذا اللين فى القول
وقربه للماخذ فى اللفظ على طريق الحاضرة وعرف الجمهور المشهور من كتابه لذى المشعار
الهمدانى لما لقيه وفد همدان مقدمه من تبوك فقال مالك بن نمط يا رسول الله نصية
من همدان من كل حاضر وباد اتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تاخذهم

فى الله

فى الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ما حل ولا سوداء
عنقفير ما اقام لعلع • وما جرى اليعفور بصلع • فكتب اليهم النبى صلى الله عليه
وسلم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف واهل جناب الهضب وحفاف الرمل
مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها
وعزازها ما اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة ياكلون علافها ويرعون عفاها لنا من دفئهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل
والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيه الصالغ والقارح • وقوله نصية من كل
حاضر وباد قال ابن الاثير النصية من ينتصى من القوم اى يختار من نواصيهم
وهم الرؤس والاشراف ويقال للاشراف نواص كما يقال للاتباع اذناب • واتوك
على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهى الناقة الشابة • والنواج السراع • وقوله
متصلة بحبائل الاسلام اى عهوده واسبابه • وخارف بالخا المعجمة • ويام بالمثناة
التحتية قبيلتان • ولا ينقض عهدهم عن سنة ما حل اى لا ينقض بسعى ساع بالنميمة
والافساد كما يقال لا افسد ما بينى وبينك بمذاهب الاشرار وطرقهم فى الفساد والسنة
الطريقة والسنن ايضا • والعنقفير بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف
الداهية اى لا ينقض عهدهم بسعى الواشى ولا بداهية تنزل • ولعلع جبل • وما جرى
اليعفور بفتح التحتية الخشف وولد البقرة الوحشية وقيل هو تيس الظبا والجمع
اليعافير والياء زائدة • وبصلع بضم الصاد المهملة وتشديد اللام الارض التى لا نبات
فيها • وقوله عليه السلام واهل جناب الهضب بكسر الجيم اسم موضع • وحفاف الرمل اسم
بلادهم • وفراعها بكسر الفا وبالرا وعين مهملة اى ما علا من الجبال او الارض • ووهاطها
بكسر الواو وبطا مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط وبه سمى الوهط وهو مال
كان لعمرو بن العاص بالطائف • وقيل الوهط قرية بالطائف كان الكرم المذكور بها
وعزازها بفتح العين المهملة ثم زايين مخففتين ما صلب من الارض واشتد وخشن وانما
يكون فى اطرافها • وياكلون علافها بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفا جمع علف
وهو ما تاكله الماشية • وعفاها بفتح العين المهملة وتخفيف الفا وبالمد اى المباح
ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفا وبالهمز قال فى المجمل نتاج الابل والبانها
والانتفاع بها • وصرامهم بكسر الصاد المهملة وتخفيف الرا اى من نخلهم • والثلب بكسر
الثا المثلثة واللام الساكنة وبالموحدة ما هرم من ذكور الابل وتكسرت اسنانه والناب
بالنون والموحدة الناقة الهرمة التى طال نابها • والفصيل بالمهملة الذى انفصل عن
امه • والفارض بالفا المسن من الابل • والداجن بالمهملة والجيم الدابة التى تالف
البيوت • والكبش الحورى بالحا المهملة ثم الواو مفتوحتين فرا مكسورة الذى فى صوفه
حمرة • والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها اذا تمت اسنانها

والقارح بالقاف والرا والحا المهملة من الخيل الذى دخل فى السنة الخامسة انتهى • وهذا من جنس كتابه لقطن بن حارثة العليمى من كلب هذا الكتاب من محمد لعمائر كلب واحلافها ومن ظاره الاسلام من غيرهم مع قطن بن حارثة العليمى باقام الصلوة لوقتها وايتا الزكوة بحقها فى شدة عقدها ووفا عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبى عليهم من الهمولة الراعية البساط الظاار من كل خمسين ناقة غير ذات عوار • والحمولة المائرة لهم لاغية • وفى الشوى الورى مسنة حامل او حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر • وفى العثرى شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق شهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس

ونفسير غريبه ان قوله ومن ظاره الاسلام بالظا المعجمة والهمزة آخره هاء اى عطف عليه • وعليهم من الهمولة بفتح الها التى هى ترعى بانفسها ولا تستعمل فعولة بمعنى مفعولة • والبساط التى معها اولادها • والظاار ان تعطف الناقة على غير ولدها • والحمولة المائرة لهم لاغية يعنى الابل التى يحمل عليها الميرة وهى الطعام ونحوه مما يجلب للبيع لا يؤخذ منها زكوة لانها عوامل • وفى الشوى بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاة • والورى السمينة

ومن هذا النمط كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر بتقديم الحاء المضمومة على الجيم الساكنة الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وذكر الفرائض فقال فى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك • وانطوا الثبجة • وفى السيوب الخمس ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما • ومن زنا مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله • وكل مسكر حرام • ووائل بن حجر يترفل على الاقيال

وفسر الاقيال وهو بالقاف والمثناة التحتية بالرؤسا الذين دون الملوك • والعباهلة بالمهملة المفتوحة والموحدة الذين اقروا على ملكهم لا يزالون • والارواع بفتح الهمزة وسكون الرا آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذو الهيات الحسان الوجوه • والمشابيب بفتح الميم والشين المعجمة وبائين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤس الحسان الوجوه وفى التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة الاربعون من الغنم

وفى القاموس والنهاية ادنى ما يجب فيه الصدقة من الحيوان • ولا مقورة بضم الميم وفتح القاف وتشديد الواو • والالياط بفتح الهمزة وسكون اللام آخرها طاء مهملة اى لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة • ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضدها وهى المكتنزة اللحم • وانطوا بقطع الهمزة اى اعطوا • والثبجة بالمثلثة ثم موحدة ثم جيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة اى اعطوا الوسط من الصدقة لا من خيار المال ولا من رذاله • وفى السيوب بضم المهملة وآخره موحدة اى الركاز قاله الهروى وقيل المال المدفون فى الجاهلية او المعدن • ومن زنا مم بكر بكسر الرا بلا تنوين لان اصله من البكر لكن اهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما وهى ساكنة فادغمت النون فيها والمراد بالبكر الجنس قال ابن الاثير

اى من

اى من بكر ومن ثيب فقلبت النون الساكنة ميما اما مع بكر فلان النون اذا سكنت قبل البا فانها تقلب ميما فى النطق نحو عنبر وشنبا واما مع غير البا فانها لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف انتهى • وفاصقعوه بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة اى اضربوه • واستوفضوه بهمزة وصل وكسر الفا وضم الضاد المعجمة اى غربوه وانفوه • وفضرجوه بالضاد المعجمة وتشديد الرا وبالجيم • وبالاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة اى ادموه بالضرب بجماهير الحجارة • ولا توصيم بصاد مهملة مكسورة اى لا كسل عن اقامة الحد • ولا غمة بضم الغين المعجمة وتشديد الميم اى لا يستر ولا يخفى • ويترفل بتشديد الفا المفتوحة يتسود ويترأس استعارة من ترفيل الثوب وهو اسباغه واسباله

وقريب من هذا كتابه لاكيدر واهل دومة مما قدمته فى مكاتباته عليه الصلوة والسلام وقوله عليه الصلوة والسلام فى حديث عطية السعدى فان اليد العليا هى المنطية واليد السفلى هى المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقد كان هذا من خصايصه صلوات الله وسلامه عليه ان يكلم كل ذى لغة بليغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب الفاظها واساليب كلمها • وكان احدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى • وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الخليقة سودا وحمرا • والكلام باللسان يقع فى غاية البيان • ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الا قاصرا فى الترجمة نازلا عن صاحب الاصالة فى تلك اللغة الا نبينا وسيدنا صلى الله عليه وسلم كما تقدم فانه زاده الله تكريما وتشريفا تكلم فى كل لغة من لغة العرب فصح وانصح بلغاتها منها بلغة نفسها وجدير بذلك فقد اوتى فى سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على سائر الناس مع اختلاف الاصناف ما لا يضبطه قياس • ولا يدخل فى تحقيقه الباس انتهى

واما صوته الشريف فعن انس قال ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت رواه ابن عساكر وروى نحوه من حديث على بن ابى طالب وروى انه كان اذا تكلم رئى كالنور يخرج من ثناياه وقد كان صوته عليه الصلوة والسلام يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره • فعن البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق فى خدورهن رواه البيهقى وقالت عائشة رضى الله عنها جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو فى بنى تميم فجلس فى مكانه رواه ابو نعيم وقال عبد الرحمن بن معاذ التيمى خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت اسماعنا حتى ان كنا لنسمع ما يقول ونحن فى منازلنا رواه ابن سعد وعن ام هانى قالت كنا نسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل عند الكعبة وانا على عريشى رواه ابن ماجة واما ضحكه صلى الله عليه وسلم ففى البخارى عن عائشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه

وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم أي ما رأيته مستجمعا من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكا تاما مقبلا بكليته على الضحك واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهي اللحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم وهذا لا ينافيه ما في حديث أبي هريرة في قصة المواقع أهله في رمضان فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه رواه البخاري وهي بالجيم والذال المعجمة الأضراس ولا تكاد تظهر إلا عند المبالغة في الضحك لأن عائشة إنما نفت رؤيتها وأبو هريرة أخبر بما شاهده والمثبت مقدم على النافي وقد قال أهل اللغة التبسم مبادي الضحك والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعيد فهو القهقهة وإلا فالضحك وإن كان بلا صوت فهو التبسم وقال ابن أبي هالة جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام أي يبدي أسنانه ضاحكا وحب الغمام البرد وقال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد ذلك فضحك قال والمكروه إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه لأنه يذهب الوقار قال ابن بطال والذي ينبغي أن يقتدى به من فعله ما واظب عليه من ذلك وقد روى البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه عن أبي هريرة رفعه لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب وقال أبو هريرة وإذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلألأ في الجدر رواه البزار والبيهقي أي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار وهو الحائط أي يشرق نوره عليها إشراقا كإشراق الشمس عليها وكان صلى الله عليه وسلم إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه بل كان إذا خطب فذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم رواه مسلم وكان بكاؤه عليه الصلاة والسلام من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملان ويسمع لصدره أزيز يبكي رحمة لميت وخوفا على أمته وشفقة ومن خشية الله وعند سماع القرآن وأحيانا في صلاة الليل قاله في الهدي النبوي وقد حفظه الله تعالى من التثاؤب ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد بن الأصم ما تثاءب النبي قط لكن في رواية عند ابن أبي شيبة ما تثاءب نبي قط وأما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين كما سيأتي أي غليظ أصابعهما وبأنه عبل الذراعين رحب الكفين وقد مسح صلى الله عليه وسلم خد جابر ابن سمرة قال فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنما أخرجهما من جونة عطار رواه مسلم وفي حديث وائل بن حجر عند الطبراني والبيهقي لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي وإنه لأطيب رائحة من المسك وقال يزيد ابن الأسود ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك رواه البيهقي وعن المستورد بن شداد عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم

فأخذت

فأخذت بيده فإذا هي ألين من الحرير وأبرد من الثلج رواه الطبراني ودخل صلى الله عليه وسلم على سعد بن أبي وقاص بمكة يعوده وقد اشتكى قال فوضع يده على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فما زلت يخيل إلي أني أجد برد يده على كبدي حتى الساعة وفي البخاري من حديث أنس ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من باب عطف الخاص على العام لأن الديباج نوع من الحرير قيل وهذا الوصف في هذا الحرير يخالف ما وقع في حديث ابن أبي هالة عند الترمذي في صفته صلى الله عليه وسلم فإن فيه كما تقدم كان شثن الكفين والقدمين أي غليظهما في خشونة وهكذا وصفه علي من عدة طرق عند الترمذي والحاكم وغيرهما وكذا وصف عائشة له عند ابن أبي خيثمة والجمع بينهما أن المراد اللين في الجلد والغلظ في العظام فيجتمع له نعومة البدن وقوته وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما غير أنها مع ضخامتها كانت لينة كما في حديث أنس قال وأما قول الأصمعي الشثن غلظ الكف في خشونة فلم يوافق على تفسيره بالخشونة والذي فسر به الخليل أولى قال وعلى تفسير ما فسره الأصمعي الشثن يحتمل أن يكون أنس وصف حالتي كف النبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا عمل بكفه في الجهاد أو في مهنة أهله صار كفه خشنا للعارض المذكور وإذا ترك ذلك رجع كفه إلى أصل جبلته من النعومة وقال القاضي عياض فسر أبو عبيدة الشثن بالغلظ مع القصر وتعقب بأنه ثبت في وصفه عليه الصلاة والسلام أنه كان سائل الأطراف ويؤيد كونها كانت لينة قوله في رواية النعمان كان سبط الكفين بتقديم المهملة على الموحدة فإنه موافق لوصفها باللين والتحقيق في الشثن أنه الغلظ من غير قصر ولا خشونة وقد نقل ابن خالويه أن الأصمعي لما فسر الشثن بما مضى قيل له إنه ورد في صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه لين الكف فآلى على نفسه أن لا يفسر شيئا في الحديث انتهى وفي حديث معاذ عند الطبراني والبزار أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فما مسست شيئا قط ألين من جلده صلى الله عليه وسلم وأصيب عائذ بن عمرو في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي صلى الله عليه وسلم بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له فكان أثر يده صلى الله عليه وسلم إلى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وأبو نعيم وابن عساكر وأخرج البخاري في تاريخه والبغوي وابن منده في الصحابة من طريق صاعد بن العلاء بن بشر عن أبيه عن جده بشر بن معاوية أنه قدم مع أبيه معاوية بن ثور على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح له ودعا له بالبركة فكانت في وجهه مسحة النبي صلى الله عليه وسلم كالغرة وكان لا يمسح شيئا إلا برئ ومسح صلى الله عليه وسلم رأس مدلوك أبي سفيان فكان ما مرت يده عليه أسود وشاب ما سوى ذلك رواه البخاري في تاريخه والبيهقي وكذا وقع له عليه الصلاة والسلام في رأس السائب

رواه البغوي والبيهقي وابن منده واخرج البيهقي وصححه والترمذي وحسنه
عن ابي زيد الانصاري قال مسح عليه الصلوة والسلام بيده على راسي ولحيتي ثم قال
اللهم جمله قال فبلغ بضعا ومائة سنة فما في لحيته بياض ولقد كان منبسط الوجه
ولم ينقبض وجهه حتى مات ومسح عليه الصلوة والسلام راس حنظلة بن حذيم بيده
وقال بورك فيه فكان يؤتى بالشاة الوارم ضرعها والبعير والانسان به الورم
فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول بسم الله على اثر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيمسح ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم رواه احمد والبخاري في التاريخ وابو يعلى
وغيرهم وقد جا في عدة احاديث عن جماعة من الصحابة بياض ابطيه فعن انس
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الدعا حتى رايت بياض ابطيه
وقال الطبري ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير
اللون غيره اذا لا هو صلى الله عليه وسلم ومثله للقرطبي وزاد وانه لا شعر عليه لكن
نازع فيه صاحب شرح تقريب الاسانيد وقال لانه لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه
قال والخصائص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون
له شعر وقد قال عبد الله بن اقرم الخزاعي وقد صلى معه صلى الله عليه وسلم كنت انظر الى عفرة
ابطه حسنه الترمذي والعفرة بياض ليس بالناصع كما قاله الهروي وسياتي مزيد لذلك
في الخصائص ان شا الله تعالى وعن رجل من بني حريش قال ضمني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسال علي من عرق ابطه مثل ريح المسك رواه البزار ووصفه علي فقال ذو
مسربة وفسر بخيط الشعر بين الصدر والسرة وقال ابن ابي هالة دقيق المسربة وعند
ابن سعد عن علي طويل المسربة وعند البيهقي له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب
ليس على صدره ولا على بطنه غيره ووصفت بطنه ام هاني فقالت ما رايت بطن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا ذكرت القراطيس المثني بعضها على بعض رواه الطيالسي والطبراني
وقال ابو هريرة كان صلى الله عليه وسلم ابيض كانما صيغ من فضة رجل الشعر مفاض البطن
عظيم مشاش المنكبين وتقدم ان المشاش رؤس العظام كالركبتين ومفاض اي واسع البطن
وقيل مستوى البطن مع الصدر واخرج الامام احمد عن محرش الكعبي قال اعتمر
النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة وكان صلى الله
عليه وسلم بعيد ما بين المنكبين رواه البخاري اي عريض الصدر ووقع عند ابن سعد
من حديث ابي هريرة رحب الصدر واما قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم
فاعلم ان القلب مضغة في الفواد معلقة بالنياط فهو اخص من الفواد قاله الواحدي
ويسمى به لتقلبه بالخواطر والعزوم قال الشاعر

وما سمي الانسان الا لنسيه ... ولا القلب الا انه يتقلب

وقال الزمخشري مشتق من التقلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه لاثر ما روى ابو موسى

الاشعري

الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها
الريح بطنا لظهر قال والفرق بينه وبين الفواد ان الفواد وسط القلب سمي به لتفوده اي
توقده وفسر الجوهري القلب بالفواد ثم فسر الفواد بالقلب قال الزركشي والاحسن
قول غيره الفواد غشا القلب والقلب حبته وسويداوه ويويد الفرق قوله صلى الله عليه
وسلم الين قلوبا وارق افئدة فهو اولى من قول بعضهم انه كرر لاختلاف اللفظ وقال
الراغب يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به كالعلم والشجاعة وقيل حيثما ذكر الله القلب
فاشارة الى العقل والعلم كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وحيثما ذكر
الصدر فاشارة الى ذلك والى سائر القوى من الشهوة والغضب ونحوها انتهى قال
بعض العلما وقد خلق الله تعالى الانسان وجعل له قلبا يعقل عنه وهو اصل وجوده اذا
صلح قلبه صلح سائره واذا فسد قلبه فسد سائره وجعل سبحانه القلوب محل السر والاعلان
الذي هو سر الله يودعه قلب من شا من عباده قال قلب اودعه قلب محمد صلى الله
عليه وسلم لانه اول من خلق وصورته صلى الله عليه وسلم اخر صورة ظهرت من صور الانبيا
فهو اولهم واخرهم وقد جعل الله تعالى اخلاق القلوب للنفوس علاما على اسرار القلوب
فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت اخلاقه لجميع خلق الله ولذلك جعل الله تعالى لمحمد صلى
الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فتكون علامات اختصاص جثمانيته
ايات دالة على احوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه وتكون علامات عظيم اخلاقه ايات
على سر قلبه المقدس ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم اوسع قلب اطلع الله عليه كما
ورد في الخبر كان هو الاولى بان يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه تعالى ما وسعني ارضي
ولا سماي ووسعني قلب عبدي المومن ولما كان كما له قبل الاسرا بمنزلة سائر النبيين
كان صدره يضيق فاتسع قلبه لما انشرح صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره
وقد صح ان جبريل عليه السلام شقه واستخرج منه علقة فقال له هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله في طست من ذهب بما زمزم ثم لامه فاعاده في مكانه قال انس فلقد
كنت ارى اثر المخيط في صدره رواه مسلم وانما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم
استخرجت منه لانها من جملة الاجزا الانسانية فخلقها تكملة للخلق الانساني فلا بد
منها ونزعها امر رباني طرا بعد ذلك قاله السبكي وعند احمد وصححه الحاكم
ثم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين سوداوين فقال احدهما ائتني بما
وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بما برد فغسلا به قلبي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها في
قلبي ثم قال احدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة وفي رواية البيهقي
ان ملكين جاااني في صورة كركيين معهما ثلج وبرد وما بارد فشرح احدهما صدري
ومج الاخر بمنقاره فيه وعن ابي هريرة قال يا رسول الله ما اول ما ابتديت به من امر
النبوة قال اني لفي صحرا ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسي يقول احدهما لصاحبه

اهو هو قال نعم فاخذانى فاضجعانى بحلاوة القفا ثم شقا بطنى وكان احدهما يختلف
بالماء فى طست من ذهب والاخر يغسل جوفى فقال احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدرى
فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبى فقال اخرج الغل والحسد
منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به قال ادخل الرافة والرحمة قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة
ثم اخرج ذرورا كان معه فذر عليه ثم نقرا بهامى ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتى
للصغير ورقتى على الكبير رواه عبد الله بن الامام احمد فى زوائد المسند وابو نعيم وقال
تفرد به معاذ عن ابائه وتفرد بذكر السن **وعند** ابى نعيم فى حديث يونس بن ميسرة
فاستخرج حشوة جوفى فغسلها ثم ذر عليها ذرورا ثم قال قلب وكيع يعى ما وقع فيه عينان
بصيرتان واذنان تسمعان وانت محمد رسول الله المقفى الحاشر قلبك سليم ولسانك صادق
ونفسك مطمئنة وخلقك قيم وانت قثم **وهذا الشق** وما انه وقع له عليه السلام
مرات مرة فى حال الطفولية ليتبرا نهاصا ونقديم المعجزة على زمان البعثة جائز للارهاص ومثل
هذا فى حق الرسول عليه السلام كثير وبه يجاب عن استشكال وقوع ذلك فى حال
طفوليته لانه من المعجزات ولا يجوز ان يتقدم على النبوة قاله الرازى والذى عليه اكثر
اهل الاصول اشتراط اقتران المعجزة بالدعوى كما نبهت عليه فى اوائل الكتاب ويأتى تحقيقه
ان شاء الله تعالى فى المقصد الرابع وهو المراد بقوله الم نشرح لك **وقد قيل** المراد
بالشرح فى الاية ما يرجع الى المعرفة والطاعة ثم ذكروا فى ذلك وجوها منها انه لما بعث
الى الاحمر والاسود من جنى وانسى اخرج تعالى عن قلبه جميع الهموم وانفسح صدره حتى اتسع
لجميع المهمات فلا يقلق ولا يضجر بل هو فى حالتى البوس والفرح منشرح الصدر مشتغل باداء
ما كلف به **فان قلت** لم قال الم نشرح لك صدرك ولم يقل قلبك **اجيب**
بان محل الوسوسة الصدر كما قال تعالى يوسوس فى صدور الناس فازالة تلك الوسوسة
وابدالها بدواعى الخير هى الشرح لا جرم خص ذلك الشرح بالصدر دون القلب **وقد**
قال محمد بن على الترمذى القلب محل العقل والمعرفة وهو الذى يقصده الشيطان فيجيئ الى
الصدر الذى هو حصن القلب فاذا دخل مسلكا اغار فيه وانزل جنده فيه وبث فيه الهموم
والغموم والحرص فيضيق القلب حينئذ ولا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد
العدو فى الابتداء حصل الامن وزال الضيق وانشرح الصدر وتيسر له القيام باداء العبودية
وههنا دقيقة قال سبحانه حكاية عن موسى رب اشرح لى صدرى وقال
لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الم نشرح لك صدرك اعطى بلا سؤال ثم انه تعالى نعته
عليه السلام فقال وسراجا منيرا فانظر الى التفاوت فان شرح الصدر هو ان يصير
قابلا للنور والسراج المنير يقتبس منه النور والفرق بينهما واضح **قال** الدقاق كان
موسى عليه السلام مريدا اذ قال رب اشرح لى صدرى ونبينا صلى الله عليه وسلم مرادا اذ قال
الله له الم نشرح لك صدرك والله اعلم **واما جماعه** صلى الله عليه وسلم فقد

كان

كان يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن احدى عشرة **قال** الراوى
قلت لانس وكان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطى قوة ثلاثين رواه البخارى **وعند**
البخارى عن معاذ قوة اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال اهل الجنة **وعن**
انس مرفوعا يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا فى الجماع قلت يا رسول الله او يطيق ذلك
قال يعطى قوة مائة قال الترمذى صحيح غريب لا نعرفه من حديث قتادة الا من حديث عمران
القطان فاذا ضربنا اربعين فى مائة بلغت اربعة الاف وبهذا يندفع ما استشكل
من كونه صلى الله عليه وسلم اوتى قوة اربعين فقط وسليمان قوة مائة رجل والف رجل على
ما ورد **وذكر** ابن العربى انه كان له صلى الله عليه وسلم القوة الظاهرة على الخلق فى
الوطى وكان له فى الاكل القناعة ليجمع الله له الفضيلتين فى الامور الاعتيادية كما جمع
له بين الفضيلتين فى الامور الشرعية حتى يكون حاله كاملا فى الدارين انتهى **وطاف**
عليه السلام على نسائه التسع لليلة رواه ابن سعد **وروى** انه صلى الله عليه وسلم قال اتانى
جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلا فى الجماع رواه ابن سعد حدثنا
عبيد الله بن موسى عن اسامة بن زيد عن صفوان بن سليم مرسلا **وروى** من حديث ابى هريرة
شكى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى تلالا مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم من بريق ثناياه ثم قال جبريل اين انت من اكل الهريسة فان فيه قوة
اربعين رجلا **ومن** حديث حذيفة بلفظ اطعمنى جبريل الهريسة اشد بها ظهرى واتقوى
بها على الصلوة رواه الدارقطنى **ومن** حديث جابر بن سمرة وابن عباس وغيرهم وكلها
واهية بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين فى جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة
بانه موضوع **وروى** انه عليه السلام اعطى قوة بضع واربعين رجلا كل من اهل الجنة
رواه الحارث بن ابى اسامة **وقد** حفظه الله تعالى من الاحتلام **فعن** ابن عباس قال ما احتلم
نبى قط وانما الاحتلام من الشيطان رواه الطبرانى **واما قدمه الشريف**
صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بانه كان شثن القدمين اى غليظ اصابعهما
رواه الترمذى وغيره **وعن** ميمونة بنت كردم قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما نسيت طول اصبع قدميه السبابة على سائر اصابعه رواه احمد والطبرانى **وعن** جابر بن سمرة
كانت خنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة رواه البيهقى وقد اشتهر
على الالسنة ان سبابة النبى صلى الله عليه وسلم كانت اطول من الوسطى **قال** الحافظ
ابن حجر وهو غلط ممن قاله وانما ذلك فى اصابع رجليه انتهى **وقال** شيخنا فى المقاصد
الحسنة وسلف جمهورهم الكمال الدميرى وهو خطا نشا عن اعتماد رواية مطلقة وعبارته
كذا رواه ابن هارون عن عبد الله بن مقسم عن سارة ابنة مقسم انها سمعت ميمونة
ابنة كردم تخبر انها رات اصابع النبى صلى الله عليه وسلم كذلك فضم ما وقع فيها من
الاطلاق فى الاصابع الى كون الوسطى من كل اطول من السبابة وعين اليد منه صلى الله عليه وسلم

لذلك بناء على ان المقصد ذكر وصف اختص به صلى الله عليه وسلم عن غيره ولكن الحديث في مسند الامام احمد من حديث يزيد بن هارون المذكور مقيدا بالرجل ولفظه كما قدمته فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه وهو عند البيهقي ايضا في الدلائل من طريق يزيد ولفظها رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقته وانا مع ابي فدنا منه ابي فاخذ بقدمه فاقر له صلى الله عليه وسلم قالت فما نسيت طول اصبع قدمه السبابة على سائر اصابعه وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص رواه البيهقي وعن ابي امامة الباهلي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطأ على قدمه كلها رواه ابن عساكر قال ابن الاثير الاخمص من القدم الموضع الذي لا يلتصق بالارض منها عند الوطء والخمصان المبالغ منه اي ان ذلك الموضع من اسفل قدمه شديد التجافي عن الارض وسئل ابن الاعرابي عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن ما يكون واذا استوى او ارتفع جدا فهو ذم فيكون يعني ان اخمصه معتدل الخمص بخلاف الاول ووقع في حديث ابي هريرة اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص وقوله مسيح القدمين اي ملساوين لينتين ليس فيهما تكسر ولا تشقق فاذا اصابهما الماء نبا عنهما كما قال ابن ابي هالة ينبو عنهما الماء وهو معنى حديث ابي هريرة وعن عبد الله بن بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن البشر قدما رواه ابن سعد

وقال ابن ابي هالة خمصان الاخمصين مسيح القدمين صح

واما طوله صلى الله عليه وسلم فقال علي كان صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو الى الطول اقرب رواه البيهقي وعنه كان صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طولا وفوق الربعة اذا جامع القوم غمرهم رواه عبد الله بن الامام احمد وعن ابي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى الطول اقرب رواه البزار وقوله ربعة اي مربوعا والتانيث باعتبار النفس وقد فسر في الحديث الآتي بانه ليس بالطويل البائن ولا بالقصير والمراد بالطويل البائن المفرط في الطول مع اضطراب القامة وقال ابن ابي هالة اطول من المربوع واقصر من المشذب وهو بمعجمتين مفتوحتين ثانيهما مشددة اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر لم يكن بالطويل الممغط وهو بتشديد الميم الثانية المتناهي الطول وامغط النهار اذا امتد ومغطت الحبل اذا مددته واصله منمغط والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت في الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه وعن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقي وزاد ابن سبع في الخصائص انه كان اذا جلس يكون كتفه اعلى من جميع الجالسين ووصفه ابن ابي هالة بانه بادن متماسك اي معتدل الخلق كان اعضاءه

يمسك

يمسك بعضها بعضا

واما شعره الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال سالت انسا عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط ولا جعد قطط كان بين اذنيه وعاتقه وفي رواية قال كان رجلا ليس بالسبط ولا الجعد بين اذنيه وعاتقيه وفي اخرى الى انصاف اذنيه رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وعن عائشة قالت كنت اغتسل انا والنبي صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة رواه الترمذي وابو داود والوفرة الشعر الواصل الى شحمة الاذن وقال ابن ابي هالة ايضا كان رجل الشعر وهو بفتح الراء وكسر الجيم اي يتكسر قليلا بخلاف السبط والجعد ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه اذا هو وفره والعقيقة بالقاف شعر راسه الشريف يعني ان انفرقت بنفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى ان انفرقت عقيصته بالصاد وهي الشعر المعقوص

وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤوسهم وكان اهل الكتاب يسدلون رؤوسهم وكان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ثم فرق صلى الله عليه وسلم راسه رواه الترمذي في الشمائل وفي صحيح مسلم نحوه وسدل الشعر ارساله والمراد هنا ارساله على الجبين واتخاذه كالقصة واما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض قال العلماء والفرق سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق والسدل لكن الفرق افضل وعن عائشة كان له صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمة ودون الوفرة رواه الترمذي وفي حديث انس كان الى اذنيه وفي حديث البراء يضرب منكبيه وفي حديث ابي رمثة يبلغ الى كتفيه او منكبيه وفي رواية ما رايت من ذي لمة احسن منه والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين والوفرة ما نزل الى شحمة الاذنين واللمة التي المت بين المنكبين قال القاضي عياض والجمع بين هذه الروايات ان ما يلي الاذن هو الذي يبلغ الاذن هو الذي يبلغ شحمة اذنيه وما خلفه هو الذي يضرب الى منكبيه قال وقيل بل ذلك لاختلاف الاوقات فاذا غفل عن تقصيرها بلغت المنكب واذا قصرها كانت الى انصاف الاذنين فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك وعن ام هانئ بنت ابي طالب قالت قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قدمة وله اربع غدائر رواه الترمذي في الشمائل والغدائر بالغين المعجمة والدال المهملة هي الذوائب واحدتها غديرة وفي مسلم عن انس كان في لحيته عليه الصلوة والسلام شعرات بيض وفي رواية عنده لم ير من الشيب الا قليلا وفي اخرى له ايضا لو شئت ان اعد شمطات في راسه ولم يخضب وعنه ايضا لم يخضب عليه السلام انما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الراس نبذ بضم النون وفتح الباء الموحدة وبفتح النون واسكان الموحدة اي شعرات متفرقة وفي رواية اخرى ما شانه الله ببيضاء قال الشيخ عبد الجليل في شعب الايمان فيما حكاه عنه الفاكهاني في غا كان كذلك لان النساء يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا كفر

قال في النهاية قد جعل الشيب هٰهنا عيبًا وليس بعيب فانه قد جاء في الحديث انه وقار
وانه نور والشيب ممدوح وذلك عجيب منه لاسيما في حق النبي صلى الله عليه وسلم ولم يمكن
الجمع بينهما ووجه الجمع انه عليه الصلوة والسلام لما رآى ابا قحافة ورأسه كالثغامة
امرهم بتغييره وكرهه ولذلك قال غيروا الشيب فلما علم انس ذلك من عادته قال
ما شانه الله ببيضاء بناء على هذا القول وحملا له على هذا الرأي ولم يسمع الحديث الآخر
ولعل احدهما ناسخ للآخر انتهى وفي رواية ابي جحيفة عنده رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذه منه بيضاء ووضع الراوي بعض اصابعه على عنفقته وفي حديث انس عند
البيهقي ما شانه الله بالشيب ما كان في رأسه ولحيته الا سبع عشرة او ثمان عشرة بيضاء
وعن ابي جحيفة كان ابيض قد شمط رواه البخاري وفي الصحيحين ان ابن عمر رأى النبي صلى
الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة وعن عمر انما كان شيبه صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة
بيضاء رواه الترمذي وروى ايضا عن ابن عباس قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال
شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وفي حديث جابر عنده
لم يكن في رأسه عليه الصلوة والسلام شيب الا شعرات في مفرق رأسه اذا ادهن واراهن
الدهن وفي رواية البيهقي سود اللحية حسن الشعر واختلف العلماء هل خضب عليه الصلوة
والسلام ام لا قال القاضي عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك وقال النووي
المختار انه صبغ في وقت وتركه في معظم الاوقات فاخبر كل بما رآى وهو صادق قال
وهذا التأويل كالمتعين فحديث ابن عمر في الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تأويل له واما
اختلاف الرواية في قدر شيبه فالجمع بينهما انه رآى شيئا يسيرا فمن اثبت شيبه اخبر عن ذلك
اليسير ومن نفاه اراد لم يكثر فيه كما قال في الرواية الاخرى لم يشنه الشيب الا قليلا انتهى
وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم رأسه ولحيته وكان اذا ادهن لم
يتبين فاذا شعث رأسه تبين وكان كثير شعر اللحية رواه مسلم والنسائي وعن انس كان
صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته رواه البغوي في شرح السنة وقد
وصفه عليه الصلوة والسلام ابن ابي هالة بانه كان موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري
كالخيط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر وعن
انس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان
تقع شعرة الا في يد رجل رواه مسلم وسيأتي ان شاء الله تعالى من قصة حلق رأسه الشريف
في حجة الوداع ولم يروا انه عليه الصلوة والسلام حلق رأسه الشريف في غير نسك حج او عمرة
فيما علمته فتبقية الشعر في الرأس سنة ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن لم يستطع التبقية
فيباح له ازالته وقد رأيت بمكة المشرفة في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وثمانمائة
شعرة عند الشيخ ابي حامد المرشدي شاع وذاع انها من شعره صلى الله عليه وسلم زرتها
بصحبة المقام المرتضى خليل العباسي فالى الله احسانه عليه وعن محمد بن سيرين قال قلت

لعبيدة

لعبيدة عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم اصبناه من قبل انس او من قبل اهل انس فقال
لأن تكون عندي شعرة منه احب الي من الدنيا وما فيها رواه البخاري وعن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ من لحيته من عرضها وطولها رواه الترمذي
وقال الحديث غريب واخرج الترمذي عن ابن عباس وحسنه قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم يقص شاربه واخرج عنه من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله عليه وسلم من لم يأخذ
شاربه فليس منا وفي الصحيحين حديث خالفوا المشركين ووفروا اللحى واحفوا الشوارب
واختلف في قص الشارب وحلقه ايهما افضل ففي الموطأ يؤخذ من الشارب حتى يبدو
طرف الشفة وعن ابن عبد الحكم عن مالك قال ويحفي الشارب ويعفي اللحى وليس احفاء
الشارب حلقه وارى تأديب من حلق شاربه وعن اشهب ان حلقه بدعة قال وارى ان يوجع
ضربا من فعله قال النووي المختار في قص الشارب انه يقصه حتى يبدو طرف الشفة
ولا يحفه من اصله وقال الطحاوي لم نجد عن الشافعي شيئا منصوصا في هذا وكان المزني
والربيع يحفيان شاربهما واما ابو حنيفة واصحابه فمذهبهم في شعر الرأس والشارب ان
الاحفاء افضل من التقصير واما احمد فقال الاثرم رأيته يحفي شاربه شديدا وقد
اختلفوا في كيفية قص الشارب هل يقص طرفاه ايضا وهما المسميان بالسبالين ام يترك
السبالان كما يفعله كثير من الناس قال الغزالي في الاحياء لا بأس بترك سباليه وهما
طرفا الشارب فعل ذلك عمر رضي الله عنه وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمرة
الطعام اذ لا يصل اليه انتهى وروى ابو داود عن جابر قال كنا نعفي السبال الا في حج
او عمرة وكره بعضهم ابقاءه لما فيه من التشبه بالاعاجم بل بالمجوس واهل الكتاب وهذا
اولى بالصواب لما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم المجوس فقال انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم فكان
يجز سباله كما تجز الشاة او العنز (او البعير) وروى احمد في مسنده في اثناء حديث لابي امامة
فقلنا يا رسول الله فان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال
قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب والعثانين بالعين المهملة
والثاء المثلثة وتكرار النون جمع عثنون وهو اللحية قاله في شرح تقريب الاسانيد واما
العانة ففي حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور وكان اذا كثر
شعره حلقه ولكن سنده ضعيف وروى ابن ماجه والبيهقي ورجاله ثقات لكن اعل
بالارسال وانكر احمد صحته من حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اطلى
بدأ بعانته فطلاها بالنورة وسائر جسده اهله واما الحديث الذي يروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فموضوع باتفاق اهل المعرفة بالحديث كما قاله الحافظ
ابن كثير بل لم تعرف العرب الحمام ببلادهم الا بعد موته صلى الله عليه وسلم واخرج
البيهقي من مرسل ابي جعفر الباقر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب ان يأخذ

بن ظفاره وشاربه يوم الجمعة وله شاهد موصول من حديث ابي هريرة لكن سنده ضعيف اخرجه البيهقي ايضاً في الشعب وسئل عنه احمد فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر وهذا هو المعتمد انه يستحب كيف ما احتاج قال ولم يثبت في استحباب قص الظفر يوم الخميس حديث وكذا لم يثبت في كيفيته شيء ولا تعيين يوم له عن النبي صلى الله عليه وسلم وما يعزى من النظم في ذلك لعلي رضي الله عنه ثم لشيخ الاسلام ابن حجر قال شيخنا انه باطل والمراد ازالة ما يزيد على ما يلامس راس الاصبع من الظفر لان الوسخ يجتمع فيه فيستقذر وقد ينتهي الى حد يمنع وصول الماء الى ما يجب غسله في الطهارة وقد حكى اصحاب الشافعي فيه وجهين فقطع المتولي بان الوضوء حينئذ لا يصح وقطع الغزالي في الاحياء بانه يعفى عن مثل ذلك واخرج الطبراني في الاوسط عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم لا يفارق سواكه ومشطه وكان ينظر في المرآة اذا سرح لحيته وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه رواه ابن ماجة والترمذي واحمد ولفظه كان يكتحل بالاثمد كل ليلة قبل ان ينام وكان يكتحل في كل عين ثلاثة اميال وروى النسائي والبخاري في تاريخه عن محمد بن علي قال سالت عائشة هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتطيب قالت نعم بذكارة الطيب المسك والعنبر واما مشيه صلى الله عليه وسلم فعن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا كانما ينحط من صبب رواه الترمذي وصححه البيهقي والتكفي الميل الى سنن المشي وعند البزار من حديث ابي هريرة اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها وعند الترمذي في الشمائل من حديثه وما رايت احدا اسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وعن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى اسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه رواه ابن سعد ويروى انه كان اذا مشى مجتمعا اي قوي الاعضاء غير مسترخ في المشي وقال علي رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا مشى تقلع وقال ابن ابي هالة اذا زال زال تقلعا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب وفي رواية اذا زال زال قلعا بالفتح والضم فبالفتح هو مصدر بمعنى الفاعل اي يزول قالعا لرجله من الارض وهو بالضم اما مصدر او اسم وهو بمعنى الفتح وقال الهروي قرات هذا الحرف في كتاب غريب الحديث لابن الانباري قلعا بفتح القاف وكسر اللام وكذلك قراته بخط الازهري وهو كما جاء في حديث آخر كانما ينحط من صبب والانحدار من الصبب والتقلع من الارض قريب بعضه من بعض اراد انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه الحالة استعجال ومبادرة شديدة وذريع المشي اي واسع الخطوة قاله ابن الاثير وقال ابن القيم التقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط في الصبب وهي مشية اولي العزم والهمة والشجاعة وهي اعدل المشيات

وان زوجها

وان زوجها للاعضاء فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كانه خشبة محمولة فهي مذمومة واما ان يمشي بانزعاج كمشي الجمل الاهوج وهي مشية مذمومة وهي علامة خفة عقل صاحبها ولاسيما ان اكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا وفي بعض المسانيد ان المشاة شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشي في حجة الوداع فقال استعينوا بالنسلان وهو العدو الخفيف الذي لا يزعج الماشي واما مشيه صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة وهو معنى قول القائل وكان يسوق اصحابه ويماشيهم فرادى وجماعة ومشى عليه السلام في بعض غزواته مرة فجرحت اصبعه وسال منها الدم فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت رواه ابو داود ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس ولا قمر رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان وقال ابن سبع كان صلى الله عليه وسلم نورا فكان اذا مشى في الشمس والقمر لا يظهر له ظل قال غيره ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا واما لونه الشريف الازهر صلى الله عليه وسلم فقد وصفه عليه السلام بجمهور اصحابه بالبياض منهم ابو بكر وعمر وعلي وابو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن ابي هالة والحسن بن علي وابو الطفيل ومحرش الكعبي وابن مسعود والبراء وعائشة وانس في احدى الروايتين عنه فاما ابو جحيفة فقال كان ابيض رواه البخاري واما ابو الطفيل فقال كان ابيض مليحا رواه الترمذي في الشمائل وفي رواية مسلم ابيض مليح الوجه وفي رواية عند الطبراني ما انسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره وفي شعر ابي طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل

وقال علي ابيض مشرب والمشرب هو الذي في بياضه حمرة كما قال في الرواية الاخرى ابيض مشرب بحمرة وبهذا فسر قول انس في صحيح مسلم ازهر اللون وفي النسائي من حديث ابي هريرة بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس بين اصحابه جاء رجل فقال ايكم ابن عبد المطلب قالوا هذا الامغر المرتفق والامغر المشرب بحمرة والمرتفق المتكئ على مرفقه وفي البخاري من حديث انس ليس بابيض امهق قال الحافظ ابن حجر ووقع عند الداودي تبعا لرواية المروزي امهق ليس بابيض وفي رواية عند ابي ذر وغيره اسمر واستشكل بعضهم وقال ان غالب هذه الروايات متدافع وبعضها ممكن الجمع كالابيض مع رواية مشرب بالحمرة والازهر وبعضها غير ممكن الجمع كالابيض الشديد الوضح مع الاسمر واعترض الداودي رواية امهق ليس بابيض وهي التي وقعت عنده تبعا لرواية المروزي وقال القاضي عياض انها وهم قال وكذلك رواية من روى انه ليس بابيض ولا الآدم وليس بصواب قال الحافظ ابن حجر هذا ليس بجيد لان المراد انه ليس بالابيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه الحمرة والعرب قد تطلق على كل من كان كذلك اسمر ولهذا جاء في حديث انس عند احمد والبزار وابن منده باسناد صحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم

كان اسمر واخرجه البيهقى فى الدلائل من وجه آخر عن انس فذكر الصفة النبوية فقال كان النبى
صلى الله عليه وسلم ابيض بياضه الى السمرة وفى حديث ابن عباس فى صفته صلى الله عليه وسلم
رجل بين رجلين جسمه ولحمه احمر الى البياض اخرجه احمد وقد تبين من مجموع الروايات
ان المراد بالسمرة الحمرة التى تخالط البياض وان المراد بالبياض المثبت ما تخالطه الحمرة
والمنفى ما لا تخالطه وهو الذى تكره العرب لونه وتسميه امهق وبهذا تبين ان رواية
المروزى لبيس بابيض مقلوبة على انه يمكن توجيهها بان المراد بالامهق الاخضر اللون الذى
ليس بياضه فى الغاية ولا سمرته ولا حمرته فقد نقل عن رؤبة ان المهق خضرة الماء فهذا التوجيه
يتم على تقدير ثبوت الرواية وقد تقدم فى حديث ابى جحيفة اطلاق كونه ابيض وكذا فى حديث
ابى الطفيل عند مسلم والترمذى وفى حديث سراقة عند ابن اسحاق فجعلت انظر الى ساقه
كانها جمارة ولاحمد من حديث محرش الكعبى فى عمرة الجعرانة قال فنظرت الى ظهره كانه
سبيكة فضة وعن سعيد بن المسيب انه سمع اباهريرة يصفه صلى الله عليه وسلم فقال
كان شديد البياض اخرجه يعقوب بن سفيان والبزار باسناد قوى ويجمع بينهما بما تقدم
وقال البيهقى يقال ان المشرب منه حمرة والى السمرة ما ضحى للشمس والريح اى كالوجه
والعنق واما ما تحت الثياب فهو الازهر الابيض انتهى وهذا ذكره ابن ابى خيثمة عقب
حديث عائشة فى صفته صلى الله عليه وسلم بابسط من هذا وزاد ولونه الذى لا يشك فيه
الابيض الازهر انتهى والله اعلم وقد تعقب بعضهم قول من قال انما وصف بالسمرة ما كان
للشمس نصيب منه بان انسا لا يخفى عليه امره حتى يصفه بغير صفته اللازمة له لقربه منه
ولم يكن عليه السلام ملازما للشمس نعم لو وصفه بذلك بعض القادمين ممن صادفه فى
وقت غيرته الشمس لامكن فالاولى حمل السمرة فى رواية انس على الحمرة التى تخالط البياض كما قدمته
تنبيه فى الشفا حكاية عن احمد بن ابى سليمان صاحب سحنون من قال ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل انتهى وهذا يقتضى ان مجرد الكذب عليه فى صفة من
صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك بل لابد من ضميمة ما يشعر بنقص فى ذلك كما فى
هذه فان الاسود لون مفضول **واما طيب ريحه صلى الله عليه وسلم**
وعرقه وفضلاته فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم
وان لم يمس طيبا وروينا عن انس قال ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا اطيب من ريح
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه الامام احمد وفى رواية البخارى ولا شممت
مسكة ولا عنبرة اطيب من رائحة النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية الترمذى ولا شممت
مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق النبى صلى الله عليه وسلم وقوله شممت بكسر الميم الاولى
وسكون الثانية وعن ام عاصم امراة عتبة بن فرقد السلمى قالت كنا عند عتبة اربع نسوة
فما منا امراة الا وهى تجتهد فى الطيب لتكون اطيب من صاحبتها وما يمس عتبة الطيب
الا ان يمس دهنا يمسح لحيته وهو اطيب ريحا منا وكان اذا خرج الى الناس قالوا ما شممنا

ريحا

ريحا اطيب من ريح عتبة فقلت له يوما انا لنجتهد فى الطيب ولانت اطيب ريحا منا فمم
ذلك قال اخذنى الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فشكوت ذلك
اليه فامرنى ان اتجرد فتجردت وقعدت بين يديه والقيت ثوبى على فرجى فنفث فى يده
ثم مسح ظهرى وبطنى بيده فعبق فى هذا الطيب من يومئذ رواه الطبرانى فى معجمه
الصغير **وروى** ابو يعلى والطبرانى فى قصة الذى استعان به النبى صلى الله عليه وسلم
على تجهيز ابنته فلم يكن عنده شئ فاستدعى بقارورة فسلت له فيها من عرقه وقال له مرها
فلتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وعن
جابر بن عبد الله كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال لم يكن فى طريق فيتبعه
احد الا عرف انه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له رواه الدارمى
والبيهقى وابو نعيم **ولله در القائل**

ولو ان ركبا يمموك لقادهم ... نسيمك حتى يستدل به الركب

وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر فى طريق من طرق المدينة وجدوا
منه رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق رواه ابو يعلى
والبزار باسناد صحيح **وما احسن قول القائل**

يروح على غير الطريق الذى غدا ... عليها فلا ينهى حلاه نهاته
تنفسه فى الوقت انفاس عصره ... من طيب طابت له طرقاته
تروح له الارواح حيث تنسمت ... له سحرا من جيبه نسماته

وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها وانورهم لونا لم
يصفه واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه فى وجهه مثل اللؤلؤ واطيب
من المسك الاذفر رواه ابو نعيم وعن انس قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عندنا وعرق فجاءت امى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ صلى الله عليه
وسلم فقال يا ام سليم ما هذا الذى تصنعين قالت هذا عرقك نجعله لطيبنا وهو اطيب
الطيب رواه مسلم وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت ام سليم فينام على فراشها
وليست فيه قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فاتيت فقيل لها هذا النبى نائم فى بيتك على ٢
فراشك قال فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة اديم على الفراش ففتحت عتيدتها
فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعين
يا ام سليم قالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال اصبت والعتيدة كالصندوق
الصغير التى تترك فيه المراة ما يعز عليها من متاعها **واما ما روى** ان الورد خلق
من عرقه صلى الله عليه وسلم او من عرق البراق فقال شيخنا فى الاحاديث المشهورة قال
النووى لا يصح وقال شيخ الاسلام ابن حجر انه موضوع وسبقه لذلك ابن عساكر وهو
فى مسند الفردوس بلفظ الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق

جبريل قال الورد الاصفر خلق من عرق البراق رواه من طريق مكي بن بندار الزنجاني حدثنا
الحسين بن علي بن عبد الواحد القرشي حدثنا هشام بن عمار عن القرشي عن انس به مرفوعا
ثم قال ابو مسعود حدثنا به ابو عبد الله الحاكم عن رجل عن مكي ومكي تفرد به انتهى
ورواه ابو الحسين ابن فارس اللغوي في الريحان والراح له عن مكي به ومكي ممن اتهمه
الدارقطني بالوضع وكذا طريق اخرى رواه ابو الفرج النهرواني في الخامس والتسعين
من الجليس الصالح له من طريق محمد بن عنبسة بن حماد حدثنا ابي عن جعفر بن سليمان
عن مالك بن دينار عن انس رفعه لما عرج بي الى السما بكت الارض من بعدي فنبت اللصف
من نباتها فلما ان رجعت قطر من عرقي على الارض فنبت ورد احمر الا من اراد ان يشم ر
فليشم الورد الاحمر ثم قال ابو الفرج اللصف الكبر قال وما اقتبر هذا الخبر فهو اليسير
من كثير مما اكرم الله به نبيه ودل على فضله ورفيع منزلته انتهى وانما ذكرته ليعلم وعن
جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا او ريحا كانما
اخرجها من جونة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد
ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها • وجونة العطار
بضم الجيم وهمزة بعدها ويجوز تخفيفها واوا سليلة مستديرة مغشاة ادما وقد
ورد مما عزاه القاضي عياض للاخباريين ومن الف في الشمائل الكريمة انه صلى الله عليه
وسلم كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك
رائحة طيبة قال غيره ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط واسنده محمد بن سعد كاتب الواقدي
كما هو في بعض نسخ الشفا وقالوا انه ليس من الرواية ولا من حواشي اصل ابن جبير بل من
حواشي غيره عن عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي الخلا
فلا نرى منك شيا من الاذى فقال يا عائشة او ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من
الانبيا فلا يرى منه شي انتهى وفي الشفا لابن سبع عن بعض الصحابة قال صحبته
صلى الله عليه وسلم في سفر فلما اراد قضا الحاجة تاملته وقد دخل مكانا فقضى حاجته
فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم ار له اثر غائط ولا بول ورايت في ذلك الموضع ثلاثة
احجار فاخذتهن فوجدت لهن رائحة طيبة وعطرا قلت وقد سئل الحافظ
عبد الغني المقدسي هل روي انه صلى الله عليه وسلم كان ما يخرج منه تبتلعه الارض
فقال قد روي ذلك من وجه غريب والظاهر يؤيده فانه لم يذكر عن احد من الصحابة
انه راه ولا ذكره واما البول فقد شاهده غير واحد وشربته ام ايمن انتهى والله اعلم
لكن قال البيهقي الحديث الذي اخبرنا ابو الحسين بن بشران اخبرنا اسماعيل بن محمد الصفار
حدثنا زيد بن اسماعيل الصايغ حدثنا حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل الغائط دخلت في اثره فلا ارى شيا الا اني
كنت اشم رائحة الطيب فذكرت ذلك له فقال يا عائشة اما علمت ان اجسادنا نبتت

على

على ارواح اهل الجنة وما خرج منها ابتلعته الارض فهذا من موضوعات الحسين بن علوان
لا ينبغي ذكره ففي الاحاديث الصحيحة والمشهورة في معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان
انتهى لكن للحديث طرق غير طريق ابن علوان فعند الدارقطني في الافراد حدثنا محمد
ابن سليمان الباهلي حدثنا محمد بن حسان الاموي حدثنا عبد الله بن سليمان عن
هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت يا رسول الله اني اراك تدخل الخلاء ثم ياتي الذي
بعدك فلا يرى لما يخرج منك اثرا فقال يا عائشة اما علمت ان الله امر الارض ان تبتلع
ما خرج من الانبيا ومحمد بن حسان بغدادي ثقة • وعبدة من رجال الصحيح وله طريق
اخرى عند ابن سعد واخرى عند الحاكم في مستدركه وروي انه كان يتبرك ببوله
ودمه صلى الله عليه وسلم فروى ابن حبان في الضعفا عن ابن عباس قال حجم النبي صلى
الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته اخذ الدم فذهب الى وراء الحائط
فنظر يمينا وشمالا فلم ير احدا فحسا دمه حتى فرغ ثم اقبل فنظر في وجهه فقال ويحك ما
صنعت بالدم قلت غيبته من وراء الحائط قال اين غيبته قلت يا رسول الله نفست على
دمك ان اهريقه في الارض فهو في بطني قال اذهب فقد احرزت نفسك من النار وفي
سنن سعيد بن منصور من طريق عمرو بن السايب انه بلغه ان مالكا والد ابي سعيد الخدري
لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم مص جرحه حتى انقاه ولاح ابيض فقيل له مجه فقال لا والله
لا امجه ابدا ثم ازدرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى رجل من اهل
الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد واخرج البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وابو نعيم
في الحلية من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما عن ابيه قال احتجم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة وقال اذهب يا عبد الله
وغيبه وفي رواية اذهب بهذا الدم فواره حيث لا يراه احد قال فذهبت فشربته
ثم اتيته صلى الله عليه وسلم فقال لما صنعت قلت غيبته • وفي رواية جعلته في مكان
ظننت انه خاف على الناس قال لعلك شربته قلت شربته فقال ويل لك من الناس وويل
للناس منك وفي رواية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ذلك قال علمت
ان دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك فقال ويل لك من الناس • وعند الدارقطني
من حديث اسما بنت ابي بكر نحوه وفيه لا تمسك النار وفي كتاب الجوهر المكنون في ذكر
القبائل والبطون انه لما شرب دمه صلى الله عليه وسلم تضوع فمه مسكا وبقيت رائحته
موجودة في فمه الى ان صلب رضي الله عنه واخرج الحسن بن سفيان في مسنده والحاكم
والدارقطني والطبراني وابو نعيم من حديث ابي مالك النخعي عن الاسود بن قيس عن نبيح
العنزي عن ام ايمن قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة في جانب
البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح
النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ام ايمن قومي فاهريقي ما في تلك الفخارة فقلت قد والله

شربت ما فيها قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال اما والله
لا يجعن بطنك ابدا وعن ابن جريج قال اخبرت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول في
قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شيء فقال لامراة يقال لها بركة
كانت تخدم ام حبيبة جاءت معها من ارض الحبشة اين البول الذي كان في القدح قالت
شربته قال صحة يا ام يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه ورواه ابو داود
عن ابن جريج عن حكيمة عن امها اميمة بنت رقيقة وصحح ابن دحية انهما قصتان وقعتا
لامراتين وقد وضح ان بركة ام يوسف غير بركة ام ايمن وهو الذي ذهب اليه شيخ الاسلام
البلقيني وفي احاديث الباب دلالة على طهارة بوله ودمه صلى الله عليه وسلم قال النووي
في شرح المهذب واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين المعروفين ان ابا طيبة الحجام حجمه
صلى الله عليه وسلم وشرب دمه ولم ينكر عليه وان امراة شربت بوله صلى الله عليه وسلم
ولم ينكر عليها وحديث ابي طيبة ضعيف وحديث شرب المراة البول صحيح رواه الدارقطني
وقال هو حديث صحيح وذلك كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسا ثم قال ان القاضي
حسين قال الاصح القطع بطهارة الجميع انتهى وبهذا قال ابو حنيفة كما قاله العيني وابو
طيبة بفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة تحت وبالموحدة نافع الحجام مولى محيصة بضم الميم
وفتح المهملة وتشديد المثناة تحت وكسرها هو ابو مسعود الانصاري وقال شيخ
الاسلام ابن حجر قد تكاثرت الادلة على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم وعد الائمة ذلك
من خصائصه انتهى قال بعضهم وكان السر في ذلك ما روي من صنع الملكين حين غسلا
جوفه والله اعلم واما سيرته صلى الله عليه وسلم في البراز ففي حديث عائشة
عند ابي عوانة في صحيحه والحاكم ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما منذ انزل
عليه القرآن وفي حديث عبد الرحمن بن حسنة عند النسائي وابن ماجه انه صلى الله عليه
وسلم بال جالسا فقالوا انظروا اليه يبول كما تبول المراة وحكى ابن ماجه عن بعض مشايخه
انه قال كان من شان العرب البول قائما ويؤيده ما في حديث عبد الرحمن هذا وفيه دلالة
على انه كان يخالفهم في ذلك فيقعد لكونه استر وابعد من مماسة البول وقال حذيفة
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما ثم دعا بماء فجئته بماء فتوضأ رواه
البخاري وفي رواية عنه بال قائما ففحج رجليه اي فرقهما وباعد ما بينهما والسباطة
بضم المهملة وبعدها موحدة هي المزبلة والكناسة تكون بفناء الدور مرفقا لاهلها
وتكون في الغالب سهلة لا يرتد فيها البول على البائل واضافتها الى القوم اضافة اختصاص
لا ملك لانها لا تخلو عن النجاسة وبهذا يندفع ايراد من استشكله لكون البول يوهن
الجدار ففيه اضرار او نقول انما بال فوق السباطة لا في اصل الجدار وهو صريح في رواية
ابي عوانة في صحيحه وقيل يحتمل ان يكون علم اذنهم في ذلك بالتصريح او غيره او لكونه
مما يتسامح الناس به او لعلمه بايثارهم اياه بذلك او لكونه يجوز له التصرف في مال

امته دون غيره لانه اولى بالمؤمنين من انفسهم واموالهم وهذا وان كان صحيح المعنى لكن لم
يعهد ذلك من سيرته ومكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ولعل
نحا لفقد صلى الله عليه وسلم لما عرف من عادته من الابعاد عند قضاء الحاجة عن الطرق المسلوكة
وعن اعين النظار فقد قيل فيه انه صلى الله عليه وسلم كان مشغولا بمصالح المسلمين فلعله
طال عليه المجلس حتى احتاج الى البول فلو ابعد لتضرر واستدنى حذيفة ليستره من خلفه
عن رؤية من لعله يراه ولعله فعله لبيان الجواز ثم هو في البول احق من الغائط لاحتياجه
الى زيادة كشف والغرض من الابعاد التستر وهو يحصل بارخاء الذيل والدنو من الساتر
وروى الطبراني من حديث عصمة بن مالك قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بعض سكك المدينة فانتهى الى سباطة قوم فقال يا حذيفة استرني فذكر الحديث
وظهر فيه الحكمة في ادنائه حذيفة في تلك الحالة وقيل انما بال قائما لانها يؤمن معها
خروج الريح بصوت ففعل ذلك لكونه قريبا من الديار ويؤيده ما رواه عبد الرزاق عن
عمر رضي الله عنه قال البول قائما احصن للدبر وقيل السبب في ذلك ما روي عن الشافعي
واحمد ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب قائما فلعله كان به وروى الحاكم
والبيهقي من حديث ابي هريرة انما بال النبي صلى الله عليه وسلم قائما لجرح كان بمابضه والمابض
بهمزة ساكنة بعدها موحدة ثم معجمة باطن الركبة فكان لم يتمكن لاجله من القعود ولو صح
هذا الحديث لكان فيه غنى عن جميع ما تقدم ولكن ضعفه الدارقطني والبيهقي والاظهر
انه فعل ذلك لبيان الجواز وكان اكثر احواله البول عن قعود وقيل ان البول عن قيام
منسوخ واستدل عليه بحديث عائشة المتقدم والصواب انه غير منسوخ والجواب
عن حديث عائشة انه مستند الى علمها فيحمل على ما وقع منه في البيوت واما غير البيوت
فلم تطلع هي عليه وقد حفظه حذيفة وهو من كبار الصحابة وهو جائز من غير كراهة
اذا امن الرشاش وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يدخل الخلاء قال اللهم اني اعوذ بك
من الخبث والخبائث رواه البخاري من حديث انس والخبث بضم المعجمة والموحدة ومراده
ذكران الشياطين واناثهم وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ اظهارا للعبودية ويجهر
بذلك للتعليم وهل يختص هذا الذكر بالابنية المعدة لذلك لكونها حضرة الشياطين
او يعم الاصح الثاني ويقول ذلك قبيل الدخول في الامكنة واما في غيرها فيقوله في اول
الشروع لتشمير ثيابه مثلا وهذا مذهب الجمهور وقالوا من نسي يستعيذ بقلبه لا بلسانه وعن
انس كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض رواه الترمذي
وابو داود والدارمي وعن عائشة قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال
غفرانك رواه الترمذي وابن ماجه وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلاء
قال الحمد لله الذي اذهب عني الاذى وعافاني رواه ابن ماجه وقال صلى الله عليه وسلم
اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا رواه البخاري من

حديث أبي أيوب الأنصاري وهذا في الصحراء أما في البنيان فلا لما روي عن ابن عمر أنه قال رقيت فوق بيت حفصة لبعض حاجتي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام رواه الشيخان وأما حديث جابر عند أبي داود وابن خزيمة ولفظه عند أحمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أن نستدبر القبلة أو نستقبلها بفروجنا إذا هرقنا الماء ثم رأيته قبل موته بعام يستقبل القبلة فقال في فتح الباري الحق أنه ليس بناسخ لحديث النهي خلافا لمن زعمه بل هو محمول على أنه رآه في بناء أو نحوه لأن ذلك هو المعهود من حاله صلى الله عليه وسلم لمبالغته في التستر ودعوى خصوصية ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم لا دليل عليه إذ الخصائص لا تثبت بالاحتمال وهذا مذهب الجمهور وهو مذهب مالك والشافعي وإسحاق التفريق بين البنيان والصحراء وهذا أعدل الأقوال لإعماله جميع الأدلة وقال قوم بالتحريم مطلقا وهو المشهور عن أبي حنيفة وأحمد وقال به من المالكية ابن العربي وحجتهم أن النهي مقدم على الإباحة ولم يصحح حديث جابر المتقدم وقال قوم بالجواز مطلقا وهو قول عائشة وعروة وربيعة محتجين بأن الأحاديث تعارضت فليرجع إلى الأصل الإباحة وفي البخاري عن أنس كان صلى الله عليه وسلم إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام ومعنا إداوة من ماء يعني يستنجي به وفي رواية مسلم عنه فخرج علينا وقد استنجى بالماء وعن أبي هريرة قال اتبعت النبي صلى الله عليه وسلم وقد خرج لحاجته فقال ابغني أحجارا أستنفض بها ولا تأتني بعظم ولا روث فأتيته بأحجار بطرف ثيابي فوضعتها إلى جنبه فلما قضى حاجته أتبعه بهن وعن عبد الله بن مسعود قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم الغائط فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار فوجدت حجرين والتمست الثالث فلم أجده فأخذت روثة فأتيته بها فأخذ الحجرين وألقى الروثة رواه البخاري وفي حديث سلمان عند مسلم مرفوعا لا يستنجي أحدكم بأقل من ثلاثة أحجار وقد أخذ الشافعي وأحمد وأصحاب الحديث بهذا فاشترطوا أن لا ينقص من الثلاثة مع مراعاة الإنقاء إذا لم يحصل بها فيزاد حتى ينقى ويستحب حينئذ الإيتار لقوله عليه السلام من استجمر فليوتر وليس بواجب لزيادة في أبي داود حسنة الإسناد قال ومن لا فلا حرج قال الخطابي لو كان القصد الإنقاء فقط لخلا اشتراط العدد عن الفائدة فلما اشترط العدد لفظا وعلم الإنقاء فيه معنى دل على إيجاب الأمرين ونظيره العدة بالأقراء فإن العدد مشترط ولو تحققت براءة الرحم بقرء واحد وقال الطحاوي لو كان العدد مشترطا لطلب عليه الصلاة والسلام حجرا ثالثا وغفل رحمه الله عما أخرجه أحمد في مسنده من طريق معمر عن ابن مسعود في هذا الحديث فإن فيه فألقى الروثة وقال إنها ركس ائتني بحجر ورجاله ثقات أثبات واستدلال الطحاوي فيه نظر لاحتمال أن يكون اكتفى بطرف أحدهما عن الثالث لأن المقصود بالثلاثة أن يمسح بها ثلاث مسحات وذلك حاصل ولو بواحد انتهى ملخصا من فتح الباري

الفصل الثاني

اعلم أن **فيما أكرمه الله تعالى به من الأخلاق الزكية وشرفه به من الأوصاف المرضية** الأخلاق جمع خلق بضم الخاء واللام ويجوز إسكانها قال الراغب الخلق والخلق بالفتح وبالضم في الأصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذي بالفتح بالهيئات والصور المدركة بالبصر وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة انتهى وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة أو مكتسب وتمسك من قال إنه غريزة بحديث ابن مسعود إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم الحديث رواه البخاري وقال البخاري الخلق جبلة في النوع الإنساني وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودا وإلا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذا إن كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وقد وقع في حديث الأشج أنه صلى الله عليه وسلم قال له إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة قال يا رسول الله قديما كانا في أو حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله رواه أحمد والنسائي وصححه ابن حبان فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي أخرجه أحمد وصححه ابن حبان وعند مسلم في حديث دعاء الافتتاح واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد أثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم فقال وإنك لعلى خلق عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على أنه مستعل على هذه الأخلاق ومستول عليها وأن الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة وقد وصف الله تعالى نبيه بما يرجع إلى قوته العلمية بأنه عظيم فقال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ووصف ما يرجع إلى قوته العملية بأنه عظيم فقال وإنك لعلى خلق عظيم فدل مجموع هاتين الآيتين على أن روحه فيما بين الأرواح البشرية عظيمة عالية الدرجة كأنها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس أرواح الملائكة قال الحليمي وإنما وصف خلقه بالعظم مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم لأن كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا في صدور الأعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم أولى ليشمل الإنعام والانتقام وقال الجنيد وإنما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى وقيل لأنه عليه الصلاة والسلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع مكارم الأخلاق فيه قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني في الأوسط بسند فيه عمر بن إبراهيم المقدسي وهو ضعيف عن جابر إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال وفي رواية مالك في الموطأ بلاغا بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فجميع الأخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فإنه أدب بالقرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن قال بعض العارفين وقد علم

ان القرآن فيه المتشابه الذى لا يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به
انا قرناه فى نصابه وافرزناه من خلف حجابه وتقلدنا سيف الحجة به ولكن فى قرابه
وما كونه مما تحصل مقلة ولا اخذ مما تحسه الانامل وقال صاحب عوارف
المعارف ولا يبعد ان قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء
خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله
تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف
المقال وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها انتهى وكما ان معانى القرآن لا تتناهى فكذلك اوصافه
الجميلة الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى اذ فى كل حالة من احواله يتجدد له من مكارم الاخلاق
ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلمه الا الله تعالى
فاذا التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة تعرض لما ليس من مقدور الانسان ولا من ممكنات
عاداته قال الحرالى وهو كما فى القاموس بتشديد اللام نسبة الى قبيلة البربر اسمه على بن احمد
ابن الحسن فى التصانيف المشهورة ولما كان عرفان قلبه عليه الصلوة والسلام بربه عز وجل
كما قال عليه الصلوة والسلام بربى عز وجل عرفت كل شىء كانت اخلاقه اعظم خلق فلذلك
بعثه الله الى الناس كلهم ولم يقتصر رسالته على الانس حتى عمت الجن ولم يقتصر بها على الثقلين
حتى عمت جميع العالمين فكل من كان الله ربه فمحمد رسوله وكما ان الربوبية تعم العالمين
فالخلق المحمدى يشمل جميع العالمين انتهى وهذا مصير منه الى انه صلى الله عليه وسلم قد ارسل
الى الملائكة ايضا وسيأتى الكلام فى ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى وهو المستعان وقد
كان صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق الكريمة فى اصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له ذلك
برياضة نفس بل بجود الهى ولهذا لم يزل تشرق انوار المعارف فى قلبه حتى وصل الى الغاية العليا
والمقام الاسنى واصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل لان به تقتبس الفضائل
وتجتنب الرذائل فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب
والعقل بمثابة اللسان قال بعضهم لكل شىء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل
الصبر واما ما روى ان الله لما خلق العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال
وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا اشرف منك فبك آخذ وبك اعطى فقال ابن تيمية وتبعه
غيره انه كذب موضوع باتفاق انتهى وفى زوائد عبد الله بن الامام احمد على الزهد لابيه
عن على بن مسلم عن يسار بن حاتم وهو ممن ضعفه غير واحد وكان جماعا للرقائق قال
القواريرى انه لم يكن له عقل قال حدثنا جعفر بن سليمان الضبعى حدثنا مالك بن دينار
عن الحسن البصرى مرسلا قال لما خلق الله تعالى العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر
فادبر فقال ما خلقت خلقا احب الى منك بك آخذ وبك اعطى واخرجه داود بن المحبر
فى كتاب له وابن المحبر كذاب قال الحافظ ابو الفضل بن حجر والوارد فى اول ما خلق
الله حديثا اول ما خلق الله القلم وهو اثبت من حديث العقل ولابى الشيخ عن قرة بن اياس

المرئى برفعه الناس يعملون الخير وانما يعطون اجورهم على قدر عقولهم وقد اختلف
فى ماهية العقل اختلافا طويلا لا يطول باستقصائه وفى القاموس ومن خطه مولفه نقلت
العقل العلم او بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها او العلم بخير الخيرين
وشر الشرين او يطلق لامور لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمعان مختلفة فى
الذهن تكون بمقدمات يستتب بها الاغراض والمصالح ولهيئة محمودة للانسان فى حركاته
وكلماته والحق انه روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده
عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى وقد كان صلى الله عليه
وسلم من كمال العقل فى الغاية القصوى التى لم يبلغها بشر سواه ولهذا كانت معارفه
عظيمة وخصائصه جسيمة حارت العقول فى فيض ما افاض من غيبه لديه وكلت
الافكار فى بعض ما اطلعه الله عليه وكيف لا يعطى ذلك وقد امتلا قلبه وباطنه وفاض
على جسده المكرم لما وهبه من اسرار الهيبة ومعرفة ربوبيته وتحقق عبوديته قال
وهب بن منبه قرأت فى احد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط
جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم
الا كحبة رملة بين رمل من جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس
عقلا وافضلهم رايا رواه ابو نعيم فى الحلية وابن عساكر وعن بعضهم مما هو فى
عوارف المعارف اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون فى النبى صلى الله عليه وسلم
وجزء فى سائر المؤمنين ومن تامل حسن تدبيره للعرب الذين هم كالوحش الشارد
والطبع المتنافر المتباعد وكيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على اذاهم الى ان انقادوا
اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه اهليهم وآباءهم وابناءهم واختاروه على انفسهم وهجروا
فى رضاه اوطانهم واحباءهم من غير ممارسة سبقت له ولا مطالعة كتب يتعلم منها سير
الماضين تحقق انه اعقل العالمين ولما كان عقله عليه الصلوة والسلام اوسع
العقول لا جرم اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شىء فمن ذلك اتساع
خلقه العظيم فى الحلم والعفو مع القدرة وصبره عليه الصلوة والسلام على ما يكره وحسبك
صبره وعفوه عليه الصلوة والسلام عن الكافرين به المقاتلين المحاربين له فى اشد ما
نالوه به من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد حتى صار الدم
يسيل على وجهه الشريف حتى شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال
انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومى واهد قومى فانهم لا يعلمون
قال ابن حبان اى اغفر لهم ذنبهم فى شج وجهى لا انه اراد الدعاء لهم بالمغفرة مطلقا
اذ لو كان كذلك لاجيب لاسلموا كلهم كذا قال رحمه الله وقد روى عن عمر انه قال
فى بعض كلامه بابى انت وامى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض
الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت

ربا عبيك فابيت ان تقول الا خيرا اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وههنا دقيقة وهي انه عليه الصلوة والسلام لما شج وجهه عفى وقال اللهم اهد قومي وحين شغلوه عن الصلوة يوم الخندق قال اللهم املأ بطونهم نارا فيحتمل الشجة الحاصلة في وجه جسده الشريف وما يحتمل الشجة الحاصلة في وجه دينه فان وجه الدين هو الصلوة فرجح حق خالقه على حقه واعلم ان الصبر على الاذى جهاد النفس وقد جبل الله تعالى النفس على التأثر بما يفعل بها ولهذا شق عليه صلى الله عليه وسلم نسبتهم له الى الجور في القسمة لكنه عليه الصلوة والسلام حلم على القائل وصبر لما علم من جزيل ثواب الصابرين وان الله يوجره بغير حساب وصبره عليه الصلوة والسلام على الاذى انما هو فيما كان من حق نفسه اما اذا كان لله فانه يمتثل فيه امر الله تعالى من الشدة كما قال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد وقع له عليه الصلوة والسلام انه غضب لاسباب مختلفة مرجعها الى ان ذلك كان في امر الله واظهر الغضب فيها ليكون اكد في الزجر فصبره وعفوه انما كان فيما يتعلق بنفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم وقد روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن زيد بن سعنة بالمهملة والنون المفتوحتين كما قيده به عبد الغني وذكره الدارقطني وبالمثناة التحتية ثبت في الشفا وصحح عليه مؤلفه بخطه وهو الذي ذكره ابن اسحاق فهو كما قال النووي اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه قال لم يبق من علامات النبوة شيء الا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنين لم اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت اتلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمرا الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين او ثلاثة اتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ فقلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر اي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما احاذر فوته لضربت بسيفي راسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر بسكون وتؤدة وتبسم ثم قال انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك يا عمر ان تامرني بحسن الاداء وتامره بحسن التباعة اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل الا حلما فاخبرتهما فاشهدك اني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وعن ابي هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا الى اعرابي قد ادركه فجذبه بردائه فحمر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه فقال له الاعرابي احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا واستغفر الله لا احملك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني فكل ذلك يقول له الاعرابي والله لا اقيدكها فذكر الحديث قال ثم دعا رجلا فقال له احمل

له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا رواه ابو داود ورواه البخاري من حديث انس بلفظ كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة قال انس فنظرت الى عاتقه وقد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه فضحك ثم امر له بعطاء وفي هذا بيان حلمه عليه الصلوة والسلام وصبره على الاذى في النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تالفه على الاسلام وعن عائشة رضي الله عنها لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح رواه الترمذي اي لم يكن له الفحش خلقا ولا مكتسبا وروى البخاري من حديث ابن عمر لم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وفيه وايضا ايضا من حديث انس بن مالك لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سبابا ولا فحاشا ولا لعانا والفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح ويدخل في القول والفعل والصفة لكن استعماله في القول اكثر والمتفحش بالتشديد الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه وعن عائشة ان رجلا استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة يا رسول الله حين رايت الرجل قلت كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت اليه فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة متى عهدتني فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة من تركه الناس اتقاء شره رواه البخاري قال ابن بطال هذا الرجل هو عيينة بن حصن ابن حذيفة بن بدر الفزاري وكان يقال له الاحمق المطاع كذا فسره به القاضي عياض والقرطبي والنووي واخرج عبد الغني من طريق ابي عامر الخزاعي عن عائشة قالت جاء مخرمة بن نوفل يستاذن فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته قال بئس اخو العشيرة الحديث المراد بالعشيرة الجماعة او القبيلة وانما تطلق النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه تالفا له ليسلم قومه لانه كان رئيسهم وقد جمع هذا الحديث كما قال الخطابي علما وادبا وليس قوله عليه الصلوة والسلام في امته بالامور التي يسمهم بها ويضيفها اليهم من المكروه غيبة وانما يكون ذلك من بعضهم في بعض بل الواجب عليه صلى الله عليه وسلم ان يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس امرهم فان ذلك من باب النصيحة والشفقة على الامة ولكنه لما جبل عليه من الكرم واعطيه من حسن الخلق اظهر له البشاشة ولم يجبه بالمكروه لتقتدي به امته في اتقاء شر من هذا سبيله وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته وقال القرطبي فيه جواز غيبة المعلن بالفسق والفحش ونحو ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤدي ذلك الى المداهنة في دين الله ثم قال تبعا للقاضي حسين والفرق بين المداراة والمداهنة ان المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا او الدين او هما معا وهي مباحة وربما استحبت والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا والنبي صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض قوله فيه فعله فان قوله فيه قول حق وفعله معه حسن عشرة فيزول مع هذا التقرير

الاشكال ولله الحمد وقال القاضي عياض لم يكن عيينة والله اعلم حينئذ اسلم فلم يكن القول فيه غيبة او كان اسلم ولم يكن اسلامه ناصحا فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يبين ذلك لئلا يغتر من لم يعرف باطنه وقد كانت منه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده امور تدل على ضعف ايمانه فيكون ما وصفه به عليه السلام من علامات النبوة واما الانة القول بعد ان دخل فعلى سبيل الايتلاف وفي فتح الباري ان عيينة ارتد في زمن الصديق وحارب ثم رجع واسلم وحضر بعض الفتوح في عهد عمر انتهى وما انتقم صلى الله عليه وسلم لنفسه رواه البخاري فان قلت قد صح انه صلى الله عليه وسلم امر بقتل عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم وهذا ينافي قوله وما انتقم لنفسه والجواب انهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى وقيل اراد انه لا ينتقم اذا اوذي في غير السب الذي يخرج الى الكفر كما عفى عن الاعرابي الذي جفى في رفع صوته عليه وعن الاخر الذي جبذ برداءه حتى اثر في كتفه وحمل الداودي عدم الانتقام على ما يختص بالمال واما العرض فقد اقتص ممن نال منه وقد اخرج الحاكم هذا الحديث من طريق معمر عن الزهري مطولا واوله ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر اي بصريح اسمه وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يضرب في سبيل الله ولا سئل شيئا قط فمنعه الا ان يسال ماثما ولا انتقم لنفسه من شيء الا ان تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم الحديث ومما روي من اتساع خلقه وحلمه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه للطائفة المنافقين الذين كانوا يؤذونه اذا غاب ويتملقون له اذا حضر وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى يؤيدها العناية الربانية وكان عليه السلام كلما اذن له في التشديد عليهم فتح له صلى الله عليه وسلم بابا من الرحمة فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى نزل الله عليه استغفر لهم او لا تستغفر لهم فقال عليه الصلوة والسلام خيرت فاخترت ان استغفر لهم وكما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال صلى الله عليه وسلم لازيدن على السبعين وامر ولد الذي تولى كبر النفاق والاذى منهم ببر ابيه ولما مات كفنه في ثوب خلعه عن بدنه وصلى عليه هذا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يجذبه ويقول يا رسول الله اتصلي على راس المنافقين فنتر ثوبه من عمر وقال اليك عني يا عمر فخالف مؤمنا ووليا في حق منافق عدو الله فكل ذلك رحمة منه لامته اشار اليه الحلي وقال النووي قيل انما اعطاه قميصه وكفنه فيه تطييبا لقلب ابنه فانه كان صحابيا صالحا وقد سال ذلك فاجابه وقيل مكافاة لعبد الله المنافق الميت لانه كان البس العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفي ذلك كله بيان عظيم مكارم اخلاقه صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء وقابله بالحسنى فالبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ومن ذلك انه عليه السلام لم يواخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وعفى عن اليهودية التي سمته في الشاة على الصحيح من الروايتين والله تعالى يرحم القائل * وما الفضل الا خاتما انت فصه * وعفوك نقش الفص فاختم به عذري *

ومن ذلك اشفاقه صلى الله عليه وسلم على اهل الكبائر من امته وامره اياهم بالستر فقال من بلي بهذه القاذورات يعني المحرمات فليستتر وامره امته ان يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما اخذوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقال لهم في رجل كان كثيرا ما يؤتى به سكران بعد تحريم الخمر فلعنوه مرة فقال لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاظهر لهم مكنون قلبه لما رفضوه بظاهر فعله وانما ينظر الله الى القلوب طهر الله قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا ومن ذلك ما رواه الدارقطني من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصغي الى الهرة الاناء حتى تشرب ثم يتوضا بفضلها ومن ذلك اتساع خلقه في شريف تواضعه واداته وحسن عشرته مع اهله وخدمه واصحابه قال بعضهم اعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو اثارها وسكون وهجها وغبارها وكان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم في اعلى القرب وحسبك من تواضعه عليه الصلوة والسلام ان خيره ربه تعالى بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فاعطاه الله تعالى بتواضعه ان جعله اول من تنشق عنه الارض واول شافع واول مشفع فلم ياكل متكئا بعد ذلك حتى فارق الدنيا وقد قال عليه السلام لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله رواه الترمذي ومن تواضعه عليه الصلوة والسلام انه كان لا ينهى خادما روينا في كتاب الترمذي عن انس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده وامائه ما ضرب منهم احدا قط وهذا امر لا تتسع له الطباع البشرية لولا التاييدات الربانية وفي رواية مسلم ما رايت احدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة ما ضرب صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله رواه مسلم وسئلت عائشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت الين الناس بساما ضحاكا لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه وعنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه الا قال لبيك رواه وعند احمد وابن سعد وصححه ابن حبان عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله وفي رواية لاحمد ويرقع دلوه وعنده ايضا يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه وهذا يتعين حمله على اوقات فانه ثبت انه كان له خدم فتارة يكون بنفسه وتارة بغيره وتارة بالمشاركة وكان يركب الحمار ويردف خلفه وركب يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف رواه الترمذي وعن قيس بن سعد زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ان اراد الانصراف قرب له سعد

جمارا وطأ عليه بقطيفة وركب صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما
ان تركب واما ان تنصرف وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها
رواه ابو داود وغيره وفي البخاري من حديث انس بن مالك اقبلنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حنين وانا لرديف ابي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى
الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عثرت الناقة فقلت المرأة فقال
صلى الله عليه وسلم انها امكم فشددت الرحل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
والمرأة صفية والردف والرديف الراكب خلف الراكب باذنه وقال معاذ بن جبل بينا
انا رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل وقد ركب
صلى الله عليه وسلم على حمار على اكاف عليه قطيفة فدكية واردف اسامة وراءه ولما قدم
عليه السلام مكة استقبله اغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وآخر خلفه وقال
ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل قثم بين يديه والفضل خلفه
او قثم خلفه والفضل بين يديه رواه البخاري وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة
النبوية له انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قبا وابو هريرة معه قال يا ابا هريرة
احملك فقال ما شئت يا رسول الله قال اركب فوثب ابو هريرة ليركب فلم يقدر فاستمسك
برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا ابا هريرة احملك
فقال ما شئت يا رسول الله فقال اركب فلم يقدر ابو هريرة على ذلك فتعلق برسول الله صلى
الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم قال يا ابا هريرة احملك فقال لا والذي بعثك بالحق لا رميتك
ثالثا وذكر الطبري ايضا انه عليه الصلوة والسلام كان في سفر وامر اصحابه باصلاح شاة
فقال رجل يا رسول الله علي ذبحها وقال آخر يا رسول الله علي سلخها وقال آخر يا رسول
الله علي طبخها فقال رسول الله على جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد
علمت انكم تكفوني ولكن اكره ان اتميز عليكم وان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه
انتهى ولم ار هذا الخبر للطبري بعد التتبع نعم رأيته في جزء تمثال النعل الشريف
لابي اليمن بن عساكر بعد ان روى حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم في الطواف فانقطع شسعه فقلت يا رسول الله ناولنيه اصلحه فقال
هذه اثرة ولا احب الاثرة والاثرة بفتح الهمزة والثاء الاسم من آثر يؤثر اذا اعطى والاثرة
الاستيثار وهو الانفراد بالشيء قال وكانه كره صلى الله عليه وسلم ان ينفرد احد باصلاح
نعله فيحوز فضيلة الخدمة فيكون له بمثابة الخادم ويكون له صلى الله عليه وسلم ترفع المخدوم على
خادمه كره ذلك صلى الله عليه وسلم للتواضع وعدم ترفعه على من يصحبه ويؤيده ما روي
انه صلى الله عليه وسلم اراد ان يمتهن نفسه في شيء فقالوا نحن نكفيك يا رسول الله قال قد علمت
انكم تكفوني ولكن اكره ان اتميز عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم انتهى ثم رأيت شيخنا في الاحاديث المشهورة حكى ذلك والله الموفق وعن ابي قتادة
وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم
كانوا لاصحابنا مكرمين وانا احب ان اكافيهم ذكره في الشفا وفي البخاري عن انس قال كان
الرجل يجعل للنبي صلى الله عليه وسلم النخلات حتى افتتح قريظة والنضير وان اهلي امروني
ان آتي النبي صلى الله عليه وسلم فاسأله الذي كانوا اعطوه او بعضه وكان عليه الصلوة
والسلام قد اعطاه ام ايمن فجاءت ام ايمن فجعلت الثوب في عنقي تقول كلا والذي لا اله الا هو
لا يعطيكهم وقد اعطانيها او كما قالت والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لك كذا وتقول كلا
والله حتى اعطاها حسبت انه قال عشرة امثاله او كما قال وانما فعلت هذا ام ايمن لانها
ظنت انها كانت هبة مؤبدة وتمليكا لاصل الرقبة واراد النبي صلى الله عليه وسلم استطابة
قلبها في استرداد ذلك فلاطفها وما زال يزيدها حتى رضيت وكل هذا تبرع منه صلى الله
عليه وسلم واكرام لها لما لها من حق الحضانة والتربية ولا يخفى ما في هذا من فرط جوده
وكثرة حلمه وبره وجاءته صلى الله عليه وسلم امرأة كان في عقلها شيء فقالت ان لي اليك
حاجة فقال اجلسي في اي سكك المدينة شئت اجلس اليك وفي رواية مسلم حتى اقضي حاجتك
فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها ولا ريب ان هذا كله من كثرة تواضعه
صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن ابي الحمساء بالحاء المهملة المفتوحة والميم الساكنة والسين
المهملة وفي آخره همزة ممدودة بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وبقيت له بقية
فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت فذكرت بعد ثلاث فاذا هو في مكانه فقال لقد شققت
علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك رواه ابو داود وقال ابن ابي اوفى كان عليه الصلوة والسلام
لا يأنف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي له الحاجة رواه النسائي وفي رواية البخاري
ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق حيث شاءت وفي رواية
احمد فتنطلق به في حاجتها وعنده ايضا كانت الوليدة من ولائد اهل المدينة لتجيء فتأخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت والمقصود من
الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد وقد اشتمل على انواع من المبالغة في التواضع لذكره
المرأة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الاماء اي امة كانت وبقوله حيث شاءت
اي من الامكنة والتعبير بالاخذ باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست
منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعدها على ذلك وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع
انواع الكبر صلى الله عليه وسلم ودخل الحسن وهو يصلي قد سجد على ظهره فابطأ في
سجوده حتى نزل الحسن فلما فرغ قال له بعض اصحابه يا رسول الله قد اطلت سجودك قال ان
ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله اي جعلني كالراحلة فركب على ظهري وكان عليه الصلوة والسلام
يعود المرضى ويشهد الجنائز اخرجه الترمذي في الشمائل وحج عليه الصلوة والسلام على رحل
رث وعليه قطيفة لا تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة وكان

اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه فربما جاءه في الغداة
الباردة فيغمس يده فيها رواه مسلم والترمذي وكان عليه الصلوة والسلام حسن العشرة
مع ازواجه وكان عليه السلام ينام مع ازواجه قال النووي وهو ظاهر فعله الذي
واظب عليه مع مواظبته صلى الله عليه وسلم على قيام الليل فينام مع احداهن فاذا اراد القيام
لوظيفته قام وتركها فيجمع بين وظيفته واداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد
علم من هذا ان اجتماع الزوج مع زوجته في فراش واحد افضل لاسيما ان عرف من حالها حرصها
على هذا ولا يلزم من نومه معها الجماع وقد كان عليه الصلوة والسلام يسرب الى عائشة
بنات الانصار يلعبن معها رواه الشيخان واذا شربت من الاناء اخذه فوضع فمه على موضع
فمها وشرب رواه مسلم واذا تعرقت عرقا وهو العظم الذي عليه اللحم اخذه فوضع فمه
على موضع فمها رواه مسلم ايضا. وكان يتكئ في حجرها ويقبلها وهو صائم رواه الشيخان
وكان يريها الحبشة وهم يلعبون في المسجد وهي متكئة على منكبه رواه البخاري ورواه الترمذي
بلفظ قام صلى الله عليه وسلم فاذا حبشة تزفن والصبيان حولها فقال يا عائشة تعالي فانظري
فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت انظر اليها ما بين المنكب
الى رأسه فقال لي اما شبعت اما شبعت قالت فجعلت اقول لا لانظر منزلتي عنده وقال الحسن غريب وروي
انه صلى الله عليه وسلم سابقها فسبقته ثم سابقها بعد ذلك فسبقها فقال لها هذه بتلك
رواه ابو داود بلفظ سابقته في سفر فسبقته على رجلي قالت فلما حملت اللحم سابقته فسبقني
فقال هذه بتلك السبقة وعن انس بن مالك انهم كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها اذ اتي بصحفة خبز ولحم من بيت ام سلمة فوضعت بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا ايديكم فوضع نبي الله صلى الله عليه وسلم ووضعنا ايدينا
فاكلنا وعائشة تصنع طعاما عجلته قد رأت الصحفة التي اتي بها فلما فرغت من طعامها
جاءت به فوضعته ورفعت صحفة ام سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا
بسم الله غارت امكم ثم اعطى صحفتها ام سلمة فقال طعام مكان طعام واناء مكان اناء رواه
الطبراني في الصغير وهو عند البخاري بلفظ كان عند بعض نسائه فارسلت احدى امهات
المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت
فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي في الصحفة ويقول
غارت امكم ثم حبس الخادم حتى اتي بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الى التي كسرت
صحفتها وامسك المكسورة في بيت التي كسرت وعند احمد وابي داود والنسائي قالت عائشة
ما رأيت صانعة طعام مثل صفية اهدت الى النبي صلى الله عليه وسلم اناء من طعام فما ملكت
نفسي ان كسرته فقلت يا رسول الله ما كفارته قال اناء كاناء وطعام كطعام وعند غيرهم
فاخذت القصعة من بين يديه فضربت بها وكسرتها فقام صلى الله عليه وسلم يلتقط اللحم
والطعام وهو يقول غارت امكم فلم يثرب عليها فوسع خلقه الكريم اثار طمحات غيرتها ولم

يباشر وقضى عليها بحكم الله في التقاص وهكذا كانت احواله عليه الصلوة والسلام مع ازواجه
لا يأخذ عليهن ويعذرهن وان اقام عليهن قسطاس عدل اقامه بغير قلق ولا غضب بل
رؤف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه ما يعنتهم قيل وفي هذا الحديث
اشارة الى عدم مؤاخذة الغيرى فيما يصدر منها لانها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا
بشدة الغضب الذي اثارته الغيرة وقد اخرج ابو يعلى بسند لا بأس به عن عائشة مرفوعا
ان الغيرى لا تبصر اسفل الوادي من اعلاه انتهى وعن عائشة رضي الله عنها اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي
فابت فقلت لها لتأكلن او لالطخن بها وجهك فابت فوضعت يدي
في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن غيلان من حديث
الهاشمي واخرجه الملا في سيرته عليه الصلوة والسلام مع اهله واصحابه وغيرهم من الفقراء
والايتام والارامل والاضياف والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي
لا مرمى وراءها لمخلوق وانه كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق
الى غير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط اصحابه بما يولج حبه في القلوب كان له رجل
من البادية يسمى زاهرا وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بموجود البادية بما يستظرف منها
وكان صلى الله عليه وسلم يقول زاهر باديتنا ونحن حاضرته. وكان صلى الله عليه وسلم يحبه
فمشى صلى الله عليه وسلم يوما الى السوق فوجده قائما فجاء من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره
فاحس زاهر بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلت امسح ظهري في صدره رجاء
بركته. وفي رواية الترمذي في الشمائل فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال ارسلني من
هذا فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو ما الصق ظهره بصدر النبي صلى
الله عليه وسلم حين عرفه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشتري العبد فقال
له زاهر يا رسول الله اذا تجدني كاسدا فقال له صلى الله عليه وسلم انت عند الله غال. وفي
رواية للترمذي ايضا لكن عند الله لست بكاسد وقال انت عند الله غال واخرج
ابو يعلى عن زيد بن اسلم ان رجلا كان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم العكة من السمن
والعسل فاذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعط هذا متاعه
فما يزيد النبي صلى الله عليه وسلم ان تبسم ويأمر به فيعطى. ووقع في حديث محمد بن عمرو بن حزم
وكان لا يدخل المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء فقال يا رسول الله هذا هدية لك فاذا
جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فقال اعط هذا الثمن فيقول الم تهده لي فيقول ليس عندي
فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه وكان عليه الصلوة والسلام يمزح ولا يقول الا حقا
كما روى ابو هريرة وقد قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني فباسطه عليه الصلوة
والسلام من القول بما عساه ان يكون فيه شفاء لبلهه بعد ذلك فقال احملك على ابن الناقة
فسبق لخاطره استصغاره بما يصدق عليه البنوة فقال يا رسول الله ما عسى يغني عني ابن الناقة

والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه
ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم
يكن فيها لحم ... سيرته عليه الصلوة والسلام

فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك وهل يلد الجمل الا الناقة روى حديثه الترمذي وابو داود
وباسط عمته صفية وهي عجوز فقال لها ان الجنة لا تدخلها عجوز فلما جزعت قال لها
انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة وفي رواية الترمذي عن الحسن اتته صلى الله عليه
وسلم عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله لي ان يدخلني الجنة فقالت يا ام فلان ان الجنة
لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي فقال اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول
انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وذكره ابن رزين **وكان** عليه الصلوة والسلام يمازح
اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويونسهم ويباحثهم في تدبير امورهم ويداعب صبيانهم
ويجلسهم في حجره ومع ذلك سره في الملكوت يجول حيث اراد الله به والدعابة بضم الدال
وتخفيف العين المهملتين وبعد الالف موحدة هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره **وقد**
اخرج الترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال اني لا اقول
الا حقا وما ورد عنه عليه الصلوة والسلام في النهي عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل
عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين وغير ذلك والذي يسلم من ذلك هو المباح فان صادف
مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان هو فعله عليه الصلوة والسلام فهو مستحب **وقال** انس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابو عمير وكان له نغر
يلعب به فمات فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراه حزينا فقال ما شانه قالوا مات نغره
فقال يا ابا عمير ما فعل النغير رواه البخاري ومسلم **وفي** رواية الترمذي قال انس كان
النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لي صغير يا ابا عمير ما فعل النغير قال الجوهري
النغير تصغير نغر والنغر جمع النغرة وهو طائر صغير كالعصفور والجمع نغران مثل صرد وصردان
وكان قد القى عليه مع الدعابة المهابة ولقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل فقام بين يديه
فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فاني لست بملك ولا جبار انما انا ابن
امراة من قريش تاكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال
يا ايها الناس انما اوحي الي ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد
على احد وكونوا عباد الله اخوانا فسكن عليه الصلوة والسلام روعه شفقة لانه بالمومنين
رؤف رحيم وسلب عنه وصف الملكية بقوله فاني لست بملك لما يلزمها من الجبروتية
وقال انما انا ابن امراة تاكل القديد تواضعا لان القديد مفضول وهو ما ياكله
المتمسكنة ولما رأته عليه الصلوة والسلام قيلة بنت مخرمة في المسجد وهو قاعد القرفصا
ارعدت من الفرق رواه ابو داود **وروى** مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملات عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي
لما قدرت او كما قال واذا كان هذا قوله وهو من جلة الصحابة ولولا انه عليه الصلوة والسلام
كان يباسطهم ويتواضع لهم ويونسهم لما قدر احد منهم ان يقعد معه ولا ان يسمع كلامه
عليه الصلوة والسلام لما رزقه الله تعالى من المهابة والجلالة يبين ذلك ويوضحه ما روي

انه

انه عليه الصلوة والسلام كان اذا فرغ من ركوع الفجر حدث عائشة ان كانت مستيقظة والا
اضطجع بالارض ثم خرج بعد ذلك الى الصلوة وما ذاك الا انه عليه الصلوة والسلام لو خرج
على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه
وغير ذلك من الاحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر ان يلقاه ولا
يباشره فكان عليه الصلوة والسلام يتحدث مع عائشة او يضطجع بالارض حتى يحصل الانس
بجنسهم وهو التانيس مع عائشة او جنس اصل الخلقة التي هي الارض ثم يخرج اليهم وما
ذاك الا رفقا بهم وكان بالمومنين رحيما قاله ابن الحاج في المدخل **وقد** جاء في الحديث
انه لما خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا نظر عليه الصلوة والسلام الى جبريل
كالمستشير له فنظر جبريل الى الارض حيث اشار جبريل وردته الله تعالى رفعته الى السماء
ثم الى الرفرف الاعلى الى الحضرة قاب قوسين او ادنى **ووقف** بين يديه محمود بن الربيع وهو صغير
ابن خمس سنين فمج عليه الصلوة والسلام في وجهه مجة من ماء من دلو بما زخم بها فكان في
ذلك من البركة انه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الا تلك المجة
فعد بها من الصحابة وحديثه مذكور في البخاري **ودخلت** عليه ربيبته زينب بنت ام سلمة
وهو في مغتسله فنضح الماء في وجهها فكان في ذلك من البركة في وجهها انه لم يتغير فكان
ماء الشباب ثابتا في وجهها ظاهرا في رونقها وهي عجوز كبيرة وحديثها مذكور فقد علمت
انه عليه الصلوة والسلام كان مع اصحابه واهله ومع الغريب والقريب من سعة الصدر
ودوام البشر وحسن الخلق والسلام على من لقيه والوقوف مع من استوقفه والمزح بالحق
مع الصغير والكبير احيانا واجابة الداعي ولين الجانب حتى يظن كل واحد من اصحابه انه احبهم
اليه وهذا الميدان لا يجد فيه الا واجبا او مستحبا او مباحا فكان يباسط الخلق ويلاينهم
ليستضيئون بنور هدايته في ظلمات دياجي الجهل ويقتدون بهديه صلى الله عليه وسلم
وقد كانت مجالسه عليه الصلوة والسلام مع اصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس
تذكير بالله وترغيب وترهيب اما بتلاوة القران او بما اتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة
وتعليم ما ينفع من الدين كما امره الله تعالى ان يذكر ويعظ ويقص وان يدعو الى سبيل
ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وان يبشر وينذر فلذلك كانت المجالس توجب لاصحابه رقة
القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة كما ذكره ابو هريرة فيما رواه احمد والترمذي
وابن حبان في صحيحه قال قلنا يا رسول الله ما لنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا
في الدنيا وكنا من اهل الاخرة فاذا خرجنا من عندك عافسنا اهلنا وشممنا اولادنا
انكرنا انفسنا فقال صلى الله عليه وسلم لو انكم اذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلك لزارتكم
الملائكة في بيوتكم الحديث وقوله عافسنا بالعين المهملة بعدها الالف فاء فسين مهملة ساكنة
اي عالجنا اهلنا ولاعبناهم **ومن** تواضعه صلى الله عليه وسلم انه ما عاب ذواقا قط
ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه رواه الشيخان وهذا اذا كان الطعام مباحا

اما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه وذهب بعضهم الى ان العيب ان كان من جهة الخلقة كره وان كان من جهة الصنعة لم يكره قال لان صنعة الله تعالى لا تعاب وصنعة الآدميين تعاب قال في فتح الباري والذي يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قال النووي ومن آداب الطعام المتأكدة ان لا يعاب كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق ناضج غير ناضج ونحو ذلك ومن تواضعه ان هذه الدنيا شاع سبها في العالمين فقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا ثم مدحها فقال نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر وقال لا تسبوا الدهر رواه البخاري من حديث ابي هريرة بلفظ ولا تقولوا خيبة الدهر فان الدهر هو الله ● وفي لفظ له يسب بنو آدم الدهر وانا الدهر بيدي الليل والنهار ● وعند مسلم في حديث بلفظ لا يسب احدكم الدهر ومحصل ما قيل في تأويله ثلاثة اوجه ● احدها ان المراد بقوله ان الله هو الدهر اي المدبر للامور ● ثانيها انه على حذف مضاف اي صاحب الدهر ● ثالثها التقدير مقلب الدهر ولذلك عقب بقوله في رواية البخاري بيدي الليل والنهار وقال المحققون من نسب شيئا من الافعال الى الدهر حقيقة كفر ومن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقد لذلك فليس بكافر لكن يكره له ذلك لتشبهه باهل الكفر في الاطلاق وما خير صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه رواه البخاري اي بين امرين من امور الدنيا لا اثم فيهما وابهم فاعل خير ليكون اعم من قبل الله او من قبل المخلوقين وقوله الا اختار ايسرهما وقوله ما لم يكن اثما اي ما لم يكن الاسهل مقتضيا للاثم فانه حينئذ يختار الاشد ● وفي حديث انس عند الطبراني في الاوسط الا اختار ايسرهما ما لم يكن لله فيه سخط ووقوع التخيير بين ما فيه اثم وما لا اثم فيه من قبل المخلوقين ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام انه لم يكن له بواب راتب كما جاء عن انس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة وهي تبكي عند قبر فقال اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك خلو من مصيبتي قال فجاوزها ومضى فمر بها رجل فقال لها ما قال لك رسول الله قالت ما عرفته قال انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا الحديث رواه البخاري لكن في حديث ابي موسى انه كان بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم لما جلس على القف وجمع بينهما بانه كان عليه السلام اذا لم يكن في شغل من اهله ولا انفراد من امره انه كان يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه ● وفي حديث عمر حين استأذن له الاسود في قصة حلفه ان لا يدخل على نسائه شهرا فيه انه كان في وقت خلوته بنفسه يتخذ بوابا ولولا ذلك لاستأذن عمر لنفسه ولم يحتج الى قوله يا رباح استأذن لي لكن يحتمل ان يكون سبب استئذان عمر انه خشي ان يكون وجد عليه بسبب ابنته فاراد ان يختبر ذلك باستئذانه عليه فلما اذن له اطمأن وقد اختلف في مشروعية الحجاب للحاكم فقال الشافعي وجماعة ينبغي للحاكم ان لا يتخذ حاجبا وذهب آخرون الى جوازه وحمل

الاول على زمن سكون الناس واجتماعهم على الخير وطواعيتهم للحاكم وقال آخرون بل يستحب ذلك حينئذ ليرتب الخصوم ويمنع المستطيل ويدفع الشرير والله اعلم واما ما روي من حيائه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما في البخاري من حديث ابي سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها والعذراء هي البكر والخدر بكسر الخاء المعجمة اي في سترها وهو من باب التتميم لان العذراء في الخلوة يشتد حياؤها اكثر مما تكون خارجة عنه لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها فالظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون منفردة فيه ● والحياء بالمد وهو من الحياة ومنه الحيا للمطر لكن هو مقصور وعلى حسب حياة القلب تكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب والروح وكلما كان القلب حيا كان الحياء اتم وهو في اللغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وقد يطلق على مجرد ترك الشيء لسبب والترك انما هو من لوازمه ● وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ● وقال ذو النون الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما يسبق منك الى ربك ● والحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق وقال يحيى ابن معاذ رحمه الله من استحيا من الله مطيعا استحيا الله منه وهو مذنب وهذا الكلام يحتاج الى شرح ومعناه ان من غلب عليه خلق الحياء من الله حتى في حال طاعته فقلبه مطرق بين يديه اطراق مستحي خجل فانه اذا وقع منه ذنب استحيا الله من نظره اليه في تلك الحال لكرامته عليه فيستحيي ان يرى من وليه ما يشينه عنده وفي المشاهد شاهد لذلك فان الرجل اذا اطلع على اخص الناس به واحبهم اليه واقربهم منه من صاحب او ولد او من يحبه وهو يخونه فانه يلحقه من ذلك الاطلاع عليه حياء عجيب حتى كانه هو الجاني وهذا غاية الكرم والحياء اقسام ثمانية يطول استقصاؤها ● منها حياء الكرم كحيائه عليه الصلاة والسلام من القوم الذين دعاهم الى وليمة زينب وطولوا عنده المقام واستحيا ان يقول لهم انصرفوا ● ومنها حياء المحب من محبوبه حتى انه اذا خطر على قلبه في حال غيبته هاج الحياء من قلبه واحس به في وجهه فلا يدري ما سببه ● ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج بين محبة وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده وان قدره اعلى واجل منها فعبوديته له توجب استحياء منه لا محالة ● ومنها حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقنعها بالدون فيجد نفسه مستحيا من نفسه كان له نفسين يستحيي باحداهما من الاخرى وهذا اكمل ما يكون من الحياء فان العبد اذا استحيى من نفسه فهو بان يستحيي من غيره اجدر ● والحياء كما قال عليه الصلاة والسلام لا ياتي الا بخير وهو من الايمان كما رواهما البخاري قال القاضي عياض وغيره وانما جعل الحياء من الايمان وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم وقال القرطبي الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف

بدون الغريزي غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان في الغريزي اشد حياء من العذراء في خدرها
وقال القاضي عياض ورئي انه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد
وأما خوفه صلى الله عليه وسلم ربه جل وعلا فاعلم ان الخوف والوجل والرهبة
ألفاظ متقاربة غير مترادفة قال الجنيد الخوف توقع العقوبة على مجاري الانفاس وقيل
الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف • وقيل قوة العلم بمجاري الاحكام وهذا سبب
الخوف لا انه نفسه وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره والخشية
اخص من الخوف فان الخشية للعلماء بالله تعالى قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فهو
خوف مقرون بمعرفة وقال صلى الله عليه وسلم انا اتقاكم لله واشدكم له خشية فالخوف حركة
والخشية انجماع وانقباض وسكون فان الذي يرى العدو والسيل ونحوهما له حالتان احداهما
حركة للهرب منه وهي حالة الخوف والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل اليه وهي الخشية
واما الرهبة فهي الامعان في الهرب من المكروه وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طاعة
المرغوب فيه • واما الوجل فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته
واما الهيبة فخوف مقارن للتعظيم والاجلال واكثر ما يكون مع المعرفة والمحبة والاجلال
تعظيم مقرون بالحب فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين
والاجلال للمقربين وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية كما قال صلى الله عليه وسلم
اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية رواه البخاري وقال عليه الصلوة والسلام لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا رواه البخاري من حديث ابي هريرة وفيه دلالة على
اختصاصه صلى الله عليه وسلم بمعارف بصرية وقلبية وقد يطلع الله تعالى عليها غيره من المخلصين
من امته لكن بطريق الاجمال واما تفاصيلها فاختص بها صلى الله عليه وسلم **وفي صحيح**
مسلم من حديث انس انه عليه الصلوة والسلام قال والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا وما رأيت يا رسول الله قال رأيت الجنة والنار فقد جمع الله
له بين علم اليقين وعين اليقين مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه
لم يجتمع لغيره ولذا قال ان اتقاكم واعلمكم بالله انا وهو في الصحيح من حديث عائشة وكان
صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكاء رواه النسائي وابن خزيمة وابن
حبان في صحيحه بلفظ كان ير الرحا اي خنين من الخوف بالخاء المعجمة وهو صوت البكاء وقيل هو
ان يجيش جوفه ويغلي بالبكاء **وأما ما روي** من شجاعته عليه الصلوة والسلام ونجدته
وقوته في الله وشدته فعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس
لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول
لن تراعوا • وفي رواية كان فزع بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من ابي طلحة يقال

له المندوب فركب فلما رجع قال ما رأينا من شيء وان وجدناه لبحرا اي انه لبحر قال وكان فرسا
يبطأ رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي • **وللبخاري** ان اهل المدينة فزعوا مرة
فركب صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف او فيه قطاف فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا
بحرا فكان بعد لا يجارى • وفي اخرى له ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خلفه
فقال لن تراعوا انه لبحر فما سبق بعد ذلك اليوم **قوله** لن تراعوا اي روعا مستقرا او روعا
يضركم • وفي هذا الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم من شدة عجلته في الخروج الى العدو
قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته
في انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيئا وهو معنى قوله عليه الصلوة والسلام وجدناه
بحرا اي واسع الجري وكان فيه قطاف يقال قطف الفرس في مشيه اذا تقارب خطوه
واسرع مشيه • قال القاضي عياض وقد كان في افراسه صلى الله عليه وسلم مندوب
فلعله صار اليه بعد ابي طلحة • وقال النووي يحتمل انهما فرسان اتفقا في الاسم
وقال ابن عمر ما رأيت اشجع ولا انجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم **وذكر**
ابن اسحاق في كتابه وغيره انه كان بمكة رجل شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس
يأتونه من البلاد للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ
لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك
اليه او كما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ركانة يا محمد هل من شاهد يدل
على صدقك قال ارأيت ان صرعتك اتؤمن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيأ
للمصارعة قال تهيأت فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم صرعه فتعجب
ركانة من ذلك ثم سأله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة
متعجبا وقال ان شأنك لعجيب ورواه الحاكم في مستدركه عن ابي جعفر محمد بن ركانة
المصارع ورواه ابو داود والترمذي وكذا البيهقي من رواية سعيد بن جبير **وقد**
صارع عليه الصلوة والسلام جماعة غيره كان منهم الاسود الجمحي كما قاله السهيلي وروى
البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته انه كان على جلد البقرة ويجاذب باطرافه عشرة لينزعوه
من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولم يتزحزح عنه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة
وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن وفي قصته طول **وفي**
البخاري من حديث البراء فسأله رجل من قيس أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا
عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
على بغلته البيضاء وان ابا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول

انا النبي لا كذب   انا ابن عبد المطلب •

وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف

عند جبينه وهو مع هذا راكب على بغلة ليست سريعة الجري ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من ليس يعرفه صلوات الله وسلامه عليه • وفي حديث كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه **واما ما ذكر من سخائه وجوده وكرمه** صلى الله عليه وسلم فاعلم ان السخا صفة غريزية وفي مقابلته الشح والشح من لوازم صفة النفس قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فحكم بالفلاح لمن وقي الشح وحكم بالفلاح ايضا لمن انفق وبذل فقال ومما رزقناهم ينفقون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين وليس الشح من الادمي بعجيب لانه جبلي فيه وانما العجب وجود السخا في الغريزة والسخا اتم واكمل من الجود وفي مقابلته البخل الشح والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخا اذ كان ذلك من ضرورة الغريزة فكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا والجود يتطرق اليه الريا ويأتي به الانسان متطلعا الى غرض من الخلق والحق بمقابلة من الثناء او غيره من الخلق والثواب من الله تعالى ولا يتطرق الريا الى السخا لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاغراض اشار اليه في عوارف المعارف **وقد كان** رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس واجود الناس رواه البخاري ومسلم من حديث انس واجود افعل تفضيل من الجود وهو ما ينبغي لمن ينبغي ومعناه اسخى الناس لما كانت نفسه اشرف النفوس ومزاجه اعدل الامزجة لا بد ان يكون فعله احسن الافعال • وشكله املح الاشكال وخلقه احسن الاخلاق فلا شك ان يكون اجود وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات واختصار انس على هذه الاوصاف الثلاثة من جوامع الكلم لانها امهات الاخلاق فان في كل انسان ثلاث قوى • احدها الغضبية وكمالها الشجاعة • ثانيها الشهوانية وكمالها الجود • وثالثها العقلية وكمالها النطق بالحكمة • وفي رواية لمسلم عن انس ما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا الا اعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر **وعنده** ايضا عن صفوان ابن امية انه قال لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطاني وانه لمن ابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي **قال** ابن شهاب اعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة • وفي مغازي الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان يومئذ واديا مملوءا ابلا ونعما فقال صفوان اشهد ما طابت بهذا الا نفس نبي **ويرحم الله ابن جابر حيث قال** ه

هذا الذي لا يتقي فقرا اذا … يعطي ولو كثر الانام واموا
واذا من الانعام اعطى سائلا … فضحت لعطاياه الاوهام

وانما اعطاه ذلك لانه عليه الصلوة والسلام علم ان داءه لا يزول الا بهذا الدوا وهو الاحسان

فعاجله به حتى برئ من داء الكفر واسلم وهذا من كمال شفقته ورحمته ورافته عليه الصلوة والسلام اذ عامله بكمال الاحسان • وانقذه من حر النيران الى برد لطف الجنان **وكان** على ذلك وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفا واصدق الناس لهجة **وخرج** ابن عدي باسناد فيه ضعف من حديث انس مرفوعا انا اجود بني ادم **فهو** صلى الله عليه وسلم بلا ريب اجود بني ادم على الاطلاق كما انه افضلهم واعلمهم واشجعهم واكملهم في جميع الاوصاف الجميلة وكان جوده بجميع انواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم • ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم • وتحمل اثقالهم **ولقد** احسن ابن جابر حيث قال ه

يروى حديث الندى والبشر عن يده … ووجهه بين منهل ومنسجم •
من وجه احمد لي بدر ومن يده … بحر ومن فمه در لمنتظم •
يمم نبيا تباري الريح انمله … والمزن من كل هامي الودق مرتكم
لو عامت الفلك فيما فاض من يده … لم تلق اعظم بحر منه ان نعم •
تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ … به ودع كل طامي الموج ملتطم •
لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت ه … كل الانام وروت قلب كل ظمي •

فسبحان من اطلع انوار الجمال من فوق جبينه • وانشا امطار السحاب من غمائم يمينه **وروى** البخاري من حديث جابر قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وكذا عند مسلم اي ما طلب منه شيء من امر الدنيا فمنعه **قال** الفرزدق ه

ما قال لا قط الا في تشهده … لولا التشهد كانت لاؤه نعما

لكن قال شيخ مشايخنا الحافظ ابن حجر ليس المراد انه يعطي ما طلب منه جزما بل المراد انه لا ينطق بالرد بل ان كان عنده اعطاه ان كان الاعطاء سائغا والا سكت وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل لابن الحنفية عند ابن سعد ولفظه اذا سئل فاراد ان يفعل قال نعم وان لم يرد ان يفعل سكت وهو قريب من حديث ابي هريرة قال ما عاب طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه **قال** الشيخ عز الدين ابن عبد السلام معناه لم يقل لا منعا للعطاء ولا يلزم من ذلك ان لا يقولها اعتذارا كما في قوله قلت لا اجد ما احملكم عليه ولا يخفى الفرق بين قوله لا اجد ما احملكم وبين لا احملكم انتهى • وهو نظير ما في حديث ابي موسى الاشعري لما ساله الاشعريون الحملان فقال صلى الله عليه وسلم ما عندي ما احملكم ولكن يشكل عليه انه صلى الله عليه وسلم حلف لا يحملهم فقال والله لا احملكم فيمكن ان يخص من عموم حديث جابر ما اذا سئل ما ليس عنده والسائل يتحقق انه ليس عنده ذلك او حيث كان المقام لا يقتضي الاقتصار على السكوت من الحالة الواقعة او من حال السائل كان لم يكن يعرف العادة فلو اقتصر في جوابه على السكوت مع حاجة السائل لتمادى على السؤال مثلا ويكون القسم على ذلك تاكيدا لقطع طمع السائل والسر في الجمع بين قوله لا اجد ما احملكم وقوله والله لا احملكم ان الاول لبيان ان الذي سئله لم يكن

موجوداً عنده والثاني انه لا يتكلف لاجابة الى ما سئل بالقرض مثلا او لا اشتهاء اذ لا اضطرار
حينئذ وروى الترمذي انه حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها
يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها قال وجاءه رجل فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا
شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر فكره النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رجل من
الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف
البشر في وجهه وقال بهذا امرت وانما فعل ذلك للمصلحة الداعية لذلك كالاستيلاف ونحوه
وذكر ابن فارس في كتابه في اسماء النبي صلى الله عليه وسلم انه في يوم حنين جاءت امراة فانشدت
شعرا تذكره ايام رضاعته في هوازن فرد عليهم ما اخذ واعطاهم عطاء كثيرا حتى قوم ما
اعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة الف الف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذي لم
يسمع بمثله في الوجود وفي البخاري من حديث انس انه اتي بمال من البحرين فقال انثروه يعني
صبوه في المسجد وكان اكثر مال اتي به صلى الله عليه وسلم فخرج الى المسجد ولم يلتفت اليه فلما
قضى الصلوة جاء فجلس اليه فما كان يرى احدا الا اعطاه اذ جاء العباس فقال اعطني فاني فاديت
نفسي وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول
الله مر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم
يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه علي قال لا قال فارفعه انت قال لا ثم نثر منه
ثم احتمله فالقاه على كاهله فانطلق فما زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا
عجبا من حرصه فما قام عليه الصلوة والسلام وثم منها درهم وفي رواية ابن ابي شيبة
من طريق حميد بن هلال مرسلا كان مائة الف وانه ارسل به العلاء بن الحضرمي من خراج البحرين
وهو اول مال حمل اليه صلى الله عليه وسلم وساير جابر على جمل له فقال له عليه الصلوة والسلام
بعني جملك فقال هو لك يا رسول الله بابي وامي انت فقال بل بعنيه فباعه اياه وامر بلالا
ان ينقده ثمنه فنقده ثم قال له صلى الله عليه وسلم اذهب بالثمن والجمل بارك الله لك فيهما
مكافاة لقوله هو لك فاعطاه الثمن ورد الجمل وزاده الدعاء بالبركة فيهما وحديثه في البخاري
ومسلم وغيرهما وقد كان جوده عليه السلام كله لله وفي ابتغاء مرضاته فانه كان يبذل المال
تارة لفقير او محتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتالف به على الاسلام من يتقوى الاسلام
باسلامه وكان يوثر على نفسه واولاده فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش
في نفسه عيش الفقراء فياتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه
الشريف من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم قد اتاه سبي فشكت اليه فاطمة ما تلقى من خدمة
البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فامرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد
وقال لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واتته امراة ببردة فقالت
له يا رسول الله اكسوك هذه فاخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فرآها عليه رجل
من الصحابة فقال يا رسول الله ما احسن هذه فاكسنيها فقال نعم فلما قام صلى الله عليه وسلم

لامه اصحابه قالوا ما احسنت حين رايت النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها ثم سألته اياها
وقد عرفت انه لا يسئل شيئا فيمنعه رواه البخاري من حديث سهل بن سعد وفي رواية ابن
ماجة والطبراني قال نعم فلما دخل طواها وارسل بها اليه وافاد الطبراني في رواية زمعة
ابن صالح انه صلى الله عليه وسلم امر ان يصنع له غيرها فمات قبل ان يفرغ منها وفي
هذا الحديث من الفوائد حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وسعة جوده واستنبط منه السادة
الصوفية جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما استدلوا بالباس
الشيخ للمريد بحديث انه صلى الله عليه وسلم البس ام خالد خميصة سوداء ذات علم لكن قال
شيخنا ما يذكرونه من ان الحسن البصري لبسها من علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال ابن
دحية وابن الصلاح انه باطل وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر ليس في شيء من طرقها
ما يثبت ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف انه صلى الله عليه وسلم البس الخرقة على
الصورة المتعارفة بين الصوفية لاحد من اصحابه ولا امر احدا من اصحابه بفعلها وكلما يروى
صريحا في ذلك فباطل ثم ان من الكذب المفتري قول من قال ان عليا البس الخرقة الحسن البصري
فان ائمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة وكذا قال الدمياطي
والذهبي والعلائي ومغلطاي والعراقي والابناسي والحلبي وغيرهم مع كون جماعة منهم
لبسوها والبسوها تشبها بالقوم نعم ورد لبسهم لها مع الصحبة المتصلة
الى كميل بن زياد وهو صحب علي بن ابي طالب رضي الله عنه من غير خلف في صحبته له بين ائمة
الجرح والتعديل وفي بعض الطرق اتصالها باويس القرني وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي
ابن ابي طالب رضي الله عنهما وهذه صحبة لا مطعن فيها وكثير من السادة يكتفي بمجرد الصحبة
كالشاذلية وشيخنا ابي اسحاق ابرهيم المتبولي وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين تلقين
الذكر واخذ العهد واللبس وله في ذلك رسالة ريحان القلوب قراتها على ولد ولده
سيدي علي مع الباسه لي الخرقة والتلقين والعهد وللشيخ قطب الدين القسطلاني في
ارتقاء الرتبة في اللباس والصحبة والله تعالى يهدينا الى سواء السبيل

الفصل الثالث

فيما تدعو ضرورته اليه صلى الله عليه وسلم من غذائه وملبسه ومنكحه وما يلحق بذلك

النوع الاول في عيشه صلى الله عليه وسلم في الماكل

اعلم ان تناول الطعام اصل كبير يحتاج الى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية
وتعلقاته بالقلب والقالب وبه قوام البدن باجراء سنة الله تعالى بذلك والقالب مركب القلب
وبهما عمارة الدنيا والآخرة والقالب بمفرده على طبيعة الحيوان يستعان به على عمارة الدنيا
والروح والقلب على طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة وباجتماعهما يصلحان لعمارة الدا

قال الغزالي ولا طريق الى الوصول الى اللقاء الا بالعلم ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجات على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن تناول الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه سدى يسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى فانما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان تظهر انوار الدين عليه وانما نور الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر واعلم ان الشبع بدعة ظهرت بعد القرن الاول وقد روى النسائي وابن ماجة وصححه والحاكم من حديث المقدام بن معديكرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه فان غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس قال القرطبي في شرح الاسماء كما نقله شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر لو سمع بقراط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة وقال غيره انما خص الثلاثة بالذكر لانها اسباب حياة الحيوان ولانه لا يدخل الباطن سواها وهل المراد بالثلث التساوي على ظاهر الخبر او التقسيم الى ثلاثة اقسام متقاربة محل احتمال وقد صح المؤمن يأكل في معى واحد وهي بكسر الميم مقصور المصارين والكافر يأكل في سبعة امعاء وليست حقيقة العدد مرادة وتخصيص السبعة للمبالغة في التكثير والمعنى ان المؤمن من شأنه التقلل من الاكل لاشتغاله باسباب العبادة ولعلمه بان مقصود الشرع من الاكل ما سد الجوع ويعين على العبادة ولخشيته ايضا من حساب ما زاد على ذلك والكافر بخلاف ذلك وعند اهل التشريح ان امعاء الانسان سبعة المعدة ثم ثلاثة امعاء بعدها متصلة بها البواب ثم الصائم ثم الرقيق والثلاثة رقاق ثم الاعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر وكلها غلاظ وقد نظمها الحافظ زين الدين العراقي في قوله

سبعة امعاء لكل آدمي ... معدة بوابها مع صائم
ثم الرقيق اعور قولون مع ... المستقيم مسلك المطاعم

فيكون المعنى ان الكافر لكونه يأكل بشرهه لا يشبعه الا ملء امعائه السبعة والمؤمن يشبعه ملء معى واحد ولا يلزم من هذا الحديث اطراده في حق كل مؤمن وكافر فقد يكون في المؤمنين من يأكل كثيرا اما بحسب العادة واما لعارض يعرض له من مرض باطن او لغير ذلك ويكون في الكفار من يأكل قليلا اما لمراعاة الصحة على رأي الاطباء واما للرياضة على رأي الرهبان واما لعارض كضعف المعدة ومحصل القول ان من شان المؤمن الحرص على الزهد والاقتناع بالبلغة بخلاف الكافر وقيل المراد ان المؤمن يسمي الله عند طعامه وشرابه

فلا

فلا يشركه الشيطان فيكفيه القليل بخلاف الكافر وقيل المراد بالمؤمن في هذا الحديث التام الايمان لان من حسن اسلامه وكمل ايمانه اشتغل فكره فيما يصيبه من الموت وما بعده فيمنعه شدة الخوف وكثرة الفكر والاشفاق على نفسه من استيفاء شهوته كما ورد في حديث لابي امامة رفعه من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه وقالوا لا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما ومن قل طعامه قل شربه وخف منامه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن ثقل نومه محقت بركة عمره فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذا بدنه وصلح حال نفسه وقلبه ومن تملأ من الطعام ساء غذا بدنه واشرت نفسه وقسى قلبه وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم ان اهل الشبع من الدنيا هم اهل الجوع غدا في الآخرة رواه الطبراني وعن سلمان وابي جحيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا في الآخرة وقالت عائشة لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وقولها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام بالعبادة ويفضي الى البطر والاشر والنوم والكسل وقد تنتهي كراهته الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة وليس المراد الشبع النسبي المعتاد في الجملة ففي صحيح مسلم خروجه صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من الجوع وذهابهم الى بيت الانصاري وذبحه الشاة وفيه فلما ان شبعوا ورووا قال النووي فيه جواز الشبع وما جاء في كراهته محمول على المداومة عليه وعن ابي هريرة قال ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض رواه الشيخان وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير رواه الترمذي وصححه وفي حديث مسعر عند مسلم ما شبع آل محمد يومين من خبز البر الا واحدهما تمر واخرج ابن سعد من طريق عمران بن زيد المدني حدثني والدي قال دخلنا على عائشة فقالت خرج تعني النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين كان اذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير واذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر وليس في هذا ما يدل على ترك الجمع بين لونين فقد جمع صلى الله عليه وسلم القثاء بالرطب كما سيأتي ان شاء الله تعالى وعن الحسن قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما امسى في آل محمد صاع من طعام وانها لتسعة ابيات والله ما قالها استقلالا لرزق الله ولكن اراد ان يتأسى به امته رواه الدمياطي في السيرة له وعن عائشة قالت كان يعجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشياء الطيب والنساء والطعام فاصاب اثنين ولم يصب واحدة اصاب النساء والطيب ولم يصب الطعام ذكره الدمياطي ايضا وفي الشمائل للترمذي عن النعمان بن بشير لقد رأيت نبيكم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وفي رواية

مسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه وقالت عائشة ان كنا
آل محمد نمكث شهرًا ما نستوقد بنار ان هو الا الماء والتمر وقال عتبة بن غزوان
لقد رأيتني واني لسابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق السمر
حتى تقرحت اشداقنا وفي البخاري ومسلم كانت عائشة تقول لعروة والله يا ابن اختي
ان كنا ننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة في شهرين وما اوقد في ابيات رسول
الله صلى الله عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء
الا انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منايح فكانوا
يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقيناه ولمسلم ايضا قالت
لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين وقال
انس ما اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا رأى
شاة سميطا حتى لحق بالله رواه البخاري والمرقق الملين المحسن كخبز الحوارى وشبهه
والترقيق التليين ولم يكن عندهم مناخل وقد يكون المرقق الرقيق الموسع قاله القاضي
عياض وجزم به ابن الاثير فقال وهو السميذ وما يصنع منه من كعك وغيره وقال ابن الجوزي
هو الخفيف كأنه اخذ من المرقاق وهي الخشبة التي يرقق بها والحوارى بضم المهملة وتشديد
الواو وفتح الراء الخالص الذي ينخل مرة بعد اخرى وقوله ولا شاة سميطا هو الذي يزال
شعره بالماء السخن ويشوى بجلده وانما يصنع ذلك في الصغير السن وهو من فعل المترفين
من وجهين احدهما المبادرة الى الذبح ما لو بقي لازداد ثمنه وثانيهما ان المسلوخ ينتفع
بجلده في اللبس وغيره والسمط يفسده وقد جرى ابن بطال وابن الاثير على ان المسموط
هو المشوي لكن الثاني ذكر ان اصله نزع صوفه بالماء الحار كما تقدم قال وانما يفعل ذلك في
الغالب ليشوى ولعله يعني انه لم ير السميط في ماكوله والا فلم يكن معهودا فلا تمدح به
وعن ابي حازم انه سأل سهلا هل رأيتم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم النقي قال لا
فقلت كنتم تنخلون الشعير قال لا ولكن كنا ننفخه رواه البخاري وفي رواية له هل كانت
لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل فقال ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم منخلا
من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله قال شيخ الاسلام ابن حجر لعله احترز عما قبل
البعثة لكونه كان يسافر في تلك المدة الى الشام تاجرا وكانت الشام اذ ذاك مع الروم والخبز
النقي عندهم وكذا المناخل وغيرها من آلات الترفه ولا ريب انه رأى ذلك عندهم
واما بعد البعثة فلم يكن الا بمكة والطائف والمدينة ووصل الى تبوك وهي من اطراف الشام
لكن لم يفتحها ولا طالت اقامته بها انتهى وقد تتبعت هل كانت اقراص خبزه صغارا ام كبارا
فلم اجد في ذلك شيئا بعد التفتيش نعم روي امره بتصغيرها في حديث عند الديلمي
عن عائشة رفعته بلفظ صغروا الخبز واكثروا عدده يبارك لكم فيه وهو واه بحيث ذكره ابن
الجوزي في الموضوعات وقال ان المتهم به جابر بن سليم وروى عن ابن عمر مرفوعا البركة

في صغر القرص وقيل عن النسائي انه كذب لكن روى البزار بسند ضعيف عن ابي الدرداء مرفوعا
قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قال في النهاية وحكي عن الاوزاعي انه تصغير الارغفة وكذا
حكى البزار عن ابرهيم بن عبد الله بن الجنيد عن بعض اهل العلم انه تصغير الارغفة اشار
الى ذلك شيخنا في المقاصد الحسنة ولعل هذا مستند شيخي وقدوتي وانسان بصيرتي العارف
الرباني برهان العارفين ابي اسحاق ابرهيم المتبولي في تصغيره ارغفته بما له كالشيخ ابي العباس
احمد البدوي والسادات اكسير معارف السعادات واولي المواهب العلية والحقائق المحمدية
بني الوفا اعاد الله من بركاتهم علينا وواصل امدادهم الينا وعن عائشة قالت توفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وليس عندي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي فاكلت منه حتى
طال علي فكلته ففني رواه البخاري ومسلم وعندهما ايضا قالت توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد رهن درعه عند يهودي في ثلاثين صاعا من شعير وقال ابن عباس
ودرعه مرهونة بعشرين صاعا من طعام اخذه لاهله رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما
هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما
فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا واهلا فقال لها
صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا مني قال فانطلق
فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن العذق وشربوا فلما ان شبعوا ورووا قال
صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم
من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم رواه مسلم وغيره وهذا السؤال سؤال
تشريف وانعام وتعديد فضل واكرام وعن طلحة بن نافع انه سمع جابر بن عبد الله يقول
اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم الى منزله فاخرج اليه فلقا من خبز فقال اما من
أدم فقالوا لا الا شيء من خل قال نعم الادم الخل قال جابر فما زلت احب الخل منذ سمعتها
من نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال طلحة فما زلت احب الخل منذ سمعتها من جابر رواه مسلم
وروي عن ابن بجير قال اصاب النبي صلى الله عليه وسلم جوع يوما فعمد الى حجر فوضعه على
بطنه ثم قال الا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيمة الا رب مكرم
لنفسه وهو لها مهين الا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم رواه ابن ابي الدنيا وعن انس عن ابي
طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين قال الترمذي هذا حديث غريب
من حديث ابي طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه ومعنى قوله ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر قال
كان احدهم يشد في بطنه الحجر من الجهد والضعف الذي به من الجوع وقصة جابر يوم الخندق

حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وقد قام الى الكدية وبطنه معصوب بحجر وتقدمت وما احسن قول الابوصيري ٥

وشد من سغب احشاءه وطوى ٥ تحت الحجارة كشحا مترف الادم ٥

والكشح كما ذكرته في شرح هذه القصيدة ما بين خاصرته الشريفة واقصر ضلع من جنبه الشريف وانما فعل هذا صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض الم الجوع وانما كان هذا الفعل مسكنا لان كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية فهي اذا امتلأت من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها طعام طلبت رطوبات الجسم وجواهره فيتألم الانسان بتلك الحرارة فتتعلق بكثير من جواهر البدن فاذا انضمت على المعدة الاحشاء والجلد خمدت نارها بعض الخمود فقل الالم وانما تألم بالجوع ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من رآه لا يظن ان به جوعا لان حسنه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى اشد نضارة من اجسام المترفين بالنعم في الدنيا وهذا المعنى هو الذي قصده الناظم بقوله مترف الادم وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب خاف ممن يتوهم ان جسمه الشريف حينئذ يظهر فيه اثر الجوع فاحترس ورفع ذلك الايهام بقوله مترف الادم وقد انكر ابو حاتم بن حبان احاديث وضع الحجر على بطنه الشريف من الجوع وقال انها باطلة متمسكا بحديث الوصال لست كاحدكم اني اطعم واسقى قال وانما معناها الحجز بالزاي وهو طرف الازار لان الله تعالى قد كان يطعم رسوله صلى الله عليه وسلم ويسقيه اذا واصل فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه وما يغني الحجر عن الجوع انتهى وقال بعضهم يجوز ان يكون عصب الحجر لعادة العرب واهل المدينة انهم يفعلون ذلك اذا خلت اجوافهم وغارت بطونهم يشدون عليها حجرا ففعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليعلم اصحابه انه ليس عنده ما يستأثر به عليهم والصواب صحة الاحاديث وانه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك اختيارا للثواب وقد يستشكل كونه عليه الصلوة والسلام واصحابه كانوا يطوون الايام جوعا مع ما ثبت انه كان يرفع لاهله قوت سنة وانه قسم بين اربعة انفس من اصحابه الف بعير مما افاء الله عليه وانه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها واطعمها المساكين وانه امر لاعرابي بقطيع من الغنم وغير ذلك مع من كان معه من اصحاب الاموال كابي بكر وعمر وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم انفسهم واموالهم بين يديه وقد امر بالصدقة فجاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بالف بعير الى غير ذلك واجاب عنه الطبري كما حكاه في فتح الباري ان ذلك كان منهم في حالة دون حالة لا لعوز وضيق بل تارة للايثار وتارة لكراهية الشبع وكثرة الاكل انتهى وتعقب بان ما نفاه مطلقا فيه نظر لما تقدم من الاحاديث واخرج ابن حبان في صحيحه عن عائشة من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك الى غير ذلك قال الحافظ ابن حجر والحق ان الكثير منهم كانوا في حال الضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة ثم لما هاجروا الى

المدينة

المدينة كان اكثرهم كذلك فواساهم الانصار بالمنازل والمنايح فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم منايحهم كما تقدم وقد قال عليه الصلوة والسلام لقد اخفت في الله وما يخاف احد ولقد اوذيت في الله وما يؤذى احد ولقد اتت علي ثلاثون من يوم وليلة ما لي ولبلال طعام ياكله احد الا شيء يواريه ابط بلال رواه الترمذي وصححه نعم كان صلى الله عليه وسلم يختار ذلك مع امكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له كما اخرج الترمذي من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بالخطاب والا فالله تعالى عالم بالاشياء جملة وتفصيلا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن الله امر اسرافيل فنزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وامرني ان اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومأ اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا ثلاثا رواه الطبراني باسناد حسن فانظر الى همته العلية صلى الله عليه وسلم كيف عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فاباها ومعلوم انه لو اخذها لانفقها في طاعة ربه فابى ذلك واختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة رفيعة ما اسناها ونفس زكية كريمة ما ابهاها ولله در صاحب بردة المديح حيث قال

حيث قال ٥	وراودته الجبال الشم من ذهب	عن نفسه فاراها ايما شمم
٥ ٥	واكدت زهده فيها ضرورته	ان الضرورة لا تعدو على العصم
٥ ٥	وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من	لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

اي كيف تدعو ضرورة سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وهي وما فيها انما برزت لاجله فكيف يضطر اليها لكن في كلامه شيء فانه في مقام المدح فلا يليق منه الوصف بالزهد ولا بالضرورة قال الحليمي في شعب الايمان من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يوصف بما هو عندنا من اوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا وانكر بعضهم اطلاق الزهد في حقه صلى الله عليه وسلم وقد حكى صاحب نثر الدر عن محمد بن واسع انه قيل فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها وقد ذكر القاضي عياض في الشفا ونقله عنه الشيخ تقي الدين السبكي في كتابه السيف المسلول ان فقهاء الاندلس افتوا بقتل حاتم المتفقه الطيطلي وصلبه لاستخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات كلها انتهى وذكر الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض الفقهاء المتاخرين

انه يقول لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان اغنى
الناس بالله قد كفى امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في قوله عليه الصلوة والسلام
اللهم احيني مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا
من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى • واما ما يروى انه عليه الصلوة
والسلام قال الفقر فخري وبه افتخر فقال شيخ الاسلام والحافظ ابن حجر هو باطل موضوع
واعلم انه لم يكن من عادته الكريمة صلى الله عليه وسلم حبس نفسه الشريفة على نوع واحد
من الاغذية لا يتعداه الى سواه فان ذلك يضر بالطبيعة جدا ولو انه افضل الاغذية بل كان
صلى الله عليه وسلم يأكل ما جرت عادة اهل بلده بأكله من اللحم والفاكهة والخبز والتمر
وغيره مما سيأتي • فأكل صلى الله عليه وسلم الحلوى والعسل وكان يحبهما رواه البخاري والترمذي
والحلوى بالقصر والمد كل حلو وقال الخطابي اسم الحلوى لا يقع الا على ما دخلته الصنعة
وقال ابن سيده ما عولج من الطعام بحلو وقد تطلق على الفاكهة وقال الخطابي ولم
يكن حبه عليه الصلوة والسلام لها على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزاع النفس لها وانما
كان ينال منها اذا احضرت اليه نيلا صالحا فيعلم بذلك انها تعجبه • ووقع في كتاب فقه اللغة
للثعالبي ان حلوى النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يحبها هي المجيع بالميم والجيم بوزن عظيم
وهو تمر يعجن بلبن حكاه في فتح الباري ولم يصح وروى انه عليه الصلوة والسلام كان يحب السكر
ولا انه تصدق به ولا انه رآه • لكن اخرج ابو جعفر الطحاوي والبيهقي في سننه من حديث
لمازة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حضر ملاك رجل من الانصار فجاءت الجواري معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم
ايديهم فقال عليه الصلوة والسلام الا تنتهبون قالوا انك نهيت عن النهبة قال اما العرسان
فلا قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه واحتج به الطحاوي على ان النثار
غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة وقضى به على الاحاديث الصحيحة التي فيها النهي عن النهبة
لكن قال البيهقي بعد رواية الحديث وهذا لا يثبت • ثم قال وروي من حديث عائشة عنه
صلى الله عليه وسلم ولا يثبت في هذا المعنى شيء • وشنع على الطحاوي القول في ذلك جدا في كتاب
المعرفة وقال الحديث انما يروى عن عون بن عمارة وعصمة بن سليمان وكلاهما لا يحتج به وشيخهما
لمازة بن المغيرة مجهول فهاتان علتان كل منهما منفردة توجب ضعف الحديث فكيف بهما مجتمعتين
هذا وخالد بن معاذ منقطع ولا حجة في منقطع فهذه ثلاث علل يضعف الحديث بدونها
وقد افرد الكلام على ذلك ابن مفلح اليوسفي والله اعلم • وعن ليث ابن ابي سالم قال اول من خبص
في الاسلام عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل الدقيق والعسل فخلط بينهما وبعث به الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل واستطابه قال الطبري في الرياض رواه خيثمة
في فضائل عثمان • وعن عبد الله بن سلام قال قدمت عير فيها جمل لعثمان بن عفان عليه
دقيق حواري وسمن وعسل فاتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فيها بالبركة ثم دعا ببرمة فنصبت

على النار

على النار وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن ثم عصد حتى نضج او كاد ينضج ثم انزل
فقال صلى الله عليه وسلم كلوا هذا شيء تسميه فارس الخبيص قال الطبري خرجه تمام
في فوائده والطبراني في معجمه ورجاله ثقات • واكل صلى الله عليه وسلم لحم
الضأن وهذه الثلاثة اعني الحلوى والعسل واللحم من افضل الاغذية وانفعها
للبدن والكبد والاعضاء ولا ينفر منها الا من به علة وآفة واللحم سيد طعام اهل الجنة
وفي رواية هو سيد الطعام لاهل الدنيا والآخرة رواه ابن ماجه وابن ابي الدنيا
من حديث ابي الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف وله شواهد منها عن علي رفعه سيد طعام
الدنيا اللحم ثم الارز اخرجه ابو نعيم في الطب النبوي واكل اللحم يزيد سبعين قوة
قاله الزهري وعن علي انه يصفي اللون ويحسن الخلق ومن تركه اربعين ليلة ساء خلقه
ولابي الشيخ بن حيان من رواية سمعان قال سمعت من علمائنا يقولون كان احب الطعام
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في
الدنيا والآخرة ولو سألت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وقال الامام الشافعي
ان اكله يزيد في العقل • وكان عليه الصلوة والسلام يعجبه الذراع ولذلك سم فيه
وعن ابي رافع انه اهديت له شاة فجعلها في قدر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذا يا ابا رافع فقال شاة اهديت لنا يا رسول الله فطبختها في القدر فقال
ناولني الذراع يا ابا رافع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع الآخر فناولته الذراع
الآخر فقال ناولني الذراع الآخر فقال يا رسول الله انما للشاة ذراعان فقال له صلى الله
عليه وسلم اما انك لو سكت لناولتني ذراعا فذراعا ما سكت ثم دعا بماء فمضمض فاه وغسل
اطراف اصابعه ثم قام فصلى الحديث رواه احمد ورواه الدارمي والترمذي عن ابي عبيد
بلفظ طبخت له صلى الله عليه وسلم قدرا وكان يعجبه الذراع فناولته الذراع ثم قال
ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني الذراع فناولته الذراع ثم قال ناولني
الذراع فقلت يا رسول الله وكم للشاة من ذراع فقال والذي نفسي بيده لو سكت لناولتني
الذراع ما دعوت • وقالت عائشة وكان الذراع احب اليه وكان لا يأكل اللحم الا غبا
وكان يعجل اليها لانها اعجل نضجا رواه الترمذي • وكذلك كان يحب لحم الرقبة
فعن ضباعة بنت الزبير انها ذبحت شاة فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطعمينا
من شاتكم فقالت ما بقي عندنا الا الرقبة واني لاستحيي ان ارسل بها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرجع الرسول فاخبره فقال ارجع اليها فقل لها ارسلي بها فانها هادية الشاة واقرب
الشاة الى الخير وابعدها من الاذى • ولا ريب ان اخف لحم الشاة لحم الرقبة ولحم الذراع
والعضد وهو اخف على المعدة واسرع انهضاما • وفي هذا انه ينبغي مراعاة الاغذية التي تجمع
ثلاث خصال احدها كثرة نفعها وتأثيرها في القوى الثاني خفتها على المعدة وسرعة انحدارها
عنها الثالث سرعة هضمها وهذا افضل ما يكون من الغذاء • قال عليه الصلوة والسلام طيب

اللحم لحم الظهر رواه الترمذي وأما حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يكره الكليتين لمكانهما
من البول فقال الحافظ العراقي رويناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبد الله بن الشخير من حديث
ابن عباس بإسناد فيه ضعف انتهى وكان عليه الصلوة والسلام ينهش اللحم أي يقبض عليه
بفمه ويزيله من العظم أو غيره وينتشله أي يقتلعه من المرق والنهش بعد الانتشال وفي
البخاري أنه عليه الصلوة والسلام احتز من كتف شاة في يده فدعي إلى الصلوة فألقاها والسكين
التي يحتز بها ثم قام إلى الصلوة ولم يتوضأ قال ابن بطال هذا الحديث يرد حديث أبي معشر عن
هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رفعته لا تقطعوا اللحم بالسكين فإنه من صنيع الأعاجم
وانهشوا فإنه أهنى وأمرأ قال أبو داود وهو حديث ليس بالقوي قال الحافظ أبو الفضل
العسقلاني رحمه الله له شاهد من حديث صفوان بن أمية أخرجه الترمذي بلفظ انهشوا
اللحم نهشا فإنه أهنى وأمرأ وقال لا نعرفه إلا من حديث عبد الكريم انتهى قال وعبد الكريم
هو أبو أمية ابن أبي المخارق ضعيف لكن أخرجه ابن أبي عاصم من وجه آخر عن صفوان بن أمية
فهو حسن لكن ليس فيه ما زاده أبو معشر من التصريح بالنهي عن قطع اللحم بالسكين وأكثر ما
في حديث صفوان أن النهش أولى انتهى ويمكن الجمع بأن النهش يحمل على العظم الصغير والاحتزاز
يحمل على الكبير وأكل صلى الله عليه وسلم الشوى فعن أم سلمة أنها قربت إلى النبي
صلى الله عليه وسلم جنبا مشويا فأكل منه ثم قام إلى الصلوة وما توضأ قال الترمذي حديث
صحيح وأكل عليه الصلوة والسلام القديد كما في حديث في السنن عن رجل قال ذبحت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال أصلح لحمها فلم أزل أطعمه منه إلى المدينة
وأكل عليه الصلوة والسلام من الكبد المشوية وأكل لحم الدجاج رواه الشيخان
والترمذي وغيرهم وأكل لحم حمار الوحش رواه الشيخان وأكل لحم الجمل سفرا وحضرا
وأكل لحم الأرنب رواه الشيخان وأكل من دواب البحر رواه مسلم وأكل الثريد
وهو بفتح المثلثة أن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم ومن أمثالهم الثريد أحد
اللحمين وروى أبو داود من حديث ابن عباس قال أحب الطعام إلى رسول الله الثريد من الخبز
والثريد من الحيس وأكله عليه الصلوة والسلام بالسمن وأكل الخبز بالزيت وعن حذيفة
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن جبريل أطعمني الهريسة يشد بها ظهري لقيام الليل رواه
الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن الحجاج اللخمي وهو الذي وضع هذا الحديث وأكل
عليه الصلوة والسلام الدبا وكانت تعجبه وكان يتتبعها من حوالي القصعة قال أنس فلم
أزل أحب الدبا من يومئذ رواه مسلم قال النووي فيه أنه يستحب أن يحب الدبا
وكذلك كل شيء كان يحبه صلى الله عليه وسلم وكذلك أكل عليه الصلوة والسلام السلق مطبوخا
بالشعير قال الترمذي حديث حسن غريب وأتى الحسن بن علي وابن عباس وابن جعفر
إلى سلمى فقالوا اصنعي لنا طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسن أكله فقالت
يا بني لا تشتهيه اليوم فقال بلى اصنعيه لنا قال فقامت فأخذت شيئا من الشعير فطحنته

ثم جعلته في قدر وصبت عليه شيئا من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته إليهم فقالت
هذا مما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم ويحسن أكله رواه الترمذي وأكل عليه
الصلوة والسلام الخزيرة وهي بخاء معجمة مفتوحة ثم زاي مكسورة وبعد التحتانية الساكنة
راء ما يتخذ من الدقيق على هيئة العصيدة لكن أرق منها قاله الطبري وقال ابن فارس
دقيق يخلط بشحم وقال القتبي وتبعه الجوهري أن يؤخذ اللحم فيقطع صغارا ويصب
عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق فإن لم يكن فيها لحم فهو عصيدة وقيل مرقة تصفى
من بلالة النخالة ثم تطبخ وقيل الخزيرة بالإعجام من النخالة والحريرة يعني بالإهمال من
اللبن وقال عتبان غدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حين ارتفع النهار
وحبسناه على خزيرة صنعناه وأكل عليه الصلوة والسلام الأقط كما قاله ابن عباس فيما
رواه وهو جبن اللبن المستخرج زبده أكلته وهو كثير بمكة والمدينة زادهما الله شرفا وهو
أشبه شيء بالكشك وأكل عليه الصلوة والسلام الرطب والتمر والبسر رواه مسلم والترمذي
وغيرهما وأكل الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحدة وبعد الألف مثلثة
النضيج من ثمر الأراك وقيل ورق الأراك وتعقبه الإسماعيلي فقال إنما هو الأراك وهو
البريرة بالموحدة بوزن الحريرة فإذا اسود فهو الكباث وفي النهاية لابن الأثير أنه عليه
الصلوة والسلام كان يحب الجدب بالجيم والدال المفتوحتين أي الجمار وهو شحم النخل واحدتها
جدبة وأما الجبن ففي السنن من حديث ابن عمر قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بجبنة
في تبوك فدعى بسكين فسمى وقطع رواه أبو داود وكان عليه الصلوة والسلام يراعي صفات
الأطعمة وطبائعها واستعمالها على قاعدة الطب فإذا كان في أحد الطعامين ما يحتاج
إلى كسر وتعديل كسره وعدله بضده إن أمكن كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ وهذا أصل كبير
في المركبات من الأدوية وإن لم يجد ذلك تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير إسراف
وروى أبو داود من حديث أبي أسامة عن هشام أنه صلى الله عليه وسلم كان يأكل
البطيخ بالرطب ويقول يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا ورواه يزيد بن رومان
عن الزهري عن عروة بتقديم الطا كما للنوقاني وبتأخيرها كما للنسائي في الوليمة فكأنه
كان عند هشام باللفظين وكذا رواه ابن حبان في صحيحه من حديث محمد بن عبد الرحمن
عن الإمام أحمد بن حنبل عن وهب بن جرير بن حازم حدثنا أبي سمعت حميدا يحدث عن
أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الطبيخ أو البطيخ بالرطب وقال عقبة الشك
من أحمد وتقديم الطا لغة حكاه صاحب المحكم وقد كان محمد بن أسلم لا يأكل البطيخ لأنه لم
ينقل كيفية أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله
ابن جعفر قال رأيت في يمين النبي صلى الله عليه وسلم قثاء وفي شماله رطبا وهو يأكل من ذا مرة
ومن ذا مرة وفي سنده وأخرج فيه وفي الطب لأبي نعيم من حديث أنس كان يأخذ
الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة إليه وسنده ضعيف

واخرج النسائي بسند صحيح عن حميد عن انس رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرطب والخربز وهو بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر الموحدة بعدها زاي نوع من البطيخ الاصفر وفي هذا تعقب على من زعم ان المراد بالبطيخ في الحديث الاخضر واعتلوا بان الاصفر فيه حرارة كما في الرطب وقد ورد التعليل بان احدهما يطفئ حرارة الآخر والجواب عن ذلك بان في الاصفر بالنسبة للرطب برودة وان كان فيه لحلاوته طرف حرارة والله اعلم وفي رواية للنسائي ايضا بسند صحيح عن عائشة اكل البطيخ والرطب جميعا واخرج ابن ماجة عن عائشة ارادت امي معالجتي للسمنة لتدخلني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما استقام لها ذلك حتى اكلت الرطب بالقثاء فسمنت كاحسن سمنة ورواه النسائي وقال بالتمر مكان الرطب واما فضائل البطيخ فاحاديثه باطلة وان افرده النوقاني في جزء كما قاله الحفاظ والله اعلم وقد كان عليه الصلوة والسلام ياكل التمر بالزبد ويحبه فعن عبد الله وعطية ابني بسر قالا دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر رواه ابو داود وابن ماجة وسمى النبي صلى الله عليه وسلم اللبن والتمر الاطيبين رواه احمد وكان ياكل الخبز مادوما ما وجد له اداما فتارة يادمه باللحم ويقول هو سيد الطعام لاهل الدنيا والآخرة وتارة بالبطيخ وتارة بالتمر فانه وضع تمرة على كسرة من خبز الشعير وقال هذه ادام هذه رواه ابو داود والترمذي بسند حسن من حديث يوسف ابن عبد الله بن سلام قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم اخذ فذكره قال ابن القيم وهذا من تدبير الغذاء فان الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على اصح القولين فادم خبز الشعير من احسن التدبير وتارة بالخل ويقول نعم الادم الخل رواه مسلم وتقدم قال الخطابي والقاضي معناه مدح الاقتصاد في الماكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة تقديره ائتدموا بالخل وما في معناه مما تخف مؤنته ولا يعز وجوده ولا تتانقوا في الشهوات فانها مفسدة للدين مسقمة للبدن وتعقبه النووي فقال الذي ينبغي ان يجزم به انه مدح للخل نفسه واما الاقتصاد في المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد اخر انتهى وقال ابن القيم هذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر لا تفضيل له على غيره كما ظنه بعضهم قال وسبب الحديث انه دخل على اهله يوما فقدموا له خبزا فقال هل من ادم فقالوا ما عندنا الا خل فقال نعم الادم الخل والمقصود ان اكل الخبز مع الادم من اسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على احدهما وسمي الادم اداما لاصلاحه الخبز وجعله ملائما لحفظ الصحة وليس في هذا تفضيل له على اللبن واللحم والعسل والمرق ولو حضر لحم او لبن لكان اولى بالمدح منه فقال هذا جبرا وتطييبا لقلب من قدمه له لا تفضيلا له على سائر انواع الادم وكان عليه الصلوة والسلام ياكل من فاكهة بلده عند مجيئها ولا يحتمي عنها وهذا من اكبر اسباب الصحة فان الله سبحانه بحكمته جعل في كل بلد من الفاكهة ما ينتفع به اهلها في وقته فيكون تناوله من اسباب صحتهم وعافيتهم ويغني عن كثير من الادوية وقل من احتمى عن فاكهة

بلده

بلده خشية السقم الا وهو من اسقم الناس جسما وابعدهم من الصحة والقوة فمن اكل منها ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي كان له دواء نافعا وقد روي ابن عباس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل العنب خرطا رواه العقيلي في الضعفاء لكن قال ابو جعفر العقيلي كما حكاه في الهدي لا اصل لهذا الحديث قال ابن الاثير يقال خرط العنقود واخترطه اذا وضعه في فيه ثم ياخذ حبه ويخرج عرجونه عاريا منه قال وجاء في بعض الروايات خرصا يعني بالصاد بدل الطاء واما البصل فروى ابو داود في سننه عن عائشة انها سئلت عن البصل فقالت ان آخر طعام اكله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه البصل وثبت عنه في الصحيحين انه منع آكله من دخول المسجد وكان عليه الصلوة والسلام يترك الثوم دائما لانه يتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة قال النووي واختلف اصحابنا في حكم الثوم في حقه عليه الصلوة والسلام وكذلك البصل والكراث ونحوها فقال بعض اصحابنا هي محرمة عليه والاصح عندهم انها مكروهة كراهة تنزيه وليست محرمة لعموم قوله صلى الله عليه وسلم لا في جواب قوله احرام هي ومن قال بالاول يقول معنى الحديث ليس بحرام في حقكم انتهى فينبغي لمحبه موافقته عليه الصلوة والسلام في ترك الثوم ونحوه وكراهة ما كان يكرهه عليه الصلوة والسلام فان من وصف المحب الصادق ان يحب ما احب محبوبه ويكره ما يكرهه وكان عليه الصلوة والسلام ياكل باصابعه الثلاث رواه الترمذي في الشمائل وهذا كما في الهدي انفع ما يكون من الاكلات فان الاكل باصبع اكل المتكبر ولا يستلذ به الاكل ولا يمريه ولا يشبعه الا بعد طول ولا يفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل اكلة فياخذها على اغماض كما ياخذ الرجل حقه حبة حبة او نحو ذلك فلا يلتذ بالخمسة والاكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على الآلة وعلى المعدة وربما استدت الآلات فمات وتغصب الآلات على دفعه والمعدة على احتماله ولا يجد له لذة ولا استمراء فانفع الاكل اكله عليه الصلوة والسلام واكل من اقتدى به بالاصابع الثلاثة وكان عليه الصلوة والسلام يلعق اصابعه اذا فرغ ثلاثا رواه الترمذي في الشمائل وفي رواية مسلم ويلعق يده قبل ان يمسحها وفي رواية انه امر بلعق الاصابع والصحفة وقد روى الترمذي عن ام عاصم قالت دخل علينا نبيشة الخير ونحن ناكل في قصعة فحدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اكل في قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة وكذا اخرجه ابن ماجة واحمد وابن شاهين والدارمي وغيرهم وقال الترمذي انه حديث غريب واورده بعضهم بلفظ تستغفر الصحفة للاحسها وفي حديث جابر مرفوعا عن ابي الشيخ في الثواب من اكل ما يسقط من الخوان او القصعة امن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق وللديلمي من طريق الرشيد عن آبائه عن ابن عباس رفعه من اكل ما يسقط من المائدة خرج ولده صباح الوجوه ونفي عنه الفقر واورده الغزالي في الاحياء بلفظ عاش في سعة وعوفي في ولده وكلها منا

لكن في مسلم عن جابر وانس مرفوعا اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه لانه لا يدري في اي طعامه البركة وفي حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في الاوسط صفة لعق الاصابع ولفظه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل باصابعه الثلاث بالابهام والتي تليها والوسطى ثم رأيته يلعق اصابعه الثلاث قبل ان يمسحها الوسطى ثم التي تليها ثم الابهام قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي كان السر فيه ان الوسطى اكثر تلويثا لانها اطول فيبقى فيها من الطعام اكثر من غيرها ولانها لطولها اول ما ينزل الطعام وقد وقع في مرسل ابن شهاب عند سعيد بن منصور ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل اكل بخمس فيجمع بينه وبين ما تقدم باختلاف الحال وقد جاءت علة اللعق مبينة في بعض الروايات لانه لا يدري في اي طعامه البركة وفي الحديث رد على من كره لعق الاصابع استقذارا ممن ينسب للرياسة والامرة في الدنيا نعم يحصل ذلك لو فعله في اثناء الاكل لانه يعيد اصابعه في الطعام وعليها اثر ريقه قال الخطابي عاب قوم افسد عقلهم الترفه لعق الاصابع وزعموا انه مستقبح كانهم لم يعلموا ان الطعام الذي علق بالاصابع والصحفة جزء من اجزاء ما اكلوه واذا لم يكن سائر اجزائه مستقذرا لم يكن الجزء اليسير منه مستقذرا وليس في ذلك اكثر من مصه اصابعه بباطن شفتيه ولا يشك عاقل ان لا بأس بذلك فقد يتمضمض الانسان فيدخل اصابعه في فيه فيدلك اسنانه وباطن فمه ثم لم يقل احد ان ذلك قذارة وسوء ادب انتهى ولا ريب ان من استقذر ما نسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم منسوبا للادب يخشى عليه امر عظيم فنسأل الله تعالى بوجاهة وجهه الكريم ان لا يسلك بنا غير سبيل سنته وان يديم لنا حلاوة محبته وقد كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل متكئا الصحيح انه قال لا آكل متكئا رواه البخاري وقال انما انا عبد اجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد وروى ابن ماجة والطبراني باسناد حسن قال اهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال له اعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا قال ابن بطال انما فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم تواضعا لله ثم ذكر من طريق ايوب عن الزهري اتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم يأته قبلها فقال ان ربك يخيرك بين ان تكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فنظر الى جبريل كالمستشير له فاومأ اليه ان تواضع فقال بل عبدا نبيا قال فما اكل متكئا وهذا مرسل او معضل وقد وصله النسائي من طريق الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ما رئي النبي صلى الله عليه وسلم يأكل متكئا قط واخرج ابن ابي شيبة عن مجاهد قال ما اكل النبي صلى الله عليه وسلم متكئا الا مرة واحدة ويمكن الجمع بان تلك المرة التي في اثر مجاهد لم يطلع عليها عبد الله بن عمرو فقد اخرج ابن شاهين في ناسخه من مرسل عطاء بن يسار ان جبريل رأى النبي صلى الله عليه وسلم يأكل متكئا فنهاه وروى ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم نهى ان

يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه وقد فسر القاضي عياض في الشفا الاتكاء بالتمكن للاكل والتقعدد للجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته قال والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا قال وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين انتهى والاقعاء ان يلصق اليتيه بالارض وينصب ساقيه ويتساند الى ظهره وهو المنهي عنه في الصلاة وتفسير القاضي عياض الاتكاء بما فسر به حكاه في الاكمال عن الخطابي وذكر ان الخطابي خالف في هذا التأويل اكثر الناس وانهم انما حملوا الاتكاء على انه الميل على احد الجانبين انتهى والذي رأيته يعزى للخطابي تحسب العامة ان المتكئ هو الاكل على احد شقيه وليس كذلك بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته انتهى وقد فسر ايضا بالميل على احد الشقين وبه جزم ابن الجوزي وقيل هو الاعتماد على الشيء وقيل ان يعتمد على يده اليسرى من الارض وقد اخرج ابن عدي بسند ضعيف زجر النبي صلى الله عليه وسلم ان يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الاكل قال الامام مالك هو نوع من الاتكاء قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني وفي هذا اشارة من مالك الى كراهة كل ما يعد الاكل فيه متكئا ولا يختص بصفة بعينها وحكى ابن الاثير في النهاية ان من فسر الاتكاء بالميل على احد الشقين تأوله على مذهب الطب وقال ابن القيم انه يضر بالاكل فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعي ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء واما الاعتماد على الشيء فهو من جلوس الجبابرة المنافي للعبودية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام آكل كما يأكل العبد وان كان المراد بالاتكاء الاعتماد على الوسائد والوطاء الذي تحت الجالس كما ذكرته عن الخطابي فيكون المعنى اني اذا اكلت لم اقعد متكئا على الاوطئة والوسائد كفعل الجبابرة ومن يريد الاكثار من الطعام لكني آكل بلغة من الزاد فلذلك اقعد مستوفزا وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم اكل تمرا وهو مقع وفي رواية وهو محتفز والمراد الجلوس على وركيه غير متمكن واختلف السلف في حكم الاكل متكئا فزعم ابن القاص ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم وتعقبه البيهقي فقال قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعظمين واصله مأخوذ من ملوك العجم قال فان كان بالمرء مانع لا يتمكن معه من الاكل الا متكئا لم يكن في ذلك كراهة ثم ساق عن جماعة من السلف انهم اكلوا كذلك واشار الى حمل ذلك عنهم على الضرورة قال في فتح الباري وفي الحمل نظر وقد اخرج ابن ابي شيبة عن ابن عباس وخالد بن الوليد ومحمد بن سيرين وعطاء بن يسار وغيرهم جواز ذلك مطلقا واذا ثبت كونه مكروها او خلاف الاولى فالمستحب في صفة الجلوس للاكل ان يكون جاثيا على ركبتيه وظهور قدميه او ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى انتهى وقال ابن القيم ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يجلس للاكل متوركا على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعا لله عز وجل وادبا بين يديه قال وهذه الهيئة انفع هيئات الاكل وافضلها

لان الاعضا كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليها انتهى واخرج ابن ابي شيبة من طريق ابرهيم النخعي قال كانوا يكرهون ان ياكلوا اتكاة مخافة ان تعظم بطونهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع يده في الطعام يسمي الله تعالى واما قول النووي في اذكار الاكل من الاذكار والافضل ان يقول بسم الله الرحمن الرحيم فان قال بسم الله كفا وحصلت السنة فقال في فتح الباري لم ار لما ادعاه من الافضلية دليلا خاصا وكان عليه الصلوة والسلام يحمد الله في آخره فيقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا رواه الترمذي وقوله غير مودع بفتح الدال الثقيلة اي غير متروك ولا مستغنى بفتح النون وربنا بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو ربنا ويجوز النصب على المدح او الاختصاص او اضمار اعني وقال ابن الجوزي بالنصب على النداء مع حذف اداة النداء وفي رواية الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين وللنسائي من طريق عبد الرحمن بن جبير المصري انه حدثه رجل خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين انه كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرب اليه طعام يقول بسم الله فاذا فرغ قال اللهم اطعمت وسقيت واغنيت واقنيت وهديت واحييت فلك الحمد على ما اعطيت وسنده صحيح وقد كان عليه الصلوة والسلام يحب التيامن في شانه كله وقال عليه الصلوة والسلام قال يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي حمله اكثر الشافعية على الندب وبه جزم الغزالي ثم النووي لكن نص الشافعي في الرسالة وفي موضع آخر من الام على الوجوب وكذا ذكره عنه الصيرفي في شرح الرسالة ونقل البويطي في مختصره ان الاكل من راس الثريد والتعريس على الطريق والقران في التمر حرام ومثل البيضاوي في منهاجه للندب بقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك وتعقبه الشيخ تاج الدين ابن السبكي في شرحه بان الشافعي نص في غير هذا الموضع على ان من اكل مما لا يليه عالما بالنهي كان عاصيا آثما قال وقد جمع والدي نظائر هذه المسئلة في كتاب له سماه كشف اللبس عن المسائل الخمس ونصر القول بان الامر فيها للوجوب قال شيخ الاسلام ابن حجر بعد ان ذكر ذلك ويدل على وجوب الاكل باليمين ورود الوعيد في الاكل بالشمال ففي صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم رآى رجلا ياكل بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع قال لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد فان قلت انه صلى الله عليه وسلم كان يتتبع الدبا من حوالي القصعة وهو يعارض الاكل مما يلي فالجواب انه يحمل الجواز على ما اذا علم رضى من ياكل معه فاذا علم كراهة من ياكل معه لذلك لم ياكل الا مما يليه قال ابن بطال وانما جالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطعام لانه علم ان احدا لا يتكره ذلك منه ولا يتقذره بل كانوا يتبركون بريقه ومماسة يده بل كانوا يتبادرون الى نخامته فيتدلكون بها وقال غيره انما فعل ذلك لانه كان ياكل وحده وهو غير مسلم لان انسا اكل معه صلى الله عليه وسلم وحديث عكراش عند الترمذي الذي فيه التفصيل

بين

بين ما اذا كان لونا واحدا فلا يتعدى ما يليه او اكثر من لون فيجوز ضعيف والله اعلم وقرب اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا الا نأتيك بوضوء قال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلوة رواه الترمذي وفي رواية انه عليه الصلوة والسلام قال بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده فيحمل الوضوء الاول على الشرعي والثاني على اللغوي وروى ابو يعلى باسناد ضعيف من حديث ابن عمر من اكل من هذه اللحوم شيئا فليغسل يده من ريح وضره ولا يؤذي من حذاه ولم يكن صلى الله عليه وسلم ياكل طعاما حارا فروى الطبراني في الصغير والاوسط من حديث بلال بن ابي هريرة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصحفة تفور فقال ان الله لم يطعمنا نارا قال وبلال قليل الرواية عن ابيه انتهى وعند ابي نعيم في الحلية من حديث انس مرفوعا كان يكره الكي والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فانه ذو بركة الا وان الحار لا بركة له الحديث ولاحمد وابي نعيم من حديث اسما انها كانت اذا ثردت غطته بشيء حتى يذهب فوره ثم تقول اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو اعظم بركة وكذا عند البيهقي بسند صحيح عن ابي هريرة قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم وكان له عليه الصلوة والسلام قدح من خشب مضبب بحديد قال انس لقد سقيته عليه الصلوة والسلام بهذا القدح الشراب كله الماء والنبيذ والعسل وفي البخاري عن سهل بن سعد قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو واصحابه ثم قال اسقنا يا سهل فاخرجت لهم هذا القدح فاسقيتهم فيه فاخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له الحديث وكان عمر بن عبد العزيز قد ولي حينئذ امرة المدينة وعند البخاري من حديث عاصم الاحول قال رايت قدح النبي صلى الله عليه وسلم عند انس بن مالك وكان قد انصدع فسلسله بفضة قال وهو قدح جيد عريض من نضار قال قال انس لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا القدح اكثر من كذا وكذا قال وقال ابن سيرين انه كان فيه حلقة من حديد فاراد انس ان يجعل مكانها حلقة من ذهب او فضة فقال ابو طلحة لا تغيرن شيئا صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه وعنده في فرض الخمس من طريق ابي حمزة السكري عن عاصم قال رايت القدح وشربت منه واخرجه ابو نعيم من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن ابي حمزة ثم قال علي ابن الحسن وانا رايت القدح وشربت منه وذكر القرطبي في مختصر البخاري انه رآى في بعض النسخ القديمة من البخاري قال ابو عبد الله البخاري رايت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه وكان اشتري من ميراث النضر بن انس بثمانمائة الف ووقع عند احمد من طريق شريك بن عاصم رايت عند انس قدح النبي صلى الله عليه وسلم فيه ضبة من فضة وقوله من نضار بضم النون وبالضاد المعجمة الخالص من العود ومن كل شيء ويقال اصله من شجر النبع وقيل من الاثل ولونه يميل الى الصفرة ولم ياكل صلى الله عليه وسلم على خوان ولا اكل خبزا مرققا رواه الترمذي والخوان بكسر المعجمة ويجوز ضمها المائدة ما لم يكن عليها طعام واما السفرة فاشتهرت لما يوضع عليه الطعام

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن النوم على الاكل ويذكر انه يقسي القلب ذكره ابو نعيم ولذا قال الاطبا كما في الهدي من اراد حفظ الصحة فليمش بعد العشا ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فانه يضر جدا والصلوة بعد الاكل تسهل هضمه واما شربه صلى الله عليه وسلم فقد كان يستعذب له الما اي يطلب له الما الحلو قالت عائشة كان يستعذب له الما من بيوت السقيا رواه ابو داود وهي بضم المهملة وبالقاف وهي عين بينها وبين المدينة يومان قال ابن بطال واستعذاب الما لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم بخلاف تطييب الما بالمسك ونحوه فقد كرهه مالك لما فيه من السرف واما شرب الما الحلو وطلبه فمباح قد فعله الصالحون وليس في شرب الما الملح فضيلة وقد كان عليه الصلوة والسلام يشرب العسل الممزوج بالما البارد قال ابن القيم وفي هذا من حفظ الصحة ما لا يهتدي الى معرفته الا افاضل الاطبا فان شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والما البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن وقالت عائشة كان احب الشراب اليه صلى الله عليه وسلم الحلو البارد رواه الترمذي ويحتمل ان يريد به الما الممزوج بالعسل الذي نقع فيه التمر والزبيب وكان ينبذ له اول الليل ويشربه اذا اصبح يومه ذلك والليلة التي تجي والغد الى العصر فان بقي منه شي سقاه الخادم او امر به فصب رواه مسلم وهذا النبيذ هو ما يطرح فيه تمر يحليه وله نفع عظيم وزيادة القوة ولم يكن يشربه بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار وكان عليه السلام يشرب اللبن خالصا تارة وتارة مشوبا بالما البارد لان اللبن عند الحلب يكون حارا وتلك البلاد في الغالب حارة فكان يكسر حر اللبن بالما البارد وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فسلم فرد الرجل وهو يحول الما في حائط فقال له صلى الله عليه وسلم ان كان عندك ما بات في شنة والا كرعنا فقال عندي ما بات في شن فانطلق الى العريش فسكب في قدح ما ثم حلب عليه من داجن فشرب عليه الصلوة والسلام الحديث رواه البخاري وكان عليه الصلوة والسلام يقول ليس يجزي من الطعام والشراب الا اللبن قال الترمذي حديث حسن وللترمذي عن ابن عمر مرفوعا ثلاثة لا ترد اللبن والوسادة والدهن وانشد بعضهم

قد كان من سيرة خير الورى	صلى عليه الله طول الزمن
ان لا يرد الطيب والمتكا	واللحم ايضا يا اخي واللبن

قال ابن القيم ولم يكن صلى الله عليه وسلم يشرب على طعامه لئلا يفسده ولا سيما ان كان الما حارا او باردا فانه ردي جدا انتهى وكان عليه الصلوة والسلام يشرب قاعدا وكان ذلك عادته رواه مسلم وفي رواية له ايضا انه نهى عن الشرب قائما وفي رواية له ايضا عن ابي هريرة لا يشربن احدكم قائما فمن نسي فليستقي وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بدلو من ما زمزم فشرب وهو قائم وفي حديث علي عند البخاري

انه

انه شرب وهو قائم ثم قال ان ناسا يكرهون الشرب قائما وان النبي صلى الله عليه وسلم صنع مثل ما صنعت وكل هذه الاحاديث صحيحة ولا اشكال فيها ولا تعارض وغلط من زعم ان فيها نسخا وكيف يصار الى النسخ مع امكان الجمع بين الاحاديث والصواب ان النهي محمول على كراهة التنزيه واما شربه عليه الصلوة والسلام قائما فلبيان الجواز فان قلت كيف يكون الشرب قائما مكروها وقد فعله صلى الله عليه وسلم فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم اذا كان لبيان الجواز لا يكون مكروها بل البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم واما قوله عليه السلام فمن نسي فليستقي فمحمول على الاستحباب والندب فيستحب لمن شرب قائما ان يتقيا لهذا الحديث الصحيح الصريح سوا كان ناسيا او لا قاله النووي وقالت المالكية لا باس بالشرب قائما واستدلوا لذلك بحديث جبير بن مطعم قال رايت ابا بكر الصديق يشرب قائما ويقول انه بلغه عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلي انهم كانوا يشربون قياما واجابوا عن حديث ابي هريرة لا يشربن احدكم قائما فمن نسي فليستقي بان عبد الحق قال ان في اسناده عمر بن حمزة العمري وهو ضعيف انتهى وقال المازري قال بعض شيوخنا لعل النهي ينصرف لمن اتى اصحابه فبادر بشربه قائما قبلهم استبدادا به وخروجا عن كون ساقي القوم آخرهم شربا وقال بعض الشيوخ الاظهر انه موقوف على ابي هريرة قالوا والاظهر ان احاديث شربه قائما تدل على الجواز واحاديث النهي تحمل على الاستحباب والحث على ما هو اولى واكمل لان في الشرب قائما ضررا ما فكره من اجله وفعله هو لامنه قال وعلى هذا الثاني يحمل قوله فمن شرب فليستقي على ان ذلك يحرك خلطا يكون القي دواه ويؤيده قول النخعي انما نهي عن ذلك لدا البطن وقال ابن القيم وللشرب قائما آفات عديدة منها انه لا يحصل به الري التام ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الاعضا وينزل بسرعة الى المعدة فيخشى منه ان تبرد حرارتها ويسرع النفوذ الى اسافل البدن بغير تدريج وكل هذا يضر بالشارب قائما فاذا فعله نادرا لم يضره وعند احمد عن ابي هريرة انه راى رجلا يشرب قائما فقال له قه فقال لم قال ايسرك ان يشرب الشيطان معك قال لا قال لقد شرب معك من هو شر من الشيطان وكان صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثا ويقول انه اروى وامرا رواه مسلم ومعنى تنفسه ابانة القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود الى الشراب واخرج الطبراني في الاوسط بسند حسن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب في ثلاثة انفاس اذا ادنى الانا الى فيه سمى الله فاذا اخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثا وفي هذا الشرب حكم جمة وفوائد مهمة نبه عليه السلام على مجامعها بقوله انه اروى وامرا وابرا فاروى من الري بكسر الرا من غير همز اشد ريا وابلغه وانفعه وابرا افعل امر من البر بالهمزة وهو الشفا اي يبري من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الاولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت عنه الثانية وايضا فانه اسلم لحرارة المعدة وابقى عليها من ان يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة فانه اسلم عاقبة وآمن غائلة من تناول جميع ما يروي دفعة واحدة فانه يخاف منه ان يطفي الحرا

وابرا صح

الغريزية لشدة برده وكثرة كميته او بضعفها فيؤدي ذلك الى فساد المعدة والكبد والى امراض رديئة خصوصا في سكان البلاد الحارة وفي الازمنة الحارة فان الشرب فيهما وهلة واحدة مخوف عليهم جدا **وقوله** وامرا بالهمز افعل من مرئ الطعام والشراب في بدنه اذا دخله وخالطه بسهولة ولذة ونفع انتهى • **وقال** بعضهم والمعنى انه يصير هنيئا مريئا اي سالما او مبرئا من مرض او عطش واذى • ويؤخذ من ذلك انه اقمع للعطش واقوى على الهضم ومن آفات الشربة نهلة واحدة انه يخاف منه الشرق بان ينسد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فاذا تنفس رويدا ثم شرب امن من ذلك **وقد روى** عبد الله بن المبارك والبيهقي وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا شرب احدكم فليمص الماء مصا ولا يعب عبا فانه يورث الكباد والكباد بضم الكاف وتخفيف الباء وجع الكبد • ولا معارضة بين التنفس هنا وبين النهي عن التنفس في الاناء الوارد في الحديث لان المنهي عنه التنفس داخل الاناء فانه ربما حصل للماء تغير من النفس اما لكون المتنفس كان متغير الفم بماكول مثلا او لبعد عهده بالسواك والمضمضة او لان النفس يصعد ببخار المعدة وهنا التنفس خارج الاناء فلا تعارض فلو لم يتنفس جاز الشرب بنفس واحد • وقيل يمنع مطلقا لانه شرب الشيطان **وكان** عليه الصلوة والسلام اذا دعي لطعام وتبعه احد اعلم به رب المنزل فيقول ان هذا تبعنا فان شئت رجع • وكان يكره على اضيافه ويعرض عليهم الاكل مرارا • وفي حديث ابي هريرة في قصة شرب اللبن وقوله مرارا اشرب فما زال يقول اشرب حتى قال والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكا رواه البخاري **وكان** عليه السلام اذا اكل مع قوم كان آخرهم اكلا رواه البيهقي في الشعب عن جعفر بن محمد عن ابيه مرسلا **وفي حديث** ابن عمر مرفوعا عند ابن ماجة والبيهقي اذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجل وان شبع حتى يفرغ القوم فان ذلك يخجل جليسه وعسى ان يكون له في الطعام حاجة • وكان عليه الصلوة والسلام اذا اكل عند قوم لم يخرج حتى يدعو لهم فدعا في منزل عبد الله بن بسر فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم رواه مسلم • ودعا في منزل سعد فقال افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة رواه ابو داود • وسقاه آخر لبنا فقال اللهم امتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء رواه ابن السني ٥ ٥ ٥

النوع الثاني في لباسه صلى الله عليه وسلم وفراشه

قال البخاري باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز من اللباس يعني يتوسع فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه او لا يضيق بطلب النفيس الغالي بل يستعمل ما تيسر **وقال** القاضي عياض كان عليه السلام قد اقتصر منه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجد فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والاردية والازر ويقسم على من حضره اقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس

والزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكون لبس مثله غير مسقط لمروة جنسه انتهى **وقد روى** ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا ان من كرامة المؤمن على الله عز وجل نقاوة ثوبه ورضاه باليسير وله ايضا من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وسخة ثيابه فقال اما وجد هذا شيئا ينقي به ثيابه • فقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في ملبسه اتم وانفع للبدن واخف عليه فانه لم تكن عمامته بالكبيرة التي يؤذي حملها ويضعفه ويجعله عرضة للآفات كما يشاهد من حال اصحابها ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد بل وسطا بين ذلك وكان يدخلها تحت حنكه فانه يقي العنق الحر والبرد وهو اثبت لها عند ركوب الخيل والابل والكر والفر وكذلك الاردية والازر اخف على البدن من غيرها • وقد اطنب ابن الحاج في المدخل في الاستدلال لاستحباب التحنيك ثم قال واذا كانت العمامة من باب المباح فلا بد فيها من فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمين والتسمية والذكر الوارد ان كانت مما لبس جديدا وامتثال السنة في صفتها من التعميم من فعل التحنيك والعذبة فان زاد في العمامة قليلا لاجل حر او برد فيسامح فيه ثم قال بعد ان ذكر قوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فعليك بان تتشبه القاعد والمتعمم قائما انتهى **ولم يكن** صلى الله عليه وسلم يطول اكمامه ويوسعها بل كان كمه قميصه الى الرسغ وهو منتهى الكف عند المفصل لا يجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة والبطش ولا يقصره صلى الله عليه وسلم عن هذا فيبرز للحر والبرد **وقد روى** عن اسماء بنت يزيد قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ رواه الترمذي **وكان ذيل قميصه** وردائه الى انصاف الساقين لم يتجاوز الكعبين فيؤذي الماشي ويجعله كالمقيد ولم يقصر عن عضلة ساقيه فتتاذى بالحر والبرد اشار اليه في زاد المعاد **واخرج** الترمذي عن الاشعث بن سليم قال سمعت عمتي تحدث عن عمها قال بينا انا امشي في المدينة اذا انسان خلفي يقول ارفع ازارك فانه اتقى وانقى فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انما هي بردة قال اما لك في اسوة فنظرت فاذا ازاره الى نصف ساقيه **واخرج** الطبراني من طريق عبد الله ابن محمد بن عقيل عن ابن عمر قال رآني النبي صلى الله عليه وسلم اسبلت ازاري فقال يا ابن عمر كل شيء لمس الارض من الثياب في النار **وفي** البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسفل من الكعبين من الازار في النار **قال** الخطابي يريد ان الموضع الذي يناله الازار من اسفل الكعبين في النار فكنى بالثوب عن بدن لابسه ومعناه ان الذي دون الكعبين من القدم يعذب بالنار عقوبة وحاصله انه من باب تسمية الشيء باسم ما جاوره او حل فيه وتكون من بيانية • وللطبراني من حديث عبد الله بن مغفل رفعه ازرة المؤمن الى انصاف الساقين وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار • والازرة بالكسر الحالة وهيئة الائتزار مثل الركبة والجلسة **واعلم** طهر الله ثوبي وثوبك ونزع

بشرى وشرك ان هذا الاطلاق محمول على ما ورد من قيد الخيلا فهو الذى ورد فيه الوعيد
بالاتفاق **وقد** اخرج اصحاب السنن الا الترمذى واستغربه وابن ابى شيبة من طريق
عبد العزيز بن ابى رواد عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
الاسبال فى الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلا الحديث فبين فى هذه الرواية
ان الحكم ليس خاصا بالازار وان جا فيه اكثر طرق الاحاديث بلفظ الازار قال الطبرى
انما ورد الخبر بلفظ الازار لان اكثر الناس فى عهده كانوا يلبسون الازار والاردية فلما لبس
الناس القمص والدراريع كان حكمها حكم الازار فى النهى قال ابن بطال هذا قياس صحيح
لو لم يات النص فى الثوب فانه يشمل جميع ذلك وفى تصوير جر العمامة نظر الا ان يكون المراد
ما جرت به عادة العرب من ارخا العذبات فمهما زاد عن العادة فى ذلك كان من الاسبال
وهل يدخل فى الزجر عن جر الثوب تطويل اكمام القميص ونحوه محل نظر والذى يظهر ان من
اطالها حتى خرج عن العادة كما يفعله بعض الحجازيين دخل فى ذلك قال ابن القيم واما
هذه الاكمام الواسعة الطوال التى هى كالاخراج وعمائم كالابراج فلم يلبسها عليه السلام
هو ولا احد من اصحابه وهى مخالفة لسنته وفى جوازها نظر فانها من جنس الخيلا انتهى وقال
صاحب المدخل ولا يخفى على ذى بصيرة ان كم بعض من ينسب الى العلم اليوم فيه اضاعة المال المنهى
عنها لانه قد يفصل من ذلك الكم ثوبا لغيره انتهى **لكن** حدث للناس اصطلاح بتطويلها
وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلا فلا شك فى
تحريمه وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه ما لم يصل الى جر الذيل الممنوع منه ونقل القاضى
عياض عن العلما كراهة كل ما زاد على العادة وعلى المعتاد فى اللباس من الطول والسعة **وفى**
حديث ابى هريرة عند البخارى مرفوعا بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل جمته خسف به فهو
يتجلجل الى يوم القيمة **وفى** الطبرى وابى داود ان رجلا ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها
فنظر الله اليه فمقته فامر الارض فاخذته وهذا الوعيد المذكور يتناول الرجال والنسا
على هذا الفعل المخصوص وقد فهمت ذلك ام سلمة رضى الله عنها **فاخرج** النسائى
والترمذى وصححه من طريق ايوب عن نافع عن ابن عمر قالت ام سلمة فكيف تصنع النسا بذيولهن
فقال يرخين شبرا فقالت اذا تنكشف اقدامهن قال فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه **وحاصل**
ما ذكر فى ذلك ان للرجال حالين حال استحباب وهو ان يقتصر بالازار على نصف الساق وحال
جواز وهو الى الكعبين وكذلك للنسا حالان حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز
للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع وان الاسبال يكون فى الازار والقميص والعمامة
وانه لا يجوز اسباله تحت الكعبين ان كان للخيلا وان كان لغيرها فهو مكروه للتنزيه
قال النووى وظاهر الاحاديث فى تقييدها بالخيلا يدل على ان التحريم مخصوص
بالخيلا قال وهذا نص الشافعى على الفرق كما ذكرنا انتهى **تنبيه** قال العراقى
فى شرح الترمذى الذراع الذى رخص للنسا فيه هل ابتداوه من الحد الممنوع منه الرجال وهو

من الكعبين او من الحد المستحب وهو انصاف الساقين او من اول ما يمس الارض الظاهر
ان المراد الثالث بدليل حديث ام سلمة الذى رواه ابو داود والنسائى واللفظ له وابن
ماجة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم تجر المراة من ذيلها قال شبرا قالت اذا
ينكشف عنها قال فذراع لا تزيد عليه فظاهره ان لها ان تجر على الارض منه ذراعا قال
والظاهر ان المراد بالذراع ذراع اليد وهو شبران لما فى سنن ابن ماجة قال رخص رسول
الله صلى الله عليه وسلم لامهات المؤمنين شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فدل على ان
الذراع الماذون فيه شبران وهو الذراع الذى يقاس به الحصر اليوم وانما جاز ذلك
للنسا لاجل الستر لان المراة كلها عورة الا ما استثنى **وقد كان** له عليه
الصلوة والسلام عمامة تسمى السحاب يلبس تحتها القلانس اللاطئة والقلانس جمع
قلنسوة بفتح القاف واللام وسكون النون وضم المهملة وفتح الواو وقد تبدل يا تحتانية
وقد تبدل الفا وتفتح السين فيما القلنساة وقد تحذف النون من هذه بعدها
ها تانيث غشا مبطن يستر به الراس قاله القزاز فى شرح الفصيح وقال ابن هشام هى التى
تقول لها العامة الشاشية وفى المحكم هى ملابس الرؤس معروفة وقال ابو هلال العسكرى
هى التى يغطى بها العمائم وتستر من الشمس والمطر كانها عنده راس البرنس انتهى **وروى**
الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه
عمامة سودا وفى رواية انس عند البخارى دخل عام الفتح وعلى راسه المغفر وهو بكسر
الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفا زرد ينسج من الدروع على قدر الراس وجمع بينهما
بان العمامة السودا كانت فوق المغفر وجمع بينهما القاضى عياض بان اول دخوله كان
على راسه المغفر ثم بعد ذلك كان على راسه العمامة بعد ازالة المغفر بدليل قوله فى
حديث عمرو بن حريث عن ابيه خطب الناس وعليه عمامة سودا لان الخطبة انما كانت عند
باب الكعبة بعد تمام فتح مكة قال الولى ابن العراقى وهو اولى واظهر فى الجمع من الاول
وقد تقدم نحو ذلك فى غزوة فتح مكة **وعن** ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اعتم
سدل رواه الترمذى فى الشمايل زاد مسلم وقد ارخى طرفها بين كتفيه **وروى** ابو محمد
ابن حبان فى كتاب اخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعتم قال يدير كور العمامة على راسه ويغرسها من وراه ويرخى لها ذوابة بين
كتفيه **وروى** مسلم من حديث عمرو بن حريث قالت رايت النبى صلى الله عليه وسلم على
المنبر وعليه عمامة سودا قد ارخى طرفها بين كتفيه **وعنده** ايضا عن جابر دخل مكة وعليه
عمامة سودا ولم يذكر فيه ذوابة فدل انه لم يكن يرخيها دايما بين كتفيه لكن قد يقال
ان دخول مكة كان وعليه اهبة القتال والمغفر على راسه فلبس فى كل موطن ما يناسبه
قال ابن القيم فى الهدى النبوى وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يذكر فى سبب الذوابة شيئا
بديعا وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذى راه بالمدينة لما راى

ربّ العزة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدري فوضع يده بين كتفي فعلمت
ما بين السماء والأرض الحديث وهو في الترمذي وسئل عنه البخاري فقال صحيح قال
فمن تلك الغداة أرخى الذؤابة بين كتفيه قال وهذا من العلم الذي تنكره ألسنة الجهال
وقلوبهم قال ولم أر هذه الفائدة في شأن الذؤابة لغيره انتهى وعبارة غيره الهدي وذكر
ابن تيمية أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى ربه واضعا يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة
انتهى بكري قال العراقي فبعد أن ذكره لم نجد لذلك أصلا انتهى وروى ابن أبي
شيبة عن علي قال عممني النبي صلى الله عليه وسلم بعمامة سدل طرفها على منكبي وقال إن الله
أمدني يوم بدر وحنين بملائكة معتمين هذه العمة وقال إن العمامة حاجز بين
المسلمين والمشركين قال عبد الحق الإشبيلي وسنة العمامة بعد فعلها أن يرخي طرفها
ويتحنك به فإن كانت بغير طرف ولا تحنيك فذلك يكره عند العلماء واختلف في وجه
الكراهة فقيل لمخالفة السنة فيها وقيل لأنها كذلك كانت عمائم الشياطين وجاءت الأحاديث
في إرسال طرفها على أنواع منها ما تقدم أنه أرسل طرفها على منكب علي ومنها أن عبد الرحمن
ابن عوف قال عممني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدي ومن خلفي ذكره أبو
داود وعن ابن عباس أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة دسما أي سوداء رواه
الترمذي وفي حديث ركانة أنه صلى الله عليه وسلم قال إن فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم
على القلانس رواه الترمذي أيضا وعن أبي كبشة الأنماري قال كانت كمام أصحاب النبي بطحا
رواه الترمذي أيضا وفي رواية أكمة وهما جمع كثرة وقلة الكمة القلنسوة يعني أنها كانت
منبطحة غير منتصبة وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له كمة بيضاء رواه
الدمياطي وكان أحب الثياب إليه صلى الله عليه وسلم القميص كما في الشمائل للترمذي
من حديث أم سلمة قالت كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص وعن
معاوية بن قرة عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من مزينة لنبايعه
وإن قميصه لمطلق الأزرار أو قال زر قميصه مطلق قال فأدخلت يدي في جيب قميصه
فمسست الخاتم رواه الترمذي وعن أنس قال كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم
قطنا قصير الطول والكمين رواه الدمياطي وعن أنس بن مالك قال كان أحب الثياب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة رواه الترمذي والحبرة ضرب من البرود فيه
حمرة وعن أبي رمثة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان أخضران رواه
الترمذي وعن عطاء بن أبي يعلى عن أبيه قال رأيته صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت مضطبعا
ببرد أخضر رواه أبو داود وعن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه
وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين رواه الترمذي وعن أبي ذر رأيت النبي صلى الله عليه
وسلم وعليه ثوب أبيض رواه البخاري وعن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم
ذات غداة وعليه مرط شعر أسود رواه الترمذي وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم يلبس الصوف وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد
رواه الشيخان فإن قلت قد علم من هذا ومن سيرة السلف الصالح بذاذة الهيئة
ورثاثة الملابس فما بال الشاذلية من الصوفية يجملون هيئاتهم وملابسهم وطريقهم الاقتداء
بالسنة الشريفة والسلف الصالح أجاب العارف الرباني سيدي علي الوفائي ومن
خطه الكريم نقلت منه ذلك لأنهم نظروا إلى المعاني والحكم فوجدوا السلف الصالح لما
وجدوا أهل الغفلة والشغل بدنياهم منهمكين على الزينة الظاهرة تفاخرا بدنياهم
واطمئنانا إليها وإشعارا بأنهم من أهلها خالفوهم إظهارا للحقارة لما حقره الحق فما عظمه
الغافلون وتنويها بالغنى عما اطمأن إليه الغافلون فكان أطمارهم يومئذ تقول الحمد لله
الذي أغنانا به عما أفقر نفسه إليه من همه دنياه فلما طال الأمد وقست القلوب بنسيان
ذلك المعنى واتخذ الغافلون رثاثة الأطمار وبذاذة الهيئة حبلة على دنياهم انعكس
الأمر فصار مخالفة هؤلاء في ذلك لله هو قول السلف وطريقتهم كما تقدم قال وقد أرشد
الأستاذ أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره العزيز إلى ذلك بقوله لبعض من أنكر عليه جمال هيئته
من أصحاب الرثاثة يا هذا هيئتي هذه تقول الحمد لله وهيئتك هذه تقول أعطوني شيئا من
دنياكم والقوم أفعالهم دائرة مع الحكمة الربانية مرادهم مرضاة ربهم انتهى ما قاله سيدي علي
وقد ورد في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال وفي الحديث
الآخر إن الله نظيف يحب النظافة وفي السنن عن أبي الأحوص الجشمي عن أبيه قال رآني النبي
صلى الله عليه وسلم وعلي أطمار وفي رواية النسائي وعلي ثوب دون فقال هل لك من مال
فقلت نعم قال من أي المال قلت من كل ما آتى الله من الإبل والشاء قال فلتر نعمته وكرامته
عليك وفي رواية النسائي قال فإذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته وفي
السنن إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وكرامته وفي حديث جابر أنه رأى رجلا شعثا
قد تفرق شعره فقال أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه ورأى رجلا عليه ثياب وسخة
فقال أما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه رواه أحمد وفي السنن إن الله يحب أن يرى أثر
نعمته على عبده فهو سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده فإنه من الجمال الذي يحبه وذلك
من شكره على نعمه وهو جمال باطن فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة والجمال
الباطن بالشكر عليه ولأجل محبته تعالى الجمال أنزل على عبده لباسا يجمل ظواهرهم وتقوى
تجمل بواطنهم فقال تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس
التقوى ذلك خير وقال في أهل الجنة ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة
وحريرا فجمل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير فهو سبحانه كما يحب
الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة يبغض القبيح من الأقوال والأفعال واللباس
والهيئة فيبغض القبيح وأهله ويحب الجمال وأهله ولكن ضل في هذا الموضع فريقان
فريق قالوا كلما خلقه الله تعالى جميل فهو يحب كلما خلقه ونحن نحب جميع ما خلقه فلا نبغض منه شيئا

قالوا ومن رأى الكائنات فيه راها كلها جميلة واحتجوا بقوله تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه
فهؤلاء قد عدموا الغيرة لله من قلوبهم والبغض لله والمعاداة فيه وإنكار المنكر وإقامة الحدود
والفريق الثاني قالوا قد ذم الله تعالى جمال الصور وتمام القامة والخلقة فقال عن المنافقين
وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم **وفي صحيح** مسلم مرفوعا إن الله لا ينظر إلى صوركم
وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم قالوا وقد حرم علينا لباس الحرير والذهب وآنية الذهب
والفضة وذلك من أعظم جمال الدنيا وقال تعالى لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم
زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه **وفي الحديث** البذاذة من الإيمان وقد ذم الله المسرفين
والسرف كما يكون في الطعام والشراب يكون في اللباس **وفصل** النزاع أن يقال الجمال
في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع منه ما يحمد ومنه ما يذم ومنه ما لا يتعلق به مدح
ولا ذم. فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له كما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب
والخيلاء فيه فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه. والمذموم منه
ما كان للدنيا وللرياسة والفخر والخيلاء وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه. فإن كثيرا من
النفوس ليس لها همة في سوى ذلك. وأما ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا عن هذين المقصدين
وتجرد عن الوصفين والمقصود من هذا الحديث أن الله تعالى يحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق
وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة وجوارحه بالطاعة وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه
وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والشعور المكروهة والختان وتقليم الأظفار وغير
ذلك مما وردت به السنة **وعن جابر** بن سمرة قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في
ليلة إضحيان فجعلت أنظر إليه صلى الله عليه وسلم وإلى القمر وعليه حلة حمراء فإذا هو أحسن
عندي من القمر رواه الدارمي والترمذي. وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بريق ساقيه قال سفيان أراه حبرة. وعن
البراء بن عازب قال ما رأيت أحدا من الناس أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم
رواهما الترمذي. وفي رواية البخاري ومسلم رأيته في حلة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه
وفي رواية لأبي داود ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه
وسلم. وقوله من ذي لمة بكسر اللام أي شعر الرأس دون الجمة سميت بذلك لأنها ألمت
بالمنكبين فإذا زادت فهي الجمة. وفي رواية النسائي ما رأيت رجلا أحسن في حلة حمراء من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في القاموس الحلة بالضم إزار ورداء برد أو غيره
ولا يكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة. وقال ابن القيم وغلط من ظن أنها كانت
حمراء بحتا لا يخالطها غيرها وإنما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود
كسائر البرود اليمنية وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط وإلا فالأحمر البحت
منهي عنه أشد النهي **ففي** صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن المياثر الحمر

وفي صحيح مسلم عن ابن عمرو قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين فقال
إن هذه لباس الكفار فلا تلبسها ومعلوم أن ذلك إنما يصبغ صباغا أحمر قلت وفي
جواز لبس الأحمر من الثياب والجوخ وغيرهما نظر. وأما كراهته فشديدة فكيف يظن به
صلى الله عليه وسلم أنه لبس الأحمر القاني كلا لقد أعاذه الله منه وإنما وقعت الشبهة
من لفظ الحلة الحمراء والله أعلم انتهى **وقال** النووي اختلف العلماء في الثياب المعصفرة
وهي المصبوغة بعصفر فأباحها جميع العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبه قال
الإمام الشافعي وأبو حنيفة ومالك ولكنه قال غيرها أفضل منها. وفي رواية عنه أنه أجاز
لباسها في البيوت وأفنية الدور وكرهه في المحافل والأسواق وغيرها. وقال جماعة من العلماء
هو مكروه كراهة تنزيه وحملوا النهي على هذا لأنه ثبت أنه عليه السلام لبس حلة حمراء **وفي**
الصحيحين من حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم صبغ بالصفرة وحمل بعضهم النهي على
المحرم بالحج أو العمرة وقد أتقن البيهقي المسألة في معرفة السنن فقال نهى الشافعي الرجل عن
المزعفر وأباح له المعصفر قال الإمام الشافعي وإنما رخصت في المعصفر لأني لم أجد أحدا يحكي
عنه صلى الله عليه وسلم النهي عنه إلا ما قال علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم نهاني ولا
أقول نهاكم قال البيهقي وقد جاءت أحاديث تدل على النهي على العموم ثم ذكر حديث مسلم
إن هذه من لباس الكفار وأحاديث غيرها ثم قال ولو بلغت هذه الأحاديث الشافعي لقال
بها إن شاء الله تعالى. ثم ذكر بإسناده ما صح عن الشافعي أنه قال إذا صح الحديث بخلاف قولي
فاعملوا بالحديث ودعوا قولي وفي رواية مذهبي قال البيهقي قال الشافعي وأنهى الرجل
الحلال بكل حال أن يتزعفر قال وآمره إذا تزعفر أن يغسله قال البيهقي فتبع السنة في المزعفر
فمتابعتها في المعصفر أولى به انتهى. ورأيت في فتاوى شيخنا العلامة قاسم أحد أئمة الحنفية
وتحقيقها كراهته للتحريم مع صحة الصلوة فيه واستدل له بما ذكرته وبما في حديث طاوس
عند الحاكم وقال على شرطهما عن ابن عمرو بن العاص قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلي
ثوب معصفر فقال من أين لك هذا قلت صنعته لي أهلي فقال عليه السلام أحرقه انتهى **وعن**
جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة
وعن يحيى بن عبد الله بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران
قميصه ورداءه وعمامته رواهما الدمياطي وهو عند أبي داود بلفظ يصبغ بالورس والزعفران
ثيابه حتى عمامته وكذا رواه من حديث زيد بن أسلم وأم سلمة وابن عمر **لكن** يعارضه
ما في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن التزعفر والله أعلم **وأما صفة إزاره**
صلى الله عليه وسلم. فعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال أخرجت إلينا عائشة كساء وإزارا
غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين رواه البخاري. وفي رواية إزارا
غليظا مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي تدعونها الملبدة. وفي رواية كساء ملبدا قال
ابن الأثير أي مرقعا يقال لبدت القميص ألبده ولبدته ويقال للخرقة التي يرقع بها صدر القميص

اللبدة وقيل الملبد الذي ثخن ووسط وصفق حتى صار يشبه اللبد **وروى** مسلم
من حديث عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل
من شعر اسود والمرط بكسر الميم واسكان الراء كساء من صوف وخز يؤتزر به والمرحل
بتشديد الحاء المهملة المفتوحة كمعظم هو الذي فيه صور الرحال قال في القاموس في
مادة رحل وكمعظم برد فيه تصاوير رحال وتفسير الجوهري اياه بازار خز فيه
علم غير جيد انما ذلك تفسير المرجل بالجيم وقال في مادة رجل يعني بالجيم وبرد مرجل
كمعظم فيه صور الرجال انتهى وقال النووي والصواب الذي رواه الجمهور
المتقنون بالحاء المهملة اي على صور رحال الابل ولا بأس بهذه الصورة وانما يحرم تصوير
الحيوان وقال الخطابي المرحل الذي فيه خطوط والله اعلم **وعن عروة** ان طول
رداء النبي صلى الله عليه وسلم اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن عروة ايضا ان ثوب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه الى الوفود رداء اخضر في طول اربعة اذرع
وعرضه ذراعان وشبر وعن معن بن عيسى قال حدثنا محمد بن هلال قال رأيت على هشام
ابن عبد الملك برد النبي صلى الله عليه وسلم من حبرة له حاشيتان وعن ابن عمر قال دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ازار يتقعقع **وعن** يزيد بن ابي حبيب انه صلى الله
عليه وسلم كان يرخي الازار من بين يديه ويرفعه من ورائه وعن ابن عباس قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتزر تحت سرته وتبدو سرته ورأيت عمر يأتزر فوق سرته
رواها كلها الدمياطي **فصل** وعن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة
كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج وقالت هذه جبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبسها
فنحن نغسلها للمرضى فنستشفي بها رواه مسلم وقوله جبة طيالسة باضافة جبة الى الطيالس
وكسروانية بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والراء مفتوحة نسبة الى كسرى ملك الفرس
ولبنة بكسر اللام واسكان الباء رقعة في جيب القميص وفيه جواز لبس ما له فرجان وانه
لا كراهة فيه وان المراد بالنهي عن الحرير المتمحض منه او ما اكثره منه وانه ليس المراد تحريم
كل جزء منه بخلاف الخمر والذهب لانه يحرم كل جزء منهما قاله النووي **لطيفة**
قيل لما كان صلى الله عليه وسلم لا يبدو منه الا الطيب كان آية ذلك في بدنه الشريف انه
لا يتسخ له ثوب فما اتسخ له ثوب قط قيل ولم يقمل ثوبه قط وقال ابن سبع في الشفا
والسبتي في اعذب الموارد واطيب الموالد ولم يكن القمل يؤذيه تعظيما له وتكريما صلى الله
عليه وسلم لكن يشكل عليه ما رواه احمد والترمذي في الشمائل عن عائشة رضي الله عنها
كان صلى الله عليه وسلم يفلي ثوبه ويحلب شاته ومن لازم التفلي وجود شيء يؤذي في الجملة
اما قملا او برغوثا او نحو ذلك ويمكن ان يجاب بان التفلي لاستقذار وجود ما
علق بثوبه الشريف من غيره ولو لم يحصل منه اذى في حقه صلى الله عليه وسلم وهذا فيه بحث لان

اذى القمل هو غذاؤه من البدن على ما اجرى الله من العادة واذا امتنع الغذاء لا يعيش الحيوان
عادة ونقل الفخر الرازي ان الذباب لا يقع على ثيابه قط وانه لا يمتص دمه البعوض **واما**
الطيلسان وهو بفتح اللام واحد الطيالسة والهاء في الجمع للعجمة فارسي معرب وهو
الساج ايضا وقال ابن خالويه في شرح الفصيح يقال للطيلسان الاخضر الساج وفي
المجمل لابن فارس الطاق الطيلسان فقال ابن القيم لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه
لبسه ولا احد من اصحابه بل ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون الفا من يهود اصبهان عليهم الطيالسة
ورأى انس جماعة عليهم الطيالسة فقال ما اشبههم بيهود خيبر قال ومن ههنا
كرهه جماعة من السلف والخلف لما روى ابو داود والحاكم في المستدرك عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم فهو منهم وفي الترمذي ليس منا من تشبه
بغيرنا **واما** ما جاء في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم جاء الى ابي بكر متقنعا بالهاجرة
فانما فعله صلى الله عليه وسلم تلك الساعة ليختفي بذلك للحاجة ولم تكن عادته التقنع
وقد ذكر انس عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يكثر القناع وهذا انما كان يفعله للحاجة من الحر
ونحوه انتهى قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد التقنع معروف
وهو تغطية الرأس بطرف العمامة او برداء او نحو ذلك انتهى وقال ابن الحاج في المدخل واما
قناع الرجل فهو ان يغطي رأسه بردائه ويرد طرفه على احد كتفيه انتهى واما قول ابن القيم
انه عليه السلام انما فعل ذلك للحاجة فيرد عليه حديث سهل بن سعد انه صلى الله عليه وسلم
كان يكثر القناع رواه البيهقي في الشعب والترمذي ايضا وابن سعد في طبقاته من حديث
انس بلفظ يكثر التقنع فهذا وما اشبهه يرد قول ابن القيم انه لم ينقل عنه عليه السلام انه
لبسه واما قوله ولا احد من اصحابه فيرده ما اخرجه الحاكم في المستدرك بسند على شرط
الشيخين عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة فقربها فمر رجل
مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت فاذا هو عثمان بن عفان **واخرج**
سعيد بن منصور في سننه عن ابي العلاء قال رأيت الحسن بن علي يصلي وهو مقنع رأسه
واخرج ابن سعد عن سليمان بن المغيرة قال رأيت الحسن يلبس الطيالسة واخرج
عن عمارة بن زاذان قال رأيت على الحسن طيلسانا اندقيا **واما** ما ذكر ابن القيم من قصة
اليهود فقال الحافظ ابن حجر انما يصلح الاستدلال به في الوقت الذي تكون الطيالسة
من شعارهم وقد ارتفع ذلك في هذه الازمنة فصار داخلا في عموم المباح وقد ذكره ابن
عبد السلام في امثلة البدعة المباحة وقد يصير من شعار قوم فيكون تركه من الاخلال بالمروءة
وقيل انما انكر انس الوان الطيالسة لانها كانت صفرا والله اعلم **واما الخاتم**
ففي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق فكان في يده
ثم كان في يد ابي بكر ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر اريس وفيهما ايضا

عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة فيه فص حبشي وكان يجعل فصه
مما يلي كفه واخرج احمد والنسائي والترمذي والبزار في مسنده عن بريدة ان
النبي صلى الله عليه وسلم رأى في يد رجل خاتما من حديد فقال ما لي اجد فيك ريح الاصنام
ثم قال له اتخذه من فضة ولا تزده على مثقال وقد اختلف العلماء في لبسه في الجملة فاباحه
كثير من اهل العلم من غير كراهة ومنهم من كرهه اذا قصد به الزينة ومنهم من كرهه الا
لذي سلطان لحديث ابي داود والنسائي عن ابي ريحانة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى
عن لبس الخاتم الا لذي سلطان ولانه عليه السلام انما اتخذه لحاجة ختم الكتب التي
يبعثها الى الملوك كما في حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر والنجاشي
فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا بختم فصاغ خاتما ونقش فيه محمد رسول الله وانما لبسه
ابو بكر لاجل ولايته فانه كان يحتاج اليه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج اليه وكذلك
عمر وعثمان وحكى ابن عبد البر عن طائفة من العلماء كراهة لبسه مطلقا احتجاجا بحديث
انس انه صلى الله عليه وسلم نبذه ولم يلبسه وفي الشمائل للترمذي عن ابن عمر انه صلى
الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فكان يختم به ولا يلبسه وفي الصحيحين من حديث
انس انه رأى في يده صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق يوما واحدا ثم ان الناس اصطنعوا
الخواتيم من ورق ولبسوها فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح الناس خواتيمهم
والصواب القول الاول فان لبس النبي صلى الله عليه وسلم الخاتم انما كان لاجل المصلحة لختم
الكتب التي يرسلها الى الملوك ثم استدام لبسه ولبسه اصحابه معه ولم ينكر عليهم بل اقرهم
عليه فدل ذلك على الاباحة المجردة واما حديث النهي عن الخاتم الا لذي سلطان فقال ابن
رجب ذكر بعض اصحابنا ان احمد ضعفه واما ما جاء في حديث الزهري عن انس انه صلى الله عليه
وسلم لبسه يوما واحدا ثم القاه فقد اجيب عنه بثلاثة اجوبة احدها انه وهم
من الزهري وسهو جرى على لسانه لفظ الورق وانما الذي لبسه يوما واحدا ثم القاه كان من
ذهب كما ثبت ذلك من غير وجه في حديث ابن عمر وانس ايضا الثاني ان الخاتم الذي لبسه
عليه الصلوة والسلام لم يكن كله فضة وانما كان حديدا عليه فضة وروى ابو داود
عن معيقيب الصحابي وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم قال كان خاتم النبي صلى الله عليه
وسلم من حديد ملوي عليه فضة فلعل هذا هو الذي لبسه يوما واحدا ثم طرحه ولعله
هو الذي كان يختم به ولا يلبسه الثالث ان طرحه انما كان لئلا يظن انه سنة مشروعة
فانهم اتخذوا الخواتيم لما رأوه قد لبسه فبين بطرحه انه ليس بمشروع ولا سنة ثم ان
الخاتم يكون تارة من فضة وتارة من ذهب وتارة من حديد وتارة من صفر او رصاص او
نحوهما وتارة من عقيق فاما الذهب ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال نهانا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب وآنية الفضة وفيهما عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه
وسلم انه نهى عن خاتم الذهب وفيهما ايضا عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما

من

من ذهب فجعله في يمينه وجعل فصه مما يلي باطن كفه فاتخذ الناس خواتيم الذهب قال فصعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فالقاه ونهى عن التختم بالذهب وهو مذهب الائمة
الاربعة مالك والشافعي وابي حنيفة واحمد واكثر العلماء ورخصت فيه طائفة منهم اسحاق
ابن راهويه وقال مات خمسة من اصحابه صلى الله عليه وسلم خواتيمهم من ذهب قال
مصعب بن سعد رأيت على طلحة وسعد وصهيب خواتيم الذهب وعن حمزة بن ابي اسيد والزبير
ابن المنذر بن ابي اسيد انهما نزعا من يد ابي اسيد خاتما من ذهب حين مات وكان بدريا رواهما
البخاري في تاريخه وروى الشافعي عن سعيد بن المسيب قال قال عثمان لصهيب
ما لي ارى عليك خاتم الذهب فقال قد رآه من هو خير منك فلم يعبه قال من هو قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم واما خاتم الفضة فاباحه كثير من العلماء ولبسه صلى الله عليه وسلم
وجماعة من الصحابة قال الرافعي يجوز للرجل التختم بالفضة وكذا في الروضة وغيرهما
وكتب اصحابنا طافحة بجوازه وروى ابو داود وصححه ابن حبان من حديث بريدة بن الحصيب
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للابس خاتم الحديد ما لي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه
وقال يا رسول الله من اي شيء اتخذه قال من ورق ولا تتمه مثقالا واخرجه ايضا النسائي
والترمذي وقال غريب واخرجه احمد وابو يعلى في مسنديهما والضياء في المختارة مما ليس في
الصحيحين ورجاله رجال الصحيحين الا عبد الله بن مسلم المعروف بابي طيبة وهو محدث مروزي
مشهور وتصحيح ابن حبان لحديثه دال على قبوله فاقل احواله ان يكون من درجة الحسن والاصل
في النهي كونه للتحريم ولان الاصل في استعمال الفضة للرجال التحريم الا ما رخص فيه فاذا
حد فيه حدا وجب الوقوف عنده وبقي ما عداه على الاصل وقد قال ابن الرفعة في كتاب
ما يكره لبسه من الكفاية وينبغي ان ينقص وزنه عن مثقال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رآه رجلا وساق الحديث وقوله ينبغي يصلح للوجوب وغيره وحمله عليه اولى لانه ساق الحديث
مساق الاحتجاج لهذا الحكم فلا يصرف النهي عن حقيقته الا بصارف وظاهر صنيع ابن الملقن
في شرح منهاج النووي يقتضيه فانه قال في زكوة النقد فرع في ابي داود وصحيح ابن حبان
من حديث بريدة انه عليه الصلوة والسلام قال لذلك الرجل وذكر الحديث فساقه سوق
الفروع التي لا خلاف فيها بين الاصحاب وظاهره ذلك تحريم المثقال وفي القوت للاذرعي
لم يتعرض اصحابنا لمقدار الخاتم ولعلهم اكتفوا بالعرف فما خرج عنه كان اسرافا كما قالوا
في الخلخال للمرأة ونحوه والصواب الضبط بما نص عليه في الحديث وليس في كلامهم ما يخالفه
هذا اللفظ وهو يشير الى هذا الحديث وكذا مشى عليه ابن العماد في التعقبات وعبارته
واذا جاز لبس الخاتم فشرطه ان لا يبلغ به مثقالا للحديث انتهى لكن قال الحافظ العراقي
في شرح الترمذي ان النهي في قوله ولا تتمه مثقالا محمول على التنزيه فيكره ان يبلغ به وزن مثقال
قال وفي رواية ابي داود وفي رواية صاحب الالمام ولا تتمه مثقالا او لا اوقية مثقال وليست هذه
الزيادة في رواية اللؤلؤي ومعنى هذه الزيادة انه ربما وصل الخاتم في صنعته الى ان يكون قيمته

مثقال فهو داخل في النهي ايضا انتهى وقد افتى العلامة السراج العبادي بانه يجوز
ان يبلغ مثقالا وان ما زاد عليه حرام **واما** خاتم الحديد فاخرج ابو داود في الخاتم في سننه
والبيهقي في شعب الايمان والادب وغيرهما من تصانيفه من طريقه والنسائي في الزينة
من سننه وابن حبان في صحيحه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من شبه
وهو بفتح المعجمة والموحدة واسكانها وكسر المعجمة نوع من النحاس كانت الاصنام تتخذ منه وسمي
بذلك لشبهه بالذهب لونا فقال له ما لي ارى عليك حلية اهل النار فطرحه واخرجه الترمذي
لكنه قال من صفر بدل من شبه وهما بمعنى قال النووي في شرح المهذب قال صاحب
الابانة يكره الخاتم من حديد او شبه وتابعه صاحب البيان وقال يكره الخاتم من حديد
او رصاص او نحاس لحديث بريدة وقال صاحب التتمة لا يكره الخاتم من حديد او رصاص
لحديث الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذي خطب الواهبة نفسها اطلب
ولو خاتما من حديد قال ولو كان فيه كراهة لم ياذن فيه **وفي سنن** ابي داود باسناد جيد
عن معيقيب الصحابي كان خاتمه عليه السلام من حديد ملوي عليه فضة والمختار انه لا يكره
لهذين الحديثين وقال في شرح مسلم في الكلام على حديث المراة الواهبة نفسها وفي
هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم الحديد وفيه خلاف للسلف حكاه القاضي ولاصحابنا فيه
وجهان اصحهما لا يكره لان الحديث في النهي عنه ضعيف انتهى ولعل تضعيف النووي
للحديث انما هو بالنسبة الى مقاومته حديث سهل بن سعد في الصحيحين وغيرهما في قصة الواهبة
نفسها لا مطلقا كيف وله في ذلك شواهد عدة ان لم ترقه الى درجة الصحة لم تدعه ينزل عن
درجة الحسن **واما** خاتم العقيق فعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تختموا
بالعقيق واليمن احق بالزينة وفي سنده مجهول وروي بلفظ تختموا بالعقيق فانه ينفي
الفقر وروى يعقوب بن ابرهيم عن عائشة مرفوعا قالت تختموا بالعقيق فانه مبارك
ويعقوب متروك **وروى** ابو بكر عن شعيب عن فاطمة رضي الله عنها مرفوعا من تختم
بالعقيق لم يزل يرى خيرا وهذا ايضا لم يثبت وكذا ورد فيه احاديث غير هذه وكلها كما
قال الحافظ ابن رجب لا تثبت وقال العقيلي لا يصح في التختم بالعقيق عن النبي صلى
الله عليه وسلم وروى ابن فنجويه في كتاب الخواتيم له باسناد ضعيف عن علي مرفوعا من تختم
بالياقوت الاصفر منع الطاعون واسناده ضعيف **واما فص خاتمه** عليه
السلام فروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة فصه منه اخرجه البخاري
وغيره وفي صحيح مسلم ان خاتمه صلى الله عليه وسلم كان فصه حبشيا قال النووي قال العلماء
يعني حجرا حبشيا اي فصا من جزع او عقيق فان معدنهما بالحبشة واليمن انتهى فان صح
انهم كانوا يعنون بالحبشي العقيق فيكون له خاتمان احدهما فصه عقيق والآخر فصه فضة
وفي شرح مسلم للنووي حكاية انه صلى الله عليه وسلم كان له في وقت خاتم فصه منه قال
وفي حديث آخر فصه من عقيق انتهى لكن لم يرو عنه عليه السلام انه لبس خاتما كله عقيقا **واما**

فنجويه

نقش

نقش خاتمه عليه السلام ففي صحيح مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صنع خاتما من ورق نقش فيه محمد رسول الله وقال للناس اني اتخذت خاتما من فضة
ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش احد على نقشه قال الترمذي معنى قوله لا تنقشوا
عليه نهى ان ينقش احد على خاتمه محمد رسول الله وفي رواية النسائي اتخذ خاتما من ورق
فصه حبشي ونقش فيه محمد رسول الله وفي رواية البخاري والترمذي وكان نقش
الخاتم ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر قال في فتح الباري ظاهره
انه لم يكن فيه زيادة على ذلك وانه كان على هذا الترتيب لكن لم تكن كتابته على الترتيب
العادي فان ضرورة الاحتياج الى ان يختم به تقتضي ان تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة
ليخرج الختم مستويا واما قول بعض الشيوخ ان كتابته كانت من فوق يعني الجلالة اعلا
الاسطر الثلاثة ومحمد اسفلها فلم ار التصريح بذلك في شيء من الاحاديث بل رواية
الاسماعيلي يخالف ظاهرها ذلك فانه قال محمد سطر والسطر الثاني رسول والسطر الثالث
الله **وعن** ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه في يمينه فلما قبض صار في
يد ابي بكر في يمينه فلما قبض صار في يد عمر في يمينه ثم صار في يد عثمان في يمينه ثم ذهب يوم
الدار عليه لا اله الا الله رواه بركة بن محمد الحلبي كما حكاه ابن رجب في كتاب الخواتيم ثم قال
وهي رواية ساقطة جدا فان بركة مذكور بالكذب وفي لفظه ما يدل على بطلانه وهو قوله
ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله فانه انما سقط في بئر اريس قبل الدار وقد عاش عثمان
بعده مدة فاتخذ له خاتما عوضه وانما كان نقشه محمد رسول الله لا كلمة الاخلاص انتهى
تنبيه قال شيخ الاسلام الشرف المناوي وتحصل السنة بلبس الخاتم مطلقا
ولو مستعارا او مستاجرا لكن الاوفق للسنة لبسه بالملك والاستدامة على ذلك ويجوز
تعداد الخواتيم اتخاذا واما الاستعمال فمفهوم كلام الرافعي عدم الجواز وبه صرح المحب
الطبري فقال المتجه انه لا يجوز للرجل ان يلبس خاتمين من فضة في يديه او في احداهما معا
لان استعمال الفضة حرام الا ما وردت به الرخصة ولم ترد الا في خاتم واحد لكن ذكر الخوارزمي
في الكافي انه يجوز له ان يلبس زوجا في يد وفردا في الاخرى فان لبس في كل واحدة زوجا
فقال الصيدلاني في الفتاوى لا يجوز وقال الدارمي في الاستذكار يكره للرجل لبس فوق
خاتمين فاقتصاره على الكراهة يدل على عدم الحرمة واذا تقرر ذلك فالمسألة ذات خلاف
والذي يظهر كلام المحب الطبري فان تسامحنا اعتمدنا على ما افتى به الصيدلاني انتهى ويجوز
التختم في اليمين واليسار واختلف الناس في افضلهما فقيل اليسار وهو نص الامام احمد
في رواية صالح قال التختم في اليسار احب الي وهو مذهب الامام مالك ويروى انه كان
يلبسه في يساره وكذلك الامام الشافعي **وفي** صحيح مسلم عن انس كان خاتم النبي صلى الله
عليه وسلم في هذه واشار الى الخنصر من يده اليسرى وفي سنن ابي داود عن ابن عمر انه صلى الله
عليه وسلم كان يتختم في يساره وروى اسماعيل بن مسلم عن السليطي قال رأيت النبي صلى الله عليه

وسلم فى ليلة قمر وكانى انظر الى عكن بطنه وكانها القباطى وانى وبيص خاتمه فى يساره قال اسماعيل هذا قال البخارى تركه ابن المبارك وربما روى عنه وقد ذكر بعض الحفاظ كما افاده الحافظ ابن رجب ان التختم فى اليسار مروى عن عامة الصحابة والتابعين وعن طائفة التختم فى اليمين وهو قول ابن عباس وعبد الله بن جعفر وروى حماد ابن ابى سلمة قال رأيت ابن ابى رافع يتختم فى يمينه وقال كان النبى صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه رواه احمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وقال قال محمد يعنى البخارى هذا اصح شئ روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب وفى الشمائل للترمذى عن جابر انه كان يتختم فى يمينه وهذا فيه ضعف لحال عبد الله بن ميمون ويروى من حديث عباد بن صهيب عن جعفر بن محمد عن ابيه عن جابر بن عبد الله قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم والخاتم فى يمينه وعباد بن صهيب متروك ايضا وروى البزار فى مسنده من حديث عبيد بن القاسم عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه وقبض والخاتم فى يمينه وعبيد هذا كذاب قال الحافظ ابن رجب وقد جاء التصريح بان تختمه عليه السلام فى يساره كان آخر الامرين من حديث رواه سليمان بن محمد عن عبد الله بن عطاء عن نافع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه ثم انه حوله الى يساره وقال وكيع التختم فى اليمين ليس بسنة ونص الامام احمد انه يكره التختم فى السبابة والوسطى وروى عن على انه قال نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اتختم فى هذه او هذه واومى الى السبابة والوسطى والله اعلم وفى اللباب وكان عليه السلام يتختم وربما خرج وفى خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشئ ورواه ابن عدى بسند ضعيف من حديث واثلة بلفظ كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد حاجة اوثق فى خاتمه خيطا وروى ابو يعلى عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اشفق من الحاجة ان ينساها ربط فى اصبعه خيطا ليذكرها وكذا هو فى رابع الخلعيات لكن فيه سالم بن عبد الاعلى ابو الفيض رماه ابن حبان بالوضع بل اتهمه ابو حاتم بهذا الحديث **واما السراويل** فاختلف هل لبسها النبى صلى الله عليه وسلم ام لا فجزم بعض العلماء بانه عليه السلام لم يلبسه ويستأنس له بما جزم به النووى فى ترجمة عثمان بن عفان رضى الله عنه من كتاب تهذيب الاسماء واللغات انه رضى الله عنه لم يلبس السراويل فى جاهلية ولا اسلام الا فى يوم قتله فانه كان احرص شئ على اتباعه صلى الله عليه وسلم **لكن قد ورد** فى حديث عند ابى يعلى الموصلى فى مسنده بسند ضعيف جدا عن ابى هريرة قال دخلت السوق يوما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان يزن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتزن وارجح فقال الوزان ان هذه لكلمة ما سمعتها من احد قال ابو هريرة فقلت له كفى بك من الوهن والجفا فى دينك ان لا تعرف نبيك فطرح الميزان ووثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم وقال يا هذا انما تفعل هذا الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم فوزن فارجح واخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل قال ابو هريرة فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه اخوه المسلم قال قلت يا رسول الله وانك لتلبس السراويل قال اجل فى السفر والحضر وبالليل والنهار فانى امرت بالستر فلم اجد شيئا استر منه وكذا اخرجه ابن حبان فى الضعفاء عن ابى يعلى ورواه الطبرانى فى الاوسط والدارقطنى فى الافراد والعقيلى فى الضعفاء ومداره على يوسف بن زياد الواسطى لكن قد صح شراء النبى صلى الله عليه وسلم له وفى الهدى والظاهر انه صلى الله عليه وسلم انما اشتراه ليلبسه **وقد روى** انه لبس السراويل وكانوا يلبسونه فى زمانه وباذنه قال ابو عبد الله الحجازى فى حاشيته على الشفا وما قاله فى الهدى من انه صلى الله عليه وسلم لبس السراويل فالعله سبق قلم والله اعلم وقد اورد ابو سعيد النيسابورى ذكر الحديث فى تجارته صلى الله عليه وسلم من كتابه شرف المصطفى وقد ترجم البخارى فى اللباس من صحيحه باب السراويل واورد فيه حديث المحرم لكونه لم يرد فيه شئ على شرطه **واما الخف** فروى الترمذى عن ابى بريدة ان النجاشى اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم خفين اسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما وعن المغيرة بن شعبة قال اهدى دحية للنبى صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما وقال اسرائيل عن جابر عن عامر وجبة فلبسهما حتى تخرقا لا يدرى النبى صلى الله عليه وسلم اذكى هما ام لا رواه الطبرانى **واما نعله** صلى الله عليه وسلم والنعل قال صاحب المحكم ما وقيت به القدم ففى البخارى عن قتادة عن انس ان نعل النبى صلى الله عليه وسلم كان لها قبالان والقبال لان تثنية القبال وهو زمام النعل وهو السير الذى يكون بين الاصبعين وعن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى شراكهما رواه الترمذى فى الشمائل وفيها ايضا عن ابى هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان وعن عيسى بن طهمان قال اخرج الينا انس بن مالك نعلين جرداوين لهما قبالان فحدثنى ثابت بعد عن انس انهما كانتا نعل النبى صلى الله عليه وسلم **وعن عبيد** بن جريج انه قال لابن عمر رأيتك تلبس النعال السبتية قال انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فانا احب ان البسها وعن عمرو ابن حريث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعلين مخصوفتين وعن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع فى ترجله وتنعله وطهوره رواها الترمذى وعن ابى هريرة قال صلى الله عليه وسلم اذا انتعل احدكم فليبدأ باليمنى فاذا نزع فليبدأ بالشمال لتكن اليمنى اولهما تنعل وآخرهما تنزع وكان عليه السلام ينهى ان ينتعل الرجل قائما رواه ابو داود والترمذى **وقد ذكر** ابو اليمن ابن عساكر تمثال نعله الكريم عليه افضل الصلوة والسلام فى جزء مفرد رويته قراءة وسماعا وكذا افرده بالتأليف

ابو اسحاق ابرهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج من اهل المرية بالاندلس وكذا غيرهما ولم اثبتها هنا اتكالا على شهرتها وصعوبة ضبط تسطيرها الا على حاذق ومن بعض ما ذكر من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره ابو جعفر احمد بن عبد المجيد وكان شيخا صالحا قال ومما قال حذوت هذا المثال لبعض الطلبة فجاءني يوما فقال لي رايت البارحة من بركة هذا النعل عجبا اصاب زوجتي وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع وقلت اللهم اشفها ببركة صاحب هذا النعل فشفاها الله للحين فقال ابو اسحاق قال ابو القاسم بن محمد ومما جرب من بركته انه من امسكه عنده متبركا به كان له امانا من بغي البغاة وغلبة العداة وحرزا من كل شيطان مارد وعين كل حاسد وان امسكته المراة الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطلق تيسر امرها بحول الله وقوته **ولله در ابو اليمن** ابن عساكر حيث قال

يا منشدا في رسم ربع خال ... ومناشدا الدوارس الاطلال
دع ندب آثار وذكر مآثر ... لاحبة بانوا وعصر خال
والثم ثرى الاثر الكريم فحبذا ... ان فزت منه بلثم ذا التمثال
اثر له بقلوبنا اثر لها ... شغل الخلي بحبه اي الخال
قبل لك الاقبال نعلا اخمص ... حل الهلال بها محل قبال
الصق بها قلبا يقلبه الهوى ... وجلا على الاوصاب والاوجال
صافح بها خدا وعفر وجنة ... فتربها وجدا وفرط فعال
ستبل حر جوى ثوى بجوانح ... في الحب ما جنحت الى الابلال
يا شبه نعل المصطفى روحي الفدا ... لحلك الاسما الشريف العالي
هملت لمراك العيون وقد نأى ... ترمي العيان لغير ما المعالي
وتذكرت عهد العقيق فناثرت ... شوقا عقيق المدمع الهطال
وصبت فواصلت الحنين الى الذي ... ما زال بالمنة في بلبال
اذكرتني قدما لها قدم العلا ... والجود والمعروف والافضال
اذكرتني من لم يزل ذكري له ... يعتاد في الابكار والآصال
ولها المفاخر والمآثر في الدنا ... والدين في الاقوال والافعال
لو ان خدي يحتذي نعلا لها ... لبلغت من نيل المنى آمالي
او ان اجفاني لموطئ نعلها ... ارض سمت عزا بذا الاذلال

وما احسن قول ابي الحكم بن المرحل في قصيدة ذكرها

يوصف حبيبي طرز الشعر ناظمه ... وتمم خد الطرس بالنقس راقمه
رؤوف عطوف وسع الناس رحمة ... وجادت عليهم بالنوال غمائمه
له الحسن والاحسان في كل مذهب ... فآثاره محبوبة ومعالمه

به ختم

به ختم الله النبيين كلهم ... وكل فعال صالح فهو خاتمه
احب رسول الله حبا لو انه ... تقاسمه قومي كفتهم قسائمه
كان فؤادي كلما مر ذكره ... من الورق خفاق اصيبت قوادمه
اهيم اذا هبت نواسم ارضه ... فمن لفؤادي ان تهب نواسمه
فانشق مسكا بيننا وكانما ... ولا فجة جاءت به ولطائمه
ومما دعاني والدواعي كثيرة ... الى الشوق ان الشوق مما اكاتمه
مثال لنعلي من احب حذيته ... فها انا في يومي وليلي لاثمه
اجر على راسي ووجهي اديمه ... والثمه طورا وطورا الازمه
امثله في رجل اكرم من مشى ... فتبصره عيني وما انا حالمه
احرك خدي ثم احسب وقعه ... على وجنتي خطوا هناك يداومه
ومن لي بوقع النعل في حر وجنتي ... لماش علت فوق النجوم براجمه
ساجعله فوق الترائب عوذة ... لقلبي لعل القلب يبرد جاحمه
واربطه فوق الشؤون تميمة ... لجفني لعل الجفن يرقا ساجمه
الا بابي تمثال نعل محمد ... لطاب لحاذيه وقدس خادمه
يود هلال الافق لو انه هوى ... يزاحمنا في لثمه ونزاحمه
وما ذاك الا ان حب نبينا ... يقوم باجسام الخليقة لازمه
سلام عليه كلما هبت الصبا ... وغنت باغصان الاراك حمائمه

ولابي بكر بن احمد بن الامام محمد عبد الله بن الحسين القرطبي رحمه الله

ونعل خضعنا هيبة لبهائها ... وانا متى نخضع لها ابدا نعلو
فضعها على اعلى المفارق انها ... حقيقتها تاج وصورتها نعل
باخمص خير الخلق حازت مزية ... على التاج حتى باهت المفرق الرجل
طريق الهدى عنها استنارت لمقتفي ... وان بحار الجود من فيضها حلو
سلونا ولكن عن سواها وانما ... نهيم بمغناها الغريب وما نسلو
فما شاقنا مذ راقنا رسم عزها ... حبيب ولا مال كريم ولا نسل
شفاء لذي سقم رجاء لبائس ... امان لذي خوف كذا يحسب الفضل

واما فراشه عليه الصلوة والسلام فقد كان

صلى الله عليه وسلم اخذ من ذلك بما تدعو ضرورته اليه وترك ما سوى ذلك وفي صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش لامراته والثالث للضيف والرابع للشيطان قال العلماء معناه ما زاد على الحاجة فاتخاذه انما هو للمباهاة والاختيال والالتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم وكل مذموم يضاف للشيطان لانه يرتضيه ويوسوس به ويحسنه وقيل انه على ظاهره وانه اذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت

ومقيل واما تعداد الفراش للزوج والزوجة فلا باس به لانه قد يحتاج كل واحد منهما الى فراش عند المرضى ونحوه • وعن عائشة انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه ادما حشوه ليف رواه الشيخان **وروى** الشيخان من حديثها قالت دخلت على امراة من الانصار فرات فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية فبعثت الى بفراش حشوه الصوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا عائشة فقلت يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت فرات فراشك فبعثت الى بهذا فقال رديه يا عائشة فوالله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة **وعن** عبد الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر فى جنبه الحديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح والطبرانى ولفظه دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى غرفة كانها بيت حمام وهو نائم على حصير قد اثر بجنبه فبكيت فقال ما يبكيك يا عبد الله قلت يا رسول الله كسرى وقيصر يطوؤن على الخز والديباج والحرير وانت نائم على هذا الحصير قد اثر بجنبك فقال فلا تبك يا عبد الله فان لهم الدنيا ولنا الآخرة وقوله كانها بيت حمام بتشديد الميم اى ان فيها من الحر والكرب كما فى بيت الحمام **وعن** ابن عباس قال حدثنى عمر ابن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد اثر فى جنبه واذا انا بقبضة من شعير نحو الصاع واذا اهاب معلق فابتدرت عيناى فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال يا نبى الله وما لى لا ابكى وهذا الحصير قد اثر فى جنبك وهذه خزائنك لا ارى فيها الا ما ارى وذاك كسرى وقيصر فى الثمار والانهار وانت نبى الله وصفوته وهذه خزائنك قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان يكون لنا الآخرة ولهم الدنيا رواه ابن ماجه باسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولفظه قال عمر رضى الله عنه استاذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فى مشربة وانه لمضطجع على خصفة وان بعضه على التراب وتحت راسه وسادة محشوة ليفا وان فوق راسه لاهابا عطينا وفى ناحية المشربة قرظ فسلمت عليه وجلست فقلت انت نبى الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير فقال اولئك عجلت لهم طيباتهم وهى وشيكة الانقطاع وانا قوم اخرت لنا طيباتنا فى آخرتنا **وعن** عائشة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرير مرمل بالبردى عليه كساء اسود وقد حشوناه بالبردى فدخل ابو بكر وعمر عليه فاذا النبى صلى الله عليه وسلم نائم عليه فلما رآهما استوى جالسا فنظرا فاذا اثر السرير فى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ما يؤذيك خشونة ما نرى من فراشك وسريرك وهذا كسرى وقيصر على فرش الحرير والديباج فقال عليه السلام لا تقولوا هذا فان فراش كسرى وقيصر فى النار وفراشى وسريرى هذا عاقبته الى الجنة رواه ابن حبان فى صحيحه **ويروى** انه عليه السلام ما عاب مضجعا قط ان فرش له اضطجع والا اضطجع على الارض وتغطى صلى الله عليه وسلم باللحاف قال عليه السلام ما اتانى جبريل وانا فى لحاف

امراة

امراة منكن غير عائشة •

النوع الثالث فى سيرته عليه السلام فى نكاحه

قد كان صلى الله عليه وسلم يأخذ من الجماع بالاكمل مما يحفظ به الصحة وتتم به اللذة وسرور النفس ويحصل به مقاصده التى وضع لاجلها فان الجماع وضع فى الاصل لثلاثة اشيا هى مقاصده الاصلية • احدها حفظ النسل ودوام النوع الانسانى الى ان تتكامل العدة التى قدر الله تعالى بروزها الى هذا العالم • الثانى قضا الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه هى الفائدة التى فى الجنة اذ لا تناسل هناك ولا احتقان يستفرغه الانزال وفضلا الاطبة يرون ان الجماع من احد اسباب حفظ الصحة لكن لا ينبغى اخراج المنى الا فى طلب النسل او اخراج المحتقن منه فاذا دام احتقانه احدث امراضا ردية منها الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك وقد يبرئ استعماله من هذه الامراض كثيرا فانه اذا طال احتباسه فسد واستحال الى كيفية سمية توجب امراضا ردية قال محمد بن زكريا من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت قوى اعصابه واستد مجاريها وتقلص ذكره قال ورايت جماعة تركوه لنوع من التقشف فبردت ابدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم كآبة بلا سبب وقلت شهواتهم وهضمهم اشار اليه فى زاد المعاد ومن منافعه غض البصر وكف النفس والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمراة فهو ينفع نفسه فى دنياه وآخرته ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتعاهده ويحبه كما فى حديث انس عند الطبرانى فى الاوسط والنسائى فى سننه حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلوة اى لمناجاته فيها ربه تعالى زاد الامام احمد فى الزهد واصبر عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن فمحبة النساء والنكاح من كمال الانسان **هذا خليل الله** ابرهيم امام الحنفا كان عنده سارة اجمل نساء العالمين واحب هاجر وتسرى بها • وذكر سعد بن ابرهيم عن عامر بن سعد عن ابيه قال كان الخليل ابرهيم عليه السلام يزور هاجر فى يوم من الشام على البراق شغفا بها وقلة صبر عنها **وهذا داود** عليه السلام كان عنده تسع وتسعون امراة فاحب تلك المراة وتزوج بها فكمل المائة **وهذا سليمان** ابنه كان يطوف فى الليلة على تسعين امراة **تنبيه** وقع فى الاحيا للغزالى وتفسير آل عمران من الكشاف وكثير من كتب الفقه حبب الى من دنياكم ثلاث وقالوا انه عليه السلام قال ثلاث ولم يذكر الا اثنين الطيب والنساء قالوا ومنه قول الشاعر

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت	مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر والمآ القراح واطلى	بالزعفران فلا ازال مولعا

وذكرها ابن فورك فى جزء مفرد ووجهها واطنب فى ذلك وهو تسمى عندهم طى وهو ان يذكر جمع ثم يؤتى ببعضه ويسكت عن ذكر باقيه • لغرض المتكلم وانشد الزمخشرى عليه

كانت حنيفية ثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها

وفائدة الطي عندهم تكثير ذلك الشي لكن قال ابن القيم وغيره من رواه حبب الي من
دنياكم ثلاث فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث والصلوة ليست من امور الدنيا
التي تضاف اليها انتهى نعم تضاف اليها لكونها ظرفا لوقوعها فقط فهي عبادة محضة
وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في تاريج الكشاف ان لفظ ثلاث لم يقع في شي
من طرقه وزيادته تفسد المعنى وكذا قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي في اماليه وعبارته
ليست هذه اللفظة وهي ثلاث في شي من كتب الحديث وهي مفسدة للمعنى فان الصلوة
ليست من امور الدنيا وكذا صرح به الزركشي وغيره كما حكاه شيخنا في المقاصد الحسنة وقال
ابن الحاج في المدخل انظر الى حكمة قوله عليه السلام حبب ولم يقل احببت وقال الي
من دنياكم فاضافها اليهم دونه عليه السلام فدل على ان حبه كان خاصا بمولاه تبارك وتعالى
وجعلت قرة عيني في الصلوة فكان عليه السلام بشري الظاهر ملكوتي الباطن وكان عليه
السلام لا ياتي الى شي من احوال البشرية الا تانيسا لامته وتشريعا لها لا انه محتاج الى شي
من ذلك الا ترى الى قوله تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول
لكم اني ملك فقال لكم ولم يقل اني ملك فلم ينف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم اضيفي معانيه
عليه السلام لا في ذاته الكريمة اذ انه عليه الصلوة والسلام يلحق بشريته ما يلحق البشر ولهذا
قال سيدي الشيخ ابي الحسن الشاذلي في صفته صلى الله عليه وسلم هو بشر ليس كالابشار كما
الياقوت حجر ليس كالاحجار وهذا منه رحمه الله على سبيل التقريب للفهوم فدل على انه صلى
الله عليه وسلم كان ملكي الباطن ومن كان ملكي الباطن ملك نفسه انتهى **وهنا**
لطيفة روي انه عليه السلام لما قال حبب الي من دنياكم النسا والطيب وجعلت قرة
عيني في الصلوة قال ابو بكر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا النظر الى وجهك وجمع المال
للانفاق عليك والتوسل بقرابتك اليك وقال عمر وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بامر الله وقال عثمان وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا
اشباع الجائع وارواء الظمآن وكسوة العاري وقال علي بن ابي طالب وانا يا رسول الله حبب
الي من الدنيا الصوم في الصيف واقرا الضيف والضرب بين يديك بالسيف قال
الطبري رواه الجندي كذا قال والعهدة عليه **وعن** انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فضلت على الناس باربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش رواه
الطبراني وقال انس كان صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل وهن
احدى عشرة قلت لانس او كان يطيقه قال كنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رواه البخاري
من طريق قتادة قال ابن خزيمة تفرد بذلك معاذ بن هشام عن ابيه ورواه سعيد بن ابي
عروبة وغيره عن قتادة فقالوا تسع نسوة انتهى وكذا رواه البخاري من طريق سعيد بن ابي عروبة
ايضا بلفظ وله يومئذ تسع نسوة وجمع بينهما ابن حبان في صحيحه بان حمل ذلك على حالتين

لكنه

لكنه وهم في قوله ان الاولى كانت في اول قدومه الى المدينة حيث كان تحته تسع نسوة والحالة
الثانية في آخر الامر حيث اجتمع عنده احدى عشرة امراة وموضع الوهم منه انه صلى الله عليه وسلم
لما قدم المدينة لم يكن تحته سوى سودة ثم دخل على عائشة بالمدينة ثم تزوج ام سلمة وحفصة
وزينب بنت خزيمة في السنة الرابعة ثم زينب بنت جحش في الخامسة ثم جويرية في السادسة
ثم صفية وام حبيبة وميمونة في السابعة هولاء جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على
المشهور لكن تحمل رواية هشام على انه ضم مارية وريحانة اليهن واطلق عليهن لفظ نسائه
تغليبا **وعن** طاوس ومجاهد اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابو
سعيد وفي رواية عن مجاهد قوة بضع واربعين رجلا كل رجل من اهل الجنة رواه الحارث بن
ابي اسامة وعند احمد والنسائي وصححه الحاكم من حديث زيد بن ارقم رفعه ان الرجل من اهل
الجنة ليعطى قوة مائة في الاكل والشرب والجماع والشهوة **فان قلت** وطي المراة في نوبة
الاخرى ممنوع والقسم وان لم يكن واجبا عليه على المرجوح لكنه عليه السلام التزمه تطييبا لنفوسهن
واجيب باحتمال اذن صاحبة اليوم له او انه في يوم لم يثبت فيه قسم بعد كيوم من سفر
او اليوم الذي بعد كمال الدورة لانه يستانف القسم فيما بعد او انه من خصائصه صلى الله عليه
وسلم وقد خص في باب النسا كما سياتي ان شا الله تعالى وعن صفوان بن سليم مرفوعا اتاني
جبريل بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابن سعد **ولما**
كان عليه الصلوة والسلام ممن اقدر على القوة في الجماع واعطي الكثير منه ابيح له من عدد الحرائر
ما لم يبح لغيره قال ابن عباس تزوجوا فان افضل هذه الامة اكثرها نسا يشير اليه صلى
الله عليه وسلم وقيده بهذه الامة ليخرج مثل سليمان عليه الصلوة والسلام فانه اكثر نسا
ووقع عند الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تزوجوا فان خيرنا اكثرنا نسا من غيره
مما يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل وقال الحافظ ابو الفضل العسقلاني والذي
يظهر ان مراد ابن عباس بالخير النبي صلى الله عليه وسلم وبالامة اخصا اصحابه وكانه اشار
الى ان ترك التزويج مرجوح اذ لو كان راجحا ما اثره النبي صلى الله عليه وسلم غيره وكان مع كونه
اخشى الناس لله واعلمهم به يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الرجال
ولاظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يستمتع به من القوت غالبا
وان وجد فكان يوثر باكثره ويصوم كثيرا ويواصل ومع ذلك فكان يطوف على نسائه
في الليلة الواحدة ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن وقوة البدن تابعة لما يقوم به من
استعمال المقويات من ماكول ومشروب وهي عنده عليه الصلوة والسلام نادرة او معدومة
وقال بعض العلما لما كان الحر لفضله على العبد يستبيح من النسا اكثر مما يستبيح العبد
وجب ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم لفضله على جميع الامة يستبيح من النسا اكثر مما تستبيحه
الامة قالوا ومن فوائد ذلك كثرة زيادة التكليف في القيام بهن مع تحمل اعبا الرسالة فيكون
ذلك اعظم لمشاقه واكثر لاجره ومنها ان النكاح في حقه عبادة ومنها نقل محاسنه الباطنة

قدومه

فقد تزوج عليه الصلوة والسلام ام حبيبة وكان ابوها في ذلك الوقت عدوه وصفية وقد
قتل اباها وعمها وزوجها فلو لم يطلعن من باطن احواله على انه اكمل خلق الله لكانت الطباع البشرية
تقتضي ميلهن الى آبائهن وقرابتهن فكان في كثرة النسا عنده بيان لمعجزاته وكماله باطنا كما عرف
منه الرجال ظاهرا وقد رغب عليه الصلوة والسلام في النكاح فروى ابو داود والنسائي
من حديث معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم وروى ابن ماجة عن
ابي هريرة رفعه انكحوا فاني مكاثر بكم الامم وهو معنى ما اشتهر على الالسنة تناكحوا تناسلوا فاني
مباهي بكم الامم ولم اقف عليه بهذا اللفظ وارشد عليه الصلوة والسلام من لم يستطع
الباءة الى الصوم لان كثرته تقلل مادة النكاح وتضعف ما يجده المرء من الحرارة القوية التي
تبعثه على النكاح وخص الشباب في قوله يا معشر الشباب لان للشباب من شهوة النكاح ما ليس
لغيرهم وقد ظهر لك ان النكاح اعظم في الاجر والثواب من الصيام فانه صلى الله عليه وسلم
لم يامر اولا بالصيام انما امر به عند عدم الطول الى النكاح واذا كان النكاح ينوي به التناسل
لتكثير هذه الامة المحمدية فهو بلا شك افضل قال عمر بن الخطاب اني لاطا النسا ومالي بهن
حاجة رجا ان يخرج الله من ظهري من يكاثر به محمد الامم يوم القيمة ذكره ابن ابي جمرة وانظر
كون نبينا صلى الله عليه وسلم بالاجماع اعبد الناس مع ما طبعت عليه بشريته من حب الجماع
وكيف لم يخل من عبادته شيئا لانه عليه الصلوة والسلام لم يكن ياتيها الا على مشروعيتها وهذا
هو غاية الكمال في البشرية لانه يرجع ما طبع عليه تابعا لما امر به وقد روي عنه عليه
الصلوة والسلام انه قال لا رهبانية في الاسلام وهي ترك النسا ولو كان تركهن افضل لشرع
ذلك في ديننا اذ هو خير الاديان وقد قال سليمان عليه الصلوة والسلام لاطوفن الليلة على
مائة امراة الحديث رواه البخاري وهذا فيه معجزة لسليمان عليه الصلوة والسلام اذ البشر
عاجز عن الطواف على مائة امراة في ليلة واحدة فاظهر الله تعالى قدرته بان اعطى سليمان عليه
السلام القوة على ذلك فكان فيها معجزة واظهار قدرة وابدا حكمة ردا على من ربط الاشيا
بالعوايد فيقول لا يكون كذا الا من كذا ولا يتولد كذا الا من كذا فالقى الله تعالى في صلب سليمان
عليه السلام ما كان مائة رجل وكان له ثلاثمائة زوجة والف سرية وهذا لا يعطي تفضيل سليمان
عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وسلم اذ سيدنا محمد لم يعط الا ما اربعين رجلا ولم يكن
له الا عشرة نسوة لان مرتبة نبينا عليه الصلوة والسلام في الافضلية لا يساويه فيها احد
وسليمان تمنى ان يكون ملكا فاعطى ذلك واعطى هذه القوة في الجماع لكي يتم له الملك على خرق
العادة من كل الجهات ليمتاز بذلك فكان نساؤه من جنس ملكه الذي لا ينبغي لاحد من بعده
كما طلب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما خير بين ان يكون نبيا ملكا ابى ذلك واختار
ان يكون نبيا عبدا فاعطي من الخصوصية ذلك القدر لكونه عليه الصلوة والسلام اختار
الفقر والعبودية فاعطي الزايد بخرق العادة في النوع الذي اختاره وهو الفقر والعبودية
فكان عليه الصلوة والسلام يربط على بطنه الاحجار من شدة الجوع والمجاهدة وهو على حاله

في

في الجماع لم يبغضه شيئا والناس ابدا اذا اخذهم الجوع والمجاهدة لا يستطيعون ذلك فهو
ابلغ في المعجزة قاله في بهجة النفوس

النوع الرابع في نومه صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم ينام اول الليل ويستيقظ في اول النصف الثاني فيقوم فيستاك
ويتوضأ ولم يكن ياخذ من النوم فوق القدر المحتاج ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه منه
وكان ينام على جنبه الايمن ذاكرا الله تعالى حتى تغلبه عيناه غير ممتلي البدن من الطعام والشراب
لانه عليه الصلوة والسلام كان يحب التيامن في شانه كله وليه نبيه امته لان في الاضطجاع
على الشق الايمن سرا وهو ان القلب معلق في الجانب الايسر فاذا نام الرجل على الجانب الايسر
استثقل نومه لانه يكون في دعة واستراحة فيثقل نومه فاذا نام على الشق الايمن فانه يقلق
ولا يستغرق في النوم لقلق القلب وطلبه مستقره وميله اليه قالوا وكثرة النوم على الجانب
الايسر وان كان اهنا مضر بالقلب بسبب ميل الاعضا اليه فتنصب المواد واما قول الفاضل
في الشفا وكان نومه على الجانب الايمن استظهارا على قلة النوم الخ ففيه شيء لانه عليه
الصلوة والسلام لا ينام قلبه فسوا كان نومه على الجانب الايمن او الايسر فهذا الحكم ثابت
وما علل به انما يستقيم في حق من ينام قلبه وحينئذ فالاحسن تعليله بحب التيامن او
بقصد التعليم كما مر واردى النوم النوم على الظهر ولا يضر الاستلقا عليه للراحة من غير نوم
واردى منه ان ينام منبطحا على وجهه وفي سنن ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم مر
برجل في المسجد منبطحا على وجهه فضربه برجله وقال قم او اقعد فانها نومة جهنمية وكان
عليه الصلوة والسلام ينام على الفراش تارة وعلى النطع تارة وعلى الحصير تارة وعلى الارض تارة
وكان فراشه ادما حشوه ليف وكان له مسح ينام عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا اخذ
مضجعه وضع كفه تحت خده وقال رب قني عذابك يوم تبعث عبادك وفي رواية يوم
تجمع عبادك وقال ابو قتادة كان عليه الصلوة والسلام اذا عرس بليل اضطجع على شقه
الايمن واذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع راسه على كفه وقال ابن عباس كان
عليه الصلوة والسلام اذا اوى الى فراشه قال باسمك اموت واحيى وقالت عايشة كان
يجمع كفيه فينفث فيهما ويقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس
ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ويبدا بهما على راسه ووجهه وما اقبل من جسده
يصنع ذلك ثلاث مرات قال انس كان عليه الصلوة والسلام اذا اوى الى فراشه
قال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافي له ولا موي وروى ذلك
الترمذي وقد كان عليه الصلوة والسلام تنام عينه ولا ينام قلبه رواه البخاري من حديث
عايشة قاله لها عليه الصلوة والسلام لما قالت له اتنام قبل ان توتر وانما كان عليه الصلوة
والسلام لا ينام قلبه لان القلب اذا قويت فيه الحيوة لا ينام اذا نام البدن وكمال هذه الحالة

كان لنبينا صلى الله عليه وسلم ولمن احيى الله قلبه بمحبته واتباع رسوله في ذلك بحسب
نصيبه منها فيستيقظ القلب وغافله كيستيقظ البدن ونائمه والى هذا الذى ذكرته
اشار صاحب المعارف العلية والحقائق السنية سيدى على بن سيدى محمد وفا ه

عيني تنام ولكن قلبي والله لاينام • وكيف ينام عاشق في الحب مستهتم
ناظر الى وجه الحب شاخص على الدوام • اتاه في المعنى رسوم ان يفنى الرسوم
تنام بالحى القيوم • يا سعد من يقوم

وقد جمع العلماء بين هذا الحديث وبين حديث نومه صلى الله عليه وسلم في الوادى عن صلوة الصبح حتى طلعت الشمس وحميت حتى ايقظه عمر رضى الله عنه بالتكبير فقال النووى له جوابان احدهما ان القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث والالم ونحوهما ولا يدرك ما يتعلق بالعين لانها نائمة والقلب يقظان والثانى انه كان له حالان حال كان قلبه لاينام فيه وهو الاغلب وحال ينام فيه قلبه وهو نادر فصادف هذا اى قضية النوم عن الصلوة والصحيح المعتمد هو الاول والثانى ضعيف قال في فتح البارى وهو كما قال ولا يقال القلب وان كان لايدرك ما يتعلق بالعين من رؤية الفجر مثلا لكنه يدرك اذا كان يقظانا مرور الوقت الطويل فان من ابتداء طلوع الفجر مثلا الى ان حميت الشمس مدة طويلة لاتخفى على من لم يكن مستغرقا لانا نقول يحتمل ان يقال كان قلبه صلى الله عليه وسلم اذ ذاك مستغرقا بالوحى ولا يلزم مع ذلك وصفه بالنوم كما كان يستغرق صلى الله عليه وسلم حالة القاء الوحى في اليقظة وتكون الحكمة في ذلك بيان التشريع بالفعل لانه اوقع في النفس كما في قضية سهوه في الصلوة وقريب من هذا جواب ابن المنير ان القلب يحصل له السهو في اليقظة لمصلحة التشريع ففى النوم بطريق الاولى وعلى السواء وقال ابن العربى في القبس للنبى صلى الله عليه وسلم كيفما اختلف حاله من نوم او يقظة في حق وتحقيق ومع الملائكة في كل طريق ان نسى فبالكد من المنشئ اشتغل وان نام فبقلبه ونفسه على الله اقبل وبهذا قالت الصحابة كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لانوقظه حتى يستيقظ لانا لاندرى ما هو فيه فنومه عن الصلوة او نسيانه شيئا منها لم يكن عن آفة وانما كان بالتصرف من حالة الى حالة مثلها لتكون لنا سنة انتهى وقد اجيب عن اصل الاستشكال باجوبة اخرى ضعيفة منها ان معنى قوله لاينام قلبى اى لايخفى عليه حالة انتقاض وضوئه ومنها ان معناه لايستغرقه النوم حتى يوجد منه الحدث وهذا قريب من الذى قبله قال ابن دقيق العيد كان قائل هذا اراد تخصيص يقظة القلب بادراك حالة الانتقاض وذلك بعيد وذلك ان قوله صلى الله عليه وسلم ان عينى تنام ولاينام قلبى خرج جوابا عن قول عائشة اتنام قبل ان توتر وهذا كلام لاتعلق له بانتقاض الطهارة الذى تكلموا فيه وانما هو جواب يتعلق بامر الوتر فيحمل يقظته على تعلق القلب باليقظة للوتر وفرق بين من شرع في النوم

مطمئن

مطمئن القلب وبين من شرع فيه متعلقا باليقظة قال وعلى هذا فلا تعارض ولا اشكال في حديث النوم حتى طلعت الشمس لانه يحمل انه اطمأن في نومه لما اوجبه تعب السير معتمدا على من وكله بصلوة الفجر انتهى ومحصله تخصيص اليقظة المفهومة من قوله ولاينام قلبى بادراكه وقت الوتر ادراكا معنويا لتعلقه به وان نومه في حديث الباب كان نوما مستغرقا ويؤيده قول بلال اخذ بنفسى الذى اخذ بنفسك كما في حديث ابى هريرة عند مسلم ولم ينكر عليه ومعلوم ان نوم بلال كان مستغرقا وقد اعترض عليه بان ما قاله يقتضى اعتبار خصوص السبب واجاب بانه يعتبر اذا قامت عليه قرينة وارشد اليها السياق وهو هنا كذلك ومن الاجوبة الضعيفة ايضا قول من قال كان قلبه يقظانا وعلم بخروج الوقت لكن ترك اعلامهم بذلك لمصلحة التشريع والله تعالى اعلم انتهى ه

الفصل الرابع

في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما اختص به من خصائص آياته وبدائع كراماته

وفيه فصلان

الاول في معجزاته

اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم والرسول العظيم سلك الله بى وبك مناهج سنته ولما بنا على محبته بمنه ورحمته ان المعجزة هى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى الدال على صدق الانبياء عليهم الصلوة والسلام وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها فعلم ان لها شروطا احدها ان تكون خارقة للعادة كانشقاق القمر وانفجار الماء من بين اصابعه وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة واعدام جبل فخرج غير الخارق للعادة كطلوع الشمس كل يوم الثانى ان تكون مقرونة بالتحدى وهو طلب المعارضة والمقابلة قال الجوهرى يقال تحديت فلانا اذا باريته في فعل ونازعته للغلبة وفي القاموس نحوه وفي الاساس حدا يحدو وهو حادى الابل واحتدى يحتدى حدا اذا غنا ومن المجاز تحدى اقرانه اذا باراهم ونازعهم للغلبة واصله الحدا يتبارى فيه الحاديان ويتعارضان فيتحدى كل واحد منهما صاحبه اى يطلب حداه كما يقال توفاه بمعنى استوفاه وفي بعض الحواشى الموثوق بها كانوا عند الحدو يقوم حاد عن يمين القطار وحاد عن يساره يتحدى كل واحد منهما صاحبه بمعنى يستحديه اى يطلب منه حداه ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل مباراة انتهى من حاشية الطيبى قال الكشاف وقال المحققون التحدى الدعوة للرسالة انتهى والشرط الثالث من شروط المعجزة ان لا ياتى احد بمثل ما اتى به المتحدى على وجه المعارضة وعبر عنه بعضهم بقوله دعوى الرسالة مع امن المعارضة وهو احسن من التعبير بعدم المعارضة لانه لايلزم من عدم المعارضة امتناعها والشرط انما هو عدم امكانها وقد خرج بقيد التحدى الخارق من غير تحد وهو الكرامة

للولي وبالمقارنة الخارق المتقدم على التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين
لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل دعوى الرسالة وكلام عيسى في المهد وما شابه ذلك مما
وقع من الخوارق قبل دعوى الرسالة فانها ليست بمعجزات انما هي كرامات ظهورها على
الاولياء جائز والانبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الاولياء فيجوز ظهورها
عليهم ايضا وحينئذ يسمى ارهاصا اي تاسيسا للنبوة كما صرح به العلامة السيد الجرجاني
في شرح المواقف وغيره وهو مذهب جمهور ائمة الاصول وغيرهم وخرج ايضا بقيد المقارنة
التاخر عن التحدي بما يخرج عن المقارنة العرفية نحو ما روي بعد وفاته صلى الله عليه
وسلم من نطق بعض الموتى بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الاخبار وخرج ايضا
بالمقارنة السحر المقرون بالتحدي فانه يمكن معارضته بالاتيان بمثله من المرسل اليهم
واختلف هل السحر قلب الاعيان واحالة الطبائع ام لا فقال بالاول قائلون حتى
جوزوا للساحر ان يقلب الانسان حمارا وذهب آخرون الى ان احدا لا يقدر على قلب
عين ولا احالة طبيعة الا الله تعالى لانبيائه وان الساحر والصالح لا يقلبان عينا
قالوا ولو جوزنا للساحر ما جاز للنبي فاي فرق عندكم بينهما فان لجأتم الى ما ذكره القاضي
العلامة ابو بكر الباقلاني من الفرق بالتحدي فقط قيل لكم هذا باطل من وجوه احدها
ان اشتراط التحدي قول لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة ولا من قول صاحب ولا اجماع
وما تعرى من البرهان فهو باطل الثاني ان اكثر آياته صلى الله عليه وسلم واعمها واغلبها
كان بلا تحدي كنطق الحصا ونبع الماء ونطق الجذع واطعامه المئين من صاع وتفله في العين
وتكليم الذراع وشكوى البعير وكذا سائر معجزاته العظام ولعله لم يتحد بغير القرآن وتمني
الموت قالوا فانا نقول لا ينبغي من الآيات ما يسمى معجزة الا هذين الشيئين ويلغي معجزات
كالبحر المتقاذف بالامواج ومن قال ان هذه ليست معجزات ولا آيات فهو الى الكفر اقرب منه
الى البدعة قالوا وقد كان عليه الصلوة والسلام يقول عند ورود كل آية من هذه الآيات
اشهد اني رسول الله كما قال ذلك عند تخففهم مصداقا لقوله في الاخبار عن الذي انكى في المشركين
قتلا في المعركة انه من اهل النار فقتل نفسه بحضرة ذلك الذي تبعه من المسلمين قالوا
والوجه الثالث وهو الدافع لهذا القول قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم
آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون وقال تعالى
وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون فسمى الله تلك المعجزات التي للانبياء
آيات ولم يشترط تحديا من غيره فصح ان اشتراط التحدي باطل فهو انتهى ملخصا من تفسير
ابي امامة النقاش واجيب بانه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان
بالمثل الذي هو المعنى الاصلي للتحدي بل يكفي التحدي دعوى الرسالة والله اعلم الرابع
من شروط المعجزة ان تقع على وفق دعوى المتحدي بها فلو قال مدعي الرسالة آية نبوتي ان
تنطق يدي او هذه الدابة فنطقت يده او الدابة بتكذيبه فقالت كذب وليس هو بنبي فان الكلام

الذي

الذي خلقه الله تعالى دال على كذب المدعي لان ما فعله الله تعالى لم يقع على وفق دعواه كما
يروى ان مسيلمة الكذاب لعنه الله تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت وذهب ما فيها من الماء
فمتى اختل شرط من هذه لم تكن معجزة ولا يقال لقضيتنا ما قلتم ان ما توفرت فيه الشروط الاربعة
من المعجزات لا يظهر الا على ايدي الصادقين وليس كذلك لان المسيح الدجال يظهر على يديه
من الآيات العظام ما هو مشهور كما وردت به الاخبار الصحيحة لان ما ذكر فيمن يدعي الرسالة
وهو يدعي الربوبية وقد قام الدليل العقلي على ان بعثة بعض الخلق غير مستحيلة فلم يبعد
ان يقيم الله تعالى الادلة على صدق مخلوق في عنه بالشرع والملة ودلت القواطع على كذب
المسيح الدجال فيما يدعيه للتغير من حال الى حال وغير ذلك من الاوصاف التي لا تليق بالجهة
ويتعالى عنها رب البريات ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فان قلت اي الاسمين
احق واولى بما اثبت للانبياء هل لفظ المعجزة او لفظ الآية او الدليل فالجواب ان
كبار الائمة يسمون معجزات الانبياء دلائل النبوة وآيات النبوة ولم يرد ايضا في القرآن
لفظ المعجزة بل ولا في السنة ايضا وانما فيهما لفظ الآية والبينة والبرهان كما في قصة موسى
فذانك برهانان من ربك في العصا واليد وفي حق نبينا عليه السلام قد جاءكم برهان
من ربكم واما لفظ الآيات فكثير بل هو اكثر من ان نسرده هنا كقوله تعالى واذا جاءتهم
آية وان في ذلك لآيات واما لفظ المعجز اذا اطلق فانه لا يدل على كون ذلك آية الا اذا
فسر المراد به وذكرت شرائطه وقد كان كثير من اهل الكلام لا يسمي معجزا الا ما كان للانبياء
فقط ومن اثبت للانبياء خوارق عادات سماها كرامات والسلف كانوا يسمون هذا وهذا
معجزا كالامام احمد وغيره بخلاف ما كان آية وبرهانا على نبوة النبي فان هذا يجب اختصاصه
به وقد يسمون الكرامات آيات لكونها تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولي فان الدليل
مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان آية وبرهانا انتهى
واذا علمت هذا فاعلم ان دلائل نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار
بظهور معجزاته شهيرة فمن دلائل نبوته ما وجد في التورية والانجيل وسائر كتب الله المنزلة
من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب وما خرج بين يدي ايام مولده ومبعثه من الامور
الغريبة العجيبة القادحة في سلطان الكفر الموهنة لكلمتهم المؤيدة لشأن العرب المنوهة
بذكرهم كقصة الفيل وما احل الله تعالى باصحابه من العقوبة والنكال
وخمود نار فارس وسقوط شرافات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة ورؤيا الموبذان
وما سمع من الهواتف الصارخة بنعوته واوصافه وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها
لوجهها من غير دافع لها من امكنتها الى سائر ما روي ونقل في الاخبار المشهورة من ظهور
العجائب في ولادته وايام حضانته وبعدها الى ان بعثه الله نبيا ولم يكن له صلى الله عليه
وسلم ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة ليقهر بها الرجال ولا اعوان على الراي
الذي اظهره والدين الذي دعا اليه وكانوا يجتمعون على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام

مقيمين على عادة الجاهلية في العصبية والحمية والتعادي والتباغي وسفك الدما وشن
الغارات لا يجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوافعالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة
ولا اثم فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآرا وتناصرت
القلوب وترادفت الايدي فصاروا البا واحدا في نصرته وعنقا واحدا اليه طلعته وهجروا
بلادهم واوطانهم وجفوا قومهم وعشايرهم في محبته وبذلوا مهجهم وارواحهم
في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز كلمته بلا دنيا بسطها لهم ولا اموال
افاضها عليهم ولا عرض في العاجل اطمعهم في نيله يرجونه او ملك وشرف في الدنيا يحوزونه
بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل
يلتئم مثل هذه الامور ويتفق مجموعها لاحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي
والتدبير الفكري لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الامور ما يرتاب عاقل في شي من
ذلك وانما هو امر الهي وشي غالب سماوي ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر
ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ومن دلايل نبوته
انه كان عليه السلام اميا لا يخط كتابا بيده ولا يقروه ولد في قوم اميين ونشا بين اظهرهم
في بلد ليس بها عالم يعرف اخبار الماضين ولم يخرج في سفر ضاربا الى عالم فيعكف عليه
فجاءهم باخبار التورية والانجيل والامم الماضية وقد كانت ذهبت معالم تلك الكتب
ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها واهل المعرفة بصحيحها وسقيمها
الا القليل ثم حاج كل فريق من اهل الملل المخالفة له بما لو احتشد له حذاق المتكلمين
وجهابذة النقاد المتقنين لم يتهيا له بعض ذلك وهذا ادل شي على ان ما جاء من عند الله
ومن ذلك القران العظيم فقد تحدى بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته
والاتيان بسورة من مثله فنكلوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشي منه قال بعض العلما
ان الذي اورده عليه السلام على العرب من الكلام الذي اعجزهم عن الاتيان بمثله اعجب في الآية
واوضح في الدلالة من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص لانه اتى اهل البلاغة وارباب الفصاحة
ورؤسا البيان والمتقدمين في اللسن بكلام مفهوم المعنى عندهم وكان عجزهم عنه اعجب
من عجز من شاهد المسيح عند احيا الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابرا الاكمه والابرص
ولا يتعاطون علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدل على ان العجز
عنه انما كان ليصير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح وقال
ابو سليمان الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم من عقلاء الرجال عند اهل زمانه بل هو
اعقل خلق الله تعالى على الاطلاق وقد قطع القول فيما اخبر به عن ربه تعالى بانهم لا ياتون
بمثل ما تحداهم به فقال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه بان ذلك من عند الله علام
الغيوب وانه لا يقع فيما اخبر عنه خلف والا لم ياذن له عقله ان يقطع القول في شي بانه لا يكون
وهو يكون انتهى وهذا من احسن ما يقال في هذا المجال وابدعه واحكمه وابينه فانه نادى بالعجز

قبل المعارضة وبالتقصير عن بلوغ الغرض في المناقضة صار ذكرهم على رؤس الاشهاد فلم
يستطع احد منهم الالمام به مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد فقال لو كان بما القى اليهم علينا
خبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا فرضيت هممهم السنية وانفسهم الشريفة الابية بسفك الدما وهتك الحريم
وقد ورد من الاخبار في قراة النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل عليه على المشركين
الذين كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم باعجازه جمل كثيرة فمنها ما روي عن
محمد بن كعب قال حدثت ان عتبة بن ابي ربيعة قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر قريش الا اقوم الى هذا فاعرض
عليه امورا لعله ان يقبل منا بعضها ويكف عنا قالوا بلى يا ابا الوليد فقام عتبة حتى جلس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض عليه من المال
وغير ذلك فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال
فاسمع مني قال افعل فقال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن
الرحيم حتى بلغ قرانا عربيا فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقروها عليه فلما سمعها
عتبة انصت لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت يا ابا الوليد قال سمعت فانت
وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير
الوجه الذي ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراك يا ابا الوليد قال اني والله قد سمعت
قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني
خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبا قال فاجابني
بشي والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة قرا بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
حتى بلغ فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت فمه وناشدته الرحم ان
يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب رواه البيهقي
وغيره وفي حديث اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر
من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجا
الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد
سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقرا الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان
احد بعدي انه لشعر وانه لصادق وانهم لكاذبون رواه مسلم والبيهقي وعن عكرمة
في قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرا
علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى الى اخر الآية قال اعد
فاعاد صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وما يقول هذا بشر قال لقومه والله ما فيكم رجل اعلم بالاشعار مني

ولا اعلم برجزه ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا والله ان لقوله الذي يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو وما يعلى وفي خبر الآخرين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضهم بعضا فقالوا نقول هو كاهن قال والله ما هو بكاهن قال بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا بوسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم قائلون من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل رواه ابن اسحاق والبيهقي واخرج ابو نعيم من طريق ابن اسحاق حدثني اسحاق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال لما اسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه اخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال ما احسن هذا واجمله وكل كلامه مثل هذا قال يا أبت واحسن من هذا وقال بعضهم ان هذا القرآن لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله وان البشر لا قدرة لهم على تأليف مثله فكيف اذا جاء على يد اصدق الخلق وابرهم واتقاهم وقال انه كلام الله تحدى الخلق كلهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك فيه انتهى واعلم ان وجوه اعجاز القرآن لا تنحصر لكن قال بعضهم انه قد اختلف العلماء في اعجازه على ستة اوجه احدها ان وجه اعجازه هو الايجاز والبلاغة مثل قوله ولكم في القصاص حياة فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة احرف معاني كلام كثير وحكى ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وقال الاصمعي انه رأى جارية خماسية او سداسية وهي تقول استغفر الله من ذنوبي كلها فقلت لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت

استغفر الله لذنبي كله	قتلت انسانا بغير حله
مثل غزال ناعم في دله	انتصف الليل ولم اصله

فقلت لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وحكى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا هو برجل قائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم من احوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية وقد

رام

رام قوم من اهل الزيغ والالحاد او نواظر فارغة من البلاغة وحظ من البيان ان يضعوا شيئا يلبسون به فلما وجدوا مكان العجز من بين المتناول مالوا الى السور القصار كسورة الكوثر والنصر واشباههما لوقوع الشبهة على الجهال فيما قل عدد حروفه لان العجز انما يقع في التأليف والاتصال وممن رام ذلك من العرب في التشبيه بالسور القصار مسيلمة الكذاب فقال يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين فلما سمع ابو بكر رضي الله عنه هذا قال انه لكلام لم يخرج من ال قال ابن الاثير يعني من ربوبية والال بالكسر هو الله تعالى وقيل الال الاصل الجيد اي لم يجئ من الاصل الذي جاء منه القرآن ولما سمع مسيلمة عليه اللعنة والنازعات قال والمبذرات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر الى غير ذلك من الهذيان مما ذكرت في الوفود من المقصد الثاني بعضه والله تعالى اعلم وقال آخر في التركيب فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف واحشا وقال آخر الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وبيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل ففي هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة ما لا اخفاء به على من لا يعلم فضلا عمن يعلم والثاني ان اعجازه هو الوصف الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون الفاظه وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة في نثرهم ونظمهم ولذلك تحيرت عقولهم وتدلهت احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم فلا ريب انه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه وفي بلاغته قد اصاب المعاني بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر وبرهانه الباهر ما رام معارضته شقي الا تهافت تهافت الفراش في الشهاب وذل ذل النقد حول الليوث الغضاب وقد حكي عن غير واحد ممن تصدى لذلك انه اعترته روعة وهيبة كفته عن ذلك كما حكي عن يحيى بن حكيم الغزالي بتخفيف الزاي وكان بليغ الاندلس في زمانه انه قد رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها فاعترته منه خشية ورقة حملته على التوبة والانابة وحكي ايضا ان ابن المقفع وكان افصح اهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرأ في مكتب قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي الآية فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر ولله در العارف سيدي محمد وفا حيث قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن العظيم

له آية الفرقان في عين جمعه	جوامع آياته بها اتضح الرشد
حديث ينزه عن حدوث منزه	قديم صفات الذات ليس له ضد

بلاغ بليغ للبلاغة معجز … له معجزات لا يعدّ لها عدّ

تحلّت بروح الوحي حلة نسجه … عقود اعتقاد لا يحلّ لها عقد

وغاية ارباب البلاغة عجزهم … لديه وان كانوا هم الالسن اللدّ

فما قالهم بالافواه اعياه عيّه … بصدّ وللاسماع عن غيّه صدّ

فلله اقوال باهاجر هجرها … هوانا بها الورهاء والبهم البلد

تلاها فتل الغحش في الفتح … وعن زينها الالباب نزهها الزهد

لقد فرق الفرقان شمل فريقه … بجمع رسول الله واستعلن الرشد

اتى بالهدى صلى عليه اله … ولم يلهه بالاهوا اذ جاءه الجدّ

والثالث ان وجه اعجازه هو ان قاريه لا يملّه وسامعه لا يمجّه بل الاكباب على تلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وطلاوة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام وان بلغ في الحسن ما بلغ يملّ مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء فلا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد ذكره القاضي عياض **والرابع** ان وجه اعجازه هو ما فيه من الاخبار بما كان مما علموه او لم يعلموه فاذا سالوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه كالذي حكاه من قصة اهل الكهف وشان موسى والخضر عليهما السلام وحال ذي القرنين وقصص الانبياء مع اممها والقرون الماضية في دهرها **والخامس** ان وجه اعجازه هو ما فيه من علم الغيب والاخبار بما يكون فيوجد على صحته وصدقه مثل قوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم قال ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فما تمناه احد منهم ومثل قوله لقريش فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقطع بانهم لا يفعلوا فلم يفعلوا وتعقب بان الغيوب التي اشتمل عليها القرآن وقع بعضها في زمنه صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وبعضها بعده كقوله تعالى الم غلبت الروم فلو كان كما قالوا لنازعوا وقع المتوقع وبان الاخبار عن الغيب جاء في بعض سور القرآن واكتفى منهم بمعارضة سورة غير معينة فلو كان كذلك لعارضوه بغير ما فيه سورة لا غيب فيها **والسادس** ان وجه اعجازه هو كونه جامعا لعلوم كثيرة لم يتعاط العرب الكلام فيها ولا يحيط بها من علماء الامم واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب بين الله فيه خبر الاولين والآخرين وحكم المختلفين وثواب المطيعين وعقاب العاصين **فهذه** ستة اوجه يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا فاذا جمعها القرآن فليس اختصاص احدها بان يكون معجزا باولى من

بغيره

غيره فيكون الاعجاز بجميعها وقد قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله فلم يقدر احد ان ياتي بمثل القرآن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده على نظمه وتاليفه وعذوبة منطقه وصحة معانيه وما فيه من الامثال والاشياء التي دلت على البعث وآياته والانبا بما كان وما يكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدما وصلة الارحام الى غير ذلك فكيف يقدر على ذلك احد وقد عجزت عنه العرب الفصحا والخطبا والبلغا والشعرا الفهما في قريش وغيرها وهو صلى الله عليه وسلم في مدة ما عرفوه قبل نبوته واذا رسالته اربعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا يتعلم سحرا ولا ينشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروي اثرا حتى اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاجهم به قال الله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون وشهد له في كتابه بذلك فقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون

واما ما عدا القرآن من معجزاته عليه الصلوة والسلام كنبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد **فمنه** ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالا على صدقه من غير سبق التحدي ومجموع ذلك يفيد القطع بانه ظهر على يده صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات شيء كثير كما يقطع بوجود جود حاتم وشجاعة علي وان كانت افراد ذلك ظنية وردت موارد الآحاد مع ان كثيرا من المعجزات النبوية قد اشتهر ورواه العدد الكثير والجم الغفير وافاد الكثير منه القطع عند اهل العلم بالآثار والعناية بالسير والاخبار وان لم يصل عند غيرهم الى هذه الرتبة لعدم عنايتهم بذلك فلو ادعى مدع ان غالب هذه الوقائع مفيد للقطع النظري لما كان مستبعدا وذلك انه لا مرية ان رواة الاخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الاخبار في الجملة ولا يحفظ عن احد من الصحابة مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا الانكار عليه فيما هنالك فيكون الساكت منهم كالناطق لان مجموعهم محفوظ من الاغضا على الباطل وعلى تقدير ان يوجد من بعضهم انكار او طعن على بعض من روى شيا من ذلك فانما هو من جهة توقف في صدق الراوي او تهمته بكذب او توقف في ضبطه او نسبته الى سوء الحفظ او جواز الغلط ولا يوجد احد منهم طعن في المروي كما وجدناهم في غير هذا الفن من الاحكام وحروف القرآن ونحو ذلك والله اعلم **وانت اذا تاملت** معجزاته وباهر آياته وكراماته عليه الصلوة والسلام وجدتها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمايع والجامد والسابق واللاحق والغايب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والآجل الى غير ذلك مما لو اعيد لطال كالرمي بالشهب الثواقب ومنع الشياطين من استراق السمع في الغياهب وتسليم الحجر والشجر عليه وشهادتها له بالرسالة بين يديه ومخاطبتها له بالسيادة وحنين الجذع ونبع الماء من كفه في الميضاة والنور والزيادة وانشقاق القمر

وردّ العين من العور ونطق البعير والذئب والجمل وكالنور المتوارث من آدم الى
جبهة ابيه من الازل وما سوى ذلك من المعجزات التى تداولها الجملة ونقلها عن السنة
الاول النقلة مما لو اعملنا انفسنا فى حصرها لفنى المدا فى ذكرها ولو بالغ الاولون
والآخرون فى احصا مناقبه لعجزوا عن استقصا ما حباه الكريم به من مواهبه ولكان الملم
بساحل بحرها مقصرا عن حصر بعض فخرها **ولقد صح** لحبيبه ان ينشد وافيه
وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
وانه لخليق بمن ينشد

فما بلغت كف امرى متناولا … من المجد الا والذى نال اطول
وما بلغ المهدون فى القول حقه … ولو حذقوا الا الذى فيه افضل

ولله در امام العارفين سيدى محمد وفا فلقد كفا وشفا بقوله
ما شئت قل فيه فانت مصدق … فالحب يقضى والمحاسن تشهد
ولقد ابدع الامام الاديب شرف الدين الابوصيرى حيث قال

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم … واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب الى ذاته ما شئت من شرف … وانسب الى قدره ما شئت من عظم
فان فضل رسول الله ليس له … حد فيعرب عنه ناطق بفم

يعنى ان المداح وان انتهوا الى اقصى الغايات والنهايات لا يصلون الى ثناو اذ لا حد له
ويحكى انه روى الشيخ عمر بن الفارض السعدى فى النوم فقيل له لم لا مدحت النبى
صلى الله عليه وسلم فقال

ارى كل مدح فى النبى مقصرا … وان بالغ المثنى عليه واكثرا
اذا الله اثنى بالذى هو اهله … عليه فما مقدار ما يمدح الورى

قال الشيخ بدر الدين الزركشى ولهذا لم يتعاط فحول الشعرا المتقدمين كابى تمام
والبحترى وابن الرومى مدحه صلى الله عليه وسلم وكان مدحه عندهم من اصعب ما يحاولونه
فان المعانى عندهم دون مرتبته والاوصاف دون وصفه وكل غلو فى حقه تقصير فيضيق
على البليغ مجال النظم **وعند** التحقيق اذا اعتبرت جميع الامداح التى فيها غلو بالنسبة
الى من قرضت له وجدتها صادقة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم حتى كان الشعرا فى صفاته
عليه السلام كانوا يعتمدون والى مداحه كانوا يقصدون وقد اشار الابوصيرى بقوله
دع ما ادعته النصارى اى ما اطرت النصارى به عيسى من تخاذه الها **قال**
النيسابورى انهم صحفوا فى الانجيل عيسى نبيى وانا ولدته فحرفوا الاول بتقديم الباء الموحدة
وخففوا اللام فى الثانى فلعنة الله على الكاذبين **فان قلت** هل ادعى احد فى
نبينا عليه السلام ما ادعى فى عيسى **اجيب** بانهم قد كادوا ان يفعلوا ذلك
حين قالوا له عليه السلام افلا نسجد لك فقال لو كنت آمرا احدا ان يسجد لبشر لامرت المراة

ان تسجد لزوجها فنهاهم عما عساه يبلغ بهم من العبادة **وقد جا** فى صفته فى حديث
ابن ابى هالة ولا يقبل الثنا الا من مكافى اى مقارب فى مدحه غير مفرط فيه **وقال**
ابن قتيبة معناه الا ان يكون ممن له عليه صلى الله عليه وسلم منة فيكافيه بالآخر **وغلط**
ابن الانبارى بانه لا ينفك احد من انعام رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله عز
وجل بعثه رحمة للعالمين فالثنا عليه فرض عليهم لا يتم الاسلام الا به **قال** وانما
المعنى لا يقبل الثنا الا من رجل عرف حقيقة اسلامه **ثم ان** حاصل معجزاته وباهر
اياته وكراماته كما نبه عليه القطب القسطلانى يرجع الى ثلاثة اقسام ما مضى وجد
قبل كونه فقضى بمجده ومستقبل وقع بعد موته فى لحده وكائن معه من حين
حمله ووضعه الى ان نقله الله الى محل فضله وموطن جمعه **فاما** القسم الاول الماضى
وهو ما كان قبل ظهوره الى هذا الوجود فقد ذكرت منه جملة فى المقصد الاول كقصة
الفيل وغير ذلك مما هو تاسيس لنبوته وارهاص لرسالته **قال** الامام الرازى
ومذهبنا انه يجوز تقديم المعجزة تاسيسا وارهاصا قال ولذلك قالوا كانت الغمامة
تظله يعنى فى سفره قبل النبوة خلافا للمعتزلة القائلين بانه لا يجوز ان تكون المعجزة
قبل الارسال انتهى وقد تقدم اول هذا المقصد ان الذى عليه جمهور ايمة الاصول
وغيرهم ان هذا ونحوه مما هو متقدم على الدعوى لا يسمى معجزة بل تاسيسا للرسالة
وكرامة للرسول عليه الصلوة والسلام **واما** القسم الثانى وهو ما وقع بعد وفاته
صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذ فى كل حين يقع لخواص امته من خوارق العادات
بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى كالاستغاثة به وغير ذلك مما سيأتى
فى المقصد الاخير فى اثنا الكلام على زيارة قبره الشريف المنير **واما** القسم الثالث
وهو ما كان معه من حين ولادته الى وفاته كالنور الذى خرج معه اضا له قصور
الشام واسواقها حتى رؤيت اعناق الابل ببصرى ومسح الطائر على فواده حتى لم يجد
الما لولادته والطواف به فى الآفاق الى غير ذلك وكانشقاق القمر عند اقتراحه عليه
وانضمام الشجرتين لما دعاهما اليه وكاطعام الجيش الكثير من الزاد اليسير فى عدة من
المواضع واستيلا النجائع وغير ذلك مما امده الله تعالى به من المعجزات واكرمه به من
خوارق العادات تاييدا لاقامة حجته وتمهيدا لهداية محجته وتاييدا لسيادته فى
امته وتسديدا لمن ادكر بعد امته مما تتبعه يخرج عن مقصود الاختصار اذ هو باب
فسيح المجال منيع المنال **لكنى انبه** من ذلك على نبذة يسيرة
وانوع فى اثنائها بجملة خطيرة **فاقول** وما توفيقى الا بالله عليه واليه انيب
اما معجزة انشقاق القمر فقد قال تعالى فى كتابه العزيز اقتربت الساعة
وانشق القمر الآية والمراد وقوع انشقاقه ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك وان يروا
آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فان ذلك ظاهر فى ان قوله انشق وقع انشقاقه لان

الكفار لا يقولون ذلك يوم القيمة واذا تبين ان قولهم ذلك انما هو في الدنيا تبين
وقوع الانشقاق وان المراد بالآية التي زعموا انها سحر وسبانى ذلك صريحا في حديث
ابن مسعود وغيره **واعلم** ان القمر لم ينشق لاحد غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو
من امهات معجزاته عليه الصلوة والسلام وقد اجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه
لاجله صلى الله عليه وسلم فان كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه طلبوا منه آية تدل
على صدقه في دعواه فاعطاه الله تعالى هذه الآية العظيمة التي لا قدرة للبشر على
ايجادها لا لدلالة على صدقه عليه الصلوة والسلام في دعواه الوحدانية لله تعالى وانه
منفرد بالربوبية وان هذه الآلهة التي يعبدونها باطلة لا تنفع ولا تضر وان العبادة
لا تكون الا لله وحده لا شريك له **قال** الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها
شيء من آيات الانبيا وذلك انه ظهر في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا
العالم المركب من الطباع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به
اظهر انتهى **وقال** ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني حديث انشقاق القمر
عن جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عن امثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم
الغفير الى ان انتهى الينا وتايد بالآية الكريمة انتهى **وقال** العلامة ابن السبكي في
شرحه لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندي ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن
مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق من حديث شعبة عن سليمان عن ابي معمر عن ابن
مسعود ثم قال وله طرق شتى بحيث لا يمترى في تواتره انتهى **وقد جاء** في احاديث
الانشقاق في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم انس وابن مسعود وابن عباس
وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم **فاما** انس وابن عباس فلم يحضرا ذلك
لانه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين وكان ابن عباس اذ ذاك لم يولد **واما** انس
فكان ابن اربع سنين او خمس بالمدينة **واما** غيرهما فيمكن ان يكون شاهد ذلك
ففي الصحيحين من حديث انس رضي الله عنه ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وقوله
شقتين بكسر الشين المعجمة اي نصفين **ومن حديث** مسعود قال انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا **وفي** الترمذي من حديث ابن عمر في قوله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين
فلقة دون الجبل وفلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وعند الامام احمد من حديث جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا
ان كان سحرنا فانه لا يستطيع ان يسحر الناس **وعن** عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على

عهد

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن ابي كبشة قال فقالوا
انظروا ما ياتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار
فاخبروهم بذلك رواه ابو داود والطيالسي ورواه البيهقي بلفظ انشق القمر بمكة
فقالوا سحركم ابن ابي كبشة فاسألوا السفار فان كانوا راوا ما رايتم فقد صدق
وان لم يكونوا راوا ما رايتم فهو سحر فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا راينا
وعند ابي نعيم في الدلائل من حديث ضعيف عن ابن عباس قال لما اجتمع المشركون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل والعاص بن وائل
والاسود بن عبد المطلب والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فسأل ربه فانشق **وعند البخاري**
مختصرا من حديث ابن عباس بلفظ ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابن عباس وان كان لم يشاهد القصة كما قدمته ففي بعض طرقه انه حمل الحديث عن ابن
مسعود **وعند** مسلم من حديث شعبة عن قتادة بلفظ فاراه انشقاق القمر مرتين
وكذا في مصنف عبد الرزاق عن معمر بلفظ مرتين ايضا واتفق الشيخان عليه من رواية
شعبة عن قتادة بلفظ فرقتين كما في حديث جبير عن احمد **وفي حديث** ابن عمر فلقتين
باللام كما قدمته **وفي** لفظ من حديث جبير فانشق اثنتين **وفي رواية** عن ابن عباس
عند ابي نعيم في الدلائل فصار قمرين **ووقع** في نظم السيرة للحافظ ابي الفضل
العراقي وانشق مرتين بالاجماع **قال** الحافظ ابن حجر واظن قوله بالاجماع يتعلق
بانشق لا بمرتين فاني لا اعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى الله
عليه وسلم ولعل قائل مرتين اراد فرقتين وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات
وقد وقع في رواية البخاري من حديث ابن مسعود ونحن بمنى وهذا لا يعارض قول
انس ان ذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه صلى الله عليه وسلم كان ليلتئذ بمكة فالمراد
ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة والله اعلم **وقد انكر** هذه
المعجزة جماعة من المبتدعة كجهور الفلاسفة متمسكين بان الاجرام العلوية لا يتهيأ فيها
الانخراق والالتئام وكذا قالوا في فتح ابواب السماء ليلة الاسراء الى غير ذلك **وجواب**
هؤلاء ان كانوا كفارا ان يناظروا على ثبوت الاسلام فاذا تم اشتركوا مع غيرهم ممن انكر
ذلك من المسلمين ومتى سلم المسلم بعض ذلك دون بعض لزمه التناقض وايضا لا سبيل
الى انكار ما ثبت في القرآن من الانخراق والالتئام في القيمة **واذا ثبت هذا** استلزم
وقوع الجواز ووقوع معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم **وقد** اجاب القدماء عن ذلك
فقال ابو اسحاق الزجاج في معاني القرآن انكر بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة
انشقاق القمر ولا انكار للعقل فيه لان القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء كما يكون يوم القيمة
ويفنيه انتهى **واما قول** بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك اهل الارض

كلهم في معرفته ولم يختص به اهل مكة لانه صدر عن حس ومشاهدة فالناس فيه شركاء والدواعي
متوفرة على رواية كل غريب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك اصل لخلد في كتب التسيير والتنجيم
اذ لا يجوز اطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة شانه ووضوح امره اجاب عنه الخطابي
وغيره بان هذه القصة خرجت عن الامور التي ذكروها لانه شيء طلبه خاص من الناس فوقع
ليلا لان القمر لا سلطان له بالنهار ومن شان الليل ان يكون الناس فيه نياما ومستكنين
في الابنية والبارز منهم في الصحراء اذا كان يقظانا يحتمل ان يتفق انه كان في ذلك الوقت
مشغولا بما يلهيه من سمر وغيره ومن المستبعد ان يقصدوا الى مراكز القمر ناظرين اليه ولا
يغفلوا عنه فقد يجوز انه وقع ولم يشعر به اكثر الناس وانما رآه من قصد الرؤية ممن اقترح
وقوعه ولعل ذلك انما كان في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر وقد يكون القمر حينئذ في
بعض المنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عند قوم وربما
يجد الكسوف اهل بلد دون بلد آخر وقد ابدى الخطابي حكمة بالغة في كون المعجزات المحمدية
لم يبلغ شيء منها مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه كالقرآن بما حاصله ان معجزة كل نبي كانت اذا
وقعت عامة اعقبت هلاك من كذب بها من قومه والنبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمة
للعالمين فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص بها القوم الذين بعث منهم لما اوتوه
من فضل العقول وزيادة الافهام ولو كان ادراكها عاما لعوجل من كذب به كما عوجل من
قبلهم انتهى وكذا اجاب ابن عبد البر بنحوه **تنبيه** ما يذكره بعض القصاص
ان القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له اصل كما حكاه الشيخ بدر
الدين الزركشي عن شيخه العماد بن كثير **واما رد الشمس له** صلى الله عليه وسلم
فروى عن اسماء بنت عميس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي رضي الله
عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس
قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك
في الصهباء في خيبر رواه الطحاوي في مشكل الحديث كما حكاه القاضي عياض في الشفا قال
الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء
لانه من علامات النبوة انتهى قال بعضهم هذا الحديث ليس بصحيح وان اوهم تخريج
القاضي عياض له في الشفا عن الطحاوي من طريقين فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال
انه موضوع بلا شك وفي سنده احمد بن داود وهو متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني
وقال ابن حبان كان يضع الحديث قال ابن الجوزي وقد روى هذا الحديث ابن شاهين
فذكره ثم قال وهذا حديث باطل قال ومن تغفل واضعه انه نظر الى صورة فضيلة ولم يلمح
الى عدم الفائدة فيها وان صلوة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاء ورجوع الشمس لا يعيدها
اداء انتهى **وقد افرد** ابن تيمية تصنيفا مفردا في الرد على الروافض ذكر فيه الحديث بطرقه

ورجاله

ورجاله وانه موضوع والعجب من القاضي مع جلالة قدره وعلو خطره في علوم الحديث
كيف سكت عنه موهما صحته ناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى وقال شيخنا قال احمد
لا اصل له وتبعه ابن الجوزي فاورده في الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوي والقاضي
عياض واخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه انتهى ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ
الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب عن اسماء بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم
العصر فوضع صلى الله عليه وسلم راسه في حجر علي ونام فلم يحركه حتى غابت الشمس فقال
عليه الصلوة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس قالت
اسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضا وصلى العصر
ثم غابت وذلك بالصهباء **وفي لفظ آخر** كان عليه الصلوة والسلام اذا انزل عليه الوحي يغشى عليه
فانزل الله عليه يوما وهو في حجر علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صليت العصر يا علي قال
لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت اسماء فرايت الشمس طلعت بعد ما
غابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبراني ايضا في معجمه الاوسط باسناد حسن عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الشمس فتاخرت ساعة من نهار **وروى** يونس
ابن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن اسحاق مما ذكره القاضي عياض لما اسري بالنبي
صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم
الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس انتهى وهذا يعارضه
قوله في الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبارين
يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل عليه السبت
فلا يحل له قتالهم قال الحافظ ابن كثير فيه ان هذا كان من خصائص يوشع فيدل
على ضعف الحديث الذي روي ان الشمس رجعت حتى صلى علي بن ابي طالب وقد صححه احمد
ابن صالح المصري ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح والحسان وهو مما تتوفر الدواعي على
نقله وتفردت بنقله امراة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها انتهى ويحتمل الجمع
بان المعنى لم تحبس الشمس على احد من الانبياء غيري الا ليوشع والله اعلم وكذا روي حبس
الشمس لنبينا صلى الله عليه وسلم ايضا يوم الخندق حين شغل عن صلوة العصر فيكون
حبس الشمس مخصوصا بنبينا صلى الله عليه وسلم وبيوشع كما ذكره القاضي عياض في الاكمال
وعزاه لمشكل الآثار ونقله النووي في شرح مسلم في باب حل الغنائم عن عياض وكذا الحافظ
ابن حجر في باب الاذان من تخريج احاديث الرافعي ومغلطاي في الزهر الباسم واقره وتعقب
بان الثابت في الصحيح وغيره انه صلى الله عليه وسلم صلى العصر في وقعة الخندق بعد ما

غربت الشمس كما سبق في غزوتها وذكر البغوي في تفسيره انها حبست لسليمان عليه الصلوة
والسلام ايضا لقوله ردوها علي ونوزع فيه لعدم ذكر الشمس في الآية فالمراد الصافنات
الجياد والله اعلم قال القاضي عياض واختلف في حبس الشمس المذكور هنا فقيل ردت
على ادراجها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها قال وكل ذلك من معجزات النبوة انتهى

واما ما روي من طاعات الجمادات وتكليمها له

بالتسبيح والسلام ونحو ذلك مما وردت به الاخبار فمنها تسبيح الطعام والحصا في كفه
الشريف صلى الله عليه وسلم فخرج محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات قال اخبرنا ابو اليمان
قال حدثنا شعيب عن الزهري قال ذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بني سليم كبير السن قال
كان ممن ادرك ابا ذر بالربذة عن ابي ذر قال هجرت يوما من الايام فاذا النبي صلى الله عليه وسلم
قد خرج من بيته فسالت عنه الخادم فاخبرني انه ببيت عائشة فاتيته وهو جالس ليس عنده
احد من الناس وكاني حينئذ ارى انه في وحي فسلمت عليه فرد السلام ثم قال لي ما جاء بك
قلت الله ورسوله فامرني ان اجلس فجلست الى جنبه لا اسأله عن شيء ولا يذكره لي فمكثت غير
كثير فجاء ابو بكر يمشي مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال له ما جاء بك قال جاء بي الله ورسوله
فاشار بيده ان اجلس فجلس الى ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك
ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس الى جنب ابي بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس
الى جنب عمر ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع او تسع او ما قرب من ذلك
فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ناولهن
ابا بكر وجاوزني فسبحن في كف ابي بكر ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن وصرن حصى
ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف ابي بكر ثم اخذهن فوضعهن في الارض فخرسن ثم
ناولهن عثمان فسبحن في كفه نحو ما سبحن في كف ابي بكر وعمر ثم اخذهن فوضعهن في الارض
فخرسن وقال الحافظ ابن حجر قد اشتهر على الالسنة تسبيح الحصى ففي حديث ابي ذر
قال تناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم
وضعهن في يد ابي بكر فسبحن ثم وضعهن في يد عمر فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن
اخرجه البزار والطبراني في الاوسط وفي رواية الطبراني فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم
دفعهن الينا فلم يسبحن مع احد منا قال البيهقي في الدلائل رواه صالح بن الاخضر ولم يكن
بالحافظ عن الزهري عن سويد بن ابي يزيد السلمي عن ابي ذر والمحفوظ ما رواه شعيب بن ابي
حمزة عن الزهري قال وذكر الوليد بن سويد ان رجلا من بني سليم كان كبير السن انتهى وليس
لحديث تسبيح الحصى الا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس وما
احسن قول سيدي محمد وفا رحمه الله تعالى حيث قال

لسبحة ذاك الوجه قد سبح الحصى … ومن سيح سحب الكف قد سبح الرعد

وقول الآخر

يا حبذا لو لثمت كفا … قد سبحت وسطه الحصباء

وقد

وقد اخرج البخاري من حديث ابن مسعود قال كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وعن جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله
عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح
رواه القاضي عياض في الشفا ونقله عنه الحافظ ابو الفضل في فتح الباري واعلم
ان التسبيح من قبيل الالفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة ممن قام
به اللفظ فيكون في غير من قام به مجازا فالطعام والحصا والشجر ونحو ذلك كل منها متكلم
باعتبار خلق الكلام فيها حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة وفي قوله ونحن نسمع
تسبيحه تصريح بكرامة الصحابة لسماع هذا التسبيح وفهمه وذلك ببركته صلى الله عليه
وسلم ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم اخرج مسلم من حديث جابر
ابن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل
ان ابعث اني لاعرفه الآن وقد اختلف في هذا الحجر فقيل الحجر الاسود وقيل حجر غيره بزقاق
يعرف به بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذي كان يسلم على النبي صلى
الله عليه وسلم متى اجتاز به وقد ذكر الامام ابو عبد الله محمد بن رشيد بضم الراء في
رحلته كما ذكره في شفاء الغرام عن علم الدين احمد بن ابي بكر بن خليل قال اخبرني عمي سليمان قال
اخبرني محمد بن اسماعيل بن ابي الصيف قال اخبرني ابو حفص الميانشي قال اخبرني كل من لقيته
بمكة ان هذا الحجر يعني المذكور هو الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي
والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن ابي طالب قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول
الله وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت
لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله رواه البزار وابو نعيم وعن
جابر بن عبد الله قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له ومن
ذلك تأمين اسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه عليه الصلوة والسلام عن
ابي اسيد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب يا
ابا الفضل لا ترم منزلك انت وبنوك غدا حتى آتيكم فان لي فيكم حاجة فانتظروه حتى
جاء بعد ما اضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته قال كيف اصبحتم قالوا اصبحنا بخير نحمد الله فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف
بعضهم على بعض حتى اذا امكنوه اشتمل عليهم بملاءته فقال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء
اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه قال فامنت اسكفة الباب
وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين رواه البيهقي في الدلائل وابن ماجه مختصرا
ومن ذلك كلامه للجبل وكلام الجبل له صلى الله عليه وسلم عن انس قال صعد النبي
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فضربه النبي صلى الله عليه وسلم

فقيل هو الحجر

برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان رواه احمد والبخاري والترمذي
وابو حاتم قال ابن المنير قيل الحكمة في ذلك انه لما رجفا اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان تلك
رجفة الغضب وهذه هزة الطرب فبهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي
توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فاقر الجبل بذلك فاستقر انتهى وكحد جبل بالمدينة
وهو الذي قال فيه احد جبل يحبنا ونحبه رواه البخاري ومسلم واختلف في المراد بذلك
فقيل اراد به اهل المدينة كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها قاله الخطابي وقال
البغوي فيما حكاه الحافظ المنذري الاولى اجراوه على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب
الانبيا والاوليا واهل الطاعة كما حنت الاسطوانة على مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى
سمع الناس حنينها الى ان سكنها وكما اخبر ان حجرا كان يسلم عليه قبل الوحي فلا ينكر ان يكون
جبل احد وجميع اجزا المدينة تحبه وتحن الى لقائه حالة مفارقته اياها انتهى وقال
الحافظ المنذري وهذا الذي قاله البغوي جيد وعن ثمامة عن عثمان بن عفان ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير بمكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل حتى تساقطت
حجارته بالحضيض فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان خرجه
النسائي والترمذي والدارقطني والحضيض القرار من الارض عند منقطع الجبل وركضه برجله
اي ضربه بها وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وابو بكر وعمر
وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك
الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا خرجهما مسلم وانفرد
بذلك واخرجه الترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدا مكانك اسكن وقال حسن
صحيح وخرجه الترمذي ايضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال
اثبت حرا وكذا رواه الخلعي عنه بنحوه لم يذكر ابا عبيدة بن الجراح ورواه ايضا الحافظ
اسحاق البغدادي فيما رواه الكبار عن الصغار والاباء عن الابنا ولله در القائل

ومال حرا تحته فرحا به … فلولا مقال اسكن تضعضع وانقضا

وحرا وثبير جبلان متقابلان معروفان بمكة واختلاف الروايات يحمل على انها قضايا تكررت
قاله الطبري وغيره لكن صحح الحافظ ابن حجر انه احد قال ولولا اتحاد المخرج لجوزت تعدد
القصة ثم ظهر لي ان الاختلاف فيه من سعيد فاني وجدته في مسند الحارث بن ابي اسامة
عن روح بن عبادة فقال فيه احد او حرا بالشك وقد اخرجه احمد من حديث بريدة بلفظ حرا
واسناده صحيح واخرجه ابو يعلى من حديث سهل بن سعد بلفظ احد واسناده صحيح فقوي
احتمال تعدد القصة واخرج مسلم من حديث ابي هريرة ما يؤيد تعدد القصة فذكر انه
كان على حرا ومعه المذكورون هنا وزاد معهم غيرهم ولما طلبته عليه الصلوة والسلام قريش
قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال له حرا

الي يا رسول الله رواه في الشفا وهو حديث مروي في الهجرة من السيرة وحرا مقابل ثبير والوادي
بينهما وهما على يسار السالك الى منى وحرا قبل ثبير مما يلي شمال الشمس وهذه الواقعة غير
واقعة ثور في خبر الهجرة هذا هو الظاهر والله اعلم ومن ذلك كلام الشجر له وسلامها
عليه وطواعيتها له وشهادتها له بالرسالة صلى الله عليه وسلم اخرج البزار وابو نعيم من حديث
عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوحي الي جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله واخرج الامام احمد عن ابي سفيان طلحة بن نافع قال جاء جبريل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدما ضربه بعض
اهل مكة فقال له ما لك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بي هؤلاء وفعلوا فقال
له جبريل اتحب ان اريك اية قال نعم قال فنظر جبريل الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع
تلك الشجرة فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال جبريل مرها فلترجع الى مكانها
فامرها فرجعت الى مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي ورواه الدارمي
من حديث انس وعن علي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها
فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله رواه الترمذي وقال
حديث حسن غريب وخرج الحاكم في مستدركه باسناد جيد عن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم في سفر فاقبل اعرابي فلما دنى منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تريد
قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله قال هل لك من شاهد على ما تقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الشجرة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على شاطئ الوادي فاقبلت
تخد الارض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها
الحديث ورواه الدارمي ايضا بنحوه وقوله تخد بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة اي
تشق الارض وعن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها
فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك
قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها رواه في الشفا وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بما اعرف انك
رسول الله قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد اني رسول الله فدعاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال
ارجع فعاد فاسلم الاعرابي رواه الترمذي وصححه وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي ثم سرنا
حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته ثم رجعت

الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال هي شجرة استاذنت ربها في ان تسلم علي فاذن لها الحديث رواه البغوي في شرح السنة ● وفي حديث جابر ابن عبد الله سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا الحديث رواه مسلم ● والمنصف بفتح الميم الوسط بين الموضعين والتلاؤم الاجتماع **ولله در** الابوصيري حيث قال

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة ... تمشي اليه على ساق بلا قدم
كانما سطرت سطرا لما كتبت ... فروعها من بديع الخط في اللقم

فشبه اثار مشي الشجرة لما جاءت اليه صلى الله عليه وسلم بكتابة كاتب اوقعها على نسبة معلومة في سطر منظومة واذا كانت الاشجار تبادر لامتثال امره صلى الله عليه وسلم حتى تخر ساجدة بين يديه ● فنحن اولى بالمبادرة لامتثال ما دعا اليه ● زاده الله شرفا لديه ● وتامل قول الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك لما راى من سجود الشجرة فراى انه احرى بذلك حتى اعلمه عليه الصلوة والسلام ان ذلك لا يكون الا لله فحق على كل مؤمن ان يلازم السجود للحق المعبود ● ويقوم على ساق العبودية وان لم يكن له قدم كما قامت الشجرة **ومن ذلك** حنين الجذع شوقا اليه ● صلى الله وسلم عليه ● **اعلم** ان الحنين مصدر مضاف الى الفاعل والمراد شوقه وانعطافه الى النبي صلى الله عليه وسلم والذي في الاحاديث المسوقة هنا انه صوت ولعل المراد منه الدلالة على الشوق اي الصوت الدال على شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة **وقد روي** حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك قال العلامة التاج ابن السبكي في شرح لمختصر ابن الحاجب والصحيح عندي ان حنين الجذع متواتر رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر وقد رواه احمد من رواية ابن حبان عن ابيه عن ابن عمر ورواه ابن ماجة وابو يعلى الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن انس واسناده على شرط مسلم وقد رواه الترمذي وصححه ابو يعلى وابن خزيمة والطبراني وصححه وقال على شرط مسلم يلزمه اخراجه من رواية اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس ورواه الطبراني من رواية الحسن عن انس ورواه احمد وابن منيع والطبراني وغيرهم من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن ابي عمار عن ابن عباس وقد رواه احمد والدارمي وابو يعلى وابن ماجة وغيرهم من رواية الطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه ورواه الدارمي من رواية ابي حازم عن سهل بن سعد ورواه ابو محمد الجوهري من رواية عبد العزيز بن ابي رواد عن نافع عن تميم الداري قال

ولسنا

ولسنا ندعي ان التواتر حاصل بما عددت من الطرق بل من طرق اخرى كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والاجزاء وغيرها وانما ذكرت في الشاهد منها او بعضها ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند آخرين انتهى ● وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك والله اعلم انتهى ● وقال البيهقي قصة حنين الجذع من الامور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف انتهى **وهذه** الاية من اكبر الايات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ● قال الشافعي فيما نقله ابن ابي حاتم عنه في مناقبه ما اعطى الله نبيا ما اعطى نبينا محمدا فقيل له اعطى عيسى احياء الموتى قال اعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا اكبر من ذلك وقال القاضي عياض حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر اخرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة انتهى **فاما حديث** ابي فرواه الشافعي من حديث الطفيل بن ابي بن كعب عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الى جذع اذ كان المسجد عريشا وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال له رجل من اصحابه هل لك ان نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة فتسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع له ثلاث درجات هي التي على المنبر فلما صنع له وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو فيه فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطب عليه وتجاوز الجذع الذي كان يخطب اليه خار حتى تصدع وانشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده ثم رجع الى المنبر الحديث **واما حديث** جابر فرواه البخاري من طرق وفي لفظ له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة او نخلة فقالت امراة من الانصار او رجل من الانصار الا نجعل لك منبرا قال ان شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع الى المنبر فصاحت النخلة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمها اليه كبثا فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها **وفي لفظ** قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وهو بكسر العين النوق الحوامل **وفي حديث** ابي الزبير عن جابر عند النسائي في الكبرى فاضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج انتهى والخلوج بفتح الخاء المعجمة وضم اللام الخفيفة وآخره جيم الناقة التي انتزع منها ولدها والحنين هو صوت المتألم المشتاق عند الفراق وانما يشتاق الى بركة الرسول ويأسف على مفارقته اعقل العقلاء والعقل والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحيوة وهذا يدل على ان الله عز وجل خلق فيه الحيوة والعقل والشوق ولهذا حن وان **فان قيل** مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري ان الاصوات لا يستلزم خلقها في المحل خلق الحيوة ولا

العقل **واجيب** بانه كذلك ونحن لم نجعل الحيوة لازمة الا ان الشوق الى الحق شوقا معنويا عقليا لا طبيعيا بهيميا ومذهب الشيخ ابى الحسن ان الذكر المعنوى والكلام النفسى يستلزمان الحيوة استلزام العلم لها وقد بينا ان هذه المعانى وجدت فى الجذع وانطق الحاضرون حينئذ على صوته انه حنين وفهموا انه شوق الى الذكر والى مقام الحبيب عنده وقد عامله النبى صلى الله عليه وسلم هذه المعاملة فالتزمه كما يلتزم الغائب اهله واعزته ليبرد غليل شوقهم اليه واسفهم عليه **ولله در القائل**

وحن اليه الجذع شوقا ورقة ... ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته ... لكل امرئ من دهره ما تعودا

واما حديث انس فرواه ابو يعلى الموصلى بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الجمعة يسند ظهره الى جذع منصوب فى المسجد يخطب الناس فجاءه رومى فقال الا اصنع لك شيا تقعد عليه كانك قائم فصنع له منبرا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو لم التزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به صلى الله عليه وسلم فدفن ورواه الترمذى وقال صحيح غريب وكذا رواه ابن ماجة والامام احمد من طريق الحسن عن انس ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لى منبرا اراد ان يسمعهم فبنوا له عتبتين فتحول من الخشبة الى المنبر قال فاخبر انس بن مالك انه سمع الخشبة تحن حنين الواله قال فما زالت تحن حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فمشى اليها فاحتضنها فسكنت ورواه ابو القاسم البغوى وزاد فيه فكان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه من الله تعالى فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه

ولله در القائل

والقى حنينا فى الجمادات حبه ... فكانت لاهدا السلام له تهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده ... فان انين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا ... اما نحن اولى ان نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة ... فليس وفا ان نطيقوا له بعدا

واما حديث سهل بن سعد ففى الصحيحين من طرق **واما حديث** ابن عباس فعند الامام احمد باسناد على شرط مسلم ورواه ابن ماجة **واما حديث** ابن عمر ففى البخارى **واما حديث** ابى سعيد الخدرى فعند عبد بن حميد **واما حديث** عائشة فعند البيهقى وفى آخره انه خيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة **واما حديث** بريدة فعند الدارمى وفيه ان النبى صلى الله

عليه وسلم قال ان شئت اردك الى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك فى الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبى صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسنى فى الجنة فياكل منى اولياء الله تعالى واكون فى مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء **واما حديث** ام سلمة فعند ابى نعيم فى الدلائل والقصة واحدة وما فى الفاظها مما ظاهره التغاير هو من الرواة وعند التحقيق ترجع الى معنى واحد فلا نطيل بذكر ذلك والله اعلم

واما كلام الحيوانات وطاعتها له صلى الله عليه وسلم فمنها

سجود الجمل وشكواه اليه صلى الله عليه وسلم عن انس بن مالك رضى الله عنه قال كان اهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وان الانصار جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسنى عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل فى ناحية فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على منه باس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله فى العمل فقال له اصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر لو صلح لبشر ان يسجد لبشر لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها. رواه احمد والنسائى. والحائط البستان. وقوله نسنى عليه بالنون والسين المهملة اى نستقى عليه **وفى حديث** يعلى بن مرة الثقفى بينا نحن نسير مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف النبى صلى الله عليه وسلم فقال اين صاحب هذا الجمل فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال اما اذ ذكرت هذا من امره فانه شكى كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه رواه البغوى فى شرح السنة والجران بكسر الجيم قال ابن فارس مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره **وروى** الامام احمد قصة اخرى نحو ما تقدم من حديث جابر ضعيفة والبيهقى باسناد جيد وكذا روى الطبرانى فى قصة اخرى عن عكرمة عن ابن عباس لكن باسناد ضعيف والامام احمد ايضا من حديث يعلى بن مرة **واخرج** ابن شاهين فى الدلائل عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال اردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فاسر الى حديثا لا احدث به احدا من الناس قال وكان احب ما استتر به النبى صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف او حايش نخل فدخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل فلما راى

النبي صلى الله عليه وسلم حنّ وذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه وفي رواية فسكن ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال هذا لي يا رسول الله فقال ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه قال في المصابيح وهو حديث صحيح قال وقد رواه أبو داود عن موسى عن إسماعيل عن مهدي بن ميمون والحايش بالحاء المهملة وبالشين المعجمة ممدودًا هو جماعة النخل لا واحد له من لفظه وقوله ذفراه تثنية ذفرى بكسر الذال المعجمة مقصور وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند أذنه **ومنها سجود الغنم له** صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطًا للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر يا رسول الله نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد رواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتاب دلائل النبوة بإسناد ضعيف وذكره القاضي عياض في الشفا وذكر أيضًا عن جابر بن عبد الله عن رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم فقال احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها **ومنها قصة كلام الذئب** وشهادته له صلى الله عليه وسلم **اعلم** أنه قد جاء حديث قصة كلام الذئب في عدة طرق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأنس وابن عمر وأبي سعيد الخدري **فأما حديث** أبي سعيد فرواه الإمام أحمد بإسناد جيد ولفظه قال عدى الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه قال ألا تتقي الله تنزع مني رزقًا ساقه الله إليّ فقال الراعي يا عجبًا ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق قال فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للأعرابي أخبرهم فأخبرهم **وأما حديث** ابن عمر فأخرجه أبو سعيد الماليني والبيهقي **وأما حديث** أنس فأخرجه أبو نعيم في الدلائل **وأما حديث** أبي هريرة فرواه سعيد بن منصور في سننه قال جاء الذئب فأقعى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئًا قالوا والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجرًا ورمى به فأدبر الذئب وله عواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وروى البغوي في شرح السنة وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح عن أبي هريرة أيضًا قال جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه قال فصعد الذئب على تل فأقعى فاستثفر وقال عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل تالله إن رأيت كاليوم

ذئب يتكلم فقال الذئب أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم قال وكان الرجل يهوديًا فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وأسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم إنها أمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده واستثفر بالسين والمثناة والمثلثة والفاء آخره راء كاستفعل أي جعل ذنبه بين رجليه كما يفعل الكلب وقال القاضي عياض وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب مني واقفًا على غنمك وتركت نبيًا لم يبعث الله قط أعظم منه عنده قدرًا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها **وقد روى** ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبيًا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفًا بضم الخاء المعجمة أي فاسدة متغيرة يعني يقع الفساد والتغير في أهلها **ومن ذلك حديث الحمار** أخرج ابن عساكر عن أبي منظور قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حمارًا أسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك فقال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارًا كلهم لا يركبه إلا نبي وقد كنت أتوقعك أن تركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك وقد كنت قبلك لرجل يهودي وكنت أتعثر به عمدًا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأنت يعفور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه أبو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل لكن الحديث مطعون فيه وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وفي معجزاته عليه الصلاة والسلام ما هو أعظم من كلام الحمار وغيره **ومن ذلك حديث الضب** وهو مشهور على الألسنة ورواه البيهقي في أحاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزني لا يصح إسنادًا ولا متنًا وذكره القاضي عياض في الشفا وقد روي من حديث عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضبًا جعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة قال من هذا قالوا نبي الله فأخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك

او يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وقد خاب من كذبك فاسلم الاعرابى الحديث بطوله وهو مطعون فيه وقيل انه موضوع لكن معجزاته عليه الصلوة والسلام فيها ما هو ابلغ من هذا وليس فيه ما ينكر شرعا خصوصا وقد رواه الائمة فنهايته الضعف لا الوضع والله اعلم

ومن ذلك حديث الغزالة روى حديثها البيهقى من طرق وضعفه جماعة من الائمة لكن طرقه يقوى بعضها بعضا وذكره القاضى عياض فى الشفا ورواه ابو نعيم فى الدلائل باسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن ام سلمة رضى الله عنها قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحراء من الارض اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى منجدل فى شملة نائم فى الشمس فقال ما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين فقالت عذبنى الله عذاب العشار ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها النبى صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابى وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء فرحا وهى تضرب برجليها الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وكذا رواه الطبرانى بنحوه وساق الحافظ المنذرى حديثه فى الترغيب والترهيب من باب الزكوة ونقل شيخنا الحافظ ابو الخير السخاوى عن ابن كثير انه لا اصل له وان من نسبه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقد كذب ثم قال شيخنا لكن ورد فى الجملة فى عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض اوردها شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فى المجلس الحادى والستين من تخريج احاديث المختصر والله اعلم انتهى **وفى** شرح مختصر ابن الحاجب للعلامة ابن السبكى وتسبيح الحصا رواه الطبرانى وابن ابى عاصم من حديث ابى ذر وتسليم الغزالة رواه الحافظ ابو نعيم الاصبهانى والبيهقى فى دلائل النبوة ونحن نقول فيهما انهما وان لم يكونا اليوم متواترين فلعلهما استغنى عنهما بنقل غيرهما او لعلهما تواترا اذ ذاك انتهى

ومن ذلك داجن البيت وهو ما الف البيوت من الحيوان كالطير والشاة وغيرهما **روى** قاسم بن ثابت عن عائشة رضى الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وذكره القاضى عياض بسنده

واما نبع الماء الطهور من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وهو اشرف المياه فقال القرطبى قصة نبع الماء من بين اصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة

يفيد

يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه وقد نقل ابن عبد البر عن المزنى انه قال نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ابلغ فى المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه لان خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم انتهى **وقد روى** حديث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود **فاما حديث انس** ففى الصحيحين قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء فامر الناس ان يتوضؤا منه فرايت الماء ينبع من بين اصابعه واطراف اصابعه حتى توضأ القوم قال فقلنا لانس كم كنتم قال كنا ثلثمائة **قوله** حتى توضؤا من عند اخرهم وفى لفظ للبخارى كانوا ثمانين رجلا وفى لفظ له فجعل الماء ينبع من بين اصابعه واطراف اصابعه حتى توضأ القوم قال فقلنا لانس كم كنتم قال كنا ثلثمائة **قوله** حتى توضؤا من عند اخرهم قال الكرمانى حتى للتدريج ومن للبيان اى توضأ الناس حتى توضأ الذين هم عند اخرهم وهو كناية عن جميعهم وعند بمعنى فى لان عند وان كانت للظرفية الخاصة لكن المبالغة تقتضى ان تكون لمطلق الظرفية فكانه قال الذين هم فى اخرهم وقال التيمى المعنى توضأ القوم حتى وصلت النوبة الى الاخر وقال النووى من هنا بمعنى الى وهى لغة وتعقبه الكرمانى بانها شاذة قال ثم ان الى لا يجوز ان تدخل على عند ويلزم عليه وعلى ما قال التيمى ان لا يدخل الاخير لكن ما قاله الكرمانى فى ان الى لا تدخل على عند لا يلزم مثله فى من اذا وقعت بمعنى الى وعلى توجيه النووى يمكن ان يقال عند زائدة قاله فى فتح البارى

وروى هذا الحديث ايضا عن انس ابن شاهين ولفظه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقال المسلمون يا رسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل فى شن بشئ فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته فى الماء قال فرايتها تخلل عيونا بين اصابعه قال فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا فقال اكتفيتم فقالوا نعم اكتفينا يا نبى الله فرفع يده فارتفع الماء **واخرج** البيهقى عن انس ايضا قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى قباء فاتى من بعض بيوتهم بقدح صغير فادخل يده فلم يسعه القدح فادخل اصابعه الاربعة ولم يستطع ان يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال انس بصر عينى ينبع الماء من بين اصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا **واما حديث** جابر ففى الصحيحين قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه فقال ما لكم فقالوا يا رسول الله ما عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشربه الا ما بين يديك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون فشربنا وتوضأنا فقلت كم كنتم قالوا لو كنا مائة الف

لكفانا كنا خمس عشرة مائة وقوله يفور أي يغلي ويظهر متدفقا. وفي رواية الوليد بن
عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة
في عزلاء شجب فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو وقال
ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه. وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم
بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب عليه جابر فقال بسم الله فرأيت الماء يفور
من بين أصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء
فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي من أحد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده من الجفنة وهي ملأى. وروى حديث جابر أيضا الإمام أحمد في مسنده بلفظ
اشتكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه العطش فدعا بعس فصب فيه شيئا
من الماء ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس
فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه. وفي لفظ له أيضا قال فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم كفه في الإناء ثم قال بسم الله ثم قال أسبغوا الوضوء قال جابر فوالذي
ابتلاني ببصري لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابعه صلى الله عليه
وسلم فما رفعها حتى توضؤوا أجمعون. ورواه أيضا عنه البيهقي في الدلائل قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصابنا عطش فجهشنا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فوضع يده في تور من ماء بين يديه قال فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه
العيون قال خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا قلت لجابر كم
كنتم قال ألف وخمسمائة. وأخرج ابن شاهين من حديث جابر أيضا قال أصابنا
عطش بالحديبية فجهشنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث. وأخرجه أيضا عن
أحمد من طريق نبيح العنزي عنه وفيه فجاء رجل بإداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره
فصبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح
قال فتزاحم الناس على القدح فقال على رسلكم فوضع كفه في القدح ثم قال أسبغوا الوضوء
قال فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه. وأما حديث ابن مسعود ففي
الصحيح من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال
لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع
كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهر هذا أن الماء
ينبع من بين أصابعه بالنسبة إلى رؤية الرائي وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور
ويكثر وكفه صلى الله عليه وسلم في الإناء فيراه الرائي نابعا من بين أصابعه وظاهر كلام القرطبي
أنه نبع من نفس اللحم الكائن في الأصابع وبه صرح النووي في شرح مسلم ويؤيده قول جابر
فرأيت الماء يخرج من بين أصابعه وفي رواية فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه وهذا هو

الصحيح

الصحيح وكلاهما معجزة له صلى الله عليه وسلم وإنما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة ماء
ولا وضع إناء تأدبا مع الله تعالى إذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وإيجادها من غير
أصل. وروى ابن عباس قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فطلب الماء فقال لا والله
ما وجدت الماء فقال فهل من شن فأتاه بشن فبسط كفه فيه فانبعثت تحت يده عين
فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ. رواه الدارمي وأبو نعيم وكذا رواه الطبراني
وأبو نعيم من حديث أبي ليلى الأنصاري وأبو نعيم من طريق القاسم بن عبد الله بن أبي
رافع عن أبيه عن جده. ومن ذلك تفجير الماء ببركته وابتعاثه بمسه ودعوته
روى مسلم في صحيحه عن معاذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم إنكم ستأتون غدا
إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا
حتى آتي قال فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيئا قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء
الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه الصلاة والسلام
به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس ثم قال عليه السلام
يا معاذ يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا أي بساتين وعمرانا
وهذا أيضا من معجزاته عليه الصلاة والسلام. ورواه القاضي عياض في الشفا بنحوه
من طريق مالك في الموطأ وزاد فقال قال في حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء ما له حس
كحس الصواعق. وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن
الحكم أنهم نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس
حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم
أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه. والثمد بالمثلثة والميم المحركة
الماء القليل. وقوله يتبرضه الناس تبرضا بالضاد المعجمة أي يأخذونه قليلا قليلا أو البرض
الشيء القليل. وقوله فما زال يجيش بفتح المثناة التحتية وبالجيم آخره شين معجمة أي يفور
ماؤه ويرتفع. وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ومج في بئر الحديبية من فمه
فجاشت بالماء كذلك. وفي مغازي أبي الأسود عن عروة أنه توضأ في الدلو ومضمض فاه
ثم مج فيه وأمر أن يصب في البئر ونزع سهما من كنانته وألقاه في البئر ودعا الله تعالى
ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتها فجمع بين الأمرين
وكذا رواه الواقدي من طريق أوس بن خولي. وهذه القصة غير القصة السابقة في ذكر
نبع الماء من أصابعه صلى الله عليه وسلم مما رواه البخاري في المغازي من حديث جابر عطش
الناس بالحديبية وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة فوضع يده في الركوة
فجعل الماء يفور من بين أصابعه الحديث فبين القصتين مغايرة وجمع ابن حبان بينهما
فإن ذلك وقع في وقتين انتهى. فحديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند

ارادة الوضوء وحديث البراء كان لارادة ما هو اعظم من ذلك ويحتمل ان يكون الماء انفجر من اصابعه وبيده في الركوة توضؤا كلهم وشربوا امر حينئذ بصب الماء الذي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها انتهى • وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع مما رواه البخاري في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة والبئر لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم • قال في رواية البراء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة **قوله** على جباها بفتح الجيم والموحدة والقصر ما حول البئر وبالكسر ما جمعت فيه من الماء **وقوله** وركابهم اي الابل التي يسار عليها **وفي** الصحيحين عن عمران بن الحصين قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاشتكى اليه الناس من العطش فنزل فدعا فلانا كان يسميه ابو رجاء ونسيه عوف ودعا عليا وقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين او سطيحتين من ماء فجاءا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن بعيرها فدعا النبي صلى الله عليه وسلم باناء ففرغ فيه من افواه المزادتين او السطيحتين واوكأ افواههما واطلق العزالي ونودي في الناس اسقوا واستقوا فسقى من سقى واستقى من شاء وهي قائمة تنظر الى ما يفعل بمائها وايم الله لقد اقلع عنها وانه ليخيل الينا انها اشد ملأة فيها حين ابتدأ فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها قال لها تعلمين ما رزئنا من مائك شيئا ولكن الله هو الذي سقانا فاتت اهلها فقالت العجب لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل الذي يقال له الصابئ ففعل كذا وكذا فوالله انه لاسحر الناس كلهم او انه لرسول الله حقا فقالت لقومها هل لكم في الاسلام الحديث **وعن** ابي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء غدا ان شاء الله فانطلق الناس لا يلوي احد على احد فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل اي ابيض فمال عن الطريق فوضع راسه ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فكان اول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وضوءا قال وبقي شيء من ماء ثم قال احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ثم اذن بلال بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم صلى الغداة وركب وركبنا معه فانتهينا الى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء وهم يقولون يا رسول الله هلكنا وعطشنا فقال لا هلك عليكم ودعا بالميضأة فجعل يصب وابو قتادة يسقيهم فلم يعد ان رأى الناس ما في الميضأة فتكابوا عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنوا الملأ كلكم سيروى قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب الماء

النصف

ويسقيهم

ويسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب فقال لي اشرب فقلت لا اشرب حتى تشرب يا رسول الله فقال ان ساقي القوم آخرهم قال فشربت وشرب الحديث رواه مسلم **وعن** انس قال اصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب امثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابي او غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود وفي رواية قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فاقلعت وخرجنا نمشي في الشمس رواه البخاري ومسلم والجوبة بفتح الجيم والموحدة بينهما واو ساكنة الحفرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بناء جوبة اي حتى صار الغيم والسحاب محيطا بآفاق المدينة والجود بفتح الجيم واسكان الواو المطر الواسع الغزير **وعن** عبد الله بن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثنا عن ساعة العسرة فقال عمر خرجنا الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع حتى ان كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع يظن ان رقبته ستنقطع حتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا قال اتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر قال الحافظ المنذري اخرجه البيهقي في الدلائل وشيخه ابن بشران ثقة ودعلج ثقة وابن خزيمة احد الائمة ويونس احتج به مسلم في صحيحه وابن وهب وعمرو بن الحارث ونافع بن جبير احتج بهم البخاري ومسلم وعتبة فيه مقال انتهى وقد رواه القاضي عياض في الشفا مختصرا • وروى ابن اسحاق في مغازيه نحوه وروى صاحب كتاب مصباح الظلام عن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال كنت مع ابن اخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم بذي المجاز فادركني العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخي عطشت وما قلت له ذلك وانا ارى عنده شيئا الا الجزع فثنى وركه ثم نزل وقال يا عم اعطشت فقلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض فاذا بالماء فقال اشرب يا عم فشربت وكذا رواه ابن سعد وابن عساكر

ومن ذلك تكثير الطعام القليل ببركته

عن جابر في غزوة الخندق قال فانكفأت الى امرأتي فقلت هل عندك شيء فاني رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فاخرجت جرابا فيه شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت

يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال انت ونفر معك فصاح
النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحي هلا بكم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجي فجاء فاخرجت له عجينا
فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معك
واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم الف فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا
وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو رواه البخاري • وقوله فانكفات اي
انقلبت وقوله داجن يعني سمينة وقوله وذبحها بسكون الحا وطحنت بسكون الطا
يعني ان الذي ذبح هو جابر والتي طحنت هي امراته سهيلة بنت معوذ الانصارية
وسورا بضم المهملة وسكون الواو بغير همز قال ابن الاثير اي طعاما يدعو اليه الناس
واللفظة فارسية • وقوله فحي هلا بكم كلمة استدعا فيه حث اي هلموا مسرعين • وقوله
واقدحي اي اغرفي • وقوله وان برمتنا لتغط بالغين المعجمة والطا المهملة اي تغلي ويسمع
غطيطها وعن انس قال ابو طلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء فقالت نعم فاخرجت اقراصا من شعير ثم
اخرجت خمارا فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه اي ادارت بعضه
الخمار على راسي مرتين كالعمامة ثم ارسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فسلمت عليه فقال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال الطعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين ايديهم حتى اتيت ابا طلحة فاخبرته فقال
ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم
فقالت الله ورسوله اعلم فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت
بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت ام سليم عكة فادمته
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم
فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فاكل القوم كلهم وشبعوا والقوم
سبعون او ثمانون رجلا رواه البخاري ومسلم • والمراد بالمسجد هنا الموضع الذي اعده النبي
صلى الله عليه وسلم للصلوة فيه حين محاصرة الاحزاب للمدينة في غزوة الخندق وفي رواية
لمسلم انه قال ائذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فاكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا
ثم اكل النبي صلى الله عليه وسلم واهل البيت وتركوا سورا اي بقية وهو بالهمز وفي رواية
للبخاري قال ادخل علي عشرة عشرة حتى عد اربعين ثم اكل النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت
انظر هل نقص منها شيء • وفي رواية يعقوب ادخل علي ثمانية ثمانية حتى دخل عليه ثمانون ثم
دعاني ودعا امي وابا طلحة فاكلنا حتى شبعنا انتهى وهذا يدل على تعدد القصة فان اكثر

الروايات

الروايات فيها انه ادخلهم عشرة عشرة سوى هذه قال الحافظ ابن حجر ولفظ احمد انه
عليه الصلوة والسلام دخل المنزل ابو طلحة وحده وصرح بذلك في رواية عبد الرحمن بن ابي
ليلى ولفظه فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الباب فقال لهم اقعدوا ودخل
وفي رواية يعقوب عن انس فقال ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك
ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى • وفي رواية عمرو بن عبد الله عن انس قال ابو طلحة انما هو قرص
فقال ان الله سيبارك فيه قال العلماء وانما ادخلهم عشرة عشرة والله اعلم لانها كانت
قصعة واحدة لا يمكن الجماعة الكثيرة ان يقعدوا على التناول منها مع قلة الطعام فجعلهم
عشرة عشرة ليتناولوا من الماكل ولا يزدحموا • واما قوله عليه الصلوة والسلام ارسلك ابو طلحة
قلت نعم قال الطعام قلت نعم فقال صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا فظاهره ان النبي
صلى الله عليه وسلم فهم ان ابا طلحة استدعاه الى منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا واول
الكلام يقتضي ان ام سليم وابا طلحة ارسلا الخبز مع انس ورأى كثرة الناس حول النبي صلى الله
عليه وسلم استحيا وظهر له ان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده الى المنزل فيحصل
مقصودهم من اطعامه ويحتمل ان يكون ذلك عن راي من ارسله عهدا اليه ان راى كثرة
الناس ان يستدعي النبي صلى الله عليه وسلم وقد عرفوا ايثاره صلى الله عليه وسلم وانه لا ياكل
وحده • ووقع في رواية يعقوب بن عبد الله عن ابي طلحة عن انس عند ابي نعيم واصله عند مسلم
فقال لي ابو طلحة يا انس اذهب فقم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قام فدعه حتى
يتفرق عنه اصحابه ثم اتبعه حتى اذا قام على عتبة بابه فقل له ان ابي يدعوك وفيه فقال
ابو طلحة يا رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى
فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندنا • وفي رواية مبارك بن فضالة فقال هل من سمن
فقال ابو طلحة قد كان في العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح رسول الله صلى
الله عليه وسلم القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رايت
القرص في الجفنة يتسع وفي رواية النضر بن انس فجئت بها ففتح رباطها ثم قال بسم الله
اللهم اعظم فيها البركة وعرف بهذا المراد بقوله فقال فيها ما شاء الله ان يقول • وفي رواية
وعند ابي انس عند احمد ان ابا طلحة راى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاويا
يتقلب من ظهره وبطنه وعن محمد بن سيرين عن انس ان ابا طلحة بلغه انه ليس عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم طعام فاجر نفسه بصاع من شعير فعمل بقية يومه ذلك ثم جاء به الحديث
وفي رواية عمرو بن عبد الله بن ابي طلحة عند مسلم وابي يعلى قال راى ابو طلحة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مضطجعا يتقلب ظهرا لبطن • وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن ابي
طلحة عند مسلم ايضا عن انس قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته جالسا
مع اصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فسالت بعض اصحابه فقال من الجوع
فذهبت الى ابي طلحة فاخبرته فدخل على ام سليم فقال اعندك شيء فاني مررت على النبي

صلى الله عليه وسلم وهو يقرئ اصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا **وعن** ابي هريرة قال لما كانت غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فاخذوا في اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤه قال فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة رواه مسلم **وعن انس** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت امي ام سليم الى تمر وسمن واقط فصنعت حيسا فجعلته في تور فقال يا انس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك امي وهي تقرئك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعه ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا ورجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت واذا البيت غاص باهله قيل لانس عدد كم كانوا قال زهاء ثلاثمائة فرايت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده في تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة ياكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فاكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى اكلوا كلهم قال لي يا انس ارفع فرفعت فما ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت رواه البخاري ومسلم **وعن** جابر قال ان ام مالك كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنا فياتيها بنوها فيسالون الادم وليس عندهم شيء فتعمد الى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيها سمنا فما زال يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعصرتيها قالت نعم قال لو تركتيها ما زال قائما رواه مسلم **وعنه** ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق من شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفهما حتى كاله ففني فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام لكم رواه مسلم ايضا. والحكمة في ذهاب بركة السمن حين عصرت العكة واعدام بركة الشعير حين كاله ان عصرها وكيله مضادة للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة باسرار حكم الله تعالى وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووي **وعن** ابي العلاء سمرة بن جندب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد قال من اي شيء تعجب ما كانت تمد الا من ههنا **وعنه** اتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد قال ما كانت تمد الا من ههنا واشار الى السماء رواه الدارمي وابن ابي شيبة والترمذي والبيهقي والحاكم وصححه وابو نعيم **وفي** حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع

النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر الحديث انه عجن صاع وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير رواه البخاري **وعن** ابي هريرة قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادعو اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع رواه ابن ابي شيبة والطبراني وابو نعيم **وعن علي** بن ابي طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب منه رواه في الشفا

ومن ذلك ابراء ذوي العاهات واحياء الموتى وكلامهم

وكلام الصبيان وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة **روى** البيهقي في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا اؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم ارني قبرها فاراه اياه فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترجعي الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله اني وجدت الله خيرا لي من ابوي ووجدت الاخرة خيرا لي من الدنيا **وروى** الطبري عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال سالت ربي عز وجل فاحيا لي امي فامنت بي ثم ردها **وكذا روي** من حديث عائشة ايضا احياء ابويه حتى امنا به اورده السهيلي وكذا الخطيب في السابق واللاحق لكن قال السهيلي ان في اسناده مجاهيل وقال ابن كثير انه منكر جدا وتقدم البحث في ذلك اوائل المقصد الاول **وعن** انس ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملني على هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا رواه ابن عدي وابن ابي الدنيا والبيهقي وابو نعيم **وعن** النعمان بن بشير قال كان زيد بن خارجة من سروات الانصار فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي فاعلمت به الانصار فاتوه فاحتملوه الى بيته فسجوه كساء وبردين وفي البيت نساء من نساء الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله حتى اذا كان بين المغرب والعشاء الاخرة سمعوا صوت قائل يقول انصتوا فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب فحسروا عن وجهه وصدره فاذا القائل يقول على لسانه محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته رواه ابو بكر بن ابي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت **وعن** سعيد بن المسيب ان رجلا من الانصار توفي فلما كفن اتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله اخرجه ابو بكر بن الضحاك **واخرج** ابو نعيم

ان جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة واتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل القوم
وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه عليه الصلوة والسلام جمع العظام
ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قد قامت تنفض اذنيها كذا رواه والله اعلم
وعن معيقيب اليماني قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرايت فيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورايت منه عجبا جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا قال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام
لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة رواه البيهقي من حديث معرض بالضاد
المعجمة وعن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال
من انا قال رسول الله رواه البيهقي وعن ابن عباس قال ان امراة جاءت بابن لها الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه لياخذه عند
غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثعة وخرج من جوفه مثل
الجرو الاسود يسعى رواه الدارمي وقوله ثع يعني قاء واصيب يوم احد عين قتادة
ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فاتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان
لي امراة احبها واخشى ان تراني تقذرني فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى
موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد
اذا رمدت الاخرى ووفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فساله عمر من انت

فقال:

ابونا الذي سالت على الخد عينه	فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول امرها	فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

فوصله عمر واحسن جائزته قاله السهيلي ورواه محمد بن ابي عثمان عن مالك بن انس عن
محمد بن عبد الله بن ابي صعصعة عن ابيه عن ابي سعيد عن اخيه قتادة بن النعمان قال
اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما
مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدارقطني هذا حديث غريب عن مالك
تفرد به عمار بن نصر وهو ثقة ورواه الدارقطني عن ابرهيم الحربي عن عمار بن نصر واخرج
الطبراني وابو نعيم عن قتادة قال كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان اخرها سهما ندرت منه حدقتي فاخذتها بيدي وسعيت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما راها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك
بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا وفي البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله
عليه وسلم قال اين علي بن ابي طالب فقالوا انه يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتي
به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرا حتى كان لم يكن به وجع وعند
الطبراني من حديث علي قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الراية يوم خيبر وفي رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن ابيه قال فارسلني النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم الى علي فجئت به اقوده ارمد فبصق في عينيه فبرا وعند الحاكم من حديث علي قال فوضع
صلى الله عليه وسلم راسي في حجره فبصق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما
اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر
قال فما اشتكيتهما حتى يومي هذا واصيب سلمة يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث
فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواه البخاري ونفث في عيني فديك
وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الابرة
وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان رواه ابن ابي شيبة والبغوي والبيهقي
والطبراني وابو نعيم

الفصل الثاني

فيما خصه الله تعالى به من المعجزات وشرفه به على سائر الانبياء من الكرامات والايات البينات

اعلم نور الله قلبي وقلبك وقدس سري وسرك ان الله تعالى قد خص نبينا صلى الله عليه وسلم
باشياء لم يعطها النبي قبله وما خص نبي بشيء الا وقد كان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
مثله فانه اوتي جوامع الكلم وكان نبيا وادم بين الروح والجسد وغيره من الانبياء لم يكن نبيا
الا في حال نبوته وزمان رسالته ولما اعطي هذه المنزلة علمنا انه صلى الله عليه وسلم الممد لكل
انسان كامل مبعوث ورحم الله الاديب شرف الدين الابوصيري فلقد احسن حيث قال

وكل اي اتى الرسل الكرام بها	فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها	يظهرن انوارها للناس في الظلم

قال العلامة ابن مرزوق يعني ان كل معجزة اتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل
واحد منهم من نور محمد صلى الله عليه وسلم وما احسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه
يعطي ان نوره صلى الله عليه وسلم قائم به ولم ينقص منه شيء ولو قال فانما هي من نوره لتوهم
انه وزع عليهم وقد لا يبقى له منه شيء وانما كانت ايات كل واحد من نوره صلى الله عليه وسلم
لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن اي تلك الكواكب انوار تلك الشمس للناس في
الظلم فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر
نور الشمس فكذلك الانبياء قبل وجوده عليه الصلوة والسلام كانوا يظهرون فضله فجميع
ما ظهر على ايدي الرسل عليهم الصلوة والسلام سواء من الانوار فانما هو من نوره الفائض
ومدده الواسع من غير ان ينقص منه شيء واول ما ظهر ذلك في ادم عليه الصلوة
والسلام حيث جعله الله تعالى خليفة وامده بالاسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي لمحمد
صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ثم توالت الخلائق في الارض الى ان وصل الزمان بوجود صورة جسم نبينا
صلى الله عليه وسلم الشريف لاظهار حكم منزلته فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور
وانطوى تحت منشور اياته كل اية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوة

كلها تحت لواء رسالته فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطى صلى الله عليه وسلم مثلها
فاما آدم عليه الصلوة والسلام اعطى ان الله تعالى خلقه بيده **اعطى** سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم شرح صدره تولى الله تعالى شرح صدره بنفسه وخلق فيه الايمان والحكمة
وهو الخلق النبوى فتولى من آدم الخلق الوجودى ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق
النبوى كما ان المقصود كما ان تعلق آدم خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود
وآدم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة **واما** سجود الملائكة لآدم فقال الفخر الرازى في تفسيره
ان الملائكة امروا بالسجود لآدم لاجل ان نور محمد صلى الله عليه وسلم في جبهته **ولله در**
القائل ٥
تجليت جل الله في وجه آدم ... فصلى له الاملاك حين توسل
وعن ابى عثمان الواعظ فيما حكاه الفاكهانى سمعت الامام سهل بن محمد يقول هذا التشريف
الذى شرف الله تعالى به محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبى
الآية اتم واجمع من تشريف آدم عليه الصلوة والسلام بامر الملائكة له بالسجود لانه لا يجوز ان يكون
الله مع الملائكة في ذلك التشريف فتشريف صدر عنه ابلغ من تشريف تختص به الملائكة انتهى
قاله بعضهم واما تعليم آدم اسما كل شئ فاخرج الديلمى في مسند الفردوس من حديث
ابى رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلت لى امتى في الماء والطين وعلمت الاسما
كلها كما علم آدم الاسما كلها فكما ان آدم علم اسما العلوم كلها كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم
وزاد عليه فصلى الله صلاة وسلاما عليه بعلم ذواتها **ولله در** الابوصيرى حيث قال
لك ذات العلوم من عالم الغيب ... ومنها لآدم الاسماء
ولا ريب ان المسميات اعلا رتبة من الاسما لان الاسما يؤتى بها لتبيين المسميات فهى
المقصودة بالذات واليه الايما بقوله ذات العلوم والاسما مقصودة لغيرها فهى دونها
فتفضل العالم بحسب فضل معلومه **واما ادريس** عليه الصلوة والسلام فرفعه الله
مكانا عليا **فاعطى** سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره
واما نوح عليه الصلوة والسلام فنجاه الله تعالى ومن آمن معه من الغرق ونجا
من الخسف **فاعطى** سيدنا محمدا انه لم تهلك امته بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم واما قول الفخر الرازى في تفسيره اكرم الله تعالى نوحا بان امسك
سفينته على الماء وفعل بمحمد صلى الله عليه وسلم اعظم منه كان على شط ماء فقعد عكرمة بن ابى
جهل فقال ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق فاشار اليه
عليه الصلوة والسلام فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى صار بين يدى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يكفيك هذا فقال حتى
يرجع الى مكانه فلم ار لغيره والله اعلم بحاله **واما ابرهيم** الخليل عليه الصلوة
والسلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما **فاعطى** سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظير
ذلك اطفا نار الحرب عنه عليه الصلوة والسلام وناهيك بنار حطبها السيوف ووهجها

الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله فكم ارادوا ان يطفئوا النور بالنار وابى الجبار الا ان يتم نوره وان يخمد
شرورهم في عهد لمحمد صلى الله عليه وسلم سروره وظهوره **ويذكر** انه عليه الصلوة والسلام
مر ليلة المعراج على بحر النار الذى دون سما الدنيا مع سلامته منه كما روى تمارا بنيه
في بعض الكتب **وروى** النسائى ان محمد ابن حاطب قال كنت طفلا فانصب القدر على واحترق
جلدى كله فحملنى ابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه الصلوة والسلام في جلدى
ومسح بيده على المحترق وقال اذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس بى **واما**
ما اعطيه ابرهيم عليه الصلوة والسلام من مقام الخلة **فقد** اعطيه نبينا صلى الله عليه
وسلم وزاد بمقام المحبة **وقد** روى في حديث الشفاعة ان الخليل ابرهيم عليه الصلوة والسلام
اذا قيل له اتخذك الله خليلا فاشفع لنا قال انما كنت خليلا من وراء وراء اذهبوا الى غيرى
الى ان تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فيقول انا لها انا لها وهذا يدل على ان
نبينا عليه الصلوة والسلام كان خليلا مع رفع الحجاب وكشف الغطا ولو كان خليلا من ورا
ورا لاعتذر كما اعتذر ابرهيم عليه السلام وفيه تنبيه ظاهر على انه عليه الصلوة والسلام
فاز برؤية الحق سبحانه وكشف له الغطا حتى راى الحق بعينى راسه كما سياتى البحث في ذلك
ان شا الله تعالى في المقصد الخامس **والمختص** من هذا ان النبى صلى الله عليه وسلم نال
درجة الخلة التى اشتهر بها ابرهيم عليه الصلوة والسلام على وجه نطق ابرهيم بان نصيب
سيدنا محمد عليه الصلوة والسلام منه الاعلا بمفهوم قوله عن نفسه انا كنت خليلا من وراء
وراء فلم يشفع ففيه دليل على انه انما يشفع من كان خليلا لا من ورا ورا بل مع الكشف والعيان
وقرب المكانة من حظيرة القدس لا المكان وذلك مقام محمد صلى الله عليه وسلم بالدليل والبرهان
ومما اعطيه ابرهيم عليه الصلوة والسلام انفراده في اهل الارض بعبادة الله تعالى
وجرم الانتصاب للاصنام بالكسر والقسر **اعطى** سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها باشارة
محضة من اولى نصرها بقضيب ليس مما يكسر الا بقوة ربانية ومادة الهية اجتزا فيها
بالانقاص عن القاس وما عول على المعول ولا عرض في القول ولا تعرض في الصول بل قال
جهرا غير سر وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا **ومما** اعطيه الخليل
عليه الصلوة والسلام بناء البيت الحرام ولا خفا ان البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل هو
سويدا القلب بل جاء انه يمين الرب كناية عن استلامه كما تستلم الايمان عند عقد العهود
والايمان **وقد** اعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان قريشا لما بنت البيت بعد تهدمه
ولم يبق الا وضع الحجر تنافسوا على الفخر الفخم والحمد الضخم ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل
فاتفق دخول سيدنا محمد عليه الصلوة والسلام فقالوا هذا الامين فحكموه في ذلك فامر
ببسط ثوب ووضع الحجر فيه ثم قال ليرفع كل بطن بطرف فرفعوه جميعا ثم اخذه سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم فوضعه في موضعه فادخر الله تعالى ذلك المقام ليكون منقبة له على مدى

الانبيا وأما ما اعطيه موسى عليه الصلوة والسلام من قلب العصى حية غيرنا طقة فاعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع وقد مرت قصته وحكى الامام الرازى فى تفسيره وغيره انه لما اراد ابو جهل ان يرميه عليه الصلوة والسلام بالحجر رأى على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا وأما ما اعطيه موسى عليه الصلوة والسلام ايضا من اليد البيضا وكان بياضها يغشى البصر فاعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل فى اصلاب الاباء وبطون الامهات من لدن آدم الى ان انتقل الى عبد الله ابيه. واعطى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وصلى معه العشا فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضئ لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضا له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج رواه ابو نعيم واخرج البيهقى وصححه الحاكم عن انس قال كان عباد بن بشر واسيد بن حضير عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة حتى ذهب ساعة من الليل وهى ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فاضائت لهما عصا احدهما فمشيا فى ضوءها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضائت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ هديه ورواه البخارى بنحوه فى الصحيح واخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وابو نعيم عن حمزة الاسلمى قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلما فاضائت اصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم وما هلك منهم وان اصابعى لتنير ومما اعطيه موسى عليه الصلوة والسلام ايضا انفراق البحر له اعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر كما مر فموسى تصرف فى عالم الارض وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف فى عالم السما والفرق بينهما واضح قاله ابن المنير وذكر ابن حبيب ان بين السما والارض بحرا يسمى المكفوف يكون بحر الارض بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط قال فعلى هذا يكون البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه يعنى ليلة الاسرا قال وهو اعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام ومما اعطيه موسى عليه السلام اجابة دعائه اعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى ومما اعطيه موسى عليه السلام تفجير الماء من الحجارة اعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الماء تفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ لان الحجر من جنس الارض التى ينبع منها الماء فلم تجر العادة بنبع الماء من اللحم ولله در القائل

وكل معجزة للرسل قد سلفت ... وافى بأعجب منها عند اظهار
فما العصى حية تسعى بأعجب من ... شكوى البعير ولا من مشى اشجار
ولا انفجار معين الماء من حجر ... اشد من سلسل من كفه جار

ومما اعطيه موسى عليه السلام الكلام اعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسرا وزيادة الدنو وايضا كان مقام المناجاة فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم فوق السموات العلى وسدرة المنتهى والمستوى وحجب النور والرفرف ومقام المناجاة لموسى عليه السلام طور سينا

ومما

ومما اعطيه هارون عليه السلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة من المحل الافضل والموضع الذى لا يجهل ولقد قال بعض اصحابه ما راينا من هو افصح منك فقال وما يمنعنى وانما نزل القرآن بلسانى لسان عربى وقد كانت فصاحة هارون غايتها بالعبرانية والعربية افصح منها وهل كانت فصاحة هارون معجزة ام لا قال ابن المنير الظاهر انها لم تكن معجزة ولكن فضيلة ولم يتحد نبى من الانبيا بالفصاحة الا نبينا صلى الله عليه وسلم لان هذه الخصوصية لا تكون لغير الكتاب العزيز وهل فصاحته عليه الصلوة والسلام فى جوامع الكلم التى ليست من التلاوة ولكن معدودة من السنة هل تحدى بها ام لا والظاهر قوله عليه الصلوة والسلام ونبئت جوامع الكلم انه كان من التحدث بنعمة الله تعالى عليه وخصصا نصر ولا خلاف انها باعتبار ما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات ونحوها معجزة واما ما اعطيه يوسف عليه الصلوة والسلام من شطر الحسن فاعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله وستأتى الاشارة الى ذلك ان شا الله تعالى فى مقصد الاسرا ومن تأمل ما نقلته فى صفته صلى الله عليه وسلم تبين له من ذلك من التفضيل التفضيل على كل مشهور بالحسن فى كل جيل واما ما اعطيه يوسف عليه الصلوة والسلام ايضا من تعبير الرؤيا فالذى نقل عنه من ذلك ثلاث منامات احدها حين رأى احد عشر كوكبا والشمس والقمر والثانى منام صاحبى السجن والثالث منام الملك وقد اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من ذلك العجب العجاب وسيأتى نبذة من ذلك ان شا الله تعالى واما ما اعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد له وكان اذا نسج الحديد لان فقد اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر فى يده واورق ومسح صلى الله عليه وسلم شاة ام معبد الجربا فبرأت ودرت واما ما اعطيه سليمان عليه الصلوة والسلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك الذى لم يعط احد من بعده فقد اعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة اما كلام الطير والوحش فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح فى كفه الحصى وهو جماد وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم فى غزوة خيبر وكذلك كلمه الظبى وشكى اليه البعير كما تقدم وروى ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه ويكلمه فيقول ايكم فجع هذا بولده فقال رجل انا فقال اردد ولده رواه الدارمى ورواه ابو داود بلفظ كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة فيها فرخان فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش اى تدنو من الارض فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها اليها الحديث وقصة كلام الذئب شهيرة واما الريح التى كانت غدوها شهر ورواحها شهر تحمله ابن اراد من اقطار الارض فقد اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم البراق الذى هو اسرع من الريح بل اسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش فى ساعة زمانية واقل مسافة فى ذلك سبعة الاف سنة

وتلك مسافة السموات واما الى المستوى والى الرفرف فذلك ما لا يعلمه الا الله تعالى
وايضا فالريح سخرت لسليمان لتحمله الى نواحى الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له
الارض اى جمعت حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى
له الارض واما ما اعطيه من تسخير الشياطين فقد روى ان ابا الشياطين ابليس تعرض
سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلوة فامكنه الله تعالى منه فربطه بسارية من سوارى
المسجد وخير مما اوتيه سليمان من ذلك ايمان الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسليمان استخدم
الجن ومحمد صلى الله عليه وسلم استسلمهم واما عد الجن من جنود سليمان فى قوله تعالى
وحشر لسليمان جنوده من الجن فخير منه عد الملائكة جبريل ومن معه من حملة العرش
من اجناده عليه الصلوة والسلام باعتبار الجهاد وتكثير السواد على طريقة الاجناد واما عد
الطير من جملة اجناده فاعجب منه حمامة الغار وتوكيرها فى الساعة الواحدة وحمايتها
له من عدوه والغرض من استكثار الجند انما هو الحماية من عدوه وقد حصلت من اعظم شئ بنسجه
شئ واما ما اعطيه من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا
عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم ان يكون نبيا عبدا ولله در القائل
يا خير عبد على كل الملوك ولى واما ما اعطيه عيسى عليه الصلوة والسلام من ابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى فاعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه رد العين الى مكانها بعد ما سقطت
فعادت احسن ما كانت وفى دلائل النبوة للبيهقى قصة الرجل الذى قال للنبى صلى الله عليه
وسلم لا اومن بك حتى تحيى لى ابنتى وفيه انه صلى الله عليه وسلم اتى قبرها فقال يا فلانة فقالت
لبيك وسعديك يا رسول الله الحديث وقدم وروى ان امرأة معاذ بن عفراء كانت برصا
فشكت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصى فاذهب الله تعالى ذلك البرص
منها ذكره الرازى وايضا فقد سبح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم وعليه الحجر وحن لفراقه
الجذع وذلك ابلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس ما لا يتكلم واما ما اعطيه عيسى عليه
الصلوة والسلام من انه كان يعرف ما تخفيه الناس فى بيوتهم فقد اعطى نبينا صلى الله عليه
وسلم من ذلك ما لا يحصى وسيأتى ان شاء الله تعالى ما يكفى ويشفى واما ما اعطيه عيسى عليه
الصلوة والسلام من رفعه الى السما فقد اعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج
وزاد فى ليلته فى مزيد الدرجات وسماع المناجات والحظوة فى الحضرة القدسية بالمشاهدة
وبالجملة فقد خص الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم من خصايص التكريم بما لم يعطه
احدا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد روى جابر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اعطيت
امتى خمسا لم يعطهن احد قبلى كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود
واحلت لى الغنايم ولم تحل لاحد قبلى وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتى
ادركته الصلوة فليصل حيث كان ونصرت بالرعب مسيرة شهر واعطيت الشفاعة رواه البخارى
وفى رواية وبعثت الى الناس كافة وزاد البخارى فى رواية فى الصلوة عن محمد بن سنان

من الانبياء وعند الامام احمد اعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى ولا اقوله فخرا وفيه واعطيت
الشفاعة فاخرتها لامتى فهى لمن لا يشرك بالله شيئا واسناده كما قال ابن كثير جيد وليس
المراد حصر خصايصه عليه الصلوة والسلام فى هذه الخمس المذكورة فقد روى مسلم من حديث
ابى هريرة مرفوعا فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت
لى الارض طهورا ومسجدا وارسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون فذكر الخمسة المذكورة
فى حديث جابر الا الشفاعة وزاد خصلتين وهما واعطيت جوامع الكلم وختم بى النبيون
فتحصل منه ومن حديث جابر سبع خصال ولمسلم ايضا من حديث حذيفة فضلنا على الناس
بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وذكر خصلة الارض كما تقدم قال وذكر
خصلة اخرى وهذه الخصلة المبهمة قد بينها ابن خزيمة والنسائى وهى واعطيت هذه
الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش يشير الى ما حط الله تعالى عن امته
من الاصر وتحميل ما لا طاقة لهم به ورفع الخطا والنسيان فصارت الخصال تسعا ولاحمد
من حديث على اعطيت اربعا لم يعطهن احد من انبياء الله تعالى اعطيت مفاتيح الارض وسميت
احمد وجعلت امتى خير الامم وذكر خصلة التراب فصارت الخصال اثنتى عشرة خصلة وعند
البزار من وجه آخر عن ابى هريرة رفعه فضلت على الانبياء بست غفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر
وجعلت امتى خير الامم واعطيت الكوثر وان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيمة تحته آدم
فمن دونه وذكر ثنتين مما تقدم وله من حديث ابن عباس رفعه فضلت على الانبياء بخصلتين
كان شيطانى كافرا فاعاننى الله عليه فاسلم قال ونسيت الاخرى فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة
ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع وقد ذكر ابو سعيد النيسابورى فى
كتاب شرف المصطفى ان عدد الذى خص به صلى الله عليه وسلم ستون خصلة وطريق الجمع ان
يقال لعله عليه السلام اطلع اولا على بعض ما اختص به ثم اطلع على الباقى ومن لا يرى مفهوم
العدد حجة يدفع هذا الاشكال من اصله وقد ذكر بعض العلما انه صلى الله عليه وسلم اوتى
ثلاثة آلاف معجزة وخصيصة وقد اختلف فى العلم بخصايصه عليه الصلوة والسلام فقال
الصيمرى من الشافعية منع ابو على بن خيران الكلام فيها لانه امر انقضى فلا معنى للكلام فيه
وقال امام الحرمين قال المحققون ذكر الاختلاف فى مسائل الخصايص خبط غير مفيد فانه
لا يتعلق به حكم ناجز تمس اليه الحاجة وانما يجرى الخلاف فيما لا يوجد بد من اثبات حكم فيه فان
الاقيسة لا مجال لها والاحكام الخاصة يتبع فيها النصوص وما لا نص فيه فالخلاف فيه هجوم
على الغيب من غير فائدة وقال النووى فى الروضة والتهذيب بعد ان نقل هذين الكلامين
وقال سائر الاصحاب لا باس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم فهذا كلام الاصحاب والصواب
الجزم بجواز ذلك بل باستحبابه ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا لانه ربما رأى جاهل بعض
الخصايص ثابتا فى الحديث الصحيح فعمل به اخذا باصل التأسى فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل
بها فاى فائدة اهم من هذه واما ما يقع فى ضمن الخصايص مما لا فائدة فيه اليوم فقليل

لا يخلو ابواب الفقه عن مثله للتدرب ومعرفة الادلة وتحقيق الشيء على ما هو عليه انتهى كلام النووي وقد تتبعت ما شرف الله تعالى به نبينا صلى الله عليه وسلم من الخصائص والآيات واكرمه به من الفضائل والكرامات من كتب العلماء كالخصائص لابن سبع وخصائص الروضة ومختصرها للحجازي وشرح الطحاوي لابن الملقن وشرح البهجة لشيخ الاسلام زكريا الانصاري واللفظ المكرم في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ قطب الدين الخيضري واستفدت منه كثيرا في فضل المعجزات مع ما رايته منثورا في فتح الباري وشرح مسلم للنووي وشرح تقريب الاسانيد للعراقي وغير ذلك مما يطول ذكره فتحصل لي من ذلك جملة وقد قسمها غير واحد من الائمة اربعة اقسام الاول ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الواجبات والحكمة في ذلك زيادة الزلفى والدرجات فانه لن يتقرب المتقربون الى الله تعالى بمثل اداء ما افترض عليهم قال بعضهم خص الله تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام بواجبات عليه لعلمه بانه اقوم بها منهم وقيل ليجعل اجره بها اعظم فاختص صلى الله عليه وسلم بوجوب الضحى على المذهب لكن قول عائشة في الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على ضعف انها كانت واجبة عليه قال الحافظ ابن حجر ولم يثبت ذلك في خبر صحيح انتهى وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في ذكر صلوة الضحى من مقصد عباداته عليه الصلوة والسلام وهل كان الواجب عليه اقل الضحى او اكثرها او ادنى الكمال قال الحجازي لا نقل فيه لكن في مسند احمد امرت بركعتي الضحى ولم تؤمروا بها ومنها الوتر وركعتا الفجر كما رواه الحاكم في المستدرك وغيره ولفظ احمد والطبراني ثلاثة علي فريضة وهن لكم تطوع الوتر وركعتي الفجر وركعتا الضحى قال بعضهم وقد ثبت انه عليه الصلوة والسلام صلى الوتر على الراحلة قال ولو كان واجبا لما جاز فعله على الراحلة وتعقب بان فعله على الراحلة من الخصائص ايضا كما سياتي فيما اختص به عليه الصلوة والسلام من المباحات ان شاء الله تعالى واجيب بانه يحتاج الى دليل وهل كان الواجب عليه اقل الوتر ام اكثره ام ادنى الكمال قال الحجازي لم ار فيه نقلا ومنها صلوة الليل قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي فريضة زائدة على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك وهذا ما صححه الرافعي ونقله النووي عن الجمهور ثم قال وحكى الشيخ ابو حامد ان الشافعي نص على انه نسخ وجوبه في حقه كما نسخ في حق غيره ومنها السواك واستدلوا له بما رواه ابو داود من حديث عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل صلوة طاهرا او غير طاهر فلما شق عليه امر بالسواك لكل صلوة وفي اسناده محمد بن اسحاق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس وحجة من لم يجعله واجبا عليه ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جاءني جبريل الا اوصاني بالسواك حتى خشيت ان يفرض علي وعلى امتي واسناده ضعيف وروى احمد في مسنده من حديث واثلة بن الاسقع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي واسناده حسن والخصائص لا تثبت الا بدليل صحيح قاله في شرح تقريب الاسانيد ومنها الاضحية قال الله تعالى فصل لربك وانحر وروى الدارقطني والحاكم عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فرائض وهن لكم تطوع النحر والوتر وركعتا الفجر ومنها المشاورة قال الله تعالى وشاورهم في الامر فظاهره الايجاب وقيل انه استحباب استمالة للقلوب ومعناه استخراج آرائهم ونقل البيهقي في معرفة السنن والآثار عن النص ان المشورة غير واجبة عليه كما نبه عليه الحجازي وغيره واختلف في المعنى الذي لاجله امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة مع كمال عقله وجزالة رأيه وتتابع الوحي عليه ووجوب طاعته على امته فقال بعضهم هو خاص في المعنى وان كان عاما في اللفظ اي وشاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد يدل عليه قراءة ابن عباس وشاورهم في بعض الامر وقال الكلبي يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند الغزو وقال قتادة ومقاتل كانت سادات العرب اذا لم تشاور في الامر شق عليهم فامر الله تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام ان يشاورهم فان ذلك اعطف لهم واذهب لاضغانهم واطيب لنفوسهم وقال الحسن قد علم الله ان ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وحكى القاضي ابو يعلى في الذي امر بالمشاورة فيه قولين احدهما في امر الدنيا خاصة والثاني في امر الدين والدنيا وهو الاصح قال المعافى في تفسيره والحكمة في المشاورة في الدين التنبيه لهم على علل الاحكام وطريق الاجتهاد واخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال لما نزلت وشاورهم في الامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله ورسوله لغنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة لامتي وعند الترمذي الحكيم من حديث عائشة رفعته ان الله امرني بمداراة الناس كما امرني باقامة الفرائض ومنها مصابرة العدو وان كثر عددهم ومنها تغيير المنكر اذا رآه لكن قد يقال كل مكلف تمكن من تغييره يلزمه فيقال المراد انه لا يسقط عنه صلى الله عليه وسلم ومنها قضاء دين من مات مسلما معسرا روى مسلم حديث انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته قال النووي كان هذا القضاء واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وقيل تبرع منه والخلاف وجهان لاصحابنا وغيرهم قال ومعنى الحديث انه عليه الصلوة والسلام قال انا قائم بمصالحكم في حيوة احدكم او موته انا وليه في الحالين فان كان عليه دين قضيته من عندي ان لم يخلف وفاء وان كان له مال فلورثته لا آخذ منه شيئا وان خلف عيالا محتاجين ضائعين فليأتوا الي فعلي نفقتهم ومؤنتهم انتهى وفي وجوب قضائه على الامام من مال المصالح وجهان لكن قال الامام من استدان وبقي معسرا الى ان مات لم يقض دينه من بيت المال فان كان ظلم بالمطل ففيه احتمال والاولى لا والله اعلم ومنها تخيير نسائه صلى الله عليه وسلم في فراقه وامساكهن بعد ان اخترنه في احد الوجهين وترك التزوج عليهن والتبدل بهن

مكافاة لهن ثم نسخ ذلك لتكون المنة له عليهن قال الله تعالى يا ايها
النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها الآية واختلف في تخييره لهن
على قولين احدهما انه خيرهن بين اختيار الدنيا فيفارقهن واختيار الآخرة فيمسكهن
ولم يخيرهن في الطلاق وهذا قول الحسن وقتادة وهذا قول مالك والثاني انه خيرهن
بين الطلاق والمقام معه وهذا قول عائشة ومجاهد والشعبي ومقاتل واختلفوا
في السبب الذي لاجله خير صلى الله عليه وسلم نساءه على اقوال احدها ان الله تعالى خيره
بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار الآخرة وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
واحشرني في زمرة المساكين فلما اختار ذلك امره الله تعالى بتخييرهن ليكن على مثل اختياره
حكاه ابو القاسم النمري الثاني لانهن تغايرن عليه الثالث لان ازواجه طالبنه وكان
غير مستطيع فكان اولهن ام سلمة سألته سترا معلما وسألته ميمونة حلة يمانية وسألته زينب ثوبا
مخططا وهو البرد اليماني وسألته ام حبيبة ثوبا سحوليا وسألته كل واحدة شيئا الا عائشة
حكاه النقاش الرابع ان ازواجه عليه الصلوة والسلام اجتمعن يوما فقلن نريد ما تريد
النساء من الحلي فانزل الله تعالى آية التخيير حكاه النقاش ايضا وذلك انه لما نصر الله تعالى
رسوله وفتح عليه قريظة والنضير ظن ازواجه انه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن
حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل ونحن على ما تراه من الفاقة
والضيق والمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال وان يعاملهن بما يعامل به الملوك والاكابر
ازواجهم فامره الله ان يتلو عليهن ما نزل في امرهن لئلا يكون لاحد منهن عليه منة في الصبر
على ما اختاره من خشونة العيش فلما اخترنه وصبرن معه عوضهن الله على صبرهن بامرين
احدهما ان جعلهن امهات المؤمنين تعظيما لحقهن وتاكيدا لحرمتهن وتفضيلهن على سائر
النساء بقوله تعالى لستن كاحد من النساء والثاني ان حرم عليه طلاقهن والاستبدال
بهن فقال تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج الآية فكان
تحريم طلاقهن مستداما واما تحريم التزويج عليهن فنسخ قالت عائشة ما مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء يعني اللاتي حرمن عليه وقيل الناسخ لتحريمهن قوله
تعالى انا احللنا لك ازواجك الآية وقال النووي في الروضة لما خيرهن فاخترنه كافاهن
الله على حسن صنيعهن بالجنة فقال فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما انتهى واما
اختصاصه صلى الله عليه وسلم بوجوب التخيير لنسائه بين التسريح والامساك لان الجمع بين عدد
منهن يوغر صدورهن بالغيرة التي هي من اعظم الآلام وهو ايذاء يكاد ينفر القلب ويوهن
الاعتقاد وكذا اكراههن على الصبر والفقر يؤذيهن ومهما القي زمام الامر اليهن خرج عن ان
يكون ضررا فنزه عن ذلك منصبه العالي وقيل له يا ايها النبي قل لازواجك ومنها
اتمام كل تطوع شرع فيه حكاه في الروضة واصلها قال النووي وهو ضعيف وفرعه بعض الاصحاب
على انه كان يحرم عليه صلى الله عليه وسلم اذا لبس لامته ان ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل

ذكره في تهذيب الاسماء واللغات ومنها انه كان يلزمه صلى الله عليه وسلم اداء فرض الصلوة
بلا خلل قاله الماوردي قال العراقي في شرح المهذب انه كان معصوما عن نقص الفرض
انتهى والمراد خلل لا يبطل الصلوة وقال بعضهم كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم اذا رأى
ما يعجبه ان يقول لبيك ان العيش عيش الآخرة ثم قال هذه كلمة صدرت منه صلى الله
عليه وسلم في انعم حاله وهو يوم حجه بعرفة وفي اشد حاله وهو يوم الخندق انتهى ومنها
انه صلى الله عليه وسلم كان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحي ولا يسقط عنه الصوم والصلوة
وسائر الاحكام كما ذكره في زوائد الروضة عن ابن القاص والقفال وكذا ذكره ابن سبع
ومنها انه كان صلى الله عليه وسلم يغان على قلبه فيستغفر الله سبعين مرة ذكره
ابن القاص ونقله ابن الملقن في الخصائص وقد رواه مسلم وابو داود من حديث الاغر
المزني بلفظ انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة هذا لفظ مسلم
وقال ابو داود في كل يوم قال الشيخ ولي الدين ابن العراقي والظاهر ان الجملة
الثانية مترتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين ويدل لذلك قوله في رواية
النسائي في عمل اليوم والليلة انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله كل يوم مائة مرة وفي
رواية له ايضا فاستغفر الله والفاظ الحديث المختلفة يفسر بعضها بعضا ويحتمل من
حيث اللفظ ان تكون الجملة الثانية كلاما برأسه غير متعلق بما قبله فيكون عليه السلام
اخبر بانه يغان على قلبه وبانه يستغفر الله في اليوم مائة مرة انتهى وقال ابو عبيد اصل الغين
في هذا ما يغشى القلب ويغطيه واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها وقال
غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوى
فلا يمنع ضوء الشمس وقال القاضي عياض بعد حكاية ذلك فيكون المراد بهذا الغين اشارة
الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى
الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة
الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا
في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة
واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همته وتفرده بربه
واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه الصلوة والسلام حال فترته
عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك
قال وهذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام
حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على
جواز الفترة والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ انتهى وتعقب بانه لا يرتضى نسبته
صلى الله عليه وسلم الى ذلك لما يلزم عليه من تفضيل الملائكة بعدم الفترة عن التسبيح والمشاهدة
ولقوله عليه الصلوة والسلام لست انسى ولكن انسى لاسن فهذه ليست فترة وانما هي لحكمة مقصودة

يثبت لها حكم شرعي فالاولى ان يحمل على ما جعله علة فيه وهو ما دفع اليه من مقاساة البشر
وسياسة الامة ومعاناة الاهل وحمل كل اعباء النبوة وحمل اثقالها انتهى وقيل الغين
شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر وهذا اشار
اليه الرافعي في اماليه وقال ان والده كان يقرره وقيل كانت حالة يطلع فيها على احوال
امته فيستغفر لهم وقيل هو السكينة التي تغشى قلبه والاستغفار لاظهار العبودية
لله والشكر لما اولاه وقال شيخ الاسلام ابن العراقي ايضا هذه الجملة حالية اخبر عليه
الصلوة والسلام انه يغان على قلبه مع ان حالة الاستغفار في اليوم مائة مرة فهي حال
مقدرة لان الغين ليس موجودا في حال الاستغفار بل اذا جا الاستغفار اذهب ذلك
الغين قال وعلى تقدير تعلق احدى الجملتين بالاخرى وان الثانية مسببة عن الاولى
فيحتمل ان يكون هذا الغين تغطية للقلب عن امور الدنيا وحجابا بينه وبينها فينجمع
القلب حينئذ على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار شكرا وملازمة للعبودية قال وهذا
معنى ما قاله القاضي عياض انتهى ومراده قوله في الشفا وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة
حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته الى آخر كلامه
قال الشيخ ابن العراقي وهو عندي كلام حسن جدا وتكون الجملة الثانية مسببة عن الاولى
لا بمعنى انه يسعى بالاستغفار في ازالة الغين بل بمعنى ان الغين اصله محمود وهو الذي
تسبب عنه الاستغفار وترتب عليه وهذا ارجح الاقوال واحسنها لان الغين حينئذ وصف
محمود وهو الذي نشا عنه الاستغفار وعلى الاول يكون الغين مما يسعى في ازالته بالاستغفار
وما ترتب الاشكال وجا السؤال الا على تفسير الغين بذلك واهل اللغة انما فسروا الغين
بالغشا فيحمل على غشا يليق بحاله صلى الله عليه وسلم وهو الغشا الذي يصير في القلب وحجبه
عن امور الدنيا لا سيما وقد رتب على الغشا امر محمود وهو الاستغفار فما نشا هذا الامر
الحسن الا عن حسن انتهى وذكر الشيخ تاج الدين بن عطا الله في كتابه لطايف المنن ان الشيخ
ابا الحسن الشاذلي قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسالته عن هذا الحديث انه ليغان
على قلبي فقال لي يا مبارك ذلك غين الانوار لا غين الاغيار القسم الثاني مما اختص به
صلى الله عليه وسلم مما حرم عليه فمنها تحريم الزكوة عليه وكذا الصدقة على الصحيح المشهور
المنصور قال صلى الله عليه وسلم انا لا ناكل الصدقة رواه مسلم ومن قال باباحتها له يقول
لا يلزم من امتناعه من اكلها تحريمها فلعله ترك ذلك تنزها مع اباحته له وهذا خلاف
ظاهر الحديث وقال شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب وعلى كل حال ففيه ان من
خصايصه عليه الصلوة والسلام الامتناع من اكل الصدقة اما وجوبا واما تنزها انتهى
والحكمة في ذلك صيانة منصبه الشريف عن اوساخ اموال الناس ومنها تحريم الزكوة
على آله وتحريم كون آلهم عمالا على الزكوة في الاصح وكذا يحرم صرف النذر والكفارة اليهم
واما صدقة التطوع فتحل لهم في الاصح خلافا للمالكية وهو وجه عندنا ومنها انه يحرم

عليه صلى الله عليه وسلم اكل ما له رايحة كريهة كثوم وبصل لتوقع مجي الملايكة والوحي كل
ساعة والاكل متكيا في احد الوجهين فيهما والاصح في الروضة كراهتهما وتعقبه السهيلي
الاتكا فقال قد يكره لغيره ايضا لانه من فعل المتعاظمين وتقدم مزيد لذلك ومنها
تحريم الكتابة والشعر وانما يتجه القول بتحريمهما ممن يقول لانه صلى الله عليه وسلم كان يحسنهما
والاصح انه كان لا يحسنهما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
وما علمناه الشعر وما ينبغي له اي ما هو في طبعه ولا يحسنه ولا تقتضيه جبلته ولا
يصلح له واجيب بان المراد تحريم التوصل اليهما وهل عدم الشعر خاص به عليه
الصلوة والسلام ام بنوع الانبيا عليهم السلام قال بعضهم هو عام لقوله تعالى وما
علمناه الشعر وما ينبغي له لانه لا يظهر فيه للخصوص نكتة وتقدم البحث في قصة الحديبية
البحث في كونه عليه الصلوة والسلام هل كان يحسن الكتابة ام لا ومنها نزع لامته اذا
لبسها حتى يقاتل او يحكم الله بينه وبين عدوه ومنها المن ليستكثر ذكره الرافعي قال الله
تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط شيا لتعطى اكثر منه بل اعط لربك واقصد به وجهه
فادبه باشرف الاداب قاله اكثر المفسرين قال الضحاك ومجاهد هذا كان للنبي صلى الله عليه
وسلم خاصة وليس على احد من امته وقال قتادة لا تعط شيا لمجازاة الدنيا اي لربك
وعن الحسن لا تمنن على الله بعملك فتستكثره وقيل لا تمنن على الناس بالنبوة فتاخذ عليها
اجرا وعوضا من الدنيا ومنها مد العين الى ما متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به اي استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اي اشكالا واشباها
من الكفار وهي المزاوجة بين الاشيا وهي المشاكلة وعن ابن عباس اصنافا منهم فانه
مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام الذات ومنها
خاينة الاعين وهي الايما الى مباح من قتل او ضرب على خلاف ما يشعر به الحال كما قيل له
عليه الصلوة والسلام في قصة رجل اراد قتله هلا اومات الينا بقتله فقال ما ينبغي
لنبي ان تكون له خاينة الاعين ولا يحرم ذلك على غيره الا في محظور قاله الرافعي فيما
نقله الحجازي في مختصر الروضة ومنها نكاح من لم تهاجر في احد الوجهين قال الله
تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن اي مهورهن لان المهر
اجر على البضع وتقييدا للاحلال باعطايها معجلة لا يتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له
كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله وما ملكت يمينك مما افا الله عليك وبنات عمك
وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك يعني من نسا زهرة اللاتي هاجرن معك الى
المدينة قالوا والمراد هاجرت كما هاجرت وان لم تكن هجرتها في حال هجرته عليه الصلوة
والسلام فظاهره يدل على ان الهجرة شرط في التحليل وان من لم تهاجر من النسا لم تحل له
نكاحها وقالت ام هاني خطبني صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه بعذري ثم انزل الله
يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى قوله اللاتي هاجرن معك فلم اكن لاحل له فاني لم اهاجر

معه كنت من الطلقاء. وعن بعض المفسرين ان شرط الهجرة في التحليل منسوخ ولم يذكر ناسخه
وعن الماوردي قولان احدهما ان الهجرة شرط في احلال كل النساء له عليه الصلوة والسلام
من غريبة وقريبة. والثاني انها شرط في احلال بنات عمه وعماته المذكورات في الاية وليس شرطا
في احلال الاجنبيات. وعنه ايضا ان المراد بالمهاجرات المسلمات ومنها تحريم امساك
من كرهته قاله الحجازي وغيره ومنها نكاح الكتابية لان ازواجه امهات المؤمنين وزوجاته
له في الاخرة ومعه في درجته في الجنة ولانه اشرف من ان يضع ماءه في رحم كافرة قالوا ولو
نكح كتابية لهديت الى الاسلام كرامة له ومنها نكاح الامة المسلمة ولو قدر نكاحه امة كان ولده
منها حرا ولا تلزمه قيمته لتعذر الرق قاله القاضي حسين وقال ابو عاصم نعم تلزمه قيمته قاله
الحجازي ولا يشترط في حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول. واما التسري بالامة
فالاصح الحل لانه صلى الله عليه وسلم استمتع بامته ريحانة قبل ان تسلم وعلى هذا فهل عليه
تخييرها بين ان تسلم فيمسكها او تقيم على دينها فيفارقها فيه وجهان احدهما نعم
لتكون من زوجاته في الاخرة. والثاني لا لانه لما عرض على ريحانة الاسلام فابت لم يزلها
عن ملكه واقام على الاستمتاع بها وقد اسلمت بعد ومنها تحريم الاغارة اذا سمع التكبير
ذكره ابن سبع في الخصائص القسم الثالث فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من المباحات
اختص عليه الصلوة والسلام باباحة المكث في المسجد جنبا قاله صاحب التلخيص ومنعه القفال
قال النووي ومما قاله في التلخيص قد يحتج له بقوله عليه الصلوة والسلام من حديث ابي سعيد الخدري
يا علي لا يحل لاحد ان يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك قال الترمذي حديث حسن غريب
وقد يعترض على هذا الحديث بان عطية ضعيف عند الجمهور ويجاب بان الترمذي
حكم بانه حسن فلعله اعتضد بما اقتضى حسنه لكنه اذا شاركه عليه الصلوة والسلام علي في
ذلك لم يكن من الخصائص وقد غلط امام الحرمين وغيره صاحب التلخيص في الاباحة واعلم ان
معظم المباحات لم يفعلها صلى الله عليه وسلم ومما اختص به ايضا انه لا ينتقض وضوءه
بالنوم مضطجعا وفي اللمس وجهان قال النووي المذهب الجزم بانتقاضه به واستدل القائلون
بالاول بنحو حديث عائشة عند ابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل بعض ازواجه ثم
يصلي ولا يتوضا ورواه النسائي ايضا وقال ابو داود هو مرسل ابرهيم التيمي لم يسمع من عائشة
وقال النسائي ليس في هذا الباب حديث احسن من هذا الحديث وان كان مرسلا واختص
ايضا باباحة الصلوة بعد العصر فقد فاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم
واظب عليهما ذكره الحجازي وبجواز صلوة الوتر على الراحلة مع وجوبه عليه كما ذكره في شرح
المهذب وعبارته كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز فعل هذا الواجب الخاص به
على الراحلة. وبالصلوة على الغائب عند ابي حنيفة ومالك وبالقبلة في الصوم مع قوة الشهوة
روى البخاري من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه
وهو صائم وكان املككم لاربه قال الحافظ ابن حجر فاشارت بذلك الى ان الاباحة لمن

يكون

يكون مالكا لنفسه دون من لا يامن الوقوع فيما يحرم. وفي رواية حماد عند النسائي
قال الاسود قلت لعائشة ايباشر الصائم قالت لا قلت اليس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يباشر وهو صائم قالت انه كان املككم لاربه قال وظاهر هذا انها اعتقدت
خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قاله القرطبي قال وهو اجتهاد منها ويدل على
انها لا ترى بتحريمها ولا بكونها من الخصائص ما رواه مالك في الموطا ان عائشة بنت طلحة
كانت عند عائشة فدخل عليها زوجها وهو عبد الرحمن بن ابي بكر فقالت عائشة ما يمنعك
ان تدنو من اهلك فتلاعبها وتقبلها قال اقبلها وانا صائم قالت نعم واختص ايضا
باباحة الوصال في الصوم كما سياتي وقال امام الحرمين هو قربة في حقه عليه السلام وان
ياخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج ويجب على صاحبهما البذل
ويفدي بمهجته مهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم ولو قصده ظالم وجب على من حضره ان يبذل نفسه دونه صلى الله عليه وسلم كما
وقاه طلحة بنفسه يوم احد وباباحة النظر الى الاجنبيات وسياتي ان شاء الله تعالى في
القسم الرابع حكم غيره عليه الصلوة والسلام. وبجواز الخلوة بهن قاله في فتح الباري وصح لنا
بالادلة القوية ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها
ويدل له قصة ام حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه عندها وتفليتها راسه ولم يكن بينهما
محرمية ولا زوجية انتهى ومنها نكاح اكثر من اربع نسوة وكذلك الانبيا وفي الزيادة لنبينا
صلى الله عليه وسلم على التسع خلاف ويجوز له النكاح بلفظ الهبة من جهة المراة قال الله تعالى
وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي واما من جهته عليه السلام فلا بد من لفظ الانكاح
او التزويج على الاصح في اصل الروضة وحكاه الرافعي عن ترجيح الشيخ ابي حامد لظاهر قوله
تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة قال البيضاوي في قوله وامراة مؤمنة الاية
اي اعلمناك حل امراة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف
في ذلك والقائل به ذكر انها ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك
بنت جابر وخولة بنت حكيم قال وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة
ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا قال وقوله ان اراد النبي ان يستنكحها شرط
للشرط الاول في استيجاب الحل نفسها منه لا توجب له الا بارادته نكاحها فانها جارية
مجرى القبول قال والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله
خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة
لاجله انتهى وقال العلما في معنى خالصة ثلاثة اقوال احدها ان المراة اذا وهبت
نفسها لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين قاله انس بن مالك وابن المسيب والثاني
ان له ان ينكحها بلا ولي ولا شهود دون غيره قاله قتادة والثالث خالصة لك ان تملك
عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين قال وهذا قول الشافعي واحمد وعن ابي حنيفة

ينعقد النكاح بلفظ الهبة لغيره صلى الله عليه وسلم ايضا وكذا يجوز له عليه الصلوة والسلام النكاح بلا مهر ابتداء وانتهاء كما تنعقد من المراة اذا وهبت نفسها له عليه السلام لا يلزمه صداقها قال النووي اذا وهبت امراة نفسها له عليه الصلوة والسلام فتزوجها بلا مهر حل له ذلك ولا يجب عليه بعد ذلك مهرها بالدخول ولا بغيره ذلك بخلاف غيره فانه لا يخلو نكاحه من وجوب مهر اما مسمى واما مهر المثل والله اعلم ❁ وكذا يجوز له النكاح في حال الاحرام قال النووي في شرح مسلم قال جماعة من اصحابنا انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يتزوج في حال الاحرام وهو مما خص به دون الامة قال وهذا اصح الوجهين عند اصحابنا انتهى ❁ وكذا يجوز له صلى الله عليه وسلم النكاح بغير رضى المراة فلو رغب في نكاح امراة خلية لزمها الاجابة وحرم على غيره خطبتها او متزوجة وجب على زوجها طلاقها ❁ قال الغزالي ولعل السر فيه من جانب الزوج امتحان ايمانه بتكليف النزول عن اهله فانه صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه واهله وولده والناس اجمعين انتهى ❁ ويدل لهذه الخصيصة قصة زينب بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب المنصوص عليها بقوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بنعمة الاسلام وهي اجل النعم وانعمت عليه اي بالاعتاق بتوفيق الله لك وهو زيد بن حارثة الكلبي وكان من سبي الجاهلية فملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة واعتقه وتبناه وخطب له زينب فابت هي واخوها عبد الله ثم رضيا لما نزل قوله تعالى وما كان لمومن ولا مومنة الاية وكان الرجل في الجاهلية وصدر الاسلام اذا تبنى ولد غيره يدعوه الناس به ويرث ميراثه وتحرم عليه زوجته فنسخ الله تعالى التبني بقوله تعالى ادعوهم لآبائهم وبهذه القصة يثبت الحكم بالقول والفعل فاوحى الله تعالى اليه ان زيدا سيطلقها وانه صلى الله عليه وسلم يتزوجها والقى في قلب زيد كراهتها فاراد فراقها فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي قال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعاظم علي لشرفها وتوذيني بلسانها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله اي في امرها فلا تطلقها اضرارا بها وتعللا فلما قضى زيد منها وطرا ولم يبق له فيها حاجة وطلقها اي وانقضت عدتها زوجها الله تعالى له كما قال تعالى زوجناكها والمعنى انه امره بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويويده انها كانت تقول لسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن ❁ وقيل ان زيدا كان السفير في التزويج وفي ذلك لزيد ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه وقد علل تعالى تزويجه اياها بقوله لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اي في ان يتزوجوا زوجات من كانوا يتبنونه اذا فارقوهن وان هولاء الزوجات ليست داخلات فيما حرم في قوله وحلائل ابنائكم واما قوله وتخفي في نفسك فمعناه علمك انه سيطلقها فعاتبه الله تعالى على هذا القدر في شيء اباحه الله بان

قال امسك عليك زوجك مع علمه بانه يطلق وهذا مروي عن علي بن الحسين وعليه اهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء والقاضي ابي بكر بن العربي وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس انما هو في ارجاف المنافقين في تزويج نساء الابناء والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم في الحركات والسكنات ولبعض المفسرين هنا كلام لا يليق بمنصب النبوة وقيل قوله اتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه خطاب من الله تعالى او من الرسول عليه السلام (وانما نخ) لزيد فانه اخفى الميل اليها واظهر الرغبة عنها لما توهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان تكون من نسائه ❁ قال جار الله وكم من شيء مباح يتحفظ الانسان منه ويستحيي من اطلاع الناس عليه فطموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امراة وغيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه ولم يكن مستكرها عندهم ان ينزل الرجل منهم عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها آخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة واستهم الانصار بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احدهما وانكحها المهاجري فاذا كان الامر مباحا من جميع جهاته لم يكن فيه وجه من وجوه القبح انتهى ❁ وكذا يجوز له عليه الصلوة والسلام النكاح بلا ولي وبلا شهود ❁ قال النووي المشهور الصحيح عند اصحابنا صحة نكاحه عليه السلام بلا ولي ولا شهود لعدم الحاجة الي ذلك في حقه عليه الصلوة والسلام وهذا الخلاف في غير زينب اما زينب فمنصوص عليها والله اعلم ❁ قال العلماء وانما اعتبر الولي للمحافظة على الكفاءة وهو صلى الله عليه وسلم فوق الاكفاء وانما اعتبر الشهود لامن الجحود وهو عليه الصلوة والسلام لا يجحد ولو جحدت هي لم يرجع الى قولها بل قال القرافي في شرح المهذب تكون كافرة بتكذيبه فكان له صلى الله عليه وسلم تزويج المراة ممن شاء بغير اذنها واذن وليها وله اجبار الصغيرة من غير بناته ❁ وزوج ابنة حمزة مع وجود عمها العباس فيقدم على الاب وزوجه الله تعالى زينب فدخل عليها بتزويج الله بغير عقد من نفسه وعبر في الروضة عن هذا بقوله وكانت المراة تحل له بتحليل الله تعالى ومنها انه اعتق امته صفية وجعل عتقها صداقها وقد اختلف في معناه فقيل انه اعتقها بشرط ان يتزوجها فوجب له عليها قيمتها وكانت معلومة فتزوجها بها ❁ ويويده قوله في رواية عبد العزيز بن صهيب سمعت انسا قال سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فاعتقها وتزوجها فقال ثابت لانس ما اصدقها قال نفسها فاعتقها هكذا اخرجه البخاري في المغازي وفي رواية حماد عن ثابت وعبد العزيز عن انس في حديث قال وصارت صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها فقال عبد العزيز لثابت يا ابا محمد انت سالت انسا ما امهرها قال امهرها نفسها فتبسم فهو ظاهر جدا في ان المجعول مهرا هو نفس العتق والتاويل الاول لا باس به فانه لا منافاة بينه وبين القواعد حتى لو كانت القيمة مجهولة فان في صحة العقد بالشرط المذكور وجهان عند الشافعية وقال آخرون

بل جعل نفس العتق المهر ولكنه من خصائصه وممن جزم بذلك الماوردي وقال آخرون
قوله اعتقها وتزوجها معناه اعتقها ثم تزوجها فلما لم يعلم انه ساق لها صداقا قال اصدق
نفسها ولم يصدقها شيئا فيما اعلم ولم ينف اصل الصداق ومن ثم قال ابو الطيب الطبري
من الشافعية وابن المرابط من المالكية ومن تبعهما انه قول انس قاله ظنا من قبل نفسه ولم
يرفعه ويعارضه ما اخرجه الطبراني وابو الشيخ من حديث صفية نفسها قالت اعتقني
النبي صلى الله عليه وسلم وجعل عتقي صداقي وهذا موافق لحديث انس وفيه رد على من قال
ان انسا قال ذلك بناء على ظنه ويحتمل ان يكون اعتقها بشرط ان ينكحها من غير مهر فلزمها
الوفاء بذلك وهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره ويحتمل انه اعتقها بغير
عوض وتزوجها بغير مهر في الحال ولا في المآل قال ابن الصلاح معناه ان العتق حل محل
الصداق وان لم يكن صداقا قال وهذا كقولهم الجوع زاد من لا زاد له قال وهذا الوجه
اصح الاوجه واقربها الى لفظ الحديث وتبعه النووي في الروضة وممن جزم بان ذلك
كان من الخصائص يحيى بن اكثم فيما اخرجه البيهقي قال ونقله المزني عن الشافعي قال
وموضع الخصوصية انه اعتقها مطلقا وتزوجها بغير مهر ولا شهود وهذا بخلاف غيره
انتهى وقال النووي في شرح مسلم الصحيح الذي اختاره المحققون انه اعتقها
تبرعا بلا عوض ولا شرط ثم تزوجها برضاها من غير صداق قال شيخ الحفاظ ابن حجر
واختلف في انحصار طلاقه صلى الله عليه وسلم في الثلاث وعلى الحصر فقيل تحل له من غير محلل
وقيل لا تحل له ابدا وكان له نكاح المعتدة في احد الوجهين قال النووي الصواب القطع
بامتناع نكاح المعتدة من غيره والله اعلم وفي وجوب نفقة زوجاته وجهان قال
النووي الصحيح الوجوب انتهى ولا يجب عليه القسم فيما قاله طوائف من اهل العلم وبه
جزم الاصطخري من الشافعية والمشهور عندهم وعند الاكثرين الوجوب وفي حل الجمع
له بين المرأة وعمتها وخالتها وجهان لا اختها وبنتها وامها قالوا ومن جمع الخصائص
الحاقه النكاح في حقه كالتسري في حقنا وكان له عليه السلام ان يصطفي ما شاء من المغنم
قبل القسمة من جارية وغيرها وابيح له القتال بمكة والقتل بها وجواز دخول مكة
بغير احرام مطلقا ذكره ابن القاص واستدلوا له بحديث انس عند الستة دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وعلى راسه المغفر وذلك من كونه عليه السلام كان مستور
الراس بالمغفر والمحرم يجب عليه كشف راسه ومن نص عليه جابر والزهري ومالك بانه لم يكن
محرما وابدى ابن دقيق العيد لستر الراس احتمالا فقال يحتمل ان يكون لعذر انتهى
وتعقبه الشيخ ولي الدين ابن العراقي فقال هذا يرده نص جابر وغيره قال
وهذا الاستدلال له في غير موضع الخلاف المشهور لانه عليه السلام كان خائفا من القتال
متاهبا ومن كان كذلك فله الدخول عندنا بلا احرام بلا خلاف عندنا ولا عند احد نعلمه
وقد استشكل النووي في شرح المهذب ذلك لان مذهب الشافعي ان مكة فتحت صلحا

خلافا لابي حنيفة في قوله انها فتحت عنوة وحينئذ فلا خوف ثم اجاب عنه بانه
عليه السلام صالح ابا سفيان وكان لا يامن غدر اهل مكة فدخلها صلحا وهو متاهب
للقتال ان غدروا انتهى وقد ذكرت ما في فتح مكة من المباحث في قصة فتحها من المقصد
الاول ثم ان غيره صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن خائفا فقال اصحابنا ان لم يكن ممن
يتكرر دخوله ففي وجوب الاحرام عليه قولان اصحهما عند اكثرهم انه لا يجب وقطع به
بعضهم فان تكرر دخوله كالحطابين ونحوهم ففيه خلاف مرتب واولى بعدم الوجوب
وهو المذهب وقال الحنابلة بوجوب الاحرام الا على الخائف واصحاب الحاجات المتكررة
واوجبه المالكية في المشهور عندهم على غير ذي الحاجات المتكررة واوجبه الحنفية
مطلقا الا من كان داخل الميقات وقد تحرر ان المشهور من مذهب الشافعي عدم
الوجوب مطلقا ومن مذهب الائمة الثلاثة الوجوب الا فيما يستثنى ومن خصائصه
صلى الله عليه وسلم انه كان يقضي بعلمه من غير خلاف وانه يقضي لنفسه ولولده
وان يشهد لنفسه ولولده ولا تكره له الفتوى والقضاء في حال الغضب كما ذكره النووي
في شرح مسلم وقد قضى للزبير بشراج الحرة بعد ان اغضبه خصم الزبير لعصمته صلى الله
عليه وسلم فلا يقول في الغضب الا كما يقول في الرضى وكان له ان يدعو لمن شاء بلفظ
الصلوة وليس لنا ان نصلي الا على نبي او ملك وكان له ان يقتل بعد الامان وان
يلعن من شاء بغير سبب واستبعد ذلك وجعل الله شتمه ولعنه قربة للمشتوم والملعون
لدعائه صلى الله عليه وسلم قاله ابن القاص ورد عليه حكاه الحجازي في مختصر الروضة
عن نقل الرافعي وكان يقطع الاراضي قبل فتحها لان الله ملكه الارض كلها فافتى الغزالي
بكفر من عارض اولاد تميم الداري فيما اقطعهم وقال انه صلى الله عليه وسلم كان يقطع
ارض الجنة فارض الدنيا اولى القسم الرابع فيما اختص به صلى الله عليه وسلم من الفضائل
والكرامات منها انه اول النبيين خلقا كما تقرر في اول هذا الكتاب وانه كان نبيا
وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذي من حديث ابي هريرة ومنها انه اول من اخذ
عليه الميثاق كما مر ومنها ان آدم وجميع المخلوقات خلقوا لاجله رواه البيهقي وغيره
ومنها انه اول من قال بلى يوم الست بربكم رواه ابو سهل القطان في جزء من اماليه ومنها
ان الله كتب اسمه على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر عن كعب
الاحبار ومنها ان الله تعالى اخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده ان يؤمنوا به وينصروه
قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال علي بن ابي طالب لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا
اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد
بذلك على قومه ومنها انه وقع التبشير به في الكتب السالفة كما سياتي ان شاء الله
تعالى ومنها انه لم يقع في نسبه من لدن آدم سفاح رواه البيهقي والطبراني في الاوسط

وابو نعيم في الدلائل ومنها انه نكست الاصنام لمولده رواه الخرائطي في الهواتف وغيره ومنها انه ولد مختونا مقطوع السرة رواه الطبراني وتقدم ما فيه من البحث في اول الكتاب ومنها انه خرج نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد ومنها انه وقع الى الارض ساجدا رافعا اصبعه كالمتضرع المبتهل رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس ورات امه عند ولادته نورا خرج منها اضاء له قصور الشام وكذلك يرى امهات الانبياء رواه الامام احمد وكان مهده يتحرك بتحريك الملائكة كما ذكر ابن سبع في الخصائص وكان القمر يحدثه وهو في مهده ويميل حيث اشار اليه رواه ابن طغربك في النطق المفهوم وغيره. وتكلم في المهد رواه الواقدي وابن سبع وظللته الغمامة في الحر رواه ابو نعيم والبيهقي. ومال اليه في الشجرة اذ سبق اليه رواه البيهقي ومنها شق صدره الشريف رواه مسلم وغيره. وغطه جبريل عند ابتداء الوحي ثلاث غطات عد هذه بعضهم من خصائصه عليه السلام كما نقله الحافظ ابن حجر قال ولم ينقل عن احد من الانبياء انه جرى له عند ابتداء الوحي ومنها ان الله تعالى ذكره في القرآن عضوا عضوا فقلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله فانما يسرناه بلسانك وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى ووجهه بقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء ويديه وعنقه بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وظهره وصدره بقوله الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وشق اسمه من اسم الله المحمود ويشهد له ما اخرجه البخاري في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد قال كان ابو طالب يقول

وشق له من اسمه ليجله　　فذو العرش محمود وهذا محمد

وهو منسوب لحسان بن ثابت. وسمي احمد ولم يسم به احد قبله رواه مسلم. ولاحمد من حديث علي اعطيت اربعا لم يعطهن احد قبلي وذكر منها وسميت احمد ومنها انه صلى الله عليه وسلم يبيت جائعا فيصبح طاعما يطعمه ربه ويسقيه من الجنة كما سيأتي البحث فيه ان شاء الله تعالى في صيامه صلى الله عليه وسلم من مقصد عباداته. وكان يرى من خلفه كما يرى امامه ويرى في الليل وفي الظلمة كما يرى بالنهار والضوء رواه البيهقي وكان ريقه يعذب الماء الملح رواه ابو نعيم ويجزي الرضيع رواه البيهقي ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى في الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء في منظومهم والبلغاء في منثورهم مع اعتضاده بوجود اثر قدمي الخليل ابراهيم عليه السلام في حجر المقام المنوه به في التنزيل في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم البالغ تعيينه وانه اثره مبلغ التواتر القائل فيه ابو طالب

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة　　على قدميه حافيا غير ناعل

ومما في البخاري من حديث ابي هريرة مرفوعا من معجزة تاثير ضرب موسى في الحجر ستا او سبعا اذ فر بثوبه لما اغتسل اذ ما خص نبي بشيء من المعجزات والكرامات الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها كما نصوا عليه مع ما يؤيد ذلك وهو وجود اثرها في بغلته الشريفة على ما قيل في

مسجد

مسجد بطيبة حتى عرف المسجد بها بحيث يقال له مسجد البغلة وما ذاك الا من سره السارية فيها ليكون ذلك اقوى في الآية واوضح في الدلالة على آيته عليه السلام هذه الآية التي ثبتها الخليل في حجر المقام على وجه اعلام بل قال الزبير بن بكار فيما نقله المجد الشيرازي في المغانم المطابة بعد ذكره لاثر حافر البغلة ومسجدها وفي غربي هذا المسجد المذكور اثر كانه اثر مرفق يذكر انه عليه السلام اتكأ عليه ووضع مرفقه الشريف عليه وعلى حجر آخر اثر اصابع والناس يتبركون بها. وقال السيد نور الدين السمهودي في كتابه وفاء الوفا بعد ايراد ذلك قلت ولم اقف في ذلك على اصل الا ان ابن النجار قال في المساجد التي ادركها خرابا بالمدينة ما لفظه ومسجدان قرب البقيع احدهما يعرف بمسجد الاجابة والثاني يعرف بمسجد البغلة فيه اصطوان واحد وهو خراب وحوله كثير من الحجارة فيه اثر يقولون انه اثر حافر بغلة النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وكان ابطه عليه السلام لا شعر عليه قاله القرطبي. وكان ابيض غير متغير اللون كما ذكره الطبري وعده في الخصائص وذكره بعض الشافعية لحديث انس المتفق عليه انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه وقال الشيخ جمال الدين الاسنوي في المهمات ان بياض الابط كان من خواصه انتهى قال في شرح تقريب الاسانيد وما ادعاه من كون هذا من الخصائص فيه نظر اذ لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه بل لم يرد ذلك في شيء من الكتب المعتمدة والخصائص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه ان لا يكون له شعر فان الشعر اذا نتف بقي المكان ابيض وان بقي فيه آثار الشعر ولذلك ورد في حديث عبد الله بن اقرم الخزاعي انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كنت انظر الى عفرة ابطيه اذا سجد اخرجه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه. وقد ذكر الهروي في الغريبين وابن الاثير في النهاية ان العفرة بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفرة الارض وهو وجهها وهذا يدل على ان آثار الشعر هو الذي اعفر والا فلو كان خاليا من نبات الشعر جملة لم يكن اعفر نعم الذي نعتقد فيه صلى الله عليه وسلم انه لم يكن لابطه رائحة كريهة بل كان نظيفا طيب الرائحة كما ثبت في الصحيح وكان عليه السلام يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت غيره ولا سمعه. وكانت تنام عيناه ولا ينام قلبه رواه البخاري. وما تثاءب قط كما رواه ابن ابي شيبة والبخاري في تاريخه من مرسل يزيد بن الاصم قال ما تثاءب النبي صلى الله عليه وسلم. واخرج الخطابي من طريق مسلمة بن عبد الملك بن مروان قال ما تثاءب نبي قط. ويؤيده ان التثاؤب من الشيطان رواه البخاري وما احتلم قط وكذلك الانبياء رواه الطبراني. وكان عرقه الطيب من المسك رواه ابو نعيم وغيره. واذا مشى مع الطويل طاله رواه البيهقي ولم يقع له ظل على الارض ولا رئي له ظل في شمس ولا قمر. ويشهد له انه عليه السلام لما سأل الله ان يجعل في جميع اعضائه وجهاته نورا ختم بقوله واجعلني نورا. وكان صلى الله عليه وسلم لا يقع على ثيابه ذباب قط نقله الفخر الرازي قال ولا يمتص دمه البعوض كذا نقلهما الحجازي

وغيره • ومما آذاه الفيل قاله ابن سبع في الشفا والسبتي في اعذب الموارد **ومنها**
انقطاع الكهنة عند مبعثه وحراسة السما من استراق السمع والرمي بالشهب قال ابن عباس
كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون على
الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
منعوا من السموات كلها فما منهم احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار
فلا يخطي ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل
الناس في البراري وهذا لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد
قبل زمانه وانما ظهر في بدء امره وكان ذلك اساسا لنبوته وقال معمر قلت للزهري اكان يرمى
بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت افرايت قوله تعالى انا كنا نقعد فيها مقاعد الاية قال
غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل
مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة بعد مبعثه • وقيل ان النجم كان ينقض ويرمي الشياطين
ثم يعود الى مكانه ذكره البغوي **ومنها** انه اسري به صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق
ليلة الاسرا مسرجا ملجما قيل وكانت الانبيا انما تركبه عريانا **ومنها** انه اسري به صلى الله
عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وعرج به الى المحل الاعلى واراه من آيات ربه الكبرى
وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى واحضر الانبيا له وصلى بهم وبالملائكة اماما
واطلعه على الجنة والنار وهذه من خصائصه **ومنها** انه رآى الله تعالى بعينيه كما يأتي
ذلك في مقصد الاسرا ان شا الله تعالى وجمع الله تعالى له بين الكلام والرؤية وكلمه تعالى
في الرفرف الاعلى وكلم موسى بالجبل **ومنها** ان الملائكة تسير معه حيث سار يمشون خلف
ظهره وقاتلت معه كما مر في غزوة بدر وحنين **ومنها** انه يجب علينا ان نصلي ونسلم عليه
لاية ان الله وملائكته يصلون على النبي ولم ينقل ان الامم المتقدمة كان يجب عليهم
ان يصلوا على انبيائهم **ومنها** انه اوتي الكتاب العزيز وهو امي لا يقرا ولا يكتب ولا
اشتغل بمدارسة **ومنها** حفظ كتابه هذا من التبديل والتحريف حتى سعى كثير من الملحدة
والمعطلة لا سيما القرامطة في تغييره وتبديل محكمه فما قدروا على اطفا شي من نوره ولا
تغيير كلمة من كلمه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه قال تعالى لا ياتيه الباطل من
بين يديه الاية وكتابه يشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب جامعا لاخبار القرون
السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ
من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك وبيسره تعالى لحفظه لمتعلميه وقربه على
متحفظيه كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم
فكيف بالجم الغفير على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة
ومنها انه انزل على سبعة احرف تسهيلا علينا وتيسيرا وشرفا ورحمة وخصوصية
لفضلنا **ومنها** كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا **ومنها** انه تكفل بحفظه فقال تعالى

زائد

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقصان ونظيره قوله
تعالى في صفة القرآن لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله تعالى ولو كان
من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فان **قلت** هذه الاية تنفي الاختلاف فيه
وحديث انزل القرآن على سبعة احرف المروي في البخاري عن عمر يثبته **فاجاب**
الجعبري في شرحه للشاطبية بان المثبت اختلاف تغاير والمنفي اختلاف تناقض
فمورد هما مختلف انتهى فان **قلت** فلم اشتغل الصحابة بجمع القرآن في المصحف
وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه **فالجواب** كما قال
الرازي ان جمعهم للقرآن كان من اسباب حفظ الله تعالى اياه فانه تعالى لما اراد حفظه
قيضهم لذلك قال وقال اصحابنا وفي هذه الاية دلالة قوية على ان البسملة آية من
كل سورة لان الله تعالى قد وعد بحفظ القرآن والحفظ لا معنى له الا ان يبقى مصونا
عن التغيير فلما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز ان يظن بالصحابة انهم زادوا لوجب ايضا
ان يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة **واختلف** كيف يحفظ
القرآن فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا مباينا لكلام البشر بعجز الخلق عن الزيادة فيه
والنقصان منه لانهم لو زادوا فيه او نقصوا منه تغير نظم القرآن فيظهر لكل العقلاء ان هذا
ليس من القرآن وقال آخرون اعجز الخلق عن ابطاله وافساده بل قيض جماعة يحفظونه
ويدرسونه فيما بين الخلق الى آخر بقا التكليف وقال آخرون المراد بالحفظ هو ان احدا
لو حاول ان يغيره بحرف او نقطة لقال له اهل الدنيا هذا كذاب حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق
له تغيير في حرف فيه لقال له الصبيان كلهم اخطات ايها الشيخ وصوابه كذا ولم يتفق لشي
من الكتب مثل هذا الكتاب فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف والتغيير والتحريف وقد
صان الله تعالى هذا الكتاب العزيز عن جميع التحريف مع ان دواعي الملحدة واليهود والنصارى
متوفرة على ابطاله وافساده وقد انقضى الآن ثمانية وتسعون سنة وثمانمائة سنة وهو محمد
الله في زيادة من الحفظ **ومنها** انه عليه الصلوة والسلام خص باية الكرسي وبالمفصل
وبالمثاني وبالسبع الطوال كما في حديث ابن عباس بلفظ واعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز
العرش وخصصت به دون الانبيا واعطيت المثاني مكان التورية والمئين مكان الانجيل
والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل رواه ابو نعيم في الدلايل وقال تعالى ولقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم **وفي** البخاري من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
ام القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم سائره **واختلفوا** لم سميت مثاني فعن الحسن
وابن عباس وقتادة لانها تثنى في الصلوة فتقرا في كل صلوة وقيل لانها مقسومة بين الله
وبين العبد نصفين نصفها ثنا ونصفها دعا كما في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى
الله عليه وسلم يقول الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين وقيل لانها نزلت
مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة **وعن** مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة

فما اعطاها غيرهم. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان السبع المثاني هي السبع
الطوال اولها سورة البقرة وآخرها سورة الانفال مع التوبة قال بعضهم سورة يونس
بدل الانفال. قال ابن عباس وانما سميت السبع الطول مثاني لان الفرائض والحدود
والامثال والخبر والعبر ثنيت فيها. وقال طاوس القرآن كله مثاني قال الله تعالى
الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني ويسمى القرآن مثاني لان القصص ثنيت فيه
والله اعلم ومنها انه اعطي مفاتيح الخزائن قال بعضهم وهي خزائن اجناس العالم ليخرج
لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم فكل ما ظهر من رزق العالم فان الاسم الالهي لا يعطيه
الا عن محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا
يعلمها الا هو فاعطى هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص باعطائه مفاتيح الخزائن.
ومنها انه اوتي جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة وكلمات الله تعالى لا تنفد والكلمة منه كلمات
ولما علم جوامع الكلم اعطي الاعجاز بالقرآن الذي هو كلام الله وهو المترجم عن الله تعالى
فوقع الاعجاز في الترجمة التي هي له فان المعاني المجردة عن المواد لا يتصور الاعجاز
بها وانما الاعجاز ربط هذه المعاني بصور الكلم القائم من نظم الحروف فهو لسان الحق
وسمعه وبصره ومنها انه بعث الى الناس كافة قال بعضهم وهو من الكفت وهو الضم
قال الله تعالى الم نجعل الارض كفاتا اي تضم الاحياء على ظهورها والاموات في بطنها
كذلك ضمت شريعته صلى الله عليه وسلم جميع الناس فلا يسمع به احد الا لزمه الايمان به
ولما سمع الجن القرآن يتلى قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا اجيبوا داعي الله وآمنوا به الآية
فضمت شريعته الانس والجن وعمت رحمته التي ارسل بها العالم قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فمن لم تنله رحمته فما ذلك من جهته وانما ذلك من جهة القابل فهو كالنور
الشمسي فاض شعاعه على الارض فمن استتر عنه في كن او ظل جداره فهو الذي لم يقبل انتشار
النور عليه وعدل عنه فلم ينسب الى الشمس من ذلك منع انتهى فان قلت ان نوحا
كان مبعوثا الى اهل الارض بعد الطوفان فانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا
اليه وقد جاء في حديث جابر وغيره وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود
وفي رواية الى الناس كافة اجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بان هذا العموم
الذي جعل لنوح عليه السلام لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق بالحادث الذي وقع وهو
انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم
رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك واما قول اهل الموقف لنوح كما صح في
حديث الشفاعة انه اول رسول الى اهل الارض فليس المراد به عموم بعثته بل اثبات اولية
ارساله وعلى تقدير ان يكون مرادا فهو مخصوص بتنصيصه سبحانه تعالى في عدة آيات على ان ارسال
نوح كان الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل بعضهم بعموم بعثته بكونه دعا
على جميع من في الارض فاهلكوا بالغرق الا اهل السفينة ولو لم يكن مبعوثا اليهم لما اهلكوا

لقوله

لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل واجيب
بجواز ان يكون غيره ارسل اليهم في اثناء مدة نوح وعلم نوح بانهم لم يؤمنوا فدعا على من
لم يؤمن من قومه وغيرهم فاجيب وهذا جواب حسن لكن لم ينقل انه نبئ في زمن نوح
غيره ويحتمل ان يكون معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك بقاء شريعته
الى يوم القيمة ونوح وغيره بصدد ان يبعث نبي في زمانه او بعده فينسخ بعض شريعته
انتهى. واما قول بعض اليهود ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم انما هو مبعوث الى العرب
خاصة ففاسد والدليل عليه انهم اي اليهود سلموا انه رسول صادق الى العرب فوجب
ان يكون كلما يقوله حقا وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الى كل الناس فلو
كذبوه لزمهم التناقض اشار اليه صاحب المعالم ومنها نصره صلى الله عليه وسلم بالرعب
مسيرة شهر والشهر قدر قطع القمر درجات الفلك المحيط فهو اسرع قاطع لعموم رعبه
في قلوب اعدائه فلا يقبل الرعب الا عدو مقصود ليتميز السعيد من الشقي ومفهومه
هذا انه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة ولا في اكثر منها اما ما دونها فلا
لكن لفظ رواية عمرو بن شعيب ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة
شهر والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده عليه
السلام وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى
لو كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمال ومنها
احلال الغنائم ولم تحل لاحد قبله وقد كان من تقدم على ضربين منهم من لم يؤذن له في
الجهاد فلم يكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيئا لم يحل لهم ان ياكلوه
وجاءت نار فاحرقته قال بعضهم اعطي صلى الله عليه وسلم ما يوافق شهوة امته لان النفوس
لها التذاذ بها لكونها حصلت لهم عن قهر منهم لتحصيلها وغلبة فلا بد يريدون ان يتنعموا
التنعم بها في مقابلة ما قاسوه من الشدة والتعب ومنها جعل الارض له ولامته مسجدا
وطهورا والمراد موضع السجود اي لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن ان يكون
مجازا عن المكان المبني للصلوة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلوة في جميعها
كان كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا
ولم تجعل له طهورا لان عيسى كان يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلوة قاله ابن التين
ومن قبله الداودي. وقيل انما ابيح لهم في موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة فابيح
لها في جميع الارض الا فيما يتيقنون نجاسته والاظهر ما قاله الخطابي وهو ان من قبله انما
ابيحت لهم الصلوة في اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع. ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ
وكان من قبلي انما كانوا يصلون في كنائسهم وهذا نص في موضع النزاع فثبتت الخصوصية
ويؤيده ما رواه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث جابر وفيه ولم يكن من الانبياء احد
يصلي حتى يبلغ محرابه قاله في فتح الباري ومنها ان معجزاته عليه السلام مستمرة باقية الى يوم

القيمة ومعجزات سائر الانبيا انقرضت لوقتها فلم يبق الا خبرها والقران العظيم لم تزل حجته
ظاهرة ومعارضته ممتنعة **ومنها** انه اكثر الانبيا معجزة قال القاضي عياض اما كونها كثيرة
فهذا القران كله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة التحقيق بسورة انا اعطيناك
الكوثر او اية قدرها وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وذهب آخرون الى ان
كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين قال القاضي والحق ما ذكرناه اولا لقوله
تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه
واذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبع وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم
وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القران على نسبة انا اعطيناك الكوثر
ازيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجزة في نفسه ثم اعجازه بوجهين طريق بلاغته وطريق
نظمه فصارت في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه
وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الاخبار
عن اشيا من الغيب كل خبر منها بنفسه معجزة فتضاعف العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز
الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي
الحصر براهينه انتهى **ومن ذلك انشقاق القمر** وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع
الما من بين اصابعه ولم يثبت لواحد من الانبيا مثل ذلك كما ذكره ابن عبد السلام وغيره وتقدم
ما فيه من المباحث **ومنها** انه خاتم الانبيا والمرسلين قال عليه السلام مثلي ومثل الانبيا
قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون
به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين
رواه البخاري ومسلم **ومنها** ان شرعه مؤيد الى يوم الدين وناسخ لجميع شرايع النبيين وانه
اكثر الانبيا تابعا يوم القيمة رواه الشيخان من حديث ابي هريرة **ومنها** انه لو ادركه الانبيا
لوجب عليهم اتباعه كما سيأتي تقريره ان شا الله تعالى **ومنها** انه ارسل الى الجن اتفاقا
والدليل على ذلك قبل الاجماع الكتاب والسنة قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقد اجمع
المفسرون على دخول الجن في هذه الاية وهو مدلول لفظها فلا يخرج عنه الا بدليل وان قيل
ان الملائكة خارجون من ذلك فلا يضر لان العام المخصوص حجة عند جمهور العلما والاصوليين
ولو بطل الاستدلال بالعمومات المخصوصة لبطل الاستدلال باكثر الادلة وقال تعالى في
الاحقاف اجيبوا داعي الله فامر بعضهم بعضا باجابته دليل على انه داع لهم وهو معنى بعثته
اليهم الى غير ذلك من الايات واما السنة ففي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست فذكرها وارسلت الى الخلق كافة فانه يشمل الجن
والانس وحمله على الانس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز والكلام فيه كالكلام في آية الفرقان
فان قلت ان قوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وما ارسلناك الا كافة
للناس ظاهر في اختصاص رسالته عليه السلام بالانس واحتمال غير ذلك عدول عن الظاهر **فالجواب**

ان هذا

ان هذا انما يتمشى على مذهب الدقاق القائل بان مفهوم اللقب حجة والناس من قبيل
اللقب فان المسئلة المترجمة في الاصول بمفهوم اللقب لا تختص باللقب بل الاعلام كلها
واسما الاجناس كلها كذلك ما لم تكن صفة والناس اسم جنس غير صفة فلا مفهوم له
فهذه الاية ليس فيها اصلا ما يفهم منه انه ليس رسولا الى غيرهم الا على مذهب الدقاق
بل ولا يتم على مذهبه التمسك بهذا المفهوم ايضا لان الدقاق انما يقول به حيث لم يظهر
غرض آخر سواه في تخصيص ذلك الاسم وحيث ظهر غرض لا يقال بالمفهوم بل يحمل التخصيص
على ذلك الغرض والغرض في الاية التعميم في جميع الناس وعدم اختصاص الرسالة ببعضهم
فلا يلزم نفي الرسالة عن غيرهم لا على مذهب الدقاق ولا على مذهب غيره وانما خاطب الناس
لانهم الذين يغلب ويتم والخطاب معهم فمقصود الاية خطاب الناس والتعميم فيهم لا النفي
عن غيرهم وهذا اذا قلنا ان الناس لا يشمل الجن فان قلنا انه يشملهم فواضح والاختلاف
فيه مبني على الخلاف في اشتقاق الناس هل هو من النوس وهو الحركة او من الانس ضد الوحشة
فاذا قلنا بالاول اطلق على الفريقين ولكن استعماله في الانس غلب فحيث اطلق فالمراد به
ولد آدم واذا قلنا بالثاني فلا لانا لا نبصر الجن ولا نانس بهم فدخول الجن في الاية اما ممتنع
واما قليل فلا يحمل عليه وبهذا يتبين ضعف الاستدلال بها لكنها لا تدل على خلافه واما
قول الضحاك ومن تبعه ان الرسل الى الجن منهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم
رسل منكم فهو ظاهر الاية لكن لم ينقل الضحاك ولا احد غيره باستمرار ذلك في هذه الملة وانما
محل الخلاف في ذلك في الملل المتقدمة خاصة واما في هذه الملة فنبينا صلى الله عليه وسلم
هو المرسل اليهم والى غيرهم ولم ينقل احد عن الضحاك ان رسل الجن منهم مطلقا ولا ينبغي ان
ينسب اليه ما يخالف الاجماع على ان الاكثرين قالوا لم تكن الرسل الا من الانس ولم يكن من الجن
قط رسول لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما
يخرجان من الملح دون العذب وقيل الرسل من الجن رسل الرسل من بني آدم اليهم لا رسل
الله لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين قاله بعض العلما **ومنها** انه ارسل الى الملائكة في
احد القولين ورجحه السبكي قال الله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا ولا نزاع ان المراد من العبد ها هنا محمد صلى الله عليه وسلم والعالم هو
ما سوى الله تعالى فيتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة ويبطل بذلك قول من قال
انه كان رسولا الى البعض دون البعض لان لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فتدل الاية
على انه رسول الى جميع الخلق ولو قيل لمدعي خروج الملائكة من هذا العموم اقم الدليل عليه ربما
عجز عنه فانه يحتمل ان يكون من الملائكة من انذاره صلى الله عليه وسلم اما ليلة الاسرا واما
غيرها لكن لا يلزم من الانذار والرسالة اليهم في شي خاص ان يكون بالشريعة كلها واذا قلنا
ان الملائكة هم مؤمنوا الجن السماويين فاذا ركب هذا مع القول بعموم الرسالة للجن الذي قام
الاجماع عليه لزم عموم الرسالة اليهم لكن القول بان الملائكة من الجن قول شاذ والجمهور على

ان العالمين فى آية الفرقان عام مخصوص بالجن والانس كما فسر بهما حديث وارسلت الى الخلق كافة المروى فى مسلم وصرح الحليمى والبيهقى فى الباب الرابع من شعب الايمان بانه عليه الصلوة والسلام لم يرسل الى الملائكة وفى الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه ● وفى تفسير الامام فخر الدين الرازى والبرهان النسفى حكاية الاجماع فى آية الفرقان على انه لم يكن رسولا اليهم كما حكاه العلامة الجلال المحلى والله اعلم ● وعبارة النسفى ثم انهم قالوا هذه الآية تدل على احكام اولها ان قوله ليكون للعالمين نذيرا يتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكن اجمعنا على انه عليه الصلوة والسلام لم يكن رسولا الى الملائكة بل يكون رسولا الى الجن والانس جميعا **وقد** تعقب الجلال المحلى العلامة كمال الدين ابن ابى شريف فقال اعلم ان البيهقى نقل ذلك عن الحليمى فانه قال هذا معنى كلام الحليمى وفى قوله هذا اشعار بالتبرى من عهدته وبتقدير ان الاشعار رفيه فلم يصرح بانه مرضى عنده ● واما الحليمى فانه وان كان من اهل السنة فقد وافق المعتزلة فى تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وما نقله عنه موافق لقوله بافضلية الملائكة فلعله بناه عليه ● واما ما ذكره من حكاية الرازى والنسفى الاجماع على انه عليه الصلوة والسلام لم يكن مرسلا اليهم فقد وقع فى نسخ من تفسير الرازى لكنا بينا بدل اجمعنا على ان قوله اجمعنا ليس صريحا فى اجماع الامة لان مثل هذه العبارة تستعمل لاجماع الخصمين المتناظرين بل الوصح به لمنع فقد قال الامام السبكى فى قوله ليكون للعالمين نذيرا قال المفسرون كلهم فى تفسيرها للجن والانس وقال بعضهم وللملائكة انتهى ● وبالجملة فالاعتماد على تفسير الرازى والنسفى فى حكاية اجماع انفردا بحكايته امر لا ينهض حجة على طريقة علماء النقل لان مدارك نقل الاجماع من كلام الائمة وحفاظ الامة كابن المنذر وابن عبد البر ومن فوقهما فى الاطلاع كالائمة اصحاب المذاهب المتبوعة ومن يلحق بهما فى سعة دائرة الاطلاع والحفظ والاتقان لما من الشهرة عند علماء النقل ما يغنى عن بسط الكلام فيها والاليق بهذه المسئلة التوقف عن الخوض فيها على وجه يتضمن دعوى القطع فى شئ من الجانبين انتهى ● **ومنها** انه ارسل رحمة للعالمين كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال السمرقندى يعنى للجن والانس وقيل لجميع الخلق رحمة للمؤمن بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبى اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت او القيمة واما من صدقه فله الرحمة فى الدنيا والآخرة فذاته عليه الصلوة والسلام كما روى نعمة المؤمن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه الصلوة والسلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمى والبيهقى من حديث ابى هريرة وسيأتى فى المقصد السادس مزيد لذلك ان شاء الله تعالى والله الموفق **ومنها** انه تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فى القرآن فقال

يا آدم

يا آدم يا نوح يا ابرهيم يا داود يا زكريا يا يحيى يا عيسى ولم يخاطب هو فيه الا بيا ايها الرسول يا ايها النبى يا ايها المزمل يا ايها المدثر **ومنها** انه حرم على الامة نداؤه باسمه قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اى لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرات ولكن قولوا يا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت وقيل لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والتساهل فى الاجابة **ومنها** انه يحرم الجهر له بالقول قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى كان ابو بكر لا يكلم النبى الا كاخى السرار وروى انه صلى الله عليه وسلم ما كان يسمع كلام عمر حتى يستفهمه مما يخفض صوته وكان ثابت بن قيس فى اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت عليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملى قد حبط فقال عليه الصلوة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشى بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقاتل حتى قتل **ومنها** انه يحرم نداؤه من وراء الحجرات قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم اى لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب **ومنها** انه حبيب الله وجمع له بين المحبة والخلة وسيأتى تحقيق ذلك وما فيه من المباحث فى آخر المقصد السابع ان شاء الله تعالى **ومنها** انه تعالى اقسم على رسالته وبحياته وبلده وعصره كما سيأتى ذلك فى المقصد السادس ان شاء الله تعالى **ومنها** انه كلم بجميع اصناف الوحى كما نقل عن ابن عبد السلام وسبق تحقيقه فى التعقب من المقصد الاول **ومنها** ان اسرافيل هبط عليه ولم يهبط على نبى قبله اخرج الطبرانى من حديث ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبى قبلى ولا يهبط على احد بعدى وهو اسرافيل فقال انا رسول ربك اليك امرنى ان اخبرك ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فاومأ الى ان تواضع فلو انى قلت نبيا ملكا لسارت الجبال معى ذهبا **ومنها** انه سيد ولد آدم رواه مسلم من حديث ابى هريرة بلفظ انا سيد ولد آدم يوم القيمة وعند الترمذى من حديث ابى سعيد الخدرى انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وانما قال ذلك اخبارا عما اكرمه الله تعالى به من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله عنده واعلاما لامته ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر اى ان هذه الفضيلة التى نلتها كرامة من الله لم انلها من قبل نفسى ولا بلغتها بقوتى فليس لى ان افتخر بها **ومنها**

انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اخبره الله
تعالى بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبيا بمثل ذلك ويدل له قولهم في الموقف نفسي نفسي
وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية يعني آية الفتح لم يشاركه فيها غيره وقد اخرج ابو يعلى
والطبراني والبيهقي عن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السما
وعلى الانبيا قالوا فما فضله على اهل السما قال ان الله تعالى قال لاهل السما ومن يقل منهم
اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقد كتب له برآة قالوا فما فضله على الانبيا قال ان الله
تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس
فارسله الى الانس والجن ومنها انه اكرم الخلق على الله تعالى فهو افضل من كل المرسلين وجميع الملائكة
المقربين وسياق الجواب عن قوله عليه الصلوة والسلام في حديث ابن عباس عند مسلم ما ينبغي
لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونحو ذلك في المقصد السادس ان شا الله تعالى ومنها
اسلام قرينه رواه مسلم من حديث ابن مسعود والبزار من حديث ابن عباس ومنها انه لا يجوز
عليه الخطا كما ذكره ابن ابي هريرة والماوردي وقال قوم ولا النسيان حكاه النووي في شرح
مسلم ومنها ان الميت يسال عنه عليه الصلوة والسلام في قبره فعن عائشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسئلون فاذا كان الرجل الصالح
اجلس فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله الحديث رواه البيهقي
ومنها انه حرم نكاح ازواجه من بعده قال الله تعالى وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة
كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولانهن ازواج له في الآخرة وهذا
في غير المخيرات فمن اختارت منهن الدنيا ففي حلها للازواج طريقان احدهما طرد الخلاف
والثاني القطع بالحل واختاره الامام والغزالي وازواجه اللاتي توفي عنهن محرمات على غيره
ابدا وفي جواز النظر وجهان اشهرهما المنع ويثبت لهن حكم الامومة في احترامهن وطاعتهن
وتحريم نكاحهن لا في جواز الخلوة والنفقة والميراث ولا يتعدى ذلك الى غيرهن فلا يقال
بناتهن اخوات المؤمنين وقيل انما حرم لانه عليه الصلوة والسلام حي في قبره ولهذا حكى الماوردي
انه لا يجب عليهن عدة الوفاة وفي التي فارقها في الحيوة كالمستعيذة والتي راى بكشحها بياضا
اوجه احدها تحرم ايضا وهو الذي نص عليه الشافعي وصححه في الروضة لعموم الآية وليس
المراد بمن بعده بعدية الموت بل بعدية النكاح وقيل لا والثالث وصححه امام الحرمين والرافعي
في الصغير تحريم المدخول بها فقط لما روي ان الاشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمن عمر فهم
عمر برجمه فاخبر انها لم تكن مدخولا بها فكف وفي امة فارقها بعد وطئها اوجه ثالثها تحرم
ان فارقها بالموت كمارية ولا تحرم ان باعها في الحيوة انتهى ومنها ما عده ابن عبد السلام
انه يجوز ان يقسم على الله به وليس ذلك لغيره قال ابن عبد السلام وهذا ينبغي ان يكون مقصورا

على النبي

على النبي صلى الله عليه وسلم لانه سيد ولد آدم وان لا يقسم على الله بغيره من الملائكة والانبيا
لانهم ليسوا في درجته وان يكون هذا مما خصه الله به لعلو درجته ومرتبته انتهى ومنها انه
يحرم رؤية اشخاص ازواجه في الازر وكذا يحرم كشف وجوههن واكفهن لشهادة او غيرها
كما صرح به القاضي عياض وعبارته فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليهن بلا خلاف في
الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ولا اظهار شخوصهن وان
كن مستترات الا ما دعت اليه الضرورة من براز ثم استدل بما في الموطا ان حفصة لما توفي عمر
رضي الله عنه سترها النسا عن ان يرى شخصها وان زينب بنت جحش جعلت لها القبة
فوق نعشها لستر شخصها انتهى قال الحافظ ابن حجر وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه
من فرض ذلك عليهن فقد كن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحججن ويطفن وكان الصحابة ومن
بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الابدان لا الاشخاص انتهى واما حكم نظر
غير ازواجه عليه الصلوة والسلام فحاصل الروضة واصلها عن الاكثرين جواز النظر الى وجه حرة
كبيرة اجنبية وكفيها اذا لم يخف فتنة مع الكراهة وقوة كلام الشيخين الرافعي والنووي
يقتضي رجحانه وصوبه في المهمات لتصريح الرافعي في الشرح بان الاكثرين عليه لكن نقل
ابن العراقي ان شيخه البلقيني قال الترجيح بقوة المدرك والفتوى على ما في المنهاج
وقد جزم به في التهذيب وقوة كلام الشرح الصغير يقتضي رجحانه وعلل باتفاق المسلمين
على منع النسا من الخروج سافرات ونقلاه في الروضة واصلها هذا الاتفاق واقراه وعورض
بنقل القاضي عياض عن العلما مطلقا انه لا يجب على المراة ستر وجهها في الطريق وانما هو
سنة وعلى الرجال غض البصر وحكاه عنه النووي في شرح مسلم واقره قال الشيخ نجم الدين
ابن قاضي عجلون في تصحيح المنهاج والله اعلم وكان النكاح في حقه عليه الصلوة والسلام
عبادة مطلقا كما قاله السبكي وهو في حق غيره ليس بعبادة عندنا بل من المباحات والعبادة
عارضة له ومنها ان اولاد بناته ينسبون اليه قال عليه الصلوة والسلام في الحسن بن علي ان
ابني هذا سيد رواه ابو يعلى ومنها ان كل سبب ونسب منقطع يوم القيمة قال عليه السلام
كل سبب ونسب منقطع الا سببي ونسبي والنسب بالولادة والسبب بالزواج قيل ومعناه
ان امته ينتفعون بالنسبة اليه يوم القيمة بخلاف امة غيره ومنها انه لا يتزوج على بناته فعن
المسور بن مخرمة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول ان بني هاشم بن المغيرة
استاذنوني في ان ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم
الا ان يحب ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها
ويؤذيني ما آذاها اخرجه الشيخان وصححه الترمذي وعنه ان علي بن ابي طالب خطب بنت
ابي جهل وعنده فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة اتت النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح ابنة
ابي جهل قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد قال اما بعد فاني انكحت

ابا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وان فاطمة بنت محمد بضعة مني وانما اكره ان يفتنوها
وانه والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد ابدا قال فترك علي
الخطبة اخرجه الشيخان واسم بنت ابي جهل هذه جويرية اسلمت وبايعت وتزوجها عتاب
ابن اسيد ثم ابان بن سعيد بن العاص قال ابو داود حرم الله تعالى على علي ان ينكح على فاطمة
حياتها لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا • وذكر الشيخ ابو علي
السنجي في شرح التلخيص انه يحرم التزوج على بنات النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون
ذلك خاصا بفاطمة رضي الله عنها وقد علل عليه الصلوة والسلام بان ذلك يؤذيه واذيته
عليه الصلوة والسلام حرام بالاتفاق • وفي هذا تحريم اذى من يتاذى النبي صلى الله عليه
وسلم باذايته لان ايذا النبي صلى الله عليه وسلم حرام اتفاقا قليله وكثيره • وقد جزم عليه
الصلوة والسلام بانه يؤذيه ما آذى فاطمة فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتاذت به فهو
يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة هذا الخبر الصحيح • وقد استشكل اختصاص فاطمة بذلك
مع ان الغيرة على النبي صلى الله عليه وسلم اقرب الى خشية الافتتان في الدين ومع ذلك فكان
صلى الله عليه وسلم يستكثر من الزوجات وتوجد منهن الغيرة ومع ذلك ما راعى صلى الله
عليه وسلم ذلك في حقهن كما راعاه في حق فاطمة واجيب بان فاطمة كانت اذ ذاك
فاقدة من تركن اليه ممن يؤنسها ويزيل وحشتها من ام او اخت بخلاف امهات المؤمنين فان
كل واحدة منهن كانت ترجع الى من يحصل لها معه ذلك وزيادة عليه وهو زوجهن صلى الله
عليه وسلم لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخواطر بحيث ان كل واحدة منهن
ترضى منه بحسن خلقه وجميل خلقه بجميع ما يصدر منه بحيث لو وجد ما يخشى وجوده من الغيرة
لزال عن قريب **ومنها** انه لا يجتهد في محراب النبي صلى الله عليه وسلم يمنة ولا يسرة وافتى
شيخ الاسلام ابو زرعة ابن العراقي فيمن امتنع من الصلوة الى محراب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
انا اجتهد واصلي بانه ان فعل ذلك مع الاعتراف بانه على ما كان عليه في زمنه عليه الصلوة والسلام
فهو ردة وان ذكر تاويلا بان قال ليس هو الان على ما كان عليه في زمنه عليه الصلوة والسلام
بل غير عما كان عليه فهذا سبب اجتهادي لم يحكم بردته وان لم يكن هذا التاويل صحيحا **ومنها**
ان من رآه في المنام فقد رآه حقا فان الشيطان لا يتمثل به • وفي رواية مسلم من رآني في المنام
فسيراني في اليقظة او لكانما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي قال الحافظ ابن حجر ووقع
عند الاسماعيلي فقد رآني في اليقظة بدل قوله فسيراني ومثله عند ابن ماجة وصححه الترمذي
من حديث ابن مسعود • وفي رواية ابي قتادة عند مسلم ايضا من رآني فقد رأى الحق ولهما
من حديث جابر من رآني في المنام فقد رآني فانه لا ينبغي للشيطان ان يتشبه بي • وفي حديث
ابي سعيد عند البخاري فان الشيطان لا يتكونني اي لا يتكون كوني فحذف المضاف ووصل
المضاف اليه بالفعل • وفي حديث ابي قتادة عند البخاري لا يتراءى بي بالراء بوزن يتعاطى ومعناه
لا يستطيع ان يتمثل بي يعني ان الله تعالى وان امكنه من التصور في اي صورة اراد فانه لم

يمكنه

يمكنه من التصور في صورة النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذهب الى هذا جماعة فقالوا في الحديث ان
محل ذلك اذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها ومنهم من ضيق الغرض في ذلك حتى قال
لا بد ان يراه في صورته التي قبض عليها حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة
وعن حماد بن زيد قال كان محمد يعني ابن سيرين اذا قص عليه رجل انه رأى النبي صلى الله عليه
وسلم قال صف لي الذي رأيته فان وصف له صفة لا يعرفها قال لم تره وسنده صحيح **وقد**
اخرج الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني ابي قال قلت لابن عباس رأيت النبي صلى الله عليه
وسلم في المنام قال صفه لي قال فذكرت الحسن بن علي فشبهته به قال قد رأيته وسنده جيد
لكن يعارضه ما اخرجه ابن ابي عاصم من وجه آخر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فاني ارى في كل صورة وفي سنده ابن التوءمة وهو ضعيف
لاختلاطه وهو من رواية من سمع منه بعد الاختلاط قال القاضي ابو بكر ابن العربي رؤيته
صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال فان
الصواب ان الانبيا لا تغيرهم الارض ويكون ادراك الذات الكريمة حقيقة وادراك الصفات
ادراك المثال قال وقد شذ بعض القدرية فقال الرؤية لا حقيقة لها اصلا قال وقوله
فسيراني معناه فسيرى تفسير ما رأى لانه حق وغيب • واما قوله فكانما رآني فهو تشبيه
ومعناه انه لو رآني في اليقظة لطابق ما رآه في المنام فيكون الاول حقا وحقيقة والثاني حقا
وتمثيلا قال وهذا كله اذا رآه على صورته المعروفة فان رآه على خلاف صفته فهي امثال فان رآه
مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائي وعلى العكس فبالعكس وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد
بقوله فقد رآني او فقد رأى الحق ان من رآه على صورته المعروفة في حياته كانت رؤياه حقا
ومن رآه على غير صورته كانت رؤيا تاويل انتهى **وتعقبه** النووي فقال هذا ضعيف
بل الصحيح انه يراه حقيقة سواء كانت على صفته المعروفة او على غيرها انتهى وتعقبه شيخ الاسلام
الحافظ ابن حجر فقال لم يظهر لي من كلام القاضي عياض ما ينافي ذلك بل ظاهر قوله انه يراه
حقيقة في الحالين لكن في الاولى تكون الرؤيا مما لا يحتاج الى تعبير وقال بعضهم معناه انه
رآه على صورته التي كان عليها ويلزم من قول من قال انه لا تكون رؤيته الا على صورته المعلومة
ان من رآه على غير صفته ان تكون رؤياه من اضغاث الاحلام ومن المعلوم انه يرى في النوم على
حالة تخالف حالته في الدنيا من الاحوال اللائقة به ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيء مما
كان عليه او ينسب اليه لعارض عموم قوله فان الشيطان لا يتمثل بي فالاولى ان تنزه رؤياه
وكذا رؤيا شيء منه او مما ينسب اليه عن ذلك فانه ابلغ في الحرمة واليق في العصمة كما عصم من
الشيطان في يقظته فالصحيح في تاويل هذا الحديث ان مقصوده ان رؤيته في كل حالة
ليست باطلة ولا اضغاثا بل هي حق في نفسها ولو رؤي على غير صورته فتصور تلك الصورة
ليس من الشيطان بل هو من قبل الله وهذا قول القاضي ابو بكر ابن الطيب وغيره ويؤيده قوله
فقد رآني ما اشار اليه القرطبي وقال ابن بطال قوله فسيراني في اليقظة يريد تصديق تلك

الرؤية في اليقظة وصحتها وخروجها على الحق وليس المراد انه يراه في الآخرة لانه سيراه يوم القيامة في اليقظة جميع امته من رآه في النوم ومن لم يره **وقال** المازري ان كان المحفوظ فكأنما رآني في اليقظة فمعناه ظاهر وان كان المحفوظ فسيراني في اليقظة احتمل ان يكون اراد اهل عصره ممن لم يهاجر اليه فانه اذا رآه في المنام جعل ذلك علامة على انه يراه بعد ذلك في اليقظة واوحى الله بذلك اليه صلى الله عليه وسلم وقيل معناه سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها **واجاب** القاضي عياض باحتمال ان تكون رؤياه في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمته في الآخرة وان يراه رؤية خاصة من القرب منه والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات قال ولا يبعد ان يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم مدة وحمله ابن ابي جمرة على محل آخر فذكر عن ابن عباس وغيره انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فبقي بعد اليقظة متفكرا في هذا الحديث فدخل على بعض امهات المؤمنين لعلها خالته ميمونة فاخرجت له المرآة التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم فنظر فيها صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ير صورة نفسه **وقال** الغزالي ليس معنى قوله فقد رآني انه رأى جسمي وبدني وانما المراد انه رأى مثالا صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي اليه وكذلك قوله فسيراني في اليقظة ليس المراد انه يرى جسمي وبدني قال والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام فان ذاته تعالى منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته تعالى الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره ويكون ذلك المثال آلة حقا في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي رأيت الله عز وجل في المنام ولا يعني اني رأيت ذات الله تعالى كما يقول في حق غيره **وقال** الغزالي ايضا في بعض فتاويه من رأى الرسول يعني في المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة وانما رأى مثاله لا شخصه ثم قال وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل **وقال** الطيبي المعنى من رآني في المنام باي صفة كانت فليستبشر وليعلم انه قد رأى الرؤيا الحق اي رؤيا الحق لا الباطل وكذا قوله فقد رأى فالشرط والجزاء اذا اتحدا دل على الغاية في الكمال اي قد رأى رؤيا ليس بعدها شيء **والحاصل** من الاجوبة انه على التشبيه والتمثيل ويدل عليه قوله فكأنما رآني في اليقظة. ثانيها معناه سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة. ثالثها انه خاص باهل عصره ممن آمن به قبل ان يراه. رابعها المراد انه يراه في المرآة التي كانت له ان امكنه ذلك **قال** شيخ مشايخنا الحافظ ابن حجر وهذا من ابعد المحامل. خامسها انه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق من رآه حينئذ ممن لم يره في المنام **والصواب** كما قدمناه في رؤيته عليه الصلوة والسلام التعميم على اي حال له رآه الرائي بشرط ان يكون على صورته الحقيقية في وقت ما سواء كان في شبابه او رجوليته او كهوليته او آخر عمره وقد يكون لما خالف ذلك تعبير

يتعلق

يتعلق بالرائي كما قال بعض علماء التعبير ان من رآه شيخا فهو غاية سلم ومن رآه شابا فهو غاية حرب **وقال** ابو سعيد احمد بن محمد بن نصر من رأى نبينا على حاله وهيئته فذلك دليل صلاح حال الرائي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ومتغير الحال عابسا مثلا فذلك دال على سوء حال الرائي **وقال** العارف ابن ابي جمرة من رآه في صورة حسنة فذلك حسن في دين الرائي وان كان في جارحة من جوارحه شين او نقص فذلك خلل في الرائي من جهة الدين قال وهذا هو الحق وقد جرب ذلك فوجد على هذا الاسلوب وبه تحصل الفائدة الكبرى في رؤياه حتى يتبين للرائي هل عنده خلل او لا لانه عليه الصلوة والسلام نوراني مثل المرآة الصقيلة ما كان في الناظر اليها من حسن او غيره تصور فيها وهي في ذاتها على احسن حال لا نقص فيها وكذلك يقال في كلامه عليه السلام في النوم انه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق وما خالفها فالخلل في سمع الرائي او بصره قال وهذا خير ما سمعته في ذلك انتهى. **وقال** بعضهم ليست رؤيته عليه الصلوة والسلام رؤيا عين انما يرى بالبصائر وذلك لا يستدعي حصر المرائي بل يرى من المشرق الى المغرب ومن الارض الى العرش كما ترى الصور في المرآة المحاذية لها وليست الصور منتقلة الى جرم المرآة وعين الناظر مقابلة لجميع الكائنات كالمرآة واختلاف رؤيته صلى الله عليه وسلم بان يراه بعضهم شيخا وآخر شابا وآخر ضاحكا وآخر باكيا يرجع الى الرائين كاختلاف الصورة الواحدة في مرايا مختلفة الاشكال والمقادير ففي الكبيرة وجهه كبيرا وفي الصغيرة صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة طويلا الى غير ذلك فالاختلاف راجع الى اختلاف المرائي كذلك الرائون له عليه الصلوة والسلام احوالهم بالنسبة اليه مختلفة فمن رآه متبسما اليه دل على ان الرائي متمسكا بسنته والله اعلم **وقد** اجاب الشيخ بدر الدين الزركشي عن سؤال رؤية جماعة له صلى الله عليه وسلم في آن واحد من اقطار متباعدة مع ان رؤيته عليه الصلوة والسلام حق بانه صلى الله عليه وسلم سراج ونور الشمس في هذا العالم نور في العوالم كلها وكما ان الشمس يراها كل من في المشرق والمغرب في ساعة واحدة وبصفة مختلفة فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم **ولله در القائل**

كالبدر من اي النواحي جئته ... يهدي الى عينيك نورا ثاقبا

واما رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد موته عليه الصلوة والسلام فقال شيخنا لم ينقل الينا ذلك عن احد من الصحابة ولا عمن بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه صلى الله عليه وسلم حتى ماتت كمدا بعده بستة اشهر على الصحيح وبيتها مجاور للضريح الشريف ولم ينقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتها عنه وانما حكي عن بعض الصالحين حكايات عن انفسهم كما هو في توثيق عرى الايمان للبارزي وبهجة النفوس لابي عبد الله بن ابي جمرة وروض الرياحين للعفيف اليافعي وغيره من تصانيفه والشيخ صفي الدين بن ابي المنصور في رسالته وعبارة ابن ابي جمرة قد ذكر السلف والخلف الى هلم جرا عن جماعة كانوا يصدقون بهذا الحديث يعني من رآني في المنام فسيراني في اليقظة انهم رأوه صلى الله عليه وسلم في النوم فرأوه بعد ذلك

في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوشين فأخبرهم بتفريجها ونص لهم على الوجوه التي منها يكون فرجها فجاء الأمر كذلك بلا زيادة ولا نقص ثم قال والمنكر لهذا لا يخلو إما أن يكون ممن يصدق بكرامات الأولياء أو لا فإن كان الثاني فقد سقط البحث معه فإنه يكذب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة وإن كان الأول فهذه منها إذ الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالمين العلوي والسفلي عديدة مع التصديق بذلك وقال الشيخ ابن أبي المنصور في رسالته ويقال إن الشيخ أبا العباس القسطلاني دخل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الله بيدك يا أحمد وعن الشيخ أبي السعود قال كنت أزور شيخك أبا العباس وغيره من صلحاء مصر فلما انقطعت واشتغلت وفتح الله علي لم يكن لي شيخ إلا النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان يصافحه عقب كل صلوة. وقال الشيخ أبو العباس الحرار دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم مرة فوجدته يكتب مناشير الأولياء بالولاية قال وكتب لأخي محمد معهم منشورا فقلت يا رسول الله ما تكتب لي كأخي فقال لي تريد أن تكون قهارا وهذه لغة أندلسية يعني طرقيا فهم أن له مقاما غير هذا. وقال حجة الإسلام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال وهم يعني أرباب القلوب في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد انتهى ورأيت في كتاب المصابيح الإلهية في مناقب السادة الوفائية عن سيدي علي بن سيدي محمد وفا أنه قال في بعض مشاهده كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب فأتيته يوما فرأيت إنسانا يقرأ عليه سورة والضحى وصحبته رفيق له وهو يلوي شدقيه بالإمالة ورفيقه يضحك إعجابا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وعليه قميص أبيض قطن ثم رأيت القميص علي فقال لي اقرأ فقرأت عليه سورة والضحى وألم نشرح ثم غاب عني فلما بلغت إحدى وعشرين سنة أحرمت بصلوة الصبح بالقرافة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبالة وجهي فعانقني فقال وأما بنعمة ربك فحدث فأوتيت لسانه من ذلك الوقت انتهى وقال البدر حسن بن الأهدل في مسئلة الرؤية لأن وقوعها للأولياء قد تواترت بأجناسها الأخبار وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك وما تواترت عليه أخبارهم لم يبق لهم شبهة فيه ولكن يقع لهم ذلك في بعض غيبة حس وغمض طرف لا تكاد تضبطها العبارة ومراتبهم في الرؤية متفاوتة وكثيرا ما يغلط فيها رواتها فقل ما تجد رواية متصلة صحيحة عمن يوثق به وأما من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناما أو في غيبة حس فيظنه يقظة وقد يرى خيالا أو نورا فيظنه الرسول وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز في هذا الباب. وأما ما حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن عن الشيخ أبي العباس المرسي أنه كان مع الشيخ أبي الحسن الشاذلي بالقيروان في ليلة الجمعة سابع عشرين رمضان فذهب معه إلى الجامع الحكاية إلى أن قال ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا علي طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس إلخ فيحتمل أن يكون

مناما. وكذلك قول الشيخ قطب الدين القسطلاني كنت أقرأ على أبي عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القرطبي بالمدينة الشريفة فبحثته يوما في وقت خلوة وأنا يومئذ حديث السن فخرج إلي ورق لحق أدبك بهذا الأدب وعاتب علي قال فذهبت وأنا منكسر الخاطر فدخلت المسجد وقعدت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينا أنا جالس على تلك الحال فإذا بالشيخ قد جاءني وقال قم فقد جاء فيك شفيع لا يرد ونحو ما حكاه السهروردي في عوارف المعارف عن الشيخ عبد القادر الكيلاني أنه قال لما تزوجت جئني قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج. وحكى السيد نور الدين الإيجي والد السيد عفيف الدين أنه في بعض زياراته للنبي صلى الله عليه وسلم سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف عليك السلام يا ولدي. وبالجملة فالقول برؤيته صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساده بأوائل العقول لاستلزامه خروجه عليه الصلوة والسلام من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده المقدس فلا يبقى منه فيه شيء بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب أشار إلى ذلك القرطبي في الرد على القائل بأن الرائي له في المنام رآه حقيقة ثم يراه كذلك في اليقظة قال وهذه جهالات لا يقول بشيء منها من له أدنى مسكة من المعقول وملتزم شيء من ذلك مختل مخبول. وقال القاضي أبو بكر بن العربي وشذ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة وقال في فتح الباري بعد أن ذكر كلام ابن أبي جمرة وهذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيمة. وللشيخ مسلم شيخ الطائفة المسلمية

من يدعي في هذه الدار أنه ... يرى المصطفى حقا فقد فاه مشططا
ولكن بين النوم واليقظة التي ... تباشر هذا الأمر رتبة وسطا

وقد جعل القاضي أبو بكر بن العربي القول بأن الرؤية في المنام بعين الرأس غلوا حتى ثم حكى ما نسب لبعض المتكلمين وهو القول بأنها مدركة بعينين في القلب وأنه ضرب من المجاز انتهى فلا يمتنع من الخواص أرباب القلوب القائمين بالمراقبة والتوجه على قدم الخوف بحيث لا يسكنون لشيء مما يقع لهم من الكرامات فضلا عن التحدث بها الغيرة ورع مع السعي في التخلص من الكدورات والإعراض عن الدنيا وأهلها جملة وكون الواحد منهم يود أن يخرج من أهله وماله وأنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم كالشيخ عبد القادر الكيلاني أن يتمثل صورته صلى الله عليه وسلم في خاطره ويتصور في عالم سره أنه يكلمه بشرط استقرار ذلك وعدم اضطرابه فإن تزلزل واضطرب كان لمزة من الشيطان وليس في ذلك خادشا في علو مناصبهم لعدم عصمة غير الأنبياء فقد قال العلامة التاج ابن السبكي في جمع الجوامع تبعا لغيره وإن الإلهام ليس بحجة لعدم الثقة بمن ليس معصوما بخواطره وحينئذ فمن قال ممن حكينا عنه عينا أو غيرهم بأن المرئي هو المثال لا يمتنع حمله على هذا بل حمل كل من أطلق عليه هو اللائق وقرب منه قوله صلى الله عليه وسلم أنه رأى الجنة والنار مع مزيد استبعاده هنالك أن يكون المراد

بالرؤية رؤية العلم ويحكى عن الشيخ ابى العباس المرسى انه قال لو حجب عنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين وعلى هذا فيكون معنى فسيرانى فى اليقظة
اى مشاهدتى وينزل حاضرا معى بحيث لا يخرج عن آدابه وسننه صلى الله عليه وسلم بل
يسلك منهاجه ويمشى على شريعته وطريقته ومنه قوله عليه الصلوة والسلام فى الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه ويحمل العموم فيمن رآنى على الموفقين واليه يشير قول بعض
المعتمدين اى من رآنى رؤية معظم لحرمتى ومشتاق لمشاهدتى وصل الى رؤية محبوبه
وظفر بكل مطلوبه وقريب منه قول شارح المصابيح او يراه فى الدنيا حالة الذوق
والانسلاخ عن العوائق الجسمانية كما نقل ذلك عن بعض الصالحين انه رآه فى حالة الذوق
والشوق وقد قال الاهدل عقب الحكاية عن الشيخ ابى العباس المرسى وهذا فيه نحو ترفع
مثله فى كلام الشيوخ وذلك ان المراد انه لم يحجب حجاب غفلة ونسيان لدوام المراقبة
واستحضارها فى الاعمال والاقوال ولم يرد انه لم يحجب عن الروح الشخصية طرفة عين
فذلك مستحيل والله اعلم انتهى ومما اختص به ان التسمى باسمه ميمون
ونافع فى الدنيا والآخرة روينا عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يوقف عبدان بين يدى الله تعالى فيؤمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بما استأهلنا الجنة
ولم نعمل عملا تجازينا الجنة به فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فانى آليت على نفسى ان لا يدخل
النار من اسمه احمد ولا محمد وروى ابو نعيم عن نبيط بن شريط قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتى وجلالى لا اعذبت احدا تسمى باسمك فى النار
وعن على بن ابى طالب قال ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد ومحمد الا قدس
الله ذلك المنزل كل يوم مرتين رواه ابو منصور الديلمى وليس لاحد ان يتكنى بكنيته
ابى القاسم سواء كان اسمه محمدا ام لا ومنهم من كره الجمع وجوز الافراد ويشبه ان يكون هو
الاصح قال النووى فى هذه المسئلة مذاهب فمذهب الشافعى المنع مطلقا وجوزه
مالك والثالث يجوز لمن ليس اسمه محمد ومن جوز مطلقا خص النهى بحياته وهو الاقرب
انتهى ومنها انه يستحب الغسل لقراءة حديثه والتطيب ولا ترفع عنده الاصوات
بل تخفض كما فى حياته اذا تكلم فان كلامه المأثور بعد موته فى الرفعة مثل كلامه المسموع
من لفظه الشريف وان يقرأ على مكان مرتفع روينا عن مطرف قال كان الناس اذا اتوا
مالكا رحمه الله خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او
المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم فى الوقت وان قالوا الحديث دخل مغتسله فاغتسل
وتطيب ولبس ثيابا جددا وتعمم ولبس ساجة والساج الطيلسان وتلقى له منصة
فيخرج يجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث قال ابن ابى اويس فقيل
له فى ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا

على

على طهارة متمكنا ويقال انه اخذ ذلك عن سعيد بن المسيب وقد كره قتادة ومالك وجماعة
التحدث على غير طهارة حتى كان الاعمش اذا كان على غيرها تيمم ولا شك ان حرمته صلى الله
عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره بعد مماته عند ذكره وذكر حديثه وسماع اسمه وسيرته كما كان
فى حياته والله اعلم ومنها انه يكره لقارئ حديثه ان يقوم لاحد قال ابن الحاج فى المدخل
لانه قلة ادب مع النبى صلى الله عليه وسلم وقلة احترام وعدم مبالاة ان يقطع حديثه
لاجل غيره فكيف لبدعة وقد كان السلف لا يقطعون حديثه ولا يتحركون وان اصابهم
الضرر فى ابدانهم ويتحملون المشقة التى تنزل بهم اذ ذاك احتراما لحديث نبيهم صلى الله
عليه وسلم وحسبك ما وقع لمالك رحمه الله فى لسع العقرب له سبع عشرة مرة وهو لم
يتحرك وتحمله للسعها توقيرا للجناب حديثه عليه الصلوة والسلام ان يكون يقرأ وهو يتحرك
لضرر اصابه مع انه معذور فيما وقع به فكيف بالحركة والقيام اذ ذاك لا لضرورة
بل للبدعة سيما اذا انضاف الى ذلك ما لا ينبغى من الكلام المعتاد انتهى ملخصا ومنها
ان قارئ حديثه لا تزال وجوههم نضرة فان قراء حديثه اختصوا بالتلقيب بالحفاظ وامراء
المؤمنين من بين سائر العلماء ومنها انه تثبت الصحبة لمن اجتمع به صلى الله عليه وسلم
لحظة بخلاف التابعى مع الصحابى فلا تثبت الا بطول الاجتماع معه على الصحيح عند اهل
الاصول والفرق عظم منصب النبوة ونورها فبمجرد ما يقع بصره على الاعرابى الجلف
ينطق بالحكمة ومنها ان الصحابة كلهم عدول لظواهر الكتاب والسنة فلا يبحث عن عدالة
احد منهم كما يبحث عن سائر الرواة قال الله تعالى خطابا للموجودين حينئذ وكذلك جعلناكم
امة وسطا اى عدولا وقال عليه الصلوة والسلام لا تسبوا اصحابى فوالذى نفسى بيده لو
انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال عليه الصلوة والسلام
خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فى آيات كثيرة واحاديث تقتضى القطع
بتعديلهم وكذلك اجمع من يعتد به على ذلك سواء فى التعديل من لابس الفتنة منهم
وغيرهم لوجوب حسن الظن بهم حملا للملابس على الاجتهاد ونظرا لما تمهد لهم من المآثر
من امتثال اوامره عليه الصلوة والسلام وفتحهم الاقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسنة
وهدايتهم الناس مع مواظبتهم على الصلوات والزكوات وانواع القربات مع الشجاعة
والبراعة والكرم والاخلاق الحميدة التى لم تكن فى امة من الامم المتقدمة ولا تكون لاحد
بعدهم مثلهم فى ذلك كل ذلك بحلول نظره عليه الصلوة والسلام وافضلهم عند اهل
السنة اجماعا ابو بكر ثم عمر واما بعدهم فالجمهور على انه عثمان ثم على وسيأتى تتمة بيانه
لذلك ان شاء الله تعالى فى المقصد السابع ومنها ان المصلى يخاطبه بقوله السلام
عليك ايها النبى ولا يخاطب غيره ومنها انه كان يجب على من دعاه وهو فى الصلوة
ان يجيبه ويستشهد له بحديث سعيد بن المعلى كنت اصلى فى المسجد فدعانى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم اجبه الحديث وفيه الم يقل الله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم

لما يجيبكم فاجابته فرض يعصى المرء بتركها وهل تبطل صلاته ام لا صرح جماعة من اصحابنا الشا فعية
وغيرهم انها لا تبطل وفيه بحث لاحتمال ان تكون اجابته واجبة مطلقا سوا كان المخاطب مصليا
او غير مصل اما كونه يخرج بالاجابة من الصلوة اولا فليس في الحديث ما يستلزمه فيحتمل ان
تجب الاجابة ولو خرج المجيب من الصلوة والى ذلك جنح بعض الشافعية والله اعلم **ومنها**
ان الكذب عليه ليس كالكذب على غيره ومن كذب عليه لم تقبل روايته ابدا وان تاب فيما
ذكره جماعة من المحدثين وقال عبد الرزاق انا معمر عن رجل عن سعيد بن جبير ان
رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير وقال اذهبا فان ادركتماه
فاقتلاه ولهذا حكى امام الحرمين عن ابيه انه من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكفر لكن لم يوافقه احد من الائمة على ذلك والحق انه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة
ولكن لا يكفر بها الا ان استحله وقال النووي لم ار له اي للقول في اصل المسئلة دليلا
ويجوز ان يوجه بان ذلك جعل تغليظا وزجرا بليغا عن الكذب عليه صلى الله عليه وسلم
لعظم مفسدته فانه يصير شرعا مستمرا الى يوم القيمة بخلاف الكذب على غيره والشهادة
فان مفسدتهما قاصرة ليست عامة ثم قال وهذا الذي ذكره هؤلاء الائمة ضعيف مخالف
للقواعد الشرعية والمختار القطع بصحة توبته بشروطها المعروفة قال فهذا هو الجاري
على قواعد الشرع وقد اجمعوا على صحة رواية من كان كافرا فاسلم قال واجمعوا على قبول
شهادته ولا فرق بين الشهادة والرواية في هذا قال شيخنا ويمكن ان يقال فيما اذا كان
كذبه في وضع حديث وحمل عنه ودون ان الاثم غير منفك عنه بل هو لاحق له ابدا فان
من سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة والتوبة حينئذ متعذرة
ظاهرا وان وجد مجرد اسمها **ومنها** انه معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها
عمدها وسهوها فكذلك الانبيا **ومنها** انه لا يجوز عليه الجنون لانه نقص ولا الاغما
الطويل الزمن فيما ذكره الشيخ ابو حامد في تعليقه وجزم به البلقيني في حواشي الروضة
وكذلك الانبيا ونبه السبكي على ان اغماهم يخالف اغما غيرهم وانما هو غلبة الاوجاع
للحواس الظاهرة دون القلب لانه قد ورد انه انما تنام اعينهم دون قلوبهم فاذا حفظت
قلوبهم وعصمت من النوم الذي هو اخف من الاغما فمن الاغما بطريق الاولى **قال**
السبكي ولا يجوز عليهم العمى لانه نقص ولم يعم نبي قط وما ذكر عن شعيب انه كان ضريرا
فلم يثبت واما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت انتهى وقال الرازي في قوله تعالى
وابيضت عيناه من الحزن لما قال يا اسفى على يوسف غلبه البكا وعند غلبة البكا يكثر الما
في العين فتصير العين كانها ابيضت من بياض ذلك الما فقوله وابيضت عيناه من الحزن
كناية من غلبة البكا والدليل على صحة هذا القول ان تاثير الحزن في غلبة البكا لا في حصول
العمى فلو حملنا الابيضاض على غلبة البكا كان هذا التعليل حسنا ولو حملناه على العمى لم
يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه اولى ثم قال واختلفوا فقال بعضهم انه قد عمي بالكلية

فالله تعالى جعله بصيرا في هذا الوقت وقال اخرون بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكا
والاحزان بحيث صار يدركه ادراكا ضعيفا فلما القوا القميص على وجهه وبشر بحيوة
يوسف عظم فرحه وانشرح صدره وزال احزانه فعند ذلك قوي بصره وزال النقصان
عنه انتهى **ومنها** ان من سبه صلى الله عليه وسلم او انتقصه قتل واختلف هل
يتحتم قتله في الحال او يوقف على استتابته وهل الاستتابة واجبة ام لا فمذهب المالكية
يقتل حدا لا ردة ولا تقبل توبته ولا عذره ان ادعى سهوا او غلطا وعبارة شيخهم
العلامة خليل في مختصره وان سب نبيا او ملكا او عرض او لعن او عابه او قذفه او استخف
بحقه او غير صفته او الحق به نقصا وان في دينه او خصلته او غض من مرتبته او وفور علمه
او زهده او اضاف له ما لا يجوز عليه او نسب له ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او قيل
له بحق الرسول فلعن وقال اردت العقرب قتل ولم يستتب حدا الا ان يسلم الكافر وان
ظهر انه لم يرد ذمه لجهل او سكر او تهور وهذا قد ذكره القاضي عياض في الشفا وغيره
واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا واللعنة من الله هي
ابعاد الملعون عن رحمته واحلاله وبيل عقوبته **قال** القاضي عياض وانما يستوجب
اللعن من هو كافر وحكم الكافر القتل والاذى هو الشر الخفيف فان زاد كان ضررا كذا قاله
الخطابي وغيره والطلاق الاذى في حقه تعالى انما هو على سبيل المجاز لتعذر الحقيقة فيه
ويشهد لذلك الحديث الالهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني وهذا بخلاف
جانب الرسول صلى الله عليه وسلم فالاذى في حقه تعالى وحق رسوله كفر بشهادة هذه
الاية لان العذاب المهين انما يكون للكفار وكذلك العذاب الاليم وقال تعالى قل
ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم قال القاضي
عياض قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما السنة
فروى ابو داود والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لنا بابن الاشرف وفي
اخرى من لكعب بن الاشرف اي من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجانا وفي
رواية فانه يؤذي الله ورسوله قال القاضي عياض ووجه من قتله غيلة دعوة بخلاف
غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وفي حديث
مصعب بن سعد عند ابي داود لما كان يوم الفتح امن صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة
نفر فذكرهم ثم قال واما ابن ابي سرح فاختبا عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي
الله بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا وكل ذلك يابى فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل على
اصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين كففت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا
ما ندري يا رسول الله ما في نفسك الا اومات الينا قال انه لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة

الاعين وفيه انه امر بقتل عبد الله بن خطل لان ابن خطل كان يقول الشعر يهجو به النبي
صلى الله عليه وسلم ويامر جاريتيه ان تغنيا به وكذلك قتل جاريتيه قالوا فقد ثبت
انه امر بقتل من آذاه ومن تنقصه والحق له عليه الصلوة والسلام وهو مخير فيه فاختار
القتل في بعضهم والعفو عن بعضهم وبعد وفاته تعذر المعرفة بالعفو فيبقى العفو
على عمومه في القتل لعدم الاطلاع على العفو وليس لامته بعده ان يسقطوا حقه صلى الله
عليه وسلم فانه لم يرد عنه الاذن في ذلك • واما الاجماع فقال القاضي عياض اجمعت
الامة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه فقال ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من
سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحاق
وهو مذهب الشافعي وقال الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله
اذا كان مسلما • وقال محمد بن سحنون اجمع العلماء على ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم
المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الامة القتل فمن شك في كفره
وعذابه كفر انتهى ومذهب الشافعية ان ذلك ردة يخرج من الاسلام الى الكفر فهو مرتد
كافر قطعا لا نزاع في ذلك عند الجمهور من ائمتنا والمرتد يستتاب فان تاب والا قتل
وفي الاستتابة قولان اصحهما وجوبها لانه كان محترما وربما عرضت له شبهة فتنبغي
ازالتها وقيل يستحب لانه غير مضمون الدم فان قلنا بالاول فيجب في الحال ولم يؤجل
كغيره • وفي الصحيح حديث من بدل دينه فاقتلوه • وفي قول يمهل ثلاثة ايام فان لم يتب
واصر رجلا كان او امراة قتل وان اسلم صح اسلامه وترك لقوله تعالى فان تابوا واقاموا
الصلوة الآية وعن ابن عباس قال ايما مسلم سب الله تعالى او سب احدا من الانبياء فقد
كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي ردة يستتاب منها فان تاب والا قتل وايما
معاهد سب الله تعالى او سب احدا من انبيائه فقد نقض العهد فاقتلوه • واجيب
عما تقدم من ادلة المالكية فاما قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية فليس
فيه الا كونه مؤذيه عليه الصلوة والسلام اما كونه يقتل بعد التوبة والاسلام فلا دلالة فيه
واما ابن خطل فانما قتل ولم يستتب للكفر والزيادة فيه بالاذى مع ما اجتمع فيه من موجبات
القتل ولانه اتخذ الاذى ديدنا فلا يقاس عليه من فرط منه فرطة وقلنا بكفره وتاب
ورجع الى الاسلام فالفرق واضح • وكذلك قتل جاريتيه لانهما جعلا ذلك ديدنا مع
ما قام بهما من صفة الكفر وقد روى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط
نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له سببين في تحتم قتله وهذا في غاية
الظهور • واما قول الخطابي وغيره لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان
مسلما فمحمول على التقييد بعدم التوبة • واما سياق القاضي عياض لقصة الذي كذب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانه بعث عليا والزبير ليقتلاه فليس يفيد غرضنا في هذا المقام

لان

لان الظاهر ان هذا كذب فيه افساد وفتنة بين المؤمنين لا سيما ان كان كافرا فيكون من
محاربي الله ورسوله مع السعي في الارض بالفساد فيكون متحتم القتل والا فليس مطلق
الكذب عليه مما يوجب القتل وكذا سياقه حديث ابن عباس هجت امراة من خطمة النبي صلى
الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا ينتطح فيها عنزان اي لا يجري فيها خلف ولا نزاع
فان في هذه الحكاية ونظائرها نظرا واضحا لقيام الكفر بالمحكي عنهم والزيادة فيه
وقد اخبر عليه الصلوة والسلام انه لا عصمة لاحد من الناس بعد دعوتهم الى الاسلام الا
بالاسلام فكل منهم مهدر الدم الا من عصم الله منهم بالاسلام وانما النافع له في مقام
الاستدلال ذكر من نطق عليه من المسلمين وضمنا الارتداد بالسب على القول بكونه ردة
فرجع الى الاسلام وتاب وهذا هو محل النزاع وموضع الاستدلال لا الكل من المنازعين
اما ذكر كافر اصلي بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وامتنع من اجابته وحاربه بيده
ولسانه فلا نزاع في اهدار دمه قطعا لا سيما وقد نقل عن هذه المراة الكافرة انها كانت
تعيب الاسلام وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه فاجتمع فيها موجبات
القتل اجماعا فقد تبين مما قاله القاضي عياض ان امره عليه الصلوة والسلام بقتلها
انما نقل عن الكفرة ولم ينقل انه عليه الصلوة والسلام قتل مسلما بسببه وانما كان ذلك في
اهل الكفر والعناد فلو نقل فلا يتعين كونه حدا لاحتمال ان يكون قتله كفرا وقد قال
الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاعلمنا ان ما وراء
الشرك في حيز امكان المغفرة وقال تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا فان قلت
هذا بالنظر الى ظلم النفس وحقوق الله تعالى لا بالنظر الى حقوق العباد لان حقوق الله
تعالى مبنية على المسامحة وحقوق العباد مبنية على المشاحة وهذا حق النبي صلى الله عليه
وسلم فليس لنا ان نسقطه بخلافه هو صلى الله عليه وسلم فان له ذلك فالجواب
لا بد لنا من نص على ذلك منه عليه الصلوة والسلام كان يقول مثلا من سبني فاقتلوه
ولا تقبلوا له توبة ولا رجوعا عن سبه فان نقل اتبعناه ثم انه من جهة النظر ينبغي الحاق
حقوق رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقوق الله فكما ان حقوقه تعالى مبناها على المسامحة
كذلك حقوقه صلى الله عليه وسلم فانه متخلق باخلاق الله تعالى ومن خصائصه
عليه الصلوة والسلام انه كان صلى الله عليه وسلم يخص من شاء بما شاء من الاحكام كجعله
شهادة خزيمة بشهادة رجلين روى ابو داود عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه وكان
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من اعرابي
فاستتبعه ليقضيه ثمن الفرس فاسرع النبي صلى الله عليه وسلم المشي وابطا الاعرابي فطفق
رجال يعترضون الاعرابي يساومونه بالفرس ولا يشعرون ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد ابتاعه حتى زاد على ثمنه فذكر الحديث قال فطفق الاعرابي يقول هلم شهيدا يشهد

انى قد بعثتك فمن جاءك من المسلمين يقول ونيلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول الا بالحق حتى جاء خزيمة فاستمع المراجعة فقال انا اشهد انك قد بايعته الحديث وفيه قال فجعل النبى صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة برجلين **وفى** البخارى من حديث زيد بن ثابت قال فوجدتها مع خزيمة الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته برجلين **وعند** الحارث بن ابى اسامة فى مسنده من حديث النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من اعرابى فرسا فجحده الاعرابى فجاء خزيمة فقال يا اعرابى انا اشهد عليك انك بعته فقال الاعرابى اذ شهد على خزيمة فاعطنى الثمن فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا خزيمة انا لم نشهدك فكيف تشهد قال انا اصدقك على خبر السماء الا اصدقك على خبر الاعرابى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين فلم يكن فى الاسلام من تعدل شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة قال الخطابى هذا حديث حمله كثير من الناس على غير محمله وتذرع به قوم من اهل البدع الى استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق على كل شىء ادعاه وانما وجه الحديث انه صلى الله عليه وسلم حكم على الاعرابى بعلمه وجرت شهادة خزيمة مجرى التوكيد لقوله والاستظهار على خصمه فصار فى التقدير بشهادة اثنين فى غيرها من القضايا انتهى **ومن ذلك ترخيصه** فى النياحة لام عطية **روى** مسلم عنها قالت لما نزلت هذه الاية يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يعصينك فى معروف قالت كان منه النياحة فقلت يا رسول الله الا آل فلان قال النووى هذا محمول على الترخيص فانهم كانوا اسعدونى فى الجاهلية فلا بد لى ان اسعدهم فقال الا آل فلان قال النووى هذا محمول على الترخيص لام عطية فى آل فلان خاصة وللشارع ان يخص من العموم ما شاء **ومن ذلك** ترك الاحداد لاسماء بنت عميس **اخرج** ابن سعد عن اسماء بنت عميس قالت لما اصيب جعفر بن ابى طالب قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلبى ثلاثا ثم اصنعى ما شئت **ومن ذلك** الاضحية بالعناق لابى بردة بن نيار رواه الشيخان من حديث البراء بن عازب قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد اصاب السنة ومن نسك قبل الصلوة فتلك شاة لحم فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله لقد نسكت قبل ان اخرج الى الصلوة وعرفت ان اليوم يوم اكل وشرب فتعجلت واكلت واطعمت اهلى وجيرانى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك شاة لحم قال فان عندى عناق جذعة هى خير من شاتى لحم فهل تجزى عنى قال نعم ولن تجزى عن احد بعدك ونيار بكسر النون وتخفيف المثناة التحتية وآخره راء وقوله تجزى بفتح اوله غير مهموز اى تقضى والجذع بالجيم والذال المعجمة وفى الحديث تخصيص ابى بردة باجزاء الجذع من المعز فى الاضحية لكن وقع فى عدة احاديث التصريح بنظير ذلك لغير ابى بردة **ففى** حديث عقبة بن عامر عند البيهقى ولا رخصة فيها لاحد بعدك قال البيهقى ان كانت هذه الزيادة محفوظة كان هذا رخصة لعقبة كما رخص لابى بردة قال الحافظ ابن حجر وفى هذا الجمع نظر لان فى

زائد

كل

كل منهما صيغة عموم فايهما تقدم على الاخر اقتضى انتفا الوقوع للثانى ويحتمل ان تكون خصوصية الاول نسخت بثبوت الخصوصية للثانى ولا مانع من ذلك لانه لم يقع فى السياق استمرار المنع لغيره صريحا وفى كلام بعضهم ان الذين ثبتت لهم الرخصة اربعة او خمسة واستشكل الجمع وليس مشكلا فان الاحاديث التى وردت فى ذلك ليس فيها التصريح بالنفى الا فى قصة ابى بردة فى الصحيح وفى قصة عقبة بن عامر عند البيهقى واما ما عدا ذلك فاخرج ابو داود وصححه ابن حبان من حديث زيد بن خالد ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطاه عتودا جذعا فقال ضح به فقلت انه جذع افاضحى قال ضح به **وفى** الاوسط للطبرانى من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم اعطى سعد بن ابى وقاص جذعا من المعز فامره ان يضحى به واخرجه الحاكم من حديث عائشة وفى سنده ضعف فلا منافاة بين ذلك وحديثى ابى بردة وعقبة لاحتمال ان يكون ذلك فى ابتدا الامر ثم تقرر الشرع بان الجذع من المعز لا يجزى واختص ابو بردة وعقبة بالرخصة فى ذلك وان تعذر الجمع بين حديثى ابى بردة وحديث عقبة فحديث ابى بردة اصح مخرجا وان كان حديث عقبة عند البيهقى من مخرج الصحيح والله اعلم **ومن ذلك** انكاح ذلك الرجل بما معه من القرآن فيما ذكره جماعة وورد به حديث مرسل اخرجه سعيد بن منصور عن ابى النعمان الازدى قال زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة على سورة من القرآن وقال لا تكون لاحد بعدك **ومنها** انه كان يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الاجر **ومنها** ان جبريل ارسل ثلاثة ايام فى مرضه يسال عن حاله ذكره البيهقى وغيره **ومنها** انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه الناس افواجا افواجا بغير امام وبغير دعا الجنازة المعروف ذكره البيهقى وابن سعد وغيرهما وترك بلا دفن ثلاثة ايام كما سياتى وفرش له صلى الله عليه وسلم قطيفة وان الامرين مكروهان فى حقنا واظلمت الارض بعد موته كما سياتى **ومنها** انه لا يبلى جسده وكذلك الانبيا رواه ابو داود وابن ماجة **ومنها** انه لا يورث فقيل لبقائه على ملكه وقيل لمصيره صدقة وبه قطع الرويانى فى البحر وحكى وجهين فى انه هل يصير وقفا على ورثته وانه اذا صار وقفا هو الواقف وجهان قال النووى فى زيادة الروضة الصواب الجزم بزوال ملكه وان ما تركه صدقة على المسلمين لا يختص به الورثة انتهى وقال فى شرح الصحيح المشهور انه صدقة وذكر الرافعى فى قسم الفئ ان الخمس كان له صلى الله عليه وسلم ينفق منه على نفسه ومصالحه ولم يكن يملكه ولا ينتقل الى ورثته وقال فى باب الخصائص انه ملكه ويجمع بينهما بان الجهة لا تنافى ما بين مملوكة وغير مملوكة والخلاف جار فى احدهما انتهى والله اعلم وعلى هذا فيباح له ان يوصى بجميع ماله للفقراء او ذلك بعد موته بخلاف غيره فانه لا يمضى مما اوصى به الا الثلث بعد موته وكذلك الانبيا لا يورثون لما رواه النسائى من حديث الزبير مرفوعا انا معاشر الانبيا لا نورث وعلى هذا فيجاب عن قوله تعالى وورث سليمان داود وقوله تعالى رب هب لى من لدنك وليا

يرتبي بان المراد ارث النبوة والعلم ومنها انه حي في قبره قيل وكذلك الانبياء ويصلي فيه
باذان واقامة ولهذا قيل لا عدة على ازواجه وقد حكى الزبير بن بكار وابن النجار ان الاذان ترك
في ايام الحرة ثلاثة ايام وخرج الناس وسعيد بن المسيب في المسجد قال سعيد فاستوحشت
فدنوت الى القبر فلما حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت الظهر ثم مضى ذلك
الاذان والاقامة في القبر لكل صلوة حتى مضت الثلاث ليال ورجع الناس وعاد المؤذنون
فسمعت اذانهم كما سمعت الاذان في قبر النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقد ثبت
ان الانبياء يحجون ويلبون فان قلت كيف يصلون ويحجون ويلبون وهم
اموات في الدار الآخرة وليست دار عمل فالجواب انهم كالشهداء بل افضل منهم والشهداء
احياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا او نقول ان البرزخ ينسحب عليه حكم
الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور او ان المنقطع في الآخرة انما هو التكليف
وقد تحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها ولهذا انهم يسبحون ويقرؤن
القرآن ومن هذا سجود النبي صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة وقد قال صاحب التلخيص
ان ماله عليه الصلوة والسلام بعد موته قائم على نفقته وملكه وعد من خصايصه
ونقل امام الحرمين عنه ان ما خلفه بقي على ما كان في حياته فكان ينفق منه ابو بكر على
اهله وخدمه وكان يرى انه باق على ملك النبي صلى الله عليه وسلم فان الانبياء احياء
وهذا يقتضي ثبات الحيوة في احكام الدنيا وذلك زائد على حيوة الشهيد والذي صحح
به النووي وقال الهلكة عليه الصلوة والسلام وان ما تركه صدقة على جميع المسلمين لا يختص
به ورثته فان قلت القرآن ناطق بموته عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى انك
ميت وانهم ميتون وقال عليه الصلوة والسلام اني مقبوض وقال الصديق فان محمدا قد مات
واجمع المسلمون على اطلاق ذلك واجاب الشيخ تقي الدين السبكي بان ذلك الموت
غير مستمر وانه صلى الله عليه وسلم احيي بعد الموت ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطا
بالموت المستمر والا فالحيوة الثانية حيوة اخروية ولا شك انها اعلا واكمل من حيوة الشهداء
وهي ثابتة للروح بلا اشكال وقد ثبت ان اجساد الانبياء لا تبلى وعود الروح
الى الجسد ثابت في الصحيح لساير الموتى فضلا عن الشهداء فضلا عن الانبياء وانما النظر
في استمرارها في البدن وفي ان البدن يصير حيا كحالته في الدنيا او حيا بدونها
وهي حيث شاء الله تعالى فان ملازمة الروح للحيوة امر عادي لا عقلي فهذا مما يجوزه
العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلوة موسى في قبره فان
الصلوة تستدعي جسدا حيا وكذلك الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات
الاجسام ولا يلزم من كونها صلوة حقيقية ان تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا
من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الاجسام التي نشاهدها بل
يكون لها حكم آخر فليس في العقل ما يمنع من اثبات الحقيقة لهم واما الادراكات كالعلم

والسماع

والسماع فلا شك ان ذلك ثابت لهم بل ولساير الموتى حكاه الشيخ زين الدين المراغي وقال
انه مما يعتقد وجوده وفي مثله يتنافس المتنافسون ومنها انه وكل بقبره ملك يبلغه
صلوة المصلين عليه رواه احمد والنسائي والحاكم وصححه بلفظ ان لله ملائكة سياحين
في الارض يبلغوني عن امتي السلام وعند الاصبهاني عن عمار ان لله ملكا اعطاه سمع
العباد كلهم فما من احد يصلي علي الا ابلغنيها وتعرض اعمال امته عليه ويستغفر لهم
روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم
اعمال امته غدوة وعشيا فيعرفهم بسيماهم وباعمالهم ومنها ان منبره صلى الله عليه
وسلم على حوضه كما في الحديث وفي رواية ومنبري على ترعة من ترع الجنة واصل الترعة
الروضة على المكان المرتفع خاصة فاذا كان في المطمئن فهي روضة ولم يختلف احد من العلماء
انه على ظاهره وانه حق محسوس موجود فان القدرة صالحة لا يعجز فيها وكل ما اخبر به الصادق
عليه الصلوة والسلام من امور الغيب فالايمان به واجب ومنها ان ما بين منبره وقبره
روضة من رياض الجنة رواه البخاري بلفظ ما بين بيتي ومنبري وهذا يحتمل الحقيقة
والمجاز اما الحقيقة فبان يكون ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم بانه من الجنة ان يكون مقتطعا
منها كما ان الحجر الاسود منها وكذلك النيل والفرات من الجنة وكذلك الثمار الهندية من الورق
التي هبط بها آدم عليه السلام من الجنة فاقتضت الحكمة ان يكون في هذه الدار من مياه الجنة
ومن ترابها ومن حجرها ومن فواكهها حكمة حكيم جليل واما المجاز فبان يكون من اطلاق اسم
المسبب على السبب فان ملازمة ذلك المكان للصلوة والعبادة سبب في نيل الجنة قال ابن
ابي جمرة وهو معنى قول بعضهم لكون العبادة فيه تؤول الى دخول العابد روضة الجنة وهذا
فيه نظر اذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة على غيرها وفي كتاب بهجة النفوس لابن ابي جمرة
ايضا حكاية قول ان تلك البقعة تنقل بعينها فتكون في الجنة يعني روضة من رياضها
قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا يعني حتما لكونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها
يوجب لصاحبه روضة في الجنة وياتي مزيد لذلك في فصل الزيارة من المقصد الاخير
ان شاء الله تعالى ومنها انه صلى الله عليه وسلم اول من ينشق عنه القبر وفي رواية
مسلم انا اول من تنشق عنه الارض وهو اول من يفيق من الصعقة قال عليه الصلوة والسلام
انا اول من يرفع راسه بعد النفخة فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري
اقام قبلي ام جوزي بصعقة الطور رواه البخاري والظاهر انه عليه الصلوة والسلام
لم يكن عنده علم ذلك حتى اعلمه الله تعالى فقد اخبر عن نفسه الكريمة انه عليه الصلوة والسلام
اول من ينشق عنه القبر وهو اول من يجوز على الصراط رواه البخاري من حديث ابي هريرة
وانه يحشر في سبعين الفا من الملائكة روى عن كعب الاحبار ما من فجر يطلع الا نزل سبعون
الف ملك يحفون بقبره عليه الصلوة والسلام يضربون باجنحتهم حتى اذا امسوا عرجوا
وهبط سبعون الف ملك حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة

يوقرونه صلى الله عليه وسلم الحديث رواه البخاري في تاريخ المدينة، وانه يحشر راكب البراق رواه الحاكم البسلفي كما ذكره الطبري، ويكسى في الموقف اعظم الحلل من الجنة، رواه البيهقي بلفظ فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر، ورواه كعب بن مالك بلفظ يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني ربي حلة خضرا رواه الطبراني وهو عند ابن ابي شيبة بلفظ يحشر الناس على تل وامتي على تل، وعند الطبراني ايضا من حديث ابن عمر فيرقى هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وامته على كوم فوق الناس، وانه يقوم عن يمين العرش رواه ابن مسعود عنه عليه الصلوة والسلام، وفيه لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون **ومنها** انه يعطى المقام المحمود قال مجاهد هو جلوسه صلى الله عليه وسلم على العرش وعن عبد الله بن سلام على الكرسي ذكرهما البغوي وسياتي ما قيل في ذلك في ذكر تفضيله عليه الصلوة والسلام بالمقام المحمود ان شا الله تعالى **ومنها** انه يعطى الشفاعة العظمى في فصل القضا بين اهل الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبيا والشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب وفي رفع درجات ناس في الجنة كما جوزه النووي اختصاص هذه والتي قبلها به وورد الاحاديث به في التي قبل وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى في المقصد الاخير بعون الله المعين **ومنها** انه صاحب لوا الحمد يوم القيمة آدم فمن دونه تحته رواه البزار وانه اول من يقرع باب الجنة **روى** مسلم من حديث المختار بن فلفل عن انس قال قال صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيمة وانا اول من يقرع باب الجنة وعنده ايضا عن انس قال صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن بك امرت لا افتح لاحد قبلك ورواه الطبراني بزيادة فيه قال فيقوم الخازن فيقول لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك وهذه خصوصية اخرى له صلى الله عليه وسلم وهي ان خازن الجنة لا يقوم لاحد غيره صلى الله عليه وسلم فقيامه له عليه الصلوة والسلام فيه اظهار لمزية ومرتبة ولا يقوم لاحد بعده بل خدمة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم، وقد اقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله حتى مشى وفتح له الباب، **ومنها** انه صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة قال عليه الصلوة والسلام وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقرا المؤمنين ولا فخر رواه الترمذي **ومن خصايصه** صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضه مجراه على الدر والياقوت وماوه احلى من العسل وابيض من الثلج **ومنها** الوسيلة وهي اعلى درجة في الجنة

واما خصايص امته

صلى الله عليه وسلم وزادها شرفا **فاعلم** انه لما انشا سبحانه وتعالى العالم على غاية من الاتقان وابرز جسد نبينا صلى الله عليه وسلم للعيان وظهرت عنايته بامته الانسانية بحضوره وظهوره فيها وان كان العالم الانساني والناري كله امته ولكن لهو لا خصوص وصف فجعلهم خير امة اخرجت وجعلهم ورثة الانبيا واعطاهم الاجتهاد في نصب الاحكام فيحكمون بما ادى

اليه

اليه اجتهادهم وكل من دخل من الانبيا كعيسى صلى الله عليه وسلم او قدر دخوله كالخضر في زمان هذه الامة من الانبيا عليهم الصلوة والسلام بعد نبيها صلى الله عليه وسلم فانه لا يحكم في العالم الا بما شرع محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الامة فاذا نزل سيدنا عيسى عليه السلام فانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالهام او اطلاع على الروح المحمدي او بما شا الله تعالى فياخذ عنه ما شرع الله له ان يحكم به في امته فلا يحكم في شي من تحريم وتحليل الا بما كان يحكم به نبينا صلى الله عليه وسلم ولا يحكم بشريعته التي انزلت عليه في اوان رسالته ودولته فهو عليه السلام تابع لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد نبه على ذلك الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاوليا **واغرب** عند صاحب عنقا مغرب، وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح عقايد النسفي وصحح انه يصلي بالناس ويومهم ويقتدي به المهدي لانه افضل منه فامامته اولى انتهى فهو عليه الصلوة والسلام وان كان خليفة في الامة المحمدية فهو رسول ونبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه ياتي واحدا من هذه الامة **نعم** هو واحد من هذه الامة لما ذكر من وجوب اتباعه لنبينا صلى الله عليه وسلم والحكم بشريعته **فان قلت** قد ورد في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فان الصواب في معناه انه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام او القتل وهذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا اكراهه على الاسلام واذا كان كذلك فكيف يكون عيسى عليه الصلوة والسلام حاكما بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم **فالجواب** انه لا خلاف ان عيسى عليه السلام انما ينزل حاكما بهذه الشريعة المحمدية ولا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الامة، واما حكم الجزية وما يتعلق به فليس حكما مستمرا الى يوم القيمة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى عليه السلام وقد اخبر نبينا صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس عليه السلام هو الناسخ بل نبينا صلى الله عليه وسلم هو المبين للنسخ فدل على ان الامتناع في ذلك الوقت من قبول الجزية هو شرع نبينا صلى الله عليه وسلم اشار اليه النووي في شرح مسلم **فان قلت** ما المعنى في تغيير حكم الشرع عند نزول عيسى عليه السلام في قبول الجزية **فاجاب** ابن بطال بانا انما قبلناها نحن لاحتياجنا الى المال وليس يحتاج عيسى عليه السلام عند خروجه الى المال لانه يفيض في ايامه المال حتى لا يقبله احد فلا يقبل الا القتل او الايمان بالله وحده انتهى **واجاب** الشيخ ولي الدين بن العراقي بان قبول الجزية من اليهود والنصارى لشبهة ما بايديهم من التورية والانجيل وتعلقهم بزعمهم بشرع قديم فاذا نزل عيسى عليه السلام زالت تلك الشبهة بحصول معاينته فصاروا كعبدة الاوثان في انقطاع شبهتهم وانكشاف امرهم فعوملوا معاملتهم في انه لا يقبل منهم الا الاسلام والحكم يزول بزوال علته قال وهذا معنى حسن مناسب لم ار من تعرض له قال وهذا اولى مما ذكره ابن بطال انتهى وكذلك من يقول من العلما بنبوة الخضر فانه باق الى اليوم

فانه تابع لاحكام هذه الملة وكذلك الياس على ما صححه ابو عبد الله القرطبي انه حي ايضا
وليس في الرسل من يتبعه رسول له كتاب الا نبينا صلى الله عليه وسلم وكفى بهذا شرفا
لهذه الامة المحمدية زادها الله شرفا • فالحمد لله الذي خصنا بهذه الرحمة • واسبغ علينا هذه
النعمة • ومن علينا بما عمنا به من الفضائل الجمة • ونوه بنا في كتابه العزيز بقوله كنتم خير امة
فتامل قوله كنتم اي في اللوح المحفوظ وقيل كنتم في علم الله فينبغي لمن هو من هذه الامة
المحمدية • ان يتخلق بالاخلاق الزكية • ليثبت له ما لهذه الامة الشريفة من الاوصاف الكريمة
ويتاهل لما لها من الخيرية • قال مجاهد كنتم خير امة اخرجت للناس اذا كنتم على الشرائط
المذكورة اي تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر • وقيل انما صارت امة محمد صلى الله عليه
وسلم خير امة لان المسلمين منهم اكثر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم افشى فقيل
هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عليه الصلوة والسلام خير الناس قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا يدل على ان اول هذه الامة افضل مما بعدها والى هذا
ذهب معظم العلما وان من صحبه صلى الله عليه وسلم وراه ولو مرة من عمره افضل من كل من
ياتي بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل هذا مذهب الجمهور وذهب ابو عمر بن عبد البر
الى انه قد يكون فيمن ياتي بعد الصحابة افضل ممن كان في جملة الصحابة وان قوله عليه
الصلوة والسلام خير الناس قرني ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول
وقد جمع قرنه عليه الصلوة والسلام جماعة من المنافقين المظهرين للايمان واهل الكبائر
الذين اقام عليهم وعلى بعضهم الحدود وقد روى ابو امامة انه صلى الله عليه وسلم
قال طوبى لمن راني وامن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وامن بي وفي مسند ابي داود الطيالسي
عن محمد بن ابي حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اتدرون اي الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا
الانبيا قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم في اصلاب
الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم افضل الخلق ايمانا وروى ان عمر بن عبد العزيز لما ولي
الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب الى بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم
ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال
عمر قال وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال ابو عمر فهذه الاحاديث تقتضي
مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين اول هذه الامة واخرها في فضل العمل الا اهل بدر
والحديبية • ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب • والله يؤتي فضله من يشاء انتهى • واسناد
حديث ابي داود الطيالسي عن عمر ضعيف فلا يحتج به • لكن روى احمد والدارمي والطبراني
عن ابي عبيدة يا رسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم
يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني واسناده حسن وصححه الحاكم والحق ما عليه الجمهور
ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدلايل على

افضلية

افضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل بذكرها وسياتي بقية مباحث ذلك
في فضل الصحابة من المقصد السابع ان شا الله تعالى وقد خص الله تعالى
هذه الامة الشريفة بخصايص لم يؤتها امة قبلهم ابانت بها فضلهم والاخبار والاثار
ناطقة بذلك خرج ابو نعيم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى
عليه السلام لما نزلت عليه التورية وقراها وجد فيها ذكر هذه الامة قال يا رب اني اجد
في الالواح امة اناجيلهم في صدورهم يقرونها ظاهرا فاجعلها امتي قال تلك امة احمد
قال يا رب اني اجد في الالواح امة يجعلون الصدقة في بطونهم يوجرون عليها فاجعلها امتي
قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها امتي قال تلك امة
احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه
وان عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في
الالواح امة يؤتون العلم الاول والعلم الاخر فيقتلون المسيح الدجال فاجعلها امتي
قال تلك امة احمد قال يا رب فاجعلني من امة احمد فاعطي عند ذلك خصلتين فقال
يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين قال
قد رضيت يا رب وروى ابن طغربك في النطق المفهوم عن ابن عباس رفعه قال موسى
يا رب فهل في الامم اكرم عليك من امتي ظللت عليهم الغمام وانزلت عليهم المن والسلوى
فقال سبحانه وتعالى يا موسى اما علمت ان فضل امة محمد على سائر الامم كفضلي على جميع خلقي
قال يا رب فارنيهم قال لن تراهم ولكن اسمعك كلامهم فناداهم الله تعالى فاجابوا كلهم
بصوت واحد لبيك اللهم لبيك وهم في اصلاب ابائهم وبطون امهاتهم فقال سبحانه وتعالى
صلاتي عليكم ورحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عذابي قد استجبت لكم قبل ان تسالوني فمن
لقيني منكم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه قال صلى الله عليه وسلم
فاراد الله ان يمن علي بذلك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي امتك حتى اسمعنا
موسى كلامهم وزاد فقال موسى يا رب ما احسن اصوات امة محمد صلى الله عليه وسلم اسمعني مرة
اخرى وفي الحلية لابي نعيم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى
موسى نبي بني اسرائيل انه من لقيني وهو جاحد باحمد ادخلته النار قال يا رب ومن احمد قال
ما خلقت خلقا اكرم علي منه كتبت اسمه مع اسمي في العرش قبل ان اخلق السموات والارض
ان الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وامته قال ومن امته قال الحمادون يحمدون صعودا
وهبوطا وعلى كل حال يشدون اوساطهم ويطهرون اطرافهم صائمون بالنهار رهبان بالليل
اقبل منهم اليسير وادخلهم الجنة بشهادة ان لا اله الا الله قال اجعلني نبي تلك الامة قال
نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستاخر ولكن ساجمع بينك وبينه
في دار الجلال وعن وهب بن منبه قال اوحى الله تعالى الى شعيا اني باعث نبيا اميا افتح به

آذاناً صمّاً وقلوباً غلفاً وأعيناً عمياً مولده بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام عبدي المتوكل المصطفى المرفوع الحبيب المنتخب المختار لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ويغفر رحيماً بالمؤمنين يبكي للبهيمة المثقلة وللبتيم في حجر الأرملة ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا لو يمر إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته فلو يمشي على القصب الرعراع لم يسمع من تحت قدميه ابعثه مبشراً ونذيراً إلى أن قال واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس آمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وتوحيداً لي وإيماناً بي وإخلاصاً لي وتصديقاً لما جاءت به رسلي هم رعاة الشمس والقمر طوبى لتلك القلوب والوجوه والأرواح التي أخلصت لي ألهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد لي في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثواهم ويصفون في مساجدهم كما تصف الملائكة حول عرشي هم أوليائي وأنصاري أنتقم بهم من أعدائي عبدة الأوثان يصلون لي قياماً وقعوداً وركعاً وسجداً ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء مرضاتي ألوفاً ويقاتلون في سبيلي صفوفاً أختم بكتابهم الكتب وبشريعتهم الشرائع وبدينهم الأديان فمن أدركهم فلم يؤمن بكتابهم ويدخل في دينهم وشريعتهم فليس مني وهو مني بريء وأجعلهم أفضل الأمم وأجعلهم أمة وسطاً شهداء على الناس إذا غضبوا هللوني وإذا تنازعوا سبحوني يطهرون الوجوه والأطراف ويشدون الثياب إلى الأنصاف ويهللون على التلال والأشراف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهباناً بالليل ليوثاً بالنهار طوبى لمن كان معهم وعلى دينهم ومناهجهم وشريعتهم وذلك فضلي أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم رواه أبو نعيم وقد ذكر الإمام فخر الدين أن من كانت معجزاته أظهر يكون ثواب أمته أقل وقال السبكي إلا هذه الأمة فإن معجزات نبينا أظهر وثوابنا أكثر من سائر الأمم ومن خصائص هذه الأمة إحلال الغنائم ولم تحل لأمة قبلها وجعلت لهم الأرض مسجداً ولم تكن الأمم تصلي إلا في البيع والكنائس وجعل ترابها لهم طهوراً وهو التيمم وفي رواية أبي أمامة عند البخاري وجعلت الأرض كلها لي ولأمتي مسجداً وطهوراً وفي رواية مسلم من حديث حذيفة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها طهوراً إذا لم نجد الماء ومن خصائص هذه الأمة أيضاً الوضوء فإنه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم ذكره الحليمي واستدل بحديث البخاري إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء لكن قال في فتح الباري فيه نظر لأنه ثبت في البخاري في قصة سارة عليها السلام مع الملك الذي أعطاها هاجر أن سارة لما هم الملك بالدنو منها قامت تتوضأ وتصلي وفي قصة جريج الراهب أيضاً أنه قام فتوضأ وصلى ثم كلم الغلام فالظاهر أن الذي اختصت به هذه الأمة هو الغرة والتحجيل لا أصل الوضوء وقد صرح بذلك في رواية لمسلم عن أبي هريرة مرفوعاً لكم سيما ليست لأحد غيركم أي علامة ومنها مجموع الصلوات الخمس ولم تجمع لأحد غيرهم أخرج الطحاوي عن عبيد الله بن محمد بن عائشة قال إن آدم لما تيب عليه عند الفجر صلى ركعتين فصارت الصبح وفدي إسحاق عند الظهر فصلى أربع ركعات

فصارت الظهر وبعث عزير عند العصر فقيل له كم لبثت قال يوماً فرأى الشمس فقال أو بعض يوم فصلى أربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب فقام يصلي أربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثاً وأول من صلى العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأخرج أبو داود في سننه وابن أبي شيبة في مصنفه والبيهقي في سننه عن معاذ بن جبل قال أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العتمة ليلة حتى ظن الظان أن قد صلى ثم خرج فقال أعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم ومنها الأذان والإقامة ومنها البسملة قاله بعضهم فيما نقله الشيخ شهاب الدين الحلبي النحوي في تفسيره قال ولم ينزلها على أحد من الأمم قبلنا إلا على سليمان بن داود فهي مما اختصت به هذه الأمة انتهى ومنها التأمين روى الإمام أحمد من حديث عائشة قالت بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ استأذن رجل من اليهود فذكر الحديث وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنهم لم يحسدونا على شيء كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وعلى قولنا خلف الإمام آمين قال الحافظ ابن حجر وهذا حديث غريب لا أعرفه بهذه الألفاظ إلا من هذا الوجه لكن لبعضه متابع حسن أخرجه ابن ماجه وصححه ابن خزيمة كلاهما من رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما حسدتنا اليهود على شيء ما حسدتنا على السلام والتأمين ومنها الاختصاص بالركوع عن علي رضي الله عنه قال أول صلاة ركعنا فيها العصر فقلت يا رسول الله ما هذا قال بهذا أمرت رواه البزار والطبراني في الأوسط ووجه الاستدلال منه أنه صلى الله عليه وسلم صلى قبل ذلك الظهر وصلى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل فكون الصلاة السابقة بلا ركوع قرينة لصلاة الأمم السابقة منه قاله بعض العلماء قال وذكر جماعة من المفسرين في قوله تعالى واركعوا مع الراكعين أن مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الأمة وأنه لا ركوع في صلاة بني إسرائيل ولذا أمرهم بالركوع مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا يعارضه قوله تعالى يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين قال المفسرون أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها قالوا وقدم السجود قبل الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعة كقوله أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً وبالسجود الصلاة لقوله وأدبار السجود وبالركوع الخشوع والإخبات ومنها الصفوف في الصلاة كصفوف الملائكة رواه مسلم من حديث حذيفة ومنها تحية السلام لحديث عائشة السابق ومنها الجمعة قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد رواه البخاري ومنها ساعة الإجابة التي في الجمعة واختلف في تعيينها على أقوال تزيد على الثلاثين ذكرتها في لوامع الأنوار في الأدعية والأذكار ومنها

اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نظر الله تعالى اليهم ومن نظر اليه لم يعذبه ابدا وتزين
الجنة فيه وخلوف افواه الصائمين اطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة في
كل ليلة حتى يفطروا واذا كان آخر ليلة غفر لهم جميعا رواه البيهقي باسناد لا باس به بلفظ
اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي الحديث وتستغفر لهم الحيتان حتى
يفطروا رواه البزار وتصفد فيه مردة الشياطين رواه البزار واحمد ومنها السحور وتعجيل
الفطر رواه الشيخان واباحة الاكل والشرب والجماع ليلا الى الفجر وكان محرما على من قبلنا بعد
النوم وكذا كان في صدر الاسلام ثم نسخ ومنها ليلة القدر كما قاله النووي في شرح المهذب
وهل صيام رمضان من خصايص هذه الامة ام لا ان قلنا ان التشبيه الذي دلت عليه الكاف
في قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم على حقيقته فيكون رمضان كتب
على من قبلنا وذكر ابن ابي حاتم عن ابن عمر رفعه صيام رمضان كتبه الله على الامم قبلكم وفي
اسناده مجهول وان قلنا المراد مطلق الصيام دون قدره ووقته فيكون التشبيه واقعا على
مطلق الصوم وهو قول الجمهور ومنها ان لهم الاسترجاع عند المصيبة قال سعيد بن جبير
لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم تعط الانبياء عليهم السلام مثله انا لله وانا اليه راجعون
ولو اعطيه الانبياء لاعطيه يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفى على يوسف ومنها ان الله
تعالى رفع عنهم الاصر الذي كان على الامم قبلهم قال الله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي
كانت عليهم اي ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطا
وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة وقتل النفس في التوبة وقد كان الرجل من بني
اسرائيل يذنب الذنب فيصبح قد كتب على باب بيته ان كفارته ان تنزع عينيك فينزعهما
واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله ومنها ان الله تعالى احل لهم
كثيرا مما شدد على من كان قبلهم ولم يجعل عليهم في الدين من حرج كما قال تعالى وما جعل عليكم
في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما اشتد القيام به عليهم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه
ولا عذر لهم في تركه يعني من لم يستطع ان يصلي قائما فليصل قاعدا واباح للصائم الفطر في
السفر والقصر فيه وقيل بان جعل لهم من كل ذنب فرجا وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات
في حقوقه تعالى والاروش والديات في حقوق العباد قاله البيضاوي وروي عن
ابن عباس انه قال الحرج ما كان على بني اسرائيل من الاصر والشدائد وضعه الله عن هذه الامة
وعن كعب اعطى الله هذه الامة ثلاثا لم يعطهن الا للانبياء جعلهم شهداء على الناس وما
جعل عليهم في الدين من حرج وقال ادعوني استجب لكم ومنها ان الله تعالى رفع عنهم المواخذة
بالخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس وقد كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما
امروا به او اخطاوا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شيء من مطعم ومشرب على حسب ذلك الذنب وقد
قال صلى الله عليه وسلم ان الله وضع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه رواه احمد
وابن حبان والحاكم وابن ماجة ومنها ان الاسلام وصف خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم

الا الانبياء عليهم الصلوة والسلام لقوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل وقد رضيت لكم
الاسلام دينا اذ لو لم يكن خاصا بهم لم يكن في الامتنان عليهم بذلك فائدة وقد يجاب
بان رضي الاسلام دينا لهم وتسمية ابرهيم اياهم بذلك لا ينافي اتصاف غيرهم به وفائدة
ذلك الاعلام بالانعام عليهم بما انعم به على غيرهم من الفضائل وقيل لا يختص بهم بل
يطلق على غيرهم ايضا وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعا كما اجاب به ابن الصلاح لقوله
تعالى حكاية عن وصية يعقوب ولا تموتن الا وانتم مسلمون فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين الى غير ذلك ولان الايمان اخص من الاسلام كما هو مذهب كثير من العلماء
وليس خاصا بهذه الامة بل يوصف به كل من دخل في شريعته مقرا بالله وبانبيائه كما قاله
الراغب ومنها ان شريعتهم اكمل من جميع شرائع الامم المتقدمة وهذا مما لا يحتاج الى بيان
لوضوحه وانظر الى شريعة موسى عليه السلام فقد كانت شريعة جلال وقهر امروا بقتل
نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات وحرمت عليهم الغنائم
وعجلت لهم من العقوبات ما عجل وحملوا من الاصار والاغلال ما لم يحمله غيرهم وكان موسى
عليه السلام من اعظم خلق الله هيبة ووقارا واشدهم باسا وغضبا لله وبطشا باعداء
الله فكان لا يستطاع النظر اليه وعيسى عليه السلام كان في مظهر الجمال وكانت شريعته
شريعة فضل واحسان وكان لا يقاتل ولا يحارب وليس في شريعته قتال البتة والنصارى
يحرم عليهم في دينهم القتال وهم به عصاة فان الانجيل يامر فيه ان من لطمك على خدك
الايمن فادر له الايسر ومن نازعك ثوبك فاعطه رداءك ومن سخرك ميلا فامش معه
ميلين ونحو هذا وليس في شريعتهم مشقة ولا اصر ولا اغلال واما النصارى فابتدعوا
تلك الرهبانية من قبل انفسهم ولم تكتب عليهم واما نبينا صلى الله عليه وسلم فكان
مظهر الكمال الجامع لتلك القوة والعدل والشدة في الله واللين والرافة والرحمة فشريعته
اكمل الشرائع وامته اكمل الامم واحوالهم ومقاماتهم اكمل الاحوال والمقامات ولذلك تاتي
شريعته صلى الله عليه وسلم بالعدل ايجابا له وفرضا وبالفضل ندبا اليه واستحبابا وبالشدة
في موضع الشدة وباللين في موضع اللين ووضع السيف موضعه ووضع الندا موضعه فيذكر
الظلم ويحرمه والعدل ويامر به والفضل ويندب اليه في بعض آية كقوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها فهذا عدل فمن عفى واصلح فاجره على الله فهذا فضل انه لا يحب الظالمين فهذا
تحريم للظلم وقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به هذا ايجاب للعدل وتحريم
للظلم ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ندب الى الفضل وكذلك تحريمه ما حرم على هذه
الامة صيانة وحمية حرم عليهم كل خبيث وضار واباح لهم كل طيب ونافع فتحريمه عليهم
رحمة وعلى من كان قبلهم لم يخل من عقوبة كما اشرت اليه قريبا وهداهم لما ضلت عنه
الامم قبلهم كيوم الجمعة كما ساذكره ان شاء الله تعالى في مقصد عباداته عليه الصلوة والسلام
وتقدم ما يشهد له ووهب لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير امة اخرجت للناس وكمل لهم

من المحاسن ما فرقه في الامم كما كمل لنبيهم من المحاسن ما فرقه في الانبيا قبله وكمل في
كتابهم من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله وكذلك في شريعته فهذه الامة هم المجتبون كما
قال الههم هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعلهم شهدا على الناس فاقامهم
في ذلك مقام الرسل الشاهدين على اممهم اشار اليه ابن القيم ومنها انهم لا يجتمعون
على ضلالة رواه احمد في مسنده والطبراني في الكبير وابن ابي خيثمة في تاريخه عن ابي بصرة
الغفاري رفعه سالت ربي ان لا تجتمع امتي على ضلالة فاعطانيها وروى
ابن ابي عاصم والطبراني ايضا من حديث ابي مالك الاشعري رفعه ان الله اجاركم من ثلاث
وذكر منها ان لا تجتمعوا على ضلالة قال شيخنا وبالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو اسانيد
كثيرة وله شواهد متعددة في المرفوع وغيره ومنها ان اجماعهم حجة وان اختلافهم رحمة
وكان اختلاف من قبلهم عذابا روى البيهقي في المدخل في حديث من رواية سليمان
ابن ابي كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاف
اصحابي لكم رحمة وجويبر ضعيف جدا والضحاك عن ابن عباس منقطع وهو كما قال الحافظ شيخ
الاسلام ابن حجر حديث مشهور على الالسنة وقد اورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث
القياس بلفظ اختلاف امتي رحمة للناس قال وكثر السوال عنه وزعم كثير من الائمة انه لا اصل
له لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطردا وقال اعترض على هذا الحديث رجلان احدهما
ماجن والاخر ملحد وهما اسحاق الموصلي وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا جميعا لو كان الاختلاف
رحمة لكان الاتفاق عذابا قال ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام ولم يقع في كلامه نص
في عزو الحديث ولكنه اشعر بان له اصلا عنده ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد
قال اهل العلم اهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا فلا يعيب
هذا على هذا اشار اليه شيخنا في المقاصد الحسنة ومنها ان الطاعون لهم شهادة
ورحمة وكان على الامم عذابا ومنها انهم اقل الامم عملا واكثرهم اجرا واقصرهم اعمارا
واوتوا العلم الاول والاخر وآخر الامم فافتضحت الامم عندهم ولم يفتضحوا ومنها
انهم اوتوا الاسناد وهو خصيصة فاضلة من خصايص هذه الامة وسنة بالغة من السنن
المؤكدة وقد روينا من طريق ابي العباس الدغولي قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر
يقول ان الله قد اكرم هذه الامة وشرفها وفضلها بالاسناد وليس لاحد من الامم كلها
قديمها وحديثها اسناد انما هو صحف في ايديهم وقد خلطوا بكتبهم اخبارهم فليس عندهم
تمييز بين ما نزل من التورية والانجيل وبين ما الحقوه بكتبهم من الاخبار التي اخذوه
من غير الثقات وهذه الامة الشريفة زادها الله شرفا بنبيها انما تنص الحديث عن الثقة
المعروف في زمانه بالصدق والامانة عن مثله حتى تتناهى اخبارهم ثم يبحثون اشد
البحث حتى يعرفوا الاحفظ فالاحفظ والاضبط فالاضبط والاطول مجالسة لمن فوقه
ممن كان اقصر مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها واكثر حتى يهذبوه من الغلط

والزلل

والزلل ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا فهذا من فضل الله على هذه الامة فلنستودع الله تعالى
شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه وقال ابو حاتم الرازي لم يكن في امة من الامم منذ
خلق الله تعالى آدم امنا يحفظون آثار الرسل الا في هذه الامة انتهى ومنها انهم اوتوا الانساب
والاعراب قال ابو بكر محمد بن احمد بلغني ان الله خص هذه الامة بثلاثة اشيا لم يعطها
من قبلها الاسناد والانساب والاعراب انتهى وهو مروي عن ابي علي الجياني ايضا ومنها
انهم اوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم ولا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى ياتي امر
الله رواه الشيخان ومنها ان فيهم اقطابا واوتادا ونجبا وابدالا عن انس مرفوعا
الابدال اربعون رجلا واربعون امراة كلما مات رجل ابدل الله رجلا مكانه واذا ماتت
امراة ابدل الله مكانها امراة رواه الخلال في كرامات الاوليا ورواه الطبراني في الاوسط
بلفظ لن تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه السلام فبهم تسقون وبهم
تنصرون ما مات منهم احد الا ابدل الله مكانه آخر ورواه ابن عدي في كامله بلفظ البدلاء
اربعون اثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم احد ابدل مكانه آخر
فاذا جا الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة وكذا يروى كما عند احمد في المسند والخلال
من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا لا يزال في هذه الامة ثلاثون مثل ابرهيم خليل الرحمن
كلما مات واحد ابدل الله تعالى مكانه رجلا وفي لفظ الطبراني في الكبير بهم تقوم الارض
وبهم يمطرون وبهم ينصرون ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر رفعه خيار امتي في كل قرن خمسمائة
والابدال اربعون فلا الخمسماية ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله مكانه
آخر وهم في الارض كلها وفي الحلية ايضا عن ابن مسعود رفعه لا يزال اربعون من امتي
قلوبهم على قلب ابرهيم يدفع الله بهم عن اهل الارض يقال لهم الابدال انهم لم يدركوها بصلوة
ولا بصوم ولا بصدقة قال فبم ادركوها يا رسول الله قال بالسخا والنصيحة للمسلمين
وعن معروف الكرخي من قال اللهم ارحم امة محمد في كل يوم كتبه الله من الابدال وهو في
الحلية بلفظ من قال في كل يوم عشر مرات اللهم اصلح امة محمد اللهم فرج عن امة محمد اللهم
ارحم امة محمد كتب من الابدال وعن غيره قال من علامة الابدال ان لا يولد لهم ويروى
في مرفوع علامة ابدال امتي انهم لا يلعنون شيئا ابدا وقال يزيد بن هارون الابدال هم
اهل العلم وقال الامام احمد ان لم يكونوا اصحاب الحديث فمن هم وفي تاريخ بغداد
للخطيب عن الكتاني قال النقبا ثلاثمائة والنجبا سبعون والبدلا اربعون والاخيار
سبعة والعمد اربعة والغوث واحد فمسكن النقبا المغرب ومسكن النجبا مصر ومسكن
الابدال الشام والاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا الارض ومسكن الغوث مكة
فاذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقبا ثم النجبا ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد
فان اجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته انتهى ومنها انهم يدخلون
قبورهم بذنوبهم ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص عنهم باستغفار المؤمنين لهم رواه الطبر

مطلب عدد الابدال والنقباء والنجباء والاخيار والعمد والغوث

في الاوسط من حديث انس ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة
تدخل قبورها بذنوبها وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها تمحص باستغفار المؤمنين لها
ومنها انهم اختصوا في الآخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من الامم رواه ابو نعيم عن ابن
عباس مرفوعا بلفظ وانا اول من تنشق الارض عني وعن امتي ولا فخر ومنها انهم يدعون
يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء رواه البخاري والغرة بياض في وجه الفرس والتحجيل
بياض في قوائمه وذلك مما يكسبه حسنا وجمالا فشبه صلى الله عليه وسلم النور الذي يكون
يوم القيمة في اعضاء الوضوء بالغرة والتحجيل ليفهم ان هذا البياض في اعضاء الانسان مما
يزينه لا مما يشينه يعني انهم اذا دعوا على رؤس الاشهاد نودوا بهذا الوصف وكانوا على هذه
الصفة ومنها انهم يكونون في الموقف على مكان عال رواه ابن جرير وابن مردويه من حديث
جابر مرفوعا بلفظ انا وامتي على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس احد الا ود انه منا وما
من نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد انه بلغ رسالة ربه وعند ابن مردويه من حديث كعب فاكون انا
وامتي على تل ومنها ان لهم سيما في وجوههم من اثر السجود قال تعالى سيماهم في وجوههم
من اثر السجود وهل هذه العلامة في الدنيا او في الآخرة قولان احدهما انها في الدنيا قال
ابن عباس في رواية ابن ابي طلحة السمت الحسن وقال في رواية مجاهد ليست بالتي ترون هي
سيما الاسلام وسيماه وخشوعه وقيل الصفرة في الوجوه من اثر السهر فتحسبهم مرضى وما هم
بمرضى والقول الثاني انه في الآخرة يعني ان موضع السجود من وجوههم يكون اشد بياضا يوم
القيمة يعرفون بتلك العلامة انهم سجدوا في الدنيا رواه العوفي عن ابن عباس وعن
شهر بن حوشب تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال عطاء الخراساني دخل
في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس ومنها انهم يؤتون كتبهم بايمانهم رواه البزار
ومنها ان نورهم يسعى بين ايديهم اخرجه احمد باسناد صحيح ومنها ان لهم ما سعوا وما يسعى
لهم وليس لمن قبلهم الا ما سعى قاله عكرمة واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ففيه
اجوبة. احدها انها منسوخة روي ذلك عن ابن عباس نسخها قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم
بايمان الحقنا بهم ذرياتهم فجعل الولد الطفل في ميزان ابيه ويشفع الله الآباء في الابناء والابناء
في الآباء بدليل قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا. الثاني انها
مخصوصة بالكافر واما المؤمن فله ما سعى غيره قال القرطبي وكثير من الاحاديث يدل على
هذا القول وان المؤمن يصل اليه هذا العمل الصالح من غيره وفي الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم من مات وعليه صيام صام عنه وليه وقال صلى الله عليه وسلم للذي حج عن غيره
حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة وعن عائشة انها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه
وقال سعد للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة
افضل قال سقي الماء. وفي حديث الموطا عن عبد الله بن ابي بكر عن عمته انها حدثته عن جدته انها
جعلت على نفسها مشيا الى مسجد قبا فماتت ولم تقضه فافتى عبد الله بن عباس ابنتها ان تمشي عنها

فمن

ومن المفسرين من قال ان الانسان في الآية ابو جهل. ومنهم من قال عقبة بن ابي معيط
ومنهم من قال الوليد بن المغيرة. ومنهم من قال اخبار عن شرع من قبلنا وقد دل شرعنا
ان للانسان سعيه وما سعي له. ومنهم من قال الانسان بسعيه في الخير وحسن صحبته
وعشرته اكتسب الاصحاب واسدى لهم الخير وتودد اليهم فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه
ومنهم من قال الانسان في الآية الحي دون الميت. ومنهم من قال لم ينف في الآية انتفاع
الرجل بسعي غيره له وانما نفى ملكه لسعي غيره وبين الامرين فرق فقال الزمخشري في وان
ليس للانسان الا ما سعى فان قلت اما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج
عنه قلت فيه جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي غيره
وهو ان يكون مؤمنا مصدقا فلذلك سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تبعا له وقائما بقيامه
والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه له فهو في حكم الشرع كالنائب
عنه والوكيل القائم مقامه والصحيح في الاجوبة ان قوله وان ليس للانسان الا ما سعى عام
مخصوص بما تقدم من الاجوبة وقد اختلف العلماء في ثواب القراءة هل تصل للميت
للميت فذهب الاكثرون الى المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك ونقل عن جماعة
من الحنفية وقال كثير من الشافعية والحنفية يصل وبه قال احمد بن حنبل رحمه الله بعد ان
قال القراءة على القبر بدعة بل نقل عن الامام احمد يصل الى الميت كل شيء من صدقة وصلوة
وحج واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك وذكر الشيخ شمس الدين ابن القطان العسقلاني في ان
وصول ثواب القراءة الى الميت من قريب واجتنب من الصحيح كما تنفعه الصدقة والدعاء
بالاجماع. وقد افتى القاضي حسين بان الاستيجار لقراءة القرآن على رأس القبر جائزة كالاستيجار
للاذان وتعليم القرآن لكن قال الرافعي وتبعه النووي عود المنفعة الى المستاجر شرط في
الاجارة فيجب عود المنفعة في هذه الاجارة الى المستاجر او ميته لكن المستاجر لا ينتفع بان
يقرأ الغير له ومشهور ان الميت لا يلحقه ثواب القراءة المجردة فالوجه تنزيل الاستيجار على
صورة انتفاع الميت بالقراءة وذكروا له طريقين احدهما ان يعقب القراءة بالدعاء للميت
فان الدعاء يلحقه والدعاء بعد القراءة اقرب الى الاجابة واكثر بركة. والثاني ذكر الشيخ عبد
الكريم الشالوسي انه ان نوى القارئ بقراءته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه لكن لو قرأ ثم جعل
ما حصل من الاجر له فهذا دعاء بحصول ذلك الاجر للميت فينتفع الميت قال النووي
في زيادات الروضة ظاهر كلام القاضي حسين صحة الاجارة مطلقا وهو المختار فان موضع
القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع الميت وقال الرافعي وتبعه النووي
في الوصية الذي يعتاد من قراءة القرآن على رأس القبر قد ذكروا في باب الاجارة طريقين في
عود فائدتها الى الميت وعن القاضي ابي الطيب طريق ثالث وهو ان الميت كالحي الحاضر
فترجى له الرحمة ووصول البركة اذا اهدى الثواب الى القارئ وقال الشالوسي اذا نوى بقراءته
ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه اذا جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا يقع عن

الغير وان قرأ ثم جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره والميت يوجر بدعاء الغير لكن اطلاق ان الدعاء ينفع الميت اعترض عليه بعضهم بانه موقوف على الاجابة ويمكن ان يقال الدعاء للميت مستجاب كما اطلقوا اعتمادا على سعة فضل الله قال الرافعي وتبعه النووي يستوي في الصدقة والدعاء الوارث والاجنبي قال الشافعي وفي وسع الله ان يثيب المتصدق ايضا وقال الاصحاب يستحب ان ينوي المتصدق الصدقة عن ابويه فان الله ينيلهما الثواب ولا ينقص من اجره شيئا وذكر صاحب العدة انه لو نبط عينا او حفر بئرا او غرس شجرا او وقف مصحفا في حال حياته او فعل غيره بعد موته يلحق الثواب بالميت وقال الرافعي والنووي ان هذه الامور اذا صدرت من الحي فهي صدقات جارية يلحقه ثوابها بعد الموت كما ورد في الخبر ولا يختص الحكم بوقف المصحف بل يلحق به كل وقف وهذا القياس يقتضي جواز التضحية عن الميت فانها ضرب من الصدقة لكن في التهذيب انه لا يجوز التضحية عن الغير بغير امره وكذا عن الميت الا ان يكون اوصى وقد روي عن علي وغيره من الصحابة انه كان يضحي عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وعن ابي العباس محمد بن اسحاق السراج قال ضحيت عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعين اضحية واما اهداء القران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعرف فيها خبر ولا اثر وقد انكره جماعة منهم الشيخ برهان الدين ابن الفركاح لان الصحابة لم يفعله احد منهم وحكى صاحب الروح ان من الفقهاء المتأخرين من استحبه ومنهم من يراه بدعة قالوا والنبي صلى الله عليه وسلم غني عن ذلك فان له اجر كل من عمل خيرا من امته من غير ان ينقص من اجر العامل شيء قال الشافعي ما من خير يعمله احد من امة النبي صلى الله عليه وسلم الا والنبي صلى الله عليه وسلم اصل فيه قال في تحقيق النصرة فجميع حسنات المسلمين واعمالهم الصالحة في صحائف نبينا صلى الله عليه وسلم زيادة على ما له من الاجر مع مضاعفة لا يحصرها الا الله تعالى لان كل مهتد وعامل الى يوم القيمة يحصل له اجر ويتجدد لشيخه مثل ذلك الاجر ولشيخ شيخه مثلاه وللشيخ الثالث اربعة وللرابع ثمانية وهكذا تضعيف كل مرتبة بعدد الاجور الحاصلة بعده الى النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يعلم تفضيل السلف على الخلف فاذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الاجر الف واربعة وعشرون فاذا اهتدى بالحادي عشر صار اجر النبي صلى الله عليه وسلم الفين وثمانية واربعين وهكذا كلما ازداد واحد يتضاعف ما كان قبله ابدا كما قاله بعض المحققين انتهى ولله

در القائل وهو سيدي محمد وفا

فلا حسن الا من محاسن حسنه ... ولا محسن الا له حسناته

وبهذا يجاب عن اشكال دعاء القارئ له صلى الله عليه وسلم بزيادة الشرف مع العلم بكماله عليه الصلوة والسلام في سائر انواع الشرف فكان الداعي لحظ ان قبول قراءته يتضمن لمعلمه نظير اجره وهكذا يكون للمعلم الاول وهو الشارع عليه الصلوة والسلام نظير ذلك ومن ذلك

ما شرع

ما شرع عنده رؤية الكعبة من قولهم اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما فتمم الدعاء بذلك عائدة على الداعي لاشتماله على طلب قبول القراءة وهذا كما قالوا في الصلوة عليه زاده الله شرفا لديه ان ثمرتها عائدة على المصلي اشار لنحو الحافظ ابن حجر ومن خصائص هذه الامة انهم يدخلون الجنة قبل سائر الامم رواه الطبراني في الاوسط من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا حرمت الجنة على الانبياء حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي ومنها انه يدخل منهم الجنة سبعون الفا بغير حساب رواه الشيخان وعند الطبراني والبيهقي في البعث ان ربي وعدني ان يدخل من امتي الجنة سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي المزيد فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا وبالجملة فقد اختصت هذه الامة بما لم يعط غيرها من الامم تكرمة لنبيها عليه الصلوة والسلام وزيادة في شرفه وتفصيل فضلها وخصائصها يستدعي سفرا بل اسفارا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

المقصد الخامس

في تخصيصه عليه الصلوة والسلام بخصائص المعراج والاسراء وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والايات الكبرى

اعلم منحني الله واياك الترقي في معارج السعادات واوصلنا به اليه في حظائر الكرامات ان قصة الاسراء والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين البينات واقوى الحجج المحكمات واصدق الانباء واعظم الايات واتم الدلالات الدالة على تخصيصه عليه الصلوة والسلام بعموم الكرامات وقد اختلف العلماء في الاسراء هل هو اسراء واحد في ليلة واحدة يقظة او مناما او اسراآن كل واحد في ليلة مرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما او يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما من المسجد الاقصى الى العرش او هي اربع اسراآت احتج القائلون بانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء وحي بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس لان الرؤيا مصدر الحلمية واما البصرية فالرؤية بالتاء فقد انكر ابن مالك والحريري وغيرهما كما افاده الشيخ بدر الدين الزركشي وقوع الرؤيا البصرية ولحنوا المتنبي في قوله ورؤياك احلى في العيون من الغمض واجيب بانه انما قال الرؤيا لوقوع ذلك في الليل وسرعة تقضيه كانه منام وبان الرؤيا والرؤية واحدة كقربى وقربة ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنهما في الاية كما عند البخاري هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به وزاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث وليس رؤيا منام ولم يصرح في رواية البخاري بالمرئي وعند سعيد ابن منصور ايضا من طريق ابن مالك قال هو ما اري في طريقه الى بيت المقدس وهذا مما يستدل به على اطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة وهو رد على من خطأ المتنبي على انه

اختلف المفسرون في هذه الآية فقيل الرؤيا التي أريناك ليلة المعراج قال البيضاوي
فسر الرؤيا بالرؤية وقيل رؤيا عام الحديبية حين رأى أنه دخل مكة فصده المشركون
وافتتن بذلك ناس وقيل رؤيا وقعة بدر وسأل ابن النقيب شيخنا أبا العباس القرطبي
عن الآية فقال الصحيح أنها رؤية عين يقظة أراه جبريل عليه السلام مصارع القوم
ببدر فأراها النبي صلى الله عليه وسلم مصارعهم التي أراه جبريل عليه السلام فتسامعت
قريش واستسخروا منه انتهى واحتج القائلون بأنها رؤيا منام أيضا بقول عائشة
ما فقدت جسده الشريف وأجيب بأن عائشة رضي الله عنها لم تحدث به عن مشاهدة
لأنها لم تكن إذ ذاك زوجا ولا في سن من يضبط أو لم تكن ولدت بعد على الخلاف في
الإسرا متى كان وقال التفتازاني أي ما فقدت جسده عن الروح بل كان مع
روحه وكان المعراج للجسد والروح جميعا انتهى واحتج القائلون بأنه بالجسد
يقظة إلى بيت المقدس وإلى السما بالروح بقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل المسجد الأقصى غاية الإسرا الذي وقع التعجب به
بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم به وإظهار الكرامة له بالإسراء
قالوا ولو كان الإسرا بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح وأجيب
بأن حكمة التخصيص بالمسجد الأقصى سؤال قريش له عنه على سبيل الامتحان على ما شاهده ووقع
وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا أنه لم يسافر إليه فيجيبهم بما عاين ويوافق
ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولهذا لم يسألوه عن ما رأى في السما إذ لا عهد
لهم بذلك وقال النووي في فتاويه وكان الإسرا به عليه الصلوة والسلام مرتين
مرة في المنام ومرة في اليقظة وذكر السهيلي تصحيح هذا المذهب عن شيخه القاضي أبي بكر
ابن العربي وأن مرة النوم توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدو نبوته الرؤيا الصادقة
ليسهل عليه أمر النبوة فإنه أمر عظيم يضعف عنه القوى البشرية وكذلك الإسرا سهله
عليه بالرؤيا لأن هوله عظيم فجاءه في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله تعالى
بعبده وتسهيلا عليه وقد جوز بعض قائلي ذلك أن تكون قصة المنام قبل المبعث لأجل
قول شريك في روايته وذلك قبل أن يوحى إليه وسيأتي البحث في ذلك إن شاء الله تعالى
واحتج القائلون بأنه أربع إسراءات يقظة بتعدد الروايات في الإسرا واختلاف ما يذكر
فيها فبعضهم يذكر شيئا لم يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيئا ذكره الآخر وأجيب
بأنه لا يدل على التعدد لأن بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به أو ينساه قال
الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأثبت إسراءات متعددة
فقد أبعد وأغرب وهرب إلى غير مهرب ولم يحصل على مطلب ولم ينقل ذلك عن أحد من السلف
ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به أمته ولنقله الناس على التعدد
والتكرار انتهى وقد وقع في رواية عبثر بن القاسم بموحدة ثم مثلثة بوزن جعفر في روا

عن

عن حصين بن عبد الرحمن عند الترمذي والنسائي لما أسري برسول الله صلى الله عليه
وسلم جعل يمر بالنبي ومعه الواحد الحديث فإن كان محفوظا كان فيه قوة لمن ذهب إلى
تعددها الإسرا وأنه وقع بالمدينة أيضا غير الذي وقع بمكة قال في فتح الباري والذي صح
يتحرر من هذه المسئلة أن الإسرا وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح أبواب
السماء بابا بابا ولا من التقاء الأنبياء كل واحد في سما ولا المراجعة معهم ولا المراجعة مع
موسى عليه السلام فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا في طلب تخفيفها وسائر ما يتعلق بذلك
وإنما تكررت قضايا كثيرة سوى ذلك رآها صلى الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها
بالمدينة بعد الهجرة البعض ومعظمها في المنام والله أعلم انتهى قال بعض العارفين
أن له صلى الله عليه وسلم أربعة وثلاثون مرة الذي أسري به منها إسرا واحد بجسمه والباقي
بروحه رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وسلم فالحق أنه إسرا واحد بروحه وجسمه يقظة
في القصة كلها وإلى هذا ذهب الجمهور من علما المحدثين والفقها والمتكلمين وتواردت
عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يحيله قال
الرازي قال أهل التحقيق الذي يدل على أنه تعالى أسرى بروح محمد وجسده من مكة إلى
المسجد الأقصى القرآن والخبر أما القرآن فقوله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبده
ليلا وتقرير الدليل أن العبد اسم للروح والجسد فوجب أن يكون الإسرا حاصلا بجميع
الجسد والروح ويدل عليه قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى ولا شك أن المراد
هنا مجموع الروح والجسد أيضا قال سبحانه وتعالى في سورة الجن وأنه لما قام عبد الله
يدعوه والمراد مجموع الروح والجسد وكذلك ههنا انتهى واحتجوا أيضا بظاهر قوله
عليه الصلوة والسلام أسري بي لأن الأصل في الأفعال أن تحمل على اليقظة حتى يدل
دليل خلافه وبأن ذلك لو كان مناما لما كانت فيه فتنة للضعفا ولا استبعده الأغبيا
وبأن الدواب لا تحمل الأرواح وإنما تحمل الأجسام وقد تواترت الأخبار بأنه أسري به
على البراق فإن قلت ما الحكمة في كونه تعالى جعل الإسرا ليلا أجيب بأنه
إنما جعله ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لأنه تعالى اتخذه عليه الصلوة والسلام
حبيبا وخليلا والليل أخص زمانا للمحبين بجمعهما فيه والخلوة بالحبيب محققة بالليل وقال
ابن المنير ولعل تخصيص الإسرا بالليل ليزداد الذين آمنوا إيمانا بالغيب وليفتتن الذين
كفروا زيادة على فتنتهم إذ الليل أخفى حالا من النهار قال ولعله لو عرج به نهارا لفات
المؤمن فضيلة الإيمان بالغيب ولم يحصل ما وقع من الفتنة على من شقي وجحد انتهى
وفي ذلك حكمة أخرى على طريقة أهل الإشارة ذكرها العلامة ابن مرزوق وهي أنه قيل
لأن الله تعالى لما محى آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر قلب الليل فجبر بأن أسري
فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر إن
كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود بالليل إلى السماء وقيل لأنه صلى

الله عليه وسلم سراج والسراج انما يوقد في الليل وانشد

قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل ... على بهجة النهار المنير
قال لا استطيع تغيير رسمي ... هكذا الرسم في طلوع البدور
انما زرت في الظلام لكيما ... يشرق الليل من اشعة نوري

فان قلت ايما افضل ليلة الاسرا ام ليلة القدر **فالجواب** كما قاله الشيخ ابو امامة ابن النقاش ان ليلة الاسرا افضل في حق النبي صلى الله عليه وسلم وليلة القدر افضل في حق الامة لانها خير لهم من عمل ثمانين سنة لمن قبلهم واما ليلة الاسرا فلم يات في ارجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الى الآن ولا الى ان تقوم الساعة فيها شيء ومن قال فيها شيئا انما قاله من كيسه لمرجح ظهر له استانس به ولهذا تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر فيها على شيء ولو تعلق بها نفع للامة ولو بذرة لبينه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم انتهى **فان قلت** هل وقع لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبيا **اجاب** العارف عبد العزيز المهدوي بان مرتبة الاسرا بالجسم الى تلك الحضرات العلية لم تكن لاحد من الانبيا الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى وانما قال تعالى اسرى بعبده اشارة الى انه تعالى هو المسافر به ليعلم ان الامر من عنده عز وجل هبة الهية وعناية ربانية سبقت له عليه الصلوة والسلام بما لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره وادخل با المصاحبة في قوله بعبده ليفيد انه تعالى صحبه في مسراه صحبة بالالطاف والعناية والاسعاف والرعاية ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم اللهم انت الصاحب في السفر وتامل قوله تعالى يسيركم في البر والبحر وقوله اسرى بعبده يلح لك خصوصية مصاحبة الرسول عليه الصلوة والسلام للحق دون عموم الخلق وقرن سبحانه وتعالى التسبيح بهذا المسرى لينفي بذلك عن قلب صاحب الوهم ومن تحكم عليه خياله من اهل التشبيه والتجسيم بما يتخيله في حق الحق تعالى من الجهة والحد والمكان ولذا قال لنريه من آياتنا يعني ما رأى في تلك الليلة من عجائب الآيات كانه تعالى يقول لما اسريت به الا لرؤية الآيات لا الى فاني لا يحدني مكان ونسبة الامكنة الى نسبة واحدة فكيف اسري به الى وانا عنده وانا معه اينما كان **ولله در القائل**

سبحان الذي اسرى بعبده ... ليري الذي اخفاه من آياته
لحضوره في غيبته وسكره ... في صحوه والمحو في اثباته
ويري الذي عنه تكون سره ... في منعه ان شاء وهباته
ويريه ما ابدى له من جوده ... بوجوده والفقد من هباته
سبحانه من مسعد ومهيمن ... في ذاته وسماته وصفاته

واكد بقوله ليلا مع ان الاسرا لا يكون في اللسان العربي الا ليلا لانها اريد دفع الاشكال حتى

لا يتخيل

لا يتخيل انه اسرى بروحه فقط فيزيل بذلك خاطر من يعتقد من الناس ان الاسرا ربما يكون نهارا فان القران وان كان نزل بلغة العرب فانه خاطب به الناس اجمعين فصحا اللسان وغيرهم **وذلك** ان البيضاوي تبعا لصاحب الكشاف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرا ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وتعقبه القطب في حاشيته على الكشاف كما نبهت عليه في شرح الشفا **والمعاريج ليلة الاسرا عشرة** سبعة الى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي فقد وقع له عليه الصلوة والسلام في سني الهجرة العشرة ما كان فيه مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشرة ولهذا ختمت سني الهجرة بالوفاة وهي لقا الحق جل جلاله والانتقال من دار الفنا الى دار البقا والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الموعد الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسرا باللقا والحضور بحظيرة القدس **وقد** افاد الامام الذهبي ان الحافظ عبد الغني جمع احاديث الاسرا في جزء ولم يتيسر الوقوف عليهما بعد الفحص **وقد** صنف الشيخ ابو اسحاق النعماني رحمه الله في الاسرا والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادة الدقائق والابحاث بفواضل الحقائق ولم اقف عليه حال كتابتي هذا المقصد الشريف والله تعالى يرحم شيخ الاسلام والحفاظ الشهاب ابن حجر العسقلاني فانه قد جمع في كتابه الفتح كثيرا مما تشتت من طرق احاديث الاسرا وغيره من الاحاديث مع تدقيق مباحث فقهية والكشف عن اسرار معاني كلمه وبدائع الفاظه وحكمه وكل من صنف في شيء من المنح النبوية والمناقب المحمدية لا يستغني عن استجنا معارفه اللطائف من رياض عياض والاستشفا من ادوا المشكلات بدوا شفائه المبرئ لمعضل الامراض والله يفيض عليه وعلى علما امة الائمة سجال رحمته ورضوانه ويسكننا معهم في بحبوحة جنانه **وقد وردت** احاديث الاسرا من حديث انس وابي بن كعب وجابر بن عبد الله وبريدة وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابن عمرو وحذيفة بن اليمان وشداد بن اوس وصهيب وعلي بن ابي طالب وعمر ابن الخطاب ومالك بن ابي صعصعة وابي امامة وابي ايوب وابي حبة وابي ذر وابي سعيد الخدري وابي سفيان بن حرب وابي هريرة وعائشة واسما بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين **وفي** تفسير الحافظ ابن كثير من ذلك ما يكفي ويشفي **وبالجملة** فحديث الاسرا اجمع عليه المسلمون واعرض عنه الزنادقة والملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون **وقد روى** البخاري عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به بينما انا نائم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذ اتاني

آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما
يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب مملوة
ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال
له الجارود وهو البراق يا ابا حمزة قال انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت
عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا
فيها آدم قال هذا ابوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن
الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح
لنا فلما خلصنا اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما
فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى الى السماء الثالثة
فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم
قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت
عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الرابعة فاستفتح
قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به
فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد
ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء الخامسة فاستفتح قيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء
جاء ففتح فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما
خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من
امته اكثر ممن يدخلها من امتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من معك
قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابرهيم قال
هذا ابوك ابرهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي
الصالح ثم رفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة
قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا
يا جبريل قال اما النهران الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم
رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء
من عسل فاخترت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها انت وامتك ثم فرضت علي الصلوة

خمسين

خمسين صلوة كل يوم قال فرجعت فمررت بموسى قال بم امرت قال امرت بخمسين صلوة
كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلوة كل يوم واني والله قد جربت الناس
قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسئله التخفيف لامتك
فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت
الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت الى موسى
فوضع عني عشرا فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات
كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني اختبرت الناس قبلك وعالجت
بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسئله التخفيف لامتك قال سالت ربي حتى
استحييت ولكني ارضى واسلم قال فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت
عن عبادي. وفي رواية له ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ
حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم اطبقه. وفي رواية شريك فحشي به صدره ولغاديده
وهي بلام مفتوحة وغين معجمة اي عروق حلقه وفي النهاية جمع لغدود وهي لحمة مشرفة عند
اللهاة والشك في قوله وربما قال في الحجر من قتادة كما بينه احمد بن عفان ولفظه بينما
انا في الحطيم وربما قال قتادة في الحجر. ووقع عند البخاري في اول بدء الخلق بلفظ بينما
انا عند البيت وهو اعم. وفي رواية الزهري عن انس عن ابي ذر فرج سقف بيتي وانا
بمكة. وفي رواية الواقدي باسانيده انه اسري به صلى الله عليه وسلم من شعب ابي طالب
وفي حديث ام هاني عند الطبراني انه بات في بيتها قالت ففقدته من الليل فقال ان جبريل
اتاني. والجمع بين هذه الاقوال كما في فتح الباري انه بات في بيت ام هاني وبيتها عند شعب
ابي طالب ففرج سقف بيته واضاف البيت اليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك
فاخرجه من البيت الى المسجد فكان به مضطجعا وبه اثر النعاس ثم اخذه الملك فاخرجه
من المسجد فاركبه البراق وقد وقع في مرسل الحسن عن ابن اسحاق ان جبريل
عليه السلام اتاه فاخرجه الى المسجد فاركبه البراق وهو يؤيد هذا الجمع فان قيل لم
فرج سقف بيته عليه الصلوة والسلام ونزل منه الملك ولم يدخل عليه من الباب مع قوله
تعالى وأتوا البيوت من ابوابها اجيب بان الحكمة في ذلك ان الملك انصب من السماء
انصبابة واحدة ولم يعرج على شيء سواه مبالغة في المناجاة وتنبيها على ان الطلب وقع
على غير ميعاد كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا بخلاف موسى عليه السلام فكانت كرامته
بالمناجاة عن ميعاد واستعداد بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه حمل عنه الم الانتظا[ر]
كما حمل عنه الم الاعتذار ويؤخذ من هذا ان مقام نبينا عليه الصلوة والسلام بالنسبة
الى مقام موسى عليه الصلوة والسلام مقام المراد بالنسبة الى مقام المريد ويحتمل ان يكون
توطئة وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فاراه الملك بافراجه عن الشق ثم التام السقف
على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الامر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا له

حقه عليه الصلوة والسلام وتنبيها وتنبيها بصبره والله سبحانه وتعالى اعلم وقوله مضطجعا زاد في بدء الخلق بين النائم واليقظان وهو محمول على ابتداء الحال ثم لما خرج به الى باب المسجد فاركبه البراق استمر في يقظته واما ما وقع في رواية شريك عنده ايضا فلما استيقظت فان قلنا بالتعدد فلا اشكال والا حمل على ان المراد استيقظت يعني افاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت ورجع الى العالم الدنيوي فالمراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية وقوله اذ اتاني آت هو جبريل عليه الصلوة والسلام وفي رواية شريك انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم وكانت تلك الليلة اي كانت القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكر هنا فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه وقد انكر الخطابي قوله قبل ان يوحى اليه وكذلك القاضي عياض والنووي وعبارة النووي وقع في عبارة شريك يعني هذه اوهام انكرها العلماء احدها قوله قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه واجمع العلماء على ان فرض الصلوة كان ليلة الاسرا فكيف يكون قبل الوحي انتهى فقد صرح هؤلاء بان شريكا تفرد بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة ونون مصغرا عن انس كما اخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي في كتاب المغازي من طريقه قال ولم يقع التعيين بين المجيئين فيحمل على ان المجي الثاني كان بعد الوحي وحينئذ وقع الاسرا والمعراج واذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين ان تكون تلك المدة ليلة واحدة او ليالي او عدة سنين وبهذا يرتفع الاشكال عن رواية شريك ويحصل به الوفاق ان الاسرا كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة ويسقط تشنيع الخطابي وغيره بان شريكا خالف الاجماع في قوله ان المعراج كان قبل البعثة واقوى ما يستدل به على ان المعراج كان بعد البعثة قوله في هذا الحديث نفسه ان جبريل قال لبواب السماء اذ قال له ابعث قال نعم فانه ظاهر في ان المعراج كان بعد البعثة ووقع في رواية ميمون بن سيناه عند الطبراني فاتاه جبريل وميكائيل فقالا ايهم وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال امرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاءوا وهم ثلاثة نفر وفي رواية مسلم سمعت قائلا يقول احد الثلاثة بين الرجلين فاتيت فانطلق بي المراد بالرجلين حمزة وجعفر وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما بينهما وقوله فشق بالقاف والدال المهملة الثقيلة من ثغرة بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهو الموضع المنخفض بين الترقوتين الى شعرته بكسر الشين المعجمة اي شعر العانة وفي رواية مسلم الى اسفل بطنه وفي رواية البخاري الى مراق البطن وفي رواية شريك عنده فشق جبريل ما بين نحره الى لبته بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر وقد انكر القاضي عياض في الشفا وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسرا وقال

انما كان وهو صبي وقبل الوحي يعني في بني سعد ولا انكار في ذلك كما قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم في الدلائل ولكل منهما حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث انس فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولية فنشا على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام قرينه المروي عند البزار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل ان يكون اشارة الى حظ الشيطان الباقي كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته صلى الله عليه وسلم وامكنه الله منه واما شق الصدر عند المبعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي على اكمل الاحوال من التطهير واما شقه عند ارادة العروج الى السما فللتهيئ الى الترقي الى الملا الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوي لاستجلا الاسما الحسنى ولهذا لما لم يتفق لموسى عليه الصلوة والسلام مثل هذا التهيئ لم يتفق له الرؤيا وكيف يثبت الرجل لما لم يثبت له الجبل ويحتمل ان تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه عليه السلام ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك قال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل على ان قدرة الله تعالى لا يعجزها ممكن ولا يتوقف لعدم شي ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادة الا حيث شاء ربه لقد لانه على ما يعهد ويعرف ان البشر مهما شق بطنه كله واخرج القلب مات ولم يعش وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد شق على بطنه المكرمة حتى اخرج القلب فغسل وقد شق بطنه كذلك ايضا وهو صغير وشق قلبه واخرجت منه نزغة الشيطان ومعلوم ان القلب مهما وصل اليه الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى الله عليه وسلم شق بطنه في هاتين المرتين ولم يتألم بذلك ولم يمت لما ان الله تعالى ان لا يؤثر ما اجرى به العادة ان يؤثر بها موت صاحبها فابطل تلك العادة وقد رمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم في النار فلم تحرقه وكانت بردا وسلاما انتهى وقد حصل من شق صدره الكريم اكرام عليه الصلوة والسلام بتحقيق ما اوتي من الصبر فهو من جنس ما اكرم به اسماعيل الذبيح عليه السلام بتحقيق صبره على مقدمات الذبح شدا وكتفا وتلا للجبين واهوى بالمدية الى المنحر فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ووفى بما وعد الله سبحانه وتعالى فاكرمه الله تعالى بالثنا على صبره الى آخر الابد ولا مرية ان الذي حصل من صبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على شق الصدر اشق واجل لان تلك مقدمات وهذه نتيجة وتلك معاريض وهذه حقيقة والنحر مقتل وما اصابه من اسماعيل عليه السلام الا صورة القتل لا فعله وشق نبينا صلى الله عليه وسلم واستخراج قلبه ثم شقه كذا ثم كذا مقاتل عديدة

وقعت كلها ولكن انخرقت العادة ببقاء الحياة فهذا الابتلاء اعظم من ابتلاء الذبيح بما ذكرنا
فان قلت انما يتحقق الصبر ان لو كان هناك مشقة فلعل العادة لما انخرقت في بقاء
الحياة انخرقت في رفع المشاق وحمل الآلام اجيب بانه ورد في حديث شق صدره
فاقبل وهو منتقع اللون او ممتقع بالميم بدل النون وهو يدل على ان الصبر على مشقة
المعالجة المذكورة محقق انتهى قال القاضي عياض واصل انتقع صار كلون النقع والنقع
الغبار وهو شبيه بلون الاموات وهذا يدل على غاية المشقة واما قول ابن الجوزي
وما شق عليه فيحمل على انه صبر صبر من لم يشق عليه انتهى وكذلك الابتلاء ايضا من حديث
انس رضي الله عنه فان ذلك وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم بعيدما فطم وايضا فانه كان
منفردا عن امه وبعيدا من ابيه واختطف من بين الاطفال وفعل به ما فعل من الافعال
تسهيلا لما يلقاه في المآل وتعظيما لما ينال له على الصبر من الثواب والثناء ولهذا لما شج وجرح
وكسرت رباعيته قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون زاده الله شرفا وقوله ثم اتيت
بطست من ذهب انما اتى بالطست لانه اشهر آلات الغسل فان قلت ان استعمال الذهب
حرام في شرعه عليه الصلوة والسلام فكيف استعمل الطست الذهب هنا اجاب العارف
ابن ابي جمرة بان تحريم الذهب انما هو لاجل الاستمتاع به في هذه الدار واما في الآخرة فهو للمؤمنين
خالصا لقوله عليه السلام فهو لهم في الدنيا وهو لنا في الآخرة ثم ان الاستمتاع بهذا الطست
لم يحصل منه عليه السلام وانما كان غيره هو السابق له والمتناول والماكان فيه حتى وضع في
القلب المبارك فسوق الطست من هناك وكونه كان من ذهب دل على ترفيع المقام فانتفى
التعارض بدليل ما قررناه انتهى وتعقبه الحافظ ابن حجر بانه لا يكفي ان يقال
ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه لو كان قد حرم عليه استعماله لنزه ان
يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم ويمكن ان يقال ان تحريم استعماله مخصوص باحوال
الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب فيلحق باحوال الآخرة او
لعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة ويظهر من ها هنا مناسبات
منها انه من اواني الجنة ومنها انه لا تاكله النار ولا التراب ومنها انه لا يلحقه الصدى
ومنها انه انقل الجواهر فناسب قلبه عليه الصلوة والسلام لانه من اواني حول الجنة
ولا تاكله النار والتراب لان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء ولا يلحقه الصدى
وانه انقل من كل قلب عدل به وفيه مناسبة اخرى وهي ثقل الوحي فيه انتهى قلت
قوله او لعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة وقد جزم هو في اول
الصلوة من كتاب فتح الباري بان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة قال السهيلي
وابن دحية ان نظر الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع
عند الذهاب الى ربه وان نظر الى معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه انتهى والمراد بقوله
ملئ ايمانا وحكمة ان الطست جعل فيها شيء يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمي حكمة وايمانا

مجازا

مجازا ويحتمل ان يكون على حقيقته وتجسد المعاني جائز كما ان سورة البقرة تجيء يوم القيمة
كانها ظلة والموت في صورة كبش وكذلك وزن الاعمال وغير ذلك وقال البيضاوي
لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له الجنة والنار في عرض
الحائط وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس وقال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل
على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات لا معاني لانه صلى الله عليه وسلم قال عن الطست
انه اتى فيه بملوء حكمة وايمانا ولا يقع الخطاب الا على ما يفهم ويعرف والمعاني ليس لها
اجسام حتى تملأ وانما تملأ الاواني بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع صلى الله عليه
وسلم بضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم ان الايمان والحكمة اعراض والجمع بين الحديث
وما ذهبوا اليه وهو ان حقيقة اعيان المخلوقات التي ليس للحواس اليها ادراك ولا من
النبوة اخبار عن حقيقتها غير محققة وانما هو غلبة ظن لان للعقل بالاجماع من اهل
العقل المؤيدين بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر ان يصل
اليه فهذا وما اشبهه منها لانهم تكلموا على ما ظهر لهم من الاغراض الصادرة عن هذه الجواهر
التي ذكرها الشارع عليه الصلوة والسلام فيكون الجمع بينهما ان يقال ما قاله المتكلمون
حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذي يدرك بالعقل والحقيقة ما ذكره عليه الصلوة
والسلام في الحديث ولهذا نظائر كثيرة بين المتكلمين وآثار النبوة ويقع الجمع بينهما على
الاسلوب الذي قررناه وما اشبهه ثم مثل بمجيء الموت في هيئة كبش املح ثم بالاذكار
والتلاوة ثم قال لان ما ظهر منها هنا معان ويوجد يوم القيمة جواهر محسوسات لانها
توزن ولا يوزن في الميزان الا الجواهر قال وفي ذلك دليل لاهل الصوفية واصحاب المعاملات
والتحقيق القائلين بانهم يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان اخوانهم باعين
بصائرهم جواهر محسوسات فمنهم من يعاينه انه مثل المصباح ومنهم من يعاينه
مثل الشمعة ومنهم من يعاينه مثل الشعل وهو اقواها ويقولون بانه لا يكون التحقيق
محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته كما يعاين كفه بعين بصره فيعرف الزيادة فيه
من النقصان فان قيل ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملئ ايمانا وحكمة ولم
لم يوجد الله تعالى ذلك من غير ان يفعل به ما فعل اجاب العارف ابن ابي جمرة
بانه عليه الصلوة والسلام لما اعطي كثرة الايمان والحكمة وقوي التصديق اذ ذاك
اعطي برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف من جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت
له عليه الصلوة والسلام قوة الايمان من ثلاثة اوجه بقوة التصديق وبالمشاهدة
وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له عليه الصلوة والسلام بذلك ما اريد منه
من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه
كان عليه الصلوة والسلام في العالمين اشجعهم واثبتهم واعلاهم حالا ومقالا ففي العلو
كان كما اخبر عليه الصلوة والسلام ان جبريل لما وصل معه الى مقام قال له ها انت وربك

هذا مقام لا يتعداه فرخ في النور زخ ولم يتوان ولم يلتفت فكان هناك يقول في الحضرة كما اخبر عنه ربه عز وجل بقوله ما زاغ البصر وما طغى واما حاله عليه الصلوة والسلام في هذا العالم فكان اذا حمي الوطيس في الحرب يركض بغلته في نحو العدو وهم شاكون في سلاحهم ويقول • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب • ثم ان في العناية بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة فيه اشارة الى مذهب اهل السنة في ان محل العقل ونحوه من اسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة واما الحكمة في غسل قلبه المقدس بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع قال الحافظ الزين العراقي وكذلك غسل به قلبه عليه الصلوة والسلام ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت • واستدل الشيخ البلقيني شيخ الاسلام بغسل قلبه الشريف به على انه افضل من ماء الكوثر قال لانه لم يكن يغسل قلبه الكريم الا بافضل المياه واليه يومي قول العارف ابن ابي جمرة في كتابه بهجة النفوس واما قوله عليه الصلوة والسلام فغسل صدري فالظاهر ان المراد به القلب كما في الرواية الاخرى وقد يحتمل ان تحمل كل رواية على ظاهرها فيقع الجمع بان يقال اخبر عليه الصلوة والسلام مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه واخبر مرة بغسل قلبه ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما معا مبالغة في تنظيف المحل المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير وقد غسل اولا وهو عليه الصلوة والسلام طفل فاخرجت من قلبه نزغة الشيطان وانما كان كذلك اعظاما وتاهبا لما يلقى هناك وقد جرت الحكمة بذلك في غير ما موضع مثل الوضوء للصلوة لمن كان متنظفا لان الوضوء في حقه انما هو اعظام وتاهب للوقوف بين يدي الله تعالى ومناجاته فلذلك غسل جوفه الشريف هنا وقد قال الله سبحانه وتعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فكان الغسل له عليه الصلوة والسلام من تعظيم شعائر الله واشارة الى امته بالفعل بتعظيم شعائر الله كما نص لهم عليه بالقول واما قوله ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السماء الدنيا • وفي رواية عنده في الصلوة ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فظاهره انما استمر على البراق حتى عرج الى السماء قال العارف ابن ابي جمرة افاد ذلك انهم كانوا يمشون في الهوى وقد جرت العادة بان البشر لا يمشي في الهوى سيما وكان راكبا على دابة من ذوات الاربع لكن لما ان شاءت القدرة ذلك كان فكما بسط تعالى لهم الارض يمشون عليها كذلك يمشيهم في الهوى كل ذلك بيد قدرته لا ترتبط قدرته تعالى بعادة جارية • وقد سئل صلى الله عليه وسلم حين اخبر عن الاشقياء الذين يمشون على وجوههم يوم القيمة كيف يمشون فقال عليه الصلوة والسلام الذي امشاهم في الدنيا على اقدامهم قادر على ان يمشيهم يوم القيمة على وجوههم وقد استدل بعضهم بهذا الحديث على ان المعراج كان في ليلة غير ليلة الاسراء الى بيت المقدس لكون الاسراء

اليه

اليه لم يذكر هنا فاما المعراج ففي غير هذه الرواية من الاخبار انه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به في حديث عند ابن اسحاق والبيهقي في الدلائل كما سياتي ان شاء الله تعالى ويمكن ان يقال ما وقع هنا اختصار من الراوي والاتيان بثم المقتضية للتراخي لا ينافي وقوع الاسراءين الامرين المذكورين وهما الاطباق والعروج يعني قوله في الحديث ثم اطبقه يعني صدره المكرم والعروج وحاصله ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر وثابت البناني قد حفظ الحديث ففي رواية عند مسلم انه اتى بيت المقدس فصلى به ثم عرج الى السماء كما سياتي ان شاء الله تعالى وقد قيل في الحكمة في الاسراء به راكبا مع القدرة على طي الارض له الاشارة الى ان ذلك وقع تانيسا له بالعادة في مقام خرق العادة لان العادة جرت ان الملك اذا استدعى من يختص به بعث اليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته اليه • وفي كلام بعض اهل الاشارات لما كان صلى الله عليه ثمرة شجرة الكون • ودرة صدفة الوجود • وسر معنى كلمة كن ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها ورفعها الى حضرة قربه والطواف بها على ندمائه حضرته ارسل اليه اعز خدام الملك عليه • فلما ورد عليه قادما وافاه على فراشه نائما فقال قم يا نائم فقد هيئت لك الغنائم • قال يا جبريل الى اين قال يا محمد ارفع الاين من البين انما انا رسول القدم • ارسلت اليك من جملة الخدم • يا محمد انت مراد الارادة الكل مراد لاجلك وانت مراد لاجله • انت صفوة كاس المحبة • انت درة هذه الصدفة • انت شمس المعارف انت بدر اللطائف • ما مهدت الدار الا لاجلك • ما حجبت ليلى الا لوصلك • ما روق كاس المحبة الا لشربك • فقال عليه الصلوة والسلام الكريم يدعوني اليه فما الذي يفعل بي قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال يا جبريل هذا لي فما لعيالي واطفالي قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال يا جبريل الآن طاب قلبي ها انا ذاهب الى ربي ثم قال جبريل يا محمد انما جيء بي الليلة لاكون خادم دولتك • وصاحب حاشيتك وحامل غاشيتك • وجيء بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك اذا استزاروا حبيبا او استدعوا قريبا واراد واظهور كرامته واحترامه ارسلوا اخص خدامهم واعز نوابهم لنقل اقدامهم فجئناك على رسم عادة الملوك وآداب السلوك • ومن اعتقد انه يوصل اليه بالخطا فقد وقع في الخطا • ومن ظن انه محجوب بالغطا فقد حرم العطا انتهى والحكمة في كون البراق دابة دون البغل وفوق الحمار ابيض ولم يكن على شكل الفرس اشارة الى ان الركوب كان في سلم وامن لا في حرب وخوف ولاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد لا بدابة لا توصف بذلك في العادة وذكره بقوله ابيض باعتبار كونه مركوبا او عطفا على لفظ البراق واختلف في تسميته بذلك فقيل من البريق وقال القاضي عياض في الوتين يقال شاة برقا اذا كان في خلال صوفها الابيض طاقات سود وقيل من البرق لانه وصف بسرعة السير ويحتمل ان لا يكون مشتقا ووصفه بانه يضع

خطوة عند اقصى طرفه بسكون الراء وبالفاء اى يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره
وقال ابن المنير يقطع ما انتهى بصره فى خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من
الارض الى السماء فى خطوة واحدة لان بصر الذى على الارض يقع على السماء فبلغ اعلى
السموات فى سبع خطوات انتهى • وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند ابى يعلى والبزار
كما افاده فى الفتح اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه
وفى رواية لابن سعد عن الواقدى باسانيده له جناحان • قال الحافظ ابن حجر
ولم ارها لغيره • وعند الثعلبى بسند ضعيف عن ابن عباس رضى الله عنهما فى
صفة البراق له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل واظلاف
وذنب كالبقر وكان صدره ياقوتة حمراء • وفى رواية ابن سعد فى شرف المصطفى فكان
الذى امسك بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل عليهما السلام • وفى رواية معمر
عن قتادة رضى الله عنه عن انس ان رسول الله صلى الله عليه اتى بالبراق ليلة اسرى
به صلى الله عليه وسلم مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا
ما ركبك خلق قط اكرم على الله منه قال فارفض عرقا اخرجه الترمذى وقال حسن غريب
وصححه ابن حبان • وذكر ابن اسحاق عن قتادة رضى الله عنه انه لما شمص وضع
جبريل عليه السلام يده على معرفته وقال اما تستحى وذكر نحوه لكنه مرسل لم
يذكر انسا • وفى رواية وثيمة عند ابن اسحاق نعست حتى لصقت بالارض فاستويت
عليها • وفى رواية للنسائى وابن مردويه من طريق يزيد بن مالك عن انس نحوه موصولا
وزاد وكانت تسخر للانبياء قبله ونحوه فى حديث ابى سعيد عند ابن اسحاق وفيه
دلالة على ان البراق كان معدا لركوب الانبياء خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية وأول
قول جبريل فما ركبك اكرم على الله منه اى ما ركبك احد قط فكيف يركبك اكرم منه
فيكون مثل قول امرئ القيس • على لاحب لا يهتدى بمناره • فيفهم منه ان له منارا
لا يهتدى به وليس المراد الا انه لا منار له البتة فكيف يهتدى به فتامله • وقد
جزم السهيلى بان البراق انما استصعب عليه لبعد ركوب الانبياء قبله وقال
النووى قال صاحب مختصر العين وتبعه صاحب التحرير كان الانبياء يركبون البراق
قال وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد تقدم النقل بذلك قال فى الفتح ويؤيده
ظاهر قوله فربطته بالحلقة التى يربط بها الانبياء انتهى فليتامل فانه ليس فيه فربطته
بالحلقة التى يربط بها الانبياء وانما قال تربط بها الانبياء وسكت عن ذكر المربوط ما
هو فيحتمل كما قال ابن المنير ان يكون غير البراق ويحتمل ان يريد ارتباط الانبياء انفسهم
بتلك الحلقة اى تمسكهم بها وتكون من جنس العروة الوثقى انتهى لكن وقع التصريح به
فى حديث ابى سعيد عند البيهقى ولفظه فاوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الانبياء
توثقها فيه • ووقع عند ابن اسحاق من رواية وثيمة فى ذكر الاسراء فاستصعب البراق

وكانت

وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت فى الفترة • وفى مغازى ابن عائذ من طريق
الزهرى عن سعيد بن المسيب قال البراق هى الدابة التى كان يزور ابراهيم عليه
الصلوة والسلام عليها اسماعيل عليه السلام وعلى هذا فلا يكون ركوب البراق من خصائصه
صلى الله عليه وسلم نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما لم يرو لغيره من الانبياء عليهم الصلوة
والسلام • فان قلت ما وجه استصعاب البراق عليه اجيب بانه تنبيه على انه
لم يذل قبل ذلك ان قلنا انه لم يركبه احد قبله او لبعد العهد به ان قلنا انه ركب
قبله ويحتمل ان يكون استصعابه تيها وزهوا بركوبه صلى الله عليه وسلم عليه واراد
جبريل عليه السلام بقوله امحمد تستصعب لا ستنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة
وانما تاه زهوا لمكان الرسول عليه الصلوة والسلام منه ولهذا قال فارفض عرقا فكانه
اجاب بلسان الحال متبريا عن الاستصعاب وعرق من خجل العتاب ومثل هذا رجفة
الجبل به حتى قال له اثبت فانما عليك نبى وصديق وشهيدان فانها هزة الطرب لا هزة
الغضب وكذلك البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم على الله منه فاستقر
وخجل من ظاهر الاستصعاب وتوجه الخطاب فعرق حتى غرق • ووقع فى حديث حذيفة
رضى الله عنه عند الامام احمد قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فلم يزايلا
ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده حذيفة عن النبى صلى الله
عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد ويحتمل ان يكون قوله هو وجبريل متعلقا بمرافقته
فى السير لا فى الركوب وقال ابن دحية معناه وجبريل قائدا وسائقا او دليلا قال وانما
جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها
وقد تعقب الحافظ ابن حجر التاويل المذكور بان فى صحيح ابن حبان من حديث ابن
مسعود رضى الله عنه ان جبريل عليه السلام حمله على البراق رديفا • وفى رواية
الحارث فى مسنده اتى بالبراق فركبه خلف جبريل فسار بهما فهذا صريح فى ركوبه معه
وقد وقع فى غير هذه الرواية بيان ما رآه ليلة الاسراء • فمن ذلك ما وقع فى حديث شداد
ابن اوس رضى الله عنه عند البزار والطبرانى وصححه البيهقى فى الدلائل انه اول
ما اسرى به مر بارض ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل فنزل فصلى فقال صليت
بيثرب ثم مر بارض بيضاء فقال له انزل فصل فنزل فصلى فقال صليت بمدين ثم مر ببيت
لحم فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال صليت حيث ولد عيسى عليه السلام • وفى حديث
انس رضى الله عنه عند البيهقى فى الدلائل لما جاء جبريل بالبراق اليه صلى الله عليه وسلم
فكانها اخذت اذنيها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله فسار رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بعجوز على جنب الطريق فقال ما هذا يا جبريل فقال سر يا محمد
فسار ما شاء الله ان يسير فاذا هو بشيخ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد
فقال له جبريل سر وانه مر بجماعة فسلموا عليه فقالوا السلام عليك يا اول السلام عليك

يا آخر السلام عليك يا حاشر فقال له جبريل اردد عليهم السلام فرد الحديث وفي آخره فقال
له جبريل اما العجوز الذي رأيت بجانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا ما بقي من عمر تلك
العجوز والذي دعاك ابليس والعجوز الدنيا اما لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا
على الآخرة واما الذين سلموا عليك فابرهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام قال
الحافظ عماد الدين بن كثير في الفاظه نكارة وغرابة • وفي رواية انه مر بموسى عليه السلام
وهو يصلي في قبره قال انس ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله ولا مانع ان الانبيا
عليهم الصلوة والسلام يصلون في قبورهم لانهم احيا عند ربهم يرزقون فهم يتعبدون
بما يجدون من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر ويشاء في الاشارة
لذلك في حجة الوداع ان شاء الله تعالى في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني
والبزار انه عليه الصلوة والسلام مر على قوم يزرعون ويحصدون كلما حصدوا عاد
كما كان فقال لجبريل عليه الصلوة والسلام ما هذا قال هولاء المجاهدون في سبيل الله
تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة ضعف وما انفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين
ثم اتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك
شيء فقال ما هذا يا جبريل قال هولاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلوة المكتوبة
ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام يأكلون
الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما هولاء يا جبريل قال هولاء الذين لا يؤدون زكوة اموالهم
وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدر
ولحم آخر نيء في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم النيء الخبيث ويدعون النضيج
فقال من هولاء يا جبريل قال جبريل هذا الرجل من امتك يكون عنده المرأة الحلال
الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها
حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح ثم اتى على رجل قد جمع حزمة
حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل
من امتك تكون عليه امانات الناس لا يقدر على ادائها وهو يريد ان يحمل عليها ثم اتى
على قوم تقرض شفاههم والسنتهم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر
عنهم من ذلك شيء قال ما هذا يا جبريل قال هولاء خطباء الفتنة قال ثم اتى على حجر صغير
يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج فقال ما هذا يا جبريل
قال هذا الرجل من امتك يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها فلا يستطيع ان يردها
ثم اتى على واد فوجد فيه ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال ما هذا يا
جبريل قال هذا صوت الجنة تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي
وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي واكوابي وصحافي
واباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فائتني بما وعدتني قال لك كل مسلم ومسلمة

ومؤمن

ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني اندادا
ومن خشيني فهو آمن ومن سألني اعطيته ومن اقرضني جزيته ومن توكل علي كفيته انني
انا الله لا اله الا انا لا اخلف الميعاد وقد افلح المؤمنون وتبارك الله احسن الخالقين
قالت قد رضيت ثم اتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ما هذا
يا جبريل قال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي واغلالي
وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فائتني
بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب
قالت قد رضيت قال فسار حتى اتى بيت المقدس • وفي رواية ابي سعيد رضي الله
عنه عند البيهقي دعاني داع عن يميني انظرني اسالك فلم اجبه ثم دعاني آخر عن شمالي
كذلك فلم اجبه وفيه اذا امرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى
فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم التفت اليها وفيه ان جبريل قال له اما الداعي الاول
فهو داعي اليهود ولو اجبته لتهودت امتك واما الثاني فداعي النصارى ولو اجبته
لتنصرت امتك واما المرأة فالدنيا وفيه انه صعد الى سماء الدنيا فرأى فيها آدم عليه
السلام وانه رأى اخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد واخرى عليها لحم منتن عليها ناس
يأكلون قال لجبريل هولاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام وفيه انه مر بقوم
بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر وان جبريل قال له هولاء اكلة الربا وانه مر
بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من اسافلهم وان جبريل قال ان هولاء
الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما وانه مر بنساء تعلقن بثديهن وانهن الزواني وانه
مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمونه وانهم الغمازون وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه عند البزار والحاكم انه صلى ببيت المقدس مع الملائكة وانه اتى هنالك
بارواح الانبيا فاثنوا على الله وفيه قول ابرهيم لقد فضلكم محمد • وفي رواية عبد الرحمن
ابن هشام عن انس رضي الله عنه ثم بعث له آدم فامهم تلك الليلة • وفي حديث ام
هاني رضي الله عنها عند ابي يعلى ونشر في رهط من الانبيا منهم ابرهيم وموسى وعيسى
وفي رواية ابي سلمة رضي الله عنه ثم حانت الصلوة فاممتهم اخرجه مسلم • وفي حديث
ابي امامة رضي الله عنه عند الطبراني في الاوسط ثم اقيمت الصلوة فتدافعوا فقدموا
محمدا صلى الله عليه وسلم • وفي رواية ثابت البناني عن انس رضي الله عنه عند مسلم قال
فربطته يعني البراق بالحلقة وهي باسكان اللام على الاشهر التي تربط بها الانبيا بضمير
المذكر اعادة على معنى الحلقة وهو الشيء والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس قال صاحب
التحرير قال عليه الصلوة والسلام ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني
جبريل عليه الصلوة والسلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال لي جبريل
اخترت الفطرة اي اخترت اللبن الذي ينبت عليه الخلقة وبه نبت اللحم ونشز العظم اولا

الشافعي ...
٢٦
٢٥٠

لانه الحلال الدائم في دين الاسلام بخلاف الخمر فهو حرام فيما يستقر عليه الامر وقال
النووي المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة قال ومعناه والله اعلم اخترت
علامة الاسلام والاستقامة قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا
للشاربين سليم العاقبة. واما الخمر فانها ام الخبائث وجالبة لانواع الشر في الحال والمآل
انتهى. وقال القرطبي يحتمل ان يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه اول شيء يدخل
جوف المولود ويشق امعاءه والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون غيره لكونه
مألوفا له اولا انتهى. واذا كانت الخمرة مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسراء كان بمكة
فما وجه تجنبه عليه الصلاة والسلام لاخذ المباحين وما وجه عد ذلك صوابا وعد
الآخر خطأ وهما سواء في الاباحة فيحتمل ان يكون توقاها تورعا وتعريضا بانها ستحرم
وانه لما وافق الصواب في علم الله تعالى قال له جبريل عليه السلام اصبت الفطرة او اصبت
اصاب الله بك كما رويا واذا قلنا بانها كانت من خمر الجنة فيكون سبب تجنبه صورتها
ومضاهاتها المحرمة اي في علم الله وذلك ابلغ في الورع ويستفاد منه ان من اتخذ من ماء
الرمان او غيره ولو مباحا ما يضاهي بها الخمر في الصورة وهيأه بالهيئة التي يتعاطاها
اهل الشهوات من الاجتماعات والآلات فقد اتى منكرا وان كان لا يحد عليها قال
ابن المنير وينظر فيما يعمله كثير من فقراء اليمن وغيرهم بمكة المشرفة وجدة وغيرهما من ماء
قشر البن ويسمونه بالقهوة وهي اسم من اسماء الخمر. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما
عند احمد فلما اتى المسجد الاقصى قام يصلي فلما انصرف جيء بقدحين في احدهما لبن وفي
الآخر عسل فاخذ اللبن. وفي رواية البزار بثلاثة اواني وان الثالث كان خمرا وان ذلك
وقع ببيت المقدس وان الاول كان ماء ولم يذكر العسل وفي حديث شداد بن اوس فصليت
في المسجد حيث شاء الله واخذني من العطش اشد ما اخذني فاتيت باناءين في احدهما لبن وفي الآخر
عسل ثم هداني الله فاخذت اللبن فقال شيخ بين يدي يعني لجبريل اخذ صاحبك الفطرة
وقد كان اتيانه بالاواني مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى
ورؤية الانهار الاربعة وممن صرح بانه كان مرتين الحافظ عماد الدين بن كثير وعلى هذا
فيكون تكرار جبريل عليه الصلاة والسلام للتصويب حيث اختار اللبن تاكيدا للتحقيق ماسو
وقد انكر حذيفة رضي الله عنه ربط البراق بالحلقة فروى احمد والترمذي من حديث
حذيفة رضي الله عنه قال يحدثون انه ربطه خاف ان يفر منه وقد سخره له عالم الغيب
والشهادة وكذا انكر حذيفة ايضا صلاته عليه الصلاة والسلام ببيت المقدس وتعقبه
البيهقي وابن كثير بان المثبت مقدم على النافي يعني من اثبت ربط البراق والصلاة في
بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول. ووقع في رواية بريدة
رضي الله عنه عند البزار لما كان ليلة اسري به صلى الله عليه وسلم فاتى جبريل عليه السلام الصخرة
التي ببيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق ونحوه للترمذي. وفي حديث

ابي سعيد

ابي سعيد رضي الله عنه عند البيهقي حتى اتيت بيت المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التي
كانت الانبياء تربطها فيه فدخلت انا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين
وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه نحوه وزاد ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين
ما بين قائم وراكع وساجد ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من
يؤمنا فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه
ايضا عند مسلم فحانت الصلاة فاممتهم. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند احمد
فلما اتى النبي صلى الله عليه وسلم المسجد الاقصى قام يصلي فاذا النبيون صلوات الله
عليهم اجمعين يصلون معه. وعن ابي سعيد رضي الله عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس
فنزل فربط فرسه الى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل
من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قالوا نعم قالوا
حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم
فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما
وجعلني امة قانتا يؤتم بي وانقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما ثم ان موسى
عليه الصلاة والسلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما واصطفاني وانزل
علي التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي وجعل من امتي قوما يهدون
بالحق وبه يعدلون ثم ان داود عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي ملكا
عظيما وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير واتاني الحكمة
وفصل الخطاب ثم ان سليمان عليه السلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي سخر لي الرياح
وسخر لي الشياطين يعملون ما شئت من محاريب وتماثيل وعلمني منطق الطير واتاني من
كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والجن والانس والطير واتاني ملكا لا ينبغي لاحد
من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب ثم ان عيسى عليه السلام اثنى على ربه فقال
الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعلني مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني
الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني اخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون
طيرا باذن الله وجعلني ابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني
واعاذني وامي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال وان محمدا
صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي
ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه بيان كل شيء
وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري
ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم
محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء ذكره القاضي عياض
في الشفا مختصرا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه من غير عزو وروى البيهقي

من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه وهذا لفظه وفى رواية ابن ابى حاتم فى تفسيره عن انس رضى الله عنه فلما بلغ بيت المقدس فبلغ المكان الذى يقال له باب محمد اتى الى الحجر الذى به فغمزه جبريل باصبعه فنقبه وربطها ثم صعدا فلما استويا فى صرحة المسجد قال جبريل يا محمد سالت ربك ان يريك الحور العين قال نعم قال فانطلق الى اولئك النسوة فسلم عليهن قال فسلمت عليهن فرددن على السلام فقلت لهن من انتن فقلن خيرات حسان نسا قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا واقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت فلم البث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن مؤذن واقيمت الصلوة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ جبريل عليه الصلوة والسلام بيدى فقدمنى فصليت بهم فلما انصرفت قال لى جبريل اتدرى من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبى بعثه الله تعالى قال القاضى عياض يحتمل ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا جميعا فى بيت المقدس ثم صعد منهم الى السما من ذكر انه عليه الصلوة والسلام رآه ويحتمل ان يكون صلى بهم بعد ان هبط من السما فهبطوا ايضا والاظهر ان صلاته بهم ببيت المقدس كان قبل العروج انتهى وقال ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان فى الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع انتهى وقد اختلف فى هذه الصلوة هل هى فرض او نفل فاذا قلنا انها فرض فاى صلوة هى قال بعضهم الاقرب انها الصبح ويحتمل ان تكون العشا وانما ياتى على قول من قال انه صلى بهم قبل عروجه الى السما فاما على قول من قال صلى بهم بعد العروج فيكون الصبح قال ابن كثير ومن الناس من يزعم انه امهم فى السما والذى تظاهرت به الروايات انه ببيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه اليهم لانه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسال جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم ثم قال وهذا هو اللائق لانه اولا كان مطلوبا الى الجناب العلوى ليفرض الله عليه وعلى امته ما يشا ثم لما فرغ مما اريد به اجتمع هو واخوانه من النبيين ثم اظهر شرفه عليهم بتقديمه فى الامامة وفى رواية ابن اسحاق انه عليه السلام قال لما فرغت مما كان فى بيت المقدس اتى بالمعراج ولم ار شيئا قط احسن منه وهو الذى يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر فاصعدنى صاحبى فيه حتى انتهى الى باب من ابواب السما وفى رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج هو وجبريل وفى شرف المصطفى انه اتى بالمعراج من جنة الفردوس وانه منضد عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة وفى رواية ابى سعيد رضى الله عنه عند البيهقى ثم اتيت بالمعراج الذى تعرج عليه ارواح بنى آدم فلم تر الخلائق احسن من المعراج اما رايت الميت حين يشق بصره طامحا الى السما فان ذلك عجبه بالمعراج وقد تقدم فى حديث البخارى السابق فانطلق بى جبريل حتى اتى السما فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم ولم يقل جبريل عليه السلام انا حيث قيل له من نعم سمى نفسه فقال جبريل لان لفظ انا فيه اشعار بالعظمة وفى الكلام السابر اول من قال انا ابليس فشقى

وايضا

وايضا فقوله انا مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهى غير كافية فى البيان وعلى هذا فينبغى للمستاذن اذا قيل له من ان لا يقول انا بل يقول فلان وفى رواية البخارى ومسلم فعرج وهو بفتح العين بمعنى صعد وفى حديث ابى سعيد رضى الله عنه عند البيهقى حتى انتهى الى باب من ابواب السما يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسماعيل تحت يده اثنى عشر الف ملك وفى رواية شريك عند البخارى ايضا ثم عرج بى الى السما الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السما الدنيا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا فمرحبا واهلا فيستبشر به اهل السما لا يعلم اهل الارض بما يريد الله به فى الارض حتى يعلمهم اى على لسان من شاء كجبريل ووقع فى هذه الرواية انه راى فى سما الدنيا النيل والفرات وعنصرهما وظاهره يخالف حديث مالك بن صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة المنتهى فاذا فى اصلها اربعة انهار ويجمع بان اصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما فى السما الدنيا ومنها ينزلان الى الارض ووقع فى هذه الرواية ايضا ثم مضى به فى السما الدنيا فاذا هو بنهر آخر عليه قصور من لؤلؤ وزبرجد وانه الكوثر وهو مما استشكل من رواية شريك فان الكوثر من الجنة والجنة فوق السما السابعة ويحتمل ان يكون تقديره ثم مضى فى السما الدنيا الى السما السابعة فاذا هو بنهر ثم ان فى قوله فى الحديث افتح دلالة على انه صادف ابواب السما مغلقة والحكمة فى ذلك والله اعلم التنويه بقدره عليه السلام وتحقيق ان السموات لم تفتح ابوابها الا من اجله ولو وجدها مفتوحة لم يتحقق انها فتحت لاجله فلما فتحت له تحقق عليه الصلوة والسلام ان المحل مصون وان فتحه له كرامة وتبجيل واما قوله فى الحديث ارسل اليه وفى رواية وقد بعث اليه فيحتمل ان يكون استفهم عن الارسال اليه للعروج الى السما وهو الاظهر لقوله اليه لان اصل بعثته اشتهر فى الملكوت الاعلى وقيل سالوا تعجبا من نعمة الله عليه بذلك واستبشارا به وقد علموا ان بشرا لا يترقى هذا الترقى الا باذن من الله تعالى وان جبريل لا يصعد بمن لم يرسل اليه وقد قيل ان الله تعالى اراد اطلاع نبيه على انه معروف عند الملا الاعلى لانهم قالوا او بعث اليه او ارسل اليه فدل على انهم كانوا يعرفون ان ذلك سيقع له والا لكانوا يقولون ومن محمد مثلا ولذلك اجابوا بقولهم مرحبا ولنعم المجى جا وكلامهم بهذه الصيغة ادل دليل على ما ذكرناه من معرفتهم بجلالته وتحقق رسالته ولان هذا اجل ما يكون من حسن الخطاب والترفيع على المعروف من عادة العرب واما قوله ومن معك فيشعر بانهم احسوا به عليه الصلوة والسلام والا لكان السؤال بلفظ امعك احد وهذا الاحساس اما بمشاهدة اذ الكون السما شفافة واما بامر معنوى كزيادة انوار ونحوها قاله الحافظ ابن حجر ولعله اخذه من كلام العارف ابن ابى جمرة حيث قال وفيه بحث الثانى ان يكون سؤالهم لما راوا حين راوا اقباله عليهم من زيادة الانوار وغيرها

من المآثر الحسان زيادة على ما يعهدونه منه قال وهذا هو الاظهر كانهم قالوا من الشخص الذى من اجله هذه الزيادة التى معك فاخبرهم بما ارادوا وهو تعيين الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى ۞ وقد قال بعض العلماء فى قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انه رأى صورة ذاته المباركة فى الملكوت فاذا هو عروس المملكة ۞ واما قولهم له مرحبا ونعم المجئ جاء فيحتمل ان يكونوا قالوه لما عاينوا من بركاته صلى الله عليه وسلم التى سبقته للسما مبشرة بقدومه وفيه تقديم وتاخير والتقدير جاء فنعم المجئ مجيئه وانما لم يقل الخازن مرحبا بك بصيغة الخطاب بل قال بصيغة الغيبة لانه حياه قبل فتح الباب وقبل ان يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم خطاب ويحتمل ان يكون حياه بصيغة الغيبة تعظيما له لان هذا الغيبة ربما كانت افخم من كاف الخطاب واما قوله فى الحديث فاذا رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التى عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فالاسودة بوزن ازمنة هى الاشخاص والنسم بالنون والسين المفتوحتين جمع نسمة وهى الروح وقد قال القاضى عياض جاء ان ارواح الكفار فى سجين وان ارواح المؤمنين منعمة فى الجنة يعنى فكيف تكون مجتمعة فى سماء الدنيا واجاب بانه يحتمل انها تعرض على آدم عليه السلام اوقاتا فوافق عرضها مرور النبى صلى الله عليه وسلم ويدل على ان كونهم فى النار انما هو فى اوقات دون اوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا واعترض بان ارواح الكفار لا تفتح لها ابواب السماء كما هو نص القرآن والجواب ما ابداه وهو احتمال ان الجنة كانت فى جهة يمين آدم عليه السلام والنار فى جهة شماله وكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو فى السماء ان تفتح لها ابواب السماء ولا تلجها وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه عند البزار فاذا عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله حزن وهذا لو صح لكان المصير اليه اولى من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف قاله الحافظ ابن حجر واما قوله فى الحديث ثم صعد بى حتى اتى السماء الثانية فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجئ جاء ففتح فلما خلصنا اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح الى قوله ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجئ جاء فلما خلصت فاذا ابرهيم عليه الصلوة والسلام قال هذا ابوك ابرهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالنبى الصالح والابن

الصالح فهذه الرواية موافقة لرواية ثابت عن انس رضى الله عنه عند مسلم ان فى السماء الاولى آدم عليه السلام وفى الثانية يحيى وعيسى عليهما السلام وفى الثالثة يوسف عليه السلام وفى الرابعة ادريس عليه السلام وفى الخامسة هارون عليه السلام وفى السادسة موسى عليه السلام وفى السابعة ابرهيم عليه السلام وخالف ذلك ابن شهاب الزهرى وفى رواية عن انس رضى الله عنه عن ابى ذر كما فى اول الصلوة من البخارى ايضا انه لم يثبت كيف منازلهم وقال فيه وابرهيم فى السماء السادسة وفى رواية شريك عن انس رضى الله عنه ان ادريس فى الثانية وان هارون فى الرابعة وآخر فى الخامسة لم احفظ اسمه وابرهيم فى السادسة وموسى فى السابعة بتفضيل كلام الله وسياقه يدل على انه لم يضبط منازلهم ايضا كما صرح به الزهرى ورواية من ضبط اولى ولا سيما مع اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد بن ابى مالك عن انس رضى الله عنه الا انه خالف فى ادريس وهارون فقال هارون فى الرابعة وادريس فى الخامسة ووافقهم ابو سعيد الا ان فى روايته يوسف فى الثانية ويحيى وعيسى فى الثالثة والمشهور فى الروايات ان الذى فى السابعة هو ابرهيم واكد ذلك فى حديث مالك بن صعصعة بانه كان مسندا ظهره الى البيت المعمور فمع التعدد لا اشكال ومع الاتحاد فقد جمع بان موسى كان حالة العروج فى السادسة وابرهيم فى السابعة على ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى فى السابعة لانه لم يذكر فى القصة ان ابرهيم كلمه فى شئ مما يتعلق بما فرض على امته من الصلوة كما كلمه موسى عليه السلام والسماء السابعة هى اول شئ انتهى اليه حالة الهبوط فناسب ان يكون موسى بها لانه هو الذى خاطبه فى ذلك كما ثبت فى جميع الروايات ويحتمل ان يكون لقى موسى فى السادسة فاصعد معه الى السابعة تفضيلا له على غيره من اجل كلام الله وظهرت فائدة ذلك فى كلامه مع نبينا صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بامر امته فى الصلوة قاله فى فتح البارى وقال ان النووى اشار الى شئ من ذلك وفى رواية شريك عن انس رضى الله عنه فى قصة موسى لم اظن ان احدا يرفع على قال ابن بطال فهم موسى عليه الصلوة والسلام من اختصاصه بكلام الله تعالى له فى الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ان المراد بالناس هنا البشر كلهم وانه استحق بذلك ان لا يرفع عليه احد فلما فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بما اعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك وفى حديث ابى سعيد رضى الله عنه قال موسى يزعم بنو اسرائيل انى اكرم على الله تعالى وهذا اكرم على الله منى زاد الاموى فى روايته ولو كان هذا وحده هان ولكن معه امته وهم افضل الامم عند الله تعالى وفى حديث مالك بن صعصعة فلما جاوز يعنى موسى عليه السلام بكى فنودى ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتى ولم يكن بكاء موسى عليه الصلوة والسلام حسدا معاذ الله فان

الحسد في ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى بل كان أسفا على ما فات من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص اجره لان لكل نبي مثل اجر كل من تبعه ولهذا كان من تبعه في العدد دون من تبع نبينا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة وقال العارف ابن ابي حمزة قد جعل الله سبحانه وتعالى في قلوب انبيائه عليهم الصلوة والسلام الرافة والرحمة لاممهم وركبهم على ذلك وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يبكيك فقال هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء والانبياء عليهم الصلوة والسلام قد اخذوا من رحمة الله تعالى اوفر نصيب فكانت الرحمة في قلوبهم لعباده اكثر من غيرهم فلاجل ما كان لموسى عليه الصلوة والسلام من الرحمة واللطف بكى اذ كان رحمة منه لامته لان هذا وقت افضال وكرم فرجا لعل ان يكون وقت القبول والافضال فيرحم الله امته ببركة هذه الساعة فان قال قائل كيف يكون هذا وامته لا تخلو من قسمين قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذي مات على الايمان لا بد له من دخول الجنة والذي مات على الكفر لم يدخل الجنة ابدا فبكاؤه لاجل ما ذكر لا يسوغ لان الحكم فيهم قديم ونقد قيل ان الله تعالى قد قدر على قسمين فقدره قدرا وقدر ان ينفذ على جميع الاحوال وقدره قدرا وقدر ان لا ينفذ ويكون رفعه بسبب دعاء او صدقة او غير ذلك فلاجل ما ركب في موسى عليه الصلوة والسلام من اللطف والرحمة بالامة طمع لعل ان يكون ما اتفق لامته من القدر الذي قد الله سبحانه وتعالى وقدر ان ترفعه بسبب الدعاء والتضرع اليه وهذا وقت يرتجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالى لانه وقت تسرى فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل العميم فطمع الكليم لعل ان يلحق لامته نصيبا من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله تعالى وهذه نفحة من النفحات فتعرض لها موسى عليه السلام فكان الامر قد قدر والاسباب لا تؤثر الا بما سبقت القدرة بانها فيه تؤثر وما كان قضاءنا فذا لا يؤثر فيه ولا ترده الاسباب حتم لازم قد لزم وفي بكائه عليه الصلوة والسلام وجه آخر وهو البشارة لنبينا عليه الصلوة والسلام وادخال السرور عليه وذلك قول موسى عليه السلام الذي هو اكثر الانبياء اتباعا ان الذين يدخلون الجنة من امة محمد صلى الله عليه وسلم اكثر مما يدخلها من امتي ولما قال موسى عليه الصلوة والسلام لان غلاما ولم يقل غير ذلك من الصيغ فاشارة الى صغر سنه بالنسبة اليه وفي القاموس الغلام الطار الشارب والكهل ضد وقال الخطابي العرب تسمي الرجل المستجمع السن غلاما ما دامت فيه بقية من القوة قال في فتح الباري ويظهر لي ان موسى عليه الصلوة والسلام اشار الى ما انعم الله به على نبينا صلى الله عليه وسلم من استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في اول سن الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتراه في قوته نقص

حتى ان الناس في قدومه المدينة لما راوه مردفا ابا بكر اطلقوا عليه اسم الشاب وعلى ابي بكر رضي الله عنه اسم الشيخ مع كونه عليه الصلوة والسلام في العمر اسن منه والله اعلم وقد ذكرت ذلك في الهجرة من المقصد الاول وقد وقع في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني في ذكر ابرهيم عليه السلام فاذا هو برجل اشمط جالس عند باب الكعبة على كرسي وفي رواية مسلم من حديث ثابت عن انس رضي الله عنه ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاذا انا بابرهيم عليه الصلوة والسلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وفيه فاذا انا بيوسف عليه السلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه عند البيهقي وابي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب وهذا ظاهر ان يوسف عليه السلام كان احسن من جميع الناس لكن روى الترمذي من حديث انس رضي الله عنه ما بعث الله تعالى نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وعلى هذا يحمل حديث المعراج على ان المراد غير النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده قول من قال ان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه وحمل ابن المنير حديث الباب على ان المراد ان يوسف اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم واما قوله في الحديث عن ادريس عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فيحمل على اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد وقال ابن المنير في حديث طريق شاذة مرحبا بالابن الصالح وهذه هي القياس لانه جده الاعلى وقيل ان ادريس الذي ليس هو الجد المشهور ولكنه الياس فان كان كذلك ارتفع الاشكال فان قلت لم كان هؤلاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام في السموات دون غيرهم من الانبياء وما وجه اختصاص كل واحد منهم بسما تخصه ولم كان في السما الثانية بخصوصها اثنان اجيب عن الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم من الانبياء بانهم امروا بملاقاة نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه في اول وهلة ومنهم من تاخر ومنهم من فاته وقيل اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم فاما آدم عليه الصلوة والسلام فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة الى الارض بما سيقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الهجرة الى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما الفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما ان يرجع الى موطنه الذي خرج منه وبعيسى ويحيى على ما وقع له اول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغي عليه وارادتهم السوء به وبيوسف بما وقع له مع اخوته على ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم مع قريش في نصبهم الحرب له وارادتهم اهلاكه وكانت العاقبة له وقد اشار عليه الصلوة والسلام الى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقا الى عفا

وبادريس على رفيع منزلته عند الله تعالى وبهارون على ان قومه رجعوا الى محبته بعد ان آذوه وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه وقد اشار الى ذلك عليه الصلوة والسلام بقوله لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وبابرهيم في استناده الى البيت المعمور بما ختم له صلى الله عليه وسلم في آخر عمره من اقامة مناسك الحاج وتعظيم البيت الحرام واجاب العارف ابن ابي جمرة عن وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء بان الحكمة في كون آدم عليه السلام في السماء الدنيا لانه اول الانبياء واول الآباء وهو الاصل ولاجل تانيس البنوة بالابوة وأما عيسى عليه السلام فانما كان في السماء الثانية لانه اقرب الانبياء الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا انمحت شريعة عيسى عليه الصلوة والسلام الا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه ينزل في آخر الزمان لامة محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته ويحكم بها ولهذا قال عليه الصلوة والسلام انا اولى الناس بعيسى فكان في الثانية لاجل هذا المعنى وانما كان يحيى عليه الصلوة والسلام معه هناك لانه ابن خالته وهما كالشيء الواحد فلاجل التزام احدهما بالآخر كانا هناك معا وانما كان يوسف عليه الصلوة والسلام في السماء الثالثة لان على حسنه تدخل امة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة فاري له هناك لكي يكون ذلك بشارة له صلى الله عليه وسلم فيسر بذلك وانما كان ادريس عليه الصلوة والسلام في السماء الرابعة فلانه هناك توفي ولم يكن له تربة في الارض على ما ذكروا وانما كان هرون عليه الصلوة والسلام في السماء الخامسة فلانه ملازم لموسى عليه الصلوة والسلام لاجل انه اخوه وخليفته في قومه فكان هناك لاجل هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى عليه الصلوة والسلام في السماء السادسة لان لموسى مزية وحرمة وهي كونه كليما واختص باشياء لم تكن لهرون فلاجل هذا المعنى لم يكن معه في السماء السادسة وانما كان موسى عليه الصلوة والسلام في السماء السادسة لاجل ما اختص به من الفضائل ولانه الكليم وهو اكثر الانبياء اتباعا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان ابرهيم عليه الصلوة والسلام في السماء السابعة لانه الخليل والاب الاخير فناسب ان يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقائه انس لتوجهه بعده الى عالم آخر وهو اختراق الحجب وايضا لانه الخليل ولا احد افضل من الخليل الا الحبيب والحبيب ها هو قد علا ذلك فكان الخليل فوق الكل لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص به مما زاد به عليهم قال الله سبحانه وتعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة ترفيعا بالمرفوع دون تنقيص بالمنزول انتهى فليتأمل وقد اختلف في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام فحمله بعضهم على رؤية ارواحهم الا عيسى عليه السلام كما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ايضا ذلك واما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الارواح خاصة ويحتمل الاجساد بارواحها

وقيل

وقيل يحتمل ان يكون عليه الصلوة والسلام عاين كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي اخبر بها من الموضع الذي ذكر انه عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد اعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما ادرك به ذلك ويشهد له رؤيته عليه الصلوة والسلام الجنة والنار في عرض الحائط وهو محتمل لان يكون عليه الصلوة والسلام رآهما في ذلك الموضع او مثل له صورهما في الحائط والقدرة صالحة لكليهما وقيل يحتمل ان يكون الله سبحانه وتعالى لما اراد اسراء نبينا صلى الله عليه وسلم رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى يحصل لهم من قبلهم ما اشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر اليه ولا نعلمه نحن وكل هذه الوجوه محتملة ولا ترجيح لاحدها على الآخر اذ القدرة صالحة لكل ذلك انتهى واما قوله في الحديث ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات وفي رواية عند البخاري ايضا فاذا في اصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار وعند مسلم تخرج من اصلها وعنده ايضا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه اربعة انهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان فيحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من اصلها فيصح انها من الجنة ووقع في حديث شريك كما عند البخاري في التوحيد انه رأى في السماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل عليه الصلوة والسلام هما النيل والفرات عنصرهما والجمع بينهما انه رأى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهري الجنة ورآهما في السماء الدنيا دون نهري الجنة واراد بالعنصر عنصر انتشارهما بسماء الدنيا كذا قاله ابن دحية وروى ابن ابي حاتم عن انس رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام بعد ان رأى ابرهيم عليه الصلوة والسلام قال ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير خضر انعم طير رأيت قال جبريل هذا الكوثر الذي اعطاك الله تعالى فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه اشد بياضا من اللبن قال فاخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو احلى من العسل واشد رائحة من المسك وفي حديث من ذلك الما ابي سعيد رضي الله عنه عند البيهقي فاذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل يشق منها نهران احدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة وسيأتي مزيد لما ذكر هنا من الكوثر في المقصد الاخير ان شاء الله تعالى وقد وقع في حديث ثابت عن انس رضي الله عنه عند مسلم ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها مثل آذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها وقد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه

عند مسلم ايضا بيان سبب تسميتها بسدرة المنتهى ولفظه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها وهو معنى قول ابن ابي جمرة لان اليها ينتهي الاعمال ومن هنا ينزل الامر والنهي وتتلقى الاحكام وعندها تقف الحفظة وغيرهم ولا يتعدونها وكانت منتهى لان اليها ينتهي ما يصعد من الاسفل وما ينزل من العالم العلوي من العلا وقال النووي لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعارض قوله في حديث ابن مسعود رضي الله عنه هذا انها في السادسة ما دل عليه بقية الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل في السماء السابعة لانه يحمل على اصلها لان اصلها في السماء السادسة واغصانها في السماء السابعة وليس في السماء الا ساقها قاله في فتح الباري وجا في حديث ابي ذر رضي الله عنه عند البخاري في الصلوة فغشيها الوان لا ادري ما هي ومن حديث يزيد بن مالك جراد من ذهب وفي حديث ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال البيضاوي وذكر الفراش وقع على التمثيل لان من شان الشجر ان يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب حقيقة فالقدرة صالحة لذلك وفي حديث ابي سعيد وابن عباس رضي الله عنهم تغشاها الملائكة وفي حديث علي رضي الله عنه على كل ورقة منها ملك وفي رواية ثابت عن انس رضي الله عنه عند مسلم فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها وفي رواية حميد عن انس رضي الله عنه عند ابن مردويه نحو لكن قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة اوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة زكية فكانت بمنزلة الايمان الذي يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول وقال العارف ابن ابي جمرة وهل الشجرة مغروسة في شيء ام لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة لكليهما فكما جعل الله سبحانه وتعالى في هذه الدار الارض مقر الشجر كذلك يجعل الهوى لتلك الشجر مقرا وكما رجع صلى الله عليه وسلم يمشي في الهوى كما كان يمشي في الارض وكان بالقدرة استقرت الارض مع انها على الماء فلا مانع ان تكون الشجرة على الهوى ويحتمل ان تكون مغروسة بارض وان تكون من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء واما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها فيدل على انه عرض عليه الانية مرتين مرة ببيت المقدس ومرة عند وصوله سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة واما الاختلاف في عدد الانية وما فيها فيحتمل ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر ومجموعها اربعة واني فيها اربعة اشيا من الانهار الاربعة التي رآها تخرج من اصل سدرة المنتهى انهار من ماء غير آسن ووقع في حديث ابي هريرة

عند الطبري ان سدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فلعله عرض عليه من كل اناء وجا عن كعب رضي الله عنه ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان ولنهر النيل فضائل ولطائف افردها بالتاليف غير واحد من الائمة ووقع في بعض الطرق انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا في السموات واما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ثم رفع الى البيت المعمور فغشاه اي رآه وقد يحتمل ان يكون المراد الرفع والرؤية معا لانه قد يكون بينه وبين البيت المعمور عوالم حتى لا يقدر على ادراكه فرفع اليه وامد في بصره وبصيرته حتى رآه وروى الطبراني من حديث سعيد ابن ابي عروبة عن قتادة رضي الله عنه قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها يدخله سبعون الف ملك كل يوم اذا خرجوا منه لم يعودوا وفي هذا دليل على عظيم قدرة الله تعالى وانه لا يعجزها ممكن لان هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم هذا القدر العظيم منذ خلق الله تعالى الخلق الى الابد ثم طائفة هذا اليوم لا ترجع اليه ابدا ومع ذلك انه قد روي انه ليس في السموات ولا في الارض موضع شبر الا وملك واضع جبهته هناك ساجدا ثم البحار ما من قطرة الا وبها ملك موكل فاذا كانت السموات والارض والبحار هكذا فهولاء الملائكة الذين يدخلون اين يذهبون فهذا من عظيم القدرة التي لا يشبهها شيء وفي هذا دليل على ان الملائكة اكثر المخلوقات لانه اذا كان سبعون الف ملك يصلي كل يوم في البيت المعمور على ما تقدم ثم لا يعودون مع ان الملائكة في السموات والارض والبحار وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند ابن مردويه وعند ابن ابي حاتم ان في السماء نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل عليه السلام كل يوم فينغمس ثم يخرج فينتفض فيخرج منه سبعون الف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فهم الذين يصلون فيه اي في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه واسناده ضعيف وذكر الامام فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون انه روي عن عطا ومقاتل والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة وقد روي ان الملائكة يسبحون الله تعالى فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا هذا ما عدا الملائكة التي للتعبد وما عدا الملائكة الموكلين بالنبات والارزاق والحفظة والملك الموكل بتصوير بني آدم والملائكة الذين ينزلون في السحاب والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة والملائكة الذين يتعاقبون والذين يوشون على قراءة المصطفى والذين يقولون ربنا ولك الحمد والذين يدعون

لتنظر الصلوة والذين يلعنون من هجرت زوجها وروى ان في السماء الدنيا وهي من ماء
ودخان ملائكة خلقوا من نار وريح عليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب
والمطر يقولون سبحان ذي الملك والملكوت وان في السماء الثانية ملائكة على الوان شتى
رافعين اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت وان فيها ملكا نصف جسده من
نار ونصف جسده من ثلج وهو يقول يا من الف بين الثلج والنار الف بين قلوب عبادك
وان في السماء الثالثة وهي من حديد ملائكة ذووا اجنحة ووجوه شتى واصوات شتى
رافعوا اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك انت الله الحي الذي لا يموت وهم صفوف
قيام كانهم بنيان مرصوص لا يعرف احدهم لون صاحبه من خشية الله وان في السماء
الرابعة وهي من نحاس ملائكة يضعفون على ملائكة الثالثة وكذلك كل سماء اكثر عددا
من السماء التي تليها وان ملائكة السماء الرابعة قيام وركوع وسجود على الوان شتى من العبادة
يبعث الله تعالى الملك منهم الى امر من امور فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه
الذي الى جنبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا اله
الا هو وان في السماء الخامسة وهي من فضة ملائكة يزيدون على ملائكة الاربع
سموات وهم سجود وركوع لم يرفعوا ابصارهم الى يوم القيمة فاذا كان يوم القيمة قالوا
ربنا لم نعبدك حق عبادتك وان في السماء السادسة وهي من ذهب جند الله الاعظم
الكروبيون لا يحصي عددهم الا الله تعالى عليهم ملك له سبعون الف ملك جند
وكل ملك منهم جنوده سبعون الف ملك وهم الذين يبعثهم الله تعالى في امور
اهل الدنيا رافعوا اصواتهم بالتسبيح والتهليل وان في السماء السابعة وهي من ياقوتة
حمراء من الملائكة ما يزيدون على ما تقدم وعليهم ملك مقدم على سبعمائة الف ملك منهم
جنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والرمل والسهل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق
في السموات والارض ويخلق الله تعالى في كل يوم ما يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وان حملة
العرش لكل منهم وجوه شتى واعين شتى في جسده لا يشبه بعضها بعضا رافعة اصواتهم
بالتهليل ينظرون الى العرش لا يفترون وان الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة
من جناحه لا يعلم عددهم الا الله تعالى وحملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن
رخيم يقول اربعة منهم سبحانك اللهم وبحمدك على حلمك بعد علمك ويقول اربعة
سبحانك اللهم وبحمدك على عفوك بعد قدرتك وقد روى الطبري من حديث
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام على
اي شيء انت قال على الريح والجنود قال وعلى اي شيء ميكائيل قال على النبات والقطر قال
وعلى اي شيء ملك الموت قال على قبض الارواح الحديث وفي اسناده محمد بن عبد الرحمن
ابن ابي ليلى وقد ضعف بسوء حفظه ولم يترك وروى الترمذي من حديث ابي سعيد رفعه ان
من اهل السماء جبريل وميكائيل الحديث وروى النقاش ان اسرافيل عليه السلام اول من سجد

فراش صح

فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار صح

من الملائكة

من الملائكة وانه جوزي بولاية اللوح المحفوظ وفي كتاب العظمة لابي الشيخ ابن حيان
من ذلك العجب العجاب وعندي منه الجزء الثاني وقد وقعت في غير رواية البخاري هنا
زيادات فمنها ما وقع في رواية ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عند البيهقي في دلائله
ثم صعدت الى السماء السابعة فاذا ابراهيم الخليل عليه السلام ساند ظهره الى البيت المعمور
كاحسن الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فسلم علي فاذا انا بامتي شطرين شطر
عليهم ثياب بيض كانهم القراطيس وشطر عليهم ثياب رمدة قال فدخلت البيت المعمور
ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون الذين عليهم ثياب رمدة فصليت
انا ومن معي في البيت المعمور وفي رواية الطبري فاذا هو برجل اشمط جالس عند باب
الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شيء فدخلوا
نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من الوانهم شيء ثم دخلوا نهرا اخر فاغتسلوا فيه وقد
خلص من الوانهم ثم دخلوا نهرا اخر فاغتسلوا فيه ثم خرجوا وقد خلص الوانهم فصارت مثل
الوان البيض الوجوه فقال من هذا ومن هؤلاء الذين في الوانهم شيء وما هذه الانهار التي
دخلوا فيها فجاؤا وقد صفت الوانهم فقال هذا ابوك ابراهيم اول من شمط على الارض
واما هؤلاء النفر الذين في الوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فتابوا فتاب الله
عليهم واما الانهار فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم شرابا
طهورا وفي رواية البخاري في الصلوة ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام الحديث والمستوى المصعد وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة
والمراد ما تكتبه الملائكة من اقضية الله تعالى وان القدر المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة
وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والارض
وانما هذه الكتابة في صحف الملائكة كالفروع المنتجة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما
في الاية وذكر ابن القيم ان الاقلام اثنى عشر قلما وانها متفاوتة في الرتب فاعلاها
واجلها قدرا قلم القدر السابق الذي كتب الله تعالى به المقادير الخلائق كما في سنن ابي داود
عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
اول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب قال وما اكتب قال له اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم
الساعة فهذا القلم اول الاقلام واجلها وقد قال غير واحد من اهل التفسير انه القلم الذي
اقسم الله تعالى به والقلم الثاني قلم الوحي والثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله والرابع
قلم طبا الابدان الذي يحفظ بها صحتها والخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه
تساس الممالك والسادس قلم الحساب وهو الذي يضبط به الاموال مستخرجها ومصروفها
ومقاديرها وهو قلم الارزاق والسابع قلم الحكم الذي تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا
والثامن قلم الشهادة الذي يحفظ به الحقوق والتاسع قلم التعبير وهو كاتب وحي المنام
وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم ووقايعه والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها

والثانى عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على المبطلين ودفع شبهة المحرفين فهذه الاقلام التى
بها انتظام مصالح العالم قال ويكفى فى جلالة القلم انه لم يكتب كتب الله الا به وانه تعالى
اقسم به فى كتابه انتهى ملخصا من كتاب اقسام القرآن وقد وقع فى رواية ابى ذر رضى الله
عنه عند مسلم وغيره من الزيادة اتيت بصائم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها
المسك الحديث والجنابذ بالجيم ثم بالنون المفتوحتين ثم الف ثم موحدة ثم ذال معجمة هى
القباب ويؤيده ما فى التفسير من البخارى من حديث قتادة عن انس رضى الله عنه لما
عرج به صلى الله عليه وسلم قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ واما ما فى كتاب الصلوة
من البخارى واذا فيها حبايل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة وآخره لام فقال القاضى عياض
وغيره هو تصحيف وفى حديث للامام احمد من رواية حذيفة رضى الله عنه قال فتحت
لهما ابواب السما قال فرايت الجنة والنار وفى حديث ابى سعيد رضى الله عنه انه عرضت
عليه الجنة وان رمانها كانها الدلا واذا طيرها كانها البخت وانه عرضت عليه النار
فاذا هى لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها ووقع عند مسلم من طريق همام
عن قتادة عن انس رضى الله عنه بينما انا اسير فى الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر
المجوف واذا طينه مسك اذفر فقال جبريل هذا الكوثر وعن ابى عبيدة بن عبد الله
ابن مسعود رضى الله عنهما عن ابيه ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام قال للنبى صلى
الله عليه وسلم يا بنى انك لاق ربك الليلة وان امتك آخر الامم واضعفها فان استطعت
ان تكون حاجتك فى امتك فافعل ووقع فى حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه
عند البيهقى ثم صعد الى السما السابعة قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة
منها تغطى هذه الامة واذا فيها عين تجرى يقال لها السلسبيل فيشق منها نهران احدهما
الكوثر والآخر يقال له الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر ثم
رفعت الى الجنة فاستقبلتنى جارية فقلت لمن انت يا جارية قالت لزيد بن حارثة
وفيه واذا رمانها كانه الدلا عظما ثم عرضت على النار فاذا فيها غضب الله وزجره
ونقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها ثم اغلقت دونى وفى الطبرانى من حديث
عائشة رضى الله عنها قالت لما كانت ليلة اسرى بى الى السما ادخلت الجنة فوقفت على شجرة من
اشجار الجنة لم ار فى الجنة شجرة احسن منها ولا ابيض منها ورقا ولا اطيب منها ثمرة فتناولت ثمرة
من ثمرها فاكلتها فصارت نطفة فى صلبى فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة
وهو حديث ضعيف وفيه التصريح بان الاسرا كان قبل ولادة فاطمة رضى الله عنها وهى
ولدت قبل النبوة بسبع سنين وشىء ولا ريب ان الاسرا كان بعد النبوة وذكر
ابو الحسن بن غالب فيما تكلم فيه على احاديث الحجب السبعين والسبع ماية والسبعين الف حجاب
وعزاها لابى الربيع بن سبع فى شفاء الصدور من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بعد ان ذكر مبدأ حديث الاسرا كما ورد فى الصحاح اتانى جبريل

وكان

وكان السفير لى الى ربى الى ان انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل فى مثل
هذا المقام يترك الخليل خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبى صلى الله
عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك قال يا محمد سل الله لى ان ابسط جناحى
على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم ثم زج بى فى النور
زجا فخرق بى سبعين الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عنى حس كل
ملك وانسى فلحقنى عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادانى مناد بلغة ابى بكر
قف ان ربك يصلى فبينما انا اتفكر فى ذلك فاقول هل سبقنى ابو بكر فاذا النداء من
العلى الاعلى ادن يا خير البرية ادن يا احمد ادن يا محمد ليدن الحبيب فادنانى ربى حتى
كنت كما قال الله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قال وسالنى ربى
فلم استطع ان اجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها
فاورثنى علم الاولين والآخرين وعلمنى علوما شتى فعلم اخذ على كتمانه اذ علم انه لا
يقدر على حمله غيرى وعلم خيرنى فيه وعلمنى القرآن فكان جبريل عليه السلام يذكرنى به
وعلم امرنى بتبليغه الى العام والخاص من امتى قال ولقد عاجلت جبريل عليه السلام فى
آية نزل بها فعاتبنى ربى وانزل على ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل
رب زدنى علما ثم قلت اللهم انه لما لحقنى استيحاش قبل قدومى عليك سمعت مناديا
ينادى بلغة ابى بكر فقال لى قف فان ربك يصلى فعجبت من هاتين هل سبقنى ابو بكر
الى هذا المقام وان ربى لغنى عن ان يصلى فقال تعالى انا الغنى عن ان اصلى لاحد وانما
اقول سبحانى سبحانى سبقت رحمتى غضبى اقرأ يا محمد هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم
من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتى رحمة لك ولامتك واما امر صاحبك
يا محمد فان اخاك موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى
قال هى عصاى وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك انت يا محمد لما كان انسك
بصاحبك ابى بكر وانك خلقت وهو من طينة واحدة وهو انيسك فى الدنيا والآخرة
خلقنا ملكا على صورته يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من
عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك ثم قال الله تعالى واين حاجة جبريل
فقلت اللهم انك اعلم فقال يا محمد لقد اجبته فيما سال ولكن فيمن احبك وصحبك وفى
رواية فتقدمت وجبريل على اثرى حتى انتهى بى الى حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب
فقيل من هذا فقال انا جبريل ومعى محمد صلى الله عليه وسلم فقال الملك الله اكبر
فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى فوضعنى بين يديه فى اسرع من طرفة عين الى حجاب اللؤلؤ
فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا قال انا فلان صاحب حجاب الذهب
وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معى فقال الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب
فاحتملنى حتى وضعنى بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزنى سبعين

الف حجاب غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام فما الحق تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بي
الملك ثم دلى لي رفرف اخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت على ذلك الرفرف
ثم احتملني حتى وصلت الى العرش فابصرت امرا عظيما لا تناله الالسن ثم تدلى لي قطرة من
العرش فوقعت على لساني فما ذاق الذائقون شيئا قط احلى منها فانبأني الله تعالى بها نبأ
الاولين والآخرين ونور قلبي وغشي نور عرشه بصري فلم ار شيئا فجعلت ارى بقلبي وكلا
انى بعيني ورأيت من خلفي ومن بين كتفي كما رأيت امامي الحديث رواه والذي قبله في
كتاب شفاء الصدور كما ذكره ابن غالب والعهدة في ذلك عليه وتكثير الحجب لم يرد في
طريق صحيح ولم يصح في ذلك غير ما في مسلم حجابه النور• والرفرف البساط وقيل انه في الاصل
ما كان من الديباج وغيره رقيق حسن الصنعة ثم اتسع فيه **واعلم** ان ما ذكره في هذا المحل
الرفيع من الحجب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق عز وجل والله سبحانه وتعالى منزه
عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس• فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني الاسماء
والصفات والافعال وسائر المخلوقات من معاني الانوار والظلمات كل له مقام من
الحجب معلوم وحظ من الادراك والمعرفة مقسوم• واقرب الخلق الى الله تعالى الملائكة
الحافون والكروبيون وهم محجوبون بنور المهابة والعظمة والكبرياء والجلال والقدس
والقيومية تحجب الذات بالصفات وهم في الحجب عنه على طبقات الخالق فقوم حجبوا برؤية
النعم عن المنعم وبرؤية الاحوال عن المحول وبرؤية الاسباب عن المسبب• وقوم
حجبوا بالعلم عن المعلم وبالفهم عن المفهم وبالعقل عن المعقل وذلك كله في معنى
حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن الوهاب• وقوم حجبوا بالشهوات المباحة• وقوم
حجبوا بالشهوات المحرمات والمعاصي والسيئات• وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة
الحيوة الدنيا• اللهم لا تحجب قلوبنا عنك في الدنيا ولا ابصارنا عنك في الآخرة
يا كريم **وقد ورد** في الصحيح عن انس رضي الله عنه قال عرج بي جبريل عليه السلام
الى سدرة المنتهى ودنى الجبار رب العزة جل جلاله فتدلى منه حتى كان قاب قوسين
او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى الحديث وهذا الدنو والتدلي المذكور في هذا الحديث
وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتدلي في قوله تعالى في سورة النجم ثم دنى فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى الحديث وان اتفقا في اللفظ
والصحيح ان المراد في الآية جبريل لانه الموصوف بما ذكر من اول السورة الى قوله ولقد رآه
نزلة اخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
قالت عائشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية
فقال ذاك جبريل اراه في صورته التي خلق عليها الامرتين ولفظ القرآن لا يدل على
غير ذلك من وجوه• احدها انه قال علمه شديد القوى وهذا جبريل الذي وصفه في
سورة التكوير• الثاني انه قال ذو مرة اي حسن الخلق وهو الكريم الذي في سورة التكوير

الثالث انه قال فاستوى وهو بالافق الاعلى وهو ناحية السماء العليا وهذا استواء
جبريل عليه الصلوة والسلام واما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه• الرابع انه
ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فهذا دنو جبريل عليه السلام ونزوله الى الارض
حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم• واما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول
الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنا الجبار جل جلاله منه وتدلى
الخامس انه قال ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى والذي عند سدرة المنتهى
قطعا هو جبريل وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل• السادس ان
نفس الضمير في قوله ولقد رآه وقوله دنى فتدلى وقوله فاستوى وقوله وهو بالافق الاعلى
واحد فلا يجوز ان يخالف بينه المفسر من غير دليل• السابع انه تعالى اخبر ان هذا
الذي دنى فتدلى كان بالافق الاعلى وهو افق السماء بل تحتها فدنى من الارض فتدلى
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى وتدليه على ما في حديث
شريك كان فوق العرش لا الى الارض ثم نفى سبحانه وتعالى عن نبيه صلى الله عليه
وسلم بقوله سبحانه وتعالى ما زاغ البصر وما طغى ما يعرض للرائي الذي لا ادب له بين
يدي الملوك والعظماء من التفاته يمينا وشمالا ومجاوزة بصره لما بين يديه واخبر عنه
بكمال الادب في ذلك المقام وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانبا ولم يمد بصره الى غير
ما ارى من الآيات وما هناك من العجائب بل قام مقام العبد الذي اوجب ادبه اطراقه
واقباله على ما اريه دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات
الجاش وسكون القلب وطمانينته وهذا غاية الكمال **وقالت** في مدارج السالكين وفي
هذه الآية اسرار عجيبة هي من غوامض الادب اللائقة باكمل البشر صلوات الله وسلامه
عليه تواطأ هناك بصره وبصيرته وتوافقا وتصادقا فيما شاهده بصره فالبصيرة
مواطئة له وما شاهدته بصيرته فهو ايضا حق مشهود بالبصر فتواطأ في حقه اي ما كذب
الفؤاد ما رآى ببصره ولهذا قراها هشام وابو جعفر ما كذب الفؤاد ما رآى بتشديد
الذال اي لم يكذب القلب البصر بل صدقه وواطاه بصحة الفؤاد والبصر وكون المرئي
المشاهد بالبصر والبصيرة حقا وقرا الجمهور ما كذب الفؤاد بالتخفيف وهو متعد
وما رآى مفعوله اي ما كذب قلبه ما رأته عيناه بل واطاه ووافقه فلمواطاة قلبه لقالبه
وظاهره لباطنه وبصره لبصيرته لم يكذب الفؤاد البصر ولم يتجاوز البصر حده فيطغى
ولم يمل عن المرئي فيزيغ بل اعتدل البصر على المرئي ما جاوزه ولا مال عنه كما اعتدل القلب
في الاقبال على الله تعالى والاعراض عما سواه فانه اقبل على الله تعالى بكليته واعرض عما
سواه بكليته وللقلب زيغ وطغيان كما ان للبصر زيغا وطغيانا وكلاهما منتف عن قلبه
وبصره فلم يزغ قلبه التفاتا عن الله تعالى الى غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي اقيم فيه
وهذا غاية الكمال والادب مع الله تعالى الذي لا يلحقه فيه سواه فان عادة النفوس اذا اقيمت

في مقام عال قبيح ان تطلع الى ما هو اعلا منه وفوقه الا ترى الى موسى عليه الصلوة والسلام لما اقيم مقام التكليم والمناجاة طلبت نفسه الرؤية ونبينا صلى الله عليه وسلم لما اقيم في ذلك المقام وفاه حقه ولم يلتفت ببصره ولا قلبه الى غيرهما اقيم فيه لبته ولاجل هذا ما عاقه عايق ولا وقف به مراد حتى جاوز السموات السبع فلم تعقه ارادة ولم يقف به دون كمال العبودية همة ولهذا كان مركوبه في مسراه يسبق خطوه الطرف فيضع خطوه عند منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه وبعد شاوه الذي سبق به العالم اجمع في سيره فكان قدم البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلى الله عليه وسلم لا يتاخر عن محل معرفته فلم يزل صلى الله عليه وسلم في خفارة كمال ادبه مع الله تعالى وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز السبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين والآخرين فانصبت له هنالك اقسام القرب انصبابا وانقشعت سحائب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا واقيم مقاما غبطه به الانبياء والمرسلون فاذا كان في المعاد اقيم مقاما في القرب ثانيا يغبطه به الاولون والآخرون واستقام هناك على صراط مستقيم من كمال ادبه مع الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فاقامه في هذا العالم على اقوم صراط على الحق والهدى واقسم بكلامه القديم على ذلك في الذكر الحكيم فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم فاذا كان يوم المعاد اقامه الله على الصراط يسأل السلامة لاتباعه واهل سنته حتى يجوزوا الى جنات النعيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم **ثم ان ما ذكره** من القرب والدنو المراد به تاكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة والرتبة **قال** الامام جعفر الصادق رضي الله عنه لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى بغاية اللطف وذلك قوله عز وجل فاوحى الى عبده ما اوحى اي كان ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب والطف به الطاف الحبيب بالحبيب فخفي السر ولم يطلع عليه احد ولم يعلم احد ما اوحى الا الذي اوحى **وقال** غيره في قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ابهمه لعظمه فان الابهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم لا يطلع عليه بل نتعبد بالايمان به وقيل بل هو مفسر بالاخبار الواردة **قال** سعيد بن جبير رضي الله عنه اوحى الله تعالى اليه صلى الله عليه وسلم الم اجدك يتيما فآويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى الله تعالى اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك ذكره الثعلبي والقشيري وقيل اوحى الله اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيري وذكر ايضا انه اوحى اليه ما اوحى الى الرسل بقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل اوحى اليه الصلوات الخمس ذكره النقاش **وفي رواية** ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عند البيهقي ان الله تعالى قال له صلوات

الله

الله وسلامه عليه سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الانس والجن والشياطين وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر الا وتذكر معي وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس وجعلت امتك امة وسطا وجعلت امتك هم الاولون والآخرون وجعلت لك امة لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واولهم يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلوة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحا وخاتما وفي اسناده ابو جعفر الرازي ضعفه بعضهم وقال ابو زرعة منهم وقال ابن كثير الاظهر انه سيئ الحفظ **وذكر** الفخر الرازي عن والده قال سمعت ابا القاسم سليمان الانصاري يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعارج اوحى الله تعالى اليه يا محمد بم اشرفك قال يا رب بنسبتي اليك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فسماه الله تعالى بهذا الاسم ليحققه صلى الله عليه وسلم بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة الا له صلى الله عليه وسلم والاقطاب من بعده بتبعيته لا بالحقيقة وان اطلق على غيره مجازا **ويرحم الله تعالى** الاديب برهان الدين القيراطي فلقد اجاد حيث **قال**

قد دعته باشرف الاسماء   ودعتني بالعبد يوما فقالوا

ولبعض اهل الاشارات كان الله سبحانه وتعالى قال له يا محمد اعطيتك نورا تنظر به جمالي وسمعا تسمع به كلامي يا محمد اني اعرفك بلسان الحال المعنى عز وجل اني يا محمد ارسلتك الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به فاريتك جنتي لتشاهد ما اعددت فيها لاوليائي واريتك ناري لتشاهد ما اعددت فيها لاعدائي ثم اشهدك جلالي واكشف لك عن جمالي لتعلم اني منزه في كمالي عن الشبيه والنظير والوزير والمشير فرآه صلى الله عليه وسلم بالنور الذي قواه من غير ادراك ولا احاطة فردا صمدا لا في شيء ولا من شيء ولا قائما بشيء ولا على شيء ولا مفتقرا الى شيء ليس كمثله شيء فلما كلمه شفاها وشاهده كفاحا فقيل له يا محمد لا بد لهذه الخلوة من سر لا يذاع ورمز لا يشاع فاوحى الى

عنده ما اوحى وكان سرا من سره لم يقف عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانشد لسان الحال بقوله

بين المحبين سر ليس يفشيه ... قول ولا قلم في الكون يحكيه
سر يمازجه انس يقابله ... نور يحير في بحر من التيه

ولما انتهى الى العرش تمسك العرش باذياله وناداه بلسان حاله يا محمد انت في صفاء وقتك آمنا من مقتك اشهدك جمال الاحدية واطلعك على جلال الصمدية وانا الظمآن اليك الولهان عليه المتحير فيه لا ادري من اي وجه آتيه جعلني اعظم خلقه فكنت اعظمهم منه هيبة واكثرهم فيه حيرة واشدهم خوفا يا محمد خلقني فكنت ارعد لهيبة جلاله فكتب على قائمتي لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي وهدأ روعي فكان اسمك لقاحا لقلبي وطمانينة لسري فهذه بركة اسمك علي فكيف اذا وقع جميل نظرك الي يا محمد انت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة ونصيبي يا حبيبي ان تشهد لي بالبراءة مما نسبه اهل الزور الي وتقوله اهل الغرور علي زعموا اني اسع من لا مثل له واحيط بمن لا كيفية له يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته كيف يكون مفتقرا الي او محمولا علي اذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بي او ينفصل عني يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلا ولا بالبعيد عنه فصلا ولا بالمطيق له حملا فاوجدني منه رحمة وفضلا ولو محقني لكان حقا منه وعدلا يا محمد انا محمول قدرته ومعمول حكمته فاجاب لسان حال سيدي زاده الله شرفا وفضلا لديه ووالى صلواته وسلامه عليه ايها العرش اليك عني انا مشغول عنك فلا تكدر صفوتي ولا تشوش على خلوتي فما اعاره صلى الله عليه وسلم منه طرفا ولا اقراه من مسطور ما اوحى اليه حرفا ما زاغ البصر وما طغى وقد ورد في بعض اخبار الاسراء ما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرح بردة المديح انه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه تعالى قاب قوسين او ادنى قال اللهم انك لما عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما انت فاعل بامتي قال انزل عليهم الرحمة وابدل سيئاتهم حسنات ومن دعاني منهم لبيته ومن سألني اعطيته ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا استر على العصاة وفي الآخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما عاتبت امتك ولما اراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال يا رب لكل قادم من سفر تحفة فما تحفة امتي قال الله سبحانه وتعالى انا لهم ما عاشوا وانا لهم اذا ماتوا وانا لهم في القبور وانا لهم في النشور واعلم انه قد اختلف العلماء رضي الله عنهم قديما وحديثا في رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه وتعالى فروى البخاري من حديث مسروق قال قلت لعائشة رضي الله عنها يا امتاه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم

ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير ومن حدثك انه كتم فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين وفي رواية مسلم من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد اعظم الفرية وقولها قف شعري اي قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله تعالى واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك قال النووي تبعا لغيره لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني في جزمه بان عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ فعنده من طريق داود ابن ابي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق المذكورة قال مسروق وكنت متكئا فجلست فقلت الم يقل الله ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال لا انما رأيت جبريل منهبطا نعم احتجاج عائشة رضي الله عنها بالآية خالفها فيه ابن عباس رضي الله عنهما فاخرج الترمذي من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قلت اليس الله تبارك وتعالى يقول لا تدركه الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره فقد رأى ربه مرتين وقال القرطبي الابصار في الآية جمع محلى بالالف واللام فيقبل التخصيص وقد ثبت دليل ذلك سمعا في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى في الآية الاخرى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة واذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة الى المرئي انتهى وهو استدلال جيد وقال القاضي عياض رؤيته الله تعالى جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها سؤال موسى عليه الصلاة والسلام ثم قال وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الآية انتهى وقد روى ابن ابي حاتم بسنده عن اسماعيل بن علية في تأويل هذه الآية قال هذا في الدنيا وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الآية انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا اهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله اما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى فدل هذا على ان المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى واما السنة فقد تواترت الاخبار عن ابي سعيد

وابي هريرة وانس وجرير وصهيب وبلال وغيرهم واحد من الصحابة رضوان الله عليهم عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمنين يرون الله تعالى في الدار الآخرة في العرصات وفي
روضات الجنات جعلنا الله تعالى منهم • وقيل المنفي في الآخرة ادراك العقول قال
الحافظ ابن كثير وهو غريب جدا وخلاف ظاهر الآية وقال آخرون لا منافاة بين
اثبات الرؤية ونفي الادراك فان الادراك اخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الاخص
انتفاء الاعم • ثم اختلف هؤلاء في الادراك المنفي ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان
هذا لا يعلمه الا الله تعالى وان رآه المؤمنون كما ان من رأى القمر فانه لا يدرك حقيقته
وكنهه وماهيته فالعظيم اولى بذلك وله المثل الاعلى وقال آخرون المراد بالادراك
الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم الاحاطة
بالعلم عدم العلم وفي صحيح مسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
ولا يلزم منه عدم الثناء فكذلك هذا وروى ابو حاتم عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لا تدركه الابصار
قال لو ان الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا الى ان فنوا صفوا صفا
واحدا ما احاطوا بالله ابدا قال ابن كثير غريب لا يعرف الا من هذا الوجه ولم يروه
احد من اصحاب الكتب الستة والله اعلم ومما نسب لامام الحرمين في لمع الادلة انه قال
من اصحابنا من قال ان الرب جل جلاله وعم نواله يرى ولا يدرك لان الادراك ينبئ
عن الاحاطة ودرك الغاية والرب جل جلاله وعز شانه تقدس عن الغاية والنهاية
ثم قال فان عارضوا بقول الله تعالى في جواب موسى عليه الصلوة والسلام لن تراني وزعموا
ان لن تفيد النفي على التأبيد قلنا هذه الآية اوضح الادلة على جواز الرؤية فانها
لو كانت مستحيلة لكان معتقد جواز الرؤية ضالا او كافرا وكيف يعتقد ما لا يجوز
على الله تعالى من اصطفاه الله تعالى لرسالته واختاره لنبوته وخصه بكرامته وشرفه بتكليمه
وجعله افضل زمانه وايده ببرهانه وكيف يجوز على الانبياء الريب في علم يتعلق بعلم الغيب
فيجب حمل الآية على ان ما اعتقد موسى عليه السلام جوازه جائز لكن ظن ان ما اعتقد
جوازه ناجز فرجع النفي في الجواب الى الانجاز وما سأل موسى عليه الصلوة والسلام ربه
في المآل فصرف النفي اليه والجواب يدل على تفسير الخطاب انتهى وقال البيضاوي في
هذه الآية دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى انتهى
ونقل القاضي عياض عن ابي بكر الهذلي في الآية ان المراد ليس لبشر ان يطيق ان ينظر
الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه
ان رؤيته تبارك وتعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها
متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قدرة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا

تركيبا

تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية
قال وقد رأيت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله تعالى قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا
يرى الباقي بالفاني فاذا كان يوم القيمة ورزقوا ابصارا باقية رأى الباقي بالباقي
وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القوة فاذا
قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرسالة لم يمتنع في حقه انتهى
والاستثناء في قوله الا من حيث ضعف القوة ينبغي ان يكون منقطعا على معنى لكن من
حيث ضعف القوة والا فضعف القوة قصاراه ان يكون مانعا اي ممتنع من جهة ضعف
القوة لا من جهة كونه مستحيلا ويدل على هذا قوله فاذا قوى الله سبحانه وتعالى
من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرسالة لم يمتنع في حقه وقد وقع في صحيح مسلم
ما يؤيد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا واخرجه ابن
خزيمة ايضا من حديث ابي امامة ومن حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فان
جازت الرؤية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا لكن من اثبتها للنبي صلى الله عليه وسلم
له ان يقول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه وفي تفسير ابن كثير ان في بعض كتب الله تعالى
المتقدمة ان الله تعالى قال لموسى عليه الصلوة والسلام لما سأل الرؤية يا موسى انه لن يراني
حي الا مات وقد جزم القشيري في الرسالة بانها لا تجوز في الدنيا على جهة الكرامة وادعى
حصول الاجماع عليه وحكى القاضي عياض امتناعها في الدنيا عن جماعة من المحدثين والفقهاء
والمتكلمين وقال القشيري ايضا سمعت الامام ابا بكر بن فورك يحكي عن الحسن الاشعري
في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير وقد ذهبت عائشة وابن مسعود الى انه عليه
الصلوة والسلام لم ير ربه ليلة الاسراء واختلف عن ابي ذر وذهب جماعة الى اثباتها وحكى
عبد الرزاق عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا رأى ربه واخرج ابن خزيمة عن عروة
ابن الزبير اثباتها وبه قال سائر اصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري
وصاحبه معمر وآخرون وهو قول الاشعري وغالب اتباعه ثم اختلفوا هل رآه بعينه
او بقلبه وجاءت عن ابن عباس رضي الله عنهما اخبار مطلقة واخرى مقيدة فيجب حمل
مطلقها على مقيدها فمن ذلك ما اخرجه النسائي باسناد صحيح وصححه الحاكم ايضا
من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام
لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم ومنها ما اخرجه مسلم من طريق ابي العالية عن ابن
عباس في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة اخرى قال رأى ربه بفؤاده
مرتين وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال رآه بقلبه واصرح من ذلك ما اخرجه ابن
مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يره رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعينه انما رآه بقلبه • وعلى هذا يمكن الجمع بين اثبات ابن عباس وبين نفي عائشة بان
يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب لكن روى الطبراني في الاوسط باسناد

رجاله رجال الصحيح خلا جمهور بن منصور الكوفي وجمهور بن منصور قد ذكره ابن حبان في
الثقات عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه
مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده ثم المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم
لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله تعالى على الدوام بل مراد من اثبت له انه رآه بقلبه
ان الرؤيا التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط
لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين وروى ابن خزيمة باسناد قوي
عن انس قال رأى محمد ربه وفي مسلم من حديث ابي ذر رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فقال نور انى أراه اي حجابه نور فكيف أراه ومعناه ان النور منعني
من الرؤية وعند احمد قال رأيت نورا ومن المستحيل ان تكون ذات الله تعالى نورا اذ النور
من جملة الاعراض والله متعال عن ذلك وعند ابن خزيمة عنه قال رآه بقلبه ولم يره
بعينه وهذا يبين مراده في حديث ابي ذر بذكر النور اي ان النور حال بينه وبين رؤيته
له ببصره وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطنب في الاستدلال بما يطول
ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما على ان الرؤية وقعت مرتين مرة بقلبه
ومرة بعينيه ومما يعزى للاستاذ عبد العزيز المهدوي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع
من سفر الاسراء اخبر العوالم من حيث فلكهم ومراتبهم وسقى كل واحد من كأس على قدر
عقله فخاطب الكفار وهم آخر العوالم بما رأى في الطريق وما كان في المسجد الاقصى على العيان
وبما يعرفون لانهم في فلك الاجسام حتى صدقوا بالاسراء ثم ارتقى حتى حدث عن فلك السماء
وكذلك في كل سماء واخبر عما شاهد ورأى كل ملك وما يليق ان يحدث به عن الصحابة كلا
على قدر مرتبته بلا ضيق ولا مزاحم الى السماء السابعة ولما وصل مقام جبريل حدث عن الافق
الاعلى المبين وعما فوق الى الدنو والى التدلي الى موضع الايحاء عند حضرة اسقاط الصور
والخلق فاخبر بذلك اصحابه فمنهم من قال رأى جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى
وصدق ومنهم من قال برؤية الفؤاد والبصيرة فصدق وهي عائشة ومن معها ومنهم
من قال بعيني رأسه رأى وصدق فكل اخبر بما حدثه صلى الله عليه وسلم من مقامه وسقاه
من كأسه وما يليق به فاذا صح هذا المعراج عرفنا الاسراء ومقامات الرؤية والقائلين بذلك
واختلافهم ونقولهم الجميع الحق انتهى وممن اثبت الرؤية لنبينا صلى الله عليه وسلم
الامام احمد فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قال قلت لاحمد انهم يقولون ان عائشة
قالت من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية فبأي شيء يدفع قولها قال بقول
النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي وقول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها وقد انكر
صاحب الهدى على من زعم ان احمد قال رأى ربه بعيني رأسه وانما قال مرة محمد رأى ربه
وقال مرة بفؤاده وحكى عن بعض المتأخرين رآه بعيني رأسه وهذا من تصرف الحاكي
فان نصوصه موجودة انتهى وقد رجح القرطبي في المفهم قول الوقف في هذه المسألة

وعزاه

وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به للطائفتين
ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة
الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي والله اعلم واما
قوله في الحديث ثم فرضت علي الصلوة خمسين صلوة كل يوم ففي رواية ثابت البناني
عن انس رضي الله عنه عند مسلم ففرض الله علي خمسين صلوة كل يوم وليلة ونحوه في رواية
مالك بن صعصعة عند البخاري ايضا ويحتمل ان يقال ذكر الفرض عليه يستلزم ذكر الفرض
على الامة وبالعكس الا ما يستثنى من خصائصه صلى الله عليه وسلم وفي حديث ثابت
عن انس عند مسلم فنزلت الى موسى عليه السلام فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين
صلوة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد
بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا
فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك
فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس
صلوات كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه شيئا فان
عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك
فاسأله التخفيف فقلت لقد رجعت الى ربي حتى استحييت منه وفي رواية النسائي عن انس
رضي الله عنه فقيل لي اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين
صلوة فقم بها انت وامتك وذكر مراجعته مع موسى وفيه فانه فرض على بني اسرائيل
صلاتان فما قاموا بهما وقال في آخره فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك قال فعرفت انها
عزمة من الله فرجعت فقال ارجع فلم ارجع فان قلت لم قال موسى عليه الصلوة
والسلام لنبينا صلى الله عليه وسلم ان امتك لا يطيقون ذلك ولم يقل انك ولامتك
لا تطيقون اجيب بان العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم فهو لما رزقه الله تعالى من الكمال يطيق ذلك واكثر منه وكيف لا وقد جعلت قرة
عينه في الصلوة قال العارف ابن ابي جمرة والحكمة في تخصيص فرض الصلوة بليلة
الاسراء انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به رأى في تلك الليلة تعبد الملائكة وان منهم القائم
لا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى له ولامته تلك العبادات
كلها في ركعة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص وقد وقع من موسى
عليه الصلوة والسلام من العناية بهذه الامة في هذه الصلوة ما لم يقع لغيره ووقعت
الاشارة بذلك في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند الطبراني والبزار قال عليه الصلوة
والسلام كان موسى عليه الصلوة والسلام اشدهم علي حين مررت وخيرهم لي حين رجعت
وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه فاقبلت راجعا فمررت بموسى عليه الصلوة والسلا

ونعم الصاحب كان لكم فسأل النبي كم فرض عليك ربك الحديث قال السهيلي وأما اعتنا
موسى عليه الصلوة والسلام بهذه الأمة وإلحاحه على نبيها أن يشفع لها ويسأل التخفيف
عنها فلقوله والله أعلم حين قضى إليه الأمر بجانب الغربي ورأى صفات محمد صلى الله عليه
وسلم في الألواح وجعل يقول إني أجد في الألواح أمة صفتهم كذا اللهم اجعلهم أمتي
فيقال له تلك أمة أحمد وهو حديث مشهور وقد تقدم ذكره في خصائص هذه الأمة
قال فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتني بالقوم من هو منهم لقوله اللهم
اجعلني منهم انتهى وقال القرطبي الحكمة في أمر موسى بمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم
في أمر الصلوات يحتمل أن يكون لكون أمة موسى عليه الصلوة والسلام كلفت من الصلوات
ما لم يكلف به غيرها من الأمم قبلها فثقلت عليهم فأشفق موسى عليه الصلوة والسلام على
أمة محمد صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك ويشير إليه قوله إني قد جربت الناس قبلك انتهى
ووقع في كلام بعض أهل الإشارات لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه الصلوة
والسلام أضاءت له أنوار نور الطور فأسرع إليها ليقتبس فاقتبس فلما نودي في النادي
اشتاق إلى المنادي فكان يطوف على بني إسرائيل من يحملني رسالة إلى ربي ومراده أن
تطول مناجاته مع الحبيب فلما مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ردده في أمر
الصلوة ليسعد برؤية حبيب الحبيب وقال آخر لما سأل موسى عليه الصلوة والسلام
الرؤية ولم يحصل له الرؤية بقي الشوق يقلقه والأمل يعلله فلما تحقق أن سيدنا محمدا
صلى الله عليه وسلم الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزية أكثر السؤال ليسعد برؤية من قد
رأى كما قيل

وأستنشق الأرواح من نحو أرضكم	لعلي أراكم أو أرى من يراكم
وأنشد من لاقيت عنكم عساكم	تجودون لي بالعطف منكم عساكم
فإن مت حيا في أن حييت وإن أمت	فيا حبذا إن مت عبد هواكم

وقال آخر

وإنما السر في موسى يردده	ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا	لله در رسول حين أشهده

وقال آخر

لما جلس الحبيب في مقام القرب … ودارت عليه كؤوس الحب

ثم عاد وهلاله ما كذب الفؤاد ما رأى بين عينيه وسرقا وحي إلى عبده ما أوحى كما
قلبه وأذنيه ولما اجتاز موسى عليه الصلوة والسلام قال بلسان حاله

يا واردا من حمى الحي يخبرني	عن جيرتي شنف الأسماع بالخبر
ناشدتك الله يا راوي حديثهم	حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري

فأجاب بلسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم يقول

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا … سر أرق من النسيم إذا سري

وكأني

وإن باح طرفي بنظرة أملها	لعدوت معروفا وكنت منكرا

فكل قوم يلحظون مذهبهم وقد علم كل أناس مشربهم والله تعالى بفضله وإحسانه يوالي
انسجام سحائب عفوه ورضوانه على العارف الرباني الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي فلقد أجاد وأفاد
بما أفرده من لطائف المعراج حسبما جمعه من كلام أهل الإشارات بأقوم منهاج وقد
استدل العلماء بقوله في الحديث فهن خمس صلوات في كل يوم وليلة وكل صلوة عشر فتلك خمسون
على عدم فرضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر وعلى دخول النسخ قبل الفعل قال
ابن بطال وغيره ألا ترى أنه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل أن تصلى ثم تفضل عليهم بأن كمل
لهم الثواب وتعقبه ابن المنير فقال هذا ذكره طائفة من الأصوليين والشراح وغيرهم
وهو مشكل على من أثبت النسخ قبل الفعل كالأشاعرة أو منعه كالمعتزلة لكونهم اتفقوا جميعا
على أن النسخ لا يتصور قبل البلاغ وحديث الإسراء وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكل
عليهم جميعا انتهى فإن أراد قبل البلاغ لكل أحد فممنوع وإن أراد قبل البلاغ إلى الأمة
فمسلم لكن قد يقال ليس هو بالنسبة إليهم نسخا لكن هو نسخ بالنسبة إلى النبي
صلى الله عليه وسلم لأنه كلف بذلك قطعا ثم نسخ بعد أن بلغه وقبل أن يفعله فالمسألة
صحيحة التصوير في حقه صلى الله عليه وسلم ولما رجع صلى الله عليه وسلم من
الإسراء مر في بعض طريقه بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء
وغرارة بيضاء فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وتصرع ذلك البعير وفي
رواية أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان قال صلى الله عليه وسلم فسلمت عليهم فقال
بعضهم هذا صوت محمد ثم أتى مكة قبل الصبح وأخبر قومه بما رأى وقال لهم أن من آية ما
أقول لكم أني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وإن مسيرهم
ينزلون بمكان كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان فلما كان
ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حتى إذا كان قريبا من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم
ذلك الجمل الذي وصفه عليه الصلوة والسلام وفي رواية سألوه آية فأخبرهم بقدوم
العير يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله
تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعن عائشة رضي الله عنها لما أسري بالنبي صلى
الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا وسعى
رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به
الليلة إلى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق
قالوا تصدقه أنه قد ذهب إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح فقال نعم إني لأصدقه فيما
هو أبعد من ذلك في خبر السماء في غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق رواه الحاكم
في المستدرك وابن إسحاق وزاد ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله حدثني هؤلاء أنك جئت من بيت المقدس الليلة فقال نعم فقال يا نبي الله صفه

ويأتونكم يوم كذا وكذا صح

لي فاني قد جئته قال الحسن رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي حتى
نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر فيقول ابو بكر صدقت
اشهد انك رسول الله كلما وصف لي منه شيئا وقول ابي بكر صدقت لم يكن عن شك فانه
صدقه من اول وهلة ولكنه اراد اظهار صدقه عليه الصلوة والسلام لقومه فانهم
كانوا يثقون بابي بكر فاذا تواطأ خبره عليه الصلوة والسلام بما كان يعلم ابو بكر وصدقه
كان حجة ظاهرة عليهم وفي رواية البخاري فجلى الله لي بيت المقدس اي كشف الحجب بيني
وبينه حتى رأيته وفي رواية مسلم فسألوني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا شديدا لم اكرب
مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ما يسألوني عن شيء الا انبأتهم به فيحتمل ان يكون حمل
الى ان وضع بحيث يراه ثم اعيد ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند احمد والبزار
فجيء بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وانا انظر اليه وهذا ابلغ
في المعجزة ولا استحالة فيه وقد احضر عرش بلقيس في طرفة عين واما ما وقع في حديث
ام هاني رضي الله عنها عند ابن سعد فخيل الي بيت المقدس وطفقت اخبرهم فان ثبت
احتمل ان يكون المراد مثل قريبا منه كما قيل في حديث اريت الجنة والنار ويؤيد قوله
جيء بالمسجد حتى بمثاله وفي حديث ام هاني المذكور انهم قالوا كم للمسجد باب قال ولم اكن
عددتها قال فجعلت انظر اليها واعدها بابا بابا وعند ابي يعلى ان الذي سأله
عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدي والد جبير بن مطعم واشار ابن ابي جمرة الى
ان الحكمة في الاسرا الى بيت المقدس اظهار الحق لمعاند لانه لو عرج به من مكة الى السما لم
يجد لمعاندة الاعدا سبيلا الى البيان والايضاح حيث سألوه عن جزئيات من بيت
المقدس كانوا رأوها وعلموا انه لم يكن رآها قبل ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقيق انه
اسري به الى بيت المقدس واذا صح البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا لقوة ايمان
المؤمنين وزيادة في شقاء من عاند وجحد من الكافرين والله تعالى اعلم

المقصد السادس

فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى له بصدق
نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته
ووجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا ومنة
ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه والتنويه به في الكتب السالفة كالتورية والانجيل
بانه صاحب الرسالة والتبجيل وغير ذلك اعلم اطلعني الله واياك على اسرار التنزيل
ومنحنا بلطفه بنصرة تهدينا الى سوا السبيل انه لا سبيل لنا ان نستوعب الآيات الدالة
على ذلك وما فيها من التصريح والاشارة الى علو محله الرفيع ومرتبته ووجوب المبالغة في حفظ
الادب معه وكذلك الآيات التي فيها ثناؤه تعالى عليه واظهار عظيم شأنه لديه وقسمه

بحياته

بحياته وندائه بالرسول وبالنبي ولم يناده باسمه بخلاف غيره من الانبيا نادهم باسمائهم
الى غير ذلك مما يشير الى انافة قدره العلي عنده وانه لا يجد يساوي مجده ومن تأمل
القرآن العظيم وجده طافحا بتعظيم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ورحم الله
تعالى ابن خطيب الاندلس حيث قال

مدحتك آيات الكتاب فما عسى … يثني على علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله اثنى مفصحا … كان القصور قصار كل فصيح

وهذا المقصد اكرمك الله يشتمل على عشرة انواع

النوع الاول

في آيات تتضمن تعظيم قدره ورفعة ذكره وجليل رتبته وعلو درجته على الانبيا وتشريف منزلته

قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله قال المفسرون
يعني موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا في اختصاص موسى عليه السلام
بالكلام وقد ثبت انه تعالى كلم نبينا ايضا كما مر فان قلت اذا ثبت انه عليه
السلام كلمه ربه وقام به هذا الوصف فلم لم يشتق من الكلام اسم كما اشتق منه لموسى
اجيب بان اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشارة كاسم الفاعل فيطرد
بمعنى ان كل من قام به ذلك الوصف يشتق له منه اسم وجوبا وقد يكون للترجيح
فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف
ان يشتق له منه اسم كما حققه القاضي عضد الدين وهذا ملخصه وتحريره كما
قاله المولى سعد الدين التفتازاني انتهى وقوله ورفع بعضهم درجات يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة اوجه بالذات في المعراج وبالسيادة
على جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه السلام اوتي من المعجزات ما لم يؤت نبي قبله قال
الزمخشري وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة
على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس انتهى وقد بينت هذه الآية وكذا
قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ان مراتب الرسل والانبيا متفاوتة خلافا
للمعتزلة القائلين بانه لا فضل لبعضهم على بعض وفي هذين الآيتين رد عليهم وقال
قوم آدم افضل لحق الابوة وتوقف بعضهم فقال السكوت افضل والمعتمد الذي عليه
جماهير السلف والخلف ان الرسل افضل من الانبيا وكذلك الرسل بعضهم افضل
من بعض بشهادة هاتين الآيتين وغيرهما قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضي
عياض والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته
اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع
الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه

وتخف وكابته واختصاصه انتهى فلا مرية ان آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته
اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى ودولته اعظم واوفر وذاته افضل واطهر
وخصوصياته على جميع الانبياء اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين
وذاته ازكى وافضل من سائر المخلوقين وتامل حديث الشفاعة في المحشر وانتهائها
اليه وانفراده هناك بالسودد كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم واول
من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجة وفي حديث انس عند الترمذي انا
اكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر لكن هذا لا يدل على كونه افضل من آدم بل من اولاده
فالاستدلال بذلك على مطلق فضليته عليه الصلوة والسلام على الانبياء كلهم ضعيف
واستدل الشيخ سعد الدين التفتازاني لمطلق فضليته عليه السلام بقوله تعالى كنتم
خير امة اخرجت للناس قال فانه لا شك ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين وذلك
تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه واستدل له الفخر الرازي في المعالم بانه تعالى وصف
الانبياء بالاوصاف الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم اولئك الذين هدى الله فبهديهم
اقتده فامره ان يقتدي باثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا للامر
واذا اتى بجميع ما اتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون
افضل منهم وبان دعوته عليه السلام في التوحيد والعبادة وصلت الى اكثر بلاد العالم
بخلاف سائر الانبياء فظهر ان انتفاع اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم
اكمل من انتفاع سائر الامم بدعوة سائر الانبياء فوجب ان يكون افضل من سائر الانبياء
انتهى وقد روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي
وفي حديث ابي هريرة مرفوعا عند البخاري انا سيد الناس يوم القيمة وهذا يدل
على انه افضل من آدم عليه السلام ومن كل اولاده وروى البيهقي في فضائل الصحابة
انه ظهر على بن ابي طالب من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت
عائشة الست سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على
انه افضل الانبياء بل افضل خلق الله كلهم وقد روى هذا الحديث ايضا الحاكم
في صحيحه عن ابن عباس لكن بلفظ انا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب وقال انه صحيح
ولم يخرجاه وله شاهد من حديث عروة عن عائشة وساقه من طريق احمد بن عبيد
ابن ناصح قال حدثنا الحسين بن علوان وهما ضعيفان عن هشام بن عروة عن ابيه
بلفظ ادعوا لي سيد العرب فقلت يا رسول الله الست سيد العرب فقال وذكره
وكذا اورده من حديث عمر بن موسى الوجيهي وهو ضعيف ايضا عن ابي الزبير عن جابر
مرفوعا ادعوا لي سيد العرب فقالت عائشة الست سيد العرب وذكره قال شيخنا
وكلها ضعيفة بل جنح الذهبي الى الحكم على ذلك بالوضع انتهى ولم يقل صلى الله عليه وسلم

انا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه حاشاه الله من ذلك وانما قاله عليه السلام
اظهارا لنعمة الله تعالى عليه واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى
وعلو منزلته لديه ليعرفوا نعمة الله عليهم وعليه وكذلك العبد اذا لاحظ ما هو فيه من فيض
المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه في كل لحظة وعدم
استغنائه عنه طرفة عين انشا له ذلك في قلبه سحائب النور فاذا انبسطت هذه السحائب
في سماء قلبه وامتلأ افقه بها امطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان
لم يصبه وابل فطل وحينئذ يجري على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح
بفضل الله ورحمته كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار
على ظاهره والافتقار والانكسار في باطنه ولا ينافي احدهما الآخر والى هذا
المعنى يشير قول العارف الرباني سيدي علي الوفائي في قصيدته التائية او كلها

من انت مولاه حاشا … علاه ان يتلاشى
والله يا روح قلبي … لا مات من بك عاشا
قوم لهم انت ساق … لا يرجعون عطاشا
لا فض دهر جناحا … له وفاؤك راشا
بك النعيم مقيم … لمن وهبت انتعاشا
ومن بحولك يقوى … لن يضعف الدهر حاشا
عبد له بك عز … فكيف لا يتحاشى
حاشا وفاءك يرمي … من انت مولاه حاشا

فان قلت فما الجمع بين هاتين الآيتين وبين قوله تعالى قولوا آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي
موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون والحديث
الثابت في الصحيحين عن ابي هريرة قال استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال
اليهودي في قسمه لا والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم اليهودي
وقال اي خبيث وعلى محمد فجاء اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى على المسلم
فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على الانبياء وفي رواية لا تفضلوا بين الانبياء
وحديث ابي سعيد الخدري عند البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا
بين الانبياء وحديث ابن عباس عند البخاري ومسلم مرفوعا ما ينبغي لاحد ان يقول انا
خير من يونس بن متى وحديث ابي هريرة عند الشيخين ومن قال انا خير من يونس بن
متى فقد كذب اجاب العلماء بان قوله عز وجل لا نفرق بين احد منهم
فالايمان بما انزل اليهم والتصديق بهم والايمان بانهم رسل الله وانبياؤه والتسوية بينهم
في هذا لا تمنع ان يكون بعضهم افضل من بعض واجابوا عن الاحاديث باجوبة فقال
بعضهم ان يعتقد ان الله تعالى فضل بعضهم على بعض على الجملة ونكف عن الخوض في تفصيل

التفضيل بآرائنا وقال ابن ظفر فان اراد هذا القائل انا نكف عن الخوض في تفضيل
التفضيل بآرائنا فصحيح وان اراد انا لا نذكر في ذلك ما فهمناه من كتاب الله تعالى
وروي لنا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقيم وقال آخر نفضل من رفع
الله درجته بخصايص الحظوة والزلفى ولا نخوض في تفضيل بعضهم على بعض في سبيل
المنذرين والصبر على المكذبين والنصيحة في اداء الرسالة والحرص على هدى الضالين فان
كلا منهم قد بذل في ذلك وسعه الذي لا يكلفه الله تعالى اكثر منه وقال آخر مما
ذكره القاضي عياض ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد
آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب قال
الحافظ عماد الدين بن كثير وفي هذا نظر انتهى ولعل وجه النظر من جهة التقدم تأخر
من ذلك ثم رأيت في تاريخ ابن كثير ان وجه النظر ان هذا من رواية ابي سعيد
وابي هريرة وما هاجر ابو هريرة الا عام خيبر متأخرا فيبعد انه لم يعلم بهذا الا بعد
هذا وقال آخر انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب
قال القاضي عياض هذا لا يسلم من الاعتراض وقيل لا تفضلوا بينهم تفضيلا يؤدي
الى تنقيص بعضهم او الغض منه وقيل منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبيا
عليهم السلام فيها على حد واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص
والكرامات والرتب واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل فيها وانما التفاضل بامور اخر
زائدة عليها ولذلك منهم رسل واولو عزم انتهى وهذا قريب من القول الثاني وقال
ابن ابي جمرة في حديث يونس يريد بذلك نفي التكييف والتحديد على ما قاله ابن خطيب الري
لانه قد وجدت الفضيلة بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم اسري به الى فوق
السبع الطباق ويونس نزل به الى قعر البحر وقد قال عليه السلام انا سيد ولد آدم يوم القيمة
وقال عليه السلام آدم ومن دونه تحت لوائي وقد اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة
الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبيا عليهم السلام فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة
فلم يبق ان يكون قوله عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة الى القرب
من الله سبحانه والبعد فمحمد صلوات الله وسلامه عليه وان اسري به لفوق السبع
الطباق واخترق الحجب ويونس عليه السلام وان نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب
والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد واحد انتهى وهو مروي عن امام دار الهجرة مالك
ابن انس وعزي نحوه لامام الحرمين وقال ابن المنير ان قلت انه لم يفضل على يونس
باعتبار استوا الجهتين بالنسبة الى وجود الحق تعالى فقد فضله باعتبار تفاوت
الجهتين في تفضيل الحق فانه تعالى فضل الملاء الاعلى على الحضيض الادنى فكيف
لا نفضله عليه السلام على يونس وان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ثم
قال قلت لم ينه عن مطلق التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب
المكاني فعلى هذا يحمل جمعا بين القواعد واختلف هل البشر افضل من الملائكة

فقال

فقال الجمهور من اهل السنة والجماعة خواص بني آدم الانبيا افضل من خواص الملائكة وهم
جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون
وخواص الملائكة افضل من عوام بني آدم قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة
وعوام بني آدم افضل من عوام الملائكة فالمسجود له افضل من الساجد فاذا ثبت تفضيل
الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام على العوام فعوام الملائكة خدام عمال الخير والمخدوم
له فضل على الخادم ولان المؤمنين ركب فيهم الهوى والعقل مع تسليط الشيطان عليهم
بوسوسته والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى ولا سبيل للشيطان عليهم فالانسان
كما قاله في شرح العقائد يحصل الفضائل والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوائق
والموانع من الشهوة والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب
الكمالات ولا شك ان العبادة وكسب الكمالات مع الشواغل والصوارف اشق وادخل
في الاخلاص فتكون افضل والمراد بعوام بني آدم هنا الصلحا لا الفسقة كما نبه عليه
العلامة كمال الدين بن ابي شريف المقدسي قال ونص البيهقي في الشعب وعبارته قد
تكلم الناس قديما وحديثا في الملائكة والبشر فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر
افضل من الرسل من الملائكة وان الاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة انتهى
وذهبت المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة الى تفضيل الملائكة وهو اختيار
القاضي ابي بكر الباقلاني وابي عبد الله الحليمي وتمسكوا بوجوه الاول ان الملائكة ارواح
مجردة كاملة بالفعل مبرأة عن مبادي الشرور والآفات كالشهوة والغضب وعن ظلمات
الهيولا والصورة قوية على الافعال العجيبة عالمة بالكوائن ماضيها وآتيها من غير غلط
والجواب ان مبنى ذلك على الاصول الفلسفية دون الاصول الاسلامية الثاني ان
الانبيا مع كونهم افضل البشر يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد
القوى وقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم
والجواب ان التعليم من الله تعالى والملائكة انما هم مبلغون الثالث انه اطرد
في الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على ذكر الانبيا وما ذاك الا لتقدمهم في الشرف والرتبة
والجواب ان ذلك لتقدمهم في الوجود او لان وجودهم اخفى فالايمان بهم اقوى
وبالتقديم اولى الرابع قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة
المقربون فان اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية الملائكة من عيسى اذ القياس في
مثله الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف من هذا الامر الوزير ولا السلطان
ولا يقال السلطان ولا الوزير ثم لا قائل بالفضل بين عيسى عليه السلام وغيره من الانبيا
عليهم السلام والجواب ان النصارى استعظموا المسيح بحيث يرتفع من ان يكون
عبدا من عباد الله بل ينبغي ان يكون ابنا له لانه مجرد لا اب له وكان يبرئ الاكمه
والابرص ويحيي الموتى بخلاف سائر العباد من بني آدم فرد عليهم بانه لا يستنكف من ذلك

المسيح ولا من هو غلام ابنه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا اب لهم ولا ام وبقدرته
باذن الله على افعال اقوى واعجب من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى
فالترقي والعلو انما هو في امر التجرد واظهار الآثار القوية لا في مطلق الشرف والكمال
فلا دلالة على افضلية الملائكة انتهى ثم ان الملائكة بعضهم افضل من بعض وافضلهم
الروح الامين جبريل المزكى من رب العالمين المقول فيه من ذي العزة انه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فوصفه بسبع صفات ثم افضل الملائكة
الثلاثة الذين هم افضل الملائكة على الاطلاق وهم ميكائيل واسرافيل وعزرائيل
وكذلك الرسل افضل من الانبياء وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض ومحمد
صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء والرسل كما تقدم واول الانبياء آدم وآخرهم
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاما نبوة آدم فبالكتاب الدال على انه قد امر ونهي مع
القطع بانه لم يكن في زمنه نبي آخر فهو بالوحي لا غير وكذا السنة والاجماع فانكار نبوته
على ما نقل عن البعض يكون كفرا وقد اختلف في عدد الانبياء والمرسلين والمشهور
في ذلك ما في حديث ابي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبياء
قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة
عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان اولهم قال آدم ثم قال يا ابا ذر اربعة سريانيون
آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم واربعة من العرب هود
وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر واول نبي من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى واول
النبيين آدم وآخرهم نبيك وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان
في كتابه الانواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحيح وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات
واتهم به ابراهيم بن هشام قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه قد تكلم فيه غير واحد من ائمة
الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث والله اعلم وروى ابو يعلى عن انس مرفوعا كان
فيمن خلا من اخواني من الانبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا والذين نص
الله تعالى على اسمائهم في القرآن آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل
واسحاق ويعقوب ويوسف وايوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان
والياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين والله اعلم
وقال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك روى ابن جرير من حديث ابي سعيد ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف
رفعت ذكرك قلت الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي وذكره الطبري وصححه ابن حبان
وروينا عن الامام الشافعي قال اخبرنا ابن عيينة عن ابن ابي نجيح معناه لا اذكر
الا ذكرت معي اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قال الامام الشافعي
يعني والله اعلم ذكره عند الايمان بالله والاذان قال ويحتمل ذكره عند تلاوة القرآن وعند

العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية انتهى وقيل رفعه بالنبوة قال يحيى بن آدم وعن
ابن عطا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني وعنه ايضا جعلت تمام الايمان
بذكري معك وعن جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني
بالربوبية قال البيضاوي واي رفعة مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة
وجعل طاعته طاعته انتهى يشير الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله والله
ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول واطيعوا
الله ورسوله وقول قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انتهى فهو مذكور
معه في الشهادتين والتشهد ومقرون ذكره بذكره في القرآن والخطب والاذان وينودى
باسمه في موقف القيمة واخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة لما نزل آدم عليه
السلام بالهند استوحش فنزل جبريل عليه السلام فنادى بالاذان الله اكبر الله اكبر
مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث وكتب
اسمه الشريف على العرش وعلى كل سما وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر واخرج البزار
عن ابن عمر مرفوعا لما عرج بي الى السما ما مررت بسما الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول
وفي الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة شجرة عليها ورقة الا مكتوب عليها لا اله الا
الله محمد رسول الله واخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمان بن داود
عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله وعزاه الحافظ ابن رجب في كتاب احكام الخواتيم
الجزء ابي علي الخالدي وقال انه باطل موضوع وشق اسمه الكريم من اسم الله تعالى كما قال
حسان

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وسماه من اسمائه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك في اسمائه صلوات الله وسلامه
عليه وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه فقال تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فاخبر عباده بمنزلة نبيه
عنده في الملأ الاعلى بانه يثني عليه عند الملائكة المقربين وان الملائكة تصلي عليه
ثم امر العالم السفلي بالصلوة والتسليم عليه فيجتمع الثنا عليه من اهل العالمين العلوي
والسفلي جميعا وكتبه نبيا وآدم بين الروح والجسد وختم به النبوة والرسالة واعلى
بذكره الكريم في الاولين والآخرين ونوه بقدره الرفيع حين اخذ الميثاق على جميع النبيين
وجعل في فواتح الرسائل وخواتمها وشرف به الصوامع على المنابر وزين بذكره ارباب الاقلام
والمحابر ونشر ذكره في الآفاق شرقا وغربا برا وبحرا حتى في السموات السبع وعند المستوى
وصريف الاقلام والعرش والكرسي وسائر الملائكة المقربين من الكروبيين والروحانيين
والعلويين والسفليين وجعله في قلوب المؤمنين بحيث يستطيبون ذكره فترتاح
ارواحهم فربما يميل من طرب بسماع اسمه اشباحهم

وإذا ذكرتكم أميل كأنني | من طيب ذكركم سقيت الراحا

كأنه تعالى يقول أملأ الوجود كلهم من أتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك ويحفظون سنتك بل ما من فريضة من فرائض الصلوة الا ومعها سنة فهم متمسكون في الفريضة بأمري وفي السنة بأمرك وجعلت طاعتي طاعتك وبيعتي بيعتك فالقراء يحفظون ألفاظ منشورك والمفسرون يفسرون معاني فرقانك والوعاظ يبلغون بليغ وعظك والملوك والسلاطين يقفون في خدمتك ويسلمون من وراء الباب عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق إلى أبد الآبدين والحمد لله رب العالمين

وقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى اعلم أن للمفسرين في طه قولين. أحدهما انها من حروف التهجي. والثاني انها كلمة مفيدة وعلى القول الأول قيل معناها يا مطمع الشفاعة للأمة ويا هادي الخلق إلى الملة. وقيل الطاء في الحساب بتسعة والهاء بخمسة فالجملة أربعة عشر ومعناه يا أيها البدر وهذه الأقوال لا يجب أن نعتمد عليها إذ هي كما قاله المحققون من بدع التفسير ومثلها قول الواسطي فيما حكاه القاضي عياض في الشفا أراد يا طاهر يا هادي وأما على قول من قال إنها كلمة مفيدة ففيه وجهان أحدهما أن معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة قال سعيد بن جبير بلسان النبطية. وقال قتادة بلسان السريانية. وقال عكرمة بلسان الحبشية. وقال البيضاوي إن صح أن معناه يا رجل فلعل أصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار انتهى قال الكلبي لو قلت في عك يا رجل لم تجب حتى تقول طه. وقال السدي معنى طه يا فلان. وقال الزمخشري لعل عكا تصرفوا في يا هذا كأنهم في لغتهم قالبوا الياء طاء فقالوا يا طا واختصروا هذا فاقتصروا على ها وأثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به. ٢

إن السفاهة طه في خلائقكم | لا قدس الله أخلاق الملاعين

انتهى قال في البحر وكان قد تقدم أن طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم تخرص فيه وتحرى على عك بما لا يقوله نحوي وهو أنهم قلبوا الياء طاء وهذا لا يوجد في لسان العرب قلت التي للنداء طاء وكذلك حذف اسم الإشارة في النداء وإقرار ها التي للتنبيه انتهى. وقيل معناه يا إنسان وقرئ طه بإسكان الهاء على أنه أمر له صلى الله عليه وسلم بأن يطأ الأرض بقدميه. وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر أن يطأ الأرض بقدميه معا وأن الأصل طأ فقلبت همزته هاء كما قالوا هياك في إياك وهرقت في أرقت ويجوز أن يكون الأصل من وطي على ترك الهمزة فيكون أصله طا يا رجل ثم أثبت الهاء فيها للوقف وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طاها والألف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الأرض لكن يرد ذلك كتبهما على صورة الحرف. وأما قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فذكروا في سبب نزولها أقوالا. أحدها

ان ابا

أن أبا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتشقى حيث تركت دين آبائك فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بأن دين الإسلام والقرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في إدراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاء بعينها. وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل أبق على نفسك فإن لها عليك حقا أي ما أنزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة وروي أنه كان إذا قام من الليل يربط صدره بحبل حتى لا ينام. وقال بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب بأنه بعيد لأنه صلى الله عليه وسلم إن فعل شيئا من ذلك فلا بد وأن يكون قد فعله بأمر الله تعالى فإذا فعله عن أمره فهو من باب السعادة لا من باب الشقاوة. ثالثها قال بعضهم يحتمل أن يكون المراد لا تشق على نفسك وتعذبها بالأسف على كفر هؤلاء فإنا أنزلنا عليك القرآن لتذكر به من آمن فمن آمن وأصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك إلا البلاغ وهذا كقوله تعالى لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين ولا يحزنك كفرهم. رابعها أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا تحت أعدائه فكأنه تعالى قال لا تظن أنك تبقى على هذه الحالة بل يعلو أمرك ويظهر قدرك فإنا ما أنزلنا عليك القرآن لتبقى شقيا بل تصير معظما مكرما زاده الله تعظيما وتكريما وتشريفا وقال تعالى إنا أعطيناك الكوثر السورة قال الإمام فخر الدين بن الخطيب في هذه السورة كثير من الفوائد. منها أنها كالمتممة لما قبلها من السور وذلك لأن الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح نبينا صلى الله عليه وسلم وتفصيل نعمه فذكر في أولها ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته وهي قوله ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختمها كذلك بأحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا أي عن الحكم والأحكام فهدى ووجدك عائلا فأغنى ثم ذكر في سورة ألم نشرح أنه تعالى شرفه عليه السلام بثلاثة أشياء وهي ألم نشرح لك صدرك أي ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك وزرك أي عناءك الثقيل الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وهكذا سورة سورة حتى قال إنا أعطيناك الكوثر أي أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التي واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها وإذا أنعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم ثم إن الاشتغال بالعبادة إما أن يكون بالنفس وهو قوله تعالى فصل لربك وإما بالمال وهو قوله وانحر وتأمل قوله إنا أعطيناك كيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على أن هذا الإعطاء حصل في الزمان الماضي قال عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ولا شك أن من كان في الزمان

الماضي عن نبأ لم تحيا الجانب اشرف ممن سيصير كذلك كانه تعالى يقول يا محمد قد هيأنا
اسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود فكيف امرك بعد وجودك واشتغالك
بعبوديتنا يا ايها العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العظيم لاجل طاعتك فانما
اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب **واختلف** المفسرون في تفسير
الكوثر على وجوه منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف
فروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه
قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فاذا طينه
مسك اذفر رواه البخاري وقيل الكوثر اولاده لان هذه السورة انما نزلت ردا على
من عابه عليه السلام بعدم الاولاد وعلى هذا فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على ممر
الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من ذلك لنبي من الانبياء
غيره وقيل الكوثر الخير الكثير وقيل النبوة وهي الخير الكثير وقيل علماء امته وقيل الاسلام
ولا ريب انهما من الخير الكثير فالعلماء ورثة الانبياء كما رواه احمد وابو داود والترمذي
واما علماء امتي كانبياء بني اسرائيل فقال الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري والزركشي انه
لا اصل له **نعم** روى ابو نعيم في فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس
رفعه اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع
وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه اولى لوجوه احدها ان العلم هو الخير الكثير والثاني
اما ان يحمل الكوثر على نعم الآخرة او على نعم الدنيا قال والاول غير جائز لانه قال انا
اعطيناك والجنة سيعطيها لا انه اعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا
واشرف الامور الواصلة اليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم والثالث
انه لما قال انا اعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشيء الذي يتقدم على العبادة
هو المعرفة ولان الفاء في قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب للعبادة ليس الا العلم
وقيل الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع نعم الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم
وبالجملة فليس حمل الآية على بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقي فوجب حملها
على الكل وروي ان سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم
ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي
اعطاه الله اياه **قال** الامام فخر الدين بن الخطيب قال بعض العلماء ظاهر قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر يقتضي ان الله تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب ان يكون الاولى
حمله على ما آتاه من النبوة والقرآن والذكر العظيم والنصر على الاعداء **واما الحوض**
وسائر ما اعد له من الثواب فهو وان جاز ان يقال انه داخل فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله به
فهو كالواقع الا ان الحقيقة ما قدمناه لان ذلك وان اعد له فلا يصح ان يقال على الحقيقة
انه اعطاه الكوثر في حال نزول هذه السورة بمكة ويحتمل ان يجاب عنه بان من اقر لولده

الصغير بشيء له يصح ان يقال اعطاه ذلك الشيء مع ان الصبي في ذلك الحال ليس
اهلا للتصرف انتهى **وقد روينا** في صحيح مسلم من حديث انس بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما
فقلنا ما يضحكك اضحك الله سنك يا رسول الله قال نزلت علي آنفا سورة
فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك
هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه
ربي خير كثير وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد
منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك وهذا تفسير
صريح منه صلى الله عليه وسلم بان المراد بالكوثر هنا الحوض فالمصير اليه اولى وهذا
هو المشهور كما تقدم فسبحان من اعطاه هذه الفضائل العظيمة وشرفه بهذه
الخصائل العميمة وحباه بما افاضه عليه من نعمه الجسيمة **وقد جرت** عادة الله مع
انبيائه عليهم السلام ان يناديهم باسمائهم الاعلام نحو يا آدم اسكن يا نوح اهبط
يا موسى اني انا الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك **واما نبينا** صلى الله عليه وسلم
فناداه بالوصف الشريف من الانباء والارسال فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول

ولله در القائل

فدعا جميع الرسل كلا باسمه ... ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على احد ان السيد اذا دعا عبيده
بافضل ما وجد لهم من الاوصاف العلية والاخلاق السنية ودعا آخرين باسمائهم
الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق من الاخلاق ان منزلة من دعاه
بافضل الاسماء والاوصاف اعز عليه واقرب اليه ممن دعاه باسمه العلم وهذا معلوم
بالعرف ان من دعي بافضل اوصافه واخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه
انتهى **وانظر** ما في نحو قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة
من ذكر الرب تعالى واضافته اليه صلى الله عليه وسلم وما في ذلك من التنبيه على شرفه
واختصاصه بخطابه وما في ذلك من الاشارة اللطيفة وهي ان المقبل عليه بالخطاب
له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها اذ هو في الحقيقة اعظم خلفائه
الا ترى الى عموم رسالته ودعوته وجعله افضل انبيائه امامهم ليلة اسرائه وجعل آدم ومن
دونه يوم القيامة تحت لوائه فهو المقدم في ارضه وسمائه وفي داري تكليفه وجزائه
وبالجملة فقد نص الكتاب العزيز من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه
ورفعة ذكره ما يقضي بانه استولى على اقصى درجات التكريم ويكفي اخباره تعالى
بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب في قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وتقديم
ذكره على الانبياء تعظيما له مع تأخره عنهم في الزمان في قوله تعالى ومنك ومن نوح

وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخباره بتمني اهل النار طاعته في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول وهذا بحر لا ينفد وقطر لا يعد

النوع الثاني

في اخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية اخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين وامممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وعن علي بن ابي طالب وابن عباس ما بعث الله نبيا من الانبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس لا يضاده ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه ان الانبيا عليهم السلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبيا عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون مكلفا فتعين ان يكون الميثاق ماخوذا على الامم قالوا ويؤكد هذا انه تعالى حكم على الذين اخذ عليهم الميثاق بانهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبيا وانما يليق بالامم واجيب بان يكون المراد من الآية ان الانبيا لو كانوا في الحيوة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقال في الملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم مع انه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول وبانهم يخافون ربهم من فوقهم وكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا انزلت هذه الآية انا الله تعالى اوجب على جميع الانبيا ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا في الاحيا وانهم لو تركوا ذلك لصاروا من زمرة الفاسقين فلان يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبيا اقوى في تحصيل المقصود قال السبكي في هذه انه عليه السلام على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيمة وتكون الانبيا واممهم كلهم من امته ويكون قوله عليه السلام وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا وانما

اخذ له المواثيق على الانبيا ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ المواثيق وهي في معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم في ليؤمنن به ولينصرنه **لطيفة** وهي كانها ايمان البيعة التي تؤخذ للخلفا ولعل ايمان الخلفا اخذت من هنا فانظر الى هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا عرف هذا فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الانبيا ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الانبيا تحت لوائه وفي الدنيا كذلك وليلة الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وابرهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى اممهم الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل لهم وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافه بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل فههنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي عيسى عليه السلام في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه ياتي واحد من هذه الامة نعم هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة فكل ما فيهما من امر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شي ولذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه او في زمان موسى وابرهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل واعظم وتتفق مع شرائعهم في الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص او على سبيل النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم ما جاءت به انبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيا عنا قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه جميع الناس اولهم وآخرهم والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد كنا نظن انه بالعلم فبان انه زائد على ذلك وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد تكون بحسب المحل القابل وقد تكون بحسب الفاعل المتصرف فههنا التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو

المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة والوكالة ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفو ولا يوجد الا بعد مونة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى

النوع الثالث

في وصفه تعالى له عليه السلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة قال الله تع حكاية عن ابرهيم واسمعيل عليهما السلام عند بنا البيت الحرام ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم فاستجاب الله دعاهما وبعث في اهل مكة رسولا منهم بهذه الصفة من ولد اسمعيل الذي دعا مع ابيه ابرهيم عليهما السلام بهذا الدعا فان قلت من اين علم ان الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب من وجوه احدها اجماع المفسرين وهو حجة الثاني قوله عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشارة عيسى قالوا واراد بالدعوة هذه الاية وبشارة عيسى وهي ما ذكر في سورة الصف من قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد الثالث ان ابرهيم انما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين كانوا بها وبما حولها ولم يبعث الله تعالى من مكة الا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد من الله تعالى على المؤمنين ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة الاية فليس لله منة على المؤمنين اعظم من ارساله محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله اعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والاخرة وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده وقوله من انفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي وقرئ في الشواذ انفسهم بفتح الفا يعني من اشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم افضل قريش وقريش افضل العرب والعرب افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المؤمنين عام ومعناه خاص في العرب لانه ليس حي من احيا العرب الا وقد ولده وخص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون به اكثر فالمنة عليهم اعظم فان قلت هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان او هو من فروض الكفاية فاجاب الشيخ ولي الدين بن العراقي بانه شرط في صحة الايمان فلو قال شخص اومن برسالة محمد الى جميع الخلق لكن لا ادري هل هو من البشر او الملائكة او من الجن او لا ادري هل هو من العرب او العجم فلا شك في كفره

لتكذيبه

لتكذيبه للقرآن وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فلو جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى فان قلت هل هو عليه السلام باق على رسالته الى الان اجاب ابو المعين النسفي بان الاشعري قال انه عليه السلام الان في حكم الرسالة وحكم الشي يقوم مقام اصل الشي الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام النكاح انتهى وقال غيره ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه السلام حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمؤمن بعد موته لان المتصف بالنبوة والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى وتعقب بان الانبيا احيا في قبورهم فوصف النبوة باق للجسد والروح معا وقال القشيري كلام الله تعالى لمن اصطفاه ارسلتك ان تبلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه السلام قبل ان يوجد كان رسولا وفي حال كونه والى الابد رسولا لبقا الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الارسال الذي هو كلام الله تعالى ونقل السبكي في طبقاته عن ابن فورك انه قال انه عليه السلام حي في قبره رسول الله ابدا الاباد على الحقيقة لا المجاز انتهى وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين والمراد بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا اميين لا كتاب لهم وليس عندهم شي من اثار النبوة كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل قبلهم من الامم وفي كونه عليه السلام منهم فائدتان احدهما ان هذا الرسول كان ايضا اميا كامته المبعوث اليهم لم يقرا كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ولا خرج عن ديار قومه فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل اميا بين امة امية لا يكتب ولا يقرا حتى بلغ الاربعين من عمره ثم جا بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق اهل الارض ونظارها انه لم يقرع العالم ناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه عليه السلام الفائدة الثانية التنبيه على ان المبعوث منهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته وعفته وانه نشا بينهم معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله عز وجل هذا هو الباطل ولذلك سال هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة وقد قال الله تعالى خطابا له فانهم لا يكذبونك ويروى ان رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس وعن مقاتل كان الحارث

ابن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من
اهل الكذب • وعن بعض المشركين كانوا اذا راوه عليه السلام قالوا انه لنبي • وعن علي
قال قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل
الله تعالى الآية والمعنى انهم ينكرونه مع العلم بصحته اذ الجحد لغة الانكار مع العلم
فان قلت فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك
اجيب بانه على طريق الجحد وهو يختلف باختلاف احوالهم في الجهل فمنهم من
وقع منه ذلك لجهله بحيث علم آمن ومنهم من آمن وانكر كبرا وعنادا كابي جهل فيكون
المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم لا كلهم فلا تعارض • وروى
ان ابا جهل لقيه صلى الله عليه وسلم فصافحه فقيل له اتصافحه فقال والله اني لاعلم
انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الآية رواه ابن ابي حاتم والقرآن
كله مملوء بالآيات الدالة على صدق هذا الرسول الكريم وتحقيق رسالته وكيف يليق
بكمال الله ان يقر من يكذب عليه اعظم الكذب ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره
عليه ذلك ويؤيده ويعلي كلمته ويرفع شانه ويجيب دعوته ويهلك عدوه ويظهر
على يديه من الآيات والبراهين والادلة ما يضعف عن مثله قوى البشر وهو مع ذلك
كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفساد ومعلوم ان شهادته سبحانه على كل شيء
وقدرته على كل شيء وحكمته وعزته وكماله المقدس يابى ذلك كل الاباء ومن ظن ذلك به
وجوزه عليه فهو من ابعد الخلق عن معرفته ان عرف منه بعض صفاته كصفة القدرة
وصفة المشيئة والقرآن كله مملوء من هذه الطريق وهذه طريق الخاصة بل خاصة الخاصة
الذين يستدلون بالله على فعاله وما يليق به ان يفعله وما لا يفعله واذا تدبرت
القرآن ينادي على ذلك ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واع عن الله قال الله تعالى ولو
تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد
عنه حاجزين • افتراه سبحانه وتعالى يخبر ان كماله وقدرته يابى ان يقر من تقول عليه
بعض الاقاويل بل لا بد ان يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته في المتقولين عليه
قال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك هاهنا انتهى
جواب الشرط ثم اخبر خبرا جازما غير معلق انه يمحو الباطل ويحق الحق وقال تعالى وما
قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فاخبر ان من نفى عنه الارسال
والكلام لم يقدره حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما يستحق فكيف من ظن انه ينصر
الكاذب المفتري عليه ويؤيده ويظهر على يديه الآيات والادلة وهذا في القرآن كثير
يستدل تعالى بكماله المقدس واوصافه وجلاله على صدق رسوله وعلى وعده ووعيده
ويدعو عباده الى ذلك وقال تعالى لمن طلب آية تدل على صدق رسوله اولم يكفهم
انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني

وبينكم

وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك
هم الخاسرون فاخبر سبحانه ان الكتاب الذي انزله يكفي من كل آية ففيه الحجة والدلالة
على انه من الله وان الله سبحانه ارسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة
وينجيه من العذاب • ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض
فاذا كان سبحانه عالما بجميع الاشياء كانت شهادته اصدق شهادة واعدلها فانها
شهادة بعلم تام محيط بالمشهود به وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته وقدرته
وملكه عند مجازاته وحكمته عند خلقه ورحمته عند ذكر ارسال رسله وحلمه عند ذنوب
عباده فتامل ورود اسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب
انتهى وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا اي شاهدا على الوحدانية وشاهدا في الدنيا باحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان
والصراط وشاهدا في الآخرة باحوال الدنيا بالطاعة والمعصية والصلاح والفساد وشاهدا
على الخلق يوم القيمة كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كانه تعالى يقول يا ايها
المشرف من قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا ومشاهدا لكمال فردانيتنا تبشر عبادنا
عنا وتحذرهم مخالفة امرنا وتعلمهم مواضع الخوف منا وداعيا الخلق الينا وسراجا
منيرا يستضيئون بك وشمسا تبسط شعاعك على جميع من صدقك وآمن بك ولا
يصل الينا الا من اتبعك وخدمك وقدمك فبشرهم بفضلنا وطولنا عليهم واحساننا
اليهم ولما كان الله تعالى قد جعله عليه السلام شاهدا على الوحدانية والشاهد لا يكون
مدعيا فالله تعالى لم يجعل النبي في مسئلة الوحدانية مدعيا لها لان المدعي من يقول
شيئا على خلاف الظاهر والوحدانية اظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم كان ادعى النبوة
فجعل الله تعالى نفسه شاهدا له في مجازاته كونه شاهدا له تعالى وقال سبحانه والله
يشهد انك لرسوله ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب فاستشهد على رسالته بشهادة الله تعالى
له وكذلك قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقوله لكن الله يشهد
بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله تعالى والله يعلم
انك لرسوله وقوله محمد رسول الله فهذا كله منه تعالى شهادة لرسوله قد اظهرها وبينها
وبين صحتها غاية البيان بحيث قطع العذر بينه وبين عباده واقام الحجة عليهم بكونه
سبحانه شاهدا لرسوله وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وكفى بالله شهيدا فيظهره ظهورين ظهورا بالحجة والبيان وظهورا بالنصر
والغلبة والتاييد حتى يظهر على مخالفيه ويكون منصورا • ومن شهادته تعالى ايضا
ما اودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمانينة بكلامه
ووحيه فان الله تعالى فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمانينة والسكون اليه

ومحبته وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه وعدم السكون اليه ولو بقيت الفطرة على حالها لما آثرت على الحق سواه ولما سكنت الا اليه ولا اطمأنت الا به ولا احبت غيره ولهذا ندب الحق سبحانه الى تدبر القرآن فان كل من تدبره اوجب له علما ضروريا ويقينا جازما انه حق بل احق كل حق واصدق كل صدق قال تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا كسائر الامور الوجدانية كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقا وبلغه رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد في القلب من اعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ففي هذه الآية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الثقلين وقالت العيسوية من اليهود وهم اتباع ابي عيسى الاصبهاني ان محمدا صادق مبعوث الى العرب غير مبعوث الى بني اسرائيل ودليلنا على ابطال قولهم هذه الآية لان قوله يا ايها الناس خطاب يتناول كل الناس ثم قال اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس وايضا فلانا نعلم بالتواتر انه كان يدعي انه مبعوث الى الثقلين فاما ان نقول انه كان رسولا حقا او ما كان كذلك فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقا في كلما يدعيه فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه الآية انه كان يدعي كونه مبعوثا الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا وذلك يبطل قول من يقول انه مبعوث الى العرب فقط لا الى بني اسرائيل واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا من الناس من يقول انه عام دخله التخصيص ومنهم من انكر ذلك اما الاول فقالوا دخله التخصيص من وجهين الاول انه رسول الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين فاذا لم يكونوا من جملة المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه عليه السلام قال رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق والثاني انه رسول الله الى من وصله خبر وجوده وخبر معجزاته وشرائعه حتى يمكنه عند ذلك متابعته اما لو قدرنا حصول قوم في طرف من اطراف الارض لم يبلغهم خبره وخبر معجزاته وشرائعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا يكونوا مكلفين بالاقرار بنبوته وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه مسلم ومفهومه ان من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم ولم يبلغه دعوة الاسلام فهو معذور على ما تقرر في الاصول انه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الآية خاطب تعالى اهل الكتاب من اليهود والنصارى بانه قد ارسل اليهم رسولا محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي بعده

ولا رسول

ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال تعالى على فترة من الرسل اي بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى بن مريم وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال النهدي وقتادة في رواية عنه ستمائة سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خمسمائة وستون سنة وقال الضحاك اربعمائة وبضع وثلاثون سنة وعن الشعبي فيما ذكره ابن عساكر تسعمائة وثلاثة وثلاثون سنة قال الحافظ عماد الدين ابن كثير والمشهور انها ستمائة سنة قال وكانت هي الفترة بين عيسى بن مريم آخر انبياء بني اسرائيل وبين محمد آخر النبيين من بني آدم على الاطلاق كما في البخاري من حديث ابي هريرة مرفوعا انا اولى الناس بابن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود ان الله بعث محمدا على فترة من الرسل وطموس من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة به اتم والنفع به اعم وفي حديث عند الامام احمد مرفوعا ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرائيل وفي لفظ مسلم من اهل الكتاب فكان الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلائق واخرجهم الله به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء صلوات الله وسلامه عليه وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم اي عزيز عليه عنتكم اي اثمكم بالشرك والمعاصي حريص عليكم قال الحسن عزيز عليه ان تدخلوا النار حريص عليكم ان تدخلوا الجنة ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا انه لم يخاطبنا بما يريد بلاغه الينا وفهمنا اياه على قدر منزلته بل على قدر منزلتنا والى هذا اشار صاحب البردة بقوله

لم يمتحنا بما تعيي العقول به ... حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

اي لم نتحير ولم نشك فيما القاه الينا وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم ومن حرصه عليه السلام على هدايتنا كان كثيرا ما يضرب المثل بالمحسوس ليحصل الفهم وهذه سنة القرآن ومن تتبع الكتاب والسنة رأى من ذلك العجب العجاب ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس في حرص رسوله عليه السلام على اسلامهم خص المؤمنين برافته ورحمته لهم وقال تعالى من انفسكم ولم يقل منا لحكم فقيل يحتمل ان يكون مراده منا بجنسه المنفس لا بوجه المقدس وبرحيم

ولله القائل

اذا رمت مدح المصطفى شغفا به ... تبلد ذهني هيبة لمقامه
فاقطع ليلي ساهر الجفن مطرقا ... هوى فيه خلى من لذيذ منامه
اذا قال فيه الله جل جلاله ... رؤوف رحيم في سياق كلامه
فمن ذا يجاري الوحي والوحي معجز ... بمختلفيه نثره ونظامه

تنبيه واما قول القاضي عياض بعد ذكره الآية ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى

عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه فهو وان كان المقصد به صحيحا ففي ظاهره شيء لانه يوهم ان قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر الذي هو الحرص فيكون مخصوصا به ومما يقوي هذا التوهم قوة اعطا الكلام ان الضمير الاول من قوله وعزته عليه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والضمير الثاني عائد على الله عز وجل فلا ينفي الشدة الا ان تكون معطوفة على متعلق المصدر ولا يخفى ما في هذا وقد تاول بعض العلما على حذف مضاف اي وكراهة شدة ما يعنتهم ونحو ذلك من المضافات والاولى والصواب ان شا الله تع ان تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر الذي هو الحرص ويكون قوله وعزته معطوف على وشدة والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما في قوله ما يعنتهم والها الثانية في عليه عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز ان يكون رحمة مفعولا له اي لاجل الرحمة ويجوز ان ينتصب على الحال مبالغة في ان جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف اي ذا رحمة او بمعنى راحم قاله السمين وقال ابو بكر بن طاهر فيما ذكره القاضي عياض زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب انتهى وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد اخر من كذبه الى الموت والى القيامة واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني الجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب فذاته عليه السلام كما قيل رحمة تعم المومن والكافر كما قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه السلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي في الشعب من حديث ابي هريرة وقال بعض العارفين الانبيا خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة فبيانه عليه السلام ونصحه رحمة ودعاوه واستغفاره رحمة فرزق ذلك من قبله وحرمه من رده ولقد احسن القائل

غنيمة عمر الكون بهجة عيشه ... تزود حياة الروح فائدة الدهر
هو النعمة العظمى هو الرحمة التي ... تجلى بها الرحمن في السر والجهر

فان قلت كيف كان رحمة وقد جا بالسيف واستباحة الاموال فالجواب من وجهين احدهما انه انما جا بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله تعالى الرحمن والرحيم ثم هو منتقم من العصاة وقد قال تعالى وانزلنا من السما ما مباركا وقد يكون سببا للفساد وثانيهما ان كل نبي من الانبيا قبل نبينا اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وقد اخر الله تعالى عذاب من كذب نبينا الى الموت والى القيمة لا يقال انه تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله

بايديكم وقال تعالى ليعذب الله المنافقين لانا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه وفي الشفا للقاضي عياض وحكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثنا الله تعالى علي بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين انتهى وهذا يقتضي ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل وهو الذي عليه الجمهور خلافا لمن زعم ان جبريل افضل واستدل بان الله تعالى وصف جبريل بسبعة اوصاف من صفات الكمال في قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل في صفات الفضل او مقاربا له لكان وصف محمد مثل ذلك واجيب بانا متفقون على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل اخرى سوى ما ذكر في هذه الاية وعدم ذكر الله تعالى لهذه الفضائل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع واذا ثبت ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل اخر زائدة فيكون افضل من جبريل وبالجملة فافراد احد الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفا تلك الاوصاف عن الثاني واذا ثبت بالدليل القرآني انه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملائكة من جملة العالمين وجب ان يكون افضل منهم والله اعلم وقال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين هذه الاية نص في انه لا نبي بعده واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الاولى لان مقام الرسالة اخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس كما قدمنا ذلك في اسمائه الشريفة من المقصد الثاني وبذلك وردت الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى احمد من حديث ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فاحسنها واكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فانا في النبيين موضع تلك اللبنة ورواه الترمذي عن بندار عن ابي عامر العقدي وقال حديث حسن صحيح وفي حديث انس بن مالك مرفوعا ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي رواه الترمذي وغيره وفي حديث جابر مرفوعا مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاحسنها واكملها الا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر اليها قال ما احسنها الا موضع هذه اللبنة فانا موضع هذه اللبنة ختم بي الانبيا عليهم السلام رواه ابو داود الطيالسي وكذا البخاري ومسلم وفي حديث ابي سعيد الخدري فجئت انا فاتممت تلك اللبنة رواه مسلم وفي حديث ابي هريرة عند مسلم وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون فمن تشريفه تعالى له صلى الله عليه وسلم ختم النبيين والمرسلين به واكمال الدين الحنيفي له وقد اخبر الله تعالى في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه انه لا نبي بعده ليعلموا ان كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب افاك دجال ضال مضل ولو تخرق وتشعبذ واتى بانواع السحر والطلاسم

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب

والنيّر بحيّات فكلها محال او ضلال لذ عندا ولى الالباب ولا يقدح فى هذا نزول عيسى بن
مريم عليه السلام بعده لانه اذا كان على دين نبينا صلى الله عليه وسلم ومنهاجه مع ان
المراد انه آخر من نبئ قال ابو حيان ومن ذهب الى ان النبوة مكتسبة لا تنقطع او الى
ان الولى افضل من النبى فهو زنديق يجب قتله والله اعلم ٥

النوع الرابع

فى التنويه به صلى الله عليه وسلم فى الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل

قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم
فى التورية والانجيل وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا الكلام من اعظم
المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب والبهتان من اعظم
المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان عقله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما
قال لهم عليه السلام هذا دل على ان ذلك النعت كان مذكورا فى التورية والانجيل وذلك
من اعظم الدلائل على صحة نبوته لكن اهل الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون
ويحرفون الكلم عن مواضعه والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا
ابناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل لكنهم حرفوهما وبدلوهما ليطفئوا
نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون فدلائل نبوة نبينا صلى
الله عليه وسلم فى كتابيهما بعد تحريفهما طافحة واعلام شرايعه ورسالته فيهما لا يخفى وكيف
يغنى عنهم انكارهم وهذا اسم النبى صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشفحا فمشفح محمد
بغير شك واعتباره انهم يقولون شفحا لاها اذا ارادوا ان يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد
شفحا فمشفح محمد ولان الصفات التى فى قرواياتها هى وفاق لاحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه
وشريعته صلى الله عليه وسلم فليدلونا على من هذه الصفات له ومن خرجت له الامم بين
يديه وانقادت له واستجابت لدعوته ومن صاحب الجمل الذى هلكت بابل واصنامها
به على انا لو لم نات بهذه الانبا والقصص من كتبهم لم يكن فيما اودع الله عز وجل القرآن دليل
على ذلك وفى تركهم جحد ذلك وانكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له بانه يقول
الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل
ويقول حكاية عن المسيح انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التورية ومبشرا برسول
ياتى من بعدى اسمه احمد ويقول يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق
وانتم تعلمون ويقول الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وكانوا يقولون
لمخالفيهم عند القتال هذا نبى قد اظل مولده ويذكرون من صفته ما يجدونه فى كتابهم
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة ويحتمل انهم كانوا يظنون انه من بنى
اسرائيل فلما بعثه الله من العرب من نسل اسماعيل عظم ذلك عليهم واظهروا التكذيب فلعنة

الله

الله على الكافرين وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه وتصديقه فكيف يجوز
ان يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك الى ما عندهم وما فى ايديهم ويقول من علامة نبوتى وصدقى
انكم تجدونى عندكم مكتوبا وهم لا يجدونه كما ذكر وليس كذلك مما يزيدهم عنه بعدا وقد
كان غنيا ان يدعوهم بما ينفرهم ويستميلهم بما يوحشهم وكم اسلم
من اسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام وتميم الدارى وكعب وقد وقفوا منه على مثل هذه
الدعاوى وقد روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق من طريق محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام
عن جده عبد الله بن سلام انه لما سمع بمخرج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه فقال
له النبى صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك بالذى
انزل التورية هل تجد صفتى فى كتاب الله قال انسب ربك يا محمد فارتج النبى صلى الله عليه
وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى
لاجد صفتك فى كتاب الله يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدى
ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها
ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا اله الا الله
ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وقوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا يعارض
قوله واغلظ عليهم لان النفى محمول على طبعه الكريم الذى جبل عليه والامر محمول على المعالجة
او النفى بالنسبة الى المؤمنين والامر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح به فى نفس الاية
وقلوبا غلفا اى مغشاة مغطاة واحدها اغلف ومنه غلاف السيف وغيره واخرج
البيهقى وابو نعيم عن ام الدرداء امرأة ابى الدرداء قالت قلت لكعب كيف تجدون صفة اسمه ع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التورية قال كنا نجده موصوفا فيها محمد رسول الله المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق واعطى المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا
ويسمع به اذانا صما ويقيم به السنة عوجا حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له يعين المظلوم ويمنعه من ان يستضعف وفى البخارى عن عطا بن يسار قال قلت
لعبد الله بن العاصى اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه
لموصوف فى التورية ببعض صفته فى القرآن يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا
سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما
وقلوبا غلفا وعند ابن اسحاق ولا صخاب فى الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى

ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته
والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم
به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واغني به بعد العيلة واجمع
به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته
خير امة اخرجت للناس **واخرج** البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود فاسلم
فقال والذي بعثك بالحق لقد وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول
واخرج ابن سعد قال لما امر ابرهيم باخراج هاجر حمل على البراق فكان لا يمر بارض عذبة
سهلة الا قال انزل ها هنا يا جبريل فيقول لا حتى اتى مكة فقال جبريل انزل يا ابرهيم
قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ها هنا يخرج النبي صلى الله عليه وسلم الذي من ذرية
ابنك الذي تتم به الكلمة العليا **وفي** التورية مما اختاروه بعد الحذف والتحريف والتبد[يل]
مما ذكره ابن ظفر في البشر وابن قتيبة في اعلام النبوة تجلى الله من سينا واشرق من ساعير
واستعلن من جبال فاران فسينا هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى وساعير هو الجبل الذي
كلم الله فيه عيسى وظهرت فيه نبوته وجبال فاران وهو اسم عبراني وليست لفظة الاولى همزة
هي جبال بني هاشم الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في احدها وفيه فاتحة
الوحي وهو احد ثلاثة جبال احدها ابو قبيس والمقابل له هو قيقعان الى بطن الوادي
والثالث الشرقي فاران ومنعرجه الذي يلي قيقعان الى بطن الوادي وهو شعب بني هاشم
وفيه مولده صلى الله عليه وسلم على احد الاقوال **قال** ابن قتيبة وليس بهذا
غموض لان مجي الله من سينا انزاله التورية على موسى عليه السلام بطور سينا ويجب ان يكون
اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير ارض الخليل
بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير
انزاله على المسيح فكذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران بانزاله القرآن على
محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة وليس بين المسلمين واهل الكتاب في ذلك اختلاف
في ان فاران هي مكة فان ادعى انها غير مكة قلنا اليس في التورية ان الله اسكن هاجر
واسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي
انزل عليه كتابا بعد المسيح اوليس استعلن واعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل
تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه **وفي** التورية
ايضا مما ذكره ابن ظفر خطابا لموسى والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه الذين اخذتهم
الرجفة خصوصا ثم بني اسرائيل عموما ان الله ربك يقيم نبيا من اخوتك فاستمع له كالذي
سالت ربك في حوريب يوم الاجتماع حين قلت لا اعود اسمع صوت الله ربي لئلا اموت
فقال الله لي نعم ما قالوا وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فيه فيقول
لهم كل شي امرته وايما رجل لم يطع من تكلم باسمي فانا انتقم منه **قال** وفي هذا الكلام دلالة

على

على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله نبيا من اخوتهم فموسى وقومه من بني اسحاق واخوتهم
بنو اسماعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحاق لكان من انفسهم لا من اخوتهم
واما قوله نبيا مثلك وقد قال في التورية لا يقوم في بني اسرائيل احد مثل موسى وفي ترجمة
اخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل ابدا فذهبت اليهود الى ان هذا النبي الموعود به هو
يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفوا لموسى عليه السلام بل كان خادما له في
حياته ومؤكدا الدعوة بعد وفاته فتعين ان يكون المراد به محمد صلى الله عليه وسلم
فانه كفو موسى لانه ماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام واجرا النسخ
على الشرايع السالفة وقوله تعالى اجعل كلامي في فمه فانه واضح في ان المقصود به محمد
صلى الله عليه وسلم لان معناه اوحي اليه بكلامي فينطق به على نحو ما سمعه ولا انزل صحفا
ولا الواحا لانه امي لا يحسن ان يقرا المكتوب **وفي** الانجيل مما ذكره ابن طغربك في الدر
المنظم قال يوحنا في انجيله عن المسيح انه قال انا اطلب لكم من الاب ان يعطيكم فارقليط
يثبت لكم معكم الى الابد روح الحق الذي لن يطيق العالم ان يقتلوه وهو عند ابن ظفر
بلفظ ان احببتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى ابي فيعطيكم فارقليط اخر يكون
معكم الدهر كله قال فهذا تصريح بان الله تعالى سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب
في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه وتكون شريعته باقية مخلدة ابدا فهل هذا الا
محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولم يذكر فصول الفارقليط كما افاده ابن طغربك سوى
دون غيره من تتلة الانجيل وقد اختلف النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو الحا[مد]
وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص افضى بنا الامر الى ان المخلص رسول ياتي
لخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح
في الانجيل اني جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص
العالم وهو الذي سال الاب ان يعطيهم فارقليط اخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد
تقدم فارقليط اول حتى ياتي فارقليط اخر وان تنزلنا معهم على القول بانه الحامد فاي
لفظ اقرب الى احمد ومحمد من هذا **قال** ابن طغربك وفي الانجيل مما ترجموه ما يدل على
ان الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل الاب الذي ارسلني
بهذا الكلام لكم واما الفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي فهو يعلمكم كل شي وهو
يذكركم كلما قلته لكم فهل بعد هذا بيان اليس هذا صريحا في ان الفارقليط رسول يرسله
الله وهو روح القدس وهو يصدق بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وليس باله
وهو يعلم الخلق كل شي ويذكرهم كلما قاله المسيح عليه السلام لهم وكلما امرهم به من توحيد الله
واما قوله ابي فهذه اللفظة مبدلة محرفة وليست منكرة الاستعمال عند اهل الكتابين
اشارة الى الرب سبحانه وتعالى لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي
يستمد منه العلم ومن المشهور مخاطبة النصارى عظما دينهم بالاباء الروحانية فلم تزل بنوا

اسرائيل وبنو العيص يقولون نحن ابناء الله لسوء فهمهم عن الله تعالى واما قوله برسل الى باسمي فهو اشارة الى شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم له بالصدق والرسالة وما تضمنه القرآن من تبرئته عما افترى في امره • وفي ترجمة اخرى للانجيل انه قال الفارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث وهو عند ابن ظفر يكنى بلفظ فاذا جاء روح القدس ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي وهو يمجدني لانه يأخذ مما هو لي ويخبركم فقوله ليس ينطق من عنده وفي الرواية الاخرى ولا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع اي من الله الذي ارسله وهذا كما قال تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقوله وهو يمجدني فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبرأه وبرأ امه عليهما السلام مما نسب اليهما وامر امته بذلك قال ابن ظفر بل في ذا الذي وبخ العلماء على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن ذا الذي انذر بالحوادث واخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در ابي محمد عبد الله الشقراطيسي حيث قال في قصيدته المشهورة

توراة موسى اتت عنه فصدقها ... انجيل عيسى بحق غير مفتعل
اخبار احبار اهل الكتب قد وردت ... عما رأوا ورووا في الاعصر الاول

ويعجبني قول العارف عبد الله بن النعمان

هذا النبي محمد جاءت به ... توراة موسى للانام تبشر
وكذلك انجيل المسيح موافق ... ذكرا لاحمد معربا ومذكر

وبرحم الله ابن جابر حيث قال

مبعثه في كل جيل علامة ... على ما جلته الكتب من امره الجلي
فجاء بانجيل عيسى بآخر ... كما قد تمنت توراة موسى باول

وفي الدلائل للبيهقي عن الحاكم بسند لا باس به عن ابي امامة الباهلي عن هشام ابن عاص الاموي قال بعثت انا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه ارسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء واذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان احسن ما خلق الله تعالى قال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء واذا فيها صورة بيضاء احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام قال ثم فتح بابا آخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضاء واذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله ونبينا قال والله انه لهو ثم قام قائما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه لهو كانك

تنظر

تنظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه لآخر البيوت ولكن عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صورة الانبياء ابرهيم وموسى وعيسى وغيرهم قال فقلنا له من اين لك هذه الصورة فقال ان آدم عليه السلام سأل ربه ان يريه الانبياء من ولده فانزل الله عليه صورهم فكان في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال وفي زبور داود عليه السلام في مزمور اربعة واربعين فاضت النعمة من شفتيك من اجل هذا بارك الله الى الابد تقلد ايها الجبار بالسيف فان شرايعك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك فهذا المزمور ينوه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هي القول الذي يقوله وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها • وفي قوله تقلد سيفك ايها الجبار دلالة على انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيوف امة من الامم سوى العرب فكلهم يتقلدونها على عواتقهم وفي قوله فان شرايعك وسنتك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال قرأت في بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب نورا يملأ ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسماعيل نبيا عربيا اميا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يؤمن بي ربا وبي رسولا يكفرون بملل آبائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست اسماؤك لقد كرمت هذا النبي وشرفته قال الله يا موسى اني انتقم من عدوه في الدنيا والآخرة واظهر دعوته على كل دعوة واذل من خالف شريعته وبالعدل زينته وللقسط اخرجته وعزتي لاستنقذن به امما من النار فتحت الدنيا بابرهيم واختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن ادركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بريء ذكره ابن ظفر وغيره •

النوع الخامس

في آيات تضمن اقسامه تعالى على تحقيق رسالته وثبوت ما اوحي اليه من آياته وعلو رتبته وهذا النوع اعزك الله لخصت اكثره من كتاب اقسام القرآن للعلامة ابن القيم مع زيادات من فرائد الفوائد فاعلم انه تعالى اقسم بامور على امور وانما اقسم بنفسه الموصوفة بصفاته او آياته المستلزمة لذاته وصفاته واقسامه ببعض مخلوقاته دليل على انه من عظيم آياته ثم انه تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم على ان القرآن حق وتارة على ان الرسول حق وتارة على ان الجزاء والوعد والوعيد حق فالاول كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم والثاني كقوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين والثالث كقوله والذاريات ذروا الى قوله وان الدين لواقع وهذه الامور الثلاثة متلازمة فمتى ثبت ان الرسول حق ثبت ان القرآن حق وثبت

المعاد ومتى ثبتت ان القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت ان الوعد
والوعيد حق ثبت صدق الرسول الذي جاء بهما وفي هذا النوع خمسة فصول

الفصل الاول

في قسمه تعالى على ما خصه به من الخلق العظيم وحباه من الفضل الجسيم قال
الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون
وانك لعلى خلق عظيم ن من اسماء الحروف كالم والمص وق واختلف فيها فقيل هي اسماء
للقرآن وقيل اسماء للسور وقيل اسماء الله تعالى ويدل له ان عليا رضي الله عنه كان يقول
يا كهيعص يا حمعسق يا حم اغفر لي كما قيل ولعله اراد يا منزلها وقيل انه سر استأثر الله
بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار
بين الله ورسوله لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وهل المراد بقوله
تعالى هنا ن اسم الحوت وهل المراد به الجنس او اليهموت وهو الذي عليه الارض وقيل
المراد الدواة وهو مروي عن ابن عباس فيكون هنا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة
بهما بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة وقيل نون
لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يأمرهم به رواه معاوية بن قرة مرفوعا وقيل انه اسم
للسورة اقسم الله تعالى بالكتاب وآياته وهو القلم الذي احد آياته واول مخلوقاته
الذي جرى به قلمه وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين واثبتت به الشريعة وحفظت به
العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد واقام في الناس ابلغ خطيب وافصحه
وانفعه لهم وانصحه وواعظا تشتفي بمواعظه القلوب من السقم وطبيبا يبرئ باذن
باريه من انواع الآلام على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود في كل افعاله واقواله مما غمصه
اعداؤه الكفرة وتكذيبهم له بقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وكيف يرمى بالجنون
من اتى بما عجزت العقلاء قاطبة عن معارضته وكلت عن مماثلته وعرفهم من الحق بما لا
تهتدي اليه عقولهم بحيث اذعنت له عقول العقلاء وخضعت له الباب الالباء وتلاشت
في جنب ما جاء به بحيث لم يسعها الا التسليم والانقياد والاذعان طائعة مختارة فهو
الذي كمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي ثم اخبر تعالى عن كمال حالة نبيه صلى
الله عليه وسلم في دنياه وآخرته فقال وان لك لاجرا غير ممنون اي ثوابا غير منقطع بل هو
دائم مستمر ثم اثنى عليه بما منحه فقال وانك لعلى خلق عظيم وهذه من اعظم آيات نبوته
ورسالته ولقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان
خلقه القرآن ومن ثم قال ابن عباس وغيره اي على دين عظيم وسمي الدين خلقا لان الخلق
هيئة مركبة من علوم صادقة وارادات زاكية واعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل
والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم

والارادات

والارادات فتكتسب النفس بها اخلاقا هي ازكى الاخلاق واشرفها وافضلها وهذه
كانت اخلاقه صلى الله عليه وسلم المقتبسة من القرآن فكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا
وتبيينا وعلومه علوم القرآن وارادته واعماله ما اوجبه وندب اليه القرآن واعراضه
وتركه لما منع منه القرآن ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه
ومحبته لما اوجبه وسعيه في تنفيذ اوامره فترجمت ام المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن
وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن وفهم السائل عنها
هذا المعنى فاكتفى به واشتفى ولما وصفه تعالى بانه على خلق عظيم قال فستبصر ويبصرون
بأيكم المفتون اي فسترى يا محمد ويرى المشركون عاقبة امرهم فانك تصير معظما
في القلوب ويصيرون اذلاء مغلوبين وتستولي عليهم بالقتل والنهب

الفصل الثاني

في قسمه تعالى على ما انعم به عليه واظهره من قدره العلي لديه قال الله تعالى
والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى السورة اقسم تعالى على انعامه على رسوله
صلى الله عليه وسلم واكرامه له واعطائه ما يرضيه وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم
على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد واقسم تعالى بآيتين
عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته ووحدانيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار
وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحى بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره
وقال ولا استبعاد فيه وتامل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد
ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال
اعداؤه ودع محمدا ربه فاقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد
ظلمة احتباسه واحتجابه وايضا فالذي اقتضت رحمته ان لا يترك عباده في ظلمة
الليل سرمدا بل هداهم بضوء النهار الى مصالحهم ومعايشهم لا يليق به ان يتركهم في ظلمة الجهل
والغي بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الى مصالح دنياهم وآخرتهم فتامل حسن ارتباط المقسم
به بالمقسم عليه وتامل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الالفاظ والجلالة التي على
معانيها ونفى سبحانه ان يكون ودع نبيه او قلاه والتوديع الترك والقلى البغض اي ما تركك منذ
اعتنى بك ولا ابغضك منذ احبك وحذف الكاف في قلى اكتفاء بكاف ودعك ولانه روعي
الاتي بالياء فاوجب اتفاق الفواصل حذفها وهذا يعم كل احواله وان كل حالة يرقيه اليها
هي خير له مما قبلها كما ان الدار الآخرة هي خير له مما قبلها ثم وعده بما تقر به عينه وتفرح
به نفسه وينشرح به صدره وهو ان يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القرآن والهدى
والنصر والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على بني
قريظة والنضير وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في

اقطار الارض من المدائن وما قذف في قلوب اعدائه من الرعب ونشر الدعوة ورفع ذكره واعلاء كلمته وما يعطيه بعد مماته وما اعطاه في موقف القيمة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر وقال ابن عباس يعطيه الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها. وبالجملة فقد دلت هذه الآية على انه تعالى يعطيه عليه السلام كلما يرضيه واما ما يغتر به الجهال من انه لا يرضى واحد من امته في النار او لا يرضى ان يدخل احد من امته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فانه صلوات الله وسلامه عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدا يشفع فيهم كما سياتي في المقصد الاخير ان شاء الله تعالى ورسوله عليه السلام اعرف به وبحقه من ان يقول لا ارضى ان تدخل احدا من امتي النار او تدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى ياذن له في الشفاعة فيشفع فيمن شاء الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له ورضيه. ثم ذكره سبحانه بنعمه عليه من ايوائه بعد يتمه فقال الم يجدك يتيما فآوى وذهب بعضهم الى ان معنى اليتيم من قولهم درة يتيمة اي الم يجدك واحدا من قريش عظيم النظير فآواك اليه واغناك بعد الفقر. ثم امره سبحانه ان يقابل هذه النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر فنهاه ان لا يقهر اليتيم وان لا ينهر السائل وان لا يكتم النعمة بل يحدث بها فان من شكر النعمة التحدث بها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها. ه

الفصل الثالث

في قسمه تعالى على تصديقه عليه السلام فيما اتى به من وحيه وكتابه وتنزيهه عن الهوى في خطابه

قال الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اقسم تعالى بالنجم على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه اليه اعداؤه من الضلال والغي واختلف المفسرون في المراد بالنجم باقوال معروفة. منها ان النجم على ظاهره وتكون اللام فيه للعهد في قول وللتعريف الجنس في آخر وهي النجوم التي يهتدى بها فقيل الثريا اذا سقطت وغابت وهو مروي عن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وعطية والعرب اذا اطلقت النجم تريد به الثريا اذا سقطت وغابت. وعن ابن عباس في رواية عكرمة النجوم التي يرجم بها الشياطين اذا سقطت في آثارها عند استراق السمع وهذا قول الحسن. وعن السدي الزهرة. وعن الحسن النجوم اذا سقطت يوم القيمة. وقيل المراد النبت الذي لا ساق له وهو نجم اى سقط على الارض وقيل القرآن رواه الكلبي عن ابن عباس لانه نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك. وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى نجما اذا نزل من السما ليلة المعراج واظهر الاقوال كما قاله ابن القيم انها النجوم التي يرجم بها الشياطين ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها

الله تعالى آية وحفظا للوحي من استراق الشياطين على ان ما اتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية نزوله هويا ولا عهد في القرآن بذلك فيحمل عليه وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت. وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتثارها يوم القيمة بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه باياته فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكروا البعث فانه سبحانه انما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه. ثم انه بين المقسم به والمقسم عليه ما لا يخفى فان قلنا ان المراد النجوم التي هي للاهتداء فالمناسبة ظاهرة وان قلنا ان المراد الثريا فلان اظهر النجوم عند الرائي لانه لا يشتبه بغيره في السماء بل هو ظاهر لكل احد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح من الآيات البينات ولان الثريا اذا ظهرت من المشرق حان ادراك الثمار واذا ظهرت من المغرب اواخر الخريف فتقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشرك والامراض القلبية وان قلنا ان المراد بها القرآن فهو استدلال بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراءته وانه ما ضل وما غوى. وان قلنا ان المراد النبات فالنبات به نبات القوى الجسمانية وصلاح القوى العقلية اولى بالصلاح وذلك بالرسل وايضاح السبل. وتامل كيف قال تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل ما ضل محمد تاكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهو اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل ام لم يعرفوا رسولهم. ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم ان يصدر عن هوى فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفي نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن نفي الامرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال ثم قال تعالى ان هو الا وحي يوحى فاعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل اي ما نطقه الا وحي يوحى وهذا احسن من جعل الضمير عائدا الى القرآن فان نطقه بالقرآن والسنة وان كليهما وحي قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القرآن والسنة وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها. ثم اخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقرآن بما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلالة والغواية فقال علمه شديد القوى وهو جبريل اي قواه العلمية والعملية كلها شديدة ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة وهذا نظير قوله

تعالى ذى قوة عند ذى العرش مكين كما سيأتى فى البحث فيه ان شاء الله تعالى ثم اخبر سبحانه وتعالى
عن تصديق فؤاده لما رأته عيناه وان القلب صدق العين وليس كمن رأى شيئا على خلاف ما
هو به فكذب فؤاده بصره بل ما رآه ببصره صدقه الفؤاد وعلم انه كذلك وفى قصة الاسرا
مزيد لما ذكرته هنا والله الموفق والمعين وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى
قوله تعالى وما هو بقول شيطان رجيم اى لا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم
او اقسم ولا مزيدة للتأكيد وهذا قول اكثر المفسرين بدليل قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون
عظيم قال الزمخشرى والوجه ان يقال هى للنفى يعنى انه لا يقسم بالشئ الا اعظاما له
فكأنه بادخال حرف يقول ان اعظامى باقسامى به كلا اعظام يعنى انه يستأهل فوق ذلك
اقسم سبحانه وتعالى بالنجوم فى احوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها وبانصرام
الليل واقبال النهار عقيبه من غير فصل فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادبار هذا وحالة
قوة هذا وتنفسه واقباله بطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب الليل وادبر بين يديه
وذلك من آياته ودلائل ربوبيته ان القرآن قول رسول كريم وهو هنا جبريل لانه ذكر صفته
قطعا بعد ذلك بما يعينه به واما الرسول الكريم فى الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم فاضافه
الى الرسول الملكى تارة والى البشرى اخرى واضافته اليهما اضافة تبليغ لا اضافة انشاء من عنده
ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذى يبلغ كلام من ارسله فهذا صريح فى انه
كلام من ارسل جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم فجبريل تلقاه عن الله ومحمد صلى الله عليه وسلم
تلقاه عن جبريل • وقد وصف الله تعالى رسوله الملكى فى هذه السورة بانه كريم يعطى افضل
العطايا وهو العلم والمعرفة والهداية والبر والارشاد وهذا غاية الكرم • ذو قوة كما قال فى
النجم علمه شديد القوى فيمنع بقوته الشياطين ان يدنوا منه وان يزيدوا فيه او ينقصوا منه
وروى انه رفع قريات قوم لوط على قوادم جناحه حتى سمع اهل السماء نباح كلابها واصوات
بنيها • عند ذى العرش مكين اى متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاشراف والتعظيم
والتكريم مطاع فى ملائكة الله المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه امين على
وحى الله ورسالاته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات تتضمن تزكية
سند القرآن وانه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين
فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه • ثم نزه رسوله البشرى
وزكاه مما يقول فيه اعداؤه فقال وما صاحبكم بمجنون • وهذا امر يعلمونه ولا يشكون
فيه وان قالوا بالسنتهم خلافه فهم يعلمون انهم كاذبون • ثم اخبر عن رؤيته صلى الله عليه
وسلم لجبريل عليه السلام وهذا يتضمن انه ملك موجود فى الخارج يرى فى العيان ويدرك
بالبصر خلافا للقوم فحقيقته عندهم انه خيال موجود فى الاذهان لا فى الاعيان وهذا
مما خالفوا فيه جميع الرسل واتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا كان تقرير رؤية
النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل اهم من تقرير رؤيته لربه تبارك وتعالى فان رؤيته عليه السلام

لجبريل

لجبريل هى اصل الايمان الذى لا يتم الا باعتقادها ومن انكرها كفر قطعا • واما رؤيته
لربه تعالى فغايتها ان تكون مسئلة نزاع لا يكفر جاحدها بالاتفاق • وقد صرح جماعة
من الصحابة بانه لم يره فنحن الى تقرير رؤيته لجبريل احوج منا الى تقرير رؤيته لربه تعالى
وان كانت رؤيته الرب سبحانه اعظم من رؤيته جبريل فان النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها
البتة ثم نزه رسوليه كليهما صلى الله عليهما وسلم احدهما بطريق النطق والثانى بطريق
اللزوم عما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان الذى هو الضنة والبخل والتغيير والتبديل
الذى يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين فان الرسالة لا يتم مقصودها الا
بامرين اداؤها من غير كتمان واداؤها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان والقراءتان
كالآيتين فتضمنت احداهما وهى قراءة الضاد تنزيهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال
ضننت به اضن بوزن بخلت ابخل ومعناه • وقال ابن عباس ليس ببخيل بما انزل الله
وقال مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم واجمع المفسرون على ان الغيب ههنا القرآن والوحى
قال الفراء يقول الله تعالى يأتيه غيب من السماء وهو منفوس فيه فلا يضن به عليكم وهذا
معنى حسن جدا فان عادة النفوس الشح بالشئ النفيس ولا سيما عمن لا يعرف قدره ومدح
الرسول صلى الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحى الذى هو انفس شئ واجله • وقال ابو على
الفارسى المعنى يأتيه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده
ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا • واما قراءة من قرأ بظنين بالظاء فمعناه بمتهم يقال ظننت زيدا
بمعنى اتهمته وليس هو من الظن الذى هو الشعور والادراك فان ذلك يتعدى الى
مفعولين والمعنى وما هذا الرسول على القرآن بمتهم بل هو امين فيه لا يزيد فيه ولا ينقص
منه وهذا يدل على ان الضمير فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف
الرسول الملكى بالامانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو اى وما صاحبكم
بمتهم ولا بخيل فنفى سبحانه عن رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وزكى سند القرآن اعظم
تزكية والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وقال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا
تبصرون انه لقول رسول كريم الآية اقسم تعالى بالاشياء كلها ما يبصرون منها وما لا
يبصرون وهذا اعم قسم وقع فى القرآن فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا
والآخرة وما يرى وما لا يرى من آياته ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وان ما جاء
به هو من عند الله تعالى وهو كلامه تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن وان حقيقته ثابتة
كما ان سائر الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال تعالى فورب السماء والارض
انه لحق مثل ما انكم تنطقون فكأنه سبحانه وتعالى يقول ان القرآن حق كما ان ما
تشاهدونه من الخلق وما لا تشاهدونه حق موجود وكفى بالانسان مع جميع ما يبصره
وما لا يبصره نفسه ومبدأ خلقه ونشأته وما يشاهده من احواله ظاهرا وباطنا ففى ذلك
ابين دلالة على وحدانية الرب سبحانه وثبوت صفاته وصدق ما اخبر به رسوله صلى الله

عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الايمان قلبه ثم اقام سبحانه
البرهان القاطع على صدق رسوله وانه لم يتقول عليه فيما قاله وانه لو تقول عليه وافترى
لما اقره ولعاجله بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته وحكمته تابى ان يقر من تقول عليه
وافترى عليه واضل عباده واستباح دما من كذبه وحريمهم واموالهم فكيف يليق باحكم
الحاكمين واقدر القادرين ان يقر على ذلك بل كيف يليق به ان يؤيده وينصره ويعليه
ويظهره ويظفره ويسفك دماءهم ويستبيح اموالهم واولادهم ونساءهم قائلا ان
الله امرني بذلك واباحه لي بل كيف يليق به ان يصدقه بانواع التصديق كلها باقراره
وبالآيات المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بانواعها كلها على اختلافها فكل آية على انفرادها
مصدقة له ثم يقيم الدلالة القاطعة على ان هذا قوله وكلامه فيشهد له باقراره وفعله
وقوله فمن اعظم المحال وابطل الباطل وابين البهتان ان يجوز على احكم الحاكمين ان يفعل
ذلك. والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قدمته لانه كما قال انه لقول
رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل
عليه السلام بالشعر والكهانة **ومن ذلك** قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه
لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون قيل المراد
بالكتاب المكنون اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب الذي بايدي الملائكة
وهو المذكور في قوله تعالى في صحف مطهرة بايدي سفرة كرام بررة قال مالك احسن ما
سمعت في هذه انها مثل الذي في عبس وقال ومن المفسرين من قال ان المراد ان المصحف لا يمسه
الا الطاهر والاول ارجح لان الآية سيقت تنزيها للقرآن ان تنزل به الشياطين وان
محله لا يصل اليه كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون
وايضا فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا
ومن حمل الآية على النهي احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي والاصل في الخبر
والنهي حمل كل منهما على حقيقته وليس ههنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي
انتهى ملخصا. وهذا الذي قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بانه يجوز
مس المصحف للمحدث وقد اجاب ابن الرفعة في الكفاية عن ادلتهم المزخرفة فقال
ما نصه القرآن لا يصح مسه فعلم ان المراد به الكتاب الذي هو اقرب المذكورين ولا ينتقض
النهي الى اللوح المحفوظ لانه غير منزول ومسه غير ممكن ولا يمكن ان يكون المراد بالمطهرين
الملائكة لانه قد نفى واثبت فكانه قال يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين ولسماء
ليس فيها غير مطهر بالاجماع فعلم انه اراد المطهرين من الآدميين. ويبين ذلك ما روي
انه عليه الصلوة والسلام قال في كتاب عمرو بن حزم المروي في الدارقطني وغيره ولا يمس
القرآن الا وانت على طهر ثم قال فان قيل قد قال الواحدي ان اكثر اهل التفسير على ان
المراد اللوح المحفوظ وان المطهرين الملائكة ثم لو صح ما قلتم لم يكن فيها دليل لان قوله

لا يمسه

لا يمسه بضم السين ليس بنهي عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر قلنا
اما قول اكثر المفسرين فهو معارض بقول الباقين والمرجع الى الدليل ولئن سلمنا كون المراد
بالآية الخبر فجوابه انا نقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهي وهو كثير في القرآن
قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها والمطلقات يتربصن انتهى **واجاب**
العلامة البسطامي في شرح لمختصر الشيخ خليل بان يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضمير
كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب البصريين ومنهم ابن الحاجب في شافيته انتهى **وقد**
ذكر هذا العلامة شهاب الدين احمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي المشهور بالسمين
مع زيادة ايضاح وفوائد فقال في لا هذه وجهان الثاني انها ناهية والفعل بعدها
مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم
ولما ادغم حرك آخره بالضمة لاجل هاء ضمير المذكر الغائب ولم يحفظ سيبويه في هذا
الا الضم وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم وان كان القياس فتحه تخفيفا قال
وبهذا الذي ذكرته يظهر فساد رد من رد بانه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح
لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء في هذا النحو لا سيما على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره

الفصل الرابع

في قسمه تعالى على تحقق رسالته قال الله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين
على صراط مستقيم الآية **اعلم** ان كل سورة بدأ الله فيها بحروف التهجي كان في اوائلها الذكر
او الكتاب او القرآن الا نون. ثم ان في ذكر هذه الحروف في اوائل السور امورا تدل على انها
غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا ان كشف الله له سر ذلك **واختلف**
المفسرون في معنى يس على اقوال احدها انه يا انسان بلغة طي هذا قول ابن عباس
والحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل بلغة الحبشة وقيل بلغة كلب وحكى
الكلبي انها بالسريانية **قال** الامام فخر الدين وتقريره هو ان تصغير انسان انيسين
وكانه حذف الصدر منه واخذ العجز وقال يس وعلى هذا فيكون الخطاب مع محمد صلى الله
عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين وتعقبه ابو حيان بان الذي نقل عن
العرب في تصغير انسان انيسيان بياء بعدها الف فدل على ان اصله انسيان لان التصغير
يرد الاشياء الى اصولها ولا نعلم انهم قالوا في تصغيره انيسين وعلى تقدير انه يصغر كذلك
فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم لانه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه
تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة انتهى **وقال** السمين وهذا الاعتراض الاخير صحيح
فقد نصوا على ان التصغير لا يدخل في الاسماء المعظمة شرعا ولذلك يحكى عن ابن قتيبة
لما قال في المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب
من الكفر فليتق الله قائله انتهى وقيل معنى يس يا محمد قاله ابن الحنفية والضحاك وقيل

يا رجل قاله ابو العالية وقيل هو اسم من اسماء القرآن قاله قتادة وعن ابي بكر الوراق
يا سيد البشر وعن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه
من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى وعن طلحة عن ابن عباس انه قسم اقسم الله به وهو من
اسمائه وعن كعب اقسم الله به قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام يا محمد انك لمن
المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست
مرسلا فاقسم الله تعالى باسمه وكتابه انك لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى طريق مستقيم
من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى
لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له صلى الله عليه وسلم

الفصل الخامس

في قسمه تعالى بمدة حياته صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده قال الله تعالى لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون العمر والعمر واحد ولكنه في القسم يفتح لكثرة الاستعمال فاذا اقسموا
قالوا لعمرك القسم قال النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى
قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه الفعل نحو تالله
لافعلن والمعنى احلف بالله فحذف احلف لعلم المخاطب بانك حالف قال الزجاج من
قال لعمر الله كانه حلف ببقاء الله ومن ثم قال المالكية والحنفية ينعقد بها اليمين لان
بقاء الله من صفات ذاته وعن مالك لا يعجبني الحلف بذلك وقال الامام الشافعي
واسحاق لا يكون يمينا الا بالنية وعن احمد كالمذهبين والراجح عنده كالشافعي واختلف
فيمن المخاطب في الآية على قولين احدهما ان الملائكة قالت للوط عليه السلام لما وعظ قومه
وقال هؤلاء بناتي لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اي يتحيرون فكيف يعقلون قولك
ويلتفتون الى نصيحتك والثاني ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه تعالى
اقسم بحياته وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض قال ابن عباس ما
خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله اقسم
بحياة احد غيره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك
وبقائك في الدنيا انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير ومراده بقوله وما سمعت الله
المتلو في الكتب المنزلة ورواه البغوي في تفسيره بلفظ وما اقسم الله بحياة احد الا بحياته
وما اقسم بحياة احد غيره وذلك يدل على انه اكرم خلق الله عز وجل على الله تعالى وعلى
هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط قال
القرطبي واذا اقسم الله تعالى بحياة نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان نحلف
بحياته وقد قال الامام احمد فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم تنعقد به يمينه وتجب
الكفارة بالحنث واحتج بانه صلى الله عليه وسلم احد ركني الشهادة وقال ابن خويز منداد

واستدل

واستدل لمن جوز الحلف به عليه الصلوة والسلام بان ايمان المسلمين جرت من عهده
صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا به صلى الله عليه وسلم حتى ان اهل المدينة الى يومنا هذا
اذا خاصم احدهم صاحبه وقال احلف لي بحق ما حواه صاحب هذا القبر وبحق ساكن هذا
القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
الآية اقسم تعالى بالبلد الامين وهو مكة ام القرى وهو بلده عليه السلام وقيده بحلوله
عليه السلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله قاله البيضاوي
ثم اقسم بالوالد وما ولد وهو فيما قيل ابرهيم واسمعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا فتضمن السورة القسم به في موضعين وقيل المراد به آدم وذريته وهو قول الجمهور
من المفسرين وانما اقسم تعالى به لانه اعجب خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق
واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما في الارض
من مخلوق خلق لاجلهم وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فمرجع البلاد
الى مكة ومرجع العباد الى آدم وقوله وانت حل من الحلول ضد الظعن فيتضمن اقسامه تعالى
ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل الله كعبته
بيته هدى للناس ونبيه اماما وهاديا لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه وقيل
المعنى وانت مستحل قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذي يامن فيه الطير والوحش
وقد استحل فيه قومك حرمتك وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد وعن قتادة وانت حل
اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى يفتح عليه مكة واهلها
وما فتحت على احد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة
وغيره وحرم دار ابي سفيان فان قلت هذه السورة مكية وانت حل بهذا البلد اخبار
عن الحال والواقعة التي ذكرت في آخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين اجيب
بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبل كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وعلى كل حال
فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله عليه السلام ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم وقد
روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد وقال
تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر اختلف في تفسير العصر على اقوال فقيل هو الدهر لانه
مشتمل على الاعاجيب لانه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم وغير ذلك وذكر العصر
الذي بمضيه ينقضي عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك عين الخسران ولله در القائل

انا لنفرح بالايام نقطعها ... وكل يوم مضى نقص من الاجل

وفي تفسير الامام فخر الدين ووافقه عليه البيضاوي وغيرهما انه اقسم بزمان الرسول
صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازي واحتجوا له بقوله صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل
من كان قبلكم مثل رجل استأجر اجراء فقال من يعمل لي من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود

ثم قال من يعمل لى من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لى من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تعالى وهل نقصتكم من اجركم شيئا قالوا لا قال فذلك فضلى اوتيه من اشا فكنتم اقل عملا واكثر اجرا رواه البخارى قالوا فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره الذى هو فيه فيكون على هذا اقسم تعالى بزمانه فى هذه الآية وبمكانه فى قوله وانت حل بهذا البلد وبعمره فى قوله لعمرك فكانه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف قال ووجه القسم كانه تعالى قال انما اعظم خسرانهم اذا عرضوا عنك انتهى

النوع السادس

فى وصفه تعالى له عليه الصلوة والسلام بالنور والسراج المنير اعلم ان الله تعالى قد وصف رسوله صلى الله عليه وسلم بالنور فى قوله تعالى قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وقيل المراد القران ووصفه عليه السلام بالسراج المنير فى قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا والمراد كونه هاديا مبينا كالسراج يرى الطريق ويبين الهدى والرشاد فبيانه اقوى واتم وانفع من نور الشمس واذا كان كذلك وجب ان تكون نفسه القدسية اعظم فى النورانية من الشمس فكما ان الشمس فى عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبى صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية لساير الانفس البشرية وكذلك وصف الله الشمس بانها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وكما وصف الله تعالى رسوله بانه نور وصف نفسه المقدسة بذلك فقال الله نور السموات والارض فليس فيهما نور الا الله ونوره القدسى هو سر الوجود والحيوة والجمال والكمال وهو الذى اشرق على العالم فاشرق على العوالم الروحانية وهم الملائكة فصارت سرجا منيرة يستمدون منها من دونها بجود الله ثم سرى النور الى عالم النفوس الانسانية ثم طرحته النفوس الى صفحات الجسوم فليس فى الوجود الا نور الله السارى الى الشى منه بقدر قبوله ووسع استعداده ووجب تلقيه والنور فى الاصل كيفية يدركها الباصرة اولا وبوساطتها ساير المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين الشمس والقمر على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او بمعنى منور السموات والارض فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنهما من الانوار وبالملائكة والانبيا من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور ويؤيد هذا القول قراءة على بن ابى طالب وزيد بن على وغيرهما نور فعلا ماضيا والارض بالنصب وقوله مثل نوره اى مثل هداه سبحانه وتعالى واضاف النور الى السموات والارض اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضائته حتى تضئ له السموات والارض واما لارادة اهل السما والارض وانهم يستضيئون به وعن مقاتل اى مثل الايمان فى قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صدر عبد الله

والزجاجة نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح نظير الايمان والنبوة فى قلب محمد وعن غيره المشكاة نظير ابرهيم والزجاجة نظير اسمعيل عليهما السلام والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة وعن ابى سعيد الخراز المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذى جعل الله فى قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن جبير النور الثانى هنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن سهل ابن عبد الله مثل نور محمد اذ كان مستودعا فى الاصلاب بمشكاة صفتها كذا وكذا واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره اى كانه كوكب درى لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اى من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضئ اى تكاد نبوة محمد تبين للناس قبل كلامه حكى هذا القول الاخير القاضى ابو الفضل اليحصبى والفخر الرازى لكنه عن كعب الاحبار وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحى قال عبد الله بن رواحة لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر لكن التفسير الاول فى هذه الآية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الآية ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات فاذا كان المراد بقوله مثل نوره اى مثل هداه كان ذلك مطابقا لما قبله

النوع السابع

فى آيات تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله وقال تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين قال القاضى عياض فجعل طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله يعنى من اطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق احكام الله فهو فى الحقيقة ما اطاع الا الله وذلك فى الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا فان من اعماه الله عن الرشد فما ضل عن الطريق فان احدا من الخلق لا يقدر على ارشاده وهذه الآية من اقوى الادلة على ان الرسول معصوم فى جميع الاوامر والنواهى وفى كل ما يبلغه عن الله عز وجل لانه لو اخطا فى شئ منها لم تكن طاعته طاعة الله وايضا وجب ان يكون معصوما فى جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته فى قوله تعالى فاتبعوه والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير فثبت ان الانقياد له فى جميع اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل طاعة لله وانقياد الحكم الله تعالى قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين الآية وهذا عام فى المطيعين لله من اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام فى المعية فى هذه الدار وان فاتت فيها معية الابدان وقد ذكروا فى سبب نزول هذه الآية ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بى وجع غير انى اذا لم اراك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة حتى القاك فذكرت الاخرة بحيث لا اراك هناك لانى ان دخلت الجنة فانت تكون فى درجات النبيين وان انا لم ادخل الجنة فحينئذ لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية **وذكر** ابن ابى حاتم عن ابى الضحى عن مسروق قال اصحاب محمد يا رسول الله ما ينبغى لنا ان نفارقك فانك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله الاية **وذكر** عن عكرمة مرسلا قال اتى فتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لنا منك نظرة فى الدنيا ويوم القيمة لا نراك فانك فى الجنة فى الدرجات العلى فانزل الله هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت معى فى الجنة **وذكر ايضا** فيها روايات اخرى تاتى ان شاء الله تعالى فى مقصد محبته عليه السلام لكن قال المحققون لا تنكر صحة هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه الاية يجب ان يكون شيئا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم ان خصوص السبب لا يقدح فى عموم اللفظ فهذه الاية عامة فى حق جميع المكلفين وهو ان كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عند الله تعالى ثم ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول انه يكفى الاكتفاء بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفى فى جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة لكن لا بد ان يحمل على غير ظاهره وان تحمل الطاعة على فعل المامورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل فيه الفساق والكفار لانهم قد ياتون بالطاعة الواحدة **قال** الرازى قد ثبت فى اصول الفقه ان الحكم المذكور عقيب الصفة مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف **واذا ثبت هذا** فنقول قوله من يطع الله اى فى كونه الها هى معرفته والاقرار بجلاله وعزته وكبريائه وصمديته فصارت هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد فالاول ان منشا جميع السعادات يوم القيمة اشراق الروح بانوار معرفة الله فكلما كانت هذه الانوار فى قلبه اكثر وصفاؤها اقوى كان الى السعادة اقرب والى الفوز بالنجاة اولى والثانى ان الله تعالى ذكر فى الاية السابقة وصف اهل الطاعة بالاجر العظيم والثواب الجسيم ثم ذكر فى هذه الاية وعدهم بكونهم مع النبيين وليس المراد بكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل فى درجة واحدة لان هذا يقتضى التسوية فى الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم فى الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الرؤية والتلاقى قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية **وقد ثبت** وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المرء من احب وثبت ايضا انه قال ان بالمدينة اقواما

ما سرتم

ما سرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا الا وهم معكم حبسهم العذر فالمعية والصحبة الحقيقية انما هو بالسر والروح لا بمجرد البدن فهى بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشى معه صلى الله عليه وسلم ومن اقرب الناس اليه وهو بين النصارى بارض الحبشة وعبد الله ابن ابى معه بعد الخلق عنه وهو معه فى المسجد وذلك ان العبد اذا اراد بقلبه امرا من طاعة او معصية او شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنه وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم **وقال تعالى** قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذه الاية الشريفة تسمى اية المحبة قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله اية المحبة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله اشارة الى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فلا محبة لكم حاصلة ومحبته لكم منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله عليه السلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فلا محبة لكم حاصلة بانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على ان متابعة الرسول هى حب الله ورسوله وطاعة امره ولا يكفى ذلك فى العبودية حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما فلا يكون شىء احب اليه من الله ورسوله ومتى كان شىء عنده احب اليه منهما فهذا هو الشرك الذى لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله تعالى قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين فكل من قدم طاعة احد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله او قول احد منهم على قول الله ورسوله او مرضاة احد منهم على مرضاة الله او خوف احد منهم او رجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه او معاملة احد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان قاله بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه انتهى ملخصا من كتاب مدارج السالكين وسيأتى مزيد لذلك ان شاء الله تعالى فى مقصد محبته عليه السلام **وقال تعالى** فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اى الى الصراط المستقيم فجعل رجاء الاهتداء اثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو فى الضلالة فكل ما اتى به الرسول عليه السلام يجب علينا الا ما خصه الدليل **قال تعالى** فآمنوا بالله ورسوله

والنور الذي انزلنا يعني القرآن فالايمان به واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح
اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
اي ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا اعتدنا للكافرين سعيرا وقال
تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية معناه فوربك كقوله
فوربك لنسألنهم اجمعين ولا مزيدة للتاكيد لمعنى القسم كما في لئلا يعلم ولا يؤمنون
جواب اقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن احد حتى يحكم رسوله
في جميع اموره ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له ظاهرا وباطنا سواء كان الحكم بما
يوافق اهواءهم او يخالفها كما ورد في الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم
حتى يكون هواه تابعا لما جئت به وهذا يدل على ان من لم يرض بحكم الرسول صلى
الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا وعلى انه لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب وذلك بان
يحصل الجزم واليقين في القلب بان الذي يحكم به عليه السلام هو الحق والصدق
فلا بد من الانقياد باطنا وظاهرا وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد
محبته عليه الصلوة والسلام ثم ان ظاهر هذه الآية يدل على انه لا يجوز تخصيص
النص بالقياس لانه يدل على انه يجب متابعة قوله وحكمه وعلى انه لا يجوز العدول عنه
الى غيره وقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت مشعر بذلك لانه متى خطر
بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين تعالى انه
لا يكمل ايمانه الا بعد ان يلتفت الى ذلك الحرج ويسلم الى النص تسليما كليا قال الامام
فخر الدين وجوز غيره تخصيص الكتاب والسنة بالقياس وبه صرح العلامة التاج
ابن السبكي في جمع الجوامع

النوع الثامن

فيما يتضمن الادب معه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فمن الادب ان لا يتقدم بين يديه بامر ولا نهي
ولا تصرف حتى يامر وينهى ويأذن كما امر الله تعالى بذلك في هذه الآية وهذا باق
الى يوم القيمة لم ينسخ فالتقدم بين يدي سنته كالتقدم بين يديه في حياته لا فرق
بينهما عند ذي عقل سليم قال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢
بشيء حتى يقضيه الله على لسانه وقال الضحاك لا تقضوا امرا دون رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال غيره لا تامروا حتى يامر ولا تنهوا حتى ينهى وانظر ادب الصديق
رضي الله عنه معه عليه الصلوة والسلام في الصلوة اذ تقدم بين يديه كيف تاخر
وقال ما كان ينبغي لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف اورثه مقامه والامامة بعده فكان ذلك التاخر الى خلفه وقد اومأ اليه ان
اثبت مكانك سعيا الى قدام بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام ينقطع فيها اعناق

المطي

المطي ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق صوته كما قال
تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض قال الرازي افاد انه لا ينبغي ان لا يتكلم المؤمن عنده صلى الله
عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده لان العبد داخل في قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض
لانه للعموم فلا ينبغي ان يجهر المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد للسيد والا
كان قد جهر كما يجهر بعضكم لبعض قال ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم والسيد ليس اولى عند عبده من نفسه حتى لو كان في مخمصة ووجد
العبد ما لو لم ياكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم
ولو علم العبد ان بموته ينجو سيده لا يلزمه ان يلقي نفسه في التهلكة لانجاء سيده ويجب
لانجاء النبي صلى الله عليه وسلم فكما ان العضو الرئيس اولى بالرعاية من غيره لان عند
خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين استقامة فلو حفظ الانسان نفسه وترك
النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو ايضا بخلاف العبد والسيد انتهى واعلم ان في الرفع والجهر
استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة
وروى ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا اكلمك
الا كاخي السرار وان عمر رضي الله عنه كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع النبي
صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه وقد روى ان ابا جعفر امير المؤمنين
ناظر مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع
صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الآية وذم قوما فقال
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها
ابو جعفر واذا كان رفع الصوت فوق صوته موجبا لحبوط الاعمال فما الظن برفع الآراء
ونتائج الافكار على سنته وما جاء به ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل
دعاءه كدعاء بعضنا بعضا قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
وفيه قولان للمفسرين احدهما انكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا يا رسول
الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع فعلى هذا المصدر مضاف الى المفعول اي دعاءكم
الرسول والثاني ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء اجاب
وان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة فان
المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة فعلى هذا المصدر مضاف الى
الفاعل اي دعاءه اياكم وقد تقدم في الخصائص من المقصد الرابع عن مذهب الشافعي
ان الصلوة لا تبطل باجابته صلى الله عليه وسلم ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم
اذا كانوا معه على امر جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب احد منهم مذهبا في حاجة له حتى

يستاذنه كما قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فاذا كان هذا مذهبا مقيدا لحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين اصوله وفروعه ودقيقه وجليله هل يشرع الذهاب اليه بدون استيذانه فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل قوله بل تستشكل الآرا بقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى لنصوصه ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يخالف تسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ولا يتوقف قبول ما جاء به على موافقة احد فكل هذا من قلة الادب معه وهو عين الجرأة

ومن الادب معه

صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له والانقياد لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون ان يحمل معارضة خيال باطل تسميه معقولا او تسميه شبهة او شكا او تقدم عليه آرا الرجال وزبالات اذهانهم فيوحد التحكيم والتسليم والانقياد والاذعان كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والانابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد المرسل وتوحيد المتابعة فلا تحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره انتهى ملخصا من المدارج والقرآن مملو بالآيات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فليراجع

النوع التاسع

في آيات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة على عدوه صلى الله عليه وسلم ترفيعا لشأنه

قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون لما قال المشركون يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون اجاب تعالى عنه عدوه بنفسه من غير واسطة وهكذا سنة الاحباب فان الحبيب اذا سمع من يسب حبيبه تولى بنفسه منتصرا له جوابه فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم بنفسه منتصرا له لان نصرته تعالى له اتم من نصرته وارفع لمنزلته ورده ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده فاقسم تعالى بما اقسم به من عظيم آياته على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما غمصته اعداؤه الكفرة وتكذيبهم له بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون وسيعلم اعداؤه المكذبون له انهم المفتونون هو وهم وقد علموا هم والعقلاء ذلك في الدنيا ويزداد علمهم به في البرزخ وينكشف ويظهر كل الظهور في الآخرة بحيث يتساوى الخلق كلهم في العلم به وقال تعالى وما صاحبكم بمجنون ولما رأى العاص بن وائل السهمي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من ذا الذي كنت تحدث معه قال ذاك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة فرد الله تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير ولما

قالوا

قالوا افترى على الله كذبا قال الله تعالى بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ولما قالوا لست مرسلا اجابه الله تعالى عنه فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين ولما قالوا أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون رد الله تعالى عليهم فقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم ولما قال ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون رد الله تعالى عليهم بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين ولما حكى الله تعالى عنهم قولهم ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاؤا ظلما وزورا وقال قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولما قالوا انما يلقيه اليه شيطان قال الله تعالى وما تنزلت به الشياطين الآية ولما تلى عليهم نبأ الاولين والآخرين قال النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين قال الله تعالى تكذيبا لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولما قال الوليد بن المغيرة ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر قال الله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون تسلية له عليه السلام ولما قالوا ان محمدا قلاه ربه فرد الله تعالى عليهم بقوله ما ودعك ربك وما قلى ولما قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق قال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق ولما حسدتنا اعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا انما همته الا النكاح رد الله تعالى عليهم عن رسوله ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذي حكى الله تعالى عنهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وجهلوا ان التجانس يورث التوانس وان التخالف يورث التباين قال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون رسلهم من الملائكة فما اجل هذه الكرامة وقد كانت الانبياء انما يدافعون عن انفسهم ويردون على اعدائهم كقول نوح عليه السلام يا قوم ليس بي ضلالة وقول هود ليس بي سفاهة واشباه ذلك

النوع العاشر

في ازالة الشبهات عن آيات وردت في حقه عليه الصلوة والسلام مشكلات متشابهات

قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى اعلم انه قد اتفق العلماء على انه صلى الله عليه وسلم ما ضل لحظة واحدة قط وهل هو جائز عقلا على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جائز عقلا لما فيه من التنفير وعند اصحابنا انه جائز في العقول ثم يكرم الله من اراد بالنبوة الا ان هذا الدليل السمعي قام على ان هذا الجائز لم يقع قال الله

تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قال الامام فخر الدين وقال الامام ابو الفضل اليحصبي في
الشفا والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء
من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار على ان الانبيا تنزيههم عن هذه النقيصة
منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف
السعادة ولم ينقل احد من الاخباريين ان احدا نبي واصطفى ممن عرف بكفر واشراك
قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل ثم قال وقد استبان لك بما قررناه ما هو الحق
من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء
من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررنا
من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف
القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا
ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر
تحقيقا وعن استدامة الغفلة والسهو واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة
وعصمته في كل حالاته من رضا وغضب وجد ومزح ما يجب لك ان تتلقاه باليمين
وتشد عليه يد الضنين فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل
عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هو عليه ولا ينزهه
عما لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل
من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار وقد
استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم
وسيرتهم مطلقا وجمهور الفقها على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة
في غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك فلو جوزنا عليهم الصغائر
لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده من القربة والاباحة
والحظر والمعصية انتهى واختلف في تفسير هذه الاية على وجوه كثيرة احدها وجدك
ضالا عن معالم النبوة وهو مروي عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب
ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي ما كنت تدري قبل الوحي
ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان قاله السمرقندي وقال بكر القاضي
ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام فقد كان عليه السلام قبل مؤمنا بتوحيده ثم
نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسياتي آخر هذا النوع
مزيد لذلك ان شا الله تعالى الثاني من معنى قوله ضالا ما روى مرفوعا مما ذكره الامام
فخر الدين انه قال عليه السلام ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع يقتلني
فهداني الله الثالث يقال ضل الما في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الاية كنت مغمورا
بين الكفار بمكة فقواك الله حتى اظهرت دينه الرابع ان العرب تسمي الشجرة الفريدة

في الفلاة ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان
بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة في مفازة الجهل الخامس قد يخاطب السيد
والمراد قومه اي وجد قومك ضالين فهداهم الله بك وبشرعك السادس اي محبا
لمعرفتي وهو مروي عن ابن عطا والضحاك والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك
القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا
السابع اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج بشيء مما يجب ان يقال بسبب
الهيبة فهداه الله تعالى الى كيفية الثناء حتى قال لا احصي ثناء عليك الثامن اي وجدك
بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم التاسع اي وجدك
متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه كقوله وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس
وهذا مروي عن الجنيد العاشر عن علي انه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بعدها
بشيء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى باعلا مكة لو حفظت
لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى اتيت اول دار من دور اهل
مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فنمت فما
ايقظني الا مس الشمس ثم قلت اخرى مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس
ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى اكرمني الله برسالته واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك فقد احتج بها جماعة من الفقها والمحدثين والمتكلمين المجوزين للصغائر
على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وبظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم كما قال القاضي عياض الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف
وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه
وجاءت الاقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا
وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الادلة على خطا قولهم وصحة غيره وجب
تركه والمصير الى ما صح انتهى وقد اختلف في هذه الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه
ان الظهر اذا اثقله الحمل سمع له نقيض اي صوت كصوت المحامل والرحال وهذا مثل
لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعباء النبوة وقيل المراد منه تخفيف اعباء
النبوة التي يثقل الظهر القيام بامرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها
فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط ثقلها بان يسرها عليه حتى تيسرت له وقيل الوزر
ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل عليه السلام وكان لا يقدر على منعهم الى
ان قواه الله تعالى وقال اتبع ملة ابراهيم وقيل معناه عصمك من الوزر الذي انقض
ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا ومن ذلك ما في الحديث
انه عليه السلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة فضرب الله على اذنه فما ايقظه
الا حر الشمس من الغد وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا لك ذلك

بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون
به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني
وبين ما اريد ثم ما هممت

وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض
اى كاد ينقضه قال القاضي فيكون المعنى على ما جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي
صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا
فثقلت عليه واشفق منها وقيل انها ذنوب امته صارت كالوزر عليه فامنه الله تعالى
من عذابهم في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ووعده الشفاعة في الآجل
واما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ابن عباس اى انك
مغفور لك غير مؤاخذ بذنب لو كان وقال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع
اى انك مغفور لك وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري
واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه
السمرقندي والسلمي عن ابن عطا وقيل المراد امته وقيل المراد بالذنب ترك الاولى
كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين وترك الاولى ليس بذنب لان الاولى وما
يقابله مشتركان في اباحة الفعل وقال السبكي قد تاملتها يعني الآية مع ما قبلها
وما بعدها فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم
من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه اريد ان يستوعب في الآية جميع انواع النعم من
الله على عباده الاخروية وجميع النعم الاخروية شيئان سلبية وهي غفران الذنوب
وثبوتية وهي لا تتناهى اشار اليها بقوله ويتم نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيئان
دينية اشار اليها بقوله ويهديك صراطا مستقيما ودنيوية وهي قوله وينصرك الله
نصرا عزيزا فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم باتمام انواع نعم الله
تعالى عليه المتفرقة في غيره ولهذا جعل غاية للفتح المبين الذي عظمه وفخمه باسناده الى
نون العظمة وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لك وقد سبق الى نحو هذا
ابن عطية فقال انما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة ثم قال وعلى تقدير جواز
لا شك ولا ارتياب بانه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى واما الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه والتأسي
به في كل ما يفعله من قليل او كثير او صغير او كبير لم يكن عندهم في ذلك توقف ولا بحث
حتى اعماله في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها علم بهم او لم يعلم ومن
تامل احوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيا من الله ان يخطر بباله خلاف ذلك
انتهى واما قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا امر ثم لانه
صلى الله عليه وسلم اتقى الخلق والامر بالشيء لا يكون الا عند عدم اشتغال المأمور
بالمأمور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس ولا للساكت اسكت ولا يجوز عليه ان
لا يبلغ ولا ان لا يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يطيع الكافرين والمنافقين حاشا
الله من ذلك وانما امره الله تعالى بالتقوى توجيها لتنبيه امته الحضور واجاب بعضهم

عن هذا ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله عليه السلام
فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه تركا للافضل فكان له في كل ساعة تقوى تتجدد وقيل
المراد دم على التقوى فانه يصح ان يقال للجالس اجلس ها هنا الى ان آتيك وللساكت
قد اصبت فاسكت تسلم اى دم على ما انت عليه وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد امته ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل واما
قوله تعالى فلا تطع المكذبين فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في امره صلى الله عليه
وسلم ونسبته الى ما نسبوه اليه مع ما انعم الله به عليه من الكمال في الدين والخلق العظيم
اتبعه بما يقوي قلبه ويدعوه الى التشديد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد
وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل ما نزل فقال ولا تطع المكذبين والمراد رؤساء
الكفار من اهل مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله ان يطيعهم وهذا من الله تهييج
للتشديد في مخالفتهم واما قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين
يقرؤون الكتاب من قبلك الآية فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا فقال قوم
المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخرون المخاطب به غيره فاما من قال بالاول
فاختلفوا على وجوه الاول ان الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد
غيره كقوله تعالى اذا طلقتم النساء وكقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وكقوله لعيسى
ابن مريم عليهما السلام أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ومثل هذا
معتاد فان السلطان اذا كان له امير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فاذا اراد ان
يامر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه الى ذلك الامير ليكون ذلك
اقوى تاثيرا في قلوبهم الثاني قال الفراء علم الله تعالى ان رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك
ولكن هذا كما يقول الرجل لولده ان كنت ابني فبرني ولعبده ان كنت عبدي فاطعني
الثالث انه يقال لضيق الصدر شاك يقول ان ضقت ذرعا بما تعاني من تعنتهم واذاهم
فاصبر واسال الذين يقرؤون الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم وكيف
كان عاقبة امرهم من النصر فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان
القرآن مصدق لما فيها وتهييج الرسول عليه السلام وزيادة تثبيته او يكون على سبيل
الفرض والتقدير لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه
الآية والله لا اشك ولا اسال واما الوجه الثاني وهو ان المخاطب غيره صلى الله عليه وسلم
فتقريره ان الناس كانوا في زمانه عليه السلام فرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون له
والمتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال فان كنت في شك
ايها الانسان مما انزلنا اليك من الهدى على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم فاسال اهل
الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهذا مثل قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم ويا ايها الانسان انك كادح واذا مس الانسان ضر فان المراد بالانسان هنا الجنس

لا انسان بعينه فكذا هنا ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل الشك عنهم حذرهم
من ان يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات
الله فتكون من الخاسرين وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل
من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اى فانهم لا يعلمون ذلك او يكون المراد قل لمن
امترى يا محمد لا تكونن من الممترين وانه صلى الله عليه وسلم يخاطب به غيره وقيل
غير ذلك واما قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين فقال
القاضي عياض لا يلتفت الى قول من قال لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء
لجمعهم على الهدى اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على
الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا فى امورهم بسمات الجاهلين وليس فى الآية
دليل على كونه على تلك الصفة التى نهاه عن الكون عليها فامره صلى الله عليه وسلم
بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر
حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامته عليه السلام اى فلا تكونوا من الجاهلين
حكاه ابو محمد مكى قال ومثله فى القرآن كثير وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من فى
الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا وقوله تعالى فان يشا الله يختم
على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبه ذلك فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك
والنبى صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا والله تعالى ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما
قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية وما طردهم عليه السلام
وما كان من الظالمين واما قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله
والذين هم عن آياتنا غافلون وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تخطر
ببالك ولم تقرع سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا واما قوله تعالى واما ينزغنك من
الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم والنزغ اذنى حركة تكون كما قاله الزجاج فامره تعالى انه متى تحرك عليه غضب
على عدوه او رام الشيطان من اغوائه وخواطر اذنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل
اليه ان يستعيذ به تعالى منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر
من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان فى صورة
الملك ويلبس عليه لا فى اول الرسالة ولا بعدها بل لا يشك النبى ان ما ياتيه من الله هو
الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضرورى يخلقه الله له او ببرهان يظهر لديه كما قدمته
فى المقصد الاول عند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته واما قوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته
الآية فاحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين ان التمنى المراد به هنا التلاوة والقاء
الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالى حتى يدخل عليه الوهم والنسيان

فيها

فيما تلاه او يدخل غير ذلك على السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه
ويكشف لبسه ويحكم آياته قاله القاضى عياض وقد تقدم فى المقصد الاول مزيد لذلك
فى الشفا واما قوله عليه السلام حين نام عن الصلوة يوم الوادى ان هذا واد
به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين
امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبى حتى نام
فاعلم ان تسلط الشيطان فى ذلك الوادى انما كان على بلال الموكل بصلوة الفجر هذا ان
جعلنا قوله هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة اما ان جعلناه تنبيها
على سبب الرحيل من الوادى وعلة لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم
فلا اعتراض به فى هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله قال واما قوله تعالى عبس
وتولى ان جاءه الاعمى الآيات فليس فيها اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك
المتصدى له ممن لا يتزكى فان الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين لاختيار الاقبال
على الاعمى وفعل النبى صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله
وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه
من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله
وما عليك ان لا يزكى اى ليس عليك باس فى ان لا يزكى بالاسلام اى لا يبلغن بك الحرص
على اسلامهم ان تعرض عمن اسلم بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ وقد كان
ابن ام مكتوم يستحق التاديب والزجر لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول
صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات وشدة
اهتمامه عليه السلام بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه السلام ايذاء له عليه السلام
وذلك معصية عظيمة فثبت ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذى
فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين وقد كان عليه السلام ماذونا
له فى تاديب اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب عماه استحق مزيد الرفق واما قوله تعالى
عفا الله عنك لم اذنت لهم الآية فروى ابن ابى حاتم عن مسعر عن عون قال هل سمعتم
بمعاتبة احسن من هذا ابدا بالعفو قبل المعاتبة وكذا قال مورق العجلى وغيره وقال
قتادة عاتبه كما تسمعون ثم انزل التى فى سورة النور فرخص له فى ان ياذن لهم ان شاء
وقال تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم ففوض الامر الى رايه عليه
السلام وقال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما
بشئ اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسرى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون واما قول
بعضهم ان هذه الآية تدل على انه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك
والعفو يستدعى سابقة ذنب وقوله الآخر لم اذنت لهم استفهام بمعنى الانكار فاعلم
انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب ذنبا ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة

الله تعالى في توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمهم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا واما الجواب عن الثاني فيقال اما ان يكون صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير ان يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر عنه ذنب وحاشاه الله من ذلك فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه على جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا وهذا جواب شاف كاف قاطع وعند هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والاكمل بل لم يعد هذا اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن واما قوله تعالى في اسارى بدر ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة الآية الى قوله عظيم فروى مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر سبعون واستشار النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا فقال ابو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني ارى ان تاخذ منهم الفدية فيكون ما اخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى ما رأى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فاخذ منهم الفدا فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابك للذي عرض على اصحابك من الفدا لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله وليس في هذا الالزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين

سائر

سائر الانبياء عليهم السلام فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لغرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسارى معصية وقيل لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي قال جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفدا على ان يقتل منهم العام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين قال القاضي ابو بكر بن العلاء اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان تاويله وافق ما كتب له من احلال الغنائم والفدا وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليه وذلك قبل بدر باربعة من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسارى كان على تاويل وبصيرة على ما تقدم قبل ذلك مثله فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسرارها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب قاله القاضي عياض واما قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية فالمعنى لولا ان ثبتناك لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعتك ان تقرب فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الدواعي اليها للعصمة بتوفيق الله تعالى وحفظه ولو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وقد اعاذه الله من الركون الى اعدائه بذرة من قلبه ومما يعزى للحريري مما يؤيد ذلك قوله

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة	جرت في لساني جرهم وثمود
إذا استعملت في صورة الجحد أثبتت	وإن أثبتت قامت مقام جحود

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو بجودة بحوها وماكادوا يفعلون فقد فعلوا والثاني وهو الثبوت
المنفي بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن اليهم قالوا وهو صلى الله عليه وسلم ثبت قلبه ولم يركن
واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
فالمعنى لو افترى علينا بشيء من عند نفسه لاخذنا بيمينه وقطعنا نياط قلبه واهلكناه
وقد اعاذه الله من التقول عليه فان قلت لامرية انه يعفى للمحب ولصاحب المحاسن
والاحسان العظيم ما لا يعفى لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد … جاءت محاسنه بالف شفيع

ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن والاحسان الاكبر فما هذه
العقوبة المضاعفة والتشديد الشديد الواردان وقع منه ما يكره وكم من راكن الى اعدائه ومتقول
عليه من قبل نفسه لم يعبأ به كارباب البدع ونحوهم فالجواب انه لا تنافي بين الامرين
فانه من كملت عليه وخصه منها بما لم يختص به غيره واعطاه منها ما لم يعط غيره فحباه بالانعام
وخصه بمزيد القرب والاكرام فنفسه حال من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص ان تراعي
مرتبته من اذى مشوش وقاطع فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه
على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه اتم ونعمه عليه اكمل فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره
فهو اذا غفل واخل بمقتضى مرتبته نبه عليه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا يسامح
به ذلك ايضا فيجتمع في حقه الامران واذا اردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع
شاهد بذلك فان الملك يسامح خاصته واولياءه بما لا يسامح به من ليس في منزلتهم ويؤاخذهم
بما لا يؤاخذ به غيرهم وانت اذا كان لك عبدان او ولدان احدهما احب اليك من الآخر
واقرب الى قلبك واعز عليك عاملته بهذين الامرين واجتمع في حقه المعاملتان بحسب قربه منك
وحبك له وعزته فاذا نظرت الى كمال احسانك اليه واتمام نعمك عليه فتقتضي معاملته بما لا
تعامل به من دونه من التنبيه وعدم الاهمال واذا نظرت الى محبته لك وطاعته وخدمته وكمال
عبوديته ونصحه وهبت له مساوئه وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملتان بحسب ما
بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى في الشرع حيث جعل حد من انعم عليه بالتزويج اذا تعدى
الى الزنا الرجم وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد وكذلك ضاعف الحد على الحر الذي قد ملكه نفسه
واتم عليه نعمته ولم يجعله مملوكا لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم تحصل له هذه النعمة
نصف ذلك فسبحان من بهرت حكمته في خلقه فلله سر تحت كل لطيفة فاخو البصائر غائص متغفل
انتهى ملخصا واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقيل معناه ما كنت تدري
الايمان على التفصيل الذي شرع لك في القرآن وقال ابو العالية هو بمعنى الدعوة الى الايمان لانه
كان قبل الوحي لا يقدر ان يدعو الى الايمان بالله تعالى وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان
حين كان في المهد وقبل البلوغ حكاه الماوردي والواحدي والقشيري وقيل انه من باب
حذف المضاف اي ما كنت تدري اهل الايمان اي من الذي يؤمن ابو طالب والعباس وغيرهما

وقيل

وقيل المراد به شرائع الايمان ومعالمه وهي كلها ايمان وقد سمى الله الصلوة ايمانا بقوله
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى البيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد
الخصوص قاله ابن قتيبة وابن خزيمة وقد اشتهر في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان
يوحد الله ويبغض الاوثان ويحج ويعتمر وقد روى ابو نعيم وابن عساكر عن علي
قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قيل هل شربت خمرا قط قال لا
وما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان وقد ورد
ان العرب لم يزالوا على بقايا من دين اسمعيل كحج البيت والختان والغسل من الجنابة وكان
عليه الصلوة والسلام لا يقرب الاوثان ويعيبها ولا يعرف شرائع الله التي شرعها لعباده
على لسانه فذلك قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد الايمان الذي
هو الاقرار بالله لان آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون مع شركهم والله اعلم

في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته وفرض محبة آله واصحابه وقرابته
وعترته وحكم الصلوة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه **وفيه ثلاثة فصول**

الاول في وجوب محبته

واتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون واليها
يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح
العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الارواح وقرة العيون وهي الحيوة التي من حرمها
فهو من جملة الاموات والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه
حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهي روح
الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه
تحمل اثقال السائرين الى بلد لم يكونوا الا بشق الانفس بالغيها وتوصلهم الى منازل لم يكونوا
بدونها ابدا واصليها وتبوئهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولا هي داخليها
وهي مطايا القوم التي سراهم في ظهورها دائما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم منازلهم
الاولى من قريب تالله لقد ذهب اهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم
نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من
احب فيا لها من نعمة على المحبين سابغة فقد سبق القوم السعاة وهم على ظهور الفرش نائمون
ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويدا
وتجي في الاول اجابوا مؤذن الشوق اذ نادى حي على الفلاح وبذلوا انفسهم في طلب الوصول الى

ابن هيثم

الباب السابع

محبوبهم وكان بذلهم بالرضى والسماح • ووصلوا إليه المسير بالإدلاج والغدو والرواح • ولقد حمدوا عند الوصول مسراهم وإنما يحمد القوم السرى عند الصباح وقد اختلفوا في المحبة وعباراتهم وإن كثرت فليست في الحقيقة ترجع إلى اختلاف مقال وإنما هي اختلاف أحوال وأكثرها يرجع إلى ثمرتها دون حقيقتها وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذا كقول صاحب منازل السائرين تبعا للجنيد المحبة لا تحد بحد أوضح منها فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الإشارات بحسب الإدراك والمقام والحال وقد وضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة الحاء التي هي من أقصى الحلق والباء الشفهية التي هي نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه وقد أعطوا الحب حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها وأعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها بالضمة وخفة المحبوب وذكره على قلوبهم وألسنتهم فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الألفاظ والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة فإن لها شأنا ليس لسائر اللغات وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهدها والكلام على ما يحتاج إليها فيها فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته وإثبات المحبوب لذاته وهذا من أحكام الفناء في المحبة وهو أن تمحى صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا أتم من هذا لا يدركه إلا من أفناه وارد المحبة عنه وأخذه منه ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وهو لأبي يزيد وهو أيضا من أحكامها وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق لو بذل للمحبوب جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيا منه ولو نال من محبوبه أيسر شيء لاستكثره واستعظمه ومنها استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الأول لكنه مخصوص بما من المحب ومنها معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو أيضا حكم المحبة وموجبها ومنها أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء وهو لسيدنا أبي عبد الله القرشي وهو أيضا من موجبات المحبة وأحكامها والمراد أن تهب إرادتك وعزماتك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبسا في مرضاته ومحابه ولا تأخذ منها لنفسك إلا ما أعطاكه فتأخذه منه له ومنها أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك فإنه ما دامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة ومنها أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك وهو للشبلي ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها أن يكون مثلك ممن

يحبه

يحبه ومنها غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب هيبة وهذا يحتاج إلى إيضاح أما الأول فظاهر وأما الثاني فإن غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل لكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم ومنها ميلك إلى الشيء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك ومنها سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف وأنشد بعضهم • فأسكر القوم دور الكأس بينهم • لكن سكري نشا من رؤية الساقي • ومنها سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام أما سفر القلب في طلبه فهو الشوق إلى لقائه وأما لهج اللسان بذكره فلا ريب أن من أحب شيئا أكثر من ذكره ومنها الميل إلى ما يوافق الإنسان كحب الصورة الجميلة والأصوات الحسنة وغير ذلك من الملاذ التي لا يخلو كل طبع سليم عن الميل إليها لموافقتها أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسته ويكون حبه لذلك لموافقته له من جهة إحسانه إليه وإنعامه عليه فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها كما رواه أبو نعيم في الحلية وأبو الشيخ وغيرهما فإذا كان الإنسان يحب من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا منقطعا أو استنقذه من هلكة أو مضرة لا تدوم فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الأليم ما لا يفنى ولا يحول وإذا كان المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الأخلاق والتكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم ولقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وخلصنا به من نار الجهل إلى جنات المعارف والإيقان فهو السبب لبقاء مهجتنا البقاء الأبدي في النعيم السرمدي فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلينا فلا منة وحياته لأحد بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا فكيف ينهض ببعض شكره أو يقوم من واجب حقه بعض معشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة وأسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده رواه البخاري وقدم الوالد للأكثرية لأن كل أحد له والد من غير عكس وفي رواية النسائي تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس والناس أجمعين وفي صحيح ابن خزيمة من أهله وماله بدل من والده وولده وذكر الوالد والولد أدخل في المعنى لأنهما أعز على العاقل من الأهل والمال بل ربما يكونان أعز من نفسه ولذا لم يذكر النفس في حديث أبي هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص قال الخطابي والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع

وقال النووي فيه تلميح الى قضية النفس الامارة والمطمئنة فان من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حبه بالعكس وفي كلام القاضي عياض ان ذلك شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وتعقبه صاحب المفهم بان ذلك ليس مرادا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل ايمانه والى هذا يومي قول عمر في الحديث الذي رواه البخاري في الايمان والنذور من حديث عبد الله بن هشام ان عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت يا رسول الله احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك قال بعض الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك واما وقوف عمر اولا ثم واستثناؤه نفسه فلان حب الانسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب وانما اراد عليه السلام حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه وعلى هذا فجواب عمر اولا كان بحسب الطبع ثم تامل فعرف بالاستدلال ان النبي صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل الجواب بقوله الآن يا عمر اي الآن عرفت فنطقت بما يجب واذا كان هذا شان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله في محبتنا له ووجوب تقديمها على محبة انفسنا واولادنا ووالدينا والناس اجمعين فما الظن بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وافراده سبحانه وتعالى بها فان الواجب له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه من ذلك كله والشيء قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء احب لذاته من كل وجه الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له تعالى والتاله هو المحبة والطاعة والخضوع ومن علامات الحب المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض الانسان على نفسه ان لو خير بين فقد غرض من اغراضه وفقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كانت ممكنة فان كان فقدها ان لو كانت ممكنة اشد عليه من فقد شيء من اغراضه فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا قال القرطبي كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فمنهم من اخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا في

السهوات

السهوات محجوبا في الغفلات في اكثر الاوقات لكن كثيرا منهم كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على اهله وماله وولده ويبذل نفسه في الامور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات انتهى فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل اليهم من جهته عليه السلام من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى اتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها اعلم وقد روى ابن اسحاق مما حكاه في الشفا ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت ارنيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل يعني صغيرة ورواه البيهقي في الدلائل وذكره صاحب اللباب بلفظ لما قيل يوم احد قتل محمد صلى الله عليه وسلم وكثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امراة من الانصار فاستقبلت بابنها وابيها واخيها وزوجها قتلى لا تدري بايهم استقبلت فكلما مرت باحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا اخوك وابوك وزوجك وابنك قالت ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي انت وامي يا رسول الله لا ابالي اذا سلمت من عطب وكذا رواه ابن ابي الدنيا بنحوه في جزء وقال عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي بن ابي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب نشدتك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الآن عندنا مكانك يضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا وروى مما ذكره القاضي عياض ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه قال وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع بالنظر اليك فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الآية وذكره

البغوى فى تفسيره بلفظ نزلت اى الآية فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى من مرض ولا وجع غير انى اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين وانى ان دخلت الجنة فى منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الآية • وكذا ذكر الواحدى فى اسباب النزول وعزاه للكلبى عن ثوبان قال قتادة قال بعض اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال فى الجنة وانت فى الدرجات العلى ونحن اسفل منك فانزل الله الآية • وذكر ابن ظفر فى ينبوع الحياة بلفظ ان عامر الشعبى قال ان رجلا من الانصار اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له والله يا رسول الله لانت احب الى من نفسى ومالى وولدى واهلى ولولا انى آتيك فاراك لرأيت ان اموت او قال ان سوف اموت وبكى الانصارى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابكاك قال بكيت وذكرت انك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونكون نحن ان دخلنا الجنة دونك فلم يحر النبى صلى الله عليه وسلم اليه بمعنى اى لم يرجع اليه بقول فانزل الله تعالى الآية • قال وذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا وقال هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصارى الذى رأى الاذان • وذكر ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل فى جنة له فاتاه ابنه فاخبره ان النبى صلى الله عليه وسلم قد توفى فقال اللهم اذهب بصرى حتى لا ارى بعد حبيبى محمد احدا فكف بصره **واعلم** انه لا يجتمع فى القلب حبان فان المحبة الصادقة تقتضى توحيد المحبوب فليختر المرء لنفسه احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان فى القلب والانسان عند محبوبه كائنا ما كان كما قيل • انت القتيل باى من احببته • فاختر لنفسك فى الهوى من تصطفى ولبعض الحكما كما ان الغمد لا يتسع لعضبين فكذلك القلب لا يتسع لحبيبين ولذلك لا اقبالك على من تهواه اعراضك عن كل شى سواه فمن داهن فى المحبة او داجا فقد عرض لسدا الغيرة او داجا فمحبة الرسول عليه السلام بل تقديمه فى الحب على الانفس والآبا والابناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله تعالى **وقد** حكى عن ابى سعيد الخراز مما ذكره القشيرى فى رسالته قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله اعذرنى فان محبة الله شغلتنى عن محبتك فقال لى يا مبارك من احب الله فقد احبنى • وقيل ان ذلك وقع لامرأة من الانصار معه صلى الله عليه وسلم يقظة ولابن ابى

المجد

الا يا محب المصطفى زد صبابة	وضمخ لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فانما	علامة حب الله حب حبيبه

وكذلك كل حب فى الله ولله كما فى الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء

لا يحبه

لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار فعلق ذوق الايمان بالرضى بالله ربا وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه احب الاشيا الى العبد هو ورسوله فمن رضى بالله ربا رضيه الله له عبدا ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات فى الدين وتؤثر ذلك على اعراض الدنيا ومحبة العبد لله تعالى تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووى وقال غيره معناه ان من استكمل الايمان علم ان حق الله ورسوله آكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس لان الهدى من الضلال والخلاص من النار انما كان بالله على لسان رسوله وفى قوله عليه السلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن فى الايمان بشى حلو واثبت له لازم ذلك الشى واضافه اليه وفيه تلميح الى قصة المريض والصحيح لان المريض الصفراوى يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ما هى وكلما نقصت الصحة شيأ ما نقص ذوقه بقدر ذلك وقال العارف ابن ابى جمرة واختلف فى الحلاوة هل هى محسوسة او معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقها وحملها قوم على المحسوس وابقوا اللفظ على ظاهره من غير ان يتأولوه وهم اهل الصفة او قال الصوفية قال والصواب معهم فى ذلك والله اعلم لان ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل قال ويشهد الى ما ذهبوا اليه احوال الصحابة والسلف الصالح واهل المعاملات فانه حكى عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال حين صنع به ما صنع فى الرمضا اكراها على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذا ايضا عند موته اهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا وهى حلاوة الايمان ومنها حديث الصحابى الذى سرق فرسه بليل وهو فى الصلوة فرأى السارق حين اخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له فى ذلك فقال ما كنت فيه الذ من ذلك ولا ذاك الا لحلاوة الايمان التى وجدها محسوسة وقد ذلك ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهما صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه من قبل العدو وفقدا قبل فرآهما فكبد الجاسوس القوس ورمى الصحابى فاصابه فبقى على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فاصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فاصابه فعند ذلك ايقظ صاحبه وقال لولا انى خفت على المسلمين ما قطعت صلاتى ولا ذاك الا لشدة ما وجد فيها من الحلاوة حتى اذهبت عنه ما يجده من الم السلاح قال ومثل هذا يحكى عن كثير من اهل المعاملات انتهى وحديث هذين الصحابيين ذكره البخارى فى صحيحه فى باب من لم ير الوضوء الا من المخرجين بلفظ ويذكر عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة ذات الرقاع فرمى رجل بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى فى صلاته وقد وصله ابن اسحاق فى المغازى فقال حدثنى صدقة بن يسار عن عقيل عن جابر عن ابيه مطولا واخرجه احمد وابو داود والدارقطنى وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم كلهم من طريق ابن اسحاق

قال في فتح الباري وشيخه صدوق ثقة وعقيل بفتح العين لا اعرف راويا عنه غير صدقة
ولهذا لم يجزم به البخاري ولكونه اختصره او للخلاف في ابن اسحاق واخرجه البيهقي في الدلائل
من وجه آخر وسمى احدهما عباد بن بشر الانصاري وعمار بن ياسر من المهاجرين والسورة الكهف
وانما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل ۝ وفي قوله وان يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما دليل على انه لا باس بهذه التثنية ۝ واما قوله للذي خطب
فقال ومن يعصهما بئس الخطيب انت فليس من هذا لان المراد في الخطب الايضاح ۝ واما
ههنا فالمراد الايجاز في اللفظ ليحفظ ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال
في موضع آخر قال ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه وقيل انه من الخصائص فيمتنع من غير النبي
صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع اوهم اطلاق التسوية بخلافه هو فان
منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال ابن عبد السلام ومن محاسن الاجوبة
في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب ان تثنية الضمير هنا للايماء الى ان المعتبر هو المجموع
المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية اذا لم ترتبط بالاخرى فمن يدعي
حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع متابعته مكتنفة بين قطري محبة العباد لله ومحبة الله
للعباد ۝ واما امر الخطيب بالافراد فلان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية
اذ العطف في تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ويشير اليه قوله
تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فاعاد اطيعوا في الرسول ولم يعده في
اولي الامر لانهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوي
والطيبي كما حكاه في فتح الباري وفي الصحيح ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد رسولا قال في المدارج فاخبر ان للايمان طعما وان القلب يذوقه كما يذوق
الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ادراك حقيقة الايمان والاحسان
وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق تارة وبالطعام والشراب اخرى وبوجد الحلاوة تارة
كما قال ذاق وقال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ولما نهاهم عن الوصال قالوا انك
تواصل فقال اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى وقد غلط الحجاب من ظن ان هذا طعام
وشراب حسي للفم وسيأتي تحقيق الكلام ان شاء الله تعالى في الصوم من مقصد عباداته عليه
السلام والمقصود ان ذوق حلاوة الايمان امر يجده القلب يكون نسبته اليه كذوق حلاوة
الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما قال عليه السلام حتى تذوقي عسيلته ويذوق
عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد ولا تزول الشبه والشكوك الا
اذا وصل العبد الى هذه الحال فباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته
وقال العارف الكبير تاج الدين بن عطاء الله في تعيني في هذا الحديث اشارة الى ان القلوب
السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات

الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد
لحكمه والقى قياده اليه فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضى
من الله واذا كان له الرضى من الله اوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من به عليه وليعرف احسانه
عليه ۝ ولما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا من خزائن المنن فلما اوصلت اليه امداد
الله ونوره عوفي قلبه من الامراض والاسقام فكان سليم الادراك فادرك لذاذة
الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه ۝ وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام
دينا لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولى ولازم من رضي بمحمد نبيا
ان يكون له وليا فان يتادب بآدابه ويتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا عنها
وصفحا عن الجناة وعفوا عمن اساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا واخذا
وتركا وحبا وبغضا فمن رضي بالله استسلم له ومن رضي بالاسلام عمل له ومن رضي بمحمد
صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال ان يرضى بالله ربا ولا يرضى
بالاسلام دينا او يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء به انتهى
ملخصا واعلم ان محبة الله على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال
اوامره ... ما فرضته عليه الاوامر والانتهاء عن المعاصي والرضى بما يقدره فمن وقع في معصية من
فعل محرم او ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع
الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجا
فيقدم على المعصية والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات والمتصف
بذلك في عموم الاوقات والاحوال نادر وفي البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى انه قال لما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضته عليه
وفي رواية بشيء احب الي من اداء ما افترضته عليه ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى
احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها
ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سالني لاعطينه ولئن
استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره
الموت واكره مساءته ويستفاد من قوله وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي من اداء الفرائض
احب الاعمال الى الله تعالى ۝ وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها
الفرائض واجيب بان المراد من النوافل اذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها
ويؤيده ان في رواية ابي امامة ابن آدم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضته عليك
او يجاب بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرائض
وقال الفاكهاني معنى الحديث انه اذا ادى الفرائض وداوم على اتيان النوافل من صلوة
وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل ايضا كيف يكون الباري
جل وعلا سمع العبد وبصره الخ واجيب باجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى

كنت سمعه وبصره في ايثار امري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ومنها
ان المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما امرته
به ومنها ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه ومنها
انه على حذف مضاف اي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ
بصره كذلك الخ قال الفاكهاني وقال ويحتمل معنى آخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون معنى
مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان املى بمعنى مأمولي والمعنى انه لا يسمع
الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي
ولا يمد يده الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلماء ممن يعتد بقوله
على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كانه سبحانه تنزل عنده
منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش
وبي يمشي قال والاتحادية زعموا انه على حقيقته وان الحق عين تعالى الله عما يقول
الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وقال الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح
في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن ابي عثمان
الحيري احد ائمة الطريق قال معناه كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وعينه في
النظر ويده في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل الزيغ
على ما يدعونه من ان العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى تصفى من الكدورات
انه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك وانه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو
الذاكر لنفسه والموحد لنفسه المحب لنفسه وان هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا
وعلى الاوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية
الحديث ولئن سألني زاد في رواية عبد الواحد عبدي انتهى ملخصا وقال العلامة ابن القيم
تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد
به حصر اسباب محبته في امرين اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل
حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله اوجبت محبة الله له محبة اخرى منه لله فوق المحبة
الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر والاهتمام بغير محبوبه وحبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه مثله الاعلى مالكا
لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته
التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر
به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وانيسه وصاحبه والباء هنا باء المصاحبة
وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسئلة حالية لا علمية
محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده
في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في
مرادي في امتثال اوامري والتقرب الي بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسألني ان

افعله

افعله به ويستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب
سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره مساءته
فمن هذه الجهة يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه
الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا
ليعيده اليها على احسن احواله فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه انتهى وقال الخطابي
التردد في حق الله تعالى غير جائز والبداء عليه في الامور غير سائغ ولكن له تأويلان احدهما
ان العبد قد يشرف على الهلاك في ايام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه
منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه
ويعرض عنه ولا بد له من لقائه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب الفناء على خلقه
واستأثر بالبقاء لنفسه والثاني ان يكون معناه ما رددت رسلي في شيء انا فاعله كترديدي
اياهم في نفس المؤمن كما روي في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت
وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه
به وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات
يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال
العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك
قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه ما
يشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه وبالجملة فلا حياة للقلب الا
بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت
نفوسهم اليه واطمأنت قلوبهم واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة
لا يسدها الا محبة الله تعالى ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم
وآلام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والرتبة
السنية حتى يعرف الله تعالى ويهتدي اليه بطريق توصله اليه ويخرق ظلمات الطبع باشعة
البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد في التعلقات
الفانية ويتدارك في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات
الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولا
بخطرة فضول لا تنفعه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والانابة اليه ويخرج من
بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره كما قال

واخرج من بين البيوت لعلني ... احدث عنك النفس بالسر خاليا

فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق في
ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه واستاذه ومعلمه
وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته ومبادي امره وكيفية

نزول الوحي عليه ويعرف صفاته واخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه وتيقظه ومنامه وعبادته
ومعاشرته لاهله واصحابه الى غير ذلك مما منحه الله تعالى به مما ذكرت بعضه حتى يصير كانه
معه من بعض اصحابه فاذا ارسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث
اذا قرا السورة شاهد قلبه ماذا انزلت فيه وماذا اريد بها او حظه المختص به منها
من الصفا في الاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من
المرض المخوف **ولمحبة** الرسول عليه الصلوة والسلام علامات اعظمها الاقتدا
به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتدا بهديه وسيرته والوقوف مع ما حد لنا
من شريعته قال الله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة
الرسول صلى الله عليه وسلم اية محبة العبد ربه وجعل جزا العبد على حسن متابعة الرسول
محبة الله تعالى اياه **وقد قال** الحكيم محمود الوراق كما افاده المحاسبي في كتاب القصد

والرجوع

تعصي الاله وانت تظهر حبه … هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته … ان المحب لمن يحب مطيع

وصدق المحبة تنشا من مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة والباطنة فبقدر
مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن اعظم مطالعة منة الله على عبده منة تاهله لمحبته
ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم واصل هذا نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد
فاذا دار ذلك النور اشرقت له ذاته فراى في نفسه وما اهلت له من الكمالات والمحاسن فعلت
به همته وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان
الا ويطرد احدهما الاخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول

نقل فوادك حيث شئت من الهوى … ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يالفه الفتى … وحنينه ابدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشان ان تحب
الله بل الشان ان يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته
خبرا واطعته امرا واجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق
وعن طاعة غيره بطاعته وان لم يكن كذلك فلا تتعن فلست على شي وتامل قوله تعالى
فاتبعوني يحببكم الله اي الشان في ان الله يحبكم لا في انكم تحبونه وهذا لا ينال الا باتباع
الحبيب **وقال** المحاسبي في كتاب القصد والرجوع علامة محبة العبد لله عز وجل اتباع
مرضاة الله والتمسك بسنن رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان
ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه
واسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب كما يدخل حب الماء البارد
في اليوم الشديد برده في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد عطشه فيرتفع عنه تعب الطاعة
لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذا لقلبه وسرورا له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ

بها

بها اعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في اورادا العبادة كلفة **وفي** الترمذي عن انس مرفوعا
ومن احيى سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة **وعن** ابن عطا من الزم نفسه آداب
السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف من مقام متابعة الحبيب في اوامره وافعاله واخلاقه
وقال ابو اسحاق الرقي من اقران الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله
عليه وسلم **وعن** غيره لا يظهر على احد شي من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة
فاما من اعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلوة والسلام
بدعواه علما لدنيا اوتيه فهو من لدن النفس والشيطان **وانما** يعرف كون العلم لدنيا روحانيا
بموافقته لما جاء به الرسول عن ربه تعالى **فالعلم** اللدني نوعان لدني رحماني ولدني شيطاني
والمحك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم **واما قصة** موسى مع الخضر
فالتعلق بها في تجويز الاستغنا عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر مخرج عن الاسلام موجب
لاراقة الدم والفرق ان موسى عليه الصلوة والسلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر
مامورا بمتابعته ولو كان مامورا بها لوجب عليه ان يهاجر الى موسى ويكون معه ولهذا قال له
انت موسى بني اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته
عامة للجن والانس في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه فمن ادعى انه مع محمد
كالخضر مع موسى او جوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه وليتشهد بشهادة الحق
فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اوليا الله تعالى وانما هو
من اوليا الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا
النبي الكريم عليه ازكى الصلوة واتم التسليم وبه يحصل الفهم من الكتاب والسنة بامر يخص
به صاحبه كما قال علي بن ابي طالب وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشي دون الناس فقال لا الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي
فاتباع هذا النبي الكريم حيوة القلوب ونور البصائر وشفا الصدور ورياض النفوس
ولذة الارواح وانس المستوحشين ودليل المتحيرين **ومن علامة** محبته ان
يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم له **قال** شيخ المحققين
وامام العارفين تاج الدين بن عطا الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة سره في هذه الاية
دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه
قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم
والانقياد على كل مؤمن في كليهما واحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد
واحكام التعريف هو ما اورده عليك من قهر المراد فتبين من هذا انه لا يحصل لك حقيقة
الايمان الا بامرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان

عمن لم يحكم او حكم ووجد الحرج فى نفسه حتى اقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى
الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب وانما قال فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففى ذلك تاكيد بالقسم وتاكيد فى القسم
علما منه سبحانه بما فى النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سوا كان الحق
عليها اولها وفى ذلك اظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه
وقضاؤه قضاه فاوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم
الايمان بالهيبة حتى يذعنوا لاحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه ربه
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضا الله كما قال تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واكد ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم وفى
الاية اشارة اخرى الى تعظيم امره وتفخيم قدره صلى الله عليه وسلم وهى قوله تعالى
فلا وربك فاضاف نفسه اليه كما قال فى الاية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده
زكريا فاضاف الحق سبحانه نفسه الى محمد واضاف زكريا اليه ليعلم العباد فرق بين المنزلتين
وتفاوت بين الرتبتين ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط
فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم فى احكامه صلى الله عليه وسلم سوا كان بما يوافق
اهواهم او يخالفها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه
يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت
وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهياة لواردات
احكامه مفوضة له فى نقضه وابرامه انتهى وقال سهل بن عبد الله من لم ير ولاية
الرسول عليه فى جميع الاحوال ويرى نفسه فى ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وروينا عن سيدنا العارف الكبير
ابى عبد الله القرشى انه قال حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببت ولا يبقى منك لك شى
انتهى فمن آثر هذا النبى الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه
بالاختيار ظهرت له خفايا حقايق اسراره انسه ومن علامة محبته عليه الصلوة والسلام
نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه فى الجود والايثار والحلم
والصبر والتواضع وغيرها مما ذكرته من اخلاقه العظيمة وتقدم فى كلام العارف ابن عطا
الله مزيد لذلك قريبا فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها
استلذ الطاعات وتحمل المشاق فى الدين وآثر ذلك على اغراض الدنيا ومن علامات
محبته صلى الله عليه وسلم التسلى عن المصائب فان المحب يجد فى لذة المحبة ما ينسيه المصائب
ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كانه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل
يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب اعظم من التذاذ الخلى بحظوظه وشهواته
والذوق والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة موجود ممزوج بالحلاوة واذا فقد ذلك

الحلاوة

الحلاوة اشتاق الى ذلك الكرب كما قيل

تشكى المحبون الصبابة ليتنى	تحملت ما يلقون من بينهم وحدى
فكان لقلبى لذة الحب كلها	فلم يلقها قبلى محب ولا بعدى

ومن علامات محبته عليه الصلوة والسلام كثرة ذكره فمن احب شيئا اكثر من ذكره وقال بعضهم
المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس وقال غيره للمحب ثلاث علامات
ان يكون كلامه ذكر المحبوب به وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له وقال المحاسبى علامة المحبين
كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد اجمع الحكما
على ان من احب شيئا اكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به
بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون
بشى الذ من ذكر المحبوب انتهى فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات
وانقطعت اوهامهم عن عارضة دواعى الشهوات وتفتت الى معانى الذخاير وبغية الطلبات
وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين وباح الحنين وتحركت المواجيد وتغير اللون واستقلت
الجوارح وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكى وربما شهق وربما وله وربما

سقط

اذا باح دمع المهجور هاجره	باح الحب بما يخفى ضمائره
ايكتم الحب صب باح مدمعه	لما جرى بالذى تخفى سرائره
كانما قلبه اجفان مقلته	ودمعه فى ما فيه خواطره
يا جيرة الجذع هل من خبر لغنى	عليه فى حكمه قد جار جائره
آه وكم لى على خطب النوى خطب	من الغرام به تعلو منابره
مهفهف بلج بدر على غصن	تخفى البدور اذا لاحت نوادره
مطرز الخد بالريحان فى ضرج	مورد آسه تزهو ازاهره
مكمل الخلق مما تحضى خصا تصر	منضر الحسن قد قلت نظائره

وربما زاد الوجد على المحب فقتله اول نقد من اثمان المحبة بذل الروح فما للمفلس الجبان وسوم
بدم الحب يباع وصلهم تالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فيبيعها بالنسية
المعسرون لقد انسمت للعرض فى سوق من يريد فلم يرض لها بثمن غير بذل النفوس فتاخر
البطالون وقام المحبون ينظرون ايهم يصلح ان يكون ثمنا فدارت السلعة بينهم ووقعت فى
يد اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ومن علامات محبته عليه الصلوة والسلام
تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من احب شيئا
خضع له كما كان كثير من الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا او تهيبا وتوقيرا قال
ابو ابراهيم التجيبى واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من
حركته وياخذ فى هيبته واجلاله بما كان ياخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله

به وكان ابو ايوب السختيانى اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وكان عبد الرحمن ابن القاسم اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم تنظر الى لونه كانه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه فى فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير اذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع وكان الزهرى من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فكانك ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن سليم من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وكان قتادة اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل اشار الى ذلك القاضى عياض ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق الى لقائه اذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه وبعضهم الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخى المحبة ارتياح الذات بمشاهدة الصفات او مشاهدة اسرار الصفات فيرى بلوغ السول ولو بمشاهدة الرسول ولهذا كان الصحابة رضى الله عنهم اذا اشتد بهم الشوق وازعجهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان ما كان خالد ياوى الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم يقول هم اصلى وفصلى واليهم يحن قلبى طال شوقى اليهم فعجل رب قبضى اليك حتى يغلبه النوم ولما احتضر بلال نادت امراته واحرباه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه اذ اذاق القلب طعم المحبة اشتاق وتاجج نيران الحب والطلب فى قلبه ويجد صبره عن محبوبه من اعظم كبائره كما قيل

والصبر يحمد فى المواطن كلها الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن اسلم قال خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا فى بيت واذا عجوز تنفش صوفها وتقول على محمد صلوة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكا بالاسحار يا ليت شعرى والمنايا اطوار هل تجمعنى وحبيبى الدار تعنى النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكى ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات فقال لها اعيدى على قولك فاعادته بصوت حزين فبكا وقال وعمر لا تنسيته يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار ويحكى انه رؤيت امراة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لى قيل بماذا قالت بمحبتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتى النظر اليه فنودیت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيى ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم حب القرآن الذى اتى به وهدى به واهتدى به وتخلق به واذا اردت ان تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ورسوله فانظر محبة القرآن من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب الملاهى والغنا المطرب

بسماعهم

بسماعهم فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب شئ اليه كما قيل

ان كنت تزعم حبى فلم هجرت كتابى اما تاملت ما فيه من لذيذ خطابى

وقد روى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن مسعود اقرا على قال اقرا عليك وعليك انزل فقال انى احب ان اسمعه من غيرى فافتتح وقرا سورة النسا حتى بلغ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلا شهيدا قال حسبك فرفع راسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكا رواه البخارى وهذا يجده من سمع الكتاب العزيز باذن قلبه قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وقال صاحب عوارف المعارف اذا اقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذى لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملو ببرد اليقين بكى وادمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدما عصرتا ماء فاذا اثر السماع بالغلبة تارة يخف المامنه فيظهر اثره فى الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب اثره فيتصعد نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب اثره الى الروح فتموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق القلب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب هذه كلها احوال يجدها اربابها من اصحاب الاحوال وقد كان ابن عمر رضى الله عنهما ربما مر باية فى ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا وقد كان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرا وهم يستمعون فللمحبين لسماع القرآن من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما للمحبين لسماع الشيطان فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده وطربه ونشاته فى سماع الابيات دون سماع الايات وفى سماع الالحان دون سماع القرآن كما قيل

تقرا عليك الختمة وانت جامد كالحجر بيت من الشعر ينشد تميل كالنشوان

فاعلم ان هذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله دام الله لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا غير سبيل سنته بمنه ورحمته ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان فى قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى او من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه ويقول

اشم منك نسيما لست اعرفه اظن لمياء جرت فيك اردانا

فتعم تلك الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول

لي حبيب خياله نصب عيني	سره في ضمائري مدفون
ان تذكرته فكلي قلوب	او تاملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور البراهين
ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شي اروى لقلبه من عطفه عليه ولا شي اشد للهيبة
وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب اهل النار باحتجابه عنهم اشد عليهم من
العذاب الجسماني كما ان نعيم اهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم
من النعيم الجسماني لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب **ومن علامات** محبته
صلى الله عليه وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف ويضطرب عند سماع اسمه المنيف وقد
يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة
للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادرا
هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فان كان العقل قويا
مستحكما لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا حدث السكر المخرج له عن حكمه وقد حدوا السكر
بانه سقوط التمالك في الطرب كانه يبقى في السكران بقية يلتذ بها ويضطرب فلا يتمالك
صاحبها ولا يتعذر ان يغني معها. وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث
يختلط كلامه وتتغير افعاله بحيث يزول عقله ويعربد اعظم من عربدة شارب الخمر
وربما قتله سكر هذا الفرح بسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا
غير معتاد والدم هو حامل الحار الغريزي فيبرد القلب بسبب انبساط الدم عنه فيحدث الموت
ومن هذا قول سكر الفرح بوجود راحلته في المفازة بعد ان استشعر الموت اللهم انت عبدي
وانا ربك اخطا من شدة فرحه وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فصور في نفسك حال فقير
معدم عاشق للدنيا اشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمنا مطمئنا كيف تكون سكرته
او من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى اضر به العدم فقدم عليه من غير انتظار له
بماله كله وقد كسب اضعافه **ومن اقوى** اسباب ما يحصل فيه سماع الاصوات المطربة بالانشاد
بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع
وهذا السكر يحدث عندها من جهتين احداهما انها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر منها
العقل الثانية انها تحرك النفس الى نحو محبوبها وجهته فتحصل بتلك الحركة والشوق والطلب
مع التخيل للمحبوب واحضاره في النفس وادنا صورته في القلب واستيلائها على الفكر لذة
عظيمة تغمر العقل فتجتمع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا اطرب والذ
من سكر الشراب ويحصل به نشاة الذ من نشاة الشراب **وقد ذكر** الامام احمد وغيره ان الله
تعالى يقول لداود مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف
وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك فيقوم عند ساق العرش فيمجده فاذا سمع اهل
الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة **واعظم من ذلك** اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه
لهم

لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤيته وجهه الكريم الذي نعيمهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها
فامر لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه صفة لا تلج كل اذن وصيب لا يحيي
كل ارض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها
طفيلي اشارا اليه في المدائح فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة لله
ورسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه السلام
للذي حد في الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم
لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاخبر انه يحب الله ورسوله مع ما صدر منه
وفيه الرد على من زعم ان مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء
له. وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وان
من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله ويحتمل ان يكون استمرار ثبوت
محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيدا بما اذا ندم على وقوع المعصية واذا اقيم عليه
الحد فكفر عنه الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فانه يخشى بتكرار الذنب ان يطبع
على قلبه حتى يسلب منه ذلك اسال الله العفو والثبات على محبته وسلوك سنته
بمنه ورحمته **تنبيه** وقد اختلف العلماء ايما ارفع درجة المحبة او درجة الخلة
فحكى القاضي عياض ان بعضهم جعلهما سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا
لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة قال وبعضهم قال درجة الخلة
ارفع واحتج بقوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة
لفاطمة وابنيها واسامة انتهى وهذا هو الظاهر من المعنى لان الاخص لان المحبة ماخوذة
من معنى الخلة **لكن يرد** ما روي في قصة الاسرا في مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه
تعالى حيث قال له تعالى يا محمد سل فقال يا رب انك اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت
موسى تكليما فقال له تعالى الم اعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا او ما في معناه
رواه البيهقي بنحوه وهذا يعطي ان درجة المحبة ارفع **وقد احتج** من قال بتفضيل مقام
المحبة على الخلة بفروق كثيرة ذكرها القاضي عياض في الشفا منها نقلا عن الامام ابي بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين نبذة منها ان الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري
ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه به من قوله تعالى فكان قاب قوسين
او ادنى ومنها ان الخليل قال لا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي ومنها
ان الخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله. ومنها
ان الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر **وفي كتاب** تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري وجوه اخر غير ما حكاه
القاضي عياض وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا وذلك ان مقتضى الفرق بين

الشيئين ان يكون في حد ذاتهما بمعنى باعتبار مدخول خليل وحبيب وما حكاه القاضي
عياض وذكرته في التحفة يقتضي تفضيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابرهيم عليهما
الصلوة والسلام لا يقال لا باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم ذلك لانا نقول كل منهما
ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابرهيم عليه السلام وصف المحبة لا سيما والخلة
أخص من المحبة ولا يسلب عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصف الخلة لا سيما وقد ثبت في حديث
ابي هريرة قول الله تعالى له اني اتخذتك خليلا وقد قام الاجماع على فضل نبينا صلى الله
عليه وسلم على جميع الانبيا بل هو افضل خلق الله على الاطلاق واما قوله ان الخليل يصل
بالواسطة فلا يفيد غرضا من هذا المقام الذي هو بصدده وليس المراد به قطعا الا الوصول
الى المعرفة اذ الوصول الى المعرفة الحسي ممتنع على الله تعالى واما قوله والحبيب يصل اليه به
فالوصول الى الله تعالى لا يكون الا به حبيبا كان او خليلا واما قوله الخليل الذي يكون مغفرته
في حد الطمع الخ فانه لا يصح ان يكون على جهة التفسير للخليل ولا تعلق له بمعناه وقضايا
ما ذكره انه لا يعطي تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابرهيم عليه الصلوة والسلام في حد
ذاته من غير نظر الى ما جعله علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخلة والحق ان الخلة
اعلا واكمل وافضل من المحبة قال ابن القيم واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من
الخلة وان ابرهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة
نهاية المحبة قال وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل
غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا فانه تعالى يحب
التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين
وخلته خاصة بالخليلين قال وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله تعالى ورسوله انتهى
وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة الابوصيري وزعم بعضهم ان المحبة افضل
من الخلة وقال محمد حبيب الله وابرهيم خليل الله وضعف بان الخلة خاصة وهي توحيد المحبة
والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح ان الله تعالى اتخذ نبينا
خليلا فقال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا انتهى ۵

الفصل الثاني في حكم الصلوة عليه

والتسليم فريضة وفضيلة وصيغة ومحلا قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على
النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ۵ قال ابو العالية معنى صلوة
الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ومعنى صلوة الملائكة عليه الدعا قال في فتح الباري
وهذا اولى الاقوال فيكون معنى صلوة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلوة الملائكة
وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلوة وعن ابن عباس ان
معنى صلوة الملائكة الدعا بالبركة وروى ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان قال صلوة الله

مغفرته وصلوة الملائكة الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم صلوة الله رحمته وفي رواية
عنه مغفرته وصلوة الملائكة الدعا اخرجهما القاضي اسمعيل عنه وكانه يريد الدعا بالمغفرة
ونحوها وقال المبرد الصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعا الرحمة
وتعقب بان الله تعالى غاير بين الصلوة والرحمة في قوله سبحانه وتعالى اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة ولذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا
تسليما حتى سألوه عن كيفية الصلوة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته واقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت
الصلوة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي ان تكون الصلوة
بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلوة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته
على انبيائه هي ما تقدم من الثنا والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة وهي التي وسعت كل
شي وحكى القاضي عياض عن بكر القشيري انه قال الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله
تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه
وسلم وبين سائر المؤمنين حيث قال في سورة الاحزاب ان الله وملائكته يصلون على
النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو الذي يصلي عليكم وملائكته ومن المعلوم
ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره والاجماع
منعقد على ان في هذه الاية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها
وقال الحليمي في الشعب معنى الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم
صل على محمد اعظم محمدا والمراد تعظيمه في الدنيا باعلا ذكره واظهار دينه وابقا شريعته
وفي الاخرة باجزال مثوبته وتشفيعه في امته وابدا فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد
بقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما ادعوا ربكم بالصلوة عليه انتهى ولا يعكر عليه عطف
آله وازواجه وذريته عليه فانه لا يمتنع ان يدعى لهم بالتعظيم اذ تعظيم كل احد بحسب ما
يليق به وما تقدم عن ابي العالية اظهر فانه يحصل به استعمال لفظ الصلوة بالنسبة الى الله
تعالى والى ملائكته والى المؤمنين المأمورين بذلك بمعنى واحد ويؤيده انه لا خلاف
في جواز الترحم على غير الانبيا واختلف في جواز الصلوة على غير الانبيا ولو كان معنى قولنا
اللهم صل على محمد ارحم محمدا او ترحم على محمد لجاز لغير الانبيا وكذا لو كان بمعنى البركة
وكذلك الرحمة لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي في التشهد
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ويمكن الانفصال عنه بان ذلك وقع
بطريق التعبد فلا بد من الاتيان به ولو سبق الاتيان بما يدل عليه فان قلت
اي وقت وقع الامر بالصلوة عليه صلى الله عليه وسلم فالجواب كما قاله ابو ذر الهروي
انه وقع في السنة الثانية من الهجرة وقيل في ليلة الاسرا وقيل ان شهر شعبان شهر الصلوة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان آية الصلوة يعني ان الله وملائكته يصلون على النبي

تركت فيه والله اعلم وقال الحليمي والمقصود بالصلوة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى
الله تعالى بامتثال امره وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام
فقال في الباب الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعارف ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه
وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا فان
عجزنا عنه كافاناه بالدعا فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلوة عليه
وذكر نحوه عن الشيخ ابي محمد المرجاني وقال ابن العربي فائدة الصلوة عليه ترجع الى الذي
يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة
والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم واختلف في حكم الصلوة عليه صلوات
الله وسلامه عليه على اقوال احدها انها تجب في الجملة بغير حصر لكن اقل ما يحصل به
الاجزاء مرة الثاني يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد قال القاضي ابو بكر بن البكير
من المالكية وعبارته كما قال القاضي عياض افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه
صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها
ولا يغفل عنها الثالث يجب كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة
من الشافعية وقال ابن العربي من المالكية انه الاحوط وكذا قاله الزمخشري واستدلوا
لذلك بحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فمات فدخل النار فابعده الله اخرجه ابن حبان
من حديث ابي هريرة وحديث رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه الترمذي من
حديث ابي هريرة وصححه الحاكم وحديث شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الطبراني
من حديث جابر لان الدعا بالرغم والابعاد والدعا والشقا يقتضي الوعيد والوعيد على
الترك من علامات الوجوب ومن حيث المعنى ان فائدة الامر بالصلوة عليه مكافاته
على احسانه واحسانه مستمر فيتاكد اذا ذكر واستدلوا ايضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعا
الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلى عليه كان كاحاد الناس واجاب
من لم يوجب ذلك باجوبة منها انه قول لا يعرف عن احد من الصحابة ولا التابعين فهو
قول مخترع ولو كان ذلك على عمومه للزم المؤذن اذا اذن وكذا سامعه وللزم القاري
اذا مر باية فيها ذكره عليه السلام في القرآن وللزم الداخل في الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين
ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة المطهرة السمحة بخلافه ولكان الثنا
على الله تعالى كلما ذكر احق بالوجوب ولم يقولوا به وقد اطلق القدوري وغيره من الحنفية
ان القول بوجوب الصلوة كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قائله لانه لا يحفظ عن
احد من الصحابة انه خاطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك
ولانه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة اخرى واجابوا عن الاحاديث بانها خرجت مخرج
المبالغة في تاكيد ذلك وطلبه وفي حق من اعتاد ترك الصلوة عليه ديدنا وبالجملة
فلا دلالة على وجوب تكرر ذلك بتكرر ذكره صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد انتهى ملخصا

والله اعلم

والله اعلم الرابع في كل مجلس ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشري الخامس في كل دعا حكاه
ايضا السادس انها من المستحبات وهو قول ابن جرير الطبري وادعى الاجماع على ذلك
واحتج على ذلك مع ورود صيغة الامر بذلك بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتاخرين
من علماء الامة على ان ذلك غير مستلزم فرضيته حتى يكون تارك ذلك عاصيا فدل
على ان الامر فيه للندب ويحتمل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلوة قال
في فتح الباري وما ادعاه من الاجماع معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية
ذلك في الصلوة اما بطريق الوجوب واما بطريق الندب ولا يعرف عن السلف لذلك
مخالف الا ما اخرجه ابن ابي شيبة والطبري عن ابرهيم النخعي انه كان يرى ان قول
المصلي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته مجزي عن الصلوة
ومع ذلك انما ادعى اجزاء السلام عن الصلوة السابع يجب في العمر مرة في الصلوة او
غيرها ككلمة التوحيد قاله ابو بكر الرازي من الحنفية الثامن يجب في الصلوة من غير
تعيين المحل ونقل ذلك عن ابي جعفر الباقر التاسع يجب في التشهد وهو قول
الشعبي واسحاق بن راهويه العاشر يجب في القعود اخر الصلوة بين قول التشهد
وسلام التحلل قاله الشافعي ومن تبعه واستدل لذلك بما رواه اصحاب السنن وصححه
الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن ابي مسعود البدري انهم قالوا يا رسول الله اما السلام
عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل
على محمد وعلى ال محمد الحديث ومعنى قولهم اما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في
التشهد الذي كان قد علمهم اياه كما يعلمهم السورة من القران وفيه السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته رواه الشافعي في مسنده عن ابي هريرة بمثله وقد احتج بهذه
الزيادة جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقي لايجاب الصلوة عليه صلى الله عليه
وسلم في التشهد بعد التشهد قبل السلام وقال الشافعي في الام فرض الله الصلوة
على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما فلم يكن فرض الصلوة عليه في موضع اولى منه في الصلوة ووجدنا
الدلالة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك • اخبرنا ابرهيم بن محمد حدثنا صفوان بن
سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة انه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك
يعني في الصلوة قال تقولون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم
الحديث • اخبرنا ابرهيم بن محمد حدثني سعد بن اسحاق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن
ابن عجرة عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
يقول في الصلوة اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم الحديث
قال الشافعي فلما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد في الصلوة
وروي انه علمهم كيف يصلون عليه في الصلوة لم يجز ان نقول التشهد في الصلوة واجب

والصلوة عليه فيه غير واجبة وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من اوجه
احدها ضعف ابرهيم بن محمد بن يحيى والكلام فيه مشهور الثاني على تقدير صحته فقوله
في الاول يعني في الصلوة لم يصرح بالقائل يعني الثالث قوله في الثاني انه كان يقول
في الصلوة وان كان ظاهره ان المراد الصلوة المكتوبة لكنه يحتمل ان يكون المراد بقوله
في الصلوة اي في صفة الصلوة عليه وهو احتمال قوي لان اكثر الطرق عن كعب بن عجرة
يدل على ان السؤال عن صفة الصلوة لا عن محلها الرابع ليس في الحديث ما يدل على تعيين
ذلك في التشهد خصوصا بينه وبين السلام وقد اطنب قوم من متاخري المالكية
وغيرهم في التشنيع على الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلوة وزعم انه قد تفرد بذلك
وحكى الاجماع على خلافه منهم ابو جعفر الطبري والطحاوي وابن المنذر والخطابي
وحكى القاضي عياض في الشفا مقالاتهم وقد عاب عليه غير واحد وقالوا كان ينبغي
سكوته عنها لان مبني تاليف الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم واداء
حقوقه والقول بوجوب الصلوة عليه في الصلوة من غرض المبالغة وقد استحسن هو القول
بطهارة فضلاته مع ان الاكثر على خلافه لكن استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه
وكيف ينكر القول بوجوب الصلوة عليه وهو من جنس الصلوة ومقتضياتها واذا شرع
السلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا تجب الصلوة على سيد
المرسلين وقد انتصر جماعة كثيرة من العلماء الاعلام للشافعي كالحافظ عماد الدين بن كثير
والعلامة ابن القيم وشيخ الاسلام والحفاظ ابو الفضل ابن حجر وتلميذه شيخنا الحافظ
وغيرهم ممن يطول عدهم واستدلوا لذلك بادلة نقلية ونظرية ودفعوا دعوى الشذوذ
فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وابو مسعود البدري
وجابر بن عبد الله ونقل اصحاب الشافعي عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومن
التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي كما سياتي وكذا ابو جعفر الباقر ومقاتل واخرج
الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود قال يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يدعو لنفسه قال الحافظ ابن حجر وهو اقوى شيء يحتج به للشافعي فان ابن مسعود ذكر
ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد في الصلوة وانه قال ثم ليتخير من الدعاء ما شاء
فلما ثبت عن ابن مسعود الامر بالصلوة عليه قبل الدعاء دل على انه اطلع على زيادة ذلك
بين التشهد والدعاء وان دفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب اليه
الشافعي مثل ما ذكره القاضي عياض قال وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي
صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر الصلوة عليه وفي جزء الحسن بن عرفة مرفوعا واخرج
العمري في عمل يوم وليلة عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون صلوة الا بقراءة وتشهد
وصلوة علي واخرج البيهقي في الخلافيات بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين
قال كنا نعلم التشهد فاذا قال واشهد ان محمدا عبده ورسوله يحمد ربه ويثني عليه

ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال حاجته وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود
مرفوعا من صلى صلوة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني والقول
انه من قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى اهل بيته لرايت انها لا تتم لكن روايته عن ابي جعفر جابر الجعفي وهو
ضعيف كذا في الشفا وقد وافق الشافعي من فقهاء الامصار احمد في احدى الروايتين
عنه وعمل بها اخيرا كما حكاه عنه ابو زرعة الدمشقي فيما ذكره الحافظ ابن كثير واوجب
اسحاق بن راهويه الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان والمشهور عن احمد انها تبطل
بتركها عمدا او سهوا وعليه اكثر اصحابه حتى ان بعض ائمة الحنابلة اوجب ان يقال في
الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا لما سالوه كما ذكره ابن كثير ووافق
الجزء فاسحاق في التقييد بالعمد دون السهو والخلاف ايضا عند المالكية كما ذكره
ابن الحاجب في سنن الصلوة ثم قال على الصحيح فقال شارحه ابن عبد السلام يريد
ان في وجوبها قولين وهو ظاهر كلام الامام ابن المواز وبه صرح عنه ابن القصار وعبد
الوهاب كما في الشفا بلفظ انه يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي قال وحكى ابو
يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب
ورايت مما يعزى للقاضي ابي بكر بن العربي في سراج المريدين قال ابن المواز والشافعي
الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم من فرائض الصلوة وهو الصحيح انتهى وقد يلزم
القائل من الحنفية بوجوب الصلوة عليه كلما ذكر كالطحاوي وذكر السروجي في شرح
الهداية عن اصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم ان يقول بوجوبها في التشهد لتقدم
ذكره صلى الله عليه وسلم في آخر التشهد في قوله واشهد ان محمدا رسول الله لكنهم لا يلتزمون
ذلك ويجعلونه شرطا في صحة الصلوة ولم يخالف الشافعي احد من اصحابه في ذلك بل قال
اصحابنا بوجوب الصلوة على الآل كما حكاه البندنيجي والدارمي ونقله امام الحرمين
والغزالي قولا عن الشافعي قال الحافظ ابن كثير والصحيح انه وجه على ان الجمهور على خلافه
وللقول بوجوبه ظهور للحديث واما مخالفة الخطابي من اصحاب الشافعي فلا يعتد
به لمقتضى الامر المحمول على الوجوب اجماعا واولى اجزاء الصلوة ولا مانع من احتمال كونه مرادا
واما قوله ولا اعلم فيها قدوة فيقال عليه لا ريب ان الشافعي قدوة يقتدى به والمجتهد في
مقام اجتهاده فلا افتقار له فيه الى غيره واما قوله في الشفا والدليل على انها ليست من فروض
الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه ففيه نظر لانه ان اراد بالعمل
الاعتقاد فيحتاج الى نقل صريح عنهم بان ذلك ليس بواجب وانى يوجد ذلك واما قوله
وقد شنع الناس عليه يعني الشافعي في هذه المسئلة جدا فلا معنى له واي شناعة في ذلك
ولم يخالف فيه نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك من محاسن
مذهبه ولا ريب ان القائل بجواز ترك الصلوة على افضل خلق الله في الصلوة التي هي
راس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها والثناء عليه اولى بالتشنيع

وأما نقله الإجماع فقد تقدم ما فيه وأما قوله إن الشافعي اختار تشهد ابن مسعود فلم يقل به أحد والشافعي إنما اختار تشهد ابن عباس كما سيأتي إن شاء الله تعالى في مقصد عبادته صلى الله عليه وسلم وقد استدل للوجوب بما أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه إليه فقال إذا صلى أحدكم فليبدأ بالحمد لله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء قلت ومما يعد من كرامات إمامنا الشافعي وسره الساري أن القاضي عياض ساق هذا الحديث بسنده من طريق الترمذي من غير أن يطعن في سنده بعد قوله فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلوة وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء وهذا الحديث كما ترى من أعظم الأدلة لنا فإن قال قائل ليس لكم فيه دلالة لأنه قال فيه سمع رجلا يدعو في صلاته ولم يقل في تشهده فيجاب بأنه يلزم على هذا أن القاضي عياض ساقه في غير محله لأنه عقد الفصل كما قدمته لبيان مواطن استحباب الصلوة ثم قال ومن ذلك في تشهد الصلوة وفي مصابيح البغوي من حديث فضالة بن عبيد هذا ما يدل على أنه كان في التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال صلى الله عليه وسلم عجلت أيها المصلي إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله ثم صل علي ثم ادعه وفي قوله عجلت استرواح فوات الكمال عن الحقيقة المجزئة إذ لو كانت مجزئة لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الأمر فإن قيل إنه في مقام تعليم المستحبات إذ لو كان في الواجبات لأمره بالإعادة كما أمر المسيء صلاته فيجاب بأن في قوله هذا غنية عن الأمر بالإعادة لأنه حيث علم ما هو الواجب علم قطعا أنه لم يأت به أو لا فلم يكن آتيا به فوجب إعادته وهم أهل الفهم والعرفان فإن قال إن قوله فقعدت يحتمل أن يكون عطفا على مقدر تقديره إذا صليت وفرغت فقعدت للدعاء فاحمد الله فيجاب بأن الأصل عدمه وإنما هو عطف على المذكور أي إذا كنت في الصلوة فقعدت للتشهد فاحمد الله أي اثن عليه بقولك التحيات لله الخ والله أعلم وقال المحبي من الحنفية وغيره لو كانت فرضا للزم تأخير البيان عن وقت الحاجة لأنه عليه السلام علمهم التشهد وقال فليتخير من الدعاء ما شاء ولم يذكر الصلوة عليه وأجيب باحتمال أن لا تكون فرضت حينئذ وقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي قد روي هذا في الصحيح بلفظ ثم ليتخير وثم للتراخي فدل على أنه كان هناك شيء بين التشهد والدعاء انتهى وقد أطنب الشيخ أبو أمامة ابن النقاش في تفسيره من الانتصار للشافعي في هذه المسئلة بما يطول ذكره فالله يثيبه على قصده الجميل وأما صفة الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا

فقلنا

فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبرهيم إنك حميد مجيد رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي فإن قلت كيف يطابق قوله اللهم صل على محمد قوله كما صليت على آل إبرهيم أجاب القاضي عياض بأن الآل مقحم كما في قوله عليه السلام في أبي موسى إنه أعطي مزمارا من مزامير آل داود ولم يكن لداود آل مشهور بحسن الصوت وقد روى هذا الحديث ابن أبي حاتم بلفظ لما نزلت إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله فكيف الصلوة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبرهيم وآل إبرهيم إنك حميد مجيد وقال عبد الرحمن ابن أبي ليلى يقول وعلينا معهم وعن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبرهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبرهيم إنك حميد مجيد رواه الإمام أحمد وعن أبي مسعود الأنصاري قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبرهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم رواه مالك ومسلم وغيرهما فإن قلت ما موقع التشبيه في قوله كما صليت على آل إبرهيم مع أن المقرر أن المشبه دون المشبه به والواقع هنا عكسه لأن محمدا صلى الله عليه وسلم وحده أفضل من آل إبرهيم ومن إبرهيم ولا سيما وقد أضيف إليه آل محمد وقضية كونه أفضل أن تكون الصلوة المطلوبة أفضل من كل صلوة حصلت أو تحصل لغيره فقد أجاب العلماء عنه بأجوبة كثيرة منها أنه عليه السلام قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل من إبرهيم وقد أخرج مسلم من حديث أنس أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية قال ذاك إبرهيم وتعقب بأنه لو كان كذلك لغير صفة الصلوة عليه بعد أن علم أنه أفضل ومنها أنه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لأمته ليكتسبوا بذلك الفضيلة ومنها أن التشبيه إنما هو لأصل الصلوة بأصل الصلوة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح وهو كقول القائل أحسن إلى ولدك كما أحسنت إلى فلان ويريد بذلك أصل الإحسان لا قدره ومنه قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك ورجح هذا القول القرطبي في المفهم ومنها أن قوله اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله وعلى آل محمد وتعقب بأن غير الأنبياء لا يمكن أن يساووا الأنبياء فكيف يطلب لهم صلوة مثل الصلوة التي

وتعظيماً لآل ابرهيم والانبياء من آله **ويمكن الجواب** عنه بان المطلوب الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت سبباً للثواب وقد نقل العمراني في البيان عن الشيخ ابي حامد انه نقل هذا الجواب عن نص الشافعي واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي لانه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا الكلام المستلزم هذا التركيب الركيك البعيد من كلام العرب كذا قال **وتعقبه** الحافظ ابن حجر فقال ليس التركيب المذكور ركيكاً بل التقدير اللهم صل على محمد وصل على آل محمد كما صليت ثم فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية **ومنها** رفع المقدمة المذكورة اولا وهي ان المشبه به يكون ارفع من المشبه وان ذلك ليس مطرداً بل قد يكون التشبيه بالمثل بل بالدون كما في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة واين يقع المشكاة من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به ان يكون شيئاً ظاهراً واضحاً للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا لما كان تعظيم ابرهيم وآل ابرهيم بالصلوة عليهم مشهوراً واضحاً عند جميع الطوائف حسن ان يطلب لمحمد وآل محمد بالصلوة عليهم مثل ما حصل لابرهيم وآل ابرهيم ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله في العالمين ولهذا لم يقع في العالمين الا في ذكر ابرهيم دون ذكر آل محمد على ما وقع في الحديث الذي وردت فيه وهو حديث ابي مسعود الانصاري الذي ذكرته وهذا معنى قول الطيبي وليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص بالكامل لكن من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر **وقال** النووي احسن الاجوبة ما نسب الى الشافعي ان التشبيه لاصل الصلوة باصل الصلوة او للمجموع بالمجموع **وقال** ابن القيم بعد ان زيف اكثر الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع واحسن منه ان يقال هو صلى الله عليه وسلم من آل ابرهيم وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين قال محمد من آل ابرهيم فكانه امرنا ان نصلي على محمد وعلى آل محمد خصوصاً بقدر ما صلينا عليه مع ابرهيم وآل ابرهيم عموماً فيحصل لآله ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له وذلك القدر ازيد مما لغيره من آل ابرهيم وتظهر حينئذ فائدة التشبيه وان المطلوب له بهذا اللفظ افضل من المطلوب بغيره من الالفاظ **وقال** الحليمي سبب هذا التشبيه ان الملائكة قالت في بيت ابرهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وقد علم ان محمداً وآل محمد من آل بيت ابرهيم فكانه قال اجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك في محمد وآل محمد كما اجبتها عندما قالوها في آل ابرهيم الموجودين حينئذ ولذلك ختم بما ختم به الآية وهو قوله انك حميد مجيد **ومما يعزى** للعارف بالله الرباني ابي محمد المرجاني انه قال وسر قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابرهيم وكما باركت على ابرهيم ولم يقل كما صليت على موسى لان موسى عليه السلام كان التجلي له بالجلال فخر موسى صعقاً والخليل ابرهيم عليه السلام كان التجلي له بالجمال لان المحبة والخلة من آثار التجلي بالجمال فلهذا امرهم صلوات الله وسلامه عليه ان يصلوا عليه كما صلى على ابرهيم ليسألوا له التجلي بالجمال وهذا

لا يقتضي

لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما لانه انما امرهم ان يسألوا له التجلي بالوصف الذي تجلى به للخليل عليه السلام فالذي يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف الذي هو التجلي بالجمال ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا في الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا في وصف التجلي بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده ورتبته منه ومكانته فيتجلى للخليل عليه السلام بالجمال بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث انتهى **فان قلت** ما المراد بآل محمد في الحديث **فالجواب** ان الراجح انهم من حرمت عليهم الصدقة كما نص عليه الشافعي واختاره الجمهور ويؤيده قوله عليه السلام للحسن بن علي انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وقيل المراد بآل محمد ازواجه وذريته وقيل المراد بهم جميع الامة امة الاجابة حكاه ابو الطيب الطبري عن بعض الشافعية ورجحه النووي في شرح مسلم وقيده القاضي حسين بالاتقياء منهم وعليه يحمل كلام من اطلق ويؤيده ما رواه تمام في فوائده والديلمي عن انس سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي من امة محمد زاد الديلمي ثم قرأ ان اولياؤه الا المتقون واسنادهما ضعيف لكن ورد ما يشهد لذلك في الصحيح كحديث ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء انما ولي الله وصالح المؤمنين انتهى ملخصاً **وقد** استدل العلماء بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها بانها افضل كيفيات الصلوة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك لو حلف ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصلوة فطريق البر ان يأتي بذلك هكذا صوبه النووي في الروضة بعد ذكر حكاية الرافعي عن ابرهيم المروذي انه قال يبر اذا قال كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عن ذكره الغافلون **قال** النووي وكانه اخذ ذلك من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية في خطبة الرسالة لكن بلفظ غفل بدل سهى **وقال** الاذرعي ابرهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين ومع ذلك قال القاضي في طريق البر ان يقول اللهم صل على محمد كما هو اهله ويستحقه وكذا نقله البغوي في تعليقه ولو جمع بينهما فقال ما في الحديث واضاف اليه اثر الشافعي وما قاله القاضي لكان اشمل ولو قيل انه يعمد الى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة فيستعمل منها ذكراً يحصل به البر لكان حسناً **وعن ابن مسعود** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلوة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمداً وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم وقد استدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا احداً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تحجرت

واسعاً **وحكى** القاضي عياض رحمه الله عن جمهور المالكية منعه قال واجازه ابو محمد
ابن ابي زيد انتهى وسيأتي ما في ذلك من البحث ان شاء الله تعالى في المقصد التاسع
عند الكلام على التشهد **وعن سلامة** الكندي ان عليا كان يعلم الناس هذا الدعاء
وفي لفظ يعلم الناس الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي
المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك
على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ
لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك
حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله
اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات
الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك
يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه
مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك
المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه
من ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان
عظيم حديث موقوف رواه الطبراني لكن قال الحافظ ابن كثير في سنده نظر **قال** وقال
شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا كذا قال
وقوله داحي المدحوات اي باسط الارضين وكل شيء بسطته ووسعته فقد دحوته وبارئ
المسموكات اي خالق السموات وكل شيء رفعته واعليته فقد سمكته والدامغ لجيشات الاباطيل
اي المهلك لما نجم وارتفع منها وفار واصل الدمغ من الدماغ دمغه اصاب دماغه وجيشات
من جاش اذا ارتفع واضطلع افتعل من الضلاعة وهي القوة واورى قبسا لقابس اي
اظهر نورا من الحق لطالبه والآء الله نعم الله وتصل باهله اي اهل ذلك القبس وهو الاسلام
والحق اسبابه واهله المؤمنون وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم اي هدت
بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام ونائرات والمنيرات الواضحات يقال نار وانار
اذا وضح وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد على امته يوم القيمة وبعيثك نعمة اي
مبعوثك فعيل بمعنى مفعول وافسح له اي وسع له في عدنك اي في جنتك جنة عدن
والمعلول من العلل وهو الشرب بعد الشرب يريد ان عطاءه مضاعف له كانه يعل به
عباده اي يعطيهم عطا بعد عطا واعل على بناء الناس **وفي** رواية البانين اي ارفع
فوق اعمال العاملين عمله واكرم مثواه اي منزله ونزله اي رزقه والخطة بضم الخا المعجمة
الامر والقصة والفصل القطع **وعن عبد الله** بن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا
له علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين

وخاتم

وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم
انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك
حميد مجيد حديث موقوف رواه ابن ماجه **وعن رويفع** بن ثابت الانصاري ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم انزله المقعد المقرب عندك
يوم القيمة وجبت له شفاعتي رواه الطبراني قال ابن كثير واسناده حسن ولم يخرجوه
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال له بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه
امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد رواه ابو داود
وعن طاوس سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا
واعطه سوله في الآخرة والاولى كما آتيت ابرهيم وموسى رواه اسماعيل القاضي قال ابن كثير
واسناده جيد قوي صحيح **واما المواطن** التي تشرع فيها الصلوة عليه صلى
الله عليه وسلم **فمنها** التشهد الاخير وهي واجبة فيه كما قدمنا وفي وجوبها في التشهد
الاول قول لان اظهرهما المنع لبنائه على التخفيف بل سنة وفي استحباب الصلوة على الآل
قولان وفي وجوبها في الاخير رابعا اصحهما المنع بل هي سنة تابعة واقلها اللهم صل
على محمد وكذا صلى الله على محمد واقلها على الآل وآله وقال في الكفاية باعادة على **ومنها**
خطبة الجمعة وكذا غيرها من الخطب فلا تصح خطبتا الجمعة الا بها لانها عبادة وذكر الله فيها
شرط فوجب ذكر الرسول فيها كالاذان والصلوة وهذا مذهب الشافعي واحمد **ومنها**
عقب اجابة المؤذن لما رواه الامام احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه
من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة
لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة حلت
عليه الشفاعة اخرجه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة
وذكره بلفظ الرجا وان كان محقق الوقوع ادبا وارشادا تعليما منه وتذكيرا بالخوف
وتفويضا الى الله بحسب مشيئته وليكون الطالب للشيء بين الرجا والخوف وقوله حلت
عليه الشفاعة اي وجبت وقيل غشيته ونزلت به **تنبيه** قال شيخنا
في المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان لم اره في شيء
من الروايات واصل الحديث عند احمد والبخاري والاربعة عن جابر مرفوعا من قال
حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيمة قال
وكان من زادها اغتر بما وقع في بعض نسخ الشفا في حديث جابر المشار اليه لكن مع زيادة

في هذه النسخة المعتمدة علم عليها كاتبها بما يشير الى الشك فيها ولم ارها في سائر نسخ الشفا
بل في الشفا عقد لها فصلا في مكان آخر ولم يذكر فيه حديثا صريحا وهو دليل الغلط
والله اعلم ومنها اول الدعاء واوسطه وآخره لما روى احمد من حديث جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه
ويرفع متاعه فان احتاج الى شرابه شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول
الدعاء واوسطه وآخره ومنها وهو من آكدها عقب دعاء القنوت لما رواه احمد واهل
السنن وابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث ابي الحوراء عن الحسن بن علي قال علمني
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت
وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت
فانك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت وزاد
النسائي في سننه وصلى الله على النبي وسيأتي في المقصد التاسع البحث في ذلك
ان شاء الله تعالى ومنها اثناء تكبيرات العيدين لما روى اسماعيل القاضي ان ابن مسعود
وابا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة فقال ان هذا العيد قد دنا فكيف
التكبير فيه فقال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلوة وتحمد ربك وتصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم
تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرأ ثم تكبر وتركع ثم تقوم وتكبر وتحمد ربك وتصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وابو موسى
صدق ابو عبد الرحمن قال ابن كثير اسناده صحيح ومنها عند دخول المسجد والخروج
منه لما رواه احمد عن فاطمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد
وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك ومنها في صلوة الجنازة
فان السنة ان يقرأ الفاتحة بعد احدى التكبيرات وبعد الاولى وان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة
يقول اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده وفي ذلك حديث رواه الشافعي والنسائي
ومنها عند التلبية لما رواه الشافعي والدارقطني عن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق
قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال
ومنها عند الصفا والمروة لما روى اسماعيل القاضي عن عمر بن الخطاب انه قال اذا قدمتم
فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث
ترون البيت فكبروا سبع تكبيرات تكبيرا بين حمد وثناء عليه وصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم ومسئلة لنفسك وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوي
ومنها عند الاجتماع والتفرق لما روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان
عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وروى اسماعيل القاضي عن ابي سعيد قال ما من
قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان
دخلوا الجنة لما يرون من الثواب ومنها عند الصباح والمساء لما روى الطبراني من حديث
ابي الدرداء مرفوعا من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيمة
ومنها عند الوضوء لحديث ابن ماجه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ومنها عند طنين الاذن لحديث ابي رافع
عند ابن السني مرفوعا اذا طنت اذن احدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني
بخير ومنها عند نسيان الشيء لحديث ابي موسى المديني بسند فيه ضعف عن انس رفعه اذا نسيتم
شيئا فصلوا علي تذكروه ان شاء الله تعالى ومنها بعد العطاس كما ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة
ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كالاكل والشرب والوقاع
ونحو ذلك ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث ابي داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وروى ابن
عساكر من صلى علي عند قبري سمعته وورد الامر بالاكثار منها يوم الجمعة وليلتها فعن اوس بن اوس
الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه
قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلوة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا
يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني وقد بليت قال ان الله حرم
على الارض ان تأكل اجساد الانبياء رواه احمد وابو داود والنسائي وقد صحح هذا الحديث
ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث
ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة
ولكن في اسناده ضعف فان قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلوة عليه
صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها اجاب ابن القيم بان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلوة عليه فيه مزية ليست لغيره مع
حكمة اخرى وهي ان كل خير نالته امته في الدنيا والآخرة فانما نالته على يده صلى الله عليه
وسلم فجمع الله لامته به بين خيري الدنيا والآخرة واعظم كرامة تحصل لهم فانها تحصل
لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا
الجنة وهو عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد
سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده واداء القليل
من حقه صلى الله عليه وسلم ان يكثر من الصلوة عليه في هذا اليوم وليلته واما فضيلة
الصلوة عليه صلى الله عليه وسلم فقد ورد التصريح بها في احاديث قوية لم يخرج البخاري
منها شيئا امثلها ما اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى

على واحدة صلى الله عليه بها عشرا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فلم يجد احدا يتبعه فاتاه عمر بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم فقال احسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك من امتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبراني وقال الترمذي حديث حسن صحيح قال ابن كثير وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين وعن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال قلت بلى رواه الدارمي واحمد وابن حبان والحاكم والنسائي واللفظ له وعن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد وابن ماجه من حديث شعبة وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلوة فليقل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد والتخيير بعد الاعلام بما في الخير من الخير فيه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد وروى الترمذي ان ابي بن كعب قال يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالنصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك ثم قال هذا حديث حسن فهذا ما يتعلق بالصلوة

واما السلام فقال النووي يكره افراد الصلوة عن السلام واستدل بورود الامر بهما معا في الاية يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وتعقبوه بان النبي صلى الله عليه وسلم علم اصحابه التسليم قبل تعليم الصلوة كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك وقوله عليه الصلوة والسلام بعد ان علمهم الصلوة والسلام كما قد علمتم فافرد التسليم مدة قبل الصلوة عليه لكن قال في فتح الباري انه يكره ان تفرد الصلوة ولا يسلم اصلا اما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر فانه يكون ممتثلا وقال ابو محمد الجويني من اصحابنا السلام بمعنى الصلوة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام سواء في هذا الاحياء والاموات واما الحاضر فيخاطب به فيقال السلام عليك او عليكم او السلام عليك او عليكم وهذا مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة بعض النساخ ان يفرد عليا وفاطمة رضي الله عنهما بالسلام فيقولون عليه او عليها السلام من دون سائر الصحابة في ذلك وهذا

وان كان معناه صحيحا لكن ينبغي ان يساوى بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فان هذا من باب التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اشار اليه ابن كثير

واما الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها واخرج البيهقي بسند واهي من حديث بريدة لا تتركن في التشهد الصلوة علي وعلى انبياء الله واخرج اسماعيل القاضي بسند ضعيف من حديث ابي هريرة صلوا على انبياء الله واخرج الطبراني من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا على انبياء الله فان الله بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان بن حكيم عنه قال ما اعلم الصلوة تنبغي على احد من احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم وسنده صحيح وحكي القول به عن مالك وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي وعن بعض شيوخ مذهب مالك لا يجوز ان يصلى الا على محمد قالوا وهذا غير معروف عن مالك وانما قال اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به وخالفه يحيى بن يحيى فقال لا باس به واحتج بان الصلوة دعاء بالرحمة فلا يمنع الا بنص او اجماع **واما الصلوة** على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآل محمد ونحوه فهذا جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلوة عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وبقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وبحديث عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلوة لان هذا قد صار شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او قال علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعارا لآل ابي اوفى وهذا مسلك حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك لان الصلوة على غير الانبياء قد صار من شعار اهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه او خلاف الاولى على ثلاثة اقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار ثم قال والصحيح الذي عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم

الفصل الثالث في ذكر محبة اصحابه

عليه الصلوة والسلام وآله وقرابته واهل بيته وذريته قال الطبري اعلم ان الله تعالى لما اصطفى نبيه صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما عمه به من فضله البالغ وحباه اعلى بركته من انتمى اليه نسبا او نسبة ورفع من انطوى عليه نصرة وصحبة والزم مودة قرباه كافة بريته وفرض محبة جملة اهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى ويروى انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقد اختلف في المراد باهل البيت في هذه الآية فروى ابن ابي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس انه كان ينادي في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني ما في الآية نص في دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم لانهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا اما وحده على قول او مع غيره على الصحيح وقيل المراد النبي صلى الله عليه وسلم قال عكرمة من شاء باهلته انها نزلت في شان النبي صلى الله عليه وسلم وان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن وفي هذا نظر فقد ورد في ذلك احاديث تدل على ان المراد اعم من ذلك فروى الامام احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا على فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال كساء ثم تلى هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي احق زاد في رواية ابن جرير فقلت وانا يا رسول الله من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانها من ارجى ما ارتجي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيتها اذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا ياكلونه من تلك الخزيرة وتحته كساء قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله عز وجل هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فاخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي وحامتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت راسي من البيت فقلت وانا معكم يا رسول الله فقال انك الى خير انك الى خير رواه احمد وفي اسناده من لم يسم وبقية اسناده ثقات وقوله وحامتي بالتشديد اي خاصتي وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه ابن جرير ورواه احمد في المناقب والطبراني وعن

زيد

زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي عز وجل فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث فيه ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله عز وجل في اهل بيتي ثلاث مرات فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال بلى ان نساءه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرمت عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم خرجه مسلم والثقل محركة كما في القاموس كل شيء نفيس مصون قال ومنه حديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وهي بكسر المهملة وسكون المثناة والآخذ بهذا الحديث اخرى وليس المراد بالاهل الازواج فقط بل هن مع اهله ولا يشك من تدبر القرآن ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في الآية الكريمة فان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهذا اختيار ابن عطية بعد ان نقل ان الجمهور على انهم علي وفاطمة والحسن والحسين قال وحجة الجمهور قوله تعالى عنكم ويطهركم بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان عنكن واجيب بان الخطاب بلفظ التذكير وقع على سبيل التغليب فيكون المراد به كالمراد بالآل في حديث كيفية الصلوة عليه السابق ذكره على قول من فسره به كما قدمته مع غيره قريبا في الفصل السابق والله اعلم ه

ولله در القائل

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض	من الله في القرآن انزله
يكفيكم من عظيم الفخر انكم	من لم يصل عليكم لا صلوة له

واخرج احمد عن ابي سعيد معنى حديث زيد بن ارقم السابق مرفوعا بلفظ اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل كما قال الجوهري اهله ونسله ورهطه الادنون اي الاقارب وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال يا ايها الناس ارقبوا محمدا في اهل بيته رواه البخاري والمراقبة للشيء المحافظة عليه يقول احفظوهم فلا تؤذوهم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كما في البخاري ايضا لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي من ان اصل من قرابتي وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه اياها ما طلبته من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرى منه على موجب الايمان لانه عليه السلام شرط الاحبية فيه على النفس والمال والولد كما ذكرته في الفصل الاول من هذا المقصد ثم انه صلى الله عليه وسلم اثبت لاقاربه ما اثبت لنفسه من ذلك فقال من احبهم فبحبي احبهم وحثنا على ذلك شفقة منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم

ولقد أحسن القائل

رأيت ولائي آل طه فريضة على … رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى … بتبليغه إلا المودة في القربى

وفي الترمذي وقال حديث حسن غريب أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبوني بحب الله وأحبوا اهل بيتي بحبي وفي المناقب لأحمد من أبغض أهل البيت فهو منافق وروى ابن سعد من صنع إلى أحد من أهل بيتي معروفا فعجز عن مكافأته في الدنيا فأنا المكافئ له يوم القيمة والمراد بالقرابة من ينتسب إلى جده الأقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أو رآه من ذكر وأنثى وهم علي وأولاده الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم من فاطمة رضي الله عنها وجعفر وأولاده عبد الله وعون ومحمد ويقال إنه كان لجعفر ابن أبي طالب ابن اسمه أحمد وعقيل بن أبي طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب وأولاده يعلى وعمارة وأمامة والعباس بن عبد المطلب وأولاده الذكور العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله عنه

تموا بتمام فصاروا عشرة … يا رب فاجعلهم كراما بررة

ويقال إن لكل منهم رؤية وكان له من الإناث أم حبيبة وآمنة وصفية وأكثرهم من لبابة أم الفضل ومعتب بن أبي لهب والعباس بن أبي لهب وكان زوج آمنة بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وأخته ضباعة وكانت زوجة المقداد بن الأسود وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأبناه المغيرة وهند ولهند بن الحارث هذا رؤية وكان يلقب ببَبَّة بموحدتين الثانية ثقيلة وأميمة وأروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب أسلمت صفية وصحبت وفي الباقيات خلاف والله أعلم وفي البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وفي لفظ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى أي نازل مني منزلة هارون من موسى والباء زائدة وقال الطيبي معنى الحديث أنت متصل بي نازل مني منزلة هارون من موسى وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله إلا أنه لا نبي بعدي فعرف أن الاتصال بينهما من جهة النبوة بل من جهة ما دونها وهو الخلافة ولما كان هارون المشبه به إنما كان خليفة في حيوة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته والله أعلم وأما ما استدل به من هذا الحديث على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة فإن هارون كان خليفة موسى فأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته لأنه مات قبل موسى باتفاق أشار إلى ذلك الخطابي وأما حديث الترمذي والنسائي من كنت مولاه فعلي مولاه فقال الشافعي رضي الله عنه يعني بذلك ولاء الإسلام لقوله تعم

ذلك

ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم وقول عمر أصبحت مولى كل مؤمن أي ولي كل مؤمن وطرق هذا الحديث كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح وحسان وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال من آذى عليا فقد آذاني خرجه أحمد وأخرج المخلص الذهبي من أحب عليا فقد أحبني وقد ذكر النقاش أن قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا نزلت في علي وقال محمد بن الحنفية لا تجد مؤمنا إلا وهو يحب عليا وأهل بيته وقال أبو حيان في البحر ومن غريب ما أنشدنا الإمام اللغوي رضي الدين أبو عبد الله محمد ابن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي لزينب ابنة إسحاق النصراني الرسعني

عدي وتيم لا أحاول ذكرهم … بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه … إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم … وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم إني لأحسب حبهم … سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

وقالت عائشة رضي الله عنها كانت فاطمة أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها أحب الرجال إليه رواه الترمذي وفي البخاري أن فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني والبضعة بفتح الباء الموحدة وحكي ضمها وكسرها أيضا وبسكون المعجمة أي قطعة لحم واستدل به السهيلي على أن من سبها فإنه يكفر وفي الترمذي من حديث أسامة بن زيد وقال حسن غريب أنه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في الحسن خاصة زاد أبو حاتم فما كان أحد أحب إلي من الحسن بعدما قال صلى الله عليه وسلم ما قال وفي حديث أبي هريرة أيضا عند الحافظ السلفي قال ما رأيت الحسن بن علي قط إلا فاضت عيناي دموعا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وأنا في المسجد فأخذ بيدي واتكأ علي حتى جئنا سوق قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد ثم قال ادع ابني قال فأتى الحسن بن علي يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات وفي الترمذي من حديث علي أنه صلى الله عليه وسلم كان بينهما ويضمهما إليه وقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيمة رواه أحمد وقال الترمذي كان معي في الجنة وقال حديث غريب وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب وتقدم نحوه في قوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين في المقصد السادس وفي حديث أبي زهير بن الأرقم رجل من الأزد أنه صلى الله عليه وسلم قال في الحسن من أحبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب وفي البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وكان عليه الصلوة والسلام يمص لسان الحسن وشفتيه رواه أحمد وعن عقبة بن الحارث

قال رأيت أبا بكر وحمل الحسن وهو يقول • بأبي شبيه بالنبي • ليس شبيها بعلي • وعلي يضحك وعن محمد بن سيرين عن أنس كان يعني الحسين أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما البخاري وعنده من رواية الزهري عن أنس لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي • وهذا قد يعارضه قول علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لم أر قبله ولا بعده مثله أخرجه الترمذي في الشمائل كما تقدم في المقصد الثالث وأجيب بأن يحمل النفي على عموم الشبه والإثبات على معظمه وقول أنس لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي قد يعارض رواية ابن سيرين عنه السابقة كان الحسين يعني بالبناء أشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال لما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لأنه كان أشد يومئذ شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من أخيه الحسين وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك أو المراد بمن فضل عليه الحسين في الشبه كان من عدا الحسن ويحتمل أن يكون كل منهما كان أشد شبها به في بعض أعضائه فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هانئ بن هانئ عن علي قال الحسن أشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الرأس إلى الصدر والحسين أشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك وقد عدوا من كان له شبه بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى الحسن والحسين جعفر بن أبي طالب وقد قال عليه السلام لجعفر أشبهت خلقي وخلقي وقال الترمذي حسن صحيح • وابنه عبد الله بن جعفر • وقثم بن العباس بن عبد المطلب • وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب • ومسلم بن عقيل بن أبي طالب ومن غير بني هاشم السائب بن يزيد المطلبي الجد الأعلى للإمام الشافعي • وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الراء • وكابس بن ربيعة رجل من أهل البصرة وجه إليه معاوية وقبل بين عينيه وأقطعه قطيعة وكان أنس إذا رآه بكى فهؤلاء عشرة ونظمهم شيخ الإسلام والحافظ أبو الفضل بن حجر فقال

شبهوا النبي لعشر سائب وأبي	سفيان والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم	ومسلم كابس يتلوهم مع قثما

وعدهم بعضهم سبعة وعشرين وممن كان يشبهه أيضا فاطمة ابنته وإبراهيم ولده وولدا جعفر عبد الله السابق ذكره وأخوه عون وكان يشبهه أيضا من أهل البيت غيرهم لا إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب • ويحيى بن القاسم بن محمد بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي وكان يقال له الشبيه قال الشريف محمد بن أسعد النسابة في الزورة الإنسية لمشهد السيدة نفيسة أنه كان ليحيى هذا موضع خاتم النبوة شامة قدر بيضة الحمامة يشبه خاتم النبوة وكان إذا دخل الحمام ورآه الناس صلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركا • وكذا وصف بالتشبيه القاسم بن عبد الله

ابن محمد

ابن محمد بن عقيل بن أبي طالب • وعلي بن علي بن عباد بن رفاعة الرفاعي شيخ بصري من أتباع التابعين • والمراد بالتشبيه هنا التشبه في البعض وأما تمام حسنه صلى الله عليه وسلم فمنزه عن الشريك كما قال الأبوصيري وأجاد

منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

كما أشرت إليه في أول المقصد الثالث • وقد أطلت المقال وإنما جرني إلى ذلك حمل الصديق للحسن على عاتقه المتسم بالإكرام من أفضل البشر بعد النبيين لأهل البيت المحمدي وحملهم على الأعناق لا سيما مع قوله رضي الله عنه لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي فلما تضمن الحديث ذكر الشبه الكريم جرني إليه وهذا وقع لي كثيرا في هذا المجموع بل في غالبه لكنه لا يخلو عن فرائد الفوائد وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني وأنا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني ومن سب العباس فقد سبني أخرجه البغوي في معجمه • وقال صلى الله عليه وسلم للعباس أيضا والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فإنما عم الرجل صنو أبيه رواه الترمذي وقال حسن صحيح • وفي قوله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم الإشارة إلى الإيمان الحقيقي المنجي وهو التصديق القلبي وبين المحبة والإيمان ارتباط من جهة أن المحبة ميل القلب إلى المحبوب والإيمان التصديق القلبي فيجتمعان في القلب وجعلهما متلازمين فيلزم من نفي أحدهما نفي الآخر ثم علل هذه المحبة بكونها لله ورسوله فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك • ثم جعل أذاه كأذى نفسه لأنه عضوه وعصبته • ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الأب فكما أنه يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه فكذلك عمه فقال وإنما عم الرجل صنو أبيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون أي مثل أبيه قال ابن الأثير وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد يريد أن أصل العباس وأصل أبي واحد انتهى • وجلله عليه الصلاة والسلام وبنيه بكساء ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وقال حسن غريب وبين السري في روايته أن بنيه الذين جللوا بالكساء كانوا ستة الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وقال وغطاهم بشملة له سوداء مخططة بحمرة وقال اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كستري إياهم بهذه الشملة قال فما بقي في البيت مدرة ولا باب إلا آمن وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن أبي طالب إني أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت أعلم من حب عمي لك قال الطبري أخرجه أبو عمر والبغوي وروى الدارقطني أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين أبو سفيان بن الحارث خير أهلي أو من خير أهلي وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله النار واعلم أنه قد اشتهر استعمال الرب لقبا

يوصفون بها • الأولى آله عليه السلام • والثانية أهل بيته • والثالثة ذوو القربى • والرابعة عترته • فأما الأولى فذهب قوم إلى أنهم هم أهل بيته وقال آخرون هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه • وأما اللفظة الثانية وهي أهل بيته فقيل من ناسبه إلى جده الأدنى • وقيل من اجتمع معه في رحم • وقيل من اتصل به بنسب أو سبب • وأما اللفظة الثالثة وهي ذوو القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما • وأما اللفظة الرابعة وهي عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فأما العشيرة فهي الأهل الأدنون • وأما الذرية فنسل الرجل فأولاد بنت الرجل ذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود إلى قوله وعيسى ولم يتصل عيسى بإبراهيم إلا من جهة أمه مريم فهذه الذرية الطاهرة قد خصوا بمزايا التشريف وعموا بواسطة السيدة فاطمة بفضل منيف • والبسوا رداء التشريف ومنحوا بمزيد الإكرام والتحف • وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضراء لمزيد شرفهم • والسبب في ذلك كما قيل أن المأمون أراد أن يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتخذ لهم شعارا أخضر وألبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها والأحمر مختلف في كراهته والأصفر شعار اليهود بآخرة • ثم انثنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعار الأشراف العلويين من الزهراء لكنهم اختصروا الثياب إلى قطعة من ثوب أخضر توضع على عمائمهم شعارا لهم ثم انقطع ذلك إلى أواخر القرن الثامن قال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من أنباء الغمر بأبناء العمر وفيها أمر السلطان الأشراف أن يمتازوا عن الناس بعصائب خضر على العمائم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول الأديب أبو عبد الله بن جابر الأندلسي ه

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر ه
نور النبوة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الأخضر ه

وللأديب شمس الدين المزين الدمشقي رحمه الله تعالى

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضر بأعلام على الأشراف •
والأشرف السلطان قد خصهم بها ... شرفا ليفرقهم من الأطراف •

والأشرف السلطان هو شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون • وأما الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين • فقال سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى آخر السورة لما أخبر سبحانه وتعالى أن سيدنا محمدا صلى الله

عليه

عليه وسلم رسوله حقا من غير شك ولا ريب فقال محمد رسول الله وهذا مبتدأ وخبر وقال البيضاوي وغيره جملة مبينة للمشهود به يعني قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق إلى قوله وكفى بالله شهيدا قال ويجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر مبتدأ محذوف انتهى • وهذه الآية مشتملة على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على أصحابه فقال والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالأخيار ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص التام فمن نظر إليهم أعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن أعمالهم قال مالك بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فإن هذه الأمة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى هنا ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه أي فراخه فآزره أي شده وقواه فاستغلظ شب وطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه فأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ليغيظ بهم الكفار • ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة فهو كافر ووافقه على ذلك جماعة من العلماء والأحاديث في فضائل الصحابة كثيرة ويكفي ثناء الله تعالى عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة وأجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم • ومن في قوله منهم لبيان الجنس واختلف في تعريف الصحابة فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين وإليه ذهب البخاري وسبقه إليه شيخه ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحابه انتهى وهذا هو الراجح والتقييد بالإسلام يخرج من صحبه أو رآه من الكفار ولو اتفق إسلامه بعد موته لكن يرد على التعريف من صحبه أو رآه مؤمنا ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد إلى الإسلام كعبد الله ابن جحش فإنه ليس بصحابي اتفاقا وكذلك ابن خطل وربيعة بن أمية بن خلف الجمحي وهو ممن أسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شيء أغضبه وقد أخرج له الإمام أحمد في مسنده وإخراجه له مشكل ولعله لم يقف على قصة ارتداده فينبغي أن يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد إلى الإسلام لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح أنه معدود في الصحابة لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك وإخراجهم أحاديثهم في المسانيد لكن

قال الحافظ زين الدين العراقي فان في ذلك نظرا كبيرا فان الردة محبطة للعمل عند ابي حنيفة
ونص عليه الشافعي في الام وان كان الرافعي قد حكى عنه انها انما تحبط بشرط اتصالها
بالموت وحينئذ فالظاهر انها محبطة للصحبة المتقدمة • واما من رجع الى الاسلام في
حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله
الثاني في الاسلام • وهل يشترط في الرائي ان يكون بحيث يميز ما رآه او يكتفي بمجرد حصول
الرؤية قال الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني فانهم
ذكروا مثل محمد بن ابي بكر الصديق وانما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة
اشهر وايام لما ثبت في الصحيح ان امه اسماء بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل ان تدخل
مكة وذلك في اواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة • ومنهم من بالغ فكان لا يعد في
الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية وروي عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد في
الصحابة الا من اقام مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة فصاعدا او غزا معه غزوة فصاعدا
والعمل على خلاف هذا القول • ومنهم من اشترط في ذلك ان يكون حين اجتماعه به بالغا
وهو مردود ايضا لانه يخرج مثل الحسن بن علي ونحوه من احداث الصحابة واما التقييد
بالرؤية فالمراد به عند عدم المانع منها فان كان كابن ام مكتوم الاعمى فهو صحابي جزما
فلا جرم ان يعبر باللقي بدل الرؤية ليدخل فيه ابن ام مكتوم ونحوه • قال الحافظ
زين الدين العراقي وقولهم من رأى النبي صلى الله عليه وسلم هل المراد رآه في حال
نبوته او اعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبل النبوة على دين
الحنيفية كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده
وقد ذكره في الصحابة ابو عبد الله بن منده وكذا لو رآه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش
الى بعد زمن البعثة واسلم ثم مات ولم يره وكلام من تعرض لذلك يدل على ان المراد
رآه بعد نبوته لانهم ترجموا في الصحابة لمن ولد للنبي صلى الله عليه وسلم كابراهيم وعبد الله
ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها كالقاسم انتهى • وهل يختص جميع ذلك ببني
آدم ام يعم غيرهم من العقلاء محل نظر • اما الجن فالراجح دخولهم لان النبي صلى الله
عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه
منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة وان كان ابن الاثير عاب على ابي موسى فلم يستند
في ذلك الى حجة • واما الملائكة فيتوقف عدهم في ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه
خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله
فيمن رآه في قيد الحيوة الدنيوية • اما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس
صحابيا والا لعد من اتفق انه يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه
الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله عليه وسلم فرآه كذلك على طريق
الكرامة كما قدمت مباحثه في خصوصياته عليه السلام من المقصد الرابع اذ حجة من اثبت

الصحبة

الصحبة لمن رآه قبل دفنه انه مستمر الحيوة وهذه الحيوة ليست دنيوية وانما هي اخروية
لا تتعلق بها احكام الدنيا • واما من رآه في المنام وان كان قد رآه حقا فذلك فيما
يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا ولا يجب عليه
ان يعمل بما امره به في تلك الحالة • وقد اجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على انهم
خير خلق الله وافضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين لما روى البخاري
من حديث عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم • وله من حديث عمران بن الحصين خير امتي قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا قال
في فتح الباري والقرن اهل زمان واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة
ويطلق على مدة من الزمان واختلفوا في تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين
لكن لم ار من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قائل • وقال
صاحب المحكم هو القدر المتوسط من اعمار اهل كل زمن وهذا اعدل الاقوال والمراد
بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحابة وتقدم في اول المقصد الاول
حديث بعثت من خير قرون بني آدم • وفي رواية بريدة عند احمد خير هذه الامة القرن
الذي بعثت فيهم وقد ضبط الائمة من الحفاظ آخر من مات من الصحابة على الاطلاق
بلا خلاف ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه وكان موته سنة
مائة على الصحيح وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة وهو الذي صححه الذهبي
وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر على رأس مائة سنة لا يبقى على
وجه الارض ممن هو عليها اليوم احد وفي رواية مسلم ارايتكم ليلتكم هذه فانه
ليس من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة • واما ما ذكر ان عكراش بن ذؤيب عاش بعد
يوم الجمل مائة سنة فذلك غير صحيح وان صح فمعناه انه استكمل المائة بعد الجمل لا انه
بقي بعدها مائة سنة كما نص عليه الائمة • واما ما ذكر ايضا من امر بابا رتن ونحوه
فان ذلك لا يروج على من له ادنى مسكة من العقل كما قاله الائمة واما آخر الصحابة
موتا بالاضافة الى النواحي فقد افردهم ابن منده • واما قوله ثم الذين يلونهم
فهم اهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين
ومقتضى هذا الحديث ان يكون الصحابة افضل من التابعين والتابعون افضل من اتباع
التابعين لكن هل هذه الافضلية بالنسبة الى المجموع او الافراد والذي ذهب اليه ابن
عبد البر هو الاول كما قدمت ذلك في خصائص هذه الامة من المقصد الرابع واحتج
لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل امتي مثل المطر لا يدرى آخره خير ام اوله قال
الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها الى درجة الصحة وقد روى
ابن ابي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير احد التابعين باسناد حسن قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركن المسيح قوما انهم لمثلكم او خير ثلاثا ولن يخزي
الله امة انا اولها والمسيح آخرها وروى ابو داود والترمذي من حديث ابي ثعلبة
رفعه ان في ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا يا رسول الله قال بل منكم
وهو شاهد لحديث مثل امتي مثل المطر لكن حديث للعامل منهم اجر خمسين منكم
لا يدل على افضلية غير الصحابة على الصحابة لان مجرد زيادة الاجر لا يستلزم ثبوت
الافضلية المطلقة وايضا الاجر انما يقع تفاضله بالنسبة الى ما يماثله في ذلك
العمل فاما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من فضيلة المشاهدة فلا يعدله
فيها احد ولا ريب ان من قاتل معه او في زمانه بامره او انفق شيئا من ماله بسببه
لا يعدله احد في الفضل بعده كائنا من كان قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكذلك
من ضبط الشرع المتلقى عنه وبلغه لمن بعده فمحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له الا
مجرد المشاهدة وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من لم يحصل له ذلك وبهذا يمكن تاويل الاحاديث
المتقدمة ثم ان الصحابة على ثلاثة اصناف • الاول المهاجرون • الثاني الانصار وهم
الاوس والخزرج وحلفاؤهم ومواليهم • الثالث من اسلم يوم الفتح • قال ابن الاثير في الجامع
والمهاجرون افضل من الانصار وهذا على سبيل الاجمال • واما على سبيل التفضيل
فان جماعة من سباق الانصار افضل من جماعة من متاخري المهاجرين وانما سباق المهاجرين
افضل من سباق الانصار ثم هم بعد ذلك متفاوتون فرب متاخر في الاسلام افضل
من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح وقد ذكر العلماء للصحابة ترتيبا
على طبقات وممن قسمهم كذلك الحاكم في علوم الحديث • الطبقة الاولى قوم اسلموا
بمكة اول البعث وهم سباق المسلمين مثل خديجة بنت خويلد وعلي بن ابي طالب وابي بكر
الصديق وزيد بن حارثة وبقية العشرة وقد تقدم الخلاف فاول من اسلم في المقصد
الاول • الطبقة الثانية اصحاب دار الندوة بعد اسلام عمر بن الخطاب حمل النبي صلى الله
عليه وسلم ومن معه من المسلمين الى دار الندوة فاسلم لذلك جماعة من اهل مكة • الطبقة
الثالثة الذين هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم من اذى المشركين اهل مكة منهم جعفر
ابن ابي طالب وابو سلمة بن عبد الاسد • الطبقة الرابعة اصحاب العقبة الاولى وهم
سباق الانصار الى الاسلام وكانوا ستة واصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا
اثني عشر وقد قدمت اسماء اهل العقبتين في المقصد الاول • الطبقة الخامسة اصحاب
العقبة الثالثة وكانوا سبعين من الانصار منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو
ابن حرام وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة • الطبقة السادسة
المهاجرين الذين وصلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهو بقبا قبل ان
يبني المسجد وينتقل الى المدينة • الطبقة السابعة اهل بدر الكبرى قال صلى الله عليه

وسلم

مطلب طبقات الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين

وسلم لعمر في قصة حاطب بن ابي بلتعة وما يدريك لعل الله اطلع على هذه العصابة
من اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم رواه مسلم • الطبقة الثامنة الذين
هاجروا بين بدر والحديبية • الطبقة التاسعة اهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية
تحت الشجرة قال عليه السلام لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد رواه مسلم
الطبقة العاشرة الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد بن الوليد وعمرو بن
العاصي ومثل بعضهم بابي هريرة لكن قال الحافظ العراقي لا يصح التمثيل به فانه هاجر
قبل الحديبية عقب خيبر بل في اواخرها • الطبقة الحادية عشرة الذين اسلموا يوم الفتح
وهم خلق كثير فمنهم من اسلم طائعا ومنهم من اسلم كارها ثم حسن اسلام بعضهم والله اعلم
بهم • الطبقة الثانية عشرة صبيان ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وراوه عام الفتح وبعده
في حجة الوداع وغيرها كالسائب بن يزيد ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الاقوال
واما عدة اصحابه صلى الله عليه وسلم فمن رام حصر ذلك رام امرا بعيدا
ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من اسلم من اول البعثة الى ان مات النبي
صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي وقد روى البخاري ان كعب بن مالك
قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم
كتاب حافظ يعني الديوان لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك وقد ورد انه سار
عام الفتح في عشرة آلاف من المقاتلة والى حنين في اثني عشر الفا والى حجة الوداع في تسعين
الفا والى تبوك في سبعين الفا وقد روي انه قبض عن مائة الف واربعة وعشرين الفا
والله اعلم بحقيقة ذلك ثم ان افضلهم عند اهل السنة على الاطلاق اجماعا ابو بكر
ثم عمر رضي الله عنهما وعن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري وفي رواية عبيد الله
ابن عمر عن نافع كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بابي بكر احدا ثم عمر ثم عثمان
ثم نترك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم رواه البخاري ايضا
وقوله لا نعدل بابي بكر اي لا نجعل له مثلا ولابي داود من طريق سالم عن ابن عمر كنا
نقول ورسول الله حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
زاد الطبراني في رواية فيسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وروى
خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة من طريق سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابن عمر
كنا نقول اذا ذهب ابو بكر وعمر وعثمان استوى الناس فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فلا ينكره وفي ذلك تقديم عثمان بعد ابي بكر وعمر واهل السنة على ان عليا بعد
عثمان • وذهب بعض السلف الى تقديم علي على عثمان وممن قال به سفيان الثوري وقيل
لا يفضل احدهما على الآخر ونقل ذلك عن مالك في المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى بن سعيد
القطان وقال ابن معين من قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقيته وفضله

فهو صاحب سنة ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مؤمن وقد ادعى ابن عبد البر ان حديث الاقتصار على الثلاثة ابو بكر وعمر وعثمان خلاف قول اهل السنة ان عليا افضل الناس بعد الثلاثة وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله فالمقطوع به بين اهل السنة افضلية ابو بكر ثم عمر ثم اختلفوا فيمن بعدهما فالجمهور على تقديم عثمان وعن مالك الوقف والمسئلة اجتهادية ومستندها ان هؤلاء الاربعة اختارهم الله تعالى لخلافة نبيه واقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة وقال الامام ابو منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة تمام العشرة يعني طلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن بن عوف وابا عبيدة عامر بن الجراح وقد روى الترمذي عن سعيد بن زيد انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعد ابن ابي وقاص فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك الله من العاشر قال نشدتموني بالله سعيد بن زيد في الجنة يعني نفسه وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه خرج الى المسجد فسال عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا وجه ههنا فخرجت في اثره حتى دخل بئر اريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضا فقمت اليه فاذا هو جالس على بئر اريس وتوسط قفها فجلست عند الباب فقلت لاكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال ابو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر يستاذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى قلت لابي بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت اخي يتوضا ويلحقني فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يات به فاذا انسان يحرك الباب فقلت من هذا قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستاذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر فرجعت فجلست وقلت ان يرد الله بفلان خيرا يات به فجاء انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك وجئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فجئت فقلت ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاههم من الشق الآخر قال شريك

قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم رواه احمد ومسلم وابو حاتم واخرج البخاري واخرج ابو داود نحوه عن ابي سلمة عن نافع عن عبد الحارث الخزاعي قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط المدينة فقال لبلال امسك على الباب فجاء ابو بكر يستاذن فذكر نحوه قال الطبري وفي حديث نافع بن الحارث هو الذي كان يستاذن وهذا يدل على تكرار القصة لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر التعدد وانها عن ابي موسى وهم لقول غيره وانشد لنفسه

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة … بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير طلحة عامر … ابو بكر عثمان ابن عوف علي عمر

ولابي الوليد بن الشحنة

اسماء عشر رسول الله بشرهم … بجنة الخلد عمن زانها وعمر
سعد سعيد علي عثمان طلحة ابو … بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر

فان قلت من اعتقد في الخلفاء الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن محبته لبعضهم تكون اكثر هل يكون آثما ام لا فاجاب شيخ الاسلام الولي ابن العراقي ان المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن كان افضل كانت محبتنا الدينية له اكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه افضل ثم احببنا غيره من جهة الدين اكثر كان تناقضا نعم ان احببنا غير الافضل اكثر من محبة الافضل لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه احب عليا اكثر من محبة ابي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بافضلية ابي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه احبه محبة دينية زائدة على محبة ابي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي ولغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والله اعلم انتهى وقد روى الطبري في الرياض وعزاه للملا في سيرته عن انس مرفوعا ان الله افترض عليكم حب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلوة والزكوة والصوم والحج فمن انكر فضلهم فلا تقبل منه الصلوة ولا الزكوة ولا الصوم ولا الحج واخرج الحافظ السلفي في مشيخته من حديث انس مرفوعا حب ابي بكر واجب على امتي واخرج الانصاري عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا بكر ليتني لقيت اخواني فقال ابو بكر يا رسول الله نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي اخواني الذين لم يروني وصدقوا بي واحبوني حتى اني لاحب الى احدهم من ولده ووالده قالوا يا رسول الله انا نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي الا تحب يا ابا بكر قوما احبوك بحبي اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبي

اياك فمحبة من احب الرسول عليه الصلوة والسلام كآل بيته واصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان محبته عليه السلام علامة على محبة الله تعالى وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحبه وابغض من يبغضه قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فحب آل بيته عليه السلام واصحابه واولاده وازواجه من الواجبات المتعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات **ومن محبتهم** وجوب برهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بان يمشي على سننهم وآدابهم واخلاقهم والعمل باقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال وحسن الثناء عليهم بان يذكروا باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد اثنى الله تعالى عليهم في كتابه المجيد ومن اثنى الله عليه فهو واجب الثناء والاستغفار لهم قالت عائشة امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم رواه مسلم وغيره وفائدة المستغفر لهم عائدة عليه **قال** سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعزز اوامره **ومما يجب** ايضا الامساك عما شجر بينهم اي وقع بينهم من الاختلاف والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم **قال** صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا وان يلتمس لهم فيما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود من مآثرهم مما يطول ايراد بعضه وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات فسبهم والطعن فيهم ان كان مما يخالف الادلة القطعية فكفر كقذف عائشة رضي الله عنها والا فبدعة وفسق **قال** عليه السلام ايها الناس احفظوني في اختاني واصهاري واصحابي لا يطالبنكم الله بمظلمة احد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعي **وقال** عليه السلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فقد احبني ومن ابغضهم فقد ابغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه الله رواه المخلص الذهبي وهذا الحديث كما قال بعضهم خرج مخرج الوصية باصحابه على طريق التأكيد والترغيب في حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه اشارة الى ان حبهم من الايمان وبغضهم كفر لانه اذا كان بغضهم لبغضه كان كفرا بلا نزاع للحديث السابق لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وهذا يدل على كمال قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذاهم واقع عليه وواصل اليه صلى الله عليه وسلم والغرض الهدف الذي يرمى فيه فهو نهي عن رميهم مؤكدا ذلك بتحذيرهم الله منه وما ذاك الا لشدة الحرمة **وروى** مرفوعا من سب احدا من اصحابي فاجلدوه خرجه تمام في فوائده **وقال** مالك بن انس وغيره فيما ذكره القاضي عياض

من

المقصد الثالث

من ابغض الصحابة فليس له في فيء المسلمين حق قال ونزع بآية الحشر والذين جاؤوا من بعدهم الآية وقال من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار والله اعلم

في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وانبائه بانباء المغيبات

اعلم انه لا سبيل لاحد الى الاحاطة بنقطة من بحار معارفه او قطرة مما افاض الله تعالى عليه من سحائب عوارفه وانت اذا تأملت ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخصه به من بدائع الحكم وحسن سيرته وحكم حديثه وانبائه بانباء القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف مع اخوته واصحاب الكهف وذي القرنين واشباه ذلك وبدء الخلق واخبار الدار الآخرة وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى واظهار احوال الانبياء والامم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم وغير ذلك مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فضلا عما افاض من العلم ومحاسن الآداب والشيم والمواعظ والحكم والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الامم ببراهين الادلة الواضحة والاشارة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة واشاراته حجة كاللغة والمعاني والبيان والعربية وقوانين الاحكام الشرعية والسياسات العقلية ومعارف عوارف الحقائق القلبية الخفية لذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف الشاملة لمصالح امته كالطب والعبارة والحساب وغير ذلك مما لا يعد ولا يحد فصح بان مجال هذا الباب في حقه عليه السلام ممتد تنقطع دون نفاده الادلة وان بحر علمه ومعارفه غزير زاخر لا تكدره الدلاء وهذا المقصد اعزك الله يشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الاول في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات

اعلم انه قد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يعود من مرض من اصحابه حتى لقد عاد غلاما كان يخدمه من اهل الكتاب وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الاسلام فاسلم الاول وكان يهوديا كما روى البخاري وابو داود من حديث انس ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال اسلم فنظر الى ابيه وهو عنده فقال اطع ابا القاسم فاسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي انقذه من النار **وكان صلى الله عليه وسلم** يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأله عن حاله ويقول كيف تجدك **وفي حديث جابر**

عند البخاري ومسلم والنسائي وأبي داود قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم
ثم صب وضوءه علي فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم وعند أبي داود فنفخ في
وجهي فأفقت وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال يا جابر لا أراك ميتا من وجعك هذا
وفي حديث أبي موسى عند البخاري مرفوعا أطعموا الجائع وعودوا المرضى وفكوا العاني
وعنده من رواية البراء أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع وذكر منها عيادة
المريض وعند مسلم خمس تجب للمسلم على المسلم فذكرها منها قال ابن بطال يحتمل أن يكون
الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية كإطعام الجائع وفك الأسير ويحتمل أن يكون للندب
على التواصل والألفة وعن الطبري يتأكد في حق من ترجى بركته ويسن فيمن يراعى
حاله ويباح فيما عدا ذلك وهو فرض كفاية عند أبي حنيفة كما قاله أبو الليث السمرقندي
في معتمده واستدل بعموم قوله عودوا المريض على مشروعية العيادة في كل مرض لكن
استثنى بعضهم الأرمد ورد بأنه قد جاء في عيادة الأرمد بخصوصها حديث زيد بن أرقم
قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع كان بعيني رواه أبو داود وصححه
الحاكم وأما ما أخرجه الحاكم البيهقي والطبراني مرفوعا ثلاثة ليس لهم عيادة الرمد
والدمل والضرس فصحح البيهقي أنه موقوف على يحيى بن أبي كثير ويؤخذ من الإطلاق
أيضا عدم التقييد بزمان يمضي من ابتداء مرضه وهو قول الجمهور وجزم الغزالي
في الإحياء أنه لا يعاد إلا بعد ليال ثلاث واستند إلى حديث أخرجه ابن ماجه
عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا إلا بعد ثلاثة وهذا حديث
ضعيف تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك وقال أبو حاتم هو حديث باطل ولا نطيل
بإيراد ما ورد في فضل العيادة ويكفي حديث أبي هريرة مما حسنه الترمذي مرفوعا
من عاد مريضا ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا
وهذا لفظ ابن ماجه وفي سنن أبي داود عن أنس مرفوعا من توضأ فأحسن الوضوء
وعاد أخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا وفي حديث أبي
سعيد عند ابن حبان في صحيحه مرفوعا خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة
من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح إلى الجمعة وأعتق رقبة وعند أحمد
عن كعب مرفوعا من عاد مريضا خاض في الرحمة فإذا جلس عنده استنقع فيها زاد الطبراني
وإذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج ولم يكن صلى الله عليه
وسلم يخص يوما من الأيام بعيادة المريض ولا وقتا من الأوقات فترك العيادة
يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه يهودي طبيب للملك قد مرض وألزمه بملازمته
فأراد يوم الجمعة أن يمضي لسبته فمنعه فخاف على استحلال سبته ومن سفك دمه فقال
له إن المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه الملك ثم أشيع ذلك وصار كثير من الناس

يتممه

يتممه ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح عن الفراوي أن العيادة تستحب في الشتاء
ليلا وفي الصيف نهارا ولعل الحكمة في ذلك أن المريض يتضرر بطول الليل في الشتاء
وبطول النهار في الصيف فيحصل له بالعيادة استرواح. وينبغي اجتناب التطبب بأعداء
الدين من يهودي ونحوه فإنه مقطوع بغشه سيما إن كان المريض كبيرا في دينه أو علمه
خصوصا إن كان هذا العدو يهوديا لأن قاعدة دينهم أن من نصح منهم مسلما فقد خرج
عن دينه وأن من استحل السبت فهو مهدر الدم عندهم حلال لهم سفك دمه ولا ريب
أن من خاطر بنفسه يخشى عليه أن يدخل في عموم النهي فيمن قتل نفسه بشيء وقد كثر البغي
في هذا الزمن بأهل الذمة فلا حول ولا قوة إلا بالله والله تعالى يرحم

القائل
لعن النصارى واليهود فإنهم … بلغوا بمكرهم بنا الآمالا
خرجوا أطبا وحسابا لكي … يقتسموا الأرواح والأموالا

ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويأمر به تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم
ففي حديث أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلتم على مريض فنفسوا
له في أجله فإن ذلك يطيب نفسه يريد مثل أن يقول له لا بأس عليك طهور إن شاء الله و
الآن تحسن وما أشبه ذلك وقد يكون من هذا أن يذكر له الأجور الداخلة عليه
في مرضه وأن المرض كفارة فربما أصلح ذلك قلبه وأمن من خوف ذلك ونحوه قال
بعضهم في هذا الحديث نوع شريف جدا من أشرف أنواع العلاج وهو الإرشاد إلى ما
يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة وينبعث به الحار
الغريزي فيساعد على دفع العلة أو تخفيفها الذي هو غاية تأثير الطبيب وفي تفريح
نفس المريض وتطييب قلبه وإدخال السرور عليه تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها فإن
الأرواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي وقد شاهد الناس
كثيرا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم له ولطفهم
بهم ومكالمتهم إياهم قاله في الهدي وكان صلى الله عليه وسلم يسأل المريض عن
شكواه وكيف يجده وعما يشتهيه فإن اشتهى شيئا وعلم أنه لا يضره أمر له به ويضع يده
على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته وربما توضأ
وصب على المريض من وضوئه كما في حديث جابر المتقدم وربما كان يقول للمريض لا بأس
عليك طهور إن شاء الله وربما كان يقول كفارة وطهور وقالت عائشة
كان صلى الله عليه وسلم إذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي يألم ثم يقول بسم الله رواه
أبو يعلى بسند حسن وأخرج الترمذي من حديث أبي أمامة بسند لين رفعه تمام عيادة
المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته فيسأله كيف هو وعند ابن السني بلفظ كيف أصبحت
أو كيف أمسيت وإذا علمت هذا فاعلم أن المرض نوعان مرض القلوب ومرض
الأبدان فأما طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

عن ربه تعالى لا سبيل الى حصولها الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها وباسمائه وصفاته وافعاله واحكامه وان تكون مؤثرة لرضاه ومحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك ولا سبيل الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واما طب الاجساد فمنه ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن غيره لانه صلى الله عليه وسلم انما بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته ومعرفا بالله ومبينا للامة مواقع رضاه وآمرا لهم بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبياء والرسل واحوالهم مع اممهم واخبار تخليق العالم وامر المبدا والمعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها واسباب ذلك واما طب الاجساد فجاء من تكميل شريعته ومقصودا لغيره بحيث انما يستعمل للحاجة اليه فاذا قدر الاستغناء عنه كان صرف الهمم الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها مما يفسدها هو المقصود باصلاح الجسد واصلاح الجسد بدون صلاح القلب لا ينفع وفساد البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جدا وهي مضرة زائلة تعقبها المنفعة الدائمة التامة فاذا علمت هذا فاعلم ان ضرر الذنوب في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والآخرة شر وداء الا وسببه الذنوب والمعاصي فللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والآخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئ ذلك النور وللامام الشافعي

شكوت الى وكيع سوء حفظي … فارشدني الى ترك المعاصي
وقال اعلم بان العلم نور … ونور الله لا يؤتاه عاصي

ومنها حرمان الرزق ففي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلا ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه او متعسرا عليه ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر ثم تقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراها كل احد ومنها انها توهن القلب والبدن ومنها حرمان الطاعة وتقصير العمر ومحق البركة ولا يمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب وقيل تاثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحياة هي حياة القلب فليس عمر المرء الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعات تزيد في هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله فاشتغل بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية ومنها ان المعصية تورث الذل ومنها انها تفسد العقل فان العقل نور والمعصية تطفئ

نور

نور العقل ومنها انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقد احسن القائل

اذا كنت في نعمة فارعها … فان المعاصي تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد … فرب العباد سريع النقم

ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته فان الذنوب هي امراض متى استحكمت قتلت ولا بد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة التي متى غلبت عليه افسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب لا تتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة يحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح تستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره واذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة فانها تستجلب المواد المؤذية وتوجب التخليط المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف تكون صحته وبقاؤه وقد احسن القائل

جسمك بالحمية حصنته … مخافة من الم طاري
وكان اولى بك ان تحتمي … عن المعاصي خشية النار

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا للشر مهربا وفي حديث الا ادلكم على دائكم ودوائكم الا ان دائكم الذنوب ودواؤكم الاستغفار فقد ظهر لك ان طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الى معرفته الا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي واما طب الاجساد فغالبه يرجع الى التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج الى فكر ونظر بل فطر الله عليه الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه الى معالجة طبيب ونوع يحتاج الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو اما الى حرارة او برودة وكل منهما اما الى رطوبة او يبوسة او الى ما يتركب منهما وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو اعسرهما والطريق الى معرفته بتحقيق السبب والعلامة فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه او عكسه او في تنقيص ما يضر بالبدن زيادته او عكسه ومدار ذلك على ثلاثة اشياء حفظ الصحة والاحتماء عن المؤذي واستفراغ المادة الفاسدة وقد اشير الى الثلاثة في القرآن فالاول في قوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وذلك ان السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد

فابيح الفطر وكذا القول في المرض والثاني وهو الحمية من قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم
فانه استنبط منه جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد وقال تعالى في آية الوضوء
وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فاباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يؤذيه
وهو تنبيه على الحمية عن كل مؤذ له من داخل او خارج والثالث من قوله تعالى او به اذى
من راسه ففدية فانه اشير بذلك الى جواز حلق الراس الذي منع منه المحرم لاستفراغ
الاذى الحاصل من البخار المحتقن في الراس تحت الشعر لانه اذا حلق راسه تفتحت المسام
فخرجت تلك الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذي انحباسه
فقد ارشد تعالى عباده الى اصول الطب الثلاثة ومجامع قواعده وفي الصحيحين
من حديث عطاء عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله
داء الا وانزل معه شفاء واخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم عن ابن مسعود
بلفظ ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء فتداووا وعند احمد من حديث انس ان الله
حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا وعند البخاري في الادب المفرد واحمد واصحاب
السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن اسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد
الله فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء الا داء واحدا وهو الهرم وفي لفظ الا السام
وهو بمهملة مخففا الموت يعني الا داء الموت اي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه
واستثنى الهرم في الرواية الاولى اما لانه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة
او لقربه من الموت وافضائه اليه ولابي داود عن ابي الدرداء ويحتمل ان يكون استثناء
منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دواء له ولابي داود عن ابي الدرداء رفعه ان الله جعل
لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام وفي البخاري ان الله تعالى لم يجعل شفاكم
فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوي بالحرام وروى مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دواء
فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله تعالى فالشفاء متوقف على اصابة الدواء الداء
باذن الله تعالى وذلك ان الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية والكمية فلا ينجع
بل ربما احدث داء آخر وفي رواية علي عند الحميدي في كتابه المسمى بطب اهل البيت ما من
داء الا وله دواء فاذا كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله بين الداء
والدواء فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء فاذا اراد الله برءه امر الملك فرفع
الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وفي حديث ابن مسعود رفعه ان الله
لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه ابو نعيم وغيره وفيه اشارة
الى ان بعض الادوية لا يعلمها كل احد واما قوله لكل داء دواء فيجوز ان يكون على عمومه
حتى يتناول الادواء القاتلة والادواء التي لا يمكن طبيب معرفتها ويكون الله قد جعل
لها ادوية تبريها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليها سبيلا لانه لا علم للخلق

الا ما علمهم الله ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء للداء وقد ينفع
لبعض المرضى انه يبدا وفي مدة انه بدوا فيبرا ثم يعتريه بعد ذلك الداء والدواء بعينه
فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فرب مرضين تشابها
ويكون احدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطا من هنالك
وقد يكون متحدا لكن يريد الله ان لا ينجع وهنا تخضع رقاب الاطباء وفي مجموع ما ذكر
من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب وان ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع
الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب الشفاء ودفع
المضار وغير ذلك وقد سئل الحارث بن اسد المحاسبي في كتاب القصد من تاليفه
هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من اين ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين
الذي لم يلحقه لاحق ولا سبقه في التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له
ما تقول في خبر النبي صلى الله عليه وسلم من استرقى واكتوى برئ من التوكل قال برئ
من توكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث آخر فقال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا
بغير حساب واما سواهم من المتوكلين فمباح لهم الدواء والاسترقاء فجعل المحاسبي التوكل
بعضه افضل من بعض وقال في التمهيد انما اراد بقوله برئ من التوكل اذا استرقى
الرقى المكروهة في الشريعة واكتوى وهو يتعلق بغيته في الشفاء بوجود الكي وكذلك
قوله لا يسترقون الرقى المخالفة للشريعة ولا يكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكي ومضرته
عن فعل الله تعالى وان الشفاء من عنده واما اذا فعل ذلك على ما جاء في الشريعة كان
ناظرا الى رب الدواء وتوقع الشفاء من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه اذ امره الله
تعالى واتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص منه الدواء شيئا
استند له الا بفضل سيد المتوكلين اذ عمل بذلك في نفسه وفي غيره انتهى فقد تبين ان
التداوي لا ينافي التوكل بل لا يتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها
الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل
كما يقدح في الامر والحكمة وحكى ابن القيم انه ورد في خبر اسرائيلي ان الخليل عليه
السلام قال يا رب ممن الداء قال مني قال فممن الدواء قال مني قال فما بال الطبيب قال
رجل ارسل الدواء على يديه قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية لنفس
المريض والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت
نفسه ان لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة الياس وانفتح له
باب الرجاء وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سببا لقوة الارواح
الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوى التي هي
حاملة لها فقهرت المرض ودفعته انتهى فان قلت ما المراد بالانزال في قوله
في الاحاديث السابقة الا انزل له دواء وفي الرواية الاخرى شفاء فالجواب

انه يحتمل ان يكون عبر بالانزال عن التقدير ويحتمل ان يكون المراد انزال علم ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم واين يقع طب حذاق الاطبا الذي غايته ان يكون ماخوذا من قياس ومنامات وحدس وتجربة من الوحي الذي يوحيه الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الاطبا الى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم الى ما جا به صلى الله عليه وسلم ههنا من الادوية التي تشفي من الامراض ما لم يهتد اليها عقول اكابر الاطبا ولم تصل اليها علومهم وتجربتهم واقيستهم من الادوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله تعالى والتوكل عليه والانكسار بين يديه والصدقة والصلوة والدعا والتوبة والاستغفار والاحسان الى الخلق والتفريج عن المكروب فان هذه الادوية قد جربتها الامم على اختلاف اديانها ومللها فوجدوا لها من التاثير في الشفا ما لم يصل اليه علم اعلم الاطبا وقد جربت ذلك والله مرات فوجدته يفعل ما لا تفعله الادوية الحسية ولا ريب ان طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن البرء لصدوره عن الوحي ومشكوة النبوة وطب غيره اكثره حدس وتجربة وقد يتخلف الشفا عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف اعتقاد الشفا به وتلقيه بالقبول واظهر الامثلة في ذلك القران الذي هو شفا لما في الصدور ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفا صدره به لقصوره في الاعتقاد والتلقي بالقبول بل لا يزيد المنافق الا رجسا الى رجسه ومرضا الى مرضه فطب النبوة لا يناسب الا الابدان الطيبة كما ان شفا القران لا يناسب الا الارواح الطيبة والقلوب الحية فاعراض الناس عن طب النبوة كاعراضهم عن الاستشفا بالقران الذي هو الشفا النافع **وكان علاجه** صلى الله عليه وسلم للمرض على ثلاثة انواع **احدها** بالادوية الالهية الروحانية **الثاني** بالادوية الطبيعية **والثالث** بالمركب من الامرين **النوع الاول في طبه صلى الله عليه وسلم** بالادوية الالهية **اعلم** ان الله تعالى لم ينزل من السما شفا قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الدا من القران فهو للدا شفا ولصدا القلوب جلا كما قال تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمؤمنين ولفظة من كما قال الامام فخر الدين ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القران شفا من الامراض الروحانية وشفا ايضا من الامراض الجسمانية اما كونه شفا من الامراض الروحانية فظاهر وذلك لان المرض الروحاني نوعان الاعتقادات الباطلة واشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الالهيات والنبوات والمعاد والقضا والقدر والقران مشتمل على دلايل المذهب الحق في هذه المطالب وابطال المذاهب الباطلة ولما كان اقوى الامراض الروحانية هو الخطا في هذه المطالب والقران مشتمل على الدلايل الكاشفة عما في هذه المذاهب الباطلة من العيوب لا جرم كان القران شفا من هذا النوع

من المرض

من المرض الروحاني واما الاخلاق المذمومة فالقران مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة والاعمال المحمودة فكان القران شفا من هذا النوع من المرض فثبت ان القران شفا من جميع الامراض الروحانية واما كونه شفا من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض ولما اعترف الجمهور من الفلاسفة واصحاب الطلسمات بان لقراءة الرقى المجهولة والعزايم التي لا يفهم منها شي اثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد فلان تكون قراءة القران العظيم المشتمل على ذكر جلال الله تعالى وكبريايه وتعظيم الملايكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع في الدين والدنيا **ويتاكد** ما ذكرناه بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله **ونقل** عن الشيخ ابي القاسم القشيري رحمه الله تعالى ان ولده مرض مرضا شديدا حتى اشرف منه على الموت واشتد عليه الامر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فشكوت اليه ما بولدي فقال اين انت من ايات الشفا فانتبهت فافكرت فيها فاذا هي في ستة مواضع من كتاب الله تعالى وهي قوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين وشفا لما في الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين امنوا هدى وشفا قال فكتبتها ثم حللتها بالما وسقيته اياها فكانما نشط من عقال او كما قال **وانظر** رقية اللديغ بالفاتحة وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع **وتامل** قوله عليه السلام في بعض ادعيته وان تجعل القران ربيع قلبي وجلا حزني وشفا صدري اي فيكون له بمنزلة الدوا الذي يستاصل الدا ويعيد البدن الى صحته واعتداله **وفي حديث** علي عند ابن ماجه مرفوعا خير الدوا القران **وههنا امر** ينبغي ان يتفطن له نبه عليه ابن القيم وهو ان الايات والاذكار والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتاثيره فمتى تخلف الشفا كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدوا كما يكون ذلك لعدم قبول الطبيعة لذلك الدوا وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضايه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدوا بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقي نفس فعالة وهمة مؤثرة اثر في ازالة الدا وكذلك الدعا فانه من اقوى الاسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف اثره عنه اما لضعفه في نفسه بان يكون دعا لا يحبه الله لما فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله تعالى وجمعيته عليه وقت الدعا واما لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلا الغفلة والشهوة واللهو **وقد روى** الحاكم حديث واعلموا ان الله لا يقبل دعا

من قلب غافل لاه ومن انفع الادوية الدعاء وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المؤمن واذا اجمع الدعاء حضور القلب والجمعية بالكلية على المطلوب وصادف وقتا من اوقات الاجابة كثلث الليل الاخير مع الخضوع والانكسار والذل والتضرع واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين والبداءة بالحمد والثناء على الله تعالى والصلوة والتسليم على سيدنا محمد بعد التوبة والاستغفار والصدقة والالحاح في المسئلة واكثار التملق والدعاء والتوسل اليه باسمائه وصفاته والتوجه اليه بنبيه صلى الله عليه وسلم فان هذا الدعاء لا يكاد يرد ابدا لا سيما ان دعا بالادعية التي اخبر صلى الله عليه وسلم انها مظنة الاجابة وانها متضمنة للاسم الاعظم ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجاء اليه كلما ينوب الانسان **واما الرقى** فاعلم ان الرقى بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الروحاني واذا كان على لسان الابرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله تعالى لكن لما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني وفي البخاري من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات وهي الفلق والناس والاخلاص فيكون من باب التغليب والمراد الفلق والناس وكذلك كلما ورد من التعويذ في القران كقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واما ما اخرجه احمد وابو داود والنسائي من حديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره عشر خصال فذكر منها الرقى الا بالمعوذات ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخاري لا يصح حديثه وعلى تقدير صحته فهو منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة واما حديث ابي سعيد عند النسائي كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذات فاخذها وترك ما سواها وحسنه الترمذي فلا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين بل على الاولوية ولا سيما مع التعوذ بغيرهما فانما اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا وقد اجمع العلماء على جواز الرقى عند ثلاثة شروط ان يكون بكلام الله تعالى او باسمائه او صفاته وباللسان العربي او بما يعرف معناه من غيره وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى واختلفوا في كونها شرطا والراجح انه لا بد من اعتبارها وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا على رقاكم لا باس بالرقى اذا لم يكن فيه شرك وله من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا يا رسول الله انها كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب قال فعرضوا عليه فقال ما ارى بأسا من استطاع ان ينفع اخاه فلينفعه وقد تمسك قوم بهذا العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها

لكن

لكن دل حديث عوف انه مهما كان من الرقى يؤدي الى الشرك يمنع وما لا يعقل معناه لا يؤمن ان يؤدي الى الشرك فيمتنع احتياطا والشرط الاخير لا بد منه وقال قوم لا تجوز الرقية الا من العين واللدغة لحديث عمران بن حصين لا رقية الا من عين او حمة واجيب بان معنى الحصر فيه انهما اصل كل ما يحتاج الى الرقية فيلحق بالعين جواز رقية من به خبل او مس ونحو ذلك لاشتراكهما في كونهما تنشأ عن احوال شيطانية من انسي وجني ويلحق بالسم كلما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمية وقد وقع عند ابي داود من حديث انس مثل حديث عمران وزاد او دم وفي مسلم من حديث انس ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقى من العين والحمة والنملة وفي حديث آخر والاذن ولابي داود من حديث الشفاء بنت عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا تعلمين هذه يعني حفصة رقية النملة والنملة قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد وقيل المراد بالحصر يعني الافضل اي لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار وقال قوم المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما وروى ابو داود وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه ان الرقى والتمائم والتولة شرك والتمائم جمع تميمة وهي خرزة او قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك يدفع الآفات والتولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شيء كانت المرأة تستجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان باسماء الله وكلامه فقد ثبت في الاحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما سيأتي ان شاء الله تعالى ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجاء اليه في كل ما وقع وكل ما يتوقع وقال بعضهم المنهي عنه من الرقى هو الذي يستعمله المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فيأتي بامور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى واسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ من مردتهم ويقال ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم اعداء بني آدم فاذا عزم على الحية باسماء الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذا اللديغ اذا رقي بتلك الاسماء سالت سمومها من بدن الانسان فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله واسمائه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئا من شوب الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله تعالى علماء الامة وقال القرطبي الرقى ثلاثة اقسام احدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك او يؤدي الى الشرك الثاني ما كان بكلام الله او باسمائه فيجوز فان كان مأثورا فيستحب الثالث ما كان باسماء غير الله من ملك او صالح او معظم من المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء الى الله

تع

تعالى به والتبرك باسمائه فيكون ترك الاولى لانه يتضمن تعظيم المرقى به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله تعالى • وقال الربيع سألت الشافعي عن الرقية فقال لا بأس ان يرقى بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله تعالى قلت ايرقي اهل الكتاب المسلمين قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله تعالى انتهى وفي الموطا ان ابا بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عائشة ارقيها بكتاب الله وروى ابن وهب عن مالك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر الناس القديم • وقال النووي وقال القاضي عياض واختلف في قول مالك في رقية اليهودي والنصراني المسلم وبالجواز قال الشافعي والله اعلم

رقية الذي يصاب بالعين

روى مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين اي الاصابة بالعين شيء ثابت موجود وهي من جملة ما تحقق كونه قال المازري اخذ الجمهور بظاهر الحديث وانكره طوائف من المبتدعة لغير معنى لان كل شيء ليس محالا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فهو من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى وهل من فرق بين انكارهم هذا وانكارهم ما يخبر به من امور الآخرة وقد استشكل بعض الناس هذه الاصابة فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون واجيب بان طبائع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العائن في الهوى الى بدن المعيون وقد نقل عن بعض من كان معيانا انه قال اذا رأيت شيئا يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها في اناء اللبن فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك ان الصحيح قد ينظر الى العين الرمداء فيرمد وقال المازري زعم بعض الطبائعيين ان العائن تنبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد وهو كاصابة السم من نظر الافعى واشار الى منع الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يمشي على طريقة اهل السنة ان العين انما تضر عند نظر العائن بعادة اجراها الله تعالى ان يحدث الضرر عند مقابلة شخص لآخر وهل ثم جواهر خفية او لا هو امر محتمل لا يقطع باثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي الى الاسلام من اصحاب الطبائع بالقطع بان جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العائن فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد اخطأ بدعوى القطع ولكنه جائز ان تكون عادة ليست ضرورية ولا طبيعية انتهى وهو كلام سديد وليس المراد بالتأثير المعنى الذي يذهب اليه الفلاسفة بل ما اجرى الله به العادة من حصول الضرر للمعيون وقد اخرج البزار بسند حسن رفعه اكثر من يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس قال الراوي يعني العين وقد اجرى الله تعالى العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الاجسام والارواح كما يحدث لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه

حمرة

حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر اليه وتضعف قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الارواح من التأثيرات ولشدة ارتباطها بالعين وليست هي المؤثرة وانما التأثير للروح والارواح مختلفة في طبائعها وكيفياتها وخواصها فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة • والحاصل ان التأثير بارادة الله تعالى وخلقه ليس مقصورا على الاتصال الجسماني بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة واخرى بمجرد الرؤية واخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الادعية والرقى والالتجاء الى الله تعالى وتارة يقع ذلك بالتخيل والتوهم فالذي يخرج من عين العائن سهم معنوي ان صادف البدن لا وقاية له اثر فيه والا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي سواء انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره • قال ابن القيم والغرض العلاج النبوي لهذه العلة فمن التعوذات والرقى الاكثار من قراءة المعوذتين والفاتحة وآية الكرسي ومنها التعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ونحو اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن • واذا كان يخشى ضرر عينه واصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال صلى الله عليه وسلم لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف الا باركت عليه ومما يدفع به اصابة العين قول ما شاء الله لا قوة الا بالله ومنها رقية جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل ذي نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وعنده ايضا من حديث عائشة كان جبريل يرقي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي عين واخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وظاهر الامر للوجوب وحكى المازري فيه خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشي الهلاك وكان اغتسال العائن مما جرت العادة بالشفاء به فانه يتعين وقد تقرر انه يجبر على بذل الطعام للمضطر وهذا اولى ولم يبين في حديث ابن عباس صفة الاغتسال قال الحافظ ابن حجر وقد وقعت في حديث سهل بن حنيف عند احمد والنسائي ان اباه حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو ماء حتى اذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان ابيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعة فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل اي صرع وسقط الى الارض فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من احد

ومن شر كل

قالوا عامر بن ربيعة فدعا عامر فتغيظ عليه فقال علام يقتل احدكم اخاه هلا اذا رايت
ما يعجبك بركت ثم قال اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف
رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على راسه وظهره
ثم كفا القدح فعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به باس قال المازري المراد بداخلة
ازاره الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الايمن قال وظن بعضهم انه كناية عن الفرج انتهى
وزاد القاضي عياض ان المراد ما يلي جسده من الازار وقيل اراد موضع الازار من الجسد
وقيل اراد وركه لانه معقد الازار ورايت مما عزي لخط شيخنا الحافظ ابي الخير
السخاوي قال ابن بكير رواية عن مالك انه كناية عن الثوب الذي يلي الجلد وقال
ابن الاثير في النهاية كان من عادتهم ان الانسان اذا اصابته عين من احد جا الى العائن
بقدح فيه ما فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه في القدح ثم يغسل وجهه فيه ثم يدخل
يده اليسرى فيصب على يده اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على يده اليسرى ثم
يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الايمن ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه
الايسر ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على
قدمه اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب
على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح بالارض ثم يصب ذلك الما
المستعمل على راس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرا باذن الله تعالى انتهى
وقال المازري وهذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل فلا
يرد لكونه لا يعقل معناه وقال ابن العربي ان توقف فيه متشرع قلنا له قل الله ورسوله
اعلم وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة او متفلسف فالرد عليه اظهر لان عنده
الادوية تفعل بقواها وقد تفعل بمعنى لا يدرك ويسمون ما هذا سبيله الخواص قال
ابن القيم ومن علاج ذلك والاحتراز منه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه
كما ذكره البغوي في كتاب شرح السنة ان عثمان بن عفان راى صبيا مليحا فقال دسموا
نونته لئلا تصيبه العين ثم قال في تفسيره ومعنى دسموا نونته اي سودوا نونته والنونة
النقرة التي تكون في ذقن الصغير وذكر عن ابي عبد الله الساجي انه كان في بعض اسفاره
للحج او الغزو على ناقة فارهة فكان في الرفقة رجل عاين قلما نظر الى شي الا اتلفه فقيل
لابي عبد الله احفظ ناقتك من العاين فقال ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر العاين
بقوله فتحين غيبة ابي عبد الله فجا الى رحله فنظر الى الناقة فاضطربت وسقطت
فجا ابو عبد الله فاخبر ان العاين قد عانها وهي كما ترى فقال دلوني عليه فوقف عليه
فقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العاين عليه وعلى
احب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر
خاسئا وهو حسير فخرجت حدقتا العاين وقامت الناقة لا باس بها انتهى وفي حديث

في الرواية المصيب
كذا بهامش اصله

هذا

هذا الباب من الفوائد ان العاين اذا عرف يقضى عليه بالاغتسال وان الاغتسال من
النشرة النافعة وان العين تكون مع الاعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن
الرجل الصالح وان الذي يعجبه الشي يبادر الى الدعا للذي يعجبه بالبركة وتكون ذلك رقية
منه وان الاصابة بالعين قد تقتل وقد اختلف في جريان القصاص بذلك فقال
القرطبي لو اتلف العاين شيا ضمنه ولو قتل فعليه القصاص او الدية اذا تكرر ذلك منه
بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر عند من لا يقتله كفرا انتهى ولم تتعرض الشافعية
للقصاص في ذلك بل منعوه وقالوا انه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا وقال النووي
في الروضة ولا دية فيه ولا كفارة لان الحكم انما يترتب على منضبط عام دون ما يختص
ببعض الناس وبعض الاحوال مما لا انضباط لها كيف ولم يقع منه فعل اصلا وانما غايته
حسد وتمني لزوال النعمة وايضا فالذي ينشا عن الاصابة بالعين حصول مكروه لذلك
الشخص ولا يتعين ذلك المكروه في زوال الحياة فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من اثر
العين انتهى قال الحافظ ابن حجر ولا يعكر عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه في معناها
والفرق بينهما عسر ونقل ابن بطال عن بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العاين
اذا عرف بذلك من مداخلة الناس وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه ما يقوم به فان
ضرره اشد من ضرر المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة الناس واشد من الثوم الذي منع
الشارع اكله من حضور الجماعة قال النووي وهذا القول صحيح متعين لا يعرف عن
غيره تصريح بخلافه

ذكر رقيته صلى الله عليه وسلم التي كان يرقي بها

عن عبد العزيز قال دخلت انا وثابت على انس بن مالك فقال ثابت يا ابا حمزة اشتكيت
فقال انس الا ارقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال قل اللهم رب
الناس اذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي الا انت شفا لا يغادر سقما رواه البخاري
وقوله اذهب الباس بغير همز للمواخاة واصله الهمز وفي قوله لا شافي الا انت اشارة
الى ان كل ما يقع من الدوا والتداوي ان لم يصادف تقدير الله والا فلا ينجع
وقوله لا يغادر بالغين المعجمة اي لا يترك وفي البخاري ايضا عن مسروق عن عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض اهله يمسح بيده اليمنى ويقول اللهم
رب الناس اذهب الباس واشفه انت الشافي لا شفا الا شفاوك شفا لا يغادر
سقما وقوله يمسح بيده اي على الوجع وقوله الا شفاوك بالرفع بدل من موضع لا شفا
وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي ويقول امسح الباس رب
الناس بيدك الشفا لا كاشف له الا انت رواه البخاري وفي صحيح مسلم عن عثمان
ابن ابي العاص انه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ اسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذي تالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا
وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر وانما كرر ليكون انجع

وأبلغ كتكرار الدواء لإخراج المادة. **ذكر طبه** صلى الله عليه وسلم من الفزع والأرق المانع من النوم. عن بريدة قال شكا خالد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق فقال صلى الله عليه وسلم إذا أويت إلى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الأرضين وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط علي أحد منهم أو يبغي علي عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك رواه الترمذي. **ذكر طبه** عليه السلام من حر المصيبة ببرد الرجوع إلى الله تعالى. في المسند مرفوعا ما من أحد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها. قال في الهدي النبوي وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته. أحدهما أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله الله تعالى عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير. والثاني أن مصير العبد ومرجعه إلى الله ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجيء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فإذا كانت هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء. قال ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وأنه لو فتش العالم لم ير إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه وأن سرور الدنيا أحلام نوم أو ظل زائل إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا وإن سرت يوما أساءت دهرا وإن متعت قليلا منعت طويلا وما ملأت دارا حبرة إلا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سرور إلا خبأت له يوم شرور. وقال ابن مسعود لكل فرحة ترحة وما ملئ بيت فرحا إلا ملئ ترحا. **ذكر طبه** عليه السلام من الهم والكرب بدعاء التوجه إلى الرب. عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم رواه الشيخان. وقوله عند الكرب أي عند حلول الكرب. وعند مسلم كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب. وعنده أيضا كان إذا حزبه أمر وهي بفتح المهملة والزاي وبالموحدة أي هجم عليه أو غلبه. قال الطبري معنى قول ابن عباس يدعو وإنما هو تعظيم يحتمل أمرين أحدهما أن المراد تقديم ذلك قبل الدعاء كما عند عبد بن حميد كان إذا حزبه أمر قال فذكر الذكر المأثور وزاد ثم دعا. قال الطبري ويؤيد هذا ما روى الأعمش عن إبراهيم قال كان يقال إذا بدأ الرجل بالثناء قبل الدعاء استجيب له وإذا بدأ بالدعاء قبل الثناء كان على الرجاء. ثانيهما ما أجاب به ابن عيينة وقد سئل عن الحديث الذي فيه أكثر ما كان يدعو به

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث فقال سفيان هو ذكر وليس فيه دعاء ولكن قال النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. وقال أمية ابن أبي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان

أأذكر حاجتي أم قد كفاني … حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوما … كفاه من تعرضك الثناء

فهذا مخلوق حين نسب إلى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال فكيف بالخالق. ثم إن حديث ابن عباس هذا كما قال ابن القيم قد اشتمل على توحيد الإلهية والربوبية ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة والإحسان والتجاوز ووصفه بكمال الربوبية الشاملة للعالم العلوي والسفلي والعرش الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها والربوبية التامة تستلزم توحيده وأنه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجاء والإجلال والطاعة إلا له وعظمته المطلقة تستلزم إثبات كل كمال له وسلب كل نقص وتمثيل عنه وحلمه يستلزم كمال رحمته وإحسانه إلى خلقه فعلم القلب ومعرفته بذلك يوجب محبته وإجلاله وتوحيده فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم وأنت تجد المريض إذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض الحسي فحصول هذا الشفاء للقلب أولى وأحرى ثم إذا قابلت بين ضيق الكرب وسعة هذه الأوصاف التي تضمنها هذا الحديث وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه إلى سعة البهجة والسرور وإنما يصدق هذه الأمور من أشرقت فيه أنوارها وباشر قلبه حقائقها. وقال ابن بطال حدثني أبو بكر الرازي قال كنت بأصبهان عند أبي نعيم فقال له شيخ إن أبا بكر بن علي قد سعي به إلى السلطان فسجن فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم قل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه قال فأصبحت فأخبرته فدعا به فلم يمكث إلا قليلا حتى أخرج. وفي حديث علي عند النسائي وصححه الحاكم لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها لا إله إلا الله الكريم العظيم سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين. وفي لفظ الحليم الكريم في الأول وفي لفظ لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي العظيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم وفي لفظ لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه تبارك وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أخرجها كلها النسائي. وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أهمه الأمر

رفع طرفه الى السما فقال سبحان الله العظيم واذا اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم
وعنده ايضا من حديث انس كان اذا حزبه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث
قال العلامة ابن القيم وفي تاثير قوله يا حي يا قيوم برحمتك استغيث في دفع
هذا الدا مناسبة بديعة فان صفة الحيوة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة لها
وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الافعال ولهذا كان اسم الله الاعظم الذي اذا
دعي به اجاب واذا سئل به اعطى هو اسم الحي القيوم والحيوة التامة تضاد جميع الالام
والاسقام ولهذا لما كملت حيوة اهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شي
من الآفات فالتوسل بصفة الحيوة والقيومية له تاثير في ازالة ما يضاد الحيوة
ويضر بالافعال فلهذا الاسم الحي القيوم تاثير عظيم خاص في اجابة الدعوات وكشف
الكربات ولهذا كان صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم وروى
ابو داود عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوات
المكروب اللهم رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت
وفي هذا الدعا كما قاله في زاد المعاد من تحقيق الرجا لمن الخير كله بيده والاعتماد عليه
وحده وتفويض الامر اليه والتضرع اليه ان يتولى اصلاح شانه ولا يكله الى نفسه والتوسل
اليه بتوحيده مما له تاثير في دفع هذا الدا وكذا قوله في حديث اسما بنت عميس
عند ابي داود ايضا مرفوعا كلمات الكرب الله ربي لا اشرك به شيئا وفي مسند الامام
احمد من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصاب عبدا هم ولا
حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك
عدل في قضاؤك اسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك
او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن العظيم
ربيع قلبي ونور صدري وجلا حزني وذهاب همي الا اذهب الله حزنه وهمه وابدله
مكانه فرحا فانما كان هذا الدعا بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية الداعي
وعبودية آبائه وامهاته وان ناصيته بيده يصرفها كيف يشا واثبات القدر وان
احكام الرب نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له في دفعها
وانه سبحانه وتعالى عدل في هذه الاحكام غير ظالم لعبده ثم توسله باسما الرب تعالى
التي سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا ومنها ما استاثر به في علم الغيب
عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا فهذه الوسيلة اعظم الوسائل
واحبها الى الله واقربها تحصيلا للمطلوب ثم سال ان يجعل القرآن لقلبه ربيعا
كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وان يجعله لصدره كالنور الذي هو مادة الحيوة
وبه يتم معاش العباد وان يجعله شفا همه وغمه فيكون بمنزلة الدوا الذي يستاصل
الدا ويعيد البدن الى صحته واعتداله وان يجعله لحزنه كالجلا الذي يجلو الطبوع والاصدية منه

وغيرها

وغيرها فاذا صدق العليل في استعماله هذا الدوا اعقبه شفا تاما وفي سنن ابي داود
عن ابي سعيد الخدري قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا
برجل من الانصار يقال له ابو امامة فقال يا ابا امامة ما لي اراك في المسجد في غير وقت
الصلوة فقال هموم لزمتني وديون يا رسول الله فقال الا اعلمك كلاما اذا
انت قلته اذهب الله عز وجل همك وقضى دينك قال قلت بلى يا رسول الله قال
قل اذا اصبحت واذا امسيت اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز
والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال
ففعلت ذلك فاذهب الله همي وقضى عني ديني وقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة
من ثمانية اشيا كل اثنين منها قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان والعجز والكسل
اخوان والجبن والبخل اخوان وضلع الدين وغلبة الرجال اخوان فحصلت الاستعاذة
من كل شر وفي سنن ابي داود ايضا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب وانما كان الاستغفار له تاثير في دفع الهم والضيق لانه قد
اتفق اهل الملل وعقلا كل امة ان المعاصي والفساد يوجبان الهم والغم والحزن
وضيق الصدر وامراض القلب واذا كان هذا تاثير الذنوب والآثام في القلوب
فلا دوا لها الا التوبة والاستغفار ويذكر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم من كثرت همومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وثبت في الصحيحين
انها كنز من كنوز الجنة وفي الترمذي انها باب من ابواب الجنة وفي بعض الآثار
ما ينزل ملك من السما ولا يصعد الا بلا حول ولا قوة الا بالله وروى الطبراني
من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كربني امر الا تمثل لي جبريل
فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وفي كتاب ابن السني
من حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا آية الكرسي وخواتيم سورة
البقرة عند الكرب اغاثه الله عز وجل وعنده ايضا من حديث سعد بن ابي وقاص
قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس
فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وعند الترمذي
لم يدع بها رجل مسلم في شي قط الا استجيب له وروى الديلمي في مسند الفردوس
عن جعفر بن محمد يعني الصادق قال حدثني ابي عن جدي انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا حزبه امر دعا بهذا الدعا اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك
الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي فلا اهلك وانت رجائي فكم من نعمة انعمت بها علي
قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لها صبري فيا من قل عند نعمته شكري

فلم يخزني ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني
يا ذا المعروف الذي لا ينقضي ابدا ويا ذا النعماء التي لا تحصى عددا اسالك ان تصلي
على محمد وعلى آل محمد وبك ادرأ في نحور الاعداء والجبارين اللهم اعني على ديني
بالدنيا وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حظرته علي
يا من لا تضره الذنوب ولا ينقصه العفو هب لي ما لا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك
انك انت الوهاب اسئلك فرجا قريبا وصبرا جميلا ورزقا واسعا والعافية من البلاء
وشكر العافية. وفي رواية واسئلك تمام العافية واسئلك دوام العافية واسئلك
الشكر على العافية واسئلك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الفقر عن ابن عمر ان رجلا قال
يا رسول الله ان الدنيا ادبرت عني وتولت قال له فاين انت من صلوة الملائكة
وتسبيح الخلائق وبه يرزقون قل عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم استغفر الله مائة مرة تاتيك الدنيا صاغرة فولى الرجل فمكث ثم عاد فقال
يا رسول الله لقد اقبلت علي الدنيا فما ادري اين اضعها رواه الخطيب في رواية
مالك **ذكر طبه** صلى الله عليه وسلم من داء الحريق عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الحريق فكبروا
فان التكبير يطفئه فان قلت ما وجه الحكمة في اطفاء الحريق بالتكبير فاجاب
صاحب زاد المعاد بانه لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها
وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله وكان للشيطان اعانة
عليه وتنفيذ له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهما هدى الشيطان
واليهما يدعو وبهما يهلك بني آدم فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الارض
والفساد وكبرياء الله تعالى تقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير الله تعالى له
اثر في اطفاء الحريق فان كبرياء الله تعالى لا يقوم لها شيء فاذا كبر المسلم ربه اثر تكبيره
في خمود النار التي هي مادة الشيطان وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك
انتهى ولقد جربت ذلك بطيبة في سنة خمس وتسعين وثمانمائة فوجدت له اثرا
عظيما لم اجده لغيره ولقد شاع وذاع رؤيته طيور بحريق طيبة الواقع في ثالث عشر
رمضان في سنة ست وثمانين وثمانمائة ومنه حديثا اذ ذلك ببيتك فقد احترق
معلقة بالتكبير **ذكر ما كان** صلى الله عليه وسلم يطب به من داء
الصرع في الصحيحين ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع
واني انكشف فادع الله لي فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله
لك ان يعافيك فقالت اصبر فقالت فاني انكشف فادع الله ان لا انكشف فدعا لها
قال العلامة ابن القيم الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية وصرع من

الاخلاط

الاخلاط الردية والثاني هو الذي نتكلم فيه الاطباء. فاما علاج صرع الارواح فيكون
بامرين امر من جهة المصروع وامر من جهة المعالج فالذي من جهة المصروع يكون بقوة
نفسه وصدق توجهه الى فاطر هذه الارواح وبارئها والتعوذ الصحيح الذي قد
تواطأ عليه القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم له الانتصاف من
عدوه بالسلاح الا بامرين بان يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدا وان يكون الساعد
قويا. والثاني من جهة المعالج بان يكون فيه هذان الامران ايضا حتى ان من المعالجين
من يكتفي بقوله اخرج منه او بقول بسم الله او بقول لا حول ولا قوة الا بالله قال
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخرج عدو الله انا رسول الله وكان بعضهم
يعالج ذلك باية الكرسي ويامر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين
قال ومن حدث له الصرع وله خمس وعشرون سنة وخصوصا بسبب دماغي ايس من برئه
وكذلك اذا استمر به الى هذا السن قال فهذه المراة التي جاء الحديث انها تصرع وتتكشف
يجوز ان يكون صرعها من هذا النوع فوعدها النبي صلى الله عليه وسلم بصبرها على
هذا المرض بالجنة ولقد جربت الاقسام بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى محمد
رسول الله والذين معه الى آخر سورة الفتح في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا
ومن الغريب قصة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت بدرب الحجاز الشريف واستغاثت
به صلى الله عليه وسلم في ذلك فجيء اليه بصارعها في المنام بامره صلى الله عليه وسلم
فوبخته واقسم لا يعود اليها فاستيقظت وما بها قلبة ومن ثم لم يعد اليها
فلله الحمد **ذكر دوائه صلى الله عليه وسلم من داء السحر**
قال النووي السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع وقد يكون كفرا وقد لا يكون
كفرا بل معصية كبيرة فان كان فيه قول او فعل يقتضي الكفر كفر والا فلا واما تعليمه
وتعلمه فحرام واذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر فاعله واستتيب منه ولا يقتل
عندنا وان تاب قبلت توبته وقال مالك الساحر كافر يقتل بالسحر ولا
يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله والمسئلة مبنية على الخلاف في قبول توبة
الزنديق لان الساحر عنده كافر كما ذكرنا وعندنا ليس بكافر وعندنا تقبل توبة
المنافق والزنديق قال القاضي عياض وبقول مالك قال احمد بن حنبل وهو
مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين قال اصحابنا فاذا قتل الساحر بسحره
انسانا واعترف ان مات بسحره وانه يقتل غالبا لزمه القصاص فان قال مات به
ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا قصاص ووجبت الدية والكفارة وتكون الدية في
ماله لا على عاقلته لان العاقلة لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني قال اصحابنا ولا يتصور
ثبوت القتل بالسحر بالبينة وانما يتصور باعتراف الساحر انتهى واختلف في السحر فقيل
هو تخييل فقط ولا حقيقة له وهو اختيار ابو جعفر الاسترابادي من الشافعية

وابي بكر الرازي من الحنفية وطائفة قال النووي والصحيح ان له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة قال شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين ولا فمن قال انه تخييل فقط منع ذلك والقائلون بان له حقيقة اختلفوا هل له تاثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض او ينتهي الى الحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الاول وقال المازري جمهور العلماء على اثبات السحر ولان العقل لا ينكر ان الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق او تركيب اجسام او مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من حذاق الاطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعا وقيل لا يزيد تاثير السحر على ما ذكر الله في قوله يفرقون به بين المرء وزوجه لكون المقام مقام تهويل فلو جاز ان يقع به اكثر من ذلك لذكره الله تعالى قال المازري والصحيح من جهة العقل ان يقع به اكثر من ذلك قال والآية ليست نصا في منع الزيادة ولو قلنا انها ظاهرة في ذلك ثم قال والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ان السحر يكون بمعاناة اقوال وافعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج الى ذلك انما تقع غالبا اتفاقا واما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي ونقل امام الحرمين الاجماع على ان السحر لا يقع الا من فاسق وان الكرامة لا تظهر على يد فاسق ونقل نحوه النووي في زيادة الروضة عن المتولي وينبغي ان يعتبر حال من يعتبر منه الخارق فان كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يديه من الخوارق كرامة والا فهو سحر وقال القرطبي السحر حيل صناعية يتوصل اليها بالاكتساب غير انها لدقتها لا يتوصل اليها الا آحاد الناس ومادته الوقوف على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها واوقاتها واكثرها تخييلات بغير حقيقة وايهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال تعالى عن سحرة فرعون وجاءوا بسحر عظيم مع ان حبالهم وعصيهم لم يخرجوا عن كونها حبالا وعصيا وقال ابو بكر الرازي في الاحكام اخبر الله تعالى ان الذي ظنه موسى انها تسعى لم يكن سعيا وانما كان تخييلا وذلك ان عصيهم كانت مجوفة وقد ملئت زيبقا وكذلك الحبال كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا قبل ذلك اسرابا وجعلوا لها آزاجا وملؤها نارا فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزيبق حركها لان من شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير فلما اثقلته كثافة الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته فظن من رآها انها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة انتهى وقال القرطبي والحق ان لبعض اصناف السحر تاثيرا في القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان بالالم والسقم وانما المنكر ان ينقلب الجماد حيوانا وعكسه بسحر الساحر وقد ثبت في البخاري من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى انه كان يخيل اليه انه

يفعل

يفعل الشيء وما يفعله حتى اذا كان ذات ليلة عند عائشة دعا ودعا ثم قال يا عائشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والآخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما بال الرجل قال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال واين هو قال في بئر ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فجاء فقال يا عائشة كان ماءها نقاعة الحناء وكان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين فقلت يا رسول الله افلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثور على الناس فيه شرا فامر بها فدفنت وفي رواية البخاري ايضا فاتى البئر حتى استخرجه فقال هذه البئر التي اريتها قالت عائشة افلا تنشرت قال اما الله فقد شفاني واكره ان اثير على الناس شرا وفي حديث ابن عباس عند البيهقي في الدلائل بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي صلى الله عليه وسلم انهم وجدوا وترا فيه احدى عشرة عقدة وانزلت سورة الفلق والناس فجعل كلما قرا آية انحلت عقدة واخرجه ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس ان عليا وعمارا لما بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه وفي رواية ذكرها في فتح الباري فنزل رجل فاستخرجه وانه وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا فيه ابر مغروزة واذا وتر فيه احدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرا آية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم يجد بعدها راحة وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر كما اخرجه عنه ابن سعد بسند له الى عمر ابن الحكم مرسل قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع جاءت رؤساء اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا فقالوا انت اسحرنا وقد سحرنا فلم نصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلا على ان تسحره لنا سحرا ينكاه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع في رواية ابي ضمرة عند الاسماعيلي فاقام اربعين ليلة وفي رواية وهيب عن هشام عند احمد ستة اشهر ويمكن الجمع بان تكون الستة اشهر من ابتداء تغير مزاجه والاربعين يوما من استحكامه وقال السهيلي لم اقف في شيء من الاحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري انه لبث سنة قال الحافظ ابن حجر وقد وجدناه موصولا بالاسناد الصحيح فهو المعتمد وقال المازري انكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها قالوا وكلما ادى الى ذلك فهو باطل وزعموا ان تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع اذ يحتمل على هذا ان يخيل اليه انه يرى جبريل وليس هو ثم وانه يوحى اليه بشيء ولم يوح اليه بشيء قال المازري وهذا كله مردود لان الدليل قد قام على صدق النبي صلى

الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات
بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي
لم يبعث لاجلها ولا كانت الرسالة من اجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر
كالامراض فغير بعيد ان يخيل اليه في امر من امور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته
عن مثل ذلك في امور الدين انتهى • وقال غيره لا يلزم من انه كان يظن انه فعل الشيء
ولم يكن فعله ان يجزم بفعله ذلك وانما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت
فلا يبقى على هذا للملحد حجة وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بالتخييل
المذكور انه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطي فاذا
دنا من المرأة فتر ذلك كما هو شأن المعقود ويكون قوله في الرواية الاخرى حتى كاد
ينكر بصره اي كالذي ينكر بصره بحيث انه اذا رأى الشيء يخيل اليه انه على غير صفته فاذا
تأمله عرف حقيقته • ويؤيد جميع ما تقدم انه لم ينقل عنه في خبر من الاخبار انه قال
قولا فكان بخلاف ما اخبر به قال بعضهم وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم
في هذه القضية مسلكي التفويض وتعاطي الاسباب ففي اول الامر فوض وسلم لامر
ربه واحتسب الاجر في صبره على بلائه ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه ان يضعفه
عن فنون عباداته جنح الى التداوي فقد اخرج ابو عبيدة من مرسل عبد الرحمن بن ابي
ليلى قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه يعني حين طب ثم جنح الى الدعاء وكل
من المقامين غاية في الكمال • وقال ابن القيم من انفع الادوية واقوى ما يوجد
من النشرة مقاومة للسحر الذي هو من تأثيرات الارواح الخبيثة بالادوية الالهية
من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب اذا كان ممتلئا من الله تعالى معمورا بذكره
وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من اعظم الاسباب المانعة
من اصابة السحر له • قال وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا
غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال لان الارواح الخبيثة انما تتسلط
على ارواح تلقاها مستعدة لما يناسبها انتهى ملخصا ويعكر عليه حديث الباب
وجواز السحر على النبي صلى الله عليه وسلم مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمة
ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بان الذي ذكره محمول على الغالب وانما وقع
به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز ذلك عليه • واما ما يعالج به من النشرة المقاومة
للسحر فذكر ابن بطال ان في كتاب وهب بن منبه ان يأخذ سبع ورقات من سدر
اخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقلاقل ثم
يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فانه يذهب عنه ما كان به وهو جيد للرجل
اذا احتبس عن اهله • وممن صرح بجواز النشرة المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري
وغيرهما انتهى وقال ابن الحاج في المدخل كان الشيخ ابو محمد المرجاني اكثر

تداويه

تداويه بالنشرة يعملها لنفسه ولاولاده ولاصحابه فيجدون على ذلك الشفاء والخير
رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاها له في المنام وقال انه مرة رأى النبي صلى
الله عليه وسلم وقال له انما تعلمها تعمل معك ومع اصحابك فهذه النشرة نقلها عنه
وهي هذه لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم الى آخر السورة وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخر
السورة وسورة الاخلاص والمعوذتين ثم يكتب اللهم انت المحيي وانت المميت
وانت الخالق وانت الباري وانت المبلي وانت المعافي وانت الشافي خلقتنا من ماء
مهين وجعلتنا في قرار مكين الى قدر معلوم اللهم اني اسألك باسمائك الحسنى
وصفاتك العلا يا من بيده الابتلاء والمعافاة والشفاء والدواء اسألك بمعجزات
نبيك محمد صلى الله عليه وسلم حبيبك وبركات خليلك ابراهيم عليه السلام وحرمة
كليمك موسى عليه السلام اللهم اشفه ذكر رقية تنفع لكل شكوى
عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئا
فليقل ربنا الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء
فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل
رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ باذن الله رواه ابو داود
في سننه رقيته عليه الصلاة والسلام من الصداع روى الحميدي في الطب
عن يونس بن يعقوب عن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ
من الصداع بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الكبير واعوذ بالله العظيم من شر كل ذي عرق
نعار ومن شر حر النار رواه ابن السني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما واصاب
اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما ورم في رأسها فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله اذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك
الطيب المبارك المكين عندك بسم الله صنع ذلك ثلاث مرات وامرها ان تقول ذلك
فقالته ثلاثة ايام فذهب الورم رواه الشيخ ابن النعمان بسنده والبيهقي رقيته
عليه الصلاة والسلام من وجع الضرس روى البيهقي ان عبد الله بن رواحة شكى
الى النبي صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه فوضع صلى الله عليه وسلم يده على خده الذي
فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المكين المبارك
عندك سبع مرات فشفاه الله قبل ان يبرح وروى الحميدي ان فاطمة رضي الله عنها
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو ما تلقى من ضربان الضرس فادخل سبابته اليمنى
فوضعها على السن الذي تألم فقال بسم الله وبالله اسألك بعزتك وجلالك وقدرتك
على كل شيء فان مريم لم تلد غير عيسى من روحك وكلمتك ان تكشف ما تلقى فاطمة بنت
خديجة من الضر كله فسكن ما بها ومن الغريب مما شاع وذاع عن شيخنا المحب الطبري

امام مقام الخليل بمكة ورايته يفعله غير مرة ويضع يده على راس الموجوع ضرسه ويسأل
عن اسمه واسم امه وعن المدة التي يريد ان لا يالمه فيها فيقول سبع سنين او
تسع سنين مثلا بالوتر كما قالوا فما يرفع يده الا وقد سكن المه ويمكث المدة المذكورة
لا يالمه كما اشيع ذلك واشتهر **ومما جرب** ان يكتب على الحنا الذي يلي الوجع
بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا
ما تشكرون وان نشا كتب وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم **رقية**
لعسر البول **روى** النسائي عن ابي الدرداء انه اتاه رجل يذكر ان اباه احتبس بوله
فاصابته حصاة البول فعلمه رقية سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا الذي
في السما تقدس اسمك امرك في السما والارض كما رحمتك في السما فاجعل رحمتك في الارض
واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا انت رب الطيبين فانزل شفا من شفائك ورحمة
من رحمتك على هذا الوجع فيبرا وامره ان يرقيه بها فرقاه بها فبرا وقد تقدم هذه
رقية الشكوى العامة من حديث ابي داود **رقية** الحمى عن انس قال دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وهي موعوكة وهي تسب الحمى فقال لا تسبيها فانها
مامورة ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتهن اذهبها الله عنك قالت فعلمني
قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا ام ملدم ان كنت
امنت بالله العظيم فلا تصدعي الراس ولا تنتني الفم ولا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم
وتحولي عني الى من اتخذ مع الله الها آخر قال فقالتها فذهب عنها رواه البيهقي **وقد**
جرب ذلك كما رايته بخط شيخنا اللهم ارحم عظمي الدقيق وجلدي الرقيق واعوذ بك من
فورة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله واليوم الاخر فلا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم
ولا تفوري على الفم وانتقلي الى من يزعم ان مع الله الها آخر فاني اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله **ويكتب** للحمى المثلثة مما ذكره صاحب الهدي على ثلاث
ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله مرت بسم الله قلت وياخذ كل يوم ورقة ويجعلها
في فمه ويبلعها بما وقد رخص جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن وشربه وجعل
ذلك من الشفا الذي جعل الله فيه **قال** ابن الحاج في المدخل وقد كان الشيخ
ابو محمد المرجاني لا يزال الاوراق للحمى وغيرها على باب الزاوية فمن كان به الم اخذ ورقة
منها فاستعملها فيبرا باذن الله عز وجل وكان المكتوب فيها ازلي لم يزل ولا يزال
يزيل الزوال وهو لا يزال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وننزل من القرآن
ما هو شفا ورحمة للمؤمنين **وقال** المروزي بلغ ابا عبد الله اني حممت فكتب لي
من الحمى رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني
بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل
وميكائيل واسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك اله الحق

آمين

آمين **ومما جرب** للخراج ونقله صاحب زاد المعاد ان يكتب عليه ويسالونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا **ومما**
يكتب لعسر الولادة **روى** الخلال عن عبد الله ابن الامام احمد بن حنبل قال رايت
ابي يكتب للمراة اذا عسر عليها ولادتها في جام ابيض او شي نظيف حديث ابن عباس لا اله
الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم
يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها **قال** الخلال اخبرنا ابو بكر المروزي ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال
يا ابا عبد الله تكتب لامراة قد عسر عليها الولادة منذ يومين فقال قل له يجي بجام
واسع وزعفران قال ورايته يكتب لغير واحد **وفي المدخل** يكتب في آنية جديدة اخرج
ايها الولد من بطن ضيق الى سعة هذه الدنيا وفي المدخل بقدرة الذي جعلك في
قرار مكين الى قدر معلوم لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى آخر السورة وننزل من القرآن
ما هو شفا ورحمة للمؤمنين وتشربها النفسا ويرش منه على وجهها **قال** الشيخ
المرجاني اخذته عن بعض السادة فما كتبته لاحد الا نجح في وقته انتهى **وروى** عن
عكرمة عن ابن عباس قال مر عيسى عليه السلام على امراة وقد اعترض ولدها في بطنها
فقالت يا كلمة الله ادع الله لي ان يخلصني مما انا فيه فقال يا خالق النفس من النفس
ويا مخلص النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها فاذا
هي قائمة قالت فاذا عسر على المراة ولدها فاكتبه لها **ومما يكتب** ايضا لذلك ويكون
في اناء نظيف اذا السما انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت
ما فيها وتخلت وتشرب الحامل منه ويرش على بطنها **ومما يكتب** للرعاف على جبهة المرعوف قيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الما وقضي الامر ولا يجوز كتابتها بدم الرعاف
كما يفعله بعض الجهال فان الدم نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله **ومما يكتب**
لعرق النسا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شي ومليك كل شي وخالق كل شي انت
خلقتني وخلقت النسا فلا تسلطه علي باذى ولا تسلطني عليه بقطع واشفني عرق
شفا لا يغادر سقما لا شافي الا انت **واما حفيظة** رمضان وهي لا اله الا الله الاول
يا الله انك سميع عليم محيط بما علمك كعسلهون وبالحق انزلناه وبالحق نزل الى
آخرها فقال شيخنا اشتهر ببلاد اليمن ومكة ومصر والمغرب وجملة بلدان انها
حفيظة رمضان تحفظ من الغرق والسرق والحرق وسائر الآفات وتكتب في آخر
جمعة منه وجمهورهم يكتبها والخطيب يخطب على المنبر وبعضهم بعد صلاة العصر وهي
بدعة لا اصل لها وان وقعت في كلام غير واحد من الاكابر بل اشعر كلام بعضهم بورودها
في حديث ضعيف وكان الحافظ ابن حجر ينكرها جدا حتى وهو قائم على المنبر في اثناء
خطبته حين يرى من يكتبها انتهى **ذكر ما ينفي** من كل بلا عن ابان بن عثمان عن

أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي قال فأصاب أبان بن عثمان الفالج فجعل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه فقال له ما لك تنظر إلي والله ما كذبت على عثمان ولا كذب عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني غضبت فنسيت أن أقولها رواه أبو داود ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنده فكان أبان قد أصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر إليه فقال له أبان ما لك تنظر إلي أما إن الحديث كما حدثتك ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله قدره

ذكر ما يستجلب به المعافاة من سبعين بلاء

ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد المالكي في كتابه أخبار إفريقية عن أنس بن مالك مرفوعا من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عشر مرات برئ من ذنوبه كيوم ولدته أمه وعوفي من سبعين بلاء من بلايا الدنيا منها الجنون والجذام والبرص والريح ويشهد له ما رواه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها من كنز الجنة قال مكحول فمن قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولا منجا من الله إلا إليه كشف الله له سبعين بابا من الضر أدناهن الفقر وروى الطبراني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم ومن ذلك في الأمان من الفقر عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة إلا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبدا رواه ابن أبي الدنيا وروى الطبراني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبطأ عليه رزقه فليكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب يرفعه من قال كل يوم وليلة لا إله إلا الله الملك الحق المبين مائة مرة كان له أمانا من الفقر وأنسا من وحشة القبر واستفتح به باب الغنا واستقرع به باب الجنة قال بعض رواته لو رحلتم في هذا الحديث إلى الصين ما كان كثيرا ذكره عبد الحق في كتاب الطب النبوي

ذكر دواء الطعام

روى البخاري في تاريخه عن عبد الله بن مسعود من قال حين يوضع الطعام بسم الله خير الأسماء في الأرض وفي السماء لا يضر مع اسمه داء اجعل فيه رحمة وشفاء لم يضره ما كان

ذكر دواء أم الصبيان

عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى لم تضره أم الصبيان رواه ابن السني وذكره عبد الحق في الطب النبوي وأم الصبيان هي الريح التي تعرض لهم فربما يخشى عليهم منها وسر التأذين كما قال صاحب

تحفة

تحفة المودود بأحكام المولود أن يكون أول ما يقرع سمع المولود كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله في الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها مع ما في ذلك من فائدة أخرى وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه أول وقت تعلقه به

النوع الثاني في طبه صلى الله عليه وسلم بالأدوية

الطبيعية ذكر ما كان عليه السلام يعالج به الصداع والشقيقة اعلم أن الصداع ألم في بعض أجزاء الرأس أو كله فما كان منه في أحد جانبي الرأس لازما سمي شقيقة بوزن عظيمة وسببه أبخرة مرتفعة أو أخلاط حارة أو باردة ترتفع إلى الدماغ فإن لم تجد منفذا أحدثت الصداع فإن مال إلى أحد شقي الرأس أحدث الشقيقة وإن ملك كل الرأس أحدث داء البيضة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل على الرأس كلها وأسباب الصداع كثيرة منها ما تقدم ومنها ما يكون عن ورم في المعدة أو في عروقها أو ريح غليظة فيها أو لامتلائها ومنها ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع والقيء والاستفراغ والسهر وكثرة الكلام ومنها ما يحدث من الأعراض النفسانية كالهم والحزن والجوع والحمى ومنها ما يحدث عن حادث في الرأس كضربة تصيبه أو ورم في صفاق الدماغ أو حمل شيء ثقيل يضغط الرأس أو تسخينه بشيء خارج عن الاعتدال أو تبريده بملاقاة الهواء والماء في البرد وأما الشقيقة فهي في شرايين الرأس وحدها وتختص بالموضع الأضعف من الرأس وعلاجها بشد العصابة وقد أخرج الإمام أحمد من حديث بريدة أنه صلى الله عليه وسلم كان ربما أخذته الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته وا رأساه وأنه خطب وقد عصب رأسه فعصب الرأس ينفع في الشقيقة وغيرها من أوجاع الرأس وفي البخاري من حديث ابن عباس احتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به وقد جاءت مفسرة بما في بعض طرق ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط رأسه وقد قال الأطباء إنها نافعة جدا وورد أنه صلى الله عليه وسلم احتجم أيضا في الأخدعين والكاهل أخرجه الترمذي وحسنه وأبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم وقد قال الأطباء الحجامة على الأخدعين تنفع من أمراض الرأس والوجه والأذنين والعينين والأسنان والأنف وقد ورد في حديث ضعيف جدا أخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رباح عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رفعه الحجامة في الرأس تنفع من سبع من الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع ووجع الضرس والعين وعمر متروك رماه

الفلاقس وغيره بالكذب وروى ابن ماجه في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا صدع غلف راسه بالحنا ويقول انه نافع باذن الله من الصداع وفي صحته نظر وهو
علاج خاص مما اذا كان الصداع من حرارة ملتهبة ولم يكن من مادة يجب استفراغها
واذا كان كذلك نفع فيه الحنا نفعا ظاهرا قالوا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل
سكن الصداع وهذا لا يختص بوجع الراس بل يعم جميع الاعضا وفي تاريخ البخاري
وسنن ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكى اليه احد وجعا في راسه الا قال
له احتجم ولا شكى وجعا في رجليه الا قال له اختضب بالحنا وفي الترمذي عن علي بن عبيد الله
عن جدته وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان ما كان يكون برسول الله
صلى الله عليه وسلم قرحة ولا نكتة الا امرني ان اضع عليها الحنا ذكر طبه
صلى الله عليه وسلم للرمد وهو ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين وهو
بياضها وسببه انصباب احد الاخلاط او ابخرة تصعد من المعدة الى الدماغ فان
اندفع الى الخياشيم احدث الزكام او الى العين احدث الرمد او الى اللهات والمنخرين
احدث الخنان بالخاء المعجمة والنون او الى الصدر احدث النزلة او الى القلب احدث
الشوصة فان لم يجد وطلب نفاذا فلم يجد احدث الصداع كما تقدم وروي انه
عليه الصلوة والسلام كان يعالج الرمد بالسكون والدعة وترك الحركة وفي سنن
ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر
فقال ادن وكل فاخذت تمرا فاكلت فقال تاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله
امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه
حمى عليا من الرطب لما اصابه الرمد وفي البخاري من حديث سعيد بن زيد قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول الكماة من المن وماؤها شفاء للعين والكماة نبات
لا ورق لها ولا ساق توجد في الارض من غير ان تزرع وروى الطبري من طريق
ابن المنكدر عن جابر قال كثرت الكماة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع
قوم من اكلها وقالوا هو جدري الارض فبلغه ذلك فقال ان الكماة ليست من جدري
الارض الا ان الكماة من المن واختلف في قوله من المن فقيل من المن الذي انزله
الله على بني اسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويوكل حلوا ومنه الترنجبيل
فكانه شبه الكماة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير علاج وقال
الخطابي ليس المراد انها نوع من المن الذي انزله الله على بني اسرائيل فان الذي انزل
على بني اسرائيل كان كالترنجبيل الذي يسقط على الشجر وانما المعنى ان الكماة شيء
ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي وانما اختصت الكماة بهذه الفضيلة لانها من الحلال
المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة ويستنبط منه ان استعمال الحلال المحض يجلو
البصيرة وقال ابن الجوزي في المراد بكونها شفاء للعين قولان احدهما ان ماءها

حقيقة

حقيقة الا ان اصحاب هذا القول اتفقوا على انها لا تستعمل صرفا في العين لكن اختلفوا
كيف يصنع بها على رايين احدهما انه يخلط في الادوية التي يكتحل بها حكاه ابو عبيد
ثانيهما ان تشوى توضع على الجمر حتى يغلي ماؤها ثم يوخذ الميل فيجعل في ذلك الشق
وهو فاتر فيكتحل بمائها لان النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديئة ويبقى النافع
منه ولا يجعل الميل في مائها وهي باردة يابسة فلا تنجع وقال اخر تجعل الكماة في قدر
جديدة ويصب عليها الماء ولا يطرح فيها ملح ثم يوخذ غطاء جديد نقي فيجعل على
القدر فما جرى من الغطاء من بخار الكماة فذلك الماء الذي يكتحل به وقال ابن وافد
ان ماء الكماة اذا عصر وربي به الاثمد كانت له من اصلح الاشياء للعين اذا اكتحل
به يقوي اجفانها ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل وقال
ايضا اذا اكتحل بماء الكماة وحده بميل من ذهب تبين للفاعل لذلك قوة عجيبة وحدة
في البصر كثيرة وقال ابن القيم اعترف فضلاء الاطباء ان ماء الكماة يجلو العين منهم
المسيحي وابن سينا وغيرهما قال والذي يزيل الاشكال عن هذا الاختلاف ان
الكماة وغيرها خلقت في الاصل سليمة من المضار ثم عرضت لها الافات بامور اخرى
من مجاورة او امتزاج او غير ذلك من الاسباب التي ارادها الله تعالى فالكماة في الاصل
نافعة لما اختصت به من وصفها بانها من الله تعالى وانما عرضت لها المضار بالمجاورة
واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع الله عنه الضرر
بنيته والعكس بالعكس والله اعلم ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من العذرة
وهي بضم المهملة وسكون الذال المعجمة وجع ياخذ في الحلق يعتري الصبيان غالبا
وقيل هي قرحة تخرج بين الاذن والحلق او في الخرم الذي بين الانف والحلق وهو
الذي يسمى سقوط اللهاة وقيل هو اسم اللهاة والمراد وجعها سمي باسمها وقيل
هو موضع قريب من اللهاة واللهاة بفتح اللام اللحمة التي في اقصى الحلق وفي
البخاري من حديث ام قيس بنت محصن الاسدية اسد خزيمة وهي اخت عكاشة
انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها قد علقت عليه من العذرة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم علام تدغرن اولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود
الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب يريد القسط وهو العود الهندي
قوله تدغرن خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة والدال المهملة والدغر غمز
الحلق وعن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة
وعندها صبي يسيل منخراه دما فقال ما هذا فقالوا به العذرة او وجع في راسه
فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن ايما امراة اصاب ولدها عذرة او وجع في راسه
فلتاخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه فامرت عائشة فصنع ذلك
بالصبي فبرا والحديث وفي القسط تخفيف يشد اللهاة ويرفعها الى مكانها وكانوا

بها الحجون ولادهم بغمز اللهاة وبالعلاق وهو شيء يعلقونه على الصبيان فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك وارشدهم الى ما هو انفع للاطفال واسهل عليهم والسعوط ما يصب في الانف • وقد يستشكل معالجتها بالقسط مع كونه حارا والعذرة انما تعرض في زمن الحر بالصبيان وامزجتهم حارة لاسيما وقطر الحجاز حار واجيب بان مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفي القسط تجفيف للرطوبة وقد يكون نفعه في هذا الداء بالخاصية وايضا فالادوية الحارة قد تنفع من الامراض الحارة بالعرض كثيرا بل وبالذات ايضا • وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب اليماني على انا لو لم نجد شيئا من التوجيهات لكان المعجز خارجا عن القواعد الطبية

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء استطلاق البطن

في الصحيحين من حديث ابي المتوكل عن ابي سعيد الخدري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه • وفي رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فقال اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وكذب بطن اخيك • وفي رواية لمسلم فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله • وفي رواية احمد عن يزيد بن هارون فقال في الرابعة اسقه عسلا قال فاظنه قال فسقاه فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرابعة صدق الله وكذب بطن اخيك قال الخطابي وغيره اهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ يقال كذب سمعك اي زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له فمعنى كذب بطنه اي لم يصلح لقبول الشفاء بل زل عنه • وقال الامام فخر الدين الرازي لعله صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال مع كونه عليه السلام كان عالما بانه سيظهر نفعه بعد ذلك كان جاريا مجرى الكذب فلهذا اطلق عليه هذا اللفظ وقد اعترض بعض الملاحدة فقال العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الاسهال واجيب بان ذلك جهل من قائله بل هو كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فقد اتفق الاطباء على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء المألوف والتدبير وقوة الطبيعة وعلى ان الاسهال يحدث من انواع منها الهيضة التي تنشأ عن تخمة واتفقوا على ان علاجها بترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى مسهل اعينت ما دام بالعليل قوة فكان هذا الرجل كان استطلاق بطنه من تخمة اصابته فوصف له صلى الله عليه وسلم العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة من اخلاط لزجة تمنع من استقرار الغذاء فيها وللمعدة خمل كخمل المنشفة فاذا علقت بها الاخلاط اللزجة افسدتها وافسدت الغذاء الواصل اليها فكان دواؤها باستعمال ما يجلو

تلك

تلك الاخلاط ولا شيء في ذلك مثل العسل لاسيما ان مزج بالماء الحار وانما لم يفده في اول مرة لان الدواء يجب ان يكون له مقدار وكمية بحسب الداء ان قصر عنه لم يدفعه بالكلية وان جاوزه اوهى القوة واحدث ضررا آخر فكانه شرب منه اولا مقدارا لا يفي بمقاومة الداء فامره بمعاودة سقيه فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برأ باذن الله تعالى • وفي قوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن اخيك اشارة الى ان هذا الدواء نافع وان بقاء الداء ليس لقصور الدواء في الشفاء ولكن لكثرة المادة الفاسدة فمن ثم امره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها • وقال بعضهم ان العسل تارة يجري سريعا الى العروق وينفذ معه جل الغذاء ويدر البول فيكون قابضا وتارة يبقى في المعدة فيهيجها بلذعه لها حتى يدفع الطعام ويسهل البطن فيكون مسهلا فانكار وصفه بالمسهل مطلقا قصور من المنكر • وقال ابن الجوزي في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل لهذا المستهل اربعة اقوال • احدها ان حمل الآية على عمومها في الشفاء والى ذلك اشار بقوله صدق الله اي في قوله فيه شفاء للناس فلما نبهه على هذه الحكمة تلقاها بالقبول فشفي باذن الله تعالى • الثاني ان الوصف المذكور على المألوف من عادتهم من التداوي بالعسل في الامراض كلها • الثالث ان الموصوف له ذلك كانت به هيضة كما تقدم تقريره • الرابع يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل قبل شربه فانه يعقد البلغم فلعله شربه اولا بغير طبخ انتهى • والثاني والرابع ضعيفان • ويؤيد الاول حديث ابن مسعود عليكم بالشفاءين العسل والقرآن اخرجه ابن ماجه والحاكم مرفوعا واخرجه ابن ابي شيبة والحاكم موقوفا ورجاله رجال الصحيح • واثر علي اذا اشتكى احدكم فليستوهب من امرأته شيئا من صداقها فليشتر به عسلا ثم يأخذ ماء السماء فيجمع هنيئا مريئا مباركا اخرجه ابن ابي حاتم في التفسير بسند جيد • وروينا عنه رضي الله عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه فانه شفاء • قال الحافظ ابن كثير بعد ان ذكر من وجوه قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء وقال ونزلنا من السماء ماء مباركا وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال في العسل فيه شفاء للناس

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة بما يمشيه ويلينه

روى الترمذي وابن ماجه في سننه من حديث اسماء بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار جار ثم قالت استمشيت بالسنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان شيئا فيه شفاء من الموت لكان في السنا قال ابو عيسى هذا حديث غريب وقد ذكر البخاري في تاريخه الكبير من حديث اسماء بنت عميس مثل ما ذكره الترمذي • وذكر ابو محمد الحميدي في كتاب الطب له انه صلى الله عليه وسلم قال

اياكم والشبرم فانه حار جار وعليكم بالسنا فتداووا به فلو دفع الموت شيء لدفعه السنا. وحكى عبد الحق الاشبيلي في كتاب الطب النبوي له ان المحاسبي ذكر في كتابه المسمى بالقصد الى الله ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب السنا بالتمر وفي سنن ابن ماجه من حديث ابراهيم بن عبلة قال سمعت عبد الله بن حرام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء الا السام قيل يا رسول الله وما السام قال الموت قالوا والشبرم قشر عرق شجرة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة وهو من الادوية التي منع الاطباء من استعمالها لخطرها وفرط اسهالها. واما السنا فهو نبت حجازي افضله المكي وهو دواء شريف مامون الغائلة قريب من الاعتدال حار يابس في الدرجة الاولى يسهل الصفراء والسوداء ويقوي جرم القلب وهذه فضيلة شريفة. ومن خاصيته النفع من الوسواس السوداوي قال الرازي السنا والشاهترج يسهلان الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة قال والشربة من كل واحد منهما من اربعة دراهم الى سبعة دراهم واما السنوت فقيل هو العسل وقيل رب عكة السمن يخرج خطوطا سوداء على السمن وقيل حب يشبه الكمون وليس به وقيل هو الكمون الكرماني وقيل انه الرازيانج وقيل انه الشبث وقيل انه العسل الذي يكون في زقاق السمن قال بعض الاطباء وهذا اجدر بالمعنى واقرب الى الصواب اي يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يلعق فيكون اصلح من استعماله مفردا لما في العسل والسمن من اصلاح السنا واعانته على الاسهال

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للمفؤود

وهو الذي اصيب فؤاده فهو يشتكيه كالمبطون روى ابو داود عن سعد قال مرضت مرضا فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال انك رجل مفؤود فات الحارث بن كلدة من ثقيف فانه رجل يتطبب فلياخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن الفؤاد وهذا الحديث من الخطاب العام الذي اريد به الخاص كاهل المدينة ومن جاورهم والتمر لاهل المدينة كالحنطة لغيرهم واللدود ما يسقاه الانسان من احد جانبي الفم. وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الداء سيما تمر المدينة ولا سيما العجوة وفي كونها سبعا خاصية اخرى تدرك بالوحي وفي الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء ذات الجنب

في البخاري مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب وفي الترمذي من حديث زيد بن ارقم قال قال صلى الله عليه وسلم تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت اعلم ان ذات الجنب هو ورم حار يعرض في الغشاء

المستبطن

المستبطن للاضلاع وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات والعضل التي في الصدر والاضلاع فتحدث وجعا فالاول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الاطباء قالوا ويحدث بسببه خمسة اعراض الحمى والسعال والنخس وضيق النفس والنبض المنشاري ويقال لذات الجنب ايضا وجع الخاصرة وهو من الامراض المخوفة لانها تحدث بين القلب والكبد وهو من سيئ الاسقام والمراد بذات الجنب هنا الثاني لان القسط وهو العود الهندي هو الذي يداوى به الرياح الغليظة وقد حكى الامام ابن القيم عن المسبحي انه قال العود حار يابس قابض يحبس البطن ويقوي الاعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد ويذهب بفضل الرطوبة نافع من ذات الجنب جيد للدماغ قال ويجوز ان ينفع من ذات الجنب الحقيقية ايضا اذا كانت ناشئة عن مادة بلغمية ولا سيما في وقت انحطاط العلة

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء الاستسقاء

عن انس قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من البانها وابوالها فلما صحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فاخذوا فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم والقاهم في الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان واعلم ان الاستسقاء مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الاعضاء فتربو لها اما الاعضاء الظاهرة كلها واما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والاخلاط. واقسامه ثلاثة لحمي وهو اصعبها وهو الذي يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو مع الدم في الاعضاء وزقي وهو الذي يجتمع معه في البطن الاسفل مادة مائية ردية يسمع لها عند الحركة خضخضة كالماء في الزق وهو اردى انواعه عند اكثر الاطباء. وطبلي وهو الذي ينتفخ معه البطن بمادة ريحية اذا ضربت عليه سمعت له صوتا كصوت الطبل وانما امرهم عليه السلام بشرب ذلك لان في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتلطيفا وتفتيحا للسدد اذ كان اكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والاقحوان والاذخر وغير ذلك من الادوية النافعة للاستسقاء خصوصا اذا استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان فان ذلك مما يزيد في ملوحة اللبن وتقطيعه الفضول واطلاقه البطن. واما ضعف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل ان بعض الناس مرض بمعدته فراى الشيخ الجليل ابو محمد المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو ان ياخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربى ويكون ملتوتا بالمصطكى بعد دقها ويجعل فيها سبع حبات من الشونيز يفعل ذلك سبعة ايام ففعله فبرئ. ومرض

بعض الناس من برد المعدة فرأى الشيخ المرجاني نبينا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبشره بهذا الدواء اوقية ونصف اوقية عسل نحل ودرهمين شونيز ومثلها انيسون ونصف اوقية من النعنع الاخضر ومن القرنفل درهم ومن القرفا نصف درهم وشيء من قشر الليمون مع قليل من الخل ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبرئ • ومرض آخر بسلس الريح فرأى الشيخ المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبشره بهذا الدواء شونيز ثلاثة دراهم ومن خزامى درهمين ونصف ومن الكمون الابيض ثلاثة دراهم ومثله من السعتر الشامي ومثله من الفلفل ووزن درهم من البلوط وهو ثمر الفواد واوقية من الزيت المرقي يجعل فيه من العسل النحل ما يعقد به وهو ربع رطل ويؤخذ منه غدوة النهار وزنة درهمين على الريق وعند النوم وزن درهم ونصف فاستعمله فبرئ • ثم انه عليه السلام بعد ذلك قال في النوم لذلك الشخص الذي اخبره بهذا الدواء انه ينفع لادواء وهي الريح وسلس الريح والمعدة وبرودتها ووجع الفواد والم الحيض والم النفاس ولتعقد الرياح • والزيت المرقي صفته ان ياخذ شيئا من الزيت الطيب ويجعله في اناء نظيف ويحركه بعود ويقرا عليه الاخلاص والمعوذتين ولقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى آخر السورة • وحصل لاخر قولنج فرأى الشيخ المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم فاشار بهذا الدواء وهو ان ياخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ووزن درهم ونصف من الزيت المرقي وواحد وعشرين حبة من الشونيز ويخلط الجميع ثم يفطر عليه ويفعل مثله عند النوم ففعل ذلك حتى برئ وتعمل له التلبينة ويستعملها بعد ان يفطر على ذلك • والتلبينة حساء يعمل من دقيق ونخالة وربما جعل فيه عسل ويكون غذاؤه مصلوقة الدجاج او لحم الضان ففعله فبرئ بعد ان اعيا الاطباء • ومرض آخر بوجع الظهر فشكى ذلك للشيخ فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبشره بهذا الدواء وهو عسل نحل وشونيز ودهن الاثلية والزيت المرقي ودقيق البيضة ويخلط ذلك كله ويمره على الموضع ويذر عليه دقيق العدس بقشره مع الحرمل بعدما يدق دقا ناعما حتى يعود مثل الدقيق ففعله فبرئ • وشكى بعض الناس الدوخة في راسه فرأى الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فاشار الى هذا الدواء قرنفل وزنجبيل وقرفا وجوزة طيب وسنبل من كل واحد درهم ونصف وشونيز درهمين يدق الجميع ثم يطبخ ويعقد بعسل النحل فاذا قرب استواؤه عصر عليه قليل ليمون ويكون عسل النحل غالبا عليه ففعله فبرئ انتهى • وهذا وان كان مناما فقد عضدته التجربة مع ارشاد الشيخ المرجاني لذلك **ذكر طبه عليه السلام من داء عرق النسا** وهو بفتح النون والمهملة المرض الحال بالعرق والاضافة فيه من باب اضافة الشيء الى

محل

محله وسمي بذلك لانه لا ينسى ما سواه وهذا العرق ممتد من مفصل الورك وينتهي الى آخر القدم وراء الكعب • وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دواء عرق النسا الية شاة اعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة اجزاء ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء رواه ابن ماجه وهذا الدواء خاص بالعرب واهل الحجاز ومن جاورهم وهو انفع لهم لان هذا المرض يحدث عن يبس وقد يحدث من مادة غليظة لزجة فعلاجها بالاسهال والالية فيها الخاصتان الانضاج والتليين وهذا المرض يحتاج علاجه الى هذين الامرين • وفي تعيين الشاة الاعرابية قلة فضولها وصغر مقدارها ولطف جوهرها وخاصية مرعاها لانها ترعى اعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم ونحوهما وهذه اذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد ان يلطفها تغذيه ويكسبها مزاجا الطف منها ولا سيما الالية **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الاورام والخراجات** بالبط والبزل يذكر عن علي رضي الله عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل نعوده بظهره ورم فقالوا يا رسول الله بهذه مدة قال بطوا عنه قال علي فما برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بقطع العروق والكي** روى البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه عليه واخرج مسلم عن جابر لما رمي سعد بن معاذ في اكحله حسمه النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطحاوي وصححه الحاكم عن انس قال كواني ابو طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الترمذي انه صلى الله عليه وسلم كوى اسعد بن زرارة من الشوكة وروى مسلم عن عمران بن الحصين كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد وفي رواية ان الذي كان انقطع عني رجع الي يعني تسليم الملائكة وروى احمد وابو داود والترمذي عن عمران نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي فاكتوينا فما افلحنا ولا انجحنا الحديث وانما يستعمل الكي في الخلط الباغي الذي لا تنحسم مادته الا به ولهذا وصفه صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه وانما كرهه لما فيه من الالم الشديد والخطر العظيم ولهذا كانت العرب تقول في امثلتها آخر الدواء الكي والنهي فيه محمول على الكراهة او على خلاف الاولى لما يقتضيه مجموع الاحاديث وقيل انه خاص بعمران لانه كان به الباسور وكان موضعه خطرا فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة الكي نوعان كي الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه لم يتوكل من اكتوى لانه يريد ان يدفع القدر والقدر لا يدافع والثاني كي الجرح اذا فسد والعضو اذا قطع فهو الذي شرع التداوي به فان كان الكي لامر محتمل فهو خلاف الاولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لامر غير محقق وحاصل

الجمع ان الفعل يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على ان تركه ارجح
من فعله ولهذا وقع الثناء على تاركه واما النهي عنه فاما على سبيل الاختيار
والتنزيه واما عما لا يتعين طريقا الى الشفاء وقال بعضهم انما نهى عنه مع اثباته
الشفاء فيه اما لكونهم كانوا يرون انه يحسم الداء بطبعه فكرهه لذلك ولذلك
كانوا يبادرون اليه قبل حصول الداء لظنهم انه يحسم الداء فيتعجل الذي يكتوي
التعذيب بالنار لامر مظنون قال في فتح الباري ولم ار في اثر صحيح ان النبي صلى
الله عليه وسلم اكتوى الا ان القرطبي نسبه الى كتاب آداب النفوس للطبري ان النبي
صلى الله عليه وسلم اكتوى وذكر الحليمي بلفظ روي انه اكتوى للجرح الذي اصابه
باحد قال الحافظ ابن حجر والثابت في الصحيح عن غزوة احد ان فاطمة احرقت حصيرا
فحشت به جرحه وليس هذا الكي المعهود انتهى

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الطاعون

قال الخليل الطاعون الوبا وقال ابن الاثير الطاعون
المرض العام والوباء الذي يفسد له الهوى فتفسد به الامزجة والابدان
وقال القاضي ابو بكر بن العربي الطاعون الوجع الغالب الذي يطفي الروح سمي
بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله وقال ابو الوليد الباجي هو مرض يعم الكثير من الناس
في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من امراض الناس وقال القاضي عياض اصل
الطاعون القروح الخارجة في الجسد والوباء عموم الامراض فسميت طاعونا تشبيها
بها في الهلاك وقال النووي في تهذيبه هو بثر وورم مؤلم جدا يخرج مع لهب
ويسود ما حوله ويخضر او يحمر حمرة شديدة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان
وقيء ويخرج غالبا في المراق والاباط وقد يخرج في الايدي والاصابع وسائر
الجسد وقال ابن سينا الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا لا يحدث
في المواضع الرخوة والمغابن من البدن واغلب ما يكون تحت الابط او خلف الاذن
او عند الارنبة وسببه دم رديء يستحيل الى مادة سمية يفسد العضو ويغير
ما يليه ويؤدي الى القلب كيفية رديئة فيحدث القيء والغثيان والخفقان وهو
لرداءته لا يقبل من الاعضاء الا ما كان اضعف بالطبع واردؤه ما يقع في الاعضاء
الرئيسة والاسود منه قل من يسلم منه واسلمه الاحمر ثم الاصفر والطواعين
تكثر عند الوباء في البلاد الوبئة ومن ثم اطلق على الطاعون وباء وبالعكس واما
الوباء فهو فساد جوهر الهوى الذي هو مادة الروح ومدده والحاصل ان حقيقته
ورم ينشا عن هيجان الدم وانصباب الدم الى عضو فيفسده وان غير ذلك من
الامراض العامة عن فساد الهوى يسمى طاعونا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم
المرض به او كثرة الموت والدليل على ان الطاعون يغاير الوباء ان الطاعون لم يدخل
المدينة النبوية وقد قالت عائشة دخلنا المدينة وهي اوبا ارض الله وقال بلال

اخرجونا

اخرجونا الى ارض الوباء والطاعون من طعن الجن واما لم يتعرض له الاطباء لكونه
من طعن الجن لانه امر لا يدرك بالعقل وانما عرف من الشارع فتكلموا في ذلك على
ما اقتضته قواعدهم ومما يؤيد ان الطاعون انما يكون من طعن الجن وقوعه غالبا
في اعدل الفصول وفي اصح البلاد هواء واطيبها ماء ولانه لو كان بسبب فساد
الهواء لدام في الارض لان الهواء يفسد تارة ويصح اخرى وهذا يذهب احيانا ويجيء
احيانا على غير قياس ولا تجربة فربما جاء سنة على سنة وربما ابطا سنين وبانه
لو كان كذلك لعم الناس والحيوان والموجود بالمشاهدة انه يصيب الكثير ولا يصيب
من هم بجانبه ممن هو في مثل مزاجهم ولو كان كذلك لعم جميع البدن وهذا
يختص بموضع من الجسد لا يتجاوزه ولان فساد الهواء يقتضي تغير الاخلاط وكثرة
الاسقام وهذا في الغالب يقتل بلا مرض فدل على انه من طعن الجن كما ثبت في الاحاديث
الواردة في ذلك منها حديث احمد والطبراني عن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري قال
سالت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو وخز اعدائكم من الجن وهو لكم
شهادة قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر يقع في الالسنة وهو في النهاية تبعا
لغريب الهروي بلفظ وخز اخوانكم ولم اره بلفظ اخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ
في شيء من طرق الحديث المسندة لا في الكتب المشهورة ولا في الاجزاء المنثورة وقد
عزاه بعضهم لمسند احمد والطبراني وكتاب الطواعين لابن ابي الدنيا ولا وجود لذلك
في واحد منها والله اعلم انتهى وفي الصحيحين من حديث اسامة بن زيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل
وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع بارض وانتم
بها فلا تخرجوا منها فرارا منه وقد ذكر العلماء في النهي عن الخروج حكما منها ان الطاعون
في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به فاذا وقع فالظاهر مداخلة سببه
لمن بها فلا يفيده الفرار لان المفسدة اذا تعينت حتى لا يقع الانفكاك عنها
كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل ومنها ان الناس لو تواردوا على الخروج لصار
من عجز عنه بالمرض المذكور او بغيره ضائع المصلحة لفقد من يتعهده حيا وميتا
وايضا لو شرع الخروج فخرج الاقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء وقد
قالوا ان حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب من لم يفر وادخال
الرعب عليه بخذلانه وقد جمع الغزالي بين الامرين فقال الهوى لا يضر من حيث
ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل الى القلب والرئة
فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر الا بعد التاثير في الباطن فالخارج من البلد
الذي يقع به لا يخلص غالبا مما استحكم به ويتضاف الى ذلك انه لو رخص للاصحاء
في الخروج لبقي المرضى لا يجدون من يتعاهدهم فتضيع مصالحهم ومنها ما ذكره بعض

الاطباء ان المكان الذي يقع به الوباء تتكيف به امزجة اهله بهواء تلك البقعة وتناسب
وتصير لهم كالاهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا الى الاماكن الصحيحة لم توافقهم
بل ربما اذا استنشقوا هواها استصحب معه الى القلب الابخرة الردية التي حصل تكيف
بدنها بها فافسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة ٥ ومنها ان الخارج يقول لو اقمت
لاصبت والمقيم يقول لو خرجت لسلمت فيقع في اللو المنهي عنه وقال العارف
ابن ابي جمرة البلاء انما تقصد به اهل البقعة لا البقعة نفسها فمن اراد الله تعالى
انزال البلاء به فهو واقع به لا محالة فاين ما توجه يدركه فارشدنا الشارع الى
عدم التعب وقال ابن القيم جمع صلى الله عليه وسلم للامة في نهيه عن الدخول
الى الارض التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه فان في الدخول
في الارض التي هو فيها تعرضا للبلاء وموافاة له في محل سلطانه واعانة الانسان
على نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنب الدخول الى ارضه من باب الحمية
التي ارشد الله تعالى اليها وهي حمية عن الامكنة والاهوية المؤذية واما نهيه عن
الخروج من بلده ففيه معنيان احدهما حمل النفوس على الثقة بالله والتوكل عليه
والصبر على قضيته والرضا والثاني ما قاله ائمة الطب انه يجب على من كان يحترز
من الوباء ان يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل الى التدبير
المجفف من كل وجه والخروج من ارض الوباء والسفر منها لا يكون الا بحركة شديدة
وهي مضرة جدا وهذا كلام افضل المتاخرين من الاطباء فظهر المعنى الطبي من
الحديث النبوي وما فيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما انتهى

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السلعة ٥ اخرج البخاري في تاريخه والطبراني
والبيهقي عن شرحبيل الجعفي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكفي سلعة
فقلت يا رسول الله هذه السلعة قد اذتني تحول بيني وبين قائم السيف ان
اقبض عليه وعنان الدابة فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها
بكفه حتى رفعها عنها وما ارى اثرها ومسح صلى الله عليه وسلم وجه ابيض بن حمال
وكان به القوباء فلم يمس من ذلك اليوم ومنها اثر رواه البيهقي وغيره

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الحمى ٥ روى البخاري من حديث عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء البارد واختلف في
نسبتها الى جهنم فقيل حقيقة واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر
الله ظهورها باسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك كما ان انواع الفرح واللذة
من نعيم الجنة اظهرها الله في هذه الدار عبرة ودلالة وقيل بل الخبر ورد مورد
التشبيه والمعنى ان حر الحمى شبيه بحر جهنم تنبيها للنفوس على شدة حر النار وان
هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها وهو ما يصيب من قرب منها من حرها قوله

فاطفئوها

فاطفئوها بهمزة قطع امر بالاطفاء وروى الطبراني الحمى حظ المؤمن من النار وفي
رواية نافع عن ابن عمر عند الشيخين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمى او شدة
الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء بهمزة وصل والراء مضمومة على المشهور وحكي كسر الراء
وفي رواية ابن ماجه بالماء البارد وفي رواية ابي جمرة بالجيم عند البخاري قال
كنت اجالس ابن عباس بمكة فاخذتني الحمى فاحتبست اياما فقال ما حبسك قلت
الحمى قال ابردها بماء زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح
جهنم فابردوها بالماء او بماء زمزم شك قال ابن القيم قوله بالماء فيه قولان
احدهما انه كل ماء وهو الصحيح والثاني انه ماء زمزم ثم قال البغدادي روى حديث
ابي جمرة هذا وراوي هذا الحديث قد شك فيه ولو جزم به لكان امرا لاهل مكة
بماء زمزم اذ هو متيسر عندهم واخرهم بما عندهم من الماء انتهى وتعقب بانه
وقع في رواية احمد عن عفان عن همام فابردوها بماء زمزم ولم يشك وكذا اخرجه
النسائي وابن حبان والحاكم قال ابن القيم واختلف من قال انه على عمومه هل
المراد به الصدقة بالماء او باستعماله على قولين والصحيح انه استعماله واظن الذي
حمل من قال ان المراد به الصدقة به انه اشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى ولم
يفهم وجهه مع ان لقوله وجها حسنا وهو ان الجزاء من جنس العمل فكما اخمد لهيب العطش
عن الظمآن بالماء البارد اخمد الله لهيب الحمى عنه جزاء وفاقا انتهى وقال الخطابي وغيره
اعترض بعض سخفاء الاطباء على هذا الحديث بان قال اغتسال المحموم بالماء خطر
يقربه من الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار ويعكس الحرارة التي في داخل
الجسم فيكون ذلك سببا للتلف وقد غلط بعض من ينسب الى العلم فانغمس في
الماء لما اصابته الحمى فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فاصابته علة صعبة كادت
تهلكه فلما خرج من علته قال قولا سيئا لا يحسن ذكره وانما اوقعه في ذلك جهله
بمعنى الحديث والجواب ان هذا الاستشكال صدر عن صدر مرتاب في صدق
الخبر فيقال له اولا من اين حملت الامر على الاغتسال وليس في الحديث الصحيح
بيان الكيفية فضلا عن اختصاصها بالغسل وانما في الحديث الارشاد الى تبريد
الحمى بالماء فان اظهر الوجود او اقتضت صناعة الطب ان انغماس كل محموم في الماء
او صبه اياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصده عليه السلام استعمال
الماء على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به وهو كما وقع في امر
العاين بالاغتسال واطلق وقد ظهر من الحديث الاخر انه لم يرد مطلق الاغتسال
وانما اراد الاغتسال على كيفية مخصوصة واولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى ما صنعته
اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما فانها كانت ترش على بدن المحموم شيئا من الماء
بين ثدييه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة الماذون فيها والصحابي ولا سيما

مثل اسماء التي هي ممن كان يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالمراد من غيره وقد ذكر ابو نعيم وغيره من حديث انس رفعه اذا حم احدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر وقال المازري لا شك ان علم الطب من اكثر العلوم احتياجا الى التفصيل حتى ان المريض يكون الشيء دواؤه في ساعة فيصير داء له في الساعة التي تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه مثلا فيتغير علاجه ومثل ذلك كثير فاذا فرض وجود الشفاء لشخص بشيء في حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء به له او لغيره في سائر الاحوال والاطباء مجمعون على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتاثير المالوف وقوة الطباع ويحتمل ان يكون هذا في وقت مخصوص فيكون من الخواص التي اطلع عليها النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي ويضمحل عند ذلك جميع كلام اهل الطب وجعل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث خاصا لاهل الحجاز وما والاهم اذ كان اكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس قال وهذه ينفعها الماء البارد شربا واغتسالا لان الحمى حرارة غريبة تشتعل في القلب وتنتشر منه بتوسط الروح والدم في العروق الى جميع البدن وهي قسمان عرضية وهي الحادثة عن ورم او حركة او اصابة حرارة الشمس او القيظ الشديد ونحو ذلك ومرضية وهي ثلاثة انواع وتكون عن مادة ثم منها ما يسخن جميع البدن فان كان مبدا تعلقها بالروح فهي حمى يوم لا تقلع غالبا في يوم ونهايتها الى ثلاثة وان كان تعلقها بالاعضاء الاصلية فهي حمى دق وهي اخطرها وان كان تعلقها بالاخلاط سميت عفنية وهي بعدد الاخلاط الاربعة صفراوية وسوداوية بلغمية دموية وتحت هذه الانواع المذكورة اصناف كثيرة بحسب الافراد والتركيب انتهى واذا تقرر هذا فيجوز ان يكون المراد النوع الاول فانها تسكن بالانغماس في الماء البارد وشرب الماء المبرد بالثلج وبغيره ولا تحتاج الى علاج اخر وقد قال جالينوس لو ان شابا حسن اللحم خصب البدن ليس في احشائه ورم استحم بماء بارد او سبح فيه وقت القيظ عند منتهى الحمى لانتفع بذلك وقد تكرر في الحديث استعماله صلى الله عليه وسلم الماء البارد في علته كما في الحديث صبوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن وفي المسند وغيره من حديث الحسن عن سمرة يرفعه الحمى قطعة من النار فابردوها عنكم بالماء البارد وكان صلى الله عليه وسلم اذا حم دعا بقربة من ماء فافرغها على راسه فاغتسل وصححه الحاكم ولكن قال في اسناده راو ضعيف وعن انس رفعه اذا حم احدكم فليشن عليه من الماء البارد من السحر ثلاث ليال اخرجه الطحاوي وابو نعيم في الطب واخرج الطبراني من حديث عبد الرحمن ابن المرقع رفعه الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض فبردوا لها الماء في الشنان

ومطبوع

ومطبوع عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشاء قال ففعلوا فذهب عنهم وقد اخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعا اذا اصاب احدكم الحمى وهي قطعة من النار فليطفها عنه بالماء ليستنقع في نهر جار وليستقبل جريته وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة ايام فان لم يبرا فخمس والا فسبع فانها لا تكاد تجاوز تسعا باذن الله قال الترمذي غريب وفي سنده سعيد بن زرعة مختلف فيه

ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من حكة الجسم وما يولد القمل لما كانت الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة رخص صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة كانت بهما كما في البخاري عن قتادة ان انسا حدثهم ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص من حرير من حكة كانت بهما وفي رواية ان عبد الرحمن والزبير شكيا الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني القمل فارخص لهما في الحرير فرايته عليهما في غزاة وفي رواية رخص لحكة كانت بهما النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في حرير وفي رواية رخص لحكة كانت بهما ويحتمل ان تكون العلتان باحد الرجلين او ان الحكة حصلت من القمل فنسبت العلة تارة الى السبب وتارة الى المسبب قال النووي هذا الحديث صريح في الدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه انه يجوز لبس الحرير للرجل اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة وكذا للقمل وما في معنى ذلك وقال مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه انتهى وتعقب قوله لما فيه من البرودة بان الحرير حار والصواب ان الحكمة فيه لخاصية فيه تدفع الحكة وقال ابن القيم واذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة في مزاجه مسخنا للبدن وربما برد البدن بتسمينه اياه وقال الرازي الابريسم اسخن من الكتان وابرد من القطن يربي اللحم وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة فملابس الاوبار والاصواف تسخن وتدفئ وملابس الكتان والحرير والقطن تدفئ ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير الين من القطن واقل حرارة منه ولما كانت ثياب الحرير ليس فيها شيء من اليبس والخشونة كغيرها صارت نافعة من الحكة لان الحكة كما قدمته لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة فلذلك رخص عليه الصلاة والسلام لهما في لباس الحرير لمداواة الحكة

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السم الذي اصابه بخيبر تقدم في غزوتها قصة اليهودية التي اهدت اليه الشاة المسمومة وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ان امراة يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر فقال لها ما هذه قالت هذه هدية

وحذرت ان تقول صدقة فلا يأكل فأكل النبي صلى الله عليه وسلم وأكل أصحابه ثم قال امسكوا ثم قال للمرأة هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك قال هذا العظم لساقها وهو في يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان يستريح منك الناس وان كنت نبيا لم يضرك قال فاحتجم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة على الكاهل وقد ذكروا في علاج السم انه يكون بالاستفراغات وبالأدوية التي تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها واما بخواصها فمن عدم الدواء فليبادر الى الدواء الكلي وانفعه الحجامة ولا سيما اذا كان البلد حارا والزمان حارا فان القوة السمية تسري في الدم فتنبعث في العروق والمجاري حتى تصل الى القلب والاعضاء فاذا بادر المسموم واخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية السمية التي خالطته فان كان استفراغا تاما لم يضره السم بل اما ان يذهب واما ان يضعف فتقوى عليه الطبيعة فتبطل فعله او تضعفه ولما احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل لانه اقرب الى القلب فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي اثرها مع ضعفه لما يريد الله تعالى من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة زاده الله تعالى فضلا وشرفا ه

النوع الثالث في طبه عليه السلام بالأدوية المركبة

من الالهية والطبيعية

ذكر طبه عليه الصلوة والسلام من القرحة والجرح وكل شكوى

عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا وريقة بعضنا تشفي سقيمنا وفي رواية كان يقول في الرقية تربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا رواه البخاري وفي رواية لمسلم اذا اشتكى الانسان او كانت به قرحة او جرح قال باصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالارض الحديث وقوله تربة ارضنا خبر مبتدأ محذوف اي هذه تربة ارضنا وقوله تشفي سقيمنا ضبط بوجهين بضم اوله على البناء للمجهول وسقيمنا بالرفع وبفتح اوله على ان الفاعل مقدر وسقيمنا بالنصب على المفعولية قال النووي معنى الحديث انه اخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق به شيء منه ثم مسح به الموضع العليل او الجريح قائلا الكلام المذكور في حالة المسح وقال القرطبي زعم بعض اهل العلم ان السر فيه ان تراب الارض لبرودته ويبسه يبرئ الموضع الذي به الالم ويمنع انصباب المواد اليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها وقال في الريق انه يختص بالتحليل والانضاج وابراء الجرح والورم ولا سيما من الصائم الجائع وتعقبه القرطبي بان ذلك انما يتم اذا وقعت المعالجة على قوانينها من مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة ذلك في اوقاته والا فالنفث ووضع السبابة على الارض انما يتعلق بها ما ليس له بال ولا اثر وانما هذا من باب التبرك باسماء الله تعالى وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم واما

ومنع

ومنع الاصبع بالارض فلعله لخاصية في ذلك او لحكمة اخفاء آثار القدرة بمباشرة الاسباب المعتادة وقال البيضاوي قد شهدت المباحث الطبية على ان للريق مدخلا في النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن له تأثير في حفظ المزاج ودفع الضرر فقد ذكروا انه ينبغي للمسافر ان يصحب تراب ارضه ان عجز عن استصحاب مائها حتى اذا ورد المياه المختلفة جعل شيئا منه في سقائه ليأمن مضرة ذلك ثم ان الرقى والعزائم لها آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول الى كنهها وقال التوربشتي كأن المراد بالتربة الاشارة الى النطفة كأنه تضرع بلسان الحال انك اخترعت الاصل الاول من التراب ثم ابدعته من ماء مهين فهين عليك ان تشفي من كانت هذه نشأته وقال النووي وقيل المراد بارضنا ارض المدينة لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصا وفيه نظر وفي حديث عائشة عند ابي داود والنسائي ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فقال اكشف الباس رب الناس ثم اخذ ترابا من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه ثم صبه عليه قال الحافظ ابن حجر هذا الحديث تفرد به الشخص المرقي

ذكر طبه عليه السلام من لدغة العقرب

عن عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اذ سجد فلدغته عقرب في اصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ قل هو الله احد والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن ابي شيبة في مسنده وقال ابن عبد البر رقى صلى الله عليه وسلم من العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بماء فيه ملح وهذا الطب مركب من الطبيعي والالهي فان سورة الاخلاص جمعت الاصول الثلاثة التي هي مجامع التوحيد وفي المعوذتين استعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا اوصى صلى الله عليه وسلم عقبة بن عامر ان يقرأهما عقب كل صلوة رواه الترمذي وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلوة الى الصلوة وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلهما واما الماء والملح فهو الطب الطبيعي فان في الملح نفعا لكثير من السموم ولا سيما لدغة العقرب وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان في لسعها قوة نارية تحتاج الى التبريد وجذب استعمل صلى الله عليه وسلم الماء والملح لذلك

ذكر الطب من النملة

وهي بفتح النون واسكان الميم قروح تخرج في الجنب وسميت نملة لان صاحبه يحس في مكانه كان نملة تدب عليه وتعضه وفي حديث مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة وروى الخلال ان الشفا بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله اني كنت ارقي في الجاهلية من النملة واريد

ان اعرضها عليك فعرضتها فقالت بسم الله ضلت حتى تعود من افواهها ولا تضر احدا اللهم اكشف الباس رب الناس قال ترقى بها على عود سبع مرات وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة

ذكر طبه عليه السلام من البثرة

روى النسائي عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قال اعندك ذريرة فقلت نعم فدعا بها فوضعها على بثرة بين اصبعين من اصابع رجله ثم قال اللهم مطفي الكبير ومكبر الصغير اطفها عني فطفيت

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حرق النار

روى النسائي عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا فاصاب كفي من مائها فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي امي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذهب الباس رب الناس واحسبه قال واشف انت الشافي ويتفل

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بالحمية

وهي قسمان حمية عما يجلب المرض وحمية عما يزيده فيقف على حاله فالاولى حمية الاصحاء والثانية حمية المرضى فان المريض اذا احتمى وقف مرضه عن التزايد واخذت القوى في دفعه والاصل في الحمية قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله فتيمموا صعيدا طيبا فحمى المريض من استعمال الماء لانه يضره كما وقعت الاشارة لذلك في اوائل هذا المقصد وقد قال بعض افاضل الاطباء راس الطب الحمية والحمية للصحيح عندهم في المضرة بمنزلة التخليط للمريض والناقه وانفع ما تكون الحمية للناقه من المرض لان التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس اصعب من ابتداء المرض والفاكهة تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم القوة وفي سنن ابن ماجة عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فاخذت تمرا فاكلت فقال اتاكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه الاشارة الى الحمية وعدم التخليط وان الرمد يضر به التمر وعن ام المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وهو ناقه من مرض ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل منها وقام علي ياكل منها فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي انك ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيرا وسلقا فجئت به فقال صلى الله عليه وسلم من هذا اصب فانه انفع لك رواه ابن ماجة وانما منعه صلى الله عليه وسلم من الاكل من الدوالي لان في الفاكهة نوع ثقل على المعدة ولم يمنعه من السلق والشعير لانه من انفع الاغذية للناقه ففي ماء الشعير التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة فالحمية من اكبر الادوية للناقه قبل الداء لكي تمنع من زيادته وانتشاره قال ابن القيم ومما ينبغي ان يعلم ان كثيرا مما يحمى عنه العليل والناقه والصحيح اذا اشتدت الشهوة اليه ومالت اليه الطبيعة فتناول منه الشيء اليسير الذي لا تعجز

الطبيعة

الطبيعة عن هضمه لم يضره تناوله بل ربما انتفع به فان الطبيعة والمعدة تتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما يخشى من ضرره وقد يكون انفع من تناول ما تكرهه الطبيعة وتدفعه من الدواء ولهذا اقر النبي صلى الله عليه وسلم صهيبا وهو ارمد على تناول التمرات اليسيرة وعلم انها لا تضره ففي هذا الحديث يعني حديث صهيب سر طبي لطيف فان المريض اذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق وكان فيه ضرر ما كان انفع واقل ضررا مما لا يشتهيه وان كان نافعا في نفسه فان صدق شهوته ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره وكذلك بالعكس

ذكر حمية المريض من الماء

عن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه بالماء قال الترمذي حديث حسن غريب وروى الحميدي مرفوعا لو ان الناس قللوا من شرب الماء لاستقامت ابدانهم وللطبراني في الاوسط عن ابي سعيد مرفوعا من شرب الماء على الريق انتقصت قوته وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف

ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الماء المشمس

خوف البرص روى الدارقطني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص وروى الدارقطني هذا المعنى مرفوعا من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف وكذا خرج العقيلي نحوه عن انس بن مالك ورواه الشافعي عن عمر فعلى هذا يكره استعمال الماء المشمس شرعا خوف البرص لكنهم اشترطوا شروطا ان يكون في البلاد الحارة والاوقات الحارة دون الباردة وفي الاواني المنطبعة على الاصح دون الحجر والخشب ونحوهما واستثنى النقدان لصفائهما وقال الجويني بالتسوية حكاه ابن الصلاح ولا يكره المشمس في الحياض والبرك قطعا وان يكون الاستعمال في البدن لا في الثوب وان يكون مستعملا حال حرارته فلو برد زالت الكراهة في الاصح كما في الروضة وصحح في الشرح الصغير عدم الزوال واشترط صاحب التهذيب كما قاله الجيلي ان يكون راس الاناء منسدا لتحبس الحرارة وفي شرح المهذب انها شرعية يثاب تاركها وقال في شرح التنبيه ان اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية واذا قلنا بالكراهة فكراهة تنزيه لا تمنع صحة الطهارة وقال الطبري ان خاف الاذى حرم وقال ابن عبد السلام لو لم يجد غيره وجب استعماله واختار في الروضة عدم الكراهة مطلقا وحكاه الروياني في البحر عن النص

ذكر الحمية من طعام البخلاء

عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طعام البخيل داء وطعام الاسخياء شفاء رواه التنيسي عن مالك في غير الموطا كما ذكره عبد الحق في الاحكام

ذكر الحمية من داء الكسل

روى ابو داود في المراسيل عن يونس عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن انه رآه مضطجعا

فالشمس قال يونس فنهاني وقال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها تورث الكسل وتثير الداء الدفين

ذكر الحمية من داء البواسير

عن الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجامعن احدكم وبه حقن خلاء فانه يكون منه البواسير رواه ابو داود والحاكم

ذكر حماية الشراب من سم احد جناحي الذباب بانغماس الثاني

عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وقع الذباب في اناء احدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في احد جناحيه شفاء وفي الآخر داء وفي رواية ابي داود فانه يتقي بجناحه الذي فيه الداء فليغمسه كله وفي رواية الطحاوي فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء وفي قوله كله رفع توهم المجاز في الاكتفاء بالبعض قال شيخ مشايخنا لم يقع لي في شيء من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفاء من غيره لكن ذكر بعض العلماء انه تامله فوجده يتقي بجناحه الايسر فعرف ان الايمن هو الذي فيه الشفاء واخرج ابو يعلى عن ابن عمر مرفوعا عمر الذبابة اربعون ليلة والذباب كله في النار الا النحل وسنده لا باس به قال الحافظ كونه في النار ليس تعذيبا له بل ليعذب اهل النار به وهو يتولد من العفونة ومن عجيب امره ان رجيعه يقع على الثوب الاسود ابيض وبالعكس واكثر ما يظهر في اماكن العفونة ومبتدا خلقه منها ثم من التوالد وهو اكثر الطيور سفادا وربما بقي عامة اليوم على الانثى ويحكى ان بعض الخلفاء سال الشافعي لاي علة خلق الذباب فقال مذلة للملوك وكانت الحت عليه ذبابة فقال الشافعي سالني ولم يكن عندي جواب فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة فرحمة الله عليه ورضوانه

ذكر امره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الوباء النازل في الاناء بالليل بتغطيته

عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا الاناء واوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء او سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء رواه مسلم في صحيحه قيل وذلك في آخر شهور السنة الرومية

ذكر حمية الولد من ارضاع الحمقى

روى ابو داود في المراسيل باسناد صحيح عن زياد السهمي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسترضع الحمقى فان اللبن يشبه وعند ابن حبيب يعدي وعند القضاعي بسند حسن من حديث ابن عباس مرفوعا الرضاع يغير الطباع وعند ابن حبيب ايضا مرفوعا انه نهى عن استرضاع الفاجرة وعن عمر بن الخطاب ان اللبن ينزع لمن يسترضع واما الحمية من البرد فاشتهر على الالسنة اتقوا البرد فانه قتل ابا الدرداء لكن قال شيخ الحفاظ ابن حجر لا اعرفه فان كان واردا فيحتاج الى تاويل فان ابا الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا انتهى واما ما اشتهر ايضا اصل كل داء البردة فقال شيخنا رواه ابو نعيم والمستغفري

معا

معا في الطب النبوي والدارقطني في العلل كلهم من طريق تمام بن نجيح عن الحسن البصري عن انس رفعه وتمام ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه ابن معين ولابي نعيم ايضا من حديث ابن المبارك عن السائب بن عبد الله بن علي بن زحر عن ابن عباس مرفوعا مثله وحديث عمرو بن الحارث عن دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد رفعه اصل كل داء من البردة وقد قال الدارقطني عقب حديث انس من علله عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو اشبه بالصواب وجعله الزمخشري في الفائق من كلام ابن مسعود قال الدارقطني في كتاب التصحيف قال اهل اللغة رواه المحدثون البردة يعني باسكان الراء والصواب البردة يعني بالفتح وهي التخمة لانها تبرد حرارة الشهوة او لانها ثقيلة على المعدة بطيئة الذهاب من برد اذا ثبت وسكن وقد اورد ابو نعيم مضمون المتن الاخير في احاديث حديث الحارث بن فضيل عن زياد بن مينا عن ابي هريرة رفعه اسند فتوا من الحر والبرد وكذا اورد المستغفري مع ما عنده منها حديث اصل كل داء البرد وهما ضعيفان وذلك شاهد لما حكي عن اللغويين في كون المحدثين رووه بالسكون انتهى

الفصل الثاني في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا

يقال عبرت الرؤيا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة في ذلك واما الرؤيا بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة فهو ما يراه الشخص في منامه قال القاضي ابو بكر بن العربي الرؤيا ادراكات يخلقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك او شيطان اما باسمائها اي حقيقتها واما بكناها اي بعباراتها واما تخليطا وذهب القاضي ابو بكر بن الطيب الى انها اعتقادات واحتج بان الرائي قد يرى نفسه بهيمة او طائرا مثلا وليس هذا ادراكا فوجب ان يكون اعتقادا لان الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد قال ابن العربي والاول اولى والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل فالادراك انما يتعلق به لا باصل الذات وقال المازري كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا وقال فيها غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة لانهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت اقاويلهم فمن ينتمي الى الطب ينسب جميع الرؤيا الى الاخلاط فيقول من غلب عليه البلغم رأى انه يسبح في الماء ونحو ذلك لمناسبة الماء طبيعة البلغم ومن غلبت عليه الصفراء رأى النيران والصعود في الجو وهكذا الى آخره وهذا وان جوزه العقل وجاز ان يجري الله العادة به لكنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة والقطع في موضع التجويز غلط ومن ينتمي الى الفلسفة يقول ان صور ما يجري في الارض هي في العالم العلوي كالنقوش

فما جاذبى بعض النفوس التى تنفش فيها قال وهذا اشد فسادا من الاول لكونه تحكما
لا برهان عليه والانتقاش من صفات الاجسام واكثر ما يجرى فى العالم العلوى
الاعراض والاعراض لا ينتقش فيها قال والصحيح ما عليه اهل السنة ان الله تعالى
يخلق فى النائم اعتقادات كما يخلقها فى قلب اليقظان فاذا خلقها فكانه جعلها
علما على امور اخرى يخلقها فى ثانى الحال ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما
يقع لليقظان ونظيره ان الله تعالى خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف وتلك
الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر وتارة بحضرة الشيطان
فيقع بعدها ما يضر والعلم عند الله واخرج الحاكم والعقيلى من رواية محمد بن
عجلان عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال لقى عمر عليا فقال يا ابا الحسن
الرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد ولا امة ينام فيمتلى نوما الا تخرج روحه الى
العرش فالذى لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التى تصدق والذى يستيقظ
دون العرش فتلك الرؤيا التى تكذب قال الذهبى فى تلخيصه هذا حديث
منكر ولم يصححه المؤلف وذكر ابن القيم حديثا مرفوعا غير معزو ان رؤيا المؤمن كلام
يكلمه ربه عز وجل فى المنام ووجد الحديث للترمذى فى نوادر الاصول من حديث
عبادة بن الصامت اخرجه فى الاصل الثامن والسبعين وهو من روايته عن شيخه
عمر بن ابى عمر وهو واه وفى سنده جنيد بن ميمون عن حمزة بن الزبير عن عبادة
قال الحكيم قال بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا او من وراء حجاب قال اى من وراء حجاب فى المنام ورؤيا الانبياء وحى
بخلاف غيرهم فالوحى لا يدخله خلل لانه محروس بخلاف رؤيا غير الانبياء فانها
قد يحضرها الشيطان وقال الحكيم ايضا وكل الله بالرؤيا ملكا اطلع على احوال
بنى آدم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل على قصته مثلا فاذا نام مثل
له تلك الاشياء على طريق الحكمة الالهية لتكون له بشرى ونذارة او معاتبة
والآدمى قد يتسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما فهو يكيده بكل وجه
ويريد افساد اموره بكل طريق فيلبس عليه رؤياه اما بتغليطه فيها او بغفلته
عنها وفى البخارى من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا
الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والمراد غالب رؤيا
الصالحين والا فالصالح قد يرى الاضغاث ولكنه نادر لقلة تمكن الشيطان
منهم بخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان عليهم
وقد استشكل كون الرؤيا جزءا من النبوة مع ان النبوة قد انقطعت بموته صلى الله
عليه وسلم واجيب بان الرؤيا ان وقعت منه صلى الله عليه وسلم فهو جزء من

اجزاء النبوة حقيقة وان وقعت من غير النبى فهى جزء من اجزاء النبوة على سبيل
المجاز وقيل المعنى انها جزء من علم النبوة لان النبوة وان انقطعت فعلمها باق
وتعقب بقول مالك كما حكاه ابن عبد البر انه سئل أيعبر الرؤيا كل احد فقال
أبالنبوة يلعب ثم قال الرؤيا جزء من النبوة واجيب بانه لم يرد انها نبوة باقية
وانما المراد انها لما اشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغى ان يتكلم
فيها بغير علم فليس المراد ان الرؤيا الصالحة نبوة لان المراد تشبيه الرؤيا بالنبوة
وجزء الشىء لا يستلزم ثبوت وصفه كمن قال اشهد ان لا اله الا الله رافعا صوته
لا يسمى مؤذنا وفى حديث ام كرز الكعبية عند احمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان
ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعند احمد من حديث عائشة مرفوعا لم يبق بعدى
من المبشرات الا الرؤيا وفى حديث ابن عباس عند مسلم وابى داود انه عليه السلام
كشف الستارة ورأسه معصوب فى مرضه الذى مات فيه والناس صفوف خلف ابى بكر
فقال يا ايها الناس انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم
او ترى له والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الغالب فان من الرؤيا ما تكون منذرة
وهى صادقة يريها الله للمؤمن رفقا به ليستعد لما يقع بعد وقوعه وقوله من الرجل
الصالح لا مفهوم له فان المرأة الصالحة كذلك وحكى ابن بطال الاتفاق عليه
وقوله جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وكذا فى اكثر الاحاديث وروى مسلم
من حديث ابى هريرة جزء من خمسة واربعين جزءا وعنده ايضا من حديث ابن عمر
جزء من سبعين جزءا وعند الطبرانى جزء من ستة وسبعين وسنده ضعيف وعند
ابن عبد البر من طريق عبد العزيز بن المختار عن ثابت عن انس مرفوعا جزء من ستة
وعشرين جزءا ووقع فى شرح مسلم للنووى وفى رواية عبادة اربعة وعشرين والذى
يتحصل من الروايات عشرة اقلها ما عند النووى واكثرها من ستة وسبعين واعرض
عن باقيها خوف الاطالة قال القاضى ابو بكر بن العربى اجزاء النبوة لا يعلم
حقيقتها الا ملك او نبى وانما القدر الذى اراده النبى صلى الله عليه وسلم ان
الرؤيا جزء من اجزاء النبوة فى الجملة لان فيها اطلاعا على الغيب من وجه واما
تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة وقال المازرى لا يلزم العالم ان يعرف
كل شىء جملة وتفصيلا ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا وهذا من هذا القبيل وقد
تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وابدى لها مناسبة فنقل ابن بطال عن ابى سعيد
السفاقسى ان بعض اهل العلم ذكر ان الله تعالى اوحى الى نبيه فى المنام ستة اشهر
ثم اوحى اليه بعد ذلك فى اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها الى الوحى فى المنام جزء
من ستة واربعين جزءا لانه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح قال
ابن بطال هذا التأويل بعيد من وجهين احدهما انه قد اختلف فى قدر المدة التى

بعد بعثته صلى الله عليه وسلم والثاني ثم بقي حديث السبعين جزءا بغير معنى
وهذا الذي قاله من الانكار في هذه المسئلة سبقه اليه الخطابي فقال كان بعض
اهل العلم يقولون في تأويل هذا العدد قولا لا يكاد يتحقق وذلك انه عليه الصلوة
والسلام اقام بعد الوحي ثلاثا وعشرين سنة وكان يوحى اليه في منامه ستة اشهر
وهي نصف سنة فهو جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال الخطابي وهذا
وان كان وجها يحتمله قسمة الحساب والعدد فاول ما يجب على من قاله ان يثبت ما
ادعاه خبرا ولم نسمع فيه اثرا ولا ذكر مدعيه في ذلك خبرا فكأنه قاله على سبيل الظن
والظن لا يغني من الحق شيئا وليس كلما خفي علينا علمه يلزمنا حجته كاعداد الركعات
وايام الصيام ورمي الجمار فانا لا نصل من علمها الى امر يوجب حصرها تحت اعداد
ولم يقدح ذلك في موجب اعتقادنا للزومها وقد ذكروا في المناسبات غير ذلك
مما يطول ذكره وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اصدق الرؤيا
بالاسحار رواه الترمذي والدارمي وروى مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب واصدقكم
رؤيا اصدقكم حديثا قال الخطابي في المعالم في قوله اذا اقترب الزمان قولان احدهما
ان يكون معناه تقارب زمان الليل وزمان النهار وهو استواؤهما ايام الربيع
وذلك وقت اعتدال الطبائع الاربع غالبا قال والمعبرون يقولون اصدق
الرؤيا ما كان عند اعتدال الليل والنهار وادراك الثمار والثاني ان اقتراب
الزمان انتهاء مدته اذا دنا قيام الساعة وتعقب الاول بانه يبعد التقييد
بالمؤمن فان الوقت الذي يعتدل فيه الطبائع لا يختص به وجزم ابن بطال بان الثاني
هو الصواب واستند الى ما اخرجه الترمذي من طريق معمر عن ايوب في هذا الحديث
بلفظ في آخر الزمان لا تكذب رؤيا المؤمن وقيل المراد بالزمان المذكور زمان
المهدي عند بسط العدل وكثرة الامن وبسط الخير والرزق فان ذلك الزمان
يستقصر لاستلذاذه فتتقارب اطرافه وقال القرطبي في المفهم المراد والله اعلم
بآخر الزمان المذكور في هذا الحديث زمان الطائفة الباقية مع عيسى بن مريم عليه
السلام بعد قتله الدجال فاهل هذا الزمان احسن هذه الامة حالا بعد الصدر
الاول واصدقهم اقوالا فكانت رؤياهم لا تكذب ومن ثم قال عقب هذا واصدقكم
رؤيا اصدقكم حديثا وانما كان كذلك لان من كثر صدقه تنور قلبه وقوي ادراكه
وانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة وكذلك من كان غالب احواله الصدق في يقظته
استصحب ذلك في نومه فلا يرى الا صدقا وهذا بخلاف الكاذب والمخلط فانه
يفسد قلبه ويظلم فلا يرى الا تخليطا واضغاثا وقد يندر المنام احيانا فيرى
الصادق ما لا يصح ويرى الكاذب ما يصح ولكن الاغلب الاكثر ما تقدم انتهى ملخصا

وعن

وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى احدكم
الرؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك
مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها
لا تضره رواه البخاري وفي رواية مسلم والرؤيا السوء من الشيطان فمن رأى رؤيا
فكره منها شيئا فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا يخبر بها
احدا فان رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر بها الا من يحب وقوله فليبشر بفتح
التحتانية وسكون الموحدة وضم المعجمة من البشرى وفي حديث ابي رزين عند الترمذي
ولا يقصها الا على واد بتشديد الدال اسم فاعل من الود او ذي رأي وفي اخرى
ولا يحدث بها الا لبيبا او حبيبا وفي اخرى لا تقص رؤياك الا على عالم او ناصح
وفي حديث ابي سعيد عند مسلم فليحمد الله عليها وليحدث بها وحاصل ما ذكر من
ادب الرؤيا الصالحة ثلاثة اشياء ان يحمد الله عليها وان يستبشر بها وان يحدث
بها لكن لمن يحب دون من يكره وحاصل ما ذكر من ادب الرؤيا المكروه اربعة
اشياء ان يتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان وان يتفل حين يهب من نومه ولا
يذكرها لاحد اصلا وفي البخاري من حديث ابي هريرة خامسة وهي الصلوة ولفظه
فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصه على احد وليقم فليصل لكن لم يصرح البخاري بوصله
وصرح به مسلم وزاد مسلم سادسة وهي التحول من جنبه الذي كان عليه فقال عن جابر
رفعه اذا رأى احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من
الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه قال النووي وينبغي ان
يجمع هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته فان اقتصر على بعضها اجزاه في
دفع ضررها كما صرحت به الاحاديث وتعقبه الحافظ ابن حجر بانه لم ير في شيء من الاحاديث
الاقتصار على واحدة ثم قال لكن اشار المهلب الى ان الاستعاذة كافية في دفع شرها
انتهى ولا ريب ان الصلوة تجمع ذلك كله كما قال القرطبي لانه اذا قام يصلي تحول عن
جنبه وبصق ونفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله في اقرب
الاحوال اليه فيكفيه الله شرها وذكر بعضهم سابعة وهي قراءة آية الكرسي ولم يذكر
لذلك مستندا فان اخذ من عموم قوله في حديث ابي هريرة ولا يقربك شيطان فيتجه
قال وينبغي ان يقرأها في صلاته المذكورة وحكمة التفل كما قال القاضي عياض طردا
للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرا له واستقذارا وخصت به اليسار
لانها محل الاقذار ونحوها والتثليث للتأكيد وقد ورد التفل والنفث والبصق
قال النووي في الكلام على النفث في الرقية تبعا للقاضي عياض اختلف في التفل والنفث
فقيل هما بمعنى واحد ولا يكونان الا بريق وقال ابو عبيد يشترط في التفل ريق يسير
ولا يكون في النفث وقيل عكسه وسئلت عائشة عن النفث في الرقية فقالت كما ينفث

أكمل الترتيب لأنه ريق معه قال ولا اعتبار بما يخرج معه من بلة بغير قصد قال وقد جاء في حديث أبي سعيد في الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه قال القاضي عياض وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفث للمباشر للرقية المقارن للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء وقال النووي أيضا وأكثر الروايات في الرؤيا فلينفث وهو النفخ اللطيف بلا ريق فيكون التفل والبصق محمولين عليه مجازا وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن المطلوب في الموضعين لأن المطلوب في الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم والمطلوب هنا طرد الشيطان وإظهار احتقاره واستقذاره كما نقله هو عن عياض كما تقدم فالذي يجمع الثلاثة الحمل على التفل فإنه نفخ معه ريق لطيف فبالنظر إلى النفخ قيل له نفث وبالنظر إلى الريق قيل له بصق وأما قوله فإنها لا تضره فمعناه كما قال النووي أن الله تعالى جعل ما ذكر سببا للسلامة من المكروه المرتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها والحكمة في قوله في الرؤيا الحسنة ولا يخبر بها إلا من يحب لأنه إذا أخبر بها من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب إما بغضا وإما حسدا فقد تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزنا ونكدا فأمر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك وقد روي من حديث أنس مرفوعا الرؤيا لأول عابر وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي ولكن له شاهد أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بسند حسن وصححه الحاكم عن أبي رزين العقيلي رفعه الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت وعند الدارمي بسند حسن عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر يختلف في التجارة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي غائب وتركني حاملا فرأيت في المنام أن سارية بيتي انكسرت وأني ولدت غلاما أعور فقال خير يرجع زوجك إن شاء الله تعالى صالحا وتلدين غلاما برا فذكرت ذلك ثلاثا فجاءت ورسول الله صلى الله عليه وسلم غائب فسألتها فأخبرتني بالمنام فقلت لها لئن صدقت رؤياك ليموتن زوجك وتلدين غلاما فاجرا فقعدت تبكي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها مه يا عائشة إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها وعند سعيد بن منصور من مرسل عطاء بن أبي رباح قال جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني رأيت كأن جائز بيتي انكسر وكان زوجها غائبا فقال رد الله زوجك عليك فرجع سالما الحديث قال أبو عبيد وغيره معنى قوله الرؤيا لأول عابر إذا كان العابر الأول عالما فعبر وأصاب وجه التعبير وإلا فهي لمن أصاب بعده إذ ليس المدار على إصابة الصواب في تعبير المنام ليتوصل بذلك إلى مراد الله تعالى فيما ضربه من المثل فإن أصاب فلا ينبغي أن يسأل غيره وإن لم يصب فليسأل الثاني

وعليه

وعليه أن يخبر بما عنده ويبين ما جهل الأول هكذا قال وفيه بحث يطول ذكره ومن آداب المعبر ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر أنه كتب إلى أبي موسى فإذا رأى أحدكم رؤيا فقصها على أخيه فليقل خير لنا وشر لأعدائنا ورجاله ثقات ولكن سنده منقطع وفي حديث ابن زمل عند الطبراني والبيهقي في الدلائل لما قص على النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا فقال عليه الصلاة والسلام خير تلقاه وشر توقاه وخير لنا وشر على أعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك الحديث وسنده ضعيف جدا ويأتي إن شاء الله تعالى ومن آداب العابر أن لا يعبرها عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند الزوال ولا في الليل وأن لا يقصها على امرأة لكن ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة يقول هل رأى أحد الليلة رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص ويعبر لهم ما يقصونه وبوب عليه البخاري باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح قالوا وفيه إشارة إلى ضعف ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض علمائهم قال ولا تقصص رؤياك على امرأة ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس وفيه إشارة إلى الرد على من قال من أهل التعبير إن المستحب أن يكون التعبير من بعد طلوع الشمس إلى الرابعة ومن العصر إلى قبل الغروب فإن الحديث دال على استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس ولا يخالف قولهم بكراهة تعبيرها في أوقات كراهة الصلاة قال المهلب تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح أولى من غيره من الأوقات لحفظ صاحبها لها لقرب عهده بها وقبل ما يعرض له نسيانها لحضور ذهن العابر وقلة شغله بالفكرة فيما يتعلق بمعاشه وليعرف الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه فيستبشر بالخير ويحذر من الشر ويتأهب لذلك فربما كان في الرؤيا تحذير من معصية فيكف عنها وربما كانت إنذارا لأمر فيكون له مترقبا قال فهذه عدة فوائد لتعبير الرؤيا أول النهار قاله في فتح الباري وذكر أئمة التعبير أن من آداب الرائي أن يكون صادق اللهجة وأن ينام على وضوء على جنبه الأيمن وأن يقرأ عند نومه والشمس والليل والتين وسورة الإخلاص والمعوذتين وأن يقول اللهم إني أعوذ بك من سيء الأحلام وأستجير بك من تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام اللهم إني أسألك رؤيا صالحة صادقة نافعة حافظة غير منسية اللهم أرني في منامي ما أحب وأن لا يقصها على عدو ولا جاهل إذا علمت هذا فاعلم أن جميع المرائي تنحصر في قسمين أضغاث أحلام وهي لا تنذر بشيء وهي أنواع الأول تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كأن يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه أو رأى أنه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك وروى مسلم عن جابر جاء أعرابي فقال يا رسول الله إني حلمت أن رأسي قطع فأنا أتبعه فزجره صلى الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام الثاني أن يرى أن بعض الملائكة يأمره أن يفعل المحرمات مثلا ونحوه من المحال عقلا الثالث ما يحدث به نفسه في اليقظة أو يتمناه فيراه

كما هو في المنام وكذا رؤية ما جرت عادته في اليقظة او ما يغلب على مزاجه ويقع في
المستقبل غالبا وعن الحال كثيرا وعن الماضي قليلا ۝ القسم الثاني الصادقة وهي
رؤيا الانبياء ومن تبعهم من الصالحين وقد تقع لغيرهم بندور وهي التي تقع في
اليقظة على وفق ما وقعت في النوم وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرؤيا
الصادقة التي كفلق الصبح ما لا يعد ولا يحد قالت عائشة اول ما بدئ به رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت
مثل فلق الصبح الحديث رواه البخاري ۝ وفي رواية الرؤيا الصالحة وهما بمعنى واحد
بالنسبة الى امور الآخرة في حق الانبياء واما بالنسبة الى امور الدنيا فالصالحة
في الاصل اخص فرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وقد تكون صالحة وهو
الاكثر وغير صالحة بالنسبة الى الدنيا كما وقع في الرؤيا يوم احد فانه صلى الله عليه
وسلم رأى بقرا تذبح ورأى في سيفه ثلما فاول البقر بما اصاب اصحابه يوم احد
والثلم الذي في سيفه برجل من اهل بيته يقتل ثم كانت العاقبة للمتقين وكان
بعد ذلك النصر والفتح على الخلق اجمعين ۝ واما رؤيا غير الانبياء فبينهما عموم
وخصوص ان فسرنا الصادقة بانها التي لا تحتاج الى تعبير واما ان فسرناها
بانها غير الاضغاث فالصالحة اخص مطلقا ۝ وقال الامام نصر بن يعقوب
الدينوري في التعبير القادري الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه او ما يعبر في المنام
او يخبر به من لا يكذب والصالحة ما يسر واعلم ان الناس في الرؤيا على ثلاث
درجات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ورؤياهم كلها صدق وقد يقع
فيها ما يحتاج الى تعبير والصالحون والاغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها
ما لا يحتاج الى تعبير ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق والاضغاث وهم
على ثلاثة اقسام ۝ مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم وفسقة والغالب
على رؤياهم الاضغاث ويقل فيها الصدق وكفار ويندر في رؤياهم الصدق
جدا ويشير الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم واصدقهم رؤيا اصدقهم حديثا
اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة وقد وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما
في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه السلام ورؤيا ملكهما وغير ذلك وقد روى
الامام احمد مرفوعا وصححه ابن حبان من حديث ابي سعيد اصدق الرؤيا بالاسحار
وذكر الامام نصر بن يعقوب الدينوري ان الرؤيا اول الليل يبطئ تاويلها
ومن النصف الثاني يسرع بتفاوت اجزاء الليل وان اسرعها تاويلا رؤيا السحر ولا
سيما عند طلوع الفجر وعن جعفر الصادق اسرعها تاويلا رؤيا القيلولة وعن
محمد بن سيرين رؤيا النهار مثل الليل والنساء كالرجال وعن القيرواني ان المرأة
اذا رأت ما ليست له اهلا فهو لزوجها وكذا حكم العبد لسيده كما ان رؤيا الطفل

لوالديه

لوالديه ومن مرائيه الكريمة عليه السلام شربه اللبن وتعبيره بالعلم كما في حديث
ابن عمر عند البخاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم
اتيت بقدح لبن فشربت منه حتى اني لارى الري يخرج في اظفاري ثم اعطيت فضلي
عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم وفي رواية الكشميهني من اظفاري
وفي رواية صالح بن كيسان من اطرافي وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصرية وهو
الظاهر ويحتمل ان تكون علمية ويؤيد الاول ما اخرجه الحاكم والطبراني من طريق
ابي بكر بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن جده في هذا الحديث فشربت حتى رأيته يجري
في عروقي وبين الجلد واللحم على انه يحتمل ايضا قال بعض العارفين الذي
خلص اللبن من بين فرث ودم قادر على ان يخلق المعرفة من بين شك وجهل
وهو كما قال لكن اطردت العادة بان العلم بالتعلم والذي ذكره قد يكون خارقا
للعادة فيكون من باب الكرامة وقال العارف ابن ابي جمرة تأول النبي صلى الله
عليه وسلم اللبن بالعلم اعتبارا بما بين له اول الامر حين اتي بقدح خمر وقدح لبن
فاخذ اللبن فقال له جبريل اخذت الفطرة انتهى وقد جاء في بعض الاحاديث
المرفوعة تأويله بالفطرة كما اخرجه البزار من حديث ابي هريرة رفعه اللبن في المنام
فطرة وذكر الدينوري ان اللبن المذكور في هذا يختص بلبن الابل وانه لشاربه مال
حلال وعلم قال ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة ايضا ولبن الشاة مال
وسرور وصحة جسم والبان الوحش شك في الدين والبان السباع غير محمودة
الا ان لبن اللبوة مال مع عداوة لذي امر وفي الحديث ان علم النبي صلى الله عليه
وسلم لا يبلغ احد درجته فيه لانه شرب حتى رأى الري يخرج من اطرافه واما
اعطاؤه فضله عمر ففيه اشارة الى ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا يأخذه
في الله لومة لائم ووجه التعبير في الحديث بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في
كثرة النفع وكونهما سببا للصلاح فاللبن للغذاء البدني والعلم للغذاء المعنوي
ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم القميص وتعبيره بالدين عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نائم رأيت الناس يعرضون
علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ومر عمر بن الخطاب
وعليه قميص يجره قالوا فما اولته يا رسول الله قال الدين رواه البخاري وفي
رواية الترمذي الحكيم من طريق اخرى في هذا الحديث فقال ابو بكر على م تأولت
هذا يا رسول الله والثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد الياء جمع ثدي بفتح
ثم سكون والمعنى ان القميص قصير جدا بحيث لا يستر بصيره من الحلق الى نحو السرة
بل فوقها وقوله ومنها ما يبلغ دون ذلك يحتمل ان يريد به من جهة السفل وهو
الظاهر فيكون اطول ويحتمل ان يكون دونه من جهة العلو فيكون اقصر ويؤيده

الاول لما في رواية الترمذي والحكيم المذكورة فمنهم من كان قميصه الى سرته ومنهم من كان قميصه الى ركبته ومنهم من كان قميصه الى انصاف ساقيه ويجوز النصب في قوله الدين والتقدير اولته ويجوز الرفع ۞ وفي رواية الحكيم المذكورة على الايمان وقد قيل في وجه تعبير القميص بالدين ان القميص يستر العورة في الدنيا والدين يسترها في الآخرة ويحجبها عن كل مكروه والاصل فيه قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير ۞ واتفق اهل التعبير على ان القميص يعبر بالدين وان طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده ۞ وقال ابن العربي انما اول النبي صلى الله عليه وسلم القميص بالدين لان الدين يستر الجهل كما يستر القميص عورة البدن قال واما غير عمر فالذي كان يبلغ الثدي هو الذي يستر قلبه عن الكفر ولو كان يتعاطى المعاصي والذي كان يبلغ اسفل من ذلك وفرجه باد هو الذي لم يستر رجله عن المشي الى المعصية والذي يستر رجله عن المشي الى المعصية هو الذي احتجب بالتقوى من جميع الوجوه والذي يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص ۞ واشار العارف ابن ابي جمرة ان المراد بالناس في هذا الحديث المؤمنون لتأويله القميص بالدين قال والذي يظهر ان المراد خصوص هذه الامة المحمدية بل بعضها والمراد بالدين العمل بمقتضاه كالحرص على امتثال الاوامر واجتناب المناهي وكان لعمر في ذلك المقام العالي قال ويؤخذ من هذا الحديث ان كل ما يرى في القميص من حسن او غيره فانه يعبر بدين لابسه والنكتة في القميص ان لابسه اذا اختار نزعه واذا اختار ابقاه فلما البس الله المؤمنين لباس الايمان واتصفوا به كان الكامل في ذلك سابغ الثوب ومن لا فلا وقد يكون نقص الثواب بسبب نقص الايمان وقد يكون بسبب نقص العمل وفي الحديث ان اهل الدين يتفاضلون في الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من امثلة ما يحمد في المنام ويذم في اليقظة شرعا اعني جر القميص لما روي من الوعيد في تطويله ومن ذلك رؤيته عليه السلام السوارين الذهب في يديه الشريفة وتعبيرهما بالكذابين روى البخاري عن عبيد الله بن عبد الله قال سألت عبد الله بن عباس عن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكر فقال ابن عباس ذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رأيت انه وضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما وكرهتهما فاذن فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان فقال عبد الله احدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة ۞ وفي رواية ابي هريرة عند الشيخين بينا انا نائم اذ اتيت خزائن الارض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة قال المهلب هذه الرؤيا ليست على وجهها وانما هي ضرب

من المثل واما اول النبي صلى الله عليه وسلم السوارين بالكذابين لان الكذب وضع الشيء في غير موضعه فلما رأى في ذراعيه سوارين من ذهب وليسا من لبسه لانهما من حلية النساء عرف انه سيظهر من يدعي ما ليس له وايضا ففي كونهما من ذهب والذهب منهي عن لبسه دليل على الكذب وايضا فالذهب مشتق من الذهاب فعلم انه شيء يذهب عنه وتأكد ذلك بالاذن له في نفخهما فطارا فعرف انه لا يثبت لهما امر وان كلامه بالوحي الذي جاء به يزيلهما عن موضعهما وقال ابن العربي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوقع بطلان امر مسيلمة والعنسي فاول الرؤيا عليهما ليكون ذلك اخراجا للمنام عليهما فان الرؤيا اذا عبرت خرجت ويحتمل ان يكون بوحي والمراد بخزائن الارض التي ذكر ما فتح على امته من الغنائم ومن ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما ويحتمل معادن الارض التي فيها الذهب والفضة وقال القرطبي انما كبر عليه السواران لكون الذهب من حلية النساء ومما حرم على الرجال وفي طيرانهما اشارة الى اضمحلال امرهما ومناسبة هذا التأويل لهذه الرؤيا ان اهل صنعاء واهل اليمامة كانوا اسلموا فكانوا كالمساعدين للاسلام فلما ظهر فيهما الكذابان وبهرجا على اهلهما بزخرف قولهما ودعاويهما الباطلة انخدع اكثرهم بذلك فكان اليدين بمنزلة البلدين والسوارين بمنزلة الكذابين وكونهما من ذهب اشارة الى ما زخرفا والزخرف من اسماء الذهب وقال اهل التعبير من رأى انه يطير فان كان الى جهة السماء من غير تعريج ناله ضرر فان غاب في السماء ولم يرجع مات وان رجع افاق من مرضه وان كان يطير عرضا سافر ونال رفعة بقدر طيرانه ومن ذلك رؤيته عليه الصلوة والسلام المرأة السوداء الثائرة الرأس وتعبيرها بنقل وباء المدينة الى الجحفة روى البخاري من حديث عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة فاولت ان وباء المدينة نقل اليها وهذا من قسم الرؤيا المعبرة وهي مما ضرب به المثل ووجه التمثيل انه شق من اسم السوداء السوء والداء فتأول خروجها بما جمع اسمها وتأول من ثوران شعر رأسها ان الذي يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة وقال القيرواني من اهل التعبير كل شيء غلبت عليه السوداء فان اكثر وجوهها فهو مكروه وقال غيره ثوران الرأس يؤول بالحمى لانها تثير البدن بالاقشعرار وبارتفاع الرأس لا سيما من السوداء فانها اكثر استيحاشا ومن ذلك رؤيته عليه الصلوة والسلام انه في درع حصينة وبقرا تنحر وتعبير ذلك عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت في المنام اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي المدينة يثرب ورأيت فيها بقرا والله خير فاذا

هم النفر من المؤمنين يوم احد واذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذي اتانا بعد يوم بدر رواه البخاري ومسلم وروى الامام احمد وغيره عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت كاني في درع حصينة ورايت بقرا تنحر فاولت الدرع الحصينة المدينة والبقر نفرا وهذه اللفظة الاخيرة وهي نفر بفتح الموحدة وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقرا ولهذا الحديث سبب جاء بيانه في حديث ابن عباس عند احمد ايضا والنسائي والطبراني وصححه الحاكم من طريق ابي الزناد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس في قصة احد واشارة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ان لا يبرحوا من المدينة وايثارهم الخروج لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وقيل في رايت اني في درع حصينة الحديث بنحو حديث جابر واتم منه وقد تقدمت الاشارة اليه في غزوة احد من المقصد الاول والمراد بقوله واذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي اتانا الله به بعد يوم بدر فتح خيبر ثم مكة اي ما جاء الله به بعد بدر الثانية من تثبيت قلوب المؤمنين قال في فتح الباري وفي هذا السياق اشعار بان قوله في الخبر والله خير من جملة الرؤيا قال والذي يظهر لي ان لفظة والله خير لم يحرر ايراده وان رواية ابن اسحاق هي المحررة وانه راى بقرا وراى خيرا فاول البقر على من قتل من الصحابة يوم احد واول الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق في القتال والصبر على الجهاد يوم بدر وبعده الى فتح مكة والمراد بالبعدية على هذا لا يختص بما بين بدر واحد نبه عليه ابن بطال ومن ذلك رؤيته عليه الصلوة والسلام انه في رطب روى مسلم عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رايت الليلة فيما يرى النائم كاني في دار عقبة بن رافع فاتيت برطب من رطب ابن طاب فاولته ان الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة لنا في الاخرة وان ديننا قد طاب ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم سيفا هزه وتعبيره ما روي في حديث ابي هريرة المتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال ورايت في رؤياي هذه اني هززت سيفا فانقطع صدره فاذا هو ما اصيب به المؤمنين يوم احد ثم هززته اخرى فعاد احسن ما كان فاذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين رواه الشيخان وهذه ايضا من ضرب المثل ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصول بالصحابة عبر عن السيف بهم وبهزه عن امره لهم بالحرب وعن القطع فيه بالقتل فيهم وفي الهزة الاخرى لما عاد الى حالته من الاستواء عبر به عن اجتماعهم والفتح عليهم وقال اهل التعبير السيف يتصرف على وجوه منها ان من نال سيفا فانه ينال سلطانا اما ولاية واما وديعة واما زوجة واما ولدا فان سل من غمده

فانثلم

فانثلم سلمت زوجته واصيب ولده فان انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس وان سلما او عطبا فكذلك وقائم السيف يتعلق بالاب والعصبات ونعله بالام وذوي الرحم وان جرد السيف واراد قتل شخص فهو لسانه يجرده في خصومة وربما عبر عن السيف بسلطان جائر وقال بعض اهل التعبير ايضا من راى انه اغمد سيفا فانه يتزوج او ضرب شخصا بسيف فانه يبسط لسانه فيه ومن راى انه يقاتل اخر وسيفه اطول من سيفه فانه يغلبه ومن راى سيفا عظيما فهو فتنة ومن قلد سيفا قلد امرا فان كان قصيرا لم يدم امره فيه ومن ذلك رؤيته عليه الصلوة والسلام انه على قليب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رايتني على قليب وعليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فاخذها عمر بن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن وعبقري القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم وفي رواية فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر وفي رواية فاتاني ابو بكر فاخذ الدلو من يدي ليريحني وفي رواية موسى عن سالم عن ابيه رايت الناس اجتمعوا فقام ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم قام ابن الخطاب فاستحالت غربا فما رايت من الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن رواه البخاري قال النووي قالوا هذا المنام مثال لما جرى للخليفتين من ظهور اثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك ماخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به اكمل مقام وقرر قواعد الدين ثم خلفه ابو بكر فقاتل اهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فاتسع الاسلام في زمنه فشبه امر المسلمين بقليب فيه الماء الذي فيه حياتهم وصلاحهم واميرهم المستقي لهم منها وفي قوله فاخذ الدلو من يدي ليريحني اشارة الى خلافة ابي بكر بعد موته صلى الله عليه وسلم لان الموت راحة من كد الدنيا وتعبها فقام ابو بكر بتدبير امر الامة ومعاناة احوالهم واما قوله وفي نزعه ضعف فهو اخبار عن حاله في قصر مدة ولايته واما ولاية عمر فانها لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دائرة الاسلام بكثرة الفتوح وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وليس في قوله عليه السلام والله يغفر له نقص ولا اشارة الى انه وقع له ذنب وانما هي كلمة كانوا يقولونها وقوله فاستحالت في يده غربا اي تحولت الدلو في يده غربا بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة اي دلوا عظيما واخرج احمد وابو داود عن سمرة بن جندب ان رجلا قال يا رسول الله رايت كان دلوا دلي من السماء فجاء ابو بكر فاخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فاخذ بعراقيها فشرب حتى

نقلع ثم جاء علي فانتشطت فانتضح منها شيء والعراقي جمع عرقوة الدلو وهي
الخشبة المعترضة على فم الدلو فهما عرقوتان كالصليب وقد عرقيت الدلو اذا
ركبت العرقوة فيها وانتشطت اي جذبت ورفعت فهذه نبذة من رائي الكريم
صلى الله عليه وسلم مع تعبيرها واما ما رآه غيره فعبره صلى الله عليه وسلم له
مما يخص ويعم من امور الدنيا والآخرة فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا انفتل
من صلوة الصبح اقبل على اصحابه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا فليقصها علي
اعبرها له فيقص الناس عليه مرائيهم وروى البخاري والترمذي عن سمرة
ابن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول لاصحابه هل
رأى احد منكم رؤيا فيقص الناس عليه ما شاء الله ان يقص وانه قال ذات غداة
هل رأى احد منكم رؤيا فقالوا اما منا احد رأى شيئا قال لكني اتاني الليلة آتيان
وانهما ابتعثاني فقالا لي انطلق فانطلقت فاتينا على رجل مضطجع واذا آخر
قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه الحديث واقام عليه
الصلوة والسلام يسأل اصحابه هل رأى منكم الليلة رؤيا ما شاء الله ثم ترك
السؤال فكان يعبر لمن قص متبرعا واختلف النقلة في سبب ترك السؤال فقيل
سبب ذلك حديث ابي بكرة عند الترمذي وابي داود انه صلى الله عليه وسلم قال
ذات يوم من رأى منكم رؤيا فقال رجل انا يا رسول الله رأيت كأن ميزانا نزل من
السماء فوزنت انت وابو بكر فرجحت انت بابي بكر ووزن ابو بكر وعمر فرجح ابو بكر ووزن
عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فرأينا الكراهة في وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا فمن حينئذ لم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم احدا عن رؤيا قال
بعضهم وسبب كراهته عليه السلام ايثاره لستر العواقب واخفاء المراتب فلما
كانت هذه الرؤيا كاشفة لمنازلهم مبينة لفضل بعضهم على بعض في التعيين خشي
ان يتوالى ويتوالى ما هو ابلغ في الكشف من ذلك ولله في ستر خلقه حكمة بالغة ومشيئة
نافذة وقال ابن قتيبة فيما ذكره ابن المنير سبب تركه السؤال حديث ابن
زمل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال وهو ثان رجليه سبحان
الله وبحمده واستغفر الله ان الله كان توابا سبعين مرة ثم يقول سبعون بسبعمائة
لا خير فيمن كانت ذنوبه اكثر من سبعمائة ثم يستقبل الناس بوجهه فيقول هل رأى
احد منكم شيئا قال ابن زمل فقلت ذات يوم انا يا رسول الله قال خير تلقاه
وشر توقاه وخير لنا وشر لاعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك
قال رأيت جميع الناس على طريق رحب لاحب سهل والناس على الجادة منطلقون
فبينما هم كذلك اشفى ذلك الطريق بهم على مرج لم تر عيني مثله يرف رفيفا يقطر
نداه فيه من انواع الكلأ فكأني بالرعلة الاولى حين اشرفوا على المرج كبروا ثم ركبوا

رواحلهم في الطريق فلم يظلموه يمينا ولا شمالا ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدهم وهم
اكثر منهم اضعافا فلما اشفوا على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فمنهم المرتع
ومنهم الآخذ الضغث ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس فلما اشفوا على المرج
كبروا وقالوا هذا خير المنزل لمالوا في المرج يمينا وشمالا فلما رأيت ذلك لزمت الطريق
حتى اتيت اقصى المرج فاذا انا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وانت في اعلاها
درجة واذا عن يمينك رجل آدم اذا هو تكلم يسمو فيكاد يفرع الرجال طولا واذا
عن يسارك رجل ربعة تار احمر كثير خيلان الوجه اذا هو تكلم اصغيتم اليه اكراما له
واذا امام ذلك شيخ كانكم تقتدون به واذا امام ذلك ناقة عجفاء شارف واذا
انت كانك تبعثها يا رسول الله فانتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة
ثم سري عنه فقال اما ما رأيت من الطريق الرحب اللاحب السهل فذلك ما حملتكم
عليه من الهدى فانتم عليه واما المرج الذي رأيت فالدنيا ونضارة عيشها لم نتعلق
بها ولم تردنا ولم نردها واما الرعلة الثانية والثالثة وقص كلامه فانا لله وانا
اليه راجعون واما انت فعلى طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني واما المنبر
فالدنيا سبعة آلاف سنة انا في آخرها الفا واما الرجل الطويل الآدم فذلك موسى نكرمه
بفضل كلام الله اياه واما الرجل الربعة التار الاحمر فذلك عيسى ابن مريم نكرمه بفضل
منزلته من الله تعالى واما الشيخ الذي رأيت كأننا نقتدي به فذلك ابرهيم صلى الله
عليه وسلم واما الناقة العجفاء الشارف التي رأيتني ابعثها فهي الساعة علينا
اي على الامم تقوم لا نبي بعدي ولا امة بعد امتي قال الراوي فما سأل رسول
صلى الله عليه وسلم بعد هذا احدا عن رؤيا الا ان يجيء الرجل متبرعا فيحدثه بها
رواه ابن قتيبة والطبراني والبيهقي في الدلائل وسنده ضعيف جدا ومن غرائب
ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من التعبير ان زرارة بن عمرو النخعي قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في وفد النخع فقال يا رسول الله اني رأيت في طريقي هذا رؤيا رأيت
اتانا تركتها في الحي ولدت جديا اسفع احوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل لك من امة تركتها مصرة حملا قال نعم تركت امة اظنها قد حملت قال فقد ولدت
غلاما وهو ابنك قال فما باله اسفع احوى قال ادن مني فدنا منه قال هل بك برص
تكتمه قال نعم والذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به قال فهو ذاك قال
ورأيت النعمان بن المنذر وعليه قرطان ودملجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب
عاد الى افضل زيه قال ورأيت عجوزا شمطاء تخرج من الارض قال تلك بقية الدنيا
قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورأيتها
تقول لظى لظى بصير واعمى اكلكم كلكم اهلكم ومالكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال وما الفتنة يا رسول الله قال يقتل الناس

بابهامهم ثم يستجرون اشتجار أطباق الرأس وحملها النبي صلى الله عليه وسلم بين أصابعه يحسب المسيء أنه محسن ودم المؤمن عند المؤمن أحلا من شرب الماء فانظر إلى هذا التعبير البارز من مشكاة النبوة يحتسي أحلاه وفي الحق مكسو أطلاه وفي الصدق مجلوا بأنوار الوحي والأسفع الذي أصاب جسده لون آخر والأحوى الأسود ليس بالشديد ومع المسكتان السواران منه ذهب وأطباق الرأس عظامه والاشتجار الاختلاف والاشتباك فإن قلت تعبيره عليه السلام السوارين هنا يرجع إلى البشرى وعبرهما بالكذابين فيما مر أجيب بأن النعمان بن المنذر كان ملك العرب وكان مملكا من جهة الأكاسرة وكانوا يسورون الملوك ويحلونهم وكان السواران من زي النعمان لبسا منكرين في حقه ولا موضوعين في غير موضعهما عرفا وأما النبي صلى الله عليه وسلم فنهى عن لباس الذهب كما ذاته تحذير أي يمنعه ذلك لأنه ليس من زيه فاستدل به على أمر يوضع في غير موضعه ولكن حمد العاقبة بذهابهما ولله الحمد ومن ذلك ما روي عن قيس بن عباد بضم العين وتخفيف الموحدة كنت في حلقة فيها سعد بن مالك وابن عمر فمر عبد الله بن سلام فقالوا هذا رجل من أهل الجنة فقلت له إنهم قالوا كذا وكذا قال سبحان الله ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم إنما رأيت كأنما عمود وضع في روضة خضراء فنصب فيها وفي رأسها عروة وفي أسفلها منصف والمنصف الوصيف فقال ارقه فرقيته حتى أخذت بالعروة فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى رواه البخاري وفي رواية خرشة بينا أنا نائم إذ أتاني رجل فقال لي قم فأخذ بيدي فانطلقت معه فإذا أنا بجواد بجيم ودال مشددة جمع جادة وهي الطريق المسلوك عن شمالي قال فأخذت لآخذ فيها أي أسير فقال لا تأخذ فيها فإنها طرق أصحاب الشمال وفي رواية النسائي طريقة فبينا أنا أمشي إذ عرض لي طريق عن شمالي فأردت أن أسلكها فقال إنك لست من أهلها وفي رواية مسلم فإذا منهج على يميني فقال لي خذ ها هنا فأتى بي جبلا فقال اصعد قال فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت حتى فعلت ذلك مرارا وفي رواية ابن عون فقال تلك الروضة روضة الإسلام وذلك العمود عمود الإسلام وتلك العروة العروة الوثقى لا تزال متمسكا بالإسلام حتى تموت وفي رواية خرشة عند النسائي وابن ماجه قال رأيت خيرا أما المنهج فالمحشر وأما الجبل فهو منزل الشهداء زاد مسلم ولن تناله وهذا علم من أعلام نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فإن عبد الله بن سلام لم يمت شهيدا وإنما مات على فراشه في أول خلافة معاوية بالمدينة وقولهم إنه من أهل الجنة أخذوه من قوله لما ذكر طرق الشمال إنك لست من أهلها وإنما قال ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به

علم على سبيل التواضع وكراهية أن يشار إليه بالأصابع خشية أن يدخله العجب عافانا الله من سائر المكاره وقال الغير وأما الروضة التي لا يعرف نبتها تعبر بالإسلام لنضارتها وحسن بهجتها وتعبر أيضا بكل مكان فاضل وقد تعبر بالمصحف وكتب العلم والعالم ونحو ذلك انتهى وقال غيره من المعبرين الحلقة والعروة المجهولة تدل لمن تمسك بها على قوته في دينه وإخلاصه فيه ومن ذلك ما رواه البخاري عن أم العلاء وهي امرأة من نسائهم بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت لعثمان بن مظعون بعد موته في النوم عينا تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عمله يجري عليه وقد قيل يحتمل أنه كان لعثمان شيء من عمله بقي له ثوابه جاريا كالصدقة وأنكره مغلطاي وقال لم يكن له شيء من الأمور الثلاثة التي ذكرها مسلم في حديث أبي هريرة رفعه إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بأنه كان له ولد صالح شهد بدرا وما بعدها وهو السائب مات في خلافة أبي بكر فهو أحد الثلاثة قال وقد كان عثمان من الأغنياء فلا يبعد أن يكون له صدقة استمرت بعد موته وقال المهلب العين الجارية تحتمل وجوها فإن كان ماؤها صافيا عبرت بالعمل الصالح وإلا فلا وقال غيره العين الجارية عمل جار من صدقة أو معروف لحي أو ميت وقال آخر عين الماء نعمة وبركة وخير وبلوغ أمنية إن كان صاحبها مستورا فإن كان غير عفيف أصابته مصيبة يبكي لها أهل داره والله أعلم فهذا طرف من تعبيره عليه السلام يهدي إلى غيره مما يشابهه وإلا فالذي نقل عنه صلى الله عليه وسلم من غرائب التأويل ولطائف التعبير كما قال ابن المنير لا تحصره المجلدات وأنت إذا تأملت تكل كرامة أوتيها واحد من هذه الأمة في علم أو عمل هي من آثار معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم وسر تقيده بنبيه وبركات طريقته وثمرات الاهتداء بهديه وتوفيقه واستحقت ما أوتيه الإمام محمد بن سيرين من لطائف التعبير مما شاع وذاع وامتلأت به الأسماع طبق الأرض صدقا وصوابا وعجبا عجابا بل بحرا عبابا فتيقنت بأن ما منحه صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف لا تحيط به العبارات ولا تدرك حقيقة كنهه الإشارات وإذا كان هذا ابن سيرين واحدا من أمته عليه الصلاة والسلام نقل عنه في فن التعبير ما لا يعد لكثرته فكيف به صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه وأفاض علينا من سحائب علومه ومعارفه وتعطف علينا بعواطفه

صلى الله عليه وسلم

الفصل الثالث في إنبائه عليه السلام

بالأنباء المغيبات اعلم أن علم الغيب مختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان رسوله

صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او بالالهام والشاهد له قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ليكون معجزة له واستدل به على ابطال الكرامات واجيب بتخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير توسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما يكون برؤيا الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء وفي حديث انه عليه الصلوة والسلام قال والله اني لا اعلم الا ما علمني ربي فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الانباء المنبئة عن الغيوب ليس الا من اعلام الله له به اعلاما على ثبوت نبوته ودلائل على صدق رسالته وقد اشتهر وانتشر عنه عليه السلام بين اصحابه بالاطلاع على الغيوب حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء ويشهد له قول ابن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... اذا انشق معروف من الصبح ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات ان ما قال واقع

وقال حسان

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فان قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في ضحوة اليوم او غد

وهذا الفصل ينقسم قسمان الاول فيما اخبر به عليه السلام مما نطق به القرآن فمن ذلك قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقوله ولن تفعلوا اخبار عن غيب تقتضي العادة بخلافه ومن ذلك قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الاية فانه قد كانت لقريش قافلتان احداهما ذات غنيمة دون الاخرى فاخبر الله تعالى عن ما في ضمائرهم وانجز لهم ما وعد ولا شك ان الوعد كان قبل اللقاء لان الوعد بالشيء بعد وقوعه غير جائز ومن ذلك قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذا اخبار عن المستقبل لان السين بمعنى الاستقبال يعني كفار قريش يوم بدر وقد كان عددهم ما بين التسعمائة الى الالف وكانوا مستعدين بالمال والسلاح وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وليس معهم الا فرسان احدهما للزبير بن العوام والاخرى للمقداد فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل ابطالهم واغتنام اموالهم ومن ذلك قوله تعالى في كفار قريش سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا الاية يعني ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا

وعزموا

وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوا فالقى الله الرعب في قلوبهم ومن ذلك قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الى قوله لا يخلف الله وعده وسبب نزول هذه الاية ان كسرى وقيصر تقاتلا فغلب كسرى قيصر فساء المسلمين ذلك لان الروم اهل كتاب ولتعظيم قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وتمزيق كسرى كتابه وفرح المشركون به فاخبر الله تعالى بان الروم بعد ان غلبوا سيغلبون في بضع سنين والبضع ما بين الثلاث الى العشر فغلبت الروم اهل فارس يوم الحديبية واخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين ومن ذلك قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا فاخبر انهم لا يتمنون الموت بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم عليه ابدا فاخبر فوجد مخبره كما اخبر فلو لم يعلموا انما يلحقوا من الموت لسارعوا الى تكذيبه بالتمني ولو لم يعلم ذلك لخشي ان يجيبوا اليه فيقضي عليه بالكذب قال البيضاوي وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب فيخفى وروي مرفوعا لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية هذا وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بانه سيجعل امته خلفاء الارض ائمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم بعد خوفهم من الناس امنا وحكما فيهم وقد فعل تعالى ذلك ولله الحمد والمنة فانه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وارض اليمن بكمالها واخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد اصحمة رحمه الله ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامات قام بالامر بعده خليفته ابو بكر الصديق رضي الله عنه فلم شعث ما وهي عند موته عليه السلام واطد جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا طرفا منها وجيشا اخر صحبة ابي عبيدة الى ارض الشام وجيشا ثالثا صحبة عمرو بن العاص الى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في ايامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله واختار له ما عنده ومن على الاسلام واهله بان الهم الصديق ان يستخلف عمر الفاروق فقام في الامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الانبياء على مثله في قوة سيرته وكمال عدله وتم في ايامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر الى اخرها واكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان وتقهقر الى

اقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينية وانفق اموالهما في سبيل الله كما اخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية الى اقصى مشارق الارض ومغاربها ففتحت بلاد المغرب الى اقصى ما هنالك الاندلس وقيروان وسبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى اقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وجبي بالخراج من المشارق والمغارب الى الحضرة امير المؤمنين عثمان بن عفان وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه للامة على حفظ القرآن فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومن ذلك قوله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاليهود اذل الكفار في كل زمان ومكان كما اخبر ومن ذلك قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وهذا ظاهر في العيان بان دين الاسلام كما اخبر عال على سائر الاديان ومن ذلك قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فكان كما اخبر دخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام الى غير ذلك مما يطول استقصاؤه

القسم الثاني فيما اخبر به عليه السلام من الغيوب سوى ما في القرآن العزيز فكان كما اخبر به في حياته وبعد وفاته

واخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيمة كانما انظر الى كفي هذه وعن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا قد سماه باسمه واسم ابيه وقبيلته رواه ابو داود وروى مسلم من حديث ابن مسعود في الدجال فيبعثون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف اسماءهم واسماء آبائهم والوان خيولهم وهم خير فوارس على ظهر الارض يومئذ فوضح من هذا الخبر وغيره مما ياتي من الاخبار وسنح من خواطر الابرار الاخيار انه صلى الله عليه وسلم عرفهم بما يقع في حياته وبعد موته وما قد انحتم وقوعه فلا سبيل الحق وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما ولا شك ان الله تعالى قد اطلعه على ازيد من ذلك والقى عليه علم الاولين والآخرين واما علم عوارف المعارف الالهية فتلك لا يتناهى عدد واليه صلى الله عليه وسلم ينتهي مددها ومن ذلك ما رواه الشيخان عن ابي هريرة

ان النبي صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى وصف بهم وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات وفي حديث انس عند احمد والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صعد احدا ومعه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال له اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فكان كما اخبر عليه الصلوة والسلام ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله قال النووي قال الشافعي وسائر العلماء معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه عليه السلام فاعلمنا صلى الله عليه وسلم بانقطاع ملكهما من هذين الاقليمين وكان كما قال فاما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الارض وتمزق ملكه واضمحل بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم واما قيصر فانهزم من الشام ودخل اقصى بلاده وافتتح المسلمون بلاده واستقرت للمسلمين ولله الحمد انتهى • وقد وقع ذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب كما قدمته وقال عليه السلام لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة ومن ذلك اخباره عليه الصلوة والسلام بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال لما علمه غيري وغيرها واسلم كما تقدم ذلك في غزوة بدر من المقصد الاول واخباره بشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بخطامها في الشجرة ولما رجع المشركون يوم الاحزاب قال النبي صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزونا فلم يغزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها وبعث صلى الله عليه وسلم جيشا الى مؤتة وامر عليهم زيد بن حارثة فان اصيب فجعفر ابن ابي طالب فان اصيب فعبد الله بن ابي رواحة فلما التقى المسلمون بموتة جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فكشف له حتى نظر الى معتركهم فقال اخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا له ثم اخذ الراية جعفر بن ابي طالب حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم جعفر ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم فاخبر اصحابه في الساعة التي قتلوا فيها ومؤتة دون دمشق بارض البلقاء وعن اسماء بنت عميس قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة اليوم الذي قتل فيه جعفر واصحابه فقال يا اسماء اين بنو جعفر فجئت بهم فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه بالدموع فبكى فقلت يا رسول الله بلغك عن جعفر شيء قال نعم قتل اليوم رواه يعقوب الاسفرايني في كتابه دلائل الاعجاز واخرجه ابن اسحاق والبغوي ومن ذلك قوله عليه الصلوة والسلام زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها

وكان كذلك امتدت في المشارق والمغارب ما بين أقصى أرض الهند إلى أقصى المشرق
إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ومن ذلك إعلامه
قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم
وأنها أبقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال عليه السلام ومن ذلك ما رواه الطبراني
في الكبير والبزار من حديث ابن عمر قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد
منى فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا رسول الله جئنا
نسألك فقال إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألاني عنه فعلت وإن شئتما أن
أمسك وتسألاني فعلت فقالا أخبرنا يا رسول الله فقال الثقفي للأنصاري
سل فقال أخبرني يا رسول الله فقال جئت تسألني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت
الحرام وما لك فيه وعن ركعتيك بعد الطواف وما لك فيهما وعن طوافك بين الصفا
والمروة وما لك فيه وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه وعن رميك الجمار وما
لك فيه وعن نحرك وما لك فيه مع الإفاضة فقال والذي بعثك بالحق لعن هذا
جئت أسألك ومن ذلك ما روي عن واثلة بن الأسقع قال أتيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه فجلست وسط الحلقة فقال بعضهم
يا واثلة قم عن هذا المجلس فقد نهينا عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه
وإياه فإني أعلم ما الذي أخرجه من منزله قلت يا رسول الله ما الذي أخرجني قال أخرجك
من منزلك لتسأل عن البر وعن الشك قال قلت والذي بعثك بالحق ما أخرجني غيره
فقال صلى الله عليه وسلم البر ما استقر في الصدر واطمأن إليه القلب والشك
ما لم يستقر في الصدر فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون ومن
ذلك قوله لفاطمة رضي الله عنها في مرضه إنك أول أهلي لحوقا بي فعاشت بعده
ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر وقوله عليه الصلاة والسلام لنسائه أسرعكن بي لحوقا
أطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق ومن ذلك
قوله عليه الصلاة والسلام لعلي أتدري من أشقى الآخرين قلت الله ورسوله أعلم
قال قاتلك أخرجه أحمد في المناقب وعند ابن أبي حاتم الذي يضربك على هذا وأشار
إلى يافوخه وعند المحاملي قال علي عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتخضبن هذه من هذه وأشار إلى لحيته ورأسه وعند الضحاك الذي يضربك على
هذه فيبل منها هذه وأخذ بلحيته فضربه عبد الرحمن بن ملجم وعند الطبراني
وأبي نعيم من حديث جابر مرفوعا إنك مؤمر مستخلف وإنك مقتول وإن هذه
مخضوبة من هذه وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية أما إنك ستلي أمر أمتي بعدي
فإذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم قال معاوية فما زلت أرجو
حتى قمت مقامي رواه ابن عساكر وأخرج ابن عساكر أيضا من حديث عروة بن رويم

مرفوعا لن يغلب معاوية أبدا وأن عليا قال يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلت
معاوية ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام يقتل هذا مظلوما وأشار إلى عثمان
رضي الله عنه أخرجه البغوي في المصابيح من الحسان والترمذي وقال حسن غريب وخرجه
أحمد فكان كما قال عليه السلام ثم استشهد في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم على
هذه الآية فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وفي رواية أنه عليه السلام قال يقتل
عثمان وهو يقرأ في المصحف وأن الله عسى أن يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه وأنه
سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وقد أخرجه الحاكم عن ابن عباس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وأنت تقرأ سورة البقرة فتقع
قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله لكن قال الذهبي إنه موضوع وروى مسلم عن أسامة
ابن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال هل
ترون ما أرى إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر فوقعت فتنة قتل
عثمان وتتابعت الفتن إلى فتنة الحرة وكانت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث
وستين سنة من الهجرة وجرت فيها وقائع كثيرة موجودة في كتب التواريخ وأخرج
البيهقي عن الحسن قال لما كان يوم الحرة قتل أهلي حتى لا يكاد ينفلت منهم أحد وأخرج
أيضا عن مالك بن أنس قال قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن منهم ثلاثمائة
من الصحابة وذلك في خلافة يزيد وأخرج أيضا عن مغيرة قال انتهب أبو مسلم بن عقبة
المدينة ثلاثة أيام وافتض فيها ألف عذراء وقال عليه السلام لأبي موسى وهو قاعد
على قف بئر أريس لما طرق عثمان الباب ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فأشار
إلى ما تقدم من استشهاده يوم الدار بل أصرح من ذلك كله ما رواه أحمد عن ابن عمر
قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فمر رجل فقال يقتل فيها هذا يومئذ
ظلما قال فنظرت فإذا هو عثمان وإسناده صحيح وأخبر عليه السلام بوقعة الجمل
وصفين وقتال عائشة والزبير عليا كما أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن أم سلمة
قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت فقال
انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت ثم التفت إلى علي فقال إن وليت من أمرها شيئا فارفق
بها وعن ابن عباس مرفوعا أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب
يقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعدما كادت رواه البزار وأبو نعيم وأخرج الحاكم وصححه
والبيهقي عن أبي الأسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال له علي أنشدك
الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وأنت له ظالم فمضى
الزبير منصرفا وفي رواية أبي يعلى والبيهقي فقال الزبير بلى ولكن نسيت ومن ذلك
قوله عليه الصلاة والسلام في الحسن بن علي إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين رواه البخاري فكان كما قال عليه السلام لأنه لما قتل علي بن أبي

طالب ما بيع الحسن اكثر من اربعين الفا فبقي سبعة اشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من ارض السواد فعلم انه لن يغلب احد الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى فكتب الى معاوية يخبره انه يصير الامر اليه دون غيره على ان يشترط عليه ان لا يطلب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في ايام معاوية فاجابه معاوية الا عشرة فلم يزل يراجعه حتى بعث اليه برق ابيض وقال اكتب فيه ما شئت فانا التزمه واصطلحا على ذلك فكان الامر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وخرج الدولابي ان الحسن قال كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين ومن ذلك اعلامه عليه الصلوة والسلام بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه رواه البغوي في معجمه من حديث انس بن مالك بلفظ استاذن ملك المطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن له وكان في يوم ام سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل احد فبينما هي على الباب اذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريك المكان الذي يقتل به فاراه فجاء بسهلة وتراب احمر فاخذته ام سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول انها كربلاء وخرجه ابو حاتم في صحيحه ورواه احمد بنحوه والسهلة بالكسر رمل خشن ليس بالدقاق الناعم وفي رواية الملا قالت ثم ناولني كفا من تراب احمر وقال ان هذا من تربة الارض التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي انه قد قتل قالت ام سلمة فوضعته في قارورة عندي وكنت اقول ان يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم الحديث واستشهد الحسين كما قال عليه الصلوة والسلام بكربلا من ارض العراق بناحية ويعرف الموضع بالطف وقتله سنان بن انس النخعي وقيل غيره ولما قتلوه بعثوا براسه الى يزيد فنزلوا اول مرحلة فجعلوا يشربون والراس فيما بينهم فبينما هم كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم ۝

اترجوا امة قتلت حسينا ۝ شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الراس خرجه منصور بن عمار وذكر ابو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة عن نضرة الازدية انها قالت لما قتل الحسين بن علي مطرت السماء دما فاصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دما وكذا روي في احاديث غير هذه وقال عليه الصلوة والسلام لعمار تقتلك الفئة الباغية رواه البخاري ومسلم فكان كما قال عليه الصلوة والسلام ومن ذلك ما رواه ابو عمر بن عبد البر بن عبد الله بن عمر راى رجلا

مع

مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايته قال نعم قال ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك فعمي في آخر عمره ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس تعيش حميدا وتقتل شهيدا رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم فقتل يوم مسيلمة الكذاب باليمامة ومن ذلك قوله لعبد الله بن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك فكان من امره مع الحجاج ما كان ومن ذلك حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الدين بدا نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون سلطانا وجبرية وقوله ملكا عضوضا اي يصيب الرعية فيه عسف وظلم كانهم يعضون فيه عضا وفي حديث سفينة عند ابي داود والترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك قال سعيد بن جمهان امسك خلافة ابي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة فقيل له ان بني امية يزعمون ان الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك واخرج ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فاتيني قالت فلما ولدته اتيته به فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى والباه من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بابي الخلفاء فاخبرت العباس فاتاه فذكر له فقال هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي حتى يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم واخرج ابو يعلى عن معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم ومن ذلك اخباره عليه الصلوة والسلام بعالم المدينة اخرج الحاكم وصححه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل فلم يجدوا عالما اعلم من عالم المدينة قال سفيان بن عيينة نرى هذا العالم مالك بن انس وقال عبد الرزاق ولم يعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت اكباد الابل الى احد مثل ما ضربت اليه وحكى ابو مصعب كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام يعني لطلب العلم وممن روى عنه من الائمة المشهورين محمد بن شهاب الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام اهل الشام والليث بن سعد امام اهل مصر وابو حنيفة النعمان بن ثابت الامام وصاحباه ابو يوسف ومحمد بن الحسن وعبد الرحمن بن مهدي شيخ الامام احمد ويحيى بن يحيى شيخ البخاري وابو رجاء قتيبة بن سعيد شيخ البخاري ومسلم وذو النون المصري والفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وابراهيم بن ادهم كما نقله العلامة عيسى بن مسعود الزواوي في كتابه المنهج السالك الى معرفة قدر الامام مالك واخباره بعالم قريش عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما رواه ابو داود الطيالسي في مسنده وقيه الجارود

بمجهول لكن له شواهد عن ابي هريرة من تاريخ بغداد وعن علي وابن عباس في المدخل للبيهقي قال الامام احمد وغيره هذا العالم هو الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي وما كان للامام احمد ليذكر حديثا موضوعا يحتج به او ينبه به في امر شيخه الشافعي واما قوله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعالم قريش الى آخره بصيغة التمريض احتياطا للشك في ضعفه فان اسناده لا يخلو من ضعف قاله العراقي ردا على الصاغاني في زعمه انه موضوع وقد جمع الحافظ ابن حجر طرقه في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش كما افاده شيخنا واخبر عليه السلام ان طائفة من امته لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي امر الله رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وبان الله تعالى يبعث الى هذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها رواه الحاكم من حديث ابي هريرة وبذهاب الامثل فالامثل رواه الحاكم وصححه بلفظ تذهبون الخير فالخير وبالخوارج رواه الشيخان من حديث ابي سعيد الخدري بلفظ بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اذ اتاه ذو الخويصرة فقال يا رسول الله اعدل فقال ويلك ومن يعدل ان لم اعدل لقد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال عليه السلام دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة او مثل البضعة تدردر على خير فرقة من الناس قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه وامر بذلك الرجل فالتمس فوجد فاتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعته واخبر عليه السلام ايضا بالرافضة اخرج البيهقي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام واخبر ايضا بالقدرية والمرجئة وقال هم مجوس هذه الامة رواه الطبراني في الاوسط عن انس وقد اخبر عليه السلام اصحابه باشياء بينه وبين الساعة وحذرهم من ملماتها كما يحذر من حاد عن الطاعة وان الساعة لا تقوم حتى يظهر جملة من الامارات في العالم فاذا جاءت الطامة الكبرى يطيش منها الجاهل والعالم كما روي من رفع الامانة والقرآن واشتهار الخيانة وحسد الاقران وقلة الرجال وكثرة النسوان الى غير ذلك مما شهدت بصحته الاخبار وقضى بحقيقته وقوعه الاعتبار وقد تعين ان نعلم بذكر طرف من الآثار الصحاح والحسان فروى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون

قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم الرجل من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب لي فيه وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها فهذه ثلاث عشرة علامة جمعها ابو هريرة في حديث واحد ولم يبق بعد هذا ما ينتظر من صحيح العلامات والاشراط وقد ظهر اكثر هذه العلامات فاما قوله حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة فيريد فتنة معاوية وعلي بصفين قاله القاضي ابو بكر بن العربي وهذا اول خطب طرق الاسلام وتعقبه القرطبي بان اول امر دهم الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم من بعده موت ابي بكر الا ان بموته صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي وكان اول ظهور الشر ارتداد العرب وغير ذلك وبموت عمر سل سيف الفتنة فقتل عثمان وكان من قضاء الله وقدره ما كان واما قوله دجالون كذابون قريب من ثلاثين فقد جاء عددهم معينا من حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي دجالون كذابون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي اخرجه الحافظ ابو نعيم وقال هذا حديث غريب قال القاضي عياض هذا الحديث قد ظهر فلو عد من تنبأ من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى الآن ممن اشتهر بذلك لوجد هذا العدد ومن طالع كتب التواريخ عرف صحة هذا وقوله حتى يقبض العلم فقد قبض العلم ولم يبق الا رسمه واما الزلازل فوقع منها شيء كثير وقد شاهدنا بعضها واما قوله حتى يكثر فيكم المال فيفيض وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته فهذا مما لم يقع وقوله حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه لما يرى من عظيم البلاء ورياسة الجهلاء وخمول العلماء وغير ذلك مما ظهر كثير منه وفي حديث ابي هريرة عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة وكان بدوها زلزلة عظيمة في ليلة الاربعاء بعد العشاء ثالث جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة وفي يوم الثلاثاء اشتد تحركها وعظمت رجفتها وتتابعت حطمتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات لبارئها ودام الحركة اثر الحركة حتى ايقن اهل المدينة بوقوع الهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا من جملته ثماني عشرة حركة في يوم واحد دون ليلته

المقصد التاسع

قال القرطبي لو كان بالمدينة ببركته صلى الله عليه وسلم نسيم بارد وشوهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فاحرقتها قال وقال لي بعض اصحابنا ولقد رأيتها صاعدة في الهواء من مسيرة خمسة ايام قال وسمعت انها رؤيت من مكة وجبال بصرى وقال الشيخ قطب الدين القسطلاني اقامت اثنين وخمسين يوما وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسراء والمعراج به صلى الله عليه وسلم وبالجملة فاستيفاء الكلام على هذه النار يخرج عن المقصود وقد نبه عليها القرطبي في التذكرة وافردها بالتأليف الشيخ قطب الدين القسطلاني في كتاب سماه جمل الايجاز في الاعجاز بنار الحجاز فاغنى فيه من حقائق الحقائق بالعجب العجاب والله الموفق للصواب

في لطيفة من عباداته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وانما سمي الموت باليقين لانه امر متيقن فان قلت ما الفائدة في قوله حتى يأتيك اليقين مع ان قوله واعبد ربك كافيا في الامر بالعبادة اجاب القرطبي تبعا لغيره بانه لو قال واعبد ربك مطلقا ثم عبده مرة واحدة كان مطيعا فلما قال حتى يأتيك اليقين اي اعبد ربك في جميع زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحيوة من هذه العبادة كما قال العبد الصالح واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وهذا مصير منه الى ان الامر المطلق لا يفيد التكرار وهي مسئلة معروفة في كتب الاصول اختلف فيها وهي هل الامر المطلق يفيد التكرار او المرة الواحدة او لا يفيد شيئا منهما على مذاهب الاول انه لا يفيد التكرار وانما يفيد طلب فعل المأمور به من غير اشعار بالمرة او المرات لكن المرة ضرورية لاجل تحقيق الامتثال اذ لا توجد الماهية باقل منها وهذا مختار الامام مع نقله عن الاكثرين ورجحه الآمدي وابن الحاجب وغيرهما الثاني انه يفيد التكرار مطلقا كما ذهب اليه الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وابو حاتم القزويني فان عين للتكرار امد استوعب والا استوعب مدة العمر لكن بحسب الامكان فلا يستوعب زمان قضاء الحاجة والنوم وغيرهما من الضروريات الثالث انه يدل على المرة حكاه الشيخ ابو اسحاق في شرح اللمع عن اكثر اصحابنا وابي حنيفة وغيرهم وان علق بشرط او صفة اقتضى التكرار بحسب تكرار المعلق به نحو وان كنتم جنبا فاطهروا والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة انتهى ملخصا من شرح العلامة ابي الحسن الاشموني لنظم جمع الجوامع للعلامة ابن السبكي وقد روى جبير بن نفير مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين رواه البغوي في شرح السنة وابو نعيم في الحلية عن ابي مسلم الخولاني

وقد

وقد امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باربعة اشياء التسبيح والتحميد والسجود والعبادة واختلف العلماء في انه كيف صار الاقبال على مثل هذه الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن فحكى الامام فخر الدين الرازي عن بعض المحققين انه قال اذا اشتغل الانسان بمثل هذه الانواع من العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة واذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح لوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم قال اهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع الى الطاعات كانه يقول يجب على عبادتك سواء اعطيتني الخيرات او القيتني في المكروهات وقال تعالى فاعبده واصطبر لعبادته فامره تعالى عليه السلام بالعبادة والمصابرة على مشاق التكاليف في الانذار والابلاغ فان قلت لم لم يقل واصبر على عبادته بل قال واصطبر لعبادته فالجواب لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من مشاقه والمعنى ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها قاله الفخر الرازي وكذا البيضاوي وقال تعالى ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه فاول درجات السير الى الله عبودية الله تعالى وآخرها التوكل عليه واذا كان العبد لا يزال مسافرا الى ربه لا ينقطع سيره اليه ما دام في قيد الحيوة فهو محتاج الى زاد العبادة لا يستغني عنها البتة ولو اتى باعمال الثقلين جميعا وكلما كان العبد الى الله تعالى اقرب كان جهاده في الله اعظم قال الله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق اجتهادا وقياما بوظائف العبادة ومحافظة عليها الى ان توفاه الله تعالى وتأمل اصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا كلما ترقوا من القرب مقاما عظم جهادهم واجتهادهم ولا تلتفت الى ما يظنه بعض المنتسبين الى التصوف حيث قال القرب الحقيقي ينقل العبد من الاعمال الظاهرة الى الاعمال الباطنة ويريح الجسد والجوارح من كد العمل زاعما بذلك سقوط التكليف عنه وهؤلاء اعظم كفرا والحادا حيث عطلوا العبودية وظنوا انهم استغنوا عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التي هي من اماني النفس وخدع الشيطان فلو وصل العبد من القرب الى اعلا مقام يناله العبد لما سقط عنه من التكليف مثقال ذرة ما دام قادرا عليه وقد اختلف العلماء هل كان عليه الصلوة والسلام قبل بعثته متعبدا بشرع من قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهو قول الجمهور واحتجوا بانه لو كان كذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة

الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا والتعليل الاول
المستند الى النقل اولى وذهب آخرون الى الوقف في امره عليه السلام وترك
قطع الحكم بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل وهذا مذهب الامام
ابي المعالي هو امام الحرمين وكذا الغزالي والآمدي وقال آخرون كان عاملا
بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن التعيين
واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع
فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى فهذه جملة المذاهب في هذه
المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين
اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى عليه
السلام آخر الانبيا فلزمت شريعته من جا بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل
الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من كلام
القاضي عياض وهو كلام حسن بديع لكن قوله فهذه جملة المذاهب فيه نظر لانه بقي
عليه منها شيء فقد قيل شريعة آدم ايضا وهو محكي عن ابن برهان وقيل جميع الشرايع
حكاه صاحب المحصول عن المالكية واما من قال انه عليه السلام كان على شريعة ابرهيم
وليس له شرع منفرد به وان المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم احيا شرع ابرهيم
وعول في اثبات مذهبه على قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
فهذا قول ساقط مردود لا يصدر مثله الا عن سخيف العقل كثيف الطبع وانما
المراد بهذه الآية الاتباع في التوحيد لانه لما وصف ابرهيم عليه السلام في هذه
الآية بانه ما كان من المشركين فلما قال اتبع كان المراد ذلك ومثله قوله تعالى
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم
يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد
سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل
على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى فان قيل النبي
صلى الله عليه وسلم انما نفى الشرك واثبت التوحيد بنا على الدلايل القطعية واذا
كان كذلك لم يكن متابعا لاحد فيمتنع حمل قوله تعالى ان اتبع على هذا المعنى فوجب
حمله على الشرايع التي يصح حصول المتابعة فيها اجاب الفخر الرازي بانه
يحتمل ان يكون المراد الامر بمتابعته في كيفية الدعوة الى التوحيد وهو ان يدعو
اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلايل مرة بعد اخرى بانواع كثيرة على
ما هو الطريقة المالوفة في القرآن وقد قال صاحب الكشاف لفظة ثم في قوله ثم
اوحينا اليك تدل على تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله
فان اشرف ما اوتي خليل الله من الكرامة واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ملته من قبل ان هذه اللفظة دلت على تباعد النعت في المرتبة على
سائر المدايح التي مدحه الله بها انتهى ومراده بالمدايح المذكورة في قوله ان ابرهيم
كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط
مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين وقال ابن العراقي
في شرح تقريب الاسانيد وليت شعري كيف تلك العبادة واي انواعها هي وعلى اي
وجه فعلها يحتاج ذلك لنقل ولا استحضره الآن انتهى وقال شيخ الاسلام البلقيني
في شرح البخاري لم يجئ في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه السلام لكن
روى ابن اسحاق وغيره انه عليه الصلوة والسلام كان يخرج الى حرا في كل عام شهرا من
السنة يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية ان يطعم من جاءه من المساكين
حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وحمل بعضهم التعبد على
التفكر قال وعندي ان هذا التعبد يشتمل على انواع وهي الانعزال عن الناس
كما صنع ابرهيم عليه السلام باعتزاله قومه والانقطاع الى الله فان انتظار الفرج
عبادة كما رواه علي بن ابي طالب مرفوعا وينضم الى ذلك الادكار وعن بعضهم
كانت عبادته عليه الصلوة والسلام في حرا التفكر انتهى وقد آن ان نشرع فيما قصدته
على النحو الذي اردته وقد انحصرت من عباداته صلى الله عليه وسلم على سبعة انواع

النوع الاول في الطهارة

وفيه فصول الاول في ذكر وضوئه صلى الله عليه وسلم وسواكه ومقدار ما يتوضا به
اعلم ان الوضوء بالضم الفعل وبالفتح الما الذي يتوضا به على المشهور فيهما وهو
مشتق من الوضاءة وسمي به لان المصلي يتنظف به فيصير وضيا وقد استنبط
بعض العلما كما حكاه في فتح الباري ايجاب النية في الوضوء من قوله تعالى اذا قمتم الى
الصلوة فاغسلوا لان التقدير اذا اردتم القيام الى الصلوة فتوضؤا لاجلها
ومثله قوله اذا رايت الامير فقم اي لاجله وقال ابن القيم لم يرو انه صلى
الله عليه وسلم كان يقول في اول وضوئه نويت رفع الحدث ولا غيرها هو ولا احد من اصحابه
البتة ولم يرو عنه لا بسند صحيح ولا ضعيف انتهى قلت اما التلفظ بالنية فلا
نعلم انه روي عنه صلى الله عليه وسلم واما كونه اتى بها فقد قال الامام فخر الدين
الرازي في المعالم اعلم انا اذا اردنا في امر من الامور انه هل فعله الرسول صلى
الله عليه وسلم فلنا الى اثباته طرق الاول انا اذا اردنا ان نقول انه عليه الصلوة
والسلام توضا مع النية والترتيب قلنا لا شك ان الوضوء مع النية والترتيب افضل
والعلم الضروري حاصل بان افضل الخلق لم يواظب على ترك الافضل طول عمره فثبت
انه اتى بالوضوء المرتب المنوي ولم يثبت عندنا انه اتى بالوضوء العاري عن النية والترتيب

والشك لا يعارض اليقين فثبت اتيانه بالوضوء المرتب المنوي فوجب أن يجب علينا مثله
والطريق الثاني أن نقول لو أنه عليه السلام ترك النية والترتيب وجب علينا تركه للدلالة
الدالة على وجوب الاقتداء ولما لم يجب علينا تركه ثبت أنه ما تركه بل فعله وفي الصحيحين
وغيرهما من حديث عمر مرفوعا إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى قال
البخاري فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلوة والزكوة والحج والصوم والأحكام
وأشار بذكر الوضوء إلى خلاف من لم يشترط فيه النية كما نقل عن الأوزاعي وأبي حنيفة
وغيرهما وحجتهم أنه ليس عبادة مستقلة بل وسيلة إلى العبادة كالصلوة ونوقضوا
بالتيمم فإنه وسيلة وقد اشترط الحنفية فيه النية واستدل الجمهور على اشتراط النية
في الوضوء بالأدلة الصحيحة المصرحة بوعد الثواب عليه فلا بد من قصد يميزه عن غيره
ليحصل الثواب الموعود به وقوله إنما الأعمال بالنيات ليس المراد به نفي ذات العمل
لأنه قد يوجد بغير نية بل المراد نفي أحكامها كالصحة والكمال لكن الحمل على نفي الصحة
أولى لأنه أشبه بنفي الشيء نفسه ولأن اللفظ دل على نفي الذات بالتصريح وعلى نفي
الصفات بالتبع فلما منع الدليل نفي الذات بقيت دلالته على نفي الصفات مستمرة
قال ابن دقيق العيد الذين اشترطوا النية قدروا صحة الأعمال والذين لم
يشترطوها قدروا كمال الأعمال ورجح الأول لأن الصحة أكثر لزوما للحقيقة
من الكمال فالحمل عليها أولى وفي هذا الكلام إيهام أن بعض العلماء لا يرى باشتراط
النية وليس الخلاف بينهم في ذلك إلا في الوسائل وأما المقاصد فلا اختلاف
بينهم في اشتراط النية لها ومن ثم خالف الحنفية في اشتراطها للوضوء كما تقدم
وخالف الأوزاعي في اشتراطها في التيمم أيضا نعم بين العلماء اختلاف في اقتران
النية بأول العمل كما هو في مبسوطات الفقه وأما قول البخاري فيدخل فيه
الإيمان فتوجيه دخول النية في الإيمان على طريقة البخاري أن الإيمان عمل وأما الإيمان
بمعنى التصديق فلا يحتاج إلى نية كسائر أعمال القلوب من خشية الله وتعظيمه ومحبته
والتقرب إليه لأنها متميزة لله فلا تحتاج إلى نية تميزها لأن النية إنما تميز العمل لله
من العمل لغيره رياء وتميز مراتب الأعمال كالفرض عن الندب وتميز العبادة عن العادة
كالصوم عن الحمية وقوله أيضا والأحكام أي المعاملات التي يدخل فيها الاحتياج
إلى المحاكمات فيشمل البيوع والأنكحة والأقارير وغيرها وكل صورة لم تشترط
فيها النية فذلك لدليل خاص وقد ذكر ابن المنير ضابطا لما يشترط فيه النية
مما لا يشترط فقال كل عمل لا يظهر له فائدة عاجلة بل المقصود به طلب الثواب فالنية
مشترطة فيه وكل عمل ظهرت فائدته ناجزة وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة لملائمة
بينهما فلا تشترط النية فيه إلا لمن قصد بفعله معنى آخر يترتب عليه الثواب قال
وإنما اختلف العلماء في بعض الصور من جهة مناط التفرقة قال وأما ما كان من المعاني

المحضة

المحضة كالخوف والرجاء فهذا لا يقال باشتراط النية فيه لأنه لا يمكن أن يقع إلا منويا
ومتى فرضت النية مفقودة فيه استحالت حقيقته فالنية فيه شرط عقلي وأما الأقوال
فتحتاج إلى النية في ثلاثة مواطن أحدها التقرب إلى الله تعالى فرارا من الرياء والثاني
التمييز عن الألفاظ المحتملة لغير المقصود والثالث قصد الإنشاء ليخرج سبق اللسان
انتهى ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري وقد اختلف العلماء في الوقت الذي وجب فيه
الوضوء فقال بعضهم أول ما فرض بالمدينة وتمسك بقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم الآية ونقل ابن عبد البر اتفاق أهل السير أن غسل الجنابة
فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة كما افترضت الصلوة وأنه لم يصل قط إلا
بوضوء قال هذا مما لا يجهله عالم وقال الحاكم في المستدرك وأهل السنة بهم حاجة
إلى دليل الرد على من زعم أن الوضوء لم يكن قبل نزول آية المائدة ثم ساق حديث
ابن عباس دخلت فاطمة رضي الله عنها على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالت
هؤلاء الملأ من قريش قد تعاهدوا ليقتلوك فقال ائتوني بوضوء فتوضأ قال
الحافظ ابن حجر وهذا يصلح أن يكون ردا على من أنكر وجود الوضوء قبل الهجرة لا على
من أنكر وجوبه حينئذ وقد جزم ابن الجهم المالكي بأنه كان قبل الهجرة مندوبا وجزم
ابن حزم بأنه لم يشرع إلا بالمدينة ورد عليهما بما أخرجه ابن لهيعة في المغازي التي يرويها
عن أبي الأسود عن عروة أن جبريل عليه السلام علم النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء
عند نزوله عليه بالوحي وهو مرسل ووصله أحمد من طريق ابن لهيعة أيضا لكن قال
عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد عن أبيه وأخرجه ابن ماجه من طريق رشدين
ابن سعد عن عقيل عن الزهري نحوه ولكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند وأخرجه
الطبراني في الأوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ولو ثبت لكان على شرط الصحيح
لكن المعروف رواية ابن لهيعة وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتوضأ لكل صلوة قيل له كيف كنتم تصنعون قال يجزي أحدنا الوضوء ما لم يحدث
رواه البخاري وأبو داود والترمذي وعن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلوة رواه الدارمي وروى مسلم عن بريدة
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح صلى
صلوات بوضوء واحد فقال له عمر فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر
يعني لبيان الجواز وفي رواية أحمد وأبي داود من حديث عبد الله بن أبي عامر الغسيل
أنه صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء لكل صلوة طاهرا كان أو غير طاهر فلما شق عليه
ذلك أمر بالسواك عند كل صلوة ووضع عنه الوضوء إلا من حدث واختلف العلماء
في موجب الوضوء فقيل يجب بالحدث وجوبا موسعا وقيل به وبالقيام إلى الصلوة معا
ورجحه جماعة من الشافعية وقيل بالقيام إلى الصلوة حسب ويدل له ما رواه أصحاب

السنن عن ابن عباس مرفوعا انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلوة وقد تمسك بحديث
عبد الله بن ابي عامر هذا من قال بوجوب السواك عليه صلى الله عليه وسلم لكن في
اسناده محمد بن اسحاق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس والخصائص لا تثبت الا
بدليل صحيح واخرج الطبراني في الاوسط والبيهقي في السنن عن عائشة مرفوعا
ثلاث هن علي فرائض وهن لكم سنة الوتر والسواك وقيام الليل وقد روى احمد
في مسنده باسناد حسن من حديث واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي وقد حكى بعضهم الاجماع على انه
ليس بواجب علينا لكن حكى بعض الشافعية انه اوجبه للصلوة وتوقف فيه واتفقوا
على انه مستحب مطلقا ويتاكد في احوال منها عند الوضوء وارادة الصلوة ومنها
عند القيام من النوم لما ثبت في الصحيحين من حديث حذيفة انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك لكن قد يقال المراد قام من الليل للصلوة
فيكون المراد السواك للصلوة او عند النوم ومنها قراءة القرآن كما جزم به الرافعي
ومنها تغير الفم سواء فيه تغير الرائحة او تغير اللون كصفرة الاسنان كما ذكره
الرافعي ومنها دخول المنزل جزم به النووي في زوائد الروضة لما روى مسلم وابو داود
والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل بيته
يبدأ بالسواك ومنها ارادة النوم كما ذكره الشيخ ابو حامد في الرونق وروى فيه ما
رواه ابن عدي في الكامل من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك
اذا اخذ مضجعه وفيه حرام بن عثمان متروك ومنها الانصراف من صلوة الليل لما روى
ابن ماجه من حديث ابن عباس باسناد صحيح قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك ويجزئ بكل خشن ولو باصبع غيره
الخشنة وقد جزم النووي في شرح المهذب ودقائق المنهاج انه يجزئ بها قطعا
قال في شرح تقريب الاسانيد وما ادري ما وجه التفرقة بين اصبعه واصبع غيره
وكونه جزءا منه لا يظهر منه ما يقتضي منعه بل كونها اصبعه ابلغ في الازالة لانه يتمكن
بها اكثر من تمكن غيره ان يسوكه باصبعه لا جرم قال النووي في شرح المهذب المختار
اجزاؤه مطلقا قال وبه قطع القاضي حسين والمحاملي في اللباب والبغوي واختاره الروياني
في البحر انتهى وقد اطبق اصحاب الشافعي على استحباب الاراك فروى الطبراني من حديث
ابي خيرة الصباحي وله صحبة حديثا قال فيه ثم امر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاراك
فقال استاكوا بهذا وفي مستدرك الحاكم من حديث عائشة في دخول اخيها عبد الرحمن بن ابي بكر
في مرضه صلى الله عليه وسلم ومعه سواك من اراك فاخذته عائشة فطيبته ثم اعطته
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به والحديث في الصحيحين وليس فيه ذكر الاراك
وفي بعض طرقه عند البخاري ومعه سواك من جريد النخل وقد روى ابو نعيم في كتاب

السواك

السواك من حديث عائشة قالت كان للنبي صلى الله عليه وسلم سواك عرضا وروى
البيهقي ايضا من حديث ربيعة بن اكثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك
عرضا الحديث قال اصحابنا والمراد بقوله عرضا عرض الاسنان في طول الفم وهل الاولى
ان يباشر السواك بيمينه او بشماله قال بعضهم بيمينه لحديث كان يعجبه التيمن في ترجله
وتنعله وطهوره وسواكه وبناه بعضهم على انه هل هو من باب التطهير والتطييب او
من باب ازالة القاذورات فان قلنا بالاول استحب ان يكون باليمين وان قلنا بالثاني
فبشماله لحديث عائشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه
واليسرى لخلائه وما كان من اذى رواه ابو داود باسناد صحيح قال في شرح تقريب
الاسانيد وما استدل به على انه يستحب باليمين ليس فيه دلالة فان المراد منه بالتيمن
الايمن في الترجل والبداءة بلبس النعل والبداءة بالاعضاء اليمنى في التطهير والبداءة
بالجانب الايمن في الاستياك واما كونه يفعل ذلك بيمينه فيحتاج الى نقل والظاهر
انه من باب ازالة الاذى كالامتخاط ونحوه فيكون باليسرى وقد صرح بذلك احمد
ابو العباس القرطبي فقال في المفهم حكاية عن مالك انه لا يتسوك في المساجد لانه
من باب ازالة القذر والله اعلم واما مقدار ما كان عليه السلام يتوضأ ويغتسل
من الماء فعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع الى خمسة امداد
ويتوضأ بالمد وفي رواية كان يغتسل بخمسة مكاكيك ويتوضأ بمكوك رواه البخاري
ومسلم وابو داود وعنده يتوضأ باناء يسع رطلين ويغتسل بالصاع ورواه الترمذي
وعنده انه صلى الله عليه وسلم قال يجزئ في الوضوء رطلان من ماء وعن عائشة قالت
كان صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد رواه ابو داود وعن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة كانا يغتسلان من اناء واحد والصاع خمسة ارطال
وثلث برطل بغداد وهو على ما قاله النووي مائة وثمانية وعشرون درهما واربعة
اسباع درهم وحذر صلى الله عليه وسلم امته من الاسراف فيه ومر بسعد وهو
يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر
جار رواه احمد باسناد لين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال صلى الله
عليه وسلم ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه الترمذي
من حديث ابي بن كعب

الفصل الثاني في وضوئه صلى الله عليه وسلم

مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا عن ابن عباس قال توضأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم مرة مرة رواه البخاري وابو داود وغيرهما وهو بيان لمجمل قوله
تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا الآية اذ الامر يفيد طلب ايجاد الحقيقة ولا
يتعين العدد فبين الشارع ان المرة الواحدة للايجاب وما زاد عليها للاستحباب

وأما حديث أبي بن كعب أنه صلى الله عليه وسلم دعا بماء فتوضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به ففيه بيان بالقول والفعل معا لكنه حديث ضعيف أخرجه ابن ماجه وله طرق أخرى كلها ضعيفة كما قاله في فتح الباري وعن عبد الله ابن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين وقال هو نور على نور ذكره ابن رزين وعن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا رواه أحمد ومسلم وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء إبراهيم ذكره رزين وضعفه النووي في شرح مسلم كما حكاه في مشكاة المصابيح ولم يأت في شيء من الأحاديث المرفوعة في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم أنه زاد على ثلاث بل روي عنه أنه نهى عن الزيادة فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال من زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم رواه أبو داود بإسناد جيد لكن عد مسلم في جملة ما أنكروه على عمرو بن شعيب لأن ظاهره ذم النقص من الثلاثة وأجيب بأنه أمر نسبي والإساءة تتعلق بالنقص والظلم بالزيادة وقيل فيه حذف تقديره من نقص من واحدة ويؤيده ما رواه أبو نعيم من طريق المطلب بن حنطب مرفوعا الوضوء مرة ومرتين وثلاثا فإن نقص من واحدة أو زاد على ثلاث فقد أخطأ وهو مرسل رجاله ثقات وأجيب عن الحديث أيضا بأن الرواة لم يتفقوا على ذكر النقص فيه بل أكثرهم يقتصر على قوله فمن زاد فقط كذا رواه ابن خزيمة في صحيحه قال الشافعي لا أحب أن يزيد المتوضي على ثلاث فإن زاد لم أكرهه أي لم أحرمه لأن قوله لا أحب يقتضي الكراهة وهذا هو الأصح عند الشافعية أنه يكره كراهة تنزيه وحكى الدارمي من الشافعية عن قوم أن الزيادة على الثلاثة تبطل الوضوء كالزيادة في الصلاة وهو قياس فاسد وقال أحمد وإسحاق وغيرهما لا تجوز الزيادة على الثلاث وقال ابن المبارك لا آمن أن يأثم ويلزم من القول بتحريم الزيادة على الثلاث أو كراهتها أنه لا يندب تجديد الوضوء على الإطلاق ه ه

الفصل الثالث في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه دعا بإناء فأفرغ على يديه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه ثلاثا إلى المرفقين ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات إلى الكعبين ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه رواه البخاري وقد استدل بعضهم بقوله ثم أدخل يمينه على عدم اشتراط نية الاغتراف ولا دلالة فيه نفيا ولا إثباتا وأما

اشتراط

اشتراط نية الاغتراف فليس في الحديث ما يثبتها ولا ما ينفيها قال الغزالي مجرد الاغتراف لا يصير الماء مستعملا لأن الاستعمال إنما يقع في المغترف منه وبهذا قطع البغوي ٭ وقد ذكروا في حكمة تأخير غسل الوجه أنه لاعتبار أوصاف الماء لأن اللون يدرك بالبصر والطعم يدرك بالفم والريح بالأنف فقدمت المضمضة والاستنشاق قبل الوجه وهو مفروض احتياطا للعبادة وقال النووي في قوله نحو وضوئي إنما لم يقل عليه السلام مثل حقيقته مماثلة لا يقدر عليها غيره لكن تعقبه في فتح الباري بأنه ثبت التعبير بها في رواية البخاري في الرقاق من طريق معاذ بن عبد الرحمن عن عثمان عن حمران ولفظه من توضأ مثل وضوئي هذا وفي الصيام من رواية معمر من توضأ وضوئي هذا ولمسلم من طريق زيد بن أسلم عن حمران توضأ مثل وضوئي هذا قال وعلى هذا فالتعبير من تصرف الرواة لأنها تطلق على المثلية مجازا ولأن مثل وإن كانت تقتضي المساواة ظاهرا لكنها تطلق على الغالب فبهذا تلتئم الروايات ويكون المتروك بحيث لا يخل بالمقصود انتهى وعن عبد الله بن زيد ابن عاصم الأنصاري أنه قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإناء فأكفأ منه على يديه فغسلهما ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي والنسائي ٭ وفي رواية لأبي داود ثم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما ٭ وفي أخرى له ومسح بأذنيه ظاهرهما وباطنهما وأدخل أصابعه في صماخي أذنيه ٭ وفي رواية أبي داود والترمذي والنسائي عن عبد خير أبي عمارة بن زيد بن خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وتشديد الياء الهمداني من كبار أصحاب علي بن أبي طالب قال أتانا علي وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد إلا ليعلمنا فأتي بإناء فيه ماء وطست فأفرغ من الإناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا فمضمض ونثر من الكف الذي يأخذ فيه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى وغسل يده اليسرى ثلاثا ثم جعل يده اليمنى في الإناء فمسح برأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله اليسرى ثلاثا ثم قال من سره أن يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا قال ابن القيم والصحيح أنه صلى الله عليه وسلم لم يكرر مسح رأسه انتهى وقال النووي والأحاديث الصحيحة فيها المسح مرة واحدة وفي بعضها الاقتصار على قوله مسح واحتج الشافعي بحديث عثمان رضي الله عنه في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا

ثلاثا وبالقياس على باقي الأعضاء انتهى وأجيب بأنه مجمل مبين في الروايات
الصحيحة أن المسح لم يتكرر فيحمل على الغالب ويخص بالمغسول وبأن المسح مبني على
التخفيف فلا يقاس على الغسل الذي المراد منه المبالغة في الإسباغ وبأن العدد
لو اعتبر في المسح لصار في صورة الغسل إذ حقيقة الغسل جريان الماء واحتج الشافعية
أيضا بما رواه أبو داود في سننه من حديث عثمان من وجهين صحح أحدهما ابن خزيمة
أنه صلى الله عليه وسلم مسح رأسه ثلاثا وفي رواية أبي داود أيضا والترمذي من حديث
الربيع بنت معوذ فغسل كفيه ثلاثا ووضأ وجهه ثلاثا وتمضمض واستنشق مرة
ووضأ يديه ثلاثا ومسح برأسه مرتين بدأ بمؤخر رأسه ثم بمقدمه وبأذنيه كليهما
ظهورهما وبطونهما ووضأ رجليه ثلاثا وقد أجاب العلماء عن أحاديث المسح
مرة واحدة بأن ذلك لبيان الجواز ويؤيده رواية مرتين هذه وقال السمعاني فيما
حكاه في فتح الباري اختلاف الرواية يحمل على التعدد فيكون مسح تارة مرة وتارة
ثلاثا فليس في رواية مسح مرة حجة على منع التعدد ويحتج للتعدد بالقياس على المغسول
لأن الوضوء طهارة حكمية ولا فرق في الطهارة الحكمية بين الغسل والمسح قال
ومن أقوى الأدلة على عدم العدد الحديث المشهور الذي صححه ابن خزيمة وغيره من طريق
عبد الله بن عمرو بن العاص في صفة الوضوء بعد أن فرغ من زاد على هذا فقد أساء
وظلم فإن في رواية سعيد بن منصور التصريح بأنه مسح رأسه مرة واحدة فدل على أن
الزيادة في مسح الرأس على المرة غير مستحبة ويحمل ما ورد من الأحاديث في تثليث المسح
إن صحت على إرادة الاستيعاب بالمسح لا أنها مسحات مستقلة لجميع الرأس جمعا بين الأدلة
انتهى وفي حديث عبد الله بن زيد المتقدم عند البخاري الذي ذكرته قبل ثم مسح
رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر وفي رواية بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه
ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه وزاد ابن الصباغ بعد قوله ثم مسح رأسه كله
كما هو في رواية ابن خزيمة وفي رواية غيره كما قدمته برأسه بزيادة الباء وافق لقوله
تعالى وامسحوا برؤوسكم قال البيضاوي الباء في الآية مزيدة وقيل للتبعيض
فإنه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه أن يقال إنها تدل على تضمين
الفعل معنى الإلصاق فكأنه قيل والصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب
بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فإنه كقوله واغسلوا وجوهكم انتهى وقال الشافعي
احتمل قوله تعالى وامسحوا برؤوسكم جميع الرأس أو بعضه فدلت السنة أن بعضه يجزئ
والفرق بينه وبين قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم في التيمم أن المسح فيه بدل عن الغسل
ومسح الرأس أصل فافترقا ولا يرد كون مسح الخف بدلا عن غسل الرجل لأن الرخصة
فيه ثبتت بالإجماع وقد روي من حديث عطاء أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فحسر
العمامة عن رأسه ومسح مقدم رأسه وهو مرسل لكنه اعتضد بمجيئه من وجه آخر

موصولا

موصولا أخرجه أبو داود من حديث أنس وفي إسناده أبو معقل لا يعرف حاله لكن
اعتضد كل من المرسل والموصول بالآخر وحصلت القوة من الصورة المجموعة وهذا
مثال لما ذكره الشافعي من أن المرسل يعتضد بمرسل آخر أو مسند وفي الباب أيضا
عن عثمان في صفة الوضوء قال ومسح مقدم رأسه أخرجه سعيد بن منصور وفيه خالد
ابن يزيد بن أبي مالك مختلف فيه وصح عن ابن عمر الاكتفاء بمسح بعض الرأس قاله ابن
المنذر وغيره ولم يصح عن أحد من الصحابة إنكار ذلك قاله ابن حزم قال الحافظ
ابن حجر وهذا كله مما يقوى به المرسل المتقدم ذكره انتهى واختلف في القدر الواجب
في مسح الرأس فذهب الشافعي في جماعة إلى أن الواجب ما ينطلق عليه الاسم
ولو شعرة واحدة أخذا باليقين وذهب مالك وأحمد وجماعة إلى وجوب استيعابه
أخذا بالاحتياط وقال أبو حنيفة في رواية الواجب ربعه لأنه عليه الصلاة
والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع والله أعلم وعن طلحة بن مصرف عن أبيه
عن جده قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ والماء يسيل من
وجهه ولحيته على صدره فرأيته يفصل بين المضمضة والاستنشاق رواه أبو داود
وعنه أيضا قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فمضمض ثلاثا واستنشق
ثلاثا من كف واحدة رواه ابن ماجه وفي حديث مسلم أن عثمان دعا بإناء فأفرغ
على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنثر ثم غسل
وجهه ثلاث مرات وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري ثم غسل ومضمض
واستنشق من كف واحدة ثم قال هكذا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
النووي فبيان السنة في المضمضة والاستنشاق أن يأخذ الماء لهما بيمينه قال
وفي الأفضل في كيفية المضمضة والاستنشاق خمسة أوجه الأصح يتمضمض ويستنشق
بثلاث غرفات يتمضمض من كل واحدة ثم يستنشق والثاني يجمع بينهما بغرفة واحدة
يتمضمض ثم يستنشق منها ثلاثا والثالث يجمع أيضا بغرفة واحدة ولكن يتمضمض
منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق والرابع
يفصل بينهما بغرفتين فيتمضمض من إحداهما ثلاثا ثم يستنشق من الأخرى ثلاثا
والخامس يفصل بست غرفات يتمضمض بثلاث غرفات ثم يستنشق بثلاث غرفات
قالوا الصحيح الأول وبه جاءت الأحاديث الصحيحة وقد ذهب الإمام أحمد
وأبو ثور إلى وجوب الاستنشاق وهو أن يبلغ الماء إلى خياشيمه مستدلين بقوله
عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة إذا توضأ أحدكم فليجعل أحدكم في أنفه ما
ثم لينتثر لظاهر الأمر وحمله الجمهور مالك والشافعي وأهل الكوفة على الندب
لقوله عليه الصلاة والسلام للأعرابي توضأ كما أمرك الله وليس في الآية ذكر الاستنشاق
والله أعلم وعند أبي داود كان عليه الصلاة والسلام يمسح المأقين وعن عثمان أنه

صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته رواه الترمذي وابن ماجة وعنده من حديث ابن عمر كان عليه الصلوة والسلام اذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها وعن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ اخذ كفا من ماء فيدخله تحت حنكه ويخلل به لحيته ويقول بهذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود وعن ابي رافع كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ حرك خاتمه رواه ابن ماجة والدارقطني وضعف وعن المستورد بن شداد كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ يدلك اصابع رجليه بخنصره رواه الترمذي وابو داود وابن ماجة وعن عائشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت اليسرى لخلائه وما كان من اذى وعن المغيرة بن شعبة انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وانه ذهب لحاجة له وان مغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضأ رواه البخاري ومسلم وعن صفوان بن عسال صببت على النبي صلى الله عليه وسلم الماء في السفر والحضر في الوضوء رواه ابن ماجة وفي ذلك جواز استعانة الرجل بغيره في صب الماء في الوضوء من غير كراهة وكذا احضار الماء من باب الاولى ولا دليل في هذين الحديثين لجواز الاعانة بالمباشرة وقد روى الحاكم في المستدرك من حديث الربيع بنت معوذ انها قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فقال اسكبي فسكبت عليه وهذا اصرح في عدم الكراهة من الحديثين المذكورين لكونه في الحضر ولكونه بصيغة الطلب والله اعلم وفي الترمذي من حديث معاذ بن جبل كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه وعن عائشة كانت له عليه الصلوة والسلام خرقة ينشف بها بعد الوضوء قال الترمذي هذا الحديث ليس بالقائم وابو معاذ الراوي ضعيف عند اهل الحديث وقد احتجم صلى الله عليه وسلم ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه رواه الدارقطني واكل كتف شاة وصلى ولم يتوضأ رواه البخاري ومسلم وللنسائي كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا فلم يتمضمض ولم يتوضأ وصلى رواه ابو داود واتي بالسويق فامر به فثري فاكل ثم قام الى المغرب فتمضمض رواه البخاري ومسلم والنسائي وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام من النوم ربما توضأ وربما لم يتوضأ لان عينيه تنام ولا ينام قلبه كما في البخاري وغيره وفيه دليل على ان النوم ليس حدثا بل مظنة الحدث فلو احدث لعلم بذلك فتكون الخصوصية شعوره بالوقوع بخلاف غيره قال الخطابي وانما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي يأتيه في منامه ٥ ٥ ٥

الفصل الرابع في مسحه صلى الله عليه وسلم على الخفين

اعلم انه قد صرح جمع من الحفاظ بان المسح على الخفين متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة وقال ابن عبد البر لا اعلم انه قد روي عن احد من فقهاء السلف انكاره

الا عن

الا عن مالك مع ان الروايات الصحيحة عنه مصرحة باثباته وقد اشار الشافعي في الام الى انكار ذلك على المالكية والمعروف المستقر عندهم الآن قولان الجواز مطلقا وثانيهما للمسافر دون المقيم وهذا الثاني مقتضى ما في المدونة وبه جزم ابن الحاجب وقال ابن المنذر اختلف العلماء ايهما افضل المسح على الخفين او نزعهما وغسل الرجلين والذي اختاره ان المسح افضل لاجل من طعن فيه من اهل البدع من الخوارج والروافض وقال النووي مذهب اصحابنا ان الغسل افضل لكونه الاصل لكن بشرط ان لا يترك المسح وقد تمسك من اكتفى بالمسح بقوله تعالى وارجلكم عطفا على وامسحوا برؤسكم فذهب الى ظاهرها جماعة من الصحابة والتابعين وحكي عن ابن عباس في رواية ضعيفة والثابت عنه خلافه وعن عكرمة والشعبي وقتادة الواجب الغسل او المسح وعن بعض اهل الظاهر يجب الجمع بينهما وحجة الجمهور الاحاديث الصحيحة من فعله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ان شاء الله تعالى فانه بيان للمراد واجابوا عن الآية باجوبة منها انه قرئ بالنصب عطفا على ايديكم وقيل معطوف على محل برؤسكم كقوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير بالنصب وقيل المسح في الآية محمول على مشروعية المسح على الخفين فحملوا قراءة الجر على مسح الخفين وقراءة النصب على غسل الرجلين وحمل البيضاوي الجر على الجوار قال ونظيره كثير في القرآن كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليهما ويغسل غسلا يقرب من المسح انتهى وعن المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك قال فتبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الغائط فحملت معه اداوة قبل الفجر فلما رجع اخذت اهريق على يديه من الاداوة فغسل يديه ووجهه وعليه جبة من صوف ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم الجبة فاخرج يديه من تحت الجبة والقى الجبة على منكبيه وغسل ذراعيه ثم مسح بناصيته وعلى العمامة ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما ثم ركب وذكر الحديث رواه مسلم وعند الترمذي من حديث المغيرة ايضا انه صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين على ظاهرهما وعند ابي داود من حديثه ايضا ومسح عليه السلام على الجوربين والنعلين وعنه قال مسح صلى الله عليه وسلم على الخفين فقلت يا رسول الله نسيت قال بل انت نسيت بهذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود واحمد وعن عمرو ابن امية الضمري قال رأيته يمسح على عمامته وخفيه رواه البخاري واحمد وقال علي بن ابي طالب جعل صلى الله عليه وسلم المسح على الخفين ثلاثة ايام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم رواه مسلم ٥

الفصل الخامس في تيممه صلى الله عليه وسلم

اعلم ان التيمم ثابت بالكتاب والسنة والاجماع وهو من خصائص هذه الامة واجمعوا
على ان التيمم لا يكون الا في الوجه واليدين سواء كان من حدث اكبر او عن حدث اصغر
وسواء تيمم عن الاعضاء كلها او بعضها ٥ واختلف في كيفيته فمذهبنا ومذهب
الاكثرين انه لا بد من ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وعن حذيفة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف
الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء
رواه مسلم وفي رواية ابي امامة عند البخاري وجعلت الارض كلها لي ولامتي مسجدا
وطهورا وهذا عام وحديث حذيفة خاص فينبغي ان يحمل العام عليه فتختص الطهورية
بالتراب ومنع بعضهم الاستدلال بلفظ التربة على خصوصية التيمم بالتراب بانه
قال تربة كل مكان ما فيه من تراب وغيره واجيب بانه ورد في الحديث بلفظ التراب
اخرجه ابن خزيمة وغيره وفي حديث علي وجعل لي التراب طهورا اخرجه احمد والبيهقي
باسناد حسن وعن عمار قال جاء رجل الى عمر بن الخطاب فقال اني اجنبت فلم اصب الماء
فقال عمار لعمر اما تذكر انا كنا في سفر انا وانت فاما انت فلم تصل واما انا
فتمعكت فصليت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انما كان يكفيك
هكذا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الارض ونفخ فيهما ثم مسح وجهه وكفيه
رواه البخاري ومسلم واستدل بالنفخ على استحباب تخفيف التراب وسقوط استحباب
التكرار في التيمم لان التكرار يستلزم عدم التخفيف وعن ابي الجهيم بن الحارث
ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي
حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه
ثم رد علي رواه البغوي في شرح السنة وقال حديث حسن وهذا محمول على ان الجدار
كان مباحا او مملوكا لانسان كان يعرف رضاه ٥

الفصل السادس في غسله صلى الله عليه وسلم

والغسل بضم الغين اسم للاغتسال وقيل اذا اريد به الماء فهو مضموم واما المصدر
فيجوز فيه الضم والفتح رواه ابن سيدة وغيره وقيل المصدر بالفتح والاغتسال
بالضم وقيل الغسل بالفتح فعل المغتسل وبالضم الماء الذي يغتسل به وبالكسر
ما يجعل مع الماء كالاشنان وحقيقة الغسل جريان الماء على الاعضاء وحقيقة
الاغتسال غسل جميع الاعضاء مع تمييز ما للعبادة عن العادة بالنية ووجوب
الغسل على الجنب مستفاد من قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا وقوله تعالى
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا ففي الاية
الاولى اجمال وهو قوله تعالى فاطهروا وبينه قوله في الاية الثانية حتى تغتسلوا

ويؤيده قوله تعالى في الحائض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن المفسر
باغتسلن اتفاقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه بغسل
واحد رواه مسلم من حديث انس وعن ابي رافع طاف صلى الله عليه وسلم ذات يوم على
نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه قال فقلت له يا رسول الله الا تجعله غسلا واحدا
آخرا قال هذا ازكى واطيب واطهر رواه احمد وابو داود والنسائي وقد اجمع العلماء
على انه لا يجب الغسل بين الجماعين واما الوضوء فاستحبه الجمهور وقال ابو يوسف
انه لا يستحب واوجبه ابن حبيب من المالكية واهل الظاهر لحديث اذا اتى احدكم
اهله ثم اراد ان يعود فليتوضأ بينهما وضوءا رواه مسلم وحمله بعضهم على الوضوء
اللغوي فقال المراد به غسل الفرج انتهى وقالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا
اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم توضأ كما يتوضأ للصلوة ثم يدخل اصابعه في
الماء فيخلل بها اصول الشعر ثم يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على
جسده كله رواه البخاري ويحتمل ان يكون غسلهما للتنظيف مما بهما ويحتمل ان يكون
هو الغسل المشروع عند القيام من النوم ويدل عليه زيادة ابن عيينة في هذا الحديث
عن هشام قبل ان يدخلهما في الاناء رواه الشافعي والترمذي وزاد ايضا ثم يغسل
فرجه وكذا لمسلم ولابي داود وهي زيادة جليلة لان تقديم غسله يحصل به الامن من
مسه في اثناء الغسل ويحتمل ان يكون الابتداء بالوضوء قبل الغسل سنة مستقلة
بحيث يجب غسل اعضاء الوضوء مع بقية الجسد ويحتمل ان يكتفي بغسلهما في الوضوء عن
اعادته وعلى هذا فيحتاج الى نية غسل الجنابة في اول عضو وانما قدم اعضاء الوضوء
تشريفا لها ولتحصل له صورة الطهارتين الصغرى والكبرى ونقل ابن بطال الاجماع
على ان الوضوء لا يجب مع الغسل وهو مردود فقد ذهب جماعة منهم ابو ثور وداود
وغيرهما الى ان الغسل لا ينوب عن الوضوء للحدث وقوله فيخلل بها اصول الشعر
اي شعر راسه ويدل عليه رواية حماد بن سلمة عن هشام عند البيهقي يخلل بها
شق راسه الايمن فيتبع بها اصول الشعر ثم يفعل بشق راسه الايسر كذلك وقال
القاضي عياض احتج به بعضهم على تخليل شعر اللحية في الغسل اما لعموم قوله اصول الشعر
واما بالقياس على شعر الراس وفائدة التخليل ايصال الماء الى الشعر والبشرة ومباشرة
الشعر باليد ليحصل تعميمه بالماء وهذا التخليل غير واجب اتفاقا الا ان كان الشعر
متلبدا بشيء يحول بين الماء وبين الوصول الى اصوله واختلف في وجوب الدلك فلم
يوجبه الاكثر ونقل عن مالك والمزني وجوبه واحتج ابن بطال بالاجماع على وجوب
امرار اليد على اعضاء الوضوء عند غسلها فيجب ذلك في الغسل قياسا لعدم الفرق بينهما
وتعقب بان جميع من لم يوجب الدلك اجازوا غمس اليد في الماء للمتوضي من غير
امرار فبطل الاجماع وانتفت الملازمة وفي قوله في هذا الحديث ثلاث غرفات استحباب

التثليث في الغسل قال النووي ولا نعلم فيه خلافا الا ما انفرد به الماوردي فانه قال لا يستحب التكرار في الغسل قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ومنه لخصت ما ذكرته قلت وكذا قال الشيخ ابو علي السنجي وكذا قال القرطبي وقالت ميمونة وضعت له صلى الله عليه وسلم ماء للغسل فغسل يديه مرتين او ثلاثا ثم افرغ على شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده بالارض ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم افاض على جسده ثم تحول من مكانه فغسل قدميه رواه البخاري ولم يقيد في هذه الرواية بعدد فيحمل على اقل مسمى الغسل وهو المرة الواحدة لان الاصل عدم الزيادة عليها وفيه مشروعية المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة لقوله ثم مضمض واستنشق وتمسك به الحنفية للقول بوجوبهما وتعقب بان الفعل المجرد لا يدل على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل تعلق به الوجوب وليس الامر هنا كذلك. وعنها توضأ صلى الله عليه وسلم وضوءه للصلاة غير رجليه وغسل فرجه وما اصابه من الاذى ثم افاض عليه الماء ثم نحى رجليه فغسلهما رواه البخاري وفيه التصريح بتاخير الرجلين في وضوء الغسل الخ وهو مخالف لظاهر رواية عائشة ويمكن الجمع بينهما اما بحمل رواية عائشة على المجاز واما بحمله على حالة اخرى وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء فذهب الجمهور الى استحباب تاخير غسل الرجلين. وعن مالك ان كان المكان غير نظيف فالمستحب تاخيرهما والا فالتقديم وعند الشافعية في الافضل قولان قال النووي اصحهما واشهرهما ومختارهما انه يكمل وضوءه قال ولم يقع في شيء من طرق هذا الحديث التنصيص على مسح الراس في هذا الوضوء وتمسك به المالكية لقولهم ان الوضوء للغسل لا يمسح فيه الراس بل يكتفى عنه بغسلها. وعن جبير بن مطعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انا فافيض على راسي ثلاثا واشار بيديه كلتيهما رواه البخاري وفيه عن ابي هريرة قال اقيمت الصلوة وعدلت الصفوف قياما فخرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب فقال لنا مكانكم ثم رجع فاغتسل ثم خرج الينا وراسه يقطر فكبر فصلينا معه وقوله ذكر اي تذكر لا انه قال ذلك لفظا وعلم الراوي بذلك من قرائن او باعلامه له بعد ذلك فظاهر قوله فكبر الاكتفا بالاقامة السابقة فيوخذ منه جواز التخلل الكثير بين الاقامة والدخول في الصلوة وعنده ايضا من حديث ميمونة وضعت للنبي صلى الله عليه وسلم غسلا وسترته بثوب وصب على يديه فغسلهما ثم صب بيمينه على شماله فغسل فرجه فضرب بيده الارض فمسحها ثم غسلها فمضمض واستنشق وغسل وجهه وذراعيه ثم صب على راسه وافاض على جسده ثم تنحى فغسل قدميه فناولته ثوبا فلم ياخذه فانطلق وهو ينفض يديه. وقد استدل بعضهم بقولها فناولته ثوبا فلم ياخذه على كراهة

التنشيف بعد الغسل ولا حجة فيه لانها واقعة حال يتطرق اليها الاحتمال فيجوز ان يكون عدم الاخذ لامر آخر لا يتعلق بكراهة التنشيف بل لامر يتعلق بالخرقة او غير ذلك قال المهلب يحتمل تركه الثوب لابقاء بركة الماء او للتواضع او لشيء راه في الثوب من حرير او وسخ. وقد وقع عند احمد في هذا الحديث عن الاعمش قال فذكرت ذلك لابرهيم النخعي فقال لا باس بالمنديل وانما رده مخافة ان يصير عادة وقال التيمي في شرحه في هذا الحديث دليل على انه كان يتنشف ولولا ذلك لم تاته بالمنديل وقال ابن دقيق العيد نفضه الماء بيده يدل على ان لا كراهة في التنشيف لان كلا منهما ازالة وقال النووي اختلف اصحابنا فيه على خمسة اوجه اشهرها ان المستحب تركه وقيل مكروه وقيل مباح وقيل مستحب وقيل مكروه في الصيف مباح في الشتاء وفي هذا الحديث جواز نفض اليدين من ماء الغسل وكذا ما الوضوء لكن فيه حديث ضعيف اورده الرافعي وغيره ولفظه لا تنفضوا ايديكم في الوضوء فانها مراوح الشيطان قال ابن الصلاح لم اجده وتبعه النووي وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضا للصلوة رواه البخاري وفيه رد على حمل الوضوء هنا على التنظيف. وقوله وتوضا للصلوة اي وضوا شرعيا لا لغويا وليس المراد انه توضا لاداء الصلوة والحكمة فيه انه يخفف الحدث ولا سيما على القول بجواز تفريق الغسل فينويه فيرتفع الحدث عن تلك الاعضاء المخصوصة على الصحيح ويويده ما رواه ابن ابي شيبة بسند رجاله ثقات عن شداد بن اوس الصحابي قال اذا اجنب احدكم من الليل ثم اراد ان ينام فليتوضا فانه نصف غسل الجنابة وقيل الحكمة فيه انه احد الطهارتين فعلى هذا يقوم التيمم مقامه. وقد روى البيهقي باسناد حسن عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اجنب فاراد ان ينام توضا او تيمم ويحتمل ان يكون التيمم هنا عند عسر وجود الماء وقيل غير ذلك انتهى ملخصا من فتح الباري

النوع الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان الصلوة يحصل بها تحقيق العبودية واداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل الى تحقيق سر الصلوة وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على السموات فلله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع الى يوم القيمة وهكذا السجود والقيام والقعود واجتمع فيها ايضا من العبادات ما لم يجتمع في غيرها منها الطهارة والصمت واستقبال القبلة والاستفتاح بالتكبير والقراءة والقيام والركوع والسجود والتسبيح في الركوع والدعاء في السجود الى غير ذلك فهي مجموع عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة وكذا كل فرد فرد وقد امر الله تعالى

نبيه بالصلوة في قوله سبحانه اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة وقال
تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ۞ وفي ذلك كما نبه عليه صاحب كتاب
التنوير امدنا الله بمدده اشارة الى ان في الصلوة تكليفا للنفوس شاقا عليها
لانها تاتي في اوقات ملاذ العباد واشغالهم فيطالبهم بالخروج عن ذلك كله
الى القيام بين يديه والفراغ مما سوى الله تعالى فلذلك قال تعالى واصطبر
عليها قال ومما يدل على ان في القيام بالصلوة تكاليف العبودية وان القيام
على خلاف ما تقتضيه البشرية قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها
لكبيرة الا على الخاشعين فجعل الصبر والصلوة مقترنين اشارة الى انه يحتاج
في الصلوة الى الصبر صبر على ملازمة اوقاتها وصبر على القيام بمسنوناتها وفوا
وصبر بمنع القلوب فيها عن غفلاتها ولذلك قال تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة
الا على الخاشعين فافرد الصلوة بالذكر ولم يفرد الصبر اذ لو كان كذلك لقال
وانه لكبيرة فذلك يدل على ما قلناه او لان الصبر والصلوة مقترنان متلازمان
فكان احدهما هو عين الاخر كما قال تعالى في الاية الاخرى والله ورسوله احق
ان يرضوه انتهى ملخصا ثم ان الكلام فيها ينقسم الى خمسة اقسام **القسم الاول**
في الفرائض وما يتعلق بها وفيه ابواب ۞ **الاول** في الصلوات الخمس وفيه **فصول**
الاول في فرضها ۞ عن انس قال فرضت على النبي صلى الله عليه وسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة اسري به خمسون صلوة ثم نقصت حتى جعلت خمسا ثم نادى يا محمد انه
لا يبدل القول لدي وان لك بهذه الخمس خمسين رواه الترمذي هكذا مختصرا ورواه
البخاري ومسلم في حديث طويل تقدم في مقاصد الاسراء مع ما فيه من المباحث وعن
ابن عباس قال فرض الله الصلوة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين
وفي الخوف ركعة رواه مسلم وابو داود والنسائي وقوله في الخوف ركعة محمول على
ان المراد ركعة مع الامام وينفرد بالاخرى وعن عائشة فرض الله الصلوة حين فرضها
ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت صلوة السفر على الفريضة الاولى رواه البخاري
وعنده في كتاب الهجرة من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت فرضت الصلوة
ركعتين ثم هاجر صلى الله عليه وسلم ففرضت اربعا فتبين في هذه الرواية ان الزيادة
في قوله في الحديث الذي قبله وزيد في صلوة الحضر وقعت بالمدينة وقد اخذ بظاهر
هذا الحديث الحنفية وبنوا عليه ان القصر في السفر عزيمة لا رخصة واحتج مخالفهم
بقوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة لان نفي الجناح لا يدل على العزيمة
والقصر انما يكون من شيء اطول منه ويدل على انه رخصة ايضا قوله عليه السلام صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم واما خبر فرضت الصلوة ركعتين
اي في السفر فمعناه لمن اراد الاقتصار عليهما جمعا بين الاخبار قاله في المجموع ۞

الفصل الثاني في ذكر تعيين الاوقات التي صلى

صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس عن جابر ان جبريل عليه السلام اتى النبي
صلى الله عليه وسلم يعلمه مواقيت الصلوة فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه
وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت
الشمس واتاه حين كان الظل مثل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول الله صلى
الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العصر ثم اتاه
حين وجبت الشمس فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى المغرب ثم اتاه حين غاب الشفق فتقدم
جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصلى العشاء ثم اتاه حين انشق الفجر فتقدم جبريل ورسول الله صلى
الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الغداة
ثم اتاه في اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع كما صنع بالامس
فصلى الظهر ثم اتاه حين كان ظل الرجل مثلي شخصه فصنع كما صنع بالامس
فصلى العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس فصنع كما صنع بالامس فصلى المغرب
ثم اتاه حين غاب الشفق فصنع كما صنع بالامس فصلى العشاء ثم اتاه حين امتد
الفجر واصبح والنجوم بادية مشتبكة وصنع كما صنع بالامس فصلى الغداة ثم
قال ما بين هاتين الصلاتين وقت رواه النسائي وفي رواية قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وكان الفيء قدر الشراك
ثم صلى العصر حين كان الفيء قدر الشراك وظل الرجل ثم صلى المغرب حين غابت
الشمس ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين طلع الفجر ثم صلى الغد
اي الظهر حين كان الظل طول الرجل ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل مثليه ثم صلى
المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشاء الى ثلث الليل او نصف الليل شك احد رواته
ثم صلى الفجر فاسفر ۞ وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم امني جبريل عند البيت
مرتين فصلى الظهر في الاولى حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر حين صار
ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وافطر الصائم ثم صلى العشاء حين
غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم وصلى المرة الثانية
الظهر حين كان ظل كل شيء مثله كوقت العصر بالامس ثم صلى العصر حين صار ظل كل شيء
مثليه ثم صلى المغرب كوقته الاول ثم صلى العشاء الاخرة حين ذهب ثلث الليل
ثم صلى الصبح حين اسفر ثم التفت الي جبريل ثم قال يا محمد هذا وقت الانبياء من
قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين رواه الترمذي وغيره وقوله صلى بي الظهر

حين كان ظل كل شيء مثله اي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الاول حينئذ
فلا اشتراك بينهما في وقت ويدل له حديث مسلم وقت الظهر اذا زالت الشمس ما لم يحضر
العصر • وقوله في حديث جابر فصلى الظهر حين زالت الشمس يقتضي جواز فعل الظهر
اذا زالت الشمس ولا ينتظر بها وجوبا ولا ندبا مصير الفيء مثل الشراك كما اتفق
عليه ائمتنا ودلت عليه الاخبار الصحيحة • واما حديث ابن عباس فالمراد به انه
حين زالت الشمس كان الفيء حينئذ مثل الشراك لا انه اخر الى ان صار مثل الشراك
ذكره في المجموع • وقد بين ابن اسحاق في المغازي ان صلوة جبريل صلى الله عليه
وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت الصلوة فيها وهي ليلة الاسرا ولفظه قال
نافع بن جبير وغيره لما اصبح صلى الله عليه وسلم من الليلة التي اسري به لم يرعه
الا جبريل نزل حين زاغت الشمس ولذلك سميت الاولى اي صلوة الظهر فامر فصيح
باصحابه الصلوة جامعة فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس
فذكر الحديث • وفيه رد على من زعم ان بيان الاوقات انما وقع بعد الهجرة والحق
ان ذلك وقع قبلها ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم وانما
دعاهم بقوله الصلوة جامعة لان الاذان لم يكن شرع حينئذ واستدل بهذا الحديث
على جواز الايتمام بمن يأتم بغيره ويجاب عنه بما يجاب عن قصة ابي بكر في
صلاته خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصلوة الناس خلفه فانه محمول على انه كان
مبلغا فقط كما سيأتي تقريره ان شاء الله تعالى • وقد صلى صلى الله عليه وسلم
العصر والشمس في حجرة عائشة لم يظهر الفيء من حجرتها رواه البخاري ومسلم وقال
انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس مرتفعة حية فيذهب
الذاهب الى العوالي فياتيهم والشمس مرتفعة وبعض العوالي من المدينة على اربعة
اميال رواه البخاري وفي ذلك دليل على تعجيله صلى الله عليه وسلم بصلوة العصر لوصف
الشمس بالارتفاع بعد ان يمضي مسافة اربعة اميال والمراد بالشمس ضوؤها • وعن
سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب اذا غربت الشمس وتوارت
بالحجاب رواه البخاري ومسلم والترمذي • وعن رافع بن خديج كنا نصلي المغرب مع
النبي صلى الله عليه وسلم فينصرف احدنا وانه ليبصر مواقع نبله رواه البخاري ومسلم
والنبل بفتح النون السهام العربية اي يبصر مواقع سهامه اذا رمى بها ومقتضاه
المبادرة بالمغرب في اول وقتها بحيث ان الفراغ منها يقع والضوء باق وكان صلى
الله عليه وسلم اذا كان الحر ابرد بالصلوة واذا كان البرد عجل رواه النسائي
من حديث انس ويؤخر العصر ما دامت الشمس بيضاء نقية رواه ابو داود من رواية
علي بن شيبان وقال عليه السلام اذا قدم العشا فابدؤا به قبل صلوة المغرب ولا
تعجلوا عن عشائكم رواه البخاري ومسلم وعند ابي داود لا تؤخروا الصلوة لطعام

ولا لغيره • واعتم صلى الله عليه وسلم بالعشاء ليلة حتى ناداه عمر الصلوة نام النساء
والصبيان فخرج صلى الله عليه وسلم فقال ما ينتظرها من اهل الارض احد غيركم
قال ولا يصلى يومئذ الا بالمدينة وكانوا يصلون فيما بين ان يغيب الشفق الى ثلث
الليل الاول زاد في رواية وذلك قبل ان يفشو الاسلام • وفي رواية فخرج
ورأسه يقطر يقول لولا ان اشق على امتي او على الناس لامرتهم بالصلوة هذه الساعة
رواه البخاري ومسلم • وفي رواية ابي داود من حديث ابي سعيد فلم يخرج حتى مضى
نحو من شطر الليل فقال خذوا مقاعدكم فاخذنا مقاعدنا فقال ان الناس قد صلوا
واخذوا مضاجعهم وانكم لن تزالوا في صلوة ما انتظرتم الصلوة ولولا ضعف الضعيف
وسقم السقيم لاخرت هذه الصلوة الى شطر الليل • وفي حديث ابي هريرة لولا ان
اشق على امتي لامرتهم ان يؤخروا العشا الى ثلث الليل او نصفه صححه الترمذي
فعلى هذا من وجد به قوة على تاخيرها ولم يغلبه النوم ولم يشق على احد من المأمومين
فالتاخير في حقه افضل وقد قرر النووي ذلك في شرح مسلم وهو اختيار كثير من
اهل الحديث من الشافعية وغيرهم وقال الطحاوي يستحب الى الثلث وبه قال
مالك واحمد واكثر الصحابة والتابعين وهو قول الشافعي في الجديد وقال في
القديم التعجيل افضل وكذا قال في الاملاء وصححه النووي وجماعة وقالوا انه مما
يفتى به على القديم وتعقب بانه ذكره في الاملاء وهو من كتبه الجديدة والمختار
من حيث الدليل افضلية التاخير قاله في فتح الباري •

الفصل الثالث في ذكر كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم

وفيه فروع **الاول** في صفة افتتاحه صلى الله عليه وسلم • روى ابو داود انه
عليه الصلوة والسلام سمع بلالا يقيم الصلوة فلما قال قد قامت الصلوة قال
اقامها الله وادامها وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلوة بالتكبير من حديث
عائشة وروى البخاري عن ابن عمر قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم افتتح التكبير
في الصلوة واستدل بهما على تعيين لفظ التكبير دون غيره من الفاظ التعظيم وهو
قول الجمهور ووافقهم ابو يوسف وعن الحنفية تنعقد بكل لفظ يقصد به التعظيم
وقد روى البزار باسناد صحيح على شرط مسلم عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا قام الى الصلوة قال الله اكبر ولاحمد والنسائي من طريق واسع بن حبان
انه سال ابن عمر عن صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله اكبر كلما وضع
ورفع ولتعلم ان تكبيرة الاحرام ركن عند الجمهور وقيل شرط وهو مذهب الحنفية
ووجه عند الشافعية وقيل سنة قال ابن المنذر لم يقل به احد غير الزهري ولم
يختلف احد في ايجاب النية في الصلوة قال البخاري في اواخر الايمان باب ما جاء في

قوله عليه الصلاة والسلام الأعمال بالنية فدخل فيه الإيمان والوضوء والصلاة والزكاة وقال ابن القيم في الهدي النبوي كان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة قال الله أكبر ولم يقل شيئا قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال أصلي صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات إماما أو مأموما ولا أداء ولا قضاء ولا فرض الوقت قال وهذه عشر بدع لم ينقل عنه أحد قط بإسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة واحدة البتة بل ولا عن أحد من الصحابة ولا استحسنه أحد من التابعين ولا الأئمة الأربعة وقول الشافعي في الصلاة إنها ليست كالصيام فلا يدخل أحد فيها إلا بذكر أي تكبيرة الإحرام ليس إلا وكيف يستحب الشافعي أمرا لم يفعله صلى الله عليه وسلم في صلاة واحدة ولا أحد من الصحابة انتهى. وعبارة الشافعي في كتاب المناسك ولو نوى الإحرام بقلبه ولم يلب أجزأه وليس كالصلاة لأن في أولها نطقا واجبا هذا نصه وقد قال الشيخ أبو علي السنجي في شرح التلخيص وابن الرفعة في المطلب والزركشي في الديباج وغيرهم إنما أراد الشافعي بذلك تكبيرة الإحرام فقط انتهى. وبالجملة فلم ينقل أحد أنه عليه السلام تلفظ بالنية ولا علم أحدا من أصحابه التلفظ بها ولا أقر على ذلك بل المنقول عنه في السنن أنه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفي الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام لما علم المسيء صلاته قال له إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن فلم يأمره بالتلفظ بشيء قبل التكبير نعم اختلف العلماء في التلفظ بها فقال قائلون بدعة لأنه لم ينقل فعله وقال آخرون هو مستحب لأنه عون على استحضار النية القلبية وعبادة اللسان كما أنه عبودية للقلب والأفعال المنوية عبودية الجوارح ونحو ذلك أجاب الشيخ تقي الدين السبكي والحافظ عماد الدين بن كثير وأطنب ابن القيم في الهدي النبوي في رد الاستحباب وأكثر في الاستدلال بما في ذكره طول يخرجنا عن المقصود لا سيما والذي استقر عليه أصحابنا استحباب النطق بها وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين من حديث أنس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا يقول لبيك عمرة وحجا وفي البخاري من حديث عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بوادي العقيق أتاني الليلة آت من ربي فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة وهذا تصريح باللفظ والحكم كما ثبت بالنص يثبت بالقياس لكن تعقب هذا بأنه عليه السلام قال ذلك في ابتداء إحرامه تعليما للصحابة ما يهلون به ويقصدونه من النسك وامتثالا للأمر الذي جاءه من ربه تعالى في ذلك الوادي ولقد صلى عليه الصلاة والسلام أكثر من ثلاثين ألف صلاة فلم ينقل عنه أنه قال نويت أصلي صلاة كذا وكذا وتركه سنة كما أن فعله سنة فليس لنا أن نسوي بين ما فعله

وتركه فيأتي من القول في الموضع الذي تركه بنظير ما أتى به في الموضع الذي فعله والفرق بين الحج والزكاة أظهر من أن يقاس أحدهما على الآخر انتهى ما قاله هذا المتعقب فليتأمل. وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى تكونا حذو منكبيه ثم يكبر فإذا أراد أن يركع فعل مثل ذلك فإذا رفع رأسه من الركوع فعل مثل ذلك. وفي رواية وإذا رفع من الركوع رفعهما كذلك أيضا وقال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد. وفي أخرى نحوه وقال ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع من السجود رواه البخاري ومسلم. وعند أبي داود من حديث علقمة كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من سجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع حين افتتح وهو قطعة من حديث رواه أيضا الترمذي. وكان يكبر في كل خفض ورفع رواه مالك. وقال النووي أجمعت الأمة على استحباب رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام واختلفوا فيما سواها فقال الشافعي وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة يستحب أيضا رفعهما عند الركوع وعند الرفع منه وهو رواية عن مالك وللشافعي قول أنه يستحب رفعهما في موضع رابع وهو إذا قام من التشهد الأول وهذا القول هو الصواب فقد صح فيه حديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعله رواه البخاري. وكان صلى الله عليه وسلم يضع يده اليمنى على اليسرى رواه أبو داود ومذهب الشافعي والأكثرين أن المصلي إذا وضع يديه حطهما تحت صدره فوق سرته. وقال أبو حنيفة وبعض الشافعية تحت سرته. وكان عليه الصلاة والسلام يسكت بين التكبير والقراءة إسكاتة فقال له أبو هريرة يا رسول الله بأبي أنت وأمي إسكاتك بين التكبير وبين القراءة ما تقول قال أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد رواه البخاري ومسلم. وعن علي كان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة. وفي رواية إذا افتتح الصلاة كبر ثم قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت عبدي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك أنا بك وإليك وأتوب إليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك الحديث رواه مسلم. وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك

وتعالى جدك ولا اله غيرك رواه الترمذي وابو داود وعن جبير بن مطعم انه رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلوة قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان
الله بكرة واصيلا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال ابن عمر نفخه
الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة رواه ابو داود وعن محمد بن مسلمة قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي تطوعا قال الله اكبر وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وذكر الحديث مثل حديث جابر
الا انه قال وانا من المسلمين ثم قال اللهم انت الملك لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
ثم يقرأ رواه النسائي

الفرع الثاني في ذكر قرائته صلى الله عليه وسلم

البسملة في اول الفاتحة روى ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفتتح الصلوة ببسم الله الرحمن الرحيم رواه ابو داود وقال الترمذي ليس اسناده
بذاك ورواه الحاكم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر
ببسم الله الرحمن الرحيم ثم قال صحيح وفي صحيح ابن خزيمة عن ام سلمة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في اول الفاتحة في الصلوة وعدها اية لكنه من
رواية عمر بن هارون البلخي وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة عنها وروى
الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه في تفسيره عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم احديهن
وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وهي ام الكتاب ورواه الدارقطني ايضا عن ابي
هريرة مرفوعا بنحوه او مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن عباس
وابي هريرة انهم فسروا قوله سبعا من المثاني بالفاتحة وان البسملة هي الاية السابعة
منها وعن شعبة عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا
يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين رواه البخاري اي كانوا يفتتحون بالفاتحة
وفي رواية مسلم فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم كذا اخرجه مسلم وغيره
لكنه حديث معلول اعله الحفاظ كما هو في كتب علوم الحديث وفي شرح الفية العراقي
لشيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي امتع الله بوجوده في باب المعلل ما نصه وعلة
المتن القادحة فيه كحديث نفي قراءة البسملة في الصلوة المروي عن انس اذ ظن راو
من رواته حين سمع قول انس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين نفي البسملة
فنقله مصرحا بما ظنه وقال لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في آخرها
وفي لفظ فلم يكونوا يفتتحون القراءة ببسم الله وصار بمقتضى ذلك حديثا مرفوعا
والراوي لذلك مخطئ في ظنه وكذا قال الشافعي رحمه الله في الام ونقله عنه

الترمذي

الترمذي في جامعه المعنى انهم يبتدؤون بقراءة ام القرآن قبل ما يقرأ بعدها لا انهم
يتركون البسملة اصلا ويتأيد بثبوت تسميته ام القرآن بجملة الحمد لله رب العالمين
في صحيح البخاري وكذا بحديث قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد
الرحمن ويمد الرحيم اخرجه البخاري في صحيحه وكذا صححه الدارقطني والحازمي وبين
انه لا علة له لان الظاهر كما اشار اليه ابو شامة ان قتادة لما سأل انسا عن
الاستفتاح في الصلوة باي سورة واجابه بالحمد لله سأله عن كيفية قراءته
فيها وكانه لم يرد ابهام السائل لما نعلمه من تعنيته لقتادة خصوصا وهو السائل
اولا وقد اخرج ابن خزيمة في صحيحه وصححه الدارقطني ان ابا سلمة سعيد بن يزيد
سأل انسا اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بالحمد لله او ببسم الله
فقال لا احفظ فيه شيئا. قال وهذا مما يتأيد به خطأ النافي ولكن قد روي هذا
الحديث عن انس جماعة منهم حميد وقتادة والتحقيق ان المعلل رواية حميد خاصة
اذ رفعها وهم من الوليد بن مسلم عن مالك عنه بل ومن بعض اصحاب حميد ايضا
عنه فانه في سائر الموطآت عن مالك صليت وراء ابي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان
لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فيه وكذا الذي عند
سائر حفاظ اصحاب حميد عنه انما هو في الوقف خاصة وبه صرح ابن معين عن ابن ابي
عدي حيث قال ان حميدا كان اذا رواه عن انس لم يرفعه واذا قال فيه عن قتادة
عن انس رفعه. واما رواية قتادة وهي من رواية الوليد بن مسلم وغيره عن الاوزاعي
ان قتادة كتب اليه يخبره ان انسا حدثه قال صليت فذكره بلفظ لا يذكرون بسم الله
الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في آخرها فلم تتفق اصحابه عنه على هذا اللفظ بل
اكثرهم لا ذكر عندهم للنفي فيه وجماعة منهم بلفظ فلم يكونوا يجهرون ببسم الله
وممن اختلف عليه فيه اصحاب شعبة فجماعة منهم عنه لا ذكر عندهم فيه للنفي
وابو داود الطيالسي فقط حسبما وقع من طريق غير واحد عنه بلفظ فلم يكونوا
يفتتحون القراءة ببسم الله وهي موافقة للاوزاعي وابو عمر الدوري وكذا الطيالسي
وغندر ايضا بلفظ فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله وكذا اختلف على قتادة من
اصحاب انس فاسحاق بن ابي طلحة وثابت البناني باختلاف عليهما ومالك بن دينار
ثلاثتهم عن انس بدون نفي واسحاق وثابت ايضا ومنصور بن زاذان وابو قلابة
وابو نعامة كلهم عنه باللفظ النافي للجهر خاصة ولفظ اسحاق منهم يفتتحون القراءة
بالحمد لله رب العالمين فيما يجهر فيه وحينئذ فطريق الجمع بين هذه الروايات كما قال
شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله ممكن بحمل نفي القراءة على نفي السماع ونفي
السماع على نفي الجهر ويؤيده ان لفظ رواية منصور بن زاذان فلم يسمعنا قراءة بسم الله

وأصح منه رواية الحسن عن أنس كما عند ابن خزيمة كانوا يسرون ببسم الله وبهذا الجمع
زالت دعوى الاضطراب كما أنه ظهر أن الأوزاعي الذي رواه عن قتادة مكاتبة مع
كون قتادة ولد أكمه وكاتبه مجهول لعدم تسميته لم ينفرد به وحينئذ فيجاب عن
قول أنس لا أحفظه بأن المثبت مقدم على النافي خصوصا وقد تضمن النفي عدم
استحضار أنس رضي الله عنه لأهم شيء يستحضره وبإمكان نسيانه حين سؤال أبي سلمة
له وتذكره له بعد فإنه ثبت أن قتادة سأله أيقرأ الرجل في الصلاة ببسم الله ويحتاج
إذا استقر محمل حديث أنس على نفي الجهر إلى دليل فقال صليت وراء رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ ببسم الله ويحتاج إذا استقر محمل
حديث أنس على نفي الجهر إلى دليل له وإن لم يكن من مباحثنا وقد ذكر الشارح له دليلا
وأسنده شيخنا يعني الحافظ ابن حجر لما يؤخذ منه ذلك بل قال إن قول نعيم المجمر
صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ ولا الضالين
وقال الناس آمين وكان كلما سجد وإذا قام من السجود في الاثنتين يقول الله أكبر
وإذا سلم يقول والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم
أصح حديث ورد فيه ولا علة له وممن صححه ابن خزيمة وابن حبان ورواه النسائي
والحاكم وقد بوب عليه النسائي الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ولكن تعقب
الاستدلال به باحتمال أن يكون أبو هريرة أراد بقوله أشبهكم صلاة في معظم
الصلاة لا في جميع أجزائها لا سيما وقد رواه عنه جماعة غير نعيم بدون ذكر البسملة
وأجيب بأن نعيما ثقة فزيادته مقبولة والخبر ظاهر في جميع الأجزاء فيحمل
على عمومه حتى يثبت دليل يخصصه ومع ذلك فيطرقه احتمال أن يكون سماع نعيم لها
من أبي هريرة حال مخافتته لقربه منه وقد قال الإمام فخر الدين الرازي في تصنيف
له في الفاتحة روى الشافعي بإسناده وكذا رواه الحاكم في مستدركه أن معاوية
قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض إلى الركوع
والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والأنصار يا معاوية أسرقت الصلاة أين
بسم الله الرحمن الرحيم أين التكبير عند الركوع والسجود فأعاد الصلاة مع التسمية
والتكبير ثم قال الشافعي وكان معاوية سلطانا عظيم القوة شديد الشوكة فلولا
أن الجهر بالتسمية والتكبير كان كالأمر المقرر عند كل الصحابة من المهاجرين والأنصار
لما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسببه كذا انتهى وهو حديث حسن أخرجه الحاكم
في صحيحه والدارقطني وقال إن رجاله ثقات ثم قال الإمام بعد وقد بينا
أن هذا يعني الإنكار المتقدم يدل على أن الجهر بهذه الكلمة كالأمر المتواتر فيما
بينهم وكذا قال الترمذي عقب إيراده بعد أن ترجم بالجهر بالبسملة حديث معتمر
ابن سليمان عن إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان عن أبي خالد الوالبي الكوفي عن ابن عباس

قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ووافقه على
تخريجه الدارقطني وأبو داود وضعفه بل وقال الترمذي ليس إسناده بذاك
والبيهقي في المعرفة واستشهد له بحديث سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم يمد بها
صوته الحديث وهو عند الحاكم في مستدركه أيضا ما نصه وقد قال بهذا عدة من
أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو هريرة وابن عمر وابن الزبير
ومن بعدهم من التابعين رووا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبه يقول الشافعي
انتهى وقال الشيخ أبو شامة بن النقاش والذي يروم تحقيق هذه المسألة
ينبغي أن يعرف أن هذه المسألة بعلم القراءات أمس وذلك أن من القراء الذين صحت
قراءتهم وتواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان يقرأها آية من الفاتحة وهم عاصم
وحمزة والكسائي وابن كثير وغيرهم من الصحابة والتابعين ومنهم من لا يعدها
آية من الفاتحة كابن عامر وأبي عمرو ونافع في رواية عنه وحكم قراءتها في الصلاة حكم
قراءتها خارجها فمن قرأ على قراءة من جعلها من أم القرآن لزمه فرضا أن يقرأها ومن
قرأ على قراءة من لم يرها من أم القرآن فهو مخير بين القراءة والترك فحينئذ الخلاف فيها
كالخلاف في حرف من حروف القرآن وكلا القولين صحيح ثابت لا مطعن على مثبته
ولا منفيه ولا ريب أن النبي صلى الله عليه وسلم تارة قرأها وتارة لم يقرأها
هذا هو الإنصاف ثم قال والمستيقن الذي يجب المصير إليه أن كلا من العملين ثابت
لأنه لا يختلف اثنان من أهل الإسلام أن هذه القراءات السبع كلها حق مقطوع بها
من عند الله وليست هذه أول كلمة ولا أول حرف اختلف في إثباته وحذفه وكل سورة
من القرآن ليس فيها ذلك كلفظ هو في سورة الحديد هو الغني الحميد ولفظ من في
سورة التوبة في قوله تعالى جنات تجري من تحتها الأنهار وألفات عديدة وواوات
وهاآت كذلك وكل هذا من نتيجة كون القرآن نزل على سبعة أحرف وهذا هو الذي
يدلك على بطلان قول من لم يجعلها من الفاتحة لموضع اختلاف الناس فيها وقوله
إن الاختلاف لا يثبت معه قرآن فما أدري ما هذا الظن وهذا الذي ذكرناه
هو الذي يحصل من تلك التقريرات من الجانبين ثم قال ولا ريب أن الواقع
من النبي صلى الله عليه وسلم كلا الأمرين من الجهر والإسرار فجهر واستغرب أن إسراره
كان أكثر من جهره وقد صح في الجهر أحاديث لا مطعن فيها للمنصف نحو ثلاثة
أحاديث كما أنه قد صح في الإسرار أحاديث لا مطعن فيها لعار من العصبية
ولا يلتفت لقول من يقول إن الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم كان الجهر فقط
انتهى وقيل لبعض العارفين بماذا ترى ظهر اسم الإمام الشافعي وعلت كلمته قال
أرى ذلك بإظهاره اسم الله في البسملة بكل صلاة انتهى ٥ ٥ ٥ ٥

الفرع الثالث في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم

الفاتحة وقوله آمين بعدها ه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ غير المغضوب
عليهم ولا الضالين قال آمين ومد بها صوته وفي رواية وخفض بها صوته رواه الترمذي
وفي رواية ابي داود ورفع بها صوته وفي رواية له جهر بآمين وقال ابن شهاب وكان
صلى الله عليه وسلم اذا قال ولا الضالين جهر بآمين اخرجه السراج ولابن حبان من رواية
الزبيدي عن ابن شهاب كان اذا فرغ من قراءة ام القرآن رفع صوته وقال آمين وللحميدي
من طريق سعيد المقبري عن ابي هريرة بنحوه بلفظ اذا قال ولا الضالين ولابي داود
وصححه ابن حبان من حديث وائل بن حجر نحو رواية الزبيدي وفيه رد على من اومأ الى النسخ
فقال انما كان صلى الله عليه وسلم يجهر بآمين في ابتداء الاسلام ليعلمهم فان وائل بن حجر
انما اسلم في اواخر الامر ه ه ه ه ه ه ه

الفرع الرابع في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم

بعد الفاتحة في صلوة الغداة ه عن ابي برزة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلوة الغداة
ما بين الستين الى المائة رواه النسائي وعن عمرو بن حريث انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في الفجر والليل اذا عسعس رواه مسلم وفي رواية النسائي انه صلى الله عليه وسلم
قرأ في الفجر اذا الشمس كورت وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر بق
والقرآن المجيد ونحوها وكانت قراءته بعد تخفيفا رواه مسلم وعن عبد الله بن السائب
قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنون حتى جاء
ذكر موسى وهارون او ذكر عيسى شك الراوي او اختلف عليه اخذت النبي صلى الله عليه وسلم
سعلة فركع الحديث رواه مسلم قال النووي فيه جواز قطع القراءة وجواز القراءة
ببعض السورة وكرهه مالك انتهى وتعقب بان الذي كرهه مالك على من يقتصر
على بعض السورة مختارا والمستدل به ظاهر في انه كان للضرورة فلا يرد عليه وكذا يرد
على من استدل به على انه لا يكره قراءة بعض الآية اخذا من قوله حتى جاء ذكر موسى وهارون
او ذكر عيسى لان كلا من الموضعين يقع في وسط آية نعم الكراهة لا تثبت الا بدليل
وادلة الجواز كثيرة وفي حديث زيد بن ثابت انه صلى الله عليه وسلم قرأ الاعراف في
الركعتين وام ابو بكر بالصحابة في صلوة الصبح بسورة البقرة قرأها في الركعتين وهذا
اجماع منهم وقرأ في الصبح اذا زلزلت في الركعتين كلتيهما قال الراوي فلا ادري انسي
ام قرأ ذلك عمدا رواه ابو داود وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صبح الجمعة الم تنزيل
السجدة وهل اتى على الانسان حين من الدهر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي
والنسائي من حديث ابي هريرة وانما كان يقرؤهما كاملتين وقراءة بعضهما اخلاف السنة

وانما كان يقرأهما لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق آدم ودخول الجنة والنار
واحوال يوم القيامة لان ذلك يقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية في العلم المشهور وقرره
تقريرا حسنا كما افاده ابن حجر قال وقد ورد في حديث ابن مسعود التصريح بمداومته
صلى الله عليه وسلم على قراءتهما في صبح الجمعة اخرجه الطبراني ولفظه يديم ذلك واصله
في ابن ماجة لكن بدون هذه الزيادة ورجاله ثقات لكن صوب ابو حاتم ارساله قال
وكان ابن دقيق العيد لم يقف عليه فقال في الكلام على حديث الباب ليس في حديث الباب
ما يقتضي فعل ذلك دائما اقتضاء قويا وهو كما قال بالنسبة لحديث الباب فان الصيغة
ليست نصا في المداومة لكن الزيادة المذكورة نص في ذلك ولهذه الزيادة شاهد من
حديث ابن عباس بلفظ كل جمعة اخرجه الطبراني في الكبير واما تعيين السورة للركعة
فورد من حديث علي عند الطبراني بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعة
الاولى من صلوة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل وفي الركعة الثانية هل اتى على الانسان
وقد اختلف تعليل المالكية لكراهة قراءة السجدة في الصلوة فقيل لكونها تشتمل على زيادة
سجود في الفرض قال القرطبي وهو تعليل فاسد بشهادة هذا الحديث وقيل
لخشية التخليط على المصلين ومن ثم فرق بعضهم بين الجهرية والسرية لان الجهرية
يؤمن معها التخليط لكن صح من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة فيها
سجدة في صلوة الظهر فسجد بهم فيها رواه ابو داود والحاكم فبطل التفرقة ومنهم
من علل الكراهة بخشية اعتقاد العوام انها فرض قال ابن دقيق العيد اما
القول بالكراهة مطلقا فيأباه الحديث لكن اذا انتهى الحال الى وقوع هذه المفسدة
فينبغي ان تترك احيانا لتندفع فان المستحب قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة
وهو يحصل في بعض الاوقات انتهى وقال صاحب المحيط من الحنفية يستحب
قراءتها في صبح يوم الجمعة بشرط ان يقرأ غير ذلك احيانا لئلا يظن الجاهل انه لا يجزي غيره
قال ولم ار في شيء من الطرق التصريح بانه صلى الله عليه وسلم سجد لما قرأ سورة الم تنزيل
في هذا المحل الا في كتاب الشريعة لابن ابي داود من طريق اخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال غدوت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة في صلوة الفجر فقرأ سورة فيها سجدة
فسجد الحديث وفي اسناده من ينظر في حاله انتهى وعن علي عند الطبراني في المعجم الاوسط
ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في الصبح يوم الجمعة في الم تنزيل وهذه الزيادة حسنة
تدفع احتمال ان يكون قرأ السورة ولم يسجد ه ه

الفرع الخامس في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم

في صلوة الظهر والعصر ه عن ابي قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر في
الاوليين بام الكتاب وسورتين وفي الركعتين الاخريين بام الكتاب ويسمعنا الآية

احيانا ويطول في الركعة الاولى ما لا يطول في الركعة الثانية وهكذا في العصر وهكذا في الصبح رواه البخاري ومسلم قال الشيخ تقي الدين السبكي كان السبب في تطويل الاولى على الثانية ان النشاط في الاولى يكون اكثر فناسب التخفيف في الثانية حذرا من الملل انتهى وروى عبد الرزاق عن معمر عن يحيى آخر هذا الحديث فظننا انه يريد بذلك ان يدرك الناس الركعة الاولى وعن ابي سعيد الخدري قال كنا نحزر اي نقدر قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر والعصر فحزرنا قيامه في الركعتين الاوليين من الظهر قدر الم تنزيل السجدة وفي رواية في كل ركعة قدر ثلاثين آية وحزرنا قيامه في الاخريين قدر النصف من ذلك وحزرناه في الركعتين الاوليين من العصر على قدر قيامه في الاخريين من الظهر وفي الاخريين من العصر على النصف رواه مسلم وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرا في الظهر بالليل اذا يغشى وفي رواية بسبح اسم ربك الاعلى وفي العصر نحو ذلك الحديث رواه مسلم وعنه كان يقرا في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق رواه ابو داود والترمذي وعن البراء كنا نصلي خلفه صلى الله عليه وسلم الظهر فنسمع منه الآية بعد الآيات من لقمان والذاريات رواه النسائي قال ابن دقيق العيد فيه دليل على جواز الاكتفاء بظاهر الحال في الاخبار دون التوقف على اليقين لان الطريق الى العلم بقراءة السورة في السرية لا يكون الا بسماع كلها وانما يفيد تعيين ذلك لو كان في الجهرية وكانه ماخوذ من سماع بعضها مع قيام القرينة على قراءة باقيها ويحتمل ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم عقيب الصلاة دائما او غالبا بقراءة السورتين وهو بعيد جدا انتهى وعن انس قرا صلى الله عليه وسلم في الظهر بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية رواه النسائي وعن ابي سعيد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم ياتي اهله فيتوضا ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى رواه مسلم ه

الفرع السادس في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم

في صلاة المغرب ه عن ام الفضل بنت الحارث قالت سمعته صلى الله عليه وسلم يقرا بالمرسلات عرفا رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية انها لآخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرح عقيل في روايته عن ابن شهاب انها آخر صلاة صلاها صلى الله عليه وسلم ولفظه ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله اورده البخاري في باب الوفاة وعنده في باب انما جعل الامام ليؤتم به من حديث عائشة ان الصلاة التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه في مرض موته كانت الظهر وجمع بينهما بان الصلاة التي حكتها عائشة كانت في المسجد والتي حكتها ام الفضل

كانت

كانت في بيته كما رواه النسائي لكن يعكر عليه رواية ابن اسحاق عن ابن شهاب في هذا الحديث بلفظ خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب راسه في مرضه فصلى المغرب الحديث رواه الترمذي ويمكن حمل قولها فخرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من مكانه الذي هو راقد فيه الى من في البيت فصلى فتلتئم الروايات وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور رواه البخاري ومسلم زاد البخاري في الجهاد وكان جبير بن مطعم جاء في اسارى بدر وزاد الاسماعيلي وهو يومئذ مشرك وللبخاري في المغازي وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وللطبراني فاخذني من قراءته الكرب ولسعيد بن منصور فكانما صدع قلبي وفي قوله سمعته صلى الله عليه وسلم دليل على الجهر بها والله اعلم وعن مروان بن الحكم قال لي زيد بن ثابت ما لك تقرا في المغرب بقصار المفصل وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا بطولى الطوليين رواه البخاري زاد ابو داود قلت وما طولى الطوليين قال الاعراف وفي رواية النسائي من حديث عائشة انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب بسورة الاعراف فرقها في ركعتين وعن عبد الله بن عتبة قرا صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب بحم الدخان رواه النسائي وهذه الاحاديث في القراءة مختلفة المقادير لان الاعراف من السبع الطول والطور من طوال المفصل والمرسلات من اوساطه قال الحافظ ابن حجر ولم ار حديثا مرفوعا فيه التنصيص على القراءة فيها بشيء من قصار المفصل الا حديثا في ابن ماجه عن ابن عمر نص فيه على الكافرون والاخلاص ومثله لابن حبان عن جابر ابن سمرة فاما حديث ابن عمر فظاهر اسناده الصحة الا انه معلول قال الدارقطني اخطا بعض رواته فيه واما حديث جابر بن سمرة ففيه سعيد بن سماك وهو متروك والمحفوظ انه قرا بهما في الركعتين بعد المغرب واعتمد بعض اصحابنا وغيرهم حديث سليمان بن يسار عن ابي هريرة قال ما رايت احدا اشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان قال سليمان فكان يقرا في الصبح بطوال المفصل وفي المغرب بقصار المفصل رواه النسائي وصححه ابن خزيمة وغيره وهذا يشعر بالمواظبة على ذلك لكن في الاستدلال به نظر نعم حديث رافع انهم كانوا يتنفلون بعد صلاة المغرب يدل على تخفيف القراءة فيها وطريق الجمع بين هذه الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان احيانا يطيل القراءة في المغرب اما لبيان الجواز واما لعلمه بعدم المشقة على المأمومين وليس في حديث جبير دليل على ان ذلك تكرر واما حديث زيد بن ثابت ففيه اشعار بذلك لكونه انكر على مروان المواظبة على القراءة بقصار المفصل ولو كان مروان يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على ذلك لاحتج به على زيد لكن لم يرد زيد فيما يظهر المواظبة على القراءة بالطول وانما اراد منه ان يتعاهد ذلك كما رآه من النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ام الفضل اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الصبح باطول من المرسلات لكونه كان في حال شدة مرضه وهو مظنة التخفيف

وهو يرد على ابي داود ادعا نسخ التطويل لانه روى عقب حديث زيد بن ثابت من طريق
عروة انه كان يقرا في المغرب بالقصار قال وهذا يدل على نسخ حديث زيد ولم يبين وجه
الدلالة وكيف يصح دعوى النسخ وام الفضل تقول ان آخر صلوة صلاها بهم قرا بالمرسلات
قال ابن خزيمة في صحيحه هذا من الاختلاف المباح فجائز للمصلي ان يقرا في المغرب وفي الصلوات
كلها بما احب الا انه اذا كان اماما استحب له ان يخفف القراة انتهى والراجح عند النووي
ان المفصل من الحجرات الى آخر القران والله اعلم

الفرع السابع في ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم

يقرا في صلوة العشاء عن البرا كان صلى الله عليه وسلم يقرا في العشاء والتين والزيتون
فما سمعت احدا احسن صوتا او قراة منه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وكان صلى الله
عليه وسلم اذا اتى على آية عذاب وقف وتعوذ رواه الترمذي من حديث حذيفة وكان
اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى رواه احمد وابو داود من رواية ابن عباس وقال صلى الله
عليه وسلم من قرا منكم والتين والزيتون فانتهى الى اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا
على ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى قوله اليس ذلك بقادر
على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرا والمرسلات عرفا فبلغ فباي حديث بعده يؤمنون
فليقل آمنا بالله رواه ابو داود والترمذي الى قوله وانا على ذلك من الشاهدين وكان
صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراة اسكاتة وعنها سالها ابو هريرة ويسكت
بعد الفاتحة ويسكت ثالثة بعد قراة السورة وهي سكتة لطيفة جدا حتى يترادّ اليه النفس
ولم يكن يصل القراة بالركوع واما السكتة الاولى فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح
واما الثانية فلاجل قراة الماموم الفاتحة فينبغي تطويلها بقدر ما ذكره في زاد المعاد
وعن سمرة بن جندب سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل في
صلاته واذا فرغ ثم قال بعد ذلك واذا قرا ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ من
القراة ان يسكت حتى يترادّ اليه نفسه رواه الترمذي

الفرع الثامن في ذكر صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم

عن ابي حميد الساعدي كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة رفع يديه حتى
يحاذي بهما منكبيه فذكر الحديث الى ان قال ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه
ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصوب راسه ولا يقنع رواه ابو داود
والدارمي

الفرع التاسع في ذكر مقدار ركوعه

صلى الله عليه وسلم عن ابن جبير قال سمعت انس بن مالك يقول ما صليت وراء

احمد

احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اشبه صلوة بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا ركوعه عشر تسبيحات وسجوده عشر
تسبيحات رواه ابو داود وعن البرا كان ركوع النبي صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين
السجدتين واذا رفع من الركوع ما خلا القيام والقعود قريبا من السوا رواه البخاري
ومسلم قال النووي هذا الحديث محمول على بعض الاحوال والا فقد ثبت في الحديث
تطويل القيام فانه كان يقرا في الصبح بالستين الى المائة وفي الظهر بالم السجدة وانه
كان تقام الصلوة فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم يرجع الى اهله فيتوضا
ثم ياتي المسجد فيدرك الركعة الاولى وانه قرا سورة المؤمنون حتى بلغ ذكر موسى وهرون
وانه قرا في المغرب بالطور والمرسلات وفي البخاري بالاعراف فكل هذا يدل على انه
كانت له في اطالة القيام احوال بحسب الاوقات وهذا الحديث الذي نحن فيه جرى
في بعض الاوقات انتهى وقال ابن القيم مراد البرا ان صلاته صلى الله عليه وسلم
كانت معتدلة فكان اذا اطال القيام اطال الركوع والسجود واذا خفف خفف
الركوع والسجود وتارة يجعل الركوع والسجود بقدر القيام وهديه عليه الصلوة
والسلام الغالب تعديل الصلوة وتناسبها انتهى

الفرع العاشر في ذكر ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم

في الركوع والرفع منه عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القرآن رواه البخاري ومسلم ومعنى
يتاول القرآن يعمل بما امر به في قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
فكان صلى الله عليه وسلم يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفي ما امر به في
الآية وعنها كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة
والروح رواه مسلم وعن حذيفة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه سبحان
ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع ظهره
من الركوع قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء
ما شئت من شيء بعد رواه مسلم قال النووي يبتدا يعني المصلي بقوله سمع
الله لمن حمده حين الشروع في الرفع من الركوع ويمده حتى ينتصب قائما ثم يشرع في
ذكر الاعتدال وهو ربنا لك الحمد الخ قال وفي هذا الحديث دلالة للشافعي ومن وافقه
انه يستحب لكل مصل من امام وماموم ومنفرد ان يجمع بين سمع الله لمن حمده وربنا
لك الحمد في حال استوائه وانتصابه في الاعتدال لانه ثبت انه صلى الله عليه وسلم
فعلهما جميعا وقد قال عليه الصلوة والسلام صلوا كما رايتموني اصلي رواه البخاري
انتهى وقال ابن القيم كان عليه الصلوة والسلام اذا استوى قائما قال ربنا ولك

الحمد وربما قال ربنا لك الحمد وربما قال اللهم ربنا ولك الحمد صح ذلك عنه واما الجمع
بين اللهم والواو فلم يصح انتهى قلت ووقع في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة
في رواية الاصيلي مرفوعا اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك
الحمد فجمع بين اللهم والواو وهو يرد على ابن القيم كما ترى وقال الشيخ تقي الدين
في شرح العمدة كان اثبات الواو دال على معنى زائد لانه يكون التقدير ربنا استجب او
ما قارب ذلك ولك الحمد فيكون الكلام مشتملا على معنى الدعا ومعنى الخبر واذا
قيل باسقاط الواو دل على احد هذين انتهى وقال ابن العراقي اسقاط الواو
حكاه عن الشافعي ابن قدامة وقال لان الواو للعطف وليس هنا شي يعطف عليه
وعن مالك واحمد في ذلك خلاف وقال النووي كلاهما جاءت به روايات
كثيرة والمختار انه على وجه الجواز وان الامرين جائزان فلا ترجيح لاحدهما على
الاخر انتهى وعن ابي سعيد الخدري قال كان صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من
الركوع قال اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شي بعد
اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي
لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه مسلم قوله ملء السموات وملء الارض
اي حمدا لو كان اجساما لملأت السموات والارض ومعنى سمع الله لمن حمده اي اجاب
يعني ان من حمد الله تعالى متعرضا لثوابه استجاب الله له فاعطاه ما تعرض له فانا
اقول ربنا لك الحمد ليحصل ذلك وقوله اهل منصوب على النداء وقوله وكلنا لك عبد
بالواو يعني احق قول العبد لا مانع لما اعطيت الخ واعترض بينهما قوله وكلنا لك
عبد ومثل هذا الاعتراض قوله تعالى ربنا قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما
وضعت وليس الذكر كالانثى على قراءة من قرا وضعت بفتح العين واسكان التا والجد
بفتح الجيم الاجتهاد اي لا ينفع ذا الاجتهاد منك اجتهاده انما تنفعه رحمتك وقيل
الغنى اي لا ينفع ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه الايمان والطاعة وقيل غير ذلك
والله اعلم وفي رواية ابن ابي اوفى عند مسلم كان صلى الله عليه وسلم يقول بعد قوله من
شي بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد ه ه ه

الفرع الحادي عشر في ذكر صفة سجوده

صلى الله عليه وسلم وما كان يقول فيه ه كان صلى الله عليه وسلم اذا انتهى من ذكر قيامه
عن الركوع يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع يديه وقد روي انه عليه السلام كان يرفع يديه
ايضا وصححه بعض الحفاظ كابن حزم والذي غره ان الراوي غلط من قوله كان يكبر في
كل رفع وخفض الى قوله كان يرفع يديه في كل خفض ورفع وهو ثقة وهو لم يفطن لسبب
غلطه وهو وهمه فصححه نبه عليه في زاد المعاد وكان عليه الصلوة والسلام يضع ركبتيه

قبل يديه رواه ابو داود وغيره وانفه وقال امرت ان اسجد على سبعة اعظم الجبهة
واليدين والركبتين واطراف القدمين رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال
النووي فينبغي للساجد ان يسجد على هذه الاعضا كلها وان يسجد على الجبهة والانف
جميعا فاما الجبهة فيجب وضعها مكشوفة على الارض ويكفي بعضها والانف مستحب
فلو تركه جاز ولو اقتصر عليه وترك الجبهة لم يجز هذا مذهب الشافعي ومالك والاكثرين
وقال ابو حنيفة عليهما معا لظاهر الحديث قال الاكثرون بل ظاهر الحديث انهما في حكم
عضو واحد لانه قال فيه سبعة فلو جعلا عضوين لصارت ثمانية وكان عليه الصلوة
والسلام اذا سجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه رواه الشيخان وقالت
ميمونة جافى بين يديه حتى لو شاءت بهيمة ان تمر بين يديه لمرت رواه مسلم ولم يذكر عنه
صلى الله عليه وسلم انه سجد على كور عمامته ولم يثبت عنه ذلك في حديث صحيح ولا حسن
ولكن روى عبد الرزاق في المصنف عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد على
كور عمامته وهو من رواية عبد الله بن محرر وهو متروك وذكر ابو داود في المراسيل انه
صلى الله عليه وسلم راى رجلا يصلي فسجد بجبينه وقد اعتم على جبهته فحسر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن جبهته وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده اللهم اغفر لي
ذنبي كله دقه وجله واوله واخره وعلانيته وسره رواه مسلم من حديث ابي هريرة وقوله
دقه وجله بكسر اولهما اي قليله وكثيره وعن عائشة قالت فقدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في السجود وهما
منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه مسلم قال الخطابي
في هذا الحديث معنى لطيف وذلك انه عليه السلام استعاذ بالله وساله ان يجيره
برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط ضدان متقابلان وكذلك
المعافاة والمعاقبة فلما صار الى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غير
ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه وقوله
لا احصي ثناء عليك اي لا اطيقه ولا اتي عليه وقيل لا احيط به وقال مالك لا احصي
نعمتك واحسانك والثناء بها عليك وان اجتهدت في الثناء عليك وقوله انت كما
اثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء فانه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد
الثناء الى الجملة دون التفصيل والاحصاء والتعيين فوكل ذلك كله الى الله سبحانه
وتعالى المحيط بكل شي جملة وتفصيلا وكما انه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه
لان الثناء تابع للمثنى عليه فكل شي اثني به عليه وان كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله
اعظم وسلطانه اعز وصفاته اكثر واكبر وفضله واحسانه اوسع واسبغ انتهى وههنا
فائدة لطيفة ذكرها بعض المحققين في نهيه صلى الله عليه وسلم عن قراءة القران في الركوع

والسجود وهي ان القرآن اشرف الكلام وحالتا الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد فمن الادب مع كلام الله تعالى ان لا يقرأ في هاتين الحالتين وتكون حالة القيام والانتصاب اولى به والله اعلم وروى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم سجد على الماء والطين وكان صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه من السجود مكبرا غير رافع يديه ويرفع منه رأسه قبل يديه ثم يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى وكان عليه الصلوة والسلام يجلس للاستراحة جلسة لطيفة بحيث تسكن جوارحه سكونا بينا ثم يقوم الى الركعة الثانية كما في صحيح البخاري وغيره قال النووي ومذهبنا استحبابها عقيب السجدة الثانية من كل ركعة يقوم عنها ولا تستحب في سجود التلاوة في الصلوة وكان عليه الصلوة والسلام يقول بين السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني رواه ابو داود والدارمي من حديث ابن عباس ه

الفرع الثاني عشر في ذكر صفة جلوسه

صلى الله عليه وسلم ه كان صلى الله عليه وسلم اذا جلس للتشهد يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى رواه مسلم قال النووي معناه يجلس مفترشا وفيه حجة لابي حنيفة ومن وافقه ان الجلوس في الصلوة يكون مفترشا سواء فيه جميع الجلسات وعند مالك متوركا بان يخرج رجله اليسرى من تحته ويفضي بوركه الى الارض وقال الشافعي رحمه الله السنة ان يجلس كل الجلسات مفترشا الا الجلسات التي يعقبها السلام والجلسات عند الشافعي اربع الجلوس بين السجدتين وجلسة الاستراحة كل ركعة يعقبها قيام والجلسة للتشهد الاول والجلسة للتشهد الاخير والجميع يسن مفترشا الا الاخيرة ولو كان على المصلي سجود سهو فالاصح انه يجلس مفترشا في تشهده فاذا سجد سجدتي السهو تورك ثم سلم هذا تفصيل مذهب الشافعي واحتج الشافعي بحديث ابي حميد الساعدي في صحيح البخاري وفيه التصريح بالافتراش في الجلوس الاول والتورك في آخر الصلوة وحمل حديث عائشة على هذا الجلوس في غير التشهد الاخير ليجمع بين الاحاديث انتهى فليتأمل مع قول ابن القيم في الهدي انه لم ينقل احد عنه صلى الله عليه وسلم ان هذا كان صفة جلوسه في التشهد الاول ولا اعلم احدا قال به انتهى وقال ابو حميد الساعدي في عشرة من الصحابة رضي الله عنهم انا اعلمكم بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فاعرض فذكر الحديث الى ان قال حتى اذا كانت السجدة التي فيها التسليم اخرج رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الايسر ثم سلم قالوا صدقت هكذا كان يصلي رواه ابو داود والدارمي وفي رواية لابي داود فاذا قعد في الركعتين قعد على بطن قدمه اليسرى ونصب اليمنى واذا كان في الرابعة افضى بوركه اليسرى الى الارض واخرج قدميه من ناحية واحدة الحديث وكان عليه الصلوة والسلام اذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلاثا

واحتج ابو حنيفة بالاطلاق بحديث عائشة هذا مع

وخمسين واشار بالسبابة وفي رواية مسلم وضع يديه على ركبتيه ورفع اصبعه اليمنى التي تلي الابهام ويدعو بها ويده اليسرى على ركبته باسطها عليها وعند ابي داود من حديث وائل بن حجر مد مرفقه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض ثنتين وحلق حلقة ثم رفع اصبعه فرأيته يحركها يدعو وفي حديث ابن الزبير عنده ايضا كان يشير بها ولا يحركها الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يستقبل باصابع القبلة في رفع يديه وركوعه وفي سجوده وفي التشهد ويستقبل باصابع رجليه القبلة في سجوده ه ه

الفرع الثالث عشر في ذكر تشهده

صلى الله عليه وسلم ه كان صلى الله عليه وسلم يتشهد دائما في هذه الجلسة ويعلم اصحابه ان يقولوا التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله رواه مسلم من رواية ابن عباس وهو الذي اختاره الشافعي لزيادة المباركات لا تشهد ابن مسعود واما قال القاضي عياض رحمه الله تعالى وعبارة الشافعي فيما اخرجه البيهقي بسنده الى الربيع بن سليمان انبأنا الشافعي جوابا لمن سأله بعد ذكر حديث ابن عباس فانا نرى الرواية اختلفت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فروى ابن مسعود خلاف هذا فساق الكلام الى ان قال فلما رأيته واسعا وسمعته يعني حديث ابن عباس صحيحا ورأيته اكثر لفظا من غيره يعني من المرفوعات اخذت به غير معنف لمن اخذ بغيره هذا آخر كلامه وليس فيه تصريح بالافضلية والعلم عند الله وقال ابو حنيفة واحمد وجمهور الفقهاء واهل الحديث تشهد ابن مسعود افضل لانه عند المحدثين اشد صحة وقال مالك رحمه الله تشهد عمر بن الخطاب الموقوف عليه افضل لانه علمه للناس على المنبر ولم ينازعه احد فدل على تفضيله ومذهب الشافعي ان التشهد الاول سنة والثاني واجب وجمهور المحدثين انهما واجبان وقال احمد الاول واجب يجبر تركه بالسجود والثاني ركن تبطل الصلوة بتركه وقال ابو حنيفة ومالك وجمهور الفقهاء واهل الحديث هما سنتان وعن مالك رواية بوجوب الاخير وقد كان عليه الصلوة والسلام يأتي بالتشهدين وفي الغيلانيات عن القاسم بن محمد قال علمتني عائشة قالت هذا تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم التحيات لله والصلوات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وهو مثل حديث ابن مسعود رواه البيهقي باسناد جيد قال النووي في هذا فائدة حسنة وهي ان تشهده عليه الصلوة والسلام بلفظ تشهدنا انتهى قال الحافظ ابن حجر وكانه يشير الى رد ما وقع في الرافعي انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في التشهد واشهد اني رسول الله وتعقبوه بانه لم

ذلك صريحا نعم وقع في البخاري من حديث سلمة بن الأكوع قال خفقت أزواد القوم
فذكر الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله
ومن لطائف التشهد ما قاله البيضاوي وعلمهم أن يفردوه صلى الله عليه وسلم بالذكر
لشرفه ومزيد حقه عليهم فإن قيل كيف شرع هذا اللفظ وهو خطاب بشر مع كونه منهيا
عنه في الصلوة فالجواب أن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم فإن قلت
ما الحكمة في العدول عن الغيبة إلى الخطاب في قوله عليك أيها النبي مع أن لفظ الغيبة
هو الذي يقتضيه السياق كأن يقول السلام على النبي فينتقل من تحية الله إلى تحية
النبي ثم إلى تحية النفس ثم إلى الصالحين أجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ
الرسول بعينه الذي علمه للصحابة ويحتمل أن يقال على طريق أهل المعرفة بالله تعالى
أن المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات أذن لهم بالدخول في حريم الحي
الذي لا يموت فقرت أعينهم بالمناجاة فنبهوا على أن ذلك بواسطة نبي الرحمة وبركة
متابعته فالتفتوا فإذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر فأقبلوا عليه قائلين السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته انتهى وقال الترمذي الحكيم في قوله السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين من أراد أن يحظى بهذا السلام الذي يسلمه الخلق في صلاتهم
فليكن عبدا صالحا وإلا حرم هذا الفضل العظيم وقال القفال في فتاويه وترك
الصلوة يضر بجميع المسلمين لأن المصلي يقول اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ولا بد
أن يقول في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيكون مقصرا في خدمة
الله وفي حق رسوله وفي حق نفسه وفي حق كافة المسلمين ولذلك عظمت المعصية
بتركها واستنبط منه السبكي أن الصلوة حق للعباد مع حق الله وأن من تركها أخل
بجميع حق المؤمنين من مضى ومن يجيء إلى يوم القيمة لوجوب قوله فيها السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين انتهى وتقدم الكلام على وجوب الصلوة عليه صلى الله عليه
وسلم وعند الغزالي مرفوعا عن سهل بن سعد لا صلوة لمن لم يصل على نبيه وكذا عند
ابن ماجة والدارقطني وعن أبي مسعود الأنصاري عند الدارقطني من صلى صلوة
لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه وعن أبي مسعود أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال إذا تشهد أحدكم في الصلوة فليقل اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل
محمد وارحم محمدا وآل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وترحمت
على إبرهيم وعلى آل إبرهيم إنك حميد مجيد رواه الحاكم واغتر قوم بتصحيحه فوهموا
فإنه من رواية يحيى بن أبي السباق وهو مجهول عن رجل منهم وبالغ ابن العربي في
إنكار ذلك فقال حذار مما ذكره ابن أبي زيد من زيادة وترحم فإنه قريب من
البدعة لأنه صلى الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلوة عليه بالوحي ففي الزيادة على
ذلك استدراك عليه انتهى قال الحافظ ابن حجر وابن أبي زيد ذكر ذلك في الرسالة

في

في صفة التشهد لما ذكر ما يستحب في التشهد ومنه اللهم صل على محمد وآل محمد فزاد
وترحم على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد الخ فإن كان إنكاره لكونه لم يصح فمسلم
وإلا فدعوى من ادعى أنه لا يقال وارحم محمدا مردودة لثبوت ذلك في عدة أحاديث
أصحها في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته قال ثم وجدت
لابن أبي زيد مستندا فأخرج الطبراني في تهذيبه من طريق حنظلة بن علي عن أبي هريرة
رفعه من قال اللهم صل على محمد كما صليت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم وبارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت
على إبرهيم وعلى آل إبرهيم شهدت له يوم القيمة وشفعت له ورجال سنده رجال
الصحيح إلا سعيد بن سليمان مولى سعيد بن العاص الراوي له عن حنظلة بن علي
فإنه مجهول وهذا كله فيما يقال مضموما إلى السلام أو الصلوة وقد اتفق ابن العربي
والصيدلاني من الشافعية على المنع ونقل القاضي عياض عن الجمهور الجواز مطلقا
وقال القرطبي في المفهم إنه الصحيح لورود الأحاديث به وخالفه غيره ففي
الذخيرة من كتب الحنفية عن محمد يكره ذلك لإيهامه النقص لأن الرحمة غالبا إنما
تكون لفعل ما يلام عليه وجزم ابن عبد البر بمنعه فقال لا يجوز لأحد إذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول رحمه الله لأنه عليه الصلوة والسلام قال
من صلى علي ولم يقل من ترحم علي ولا من دعا لي وإن كان معنى الصلوة الرحمة ولكنه
خص بهذا اللفظ تعظيما له فلا يعدل عنه إلى غيره وأخرج أبو العباس السراج عن أبي
هريرة أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبرهيم
إنك حميد مجيد وفي حديث بريدة رفعه اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك
على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبرهيم وعلى آل إبرهيم ووقع في حديث ابن مسعود
عند أبي داود والنسائي على محمد النبي الأمي وفي حديث أبي سعيد على محمد عبدك
ورسولك كما صليت على إبرهيم ولم يذكر آل محمد ولا آل إبرهيم وعند أبي داود من
حديث أبي هريرة اللهم صل على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته
وأهل بيته ووقع في آخر حديث ابن مسعود في العالمين إنك حميد مجيد قال
النووي في شرح المهذب ينبغي أن يجمع ما في الأحاديث الصحيحة فيقول اللهم صل على
محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم
وبارك مثله وزاد في آخره مثله في العالمين وقال في الأذكار مثله وزاد عبدك
ورسولك بعد قوله محمد في صل ولم يزدها في وبارك وقال في التحقيق والفتاوي
مثله إلا أنه أسقط النبي الأمي وقد تعقبه الإسنوي فقال لم يستوعب ما ثبت
في الأحاديث مع اختلاف كلامه وقال الأذرعي لم يسبق إلى ما قاله والذي يظهر أن

الأفضل لمن تشهد أن يأتي بأكمل الروايات ويقول كل ما ثبت هذا مرة وهذا مرة وأما
التلفيق فإنه يستلزم إحداث صفة في التشهد لم ترد مجموعة في حديث واحد وسبقه
إلى نحو ذلك ابن القيم وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو في الصلوة اللهم إني أعوذ بك
من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة
الممات اللهم وأعوذ بك من المأثم والمغرم فقال له قائل ما أكثر ما تستعيذ من المغرم فقال
إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة
قال ابن دقيق العيد فتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا
والشهوات والجهالات وأعظمها والعياذ بالله تعالى أمر الخاتمة عند الموت وفتنة الممات
يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت أضيفت إليه لقربها منه ويجوز أن يكون المراد بها
فتنة القبر ولا يكون مع هذا الوجه متكررا مع قوله عذاب القبر لأن العذاب مرتب على
الفتنة والسبب غير المسبب وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن سفيان
الثوري أن الميت إذا سئل من ربك تراءى له الشيطان فيشير إلى نفسه إني أنا ربك
فلهذا ورد سؤال التثبيت له حين يسأل وقد استشكل دعاؤه صلى الله عليه وسلم
بما ذكر مع أنه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأجيب بأجوبة منها أنه
قصد التعليم لأمته ومنها أن المراد السؤال منه لأمته فيكون المعنى هنا أعوذ
بك لأمتي ومنها سلوك طريق التواضع وإظهار العبودية وإلزام خوف الله وإعظامه
والافتقار إليه وامتثال أمره في الرغبة إليه ولا يمتنع تكرير الطلب مع تحقق الإجابة
لأن في ذلك تحصيل الحسنات ورفع الدرجات وفيه تحريض لأمته على ملازمة
ذلك لأنه إذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك أحرى
بالملازمة وأما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه أنه لا يدركه فلا إشكال
فيه على الوجهين الأولين وقيل على الثالث يحتمل أن يكون ذلك قبل أن يتحقق
عدم إدراكه ويدل عليه قوله في الحديث الآخر عند مسلم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه
الحديث والله أعلم وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
بعد التشهد اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك
من فتنة الدجال الأعور وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات رواه أبو داود وعن
علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما بين التشهد والتسليم
اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم
به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت رواه مسلم وغيره وفي رواية له وإذا
سلم قال اللهم اغفر لي ما قدمت الخ ويجمع بينهما بحمل الرواية الثانية على إرادة السلام
لأن مخرج الطريقين واحد وأورده ابن حبان بلفظ كان إذا فرغ من الصلوة وسلم
وهذا ظاهر في أنه بعد السلام ويحتمل أنه كان يقول ذلك قبل السلام وبعده

وسيأتي الجواب عن ما استشكل في دعائه عليه السلام بهذا الدعاء في أدعيته صلى الله
عليه وسلم إن شاء الله تعالى وحاصل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من المواضع التي
كان يدعو بها في داخل صلاته ستة مواطن الأول عقب تكبيرة الإحرام كما في حديث
أبي هريرة في الصحيحين اللهم باعد بيني وبين خطاياي الحديث ونحوه الثاني في
الركوع كما في حديث عائشة عند الشيخين كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك
اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي الثالث في الاعتدال من الركوع كما في حديث ابن أبي أوفى عند
مسلم أنه كان يقول بعد قوله من شيء بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد
الرابع في السجود وهو أكثر ما كان يدعو فيه وأمر به الخامس بين السجدتين اللهم
اغفر لي الخ السادس في التشهد وكان أيضا يدعو في القنوت وفي حال القراءة إذا
مر بآية رحمة سأل وإذا مر بآية عذاب استعاذ وتقدم كل ذلك والله الموفق

الفرع الرابع عشر في ذكر تسليمه

عليه الصلوة والسلام من الصلوة كان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه
وعن شماله حتى يرى بياض خده رواه مسلم والنسائي من حديث عامر بن ربيعة
عن أبيه وفي حديث ابن مسعود كان يسلم عن يمينه وعن يساره السلام عليكم ورحمة
الله رواه الترمذي وزاد أبو داود حتى يرى بياض خده وفي رواية النسائي حتى يرى
بياض خده من ههنا وبياض خده من ههنا الحديث وهذا كان فعله الراتب رواه
عنه خمسة عشر صحابيا وهم عبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد
ووائل بن حجر وأبو موسى الأشعري وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وعبد الله بن عمر
وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وأبو مالك الأشعري وطلق بن علي وأوس بن أوس
وأبو رمثة وعدي بن عميرة وهذا مذهب الشافعي وأبو حنيفة وأحمد والجمهور وعند
مالك فطائفة المشروع ودليل مذهبنا ما تقدم وأما ما روي أنه صلى الله عليه وسلم
كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه فلم يثبت من وجه صحيح وأجود ما في ذلك حديث
عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة السلام عليكم يرفع بها صوته
حتى يوقظنا فهو حديث معلول وهو في السنن لكنه في قيام الليل والذين رووا
عنه التسليمتين رووا ما شاهدوا في الفرض والنفل وحديث عائشة ليس فيه صريحا
في الاقتصار على تسليمة واحدة بل أخبرت أنه كان يسلم تسليمة يوقظهم بها ولم
تنف الأخرى بل سكتت عنها وليس سكوتها عنها مقدما على رواية من حفظها وضبطها
وهم أكثر عددا وأحاديثهم أصح والله أعلم واختلف في التسليم فقال مالك والشافعي
وأحمد وجمهور العلماء أنه فرض لا تصح الصلوة إلا به وقال أبو حنيفة والثوري
والأوزاعي سنة لو ترك صحت صلاته وقال أبو حنيفة لو فعل منافيا للصلوة من حدث

او غيره في آخرها صحت صلاته واحتج بانه عليه السلام لم يعلمه الاعرابي حين علمه واجبات الصلوة واحتج الجمهور بحديث علي أي أو ﴿مفتاح الصلوة الطهور وتحليلها التسليم﴾ وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلوة طاطا راسه رواه احمد وكان لا يجاوز بصره اشارته وكان قد جعل الله قرة عينه في الصلوة كما قال وجعلت قرة عيني في الصلوة رواه النسائي ولم يكن يشغله عليه الصلوة والسلام ما هو فيه عن مراعاة احوال المؤمنين مع كمال اقباله وقربه من ربه عز وجل وحضور قلبه بين يديه وكان يدخل في الصلوة يريد اطالتها فيسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته مخافة ان يشق على امه رواه البخاري وابو داود والنسائي وكان يؤم الناس وهو حامل امامة بنت ابي العاص بن الربيع على عاتقه رواه مسلم وغيره قال النووي وهذا يدل لمذهب الشافعي رحمه الله ومن وافقه انه يجوز حمل الصبي والصبية وغيرهما من الحيوان في صلوة الفرض والنفل والامام والماموم والمنفرد وحمله اصحاب مالك رحمه الله على النافلة ومنعوا جواز ذلك في الفرض وهذا التاويل فاسد لان قوله يؤم الناس صريح او كالصريح في انه كان في الفرض وادعى بعض المالكية انه منسوخ وبعضهم انه خاص به صلى الله عليه وسلم وبعضهم انه كان لضرورة وكلها مردودة ولا دليل عليها ولا ضرورة اليها بل الحديث صحيح صريح في جواز ذلك وليس فيه ما يخالف الشرع لان الآدمي طاهر وما في جوفه من النجاسة معفو عنها لكونه في معدته وثياب الاطفال واجسادهم على الطهارة ودلائل الشرع متظاهرة على هذا والافعال في الصلوة لا تبطلها اذا قلت او تفرقت وفعله عليه السلام للجواز تنبيها على هذه القواعد التي ذكرتها وهذا يرد ما ادعاه ابو سليمان الخطابي ان هذا الفعل يشبه ان يكون بغير تعمد لحملها في الصلوة لكنها كانت تتعلق به عليه الصلوة والسلام فلم يدفعها فاذا قام بقيت معه قال ولا يتوهم انه حملها ووضعها مرة بعد اخرى لانه عمل كثير ويشغل القلب واذا كان علم الخميصة شغله فكيف لا يشغله هذا هذا كلام الخطابي وهو باطل ودعوى مجردة ومما يرده قوله في صحيح مسلم فاذا قام حملها واذا رفع من السجود اعادها وقوله في رواية غير مسلم خرج حاملا امامة وصلى وذكر الحديث واما قضية الخميصة فانها تشغل القلب بلا فائدة وحمل امامة لا نسلم انه يشغل القلب وان شغله فيترتب عليه فوائد وبيان قواعد مما ذكرناه وغيره فاحتمل ذلك الشغل لهذه الفوائد بخلاف الخميصة والصواب الذي لا يعدل عنه ان الحديث كان للبيان والتنبيه على هذه القواعد فهو جائز لنا وشرع مستمر الى يوم الدين والله تعالى اعلم انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فيجي الحسن والحسين فيركب على ظهره فيطيل السجود كراهية ان يلقيه عن ظهره وكان يرد السلام بالاشارة على من يسلم عليه وهو في الصلوة وقال جابر بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فادركته وهو يصلي فسلمت عليه فاشار الي رواه مسلم وقال عبد الله بن مسعود

لما قدمت من الحبشة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسلمت عليه فاوما براسه رواه البيهقي وكان يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد غمزها بيده فقبضت رجلها واذا قام بسطتها رواه البخاري وكان عليه الصلوة والسلام لا يلتفت في صلاته وفي البخاري عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلوة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلوة العبد وروى ابو داود من حديث سهل ابن الحنظلية انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من يحرسنا الليلة قال انس بن ابي مرثد الغنوي انا يا رسول الله قال اركب فركب فرسا له فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون في اعلاه فلما اصبحنا ثوب بالصلوة فجعل صلى الله عليه وسلم يصلي وهو يلتفت الى الشعب حتى اذا قضى الصلوة قال ابشروا قد جاء فارسكم فهذا الالتفات من الاشتغال بالجهاد في الصلوة وهو يدخل في مداخل العبادات كصلوة الخوف وقريب منه قول عمر رضي الله عنه اني لاجهز الجيش وانا في الصلوة فهذا جمع بين الصلوة والجهاد ونظيره التفكر في معاني القرآن واستخراج كنوز العلم منه وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فعرض له الشيطان ليقطع عليه صلاته فاخذه وخنقه حتى سال لعابه على يديه وروى مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل يعني يبكي وفي رواية ولصدره ازيز كازيز الرحا من البكاء رواه احمد ولم يكن صلى الله عليه وسلم يغمض عينيه في صلاته وعن انس قال كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال صلى الله عليه وسلم اميطي عنا قرامك هذا فانه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي رواه البخاري ولو كان يغمض عينيه لما عرضت له في صلاته وقد اختلف الفقهاء في كراهيته والحق ان يقال ان كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو افضل وان كان يحول بينه وبين الخشوع كان يكون في قبلته زخرفة او غيرها مما يشغل قلبه فلا يكره التغميض قطعا بل ينبغي ان يكون مستحبا في هذه الحالة وقد كانت صلاته صلى الله عليه وسلم منزهة عارية عن الغلو بالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرا او تطويل ما السنة تخفيفه كالتشهد الاول الى غير ذلك مما يفعله كثير بدا الوسوسة عافانا الله منها فهي نوع من الجنون وصاحبها بلا ريب مبتدع مستنبط في اقواله وافعاله شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه وقد قال عليه السلام خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعنه ايضا واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ومما نسب لامام الحرمين الوسوسة نقص في العقل او جهل باحكام الشرع ومن غرائب ما يقع لهؤلاء الموسوسين ان بعضهم يشتغل بتكرير الطهارة حتى تفوته الجماعة وربما فاتة الوقت ومنهم من يشتغل في النية حتى تفوته التكبيرة الاولى وربما يفوته ركعة

اقل اكثر. ومنهم من يحلف انه لا يزيد على هذه التكبيرة. ثم من العجب ان بعضهم يتوسوس في حال قيامه حتى يركع الامام فاذا خشي فوات الركوع كبر سريعا وادركه فمن لم يحصل له النية في القيام الطويل حال فراغ باله فكيف حصلت له في الوقت الضيق مع شغل باله بفوات الركعة ومنهم من يكثر التلفظ بالتكبير حتى يتشوش على غيره من المأمومين ولا ريب ان ذلك مكروه. ومنهم من يزعج اعضاءه ويحني جبهته ويقيم عروق عينيه ويصرخ بالتكبير كانه يكبر على العدو. ومنهم من يغسل عضوه غسلا يشاهده ببصره ويكبر ويقرأ بلسانه ويسمع باذنه ويعلمه قلبه ومع ذلك يصدق الشيطان في انكاره ويغير نفسه ويجحد لما رآه ببصره وسمعه باذنه. وقد سأل رجل ابا الوفا بن عقيل فقال اني اكبر واقول ما كبرت واغسل العضو في الوضوء واقول ما غسلته فقال ابن عقيل دع الصلوة فانها لا تجب عليك فقال له كيف ذلك فقال لان النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ومن يكبر ثم يقول لما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلوة فمن اراد التخلص من هذه البلية فليتبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم السوية ويقتدي بملته الحنيفية فان غلبه الامر وضاقت عليه المسالك فليتضرع الى الله ويبتهل اليه فيكشف ذلك

الفرع الخامس عشر في ذكر قنوته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان القنوت يطلق على القيام والسكوت ودوام العبادة والدعاء والتسبيح والخضوع كما قال تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون وقال تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية وقال تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين والمراد به هنا الدعاء في الصلوة في محل مخصوص من القيام وعن انس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بني سليم ورعل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة فقتلوهم فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم شهرا في صلوة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت قال عبد العزيز بن صهيب فسأل رجل انسا عن القنوت بعد الركوع او عند فراغ القراءة فقال بل عند فراغ القراءة وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع يدعو على احياء من العرب وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع في صلوة الصبح يدعو على رعل وذكوان ويقول عصية عصت الله ورسوله وفي اخرى بعث صلى الله عليه وسلم سرية يقال لهم القراء فاصيبوا فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على شيء ما وجد عليهم فقنت شهرا في صلوة الفجر هذه رواية البخاري ومسلم وللبخاري كان القنوت في المغرب والفجر وفي رواية ابي داود والنسائي قنت شهرا يلعن رعلا في صلوة الصبح بعد الركوع وفي اخرى قنت شهرا ثم تركه وفي اخرى للنسائي قنت شهرا يلعن رعلا وذكوان ولحيان وعن ابن عباس

قنت

قنت صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلوة الصبح في دبر كل صلوة اذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الآخرة يدعو على احياء من بني سليم على رعل وذكوان وعصية ويؤمن من خلفه رواه ابو داود وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل الله عليه ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون رواه البخاري وعن ابي هريرة لما رفع صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف وفي رواية في صلوة الفجر وفي رواية ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء رواه البخاري ومسلم وعن البراء كان صلى الله عليه وسلم يقنت في الصبح والمغرب رواه مسلم والترمذي ولابي داود في صلوة الصبح ولم يذكر المغرب وعن ابي مالك الاشجعي قال قلت لابي يا ابت انك قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وعلي بن ابي طالب ههنا بالكوفة خمس سنين اكانوا يقنتون قال اي بني محدث رواه الترمذي وعن سعيد بن جبير قال اشهد اني سمعت ابن عباس يقول ان القنوت في صلوة الفجر بدعة رواه الدارقطني قال بعض العلماء والصواب انه صلى الله عليه وسلم قنت وترك وكان تركه للقنوت اكثر من فعله فانه انما قنت عند النوازل للدعاء لقوم والدعاء على آخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وتخلصوا من الاسر واسلم من دعا عليهم فجاؤوا تائبين وكان قنوته لعارض فلما زال العارض ترك القنوت ولم يكن مختصا بالفجر بل كان يقنت في صلوة الفجر والمغرب ذكره البخاري في صحيحه عن انس وذكره مسلم عن البراء وصح عن ابي هريرة انه قال والله لانا اقربكم صلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقنت في الركعة الاخيرة من الصبح بعدما يقول سمع الله لمن حمده وقال ابن ابي فديك ولا ريب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه فهذا رد على القائل بكراهة القنوت في الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها ويقولون هو منسوخ وفعله بدعة واهل الحديث متوسطون بين هؤلاء وبين من استحبه ويقولون فعله سنة وتركه سنة ولا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة من تركه ومن قنت فقد احسن انتهى ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى ان القنوت مشروع في صلوة الصبح دائما في اعتدال ثانية الصبح لما رواه انس ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا رواه احمد وغيره قال ابن الصلاح قد حكم بصحته غير واحد من الحفاظ منهم الحاكم والبيهقي وابو عبد الله محمد بن علي البلخي وذكر البيهقي العمل بمقتضاه عن الخلفاء

الاربعة وقال بعضهم اجمعوا انه صلى الله عليه وسلم قنت في الصبح ثم اختلفوا هل
ترك فيتمسك بما اجمعوا عليه حتى يثبت ما اختلفوا فيه انتهى. واما حديث ابن ابي فديك
عن عبد الله بن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الثانية من صلوة الصبح يرفع
يديه ويدعو بهذا الدعا اللهم اهدني فيمن هديت الخ فقال ابن القيم في زاد المعاد
ما ابين الاحتجاج به لو كان صحيحا او حسنا ولكن لا يحتج بعبد الله هذا وان كان الحاكم
صحح حديثه في القنوت انتهى. وهذا الحديث رواه الحاكم وصححه ولم يرد عليه كما قال ابن
القيم وقد اتفقوا على ضعف عبد الله بن سعيد وعن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم
يقنت في صلوة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت اخرجه
محمد بن نصر في كتاب قيام الليل والصحيح انه لا يتعين فيه دعا مخصوص بل يحصل بكل دعا
وفيه وجه انه لا يحصل الا بالدعا المشهور وهو اللهم اهدني فيمن هديت وعافني
فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي
ولا يقضى عليك فانه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت رواه ابو داود والترمذي
والنسائي من حديث الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن
في الوتر فذكره واسناده صحيح قال البيهقي قد صح ان تعليم هذا الدعا للقنوت في صلوة
الصبح وللقنوت في الوتر انتهى. وقوله فانك تقضي بالفاء وبالواو في قوله وانه لا يذل ربنا
قبل وتعاليت الا ان الفاء لم تقع في رواية ابي داود وزاد البيهقي بعد قوله انه لا يذل
من واليت ولا يعز من عاديت وزاد ابن ابي عاصم في كتاب التوبة نستغفرك اللهم
ونتوب اليك ولتسن الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخره لان النسائي
قد رواه من حديث الحسن بسند صحيح او حسن كما قاله في شرح المهذب ولفظه اي النسائي
وصلى الله على النبي وجزم في الاذكار باستحباب الصلوة على الآل والسلام وخالفه
صاحب الاقليد فقال اما ما وقع في كتب اصحابنا من زيادة وسلم وما يعتاده الائمة
الآن من ذكر الآل والازواج والاصحاب فكل ذلك لا اصل له قلت وعبارة
النووي في الاذكار يستحب ان يقول عقب هذا الدعا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
وسلم فقد جاء في رواية النسائي باسناد حسن وصلى الله على النبي انتهى وتعقب
بان لفظ الدعوى خلاف الدليل ويزيد عليه ذكر الآل والتسليم نعم وقعت الزيادة
في الرافعي والروياني معزوة لحديث الحسن بن علي عند النسائي لكنها ليست عنده في
رواية احد من الرواة عنه على ان لفظ وصلى الله على النبي زائد على رواية الترمذي وهي
زيادة غريبة غير ثابتة لاجل عبد الله بن علي احد رواته لانه غير معروف وعلى تقدير ان
يكون هو عبد الله بن علي بن الحسين بن علي فهو منقطع لانه لم يسمع من جده الحسن بن علي
فقد تبين انه ليس من شرط الحسن لانقطاعه او جهالة راويه ولم تنجبر الزيادة بمجيئها من

وجها آخر

وجها آخر وحينئذ فقد تبين شذوذها على ما لا يخفى نعم اصل الحديث الى آخره وتعاليت
حسن لاعتضاده برواية الترمذي وغيره بخلاف الزيادة اذ لم تجئ في غيره وحيث سننا
الصلوة على الآل على ما جزم به النووي فينبغي عدها في القنوت بعضا قال في المجموع
عن البغوي ويكره اطالة القنوت كالتشهد الاول وهو ظاهر على ما صححه فيه وفي
تحقيقه في باب سجود السهو من ان الاعتدال ركن طويل اما على ما صححه فيهما في صلوة
الجماعة من انه قصير وهو ما في المنهاج والروضة فقد يقال القياس البطلان لان تطويل
الركن القصير عمدا مبطل ويجاب بحمل ذلك على غير محل القنوت اذ البغوي نفسه
القائل بكراهة الاطالة قائل بان تطويل الركن القصير يبطل عمده ويسن للمنفرد وللامام
برضى المحصورين الجمع في قنوت الوتر بين القنوت السابق وبين قنوت عمر وهو اللهم
انا نستعينك الخ والاولى تاخيره عن القنوت السابق ويسن رفع يديه رواه البيهقي
باسناد جيد قال في المجموع وفي سن مسح وجهه بهما وجهان اشهرهما نعم واصحهما
لا قال البيهقي ولا احفظ في مسحه هنا عن احد من السلف شيئا وان روي عن
بعضهم في الدعا خارج الصلوة ومسح غير الصدر كالصدر مكروه وقال النووي
في الاذكار اختلف اصحابنا في رفع اليدين في القنوت ومسح الوجه بهما على ثلاثة اوجه
اصحها يستحب رفعهما ولا يمسح الوجه والثاني يرفع ويمسحه والثالث لا يمسح ولا يرفع
واتفقوا على انه لا يمسح غير الوجه من الصدر ونحوه بل قالوا ذلك مكروه انتهى ويجهر الامام
دون المنفرد بالقنوت وان كانت الصلوة سرية للاتباع رواه البخاري قال الماوردي
وليكن جهره به دون جهره بالقراءة فان سمعه المأموم امن كما كانت الصحابة يؤمنون
خلفه صلى الله عليه وسلم في ذلك رواه ابو داود باسناد حسن ويوافقه في الثنا
سرا او يسكت لانه ثنا وذكر لا يليق به التامين والدعا يشمل الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم فيؤمن فيها صرح به الطبري وان لم يسمع المأموم قنوت الامام
قنت معه سرا كبقية الاذكار والدعوات ولا قنوت لغير وتر وصبح الا النازلة
من خوف وقحط ووبا وجراد ونحوها فيستحب ان يقنت في مكتوبة غير الصبح
لا منذورة وصلوة جنازة ونافلة وفي البخاري من حديث ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم جهر بالقنوت في النازلة انتهى ملخصا من شرح البهجة لشيخ الاسلام
ابي يحيى زكريا الانصاري مع زيادة من غيره والله اعلم

الفصل الرابع في ذكر سجوده صلى الله عليه وسلم

للسهو في الصلوة اعلم ان السهو هو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب الى غيره قاله
الازهري وفرق بعضهم فيما حكاه القاضي عياض بين السهو والنسيان من حيث المعنى
وزعم ان السهو جائز في الصلوة على الانبيا عليهم السلام بخلاف النسيان قال لان

النسيان غفلة وآفة والسهو إنما هو شغل فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلوة ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها انتهى قال ابن كيكلدي وهو ضعيف من جهة الحديث ومن حيث اللغة أما من جهة الحديث فلما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون وأما من حيث اللغة فقول الأزهري الماضي ونحوه قول الجوهري وغيره وقال في النهاية السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن دقيق وبه يظهر الفرق بين السهو الذي وقع من النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة والسهو عن الصلوة الذي ذم الله فاعله وقد كان سهوه صلى الله عليه وسلم من تمام نعمة الله على أمته وإكمال دينهم ليقتدوا به فيما يشرعه لهم عند السهو وهذا معنى الحديث المنقطع الذي في الموطأ الآتي التنبيه عليه إن شاء الله تعالى إنما أنسى أو أنسّى لأسن فكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب على سهوه أحكام شرعية تجري على سهو أمته إلى يوم القيمة واختلف في حكمه فقال الشافعية مسنون كله وعن المالكية قول آخر السجود للنقص واجب دون الزيادة وعن الحنابلة التفصيل بين الواجبات فيجب لتركها سهوا وبين القولية فلا يجب وكذا يجب إذا سها بزيادة فعل أو قول يبطل عمده وعن الحنفية واجب كله وحجتهم عليه قوله عليه الصلوة والسلام في حديث ابن مسعود عند البخاري ليسجد سجدتين والأمر للوجوب وقد ثبت من فعله عليه السلام وأفعاله في الصلوة محمولة على البيان وبيان الواجب ولا سيما مع قوله عليه الصلوة والسلام صلوا كما رأيتموني أصلي انتهى وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم السجود على قسمين الأول السجود قبل التسليم فعن الأعرج عن عبد الله بن بحينة أنه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من بعض الصلوات فلم يجلس فقام الناس معه فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين وهو جالس ثم سلم رواه البخاري وفي رواية له عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن بحينة أيضا أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام من اثنتين من الظهر لم يجلس بينهما فلما قضى صلاته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك وفي رواية أيضا عن الأعرج عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في صلوة الظهر وعليه جلوس فلما أتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل أن يسلم وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من الجلوس ورواه مسلم أيضا وزاد الضحاك عن الأعرج عند ابن خزيمة بعد قوله ثم قام فلم يجلس فسبحوا به فمضى حتى فرغ من صلاته وفي رواية الترمذي قام في الظهر وعليه جلوس فلما أتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل أن يسلم وفي هذا مشروعية سجود السهو وأنه سجدتان فلو اقتصر على سجدة واحدة ساهيا لم يلزمه شيء أو عامدا بطلت صلاته لأنه تعمد الإتيان بسجدة زائدة ليست

مشروعة

مشروعة وأنه يكبر لهما كما يكبر في غيرهما من السجود واستدل به على أن سجود السهو قبل السلام ولا حجة فيه في كون جميعه كذلك نعم يرد على من زعم أن جميعه بعد السلام كالحنفية واستدل به أيضا على أن المأموم يسجد مع الإمام إذا سها الإمام وإن لم يسه المأموم وأن سجود السهو لا تشهد بعده وأن محله آخر الصلوة فلو سجد للسهو قبل أن يتشهد ساهيا أعاد عند من يوجب التشهد الأخير وهم الجمهور وفيه أن من سها عن التشهد الأول حتى قام إلى الركعة ثم ذكر لا يرجع فقد سبحوا به صلى الله عليه وسلم كما في رواية ابن خزيمة فلم يرجع فلو تعمد المصلي الرجوع بعد تلبسه بالركن بطلت صلاته عند الشافعي القسم الثاني السجود بعد التسليم عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر أو العصر فسلم فقال له ذو اليدين الصلوة يا رسول الله أنقصت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أحق ما يقول هذا قالوا نعم فصلى ركعتين أخريين ثم سجد سجدتين قال سعد ورأيت عروة بن الزبير صلى المغرب ركعتين فسلم وتكلم ثم صلى ما بقي وسجد سجدتين وقال هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وقوله صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في أن أبا هريرة حضر القصة وحمله الطحاوي على المجاز فقال المراد به صلى بالمسلمين وسبب ذلك قول الزهري إن صاحب القصة استشهد ببدر فإن مقتضاه أن تكون القصة وقعت قبل بدر وهي قبل إسلام أبي هريرة بأكثر من خمس سنين لكن اتفق أئمة الحديث كما نقله ابن عبد البر وغيره على أن الزهري وهم في ذلك وسببه أنه جعل القصة لذي الشمالين وذو الشمالين هو الذي قتل ببدر وهو خزاعي واسمه عمير وأما ذو اليدين فتأخر بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة لأنه حدث بهذا الحديث بعد النبي صلى الله عليه وسلم كما أخرجه الطبراني وغيره وهو سلمي واسمه الخرباق كما سيأتي فلما وقع عند الزهري بلفظ فقام ذو الشمالين وهو يعرف أنه قتل ببدر قال لأجل ذلك إن القصة وقعت قبل بدر وقد جوز بعض الأئمة أن تكون القصة وقعت لكل من ذي الشمالين وذي اليدين وأن أبا هريرة روى الحديثين فأرسل أحدهما وهو قصة ذي الشمالين وشاهد الأخرى وهي قصة ذي اليدين وهذا محتمل في طريق الجمع وروى البخاري أيضا عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى صلاتي العشي قال محمد بن سيرين وأكثر ظني العصر ركعتين ثم سلم ثم قام إلى خشبة في مقدم المسجد فوضع يده عليها وفيهم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا أقصرت الصلوة ورجل يدعوه النبي صلى الله عليه وسلم ذو اليدين فقال أنسيت أم قصرت الصلوة فقال لم أنس ولم تقصر فقال بلى قد نسيت فصلى ركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر وعن عمران بن الحصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر فسلم من ثلاث

ركعات ثم دخل منزله فقام إليه رجل يقال له الخرباق وكان في يديه طول فقال يا رسول
الله فذكر صنيعه وخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى إلى الناس فقال أصدق هذا قالوا
نعم فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم رواه مسلم وهو من أفراده لم يروه البخاري
ورواه أحمد وأبو داود والخرباق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة وآخره
قاف هو اسم ذي اليدين كما ذهب إليه الأكثر وطول يديه يمكن أن يحمل على الحقيقة أو
كناية عن طولهما بالعمل أو البذل قال الحافظ ابن حجر الظاهر في نظري توحد حديثي أبي
هريرة وإن كان قد اجتح ابن خزيمة ومن تبعه إلى تعدد هذه القصة والحامل لهم على
ذلك الاختلاف الواقع في السياقين ففي حديث أبي هريرة أن السلام وقع من اثنتين وأنه
صلى الله عليه وسلم قام إلى الخشبة في المسجد وفي حديث عمران هذا أنه سلم من ثلاث وأنه
دخل منزله لما فرغ من الصلوة فأما الأول فقد حكى ابن كيكلدي العلائي أن بعض
شيوخه حمله على أن المراد به أنه سلم في ابتداء الركعة الثالثة واستبعده ولكن طريق الجمع
يكتفي فيها بأدنى مناسبة وليس بأبعد من دعوى تعدد القصة فإنه يلزم منه كون ذي
اليدين في كل مرة استفهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك واستفهم النبي صلى الله عليه
وسلم الصحابة عن صحة قوله وأما الثاني فلعل الراوي لما رآه تقدم من مكانه إلى جهة
الخشبة ظن أنه دخل منزله لكون الخشبة كانت في جهة منزله فإن كان كذلك وإلا
فرواية أبي هريرة أرجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما أخرجه الشافعي وأبو داود
وابن ماجه وابن خزيمة انتهى وعن معاوية بن حديج بضم الحاء المهملة آخره جيم أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوما فانصرف وقد بقي من الصلوة ركعة فأدركه
رجل فقال أنسيت من الصلوة ركعة فرجع فدخل المسجد فأمر بلالا فأقام الصلوة
فصلى بالناس ركعة فأخبرت بذلك الناس فقالوا أتعرف الرجل قلت لا إلا أن أراه
فمر بي فقلت هو هذا فقالوا هذا طلحة بن عبيد الله رواه أبو داود والبيهقي في سننهما
وابن خزيمة في صحيحه وعين الصلوة المغرب وقال ابن خزيمة وهذه القصة
غير قصة ذي اليدين لأن المعلم للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة طلحة بن عبيد الله
ومخبره في تلك القصة ذو اليدين والسهو منه عليه الصلوة والسلام في قصة ذي اليدين
إنما كان في الظهر أو العصر وفي هذه القصة إنما كان السهو في المغرب لا في الظهر ولا في
العصر وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من
اثنتين فقال له ذو اليدين أقصرت الصلوة أم نسيت يا رسول الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدق ذو اليدين فقال الناس نعم فقام صلى الله عليه وسلم
فصلى اثنتين أخريين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع وفي رواية سلمة
ابن علقمة قلت لمحمد يعني ابن سيرين في سجدتي السهو تشهد فقال ليس في حديث أبي
هريرة رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي والنسائي قال الحافظ

ابن حجر لم يقع في غير هذه الرواية لفظ القيام وقد استشكل أنه صلى الله عليه وسلم
كان قائما وأجيب بأن المراد بقوله فقام أي اعتدل لأنه كان مستندا إلى
الخشبة كما مر وقد يفهم من قول محمد بن سيرين عن التشهد ليس في حديث أبي هريرة
أنه ورد في حديث غيره وهو كذلك فقد رواه أبو داود والترمذي وابن حبان
والحاكم من طريق أشعث بن عبد الملك عن محمد بن سيرين عن خالد الحذاء عن أبي قلابة
عن أبي المهلب عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم فسها فسجد
سجدتين ثم تشهد ثم سلم قال الترمذي حديث غريب وقال الحاكم صحيح على شرطهما
وقال ابن حبان ما روى ابن سيرين عن خالد غير هذا الحديث وضعفه البيهقي
وابن عبد البر وغيرهما ووهموا رواية أشعث لمخالفته غيره من الحفاظ عن ابن سيرين
فزيادة أشعث شاذة لكن قد ورد في التشهد في سجود السهو عن ابن مسعود عند
أبي داود والنسائي وعن المغيرة عند البيهقي وفي إسنادهما ضعف فقد يقال
إن الأحاديث الثلاثة في التشهد باجتماعها ترتقي إلى درجة الحسن قال العلائي
وليس ذلك ببعيد وقد صح ذلك عن ابن مسعود من قوله أخرجه ابن أبي شيبة انتهى
ملخصا من فتح الباري وفي رواية أبي سفيان عن أبي هريرة عند مسلم صلى لنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسلم من ركعتين فقال ذو اليدين فقال أقصرت الصلوة
يا رسول الله أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن فقال
قد كان بعض ذلك يا رسول الله وفي رواية أبي داود من طريق حماد بن زيد عن
هشام بن حسان عن ابن سيرين في هذا الحديث قال فكبر ثم سجد للسهو وهذا يؤيد
من قال لا بد من تكبيرة الإحرام في سجود السهو بعد السلام والجمهور على الاكتفاء
بتكبيرة السجود وهو ظاهر غالب الأحاديث وقال أبو داود لم يقل أحد فكبر إلا حماد
ابن زيد فأشار إلى شذوذ هذه الزيادة ويحتمل أن تكون الخشبة المذكورة في هذا
الحديث الجذع الذي كان عليه السلام يستند إليه قبل اتخاذ المنبر وإنما وقع الاستفهام
هل قصرت لأن الزمان كان زمان النسخ وقوله فقال لم أنس ولم تقصر صريح في نفي
النسيان ونفي القصر وفيه تفسير للمراد بقوله في رواية أبي سفيان المتقدمة كل ذلك
لم يكن وتأييدا لما قاله أصحاب المعاني أن لفظ كل إذا تقدمت وعقبها النفي كان
نفيا لكل فرد لا للمجموع بخلاف ما إذا تأخرت كأن يقول لم يكن كل ذلك ولهذا أجاب
ذو اليدين في رواية أبي سفيان بقوله قد كان بعض ذلك وأجابه في هذه الرواية
بقوله بلى قد نسيت لأنه لما نفى الأمرين وكان مقررا عند الصحابة أن السهو غير
جائز على الأنبياء فيما طريقه التشريع قال ابن دقيق العيد وهو قول عامة العلماء
والنظار وشذت طائفة فقالوا لا يجوز على النبي السهو وهذا الحديث يرد عليهم
يعني حديث ابن مسعود فإن فيه إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون وإن كان القاضي

عياض نقل الاجماع على عدم جواز دخول السهو في الاقوال التبليغية وخص الخلاف
بالافعال لكنهم تعقبوه نعم اتفق من جوز ذلك على انه لا يقر عليه بل يقع له
بيان ذلك اما متصلا بالفعل او بعده كما وقع في هذا الحديث من قوله لم انس ولم
تقصر ثم تبين انه نسي ومعنى قوله لم انس اي في اعتقادي لا في نفس الامر ويستفاد
منه ان الاعتقاد عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين وفائدة السهو في مثل ذلك بيان
الحكم الشرعي اذا وقع مثله لغيره واما من منع السهو مطلقا فاجابوا عن هذا الحديث
باجوبة فقيل قوله لم انس نفي للنسيان ولا يلزم منه نفي السهو وهذا قول من فرق
بينهما وقد تقدم تضعيفه ويكفي فيه قوله في هذه الرواية بلى قد نسيت واقره على
ذلك وقيل قوله لم انس على ظاهره وحقيقته وكان يتعمد ما يقع منه من ذلك ليقع
التشريع منه بالفعل لكونه ابلغ من القول وتعقب بحديث ابن مسعود عند
البخاري ومسلم بلفظ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاد او نقص شك بعض
الرواة والصحيح انه زاد فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلوة شيء قال
وما ذاك قالوا صليت كذا وكذا قال فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين
ثم سلم فلما اقبل علينا بوجهه قال انه لو حدث في الصلوة شيء لنبأتكم به ولكن انما انا
بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم في صلاته فليتحر
الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين ففيه اثبات العلة قبل الحكم بقوله
انما انا بشر مثلكم ولم يكتف باثبات وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول
ليس نسيانه كنسياننا فقال كما تنسون وبهذا الحديث يتضح ايراد قول من قال
معنى قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه حيث قال لا انسى ولكن انسى
لاسن وانكار للفظ الذي انكره على غيره حيث قال بئسما لاحدكم ان يقول
نسيت اية كذا وكذا وقد تعقبوا هذا ايضا بان حديث اني لا انسى لا اصل له
فانه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد وهي اربعة قاله
ابن عبد البر واما الاخير فلا يلزم من ذم اضافة نسيان الاية ذم اضافة نسيان
كل شيء فان الفرق بينهما واضح جدا وقيل ان قوله لم انس راجع الى السلام اي سلمت
قصدا بانيا على اعتقادي اني صليت اربعا وهذا جيد وكان ذا اليدين فهم العموم
فقال بلى قد نسيت وكان هذا القول اوقع شكا احتاج معه الى استثبات
الحاضرين وبهذا التقدير يندفع ايراد من استشكل كون ذي اليدين عدلا ولم
يقبل خبره بمفرده فسبب التوقف فيه كونه اخبر عن امر يتعلق بفعل المسئول
مغايرا لما في اعتقاده وبهذا يجاب من قال ان من اخبر بامر حسي بحضرة جمع لا يخفى
عليهم ولا يجوز عليهم التواطؤ ولا حامل لهم على السكوت عنه ثم لم يكذبوه انه لا يقطع
بصدقه فان سبب عدم القطع كون خبره معارضا باعتقاد المسئول لخلاف ما اخبر به

وفيه

وفيه ان الثقة اذا انفرد بزيادة خبر وكان المجلس متحدا وامتنع في العادة غفلتهم
عن ذلك انه لا يقبل خبره وفيه جواز البناء على الصلوة لمن اتى بالمنافي سهوا وقال
سحنون انما يبني من سلم من ركعتين كما في قصة ذي اليدين لان ذلك وقع على غير
القياس فيقتصر به على مورد النص والزم بقصر ذلك على احدى صلاتي العشي
فيمنعه مثلا في الصبح والذين قالوا بجواز البناء مطلقا قيدوه بما اذا لم يطل
الفصل وفيه ان الكلام سهوا لا يقطع الصلوة خلافا للحنفية واستدل به على
ان تعمد الكلام لمصلحة الصلوة لا يبطلها وتعقب بانه صلى الله عليه وسلم
لم يتكلم الا ناسيا واما قول ذي اليدين له بلى قد نسيت وقول الصحابة له صدق
ذو اليدين فانهم تكلموا معتقدين للنسخ في وقت يمكن وقوعه فيه فتكلموا ظنا
انهم ليسوا في صلوة كذا قيل وهو فاسد لانهم تكلموا بعد قوله عليه الصلوة والسلام
لم تقصر واجيب بانهم لم ينطقوا وانما اومؤا كما عند ابي داود في رواية ساق
مسلم اسنادها وهذا اعتمده الخطابي وقال حمل القول على الاشارة مجاز سائغ
بخلاف عكسه فينبغي رد الروايات التي فيها التصريح بالقول الى هذه وهو قوي اقوى
من قول غيره يحمل على ان بعضهم قال بالنطق وبعضهم بالاشارة لكن يبقى قول
ذي اليدين بلى قد نسيت ويجاب عنه وعن البقية على تقدير ترجيح انهم نطقوا
بان كلامهم كان جوابا للنبي صلى الله عليه وسلم وجوابه لا يقطع الصلوة وتعقب
بانه لا يلزم من وجوب الاجابة عدم قطع الصلوة واجيب بانه ثبتت مخاطبته في
التشهد وهو حي بقولهم السلام عليك ايها النبي ولم تفسد الصلوة والظاهر
ان ذلك من خصائصه وعن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر
خمسا فقيل له ازيد في الصلوة فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد سجدتين بعد ما
سلم رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي بهذا اللفظ الا ان مسلما
لم يقل فيه بعد ما سلم وعبد الله هذا هو ابن مسعود ففي الاحاديث السجود بعد السلام
وقد اختلف في ذلك فقال مالك والمزني وابو ثور من الشافعية بالتفرقة اذا كان
السهو بالنقصان او بالزيادة ففي الاول يسجد قبل السلام وفي الزيادة يسجد بعده
وزعم ابن عبد البر انه اولى من قول غيره للجمع بين الخبرين قال وهو موافق للنظر لانه في
النقص جبر فينبغي ان يكون من اصل الصلوة وفي الزيادة ترغيم للشيطان فيكون
خارجها وقال ابن دقيق العيد لا شك ان الجمع اولى من الترجيح وادعاء النسخ ويترجح
الجمع المذكور بالمناسبة المذكورة واذا كانت المناسبة ظاهرة وكان الحكم على وفقها فيعم
جميع محالها فلا يتخصص الا بنص وتعقب بان كون السجود في الزيادة ترغيما
للشيطان فقط ممنوع بل هو جبر ايضا لما وقع من الخلل فانه وان كان زيادة فهو نقص
في المعنى وقال الخطابي لم يرجع من فرق بين الزيادة والنقصان الى فرق صحيح وايضا

فقصة ذي اليدين وقع فيها السجود بعد السلام وهي عن نقصان وأما قول النووي
أقوى المذاهب قول مالك ثم أحمد فقد قال غيره بل طريق أحمد أقوى لأنه قال يستعمل كل
حديث فيما يرد فيه وما لم يرد فيه شيء يسجد قبل السلام قال ولولا ما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم في ذلك لرأيت كله قبل السلام لأنه من شأن الصلوة فيفعله قبل التسليم
وعند أئمتنا الشافعية سجود السهو كله قبل السلام وعند الحنفية كله بعد السلام
واعتمد الحنفية على حديث ابن مسعود هذا وتعقب بأنه لم يعلم بزيادة الركعة
إلا بعد السلام حين سألوه هل زيد في الصلوة وقد اتفق العلماء في هذه الصورة
على أن سجود السهو بعد السلام لتعذره قبله لعدم علمه بالسهو وإنما تابعه الصحابة
لتجويزهم الزيادة في الصلوة لأنه كان زمان توقع النسخ وأجاب بعضهم بما وقع
في حديث ابن مسعود من الزيادة وهي إذا شك أحدهم في صلاته فليتحر الصواب فليتم
عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين وأجيب بأنه معارض بحديث أبي سعيد عند
مسلم ولفظه إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى فليطرح الشك وليبن على
ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم وبه تمسك الشافعية وجمع بعضهم بينهما
بحمل الصورتين على حالتين ورجح البيهقي طريقة التخيير في سجود السهو قبل السلام
أو بعده ونقل الماوردي الإجماع على الجواز وإنما الخلاف في الأفضل وكذا
أطلق النووي وتعقب بأن إمام الحرمين نقل في النهاية الخلاف في الإجزاء في
المذهب واستبعد القول بالجواز ويمكن أن يقال الإجماع الذي نقله الماوردي
والنووي قبل هذه الآراء في المذاهب المذكورة والله أعلم قال الحافظ ابن حجر
رحمه الله ولو سهى سهوين فأكثر كفاه عند الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد
سجدتان للجميع والجمهور على أنه يسجد للسهو في التطوع كالفرض ه ه ه

الفصل الخامس فيما كان صلى الله عليه وسلم يقوله

بعد انصرافه من الصلوة وجلوسه بعدها وسرعة انفتاله بعدها عن ثوبان
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت
السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام رواه مسلم ولم يمكث
مستقبل القبلة إلا مقدار ما يقول ذلك وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم
كان إذا صلى أقبل على أصحابه فيحمل ما ورد من الدعا بعد الصلوة على أنه كان
يقوله بعد أن يقبل على أصحابه بوجهه الشريف فقد كان عليه الصلوة والسلام
يسرع الانفتال إلى المأمومين وكان ينفتل عن يمينه وعن يساره وقال
ابن مسعود رأيته صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره رواه الشيخان وقال
أنس أكثر ما رأيته صلى الله عليه وسلم ينصرف عن يمينه رواه مسلم وقالت أم سلمة

كان

كان إذا سلم مكث في مكانه يسيرا قالت فنرى والله أعلم لكي ينصرف قبل أن يدركهن
الرجال رواه البخاري وقالت عائشة كان لم يقعد إلا مقدار ما يقول اللهم أنت
السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام رواه مسلم وهذا الحديث يتمسك
به من قال إن الدعا بعد الصلوة لا يشرع والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفي
استمراره صلى الله عليه وسلم جالسا على هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر
وكان يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه الشيخان
من حديث المغيرة بن شعبة وكان يقول بأعلا صوته لا إله إلا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا إياه له النعمة
وله الفضل وله الثنا الحسن الجميل لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
رواه مسلم من حديث عبد الله بن الزبير وعن سعد أنه كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات
ويقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر الصلوات اللهم إني أعوذ بك
من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك من أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب
القبر رواه البخاري وعن زيد بن أرقم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر
كل صلوة اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أنك الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا
ورب كل شيء أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن
العباد كلهم إخوة اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصا لك وأهلي في كل ساعة من الدنيا
والآخرة يا ذا الجلال والإكرام اسمع واستجب الله الأكبر الله الأكبر نور السموات والأرض
الله الأكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله الأكبر الله الأكبر رواه أبو داود وأحمد ورأيت
في كتاب الهدي لابن القيم وأما الدعا بعد السلام من الصلوة مستقبل القبلة سوا المنفرد
والإمام والمأموم فلم يكن ذلك من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أصلا ولا روي عنه بإسناد
صحيح ولا حسن وخصص بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر ولم يفعله النبي صلى الله عليه
وسلم ولا الخلفا بعده ولا أرشد إليه أمته وإنما هو استحسان رواه من رآه عوضا
من السنة بعدهما قال وغاية الأدعية المتعلقة بالصلوة إنما فعلها فيها وأمر بها فيها
وهذا هو اللائق بحال المصلي فإنه مقبل على ربه مناجيه فإذا سلم منها انقطعت المناجاة
وانتهى موقفه وقربه فكيف يترك سؤاله في حال المناجاة والقرب منه وهو مقبل عليه
ثم يسأل إذا انصرف عنه ثم قال لكن الأذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن أتى بها
أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن يفرغ منها ويدعو بما شا ويكون دعاؤه
عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة انتهى وقد كان في خاطري
من دعواه النفي مطلقا شيء لما سيأتي ثم رأيت شيخ مشايخنا إمام الحفاظ أبا الفضل
ابن حجر تعقبه فقال وما ادعاه من النفي مطلقا مردود فقد ثبت عن معاذ بن جبل

لا إله إلا الله ولا نعبد الخ

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ والله اني لاحبك فلا تدع دبر كل صلوة ان
تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك اخرجه ابو داود والنسائي وحديث
زيد بن ارقم سمعته صلى الله عليه وسلم يدعو في دبر الصلوة اللهم ربنا ورب كل شيء
اخرجه ابو داود والنسائي وحديث صهيب رفعه كان يقول اذا انصرف من الصلوة
اللهم اصلح لي ديني اخرجه النسائي وصححه ابن حبان وغيره ثم قال فان قيل المراد بدبر
الصلوة قرب اخرها وهو التشهد قلنا قد ورد الامر بالذكر دبر الصلوة
والمراد به بعد السلام اجماعا فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه وقد اخرج الترمذي من
حديث ابي امامة قيل يا رسول الله اي الدعا اسمع قال جوف الليل الاخير ودبر الصلوات
المكتوبات وقال حسن واخرج الطبراني من رواية جعفر بن محمد الصادق قال الدعا
بعد المكتوبة افضل من الدعا بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة قال وفهم
كثير من الحنابلة ان مراد ابن القيم نفي الدعا بعد الصلوة مطلقا وليس كذلك فان
حاصل كلامه انه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وايراده عقيب السلام
واما اذا انفتل بوجهه او قدم الاذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان بالدعا حينئذ
انتهى وكان عليه الصلوة والسلام حين تمام الصلوة في المسجد اذا راهم قليلا جلس
واذا راهم جماعة صلى رواه ابو داود وقال ابو مسعود البدري كان صلى الله عليه وسلم
يمسح مناكبنا في الصلوة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليليني منكم اولوا
الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم رواه مسلم وقال ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي فقمت عن يساره فاخذ بيدي من وراء ظهره فعدلني كذلك من وراء ظهره الى
الشق الايمن رواه البخاري ومسلم وقال انس سقط صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش
شقه الايمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلوة فصلى بنا قاعدا فصلينا وراءه قعودا
فلما قضى الصلوة قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا ركع فاركعوا حتى قال واذا صلى
قاعدا فصلوا قعودا اجمعين زاد بعض الرواة واذا صلى قائما فصلوا قياما رواه البخاري
ومسلم قال الحميدي ومعاني سائر الروايات متقاربة وزاد البخاري في قوله اذا صلى
جالسا فصلوا جلوسا هو في مرضه القديم وقد صلى في مرضه الذي مات فيه جالسا والناس
خلفه قياما لم يامرهم بالقعود وانما يؤخذ بالاخر فالاخر من امره صلى الله عليه وسلم
وقال الشافعي وابو حنيفة وجمهور السلف لا يجوز للقادر على القيام ان يصلي خلف
القاعد الا قائما واحتجوا بانه صلى الله عليه وسلم صلى في مرض موته بعد هذا قاعدا وابو
بكر والناس خلفه قياما وان كان بعض العلما زعم ان ابا بكر رضي الله عنه كان هو الامام
والنبي صلى الله عليه وسلم مقتد به لكن الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان هو الامام

الباب الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الجمعة

عن انس

عن انس بن مالك قال اتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بمراة بيضا فيها نكتة سودا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه فقال هذه الجمعة فضلت بها انت وامتك والنا
لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله
بخير الا استجاب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما
يوم المزيد فقال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا افيح فيه كثيب من مسك فاذا كان
يوم الجمعة انزل الله ما شا من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت
تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهدا والصديقون فجلسوا
من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله انا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني اعطكم فيقولون
ربنا نسالك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون
يوم الجمعة لما يعطيهم ربهم فيه من الخير وفيه استوى ربك على العرش رواه الشافعي في
مسنده وروى مسلم من حديث ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت
عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا
في يوم الجمعة وروى البيهقي في الدعوات من حديث انس كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل
رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وكان يقول ليلة الجمعة
ليلة غرا ويوم الجمعة يوم ازهر وليوم الجمعة من الخواص ما يبلغ عشرين ذكرها ابن القيم في
الهدي النبوي لا اطيل بذكرها سيما وليست من غرضي وهو افضل ايام الاسبوع كما ان
يوم عرفة افضل ايام العام وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة ولهذا كان لوقفة الجمعة
يوم عرفة مزية على ساير الايام وقال ابو امامة بن النقاش يوم الجمعة افضل ايام
الاسبوع ويوم النحر افضل ايام العام قال وغير هذا لا يسلم قائله من اعتراض يعجز عن رده
انتهى وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نحن الاخرون السابقون يوم
القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا
فيه فهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد رواه البخاري وفي
رواية ابن عيينة عن ابي الزناد عند مسلم نحن الاخرون ونحن السابقون اي الاخرون
زمانا الاولون منزلة والمراد باليوم يوم الجمعة وقوله بيد بفتح البا الموحدة واسكان
المثناة من تحت وفتح الدال المهملة اي غير واذا عرف هذا فقوله انما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه اي على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في
السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم لاجله فان قيل هل في العقل وجه يدل
على ان يوم الجمعة افضل من السبت والاحد وذلك لان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى
خلق العالم في ستة ايام وبدا الخلق والتكوين في يوم الاحد وفي يوم الجمعة فكان الفراغ
يوم السبت فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى
وقالت النصارى مبدا الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا عيدا لنا فهذان اليو

معقول لان فما الوجه في جعل يوم الجمعة عيدا **فالجواب** ان يوم الجمعة هو يوم الكمال والتمام وحصول الكمال والتمام يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم فجعل يوم الجمعة يوم العيد اولى من هذا الوجه والله اعلم **قال** ابن بطال وليس المراد في الحديث انه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فتركوه لانه لا يجوز لاحد ان يترك ما فرض الله تعالى عليه وهو مؤمن وانما يدل والله اعلم انه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا فيه ولم يهتدوا ليوم الجمعة كذا قال لكن قد روى ابن ابي حاتم عن السدي التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فابوا ولفظه ان الله فرض على اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وهم القائلون سمعنا وعصينا ويحتمل قوله فهدانا الله له بان نص لنا عليه وان يراد الهداية اليه بالاجتهاد ويشهد للثاني ما رواه عبد الرزاق باسناد صحيح عن محمد ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان تنزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وانزل الله تعالى بعد ذلك اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة وهذا وان كان مرسلا فله شاهد باسناد حسن اخرجه احمد وابو داود وابن ماجة وصححه ابن خزيمة من حديث كعب بن مالك قال كان اول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اسعد بن زرارة فمرسل ابن سيرين يدل على ان اولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ولا يمنع ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن من اقامتها ثم وكذلك جمع بهم اول ما قدم المدينة انتهى **وقال** ابن اسحاق لما قدم عليه الصلوة والسلام المدينة اقام بقبا في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثا ويوم الاربعا ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة في بني سالم فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل تاسيس مسجده **وكان** صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس رواه البخاري من حديث انس **وفي رواية** اذا اشتد البرد بكر بالصلوة واذا اشتد الحر ابرد بالصلوة يعني الجمعة **وفي رواية** سهل بن سعد عند البخاري ومسلم كنا نصلي معه صلى الله عليه وسلم الجمعة ونقيل بعد الجمعة **ثم اعلم** ان الخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح الا بها **وقال** سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين من صلوة الظهر فاذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين من صلوة الظهر • ولم يكن يؤذن في زمانه صلى الله عليه وسلم على المنار وبين يديه وانما كان بلال يؤذن وحده بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر كما صرح به ائمة الحنفية

والمالكية

والمالكية والشافعية وغيرهم وعبارة البرهان المرغيناني من الحنفية في هدايته واذا صعد الامام المنبر جلس واذن المؤذنون بين يدي المنبر بذلك جرى التوارث ولم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الاذان وعبارة ابن الحاجب من المالكية ويحرم السعي عنده اذان جلوس الخطبة وهو المعهود فلما كان عثمان وكثروا امر باذان قبله على الزوراء ثم نقله هشام الى المسجد وجعل الآخر بين يديه انتهى ونحوه قال ابن عبد الحق في تهذيب الطالب واما قول ابن ابي زيد في رسالته وهذا الاذان الثاني احدثه بنو امية فقال شارحوه الفاكهاني وغيره يعني الثاني في الاحداث وهو الاول في الفعل **قال** وكان بعض شيوخنا يقول هو الثاني والثاني هو الاول ومنشؤه ما تقدم انتهى • وعبارة الزركشي كغيره من الشافعية ويجلس الامام على المستراح ليستريح من تعب الصعود ثم يؤذن المؤذن بعد جلوسه فان التاذين كان حين يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن قبله اذان فلما كان زمن عثمان وكثر الناس امرهم بالتاذين ثانيا ثم يديم الجلوس الى فراغ المؤذن انتهى **وعن السائب** ابن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان زمن عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء رواه البخاري وقال الزوراء موضع بالسوق **وفي رواية** له ايضا ان التاذين الثاني يوم الجمعة امر به عثمان حين كثر اهل المسجد وهو يفسر بما فسر به قول ابن ابي زيد **وعند** ابن خزيمة كان الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر اذانين يوم الجمعة قال ابن خزيمة قوله اذانين يريد الاذان والاقامة تغليبا او لاشتراكهما في الاعلام **وللنسائي** كان بلال يؤذن اذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فاذا نزل اقام **وفي رواية** وكيع عن ابن ابي ذئب فامر عثمان بالاذان الاول ونحوه للامام الشافعي من هذا الوجه **قال** في فتح الباري ولا منافاة بينهما لانه باعتبار كونه مزيدا يسمى ثالثا وباعتبار كونه مقدما على الاذان والاقامة يسمى اولا **واما قوله** في رواية البخاري ان التاذين الثاني فمتوجه بالنظر الى الاذان الحقيقي لا الاقامة **وقال** الشيخ خليل في التوضيح واختلف النقل هل كان يؤذن بين يديه عليه السلام او على المنار الذي نقله اصحابنا انه كان على المنار نقله ابن القاسم عن مالك في المجموعة ونقل ابن عبد البر في كافيه عن مالك ان الاذان بين يدي الامام ليس من الامر القديم وقال غيره هو اصل الاذان في الجمعة وكذلك نقل صاحب تهذيب الطالب المازري **وفي الاستذكار** ان هذا اشتبه على بعض اصحابنا وانكر ان يكون الاذان يوم الجمعة بين يدي الامام كان في زمنه عليه السلام وابي بكر وعمر وان ذلك حدث في زمان هشام قال وهذا قول من قل علمه ثم استشهد بحديث السائب بن يزيد المروي في البخاري والنسائي ثم قال وقد رفع الاشكال فيه ابن اسحاق عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان يؤذن

بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة وابو بكر وعمر انتهى والحكمة
فى جعل الاذان فى هذا المحل ليعرف الناس بجلوس الامام على المنبر فينصتون له اذا
خطب قاله المهلب قال فى فتح البارى وفيه نظر فان فى سياق محمد بن اسحاق عند
الطبرانى وغيره فى هذا الحديث ان بلالا كان يؤذن على باب المسجد فالظاهر انه كان
لمطلق الاعلام لا لخصوص الانصات والذى يظهر ان الناس اخذوا بفعل عثمان
فى جميع البلاد اذ ذاك لكونه كان خليفة مطاع الامر لكن ذكر الفاكهى ان اول
من احدث الاذان الاول بمكة الحجاج وبالبصرة زياد وفى تفسير جويبر عن الضحاك
عن معاذ ان عمر امر مؤذنين ان يؤذنا للناس الجمعة خارجا من المسجد حتى يسمع الناس
وامر ان يؤذن بين يديه كما كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر ثم قال عمر
نحن ابتدعناه لكثرة المسلمين وهذا منقطع بين مكحول ومعاذ ولا يثبت وقد تواترت
الاخبار ان عثمان هو الذى زاده فهو المعتمد وقد روى عبد الرزاق ما يقوى هذا
الاثر عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى اول من زاد الاذان بالمدينة عثمان فقال
عطاء كلا انما يدعو الناس ولا يؤذن غير اذان واحد انتهى لكن عطاء لم يدرك عثمان بن عفان
فرواية من اثبت ذلك عنه مقدمة على انكاره ويمكن الجمع بان الذى كان فى زمن عمر
ابن الخطاب استمر على عهد عثمان ثم رأى ان يجعله اذانا وان يكون على مكان عال ففعل
ذلك فنسب اليه لكونه بالفاظ الاذان وترك ما كان يفعله عمر لكونه مجرد اعلام وروى
ابن ابى شيبة عن ابن عمر قال الاذان الاول يوم الجمعة بدعة فيحتمل ان يكون قال
ذلك على سبيل الانكار وان يكون اراد به انه لم يكن فى زمنه عليه السلام يسمى بدعة
لكن منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون غير ذلك ثم ان فعل عثمان رضى الله عنه
كان اجماعا سكوتيا لانهم لم ينكروه عليه انتهى واول جمعة جمعها النبى صلى الله
عليه وسلم باصحابه كما قدمناه فى حديث الهجرة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطبهم
وهى اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه
واومن به ولا اكفره واعادى من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة
على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من
الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله
فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم
المسلم ان يحضه على الآخرة وان يامره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه
فان تقوى الله لمن عمل بها على وجل ومخافة من ربه عون وصدق على ما تبتغون من
الآخرة ومن يصل الذى بينه وبين الله من امره فى السر والعلانية لا ينوى به الا وجه
الله يكن له ذكرا فى عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما

كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف
بالعباد هو الذى صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول
لدى وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله فى عاجل امركم وآجله فى السر والعلانية
فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما
وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وسخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى
الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم
سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا
اعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حى عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا
لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان
الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ذكر هذه الخطبة القرطبى فى تفسيره وغيره
وقد كان صلى الله عليه وسلم يخطب متوكئا على قوس او عصى وفى سنن ابن ماجه انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب فى الحرب خطب على قوس واذا خطب فى الجمعة خطب على
عصى وعند ابى داود باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم قام متوكئا على قوس
او عصى قالوا والحكمة فى التوكى على نحو السيف الاشارة الى ان هذا الدين قام
بالسلاح ولهذا قبضه باليسرى كعادة من يريد الجهاد ونازع فيه العلامة ابن القيم
فى الهدى النبوى وقال ان الدين لم يقم الا بالقرآن والوحى كذا قال والله اعلم وكان
صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر سلم رواه ابن ماجه وكان صلى الله عليه وسلم
يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائما رواه مسلم من رواية جابر بن سمرة وفى رواية
له كانت له صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس وفى حديث
ابن عمر عند ابى داود كان عليه الصلوة والسلام يخطب خطبتين كان يجلس اذا صعد
المنبر حتى يفرغ المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ثم يقوم فيخطب قال
ابن المنذر الذى عليه اهل العلم من علماء الامصار الخطبة قائما ونقل غيره عن ابى حنيفة
ان القيام فى الخطبة سنة وليس بواجب وعن مالك رواية انه واجب فان تركه اساء
وصحت الخطبة وعند الباقين ان القيام شرط يشترط للقادر كالصلوة واستدلوا
بحديث جابر بن سمرة وبمواظبته صلى الله عليه وسلم على القيام وبمشروعية الجلوس بين
الخطبتين فلو كان القعود مشروعا فى الخطبتين ما احتيج الى الفصل بالجلوس ولان
الذى نقل عنه الجلوس وهو معاوية كان معذورا فعند ابن ابى شيبة من طريق الشعبى
ان معاوية انما خطب قاعدا لما كثر شحم بطنه واستدل الشافعى لوجوب الجلوس بين
الخطبتين بما تقدم وبمواظبة النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك وكان صلى الله عليه

وسلم يقول بعد الثناء كما قاله البخاري وكان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه
وعلا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت
انا والساعة كهاتين ويفرق بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير
الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل
بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك
دينا او ضياعا فالي وعلي رواه مسلم والنسائي من حديث جابر وفي رواية كانت
خطبته صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول على اثر ذلك وقد
علا صوته وذكر نحوه وفي اخرى كان يخطب الناس يحمد الله ويثني عليه بما هو اهله ثم
يقول من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وخير الحديث كتاب الله
ثم ذكر نحو ما تقدم وعن ام هشام بنت حارثة بن النعمان قالت ما اخذت ق والقرآن
المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل جمعة على المنبر اذا خطب
الناس رواه مسلم وعن الحكم بن حزن الكلفي قال قدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم رسول الله صح
سابع سبعة او تاسع تسعة فلبثنا عنده اياما شهدنا فيها الجمعة فقام صلى الله عليه
وسلم متوكئا على قوس او قال على عصا فحمد الله واثنى عليه كلمات خفيفات طيبات
مباركات ثم قال يا ايها الناس انكم لن تفعلوا ولن تطيقوا كل ما امرتكم به ولكن سددوا
وابشروا رواه احمد وابو داود وعن يعلى بن امية قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرأ على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك رواه البخاري ومسلم
وعن ابي الدرداء قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة فقال توبوا قبل ان
تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم
تسعدوا واكثروا الصدقة ترزقوا وامروا بالمعروف تخصبوا وانهوا عن المنكر تنصروا
ايها الناس ان اكيسكم اكثركم ذكرا للموت واكرمكم احسنكم استعدادا له الا وان من علامات
العقل التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب
ليوم النشور رواه ورواه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله مختصرا بنحوه ٢
وفي مراسيل ابي داود عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله
نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهده الله فلا مضل
له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله
بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقد غوى نسأل الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب
سخطه وعنده ايضا بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا خطب
كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شاء الله كان ولو
كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شيء الا باذن الله عز وجل

وقال جابر

وقال جابر كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يقول بعد ان يحمد الله ويصلي
على انبيائه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم
ان العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه وبين اجل
قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته
ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات والذي نفسي بيده ما بعد الموت من
مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار اقول قولي هذا واستغفر الله
العظيم لي ولكم ٢ وعن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال الا
ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر الا وان الآخرة اجل صادق يقضي فيه ملك
قادر الا وان الخير كله بحذافيره في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في النار الا فاعملوا وانتم
من الله على حذر واعلموا انكم معروضون على اعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره رواه الشافعي وعند ابي نعيم في الحلية نحوه واختلف هل يجب الانصات
ويمنع من جميع انواع الكلام حال الخطبة ام لا وعن الشافعي في المسئلة قولان مشهوران
وبناهما بعض الاصحاب على الخلاف في ان الخطبتين بدل عن الركعتين ام لا فعلى الاول
يحرم لا على الثاني والثاني هو الارجح عندهم فمن ثم اطلق من اطلق منهم اباحة الكلام
حتى شنع من شنع عليهم من المخالفين وعن احمد ايضا روايتان وعنهما ايضا التفرقة
بين من يسمع الخطبة وبين من لا يسمعها واغرب ابن عبد البر فنقل الاجماع على وجوب
الانصات على من سمعها الا عن قليل من التابعين ودخل ابو سليك الغطفاني وهو
صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له صلى الله عليه وسلم صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين
رواه البخاري ومسلم وابو داود واستدل به على ان الخطبة لا تمنع الداخل من صلوة
تحية المسجد وتعقب بانها واقعة عين لا عموم لها فيحتمل اختصاصها بسليك ويدل
عليه قوله في حديث ابي سعيد عند اهل السنن جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب
في هيئة بذة فقال له اصليت قال لا قال صل ركعتين وحض الناس على الصدقة الحديث
فامره ان يصلي ليراه بعض الناس وهو قائم فيتصدق عليه وورد ايضا ما يؤيد الخصوصية
وهو ما اخرجه ابن حبان وهو قوله صلى الله عليه وسلم لسليك في آخر الحديث لا تعودن
لمثلها ومما يضعف الاستدلال به على جواز التحية في تلك الحالة انهم اطلقوا ان التحية
تفوت بالجلوس فهذا ما اعتل به من طعن في الاستدلال بهذه القصة على جواز التحية
وكله مردود لان الاصل عدم الخصوصية والتعليل بكونه عليه الصلوة والسلام قصد التصدق
عليه لا يمنع القول بجواز التحية فان المانعين منها لا يجيزون التطوع لعلة التصدق
قال ابن المنير لو ساغ ذلك لساغ مثله في التطوع عند طلوع الشمس وسائر الاوقات
المكروهة ولا قائل به ومما يدل على ان امره بالصلوة لم ينحصر في قصد التصدق معاودته
عليه الصلوة والسلام بامره بالصلوة في الجمعة الثانية بعد ان حصل له في الجمعة الاولى

ثوبين فدخل بهما في الثانية فتصدق بأحدهما فنهاه صلى الله عليه وسلم عن ذلك
أخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث أبي سعيد أيضا ولأحمد وابن حبان أنه كرر
أمره بالصلوة ثلاث مرات في ثلاث جمع فدل على أن قصد الصدقة بالصلوة عليه
جزء علة لا علة كاملة وأما إطلاق من أطلق أن التحية تفوت بالجلوس فقد حكى
النووي في شرح مسلم عن المحققين أن ذلك في حق العامد العالم أما الجاهل والناسي
فلا وحال هذا الداخل محمولة على الأول على أحدهما وفي المرتين الأخيرتين على النسيان
والحامل للمانعين على التأويل المذكور أنهم زعموا أن ظاهره معارض للأمر بالإنصات
والاستماع للخطبة وقد أجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك وغيره من أدلة المانعين
بما يطول ذكره ثم قال وهذه الأجوبة التي قدمناها تندفع من أصلها بعموم قوله صلى
الله عليه وسلم في حديث أبي قتادة إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين
متفق عليه قال وورد أخص منه في حال الخطبة ففي رواية شعبة عن عمرو بن دينار
قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب
إذا جاء أحدكم والإمام يخطب أو قد خرج فليصل ركعتين متفق عليه ولمسلم من
طريق أبي سفيان عن جابر أنه قال ذلك في قصة سليك ولفظه بعد قوله فاركعهما
وتجوز ثم قال إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز
فيهما قال النووي هذا نص لا يتطرق إليه التأويل ولا أظن عالما يبلغه هذا
اللفظ ويعتقده صحيحا فيخالفه وقال العارف أبو محمد ابن أبي جمرة هذا الذي أخرجه
مسلم نص في الباب لا يحتمل التأويل انتهى وقال قوم إنما أمره صلى الله عليه وسلم بسنة
الجمعة التي قبلها ومستندهم قوله عليه الصلوة والسلام في قصة سليك أصليت
ركعتين قبل أن تجيء من البيت ولهذا قال الأوزاعي إن كان صلى في البيت قبل أن
يجيء فلا يصلي إذا دخل المسجد وتعقب بأن المانع من صلوة التحية لا يجيز
التنفل حال الخطبة مطلقا ويحتمل أن يكون معنى قوله أن تجيء أي إلى الموضع الذي أنت
به الآن وفائدة الاستفهام احتمال أن يكون صلاهما في مؤخر المسجد ثم تقدم ليقرب
من سماع الخطبة ويؤيده أن في رواية مسلم أصليت الركعتين بالألف واللام وهي
للعهد ولا عهد هناك أقرب من تحية المسجد وأما سنة الجمعة التي قبلها فيأتي الكلام
فيها إن شاء الله تعالى وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم قصدا وخطبته قصدا رواه
مسلم والترمذي من رواية جابر بن سمرة زاد في رواية أبي داود يقرأ بآيات من القرآن
ويذكر الناس وله في أخرى كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة إنما هو كلمات يسيرات
وعن عمرو بن حريث أنه صلى الله عليه وسلم خطب وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها
بين كتفيه رواه مسلم قال ابن القيم في الهدي وكان عليه الصلوة والسلام إذا
اجتمع الناس خرج إليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا

طرحة

طرحة ولا سواد فإذا دخل المسجد سلم عليهم فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه
وسلم عليهم ثم يجلس ويأخذ بلال في الأذان فإذا فرغ منه قام صلى الله عليه وسلم فخطب
من غير فصل بين الأذان والخطبة لا بإيراد خبر ولا غيره ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره
وإنما كان يعتمد على قوس أو عصى قبل أن يتخذ المنبر وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم
بالإنصات انتهى وينظر في قوله ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وإنما كان يعتمد على
قوس أو عصى قبل أن يتخذ المنبر وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ بسورة الجمعة في الركعة
الأولى وإذا جاءك المنافقون في الثانية رواه مسلم والترمذي وأبو داود والحكمة
في قراءته صلى الله عليه وسلم بسورة الجمعة اشتمالها على وجوب الجمعة وغير ذلك مما فيها
من القواعد والحث على التوكل والذكر وغير ذلك وقراءة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها
منهم وتنبيههم على التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد لأنهم ما كانوا يجتمعون في مجلس
أكثر من اجتماعهم فيها وفي حديث النعمان بن بشير عند مسلم وكان يقرأ في العيدين وفي
الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وقد اختلف في العدد الذي
تنعقد بهم الجمعة وللعلماء فيه خمسة عشر قولا أحدها تصح من الواحد نقله ابن حزم الثاني
اثنان كالجماعة وهو قول النخعي وأهل الظاهر الثالث اثنان مع الإمام عند أبي يوسف
ومحمد والليث الرابع ثلاثة معه عند أبي حنيفة وسفيان الثوري الخامس سبعة عند
عكرمة السادس تسعة عند ربيعة السابع اثنا عشر عند ربيعة أيضا في رواية الثامن
مثله غير الإمام عند إسحاق التاسع عشرون في رواية ابن حبيب عن مالك العاشر
ثلاثون كذلك الحادي عشر أربعون بالإمام عند إمامنا الشافعي واشترط كونهم
أحرارا بالغين عقلاء مقيمين لا يظعنون صيفا ولا شتاء إلا لحاجة وأن يكونوا حاضرين
من أول الجمعة إلى أن تقام الجمعة وحجة الشافعي ما رواه الدارقطني وابن ماجه والبيهقي
في الدلائل عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد أبي حين ذهب بصره فإذا خرجت
به إلى الجمعة فسمع الأذان صلى على أبي أمامة واستغفر له فمكث كذلك حينا لا يسمع
الأذان في الجمعة إلا فعل ذلك فقلت له يا أبت استغفارك لأبي أمامة كلما سمعت أذان
الجمعة ما هو قال أي بني هو أول من جمع بالمدينة فقلت له كم كنتم يومئذ قال أربعون رجلا
وقال جابر بن عبد الله مضت السنة أن في كل ثلاثة إماما وفي كل أربعين فما فوق
ذلك جمعة أخرجه الدارقطني وروى البيهقي عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم
جمع بالمدينة وكانوا أربعين رجلا قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري نفع الله
بوجوده قال في المجموع قال أصحابنا وجه الدلالة أن الأمة أجمعوا على اشتراط العدد
والأصل الظهر فلا تصح الجمعة إلا بعدد ثبت فيه توقيف وقد ثبت جوازها بأربعين وثبت
صلوا كما رأيتموني أصلي ولم يثبت صلاته لها بأقل من ذلك فلا تجوز بأقل منه قال وأما
خبر انفضاضهم فلم يبق إلا اثنا عشر فليس فيه أن ابتداءها كان باثني عشر بل يحتمل عودهم

او عود غيرهم مع سماع اركان الخطبة وفي مسلم انفضوا في الخطبة وفي رواية البخاري
انفضوا في الصلوة وهي محمولة على الخطبة جمعا بين الاخبار انتهى الثاني عشر ان يعود غير
الامام عند الشافعي ايضا ونسب لعمر بن عبد العزيز وعطا انتهى الثالث عشر خمسون عند
احمد في رواية وحكيت عن عمر بن عبد العزيز الرابع عشر ثمانون حكاه المازري الخامس عشر
جمع كثير بغير حصر ولعل هذا الاخير ارجحها من حيث الدليل قاله في فتح الباري ه

الباب الثالث في ذكر تهجده صلوات الله وسلامه عليه

قال الله تعالى له عليه السلام ومن الليل فتهجد به نافلة لك اى بالقران والمراد منه الصلوة
المشتملة على القران والهجود في اللغة النوم وعن ابي عبيدة الهاجد النائم والهاجد المصلي
بالليل وعن الازهري الهاجد النائم وقال المازري التهجد الصلوة بعد الرقاد ثم صلوة
اخرى بعد رقدة قال وهكذا كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله نافلة لك
اى عبادة زائدة في فرائضك ويمكن نصرة هذا القول بان قوله فتهجد امر وصيغة
الامر للوجوب فوجب كون هذا التهجد واجبا وروى الطبراني عن ابن عباس ان النافلة
للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه امر بقيام الليل وكتب عليه دون امته واسناده
ضعيف وقيل معناه زيادة لك خالصة لان تطوع غيره يكفر ما على صاحبه من ذنب
وتطوعه هو صلى الله عليه وسلم سوى المكتوبة انما تكون لزيادة الدرجات وكثرة
الحسنات ولهذا سمي نافلة بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات
فهذه الطاعات يحتاجون اليها لتكفير الذنوب والسيئات وروى من طريق سعد
ابن هشام عن عائشة قالت ان الله افترض قيام الليل في اول هذه السورة يعني
يا ايها المزمل فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انزل الله في اخر هذه السورة
التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضته وروى محمد بن نصر في قيام الليل من
طريق سماك عن ابن عباس شاهدا لحديث عائشة في ان بين النسخ والايجاب سنة
وحكى الشافعي عن بعض اهل العلم ان اخر السورة نسخ افتراض قيام الليل الا ما تيسر
منه ثم نسخ فرض ذلك بالصلوات الخمس وروى محمد بن نصر من حديث جابر ان نسخ
قيام الليل وقع لما توجهوا مع ابي عبيدة في جيش الخبط وكان ذلك بعد الهجرة
لكن في اسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف فوجوب قيام الليل قد نسخ في
حقنا وهل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم اكثر الاصحاب لا والصحيح نعم ونقله
الشيخ ابو حامد عن النص وقالت عائشة قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه
وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا قالت فلما بدن
وكثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام ثم ركع رواه البخاري ومسلم والفاء

قوله

قوله فلا اكون للسببية وهي عن محذوف تقديره اترك تهجدي فلا اكون عبدا
والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف اتركه قال ابن بطال في هذا
الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه صلى الله
عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لا يعلم فضلا عمن يامن انه
استحق النار انتهى ومحل ذلك كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما لم يفض ذلك
الى الملال لان حال النبي صلى الله عليه وسلم كانت اكمل الاحوال فكان لا يمل من عبادة
ربه وان اضر ذلك ببدنه بل صح انه صلى الله عليه وسلم قال وجعلت قرة عيني في الصلوة
كما اخرجه النسائي من حديث انس فاما غيره صلى الله عليه وسلم فاذا خشي الملل ينبغي له
ان لا يكد نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا من الاعمال ما تطيقون
فان الله لا يمل حتى تملوا انتهى لكن ربما دست النفس او الشيطان على المجتهد في العبادة
بمثل ما ذكر خصوصا اذا كبر فيقول قد ضعفت وكبرت فابق على نفسك لئلا ينقطع
عملك بالكلية وهذا وان كان ظاهره جميلا لكن فيه دسائس فانه اذا اطاعه فقد يكون
استدراجا يؤول به الى ترك العمل شيئا فشيئا الى ان ينقطع بالكلية وما ترك سيد
المرسلين المغفور له شيئا من عمله بعد كبره نعم كان يصلي بعض ورده جالسا بعد
ان كان يقوم حتى تفطرت قدماه فكيف بمن اثقلت ظهره الذنوب والاوزار ولا
يامن عذاب النار اذ يجهل حال الشبيبة ونبوا ناعند ظهور شيبه فينبغي للانسان
ان يستعد قبل حلول المشيبة اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك فان من شاب
فقد لاح صبح سواد ليل شعره وقد قال تعالى منذرا لمن يدخل في الصباح ان موعدهم
الصبح اليس الصبح بقريب فكيف بقرب من دخل في الصباح وظهر كوكب نهاره في افق راسه
ولاح قال القرطبي ظن من سال صلى الله عليه وسلم عن سبب تحمله المشقة في العبادة
انه ما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج
الى ذلك فافادهم ان هناك طريقا اخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وايصال النعمة
لمن لا يستحق عليه فيها شيئا فيتعين كثرة الشكر على ذلك والشكر الاعتراف بالنعمة
والقيام بالخدمة فمن كثر منه سمي شكورا ومن ثم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور
وفيه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه قال
العلماء انما الزم الانبياء انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم
وانه ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره
مع ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العباد انتهى والله اعلم انتهى

ذكر سياق صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل ه عن شريح بن هاني قالت عائشة رضي
الله عنها ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشا قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات
او ست ركعات رواه ابو داود وكان يقوم اذا سمع الصارخ رواه البخاري ومسلم

من حديث عائشة وهو يصرح في النصف الثاني وقالت كان عليه الصلوة والسلام ينام
اول الليل ويقوم آخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان كانت به
حاجة اغتسل والا توضأ وخرج رواه الشيخان وقالت ايضا كان عليه الصلوة والسلام
ربما اغتسل في اول الليل وربما اغتسل في آخره وربما اوتر في اول الليل وربما اوتر
في آخره وربما جهر بالقراءة وربما خفت وقالت ام سلمة كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم
يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح رواه ابو داود والترمذي والنسائي
وفي رواية للنسائي كان يصلي العتمة ثم يسبح ثم يصلي بعدها ما شاء الله من الليل ثم
ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم يستيقظ من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك
الآخرة تكون الى الصبح وعن انس قال ما كنا نشاء ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء ان نراه نائما الا رأيناه رواه النسائي وكان اذا
استيقظ من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك لذنبي
واسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك
رحمة انك انت الوهاب وعنها كان عليه الصلوة والسلام اذا هب من الليل كبر عشرا
وحمد الله عشرا وقال سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان الملك القدوس عشرا واستغفر
عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم اني اعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيمة عشرا
ثم يفتتح الصلوة رواه ابو داود وقد روى حديث قيامه بالليل من عائشة وابن
عباس قال ابن القيم واذا اختلف ابن عباس وعائشة في شيء من امر قيامه عليه السلام
بالليل فالقول قول عائشة لكونها اعلم الخلق بقيامه بالليل انتهى فاما حديث ابن عباس
فرواه البخاري ومسلم بلفظ بت عند خالتي ميمونة ليلة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها
فتحدث النبي صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر او بعضه
قعد ينظر الى السماء فقرأ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار حتى ختم
السورة ثم قام الى القربة فاطلق شناقها ثم صب في الجفنة ثم توضأ وضوءا حسنا بين الوضوئين
لم يكثر وقد ابلغ فقام فصلى فقمت فتوضأت فقمت عن يساره فاخذ باذني فادارني
عن يمينه فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فآذنه
بلال بالصلوة فصلى ولم يتوضأ وكان في دعائه اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري
نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وامامي
نورا وخلفي نورا واجعل لي نورا وزاد بعضهم وفي لساني نورا وذكر عصبي ولحمي ودمي
وشعري وبشري وفي رواية فصلى ركعتين خفيفتين قلت قرأ فيهما بام الكتاب في
كل ركعة ثم سلم ثم صلى احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام فاتاه بلال فقال الصلوة يا رسول
الله فقام فركع ركعتين ثم صلى للناس وفي رواية فقام فصلى ثلاث عشرة ركعة منها
ركعتا الفجر حزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا ايها المزمل وفي رواية فصلى ركعتين

ركعتين

ركعتين حتى صلى ثماني ركعات ثم اوتر بخمس لم يجلس فيهن وفي رواية النسائي انه صلى
احدى عشرة ركعة ثم نام حتى استثقل فرأيته ينفخ فاتاه بلال الحديث وفي اخرى فتوضأ
واستاك وهو يقرأ هذه الآية حتى فرغ منها ان في خلق السموات والارض ثم صلى
ركعتين ثم عاد فنام حتى سمعت نفخه ثم قام فتوضأ واستاك ثم صلى ركعتين ثم نام
ثم قام فتوضأ واستاك وصلى ركعتين واوتر بثلاث ولمسلم فاستيقظ فتسوك
وتوضأ وهو يقول ان في خلق السموات والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين
اطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات
بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ وهو يقرأ هؤلاء الآيات ثم اوتر بثلاث
واما حديث عائشة فعن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا ام المؤمنين
انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرأ القرآن قلت بلى قالت
كان خلقه القرآن قلت يا ام المؤمنين انبئيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت كنا نعد له صلى الله عليه وسلم سواكه وطهوره فيبعثه الله متى شاء ان يبعثه من
الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات ولا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله
ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه
ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم وهو قاعد فتلك احدى عشرة
ركعة يا بني فلما اسن واخذه اللحم اوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه الاول
فتلك تسع يا بني رواه مسلم وللنسائي كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما
شاء ان يبعثه من الليل فيستاك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات ولا يجلس فيهن
الا عند الثامنة ويحمد الله تعالى ويصلي على نبيه ويدعو بينهن ولا يسلم ثم يصلي التاسعة
ويقعد ويحمد الله ويصلي على نبيه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم
وهو قاعد زاد في اخرى فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما اسن صلى الله عليه وسلم واخذه
اللحم اوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول ثم صلى ركعتين وهو جالس
بعدما سلم فتلك تسع اي بني وفي رواية له فصلى ست ركعات يخيل اليه انه سوى بينهن
في القراءة والركوع والسجود ثم يوتر بركعة ثم يصلي ركعتين وهو جالس ثم يضع جنبه وعن
عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين رواه
مسلم واحمد وعنها كان عليه الصلوة والسلام يصلي بين ان يفرغ من صلوة العشاء الى الفجر
احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجدة من ذلك قدر ما
يقرأ احدكم خمسين آية قبل ان يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلوة الفجر وتبين له
الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة
رواه ابو داود وعنها قالت كان يصلي ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس
في شيء الا في آخرها رواه البخاري ومسلم وفي البخاري عن مسروق سألت عائشة عن

صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبعا وتسعا واحدى عشرة سوى ركعتى الفجر وعنده ايضا عن القاسم بن محمد عنها كان صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل ثلاث عشرة منها الوتر وركعتا الفجر قال القرطبي اشكلت روايات عائشة على كثير من اهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها الى الاضطراب وهذا انما يتم لو كان الراوى عنها واحدا واخبرت عن وقت واحد والصواب ان كل شئ ذكرته من ذلك محمول على اوقات متعددة واحوال مختلفة بحسب النشاط وبيان الجواز انتهى فاما ما اجابت به مسروقا فمرادها ان ذلك وقع منه فى اوقات مختلفة فتارة كان يصلى سبعا وتارة تسعا وتارة احدى عشرة واما حديث القاسم فمحمول على ان ذلك كان غالب احواله قيل والحكمة فى عدم الزيادة على احد عشرة ان التهجد والوتر مختص بصلوة الليل وفرائض النهار الظهر وهى اربع والعصر وهى اربع والمغرب وهى ثلاث وتر النهار فناسب ان تكون صلوة الليل كصلوة النهار فى العدد جملة وتفصيلا واما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلوة الصبح لكونها نهارية الى ما بعدها انتهى وعن زيد بن خالد الجهنى انه قال لارمقن صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة قال فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة رواه مسلم وقوله ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما اربع مرات هكذا فى صحيح مسلم وموطا مالك وسنن ابى داود وجامع الاصول لابن الاثير فقد كان قيامه عليه الصلوة والسلام بالليل انواعا احدها ست ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بثلاث كما فى حديث ابن عباس عند مسلم ثانيها انه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ثم يتم ورده احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بركعة رواه البخارى ومسلم من حديث عائشة ثالثها ثلاث عشرة كذلك رواه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهنى رابعها ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بخمس سردا متوالية لا يجلس الا فى آخرهن رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عباس خامسها تسع ركعات لا يجلس فيها الا فى الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعو ثم ينهض ولا يسلم فيصلى التاسعة ثم يقعد فيحمد ويدعو ثم يسلم ثم يصلى ركعتين بعد ما يسلم قاعدا رواه مسلم من حديث عائشة سادسها يصلى سبعا كالتسع ثم يصلى بعدها ركعتين جالسا رواه مسلم ايضا من حديثها سابعها كان يصلى مثنى مثنى ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن رواه احمد عنها ثامنها ما رواه النسائى عن حذيفة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فركع فقال فى ركوعه سبحان ربى العظيم مثل ما كان قائما ثم جلس يقول رب اغفر لى رب اغفر لى فما صلى الا اربع ركعات حتى جاء بلال يدعوه الى الغداة رواه ابو داود ولفظه انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل فكان يقول الله اكبر ثلاثا ذو الملكوت

والجبروت

والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه وكان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه يقول لربى الحمد ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه فكان يقول فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده وكان يقول رب اغفر لى فصلى اربع ركعات فقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة او الانعام شك شعبة ورواه البخارى ومسلم بلفظ صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا اذا مر بآية فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سأل واذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربى العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده زاد فى رواية ربنا لك الحمد ثم قام قياما طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربى الاعلى فكان سجوده قريبا من قيامه وزاد النسائى لا يمر بآية تخويف او تعظيم لله عز وجل الا ذكره **وقد كانت هيئة صلاته** عليه الصلوة والسلام ثلاثة احدها انه كان اكثر صلاته قائما فعن حفصة قالت ما رأيته صلى الله عليه وسلم صلى فى سبحته قاعدا حتى كان قبل وفاته بعام فكان يصلى فى سبحته قاعدا الحديث رواه احمد ومسلم والنسائى وصححه الترمذى الثانى كان يصلى قاعدا ويركع قاعدا رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث عائشة بلفظ واذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد الثالث كان يقرأ قاعدا فاذا بقى يسير من قراءته قام فركع قائما رواه مسلم من حديث عائشة ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى جالسا فيقرأ وهو جالس فاذا بقى من قراءته قدر ما يكون ثلاثين آية او اربعين آية قام فقرأ وهو قائم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل فى الركعة الثانية مثل ذلك وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يصلى متربعا رواه الدارقطنى وكان صلى الله عليه وسلم يصلى ركعتين بعد الوتر جالسا تارة وتارة يقرأ فيهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع قام فركع قالت عائشة كان يوتر بواحدة ثم يركع ركعتين يقرأ فيهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع قام فركع رواه ابن ماجه وعن ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما اذا زلزلت وقل يا ايها الكافرون رواه احمد واختلف فى هاتين الركعتين فانكرهما مالك وكذا النووى فى المجموع وقال احمد لا افعله ولا امنع انتهى والصواب انه انما فعلهما بيانا للجواز الصلوة بعد الوتر ولفظة كان لا تفيد دواما ولا اكثرية هنا وغلط من ظنهما سنة راتبة فانه صلى الله عليه وسلم ما داوم عليهما ولا تشبه السنة بالفرض حتى يكون للوتر صلوة بعد

واما قيامه عليه الصلوة والسلام ليلة النصف من شعبان فعن عائشة

رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فاطال السجود
حتى ظننت انه قد قبض فلما رايت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك فرجعت فلما
رفع راسه من السجود وفرغ من صلاته قال يا عائشة او يا حميرا اظننت ان النبي صلى الله
عليه وسلم قد خاس بك قلت لا والله يا رسول الله ولكني ظننت انك قد قبضت لطول
سجودك فقال اتدرين اي ليلة هذه قلت الله ورسوله اعلم قال هذه ليلة النصف
من شعبان ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين
ويرحم المسترحمين ويؤخر اهل الحقد كما هم رواه البيهقي من طريق العلاء بن الحارث
عنها وقال هذا مرسل جيد يعني ان العلاء لم يسمع من عائشة وقد ورد في فضل ليلة
النصف من شعبان احاديث كثيرة لكن ضعفها الاكثرون وصحح ابن حبان بعضها
وخرجه في صحيحه ومن امثلتها كما نبه عليه الحافظ ابن رجب حديث عائشة قالت
فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافع راسه الى السماء فقال
اكنت تخافين ان يحيف الله عليك ورسوله فقلت يا رسول الله قد ظننت انك اتيت
بعض نسائك فقال ان الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر
لاكثر من عدد شعر غنم كلب رواه احمد وقال الترمذي ان البخاري ضعفه وفي سنن
ابن ماجة باسناد ضعيف عن علي مرفوعا اذا كان ليلة نصف شعبان فقوموا ليلها
وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول الا من
مستغفر فاغفر له الا من مسترزق فارزقه الا من مبتلى فاعافيه الا كذا الا كذا حتى
يطلع الفجر وقد كان التابعون من اهل الشام كخالد بن معدان ومكحول يجتهدون
ليلة النصف من شعبان في العبادة وعنهم اخذ الناس تعظيمها ويقال انه بلغهم
في ذلك آثار اسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم اختلف الناس فيه فمنهم من قبله منهم
وقد انكر ذلك العلماء من اهل الحجاز منهم عطا وابن ابي مليكة ونقله عبد الرحمن بن زيد
ابن اسلم عن فقهاء اهل المدينة وهو قول اصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة
واختلف علماء اهل الشام في صفة احيائها على قولين احدهما انه يستحب احياؤها
جماعة في المسجد وكان خالد بن معدان ولقمان بن عامر يلبسون فيها احسن ثيابهم
ويتبخرون ويكتحلون ويقيمون في المسجد ليلتهم تلك ووافقهم اسحاق بن راهويه
على ذلك وقال في قيامها في المسجد جماعة ليس ذلك ببدعة نقله عنه حرب الكرماني
في مسائله والثاني انه يكره الاجتماع لها في المساجد للصلوة والقصص والدعاء
ولا يكره ان يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه وهذا قول الاوزاعي امام اهل الشام
وفقيههم وعالمهم ولا يعرف للامام احمد كلام في ليلة النصف من شعبان ويتخرج
في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام ليلتي العيدين فانه في
رواية لم يستحب قيامها جماعة لانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه

فعلها واستحبها في رواية لفعل عبد الرحمن بن يزيد الاسود لذلك وهو من التابعين
وكذلك قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولا عن اصحابه انما ثبت عن طائفة من التابعين من اعيان فقهاء اهل الشام انتهى
ملخصا من اللطائف واما قوله تعالى في سورة الدخان انا انزلناه في ليلة مباركة
فالمراد بها انزاله تعالى القرآن في ليلة القدر كما قال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر
وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن قال
الحافظ ابن كثير ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فان نص القرآن
انها في رمضان واما الحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن
الزهري اخبرني عثمان بن محمد عن المغيرة ابن الاخنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه
في الموتى فهو حديث مرسل ومثله لا تعارض به النصوص انتهى واما قيامه عليه الصلوة
والسلام في شهر رمضان وهو الذي سمي بالتراويح جمع ترويحة وهي المرة الواحدة من الراحة
وسميت بذلك لانهم اول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين فعن عائشة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان احيى الليل
وايقظ اهله وجد وشد المئزر رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي ولمسلم
قالت كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي العشر الاواخر
منه ما لا يجتهد في غيره وفي رواية الترمذي كان يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في
غيره وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى
من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما اصبح قال قد رايت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت
ان تفرض عليكم وذلك في رمضان رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية للبخاري
ومسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته
فاصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع اكثر منهم فخرج عليه السلام في الليلة الثانية
فصلوا بصلاته فلما اصبح الناس يذكرون ذلك فكثر اهل المسجد من الليلة الثالثة
فخرج فصلوا بصلاته فلما كان في الليلة الرابعة عجز المسجد عن اهله فلم يخرج اليهم صلى
الله عليه وسلم فطفق رجال منهم يقولون الصلاة فلا يخرج اليهم حتى خرج لصلوة الفجر فلما
قضى الفجر اقبل على الناس ثم تشهد فقال اما بعد انه لم يخف علي شانكم الليلة ولكني
خشيت ان تفرض عليكم صلوة الليل فتعجزوا عنها وفي رواية بنحوه ومعناه مختصرا قال
وذلك في رمضان قال في فتح الباري ظاهر الحديث انه صلى الله عليه وسلم توقع ترتب
افتراض الصلوة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها وفي ذلك اشكال وقد بناه بعض
المالكية على قاعدتهم في ان الشروع ملزم وفيه نظر واجاب المحب الطبري بانه يحتمل

ان يكون الله عز وجل اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلوة معهم افترضتها عليهم
فاحب التخفيف عنهم وقيل خشى ان يظن احد من الامة من مداومته عليها الوجوب قال
القرطبى اى يظنونه فرضا فيجب على من ظن ذلك كما اذا ظن المجتهد حل شئ او تحريمه فانه
يجب عليه العمل به وقد استشكل الخطابى اصل هذه الخشية مع ما ثبت فى حديث الاسراء من
ان الله تعالى قال هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدى فاذا امن التبديل كيف يقع
الخوف من الزيادة وهذا يدفع فى صدر الاجوبة المتقدمة واجاب عنه الخطابى
بان صلوة الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وافعاله الشرعية يجب على الامة
الاقتداء به فيها يعنى عند المواظبة فترك الخروج اليهم لئلا يدخل فى الواجب من طريق الامر
بالاقتداء به لا من طريق انشاء فرض جديد زائد على الخمس وهذا كما يوجب المرء على نفسه صلوة
نذر فتجب ولا يلزم من ذلك زيادة فرض فى اصل الشرع قال وفيه احتمال آخر وهو ان الله
تعالى فرض الصلوة خمسين ثم حط معظمها بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فاذا عادت
الامة فيما استوهبت لها والتزمت ما استعفى لهم نبيهم عليه الصلوة والسلام منه لم
يستنكر ان يثبت ذلك فرضا عليهم قال الحافظ ابن حجر وقد تلقى هذين الجوابين عن
الخطابى جماعة كابن الجوزى وهو مبنى على ان قيام الليل كان واجبا على النبى صلى الله عليه
وسلم وعلى وجوب الاقتداء بافعاله وفى كل من الامرين نزاع ثم اجاب بثلاثة اجوبة
احدها انه يحتمل ان يكون المخوف افتراض قيام الليل بمعنى جعل التهجد فى المسجد جماعة
شرطا فى صحة التنفل بالليل قال ويومئ اليه قوله فى حديث زيد بن ثابت حتى خشيت ان
يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا ايها الناس فى بيوتكم فمنعهم من التجميع فى المسجد
اشفاقا عليهم من اشتراطه وامن مع اذنه فى المواظبة على ذلك فى بيوتهم من افتراضه عليهم
وثانيها ان يكون المخوف افتراض قيام الليل على الكفاية لا على الاعيان فلا يكون ذلك
زائدا على الخمس بل هو نظير ما ذهب اليه قوم فى العيد ونحوها وثالثها يحتمل ان يكون
المخوف افتراض قيام رمضان خاصة فقد وقع فى حديث الباب ان ذلك كان فى رمضان
وفى حديث سفيان بن حسين خشيت ان يفرض عليكم قيام هذا الشهر قال فعلى هذا
يرتفع الاشكال لان قيام رمضان لا يتكرر كل يوم فى السنة فلا يكون ذلك قدرا
زائدا على الخمس واقوى هذه الاجوبة الثلاثة فى نظرى الاول وعن النعمان بن بشير قال
قمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين الى ثلث
الليل الاول ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين الى نصف الليل ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين
حتى ظننا ان لا ندرك الفلاح وكانوا يسمونه السحور رواه النسائى واختلف
العلماء هل الافضل فى صلوة التراويح ان تصلى جماعة فى المسجد او فى البيوت فرادى فقال
الشافعى وجمهور اصحابه وابو حنيفة وبعض المالكية وغيرهم الافضل صلاتها جماعة
كما فعله عمر بن الخطاب والصحابة واستمر عمل المسلمين عليه لانه من الشعائر الظاهرة

فاشبه

فاشبه صلوة العيد فان قلت قد ذكرت ان الحافظ ابن حجر حمل قوله عليه السلام
انى خشيت ان تفرض عليكم على التجميع فى المسجد وقال انه اقوى الاجوبة فالجواب
انه صلى الله عليه وسلم لما مات حصل الامن من ذلك ورجح عمر التجميع لما فى الاختلاف من
افتراق الكلمة ولان الاجتماع على واحد انشط لكثير من المصلين وقال مالك وابو يوسف
وبعض الشافعية وغيرهم الافضل صلاتها فرادى فى البيوت لقوله عليه الصلوة والسلام
افضل صلوة المرء فى بيته الا المكتوبة قالوا وانما فعلها صلى الله عليه وسلم فى المسجد لبيان
الجواز ولانه كان معتكفا واما عدد الركعات التى كان صلى الله عليه وسلم يصليهن
فى رمضان فعن ابى سلمة انه سال عائشة كيف كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى رمضان قالت ما كان يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة يصلى اربعا
فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلى اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثا
قالت عائشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر قال يا عائشة ان عينى تنامان ولا
ينام قلبى رواه البخارى ومسلم واما ما رواه ابن ابى شيبة من حديث ابن عباس كان صلى
الله عليه وسلم يصلى فى رمضان عشرين ركعة والوتر فاسناده ضعيف وقد عارضه
حديث عائشة هذا وهى اعلم بحال النبى صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها وقد كان الامر
من زمنه صلى الله عليه وسلم استمر على ان كل واحد يقوم فى رمضان فى بيته منفردا حتى
انقضى صدر من خلافة عمر وفى البخارى ان عمر خرج ليلة الى المسجد فاذا الناس اوزاع
متفرقون يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط فقال عمر انى لو جمعت
هؤلاء على قارئ واحد لكان امثل ثم عزم فجمعهم على ابى بن كعب ثم خرج ليلة اخرى
والناس يصلون بصلوة قارئهم فقال عمر نعمت البدعة هذه والتى تنامون عنها افضل
من التى تقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون اوله وانما اختار ابيا لانه كان
اقرأهم كما قال عمر وروى سعيد بن منصور من طريق عروة ان عمر جمع الناس على ابى بن كعب
فكان يصلى بالرجال وكان تميم الدارى يصلى بالنساء وفى الموطا امر عمر ابى بن كعب وتميم
الدارى ان يقوما للناس فى رمضان وروى البيهقى باسناد صحيح انهم كانوا يقومون
على عهد عمر بن الخطاب فى شهر رمضان عشرين ركعة قال الحليمى والسر فى كونها عشرين ركعة
ان الرواتب فى غير رمضان عشر ركعات فضوعفت لانه وقت جد وتشمير وفى الموطا
بثلاث وعشرين وجمع البيهقى بينهما بانهم كانوا يوترون بثلاث وفى الموطا عن محمد
ابن يوسف عن السائب بن يزيد انها احدى عشرة وعند عبد العزيز احدى وعشرين
والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الاحوال ويحتمل ان ذلك الاختلاف بحسب
تطويل القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس وقد روى محمد
ابن نصر من طريق داود بن قيس قال ادركت الناس فى امارة ابان بن عثمان وعمر بن عبد
العزيز يعنى بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث وقال مالك هو

الامر القديم عندنا وعن الزعفراني عن الشافعي رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع
وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق وعنه قال ان اطالوا القيام
واقلوا السجود فحسن وان اكثروا السجود واخفوا القراءة فحسن والاول احب الي انتهى
وهل يجوز لغير اهل المدينة ستا وثلاثين قال النووي قال الشافعي لا يجوز ذلك لغيرهم
لان لاهلها شرفا بهجرته صلى الله عليه وسلم ومدفنه ويخالفه قول الحليمي ومن اقتدى
باهل المدينة فقام بست وثلاثين فحسن ايضا وينبغي ان يسلم من كل ركعتين فلو صلى
اربعا بتسليمة لم يصح وفاقا للقاضي حسين في فتاويه ولو صلى سنة الظهر او العصر
اربعا بتسليمة واحدة جاز والفرق ان التراويح بمشروعية الجماعة اشبهت الفرائض قاله
النووي في فتاويه وصرح به في الروضة وقد كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في
قيام رمضان بالليل اكثر من غيره وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان قال فقرأ بالبقرة
ثم بالنساء ثم آل عمران لا يمر بآية تخويف الا وقف وسأل قال فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال
فآذنه بالصلوة اخرجه احمد واخرجه النسائي وعنده ايضا انه ما صلى الا اربع ركعات
وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلوة ه ه ه

الباب الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر

قد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه اوتر بخمس لم يجلس الا في آخرها لكن احاديث الفصل
اثبت واكثر طرقا واحتج بعض الحنفية لما ذهبوا اليه من تعيين الوصل والاقتصار على ثلاث
بان الصحابة اجمعوا على ان الوتر بثلاث موصولة حسن جائز واختلفوا فيما زاد او نقص
قال فاخذنا بما اجمعوا عليه وتركنا ما اختلفوا فيه وتعقبه محمد بن منصور المروزي بما
رواه من طريق عراك بن مالك عن ابي هريرة مرفوعا وموقوفا لا توتروا بثلاث تشبهوا
بصلوة المغرب وقد صححه الحاكم وعن سليمان بن يسار انه كره الثلاث في الوتر وقال
لا يشبه التطوع بالفرض انتهى لكن قد روى الحاكم من حديث عائشة انه كان صلى الله
عليه وسلم يوتر بثلاث لا يقعد الا في آخرهن وروى النسائي من حديث ابي بن كعب
نحوه ولفظه يوتر بسبح اسم ربك وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولا
يسلم الا في آخرهن وبين في عدة طرق ان السور الثلاث بثلاث ركعات والجمع بين هذا
وبين ما تقدم من النهي عن التشبيه بصلوة المغرب ان يحمل النهي على صلوة الثلاث
بتشهدين وقد فعله السلف ايضا وروى محمد بن نصر من طريق الحسن ان عمر كان
ينهض في الثالثة من الوتر بالتكبير ومن طريق المسور بن مخرمة ان عمر اوتر بثلاث لم يسلم
الا في آخرهن ومن طريق ابن طاوس عن ابيه انه كان يوتر بثلاث لا يقعد بينهن
وكان ابن عمر يسلم من الركعة والركعتين في الوتر حتى يأمر ببعض حاجته وهذا ظاهر
انه كان يصلي الوتر موصولا فان عرضت له حاجة فصل ثم بنى على ما مضى وفي هذا رد على

من قال

من قال لا يصح الوتر الا موصولا واصرح من ذلك ما روى الطحاوي من طريق سالم بن
عبد الله بن عمر عن ابيه انه كان يفصل بين شفعه ووتره بتسليمة واخبر ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يفعله واسناده قوي وقد استدل بعضهم على فضل الفصل بانه
صلى الله عليه وسلم امر به وفعله واما الوصل فورد من فعله فقط وقد حمل المخالف
من الحنفية كل ما ورد من الثلاث على الوصل مع ان كثيرا من الاحاديث ظاهر في الفصل
كحديث عائشة يسلم من كل ركعتين فانه يدخل فيه الركعتان اللتان قبل الاخيرة فهو
كالنص في موضع النزاع وحمل الطحاوي هذا ومثله على ان الركعة مضمومة الى الركعتين قبلها
ولم يتمسك في دعوى ذلك الا بالنهي عن البتيراء مع احتمال ان يكون المراد بالبتيراء ان يوتر
بواحدة فردة ليس قبلها شيء وهو اعم من ان يكون مع الوصل او الفصل وقد اختلف
السلف في امرين احدهما في مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس والثاني فيمن اوتر ثم
اراد ان يتنفل في الليل هل يكتفي بوتره الاول ويتنفل ما شاء او يشفع وتره بركعة
ثم يتنفل ثم اذا فعل هل يحتاج الى وتر آخر ام لا فاما الاول فوقع عند مسلم من طريق ابي سلمة
عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس وقد ذهب
اليه بعض اهل العلم وجعلوا الامر في قوله اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا مختصا بمن اوتر
آخر الليل واجاب من لم يقل بذلك بان الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر وحمله
النووي على انه صلى الله عليه وسلم فعله لبيان جواز التنفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسا
واما الثاني فذهب الاكثر الى انه يصلي شفعا ما اراد ولا ينقض وتره عملا بقوله عليه
السلام لا وتران في ليلة وهو حديث حسن اخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث طلق بن علي
وانما يصح نقض الوتر عند من يقول بمشروعية التنفل بركعة واحدة غير الوتر واختلف
السلف ايضا في مشروعية قضاء الوتر فنفاه الاكثر وفي مسلم وغيره عن عائشة انه صلى
الله عليه وسلم كان اذا نام من الليل من وجع او غيره فلم يقم من الليل صلى من النهار ثنتي
عشرة ركعة وقال محمد بن نصر لم نجد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من الاخبار انه قضى
الوتر ولا امر بقضائه وعن عطاء والاوزاعي يقضي ولو طلعت الشمس الى الغروب وهو
وجه عند الشافعي حكاه النووي في شرح مسلم وعن سعيد بن جبير يقضي من القابلة
وعن الشافعية يقضي مطلقا وقالت عائشة اوتر صلى الله عليه وسلم من كل الليل من
اوله واوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي
والنسائي والمراد باوله بعد صلوة العشاء ويحتمل ان يكون اختلاف وقت الوتر باختلاف
الاحوال فحيث اوتر اوله لعله كان وجعا وحيث اوتر في وسطه لعله كان مسافرا واما
وتره في آخره فكان غالب احواله لما عرف من مواظبته على الصلوة آخر الليل والسحر قبيل
الصبح وحكى الماوردي انه السدس الاخير وقيل اول الفجر الاول وفي رواية طلحة
ابن نافع عن ابن عباس عند ابن خزيمة فلما انفجر الفجر قام صلى الله عليه وسلم فاوتر بركعة

قال ابن خزيمة المراد به الفجر الاول وروى احمد من حديث معاذ مرفوعا زادني ربي صلوة وهي الوتر وقتها من العشاء الى طلوع الفجر وفي اسناده ضعف وكذا في حديث خارجة بن حذافة في السنن وهو الذي احتج به من قال بوجوب الوتر وليس صريحا في الوجوب واما حديث بريدة رفعه الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا واعاد ذلك ثلاثا ففي سنده ابو المنيب وفيه ضعف وعلى تقدير قبوله فيحتاج من احتج به الى ان يثبت ان لفظ حق بمعنى واجب في عرف الشارع وان لفظ واجب بمعنى ما ثبت من طريق الآحاد والله اعلم وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي وعائشة راقدة معترضة على فراشه فاذا اراد ان يوتر ايقظها فتوتر كما في البخاري وهذا يدل على استحباب جعل الوتر آخر الليل سواء المتهجد وغيره ومحله اذا وثق ان يستيقظ بنفسه او بايقاظ غيره واستدل به على وجوب الوتر لكونه عليه الصلوة والسلام سلك به مسلك الواجب حيث لم يدعها نائمة للوتر وابقاها للتهجد وتعقب بانه لا يلزم من ذلك الوجوب نعم يدل على تاكيد امر الوتر وانه فوق غيره من النوافل الليلية وفيه استحباب ايقاظ النائم لادراك الصلوة ولا يختص ذلك بالمفروضة ولا بخشية خروج الوقت بل يشرع ذلك لادراك الجماعة وادراك اول الوقت وغير ذلك من المندوبات قال القرطبي ولا يبعد ان يقال انه واجب في الواجب مندوب في المندوب لان النائم وان لم يكن مكلفا لكن مانعه سريع الزوال فهو كالغافل وتنبيه الغافل واجب والله اعلم وعن علي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث يقرا فيهن بتسع سور من المفصل يقرا في كل ركعة بثلاث سور آخرهن قل هو الله احد وعن ابن عباس كان يقرا في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة ركعة وعن عائشة كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين رواه ابو داود والترمذي ولابي داود وكان اذا سلم قال سبحان الملك القدوس وعند النسائي ثلاثا يطيل في آخرهن وفي رواية ويرفع صوته بالثالثة وعن علي كان عليه الصلوة والسلام يقول في آخر وتره اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة قال ابن تيمية سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته وقد كان عليه الصلوة والسلام يقرا في سنة الفجر وفي الوتر بسورتي الاخلاص وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد فسورة قل هو الله احد متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب اثباته للرب تعالى من الاحدية والصمدية المثبتة لجميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ونفي الولد والوالد والكفو المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل والنظير فتضمنت اثبات كل كمال ونفي كل نقص عنه ونفي كل شبيه وهذه هي مجامع التوحيد

لعله والانشاء مكرر فاسقط الكاتب الثانية كذا بخطه

العلمي والاعتقادي فلذلك كانت تعدل ثلث القرآن فان القرآن مدار على الخبر والانشاء ثلاثة امر ونهي واباحة والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى واسمائه وصفاته واحكامه وخبر عن خلقه فاخلصت سورة الاخلاص للخبر عنه وعن اسمائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن واخلصت قارئها المؤمن بها من الشرك العلمي كما اخلصت سورة قل يا ايها الكافرون من الشرك العملي قاله ابن القيم واما القنوت في الركعة الاخيرة من الوتر في النصف الاخير من شهر رمضان فقال النووي في الاذكار باستحبابه ولم يذكر لذلك دليلا وقد اخرج ابو داود باسنادين رجالهما ثقات لكن احدهما منقطع وفي الآخر راو لم يسم ان عمر لما جمع الناس على ابي بن كعب قال كان لا يقنت الا في النصف الاخير من رمضان وعن الحسن بن علي قال علمني جدي كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وهذا لفظ رواية شريك رواه الطبراني وغيره

الباب الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الضحى

وهي متعددة واختلف الرواة هل صلاها النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فمنهم المثبت ومنهم النافي فمن العلماء من رجح رواية المثبت على النافي جريا على القاعدة المعروفة لانها تتضمن زيادة علم خفيت على النافين قالوا وقد يجوز ان يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس ويوجد عند الاقل ومنهم من رجح رواية النافي بقرينة ولم يعتد برواية المثبت اما لضعف او صرفها كما سيأتي عن صلوة الضحى قال الحاكم وفي الباب عن ابي سعيد وابي ذر الغفاري وزيد بن ارقم وابي هريرة وبريدة الاسلمي كلهم شهدوا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى وابي الدرداء وعبد الله بن ابي اوفى وعتبان بن مالك وعتبة بن عبد السلمي ونعيم بن همار الغطفاني وابي امامة الباهلي وعائشة بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة كلهم شهدوا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى انتهى فاما حديث ابي سعيد فاخرجه الحاكم والترمذي من عطية العوفي عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وقال الترمذي حسن غريب قال النووي عطية ضعيف فلعله اعتضد واما حديث ابي ذر الغفاري فرواه البزار واما حديث زيد بن ارقم فرواه مسلم بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى الحديث واما حديث ابي هريرة فرواه البزار في مسنده بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك صلوة الضحى في سفر ولا غيره واسناده ضعيف فيه يوسف بن خالد السمتي ضعيف جدا واما حديث بريدة الاسلمي فرواه   واما حديث ابي الدرداء فرواه الطبراني   واما حديث ابن ابي اوفى فرواه ابن عدي والحاكم بلفظ قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ركعتين يوم بشر براس ابي جهل قال بعض العلماء

النافين لرواية المثبتين هذا الحديث إن كان صحيحا فهو صلاة شكر وقعت وقت الضحى كشكره
يوم فتح مكة وأما حديث عتبان بن مالك فرواه أحمد من رواية محمود بن الربيع عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم صلى في بيته سبحة الضحى وأما حديث عتبة بن عبد فرواه طب وأما
حديث نعيم بن همار فرواه طب وأما حديث أبي أمامة فرواه طب وأما
حديث عائشة فرواه مسلم وأحمد وابن ماجه قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله وعن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة هل كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى قالت لا إلا أن يجيء من مغيبه وأما حديث أم هانئ فرواه
البخاري ومسلم قالت إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني
ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود قالت في رواية أخرى وذلك ضحى
ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها عام الفتح ثماني ركعات في ثوب واحد
قد خالف بين طرفيه وللنسائي أنها ذهبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته
يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت فقال من هذه قلت أنا أم هانئ فلما فرغ من غسله
قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد ولأبي داود أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الفتح صلى سبحة الضحى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين وقد استدل بحديث
البخاري ومسلم على استحباب تخفيف صلاة الضحى وفيه نظر لاحتمال أن يكون السبب
فيه التفرغ لمهمات الفتح لكثرة شغله به وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم
أنه صلى الضحى فطول فيها أخرجه ابن أبي شيبة من حديث حذيفة وأما حديث أم سلمة
فرواه الحاكم من طريق إسحاق بن بشر المحاربي قالت كان صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة
الضحى ثنتي عشرة ركعة قلت وروى عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه أنه رأى النبي
صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى ست ركعات رواه الحاكم أيضا وعن أنس بن مالك قال
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في السفر سبحة الضحى ثماني ركعات رواه أحمد
وصححه ابن خزيمة والحاكم وعن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى
رواه النسائي في سننه الكبرى وأحمد وأبو يعلى وإسناده جيد وعن ابن عمر أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي من الضحى إلا يومين يوم مقدمه مكة وعن أبي بكرة
عند ابن عدي في الكامل من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي بكرة قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى فجاء الحسن وهو غلام فلما سجد ركب على ظهره الحديث
وعمرو بن عبيد متروك وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى
ست ركعات رواه الحاكم قال الشيخ ولي الدين العراقي وقد ورد فيها أحاديث
كثيرة صحيحة مشهورة حتى قال محمد بن جرير الطبري إنها بلغت حد التواتر وقال
ابن العربي وهي كانت صلاة الأنبياء قبل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم قال
الله تعالى مخبرا عن داود إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق فأبقى الله تعالى

من ذلك في دين محمد صلى الله عليه وسلم العصر وشرع صلاة الإشراق واحتج القائلون
بالنفي بحديث عائشة إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن
يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحة الضحى قط وإني لأسبحها رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود وبحديث مورق
العجلي قال قلت لابن عمر أتصلي الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فأبو بكر قال لا قلت
فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا إخاله رواه البخاري وقوله لا إخاله أي لا أظنه
وهو بكسر الهمزة وتفتح أيضا والخاء المعجمة وقول الشعبي سمعت ابن عمر يقول ما ابتدع
المسلمون أفضل من صلاة الضحى وروى عن مجاهد قال دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد
فإذا ابن عمر جالس عند حجرة عائشة فإذا الناس في المسجد يصلون صلاة الضحى فسألناه
عن صلاتهم فقال بدعة وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن الحكم بن الأعرج قال سألت
ابن عمر عن صلاة الضحى فقال بدعة ونعمت البدعة وروى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن
سالم عن أبيه قال لقد قتل عثمان وما أحد يسبحها وما أحدث الناس شيئا أحب إلي
منها وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث بأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يداوم على صلاة
الضحى مخافة أن تفرض على أمته فيعجزوا عنها وكان يفعلها كما صرحت به عائشة كما تقدم
وكما ذكرته أم هانئ وغيرها وقول عائشة ما رأيته صلاها لا يخالف قولها كان يصليها
لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يكون عندها في وقت الضحى إلا في النادر من الأوقات
لأنه قد يكون مسافرا وقد يكون حاضرا وفي الحضر قد يكون في المسجد وقد يكون في
بيت من بيوت زوجاته وغيره وما رأته صلاها في تلك الأوقات النادرة فقالت
ما رأيته وعلمت بغير رؤية أنه كان يصليها بإخباره صلى الله عليه وسلم أو بإخبار غيرها
فروت ذلك وقول ابن عمر لا إخاله فتوقف وكان سبب توقفه أنه بلغه عن غيره أنه صلاها
ولم يثق بذلك عمن ذكره وأما قوله إنها بدعة فمؤول على أنه لم تبلغه الأحاديث المذكورة
أو أراد أنه صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليها أو أن إظهارها في المساجد بدعة وإنما
هي سنة نافلة في البيوت والله أعلم وبالجملة فليس في أحاديث ابن عمر هذه ما يدفع مشروعية
صلاة الضحى لأن نفيه محمول على عدم رؤيته لا على عدم الوقوع في نفس الأمر أو الذي نفاه
صفة مخصوصة كما قدمناه وقد روى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود أنه رأى قوما يصلون الضحى
فأنكر عليهم وقال إن كان ولا بد ففي بيوتكم وذهب آخرون إلى استحباب فعلها غبا
فتصلى في بعض الأيام دون بعض وكان ابن عباس يصليها يوما ويدعها عشرة أيام
وذهب آخرون إلى أنها إنما تفعل لسبب من الأسباب وأنه عليه الصلاة والسلام
إنما صلاها يوم فتح مكة من أجل الفتح وكان الأمراء يسمونها صلاة الفتح متمسكين بما
قاله عياض وغيره أن حديث أم هانئ ليس بظاهر في أنه عليه الصلاة والسلام قصد
سنة الضحى وإنما فيه أنها أخبرت عن وقت صلاته فقط قال وقد قيل إنها كانت قضاء

عما شغل عنه تلك الليلة من حزبه فيها وتعقبه النووي بان الصواب صحة الاستدلال به لما رواه ابو داود من طريق كريب عن ام هانئ انه صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى ولمسلم في كتاب الطهارة من طريق ابي مرة عن ام هانئ في قصة اغتساله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثم صلى ثماني ركعات سبحة الضحى وروى ابن عبد البر في التمهيد من طريق عكرمة بن خالد عن ام هانئ قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فصلى ثماني ركعات فقلت ما هذه الصلوة قال صلوة الضحى واستدل به على ان اكثر الضحى ثمان ركعات واستبعده السبكي ووجه بان الاصل في العبادة التوقيف وهذا اكثر ما ورد من فعله عليه السلام وقد ورد من فعله دون ذلك كحديث ابن ابي اوفى انه عليه السلام صلى الضحى ركعتين اخرجه ابن عدي واما ما ورد من قوله عليه الصلوة والسلام مما فيه زيادة على ذلك كحديث انس مرفوعا من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة اخرجه الترمذي واستغربه وليس في اسناده من اطلق عليه الضعف ومن ثم قال الروياني اكثرها ثنتي عشرة وقال النووي في شرح المهذب فيه حديث ضعيف كانه يشير الى حديث انس لكن اذا ضم اليه حديث ابي الدرداء رفعه وفيه من صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة رواه الطبراني وحديث ابي ذر عند البزار وفي اسناده ضعف ايضا قوي وصلح للاحتجاج ونقل الترمذي عن احمد ان اصح شيء ورد في الباب حديث ام هانئ وهو كما قال ولهذا قال النووي في الروضة افضلها ثمان واكثرها ثنتي عشرة ففرق بين الافضل والاكثر واجاب القائلون بانها لا تفعل الا لسبب عن قول ابي هريرة المروي في البخاري اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا ادعهن حتى اموت بصوم ثلاثة ايام من شهر وصلوة الضحى الحديث بانه قد روي ان ابا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلوة فامره بالضحى بدلا عن قيام الليل ولهذا امره ان لا ينام الا على وتر ولم يامر بذلك ابا بكر ولا عمر ولا سائر الصحابة انتهى قال الحافظ ابن حجر وهذه الوصية لابي هريرة قد ورد مثلها لابي الدرداء فيما رواه مسلم ولابي ذر فيما رواه النسائي قال والحكمة في الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلوة والصيام ليدخل في الواجب منهما بانشراح ولينجبر ما لعله يقع من نقص ومن فوائد صلوة الضحى انها تجزئ عن الصدقة التي تصبح على مفاصل الانسان الثلاثمائة وستين مفصلا كما اخرجه مسلم من حديث ابي ذر قال فيه ويجزئ من ذلك ركعتا الضحى وقد ذكر اصحابنا الشافعية انها افضل التطوع بعد الرواتب لكن قال النووي في شرح المهذب قدم عليها صلوة التراويح فجعلها في الفضل بين الرواتب والضحى وحكى الحافظ ابو الفضل العراقي في شرح الترمذي انه اشتهر بين العوام ان من صلى الضحى ثم قطعها يعمى فصار كثير من الناس يتركها اصلا لذلك وليس لما قالوا اصل بل الظاهر انه مما القاه الشيطان على السنة العوام ليحرمهم الخير الكثير لا سيما ما وقع في حديث ابي ذر

واقتصر

واقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين على الثلاثة المذكورة في الحديث لان الصلوة والصيام اشرف العبادات البدنية ولم يكن المذكورون من اصحاب الاموال فكان يجزئهم من الصدقة عن السلامى كما في الحديث والله اعلم وروى الحاكم من طريق ابي الخير عن عقبة بن عامر قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصلي الضحى بسور منها والشمس وضحاها والضحى ومناسبة ذلك ظاهرة جدا والله اعلم **تنبيه** قال شيخ الاسلام والحافظ ابو الفضل ابن حجر قول عائشة في الصحيح ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على ضعف ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان صلوة الضحى كانت واجبة عليه وقد عدها جماعة من العلماء من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت ذلك في خبر صحيح وقول الماوردي في الحاوي انه صلى الله عليه وسلم واظب عليها بعد يوم الفتح الى ان مات يعكر عليه ما روى مسلم من حديث ام هانئ انه لم يصلها قبل ولا بعد ولا يقال ان نفي ام هانئ لذلك يلزم منه العدم لانا نقول يحتاج من اثبته الى دليل ولو وجد لم يكن حجة لان عائشة ذكرت انه كان اذا عمل عملا اثبته فلا يستلزم المواظبة على هذا الوجوب عليه انتهى وقال ابن العربي في عارضة الاحوذي انا ابو الحسن الازدي انا طاهر انا علي حدثنا ابو غسان ثنا قيس عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب علي النحر ولم يكتب عليكم وامرت بصلوة الضحى ولم تؤمروا بها رواه الدارقطني

القسم الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل

واحكامها وفيه بابان الاول في النوافل المقرونة بالاوقات وفيه فصلان الاول في رواتب الصلوات الخمس والجمعة وفيه فروع

الاول في احاديث جامعة

لرواتب مشتركة عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلوة العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي في بيته ركعتين قال واخبرتني حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سكت المؤذن من الاذان لصلوة الصبح وبدا له الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل ان تقام الصلوة رواه البخاري فهذه عشر ركعات لان الركعتين بعد الجمعة لا يجتمعان مع الركعتين بعد الظهر الا لعارض بان يصلي الجمعة وسنتها التي بعدها ثم يتبين له فسادها فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها كما نبه عليه الشيخ ولي الدين العراقي واختلف في دلالة كان على التكرار وصحح ابن الحاجب انها تقتضيه قال وهذا استفدناه من قولهم كان حاتم يقري الضيف وصحح الامام فخر الدين في المحصول انها لا تقتضيه لا لغة ولا عرفا وقال النووي في شرح مسلم انه المختار الذي عليه الاكثرون والمحققون من الاصوليين وذكر ابن دقيق العيد انها تقتضيه عرفا فعلى هذا ففي الحديث دلالة على تكرر فعل هذه النوافل من النبي صلى الله عليه وسلم وانه كان هذا دابه وعادته

وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي بالناس فيصلي ركعتين وكان بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس العشا ويدخل بيتي فيصلي ركعتين وفي آخره وكان اذا طلع الفجر صلى ركعتين الحديث رواه مسلم فهذه ثنتي عشرة ركعة وعنها كان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة وفي رواية لم يكن يتركهما سرا ولا علانية في سفر ولا حضر ركعتان قبل الصبح وركعتان قبل العصر رواه البخاري ومسلم

الثاني في ركعتي الفجر

قالت عائشة لم يكن صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي ولمسلم لهما احب الي من الدنيا جميعا وكان يصليهما اذا سكت المؤذن بعد ان يستبين الفجر ويخففهما رواه الشيخان وهذا لفظ النسائي واختلف في حكمة تخفيفهما فقيل ليبادر الى صلوة الصبح من اول الوقت وبه جزم القرطبي وقيل ليستفتح صلوة النهار بركعتين خفيفتين كما كان يصنع في صلوة الليل كما تقدم ليدخل في الفرض او ما شابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام وقد ذهب بعضهم الى اطالة القراءة فيهما وهو قول اكثر الحنفية ونقل عن الشعبي واورد البيهقي فيه حديثا مرفوعا من مرسل سعيد بن جبير وفي سنده راو لم يسم وخص بعضهم ذلك بمن فاته شيء من قراءته في صلوة الليل فيستدركها في ركعتي الفجر واخرجه ابن ابي شيبة بسند صحيح وكان كثيرا ما يقرا في الاولى منهما قولوا آمنا بالله وما انزل الينا الآية التي في البقرة وفي الآخرة قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله اشهدوا بانا مسلمون رواه مسلم وابو داود والنسائي من رواية ابن عباس وفي رواية ابي داود من حديث ابي هريرة قولوا آمنا بالله وما انزل الينا في الركعة الاولى وبهذه الآية ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين او انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم قال ابو داود شك الراوي وقال ابو هريرة قرا في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه مسلم وابو داود والترمذي وقد روى ابن ماجة باسناد قوي عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول نعم السورتان يقرأ بهما في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولابن ابي شيبة من طريق ابن سيرين عن عائشة كان يقرا فيهما بهما وللترمذي والنسائي من حديث ابن عمر رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا فكان يقرا بهما وقد استدل بعضهم بهذا على الجهر بالقراءة في ركعتي الفجر ولا حجة فيه لاحتمال ان يكون ذلك عرف بقراءته بعض السورة ويدل على ذلك ان في رواية ابن سيرين المذكورة يسر فيهما القراءة وصححه ابن عبد البر واستدل بعضهم ايضا بهذه الاحاديث المذكورة على انه لا يتعين الفاتحة لانها لم يذكرها مع سورتي الاخلاص واجيب بانه ترك ذكر الفاتحة لوضوح الامر فيهما وكان عليه الصلوة والسلام اذا صلى ركعتي الفجر

اضطجع

اضطجع على شقه الايمن رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة لانه عليه الصلوة والسلام كان يحب التيمن وقد قيل الحكمة فيه ان القلب من جهة اليسار فلو اضطجع عليه لاستغرق نوما لكونه ابلغ في الراحة بخلاف اليمين فيكون القلب معلقا فلا يستغرق وهذا انما يصح بالنسبة الى غيره عليه السلام كما لا يخفى واما ما روي ان ابن عمر رأى رجلا يصلي ركعتي الفجر ثم اضطجع فقال له ما حملك على ما صنعت قال اردت ان افصل بين صلاتي فقال له واي فصل افضل من السلام قال فانها سنة قال بل بدعة رواه ابن الاثير في جامع عن رزين وكذا ما روي من انكار ابن مسعود ومن قول ابراهيم النخعي انها ضجعة الشيطان كما اخرجهما ابن ابي شيبة فهو محمول على انه لم يبلغهم الامر بفعله وارجح الاقوال انه مشروع للفصل لكن لم يداوم عليه السلام عليه وكذا احتج الائمة على عدم الوجوب وحملوا الامر الوارد بذلك عند ابي داود وغيره على الاستحباب وفائدة ذلك الراحة والنشاط لصلوة الصبح وعلى هذا فلا يستحب ذلك الا للمتهجد وبه جزم ابن العربي ويشهد لهذا ما رواه عبد الرزاق ان عائشة كانت تقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يضطجع لسنة ولكنه كان يداب ليلته فيستريح وفي اسناده راو لم يسم وقيل ان فائدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلوة الصبح وعلى هذا فلا اختصاص ومن ثم قال الشافعي ان السنة تتادى بكل ما يحصل به الفصل من مشي وكلام وغيره حكاه البيهقي وقال النووي المختار انها سنة لظاهر حديث ابي هريرة وقد قال ابو هريرة راوي الحديث ان الفصل بالمشي الى المسجد لا يكفي وافرط ابن حزم فقال يجب على كل احد وجعله شرطا لصحة صلوة الصبح فرد عليه العلماء بعده حتى طعن ابن تيمية في صحة الحديث لتفرد عبد الواحد بن زياد به وفي حفظه مقال والحق انه تقوم به الحجة وذهب بعض السلف الى استحبابها في البيت دون المسجد وهو محكي عن ابن عمر وقواه بعض شيوخنا بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فعله في المسجد اخرجه ابن ابي شيبة وقال عليه الصلوة والسلام من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما بعد ما تطلع الشمس رواه الترمذي من رواية ابي هريرة

الثالث في راتبة الظهر

عن ابن عمر صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن عائشة كان عليه الصلوة والسلام لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل صلوة الغداة رواه البخاري ايضا فاما ان يقال انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى في بيته صلى اربعا واذا صلى في المسجد صلى ركعتين وهذا اظهر واما ان يقال كان يفعل هذا وهذا فحكى كل من عائشة وابن عمر ما شاهده والحديثان صحيحان لا مطعن في واحد منهما وقال ابو جعفر الطبري الاربع كانت في كثير من احواله والركعتان في قليلها انتهى وقد يقال ان الاربع التي قبل الظهر لم تكن سنة الظهر بل هي صلوة مستقلة كان يصليها بعد الزوال وروى البزار من حديث ثوبان انه صلى الله عليه وسلم كان يستحب ان يصلي بعد نصف النهار فقالت عائشة يا رسول الله اراك

تستجاب الصلوة هذه الساعة وقال تفتح فيها ابواب السماء وينظر الله تعالى الى خلقه بالرحمة
وهي صلوة كان يحافظ عليها آدم ونوح وابرهيم وموسى وعيسى وعن عبد الله بن السائب
كان صلى الله عليه وسلم يصلي اربعا بعد ان تزول الشمس قبل الظهر وقال انها ساعة تفتح
لها ابواب السماء واحب ان يصعد لي فيها عمل صالح رواه الترمذي وروي ايضا حديث اربع
قبل الظهر وبعد الزوال تحسب بمثلهن في السحر وما من شيء الا وهو يسبح الله تعالى تلك
الساعة ثم قرأ تتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون فهذه والله اعلم
هي الاربع التي رأت عائشة انه كان لا يدعهن واما سنة الظهر فالركعتان التي قال
ابن عمر ويوضح هذا ان سائر الصلوات سنتها ركعتان وعلى هذا فتكون هذه الاربع وردا
مستقلا سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وسر هذا والله اعلم ان انتصاف النهار
مقابل لانتصاف الليل وابواب السماء تفتح بعد زوال الشمس ويحصل النزول الالهي
بعد انتصاف الليل فهما وقتا قرب ورحمة هذا تفتح فيه ابواب السماء وهذا ينزل فيه الرب تبارك
وتعالى عن حركة الاجسام

الرابع في سنة العصر

عن علي كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر ركعتين رواه ابو داود وعن علي ايضا كان صلى
الله عليه وسلم يصلي قبل العصر اربع ركعات يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين
ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين رواه الترمذي وروى عمر مرفوعا ايضا حديث رحم الله
امرأ صلى قبل العصر اربعا وقالت عائشة ما كان صلى الله عليه وسلم يأتيني في يومي بعد
العصر الا صلى ركعتين وفي رواية ما ترك ركعتين بعد العصر عندي قط رواه البخاري
ومسلم ولمسلم ان ابا سلمة سألها عن السجدتين اللتين كان يصليهما بعد العصر فقالت
كان يصليهما قبل العصر ثم انه شغل عنهما او نسيهما فصلاهما بعد العصر ثم اثبتهما وكان
اذا صلى صلوة اثبتها يعني داوم عليها ولابي داود قالت كان يصلي بعد العصر ركعتين
وينهى عنهما ويواصل وينهى عن الوصال وقال ابن عباس انما صلى عليه السلام ركعتين بعد
العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه عن الركعتين اللتين بعد الظهر فقضاهما بعد العصر
ثم لم يعد لهما رواه الترمذي وقالت ام سلمة سمعته صلى الله عليه وسلم ينهى عنهما
ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر ثم سألته عنهما فقال انه اتاني ناس من عبد القيس
فشغلوني عن الركعتين بعد الظهر فهما هاتان الحديث وفيه ان ابن عباس قال كنت اضرب
مع عمر بن الخطاب الناس عنهما قال ابن القيم قضاء السنن الرواتب في اوقات النهي
عام له ولامته واما المداومة على تلك الركعتين في وقت النهي فخاص به قال وقد عد هذه
من خصائصه فعله ونهيه والدليل عليه رواية عائشة كان يصلي ركعتين بعد العصر وينهى عنهما
ويواصل وينهى عن الوصال لكن قال البيهقي الذي اختص به صلى الله عليه وسلم المداومة
على ذلك لا اصل القضاء واما رواية ابن عباس عند الترمذي انه انما صلاهما بعد العصر
لانه اشتغل بقسمة مال اتاه فهو من رواية جرير عن عطاء وقد سمع منه بعد اختلاطه وان

صح

فهو شاهد لحديث ام سلمة لكن ظاهر قوله ثم لم يعد معارض لحديث عائشة المذكور
في هذا الباب فيحمل النفي على نفي علم الراوي فانه لم يطلع على ذلك والمثبت مقدم على
النافي وكذا ما رواه النسائي من طريق ابي سلمة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلى في بيتها بعد العصر ركعتين مرة واحدة الحديث وفي رواية عنها لم اره يصليهما
قبل ولا بعد فيجمع بين الحديثين بانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يصليهما الا في بيته
ولذلك لم يره ابن عباس ولا ام سلمة ويشير الى ذلك قول عائشة في رواية وكان لا
يصليهما في المسجد مخافة ان تثقل على امته ومراد عائشة بقولها ما كان في يومي بعد
العصر الا صلى ركعتين من الوقت الذي شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما ولم
يرد انه كان يصلي بعد العصر من اول ما فرضت الصلوات مثلا الى آخر عمره والله اعلم

الخامس في راتبة المغرب

عن ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين
بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلوة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه
الترمذي وعن ابن عباس قال كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في الركعتين بعد المغرب
حتى يتفرق اهل المسجد رواه ابو داود وكان اصحابه عليه الصلوة والسلام يصلون
ركعتين قبل المغرب الى ان يخرج اليهم عليه السلام رواه البخاري ومسلم وابو داود
من حديث انس وفي رواية ابي داود قال انس رآنا صلى الله عليه وسلم فلم يأمرنا ولم
ينهنا وقال عقبة كنا نفعله على عهده صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وظاهره
ان الركعتين بعد الغروب وقبل صلوة المغرب كان امرا قرر اصحابه عليه وعملوا به وهذا
يدل على الاستحباب واما كونه عليه السلام لم يصلهما فلا ينفي الاستحباب بل يدل
على انهما ليستا من الرواتب والى استحبابهما ذهب احمد واسحاق واصحاب الحديث وعن
ابن عمر ما رأيت احدا يصليهما على عهده صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الاربعة
وجماعة من الصحابة انهم كانوا لا يصلونهما فادعى بعض المالكية نسخهما وتعقب
بان دعوى النسخ لا دليل عليها ورواية المثبت وهو انس مقدمة على رواية النافي وهو
ابن عمر وعن سعيد بن المسيب انه كان يقول حق على كل مؤمن اذا اذن المؤذن ان يركع
ركعتين وعن مالك قول آخر باستحبابهما وهو عند الشافعي وجه رجحه النووي ومن
تبعه وقال في شرح مسلم قول من قال ان فعلهما يؤدي الى تأخير المغرب عن اول وقتها
خيال فاسد منابذ للسنة ومع ذلك فزمنهما يسير لا تتأخر به الصلوة عن اول وقتها
ومجموع الادلة يرشد الى استحباب تخفيفهما وقال صلى الله عليه وسلم صلوا قبل
المغرب ركعتين لمن شاء خشية ان يتخذها الناس سنة رواه ابو داود وقال المحب
الطبري لم يرد نفي استحبابهما لانه يمكن ان يأمر بما لا يستحب بل هذا الحديث من ادل

الدلالة على استحبابهما ومعنى قوله سنة أي شريعة وطريقة لازمة وكان المراد انحطاط مرتبتهما عن رواتب الفرائض ولهذا لم يعدهما أكثر الشافعية في الرواتب واستدرکهما بعضهم وتعقب بأنه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم واظب عليهما وقال عليه الصلوة والسلام في الصلوة بعد المغرب هذه صلوة البيوت رواه أبو داود والنسائي من حديث كعب بن عجرة وعنه عليه السلام من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم رفعت صلاته في عليين رواه ابن رزين

السادس في راتبة العشا

قالت عائشة ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشا قط فدخل بيتي إلا صلى أربع ركعات أو ست ركعات رواه أبو داود وفي مسلم قالت عائشة ثم يصلي بالناس العشا فيدخل بيتي فيصلي ركعتين وكذا في حديث ابن عمر عند الشيخين وتقدم أول هذا القسم والله أعلم

الفرع السابع في راتبة الجمعة

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد العشا ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين رواه البخاري ولم يذكر شيئا في الصلوة قبل صلوة الجمعة قال ابن المنير كما حكاه في فتح الباري كأنه يقول الأصل استواء الظهر والجمعة حتى يدل دليل على خلافه لأن الجمعة بدل الظهر وقال ابن بطال إنما أعاد ابن عمر ذكر الجمعة بعد ذكر الظهر من أجل أنه كان صلى الله عليه وسلم يصلي سنة الجمعة في بيته بخلاف الظهر قال والحكمة فيه أن الجمعة لما كانت بدل الظهر واقتصر فيها على ركعتين ترك التنفل بعدها في المسجد خشية أن يظن أنها التي حذفت انتهى وعلى هذا فينبغي أن لا يتنفل قبلها ركعتين متصلتين بها في المسجد لهذا المعنى وقد روى أبو داود وابن حبان من طريق أيوب عن نافع قال كان ابن عمر يطيل الصلوة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وقد احتج به النووي في الخلاصة على إثبات سنة الجمعة التي قبلها وتعقب بأن قوله وكان يفعل ذلك عائد على قوله وكان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته ويدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك رواه مسلم وأما قوله كان يطيل الصلوة قبل الجمعة فإن كان المراد بعد دخول الوقت فذلك مطلقا فلا لا صلوة راتبة فلا حجة فيه لسنة الجمعة التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد أنكر جماعة كون الجمعة لها سنة قبلها وبالغوا في الإنكار منهم الإمام شهاب الدين أبو شامة لأنه لم يكن يؤذن للجمعة إلا بين يديه عليه الصلوة والسلام وهو على المنبر فلم يكن يصليها وكذلك الصحابة لأنه إذا

خرج

خرج الإمام انقطعت الصلوة قال ابن العراقي ولم أر في كلام الفقهاء من الحنفية والمالكية استحباب سنة الجمعة قبلها انتهى وقد ورد في سنة الجمعة التي قبلها أحاديث أخرى ضعيفة منها عن أبي هريرة رواه البزار ولفظه كان يصلي قبل الجمعة أربعا وبعدها أربعا وأقوى ما يتمسك به في مشروعية الركعتين قبل الجمعة عموم ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا ما من صلوة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان قاله في فتح الباري وعن عطا قال كان ابن عمر إذا صلى الجمعة بمكة تقدم فصلى ركعتين ثم يتقدم فيصلي أربعا وإذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع إلى بيته فيصلي ركعتين ولم يصل في المسجد فقيل له فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله رواه أبو داود وفي رواية الترمذي قال رأيت ابن عمر صلى بعد الجمعة ركعتين ثم صلى بعد ذلك أربعا وعن ابن عمر أيضا قال كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل الجمعة ركعتين رواه النسائي وفي رواية كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته وفي أخرى أن ابن عمر كان يصلي بعد الجمعة ركعتين يطيل فيهما ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وتقدم حديث دخول سليك الغطفاني يوم الجمعة وهو صلى الله عليه وسلم يخطب وقوله صلى الله عليه وسلم له صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين مع ما فيه من المباحث في صلوة الجمعة

الفصل الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم العيدين

وفيه فروع

الأول في عدد الركعات

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما ثم أتى النسا ومعه بلال فأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تصدق بخرصها وسخابها وفي رواية خرج يوم أضحى أو فطر وفي أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي

الفرع الثاني في عدد التكبير

عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في الفطر والأضحى في الأولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات زاد في رواية سوى تكبيرتي الإحرام والركوع وعن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم كبر في العيدين سبعا قبل القراءة وفي الأخرى خمسا قبل القراءة رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي

الفرع الثالث في الوقت والمكان

عن أبي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلوة الحديث رواه البخاري ومسلم وفي هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلوة العيد إلى المصلى وأنه أفضل من صلاتها في المسجد لمواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك مع فضل مسجده وعلى هذا عمل الناس في الأمصار وأما أهل مكة فلا يصلونها إلا

في المسجد من الزمن الاول ولاصحابنا الشافعية وجهان احدهما الصحراء افضل لهذا الحديث
والثاني وهو الاصح عند اكثرهم المسجد افضل الا ان يضيق قالوا وانما صلى اهل مكة
في المسجد لسعته وانما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لضيق المسجد فدل على ان المسجد
افضل اذا اتسع والمراد بالمصلى المذكور الذي على باب المدينة الشرقي قال ابن
القيم ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة اصابهم مطر فصلى بهم العيد في المسجد ان
ثبت الحديث وهو في سنن ابي داود وابن ماجه انتهى ولفظ ابي داود عن ابي هريرة قال
اصابنا مطر في يوم فطر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد زاد ابن رزين
ولم يخرج بنا الى المصلى ه

الفرع الرابع في الاذان والاقامة

عن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدين غير مرة
ولا مرتين بغير اذان ولا اقامة رواه ابو داود والترمذي وعن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بلا اذان ولا اقامة رواه مسلم وابو داود والترمذي
وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بلا اذان ولا اقامة رواه
ابو داود ه

مسلم وغيره

الفرع الخامس في قراءته صلى الله عليه وسلم في صلوة العيدين

عن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الاضحى والفطر
بقاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر رواه مسلم ومالك وابو داود
والترمذي وعن النعمان بن بشير قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي
الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد
فقرأ بهما رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي ه ه

الفرع السادس في خطبته صلى الله عليه وسلم

وتقديمه صلوة العيد عليها ه عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمر يصلون العيدين قبل الخطبة رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وعن جابر
انه صلى الله عليه وسلم خرج يوم الفطر فبدأ بالصلوة قبل الخطبة وفي رواية قام فبدأ
بالصلوة قبل الخطبة ثم خطب الناس فلما فرغ نزل فاتى النساء فذكرهن وهو يتوكأ على يد
بلال وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء صدقة وفي اخرى قال شهدت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم العيد فبدأ بالصلوة قبل الخطبة بلا اذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال
فامر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى اتى النساء فوعظهن
وذكرهن فقال تصدقن فان اكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من وسط النساء سفعاء
الخدين فقالت لم يا رسول الله قال لانكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير قال فجعلن

يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال اقرطتهن وخواتيمهن رواه البخاري ومسلم
وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البخاري فاول شيء يبدأ به الصلوة ثم ينصرف فيقوم
مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فان كان يريد
ان يقطع بعثا قطعه او يأمر بشيء امر به ثم ينصرف فقال ابو سعيد فلم يزل الناس على ذلك
حتى خرجت مع مروان وهو امير المدينة في اضحى او فطر فلما اتينا المصلى اذا منبر بناه كثير
ابن الصلت فاذا مروان يريد ان يرتقيه فقلت له غيرتم والله الحديث ولابن خزيمة
خطب عليه السلام يوم عيد على رجليه وهذا يشعر بانه لم يكن في المصلى في زمانه عليه
الصلوة والسلام منبر ويدل على ذلك قول ابي سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت
مع مروان ومقتضاه ان اول من اتخذه مروان ووقع في المدونة لمالك ان اول
من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان بن عفان كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت
لكنه معضل وما في الصحيحين اصح فقد رواه مسلم من طريق داود بن قيس نحو رواية البخاري
ويحتمل ان يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى اعاده مروان ولم يطلع على ذلك ابو سعيد
قاله شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله تعالى ه ه

الفرع السابع في اكله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر

قبل خروجه الى الصلوة ه عن انس كان صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى ياكل تمرات
رواه البخاري وفي لفظ قال رجاء بن رجاء حدثني عبيد الله حدثني انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم ويأكلهن وترا ورواه الحاكم من رواية عتبة بن حميد عنه بلفظ ما خرج يوم فطر
حتى يأكل تمرات ثلاثا او خمسا او سبعا او اقل من ذلك او اكثر وترا قال المهلب الحكمة
في الاكل قبل الصلوة ان لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد فكأنه اراد سد هذه
الذريعة وقال غيره لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم استحب تعجيل الفطر مبادرة
الى امتثال امر الله تعالى ويشعر بذلك اقتصاره على القليل من ذلك ولو كان لغير
الامتثال لاكل قدر الشبع اشار الى ذلك ابن ابي جمرة وقيل لان الشيطان الذي يحبس
في رمضان لا يطلق الا بعد صلوة العيد فاستحب تعجيل الفطر بدارا الى السلامة من
من وسوسته والحكمة في استحباب التمر لما في الحلو من تقوية البصر الذي يضعفه الصوم
ولان الحلو مما يوافق الايمان ويعبر به في المنام ويرقق القلب ومن ثم استحب بعض
التابعين انه يفطر على الحلو مطلقا كالعسل رواه ابن ابي شيبة عن معاوية بن قرة
وابن سيرين وغيرهما وفي الترمذي والحاكم من حديث بريدة قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم الاضحى حتى يصلي ونحوه عند البزار
عن جابر بن سمرة وروى الطبراني والدارقطني من حديث ابن عباس قال من السنة ان لا يخرج
يوم الفطر حتى يخرج الصدقة ويطعم شيئا قبل ان يخرج وفي كل من الاسانيد الثلاثة مقال

وقد اخذ اكثر الفقهاء بما دلت عليه قال ابن المنير وفيه اكله صلى الله عليه وسلم فى كل من
العيدين فى الوقت المشروع لاخراج صدقتهما الخاصتين بهما فاخراج صدقة الفطر قبل
الغدو الى المصلى واخراج صدقة الاضحية بعد ذبحها فاجتمعا من جهة وافترقا من
اخرى وقال الشافعى فى الام بلغنا عن الزهرى قال ما ركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى عيد ولا جنازة قط وفى الترمذى عن على قال من السنة ان يخرج الى العيد ماشيا
وفيه عن ابى رافع نحوه واسانيد الثلاثة ضعاف وعن ابى هريرة قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا خرج يوم العيد فى طريق رجع فى اخرى رواه الترمذى وقد اختلف
فى معنى ذلك على اقوال كثيرة قال الحافظ ابن حجر اجتمع لى منها اكثر من عشرين وقد
لخصتها وبينت الواهى منها فمن ذلك انه فعل ذلك ليشهد له الطريقان وقيل سكانهما
من الجن والانس وقيل ليسوى بينهما فى مزية الفضل بمروره او فى التبرك او ليشم رائحة
المسك من الطريق التى يمر بها لانه كان معروفا بذلك وقيل لان طريقه الى المصلى
كانت على اليمين فلو رجع منها لرجع على جهة الشمال فرجع من غيرها وهذا يحتاج الى دليل
وقيل لاظهار شرائع الاسلام وقيل لاظهار ذكر الله وقيل ليغيظ المنافقين واليهود
وقيل حذرا من كيد الطائفتين او احداهما وقيل ليعمهم بالسرور به او التبرك بمروره
والانتفاع به فى قضاء حوائجهم فى الاستفتاء او التعلم او الاقتداء او الاسترشاد والسلام
عليهم وغير ذلك وقيل ليزور اقاربه الاحياء والاموات وقيل ليصل رحمه وقيل
ليتفاءل بتغيير الحال الى المغفرة والرضى وقيل كان يتصدق فى ذهابه فاذا رجع لم يبق
معه شئ فيرجع فى طريق اخرى لئلا يرد من سأله وهذا ضعيف جدا مع احتياجه الى دليل
وقيل فعل ذلك لتخفيف الزحام وهذا رجحه الشيخ ابو حامد وقيل كان طريقه التى
يتوجه منها ابعد من التى يرجع فيها فاراد تكثير الاجر بتكثير الخطا فى الذهاب واما فى الرجوع
فيسرع الى منزله وهذا اختيار الرافعى وتعقب بانه يحتاج الى دليل وبان اجر الخطا
فى الرجوع ايضا كما ثبت فى حديث ابى بن كعب عند الترمذى وغيره وقيل لان الملائكة
تقف فى الطرقات فاراد ان يشهد له فريقان منهم وقال ابن ابى جمرة هو فى معنى قول
يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد فاشار الى انه فعل ذلك حذر اصابة العين انتهى
وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الابكار والعواتق وذوات الخدور والحيض فى العيدين
فاما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين قالت احداهن يا رسول الله
احدانا لم يكن لها جلباب قال فلتلبسها اختها من جلابيبها رواه البخارى ومسلم
والترمذى واللفظ له ولا دلالة فيه على وجوب صلاة العيد لان من جملة من امر بذلك
من ليس بمكلف فظهر ان القصد منه اظهار شعائر الاسلام بالمبالغة فى الاجتماع ولتعم
الجميع البركة وفيه استحباب خروج النساء الى شهود العيد سواء كن شوابا ام لا وذوات
هيئات ام لا لكن نص الشافعى فى الام يقتضى استثناء ذوات الهيئات قال واحب شهود

العجائز وذوات الهيئات الصلاة واما شهودهن الاعياد اشد استحبابا وقد ادعى بعضهم
النسخ فيه وقال الطحاوى وامره عليه السلام بخروج الحيض وذوات الخدور الى العيد
يحتمل ان يكون فى اول الاسلام والمسلمون قليل فاريد التكثير بحضورهن ارهابا للعدو
واما اليوم فلا يحتاج الى ذلك وتعقب بان النسخ لا يثبت بالاحتمال وقد صرح
فى حديث ام عطية بعلة الحكم وهى شهودهن الخير ودعوة المسلمين ورجاء بركة ذلك اليوم
وطهرته وقد افتت به ام عطية بعد النبى صلى الله عليه وسلم بمدة ولم يثبت عن احد من
الصحابة مخالفتها فى ذلك واما قول عائشة لو رأى النبى صلى الله عليه وسلم ما احدث
النساء لمنعهن المساجد فلا يعارض ذلك لندوره ان سلمنا ان فيه دلالة انها افتت
بخلافه مع ان الدلالة منه بان عائشة افتت بالمنع ليست صريحة وفى قول الطحاوى
ارهابا للعدو نظر لان الاستنصار بالنساء والتكثر بهن فى الحرب دال على الضعف
والاولى ان يخص ذلك بمن يؤمن عليها وبها الفتنة فلا يترتب على حضورها محظور
ولا تزاحم الرجال فى الطرق ولا فى المجامع قال فى فتح البارى وكان عليه السلام
يخرج العنزة يوم الفطر والاضحى يركزها فيصلى اليها رواه النسائى وغيره واذا علمت
هذا فاعلم ان للمؤمنين فى هذه الدنيا ثلاثة اعياد عيد يتكرر كل اسبوع وعيدان ياتيان
فى كل عام مرة من غير تكرار فى السنة فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع
وهو مترتب على اكمال الصلوات المكتوبات من الله تعالى فيه فشرع لهم فيه عيدا واما العيدان
اللذان لا يتكرران فى كل عام وانما ياتى كل واحد منهما فى العام مرة واحدة فاحدهما
عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب على اكمال صيام رمضان وهو الركن الثالث
من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل المسلمون صيام شهر رمضان المفروض عليهم
واستوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنب
وآخره عتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى لهم
عقب صيامهم عيدا يجتمعون فيه على شكر الله تعالى وذكره وتكبيره على ما هداهم له
وشرع لهم فى ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز يستوفى فيه الصائمون
اجر صيامهم ويرجعون بالمغفرة والعيد الثانى عيد النحر وهو اكبر العيدين وافضلهما
وهو مترتب على اكمال الحج وهو الركن الرابع من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل
المسلمون حجهم غفر لهم وانما يكمل الحج بيوم عرفة فان الوقوف بعرفة ركن الحج الاعظم
ويوم عرفة هو يوم العتق من النار فيعتق فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف
بها من اهل الامصار من المسلمين فلذلك صار اليوم الذى يليه عيدا لجميع المسلمين
فى جميع امصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهد لاشتراكهم فى العتق والمغفرة
يوم عرفة وشرع للجميع التقرب اليه تعالى بالنسك باراقة دماء ضحاياهم فيكون
ذلك اليوم شكرا منهم لهذه النعمة والصلاة والنحر الذى يجتمع فى عيد النحر افضل من

الصلوة والصدقة في عيد الفطر ولهذا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجعل شكره
على إعطائه الكوثر أن يصلي لربه وينحر وقد ضحى صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين
أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر رواه البخاري من حديث أنس قال ورأيته واضعا قدمه
على صفاحهما يقول بسم الله والله أكبر وعن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم أمر بكبش يطأ
في سواد ويبرك في سواد فأتي به ليضحي به قال يا عائشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها
بحجر ففعلت ثم أخذها وأخذ الكبش فأضجعه ثم ذبحه قال بسم الله اللهم تقبل من محمد
وآل محمد ثم ضحى به رواه مسلم وعن جابر ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر
كبشين أقرنين أملحين موجوءين فلما وجههما قال إني وجهت وجهي للذي فطر السموات أي خصيين
والأرض على ملة إبراهيم حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك
عن محمد وأمته بسم الله والله أكبر ثم ذبح رواه البخاري وأبو داود وابن ماجة والدارمي
وفي رواية لأحمد والترمذي ذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر اللهم إن هذا عني وعن
من لم يضح من أمتي فهذه أعياد المسلمين في الدنيا وكلها عند إكمال طاعة مولاهم
الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من جزيل الأجر والثواب فليس العيد لمن لبس
الجديد إنما العيد لمن طاعاته تزيد وليس العيد لمن تجمل باللباس والمركوب إنما
العيد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق خلع العتق والمغفرة على العبيد فمن
نال منها شيء فهو له عيد وإلا فهو مطرود بعيد وأما أعياد المؤمنين في الجنة فهي أيام
زيارتهم ربهم عز وجل فيزورونه فيكرمهم غاية الإكرام ويتجلى لهم فينظرون إليه فما
أعطاهم شيئا هو أحب إليهم من ذلك وهو الزيادة فليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه

إن يوما جامعا شملي بهم ۝ ذاك عيدي ليس لي عيد سواه

الباب الثاني في النوافل المقرونة بالأسباب

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول في صلاته صلى الله عليه وسلم الكسوف

الكسوف لغة التغير إلى السواد يقال كسفت الشمس إذا اسودت وذهب شعاعها عن
قبيصة بن المخارق قال كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فزعا
يجر ثوبه وأنا معه يومئذ بالمدينة فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام ثم انصرف وانجلت
ثم قال إنما هذه الآيات يخوف الله بها عباده فإذا رأيتموها فصلوا رواه أبو داود والنسائي
وفي قوله عليه السلام يخوف الله بها عباده رد على ما يزعم أهل الهيئة أن الكسوف أمر
عادي لا يتأخر ولا يتقدم إذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف وقد رد عليهم

ابن العربي

ابن العربي وغيره بما في حديث أبي موسى عند البخاري حيث قال فيه فقام فزعا يخشى أن
تكون الساعة قالوا فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع ولو كان بالحساب لم يكن
للأمر بالعتق والصدقة والصلوة معنى يقتضي كما في حديث أسماء عند البخاري لقد أمر
النبي صلى الله عليه وسلم بالعتاقة في كسوف الشمس وكما عنده أيضا من حديث عائشة
مرفوعا فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا فإن ظاهر الأحاديث
أن ذلك يفيد التخويف وأن كلما ذكر من أنواع الطاعات يرجى أن يرفع به ما يخشى من أثر
ذلك الكسوف ومما نقض به ابن العربي وغيره أيضا أنهم يزعمون أن الشمس لا تنكسف
على الحقيقة وإنما يحول القمر بينها وبين أهل الأرض عند اجتماعهما في العقدتين فقال
هم يزعمون أن الشمس أضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير الكبير إذا قابله أم كيف
يظلم الكثير بالقليل لا سيما وهو من جنسه وكيف تحجب الأرض نور الشمس وقد وقع
في حديث النعمان بن بشير وغيره للكسوف سبب آخر غير ما يزعم أهل الهيئة وهو ما أخرج
أحمد والنسائي وابن ماجة وصححه ابن خزيمة والحاكم بلفظ إن الشمس والقمر لا ينكسفان
لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله وإن الله إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له
وقد استشكل الغزالي هذه الزيادة وقال إنها لم تثبت فيجب تكذيب ناقلها قال ولو
صحت لكان تأويلها أهون من مكابرة أمور قطعية لا تصادم أصلا من أصول الشريعة
قال ابن بزيزة وهذا عجيب منه كيف يسلم دعوى الفلاسفة ويزعم أنها لا تصادم الشريعة
مع أنها مبنية على أن العالم كري الشكل وظاهر الشرع يعطي خلاف ذلك والثابت من
قواعد الشرع أن الكسوف أثر الإرادة القديمة وفعل الفاعل المختار فيخلق في هذين
الجرمين النور متى شاء والظلمة متى شاء من غير توقف على سبب أو ربط باقتراب
والحديث الذي رده الغزالي قد أثبته غير واحد من أهل العلم وهو ثابت من حيث المعنى
أيضا لأن النورية والإضائية من عالم الجمال الحسي فإذا تجلت صفة الجلال انطمست
الأنوار لهيبته ويؤيده قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انتهى ويؤيد هذا
الحديث ما رويناه عن طاوس أنه نظر إلى الشمس وقد انكسفت فبكى حتى كاد أن يموت
وقال هي أخوف لله منا وقال ابن دقيق العيد ربما يعتقد بعضهم أن الذي يذكره
أهل الحساب ينافي قوله يخوف الله بهما عباده وليس بشيء لأن لله أفعالا على حسب العادة
وأفعالا خارجة عن ذلك وقدرته حاكمة على كل سبب فيقطع ما يشاء من الأسباب
والمسببات بعضها عن بعض وإذا ثبت ذلك فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم
قدرته على خرق العادة وأنه يفعل ما يشاء إذا وقع شيء غريب حدث عندهم الخوف
لقوة ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع أن يكون هناك أسباب تجري عليها العادة إلى
أن يشاء الله خرقها وحاصله أن الذي يذكره أهل الحساب إن كان حقا في نفس الأمر
لا ينافي كون ذلك مخوفا لعباد الله تعالى قاله في فتح الباري وعن ابن عباس قال

انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام قياما طويلا نحوا من قراءة
سورة البقرة ثم ركع ركوعا طويلا ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الأول ثم
ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الأول ثم رفع ثم سجد ثم قام قياما طويلا وهو دون القيام
الأول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الأول ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون
القيام الأول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الأول ثم سجد ثم انصرف وقد
تجلت الشمس فقال إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته
فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله فقالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك
هذا ثم رأيناك تكعكعت قال إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أصبته لأكلتم
منه ما بقيت الدنيا ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا
بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل يكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو
أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط رواه البخاري
ومسلم. وقوله ورأيت الجنة والنار قال القاضي عياض يحتمل أنه رآهما رؤية عين كشف
الله عنهما وأزال الحجاب بينه وبينهما كما فرج له عن المسجد الأقصى حين وصفه ويكون قوله
عليه الصلوة والسلام في عرض هذا الحائط كما في رواية في جهته وناحيته ويحتمل أن تكون
رؤية علم وعرض وحي باطلاعه وتعريفه من أمورهما مفصلا ما لم يعرفه قبل ذلك اليوم قال
القاضي والأول أولى وأشبه بألفاظ الحديث لما فيه من الأمور الدالة على رؤية العين
لتناوله العنقود وتأخره مخافة أن يصيبه لفح النار انتهى واستشكل قوله ولو أصبته
مع قوله تناولت وأجيب بحمل التناول على تكلف الأخذ لا حقيقة الأخذ وقيل
المراد تناولت لنفسي ولو أخذته لكم حكاه الكرماني قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد وقيل
المراد بقوله أخذت وضعت يدي عليه بحيث كنت قادرا على تحويله لكن لم يقدر لي قطفه
ولو أصبته أي لو تمكنت من قطفه ويدل عليه قوله في حديث عقبة بن عامر عند ابن خزيمة
أهوى بيده ليتناول شيئا وفي حديث أسماء عند البخاري حتى لو اجترأت عليه وكأنه لم يؤذن
لي في ذلك فلم يجترئ عليه قال ابن بطال لم يأخذ العنقود لأنه من طعام الجنة وهو
لا يفنى والدنيا فانية لا يجوز أن يؤكل فيها ما لا يفنى انتهى وفي حديث أسماء بنت أبي بكر عند
البخاري ومسلم ومالك والنسائي قال ما من شيء كنت لم أره إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة
والنار ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبا لا أدري أي ذلك قالت
أسماء من فتنة المسيح الدجال يقال لما علمك بهذا الرجل فأما المؤمن أو الموقن لا أدري أي
ذلك قالت أسماء فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا
هو محمد ثلاثا فيقال نم صالحا قد علمنا إن كنت لموقنا وأما المنافق أو المرتاب لا أدري
أي ذلك قالت أسماء فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته وفي رواية فرأى
امرأة تخدشها هرة ربطتها حتى ماتت جوعا وعطشا وفي رواية فرأى عمرو بن مالك يجر

قصبه في النار وكان أول من غير دين إبراهيم ورأى فيها سارق الحاج يعذب. قوله
قصبه بضم القاف وسكون الصاد أي أمعاءه وفي رواية عائشة ثم قال يا أمة محمد
والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا ألا هل بلغت أي لو تعلمون من عظم انتقام الله بأهل الجرائم وشدة
عقابه وأهوال القيمة وما بعدها كما علمت وترون النار كما رأيت في مقامي هذا وفي
غيره لبكيتم كثيرا ولقل ضحككم لتفكركم فيما علمتموه وفي حديث عائشة عند البخاري
فخرج إلى المسجد فصف الناس وراءه فكبر فاقترأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة طويلة
ثم كبر فركع ركوعا طويلا ثم قال سمع الله لمن حمده فقام ولم يسجد وقرأ قراءة طويلة وهي أدنى
من القراءة الأولى وزاد في رواية ربنا ولك الحمد واستدل به على استحباب الذكر المشروع
في الاعتدال في أول القيام الثاني من الركعة الأولى واستشكله بعض متأخري الشافعية
من جهة كونه قيام قراءة لا قيام اعتدال بدليل اتفاق العلماء ممن قال بزيادة الركوع في كل ركعة
على قراءة الفاتحة فيه وإن كان محمد بن مسلمة المالكي خالف فيه والجواب أن صلوة
الكسوف جاءت على صفة مخصوصة فلا مدخل للقياس فيها بل كل ما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم
فعله فيها كان مشروعا لأنها أصل برأسها وبهذا المعنى رد الجمهور على من قاسها على صلوة
النافلة حتى منع من زيادة الركوع فيها فصلوة الكسوف أشبه شيء بصلوة العيد ونحوها
مما يجمع فيه من مطلق النوافل فامتازت صلوة الجنازة بترك الركوع والسجود وصلوة العيد
بزيادة التكبيرات وصلوة الخوف بزيادة الأفعال الكثيرة واستدبار القبلة ولذلك
اختصت صلوة الكسوف بزيادة الركوع فالآخذ به جامع بين العملين بالنص وبالقياس
بخلاف من لم يعمل به وقد تبين أن لصلوة الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزائد
على العادة في القيام وغيره ومن زيادة ركوع في كل ركعة وقد وردت زيادة في ذلك من
طرق أخرى فعند مسلم من وجه آخر عن عائشة وآخر عن جابر أن في كل ركعة ثلاث ركوعات
وعنده من وجه آخر عن ابن عباس أن في كل ركعة أربع ركوعات ولأبي داود من حديث
أبي بن كعب والبزار من حديث علي أن في كل ركعة خمس ركوعات ولا يخلو إسناد منها من علة
ونقل ابن القيم في الهدي عن الشافعي وأحمد والبخاري أنهم كانوا يعدون الزيادة على
الركوعين في كل ركعة غلطا من بعض الرواة فإن أكثر طرق الحديث يمكن رد بعضها إلى بعض
ويجمعها أن ذلك كان يوم مات إبراهيم عليه السلام وإذا اتحدت القصة تعين الأخذ
بالراجح وجمع بعضهم بين هذه الأحاديث بتعدد الواقعة وأن الكسوف وقع مرارا
فيكون كل من هذه الأوجه جائزا وقال ابن خزيمة وابن المنذر والخطابي وغيرهم
من الشافعية يجوز العمل بجميع ما ثبت من ذلك وهو من الاختلاف المباح وقواه النووي
في شرح مسلم وأبدى بعضهم أن حكمة الزيادة في الركوع والنقص كان بحسب سرعة الانجلاء
وبطئه فحين وقع الانجلاء في أول ركوع اقتصر على مثل النافلة وحين أبطأ زاد ركوعا

وحين زاد في الابطاء زاد ثالثا وهكذا الى غاية ما ورد في ذلك وتعقبه النووي وغيره
بان ابطاء الانجلاء وعدمه لا يعلم في اول الحال ولا في الركعة الاولى وقد اتفقت
الروايات على ان عدد الركوع في الركعتين سواء وهذا يدل على انه مقصود في نفسه منوي
من اول الحال انتهى ملخصا من فتح الباري وعند الامام احمد انه لما سلم حمد الله واثنى
عليه وشهد ان لا اله الا الله وشهد انه عبد الله ورسوله ثم قال ايها الناس انشدكم
بالله ان كنتم تعلمون اني قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي لما اخبرتموني ذلك فقام
رجل فقال نشهد انك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لامتك وقضيت الذي
عليك ثم قال وايم الله لقد رايت منذ قمت اصلي ما انتم لاقون من امر دنياكم وآخرتكم وانه
والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الاعور الدجال من تبعه لم ينفعه
صالح من عمله وفي البخاري قالت عائشة وانما خطب النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف
في الخطبة فيه فاستحبها الشافعي واسحاق واكثر اهل الحديث وقال ابن قدامة لم يبلغنا
عن احمد ذلك وقال صاحب الهداية من الحنفية ليس في الكسوف خطبة لانه لم ينقل وتعقب
بان الاحاديث ثبتت فيه وهي ذات كثرة والمشهور عند المالكية ان لا خطبة لها مع ان
مالكا روى الحديث وفيه ذكر الخطبة واجاب بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم لم يقصد
بها الخطبة بخصوصها وانما اراد ان يبين لهم الرد على من يعتقد ان الكسوف لموت بعض الناس
وتعقب بما في الاحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة وحكاية شرائطها من الحمد
والثناء والموعظة وغير ذلك مما تضمنته الاحاديث فلم يقتصر على الاعلام بسبب الكسوف
والاصل مشروعية الاتباع والخصائص لا تثبت الا بدليل انتهى وعن المغيرة بن شعبة
عند البخاري كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم فقال
الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر
آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتموهما فصلوا وادعوا الله
وابراهيم هو ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر جمهور اهل السير انه مات في السنة
العاشرة من الهجرة فقيل في ربيع الاول وقيل في رمضان وقيل في ذي الحجة والاكثر على
انها وقعت في عاشر الشهر وقيل في رابعه وقيل في رابع عشره ولا يصح شيء منها على قول ذي الحجة
لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذ ذاك بمكة في الحج وقد ثبت انه شهد وفاته وكانت
بالمدينة بلا خلاف نعم قيل انه مات في سنة تسع فان ثبت فيصح وجزم النووي بانها
كانت سنة الحديبية فلعله كان في اواخر ذي القعدة حين رجع منها وفي هذا
الحديث ايضا ابطال ما كان اهل الجاهلية يعتقدونه من تاثير الكواكب في الارض
قال الخطابي كانوا في الجاهلية يعتقدون ان الكسوف يوجب حدوث تغير في الارض
من موت او ضرر فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم انه اعتقاد باطل وان الشمس والقمر خلقان
مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة للدفع عن انفسهما وعن عبد الله بن عمرو

قال لما كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نودي ان الصلوة جامعة
رواه البخاري وقوله ان بفتح الهمزة وتخفيف النون وهي المفسرة وفي رواية له ولمسلم من
حديث عائشة بعث صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى الصلوة جامعة قال ابن دقيق العيد
هذا الحديث حجة لمن استحب ذلك وقد اجمعوا على انه لا يؤذن لها ولا يقام وروى ابن حبان
انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم واخرجه الدارقطني
ايضا وفيه رد على من اطلق كابن رشد انه صلى الله عليه وسلم لم يصل في كسوف القمر
ومنهم من اول قوله صلى اي امر بالصلوة جمعا بين الروايتين وقال ابن القيم في الهدي
لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف القمر في جماعة لكن حكى ابن حبان في السيرة
له ان القمر خسف في السنة الخامسة فصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلوة الكسوف
فكانت اول صلوة كسوف في الاسلام وهذا ان ثبت انتفى التاويل المذكور وقد جزم
به مغلطاي في سيرته المختصرة وتبعه الحافظ زين الدين العراقي في نظمها وفي البخاري
من حديث عائشة جهر النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة صلوة الخسوف بقراءته فاذا فرغ
من قراءته كبر فركع فاذا فرغ من الركعة قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يعاود القراءة
في صلوة الكسوف اربع ركوعات في ركعتين واربع سجدات واستدل به على الجهر فيها
بالنهار وحمله جماعة ممن لم ير ذلك على كسوف القمر قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد
لان الاسماعيلي روى هذا الحديث من وجه آخر عن الوليد بلفظ كسفت الشمس في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مسند ابي داود الطيالسي انه صلى الله عليه
وسلم جهر بالقراءة في صلوة الكسوف وقد ورد الجهر فيها عن علي مرفوعا وموقوفا اخرجه
ابن خزيمة وغيره وقال به صاحبا ابي حنيفة واحمد واسحاق وابن خزيمة وابن المنذر وغيره
من محدثي الشافعية وابن العربي من المالكية وقال الطبري يخير بين الجهر والاسرار
وقال الائمة الثلاثة يسر في الشمس ويجهر في القمر واحتج الشافعي بقول ابن عباس
انه صلى بجنب النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فلم يسمع منه حرفا ووصله البيهقي
من ثلاثة طرق اسانيدها واهية وعلى تقدير صحتها فمثبت الجهر معه قدر زائد فالاخذ
به اولى قال ابن العربي الجهر عندي اولى لانها صلوة جماعة ينادى لها ويخطب
فاشبهت العيد والاستسقاء انتهى ملخصا والله اعلم ه

الفصل الثاني

في صلاته صلى الله عليه وسلم صلوة الاستسقا

اعلم ان الاستسقاء طلب السقيا من الله تعالى عند الحاجة اليها كما تقول استعطى
اي طلب العطاء ولم يخالف احد من العلماء في سنية الصلوة في الاستسقاء الا ابو حنيفة
محتجا باحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلوة واحتج الجمهور بالاحاديث الثابتة في
الصحيحين وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم صلى الاستسقاء ركعتين واما الاحاديث

التى لبس فيها الصلوة فبعضها محمول على نسيان الراوى وبعضها كان فى الخطبة للجمعة وتعقبه صلوة الجمعة فاكتفى بها ولو لم يصل اصلا كان بيانا لجواز الاستسقا بالدعا بلا صلوة ولا خلاف فى جوازه وتكون الاحاديث المثبتة للصلوة مقدمة لان فيها زيادة علم ولا منعا تعتبر بينهما **والاستسقا** انواع **الاول** الاستسقا بصلوة ركعتين وخطبتين ويتاهب قبله بصدقة وصيام وتوبة واقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله تعالى **قال** ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا حتى اتى المصلى فرقى المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل فى الدعا والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين كما يصلى فى العيد رواه الترمذى وغيره **وفى حديث** عبد الله بن زيد المازنى قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذا المصلى يستسقى ثم استقبل القبلة وقلب رداه ثم صلى رواه البخارى ومسلم **وفى رواية** خرج بالناس الى المصلى يستسقى فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة واستقبل يدعو ورفع يديه وحول رداه حين استقبل القبلة **وفى رواية** قال وحول رداه حين استقبل القبلة **وفى رواية** قال وحول رداه وجعل عطافه الايمن على عاتقه الايسر وجعل عطافه الايسر على عاتقه الايمن ثم دعا الله **قال الحافظ** ابن حجر ولم اقف فى شى من طرق حديث عبد الله بن زيد على سبب ذلك ولا على صفته صلى الله عليه وسلم حال الذهاب الى المصلى ولا على وقت ذهابه وقد وقع ذلك فى حديث عائشة عند ابى داود وابن حبان قالت شكى الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فامر بمنبر فوضع له فى المصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال انكم شكوتم جدب دياركم واستيخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد امركم الله ان تدعوه ووعدكم ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين الذى لا اله الا هو يفعل ما يريد اللهم انت لا اله الا انت الغنى ونحن الفقرا اليك اللهم انزل علينا الغيث واجعل ما انزلت لنا قوة وبلاغا الى حين ثم رفع يديه حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره وقلب وحول رداه وهو رافع يديه ثم اقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فانشا الله سحابا فرعدت وبرقت ثم امطرت باذن الله تعالى فلم يات مسجده حتى سالت السيول فلما راى ذلك وسرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال اشهد ان الله على كل شى قدير وانى عبد الله ورسوله **وقد حكى** ابن المنذر الاختلاف فى وقتها والراجح انه لا وقت لها معين وان اكثر احكامها كالعيد لكنها تخالفه لانها لا تختص بيوم معين وهل تصنع بالليل استنبط بعضهم من كونه صلى الله عليه وسلم جهر بالقراءة فيها بالنهار انها نهارية كالعيد والا فلو كانت تصلى بالليل لاسر فيها بالنهار وجهر بالليل كمطلق النوافل ونقل ابن قدامة الاجماع على انها لا تصلى فى وقت الكراهة وافاد ابن حبان ان خروجه صلى الله

عليه وسلم للاستسقا كان فى شهر رمضان سنة ست من الهجرة **وذكر** الواقدى ان طول رداه صلى الله عليه وسلم كان ستة اذرع فى ثلاثة اذرع وطول ازاره اربعة اذرع وشبرين فى ذراعين وشبر كان يلبسهما فى الجمعة والعيدين **وقد روى** ابو داود عن عباد استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خميصة سودا فاراد ان ياخذ باسفلها فيجعله اعلاه فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه **وقد استحب** الشافعى فى الجديد فعل ما هم به صلى الله عليه وسلم من تنكيس الردا مع التحويل الموصوف **وزعم** القرطبى تبعا لغيره ان الشافعى اختار فى الجديد تنكيس الردا لا تحويله والذى فى الام ما ذكرته والجمهور على استحباب التحويل فقط ولا ريب ان الذى استحبه الشافعى احوط **وعن ابى حنيفة** وبعض المالكية لا يستحب شى من ذلك واستحب الجمهور ان يحول الناس بتحويل الامام ويشهد له ما رواه احمد من طريق اخرى عن عباد فى هذا الحديث بلفظ وحول الناس معه **وقال الليث** وابو يوسف يحول الامام وحده واستثنى ابن الماجشون النسا فقال لا يستحب فى حقهن **واختلف** فى حكمة هذا التحويل فجزم المهلب بانه للتفاؤل بتحويل الحال عما هى عليه **وتعقبه** ابن العربى بان من شرط الفال ان لا يقصد اليه قال وانما التحويل امارة بينه وبين ربه قيل له حول رداءك ليتحول حالك **وتعقب** بان الذى جزم به يحتاج الى نقل والذى رده ورد فيه حديث رجاله ثقات اخرجه الدارقطنى والحاكم من طريق جعفر بن محمد بن على عن ابيه عن جابر ورجح الدارقطنى ارساله وعلى كل حال فهو اولى من القول بالظن واستدل بقوله فى حديث عائشة ثم صلى ركعتين بعد قوله فقعد على المنبر على ان الخطبة فى الاستسقا قبل الصلوة وهو مقتضى حديث ابن عباس لكن وقع عند احمد فى حديث عبد الله بن زيد التصريح بانه بدا بالصلوة قبل الخطبة وكذا فى حديث ابى هريرة عند ابن ماجه حيث قال فصلى بنا ركعتين بغير اذان ولا اقامة والمرجح عند الشافعية والمالكية الثانى ولم يقع فى شى من طرق حديث عبد الله بن زيد صفة الصلوة المذكورة ولا ما يقرا فيها **وقد خرج** الدارقطنى من حديث ابن عباس انه يكبر فيهما سبعا وخمسا كالعيد وانه يقرا فيهما بسبح وهل اتاك وفى اسناده مقال لكن اصله فى السنن بلفظ ثم صلى ركعتين كما يصلى فى العيد فاخذ بظاهره الشافعى فقال يكبر فيهما **الثانى استسقاؤه عليه الصلوة والسلام فى خطبة الجمعة** **عن انس** ان رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ثم قال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم اغثنا اللهم اغثنا قال انس ولا والله ما نرى فى السما من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السما انتشرت ثم امطرت قال فلا والله ما راينا الشمس سبتا قال ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله

قائماً فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام
والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك
فسألت أنس بن مالك أهو الرجل الأول قال لا أدري رواه مسلم وفي رواية له قال
فما يشير بيده إلى ناحية إلا انفرجت حتى رأيت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهراً
ولم يجئ أحد من ناحية إلا أخبر بجود وقوله يغيثنا بفتح أوله يقال غاث الله البلاد يغيثها
إذا أرسل عليها المطر وقوله من باب كان نحو دار القضاء هي دار عمر بن الخطاب وسميت
بذلك لأنها بيعت في قضاء دينه وقوله هلكت الأموال وفي رواية كريمة وأبي ذر عن
الكشميهني المواشي وهي المراد بالأموال هنا وفي رواية البخاري هلك الكراع بضم الكاف
وهو يطلق على الخيل وغيرها وفي البخاري أيضاً هلكت الماشية هلك العيال هلك
الناس وهو من ذكر العام بعد الخاص والمراد بهلاكهم عدم وجود ما يعيشون به من الأقوات
المفقودة بحبس المطر وانقطعت السبل لأن الإبل ضعفت لقلة القوت عن السفر أو
لكونها لا تجد في طريقها من الكلأ ما يقيم أودها والآكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع
أكمة بفتحات التراب المجتمع وقيل الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من الأرض والظراب بكسر
المعجمة جمع ظرب بكسر الراء الجبل المنبسط ليس بالعالي وقوله مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون
الواو وفتح الموحدة هي الحفرة المستديرة الواسعة والمراد بها هنا الفرجة في السحاب والجود
المطر الغزير وقوله قناة شهراً أي جرى فيه المطر من الماء شهراً وفي هذا دليل على عظم معجزته
عليه السلام وهو أن سخر السحاب له كلما أشار إليها امتثلت أمره بالإشارة دون كلام
لأن كلامه عليه السلام مناجاة للحق تعالى وأما السحاب فبالإشارة فلولا الأمر لها
بالطاعة له عليه السلام لما كان ذلك لأنها أيضاً كما جاء مأمورة حيث تسير وقدر ما تقيم
وأين تقيم ويرحم الله الشقراطيسي فلقد أحسن حيث قال

دعوت للخلق عام المحل مبتهلاً	أفديك بالخلق من داعٍ ومبتهل
صعدت كفيك إذ كف الغمام فما	صوبت إلا بصوب الواكف الهطل
أراق بالأرض ثجاً صوب ريقه	فحل بالروض نسج رائق الحلل
زهر من النور حلت روضها زهر	زهر من النور صافي النبت مكتمل
من كل غصن نضير مورق خضر	وكل نور نضيد مونق خضل
بجنبه أجنتنا الإحياء من مضر	بعد المضرة تروي السبل بالسبل
دامت على الأرض سبعاً غير مقلعة	لولا دعاؤك بالإقلاع لم تزل

وقوله في الحديث سبتاً أي من السبت إلى السبت وقوله ثم دخل رجل الظاهر أنه غير
الأول لأن النكرة إذا تكررت دلت على التعدد وفي رواية ابن إسحاق فقام ذلك الرجل
أو غيره وفي رواية فتقشعت عن المدينة فجعلت تمطر حوالينا وما تمطر بالمدينة قطرة

فنظرت

فنظرت إلى المدينة وإنها لفي مثل الإكليل وهو بكسر الهمزة وسكون الكاف كل شيء دار من
جوانبه واشتهر لما يوضع على الرأس فيحيط بها وهو من ملابس الملوك وفي رواية له أيضاً
فألف الله بين السحاب ومكثت حتى رأيت الرجل الشديد تهمه نفسه أن يأتي أهله وفي
رواية له أيضاً فرأيت السحاب يتمزق كأنه الملاحف تطوى والملاحف بضم الميم والقصر
وقد تمد جمع ملاءة وهي ثوب معروف واستدل بهذا الحديث على جواز الاستسقاء
بغير صلاة مخصوصة وعلى أن الاستسقاء ليس فيه صلاة فأما الأول فقال به الشافعي
وأما الثاني فقال به أبو حنيفة وتعقب بأن الذي وقع في هذه القصة مجرد دعاء
لا ينافي مشروعية الصلاة لها وقد وقعت في واقعة أخرى كما تقدم والله أعلم الثالث
استسقاؤه صلى الله عليه وسلم على منبر المدينة روى البيهقي في الدلائل من طريق يزيد
ابن عبيد السلمي قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أتاه وفد
بني فزارة بضعة عشر رجلاً وفيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس وهو أصغرهم فنزلوا
في دار رملة بنت الحارث من الأنصار وقدموا على إبل عجاف وهم مسنتون فأتوا مقرين
بالإسلام فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يا رسول الله أسنتت
بلادنا وأجدب جنابنا وعريت عيالنا وهلكت مواشينا فادع الله أن يغيثنا وتشفع
لنا إلى ربك ويشفع ربك إليك فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك أنا
شفعت إلى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه لا إله إلا الله العظيم وسع كرسيه السموات
والأرض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد فقال النبي صلى الله عليه
وسلم إن الله ليضحك من شفقتكم وقرب غياثكم فقال الأعرابي ويضحك ربنا يا رسول
الله قال نعم فقال الأعرابي لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيراً فضحك
صلى الله عليه وسلم من قوله فقام صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وتكلم بكلمات ورفع
يديه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء
فرفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك وبهيمتك
وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً طبقاً واسعاً
عاجلاً غير آجل نافعاً غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق
اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء فقام أبو لبابة بن عبد المنذر فقال يا رسول
الله إن التمر في المرابد فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا فقال أبو لبابة إن التمر في
المرابد ثلاث مرات فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب
مربده بإزاره قال فلا والله ما في السماء قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا
دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون
ثم أمطرت فوالله ما رأوا الشمس سبتاً وقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره لئلا
يخرج التمر منه فقال الرجل يا رسول الله يعني الذي سأله أن يستسقي لهم هلكت الأموال

وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه مدا حتى رؤي بياض ابطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب والاطيط صوت الاقتاب يعني ان الكرسي ليعجز عن حمله وعظمته اذ كان معلوما ان اطيط الرحل بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله وهذا مثل لعظمته تعالى وجلاله ولم يكن اطيط وانما كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى وقوله طبقا بفتح الطاء والموحدة اي مالئا للارض مغطيا لها يقال غيث طبق اي عام واسع والمربد موضع يجفف فيه التمر وثعلبه ثقبه الذي يسيل منه ماء المطر وعن انس بن مالك قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لان البعير لا بد ان يئط وانشد

اتيناك والعذراء تدمى لبانها	وقد شغلت ام الصبي عن الطفل
والقى بكفيه لاستكانة	من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلي
ولا شيء مما ياكل الناس عندنا	سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا	واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا غدقا طبقا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث تملأ به الضرع وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها قال فما رد صلى الله عليه وسلم يديه الى نحره حتى التقت السماء بابراقها وجاء اهل البطانة يضجون من الغرق فقال عليه الصلاة والسلام حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدق بها كالاكليل وضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي يا رسول الله كانك تريد قوله

وابيض يستسقى الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للارامل
تطيف به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا	ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن ابنائنا والحلائل

فقال اجل رواه البيهقي وقوله تدمى لبانها اي يدمى صدرها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد من يخدمها من الجدب وشدة الزمان واصل اللبان في الفرس موضع اللبب ثم استعير للناس وقوله ما يمر وما يحلي اي ما ينطق بخير ولا شر من الجوع والضعف وقوله سوى الحنظل العامي نسبه الى العام لانه يتخذ في عام الجدب كما قالوا للجدب السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة قاله الجوهري والفسل الرذل قال السهيلي فان قلت كيف قال ابو طالب

وابيض

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ولم يره قط استسقى وانما كان ذلك منه بعد الهجرة واجاب بما حاصله ان ابا طالب اشار الى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه وسلم معه وهو غلام انتهى وقال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك قبله انتهى قلت وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه انتهى الرابع استسقاؤه صلى الله عليه وسلم بالدعاء من غير صلاة عن ابن مسعود ان قريشا ابطؤا عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذتهم سنة حتى هلكوا واكلوا الميتة والعظام فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فقرأ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر زاد اسباط عن منصور فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا وشكا الناس كثرة المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم رواه البخاري وافاد الدمياطي ان ابتداء الدعاء على قريش كان عقب طرحهم على ظهره سلا الجزور وكان ذلك بمكة قبل الهجرة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك بالمدينة في القنوت كما في حديث ابي هريرة عند البخاري ولا يلزم من ذلك اتحاد هذه القصص اذ لا مانع ان يدعو عليهم مرارا والظاهر ان مجيء ابي سفيان كان قبل الهجرة لقول ابن مسعود ثم عادوا فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر ولم ينقل ان ابا سفيان قدم المدينة قبل بدر وعلى هذا فيحتمل ان ابا طالب كان حاضرا ذلك فلذلك قال وابيض يستسقى الغمام بوجهه لكن ورد ما يدل على ان القصة وقعت بالمدينة فان لم يحمل على التعدد والا فهو مشكل وفي الدلائل للبيهقي عن كعب بن مرة او مرة بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فاتاه ابو سفيان فقال ادع الله لقومك فقد هلكوا وقد رواه احمد وابن ماجه عن كعب ابن مرة ولم يسمه فابهم ابا سفيان قال جاءه رجل فقال استسق الله لمضر قال يا رسول الله استنصرت الله فنصرك ودعوت الله فاجابك فرفع يديه فقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا الحديث فظهر ان هذا الرجل المبهم المقول له انك لجريء هو ابو سفيان لكن يظهر ان قائل استنصرت الله يا رسول الله الخ هو كعب بن مرة راوي هذا الحديث لما اخرجه احمد والحاكم عن ابي بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم

على مضر فاتيته فقلت يا رسول الله ان الله قد نصرك واعطاك واستجاب لك وان قومك قد هلكوا وعلى هذا فكان ابا سفيان وكعبا حضرا جميعا فكلمه ابو سفيان بشئ وكعب بشئ فدل ذلك على اتحاد قصتيهما وقد ثبت في هذا ما ثبت في تلك من قوله انك لجرئ ومن قوله اللهم حوالينا ولا علينا وسياق كعب بن مرة يشعر بان ذلك وقع بالمدينة لقوله استنصرت الله فنصرك ولا يلزم من هذا اتحاد هذه القصة مع قصة انس السابقة فهي واقعة اخرى لان في رواية انس فلم ينزل عن المنبر حتى مطروا وفي هذه فما كان الا جمعة او نحوها حتى مطروا والسائل في هذه القصة غير السائل في تلك فهما قصتان وقع في كل منهما طلب الدعا بالاستسقاء ثم طلب الدعا بالاستصحاء وان ثبت ان كعب بن مرة اسلم قبل الهجرة حمل قوله استنصرت الله فنصرك على النصر باجابة دعائه عليهم وزال الاشكال المتقدم والله اعلم انتهى ملخصا من فتح الباري الخامس استسقاؤه صلى الله عليه وسلم عند احجار الزيت قريبا من الزورا وهي خارج باب المسجد الذي يدعى باب السلام نحو قذفة بحجر ينعطف على يمين الخارج من المسجد عن عمير مولى ابي اللحم انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي قاعدا يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما راسه رواه ابو داود والترمذي السادس استسقاؤه عليه السلام في بعض غزواته لما سبقه المشركون الى الما فاصاب المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض المنافقين لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال او قد قالوها عسى ربكم ان يسقيكم ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه من دعائه حتى اظلهم السحاب وامطروا الى ان سال الوادي فشرب الناس وارتووا فصل عن سالم بن عبد الله عن ابيه مرفوعا انه قال اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم ان بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من اللاوا والجهد والضنك ما لا نشكو الا اليك اللهم انبت لنا الزرع وادر لنا الضرع واسقنا من بركات السما وانبت لنا من بركات الارض اللهم ارفع الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلا ما لا يكشفه غيرك اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا فارسل السما علينا مدرارا رواه الشافعي فصل روى ابو الجوزا قال قحط اهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى السما حتى لا يكون بينه وبين السما سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح من رواية ابي صالح السمان عن مالك الداري قال اصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجا رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا فاتى الرجل في المنام فقيل له ائت عمر وفي رواية سيف الرداف ان عمر استسقى بالمصلى فقال للعباس قم فاستسق وذكر الزبير بن بكار ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس عام الرمادة بفتح الرا وتخفيف الميم وسمي

بها لما حصل من شدة الجدب فاغبرت الارض جدا لعدم المطر وذكر ابن عساكر في كتاب الاستسقا ان العباس لما استسقى ذلك اليوم قال اللهم ان عندك سحابا وعندك ما فانشر السحاب ثم انزل فيه الما ثم انزله علينا واشدد به الاصل واطل به الفرع وادر به الضرع اللهم شفعنا اليك عمن لا منطق له من بهائمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعة بالغة طبقا اللهم لا نرغب الا اليك وحدك لا شريك لك اللهم انا نشكو اليك سغب كل ساغب وعدم كل عادم وجوع كل جائع وعرى كل عار وخوف كل خائف وفي رواية الزبير بن بكار ان العباس لما استسقى به عمر قال اللهم انه لم ينزل بلا الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث فارخت السما مثل الجبال حتى اخصبت الارض وعاش الناس وعنده ايضا قحط الناس فقال عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا ايها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس فاتخذوه وسيلة الى الله وفيه فما برحوا حتى سقاهم الله وفي ذلك يقول العباس بن عتبة بن ابي لهب

بعمي سقى الله الحجاز واهله	عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا	اليه فما ان رام حتى اتى المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه	فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

القسم الثالث في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه فصول

الاول في قصره صلى الله عليه وسلم الصلوة فيه واحكامه وفيه فروعان

الاول في كم كان عليه الصلوة والسلام يقصر الصلوة

تقدم هل القصر رخصة او عزيمة وما استدل به لكل من القولين في اوائل هذا المقصد وعن انس بن مالك قال صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اربعا وخرج يريد مكة فصلى بذي الحليفة العصر ركعتين رواه البخاري ومسلم وهذا الحديث مما احتج به اهل الظاهر في جواز القصر في طويل السفر وقصيره فان بين المدينة وذي الحليفة ستة اميال ويقال سبعة وقال الجمهور لا يجوز القصر الا في سفر يبلغ مرحلتين وقال ابو حنيفة وطائفة شرطه ثلاث مراحل واعتمدوا في ذلك آثارا عن الصحابة واما هذا الخبر فلا دلالة فيه لاهل الظاهر لان المراد انه صلى الله عليه وسلم حين سافر الى مكة في حجة الوداع صلى الظهر بالمدينة اربعا ثم سافر فادركته العصر وهو مسافر بذي الحليفة فصلاها ركعتين وليس المراد ان ذي الحليفة غاية سفره فلا دلالة فيه قطعا واما الاحاديث المطلقة مع ظاهر القران متعاضدان على جواز القصر من حين يخرج من البلد فانه حينئذ يسمى مسافرا وطويل السفر ثمانية واربعون ميلا هاشمية وهي ستة عشر فرسخا وهي اربعة برد والميل

من الأرض منتهى مدّ البصر لأن البصر يميل عنه على وجه الأرض حتى يغيب ذا ذكره وبذلك جزم الجوهري وقيل حدّه أن ينظر إلى الشخص في أرض مصطحبة فلا يدري أهو رجل أم امرأة أو هو ذاهب أو آتي قال النووي الميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون إصبعا معترضة وقد حرّره غيره بذراع الحديد المستعمل الآن بمصر والحجاز في هذه الأعصار فوجده ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثمن فعلى هذا فالميل بذراع الحديد خمسة آلاف ذراع ومائتان وخمسون ذراعا وهذه فائدة جليلة قلّ من تنبّه لها وروى البيهقي عن عطاء أن ابن عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين أي يقصران في أربعة برد فما فوقها وذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم ورواه بعضهم من صحيح ابن خزيمة مرفوعا من رواية ابن عباس وقد كان فرض الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر عليه السلام فرضت أربعا رواه البخاري من حديث عائشة لكن يعارضه حديث ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم وجمع بينهما بما يطول ذكره ثم بعد أن استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر عند نزول قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ويؤيده ما ذكره ابن الأثير في شرح المسند أن قصر الصلاة كان في السنة الرابعة من الهجرة وقيل كان قصر الصلاة في ربيع الآخر من السنة الثانية ذكره الدولابي وقيل بعد الهجرة بأربعين يوما ه ه ه

الفرع الثاني في القصر مع الإقامة

عن أنس قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة وكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة قيل له أقمتم بمكة شيئا قال أقمنا بها عشرا رواه البخاري ومسلم مختصرا قال أقمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة يقصر الصلاة وعن ابن عباس قال أقام النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة يقصر الصلاة فنحن إذا سافرنا تسعة عشر قصرنا وإن زدنا أتممنا رواه البخاري وفي رواية أبي داود أنه صلى الله عليه وسلم أقام سبعة عشر بمكة يقصر الصلاة قال ابن عباس فلو أقام أكثر أتم والرواية الأولى بتقديم التاء على السين والثانية بتقديم السين على الموحدة ولأبي داود من حديث عمران بن حصين غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح فأقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي إلا ركعتين وله من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال أقام صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح خمسة عشر يوما يقصر الصلاة وجمع البيهقي بين هذا الاختلاف بأن من قال تسع عشرة عدّ يومي الدخول والخروج ومن قال سبعة عشر حذفهما وأما رواية خمس عشرة فضعّفها النووي في الخلاصة وليس بجيد لأن رواتها ثقات ولم ينفرد بها ابن إسحاق فقد أخرجها النسائي من رواية عراك بن مالك عن عبيد الله كذلك فإذا ثبت أنها صحيحة فليحمل على أن الراوي ظن أن رواية الأصل سبع عشرة فحذف منها يومي الدخول والخروج فذكر أنها خمس عشرة واقتضى ذلك أن رواية تسع عشرة أرجح الروايات وأخذ الشافعي برواية عمران بن الحصين لكن محله عنده

بمن

بمن لم يزمع الإقامة فإنه إذا مضت عليه المدة المذكورة وجب عليه الإتمام فإن أزمع الإقامة في أول الحال على أربعة أيام أتم على خلاف بين الصحابة في دخول يومي الدخول والخروج فيها ولا معارضة بين حديث ابن عباس وحديث أنس لأن حديث ابن عباس كان في فتح مكة وحديث أنس كان في حجة الوداع وفي حديث ابن عباس قدم صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعني مكة لصبح رابعة ولا شك أنه خرج من مكة صبح الرابع عشر فتكون مدة الإقامة بمكة وضواحيها عشرة أيام بلياليها كما قال أنس وتكون مدة إقامته بمكة أربعة أيام سواء لأنه قدم في اليوم الرابع وخرج منها في اليوم الثامن فصلى الظهر في منى ومن ثم قال الشافعي إن المسافر إذا أقام ببلد قصر أربعة أيام فالمدة التي في حديث ابن عباس يسوغ الاستدلال بها على من لم ينو الإقامة بل كان مترددا متى تهيأ له فراغ حاجته رحل والمدة التي في حديث أنس يستدل بها على من نوى الإقامة لأنه صلى الله عليه وسلم في أيام الحج كان جازما بالإقامة تلك المدة ووجه الدلالة من حديث ابن عباس لما كان الأصل في المقيم الإتمام فلما لم يجئ عنه صلى الله عليه وسلم أنه أقام في حال السفر أكثر من تلك المدة جعلها غاية للقصر والله أعلم ه ه ه ه ه ه

الفصل الثاني في الجمع

ه وفيه فرعان أيضا ه ه

الأول في جمعه صلى الله عليه وسلم

ه عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخّر الظهر إلى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما فإن زاغت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر ثم ركب وفي رواية أنه كان إذا أراد أن يجمع بين صلاتين في السفر أخّر الظهر حتى يدخل أول وقت العصر وفي أخرى كان إذا عجل عليه السير يؤخر الظهر إلى وقت العصر فيجمع بينهما ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء رواه البخاري ومسلم وأبو داود وفي رواية للبخاري كان يجمع بين هاتين الصلاتين في السفر يعني المغرب والعشاء وفي حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يجمع بين صلاة الظهر والعصر إذا كان على ظهر سير ويجمع بين المغرب والعشاء رواه البخاري ولمسلم جمع بين الصلاتين في سفرة سافرها في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء وله ولمالك وأبي داود والنسائي أنهم خرجوا معه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فكان عليه السلام يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فأخّر الظهر يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعا وفي رواية أبي داود والترمذي من حديث معاذ بن جبل كان في غزوة تبوك إذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين الظهر والعصر فإن رحل قبل أن تزيغ الشمس أخّر الظهر حتى ينزل للعصر وفي المغرب مثل ذلك إن غابت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين المغرب والعشاء وإن ارتحل قبل أن تغيب الشمس أخّر المغرب حتى ينزل للعشاء ثم جمع بينهما

الفرع الثاني في جمعه صلى الله عليه وسلم جمع تقديم

عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب والعشاء بالمزدلفة رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود زاد البخاري في رواية كل واحد منهما باقامة ولم يسبح بينهما ولمسلم جمع بين المغرب والعشاء بجمع وصلى المغرب ثلاث ركعات وصلى العشاء ركعتين وفي حديث ابي ايوب الانصاري عند البخاري ومسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب والعشاء في المزدلفة وفي رواية ابن عباس عند النسائي صلى المغرب والعشاء باقامة واحدة وفي رواية جعفر بن محمد عن ابيه عند ابي داود صلى الظهر والعصر باذان واحد بعرفة ولم يسبح بينهما واقامتين وصلى المغرب والعشاء بجمع باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما

الفصل الثالث في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم

النوافل في السفر ه عن ابن عمر قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يصلون الظهر والعصر ركعتين ركعتين ولا يصلى قبلهما ولا بعدهما وقال ابن عمر لو كنت مصليا قبلهما او بعدهما لاتممتهما رواه الترمذي وفي رواية صحبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم اره يسبح في السفر اي يتنفل للرواتب التي قبل الفرائض وبعدها وهو مستفاد من قوله في الرواية الاخرى فكان لا يزيد في السفر على ركعتين قال ابن دقيق العيد وهذا اللفظ يحتمل انه يريد لا يزيد نفلا ويمكن ان يريد ما هو اعم من ذلك وفي رواية مسلم صحبت ابن عمر في طريق مكة فصلى لنا الظهر ركعتين ثم اقبل واقبلنا معه حتى جاء رحله فجلس وجلسنا معه فحانت منه التفاتة فرأى ناسا قياما فقال ما يصنع هؤلاء قلت يسبحون قال لو كنت مسبحا لاتممت قال النووي اجابوا عن قول ابن عمر هذا بان الفريضة متحتمة فلو شرعت تامة لتحتم اتمامها واما النافلة فهي الى خيرة المصلي فطريق الرفق به ان تكون مشروعة ويخير فيها انتهى وتعقب بان مراد ابن عمر بقوله لو كنت مسبحا لاتممت يعني انه لو كان مخيرا بين الاتمام وصلوة الراتبة لكان الاتمام احب اليه لكنه فهم من القصر التخفيف فلذلك كان لا يصلي الراتبة ولا يتم وفي البخاري من حديث ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يوتر على راحلته وبوب عليه باب الوتر في السفر واشار به الى الرد على من قال انه لا يسن الوتر في السفر وهو منقول عن الضحاك واما قول ابن عمر لو كنت مسبحا في السفر لاتممت كما اخرجه مسلم فانما اراد به راتبة المكتوبة لا النافلة المقصودة كالوتر وذلك بين من سياق الحديث المذكور عند الترمذي من وجه آخر بلفظ لو كنت مصليا قبلهما او بعدهما لاتممت واما حديث عائشة عند البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين بعدها فليس بصريح في فعله ذلك في السفر ولعلها اخبرت عن اكثر احواله وهو الاقامة والرجال اعلم بسفره من النساء واجاب النووي تبعا لغيره بما لفظه لعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الرواتب في رحله ولا يراه ابن عمر ولعله تركها في بعض الاوقات لبيان الجواز انتهى وفي رواية الترمذي من حديث

ابن عمر

ابن عمر قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر في السفر ركعتين وبعدها ركعتين وفي رواية صليت معه في السفر والحضر فصليت معه في الحضر الظهر اربعا وبعدها ركعتين وصليت معه في السفر الظهر ركعتين وبعدها ركعتين والعصر ركعتين ولم يصل بعدها شيئا والمغرب في الحضر والسفر سواء ثلاث ركعات لا تنقص في حضر ولا سفر وهي وتر النهار وبعدها ركعتين وفي حديث ابي قتادة عند مسلم في قصة النوم عن صلوة الصبح انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين قبل الصبح ثم صلى الصبح كما كان يصلي وقول صاحب الهدي انه لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى سنة صلوة قبلها ولا بعدها في السفر الا ما كان من سنة الفجر يرد على اطلاقه ما قدمناه في رواية الترمذي من حديث ابن عمر وما رواه ابو داود والترمذي من حديث البراء بن عازب قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفرا فلم اره ترك ركعتين اذا زاغت الشمس قبل الظهر وكانه لم يثبت عنده ذلك لكن الترمذي استغربه ونقل عن البخاري انه رآه حسنا وقد حمله العلماء على سنة الزوال لا على الراتبة قبل الظهر ه

الفصل الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم

التطوع في السفر على الدابة ه عن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يصلي سبحته حيثما توجهت به ناقته وفي رواية يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة حيثما كان وجهه وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وفي رواية رايته صلى الله عليه وسلم يصلي على حمار وهو موجه الى خيبر وفي رواية كان يوتر على البعير رواه مسلم وقد اخذ بهذه الاحاديث فقهاء الامصار في جواز التنفل على الراحلة في السفر حيث توجهت الا ان احمد وابا ثور كانا يستحبان ان يستقبل القبلة بالتكبير حال ابتداء الصلوة والحجة لذلك ما في حديث انس عند ابي داود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يتطوع في السفر استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث توجهت ركابه وذهب الجمهور الى جواز التنفل على الدابة سواء كان السفر طويلا او قصيرا الا مالكا فخصه بالسفر الطويل وحجته ان هذه الاحاديث انما وردت في اسفاره صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه سافر سفرا قصيرا فصنع ذلك وحجة الجمهور مطلق الاخبار في ذلك وقوله يصلي على حمار قال النووي قال الدارقطني وغيره هذا غلط من عمرو بن يحيى المازني وانما المعروف في صلاته عليه الصلوة والسلام على راحلته وبعيره والصواب ان الصلوة على الحمار من فعل انس كما ذكره مسلم ثم قال وفي تغليط راويه نظر لانه ثقة نقل شيئا محتملا فلعله كان الحمار مرة والبعير مرة او مرات لكن قد يقال انه شاذ مخالف لرواية الجمهور والشاذ مردود انتهى وعن يعلى بن مرة عن ابيه عن جده انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسيرة فانتهوا الى مضيق فحضرت الصلوة فمطروا السماء من فوقهم والبلة من اسفلهم فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فصلى بهم يومي ايماء يجعل السجود اخفض من الركوع رواه البيهقي ه ه ه

رسول الله

القسم الرابع في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف

عن جابر قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع قال اذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فغمد السيف وعلقه فاقيمت الصلوة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين فكان للنبي صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان رواه البخاري ومسلم ولمسلم فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف المؤخر تأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا ولمسلم والبخاري ايضا من حديث يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى معه صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلوة الخوف ان طائفة صفت وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم قال مالك وذلك احسن ما سمعت في صلوة الخوف وما ذهب اليه مالك من ترجيح هذه الكيفية وافقه الشافعي واحمد على ترجيحها لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها احوط لامر الحرب وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فوازينا العدو فصاففنا لهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا فقامت طائفة معه واقبلت طائفة على العدو وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصل فجاؤا فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين وفي حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلوة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم ثم جاءت طائفة اخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم رواه البغوي في شرح السنة وعنده انه صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون لهؤلاء صلوة هي احب اليهم من ابائهم وابنائهم وامهاتهم وهي العصر فاجمعوا امركم فتميلوا عليهم ميلة واحدة وان جبريل اتى

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يقسم اصحابه شطرين فيصلي بهم وتقوم طائفة اخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فتكون لهم ركعة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان رواه الترمذي والنسائي قال ابن حزم وقد صح فيها يعني صلوة الخوف اربعة عشر وجها وبينها في جزء مفرد وقال ابن العربي في القبس جاء فيها روايات كثيرة اصحها ستة عشر رواية مختلفة ولم يبينها وقال النووي نحوه في شرح مسلم ولم يبينها ايضا وقد بينها الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي وزاد وجها آخر فصارت سبعة عشر وجها لكن يمكن ان تتداخل وقال صاحب الهدي اصولها ست صفات وبلغها بعضهم اكثر وهؤلاء كلما رأوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا ذلك وجها من فعله صلى الله عليه وسلم وانما هو من اختلاف الرواة انتهى وهذا هو المعتمد واليه اشار الحافظ العراقي بقوله يمكن تداخلها وقد حكى ابن القصار المالكي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها عشر مرات وقال ابن العربي اربعا وعشرين وقال الخطابي صلاها عليه الصلوة والسلام في ايام مختلفة واشكال متباينة يتحرى فيها ما هو الاحوط للصلوة والابلغ للحراسة فهي على اختلاف صورها متفقة المعنى انتهى وفي كتب الفقه تفاصيل لها كثيرة وفروع يطول ذكرها حكاه في فتح الباري

القسم الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم على الجنازة

وفيه فروع اربعة

الاول في عدد التكبيرات

عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر عليه اربع تكبيرات رواه البخاري ومسلم وعند الترمذي من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كبر على جنازة فرفع يديه مع اول تكبيرة ووضع اليمنى على اليسرى

الفرع الثاني في القراءة والدعاء

نقل ابن المنذر عن ابن مسعود والحسن بن علي وابن الزبير والمسور بن مخرمة مشروعية قراءة الفاتحة في صلوة الجنازة وبه قال الشافعي واحمد واسحاق ونقل عن ابي هريرة وابن عمر ليس فيها قراءة وهو قول مالك والكوفيين وروى عبد الرزاق والنسائي باسناد صحيح عن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال السنة في الصلوة على الجنازة ان يكبر ثم يقرأ بام القرآن ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا في الاولى وفي البخاري عن سعد عن طلحة قال صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ فاتحة الكتاب وقال لتعلموا انها سنة وليس فيها ما يبين محل قراءة الفاتحة وقد وقع التصريح بذلك في حديث جابر عند الشافعي بلفظ وقرأ بام الكتاب بعد التكبيرة الاولى كما ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي

وعن ابن عباس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب
رواه الترمذي وقال لا يصح هذا والصحيح عن ابن عباس قوله من السنة وهذا مصير
منه الى الفرق بين الصيغتين ولعله اراد الفرق بالنسبة الى الصراحة والاحتمال
وعن عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظنا من دعائه
اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج
ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا
خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب
النار قال عوف حتى تمنيت ان اكون ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
رواه مسلم وعن واثلة بن الاسقع قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل
من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة
القبر وعذاب النار وانت اهل الوفاء والحق اللهم اغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم
رواه ابو داود وعن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على جنازة قال
اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم
من احييته منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا اجره
ولا تفتنا بعده رواه احمد وابو داود والترمذي وعنه سمعته صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم انت ربها وانت خلقتها هديتها الى الاسلام وقبضت روحها وانت اعلم بسرها
وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها رواه ابو داود

الفرع الثالث في صلاته صلى الله عليه وسلم على القبر

عن ابي هريرة ان امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها
فقالوا ماتت قال افلا آذنتموني قال فكانهم صغروا امرها فقال دلوني على قبرها فدلوه فصلى
عليها رواه البخاري ومسلم زاد ابن حبان فقال في رواية حماد بن سلمة عن ثابت ان هذه
القبور مملوءة ظلمة على اهلها وان الله ينورها بصلاتي عليهم واشار الى ان بعض المخالفين
احتج بهذه الزيادة على ان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم ساق من طريق خارجة
ابن زيد بن ثابت عن عمه يزيد بن ثابت نحو هذه القصة وفيها ثم اتى القبر فصففنا خلفه
وكبر عليه اربعا قال ابن حبان في ترك انكاره عليه السلام على من صلى معه على القبر بيان جواز
ذلك لغيره وانه ليس من خصائصه وتعقب بان الذي يقع بالتبعية لا ينهض دليلا
للاصالة وعن عقبة بن عامر انه صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته
على الميت ثم انصرف وفي رواية صلى على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات
رواه ابو داود والنسائي ورواه الشيخان ايضا بلفظ خرج يوما فصلى على اهل احد
كصلاته على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال اني فرط لكم الحديث وفيه الصلوة على الشهداء في حرب

الكفار

الكفار وقد اختلف العلماء في هذه المسئلة فذهب مالك والشافعي واحمد واسحاق
والجمهور الى انه لا يصلى عليهم وذهب ابو حنيفة الى الصلوة عليهم كغيرهم وبه قال المزني
وهو رواية عن احمد اختارها الخلال وحجة الجمهور انه عليه الصلوة والسلام لم يصل
على قتلى احد كما رواه البخاري في صحيحه عن جابر واما هذه الصلوة فالمراد بها الدعاء
وليس المراد بها صلوة الجنازة المعهودة قال النووي اي دعا لهم بدعاء صلوة الميت
او ان هذه الصلوة مخصوصة بشهداء احد فانه لم يصل عليهم قبل دفنهم كما هو المعهود
من صلوة الجنازة وانما صلى عليهم في القبور بعد ثمان سنين والحنفية يمنعون الصلوة
على القبر مطلقا ولو كانت الصلوة عليهم واجبة لما تركها في الاول ثم ان الشافعية اختلفوا
في معنى قولهم لا يصلى على الشهداء فقال اكثرهم معناه تحرم الصلوة عليه وهو الصحيح عندهم (الشهيد)
وقال آخرون معناه لا تجب الصلوة عليهم يشير الى انها مستحبة غير واجبة قال ابن القاسم
صاحب مالك انما لا يصلى على الشهيد فيما اذا كان المسلمون هم الذين غزوا الكفار
فان كان الكفار هم الذين غزوا المسلمين فيصلى عليهم

الفرع الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم على الغائب

عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه قال
فصففنا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن وراءه رواه البخاري ومسلم وعن ابي هريرة
انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر
اربع تكبيرات رواه الشيخان ايضا وعند البخاري من طريق ابن عيينة عن ابن جريج
فقوموا فصلوا على اخيكم اصحمة وبهذا الحديث استدل من منع الصلوة على الميت في المسجد
وهو قول الحنفية والمالكية لكن قال ابو يوسف ان اعد مسجد للصلوة على الموتى لم يكن في
الصلوة فيه عليهم باس قال النووي ولا حجة فيه لان الممتنع عند الحنفية ادخال الميت
المسجد لا مجرد الصلوة عليه حتى لو كان الميت خارج المسجد جازت الصلوة عليه لمن هو داخله
وقال ابن بزيزة وغيره استدل به بعض المالكية وهو باطل لانه ليس فيه صيغة نهي
ولاحتمال ان يكون خرج بهم الى المصلى لامر غير المعنى المذكور وقد ثبت انه عليه
الصلوة والسلام صلى على سهيل بن بيضاء في المسجد فكيف يترك هذا التصريح لامر محتمل
بل الظاهر انه انما خرج بالمسلمين الى المصلى لقصد تكثير الجمع الذي يصلون عليه ولاشاعة
كونه مات على الاسلام فقد كان بعض الناس لم يدر كونه اسلم فقد روى ابن ابي حاتم
في التفسير والدارقطني في الافراد والبزار كلاهما عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما صلى على النجاشي قال بعض اصحابه صلى على علج من الحبشة فنزلت وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الآية وله شاهد من حديث ابي سعيد عند الطبراني في
معجمه الكبير وزاد فيه ان الذي طعن بذلك كان منافقا وقد قال باب الصلوة على

الجنازة بالمصلى والمسجد وروى حديثا عن ابن عمر ان اليهود جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة زنيا فامر بهما فرجما قريبا من موضع الجنائز عند المسجد وحكى ابن بطال عن ابن حبيب ان مصلى الجنائز بالمدينة كان لاصقا بالمسجد النبوي من ناحية المشرق انتهى فان ثبت ما قال والا فيحتمل ان يكون المراد بالمسجد هنا المصلى المتخذ للعيدين والاستسقاء لانه لم يكن عند المسجد النبوي مكان يتهيأ فيه الرجم ودل حديث ابن عمر المذكور على انه كان للجنائز مكان معد للصلوة عليها فقد يستفاد منه ان ما وقع من الصلوة على بعض الجنائز في المسجد كان لامر عارض او لبيان الجواز واستدل به على مشروعية الصلوة على الجنائز في المسجد ويقويه حديث عائشة ما صلى صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضاء الا في المسجد اخرجه مسلم وبه قال الجمهور وحمل المانعون الصلوة على سهيل بانه كان خارج المسجد والمصلون داخله وذلك جائز اتفاقا وفيه نظر لان عائشة استدلت بذلك لما انكروا عليها امرها بالمرور بجنازة سعد على حجرتها لتصلي عليه وقد سلم لها الصحابة ذلك فدل على انها حفظت ما نسوه وقد روى ابن ابي شيبة وغيره ان عمر صلى على ابي بكر في المسجد وان صهيبا صلى على عمر في المسجد زاد في رواية ووضعت الجنازة في المسجد تجاه المنبر وهذا يقتضي الاجماع على جواز ذلك وقد استدل ايضا بحديث قصة النجاشي على مشروعية الصلوة على الميت الغائب عن البلد وبذلك قال الشافعي واحمد وجمهور السلف حتى قال ابن حزم لم يأت عن احد من الصحابة منعه وعن الحنفية والمالكية لا يشرع ذلك وعن بعض اهل العلم انما يجوز ذلك في اليوم الذي يموت فيه الميت او ما قرب منه لا ما اذا طالت المدة حكاه ابن عبد البر وقال ابن حبان انما يجوز ذلك لمن في جهة القبلة فلو كان بلد الميت مستدبر القبلة مثلا لم يجز قال المحب الطبري لم ار ذلك لغيره وقد اعتذر من لم يقل بالصلوة على الغائب عن قصة النجاشي بامور منها انه كان بارض لم يصل عليه بها احد فتعينت الصلوة عليه لذلك ومن ثم قال الخطابي لا يصلى على الغائب الا اذا وقع موته بارض ليس بها من يصلي عليه واستحسنه الروياني من الشافعية ومنها قول بعضهم كشف له صلى الله عليه وسلم عنه حتى رآه وعبر عنه القاضي عياض في الشفا بقوله ورفع له النجاشي حتى صلى عليه فتكون صلاته عليه كصلوة الامام على ميت رآه ولم يره المأمومون ولا خلاف في جوازها قال ابن دقيق العيد هذا يحتاج الى نقل ولا يثبت بالاحتمال وتعقبه بعض الحنفية بان الاحتمال كاف في مثل هذا وكان مستند هذا القائل ما ذكره الواحدي في اسباب النزول بغير اسناد عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى الله عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى رآه وصلى عليه ولابن حبان من حديث عمران بن حصين فقام وصفوا خلفه وهم لا يظنون الا ان جنازته بين يديه ومن الاعتذارات ايضا ان ذلك خاص بالنجاشي لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى على ميت غائب غيره قال المهلب وكانه لم يثبت

عنده قصة معاوية بن معاوية الليثي واستند من قال بتخصيص النجاشي بذلك الى ما تقدم من اشاعة انه مات مسلما او استئلاف قلوب الملوك الذين اسلموا في حياته قال النووي لو فتح هذا الباب لانسد كثير من ظواهر الشرع مع انه لو كان شيء مما ذكروه لتوفرت الدواعي على نقله وقال ابن العربي قال المالكية ليس ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم قلنا وما عمل به محمد صلى الله عليه وسلم تعمل به امته يعني لان الاصل عدم الخصوصية قالوا طويت له الارض واحضرت الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا عليه لقادر وان نبينا لاهل لذلك ولكن لا تقولوا الا ما رويتم ولا تخترعوا حديثا من عند انفسكم ولا تحدثوا الا بالثابتات ودعوا الضعاف فانها سبيل الى اتلاف ما ليس له تلاف وقال الكرماني قولهم رفع الحجاب عنه ممنوع ولئن سلمنا فكان غائبا عن الصحابة الذين صلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من فتح الباري

النوع الثالث في ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم في الزكوة

وهي في اللغة النماء والتطهير والمال ينمي بها من حيث لا يرى وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب وقيل ينمي اجرها عند الله تعالى وسميت في الشرع زكوة لوجود المعنى اللغوي فيها وقيل لانها تزكي صاحبها وتشهد بصحة ايمانه وهي قيد النعمة وسميت الصدقة صدقة لانها دليل لتصديق صاحبها وصحة ايمانه بظاهره وباطنه وقد فهم من شرعه صلى الله عليه وسلم ان الزكوة وجبت للمواساة وان المواساة لا تكون الا في مال له بال وهو النصاب ثم جعلها صلى الله عليه وسلم في الاموال النامية وهي اربعة اصناف الذهب والفضة اللذان بهما قوام العالم والثاني الزروع والثمار والثالث بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والرابع اموال التجارة على اختلاف انواعها وحدد صلى الله عليه وسلم نصاب كل صنف بما يحتمل المواساة فنصاب الفضة خمس اواق وهي مائتا درهم بنص الحديث والاجماع واما الذهب فعشرون مثقالا واما الزروع والثمار فخمسة اوسق واما الغنم فاربعون شاة والبقر ثلاثون بقرة والابل خمس ورتب صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب بحسب المؤنة والتعب في المال فاعلاها واقلها تعبا الركاز وفيه الخمس لعدم التعب فيه ولم يعتبر له حول بل اوجب فيه الخمس متى ظفر به ويليه الزرع والثمار فان سقي بماء السماء ونحوه ففيه العشر والا فنصفه ويليه الذهب والفضة والتجارة وفيها ربع العشر لانه يحتاج الى العمل فيه جميع السنة ويليه الماشية فانه يدخلها الاوقاص بخلاف الانواع السابقة ولما كان نصاب الابل لا يحتمل المواساة من جنسه اوجب فيها شاة فاذا صارت الخمس خمسا وعشرين احتمل نصابها واحدا فكان هو الواجب ثم انه قدر سن هذا الواجب في الزيادات والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها وفي كتابه صلى الله عليه وسلم الذي كتبه في الصدقة فلم يخرجه

الى عماله حتى قبض فى خمس من الابل شاة وفى عشر شاتان وفى خمسة عشر ثلاث شياه
وفى عشرين اربع شياه وفى خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فاذا زادت
واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس واربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين
فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا
لبون الى تسعين فان زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت الابل
اكثر من ذلك ففى كل خمسين حقة وفى كل اربعين ابنة لبون وفى الغنم فى كل اربعين شاة
شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان الى المائتين فان زادت على المائتين
ففيها ثلاث شياه الى ثلاثمائة فان كانت الغنم اكثر من ذلك ففى كل مائة شاة شاة
ثم ليس فيها شئ حتى تبلغ المائة رواه ابو داود والترمذى من حديث سالم بن عبد الله بن عمر
وفرض صلى الله عليه وسلم زكوة الفطر صاعا من تمر او صاعا من شعير على العبد والحر
والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين وامر بها ان تؤدى قبل خروج الناس الى
الصلوة رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عمر **وفى رواية** لابى داود من حديث ابن
عباس فرض صلى الله عليه وسلم زكوة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها
فجزاها ثمانية اجزاء رواه ابو داود من حديث زياد بن الحارث الصدائى وهذه الثمانية
الاجزاء يجمعها صنفان من الناس احدهما من ياخذ لحاجة فياخذ بحسب شدة الحاجة
وضعفها وكثرتها وقلتها وهم الفقراء والمساكين وفى الرقاب وابن السبيل والثانى من
ياخذ لمنفعته وهم العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين
والغزاة فى سبيل الله فان لم يكن الاخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له فى
الزكوة **واعلم** ان الانبياء لا تجب عليهم الزكوة لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم
الزكوة وانما تجب عليك زكوة ما انت له مالك انما كانوا يشهدون ما فى ايديهم من ودائع
الله لهم يبذلونه فى اوان بذله ويمنعونه فى غير محله ولان الزكوة انما هو طهرة لما عساه
ان يكون ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها والانبياء
عليهم السلام مبرؤون من الدنس لوجود العصمة ولهذا لم يوجب ابو حنيفة على الصبيان
زكوة لعدم دنس المخالفة والمخالفة لا تكون الا بعد جريان التكليف وذلك بعد
البلوغ واذا كان اهل المعرفة بالله المشاهدون لاحديته لا يشهدون لهم مع الله ملكا
كما هو مشهور من حكاياتهم فما ظنك بالانبياء والرسل واهل التوحيد والمعرفة انما غرفوا
من بحارهم واقتبسوا من انوارهم انتهى ملخصا من كتاب التنوير للعارف الكبير ابى الفضل
ابن عطا الشاذلى اذاقنا الله حلاوة مشربه **تنبيه** ما حكى ان الامام الشافعى واحمد
ابن حنبل كانا جالسين اذ اقبل شيبان الراعى فقال احمد بن حنبل للشافعى اريد ان اسأل
هذا المشار اليه فى هذا الزمن فقال الشافعى لا تفعل فقال لابد منه لك فقال يا شيبان

ما تقول

ما تقول فيمن سها فى اربع سجدات من اربع ركعات فقال يا احمد هذا قلب غافل عن الله يجب
ان يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك فخر احمد مغشيا عليه ثم افاق فقال له ما تقول فيمن له
اربعون شاة ما زكاتها فقال له هذا على مذهبنا او على مذهبكم فقال له وهما مذهبان قال
نعم اما على مذهبكم ففى الاربعين شاة شاة واما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده
شيئا **فقد** نقل شيخنا فى المقاصد الحسنة عن ابن تيمية ان ذلك باطل باتفاق اهل المعرفة
لان الشافعى واحمد لم يدركا شيبان الراعى والله اعلم انتهى **وقد كان** صلى الله عليه
وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل على آل فلان فاتاه ابو اوفى بصدقة فقال اللهم
صل على آل ابى اوفى رواه البخارى ومسلم **واختلف** فى وقت فرض الزكوة فذهب
الاكثرون الى انه وقع بعد الهجرة فقيل كان فى السنة الثانية قبل فرض رمضان اشار اليه
النووى فى باب السير من الروضة وجزم ابن الاثير فى التاريخ بان ذلك كان فى التاسعة وفيه
نظر لما فى حديث ضمام بن ثعلبة وحديث وفد عبد القيس ومخاطبة ابى سفيان مع هرقل وكان
فى اول السابعة وقال فيها يامرنا بالزكوة وقوى بعضهم ما ذهب اليه ابن الاثير بما وقع فى
قصة ثعلبة بن حاطب المطولة ففيها لما انزلت آية الصدقة بعث النبى صلى الله عليه وسلم
عاملا فقال ما هذه الا جزية او اخت الجزية والجزية انما وجبت فى التاسعة فتكون الزكوة
فى التاسعة لكنه حديث ضعيف لا يحتج به وادعى ابن خزيمة فى صحيحه ان فرضها كان قبل
الهجرة واحتج بما اخرجه من حديث ام سلمة فى قصة هجرتهم الى الحبشة وفيها ان جعفر بن ابى
طالب قال للنجاشى فى جملة ما اخبره به عن الرجل الذى يامرنا بالصلوة والزكوة والصيام
انتهى وفى الاستدلال بذلك نظر لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت بعد ولا صيام رمضان
فيحتمل ان تكون مراجعة جعفر لم تكن فى اول ما قدم على النجاشى وانما اخبره بذلك بعد مدة
قد وقع فيها ما ذكر من فريضة الصلوة والصيام وبلغ ذلك جعفر فقال يامرنا يعنى به
امته وهو بعيد جدا واولى ما حمل عليه حديث ام سلمة هذا ان سلم من قدح فى اسناده ان المراد
بقول جعفر يامرنا بالصلوة والزكوة والصيام اى فى الجملة ولا يلزم من ذلك ان يكون المراد
بالصلوة الصلوات الخمس ولا بالصيام صيام شهر رمضان ولا بالزكوة هذه الزكوة المخصوصة
ذات النصاب والحول والله اعلم **ومما يدل** على ان فرض الزكوة وقع بعد الهجرة اتفاقهم على
ان صيام رمضان انما فرض بعد الهجرة لان الاية الدالة على فرضيته مدنية بلا خلاف
وثبت عند احمد وابن خزيمة والنسائى وابن ماجة والحاكم من حديث قيس بن سعد بن عبادة
قال امرنا رسول الله بصدقة الفطر قبل ان تنزل الزكوة ثم نزلت فريضة الزكوة فلم يامرنا
ولم ينهنا ونحن نفعله اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح الا ابا عمار الراوى عن قيس
ابن سعد وقد وثقه احمد وابن معين وهو دال على ان فرض صدقة الفطر كان قبل فرض
الزكوة فيقتضى وقوعها بعد فرض رمضان قاله الحافظ ابو الفضل ابن حجر رحمه الله تعالى
وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها رواه البخارى من حديث عائشة

واذا اتي بطعام سال عنه اهدية ام صدقة فان قيل صدقة قال لاصحابه كلوا ولم ياكل وان قيل هدية ضرب بيده واكل معهم رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة وقال عليه السلام لعائشة عندكم شيء فقالت لا الا شيء بعثت به الينا نسيبة من الشاة التي بعثت الينا من الصدقة قال انها بلغت محلها رواه البخاري ومسلم وقوله محلها بكسر الحاء اي زال عنها حكم الصدقة وصارت حلالا لنا واتي بلحم قد تصدق به على بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي وفي حديث عائشة عند البخاري ومسلم دخل صلى الله عليه وسلم وعلى النار برمة تفور فدعا بالغداء فاتي بخبز وادم من ادم البيت فقال الم ار برمة على النار تفور قالوا بلى يا رسول الله لكنه لحم تصدق به على بريرة واهدت الينا منه وانت لا تاكل الصدقة فقال هو صدقة عليها وهدية لنا

النوع الرابع في ذكر صيامه صلى الله عليه وسلم

اعلم ان المقصود من الصيام امساك النفس عن خسيس عاداتها وحبسها عن شهواتها وفطمها عن مالوفاتها فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الابرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين سائر اعمال العاملين كما قال تعالى في الحديث الالهي النبوي رواه مسلم كل عمل ابن آدم له الا الصيام فهو لي وانا اجزي به فاضافه تعالى اليه اضافة تشريف وتكريم كما قال تعالى ناقة الله مع ان العالم كله له سبحانه وقيل لانه لم يتعبد غيره به فلم يعظم الكفار في عصر من الاعصار معبودا لهم بالصيام وان كانوا يعظمونه بصورة الصلوة والسجود وغيرهما قال في شرح تقريب الاسانيد واعترض بما يقع من عبادة النجوم واصحاب الهياكل والاستخدامات فانهم يتعبدون بها بالصيام واجيب بانهم لا يعتقدون انها فعالة بانفسها وقيل لان الصوم بعيد من الرياء لخفائه بخلاف الصلوة والحج والغزو وغير ذلك من العبادات الظاهرات قال في فتح الباري معنى النفي في قولهم لا رياء في الصوم انه لا يدخله الرياء بفعله وان كان قد يدخله الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بانه صائم فقد يدخل الرياء من هذه الجهة فدخول الرياء في الصوم انما يقع من جهة الاخبار بخلاف الاعمال فان الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها انتهى وعن شداد بن اوس مرفوعا من صام يرائي فقد اشرك رواه البيهقي وقيل لانه ليس للصائم ونفسه فيه حظ وقيل لان الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب تعالى فلما تقرب الصائم اليه بما يوافق صفاته اضافه اليه قال القرطبي معناه ان اعمال العباد مناسبة لاحوالهم الا الصيام فانه مناسب لصفة من صفات الحق كانه تعالى يقول ان الصائم يتقرب الي بامر هو متعلق بصفة من صفاتي او لكون ذلك من صفات الملائكة او لانه تعالى هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته بخلاف غيره من العبادات فقد اظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها ولذا قال في غير الحديث وانا اجزي به

وقد علم

وقد علم بان الكريم اذا اخبر بانه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى ذلك سعة العطاء وانما جوزي الصائم هذا الجزاء لانه ترك شهوته وطعامه وشرابه من اجل معبوده والمراد بالشهوة في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب ويحتمل ان يكون من العام بعد الخاص لكن وقع في رواية عند ابن خزيمة يدع لذته من اجلي ويدع زوجته من اجلي واصرح منه ما روي من الطعام والشراب والجماع من اجلي وللصيام تاثير عجيب في حفظ الاعضاء الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديئة المانعة له من صحتها فهي من اكبر العون على التقوى كما اشار اليه تعالى بقوله كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال عليه السلام كما في البخاري الصوم جنة وهي بضم الجيم الوقاية والستر اي يستتر من النار وبه جزم ابن عبد البر وفي النهاية اي يقي صاحبه مما يؤذيه من الشهوات وقال القاضي عياض من الآثام وقد اتفق على ان المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولا وفعلا وقد اختلف هل الصوم افضل ام الصلوة فقيل الصوم افضل الاعمال البدنية لحديث النسائي عن ابي امامة قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرني بامر آخذه عنك قال عليك بالصوم فانه لا عدل له والمشهور تفضيل الصلوة وهو مذهب الشافعي وغيره لقوله عليه الصلوة والسلام واعلموا ان خير اعمالكم الصلوة رواه ابو داود وغيره ثم ان الكلام في صيامه صلى الله عليه وسلم على قسمين القسم الاول في صيامه صلى الله عليه وسلم شهر رمضان وفيه فصول

الاول فيما كان صلى الله عليه وسلم يخص رمضان به من العبادات وتضاعف جوده عليه السلام فيه

اعلم ان رمضان مشتق من الرمض وهو شدة الحر لان العرب لما ارادوا ان يضعوا اسماء الشهور وافق ان الشهر المذكور شديد الحر فسموه بذلك كما سمي الربيعين لموافقتهما زمن الربيع او لانه يرمض الذنوب اي يحرقها وهو ضعيف لان التسمية به ثابتة قبل الشرع ورمضان افضل الاشهر كما حكاه الاسنوي عن قواعد الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال النووي وقولهم انه من اسماء الله تعالى ليس بصحيح فان كان قد جاء فيه اثر ضعيف واسماء الله تعالى توقيفية لا تثبت الا بدليل صحيح انتهى وقد اختلف السلف هل فرض صيام قبل صيام رمضان ام لا فالجمهور وهو المشهور عند الشافعية انه لم يجب قط صوم قبل صوم رمضان وفي وجه وهو قول الحنفية اول ما فرض يوم عاشوراء فلما نزل رمضان نسخ وسياتي ادلة الفريقين في الكلام على صوم عاشوراء ان شاء الله تعالى وقد كان فرض رمضان في السنة الثانية من الهجرة كما تقدم فتوفي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات ولما كان شهر رمضان موسم الخيرات ومنبع الجود والبركات لان نعم الله

تعالى فيه تزيد على غيره من الشهور وكان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فيه من
العبادات وانواع القربات الجامعة لوجوه السعادات من الصدقة والاحسان والصلوة
والذكر والاعتكاف ويخص به من العبادات ما لا يخص به غيره من الشهور وكان جوده
صلى الله عليه وسلم يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما ان جود ربه تعالى
يتضاعف فيه ايضا فان الله تعالى جبله على ما يحبه من الاخلاق الكريمة وفي حديث
ابن عباس عند الشيخين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس واجود ما
يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه
وسلم حين يلقاه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة فبمجموع ما ذكر في هذا الحديث
من الوقت وهو شهر رمضان والمنزول وهو القرآن والنازل به وهو جبريل والمذاكرة
وهي مدارسة القرآن حصل له عليه الصلوة والسلام المزيد في الجود والمرسلة المطلقة
يعني انه في الاسراع بالجود اسرع من الريح وعبر بالمرسلة اشارة الى دوام هبوبها بالرحمة
والى عموم النفع بجوده صلى الله عليه وسلم كما تعم الريح المرسلة ما تهب عليه ووقع عند
الامام احمد في آخر هذا الحديث لا يسئل شيئا الا اعطاه وقد كان ابتداء نزول القرآن في
شهر رمضان وكذا نزوله الى سماء الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت في حديث
ابن عباس فكان جبريل عليه السلام يتعاهده صلى الله عليه وسلم في كل سنة فيعارضه
بما نزل من رمضان الى رمضان فلما كان العام الذي توفي صلى الله عليه وسلم فيه عارضه
مرتين كما ثبت في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها قال في فتح الباري وفي معارضة
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن في شهر رمضان حكمتان احديهما تعاهده والثانية
تبقية ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ فكان رمضان ظرفا لانزاله جملة وتفصيلا وعرضا
واحكاما وفي المسند عن واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت
صحف ابرهيم في اول ليلة من شهر رمضان وانزل الانجيل لثلاث عشرة من رمضان وانزلت
التورية لست من رمضان وانزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان وقد دل
الحديث على استحباب مدارسة القرآن في رمضان والاجتماع عليه وعرض القرآن على من
هو احفظ منه وفي حديث ابن عباس ان المدارسة بينه صلى الله عليه وسلم وبين جبريل كانت
ليلا وهو يدل على استحباب الاكثار من تلاوة القرآن في رمضان ليلا لان الليل تنقطع
فيه الشواغل وتجتمع فيه الهمم ويتواطا فيه القلب واللسان على التدبر وقد كان صلى الله
عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان كما اخرجه الامام احمد والنسائي عن ابي هريرة
قال كان صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان يقول لقد جاءكم شهر رمضان
شهر مبارك كتب عليكم صيامه تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين
فيه ليلة خير من الف شهر من حرم خيرها حرم قال بعض العلماء هذا الحديث اصل في تهنئة
الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان

فكان

فكان اذا دخل شهر رجب وشعبان قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان
رواه الطبراني وغيره من حديث انس وكان عليه الصلوة والسلام اذا رأى هلال رمضان
قال هلال رشد وخير هلال رشد وخير آمنت بالذي خلقك رواه النسائي من حديث انس
وروي انه عليه السلام كان يقول اذا دخل شهر رمضان اللهم سلمني من رمضان وسلم
رمضان لي وتسلمه مني اي سلمني منه حتى لا يصيبني فيه ما يحول بيني وبين صومه من مرض
او غيره وسلمه لي حتى لا يغم هلاله علي في اوله وآخره فيلتبس علي الصوم والفطر وسلمه مني اي
يعصمني من المعاصي فيه وهذا منه عليه السلام تشريع لامته

الفصل الثاني في صيامه عليه السلام برؤية الهلال

عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يتحفظ من شعبان ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية
رمضان فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام رواه ابو داود وقال صلى الله عليه وسلم
اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فافطروا فان غم عليكم فاقدروا له رواه مسلم قوله فان
غم عليكم اي حال بينكم وبينه غيم فاقدروا له من التقدير اي قدروا له تمام العدد ثلاثين
يوما ويؤيده قوله في الرواية السابقة فان غم عليه صلى الله عليه وسلم عد ثلاثين وهو
مفسر لاقدروا له ولهذا لم يجتمعا في رواية ويؤكده رواية فاقدروا له ثلاثين قال
المازري حمل جمهور الفقهاء قوله عليه السلام اقدروا له على ان المراد اكمال العدة ثلاثين
كما فسره في حديث آخر قالوا ولا يجوز ان يكون المراد حساب المنجمين لان الناس لو كلفوا به
لضاق عليهم لانه لا يعرفه الا الافراد والشرع انما يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم انتهى
وهذا مذهبنا ومذهب مالك وابي حنيفة وجمهور السلف والخلف وفيه دليل لانه
لا يجوز صوم يوم الشك ولا يوم الثلاثين من شعبان عن رمضان اذا كانت ليلة
الثلاثين ليلة غيم وقال الامام احمد بن حنبل في طائفة اي قدروا له تحت السحاب فيجوز
صوم ليلة الغيم عن رمضان بل قال احمد بوجوبه وقال الشريج وجماعة منهم مطرف بن عبد
الله وابن قتيبة وآخرون معناه اقدروا بحسب المنازل

حد العدد الاول

الفصل الثالث في صومه صلى الله عليه وسلم بشهادة

عن ابن عمر قال تراءى الناس الهلال فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رأيته
فصام وامر الناس بصيامه رواه ابو داود وصححه ابن حبان وعن ابن عباس قال جاء
اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رأيت هلال رمضان فقال اتشهد
ان لا اله الا الله قال نعم قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال يا بلال اذن في
الناس فليصوموا رواه ابو داود والترمذي والنسائي والمراد في قوله عليه الصلوة والسلام
في الحديث السابق اذا رأيتموه رؤية بعض المسلمين ولا يشترط رؤية كل انسان بل يكفي

جميع الناس برؤيته عدل على الاصح في مذهبنا وهذا في الصوم واما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء الا ابا ثور فجوزه بعدل قال الاسنوي اذا قلنا بالواحد في الصوم فلا خلاف انه لا يتعدى الى غيره فلا يقع به الطلاق والعتق المعلقين بدخول رمضان ولا يحل به الدين المؤجل ولا يتم به حول الزكوة كذا اطلقه الرافعي هنا نقلا عن البغوي واقره وتبعه عليه في الروضة وصورته فيما اذا سبق التعليق على الشهادة فان وقعت الشهادة اولا وحكم الحاكم بدخول رمضان ثم جرى التعليق فان الطلاق والعتق يقعان كذا نقله القاضي حسين في تعليقه عن ابن سريج وقال الرافعي في الباب الثاني من كتاب الشهادات انه القياس انتهى ه

الفصل الرابع فيما كان يفعله صلى الله عليه وسلم

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي واعلم ان الجمهور على عدم الفطر بالحجامة مطلقا وعن علي وعطا والاوزاعي واحمد واسحاق وابي ثور يفطر الحاجم والمحجوم واوجبوا عليهما القضاء وشذ عطا فاوجب الكفارة ايضا وقال بقول احمد من الشافعية ابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان ونقل الترمذي عن الزعفراني ان الشافعي علق القول به على صحة الحديث قال الترمذي كان الشافعي يقول ذلك ببغداد ولما بمصر فمال الى الرخصة انتهى وقال الشافعي في اختلاف الحديث بعد ان اخرج حديث شداد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى رجلا يحتجم لثمان عشرة خلت من رمضان فقال وهو آخذ بيدي افطر الحاجم والمحجوم ثم ساق حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم قال وحديث ابن عباس امثلهما اسنادا فان توقى احد الحجامة كان احب الي احتياطا والقياس مع حديث ابن عباس والذي احفظ عن الصحابة والتابعين وعامة اهل العلم انه لا يفطر احد بالحجامة واول بعضهم حديث افطر الحاجم والمحجوم ان المراد به انهما سيفطران كقوله تعالى اني اراني اعصر خمرا اي ما يؤول اليه ولا يخفى بعد هذا التأويل وقال البغوي في شرح السنة معناه تعرضا للافطار اما الحاجم فلانه لا يأمن من وصول شيء من الدم الى جوفه عند مصه واما المحجوم فلانه لا يأمن من ضعف قوته بخروج الدم فيؤول امره الى ان يفطر وقيل معنى افطرا فعلا مكروها وهو الحجامة فصارا كانهما غير متلبسين بالعبادة وقال ابن حزم صح حديث افطر الحاجم والمحجوم بلا ريب لكن وجدنا من حديث ابي سعيد ارخص النبي صلى الله عليه وسلم في الحجامة للصائم واسناده صحيح فوجب الاخذ به لان الرخصة انما تكون بعد العزيمة فدل على نسخ الفطر بالحجامة سواء كان حاجما او محجوما انتهى والحديث المذكور اخرجه النسائي وابن خزيمة والدارقطني ولفظه اول ما كرهت الحجامة للصائم ان جعفر بن ابي طالب احتجم وهو صائم فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افطر

هذان

هذان ثم ارخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد في الحجامة للصائم وكان انس يحتجم وهو صائم وكلهم من رجال البخاري الا ان في المتن ما ينكر لان فيه ان ذلك كان في الفتح وجعفر كان قتل قبل ذلك ومن احسن ما ورد في ذلك ما رواه عبد الرزاق وابو داود عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصائم وعن المواصلة ولم يحرمهما ابقاء على اصحابه واسناده صحيح والجهالة بالصحابة لا تضر ورواه ابن ابي شيبة عن وكيع عن الثوري بلفظ عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصائم وكرهها للضعيف لئلا يضعف انتهى ملخصا من فتح الباري والله اعلم وعن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو صائم ثم ضحكت رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود قالت وكان املككم لاربه اي لحاجته يعني انه كان غالبا لهواه قال ابن الاثير اكثر المحدثين يروونه بفتح الهمزة والراء يعنون به الحاجة وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء وله تاويلان احدهما انه الحاجة يقال فيها الارب والاربة والاربة والمأربة والثاني اراد به العضو وعنت به من الاعضاء الذكر خاصة انتهى فمذهب الشافعي واصحابه ان القبلة ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الاولى تركها واما من حركت شهوته فهي حرام في حقه على الاصح عند اصحابنا وقوله فضحكت قيل يحتمل ضحكها للتعجب ممن خالف هذا وقيل تعجب من نفسها اذ حدثت بمثل هذا مما يستحيى من ذكر النساء مثله للرجال ولكنها الجاتها الضرورة في تبليغ العلم الى ذكر ذلك وقد يكون خجلا لاخبارها عن نفسها بذلك او تنبيها على انها صاحبة القصة ليكون ذلك ابلغ في الثقة بها او سرورا بمكانها من النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته لها وروى ابن ابي شيبة عن شريك عن هشام في هذا الحديث فضحكت وظننا انها هي وروى النسائي عنها قالت اهوى الي النبي صلى الله عليه وسلم ليقبلني فقلت اني صائمة فقال وانا صائم فقبلني وقد روى ابو داود عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ويمص لسانها يعني وهو صائم واسناده ضعيف ولو صح فهو محمول على انه لم يبتلع ريقه الذي خالط ريقها وكان عليه الصلوة والسلام يكتحل بالاثمد وهو صائم رواه البيهقي من رواية محمد بن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده ثم قال ابو محمد هذا ليس بالقوي ونقله الحاكم واخرج له في مستدركه وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع لا احتلام ثم لا يفطر ولا يقضي رواه البخاري ومسلم قال القرطبي في هذا فائدتان احداهما انه كان يجامع في رمضان ويؤخر الغسل الى بعد طلوع الفجر بيانا للجواز الثانية ان ذلك كان من جماع لا من احتلام لانه كان لا يحتلم اذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه وقال غيره في قولها من غير احتلام اشارة الى جواز الاحتلام عليه والا لما كان للاستثناء معنى ورد بان الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه واجيب بان الاحتلام يطلق

على الانزال فقد يقع الانزال بغير رؤية شيء في المنام واردت بالتقييد بالجماع المبالغة في الرد على من زعم ان من فعل ذلك عمدا مفطرا انتهى وقال عامر بن ربيعة رايته صلى الله عليه وسلم يستاك وهو صائم ما لا اعد ولا احصي رواه ابو داود والترمذي ه ه ه

الفصل الخامس في وقت افطاره عليه الصلوة والسلام

عن عبد الله ابن ابي اوفى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في شهر رمضان فلما غابت الشمس قال يا بلال انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله ان عليك نهارا قال انزل فاجدح لنا قال فنزل فجدح فاتى به فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال بيده اذا غابت الشمس من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد افطر الصائم رواه البخاري ومسلم والجدح بجيم ثم حاء مهملة خلط الشيء بغيره والمراد خلط السويق بغيره بالماء وتحريكه حتى يستوي ومعنى الحديث انه صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا صياما فلما غربت الشمس امره عليه الصلوة والسلام بالجدح ليفطر فرأى المخاطب آثار الضياء والحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس وظن ان الفطر لا يحصل الا بعد ذهاب ذلك واحتمل عنده انه صلى الله عليه وسلم لم يرها فاراد تذكيره واعلامه بذلك ويؤيد هذا قوله ان عليك نهارا لتوهمه ان ذلك الضوء من النهار الذي يجب صومه وهو معنى قوله في الرواية الاخرى لو امسيت وتكرير المراجعة لغلبة اعتقاده على ان ذلك نهار يحرم الاكل فيه مع تجويزه انه عليه الصلوة والسلام لم ينظر الى ذلك الضوء نظرا تاما فقصد زيادة الاعلام ببقاء الضوء والله اعلم قاله النووي ه

الفصل السادس فيما كان صلى الله عليه وسلم يفطر عليه

عن انس كان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل ان يصلي على رطبات فان لم يجد رطبات فتمرات فان لم يجد تمرات حسا حسوات من ماء رواه ابو داود وانما خص عليه الصلوة والسلام الفطر بما ذكر لان اعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة ادعى الى قبوله وانتفاع القوى به لا سيما قوة البصر واما الآفات الكبدية يحصل لها بالصوم نوع يبس فان رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده ولهذا كان الاولى بالظمآن الجائع ان يبدأ بشرب قليل من الماء ثم ياكل بعده قاله ابن القيم

الفصل السابع فيما كان يقول صلى الله عليه وسلم عند الافطار

عن معاذ بن زهرة بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت وهو حديث مرسل فمعاذ هذا ذكره البخاري في التابعين لكن قال معاذ ابو زهرة وتبعه ابن ابي حاتم وابن حبان في الثقات وذكره يحيى بن يونس الشيرازي في الصحابة وغلطه جعفر المستغفري قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون الحديث موصولا ولو كان معاذ تابعيا لاحتمال ان يكون الذي بلغه له صحابيا قال وبهذا الاعتبار اورده ابو داود في السنن وبالاعتبار الآخر اورده في المراسيل وخرج ابن السني والطبراني في المعجم الكبير بسند واه جدا عن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت

فتقبل

فتقبل مني انك انت السميع العليم وعن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله رواه ابو داود وزاد ابن رزين الحمد لله في اول الحديث وفي كتاب ابن السني عن ابن زهرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افطر قال الحمد لله الذي اعانني فصمت ورزقني فافطرت ه ه ه ه

الفصل الثامن في وصاله صلى الله عليه وسلم

عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال قالوا انك تواصل قال اني لست مثلكم اني اطعم واسقى رواه البخاري ومسلم وللبخاري انه صلى الله عليه وسلم واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يواصلوا قالوا انك تواصل قال اني لست كهيئتكم اني اظل اطعم واسقى وفي رواية انس واصل صلى الله عليه وسلم في آخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم انكم لستم مثلي اني اظل يطعمني ربي ويسقيني وفي رواية لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كاحد منكم اني اطعم واسقى رواه البخاري ومسلم والمتعمقون هم المتشددون في الامر المجاوزون الحدود في قول او فعل وفي رواية سعيد بن منصور وابن ابي شيبة من مرسل الحسن اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وعن عائشة قالت نهاهم صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم قالوا انك تواصل فقال اني لست كهيئتكم اني يطعمني ربي ويسقيني رواه البخاري ومسلم الا ان البخاري قال نهى ولم يقل نهاهم وعن ابي هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم فلما ابوا ان ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم راوا الهلال فقال لو تاخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين ابوا ان ينتهوا رواه البخاري والوصال هو عبارة عن صوم يومين فصاعدا من غير اكل وشرب بينهما قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وقد اختلف في معنى قوله يطعمني ربي ويسقيني فقيل هو على حقيقته وانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بطعام وشراب من عند الله كرامة له في ليالي صيامه وتعقب بانه لو كان كذلك لم يكن مواصلا وبان قوله اظل يدل على وقوع ذلك بالنهار فلو كان الاكل والشرب حقيقة لم يكن صائما واجيب بان الراجح من الروايات لفظ ابيت دون اظل وعلى تقدير ثبوتها فهي محمولة على مطلق الكون لا على حقيقة اللفظ لان المحدث عنه هو الامساك ليلا لا نهارا واكثر الروايات انما هو ابيت فكان بعض الرواة عبر عنها باظل نظرا الى اشتراكهما في مطلق الكون يقولون كثيرا اضحى فلان كذا ولا يريدون تخصيص ذلك بوقت الضحى ومنه قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا فان المراد به مطلق الوقت ولا اختصاص لذلك بنهار دون ليل والثاني حمل الطعام والشراب على المجاز واولى من حمل لفظ اظل على المجاز وعلى التنزل فلا يضر شيء من ذلك لان ما يؤتى به الرسول على سبيل الكرامة من طعام الجنة

وشرابها لا تجري عليه أحكام المكلفين فيه كما غسل صدره الشريف في طست من ذهب مع أن استعمال أواني الذهب الدنيوية محرمة وقال ابن المنير الذي يفطر شرعا إنما هو الطعام المعتاد وأما الخارق للعادة كالمحضر من الجنة فعلى غير هذا المعنى وليس تعاطيه من جنس الأعمال وإنما هو من جنس الثواب كأكل أهل الجنة في الجنة والكرامة لا تبطل العادة وقال غيره لا مانع من حمل الطعام والشراب على حقيقتهما وأكله وشربه في الليل لا يقطع وصاله خصوصية له بذلك فكأنه قال لما قيل له إنك تواصل قال إني لست في ذلك كهيئتكم أي على صفتكم في أن من أكل منكم أو شرب انقطع وصاله بل إنما يطعمني ربي ويسقيني ولا ينقطع بذلك مواصلتي فطعامي وشرابي على غير طعامكم وشرابكم صورة ومعنى وقال الجمهور هو مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو القوة فكأنه قال يعطيني قوة الآكل والشارب ويفيض علي ما يسد مسد الطعام والشراب ويقوي على أنواع الطاعة من غير ضعف في القوة أو المعنى أن الله يخلق فيه من الشبع والري ما يغنيه عن الطعام والشراب ولا يحس بجوع ولا عطش والفرق بينه وبين الأول أنه على الأول يعطى القوة من غير شبع ولا ري بل مع الجوع والظمأ وعلى الثاني يعطى القوة مع الشبع والري ورجح الأول بأن الثاني ينافي حال الصائم ويفوت المقصود من الصوم والوصال لأن الجوع هو روح هذه العبادة بخصوصها قال القرطبي ويبعده أيضا النظر إلى حاله عليه الصلاة والسلام فإنه كان يجوع أكثر مما يشبع ويربط على بطنه الحجارة انتهى ويحتمل كما قاله ابن القيم في الهدي وابن رجب في اللطائف أن يكون المراد به ما يغذيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه ونعيمه بحبه والشوق إليه وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الأرواح وقرة العين وبهجة النفوس فللروح والقلب بها أعظم غذاء وأجله وأنفعه وقد يغني هذا الغذاء عن غذاء الأجسام مدة من الزمان كما قيل

لها أحاديث من ذكراك تشغلها	عن الشراب وتلهيها عن الزاد
إذا اشتكت من كلال السير أوعدها	روح القدوم فتحيا عند ميعاد

ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني ولا سيما الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قد قرت عينه بمحبوبه وتنعم بقربه والرضى عنه وألطاف محبوبه مكرم له غاية الإكرام مع الحب التام أفليس هذا من أعظم غذاء هذا المحب فكيف بالحبيب الذي لا شيء أعظم منه ولا أجل ولا أجمل ولا أكمل ولا أعظم إحسانا أفليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ولهذا قال إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني انتهى وحكى النووي في شرح المهذب كما قاله في شرح تقريب الأسانيد أن معناه أن محبة الله تشغلني عن الطعام والشراب قال والحب البالغ يشغل عنهما انتهى فإن قلت لم آثر اسم الرب دون اسم الذات المقدسة في قوله يطعمني ربي دون أن يقول يطعمني الله أجيب لأن التجلي باسم الربوبية أقرب إلى العباد

من الآية

من الألوهية لأنه تجلي عظمة لا طاقة للبشر بها وتجلي الربوبية تجلي رحمة وشفقة وقد اختلف الناس في الوصال هل هو جائز أو محرم أو مكروه فقالت طائفة إنه جائز إن قدر عليه وهذا يروى عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف وكان ابن الزبير يواصل الأيام وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح أنه كان يواصل خمسة عشر يوما وذكر معه من الصحابة أيضا أخت أبي سعيد ومن التابعين عبد الرحمن بن أبي نعم وعامر بن عبد الله بن الزبير وإبراهيم ابن يزيد التيمي وأبا الجوزاء كما نقله أبو نعيم في الحلية ومن حجتهم أنه عليه الصلاة والسلام واصل بأصحابه بعد النهي فلو كان النهي للتحريم لما أقرهم على فعله فعلم أنه أراد بالنهي الرحمة لهم والتخفيف عنهم كما صرحت به عائشة في حديثها فمن لم يشق عليه ولم يقصد موافقة أهل الكتاب ولا رغب عن السنة وتعجيل الفطر لم يمنع من الوصال ومن أدلة الجواز أيضا إقدام الصحابة عليه بعد النهي فدل على أنهم فهموا أن النهي للتنزيه لا للتحريم وإلا لما أقدموا عليه وقال الأكثرون لا يجوز الوصال وبه قال مالك وأبو حنيفة ونص الشافعي وأصحابه على كراهته ولهم في هذه الكراهة وجهان أصحهما أنه كراهة تحريم والثاني للتنزيه واختار ابن وهب وأحمد بن حنبل وإسحاق جواز الوصال إلى السحر لحديث أبي سعيد عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر وهذا الوصال لا يترتب عليه شيء مما يترتب على غيره لأنه في الحقيقة بمنزلة عشائه إلا أنه يؤخر لأن الصائم له في اليوم والليلة أكلة فإذا أكلها في السحر كان قد نقلها من أول الليل إلى آخره وكان أخف لجسمه في قيام الليل ولا يخفى أن محل ذلك ما لم يشق على الصائم وإلا فلا يكون قربة وقد صرح في الحديث بأن الوصال من خصائصه صلى الله عليه وسلم فقال إني لست كهيئتكم وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب قال صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من ههنا وغربت الشمس من ههنا فقد أفطر قالوا فجعله مفطرا حكما بدخول وقت الفطر وإن لم يفطر وذلك يحيل الوصال شرعا واحتج الجمهور بعموم النهي وقوله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا وأجابوا عن قوله رحمة بأنه لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم وسبب تحريمه الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم وأما الوصال بهم يوما ثم يوما فاحتمل للمصلحة في تأكيد زجرهم وبيان الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظائف الدين من إتمام الصلاة بخشوعها وأذكارها وسائر الوظائف المشروعة في نهاره وليله وأجابوا أيضا بقوله عليه الصلاة والسلام إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم إذ لم يجعل الليل محلا لسوى الفطر فالصوم فيه مخالف لوضعه وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله قد قبل وصالك ولا يحل لأحد بعدك ولكن إسناده ليس بصحيح ولا حجة فيه

الفصل التاسع في سحوره صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال إنها بركة أعطاكم الله إياها فلا تدعوه رواه النسائي وعن العرباض بن سارية قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السحور في رمضان قال هلم إلى الغداء المبارك رواه أبو داود والنسائي وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند السحر يا أنس إني أريد الصيام فأطعمني شيئا فأتيته بتمر وإناء فيه ماء وذلك بعد ما أذن بلال قال يا أنس انظر رجلا يأكل معي فدعوت زيد بن ثابت فجاء فقال إني قد شربت شربة سويق وأنا أريد الصيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد الصيام فتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج إلى الصلوة رواه النسائي وعن زر بن حبيش قلنا لحذيفة أي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع رواه النسائي أيضا وعن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلوة قال أنس بن مالك قلت كم كان قدر ما بينهما قال قدر خمسين آية رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي والمراد آية متوسطة لا طويلة ولا قصيرة ولا بطيئة قال ابن أبي جمرة كان صلى الله عليه وسلم ينظر ما هو الأرفق بأمته فيفعله لأنه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشق على بعضهم ولو تسحر في جوف الليل لشق أيضا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي إلى ترك الصبح أو يحتاج إلى المجاهدة بالسهر وقال القرطبي فيه دلالة على أن الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر فهو معارض لقول حذيفة هو النهار إلا أن الشمس لم تطلع انتهى وأجاب في فتح الباري بأن لا معارضة بل تحمل على اختلاف الحال انتهى فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة ٥

الفصل العاشر في إفطاره صلى الله عليه وسلم في السفر وصومه

عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان فسار حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس ثم شرب فقيل له إن بعض الناس قد صام فقال أولئك العصاة أولئك العصاة زاد في رواية فقيل له إن الناس قد شق عليهم الصيام وإنما ينتظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر رواه مسلم وعن ابن عباس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا بإناء من ماء فشرب نهارا ليراه الناس وأفطر حتى قدم مكة وكان ابن عباس يقول صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وأفطر فمن شاء صام ومن شاء أفطر رواه البخاري ومسلم ولمسلم أن ابن عباس كان لا يعيب على من صام ولا على من أفطر قد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر وأفطر قال النووي رحمه الله اختلف العلماء في صوم رمضان في السفر فقال بعض أهل الظاهر لا يصح صوم رمضان في السفر فإن صامه لم ينعقد ويجب قضاؤه لظاهر الآية والحديث ليس من البر الصيام

في السفر

في السفر وفي الحديث الآخر أولئك العصاة وقال جماهير العلماء وجميع أهل الفتوى يجوز صومه في السفر وينعقد ويجزيه واختلفوا في أن الصوم أفضل أم الفطر أم هما سواء فقال مالك وأبو حنيفة والشافعي والأكثرون الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر فإن تضرر به فالفطر أفضل واحتجوا بصومه صلى الله عليه وسلم وأنه يحصل به براءة الذمة في الحال وقال سعيد بن المسيب والأوزاعي وأحمد وإسحاق وغيرهم الفطر أفضل مطلقا وحكاه بعض أصحابنا قولا للشافعي وهو غريب واحتجوا بما سبق لأهل الظاهر وبقوله صلى الله عليه وسلم هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه وظاهره ترجيح الفطر وأجاب الأكثرون بأن هذا كله فيمن يخاف ضررا أو يجد مشقة كما هو صريح في الأحاديث واعتمدوا أحاديث أبي سعيد الخدري قال كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر ولا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر فإن ذلك حسن وهذا صريح في ترجيح مذهب الأكثرين وهو تفضيل الصوم لمن أطاقه بلا ضرر ولا مشقة ظاهرة وقال بعض العلماء الفطر والصوم سواء لتعادل الأحاديث والصحيح قول الأكثرين والله أعلم

القسم الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم في غير شهر رمضان

وفيه فصول ٥ الفصل الأول في سرده عليه الصلوة والسلام صوم أيام من الشهر وفطره أياما ٥ عن أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسرد الصوم فيقال لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم رواه النسائي وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته وفي رواية ما كنت أحب أن أراه من الشهر صائما إلا رأيته ولا مفطرا إلا رأيته ولا من الليل قائما إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته رواه البخاري ولمسلم كان يصوم حتى يقال قد صام صام ويفطر حتى يقال أفطر أفطر وعن ابن عباس قال ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا غير شهر رمضان وكان يصوم حتى يقول القائل والله لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل والله لا يصوم رواه البخاري ومسلم والنسائي وزاد ما صام شهرا متتابعا غير رمضان منذ قدم المدينة ففي هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يصم الدهر ولا قام الليل كله وكأنه ترك ذلك لئلا يقتدى به فيشق على الأمة وإن كان قد أعطي من القوة ما لو التزم ذلك لاقتدر عليه لكنه سلك من العبادات الطريقة الوسطى فصام وأفطر وقام ونام ٥

الفصل الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم عاشوراء

وهو بالماء على المشهور واختلف في تعيينه فعن الحكم بن الاعرج قال انتهيت الى ابن عباس
وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له اخبرني عن صوم عاشوراء فقال اذا رأيت هلال المحرم
فاعدد واصبح يوم التاسع صائما قلت هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم
رواه مسلم قال النووي هذا تصريح من ابن عباس بان مذهبه ان عاشوراء هو اليوم
التاسع من المحرم ويتأوله على انه مأخوذ من اظماء الابل فان العرب تسمي الخامس من ايام الورد
ربعا وكذا باقي الايام على هذه النسبة فيكون التاسع عشرا انتهى لكن تأول ابن المنير
قوله اذا اصبحت من تاسعه فاصبح بانه اراد العاشر لانه لا يصبح صائما بعد ان اصبح
صائما تاسعه الا اذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهي الليلة العاشرة انتهى وذهب
جماهير العلماء من السلف والخلف الى ان عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم وممن قال بذلك
سعيد بن المسيب والحسن البصري ومالك واحمد واسحاق وخلائق وهذا ظاهر الاحاديث
ومقتضى اللفظ واما تقدير اخذه من الاظماء فبعيد ثم ان حديث ابن عباس يرد عليه معنى
قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء فقالوا له يا رسول الله يوم تعظمه اليهود
والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع
قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا تصريح بان الذي
كان يصومه ليس هو التاسع فتعين كونه العاشر قاله النووي وقال القرطبي عاشوراء
معدول عن عاشرة للمبالغة والتعظيم وهو في الاصل صفة الليلة العاشرة لانه مأخوذ
من العشر الذي هو اسم للعقد واليوم يضاف اليها فاذا قيل يوم عاشوراء فكأنه قيل يوم
الليلة العاشرة الا انهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الاسمية فاستغنوا عن الموصوف
فحذفوا الليلة وعلى هذا فيوم عاشوراء هو العاشر وهذا قول الخليل وغيره وقال
ابن المنير الاكثر على ان عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو مقتضى الاشتقاق
والتسمية وقال ابن القيم من تأمل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال
الاشكال وسعة علم ابن عباس فانه لم يجعل يوم عاشوراء اليوم التاسع بل قال للسائل
صم اليوم التاسع واكتفى بمعرفة السائل ان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر الذي يعده
الناس يوم عاشوراء فارشد السائل الى صوم التاسع معه واخبر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يصومه كذلك فاما ان يكون فعل ذلك وهو الاولى واما ان يكون حمل
فعله على الامر به وعزمه عليه في المستقبل وهو الذي روى امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بصيام يوم عاشوراء يوم العاشر وكل هذه الآثار يصدق بعضها بعضا انتهى
فليتأمل وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة كان يوم عاشوراء تصومه قريش
في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة
صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه رواه
البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي واستفيد من هذه الرواية تعيين

الوقت

الوقت الذي وقع الامر فيه بصيام عاشوراء وهو اول قدومه المدينة ولا شك ان قدومه
عليه الصلاة والسلام كان في ربيع الاول فحينئذ كان الامر بذلك في اول السنة الثانية
وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الامر بصوم يوم عاشوراء الا في سنة
واحدة ثم فوض الامر في صومه الى رأي المتطوع فعلى تقدير صحة قول من يدعي انه كان قد
فرض فقد نسخ فرضه بهذه الاحاديث الصحيحة واما صيام قريش لعاشوراء فلعلهم
تلقوه من الشرع السابق ولذا كانوا يعظمونه بكسوة الكعبة وقد روي عن عكرمة
انه سئل عن ذلك فقال اذنبت قريش ذنبا في الجاهلية فعظم في صدورهم فقيل لهم
صوموا عاشوراء يكفر ذلك قاله في فتح الباري وعن ابن عمر ان اهل الجاهلية كانوا
يصومون يوم عاشوراء وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عاشوراء يوم من ايام
الله فمن شاء صامه رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية وكان عبد الله لا يصومه
الا ان يوافق صومه وعن سلمة بن الاكوع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من
اسلم يوم عاشوراء فامره ان يؤذن في الناس من كان لم يصم فليصم ومن كان اكل فليتم
صيامه الى الليل رواه مسلم قال النووي واختلفوا في حكم صوم عاشوراء في اول
الاسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان فقال ابو حنيفة كان واجبا واختلف اصحاب
الشافعي فيه على وجهين اشهرهما عندهم انه لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجبا قط
في هذه الامة ولكنه كان متأكد الاستحباب فلما نزل صوم رمضان صار مستحبا دون
ذلك الاستحباب والثاني كان واجبا كقول ابي حنيفة وتظهر فائدة الخلاف في اشتراط
نية الصوم الواجب من الليل فابو حنيفة لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين اول
يوم عاشوراء ثم امروا بصيامه بنية من النهار ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه واصحاب
الشافعي يقولون كان مستحبا فصح بنية من النهار ويتمسك ابو حنيفة بقوله امر بصيامه
والامر للوجوب وبقوله فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه ويحتج
الشافعية بقوله هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه والشافعية يقولون ايضا
معنى قوله في حديث سلمة فامره ان يؤذن في الناس من كان لم يصم فليصم الخ ان من
كان نوى الصوم فليتم صومه ومن كان لم ينو الصوم ولم يأكل او اكل فليمسك بقية يومه
لحرمة اليوم واحتج ابو حنيفة بهذا الحديث لمذهبه ان صوم الفرض يجب بنية في النهار
ولا يشترط تبييتها قال لانهم نووا في النهار واجزأهم واجاب الجمهور عن هذا
الحديث بان المراد امساك بقية النهار لا حقيقة الصوم والدليل على هذا انهم اكلوا ثم
امروا بالاتمام وقد وافق ابو حنيفة وغيره على ان شرط اجزاء النية في النهار في الفرض والنفل
ان لا يتقدمها مفسد للصوم من اكل وغيره انتهى وقال الحافظ شيخ الاسلام
ابو الفضل ابن حجر من مجموع الاحاديث انه كان واجبا لثبوت الامر بصومه ثم تأكيد الامر
بذلك زيادة التأكيد بالنداء العام ثم زيادته بامر من اكل بالامساك ثم زيادته

بأمر الأمهات أن لا يرضعن فيه الأطفال وبقول ابن مسعود الثابت في مسلم لما فرض
رمضان ترك عاشوراء مع العلم بأنه ما ترك استحبابه بل هو باق فدل على أن المتروك
وجوبه وأما قول بعضهم المتروك تأكد استحبابه والباقي مطلق استحبابه فلا يخفى
ضعفه بل تأكد استحبابه باق ولا سيما مع استمرار الاهتمام به حتى في عام وفاته
صلى الله عليه وسلم حيث قال لئن عشت لأصومن التاسع والعاشر ولترغيبه في
صومه وأنه يكفر السنة فأي تأكيد أبلغ من هذا انتهى وعن ابن عباس قال قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا
يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم فصامه فقال أنا أحق بموسى منكم فصامه
وأمر بصيامه وفي رواية فقال لهم ما هذا اليوم الذي تصومونه قال هذا يوم عظيم
نجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأمر بصيامه وفي أخرى فنحن نصومه تعظيما له رواه البخاري ومسلم
وأبو داود وقد أجاب صاحب زاد المعاد وغيره عما استشكله بعضهم في هذا
الحديث وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قدم المدينة في شهر ربيع الأول
فكيف يقول ابن عباس إنه قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء وبأنه ليس
في الحديث أن يوم قدومه وجدهم يصومونه فإنه إنما قدم يوم الاثنين في ربيع الأول
ثاني عشره ولكن أول علمه بذلك ووقوع القصة في اليوم كان بعد قدومه المدينة
لم يكن وهو بمكة وقال في الفتح غايته أن في الكلام حذفا تقديره قدم عليه الصلاة
والسلام المدينة فأقام إلى يوم عاشوراء فوجد اليهود فيه صياما ويحتمل أن يكون
أولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين الشمسية فصادف يوم
عاشوراء بحسابهم اليوم الذي قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وهذا التأويل مما
يترجح به أولوية المسلمين وأحقيتهم بموسى لإضلالهم اليوم المذكور وهداية المسلمين
له ولكن سياق الحديث يدفع هذا التأويل والاعتماد على التأويل الأول وقد
استشكل أيضا رجوعه عليه الصلاة والسلام إلى خبر اليهود وهو غير مقبول وأجاب
المازري بأنه يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أوحي إليه بصدقهم فيما قالوه أو تواتر عنده
النقل بذلك حتى حصل له العلم بذلك قال القاضي عياض ردا على المازري قد
روى مسلم أن قريشا كانت تصومه فلما قدم المدينة صامه فلم يحدث له بقول اليهود
حكم يحتاج إلى الكلام عليه وإنما هي صفة حال وجواب سؤال فقوله صامه ليس فيه أن ابتدأ
صومه حينئذ ولو كان هذا لحملناه على أنه أخبره من أسلم من علمائهم كابن سلام وغيره
قال وقد قال بعضهم يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان يصومه بمكة ثم ترك صيامه حتى
علم ما عند أهل الكتاب منه فصامه قال وما ذكرناه أولى بلفظ الحديث قال النووي

المختار

المختار قول المازري ومختصر ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يصومه كما تصومه قريش
في مكة ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه فصامه أيضا بوحي أو تواتر أو اجتهاد لا بمجرد
أخبار آحادهم انتهى وقال القرطبي لعل قريشا كانوا يستندون في صومه إلى شرع من مضى
كإبراهيم وصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون بحكم الموافقة لهم كما في الحج
وأذن الله له في صيامه على أنه فعل خير فلما هاجر ووجد اليهود يصومونه وسألهم وصامه
وأمر بصيامه احتمل أن يكون استئلافا لليهود كما استألفهم باستقبال قبلتهم ويحتمل غير
ذلك وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فإنه كان يصومه قبل ذلك وكان في ذلك الوقت
الذي يجب فيه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه ولا سيما إذا كان فيه ما يخالف أهل
الأوثان فلما فتحت مكة واشتهر أهل الإسلام أحب مخالفة أهل الكتاب أيضا كما في
حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه
قالوا يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم فإذا كان
العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع رواه مسلم وهذا
دليل الشافعي وأصحابه وأحمد وإسحاق القائلين باستحباب صوم التاسع والعاشر
جميعا لأنه صلى الله عليه وسلم صام العاشر ونوى صوم التاسع قال النووي قال
بعض العلماء ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر أن لا يتشبه باليهود في إفراد
العاشر وفي الحديث إشارة إلى هذا وقيل للاحتياط في صوم عاشوراء والأول أولى
انتهى وفي رواية البزار من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
يوم عاشوراء صوموه وخالفوا فيه اليهود صوموا قبله يوما وبعده يوما ولأحمد نحوه فمراتب
صومه ثلاثة أدناها أن يصام وحده وأكملها أن يصام يوما قبله ويوما بعده
ويليه ذلك أن يصام التاسع والعاشر وعليه أكثر الأحاديث وقال بعضهم قد
ظهر أن القصد مخالفة أهل الكتاب في هذه العبادة وذلك يحصل بأحد أمرين
إما بنقل العاشر إلى التاسع وإما بصيامهما معا والله أعلم وفي البخاري من حديث
أبي موسى قال كان يوم عاشوراء يعده اليهود عيدا قال صلى الله عليه وسلم صوموه
أنتم وهذا ظاهره أن الباعث على الأمر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرون
فيه لأن يوم العيد لا يصام وحديث ابن عباس يدل على أن الباعث على صيامه موافقتهم
على السبب وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى لكن لا يلزم من تعظيمهم له واعتقادهم
بأنه عيد أنهم كانوا لا يصومونه فلعله من جملة تعظيمهم أن يصوموه وقد ورد ذلك
صريحا في حديث مسلم كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدا ويلبسون
نساءهم فيه حليهم وشارتهم وهو بالشين المعجمة أي هيئتهم الحسنة ومحصل ما ورد
في صيامه صلى الله عليه وسلم عاشوراء أربعة أحوال أحدها أنه كان يصومه بمكة

ولأيام الناس بصيامه كما تقدم في حديث عائشة عند الشيخين وغيرهما كان عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية وكان صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه الثانية انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ورأى صيام اهل الكتاب وتعظيمهم له وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر به صامه وامر الناس بصيامه واكد الامر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يصومونه اطفالهم كما تقدم في حديث ابن عباس عند الشيخين وغيرهما الثالثة انه لما فرض صوم شهر رمضان ترك صلى الله عليه وسلم صيامه وقال ان عاشوراء يوم من ايام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه ويشهد له حديث عائشة السابق الحالة الرابعة انه صلى الله عليه وسلم عزم في آخر عمره ان لا يصومه مفردا بل يضم اليه يوما آخر مخالفة لاهل الكتاب في صيامه كما قدمناه وقد روى مسلم من حديث ابي قتادة مرفوعا ان صوم عاشوراء يكفر سنة وان صيام يوم عرفة يكفر سنتين وظاهره ان صيام يوم عرفة افضل من صيام يوم عاشوراء وقد قيل الحكمة في ذلك ان يوم عاشوراء منسوب الى موسى ويوم عرفة منسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك كان افضل والله اعلم واما ما روي من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلها فرواه الطبراني والبيهقي في الشعب وفي فضائل الاوقات وابو الشيخ عن ابن مسعود والاولان فقط عن ابي سعيد والثاني فقط في الشعب عن جابر وابي هريرة وقال ان اسانيدها كلها ضعيفة ولكن اذا انضم بعضها الى بعض افاد قوة بل قال العراقي في اماليه لحديث ابي هريرة طرق صحح بعضها ابن ناصر الحافظ واورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق سليمان بن ابي عبد الله عنه وقال سليمان مجهول وسليمان بن حبان في الثقات فالحديث حسن على رأيه قال وله طريق عن جابر على شرط مسلم اخرجها ابن عبد البر في الاستذكار من رواية ابي الزبير عنه ورواه هو والدارقطني في الافراد بسند جيد عن عمر موقوفا عليه والبيهقي في الشعب من جهة محمد بن المنتشر قال كان يقال فذكره

الفصل الثالث في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان

عن عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان وما رأيته في شهر اكثر منه صياما في شعبان رواه البخاري ومسلم وفي اخرى لهما لم يكن يصوم شهرا اكثر من شعبان فانه كان يصومه كله وفي رواية الترمذي كان يصومه الا قليلا بل كان يصومه كله وفي رواية ابي داود كان احب الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصومه شعبان ثم يصله برمضان وللنسائي كان يصوم شعبان او عامة شعبان وفي اخرى له كان يصوم شعبان الا قليلا وفي اخرى له ايضا كان يصوم شعبان كله قال الحافظ ابن حجر اي يصوم معظمه ونقل الترمذي عن ابن المبارك انه قال جائز في كلام العرب اذا صام اكثر الشهر ان يقول صام الشهر كله ويقال قام فلان ليلته اجمع ولعله قد تعشى واشتغل ببعض امره قال الترمذي كان ابن المبارك جمع بين الحديثين

بذلك وحاصله ان الرواية الاولى مفسرة للثانية ومخصصة لها وان المراد بالكل الاكثر وهو مجاز قليل الاستعمال واستبعده الطيبي وقال يحمل على انه كان يصوم شعبان كله تارة ومعظمه اخرى لئلا يتوهم انه واجب كله كرمضان وقال ابن المنير اما ان يحمل قول عائشة على المبالغة والمراد الاكثر واما ان يجمع بان قولها الثاني متأخر عن قولها الاول فاخبرت عن اول امره انه كان يصوم اكثر شعبان واخبرت ثانيا عن آخر امره انه كان يصومه كله انتهى ولا يخفى تكلفه والاول هو الصواب واختلف في الحكمة في اكثاره صلى الله عليه وسلم من صوم شعبان فقيل كان يشتغل عن صيام الثلاثة ايام من كل شهر لسفر او غيره فتجتمع فيقضيها في شعبان اشار الى ذلك ابن بطال وفيه حديث اخرجه الطبراني في الاوسط من طريق ابن ابي ليلى عن اخيه عيسى عن ابيه عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من كل شهر فربما اخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان وابن ابي ليلى ضعيف وقيل كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان وورد فيه حديث اخرجه الترمذي من طريق صدقة بن موسى عن ثابت عن انس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي الصوم افضل بعد رمضان قال شعبان لتعظيم رمضان قال الترمذي حديث غريب وصدقة عندهم ليس بذلك القوي لكن يعارضه ما روى مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا افضل الصوم بعد رمضان صوم المحرم والاولى في ذلك ما جاء في حديث اصح مما روي اخرجه النسائي وابو داود واخرجه ابن خزيمة عن اسامة ابن زيد قال قلت يا رسول الله لم ارك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فاحب ان يرفع عملي وانا صائم فبين صلى الله عليه وسلم وجه صيامه لشعبان دون غيره من الشهور بقوله انه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان يشير الى انه لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام اشتغل الناس بهما فصار مغفولا عنه وكثير من الناس يظن ان صيام رجب افضل من صيامه لانه شهر حرام وليس كذلك وفي احياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد منها ان يكون اخفى واخفاء النوافل واسرارها افضل ولا سيما الصيام فانه سر بين العبد وربه ومنها انه اشق على النفوس لان النفوس تتأسى بما تشاهده من احوال بني الجنس فاذا كثرت يقظة الناس وطاعتهم سهلت الطاعات واذا كثرت الغفلات واهلها تأسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم وقد روي في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان معنى آخر وهو انه تنسخ فيه الآجال فروي باسناد فيه ضعف عن عائشة قالت كان اكثر صيام النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان فقلت يا رسول الله اري اكثر صيامك في شعبان قال ان هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت من يقبض فانا احب ان لا ينسخ اسمي الا وانا صائم وقد روي مرسلا وقيل انه اصح وقد قيل في صوم شعبان معنى آخر وهو ان صيامه

كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صيامه على مشقة وكلفة بل يكون قد تمرن على
الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبل رمضان حلاوة الصوم ولذته فيدخل في
صيام رمضان بقوة ونشاط واعلم انه لا تعارض بين هذا وبين النهي عن تقديم رمضان
بصوم يوم او يومين وكذا ما جا في النهي عن صوم نصف شعبان الثاني فان الجمع بينهما
ظاهر بان يحمل النهي على من لم يدخل تلك الايام في صيام اعتاده واجاب النووي
عن كونه عليه الصلوة والسلام لم يكثر الصوم في المحرم مع قوله افضل الصيام ما يقع فيه
بانه يحتمل ان يكون ما علم ذلك الا في آخر عمره فلم يتمكن من كثرة الصوم في المحرم او تفق له
فيه من الاعذار كالسفر ما منعه من كثرة الصوم في المحرم واما شهر رجب بخصوصه وقد
قال بعض الشافعية انه افضل من سائر الشهور وضعفه النووي وغيره فلم يعلم انه صح
انه صلى الله عليه وسلم انه صامه بل روي عنه من حديث ابن عباس ما صح وفقه انه نهى
عن صيامه ذكره ابن ماجة لكن في سنن ابي داود انه صلى الله عليه وسلم ندب الى الصوم
من الاشهر الحرم ورجب احدها وفي حديث مجيبة الباهلية عن ابيها وعمها انه صلى
الله عليه وسلم قال لرجل صم من الحرم واترك قالها ثلاثا وفي رواية مسلم عن عثمان بن حكيم
الانصاري قال سالت سعيد بن جبير عن صوم رجب ونحن يومئذ في رجب فقال
سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر
ويفطر حتى نقول لا يصوم والظاهر ان مراد سعيد بهذا الاستدلال على انه لا نهي عنه
ولا ندب فيه بعينه بل له حكم باقي الشهور وفي اللطايف روي عن الكناني انا تمام الرازي
ثنا حماد بن سلمة انا حبيب المعلم عن عطا ان عروة قال لعبد الله بن عمر هل كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصوم في رجب قال نعم ويشرفه قالها ثلاثا اخرجه ابو داود
وغيره وعن ابي قلابة قال ان في الجنة قصرا لصوام رجب قال البيهقي ابو قلابة من كبار
التابعين لا يقوله الا عن بلاغ والله اعلم

الفصل الرابع في صومه صلى الله عليه وسلم عشر ذي الحجة

والمراد بها الايام التسعة من اول ذي الحجة عن هنيدة بن خالد عن امراته عن بعض ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة
رواه ابو داود وعن عائشة قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما في
العشر قط رواه مسلم والترمذي وهذا يوهم كراهة صوم العشر وليس فيها كراهة بل
هي مستحبة استحبابا شديدا لا سيما يوم التاسع منها وهو يوم عرفة وقد ثبت في
صحيح البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل الصالح فيها افضل منه في
هذه يعني العشر الاول من ذي الحجة واستدل به على فضل صيام ذي الحجة لاندراج الصوم
في العمل واستشكل بتحريم الصوم يوم العيد واجيب بانه محمول على الغالب والله اعلم

وتاول

وتاويل قولها يعني عائشة لم يصم العشر انه لم يصمه لعارض من مرض او سفر او غيرهما
او انها لم تره صائما فيه ولا يلزم من ذلك عدم صيامه في نفس الامر ويدل عليه حديث
هنيدة بن خالد الذي ذكرته قال الحافظ ابن حجر وقد وقع في رواية القاسم بن ابي
ايوب ما من عمل ازكى عند الله ولا اعظم اجرا من خير يعمله في عشر الاضحى وفي حديث جابر
في صحيحي ابي عوانة وابن حبان ما من ايام افضل عند الله من ايام عشر ذي الحجة فقد
ثبتت الفضيلة لايام عشر الحجة على غيرها من ايام السنة وتظهر فائدة ذلك فيمن نذر
الصيام او علق عملا من الاعمال بافضل الايام فلو انفرد يوما منها تعين يوم عرفة
لانه على الصحيح افضل ايام العشر المذكور فان اراد افضل ايام الاسبوع تعين يوم الجمعة
جمعا بين الحديث السابق وبين حديث ابي هريرة مرفوعا خير يوم طلعت عليه يوم الجمعة
رواه مسلم اشار الى ذلك كله النووي في شرحه وقال الداودي لم يرد عنه عليه الصلوة
والسلام ان هذه الايام خير من يوم الجمعة لانه قد يكون فيها يوم الجمعة يعني فيلزم
تفضيل الشي على نفسه وتعقب بان المراد كل يوم من ايام العشر افضل من غيره
من ايام السنة سوا كان يوم الجمعة ام لا ويوم الجمعة فيها افضل من يوم الجمعة في غيره لاجتماع
الفضيلتين فيه والذي يظهر ان السبب في امتياز عشر ذي الحجة امكان اجتماع امهات
العبادات فيه وهي الصلوة والصيام والصدقة والحج ولا يتاتى ذلك في غيرها وعلى هذا
هل يختص الفضل بالحاج او يعم المقيم فيه احتمال انتهى وقال ابو امامة ابن النقاش فان
قلت ايما افضل عشر ذي الحجة او العشر الاواخر من رمضان فالجواب ان
ايام عشر ذي الحجة افضل لاشتمالها على اليوم الذي ما روي الشيطان في يوم غير يوم بدر
ادحر ولا اغيظ ولا احقر منه فيه وهو يوم عرفة ولكونه يكفر صيام سنتين ولاشتماله
على اعظم الايام عند الله حرمة وهو يوم النحر الذي سماه الله تعالى يوم الحج الاكبر وليالي
عشر رمضان الاخير افضل لاشتمالها على ليلة القدر التي هي خير من الف شهر ومن تامل
هذا الجواب وجده كافيا شافيا اشار اليها الفاضل المفضل في قوله ما من ايام العمل
فيهن احب الى الله من عشر ذي الحجة الحديث فتامل قوله ما من ايام دون ان يقول ما من عشر
ونحوه ومن اجاب بغير هذا التفضيل لم يدل بحجة صحيحة صريحة فقط

الفصل الخامس في صومه صلى الله عليه وسلم ايام الاسبوع

عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام يوم الاثنين والخميس رواه
الترمذي والنسائي وعن ابي قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم
الاثنين فقال فيه ولدت وفيه انزل علي رواه مسلم وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال تعرض الاعمال على الله تعالى يوم الاثنين ويوم الخميس فاحب ان يعرض عملي وانا صائم
رواه الترمذي وعن اسامة بن زيد قلت يا رسول الله انك تصوم حتى لا تكاد تفطر وتفطر

حتى لا تكاد تصوم الا يومين ان دخلا في صيامك والا صمتهما قال اي يومين قلت
يوم الاثنين والخميس قال ذانك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين فاحب
ان يعرض عملي وانا صائم رواه النسائي وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله
تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال يكتب كلما تكلم به من خير وشر حتى انه
ليكتب قوله اكلت وشربت وذهبت وجئت ورايت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله
فاقر منه ما كان فيه من خير او شر والقى سائره وهذا عرض خاص في هذين اليومين غير العرض
العام كل يوم فان ذلك عرض خاص دائم بكرة وعشيا ويدل على ذلك ما في صحيح مسلم عن
ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان
الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض ويرفع يرفع اليه عمل الليل قبل النهار
وعمل النهار قبل الليل الحديث وعن ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر
ثلاثة ايام الاثنين والخميس من هذه الجمعة والاثنين من المقبلة وفي رواية اول اثنين
من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي وعن عائشة كان يصوم من الشهر
السبت والاحد ومن الشهر الاخر الثلاثاء والاربعاء والخميس رواه الترمذي وعن كريب
مولى ابن عباس قال ان ارسلني ابن عباس وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى
ام سلمة اسالها اي الايام كان النبي صلى الله عليه وسلم اكثرها صياما قالت السبت
والاحد ويقول انهما عيدا المشركين وانا احب ان اخالفهما رواه احمد والنسائي
وفيه محمد بن عمر ولا يعرف حاله وفيه عن ابنه عبد الله بن محمد بن عمر ولا يعرف حاله
ايضا وعن عبد الله بن بسر عن اخته الصماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد احدكم الا لحاء عنبة او عود
شجرة فليمضغه رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي قال
بعضهم لا تعارض بين هذا وبين حديث ام سلمة فان النهي عن صومه انما هو على افراده
وعلى ذلك ترجم ابو داود فقال باب النهي ان يخص يوم السبت بالصوم وحديث
صيامه انما هو مع يوم الاحد قالوا ونظيره هذا انه نهى عن افراد يوم الجمعة بالصوم
الا ان يصوم يوما قبله او يوما بعده قال النووي واما قول مالك في الموطا لم اسمع
احدا من اهل العلم والفقه ومن يقتدى به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن
فقد رايت بعض اهل العلم يصومه واراه كان يتحراه فهذا الذي قاله هو الذي رآه
وقد راى غيره خلاف ما راى هو والسنة مقدمة على ما رآه هو وغيره وقد ثبت
النهي عن صوم يوم الجمعة فيتعين القول به ومالك معذور فانه لم يبلغه قال
الداودي من اصحاب مالك لم يبلغ مالكا هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه قالوا
واستحباب الفطر يوم الجمعة ليكون اعون له على وظائف العبادات المشروعة في الجمعة
واداها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها من غير ملل ولا سآمة كالحاج بعرفة فان

قلت

قلت لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة بصوم يوم قبله او بعده لبقاء المعنى
والجواب انه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله او بعده ما يجبر ما قد يحصل
من فتور او تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه والله اعلم

الفصل السادس في صومه صلى الله عليه وسلم الايام البيض

وهي التي يكون فيها القمر من اول الليل الى آخره وهي ثلاثة عشر واربع عشر وخمس عشرة
وليس في الشهر يوم ابيض كله الا هذه الايام لان ليلها ابيض ونهارها ابيض فصح
قول من قال الايام البيض على الوصف واليوم الكامل هو النهار بليلته وفيه رد لقول
الجواليقي من قال الايام البيض على الوصف واليوم الكامل هو النهار بليلته فجعل
البيض صفة الايام فقد اخطا والله اعلم وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يفطر ايام البيض في حضر ولا سفر رواه النسائي وعن حفصة اربع لم
يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشورا والعشر وايام البيض من كل
شهر وركعتي الفجر رواه احمد وعن معاذة العدوية انها سالت عائشة اكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من كل شهر قالت نعم فقلت لها من اي
ايام الشهر كان يصوم قالت لم يكن يبالي من اي ايام الشهر يصوم رواه مسلم قال
بعضهم لعله صلى الله عليه وسلم لم يواظب على ثلاثة معينة لئلا يظن تعيينها قال وقد
جعل الله تعالى صيام هذه الثلاثة ايام من الشهر بمنزلة صيام الدهر لان الحسنة بعشر
امثالها وقد روى اصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من حديث ابن مسعود قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من غرة كل شهر وقد تحصل ان صيامه
صلى الله عليه وسلم في الشهر على وجوه احدها انه كان يصوم اول اثنين من الشهر
ثم الخميس ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي الثاني كان يصوم من الشهر السبت والاحد
والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس رواه الترمذي الثالث
ايام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر الرابع انه كان يصوم ثلاثة غير معينة
كما روته معاذة عن عائشة عند مسلم الخامس انه كان يصوم ثلاثة من اول الشهر
واختاره جماعة منهم الحسن وهو ما رواه اصحاب السنن من حديث ابن مسعود
قال القاضي عياض واختار النخعي صوم ثلاثة ايام من آخر الشهر لتكون كفارة لما مضى
واختار آخرون اول يوم من الشهر والعاشر والعشرين وقيل انه صيام مالك بن انس
وقال ابن شعبان من المالكية اول يوم من الشهر والحادي عشر والحادي والعشرين
ونقل ذلك عن ابي الدرداء وهو موافق لما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو
صم من كل عشرة ايام يوما وحكى الاسنوي عن الماوردي انه يستحب ايضا صوم الايام
السود وهي السابع والعشرون واليومان بعده ويترجح البيض لكونها وسط الشهر

ووسط الشيء اعدله ولان الكسوف غالبا يقع فيها وقد ورد الامر بمزيد العبادة اذا وقع فاذا اتفق الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض دايما فيتهيا له ان يجمع بين انواع العبادات من الصيام والصلوة والصدقة بخلاف من لم يصمها فانه لا يتهيا له استدراك صيامها ورجح بعضهم صيام الثلاثة في اول الشهر لان المرء لا يدري ما يعرض له من الموانع والله اعلم

النوع الخامس في ذكر اعتكافه صلى الله عليه وسلم

واجتهاده في العشر الاخير من رمضان وتحريه ليلة القدر اعلم ان الاعتكاف في اللغة الحبس والمكث واللزوم وفي الشرع المكث في المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة ومقصوده وروحه عكوف القلب على الله وجمعيته عليه والفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير انسه بالله بدلا عن انسه بالخلق ليكون ذلك انسه يوم الوحشة في القبر حين لا انيس له وليس بواجب اجماعا الا على من نذره وكذا من شرع فيه فقطعه عامدا عند قوم واختلف في اشتراط الصوم له فمذهب الشافعي انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف بل يصح اعتكاف المفطر وقال مالك وابو حنيفة والاكثرون يشترط الصوم فلا يصح اعتكاف المفطر واحتج الشافعي باعتكافه صلى الله عليه وسلم في العشر الاول من شوال رواه البخاري ومسلم وبحديث ابن عمر انه قال يا رسول الله اني نذرت ان اعتكف ليلة في الجاهلية فقال اوف بنذرك رواه البخاري ومسلم والليل ليس محلا للصوم فدل على انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف واتفق العلما على مشروطية المسجد للاعتكاف الا محمد ابن عمر بن لبابة المالكي فاجازه في كل مكان واجاز الحنفية للمراة ان تعتكف في مسجد بيتها وهو المكان المعد للصلوة فيه وفيه قول قديم للشافعي وذهب ابو حنيفة واحمد الى اختصاصه بالمساجد التي تقام فيها الصلوات وخصه ابو يوسف بالواجب منه واما النفل ففي كل مسجد وقال الجمهور بعمومه في كل مسجد الا لمن تلزمه الجمعة فاستحب له الشافعي في الجامع وشرطه مالك لان الاعتكاف عنده ينقطع بالجمعة ويجب بالشروع عند مالك وخصه طائفة من السلف كالزهري بالجامع مطلقا واوما اليه الشافعي في القديم وخصه حذيفة بن اليمان بالمساجد الثلاثة وعطا بمسجدي مكة والمدينة وابن المسيب بمسجد المدينة واتفقوا على انه لا حد لاكثره واختلفوا في اقله فمن شرط فيه الصيام قال اقله يوم ومنهم من قال يصح مع شرط الصيام في دون اليوم حكاه ابن قدامة وعن مالك يشترط عشرة ايام وعنه يوم او يومان ومن لم يشترط الصوم قالوا اقله ما يطلق عليه اسم لبث ولا يشترط القعود واتفقوا على فساده بالجماع وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وعن ابي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاوا

من رمضان

من رمضان رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وعن ابي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه رواه البخاري وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الاول من رمضان ثم اعتكف العشر الاوسط في قبة تركية ثم اطلع راسه فقال اني اعتكفت العشر الاول التمس هذه الليلة يعني ليلة القدر ثم اعتكفت العشر الاوسط ثم اتيت فقيل لي انها في العشر الاواخر فمن اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر فقد رايت هذه الليلة ثم انسيتها وقد رايتني اسجد في ما وطين من صبيحتها فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر قال فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته اثر الما والطين من صبيحة احدى وعشرين رواه البخاري وفي حديث عبادة بن الصامت انه صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة رواه البخاري ولمسلم من حديث عبد الله بن انيس انه صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني صبيحتها اسجد في ما وطين قال فمطرت ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا واثر الما والطين في جبهته وانفه وفي سنن ابي داود عن ابن مسعود مرفوعا اطلبوها في ليلة سبع عشرة واخرج الطبراني مرفوعا من حديث ابي هريرة التمسوا ليلة القدر في ليلة سبع عشرة او تسع عشرة او احدى وعشرين او ثلاث وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين وقد اختلف العلما في ليلة القدر اختلافا كثيرا وافردها بعضهم بالتاليف وقد جمع الحافظ ابو الفضل ابن حجر من كلام العلما في ذلك اكثر من اربعين قولا كساعة الجمعة ومذهب الشافعي انحصارها في العشر الاخير كما نص عليه الشافعي فيما حكاه الاسنوي وعن المحاملي في التجريد انها تلتمس في جميع الشهر وتبعه عليه الشيخ ابو اسحاق في التنبيه فقال وتطلب ليلة القدر في جميع شهر رمضان ثم الغزالي في كتبه وتردد صاحب التقريب في جواز كونها في النصف الاخير كذا نقله عنه الامام وضعفه وحكاه ابن الملقن في شرح العمدة وفي المفهم للقرطبي حكاية قول انها ليلة النصف من شعبان ودليل الاول حديث ابي سعيد الذي قدمناه وقال النووي وميل الشافعي الى انها ليلة الحادي والعشرين او الثالث والعشرين اما الحادي والعشرين فلقوله عليه الصلوة والسلام عن ابي سعيد فقد رايت هذه الليلة وقد رايتني اسجد في ما وطين من صبيحتها فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته اثر الما والطين من صبيحة احدى وعشرين واما الثالث والعشرون فلحديث عبد الله ابن انيس المتقدم ايضا وجزم جماعة من الشافعية بانها ليلة الحادي والعشرين لكن قال السبكي انه ليس مجزوما به عندهم لاتفاقهم على عدم حنث من علق يوم العشرين عتق عبده بليلة القدر انه لا يعتق تلك الليلة بل بانقضا الشهر على الصحيح بنا على انها

في العشر الاخير وعن ابن خزيمة من اصحابنا انها تنتقل في كل سنة الى ليلة من ليالي العشر الاخير وحاصله قولان ووجه واختار النووي في الفتاوى وفي شرح المهذب رأي ابن خزيمة وجزم ابن حبيب من المالكية ونقله الجمهور وحكاه صاحب العدة من الشافعية ورجحه ان ليلة القدر خاصة بهذه الامة ولم تكن في الامم قبلهم وهو معترض بحديث ابي ذر عند النسائي حيث قال فيه قلت يا رسول الله اتكون مع الانبيا فاذا ماتوا رفعت قال بل هي باقية وعمدتهم قول مالك في الموطا بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاصر اعمار امته عن اعمار الامم الماضية فاعطاه الله ليلة القدر وهذا يحتمل التاويل فلا يدفع الصريح في حديث ابي ذر كما قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره وابن حجر في فتح الباري قال وقد ظهر لليلة القدر علامات منها في صحيح مسلم عن ابي بن كعب ان الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها ولابن خزيمة من حديث ابن عباس مرفوعا ليلة القدر لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة ولاحمد من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا انها صافية كان فيها قمرا ساطعا ساكنة صاحية لا حر فيها ولا برد ولا يحل لكوكب ان يرمى به فيها وان من امارتها ان الشمس في صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان ان يخرج معها حينئذ وروى البيهقي في فضائل الاوقات ان المياه المالحة تعذب في تلك الليلة وقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاخير من رمضان ما لا يجتهد في غيره رواه مسلم من حديث عائشة وفي البخاري عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره واحيا ليله وايقظ اهله وجزم عبد الرزاق بان شد مئزره هو اعتزال النسا وحكاه الثوري وقال الخطابي يحتمل ان يراد به الجد في العبادة كما يقال شددت لهذا الامر مئزري اي تشمرت له ويحتمل ان يراد به الحقيقة والمجاز فيكون المراد شد مئزره حقيقة فلم يحله واعتزل النسا وتشمر للعبادة وقوله واحيا ليله اي سهره فاحياه بالطاعة واحيا نفسه بسهره فيه لان النوم اخو الموت واضافه الى الليل اتساعا لان النائم اذا حيي باليقظة حيي ليله بحياته وهو نحو قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا اي لا تناموا فتكونوا كالاموات فتكون بيوتكم كالقبور فقد كان عليه الصلوة والسلام يخص العشر الاخير باعمال لا يعملها في بقية الشهر فمنها احيا الليل كله فيحتمل ان المراد احيا الليل كله ويشهد له حديث عائشة من وجه ضعيف واحيا الليل كله وفي المسند عنها ايضا قالت كان صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلوة ونوم فاذا كان العشر شمر وشد المئزر وفي حديث ضعيف عن انس عند ابي نعيم كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان قام ونام فاذا كان اربعا وعشرين لم يذق غمضا ويحتمل ان يراد باحيا الليل احيا غالبه وقد قال الشافعي في القديم من شهد العشا والصبح في جماعة ليلة القدر فقد اخذ

بحظ منها وقد روى في حديث مرفوع عن ابي هريرة من صلى العشا الاخرة في جماعة في رمضان فقد ادرك ليلة القدر رواه ابو الشيخ ومنها انه كان يوقظ اهله للصلوة في ليالي العشر دون غيره من الليالي ومنها تاخير الفطر الى السحور ففي حديث انس وعائشة انه صلى الله عليه وسلم اذا كان رمضان قام ونام فاذا دخل العشر شد المئزر واجتنب النسا واغتسل بين الاذانين وجعل العشا سحورا اخرجه ابن ابي عاصم ولفظ حديث انس كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان طوى فراشه واعتزل النسا وجعل عشاءه سحورا واسنادا الاول مقارب والثاني فيه حفص بن غياث وحكى فيه ابن عدي انه من منكر ما اتيت له لكن يشهد له حديث الوصال المخرج في الصحيح كما قدمته ومنها اغتساله عليه الصلوة والسلام بين العشائين المغرب والعشا روي من حديث علي وفي اسناده ضعف

النوع السادس في ذكر حجه صلى الله عليه وسلم

اعلم ان الحج حلول بحضرة المعبود ووقوف بساحة الجود ومشاهدة لذلك المشهد العلي الرحماني والمام بمعهد العهد الرباني ولا يخفى ان نفس الكون بتلك الاماكن شرف وعلو وان التردد في تلك المواطن فخار وسمو فان الحال المجتمعة لم تزل تفرغ على الحال فيها من سجال وصفها بفيض غامر وحسبك في هذا ما يحكى في ابيات مجنون بني عامر

رأى المجنون في البيدا كلبا ... فجر عليه للاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه ... وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملام فان عيني ... رأته مرة في حي ليلى

فينبغي للعبد ان يهتم بامر الحج ويبادر اليه وينهض فان عزمه انهاضا يحتم عليه ولا يتوانى في عمله اذ ان سيئات العمر يمحوها صوب المغفرة ولا يتكاسل عن البدار فيعجز عنه للعوارض بركوب عميا الخاطرة روى ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد الحج فليتعجل رواه ابو داود وفي حديث علي بن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا الحديث رواه الترمذي وخطب عليه الصلوة والسلام فقال ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا رواه مسلم والنسائي من حديث ابي هريرة وفي حديث رواية النسائي من حديث ابن عباس مرفوعا ان الله كتب عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس التميمي كل عام يا رسول الله فقال لو قلت نعم لوجبت الحديث فوجوب الحج معلوم من الدين بالضرورة وقد اجمعوا على انه لا يتكرر الا لعارض كالنذر واختلفوا اهل هو على الفور او التراخي فقال الشافعي وابو يوسف وطائفة هو على التراخي الا ان ينتهي الى حال يظن فوته لو اخر عنها وقال مالك وابو حنيفة وآخرون هو على الفور واختلفوا ايضا في وقت ابتدا فرضه فقيل

قبل الهجرة وهو شاذ وقيل بعدها ثم اختلف في سنته فالجمهور انها سنة ست لانه
نزل فيها قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وهذا مبني على ان المراد بالاتمام ابتداء الفرض
ويؤيده قراءة علقمة ومسروق وابرهيم النخعي بلفظ واقيموا رواه الطبراني باسانيد
صحيحة عنهم وقيل المراد بالاتمام الاكمال بعد الشروع وهذا يقتضي تقدم فرضه قبل
ذلك وقد وقع في قصة ضمام ذكر الامر بالحج وكان قدومه على ما ذكره الواقدي سنة خمس
وهذا يدل ان ثبت على تقدمه على سنة خمس او وقوعه فيها وقالت طائفة انه تاخر
نزول فرضه الى التاسعة والعاشرة واحتجوا بان صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود
وفيه قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم وصالحهم على اداء الجزية والجزية
نزلت عام تبوك سنة تسع وفيها نزل صدر سورة آل عمران وناظر اهل الكتاب ودعاهم
الى التوحيد ويدل عليه ان اهل مكة وجدوا في انفسهم بما فاتهم من التجارة من المشركين
الى ان انزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس الآية واعاضهم الله من ذلك
بالجزية ونزول هذه الآيات والمناداة بها انما كان في سنة تسع وبعث الصديق
يؤذن بذلك في مكة في موسم الحج واردفه بعلي وفي الترمذي من حديث جابر ان النبي
صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجج حجتين قبل ان يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة
فساق ثلاثا وستين بدنة ثم جاء علي من اليمن ببقيتها فيها جمل في انفه برة من فضة
فنحرها الحديث وعن ابن عباس حج صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر ثلاث حجج اخرجه
ابن حبان والحاكم وهو مبني على عدد وفود الانصار الى العقبة بمنى بعد الحج وهذا
لا يقتضي نفي الحج قبل ذلك وقد اخرج الحاكم بسند صحيح الى الثوري ان النبي صلى الله
عليه وسلم حج قبل ان يهاجر حججا وقال ابن الجوزي حج حججا لا يعلم عددها وقال
ابن الاثير كان عليه الصلوة والسلام يحج كل سنة قبل ان يهاجر وقال جابر في حديثه
الطويل كما في رواية مسلم مكث صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج ثم اذن في العاشرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس ان يأتم
برسول الله ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى اتينا ذا الحليفة فولدت اسماء بنت عميس
محمد بن ابي بكر فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصنع فقال اغتسلي
واستثفري بثوب واحرمي فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب
القصوى حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري بين يديه من راكب
وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول
الله بين اظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تاويله وما عمل من شيء عملنا به
وفي رواية عند النسائي قال جابر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من
ذي القعدة وخرجنا معه حتى اذا اتى ذا الحليفة الحديث وكان خروجه عليه الصلوة
والسلام من المدينة بين الظهر والعصر فنزل بذي الحليفة فصلى بها العصر ركعتين ثم

بات

بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر وكان نساؤه كلهن معه فطاف
عليهن تلك الليلة ثم اغتسل غسلا ثانيا للاحرام غير غسل الجماع الاول وفي
الترمذي عن خارجة بن زيد عن ابيه تجرد صلى الله عليه وسلم لاهلاله واغتسل
وفي الصحيحين ان عائشة طيبته بذريرة وفي رواية قالت كاني انظر الى وبيص الطيب
في مفارقه عليه الصلوة والسلام وهو محرم وفي رواية قالت طيبته عند احرامه
ثم طاف في نسائه ثم اصبح محرما زاد في رواية ينضح طيبا وفي رواية طيبته طيبا
لا يشبه طيبكم يعني ليس له بقاء وهذا يدل على استحباب الطيب عند ارادة الاحرام
وانه لا باس باستدامته بعد الاحرام ولا يضر بقاء لونه ورائحته وانما يحرم في الاحرام
ابتداؤه وهذا مذهب الشافعي وابي حنيفة وابي يوسف واحمد بن حنبل وحكاه
الخطابي عن اكثر الصحابة وحكاه النووي عن جمهور العلماء من السلف والخلف وذهب
مالك الى منع الطيب قبل الاحرام بما تبقى رائحته بعده لكنه قال ان فعل فقد اساء
ولا فدية عليه وعن عائشة قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يحرم غسل راسه
بخطمي واشنان رواه الدارقطني وفي حديث انس عند ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه
وسلم صلى الظهر ثم ركب راحلته فلما علا على جبل البيداء اهل وفي رواية ابن عمر عند
البخاري ومسلم وغيرهما ما اهل الا من عند المسجد يعني مسجد ذي الحليفة وفي رواية
ما اهل الا من عند الشجرة حين قام به بعيره وفي رواية حين وضع رجله في الغرز واستوت
به راحلته قائما اهل من عند مسجد ذي الحليفة وفي رواية جابر عند ابي داود والترمذي
انه صلى الله عليه وسلم لما اراد الحج اذن في الناس فاجتمعوا له فلما اتى البيداء احرم وفي
حديث ابن جبير عند ابي داود قال قلت لابن عباس عجبت لاختلاف اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اوجب فقال اني لاعلم
الناس بذلك انها انما كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة واحدة فمن هناك
اختلفوا خرج صلى الله عليه وسلم حاجا فلما صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتين اوجبه
في مجلسه فاهل بالحج حين فرغ من ركعتيه فسمع ذلك منه اقوام فحفظته عنه ثم ركب فلما
استقلت به ناقته اهل وادرك ذلك منه اقوام وذلك ان الناس انما كانوا ياتون
ارسالا فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل فقالوا انما اهل رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علا على
شرف البيداء اهل وادرك ذلك منه اقوام فقالوا انما اهل حين علا على شرف البيداء
وايم الله لقد اوجب في مصلاه واهل حين استقلت به ناقته واهل حين علا على شرف
البيداء قال سعيد بن جبير فمن اخذ بقول عبد الله بن عباس اهل في مصلاه اذا فرغ
من ركعتيه وهو مذهب ابي حنيفة والصحيح من مذهب الشافعي ان الافضل ان يحرم
اذا انبعثت به راحلته قال ابن القيم ولم ينقل عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى

للإحرام ركعتين غير فرض الظهر انتهى قلت ثبت في الصحيحين عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يركع بذي الحليفة ركعتين ثم اذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة اهل قال النووي فيه استحباب صلوة ركعتين عند ارادة الاحرام ويصليهما قبل الاحرام ويكونان نافلة هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة الا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن البصري انه يستحب كونهما بعد صلوة فرض قال لانه روي ان هاتين الركعتين كانتا صلوة الصبح والصواب ما قاله الجمهور وهو ظاهر الحديث

وقد اختلفت روايات الصحابة في حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع هل كان مفردا او قارنا او متمتعا وروى كل منها في البخاري ومسلم وغيرهما واختلف الناس في ذلك على ستة اقوال • احدها انه حج مفردا لم يعتمر معه • الثاني حج متمتعا تمتعا حل منه ثم احرم بعده بالحج كما قاله القاضي ابو يعلى وغيره • الثالث انه حج متمتعا تمتعا لم يحل فيه لاجل سوق الهدي ولم يكن قارنا • الرابع انه حج قارنا طاف له طوافين وسعى له سعيين • الخامس انه حج حجا مفردا اعتمر بعده من التنعيم • السادس انه صلى الله عليه وسلم حج قارنا بالحج والعمرة ولم يحل حتى حل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا وساق الهدي واختلفوا ايضا في احرامه على ستة اقوال • احدها انه لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها • الثاني انه لبى بالحج وحده واستمر عليه • الثالث انه لبى بالحج مفردا ثم ادخل عليه العمرة • الرابع انه لبى بالعمرة وحدها ثم ادخل عليها الحج • الخامس انه احرم احراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد احرامه • السادس لبى بالحج والعمرة معا وقد اطنب ابو جعفر الطحاوي الحنفي في الكلام على ذلك فانه تكلم عليه في زيادة على الف ورقة كما ذكره عنه جماعة من العلماء وبينه ابن حزم في حجة الوداع بيانا شافيا ومهده المحب الطبري تمهيدا بالغا واشار اليه القاضي عياض والنووي في شرحيهما لمسلم ونقحه الحافظ ابن حجر مستوفيا لكثير من مباحثه استيفاء كافيا والذي ذهب اليه الشافعي في جماعة انه صلى الله عليه وسلم حج حجا مفردا لم يعتمر معه واحتج بما في الصحيحين ان عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج وحده واهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج فهذا التقسيم والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده ولمسلم عنها انه صلى الله عليه وسلم اهل بالحج وحده ولمسلم ايضا عن ابن عباس اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ولابن ماجة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم افرد الحج رواه البخاري قالوا وهؤلاء لهم قربة في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقا لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة الى آخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذا بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانكر على

من رجح قول انس على قوله وقال كان انس يدخل على النساء وهن منكشفات الرؤوس واني كنت تحت ناقته صلى الله عليه وسلم يمسني لعابها اسمعه يلبي بالحج • واما عائشة فقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف وكذا اطلاعها على باطن امره وظاهره وفعله في خلواته وعلانيته مع كثرة فهمها وعظم فطنتها • واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه في الدين والفهم الثاقب معروف مع كثرة بحثه وتحفظه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لم يحفظها غيره واخذه اياها من كبار الصحابة واحتجوا ايضا بان الخلفاء الراشدين واظبوا على الافراد مع انهم الائمة الاعلام وقادة الاسلام والمقتدى بهم فكيف يظن بهم المواظبة على ترك الافضل وبانه لم ينقل عن احد منهم كراهة الافراد وقد نقل عنهم كراهية التمتع والجمع بينهما حتى فعله علي رضي الله تعالى عنه لبيان الجواز وبان الافراد لا يجب فيه دم بالاجماع بخلاف التمتع والقران وذهب النووي الى ان الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا قال ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج قال ولا شك ان القران افضل من الافراد الذي لا يعتمر في سنته عندنا ولم ينقل احد ان الحج وحده افضل من القران انتهى وقد صرح القاضي حسين والمتولي بترجيح الافراد ولو لم يعتمر في تلك السنة قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر وتترجح رواية من روى القران بامور منها ان معه زيادة علم على من روى الافراد والتمتع وبان من روى الافراد والتمتع اختلف عليه في ذلك واشهر من روى عنه الافراد عائشة وقد ثبت عنها انه اعتمر مع حجته وابن عمر وقد ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم بدأ بالعمرة ثم اهل بالحج وجابر وقد روي عنه انه اعتمر مع حجته ايضا وبان القران رواه عنه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة لم يختلف عليهم فيه وبانه لم يقع في شيء من الروايات النقل عنه من لفظه انه قال افردت ولا تمتعت بل صح عنه انه قال لولا ان معي الهدي لاحللت وايضا فان من روى القران لا يحتمل حديثه التاويل الا بتعسف بخلاف من روى الافراد فانه محمول على اول الحال وينتفي التعارض ويؤيده ان من جاء عنه الافراد جاء عنه صورة القران ومن روى عنه التمتع فانه محمول على سفر واحد للنسكين ويؤيده ان من جاء عنه التمتع لما وصفه وصفه بصورة القران لانهم اتفقوا على انه لم يحل من عمرته حتى اتم عمل جميع الحج وهذه احدى صور القران وايضا فان روايات القران جاءت عن بضعة عشر صحابيا انتهى وعدهم ابن القيم سبعة عشر • عائشة ام المؤمنين • وعبد الله بن عباس • وعمر بن الخطاب • وعلي بن ابي طالب • وعثمان بن عفان باقراره لعلي • وعمران بن الحصين • والبراء بن عازب • وحفصة ام المؤمنين • وابو قتادة • وابن ابي اوفى • وابو طلحة • والهرماس بن زياد • وام سلمة • وانس بن مالك • وسعد بن ابي وقاص • وجابر • وابن عمر قال فهؤلاء سبعة عشر صحابيا منهم من روى فعله ومنهم من روى لفظ احرامه ومنهم من روى خبره عن نفسه ومنهم من روى امره به فان قيل كيف تجعلون منهم ابن عمر وجابرا وعائشة

وابن عباس وعائشة تقول اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وفي لفظ افرد الحج والاول
في الصحيحين والثاني في مسلم وهذا ابن عمر يقول لبى بالحج وحده ذكره البخاري وهذا
ابن عباس يقول اهل بالحج رواه مسلم وهذا جابر يقول افرد الحج رواه ابن ماجة قيل
ان كانت الاحاديث عن هؤلاء تعارضت وتساقطت فان احاديث الباقين لم تتعارض
فهب ان احاديث من ذكرتم لا حجة فيها على القران ولا على الافراد فما الموجب للعدول عن
احاديث الباقين مع صراحتها وصحتها فكيف واحاديثهم يصدق بعضها بعضا ولا تعارض
بينها انتهى وهذا يقتضي رفع الشك عن ذلك والمصير الى انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا
ومقتضى ذلك ان يكون القران افضل من الافراد والتمتع وهو قول جماعة من الصحابة
والتابعين وبه قال ابو حنيفة واسحاق بن راهويه واختاره من الشافعية المزني وابن
المنذر وابو اسحاق المروزي ومن المتأخرين الشيخ تقي الدين السبكي وبحث مع النووي في
اختياره انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا وان الافراد مع ذلك افضل مستندا الى انه
صلى الله عليه وسلم اختار الافراد اولا ثم ادخل عليه العمرة لبيان جواز الاعتمار في اشهر الحج
لكونهم كانوا يعتقدونه من افجر الفجور وتعقب بان البيان قد سبق منه صلى الله
عليه وسلم في عمره الثلاث فانه احرم في كل منها في ذي القعدة عمرة الحديبية التي صد عن البيت
فيها وعمرة القضية وعمرة الجعرانة ولو كان اراد باعتماره مع حجته بيان الجواز فقط مع ان
الافضل خلافه لاكتفى في ذلك بامره اصحابه ان يفسخوا حجهم الى العمرة انتهى ومذهب
الشافعي ومالك وكثيرين ان افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران فان قلت
اذا كان الراجح انه عليه الصلوة والسلام كان قارنا فلم رجح المالكية والشافعية الافراد
على القران فقد اجاب النووي في شرح المهذب بان ترجيح الافراد لانه عليه الصلوة
والسلام اختاره اولا وانما ادخل عليه العمرة لمصلحة بيان جواز الاعتمار في اشهر الحج وكانت
العرب تعتقده من افجر الفجور كما ذكرته وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن
بعدهم الى ان التمتع افضل وهو مذهب احمد لكونه صلى الله عليه وسلم تمناه فقال لولا
اني سقت الهدي لاحللت ولا يتمنى الا الافضل واجيب بانه انما تمناه تطييبا
لقلوب اصحابه لحزنهم على فوات موافقته والا فالافضل ما اختاره الله تعالى له واستمر
عليه صلى الله عليه وسلم واما القائلون بانه صلى الله عليه وسلم لبى بالعمرة واستمر عليها
فحجتهم حديث ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع بالعمرة الى الحج وقال ابن شهاب عن عروة ان عائشة اخبرته عن النبي صلى الله
عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر وقال
ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد بن ابي
وقاص في المتعة صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه واجيب
بان التمتع عندهم يتناول القران ويدل له ما في الصحيحين عن سعيد بن المسيب اجتمع

على

علي وعثمان بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة فقال لم تريد الى امر فعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا استطيع ان ادعك فلما راى
علي ذلك اهل بهما جميعا فهذا يبين ان من جمع بينهما كان متمتعا عندهم وان هذا هو
الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه عثمان على انه صلى الله عليه وسلم تمتع
وان المراد بالتمتع عندهم القران وايضا فانه عليه الصلوة والسلام قد تمتع تمتع قران
باعتبار ترفهه بترك احد السفرين انتهى وفي فتح الباري عن احمد ان من ساق الهدي
فالقران له افضل ليوافق فعل النبي صلى الله عليه وسلم ومن لم يسق الهدي فالتمتع
له افضل ليوافق ما تمناه وامر به اصحابه انتهى واما من قال انه صلى الله عليه وسلم حج
مفردا ثم اعتمر عقبه من التنعيم وغيره فهو غلط لم يقله احد من الصحابة ولا التابعين ولا
الائمة الاربعة ولا احد من اهل الحديث قاله ابن تيمية واما من قال انه حج متمتعا حل
فيه من احرامه ثم احرم يوم التروية بالحج مع سوق الهدي فحجته حديث معاوية انه صلى الله
عليه وسلم قصر عن راسه بمشقص على المروة وحديثه في الصحيحين ولا يمكن ان يكون هذا
في غير حجة الوداع لان معاوية اسلم بعد الفتح والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن زمن الفتح
محرما ولا يمكن ان يكون في عمرة الجعرانة لوجهين احدهما انه في بعض الفاظ الحديث
الصحيح وذلك في حجته الثاني ان في رواية النسائي باسناد صحيح وذلك في ايام العشر
وهذا انما كان في حجته وهذا مما انكره الناس على معاوية وغلطوه فيه واصابه فيه
ما اصاب ابن عمر في قوله انه اعتمر في رجب كما سياتي وسائر الاحاديث الصحيحة كلها
تدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه الى يوم النحر وبذلك اخبر عن نفسه بقوله
لولا ان معي الهدي لاحللت وقوله اني سقت الهدي وقرنت فلا احل حتى انحر وهذا
خبر عن نفسه لا يدخله الوهم ولا الغلط بخلاف خبر غيره عنه قاله في زاد المعاد
واما اختلاف الروايات عنه صلى الله عليه وسلم في اهلاله هل هو بالحج او بالعمرة
او القران والجمع بينهما فكل يؤول بما بينا بسبب مذهبه الذي قدمته قال البغوي
والذي ذكره الشافعي في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزه ان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع فكل كان ياخذ منه امر نسكه
ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر بها واذن فيها ويجوز في لغة
العرب اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما يقال بنى فلان دارا
ويريد انه امر ببنائها كما روي انه عليه الصلوة والسلام رجم ماعزا وانما امر برجمه
ثم احتج بانه عليه الصلوة والسلام كان افرد الحج انتهى وقال الخطابي نحوه وقال
النووي كان صلى الله عليه وسلم اولا مفردا ثم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على
الحج فصار قارنا فمن روى الافراد فهو الاصل يعني حمله على ما اهل به فاول الحال
ومن روى القران اراد ما استقر عليه امره ومن روى التمتع اراد به التمتع اللغوي

والارتفاق فقد ارتفق بالقران كارتفاق المتمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وقال غيره اراد بالتمتع ما امر به غيره قالوا وبهذا الجمع تنتظم الاحاديث كلها وترد عنها الاضطراب والتناقض وقالت طائفة انما احرم صلى الله عليه وسلم قارنا واحتجوا باحاديث صحيحة صريحة تزيد على العشرين منها حديث انس في صحيح مسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بهما لبيك عمرة وحجا ورواه عن انس ستة عشر نفسا من الثقات كلهم متفقون عن انس ان لفظ النبي صلى الله عليه وسلم كان اهلالا بحج وعمرة معا واما من قال انه عليه الصلوة والسلام اهل بالعمرة وادخل عليها الحج فحجته ما في البخاري من حديث ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدى من ذي الحليفة وبدا صلى الله عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج فقد تقدم في الاحاديث الكثيرة الصريحة انه صلى الله عليه وسلم بدا بالاهلال بالحج ثم ادخل عليه العمرة وهذا عكسه والمشكل في هذا الحديث قوله بدا فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج واجيب عنه بان المراد به صورة الاهلال اي لما ادخل العمرة على الحج لبى بهما فقال لبيك بحج وعمرة معا ومذهب الشافعي انه لو ادخل الحج على العمرة قبل الطواف صح وصار قارنا فلو احرم بالحج ثم ادخل عليه العمرة ففيه قولان للشافعي اصحهما لا يصح احرامه بالعمرة لان الحج اقوى منها لاختصاصه بالوقوف والرمي والضعيف لا يدخل على القوي انتهى وعن ابن عباس قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين رواه مسلم وابو داود وفي رواية الترمذي فقلد نعلين واشعر الهدي في الشق الايمن بذي الحليفة واماط عنه الدم وفي رواية لابي داود بمعناه وقال سلت الدم بيده وفي اخرى باصبعه وعند النسائي اشعر بدنه من الجانب الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين وكان حجه صلى الله عليه وسلم على رحل رث يساوي اربعة دراهم رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجه من حديث انس والطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس وعن اسما بنت ابي بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى اذا كنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا فجلست عائشة الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست الى جنب ابي بكر وكانت زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة ابي بكر واحدة مع غلام لابي بكر فجلس ابو بكر ينتظر ان يطلع عليه فطلع عليه وليس معه بعيره فقال له ابو بكر اين بعيرك قال اضللته البارحة قال ابو بكر بعير واحد تضله فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع وما يزيد على ذلك ويتبسم رواه ابو داود وخرج معه صلى الله عليه وسلم اصحابه لا يعرفون الا الحج كما قالت عائشة فبين لهم عليه الصلوة والسلام وجوه الاحرام وجوز لهم الاعتمار في اشهر الحج فقال من احب ان يهل بعمرة فليهل ومن احب ان يهل بحج فليهل

رواه

رواه البخاري ولاحمد من شاء فليهل بعمرة. ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الابواء وودان اهدى له الصعب بن جثامة حمارا وحشيا فرده عليه فلما راى ما في وجهه قال انا لم نرده عليك الا انا حرم رواه البخاري ومسلم. وله في رواية حمار وحش وفي اخرى من لحم حمار وحش وفي رواية عجز حمار وحش يقطر دما وفي رواية شق حمار وحش وفي رواية عضوا من لحم صيد ورواه ابو داود وابن حبان من طريق عطاء عن ابن عباس انه قال يا زيد بن ارقم هل علمت ان رسول تذكره واتفقت الروايات كلها انه رده عليه الا ما رواه ابن وهب والبيهقي من طريقه باسناد حسن من طريق عمرو بن امية ان الصعب اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم عجز حمار وحش وهو بالجحفة فاكل منه واكل القوم قال البيهقي ان كان هذا محفوظا فلعله رد الحي وقبل اللحم قال في فتح الباري وفي هذا الجمع نظر وان كانت الطرق محفوظة فلعله رد الحي وقبل اللحم وفي هذا الجمع نظر وان كانت الطرق محفوظة فلعله رده حيا لكونه صيد لاجله ورد اللحم تارة لذلك وقبله تارة اخرى حيث علم انه لم يصده لاجله وقد قال الشافعي في الام ان كان الصعب اهدى حمارا حيا فليس للمحرم ان يذبح حمار وحش حي وان كان اهدى له لحما فقد يحتمل ان يكون علم انه صيد له فرده عليه ونقل الترمذي عن الشافعي انه رده لظنه انه صيد من اجله فتركه على وجه التنزه ويحتمل ان يحمل القبول المذكور في حديث عمرو بن امية على وقت اخر وهو حال رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ويؤيده انه جازم فيه بوقوع ذلك في الجحفة وفي غيرها من الروايات بالابواء وبودان وقال القرطبي يحتمل ان يكون الصعب احضر الحمار مذبوحا لا حيا ومن قال لحم حمار اراد ما قدمه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من قال حمار اطلق واراد بالحمار بعضه مجازا قال ويحتمل انه احياه له فلما رده عليه ذكاه واتاه بعضو منه ظانا انه انما رده عليه لمعنى يختص بجملته فاعلمه بامتناعه ان حكم الجزء حكم الكل قال والجمع مهما امكن اولى من توهيم بعض الروايات قال النووي قال الشافعي واصحابه ويحرم تملك الصيد بالبيع والهبة ونحوهما وفي ملكه اياه بالارث خلاف واما لحم الصيد فان صاده او صيد له فهو حرام سواء صيد له باذنه او بغير اذنه لم يحرم عليه هذا مذهبنا وبه قال مالك واحمد وابو داود وقال ابو حنيفة لا يحرم عليه ما صيد له بغير اعانة منه وقالت طائفة لا يحل للمحرم الصيد اصلا سواء صاده او صيد غيره له قصده او لم يقصده فيحرم مطلقا حكاه القاضي عياض عن علي وابن عمر وابن عباس لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قالوا والمراد بالصيد المصيد والظاهر حديث الصعب بن جثامة فانه صلى الله عليه وسلم رده وعلل رده بانه محرم ولم يقل بانك صدته لنا واحتج الشافعي وموافقوه بحديث ابي قتادة المذكور في صحيح مسلم فانه صلى الله عليه وسلم قال في الصيد الذي صاده ابو قتادة

وهو حلال فأكلوه وفي الرواية الاخرى قال فهل معكم منه شيء قالوا معنا رجله فاخذها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلها ولما مر صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان قال
يا ابا بكر اي واد هذا قال وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح على بكرين احمرين
خطمهما الليف وازرهم العباء وارديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق رواه احمد
وفي رواية مسلم من حديث ابن عباس لما مر بوادي الازرق قال كأني انظر
الى موسى من الثنية واضعا اصبعيه في اذنيه مارا بهذا الوادي وله جؤار الى الله بالتلبية
ووادي الازرق خلف امج بفتح الهمزة والميم والجيم قرية ذات مزارع بينه وبين مكة
ميل واحد ولم يعين في رواية البخاري الوادي ولفظه اما موسى كأني انظر اليه اذا
انحدر من الوادي يلبي قال المهلب هذا وهم من بعض رواته لانه لم يأت في اثر ولا خبر
ان موسى حي وانه سيحج وانما اتى ذلك عن عيسى فاشتبه على الراوي ويدل عليه قوله في الحديث
الاخر ليهلن ابن مريم بفج الروحاء انتهى وهو تغليط للثقات بمجرد التوهم وقد ذكر البخاري
الحديث في اللباس من صحيحه بزيادة ذكر ابراهيم فيه افيقال ان الراوي غلط فزاده وفي رواية
مسلم المتقدمة هذا فيقال ان الراوي لاخر غلط فزاد يونس وتعقب ايضا بان توهيم المهلب
للراوي وهم منه والا فاي فرق بين موسى وعيسى لانه لم يثبت ان عيسى منذ رفع نزل
الارض وانما ثبت انه سينزل واجيب بان المهلب اراد ان عيسى لما ثبت انه سينزل
كان كالمحقق فقال كأني انظر اليه فقيل ان ذلك رؤيا منام تقدمت له فاخبر عنها
لما حج عند ما تذكر ذلك ورؤيا الانبياء وحي وقيل هو على الحقيقة لان الانبياء احياء عند
ربهم يرزقون فلا مانع ان يحجوا في هذه الحالة كما في صحيح مسلم عن انس انه راى موسى عليه
السلام قائما في قبره يصلي قال القرطبي حببت اليهم العبادة فهم يتعبدون بما يجدونه
من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر ويؤيده ان عمل الاخرة
ذكر ودعاء لقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم الاية لكن تمام هذا التوجيه ان
يقال المنظور اليه ارواحهم فلعلها مثلت له صلى الله عليه وسلم في الدنيا كما مثلت له ليلة
الاسراء واما اجسادهم فهي في القبور قال ابن المنير وغيره يجعل الله لروحه مثالا فيرى
في اليقظة كما يرى في النوم وقيل كأنه مثلت احوالهم التي كانت في الحياة الدنيا فكيف
تعبدوا وكيف حجوا وكيف لبوا ولهذا قال كأني وقيل كأنه اخبر بالوحي عن ذلك فلشدة
قطعه به قال كأني انظر اليه انتهى وقد ذكرت في مقصد الاسراء من ذلك ما يكفي
والله الموفق ولما نزل صلى الله عليه وسلم سرف خرج الى اصحابه فقال من لم يكن معه هدي
فاحب ان يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه الهدي فلا وحاضت عائشة فدخل
عليها صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا هنتاه قالت سمعت قولك لاصحابك
فمنعت العمرة قال وما شأنك قالت لا اصلي قال فلا يضيرك انما انت امرأة
من بنات ادم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجك فعسى الله ان يرزقكها رواه البخاري

صح

ومسلم

ومسلم وابو داود والنسائي وفي رواية قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا نذكر الا الحج حتى جئنا سرف فطمثت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي
فقال ما يبكيك فقلت والله لوددت اني لم اكن خرجت العام فقال ما لك لعلك نفست
قلت نعم قال هذا شيء كتبه الله على بنات ادم افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت
حتى تطهري الحديث وقد اختلف فيما احرمت به عائشة كما اختلف هل كانت متمتعة
ام مفردة واذا كانت متمتعة فقيل انها كانت اولا احرمت بالحج وهو ظاهر هذا الحديث
وفي حجة الوداع من المغازي عند البخاري من طريق هشام بن عروة عن ابيه قالت وكنت فيمن
اهل بعمرة وزاد احمد من وجه اخر عن الزهري ولم اسق هديا وفي رواية الاسود عنها
قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة ويحمل في الجمع
بان يقال اهلت عائشة بالحج مفردة كما صنع غيرها من الصحابة ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يفسخوا الحج الى العمرة ففعلت عائشة ما صنعوا فصارت متمتعة ثم لما دخلت
مكة وهي حائض لم تقدر على الطواف لاجل الحيض امرها ان تحرم بالحج وقال القاضي
عياض واختلف في الكلام على حديث عائشة فقال مالك ليس العمل على حديث عروة
عن عائشة عندنا قديما ولا حديثا قال ابن عبد البر يريد ليس العمل عليه في رفض العمرة
وجعلها بالحج وجعل الحج عمرة فانه وقع للصحابة واختلف في جوازه بعدهم لكن اجاب جماعة
من العلماء عن ذلك باحتمال ان يكون معنى قوله ارفضي عمرتك اي اتركي التحلل منها وادخلي عليها
الحج فتصير قارنة ويؤيده قوله في رواية مسلم وامسكي عن العمرة اي عن اعمالها وانما قالت
عائشة وارجع بحج لاعتقادها ان افراد العمرة بالعمل افضل كما وقع لغيرها من امهات المؤمنين
واستبعد هذا التاويل لقولها في رواية عطاء عنها وارجع انا بحجة ليس معها عمرة اخرجه احمد
وهو يقوي قول الكوفيين ان عائشة تركت العمرة وحجت مفردة تمسكوا في ذلك بقوله لها
دعي عمرتك وفي رواية ارفضي عمرتك ونحو ذلك واستدلوا به على ان للمرأة اذا اهلت بالعمرة
متمتعة فحاضت قبل ان تطوف ان تترك العمرة وتهل بالحج مفردا كما صنعت عائشة لكن في
رواية عطاء عنها ضعف والرافع للاشكال في ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر ان عائشة
اهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف حاضت فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اهلي بالحج حتى اذا
طهرت طافت بالكعبة وسعت فقال قد حللت من حجك وعمرتك قالت يا رسول الله اني اجد
في نفسي اني لم اطف بالبيت حين حججت قال فاعمرها من التنعيم ولمسلم من طريق طاوس عنها
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يسعك طوافك لحجك وعمرتك وانما امرها من التنعيم تطييبا لقلبها
لكونها لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة وقد وقع في رواية مسلم وكان صلى الله عليه وسلم
رجلا سهلا اذا هوت الشيء تابعها عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من كان معه هدي
فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا وانما قال لهم هذا القول بعد احلالهم بالحج
في منتهى سفرهم ودنوهم من مكة بسرف كما جاء في رواية عائشة او بعد طوافه بالبيت كما جا

طاوس صح

الى رواية جابر وتحمل تكرارا لامر بذلك في الموضعين وازال العزيمة كما استخرجتهم امرهم بفسخ الحج الى
العمرة وفي رواية قالت عائشة فمنا من اهل بعمرة ومنا من اهل بحج حتى قدمنا مكة فقال صلى
الله عليه وسلم من احرم بحج ولم يهد فليهلل ومن احرم بعمرة واهدى فلا يحل حتى ينحر هديه
ومن احرم بحج فليتم حجه وهذا الحديث ظاهر في الدلالة لابي حنيفة واحمد وموافقهما في ان
المعتمر المتمتع اذا كان معه الهدي لا يتحلل من عمرته حتى ينحر هديه يوم النحر ومذهب مالك
والشافعي انه اذا طاف وسعى وحلق حل من عمرته وحل له كل شيء في الحال سواء كان ساق
هديا ام لا واحتجوا بالقياس على من لم يسق الهدي وبانه تحلل من نسكه فوجب ان يحل له كل شيء
كما لو تحلل المحرم بالحج واجابوا عن هذه الرواية بانها مختصرة من الرواية التي ذكرها مسلم
عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فاهللنا بعمرة
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل
حتى يحل منهما جميعا فهذه الرواية مفسرة للمحذوف من الرواية التي احتج بها ابو حنيفة
وتقديرها ومن احرم بعمرة فليهلل بالحج ولا يحل حتى ينحر هديه ولا بد من هذا التاويل
لان القصة واحدة والراوي واحد فتعين الجمع بين الروايتين على ما ذكر والله اعلم
ولما بلغ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا طوى بضم الطاء وفتحها وقيدها الا
بالكسر عند اثار الزاهر بات بها بين الثنيتين فلما اصبح الغداة ثم اغتسل رواه البخاري صلى
والنسائي كان عليه السلام ينزل بذي طوى يبيت به يصلي صلوة الصبح حين يقدم الى
مكة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على اكمة خشنة غليظة ليس في المسجد
الذي بني ثم ولكن من اسفل ذلك على اكمة خشنة غليظة وفي الصحيحين انه صلى الله عليه
وسلم دخلها من اعلاها وفي حديث ابن عمر في الصحيح كان صلى الله عليه وسلم يدخل في الثنية
العليا يعني اعلى مكة من كدا بفتح الكاف والمد قال ابو عبيد لا يصرف وهذه الثنية
التي ينزل منها الى المعلى مقبرة مكة وهي التي يقال لها الحجون بفتح الحاء المهملة وضم الجيم
لم يتفق انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة ليلا الا في عمرة الجعرانة فانه صلى الله عليه وسلم
احرم من الجعرانة ودخل مكة ليلا فقضى امر العمرة ثم رجع ليلا فاصبح بالجعرانة كما
رواه اصحاب السنن الثلاثة من حديث محرش الكعبي وعن عطا قال ان شئتم فادخلوا
ليلا انكم لستم كرسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اماما فاحب ان يدخلها نهارا
ليراه الناس رواه النسائي ثم دخل عليه الصلوة والسلام مكة لاربع خلون من ذي الحجة
ودخل المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد مناف وهو باب بني شيبة والمعنى فيه ان باب الكعبة
في جهة ذلك الباب والبيوت تؤتى من ابوابها وايضا فلان جهة باب الكعبة اشرف الجهات الاربع
كما قاله ابن عبد السلام في القواعد وكان عليه السلام اذا راى البيت قال اللهم زد هذا البيت
تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا رواه الثوري عن ابي سعيد الشامي عن مكحول وروى الطبراني
عن حذيفة بن اسيد كان عليه السلام اذا نظر البيت قال اللهم زد بيتك هذا تشريفا

وتعظيما

وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة وزد من شرفه وعظمه ممن حجه واعتمره تعظيما وتشريفا وبرا
ومهابة ولم يركع عليه السلام تحية المسجد انما بدا بالطواف لانه تحية البيت كما صرح به كثير
من اصحابنا وليس بتحية المسجد ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود وفي رواية جابر عند
البخاري استلم الركن والاستلام افتعال من السلام اي التحية قاله الازهري وقيل من
السلام بالكسر اي الحجارة والمعنى انه يومي بعصاه الى الركن حتى يصيبه وكانت تحية الركن
وهي المراد بقوله في الحديث بالمحجن واعلم ان للبيت اربعة اركان الاول له فضيلتان كون
الحجر الاسود فيه وكونه على قواعد ابراهيم وللثاني الثانية فقط وليس للآخرين شيء منهما
فلذلك يقبل ويستلم الثاني فقط ولا يقبل الآخران ولا يستلمان وروى الشافعي عن ابن عمر
قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع عليه شفتيه طويلا وكان اذا
استلم الركن قال بسم الله والله اكبر رواه الطبراني وهل كان صلى الله عليه وسلم طائفا
على بعيره ام على قدميه ففي مسلم عن عائشة طاف عليه السلام في حجة الوداع على بعيره
وفيه عن ابي الطفيل رايته عليه السلام يطوف بالبيت على بعيره وقد اختلف في علة
ذلك فروى ابو داود من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو
يشتكي فطاف على راحلته وفي حديث جابر عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم طاف ليراه
الناس وليسالوه ويحتمل ان يكون فعل ذلك للامرين قال ابن بطال فيه جواز دخول
الدواب التي يوكل لحمها المسجد اذا احتيج الى ذلك لان بولها لا ينجسه بخلاف غيرها من الدواب
بث وتعقب بانه ليس في الحديث دلالة على عدم الجواز مع الحاجة بل ذلك دائر مع التلويث
وعدمه فحيث يخشى التلويث يمتنع الدخول وقد قيل ان ناقته عليه السلام كانت منوقة
اي مدربة معلمة فيومن منها ما يحذر من التلويث قال بعضهم وهذا كان والله اعلم في
طواف الافاضة لا في طواف القدوم فان جابرا حكى عنه الرمل في الثلاثة الاول
وذلك لا يكون الا مع المشي ولم ينقل احد رملت به راحلته وانما قال رمل اي بنفسه
وقال الشافعي اما سبعه الذي طاف لمقدمه فعلى قدميه انتهى ولما استلم صلى الله
عليه وسلم الحجر مضى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى اربعا وكان ابتداء الرمل في عمرة القضية
لما قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون
انه يقدم عليكم غدا قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شدة فجلسوا مما يلي الحجر وامرهم
النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا ثلاثة اشواط ويمشوا بين الركنين ليرى المشركين
جلدهم فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هؤلاء اجلد من
كذا وكذا رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس ولما كان في حجة الوداع
رمل صلى الله عليه وسلم واصحابه فكان سنة مستقلة قال الطبري قد ثبت انه عليه
السلام رمل ولا مشرك يومئذ بمكة يعني حجة الوداع فعلم انه من مناسك الحج الا ان
تاركه ليس تاركا لعمل بل لهيئة مخصوصة فكان كرفع الصوت بالتلبية فمن لبى خافضا صوته

لم يكن تاركا للتلبية بل لضعفها فلا شيء عليه انتهى فلو ترك الرمل في الثلاث لم يقضه في الاربع فان هيئتها السكينة فلا تتغير والله اعلم ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه الى المقام فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت فقرأ فيهما بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقا عليه حتى رأى البيت واستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى اذا صعدنا مشى حتى اتى المروة وفي حديث ابي الطفيل عند مسلم وابي داود قال قلت لابن عباس اخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا اسنة هو فان قومك يزعمون انه سنة قال صدقوا وكذبوا قلت وما قولك صدقوا وكذبوا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر ركب والمشي والسعي افضل هذا لفظ رواية مسلم وفي اول ذكر الرمل في طواف البيت وعند ابي داود ان قريشا قالت زمن الحديبية دعوا محمدا واصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوه على ان يحجوا العام المقبل فيقيموا ثلاثة ايام فقدم عليه السلام فقال لاصحابه ارملوا بالبيت وفيه طاف صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعيره لان الناس كانوا لا يدفعون عنه صلى الله عليه وسلم ولا يصرفون عنه وطاف على بعيره ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله ايديهم الحديث وكان صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى المروة رقى عليها واستقبل البيت وكبر الله ووحده وفعل كما فعل على الصفا حتى اذا كان آخر طواف على المروة قال لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة بن جعشم فقال يا رسول الله العامنا هذا ام لابد فشبك صلى الله عليه وسلم اصابعه واحدة في اخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين لا بل لابد ابد وهذا معنى فسخ الحج الى العمرة قال النووي وقد اختلف في هذا الفسخ هل هو خاص للصحابة تلك السنة خاصة ام باق لهم ولغيرهم الى يوم القيامة فقال احمد وطائفة من اهل الظاهر ليس خاصا بل هو باق الى يوم القيامة فيجوز لكل من احرم بالحج وليس معه هدي ان يقلب احرامه عمرة ويتحلل باعمالها وقال مالك والشافعي وابو حنيفة وجماهير العلماء من السلف والخلف هو مختص بهم في تلك السنة لا يجوز بعدها وانما امروا به تلك السنة ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية من تحريم العمرة في اشهر الحج ومما يستدل

بالجماهير

بالجماهير حديث ابي ذر في مسلم كانت المتعة في الحج لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة يعني فسخ الحج الى العمرة وفي النسائي عن الحارث ابن بلال عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارأيت فسخ الحج في العمرة لنا خاصة ام للناس عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لنا خاصة قال واما الذي في حديث سراقة العامنا هذا ام لابد فقال لابد ابد فمعناه جواز الاعتمار في اشهر الحج والقران كما سبق تفسيره فالحاصل من مجموع طرق الاحاديث ان العمرة في اشهر الحج جائز الى يوم القيامة وكذلك القران وان فسخ الحج الى العمرة مختص بتلك السنة والله اعلم انتهى وفي رواية للنسائي ايضا لا تصلح المتعتان الا لنا خاصة يعني متعة النساء ومتعة الحج ومتعة النساء هي نكاح المرأة الى اجل كان ذلك مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم ابيح يوم فتح مكة ثم نسخ في ايام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيامة وقد كان فيه خلاف في العصر الاول ثم ارتفع واجمعوا على تحريمه وكان صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بمنزله الذي نزل فيه بالمسلمين بظاهر مكة يقصر الصلاة فيه وكانت مدة اقامته بمكة قبل الخروج الى منى اربعة ايام ملفقة لانه قدم في الرابع وخرج في الثامن فصلى بها احدى وعشرين صلاة من اول ظهر الرابع الى آخر عصر الثامن ومن يوم دخوله عليه السلام مكة وخروجه يوم النفر الثاني من منى الى الابطح عشرة ايام سواء وقدم علي من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بما اهللت فقال بما اهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لولا ان معي الهدي لاحللت رواه الشيخان من حديث انس وفي حديث البراء عند الترمذي والنسائي دخل علي على فاطمة رضي الله عنهما فوجدها قد نضحت البيت بنضوح فغضب فقالت ما لك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر اصحابه فاحلوا قال قلت لها اني اهللت باهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف صنعت وقال الراوي من البدن سبعا وستين او ستا وستين وامسك لنفسك ثلاثا وستين او اربعا وثلاثين وامسك من كل بدنة منها بضعة وفي رواية جابر عند مسلم فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت ابي امرني بهذا فقال صدقت صدقت ما قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم اني اهل بما اهل به رسولك قال فان معي الهدي فلا تحل قال فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي اتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة فحل الناس كلهم وقصروا الا النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدي فلما كان يوم التروية وكان يوم الخميس ضحى ركب صلى الله عليه وسلم وتوجه بالمسلمين الى منى وقد احرم بالحج من كان احل منهم وصلى صلى الله عليه وسلم بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وامر بقبة من شعر فضربت له بنمرة فسار على طريق ضب ولا تشك قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة كما كانت قريش تصنع في الجاهلية وكانت الحمس وهم من قريش ومن دان

دينها يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن قطين الله اي جيران بيته فلا نخرج من حرمه وكانت
الناس كلهم يبلغون عرفات وذلك قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس وعن جبير بن
مطعم قال اضللت حمارا لي في الجاهلية فوجدته بعرفة فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقفا بعرفات مع الناس فلما اسلمت عرفت ان الله وفقه لذلك وفي رواية كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية مع الناس بعرفة على جمل له ثم ليصبح مع قومه بالمزدلفة
فيقف معهم ويدفع اذا دفعوا الحديث ولما بلغ صلى الله عليه وسلم عرفة وقد
القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس امر بالقصوى فرحلت له فركب
فاتى بطن الوادي فخطب الناس وقال ان دماءكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم
هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء
الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا
في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربانا ربا العباس
ابن عبد المطلب فانه موضوع كله فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامان الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا تكرهونه فان
فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد
تركت فيكم ما ان لا تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وانتم تسئلون عني فما
انتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت واديت ونصحت فقال باصبعه السبابة
يرفعها الى السماء وينكبها الى الناس اللهم اشهد ثلاث مرات ثم اذن بلال ثم اقام فصلى
الظهر ثم اقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا وهذا الجمع المذكور مختص بالمسافرين عند
الجمهور وعند مالك والاوزاعي وهو وجه للشافعية ان الجمع بعرفة وجمع للنسك فيجوز
لكل احد قال الاسنوي فلا يجوز الا للمسافر بلا خلاف قال الشافعي والاصحاب اذا
خرج الحجاج يوم التروية ونووا الذهاب الى اوطانهم عند فراغ مناسكهم كان لهم القصر
من حين خروجهم ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ركب حتى اتى الموقف فجعل بطن
ناقته القصوى الى الصخرات وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وكان اكثر دعائه
صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرا مما نقول
اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي ولك رب تراثي اللهم اني اعوذ
بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الامر اللهم اني اعوذ بك من شر
ما تجيء به الريح رواه الترمذي من حديث علي وفي رواية ذكرها رزين كان اكثر دعائه
عليه السلام يوم عرفة بعد قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له اللهم لك الحمد كالذي
نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومماتي واليك مآبي وعليك يا رب ثوابي اللهم اني
اعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الصدر ومن شتات الامر ومن شر كل ذي
شر وفي الترمذي افضل الدعاء يوم عرفة وافضل ما قلت انا والنبيون لا اله الا الله

وحده

وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وكان من دعائه في عرفة ايضا كما في الطبراني
الصغير من حديث ابن عباس اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفى
عليك شيء من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف
بذنوبه اسئلك مسئلة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء
الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذل جسده ورغم انفه
لك اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسئولين ويا خير
المعطين واتاه صلى الله عليه وسلم ناس من اهل نجد وهو بعرفة فسئلوه كيف الحج
فامر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج ايام
منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه رواه الترمذي
وفي رواية جابر عند ابي داود قال صلى الله عليه وسلم بعرفة وقفت ههنا
وعرفة كلها موقف وههنا نزل عليه اليوم اكملت لكم دينكم الاية كما في الصحيحين
من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو
محرم فمات فامر صلى الله عليه وسلم ان يكفن في ثوبيه ولا يمس بطيب وان يغسل
بماء وسدر ولا يغطى راسه ووجهه واخبر ان الله يبعثه يوم القيامة يلبي
رواه البخاري ومسلم اي يبعث على هيئته التي مات عليها واستدل بذلك على بقاء
احرامه خلافا للمالكية والحنفية قال النووي تناول هذا الحديث على ان تغطيه
وجهه للسلوك المحرم لا يجوز له تغطية وجهه بل هو صيانة للراس فانهم لو غطوا وجهه
لم يؤمن ان يغطوا راسه انتهى قال الحافظ ابن حجر وكان وقوع المحرم المذكور عند الصخرات
من عرفة والله اعلم ولما غربت الشمس حيث ذهبت الصفرة قليلا حين غاب القرص
افاض صلى الله عليه وسلم من عرفة واردف اسامة خلفه وقد شنق للقصوى الزمام
حتى ان راسها ليصيب مورك رحلها ويقول بيده ايها الناس السكينة السكينة كلما
اتى جبلا من الجبال ارخى لها قليلا حتى تصعد وافاض من طريق المازمين وفي رواية
ابن عباس انه عليه الصلوة والسلام سمع وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار
بسوطه وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع يعني الاسراع وفي
رواية ابي داود افاض من عرفة وعليه السكينة ورديفه اسامة فقال ايها الناس
عليكم بالسكينة فان البر ليس بايجاف الخيل والابل فما رايتها رافعة يديها غادية حتى
اتى جمعا وفي رواية اسامة بن زيد عند الشيخين كان يسير العنق فاذا وجد فجوة
نص قال هشام والنص فوق العنق واخرج الطبراني في الكبير عن سالم بن عبد الله عن
ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افاض من عرفات وهو يقول اليك تعدو
قلقا وضينها مخالفا دين النصارى دينها قال في النهاية والحديث مشهور بابن
عمر من قوله والقلق الانزعاج والوضين بالضاد المعجمة حزام الرحل ولما كان في اثناء الطريق

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبال وتوضأ وضوءا خفيفا فقال له أسامة الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة أمامك فركب حتى أتى مزدلفة وهي المسمى بجمع بفتح الجيم وسكون الميم وسميت لأن آدم اجتمع فيها مع حوا فازدلف إليها أي دنا منها وعن قتادة إنما سميت جمعا لأنه يجمع بين صلاتين وقيل لأن الناس يجتمعون فيها ويزدلفون إلى الله أي يتقربون إليه بالوقوف فيها انتهى فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها المغرب والعشاء كل واحد منهما بإقامة ولم يصل أثر كل واحدة منهما وفي رواية قال فأقام المغرب ثم أناخ الناس في منازلهم ولم يحلوا حتى أقام العشاء الآخرة فصلى ثم حلوا ونزل عليه السلام فنام الليل تلك الليلة ونام حتى أصبح لما تقدم له من الأعمال بعرفة من الوقوف من الزوال إلى بعد الغروب واجتهاده عليه السلام في الدعاء وسيره بعد الغروب إلى المزدلفة واقتصر فيها عن صلاة المغرب والعشاء قصرا ورقد بقية ليلته مع كونه عليه السلام كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ولكنه أراح نفسه الشريفة لما تقدم في عرفة ولما هو بصدده يوم النحر من كونه نحر بيده المباركة ثلاثا وستين بدنة وذهب إلى مكة لطواف الإفاضة ورجع إلى منى كما نبه عليه في شرح تقريب الأسانيد وعن عباس بن مرداس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب إني قد غفرت ما خلا الظالم فإني آخذ للمظلوم قال أي رب إن شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء أجيب إلى ما سأل قال فضحك صلى الله عليه وسلم أو قال تبسم فقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بأبي أنت وأمي إن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي أضحكك أضحك الله سنك قال إن عدو الله إبليس لما علم أن الله قد استجاب دعائي وغفر لأمتي أخذ التراب فجعل يحثو على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكني ما رأيت من جزعه رواه ابن ماجه ورواه أبو داود من الوجه الذي رواه ابن ماجه ولم يضعفه وقد جاء في بعض الروايات عن غير العباس ما يبين أن المراد من الأمة من وقف بعرفة وقال الطبراني إنه محمول بالنسبة إلى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها وقد رواه البيهقي بنحوه وابن ماجه ثم قال وله شواهد كثيرة فإن صح بشواهده ففيه الحجة وإن لم يصح فقد قال الله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وظلم بعضهم بعضا دون الشرك انتهى وقال الترمذي في الحديث الصحيح من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وهو مخصوص بالمعلقة بحقوق الله تعالى خاصة دون العباد ولا تسقط الحقوق أنفسها فمن كان عليه صلاة أو كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه لأنها حقوق لا ذنوب إنما الذنب تأخيرها فنفس التأخير يسقط بالحج لا هي أنفسها فلو أخرها بعده تجدد إثم آخر فالحج المبرور يسقط إثم المخالفة لا الحقوق وقال ابن تيمية من اعتقد أن الحج يسقط ما وجب عليه

الحقوق

من الحقوق كالصلاة يستتاب وإلا قتل ولا يسقط حق الآدمي بالحج إجماعا والله أعلم انتهى واستأذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة جمع وكانت ثقيلة فأذن لها أن تدفع قبل حطمة الناس قالت عائشة فلأن أكون استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنت سودة أحب إلي من مفروح به رواه البخاري وفي رواية أبي داود والنسائي أرسل صلى الله عليه وسلم بأم سلمة ليلة النحر فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت فكان ذلك اليوم اليوم الذي يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عندها وعند مسلم بعث أم حبيبة من جمع بليل وفي رواية البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس قال أرسلني صلى الله عليه وسلم مع ضعفة أهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة وفي الموطأ والصحيحين والنسائي عن أسماء أنها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة فقامت تصلي ساعة ثم قالت يا بني هل غاب القمر قلت لا ثم صلت ساعة ثم قالت هل غاب القمر فقلت نعم قالت فارتحلوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن للظعن بالضم النساء في الهوادج وقد اختلف السلف في ترك المبيت بالمزدلفة فقال علقمة والنخعي والشعبي من تركه فاته الحج وقال عطاء والزهري وقتادة والشافعي والكوفيون وإسحاق عليه دم ومن بات بها لم يجز له الدفع قبل النصف وقال مالك إن مر بها فلم ينزل فعليه دم وإن نزل فلا دم عليه متى دفع انتهى ولما طلع الفجر صلى النبي صلى الله عليه وسلم الفجر حين تبين الصبح بأذان وإقامة وفي سنن البيهقي والنسائي بإسناد صحيح على شرط مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال للفضل ابن العباس غداة يوم النحر وهو عليه السلام على راحلته هات القط لي فلقطت حصيات من حصى الخذف فلما وضعن في يده قال بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين وإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين قال العلماء وفي هذا الحديث دليل على استحباب أخذ الحصيات بالنهار وهو رأي البغوي قال ويكون ذلك بعد صلاة الصبح ونص عليه الشافعي في الأم والإملاء لكن الجمهور كما قال الرافعي على استحباب الأخذ بالليل لفراغهم فيه وهل يستحب أن يلتقط جميع ما يرمي به في الحج وبه جزم في التنبيه وأقره عليه النووي في تصحيحه لكن الأكثرون كما قال الرافعي على استحباب الأخذ ليوم النحر خاصة ونص عليه الشافعي أيضا قال في شرح المهذب والاحتياط أن يزيد فربما سقط منه شيء انتهى ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم القصواء حتى أتى المشعر الحرام فرقي عليه واستقبل القبلة فحمد الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس وفي رواية غير جابر وكان المشركون لا يفيضون حتى تطلع الشمس وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ذلك فنفر قبل طلوع الشمس وفي حديث علي عند الطبري لما أصبح صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف على قزح وأردف الفضل ثم قال هذا الموقف وكل المزدلفة موقف حتى إذا أسفر دفع وفي رواية جابر وأردف

صلى الله عليه وسلم الفضل بن العباس وكان حسن الشعر ابيض وسيما فلما دفع صلى الله عليه وسلم
مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه
الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده من الشق الآخر ينظر وفي رواية كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجاءت امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل
صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر فقالت يا رسول الله ان
فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة
افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع رواه الشيخان وغيرهما وقد روي ايضا
من حديث عبد الله بن عباس لكن رجح البخاري رواية الفضل لانه كان ردف النبي صلى الله
عليه وسلم حينئذ وكان عبد الله بن العباس تقدم الى منى مع الضعفة فكأن الفضل
حدث اخاه بما شاهده في تلك الحالة ويحتمل ان يكون سؤال الخثعمية وقع بعد رمي
جمرة العقبة فحضره عبد الله بن عباس فنقله تارة عن اخيه لكونه صاحب القصة انتهى
وتارة عما شاهده ويؤيده ما في الترمذي ان السؤال المذكور وقع عند المنحر بعد
الفراغ من الرمي وان العباس كان شاهدا وفيه انه عليه السلام لوى عنق الفضل
فقال العباس يا رسول الله لويت عنق ابن عمك قال رأيت شابا وشابة فلم
آمن عليهما الشيطان وظاهر هذا ان العباس كان حاضرا لذلك فلا مانع ان يكون
ابنه عبد الله ايضا كان معه وفي هذا الحديث دلالة على جواز النيابة في الحج عمن لا يستطيع
من الاحياء خلافا لمالك في ذلك ولمن قال لا يحج عن احد مطلقا كابن عمر ونقل ابن
المنذر وغيره الاجماع على انه لا يجوز ان يستنيب من يقدر على الحج بنفسه في الحج
الواجب واما النفل فيجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي وعن احمد روايتان انتهى
وفي رواية ابن عباس ان اسامة قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة
ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى ٭ قال فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يلبي
حتى رمى جمرة العقبة رواه الشيخان وغيرهما وفي رواية جابر فلما اتى عليه السلام
بطن محسر حرك ناقته واسرع السير قليلا قال الاسنوي سببه ان النصارى كانت تقف
فيه كما قاله الرافعي او العرب كما قاله في الوسيط فامرنا بمخالفتهم قال وظهر لي فيه معنى آخر
وهو انه مكان نزل فيه العذاب على اصحاب الفيل القاصدين هدم البيت فاستحب فيه الاسراع
لما ثبت في الصحيح امر المار على ديار ثمود ونحوهم بذلك انتهى قال غيره وهذه كانت عادته صلى
الله عليه وسلم في المواضع التي نزل فيها بأس الله باعدائه وسمي وادي محسر لان الفيل
اعيى وانقطع عن الذهاب انتهى ثم سلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى التي تخرج الى
الجمرة الكبرى حتى اتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة
رمي من بطن الوادي وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وكان

رميه صلى الله عليه وسلم يوم النحر كما قاله جابر في رواية مسلم والترمذي وابو داود
والنسائي وفي رواية ام الحصين عند ابي داود رأيت اسامة وبلالا احدهما آخذ بخطام ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة وفي رواية
النسائي ثم خطب فحمد الله واثنى عليه وذكر قولا كثيرا وعن ام جندب رأيته عليه
السلام يرمي الجمرة من بطن الوادي وهو راكب يكبر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستره
فسألت عن الرجل فقالوا الفضل بن العباس وازدحم الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ايها الناس لا يقتل بعضكم بعضا واذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف وفي
هذا ٭ على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه وقدمنا انه عليه السلام ضربت له
قبة من شعر بنمرة وفي رواية جابر عند مسلم وابي داود وقال رأيته صلى الله عليه
وسلم يرمي على راحلته يوم النحر وهو يقول خذوا عني مناسككم لا ادري لعلي
لا احج بعد حجتي هذه وفي رواية قدامة عند الترمذي رأيته يرمي الجمار على
ناقة له صهباء ليس ضرب ولا طرد ولا اليك اليك انتهى ثم انصرف صلى الله عليه
وسلم الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة ثم اعطى عليا فنحر ما غبر واشركه في هديه
ثم امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها وفي
رواية جابر عند مسلم نحر عليه السلام عن نسائه بقرة وقالت عائشة نحر صلى
الله عليه وسلم عن آل محمد في حجة الوداع بقرة واحدة رواه ابو داود وعن انس
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله بمنى ثم قال للحلاق خذ واشار الى جانبه
الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس وفي رواية انه قال للحلاق ها واشار بيده
الى الجانب الايمن فقسم شعره بين من يليه ثم اشار الى الحلاق الى الجانب الايسر
فحلق فاعطاه ام سليم وفي اخرى فبدأ بالشق الايمن فوزعه الشعرة والشعرتين
بين الناس ثم قال بالايسر فصنع مثل ذلك ثم قال ههنا ابو طلحة فدفعه اليه
وفي اخرى رمى جمرة العقبة ثم انصرف الى البدن فنحرها والحجام جالس وقال
بيده عن رأسه فحلق الشق الايمن فقسمه بين من يليه ثم قال احلق الشق الآخر فقال
اين ابو طلحة فاعطاه اليه رواه الشيخان وعند الامام احمد انه استدعى
الحلاق فقال له وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر امكنك
رسول الله من شحمة اذنه وفي يدك الموسى قال فقلت اما والله يا رسول
الله ان ذلك لمن نعمة الله علي ومنه قال اجل وقال البخاري وزعموا ان الذي حلق
للنبي معمر بن عبد الله بن نضلة بن عوف انتهى وهو عند ابن خزيمة في صحيحه وعند
الامام احمد وقلم صلى الله عليه وسلم اظفاره وقسمها بين الناس وعنده ايضا
من حديث محمد بن زيد ان اباه حدثه انه شهد النبي صلى الله عليه وسلم عند المنحر
ورجل من قريش وهو يقسم ضحايا فلم يصبه شيء ولا صاحبه فحلق رسول الله رأسه

في ثوبه فاعطاه فقسم منه على رجال وقلم اظفاره فاعطاه صاحبه وكان يخضب بالحنا
والكتم وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر للمحلقين والمقصرين
قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين رواه الشيخان
وليس فيه تعيين هل قاله صلى الله عليه وسلم في الحديبية او في حجة الوداع
قالوا ولم يقع في شي من طرقه التصريح بسماعه لذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ولو
وقع لقطعنا بانه كان في حجة الوداع لانه شهدها ولم يشهد الحديبية وقد ورد
تعيين الحديبية من حديث جابر عند ابي قرة في السنن ومن طريقه الطبراني في الاوسط
من حديث المسور بن مخرمة عند ابن اسحق في المغازي وورد تعيين حجة الوداع من
حديث ابي مريم السلولي عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث ام الحصين عند مسلم
ومن حديث قارب بن الاسود الثقفي عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث ام عمارة
عند الحارث فالاحاديث التي فيها تعيين حجة الوداع اكثر عددا واصح اسنادا
ولهذا قال النووي عقب احاديث بن عمر وابي هريرة وام الحصين هذه الاحاديث
تدل على ان هذه الواقعة كانت في حجة الوداع **قال** وهو الصحيح المشهور وقيل
كان في الحديبية وجزم امام الحرمين في النهاية ان ذلك كان في الحديبية
ثم قال النووي ولا يبعد ان يكون وقع ذلك في الموضعين انتهى وكذا قال ابن
دقيق العيد انه الاقرب **قال** في فتح الباري بل هو المتعين لتظافر الروايات
بذلك في الموضعين الا ان السبب في الموضعين مختلف فالذي في الحديبية كان
بسبب توقف من توقف من الصحابة عن الاحلال لما دخل عليهم من الحزن لكونهم
منعوا من الوصول الى البيت مع اقتدارهم في انفسهم على ذلك فخالفهم النبي صلى
الله عليه وسلم وصالح قريشا على ان يرجع من العام المقبل فلما امرهم بالاحلال
توقفوا فاشارت ام سلمة ان يحل هو صلى الله عليه وسلم قبلهم ففعل فتبعوه
فحلق بعض وقصر بعض فكان من بادر الى الحلق اسرع الى الامتثال للامر ممن اقتصر
على التقصير وقد وقع التصريح بهذا السبب في حديث ابن عباس فان في اخره عند
ابن ماجة وغيره انهم قالوا يا رسول الله ما بال المحلقين ظاهرت لهم بالترحم **قال**
لانهم لم يشكوا واما السبب في تكرير الدعا للمحلقين في حجة الوداع فقال ابن
الاثير في النهاية كان اكثر من حج معه صلى الله عليه وسلم لم يسق الهدي فلما
امرهم ان يفسخوا الحج الى العمرة ولم يتحللوا منها ويحلقوا رؤسهم شق عليهم
ثم لما لم يكن لهم بد من الطاعة كان التقصير في انفسهم اخف من الحلق ففعله
اكثرهم ورجح صلى الله عليه وسلم فعل من حلق بكونه ابين في امتثال الامر انتهى
قال الحافظ ابن حجر وفيما قاله نظر وان تابعه عليه غير واحد لان المتمتع
يستحب في حقه ان يقصر في العمرة ويحلق في الحج اذا كان ما بين النسكين متقاربا

وقد كان

وقد كان ذلك في حقهم كذلك والاولى ما قاله الخطابي وغيره ان عادة العرب انها
كانت تحب توفير الشعور والتزين بها وكان الحلق فيهم قليلا وربما كانوا يرونه من
الشهرة ومن فعل الاعاجم فلذلك كرهوا الحلق واقتصروا على التقصير انتهى **وفي**
رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع بمنى للناس يسالونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم اشعر فحلقت قبل ان انحر
قال اذبح ولا حرج ثم جاء رجل اخر فقال يا رسول الله لم اشعر قبل ان ارمي
فقال ارم ولا حرج قال فما سئل عن شي قدم ولا اخر الا قال افعل ولا حرج
رواه مسلم **وفي رواية** حلقت قبل ان ارمي وفي رواية وقف صلى الله عليه
وسلم على راحلته فطفق ناس يسالونه فيقول القائل منهم يا رسول الله اني
لم اكن اشعر ان الرمي قبل النحر فنحرت قبل الرمي فقال صلى الله عليه وسلم فارم ولا
حرج قال فما سئل يومئذ عن امر مما ينسى المرء ويجهل من تقديم بعض الامور
قبل بعض واشباهها الا قال صلى الله عليه وسلم افعلوا ذلك ولا حرج
وفي رواية انه عليه السلام بينا هو قائم يخطب يوم النحر فقام اليه رجل فقال
ما كنت احسب ان كذا وكذا وفي رواية حلقت قبل ان انحر نحرت قبل ان ارمي
واشباه ذلك **وفي رواية** حلقت قبل ان اذبح ذبحت قبل ان ارمي ومعلوم ان
الترتيب اولى وذلك ان وظائف يوم النحر اربعة اشيا رمي جمرة العقبة ثم نحر
الهدي او ذبحه ثم الحلق او التقصير ثم طواف الافاضة ثم السعي بعده وقد تقدم
انه صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة ثم نحر ثم حلق وقد اجمع العلما على مطلوبية
هذا الترتيب واجمعوا ايضا على جواز تقديم بعضها على بعض الا انهم اختلفوا
في وجوب الدم في بعض المواضع ومذهب الشافعي وجمهور السلف والعلما
وفقها الحديث الجواز وعدم وجوب الدم لقوله عليه السلام للسائل لا حرج
فهو ظاهر في رفع الاثم والفدية معا لان اسم الضيق يشملهما **قال** الطحاوي
ظاهر الحديث يدل على التوسعة في تقديم بعض هذه الاشيا على بعض الا انه يحتمل
ان يكون قوله لا حرج اي لا اثم في ذلك الفعل وهو كذلك لمن كان ناسيا او
جاهلا واما من يتعمد المخالفة فتجب عليه الفدية وتعقب بان وجوب الفدية
يحتاج الى دليل ولو كان واجبا لبينه صلى الله عليه وسلم حينئذ لانه وقت الحاجة
فلا يجوز تاخيره وتمسك الامام احمد بقوله في الحديث لم اشعر وبما في رواية يونس
عند مسلم وصالح عند احمد فما سمعته يومئذ يسئل عن امر مما ينسى المرء او يجهل
من تقديم بعض الامور قبل بعضها الا قال فعل ولا حرج بانه ان كان ناسيا
او جاهلا فلا شي عليه وان كان عالما فلا **قال** ابن دقيق العيد ما قاله احمد قوي
من جهة ان الدليل دال على وجوب اتباع الرسول في الحج لقوله خذوا عني مناسككم

وهذه الاحاديث المرخصة في تقديم ما وقع عنه تاخيره قد قرنت بقول السائل لم
اشعر فيختص الحكم بهذه الحالة وتبقى حالة العمد على اصل وجوب الاتباع في الحج انتهى
وعن ابي بكرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها
اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي
بين جمادى وشعبان وقال اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا
انه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم واموالكم واعراضكم
عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم
عن اعمالكم الا لا ترجعوا بعدي كفارا ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض الا هل
بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع
رواه الشيخان وفي رواية للبخاري فودع الناس ووقع في طريق ضعيفة عند
البيهقي من حديث ابن عمر سبب ذلك ولفظه نزلت اذا جاء نصر الله والفتح على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط ايام التشريق وعرف انه الوداع فامر
براحلته القصواء فرحلت له فركب فوقف بالعقبة واجتمع اليه الناس فقال
يا ايها الناس فذكر الحديث وفيه دلالة لمشروعية الخطبة يوم النحر بمنى وبه اخذ
الشافعي ومن تابعه وخالف ذلك المالكية والحنفية قالوا خطب الحج ثلاثة
سابع ذي الحجة ويوم عرفة بها وثاني يوم النحر بمنى ووافقهم الشافعي الا انه قال
بدل ثاني النحر ثالثه لانه اول النفر وزاد خطبة رابعة وهي يوم النحر قال
وبالناس حاجة اليها ليعلموا اعمال ذلك اليوم من الرمي والذبح والحلق والطواف
وتعقبه الطحاوي بان الخطبة المذكورة ليست من متعلقات الحج لانه لم يذكر
فيها شيئا من امور الحج الذي يتعلق بيوم النحر فعلمنا انها لم تقصد لاجل الحج
وقال ابن بطال انما فعل ذلك من اجل تبليغ ما ذكره لكثرة الجمع الذي اجتمع من
اقاصي الدنيا فظن الذي رآه انه خطب قال واما ما ذكره الشافعي ان
بالناس حاجة الى تعليمهم اسباب التحلل المذكور فليس بمتعين لان الامام يمكنه
ان يعلمهم اياه يوم عرفة انتهى واجيب بانه صلى الله عليه وسلم نبه في
الخطبة المذكورة على تعظيم يوم عرفة وعلى تعظيم ذي الحجة وعلى تعظيم
البلد الحرام وقد جزم الصحابة المذكورون بتسميتها خطبة فلا يلتفت لتاويل
غيرهم وما ذكره من امكان تعليم ما ذكر يوم عرفة يعكر عليه في كونه يرى مشروعية
الخطبة ثاني يوم النحر وكان يمكن ان يعلموا ذلك يوم عرفة بل يمكن ان يعلموا يوم
التروية جميع ما يؤتى به من اعمال الحج لكن لما كان في كل يوم اعمال ليست في غيره شرع
تجديد التعليم بحسب تجدد الاسباب واما قول الطحاوي انه لم ينقل انه علمهم

شيئا

شيئا من اسباب التحلل فلا ينفي وقوع ذلك او شيء منه في نفس الامر بل قد ثبت في حديث
عبد الله بن عمرو بن العاص انه شهد النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم النحر وذكر
فيه السؤال عن تقدم بعض المناسك على بعض فكيف ساغ للطحاوي هذا النفي
المطلق انتهى وقد روى ابو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي
قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت اسماعنا حتى كنا نسمع
ما يقول ونحن في منازلنا فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع اصبعيه
السبابتين ثم قال بحصى الخذف ثم امر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد وامر الانصا
ان ينزلوا المسجد قال ثم نزل الناس بعد وفي رواية عبد الرحمن بن معاذ عن
رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس بمنى
ونزلهم منازلهم فقال لينزل المهاجرون ههنا واشار الى ميمنة القبلة والا
نصار ههنا واشار الى ميسرة القبلة ثم قال لينزل الناس حولهم وعن ابي نجيح
عن ابيه عن رجلين من بني بكر قالا راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بين اوسط
ايام التشريق ونحن عند راحلته وهي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي
خطب بمنى رواه ابو داود وعن رافع بن عمرو المزني قال رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلي يعبر عنه والناس
بين قائم وقاعد رواه ابو داود ايضا وعن ربيعة بن عبد الرحمن بن حصين قال
حدثتني جدتي سراء بنت نبهان وكانت ربة بيت في الجاهلية قالت خطبنا النبي صلى الله عليه
وسلم يوم الرؤوس فقال اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال اليس ايام
التشريق وفي رواية انه خطب اوسط ايام التشريق رواه ابو داود ايضا ثم
ركب صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فافاض الى البيت فطاف طواف الافاضة
وهو طواف الزيارة والركن والصدر وفي البخاري ويذكر عن ابي حسان عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت ايام منى واتى صلى الله عليه وسلم
زمزم وبني عبد المطلب يسقون عليها فقال انزعوا بني عبد المطلب فلولا ان
يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه وفي رواية
ابن عباس فشرب وهو قائم وفي رواية فحلف عكرمة ما كان يومئذ الا على بعير
لكن لم يتعين فيها حجة الوداع ولا غيرها انما التعيين في رواية جابر عند مسلم
واختلف اين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ ففي رواية جابر عند مسلم
انه عليه السلام صلى بمكة ولذلك قالت عائشة وفي حديث ابن عمر في الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم افاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى فرجح ابن حزم في كتاب حجة
الوداع له قول عائشة وجابر وتبعه على ذلك جماعة لانهما اثنان وهما اولى من الواحد
لان عائشة اخص الناس به ولها من القرب والاختصاص ما ليس لغيرها ولان

سياق جابر لحجه صلى الله عليه وسلم من اولها الى اخرها اتم سياق واحفظ للقصة وضبطها حتى ضبط جزئيات تفاصيلها مما لا تتعلق بالمناسك وهو نزوله عليه السلام في الطريق فبال عند الشعب وتوضأ وضوءا خفيفا فمن ضبط هذا القدر فهو بضبط مكان صلاته الظهر يوم النحر اولى وايضا فان حجة الوداع كانت في اذار وهو تساوي الليل والنهار وقد دفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس الى منى وخطب بها الناس ونحر بدنه وقسمها وطبخ له من لحمها واكل منه ورمى الجمرة وحلق راسه وتطيب ثم افاض وطاف وشرب من ماء زمزم ووقف عليهم وهم يستقون وهذه اعمال يظهر منها انها لا تنقضي في مقدار يمكن الرجوع الى منى بحيث يدرك الظهر في فصل اذار ونحت طايفة اخرى قول ابن عمر لا يحفظ عنه في حجته صلى الله عليه وسلم انه صلى الفرض بجوف مكة بل انما كان يصلي بمنزله بالمسلمين مدة مقامه فان حديث ابن عمر متفق عليه وحديث جابر من افراد مسلم فحديث ابن عمر اصح منه فان رواته احفظ واشهر وبان حديث عايشة قد اضطرب في وقت طوافه فروي عنها انه طاف نهارا وفي رواية عنها انه اخر الطواف الى الليل وفي رواية عنها انه افاض من اخر يومه فلم يضبط فيه وقت الافاضة ولا مكان الصلاة وايضا فان حديث ابن عمر اصح منه بلا نزاع لان حديث عايشة من رواية محمد ابن اسحق عن عبد الرحمن بن القاسم وابن اسحق مختلف في الاحتجاج به ولم يصرح بالسماع بل عنعنه فلا يقدم على حديث عبد الله بن عمر انتهى ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى فمكث بها ليالي ايام التشريق يرمي الجمرة اذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عند الاولى والثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمي الثالثة فلا يقف عندها رواه ابو داود من حديث عايشة وعن ابن عمر عند الترمذي كان صلى الله عليه وسلم اذا رمى الجمار مشى اليها ذاهبا وراجعا وفي رواية لابي داود وكان يستقبل القبلة في الجمرتين الدنيا والوسطى ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي الحديث واستاذنه صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل السقاية فاذن له رواه البخاري من حديث ابن عمر وفي رواية الاسمعيلي رخص للعباس ان يبيت بمكة ليالي منى من اجل سقايته وفيه دليل على وجوب المبيت بمنى وانه من مناسك الحج لان التعبير بالرخصة يقتضي ان مقابلها العزيمة وان الاذن وقع للعلة المذكورة واذا لم توجد او ما في معناها لم يحصل الاذن وبالوجوب قال الجمهور وفي قول للشافعي وهو رواية عن احمد وهو مذهب الحنفية انه سنة ووجوب الدم بتركه مبني على هذا الخلاف ولا يحصل المبيت الا بمعظم الليل وهل يختص الاذن بالسقاية وبالعباس الصحيح العموم والعلة في ذلك اعداد الماء للشاربين وجزم الشافعية بالحاق من له مال يخاف ضياعه او امر يخاف

فوته

فوته او مريض يتعهده باهل السقاية كما جزم الجمهور بالحاق الرعاء خاصة وهو قول احمد قالوا ومن ترك المبيت بغير عذر وجب عليه دم من كل ليلة ثم افاض صلى الله عليه وسلم بعد ظهر يوم الثلاثاء بعد ان اكمل ايام التشريق ولم يتعجل في يومين الى المحصب وهو الابطح ومدته ما بين الجبلين الى المقبرة وهو خيف بني كنانة فوجد ابا رافع قد ضرب قبة هناك وكان على ثقله **قال** ابو رافع لم يامرني صلى الله عليه وسلم ان انزل الابطح حين خرج من منى ولكن جيت فضربت فيه قبته فجاء فنزل رواه مسلم وفيه وفي البخاري عن انس انه عليه السلام صلى الظهر والعصر يوم النفر بالابطح وفيهما من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم **قال** من الغد يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني بذلك المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ليس التحصيب بشيء انما هو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ليس التحصيب من امر المناسك الذي يلزم فعله لكن لما نزل صلى الله عليه وسلم به كان النزول به مستحبا اتباعا له لتقريره على ذلك وقد فعله الخلفاء بعده كما في مسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة بالمحصب ثم ركب الى البيت فطاف به رواه البخاري وهذا هو طواف الوداع ومذهب الشافعي انه واجب يلزم بتركه دم على الصحيح وهو قول اكثر العلماء وقال مالك وداود هو سنة لا شيء بتركه واختلف في المراة اذا حاضت بعد ما طافت طواف الافاضة هل عليها طواف الوداع ام لا وكان ابن عباس يرخص لها ان تنفر اذا حاضت وكان ابن عمر يقول في اول امره انها لا تنفر ثم قال في اخر امره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لهن رواه الشيخان وعن عايشة ان صفية بنت حيي حاضت فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احابستنا هي قالوا انها قد افاضت **قال** فلا اذن ومعنى قوله احابستنا هي اي مانعتنا من التوجه من مكة في الوقت الذي اردنا التوجه فيه ظنا منه صلى الله عليه وسلم انها ما طافت طواف الافاضة وانما قال ذلك لانه كان لا يتركها ويتوجه ولا يامرها معه وهي باقية على احرامها فيحتاج الى ان يقيم حتى تطهر وتطوف وتحل الحل الثاني وفي رواية فلما حاضت صفية فاراد النبي صلى الله عليه وسلم منها ما يريد الرجل من اهله فقلت يا رسول الله انها حائض قال احابستنا هي الحديث وهذا مشكل لانه صلى الله عليه وسلم ان كان علم انها طافت طواف الافاضة فكيف يقول احابستنا هي وان كان ما علم فكيف يريد وقاعها قبل التحلل الثاني ويجاب

عنه بانه صلى الله عليه وسلم ما اراد ذلك منها الا بعد ان استاذنه نساؤه في طواف
الافاضة فاذن لهن فكان بانيا على انها قد حلت فلما قيل له انها حائض جوز ان يكون
وقع لها قبل ذلك حتى منعها من طواف الافاضة فاستفهم عن ذلك وعلمت عائشة
انها طافت معهن فزال عنه ما خشيه من ذلك انتهى وقالت طائفة يا رسول الله
تنطلقون بحج وعمرة وانطلق بحج فامر عبد الرحمن ابن ابي بكر ان يخرج معها الى التنعيم
فاعتمرت بعد الحج رواه الشيخان وفي رواية لمسلم انها وقفت المواقف كلها
حتى اذا طهرت طافت بالكعبة والصفا والمروة ثم قال لها يعني رسول الله قد
حللت من حجك وعمرتك جميعا فقالت يا رسول الله اني اجد في نفسي اني لم اطف
بالبيت حين حججت قال فاذهب بها يا عبد الرحمن فاعتمرها من التنعيم وذلك ليلة
الحصبة زاد في رواية وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت شيئا
تابعها عليه وقد كانت عائشة قارنة لانها كانت قد اهلت بالعمرة فحاضت
فامرها فادخلت عليها الحج وصارت قارنة واخبرها ان طوافها بالبيت وبين
الصفا والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها فوجدت في نفسها ان ترجع صواحباتها عن ح
بحج وعمرة مستقلتين فانهن كن متمتعات ولم يحضن ولم يقرن وترجع هي بعمرة
في ضمن حجتها فامرها اخاها ان يعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها ثم ارتحل صلى الله عليه
وسلم راجعا الى المدينة فخرج من كدا بضم الكاف مقصورا وهي عند باب شبيكة
بقرب شعب الشاميين من ناحية قعيقعان واختلف في المعنى الذي لاجله
خالف النبي صلى الله عليه وسلم بين طرفيه فقيل ليتبرك به كل من في طرقه وقيل الحكمة
في ذلك المناسبة لجهة العلو عند الدخول لما فيه من تعظيم المكان وعكسه
الاشارة الى فراقه وقيل لان ابراهيم عليه السلام لما دخل مكة دخل منها
وقيل غير ذلك وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
لقي ركبا بالروحا فقال من القوم فقالوا المسلمون يا رسول الله فرفعت امرأة
صبيا لها من محفة فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر ولما وصل
صلى الله عليه وسلم لذي الحليفة بات بها قال بعضهم ان نزوله لم يكن قصدا
وانما كان اتفاقا حكاه القاضي اسمعيل في احكامه عن محمد بن الحسن وتعقبه والصحيح
انه كان قصدا لئلا يدخل المدينة ليلا فلما راى المدينة كبر ثلاثا وقال لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ايبون تائبون
عابدون ساجدون حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده ثم دخل الى المدينة نهارا من طريق المعرس بفتح الراء المشددة وبالمهملتين
وهو مكان معروف وكل من المعرس والشجرة التي نزل بها صلى الله عليه وسلم في ذهابه
الى مكة على ستة اميال من المدينة انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره والله تعالى اعلم

واما عمرة صلى الله عليه وسلم العمرة في اللغة الزيادة ومذهب الشافعي واحمد وغيرهما
انها واجبة كالحج والمشهور عن المالكية انها تطوع وقال الحنفية وقد اعتمر صلى
الله عليه وسلم اربع عمر ففي الصحيحين وسنن الترمذي وابي داود عن قتادة
قال سالت انسا كم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حج حجة واحدة واعتمر
اربع عمر عمرة في ذي القعدة وعمرة الحديبية وعمرة مع حجته وعمرة الجعرانة
اذ قسم غنيمة حنين وهذا لفظ رواية الترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية الصحيحين
اعتمر اربع عمر كلها في ذي القعدة الا التي مع حجته عمرة الحديبية او زمن الحديبية
في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة حيث
قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة في حجته وعن محرش الكعبي انه صلى الله عليه
وسلم خرج من الجعرانة ليلا معتمرا فدخل مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من
ليلته فاصبح بالجعرانة كبائت فلما زالت الشمس من الغد خرج في بطن سرف حتى جامع
الطريق طريق ببطن سرف فمن اجل ذلك خفيت عمرته على الناس رواه الترمذي
وقال حديث غريب وعن ابن عمر قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يحج
رواه ابو داود وعن عروة بن الزبير قال كنت انا وابن عمر مستندين الى حجرة عائشة
وانا لنسمع صوتها بالسواك تستن قال فقلت يا ابا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى
الله عليه وسلم في رجب قال نعم فقلت لعائشة اي امتاه الا تسمعين ما يقول
ابو عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب
فقالت يغفر الله لابي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب وما اعتمر من عمرة الا وانه
لمعه وابن عمر يسمع فما قال لا ولا نعم سكت وفي رواية ابي داود عن عروة عن
عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرتين في ذي القعدة
وعمرة في شوال وفي رواية له عن مجاهد قال سئل ابن عمر كم اعتمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عمرتين فبلغ عائشة فقالت لقد علم ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعتمر ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع وقد ذكرت الاختلاف فيما كان
عليه السلام محرما به في حجة الوداع والجمع فيما اختلف فيه من ذلك والمشهور عن
عائشة انه عليه السلام كان مفردا وحديثها هذا يشعر بانه كان قارنا وكذا ابن عمر قد
انكر على انس لكونه قال انه عليه السلام كان قارنا مع ان حديثه هذا المتقدم يدل
على انه كان قارنا لانه لم ينقل انه عليه السلام اعتمر مع حجته ولم يكن متمتعا لانه
عليه السلام اعتذر عن ذلك بكونه ساق الهدي واحتاج بعضهم الى تاويل ما وقع
عن عائشة وابن عمر هنا فقال انما يجوز نسبة العمرة الرابعة اليه صلى الله عليه وسلم
باعتبار انه امر الناس بها وعملت بحضرته لا انه صلى الله عليه وسلم اعتمرها بنفسه
وانت اذا تاملت ما تقدم من اقوال الائمة في حجته صلى الله عليه وسلم من الجمع

استغنيت عن هذا التأويل المتعسف قال بعض العلماء المحققين وفي عدله عن عمرة الحديبية
التي صد عنها صلى الله عليه وسلم يدل على انها عمرة تامة وفيه اشارة الى حجة قول الجمهور
انه لا يجب القضا على من صد عن البيت خلافا للحنفية ولو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة
الحديبية لكانتا واحدة وانما سميت عمرة القضية والقضا لان النبي صلى الله عليه
وسلم قاضى قريشا فيها لا انها وقعت قضا عن العمرة التي صد عنها اذ لو كان كذلك
لكانت عمرة واحدة **واما حديث** ابي داود عن عائشة انه اعتمر في شوال فانه
كان محفوظا فلعله يريد عمرة الجعرانة حين خرج في شوال ولكن انما احرم بها في القعدة
وانكر ابن القيم ان يكون صلى الله عليه وسلم اعتمر في رمضان نعم قد اخرج الدارقطني
من طريق العلا بن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود بن يزيد عن ابيه عن عائشة قالت
خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة في رمضان فافطر وصمت وقصر واتممت
وقال ان اسناده حسن لكن يمكن حمله على ان قولها في رمضان متعلق بقولها خرجت
ويكون المراد سفر فتح مكة فانه كان في رمضان واعتمر عليه السلام في تلك السنة
من الجعرانة لكن في ذي القعدة كما تقدم واما قول ابن القيم في الهدي ايضا ولم يكن
في عمره صلى الله عليه وسلم عمرة واحدة خارجا من مكة كما يفعله كثير من الناس اليوم وانما
كانت عمرة كلها داخلا الى مكة وقد اقام بمكة بعد الوحي بثلاث عشرة سنة ولم ينقل عنه احد
انه اعتمر خارجا من مكة في تلك المدة اصلا فالعمرة التي فعلها وشرعها هي عمرة الداخل
الى مكة لا عمرة من كان بها فيخرج الى الحل ليعتمر ولم يفعل هذا على عهده احد قط الا عائشة
وحدها انتهى فتعقب عليه بعد ان فعلته عائشة بامره فدل على مشروعيته وروى
الفاكهي وغيره من طريق محمد بن سيرين قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت
لاهل مكة التنعيم ومن طريق عطا قال من اراد العمرة ممن هو من اهل مكة او غيرها فليخرج
الى التنعيم او الى الجعرانة فليحرم منها فثبت بذلك ان ميقات العمرة الحل وان التنعيم
وغيره في ذلك سوا

النوع السابع في عباداته عليه الصلوة والسلام

في ثبته من ادعيته وذكره وقراته اختلف هل الدعا افضل ام تركه والاستسلام للقضا
افضل فقال الجمهور الدعا افضل وهو من اعظم العبادة ويؤيده ما اخرجه الترمذي
من حديث انس رفعه الدعا مخ العبادة وقد تواترت الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم
بالترغيب في الدعا والحث عليه واخرج الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم عنه
صلى الله عليه وسلم من لم يسئل الله يغضب عليه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني
لا احمل هم الاجابة ولكن هم الدعا فاذا الهمت الدعا علمت ان الاجابة معه وفي
هذا يقول القائل لو لم ترد نيل ما ارجو واملُه من جود كفك ما عودتني الطلبا

فالله سبحانه يحب بذلك عبده بين يديه وشوله اباه وطلبهم حوائجهم منه وشكواهم منه
اليه وعياذهم به منه وفرارهم منه اليه كما قيل كما قالوا تشكوا اليه ما يلتحي على فقلت
ربي يرضى ذل العبيد لديه وقالت طائفة الافضل ترك الدعا والاستسلام
للقضا واجابوا عن قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم بان اخرها دل على
ان المراد بالدعا هو العبادة قال الشيخ تقي الدين السبكي الاولى حمل
الدعا في الاية على ظاهره واما قوله بعد ذلك عن عبادتي فوجه الربط ان الدعا
اخص من العبادة فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعا وعلى هذا فالوعيد
انما هو في حق من ترك استكبارا ومن فعل ذلك كفر واما من تركه لمقصد من
المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور وان كنا نرى ان ملازمة الدعاء
والاستكثار منه ارجح من الترك لكثرة الادلة الواردة فيه وقال القشيري
في الرسالة اختلف اي الامرين اولى الدعا او السكوت والرضا فقيل
الدعا وهو الذي ينبغي ترجيحه لكثرة الادلة ولما فيه من اظهار الخضوع والافتقار
وقيل السكوت والرضى اولى لما في التسليم من الفضل انتهى وشبهتهم ان الداعي
لا يعرف ما قدر له فدعاوه ان كان على وفق القدرة فهو تحصيل الحاصل
وان كان على خلافه فهو معاند **واجيب** بانه اذا اعتقد انه لا يقع الا
ما قدر الله تعالى كان ادعاوه لا للمعاندة وفايدة الدعا تحصيل الثواب
بامتثال الامر والاحتمال ان يكون المدعو به موقوفا على الدعا لان الله تعالى
خلق الاسباب ومسببها انتهى وقد ارشد صلى الله عليه وسلم امته لكيفية
الدعا فقال فاذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا عليه وليصل على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم ليدع بما شاء رواه الترمذي من حديث فضالة بن عبيد وقال
عليه السلام في رجل يدعو اوجب ان ختم بامين رواه ابو داود وقال لا يقل
احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم على المسئلة فان
الله لا مكره له رواه البخاري وغيره ومعنى الامر بالعزم الجد فيه وان يجزم بوقوع
مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى وان كان مامورا في جميع ما يريد فعله
ان يعلقه بمشيئة تعالى وقيل معنى العزم ان يحسن الظن بالله في الاجابة فانه
يدعو كريما وقد قال ابن عيينة لا يمنعن احدا الدعا ما يعلم من نفسه يعني من
التقصير فان الله تعالى قد اجاب دعا شر خلقه وهو ابليس حين قال انظرني الى
يوم يبعثون وقال عليه السلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب
لي رواه الشيخان وغيرهما وكان عليه السلام يستحب الجوامع من الدعا ويدع ما سوى
ذلك رواه ابو داود من حديث عائشة والجوامع التي تجمع الاغراض الصالحة
والمقاصد الصحيحة او تجمع الثنا على الله تعالى واداب المسئلة وكان صلى الله

الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اصلح لي ديني الذي عصمة امري واصلح لي دنياي
التي فيها معاشي واصلح لي اخرتي التي فيها معادي واجعل الحيوة زيادة لي في كل خير واجعل
الموت راحة لي من كل شر رواه مسلم من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم انفعني
بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما الحمد لله على كل حال واعوذ بالله من حال اهل
النار رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم متعني بسمعي وبصري
واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني وخذ مني بثاري رواه الترمذي
من حديث ابي هريرة ايضا وكان اكثر دعائه ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وقنا عذاب النار رواه الشيخان من حديث انس وكان يقول رب اعني
ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني وانصرني
على من بغى علي رب اجعلني لك شاكرا ذاكرا لك راهبا مطواعا لك مخبتا اليك
اواها منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي وثبت حجتي وسدد
لساني واهد قلبي واسلل سخيمة صدري رواه الترمذي وكان يقول اللهم
لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت اللهم اعوذ
بعزتك لا اله الا انت ان تضلني انت الحي لا تموت والجن والانس يموتون رواه
الشيخان عن ابن عباس وكان يقول اللهم اني اسئلك الهدى والتقى والعفاف
والغنى رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود وكان يقول اللهم اغفر لي
خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي
وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما
اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر وانت على
كل شئ قدير رواه الشيخان من حديث ابي موسى وكان اكثر دعائه يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك رواه الترمذي من حديث ام سلمة وكان يقول
اللهم عافني في جسدي وعافني في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني لا اله الا
الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش الكريم والحمد لله رب العالمين رواه
الترمذي وكان يقول اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد ونق قلبي من
الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس رواه النسائي وكان يقول اللهم
فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بقوم فتنة فا
قبضني اليك غير مفتون رواه في الموطا وكان يقول يدعو اللهم فالق الاصباح
وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عني الدين واغنني من الفقر
ومتعني بسمعي وبصري وقوتي وتوفني في سبيلك رواه في الموطا وكان صلى
الله عليه وسلم يتعوذ فيقول اللهم اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم
والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات رواه الشيخان

من حديث

من حديث انس وفي رواية ابي داود اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن وضلع
الدين وغلبة الرجال وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الجذام والبرص والجنون
ومن سيئ الاسقام رواه ابو داود والنسائي من حديث انس وكان يقول اللهم
اني اعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعلم رواه مسلم من حديث عائشة
وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن نفس لا تشبع
ومن علم لا ينفع اعوذ بك من هذه الاربع رواه الترمذي والنسائي من حديث
ابن عمرو بن العاصي وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك وتحول
عافيتك وفجاة نقمتك وجميع سخطك رواه مسلم وابو داود من حديث
عمرو بن العاصي ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الفقر والقلة والذلة
واعوذ بك من ان اظلم او اظلم رواه ابو داود من حديث ابي هريرة ايضا وكان يقول
اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع واعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة
رواه ابو داود والنسائي من حديث ابي هريرة ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك
من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء رواه النسائي وكان يقول
اللهم اني اعوذ بك من الهدم والهرم واعوذ بك من التردي ومن الغرق والحرق
والهرم واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت واعوذ بك ان اموت في
سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لديغا رواه ابو داود والنسائي
من حديث ابي اليسر وكان يتعوذ من عين الجن والانس فلما نزلت المعوذتان
اخذ بهما وترك ما سوى ذلك رواه النسائي وكان اذا خاف قوما قال اللهم
نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم رواه ابو داود وكان يعوذ الحسن
والحسين ويقول ان اباكما كان يعوذ بها اسمعيل واسحق اعوذ بكلمات الله التامة
من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة رواه البخاري والترمذي وقد
استشكل صدور هذه الادعية ونحوها منه صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ووجوب عصمته واجيب بانه امتثل
ما امره الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرة في قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ويحتمل
ان يكون سؤاله ذلك لامته وللتشريع والله اعلم وكان عليه السلام عند الكرب
وهو ما يهجم الانسان مما ياخذ بنفسه ويحزنه ويغمه يدعو لا اله الا الله العظيم
لا اله الا الله رب السموات والارضين رب العرش العظيم رواه البخاري
وفي رواية لا اله الا الله العظيم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا
الله رب السموات والارضين ورب العرش الكريم قال الطيبي صدر هذا
الثنا بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لانه مقتضى التربية ومنه التهليل المشتمل
على التوحيد وهذا الاصل لتنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل على تمام القدرة

ونعم

والحلم الذي يدل على العلم اذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما اصل الاوصاف
الاكرامية انتهى وكان صلى الله عليه وسلم اذا اهمه امر رفع راسه الى السماء وقال
سبحان الله العظيم رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وكان عليه السلام اذا
كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث رواه ابو داود من حديث انس
وقال عليه السلام ما كربني امر الا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على
الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه الطبراني عن ابي هريرة وتقدم في
المقصد الثامن مزيد لذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الضالة اللهم
راد الضالة وهادي الضلالة انت تهدي من الضلالة اردد علي ضالتي بعزتك
وسلطانك فانها من عطائك وفضلك رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر
وكان صلى الله عليه وسلم يدعو هكذا بباطن كفيه وظاهرهما رواه ابو داود
عن انس وقال ابو موسى الاشعري كما عند البخاري دعا النبي صلى الله عليه وسلم
رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه وعنده ايضا من حديث ابن عمر رفع صلى الله عليه
وسلم في شيء من دعائه الا في الاستسقا وهو حديث صحيح وجمع بينه وبين ما تقدم
بان الرفع في الاستسقا يخالف غيره اما بالمبالغة الى ان تصير اليدان في حذو
الوجه مثلا وفي الدعا الى حذو المنكبين ولا يعكر في ذلك انه ثبت في كل منهما
حتى يرى بياض ابطيه بل يجمع بان يكون رؤية البياض في الاستسقا ابلغ منها في غيره
واما ان الكفين في الاستسقا يليان الارض وفي الدعا يليان السماء قال
الحافظ عبد العظيم المنذري وتقدير اجمع بجانب الاثبات ارجح انتهى وروى
الامام احمد والحاكم وابو داود انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اذا دعا
حذو منكبيه وفي رواية ابن ماجه وبسطهما وهذا يقتضي ان يكونا متفرقتين
مبسوطتين لا لهيئة الاعتراف قال الحافظ ابن حجر غالب الاحاديث التي
وردت في رفع اليدين في الدعا انما المراد بها مد اليدين وبسطهما عند الدعا بطونهما
وروي عن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطنهما مما يلي
وجهه رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف وهل يمسح بها وجهه اما في القنوت في
الصلوة فالاصح لا لعدم وروده فيه قال البيهقي لا احفظ فيه عن احد من السلف
شيا وان روي عن بعضهم في الدعا خارج الصلوة وقد روي فيه عن النبي صلى الله
عليه وسلم خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم خارجها فاما فيها فعمل لم يثبت فيه
خبر ولا اثر ولا قياس والاولى ان لا يفعله وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم
لانس فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اعطيته رواه البخاري وفي
الادب المفرد له عن انس قال قالت ام سليم وهي ام انس خويدمك الا تدعو له فقال

اللهم

اللهم اكثر ماله وولده واطل حياته واغفر له وفي الصحيح ان انسا كان في الهجرة ابن
تسع سنين وكانت وفاته سنة احدى وتسعين فيما قيل وقيل سنة ثلاث وله مائة
وثلاث سنين وكانت وفاته سنة قال خليفة وهو المعتمد واكثر ما قيل في
سنه انه بلغ مائة سنة وسبع سنين واقل ما قيل فيه بلغ تسعا وتسعين سنة واما
كثرة ولده فروى مسلم قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي
ليعادون على نحو المائة وورد في حديث رواه الشيخان ان انسا قال اخبرتني ابنتي
أمينة اي بضم الهمزة وفتح الميم وسكون المثناة التحتية بعدها نون انه دفن من
صلبي الى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون وقال ابن قتيبة في المعارف
كان بالبصرة ثلاث ما ماتوا حتى رأى كل واحد منهم من ولده مائة ذكر لصلبه ابو بكرة
وخليفة بن بدر وزاد غيره رابعا وهو المهلب بن ابي صفرة واخرج ابن سعد عن انس
قال دعا لي النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره واغفر له
فقد دفنت من صلبي مائة واثنين وان ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت
في الحياة حتى سئمت الحياة وارجو الرابعة واخرج الترمذي عن ابي العالية في ذكر
انس وكان له بستان ياتي في كل سنة الفاكهة مرتين وكان فيه ريحان يفوح منه
ريح المسك ورجاله ثقات ودعا عليه السلام لمالك بن ربيعة السلولي ان يبارك
له في ولده فولد له ثمانون ذكرا رواه ابن عساكر وارسل عليه السلام الى علي يوم خيبر
وكان ارمد فتفل في عينيه وقال اللهم اذهب عنه الحر والبرد قال فما وجدت حرا ولا
بردا منذ ذلك اليوم ولا رمدت عيناه وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن
قاضيا فقال يا رسول الله لا علم لي بالقضا فقال ادن مني فدنا منه فضرب بيده
على صدره وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال علي والله ما شككت في
قضاء بين اثنين رواه ابو داود وغيره ودعا صلى الله عليه وسلم عليا من مرض
فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم قال علي فما عاد لي ذلك الوجع بعد رواه
الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم ومرض ابو طالب فعاده النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابن اخي ادع ربك الذي تعبد ان يعافيني فقال اللهم اشف عمي
فقام ابو طالب كانما نشط من عقال قال يا ابن اخي ان ربك الذي
تعبد ليطيعك قال وانت يا عماه لئن اطعت الله ليطيعنك رواه ابن عدي
والبيهقي وابو نعيم من حديث انس وتفرد به الهيثم وهو ضعيف ودعا عليه السلام
لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التاويل
رواه البغوي وابن سعد وفي رواية البخاري اللهم علمه الكتاب وكان عالما
بالكتاب حبر الامة بحر العلم ربانيَّ المفسرين ترجمان القران وكونه في الدرجة العليا
والمحل الاقصى لا يخفى وقال النابغة الجعدي لما قال

ولا خير في حلم اذا لم يكن له	بوادر تحمي صفوه ان تكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له	حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

لا يفضض الله قال اي لا يسقط الله اسنانك وتقديره لا يسقط الله اسنان فيك
بحذف المضاف قال فاتى عليه اكثر من مائة سنة وكان من احسن الناس ثغرا رواه
البيهقي وقال فيه فلقد رايته ولقد اتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن وفي
رواية ابن ابي اسامة وكان من احسن الناس ثغرا واذا سقط له سن نبتت له اخرى
وعند ابن السكن فرايت اسنان النابغة ابيض من البرد لدعوته صلى الله عليه وسلم
وسقاه عليه السلام عمرو بن اخطب ماء في قدح قوارير فراى فيه شعرة بيضاء رواه
واخرج البيهقي عن انس ان يهوديا اخذ من لحية النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم
جمله فاسودت لحيته بعد ما كانت بيضاء وقال عبد الرزاق انا معمر عن قتادة
قال حلب يهودي للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة فقال اللهم جمله فاسود شعره
حتى صار اسود سوادا من كذا وكذا قال معمر وسمعت غير قتادة يذكر انه عاش
تسعين سنة فلم يشب اخرجه ابن ابي شيبة وابو داود في المراسيل والبيهقي
وقال مرسل شاهد لما قبله وقال عليه السلام لابن الحمق الخزاعي وقد سقاه عليه
السلام اللهم متعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء رواه ابو نعيم
وغيره وجاءته فاطمة وقد علاها الصفرة من الجوع فنظر اليها صلى الله عليه وسلم
ووضع يده على صدرها ثم قال اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمة بنت محمد قال
عمران بن الحصين فنظرت اليها وقد علاها الدم على الصفرة في وجهها ولقيتها
بعد فقالت ما جعت يا عمران ذكره يعقوب بن سليمان الاسفرايني في دلائل
الاعجاز ودعا عليه السلام لعروة بن جعد البارقي اللهم بارك له في صفقة
يمينه قال فما اشتريت قط شيئا الا ربحت فيه وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل
وضرب في صدره اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا قال فما وقعت عن
فرس بعد وقال لسعد بن ابي وقاص اللهم اجب دعوته فكان مجاب الدعوة رواه البيهقي
والطبراني في الاوسط ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة رواه الشيخان عن انس
زاد البيهقي من وجه اخر قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته
ذهبا او فضة الحديث قال القاضي عياض وقد فتح الله عليه ومات فحفر
الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا
وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على
ثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه
العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق يوما بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من
كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها وذكر الطبري ما عزاه للصفوة

عن الزهري

عن الزهري انه تصدق بشطر ماله اربعة الاف ثم تصدق باربعين الف دينار ثم حمل على خمسمائة
فرس في سبيل الله ثم حمل على الف وخمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة
ودعا على مضر فاقحطوا حتى اكلوا العلهز وهو الدم بالوبر حتى استعطفته قريش ولما تلا
عليه السلام والنجم اذا هوى قال عتبة بن ابي لهب كفرت برب النجم فقال اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فخرج عتبة مع اصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بالشام زأر
اسد فجعلت فرائصه ترعد فقيل له من اي شيء ترعد فوالله ما نحن وانت في هذا الا سواء
فقال ان محمدا دعا علي ولا والله ما اظلت هذه السماء من ذي لهجة اصدق من محمد
ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه حتى جاء النوم فاحاطوا به واحاطوا انفسهم
بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا فجاء الاسد يستنشق رؤوسهم رجلا رجلا حتى
انتهى اليه فضغمه ضغمة وهو يقول الم اقل ان محمدا اصدق الناس ومات ذكره يعقوب
الاسفرايني وتقدم في ذكر اولاده عليه السلام قصة بنحو هذه وعن مازن الطائي
وكان بارض عمان قلت يا رسول الله اني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والنساء والحب علينا
السنون فاذهبن الاموال واهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله ان
يذهب عني ما اجد وياتيني بالحياء ويهب لي ولدا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله
بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال واته بالحياء وهب له ولدا قال مازن فاذهب
الله عني كل ما كنت اجد واخصبت عمان وتزوجت اربع حرائر ووهب الله لي حيان بن
مازن رواه البيهقي ولما نزل عليه السلام بتبوك صلى الى نخلة فمر رجل بينه وبينها
فقال صلى الله عليه وسلم قطع صلاتنا قطع الله اثره فاقعد رواه ابو داود
والبيهقي لكن سنده ضعيف واكل عنده رجل بشماله فقال كل بيمينك قال لا استطيع
قال لا استطعت فما رفعها الى فيه بعد والرجل بسر بضم الموحدة وسكون المهملة
بن عير بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية وطلب معاوية فقيل له انه ياكل فقال
في الثانية لا اشبع الله بطنه فما شبع بطنه ابدا رواه البيهقي من حديث ابن عباس
وكان معاوية رديفه يوما فقال يا معاوية ما يليني منك قال بطني قال اللهم
املاه علما وحلما رواه البخاري في تاريخه وقال لابن مروان اللهم اطل شقاه
وبقاءه فادركه شيخا كبيرا شقيا يتمنى الموت وكم له صلى الله عليه وسلم من دعوة
مستجابات وقد افرد القاضي عياض بابا في الشفا ذكر فيه طرفا منها وكذا الامام
يوسف بن يعقوب الاسفرايني في كتابه دلائل الاعجاز فلما اجابه الله تعالى الى
مسؤله واعطاه من معجزة دعائه ثمرة سؤله واما حديث ابي هريرة عند البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها واريد ان اختبئ دعوتي
شفاعة لامتي في الآخرة فقد استشكل ظاهره بما ذكرته وبما وقع لنبينا ولكثير من
الانبياء صلى الله عليهم وسلم من الدعوات المجابة فان ظاهره ان لكل نبي دعوة مجابة

فقط وأجيب بان المراد بالاجابة في الدعوة المذكورة القطع بها وما عدا ذلك من
دعواتهم فهم على رجاء الاجابة وقيل معنى قوله لكل نبي دعوة اي افضل دعواته ولهم دعوات
اخرى وقيل لكل نبي منهم دعوة عامة مستجابة في امته اما باهلاكهم واما بنجاتهم وأما
وأما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب وقيل لكل منهم دعوة تخصه
لدنياه او لنفسه كقول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقول زكريا
فهب لي من لدنك وليا يرثني وقول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
وأما قول الكرماني في شرحه على البخاري فان قلت هل جاز الاستجابة دعا النبي صلى
الله عليه وسلم قلت لكل نبي دعوة مستجابة واجابة الباقي في مشيئة الله تعالى فقال
العيني هذا السؤال لا يعجبني فان فيه بشاعة وانا لا اشك ان جميع دعوات النبي صلى الله
عليه وسلم مستجابة وقوله لكل نبي دعوة مستجابة لا ينفي ذلك لانه ليس بمحصور انتهى
ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم دعا لشيء فلم يستجب وفي هذا الحديث بيان فضيلة
نبينا صلى الله عليه وسلم على ساير الانبيا حيث اثر امته على نفسه واهل بيته بدعوته
ولم يجعلها دعا عليهم بالهلاك كما وقع لغيره صلوات الله وسلامه عليهم وظاهر الحديث
يقتضي انه عليه الصلوة والسلام اخر الدعا والشفاعة ليوم القيامة فذلك اليوم
يدعو ويشفع ويحتمل ان يكون المؤخر ليوم القيامة ثمرة تلك الدعوة ومنعها
وأما طلبها فحصل من النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا وقد امر الله النبي صلى الله عليه وسلم
بالترقي في مراتب التوحيد بقوله فاعلم انه لا اله الا الله فانه امر ليس بتحصيل ذلك العلم لانه
عالم بذلك ولا بالثبات لانه معصوم فتعين ان يكون للترقي في مراتبه ومقاماته
اشارة الى ان العلم به تعالى والسير اليه لا نهاية له ابدا فجميع العلوم الحقيقية والمعارف
اليقينية في العالم منتظم في سلك تحقيقها ومستتم من فنان طواياها وكذا اكتفى بعلمه
صلى الله عليه وسلم في الاية فالشان كله في تصحيح التوحيد وتجريده وتكميله وقد
قال تعالى له عليه السلام واذكر اسم ربك واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
لانه لا بد في اول السلوك من الذكر باللسان مدة ثم يزول الاسم ويبقى المسمى فالدرجة
الاولى هي المرادة بقوله واذكر اسم ربك والمرتبة الثانية هي المرادة بقوله واذكر ربك
وفي استيفا مباحث ذلك طول يخرج عن الغرض وقد تقدم جملة من اذكاره عليه السلام
مفرقة في الوضوء والصلاة والحج وغير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله
ويتوب اليه في اليوم والليلة اكثر من سبعين مرة كما رواه عنه ابو هريرة عند البخاري
وظاهره انه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة ويحتمل ان يكون المراد انه صلى الله عليه وسلم
يقول هذا اللفظ بعينه ويرجح الثاني ما اخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن
ابن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
واتوب اليه في المجلس قبل ان يقوم مائة مرة وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ

انا كنا

انا كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب
الغفور مائة مرة وزيدا ويحتمل ان يريد بقوله في حديث ابي هريرة اكثر من سبعين مرة
المبالغة ويحتمل ان يريد العدد بعينه ولفظ اكثر مبهم فيمكن ان يفسر بحديث ابن عمر المذكور
وانه يبلغ المائة وقد وقع في طريق اخرى عن ابي هريرة من رواية معمر عن الزهري بلفظ
اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة لكن خالف اصحاب الزهري في ذلك نعم اخرج النسائي
من طريق عطا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس فقال يا ايها
الناس توبوا اليه فاني اتوب في اليوم مائة مرة واستغفاره عليه السلام تشريع لامته او من
ذنوبهم وقيل غير ذلك وتقدم ما ينتظم في سلك ذلك فان قلت ما كيفية استغفاره صلى
الله عليه وسلم فالجواب انه ورد في حديث شداد بن اوس عند البخاري رفعه سيد
الاستغفار ان تقول اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك
ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت وابوء لك بنعمتك علي فاغفر لي فانه
لا يغفر الذنوب الا انت من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل ان يمسي فهو من
اهل الجنة ومن قالها من الليل موقنا بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة فتعين
ان هذه الكيفية هي الافضل وهو صلى الله عليه وسلم لا يترك الافضل وأما قراءته عليه السلام
وصفتها فكانت مدا يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم رواه البخاري عن انس ونعتها
ام سلمة قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه ابو داود والنسائي والترمذي وقالت ايضا
كان عليه السلام يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف ثم يقول الرحمن الرحيم
ثم يقف رواه الترمذي وقالت حفصة كان يرتل السورة حتى تكون اطول من اطول
منها رواه مسلم وقال البراء كان يقرا في العشاء والتين والزيتون فما سمعت احدا
احسن صوتا او قراءة منه صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان فقد كانت قراءته
عليه السلام ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته
اية اية وكان يمد عند حروف المد وكان يتغنى بقراءته ويرجع صوته بها احيانا كما رجع يوم
الفتح في قراءته انا فتحنا لك فتحا مبينا وحكى عبد الله بن مغفل ترجيعه ا ا ا ثلاث مرات
ذكره البخاري واذا جمعت هذا الحديث الى قوله زينوا القران باصواتكم وقوله ليس
منا من لم يتغن بالقران وقوله ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقران
اي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقران ان يتلوه يجهر به فقال اذن يأذن اذنا
بالتحريك علمت ان هذا الترجيع منه عليه السلام كان اختيارا لا اضطرارا لهز الناقة
فان هذا لو كان لاجل هز الناقة لما كان داخلا تحت الاختيار فلم يكن عبد الله بن
مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتاسى به وهو يرى هذا من هز الراحلة حتى ينقطع
صوته ثم يقول كان يرجع في قراءته فينسب الترجيع الى فعله ولو كان من هز الراحلة لم
يكن فعله يسمى ترجيعا وقد استمع عليه السلام ليلة لقراءة ابي موسى الاشعري فلما

ايضا من رواية محمد بن عمرو عن ابي سلمة بلفظ اني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم مائة مرة ورمز النسائي

اخبره بذلك قال لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا اي حسنته وزينته بصوتي تزيينا وهذا الحديث يرد على من قال ان قوله زينوا القرآن باصواتكم من باب المقلوب اي زينوا اصواتكم بالقرآن فان القلب لا وجه له قال ابن الاثير ويؤيد ذلك تأييدا لا شبهة فيه حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت والله اعلم وقد اختلف العلماء في هذه المسئلة اختلافا كثيرا يطول ذكره وفصل النزاع في ذلك ان يقال ان التطريب والتغني على وجهين احدهما ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل اذا خلي وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فهذا جائز وان اعانته طبيعته على فضل تزيين وتحسين كما قال ابو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ولكن النفوس تقبله وتستحليه وتستملحه لموافقة الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع لا متطبع وكلف لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويستمعونه وهو التغني المحمود الذي يتاثر به التالي والسامع والوجه الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ليس في الطباع السماحة به بل لا يحصل الا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم اصوات الغناء بانواع الالحان البسيطة والمركبة على ايقاعات مخصوصة واوزان مخترعة لا تحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وانكروا القراءة بها وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره وكل من له علم باحوال السلف يعلم قطعا انهم براء من القراءة بالحان الموسيقى المتكلفة التي هي على ايقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة وانهم اتقى لله من ان يقروا بها او يسوغوها ويعلم قطعا انهم كانوا يقرؤون بالتحزين والتطريب ويحسنون اصواتهم بالقرآن ويقرؤونه بشجى تارة وبطرب تارة اخرى وهذا امر في الطباع ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له بل ارشد اليه وندب اليه صلى الله عليه وسلم واخبر عن استماع الله لمن قرا به وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وليس المراد الاستغناء به عن غيره كما ظنه بعضهم ولو كان كذلك لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى والمعروف في كلام العرب التغني انما هو الغناء الذي حسن الصوت بالترجيع قال الشاعر

تغن بالشعر اما كنت قائله ❁ ان الغناء لهذا الشعر مضمار

وروى ابن ابي شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعا تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه الحديث والله اعلم وقد صح انه صلى الله عليه وسلم سمع ابا موسى الاشعري يقرا فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود يعني من مزامير داود نفسه كما ذكره اهل اللغة

وفي طرق

وفي طريق آخر كما تقدم ان ابا موسى قال يا رسول الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا قال ابن المنير وهذا يدل على انه كان يستطيع ان يتلو اشياء من المزامير عند المبالغة في التحبير لانه قد تلا امثالها وما بالغ الحد فكيف لو بلغ حد استطاعته وقد كان داود عليه السلام اذا اراد ان يتكلم على بني اسرائيل جوع سبعة ايام لا ياكل ولا يشرب ولا ياتي النساء ثم يامر سليمان فينادي في الضواحي والنواحي والآكام والاودية والجبال ان داود يجلي يوم كذا ثم يخرج له منبر الى الصحراء فيجلس عليه وسليمان قائم على راسه فياتي الانس والجن والطير والوحش والهوام والعذارى والمخدرات يستمعون الذكر فياخذ في الثناء على الله بما هو اهله فتموت طائفة من المستمعين ثم ياخذ في النياحة على المذنبين فتموت طائفة فاذا استحر الموت بالخلق قال له سليمان يا نبي الله قد استحر الموت بالناس وقد مزقت المستمعين كل ممزق فيخر داود مغشيا عليه فيحمل على سريره الى بيته وينادي منادي سليمان من كان له مع داود قريب او حميم فليخرج لافتقاده فكانت المراة تاتي بالسرير فتقف على زوجها او ابنها او اخيها فتدخل المدينة فاذا افاق داود في اليوم الثاني قال يا سليمان ما فعل عباد بني اسرائيل فيقول له سليمان قد مات فلان وفلان وهلم جرا فيضع يده داود على راسه وينوح ويقول يا رب داود اغضبان انت على داود حتى انه لم يمت فيمن مات خوفا منك وشوقا اليك فلا يزال ذلك دابه الى المجلس الآخر وقام داود عليه السلام على ذلك ما شاء الله تعالى ولا يظن ما ذكرته من حال بني اسرائيل انهم في ذلك اعلى من هذه الامة واما المزامير فحسبك ما ذكر من حال ابي موسى الاشعري رضي الله عنه واما الموت من الموعظة شوقا وخوفا قلنا فيه طريقان احدهما ان يقول ان القوة التي اوتيتها هذه الامة تقاوم الاحوال الواردة عليها فتتماسك الحياة ولا نعني القوة الجسمانية بل القوة الروحانية والتاييدات الالهية فلفرط قوة هذه الامة ان شاء الله تعالى تقارب سلفها الصالح بين حال سماع الموعظة وحال عدم سماعها الى الذكر واطوار اليقين وقد قال بعضهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فبتماسك قوة السلف عند واردات الاحوال الذي فرق بينهم وبين من قبلهم الا ترى ان داود وسليمان عليهما السلام وهما اصحاب المزامير لم يتفق لهما الموت كما اتفق لمن مات وما ذلك من تقصيرهما في الخوف والشوق ولكن من القوة الربانية التي امدهما بها ولا خلاف بان داود عليه السلام وان لم يمت من الذكر افضل ممن مات من امته واما نواحه على كونه لم يمت فذلك من التواضع الذي يزيده شوقا لا من التقصير على احاد امته بل لارتفاعه عنهم درجات وزلفى وبهذه القوة الالهية اشار ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقد راى اناسا يبكي من الموعظة فقال هكذا كنا حتى قست القلوب عبر عن القوة بالقسوة تواضعا

ومن ثبتت بحمد الله محفوظة ومنزلته مرفوعة والطريق الثاني ان يقول قد روي ما لا يحصى كثرة
عن هذه الامة مثل ما اتفق في مجلس داود عليه السلام من موت المستمعين للذكر وفي مجالس
السماع قديما وحديثا ولابي اسحق الثعلبي جزء في قتلى القرآن رويناه وعندي من ذلك جملة
ارجو ان لا ينكرها عاقل فقد روي عن كثير من المريدين انهم ماتوا بمجرد النظر الى المشايخ كما
حكي ان مريدا لابي تراب النخشبي كان يتجلى له الحق تعالى في يوم مرات فقال له ابو تراب
لو رأيت ابا يزيد لرأيت امرا عظيما فلما ادخل المريد مع شيخه ابي تراب النخشبي لابي
يزيد ووقع بصر المريد عليه وقع ميتا فقال له ابو تراب يا ابا يزيد نظرة منك
قتلته وقد كان يدعي رؤية الحق فقال له ابو يزيد قد كان صاحبك صادقا
وكان الحق يتجلى له على قدر مقامه فلما رآني تجلى له تعالى على قدري فلم يطق فمات •
واصطلاح اهل الطريق في التجلي معروف وحاصله رتبة من المعرفة جلية عليه ولم
يكونوا يعنون بالتجلي رؤية البصر التي قيل فيها لموسى عليه السلام على خصوصيته لن تراني
والتي قيل فيها على العموم لا تدركه الابصار واذا فهمت ان مرادهم الذي تنوّع
غير المعنى الذي حصل منه الناس على الياس في الدنيا ووعد الخواص به في الآخرة فلا
ضير بعد ذلك عليه ولا طريق لسوء الظن باليوم اليك والله متولي السرائر انتهى
ملخصا • واذا علمت هذا فاعلم ان السماع في طريق القوم معروف وفي الجواب
الى المحبة سعد وذم موصوف • وقد نقل اباحته ابو طالب في القوت عن جماعة
من الصحابة كعبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وكذا عن الجنيد
والسري وذي النون واحتج له الغزالي في الاحياء بما يطول ذكره خصوصا في اوقات
السرور المباحة تأكيدا له وتهييجا لعرس وقدوم غائب ووليمة وعقيقة وحفظ قرآن
وختم درس او تأليف وفي الصحيحين من حديث عائشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها
جاريتان في ايام منى تدففان وتضربان ورسول الله صلى الله عليه وسلم متغش
بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف عليه السلام عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام
عيد وفي رواية دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان
بغناء بعاث بضم الموحدة والعين المهملة آخره مثلثة اسم حصن للاوس وبالمعجمة
تصحيف اي تنشدان الاشعار التي قيلت يوم بعاث وهو حرب كان بين الانصار
فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه صلى الله عليه وسلم وقال دعهما
وتعقب بان في الحديث الآخر عند البخاري عن عائشة وليستا بمغنيتين فنفت
عنهما من طريق المعنى ما اثبته لهما باللفظ لان الغناء يطلق على رفع الصوت وعلى
الترنم وعلى الحداء ولا يسمى فاعله مغنيا وانما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير
وتهييج وتشويق لما فيه من تعريض بالفواحش او تصريح قال القرطبي قولها يعني عائشة

ليستا

ليستا بمغنيتين اي ليستا ممن يعرف الغناء كما تعرفه المغنيات المعروفات بذلك قال
وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن
وهذا اذا كان في شعر فيه وصف محاسن النساء او الخمر او غيرهما من الامور المحرمة لا يختلف
في تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب الى الخير حتى لقد ظهرت
في كثير منهم فعلات المجان والصبيان حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات
متلاحقة وانتهى التواقح بقوم منهم الى ان جعلوها من باب القربات وصالح الاعمال
وان ذلك يثمر سني الاحوال وهذا على التحقيق من آثار الزندقة انتهى • والحق ان السماع
اذا وقع بصوت حسن بشعر متضمن للصفات العلية والنعوت النبوية المحمدية عريا عن
الآلات المحرمة والحظوظ الخسيسة الغيبة والشبهة واثار من المحبة الشريفة العلية
وضبط السامع نفسه ما امكنه مع العلم بما يجب لله ولرسوله بحيث لا يرفع صوته بالبكا
ولا يظهر التواجد وهو يقدر على ضبط نفسه ما امكنه مع العلم بما يجب لله ولرسوله ويتحيل
لئلا ينزل ما يسمعه على ما لا يليق كان من الحسن في غاية ولتمام تزكية النفس نهاية نعم تركه
والاشتغال بما هو اعلى واسلم لخوف الشبهة والخروج من الخلاف الا نادرا وقد نقل
عن الامام الشافعي ومالك وابي حنيفة وجماعة من العلماء ما يدل على التحريم ولعل مرادهم
ما كان فيه تهيج شيطاني واذا كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجز ان يحكم   تهييج
فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه
حكم ما في القلب وهو لمن يتحقق بربه مثير للكامن في النفوس من الازل حين خاطبنا الحق
تعالى بقوله الست بربكم فما كان في القلب من رقة ووجد وحقيقة فهو من حلاوة
ذل الخطاب والاعضاء كلها ناطقة بذكره مستطيبة لاسمه فالسماع من اكثر ممتعات
النفوس واذا قرن بالحانه المناسبة وكان الشعر متضمنا لذكر المحبوب الحق برز
الكامن وذاعت الاسرار سيما في ابان البدايات وقد شوهد تأثير السماع حتى في
الحيوانات الغير الناطقة من الطيور والبهايم فقد شوهد تدلي الطيور من الهواء   غصان
على ولي النغمات الفائقة والالحان الرايقة وهذا الجمل مع بلادة طبعه تنبو بالحداء تأثيرا
يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافة الطويلة وينبعث
فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراه اذا طالت عليه البوادي واعياه الاعيا تحت الحمل
اذا سمع منادي الحداء يمد عنقه ويصغي الى الحادي ويسرع في سيره وربما اتلف
نفسه في شدة السير وثقل الحمل وهو لا يشعر بذلك لنشاطه وقد حكى ما ذكرناه في
الاحياء عن ابي بكر الدينوري ان عبدا اسود قتل جمالا كثيرة بطيب نغمته اذ حداها
وكانت محملة احمالا ثقيلة فقطعت مسيرة ثلاثة ايام في ليلة واحدة وانه حدا على
جمل غيرها بحضرته فهام الجمل وقطع حباله وحصل له ما غيبه عن حسه حتى خر لوجهه
فتأثير السماع محسوس ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج بعيد العلاج زائد في غلظ

الطبع وكثافته على الجمال وإذا كانت هذه أبياتاً لم تتأثر بالنغمات فتأثير النفوس النفسانية أولى

نعم لولا ما ذكر العقيق ◦ ولا جابت له الفلوات نوق
نعم أسعى إليك على جفوني ◦ برا الحجا وبعد الطريق
إذا كانت تحركك المطايا ◦ فماذا يفعل الصب المشوق

ولبذة السماع بالطيف السر ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي الوفوي حزبه المشهور على الألحان والأوزان اللطيفة تنشيطاً للقلوب المريدين وترويحاً لأسرار السالكين فإن النفوس كما قدمناه لها حظ من الألحان فإذا قبلت هذه الواردات السنية الفائضة من الموارد النبوية المحمدية بهذه النغمات الفائقة والأوزان الرائقة تشربتها العروق وأخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفي المحمدي فأثمر خطاب الأزل بما سقيته من موارد هذه اللطائف عوارف المعارف **تنبيه** زعم بعضهم أن السماع أدعى للوجد من التلاوة وأظهر تأثيراً وأجيب عن ذلك أن جلال القرآن لا تحمله القوى البشرية المحدثة ولا تحمله صفاتها المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت وتصدعت وتحيرت والألحان مناسبة للطباع بنسبة الحظوظ لا بنسبة الحقوق والشعر نسبته بنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق فإذا علقت الأصوات والألحان بما في الأبيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضاً فكان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب بمشاكلة المخلوق قاله أبو نصر السراج

المقصد العاشر في إتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته

ونقلته إلى حضرة قدسه لديه صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الآخرة بفضائل الأوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلو الدرجات وتشريفه بخصائص الزلفى في مشهد مشاهد الأنبياء والمرسلين وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسؤدد في مجمع جامع الأولين والآخرين وترقيه في جنة عدن أعلى مدارج السعادة وتعاليه في يوم المزيد أعلى معالي الحسنى وزيادة وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول اعلم وفقني الله وإياك بجميل تأييده وأوصلنا بلطفه إلى توفيقه وتسديده أن هذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الأجفان ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان ولما كان الموت مكروهاً بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الأنبياء حتى يخير وأول ما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة إذا جاء نصر الله والفتح فإن المراد من هذه السورة أنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجاً فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار

فانه قد

فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد النقلة إلينا وقد قيل إن هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في حجة الوداع وقيل عاش بعدها أحداً وثمانين يوماً وعند ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها تسع ليال وعن مقاتل سبعاً وعن بعضهم ثلاثاً ولأبي يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة في أواسط أيام التشريق في حجة الوداع فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع **وفي** حديث ابن عباس عند الدارمي لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال نعيت إلي نفسي فبكت قال لا تبكي فإنك أول أهلي لحوقاً فضحكت الحديث **وروى** الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح نعيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فأخذ بأشد ما كان قط اجتهاداً في أمر الآخرة **وللطبراني** أيضاً من حديث جابر لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت إلي نفسي فقال له جبريل والآخرة خير لك من الأولى **وروي** في حديث ذكره ابن رجب في اللطائف أنه تعبد حتى صار كالشن البالي وكان عليه السلام يعرض القرآن كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام مرتين وكان يعتكف العشر الأواخر من رمضان كل عام فاعتكف في ذلك العام عشرين وأكثر من الذكر والاستغفار وقالت أم سلمة كان صلى الله عليه وسلم في أواخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقلت له إنك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم فقال إن ربي أخبرني أني سأرى علماً في أمتي وأني إذا رأيته أن أسبح بحمده وأستغفره ثم تلا هذه السورة وأخرج ابن مردويه من طريق مسروق عن عائشة نحوه **وروى** الشيخان من حديث عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات ثم طلع المنبر فقال إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا فإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وزاد بعضهم فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم **وعن** أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا **قال** فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر

خليلاً ولكن خوة الاسلام لا تبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابي بكر رضي الله عنه
رواه البخاري ومسلم ولمسلم من جندب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
قبل ان يموت بخمس ليال وكان ابو بكر رضي الله عنه فهم الرمز الذي اشار به النبي صلى الله عليه
من قوله ذكره ذلك في مرض موته فاستشعر منه انه اراد نفسه فلذلك بكى وما زال
صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب اجله في آخر عمره فانه لما خطب في حجة الوداع قال
للناس خذوا عني مناسككم فلعلي لا القاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس فقالوا
هذه حجة الوداع فلما رجع عليه السلام من حجه الى المدينة جمع الناس بماء يدعى خماً في طريقه
بين مكة والمدينة فخطبهم وقال ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول
ربي ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته قال الحافظ ابن رجب وكان
ابتداء مرضه عليه السلام في اواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً في المشهور
وكانت خطبته التي خطب بها المذكورة في حديث ابي سعيد الذي قدمته في ابتداء مرضه الذي
مات فيه فانه خرج كما رواه الدارمي وهو معصوب الراس بخرقة حتى اهوى الى المنبر
واستوى عليه فقال والذي نفسي بيده اني لانظر الى الحوض من مقامي هذا ثم قال ان عبداً
عرضت عليه الدنيا الى آخره ثم هبط عنه فما رئي عليه حتى الساعة فلما عرض صلى الله عليه
وسلم على المنبر باختيار اللقاء على البقاء ولم يصرح خفي المعنى على كثير ممن سمع ولم يفهم
المقصود غير صاحبه الخصيص به ثاني اثنين اذ هما في الغار وكان اعلم الامة بمقاصد
الرسول صلى الله عليه وسلم فلما فهم المقصود من هذه الاشارة بكى وقال بل نفديك
باموالنا وانفسنا واولادنا فسكن الرسول صلى الله عليه وسلم جزعه واخذ
في مدحه والثناء عليه على المنبر ليعلم الناس كلهم فضله فلا يقع عليه اختلاف في خلافته
فقال ان امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر رضي الله عنه ثم قال صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذاً من اهل الارض خليلاً لاتخذت ابا بكر خليلاً ولكن اخوة الاسلام لما
كان صلى الله عليه وسلم لا يصلح ان يخالل مخلوقاً فان الخليل من جرت محبته للخليل
منه مجرى الروح ولا يصلح هذا البشر كما قيل

قد تخللت مسلك الروح مني ۞ وبذا سمي الخليل خليلا

اثبت له اخوة الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا
خوخة ابي بكر اشارة الى ان ابا بكر هو الامام بعده فان الامام يحتاج الى سكنى المسجد
والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين المصلين ثم اكد هذا المعنى بامره
صريحاً ان يصلي بالناس ابو بكر فروجع في ذلك وهو يقول مروا ابا بكر ان يصلي
بالناس فولاه امامة الصلاة ولذا كذا قال الصحابة عند بيعة ابي بكر رضي الله عنه
رضيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فلا نرضاك لدنيانا وكان ابتداء مرضه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة كما ثبت في رواية معمر عن الزهري وفي سيرة

ابي معشر

ابي معشر كان في بيت زينب بنت جحش وفي سيرة سليمان التيمي كان في بيت ريحانة والاول هو
المعتمد وذكر الخطابي انه ابتدأ به يوم الاثنين وقيل يوم السبت وقال الحاكم ابو احمد يوم
الاربعاء واختلف في مدة مرضه فالاكثر انها ثلاثة عشر يوماً وقيل اربعة عشر وقيل
اثنا عشر وذكرهما في الروضة وصدر بالثاني وقيل عشرة ايام وبه جزم سليمان التيمي
في مغازيه واخرجه البيهقي باسناد صحيح وفي البخاري قالت عائشة لما ثقل رسول الله
صلى الله عليه وسلم واشتد وجعه استاذن ازواجه ان يمرض في بيتي فاذن له فخرج
وهو بين رجلين يخط رجلاه في الارض بين العباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر قال عبيد الله
فاخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة فقال لي عبد الله ابن عباس هل تدري
من الرجل الآخر الذي لم يسم عائشة قال قلت لا قال ابن عباس هو علي بن ابي طالب الحديث
وفي رواية مسلم عن عائشة فخرج بين الفضل ابن العباس ورجل آخر وفي اخرى بين رجلين
احدهما اسامة وعند الدارقطني اسامة والفضل وعند ابن حبان في اخرى بريرة
ونوبة بضم النون وسكون الواو ثم موحدة قيل وهو اسم امة وقيل عبد وعند
سعد من وجه آخر الفضل وثوبان وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها
بان خروجه تعدد فيتعدد من اتكأ عليه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم
قال لنسائه اني لا استطيع ان ادور بيوتكن فان شئتن اذنتن لي رواه احمد
وفي رواية هشام بن عروة عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اين انا غداً اين انا
غداً يريد يوم عائشة وذكر ابن سعد باسناد صحيح عن الزهري ان فاطمة هي التي
خاطبت امهات المؤمنين بذلك فقالت لهن انه يشق عليه الاختلاف وفي رواية
ابن ابي مليكة عن عائشة ان دخوله عليه السلام بيتها كان يوم الاثنين وموته يوم
الاثنين الذي يليه وفي مرسل ابي جعفر عند ابن ابي شيبة انه صلى الله عليه وسلم قال
اين اكون انا غداً كررها فعرفن ازواجه انما يريد عائشة فقلن يا رسول الله قد
وهبنا ايامنا لاختنا عائشة وفي رواية هشام ابن عروة عن ابيه عند الاسماعيلي
كان يقول اين انا حرصاً على بيت عائشة فلما كان يومي اذن له نساؤه ان يمرض في بيتي
وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى يوم من جنازة بالبقيع وانا
اجد صداعاً في راسي وانا اقول وا راساه فقال بل انا وا راساه ثم قال ما ضرك
لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقالت لكاني بك
والله لو فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتي فاعرست فيه ببعض نسائك فتبسم صلى
الله عليه وسلم ثم بدئ في وجعه الذي مات فيه رواه احمد والنسائي وفي
البخاري قالت عائشة وا راساه فقال صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وانا حي
فاستغفر لك وادعو لك فقالت عائشة وا ثكلاه والله اني لاظنك تحب موتي
فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرساً ببعض ازواجك فقال صلى الله عليه وسلم

بل انا وا راساه لقد هممت او اردت ان ارسل الى ابي بكر وابنه فاعهد ان يقول القايلون او يتمنى
المتمنون ثم قلت يابى الله ويدفع المومنون او يدفع الله ويابى المومنون وقوله بل انا وا راساه
اضراب يعني دعي ذكر ما تجدينه من وجع راسك واشتغلي بي فان قلت قد اتفقوا على كراهة
شكوى العبد ربه وروى احمد في الزهد عن طاوس انه قال انين المريض شكوى
وجزم ابو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية ان تاوه المريض مكروه قلت
قلت تعقبه النووي فقال ضعيف وباطل فان المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود
وهذا لم يثبت فيه ذلك ثم احتج بحديث عايشة هذا ثم قال فلعلهم ارادوا بالكراهة
خلاف الاولى فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر اولى قال في فتح الباري ولعلهم اخذوه
بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضا وتورث
شماتة الاعدا واما اخبار المريض صديقه او طبيبه عن حاله فلا باس به اتفاقا
فليس ذكر الوجع شكاية فكم من ساكت وهو ساخط وكم من شاك وهو راض فالمعول
في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان وقد تبين كما نبه عليه في اللطايف ان
اول مرضه كان عليه السلام كان صداع الراس والظاهر انه كان مع حمى فان الحمى
اشتدت به في مرضه فكان يجلس في مخضب ويصب عليه الما من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن
يتبرد بذلك وفي البخاري قالت عايشة لما دخل بيتي واشتد وجعه قال اهريقوا
علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن لعلي اعهد الى الناس فاجلسناه في مخضب لحفصة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده
ان قد فعلتن الحديث وقد قيل في الحكمة في هذا العدد ان له خاصية في دفع ضرر
السم والسحر وتقدم قوله عليه السلام فهذا اوان انقطاع
ابهري من ذلك السم وتمسك بعض من انكر نجاسة سؤر الكلب وزعم ان الامر منه
بالغسل سبعا انما هو لدفع السمية التي في ريقه وكانت عليه صلوات الله وسلامه
عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال انا
كذلك يشدد علينا البلا ويضاعف لنا الاجر رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا والحاكم
وقال صحيح الاسناد كلهم من رواية ابي سعيد الخدري وقالت عايشة ما رايت احدا
كان اشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت يا رسول الله
انك توعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك
الاجرين قال اجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه اذى شوكة فما فوقها الا كفر الله به سيئاته
كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة
وقد تفتح الحمى وقيل الم الحمى فقيل ارعادها الموعوك وتحريكها اياه وعن الاصمعي الوعك
الحر فان كان محفوظا فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها قال ابو هريرة ما من
وجع يصيبني احب الي من الحمى انها تدخل في مفصل من ابن ادم وان الله يعطي كل مفصل قسطا

من الاجر

من الاجر واخرج النسائي وصححه الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان اخت حذيفة قالت
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نسا نعوده فاذا سقا يقطر عليه من شدة الحمى
فقال ان من اشد الناس بلا الانبيا ثم الذين يلونهم وفي حديث عايشة انه صلى الله
عليه وسلم كان بين يديه علبة او ركوة فيها ما فجعل يدخل يديه في الما فيمسح بهما
وجهه يقول لا اله الا الله ان للموت سكرات الحديث رواه البخاري وروي ايضا
عن عروة انه صلى الله عليه وسلم قال ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر
فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم وفي رواية ما زالت اكلة خيبر
تعادني والاكلة بالضم اللقمة التي اكل من الشاة وبعض الرواة يفتح الالف وهو خطا
لانه عليه السلام لم ياكل منها الا لقمة واحدة قاله ابن الاثير ومعنى الحديث انه نقض
عليه سم الشاة التي اهدتها له اليهودية فكان ذلك يثور عليه احيانا والابهر عرق
مستبطن بالصلب يتصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه وقد كان ابن مسعود
وغيره يرون انه صلى الله عليه وسلم مات شهيدا من السم وعند البخاري ايضا قالت
ان رسول الله عليه الصلوة والسلام كان اذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات
ومسح بيده فلما اشتكى وجعه الذي مات فيه طفقت انفث عليه بالمعوذات
التي كان ينفث وامسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية مالك وامسح بيده
رجا بركتها ولمسلم فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انفث عليه وامسحه بيد نفسه
لانها كانت اعظم بركة من يدي واطلقت على السور الثلاث المعوذات تغليبا
وفي البخاري عن عايشة دخل عبد الرحمن بن ابي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وانا
مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فابده رسول الله صلى الله
عليه وسلم بصره فاخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ثم دفعته الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاستن به فما رايته استن استنانا قط احسن منه الحديث قوله فابده بتشديد
الدال المهملة اي مد نظره اليه وقوله فقضمته بكسر الضاد المعجمة اي لطوله ولازالة
المكان الذي تسوك به عبد الرحمن ثم طيبته اي لينته بالما وفي رواية ايضا قالت
ان من نعم الله علي ان الله تعالى جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل علي عبد الرحمن وبيده
سواك وانا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك
فقلت اخذه لك فاشار براسه ان نعم وفي رواية مر عبد الرحمن وفي يده جريدة رطبة
فنظر اليه صلى الله عليه وسلم فظننت ان له بها حاجة فاخذتها فنفضت راسها ونفضتها
ودفعتها اليه فاستن بها كاحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها فسقطت يده او سقطت من
يده فجمع الله بين ريقي وريقه في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة وفي حديث خرجه
العقيلي انه صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه ايتيني بسواك رطب فامضغيه ثم ايتيني
امضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهون علي عند الموت قال الحسن لما هلك

الانبيا الموت هون الله عليهم ذلك ليلقا الله وبكلا احبوا من تحفة وكرامة حتى ان نفس احدهم
لتنزع من بين جنبيه وهو يحب لذلك لما قد مثل له وفي المسند عن عايشة ايضا ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال انه ليهون علي لاني رايت بياض كف عايشة في الجنة وخرجه ابن سعد
وغيره مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال لقد رايتها في الجنة حتى ليهون علي ذلك موتي
كاني اري كفيها يعني عايشة فقد كان عليه السلام يحب عايشة حبا شديدا حتى لا يكاد
يصبر عنها فمثلت له بين يديه في الجنة ليهون عليه موته فان العيش انما يطيب باجتماع
الاحبة وقد سال له صلى الله عليه وسلم رجل فقال اي الناس احب اليك فقال عايشة
فقال من الرجال فقال ابوها ولهذا قال لها في ابتداء مرضه لما قالت وا راساه وددت
ان ذلك كان وانا حي فاصلي عليك وادفنك فعظم ذلك عليها فظنت انه يحب فراقها
وانما كان عليه السلام يريد تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما وروي انه كان عنده
صلى الله عليه وسلم في مرضه سبعة دنانير فكان يامرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه
فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها في كفه وقال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده
هذه ثم تصدق بها كلها رواه البيهقي انظر اذا كان هذا سيد المرسلين وحبيب رب
العالمين المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكيف حال من لقي الله وعنده دما المسلمين واموالهم
المحرمة وما ظنه بربه تعالى وفي البخاري من طريق عروة عن عايشة رضي الله عنها
قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء
فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت فسالناها عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه
وسلم انه يقبض في مرضه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فاخبرني اني اول اهله يتبعه
فضحكت وفي رواية مسروق عن عايشة اقبلت فاطمة تمشي كان مشيتها مشية النبي
صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا يا بنتي ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ثم سارها ولابي
داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عايشة بنت طلحة عن عايشة
قالت ما رايت احدا اشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها
وقعودها من فاطمة وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام لها وقبلها
واجلسها في مجلسه وكان اذا دخل عليها فعلت ذلك فلما مرض دخلت عليه فاكبت
عليه فقبلته واتفقت الروايتان على ان الذي سارها به اولا فبكت هو اعلامه
اياها بانه ميت من مرضه ذلك واختلفا فيما سارها به فضحكت ففي رواية عروة
انه اخباره اياها بانها اول اهله لحوقا به وفي رواية مسروق انه اخباره اياها
انها سيدة نسا اهل الجنة وجعل كونها اول اهله لحوقا به مضموما الى الاول
وهو الراجح فان حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة وهو
من الثقات الضابطين فمما زاده مسروق قول عايشة فقلت ما رايت كاليوم فرحا
اقرب من حزن فسالتها عن ذلك فقالت اسر الي ان جبريل كان يعارضني القران كل سنة

مرة وانه عارضني العام مرتين ولا اراه الا حضر اجلي وانك اول اهل بيتي لحوقا بي وفي
رواية عايشة بنت طلحة من الزيادة ان عايشة لما بكاها وضحكها قالت ان كنت لاظن
ان هذه المراة من اعقل النسا فاذا هي من النسا ويحتمل تعدد القصة وفي رواية
عن عروة الجزم بانه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق ففيها انه ظن ذلك بطريق
الاستنباط مما ذكره من معارضة القران وقد يقال لا منافاة بين الخبرين الا بالزيادة
ولا يمتنع ان يكون اخباره بكونها اول اهله لحوقا به سببا لبكايها ولضحكها معا باعتبارين
فذكر كل من الروايتين ما لم يذكره الاخر وقد روى النسائي من طريق ابي سلمة عن عايشة في
سبب البكا انه ميت وفي سبب الضحك الامرين الاخيرين ولابن سعد من رواية ابي سلمة عنها
ان سبب البكا موته وسبب الضحك لحاقها به وعند الطبراني من وجه اخر عن عايشة انه قال
لفاطمة ان جبريل اخبرني انه ليس امراة من نساء المومنين اعظم رزية منك فلا تكوني ادنى
امراة منهن صبرا وفي الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم بما سيقع فوقع كما قال صلى الله
عليه وسلم فانهم اتفقوا على ان فاطمة رضي الله عنها كانت اول من مات من اهل بيت النبي
صلى الله عليه وسلم بعده حتى من ازواجه عليه السلام وقد كان صلى الله عليه وسلم من شدة
وجعه يغمى عليه في مرضه ثم يفيق واغمي عليه مرة فظنوا ان وجعه ذات الجنب فلدوه فجعل يشير
اليهم ان لا تلدوني فقالوا كراهية المريض للدوا فلما افاق قال الم انهكم ان تلدوني فقالوا كراهية
المريض للدوا فقال لا يبقى احد في البيت الا لد وانا انظر الا العباس فانه لم يشهدكم رواه
البخاري واللد هو ما يجعل في جانب الفم من الدوا فاما ما يصب في الحلق فيقال له
الوجور وعند الطبراني من حديث العباس فقالوا اذا بنا قسط بزيت ولدوه به وفي قوله لا يبقى
احد في البيت الا لد اخرج مخرج القصاص فيما يصاب به الانسان وفيه نظر لان الجميع لم
يتعاطوا ذلك وانما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عما نهاهم عنه قال
ابن العربي اراد ان لا ياتوا يوم القيمة عليهم حقه فيقعوا في خطيئة عظيمة وتعقب بانه
كان يمكن ان يقع العفو ولانه كان لا ينتقم لنفسه والذي يظهر انه اراد بذلك تاديبهم
لئلا يعودوا فكان ذلك تاديبا لا اقتصاصا ولا انتقاما قيل وانما كره اللدود مع
انه كان يتداوى لانه تحقق انه يموت في مرضه ومن تحقق ذلك كره له التداوي لانه كان
غير ملايم لدايه لانهم ظنوا ان به ذات الجنب فداووه بما يلايمها ولم يكن به ذلك كما هو ظاهر
في سياق الخبر وعند ابن سعد قال كانت تاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصرة فا
شتدت به فاغمي عليه فلددناه فلما افاق قال كنتم ترون ان الله يسلط علي ذات
الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا والله لا يبقى احد في البيت الا لد ولددنا ميمونة
وهي صايمة وقد روى ابو يعلى بسند ضعيف فيه ابن لهيعة من وجه اخر عن عايشة انه صلى
الله عليه وسلم مات من ذات الجنب وجمع بينهما بان ذات الجنب تطلق بازاء مرضين
احدهما ورم حار يعرض في الغشا المستبطن والاخر ريح محتقن بين الاضلاع فالاول هو المنفي

وقد وقع في رواية الحاكم في المستدرك ذات الجنب من الشيطان والثاني هو الذي
اثبت هنا وليس فيه محذور كالاول وفي حديث ابن عباس عند البخاري لما حضر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب لكم كتابا
لا تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم
القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قوموا يكتب
لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول
ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب
لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم قال المازري انما جاز للصحابة الاختلاف
في هذا الكتاب مع صريح امره لهم بذلك لان الاوامر قد يقارنها ما ينقلها
من الوجوب فكانه ظهر منه قرينة دلت على ان الامر ليس على التحتيم بل على الاختيار
فاختلف اجتهادهم وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بانه صلى
الله عليه وسلم قال ذلك عن غير قصد جازم وقال النووي اتفق العلماء على
ان قول عمر حسبنا كتاب الله من قوة فقهه ودقيق نظره لانه خشي ان يكتب امورا
ربما عجزوا عنها فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة واراد ان لا ينسد
باب الاجتهاد على العلماء وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر اشارة الى
تصويبه واشار بقوله حسبنا كتاب الله الى قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
ولا يعارض ذلك قول ابن عباس ان الرزية الى اخره لان عمر كان افقه منه قطعا ولا يقال
ان ابن عباس لم يكتف بالقرآن مع انه حبر القرآن واعلم الناس بتفسيره وتاويله ولكنه
اسف على ما فاته من البيان بالتنصيص عليه بكونه اولى من الاستنباط والله اعلم
ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم وجعه قال مروا ابا بكر فليصل بالناس رواه
الشيخان فقالت له عايشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل رقيق اسيف اذا قام مقامك
لا يسمع الناس من البكا قال مروا ابا بكر فليصل بالناس رواه الشيخان وابو حاتم واللفظ
له وفي رواية ان ابا بكر رجل اسيف وفي حديث عروة عن عايشة عند البخاري فمر
عمر فليصل بالناس قالت فقلت لحفصة قولي له ان ابا بكر اذا قام في مقامك لم يسمع الناس
من البكا فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مه انكن لانتن صواحب يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعايشة
ما كنت لاصيب منك خيرا والاسيف بوزن فعيل وهو بمعنى فاعل من الاسف
وهو شدة الحزن والمراد رقيق القلب ولابن حبان من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق
عن عايشة في هذا الحديث قال عاصم والاسيف الرقيق الرحيم وصواحب جمع صاحبة
والمراد بهن مثل صواحب يوسف في اظهار خلاف ما في الباطن ثم ان هذا الخطاب وان كان

بلفظ الجمع

بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي عايشة ووجه المشابهة في ذلك ان زليخا استدعت
النسوة واظهرت لهن الاكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو ان ينظرن الى
حسن يوسف ويعذرنها في محبته وان عايشة اظهرت ان سبب ارادتها صرف الامامة
عن ابيها لكونه لا يسمع المومنين القراءة لبكائه ومرادها زيادة على ذلك وهو ان لا يتشاءم
الناس به وقد صرحت هي بذلك كما عند البخاري في باب وفاته عليه السلام فقالت لقد
راجعته وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي ان يحب الناس بعده رجلا
قام مقامه ابدا والا كنت ارى انه لن يقوم احد مقامه الا تشاءم الناس به وتقدم نقل
الدمياطي ان الصديق صلى بالناس سبع عشرة صلاة وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنير
عزاه لسيف ابن عمر في كتاب الفتوح ان الانصار لما راوا رسول الله صلى الله عليه و
يزداد وجعا اطافوا بالمسجد فدخل العباس فاعلمه عليه السلام بمكانهم واشفاقهم
ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي بن ابي طالب فخرج صلى الله عليه
وسلم متوكيا على والفضل والعباس امامه والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب
الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى
عليه وقال ايها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث
اليه فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به فاوصيكم بالمهاجرين الاولين
خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول والعصر ان الانسان لفي خسر
الى اخرها وان الامور تجري باذن الله ولا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله عز
وجل لا يعجل بعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم
ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا
فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم في الثمار
الم يوسعوا لكم في الديار الم يوثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين
رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني
فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض الا فمن احب ان يرده علي غدا
فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل
القسم فاذا بر الناس برهم ايمتهم واذا فجر الناس عقوهم وفي حديث انس عند
البخاري قال مر ابو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقالا
ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا فدخل احدهما على النبي صلى
الله عليه وسلم فاخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب راسه حاشية
برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار
فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا
عن مسيئهم وقوله كرشي وعيبتي اي موضع سري اراد انهم بطانته وموضع امانته

والذين يعتمد عليهم في امورهم واستعار الكرش والعيبة لذلك لان المجتر يجمع علفه في
كرشه والرجل يجمع ثيابه في عيبته وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي يقال
عليه كرش من الناس اي جماعة قاله في النهاية وذكر الواحدي بسند وصله بعبد الله
بن مسعود قال نعى الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بعد موته بشهر فلما دنا الفراق
جمعنا في بيت عايشة فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم
الله رفعكم الله اواكم الله اوصيكم بتقوى الله واستخلفه عليكم واحذركم الله اني لكم
نذير مبين الا تعلوا على الله في بلاده وعباده فانه قال لي ولكم تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
قلنا رسول الله متى اجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة الماوى قلنا
يا رسول الله من يغسلك قال رجال اهل بيتي الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله فيم نكفنك قال
في ثيابي هذه وان شئتم في ثياب مصري وحلة يمنية قلنا
يا رسول الله من يصلي عليك قال اذا انتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري
هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم
اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا علي افواجا فصلوا علي
فوجا فوجا وسلموا تسليما وليبدا بالصلاة علي رجال اهل بيتي ثم نساؤهم
ثم انتم واقروا السلام على من غاب من اصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا
الى يوم القيامة قلنا يا رسول الله من يدخلك قبرك قال اهلي مع ملائكة ربي
وكذا رواه الطبراني في الدعا وهو واه جدا وقالت عايشة كان رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة
ثم يحيى ويخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه فلما افاق شخص
بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت
حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح وفي رواية انها اصغت اليه قبل ان يموت
وهو مستند الى ظهره يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى على رواية
من طريق الزهري عن عروة وما فهمته عايشة من قوله عليه السلام اللهم الرفيق
الاعلى انه خير نظير ما فهمه ابو بكر رضي الله عنه من قوله عليه السلام ان عبدا خيره الله بين
الدنيا وبين ما عنده ان العبد المراد هو النبي صلى الله عليه وسلم حتى بكى كما قدمته
ذكره الحافظ ابن حجر وعند احمد من طريق المطلب بن عبد المطلب ابن عبد الله عن عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما من نبي يقبض الا يرى الثواب ثم يخير
ولاحمد ايضا من حديث مويهبة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوتيت مفاتيح خزاين الارض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي
والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس رفعه

خيرت

خيرت بين ان ابقى حتى ارى ما يفتح على امتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل وفي
رواية ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه عند النسائي وصححه ابن حبان فقال اسأل
الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل فظاهره ان الرفيق المكان
الذي يحصل المرافقة فيه مع المذكورين وقال ابن الاثير في النهاية جماعة
الانبياء يسكنون اعلا عليين وقيل المراد به حضرة القدس وقال السهيلي الحكمة
في اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر
بالقلب حتى يستفاد منها الرخصة لغيره انه لا يشترط ان يكون الذكر باللسان
لان بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر انتهى ملخصا
قال الحافظ ابن رجب وقد روي ما يدل على انه قبض ثم راى مقعده من الجنة
ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففي المسند قال يعني عايشة كان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ما من نبي الا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير بين ان ترد اليه
الى ان يلحق فكنت قد حفظت ذلك فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حتى
مالت عنقه فقلت قضى قالت فعرفت الذي قال فنظرت اليه حتى مالت عنقه
فقلت قضى قالت فعرفت الذي قال فنظرت اليه حين ارتفع ونظر فقلت اذن
والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى في الجنة مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
وفي البخاري من حديث عروة عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا او يخير فلما
اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عايشة غشي عليه فلما افاق شخص بصره
نحو سقف البيت ثم قال اللهم في الرفيق الاعلى ونبه السهيلي على ان الثلاثة في هذه الكلمة
بالافراد الاشارة الى اهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد وفي صحيح ابن حبان
عنها قالت اغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجري فجعلت امسحه وادعو
له بالشفا فلما افاق قال اسأل الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل
ولما احتضر صلى الله عليه وسلم واشتد به الامر قالت عايشة ما رايت الوجع على احد
اشد منه على النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده
في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم اعني على سكرات الموت وفي رواية
فجعل يقول لا اله الا الله ان للموت سكرات قال بعض العلماء فيه ان ذلك من شدة
الالم والاوجاع لرفعة منزلته وقال الشيخ ابو محمد المرجاني تلك السكرات
سكرات الطرب الا ترى الى قول بلال حين قال له اهله وهو في السياق واكرباه
ففتح عينيه وقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه فاذا كان هذا طربه في
هذا الحال بلقا محبوبه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقا النبي صلى

مطلب فوائد

الله عليه وسلم لربه تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهذا موضع تقصر
العبارة عن وصف بعضه وفي حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب قال اللهم
إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل فأعني عليه وهونه علي
وعند الإمام أحمد والترمذي من طريق القسم عنها قالت ورأيته وعنده قدح
فيه ماء وهو يموت فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم أعني
على سكرات الموت ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها واكرب
أبتاه فقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم رواه البخاري قال الخطابي
زعم من لا يعد من أهل العلم أن المراد بقوله عليه السلام لا كرب على أبيك بعد
اليوم أن كربه كان شفقة على أمته لما علم من وقوع الاختلاف والفتن بعده
وهذا ليس بشيء لأنه كان يلزم أن تنقطع شفقته على أمته بموته والواقع أنها باقية إلى
يوم القيامة لأنه مبعوث إلى من جاء بعده وأعمالهم تعرض عليه وإنما الكلام على ظاهره
وأن المراد بالكرب ما كان يجده عليه السلام من شدة الموت وكان عليه السلام فيما
يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر انتهى وروى ابن ماجه أنه صلى
الله عليه وسلم قال لفاطمة إنه حضر من أبيك ما الله تعالى بتارك منه أحدا الموافاة
القيمة وفي البخاري من حديث أنس بن مالك أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم
الاثنين وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف
ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلوة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر
على عقبه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة
قال أنس وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلوتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فأشار إليهم بيده صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى
الستر وفي رواية أبي اليمان عن شعيب عند البخاري في الصلوة فتوفي من يومه
وفي رواية أبي معمر عنده أيضا وكلها في حديث أنس لم يخرج إلينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا
فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما
وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا قط كان أعجب إلينا من وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا قال فأومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب الحديث رواه الشيخان وعنه أن أبا بكر كان يصلي
لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم
صفوف في الصلوة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا الحديث رواه مسلم وقد
جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس
وكذا لأبي الأسود عن عروة وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال لما بقي من أجل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا محمد إن الله قد أرسلني إليك إكراما لك وتفضيلا
لك وخاصة لك يسئلك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك فقال أجدني يا جبريل

مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم استأذن
فيه ملك الموت فقال جبريل يا محمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على
آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف
بين يديه فقال يا رسول الله إن الله عز وجل أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك
في كل ما تأمرني إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها وإن أمرتني أن أتركها فقال جبريل
يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك قال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت لما
أمرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطئي من الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا
فقبض روحه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا صوتا
من ناحية البيت السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت
وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل
هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال علي تدرون من هذا هو الخضر عليه
السلام رواه البيهقي في دلائل النبوة وفي تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي وذكر
التعزية المذكورة عن ابن عمر مما ذكره في الإحياء وأن النووي أنكر وجود الحديث لذلك
في كتب الحديث وقال إنما ذكره الأصحاب ثم قال العراقي قد رواه الحاكم في المستدرك
من حديث أنس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضا قال لما
قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل
طويل شعر المنكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على
أصحابه فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت الحديث وفيه ثم ذهب
الرجل فقال أبو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال
أبو بكر لعل هذا الخضر جاء يعزينا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث علي بن أبي
طالب وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين
علي والمعروف عن علي بن الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الأم وليس
فيه ذكر الخضر عليه السلام قال البيهقي قوله إن الله اشتاق إلى لقائك معناه قد
أراد لقاءك بأن يردك من دنياك إلى معادك زيادة في قربك وكرامتك انتهى
وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس قال جاء ملك الموت إلى النبي صلى الله
عليه وسلم في مرضه ورأسه في حجر علي فاستأذن فقال السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فقال له علي ارجع فإنا مشاغل عنك فقال صلى الله عليه وسلم هذا ملك
الموت ادخل راشدا فلما دخل قال إن ربك يقرئك السلام فبلغني أن ملك الموت
لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله

عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي رواه
البخاري والحاقنة بالحاء المهملة والقاف والنون اسفل من الذقن والذاقنة
طرف الحلقوم والسحر بفتح السين وسكون الحاء المهملتين هو الصدر والنحر بفتح
وسكون الحاء المهملة والمراد انه صلى الله عليه وسلم توفي وراسه بين حنكها
وصدرها وهذا لا يعارضه ما اخرجه الحاكم وابن سعد من طريق انه صلى
الله عليه وسلم مات وراسه في حجر علي لان طريق طريق ما اخرجه الحاكم منها
كما قاله الحافظ ابن حجر لا يخلو عن شيء فلا يلتفت لذلك والله اعلم قال السهيلي
وجدت في بعض كتب الواقدي ان اول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو
مسترضع عند حليمة الله اكبر واخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى وروى الحاكم من
حديث انس اخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم جلال ربي الرفيع ولما توفي صلى الله
عليه وسلم كان ابو بكر غائبا بالسنح يعني العالية عند زوجته بنت خارجة وكان
عليه السلام قد اذن له في الذهاب اليها فسل عمر بن الخطاب سيفه وتوعد من
يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول انما ارسل اليه كما ارسل
الى موسى عليه السلام فلبث عن قومه اربعين ليلة والله اني لارجو ان تقطع
ايدي رجال وارجلهم فاقبل ابو بكر من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة
فدخل فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكي ويقول
توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما اطيبك حيا وميتا
ذكره الطبري في الرياض وقالت عائشة اقبل ابو بكر على فرسه من مسكنه بالسنح
حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه واكب عليه فقبله ثم بكى وقال
بابي انت وامي لا يجمع الله عليك موتتين اما الموتة التي كتبت عليك
فقد متها رواه البخاري واختلف في قول ابي بكر رضي الله عنه لا يجمع الله
عليك موتتين فقيل هو على حقيقته واشار بذلك الى الرد على من زعم
انه سيحيى فيقطع ايدي رجال لانه لو صح ذلك للزم ان يموت موتة اخرى
فاخبر انه اكرم على الله من ان يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره كالذين خرجوا
من ديارهم وهم الوف وكالذي مر على قرية وهذا اوضح الاجوبة واسلمها
وقيل اراد لا يموت موتة اخرى في القبر كغيره اذ يحيى فيسال ثم يموت وهذا جواب
الداودي وقيل لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك وقيل كنى بالموت
الثاني عن الكرب اي لا يلقى كرب هذا الموت كربا اخر قاله في فتح الباري وعنها
ان عمر قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ابو بكر
فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بابي انت وامي طبت حيا

وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين ابدا ثم خرج فقال ايها الحالف على
رسلك فلما تكلم ابو بكر جلس عمر فحمد الله ابو بكر واثنى عليه وقال الا من كان يعبد
محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال انك ميت
وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية قال
فنشج الناس يبكون رواه البخاري قال في الباري اذا غص بالبكاء في حلقه من غير
انتحاب وعن سالم بن عبيد الاشجعي قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاخذ بقائم سيفه وقال
لا اسمع احدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي
هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فخرجت الى المسجد فاذا بابي بكر فلما رايته اجهشت بالبكاء فقال يا سالم
امات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب يقول
لا اسمع احدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعلت ان هذا
عمر بن الخطاب الا ضربته بسيفي هذا قال فاقبل ابو بكر حتى دخل على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو مسجى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى الريح
ثم سجاه والتفت الينا فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية
وقال انك ميت وانهم ميتون يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد
مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال عمر فوالله لكاني
لم اتل هذه الايات قط خرجه الحافظ ابو احمد بن الحرث كما ذكره الطبري في الرياض
له وقال خرج الترمذي معناه بتمامه واستنشى الريح شممها اي شم ريح الموت
وعند احمد عن عائشة قالت سجيت النبي صلى الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة
ابن شعبة فاستاذنوا فاذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه
ثم قاما فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يموت حتى يفني الله المنافقين ثم جاء ابو بكر فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا
لله وانا اليه راجعون مات رسول الله وفي حديث ابن عباس عند البخاري
ان ابا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فابى عمر ان يجلس
فاقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال ابو بكر اما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد
مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل قال والله لكان الناس لم يعلموا ان الله انزل الاية حتى
تلاها ابو بكر فتلقاها الناس منه كلهم فما اسمع بشرا من الناس الا يتلوها وفي
حديث ابن عمر عند ابن ابي شيبة ان ابا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا اظهروا الاستبشار

وارتفعوا وسبهم فقال ايها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الم تسمع
الله يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم اتى
المنبر الحديث قال القرطبي ابو عبد الله المفسر وهذا ادل دليل على شجاعة الصديق
فان الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة اعظم من موت
النبي صلى الله عليه وسلم فظهرت عنده شجاعته وعلمه قال الناس لم يمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطرب الامر فكشفه الصديق بهذه الاية
فرجع عمر عن مقالته التي قالها كما ذكره الوايلي ابو نصر عبد الله في كتاب الابانة
عن انس بن مالك انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بويع ابو بكر رضي الله عنه
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه السلام تشهد ثم
قال اما بعد فاني قلت لكم امس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت
المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكني كنت ارجو ان يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا اي يكون
اخرنا موتا او كما قال فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم
وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو نصر المقالة التي قالها ثم رجع عنها هي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى تقطع ايدي وارجل وكان ذلك لعظيم ما ورد
عليه وخشي الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر
وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وقوله انك ميت وانهم
ميتون وخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كانها لم تنزل قط الا ذلك
اليوم انتهى • وقال ابن المنير لما مات صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم
من خبل ومنهم من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من اخرس فلم يطق الكلام ومنهم
من اضني وكان عمر ممن خبل وكان عثمان ممن اخرس يذهب به ويجاء ولا يستطيع
كلاما وكان علي ممن اقعد فلم يستطع حراكا واضني عبد الله بن انيس فمات كمدا
وكان اثبتهم ابو بكر رضي الله عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد
وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فاكب
عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم
ينقطع لموت احد من الانبيا فعظمت عن الصفة وجللت عن البكا ولو ان موتك
كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك
ووقع في حديث ابن عباس وعايشة عند البخاري ان ابا بكر قبل النبي صلى الله
عليه وسلم بعدما مات كما قدمنا وكذا في رواية غيره وفي رواية يزيد بن بابنوس
عنها عند احمد انه اتاه من قبل راسه فحدر فاه فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم

رفع راسه

رفع راسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال واصفياه ثم رفع راسه فحدر فاه وقبل
جبهته وقال واخليلاه • وعند ابن ابي شيبة عن ابن عمر فوضع فاه على جبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله ويبكي • ويقول بابي انت وامي طبت حيا وميتا
وعن عايشة ان ابا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعده فوضع فاه بين عينيه
ووضع يديه على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه اخرجه ابن عرفة العبدي
كما ذكره الطبري قال ولا تضاد بين هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم مما
تضمن بيانه بان يكون قد قال ذلك من غير انزعاج ولا قلق خافتا به صوته ثم
التفت اليهم وقال لهم ما قال • واخرج البيهقي وابو نعيم من طريق الواقدي عن
شيوخه انهم شكوا في موته صلى الله عليه وسلم قال بعضهم قد مات وقال
بعضهم لم يمت فوضعت اسما بنت عميس يدها بين كتفيه عليه السلام فقالت قد
توفي قد رفع الخاتم من بين كتفيه فكان هذا الذي قد عرف به موته • واخرجه
ابن سعد عن الواقدي ايضا ولما توفي عليه السلام قالت فاطمة يا ابتاه اجاب
ربا دعاه يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه يا ابتاه الى جبريل ننعاه جزم به
سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان قال والاول متوجه فلا معنى لتغليط الرواة
بالظن وزاد الطبراني يا ابتاه من ربه ما ادناه وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها
بعده صلى الله عليه وسلم ستة اشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه • وان كان من ليلى على الهجر طاويا

واخرج ابو نعيم عن علي قال لما قبض صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا الى السما
والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السما ينادي وامحمداه الحديث كل المصائب
تهون عند هذه المصيبة في سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه
ايها الناس ان احدا من الناس ومن المؤمنين اصيب بمصيبة فليتعز
بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان احدا من امتي لن يصاب بمصيبة
بعدي اشد عليه من مصيبتي • وقال ابو الجوزا كان الرجل من اهل المدينة اذا
اصابته مصيبة جاء اخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان في رسول
الله اسوة حسنة ويعجبني قول القائل

اصبر لكل مصيبة وتجلد • واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها • نوب تنوب اليوم تكشف في غد
واذا اتتك مصيبة تشجى بها • فاذكر مصابك بالنبي محمد

ورحم الله القائل

تذكرت لما فرق الدهر بيننا • فعزيت نفسي بالنبي محمد
فقلت لها ان المنايا سبيلنا • فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقته صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذي كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر حن إليه وصاح كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال هذه خشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه وروي أن بلالا لما كان يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فإذا قال أشهد أن محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن ترك بلال الأذان ما أمر عيش من فارق الأحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الألباب

لو ذاق من طعم الفراق رضوى ... لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوقي ... يعجز عن حمله الحديد

وقد كان وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد الضحى ودفن يوم الثلاثاء وقيل ليلة الأربعاء فعند ابن سعد في الطبقات عن علي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وعنده أيضا عن عكرمة توفي يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل وعنده أيضا عن عثمان بن محمد الأخنسي توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الأربعاء وروي أيضا عن أبي بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده توفي يوم الاثنين فمكث يوم الاثنين ويوم الثلاثاء حتى دفن يوم الأربعاء

ورثته عمته صفية بأبيات كثيرة منها قولها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده ... ولكنني أخشى من الهجر آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد ... على حدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو أن رب الناس أبقاه بيننا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن را ضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته ... يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه أبو سفيان ابن الحارث فقال

أرقت فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل

وذاك

وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق بقوله

لما رأيت نبينا متجدلا ... ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه ... والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك إن حبك قد ثوى ... فالصبر عنك لما بقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي ... غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدائع من بعده ... تعيى بهن جوانح وصدور

ورثاه الصديق أيضا بقوله

ودعنا الوحي إذ وليت عنا ... فودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا ... تضمنه القراطيس الكرام

ولقد أحسن حسان بقوله يرثيه عليه السلام

كنت السواد لناظري ... فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر الصديق ورجع إلى قوله قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول الخبر ذكره أبو العباس القصار في شرحه لبردة الأبوصيري ونقله عن الرشاطي في كتابه اقتباس الأنوار والتماس الأزهار وذكره ابن الحاج في المدخل وساق تمامه والقاضي عياض في الشفا لكنه ذكر بعضه ويقع في كثير من نسخ الشفا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد الكاف من بكى والصواب فيها التخفيف لأن هذا

الكلام انما سمع من عمر رضي الله عنه بعد موته صلى الله عليه وسلم كما تقدم ونبهت عليه في حاشية الشفا والله اعلم ويؤيد هذا قوله في الخبر نفسه بابي انت وامي يا رسول الله لقد ابعثك في قصر عمرك ما لم يبلغ نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد امن بك الكثير وما امن معه الا القليل واخرج ابن عساكر عن ابي ذويب الهذلي قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عليل فاوجس اهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان قرب السحر هتف هاتف وهو يقول

خطب اجل اناخ بالاسلام ... بين النخيل ومقعد الاطام
قبض النبي محمد فعيوننا ... تبدي الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السما فلم ار الا سعد الذابح فعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قبض او هو ميت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكا كضجيج الحجيج اذ اهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق عن عايشة انهم لما ارادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا القى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون ما هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الما فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلايل النبوة وروى ابن ماجة بسند جيد يرفعه اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب من بير غرس في النهاية بفتح الغين المعجمة وسكون الراء والسين المهملة وقد روى ابن النجار انه عليه السلام قال رايت الليلة اني اصبحت على بير من الجنة فاصبح على بير غرس فتوضا منه وبزق فيها وغسل صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الاولى بالما القراح والثانية بالما والسدر والثالثة بالما والكافور وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم واسامة وشقران مولاه النبي صلى الله عليه وسلم يصبون الماء واعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي لا يغسلني الا انت فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه رواه البزار والبيهقي واخرج البيهقي عن الشعبي قال غسل علي النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله بابي انت وامي طبت حيا وميتا واخرجه ابو داود وصحح الحاكم عن علي قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم ار شيا وكان طيبا حيا وميتا وفي رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط قيل وجعل علي على يده خرقة وادخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضوا منه ذراعيه وجبهته وكفيه وقدميه وجمروه عودا وندا

وذكر

وذكر ابن الجوزي انه روي عن جعفر بن محمد قال كان الما لا يستنقع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي يحسوه واما ما روي ان عليا لما غسله عليه السلام امتص ما في محاجر عينيه فشربه وانه قد ورث بذلك علم الاولين والاخرين فقال النووي ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عايشة قالت كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب بيض سحولية اخرجه النسائي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة واتفق عليه الايمة الستة من طريق هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة بزيادة من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند الترمذي ولا ابن ماجة زاد مسلم اما الحلة فانما شبه على الناس فيها انها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة اثواب بيض سحولية فاخذها عبد الله ابن ابي بكر فقال لاحبسنها حتى اكفن فيها نفسي ثم قال لو رضيها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها فباعها فتصدق بثمنها وفي رواية له ادرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلة يمنية كانت لعبد الله ابن ابي بكر ثم نزعت عنه وذكر الحديث وفي رواية اصحاب السنن الاربعة فذكر لعايشة قولهم في ثوبين وبرد حبرة فقالت قد اتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية البيهقي في ثلاثة اثواب سحولية جدد والسحولية بفتح السين وضمها قال النووي والفتح اشهر وهو رواية الاكثرين وفي النهاية تبعا للهروي فالفتح منسوب الى السحول وهو القصار لانه يسحلها اي يغسلها او الى سحول وهي قرية باليمن واما الضم فهو جمع سحل وهو الثوب الابيض النقي ولا يكون الا من قطن وفيه شذوذ لانه جمع وقيل ان اسم القرية بالضم ايضا والكرسف بضم الكاف واسكان الرا وضم السين المهملتين والفا القطن وقال الترمذي روي في كفن النبي صلى الله عليه وسلم روايات مختلفة وحديث عايشة اصح الاحاديث في ذلك والعمل عليه عند اكثر اهل العلم من الصحابة وغيرهم وقال البيهقي في الخلافيات قال ابو عبد الله يعني الحاكم تواترت الاخبار عن علي ابن ابي طالب وابن عباس وعايشة وابن عمر وجابر وعبد الله بن المغفل في تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة وعن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في سبعة اثواب وقد روى هذا الحديث احمد في مسنده وذكر ابن حزم ان الوهم فيه من ابن عقيل او ممن بعده وقد اختلف في معنى قوله ليس فيها قميص ولا عمامة فالصحيح ان معناه انه ليس في الكفن قميص ولا عمامة اصلا وقيل ان معناه انه كفن في ثلاثة اثواب خارج عن القميص والعمامة قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد والاول اظهر في المراد وذكر النووي في شرح مسلم ان الاول تفسير الشافعي وجمهور العلما قال وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث وقال ان الثاني ضعيف فلم يثبت انه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص وعمامة انتهي

وترتب على هذا اختلافهم في انه هل يستحب ان يكون في الكفن قميص وعمامة ام لا فقال مالك والشافعي واحمد يستحب ان تكون الثلاثة لفايف ليس فيها قميص ولا عمامة واختلفوا في زيادة القميص والعمامة او غيرهما على اللفايف الثلاثة لتصير خمسة فذكر الحنابلة انه مكروه وقال الشافعية انه جائز غير مستحب وقالت المالكية انه يستحب للرجال والنسا وهو في حق النسا اكد قالوا والزيادة الى السبعة غير مكروهة وما زاد عليها سرف وقال الحنفية ان الاثواب الثلاثة ازار وقميص ولفافة وقد اجمع المسلمون على وجوبه وهو فرض كفاية فيجب في ماله فان لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته واختلف اصحابنا في المزوجة اذا كان لها مال هل يجب تكفينها من مالها او على زوجها فذهب الى الاول الرافعي في الشرح الصغير والمحرر والنووي في المنهاج وذهب الى الاول الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة وشرح المهذب وقال فيه قيد الغزالي وجوب الكفن على الزوج بشرط اعسار المراة وانكروه عليه انتهى ومتى كانت معسرة فتكفينها على زوجها قطعا ثم ان الواجب ثوب واحد وهو حق لله تعالى لا تنفذ وصية الميت باسقاطه بخلاف الثاني والثالث فانه حق للميت تنفذ وصيته باسقاطهما وفي هذا الحديث ايضا دلالة على ان القميص الذي غسل فيه النبي صلى الله عليه وسلم نزع عند تكفينه قال النووي في شرح مسلم وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لانه لو ابقي مع رطوبته لافسد الاكفان قال وأما الحديث الذي في سنن ابي داود عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب الحلة ثوبان وقميصه الذي توفي فيه فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد بن زياد احد رواته مجمع على ضعفه لا سيما وقد خالف برواية الثقات وفي حديث ابن عباس عند ابن ماجه لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثا وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا يصلون عليه حتى اذا فرغوا دخل النسا حتى اذا فرغن دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد وفي رواية ان اول من صلى عليه الملايكة افواجا ثم اهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساوه اخرا وروي انه لما صلى اهل بيته لم يدر الناس ما يقولون فسالوا ابن مسعود فامرهم ان يسالوا عليا فقال لهم قولوا ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملايكة المقربين والنبيين والصديقين والشهدا والصالحين وما سبح لك من شي يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام ذكره الشيخ زين الدين المراغي في كتابه تحقيق النصرة ثم قالوا اين تدفنونه فقال ابو بكر

سمعت

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هلك نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه وقال علي وانا ايضا سمعته وحفر ابو طلحة لحد رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع فراشه حيث قبض وقد اختلف فيمن ادخله قبره والاصح ما روي انه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم بن العباس والفضل بن العباس وكان اخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس وروي انه بني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها فرشها شقران في القبر وقال والله لا يلبسها احد بعدك قال النووي وقد نص الشافعي وجميع اصحابه وغيرهم من العلما على كراهة وضع قطيفة او مضربة او مخدة ونحو ذلك تحت الميت في القبر وشذ البغوي من اصحابنا فقال في كتابه التهذيب لا باس بذلك لهذا الحديث والصواب كراهته كما قاله الجمهور واجابوا عن هذا الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه احد من الصحابة ولا علموا بذلك وانما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهيته ان يلبسها احد بعد النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة قال ابن عبد البر اخرجت يعني القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه ابن زبالة ولما دفن صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة رضي الله عنها فقالت كيف طابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب واخذت من تراب القبر الشريف فوضعته على عينيها وانشات تقول

ان لا يشم مدى الزمان غواليا	ماذا على من شم تربة احمد
صبت على الايام عدن لياليا	صبت علي مصايب لو انها

قال رزين ورش قبره صلى الله عليه وسلم رشه بلال ابن رباح بقربة بدا من قبل راسه حكاه ابن عساكر وجعل عليه من حصبا العرصة حمرا وبيضا ورفع قبره من الارض قدر شبر وفي حديث عايشة عند البخاري قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيايهم مساجد لولا ذلك ابرز قبره غير انه خشي او خشي ان يتخذ مسجدا كذا في رواية ابي عوانة عن هلال خشي او خشي على الشك في رواية الضم منهم يعني انه تقربا انها هي التي منعت من ابرازه والضمير الشان وكانها ارادت نفسها ومن وافقها على ذلك وهذا يقتضي انهم فعلوا باجتهاد بخلاف رواية الفتح فانها تقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امرهم بذلك وقولها لابرز قبره اي لكشف قبره صلى الله عليه وسلم ولم يتخذ عليه الحايل والمراد الدفن خارج بيته وهذا قالته عايشة رضي الله تعالى عنها قبل ان يوسع المسجد ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتاتى لاحد ان يصلي الى جهة القبر الكريم مع استقبال القبلة وفي البخاري ايضا من حديث ابي بكر بن عياش عن سفيان التمار انه حدثه انه راى قبر النبي صلى الله عليه

وسلم مسنما اي مرتفعا زاد ابو نعيم في المستخرج وقبر ابي بكر وعمر كذلك واستدل به على ان
المستحب تسنيم القبور وهو قول ابي حنيفة ومالك واحمد والمزني وكثير من الشافعية
وادعى القاضي حسين اتفاق الاصحاب عليه وتعقب بان جماعة من قدماء الشافعية استحبوا
التسطيح كما نص عليه الشافعي وبه جزم الماوردي واخرون وقول سفيان التمار
لا حجة فيه كما قال البيهقي لاحتمال ان قبره صلى الله عليه وسلم في الاول لم يكن
مسنما فقد روى ابو داود والحاكم من طريق القسم بن محمد بن ابي بكر قال دخلت
على عائشة فقلت يا امه اكشفي لي عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم فكشفت لي عن ثلاثة
قبور لا مشرفة ولا لاطية مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء زاد الحاكم فرايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقدما وابا بكر راسه بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وعمر راسه
عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كان في خلافة معاوية فكانها كانت في
الاول مسطحة ثم لما بني جدار القبر في امارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل
الوليد بن عبد الملك صيروها مرتفعة وقد روى ابو بكر الاجري في كتاب صفة
قبر النبي صلى الله عليه وسلم من طريق اسحق بن عيسى بن بنت داود بن ابي هند عن غنيم
بن بسطام المديني قال رايت قبر النبي صلى الله عليه وسلم في امارة عمر بن عبد
العزيز فرايته مرتفعا نحوا من اربع اصابع ورايت قبر ابي بكر وراء قبره ورايت قبر
عمر وراء قبر ابي بكر اسفل منه ثم الاختلاف في ذلك في ايهما افضل لا في اصل الجواز
ورجح المزني التسنيم من حيث المعنى بان المسطح يشبه ما يصنع للجلوس بخلاف المسنم
ويرجح التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد انه امر بقبر فسوي ثم قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها وعن هشام بن عروة عن ابيه
لما سقط عليهم الحائط يعني حائط حجرة النبي صلى الله عليه وسلم في زمان ابن عبد الملك
اخذوا في بنائه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا انها قدم النبي صلى الله عليه وسلم
ما هي الا قدم عمر رواه البخاري ايضا والسبب في ذلك ما رواه الاجري من طريق
شعيب بن اسحاق عن هشام بن عروة قال اخبرني ابي قال كان الناس يصلون
الى القبر الشريف فامر عمر بن عبد العزيز فاتاه عروة فقال هذا ساق عمر وركبته
فسري عن عمر بن عبد العزيز وروى الاجري قال رجا بن حيوة قبر ابي بكر عند
وسط النبي صلى الله عليه وسلم وعمر خلف ابي بكر راسه عند وسطه وهذا ظاهره
يخالف حديث القاسم فان امكن الجمع والا فحديث القاسم اصح واما ما اخرجه ابو يعلى
من وجه اخر عن عائشة ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فسنده ضعيف انتهى ملخصا
من فتح الباري وقد اختلف اهل السير وغيرهم في صفة القبور المقدسة على سبع
روايات اوردها ابن عساكر في تحفة الزائر ونقل اهل السير عن سعيد بن
المسيب قال بقي في البيت موضع قبر في السهوة الشرقية يدفن فيه عيسى بن مريم عليهما

السلام

السلام ويكون قبره الرابع وفي المنتظم لابن الجوزي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ينزل عيسى بن مريم الى الارض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا واربعين سنة ثم يموت
فيدفن معي في قبري فاقوم انا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين ابي بكر وعمر كذا ذكره
في تحقيق النصرة والله اعلم فان قلت تقدم انه عليه السلام توفي يوم الاثنين
ودفن يوم الاربعا فلم اخر دفنه عليه السلام وقد قال عليه السلام لاهل بيت اخروا
دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه فالجواب لما ذكر من عدم اتفاقهم
على موته او لانهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن قال قوم في البقيع وقال اخرون
في المسجد وقال قوم يحمل الى ابيه ابراهيم حتى يدفن عنده حتى قال العالم الاكبر
صديق الامة سمعته يقول ما دفن نبي الا حيث يموت ذكره ابن ماجة والموطا كما نقله
وفي رواية الترمذي ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يجب ان يدفن فيه ادفنوه
في موضع فراشه او لانهم اشتغلوا في الخلاف الذي وقع بين المهاجرين والانصار
في البيعة فنظروا فيها حتى استقر الامر في الخلافة ونظمت فبايعوا ابا بكر ثم بايعوا
بالغد بيعة اخرى عن ملا منهم وكشف الله به الكربة من اهل الردة ثم رجعوا بعد ذلك
الى النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا في دفنه فغسلوه وكفنوه ولما قبض صلى الله عليه وسلم
تزينت الجنان ليوم قدوم روحه الكريمة كالزينة المدينة يوم قدوم الملك اذا كان
عرش الرحمن قد اهتز لموت بعض اتباعه فرحا واستبشارا لقدوم روحه فكيف
بقدومه كما رواه ابو داود من حديث انس وفي رواية الدارمي قال انس ما رايت
يوما كان احسن ولا اضوا من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما رايت يوما كان اقبح ولا اظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
رواية الترمذي لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء
منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء وما نفضنا ايدينا عن
التراب وانا لفي دفنه حتى انكرنا قلوبنا ومن اياته عليه السلام بعد موته ما ذكر من
حزن حمار عليه حتى تردى في بئر وكذا ناقته فانها لم تاكل ولم تشرب حتى ماتت
من ذلك وظهور ما اجرى به انه كان بعد موته مما لا نهاية له ولا عد يحصيه مما ذكرت
بعضه في المقصد الثامن وفي حديث ابي موسى عند مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اذا اراد بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها
واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها
حين كذبوه وعصوا امره وانما كان قبض النبي قبل امته خيرا لانهم اذا قبضوا قبله
انقطعت اعمالهم واذا اراد الله بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا ببقائهم محافظين
على ما امروا به من العبادات ويحسن المعاملات نسلا بعد نسل وعقبا
بعد عقب

الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف

اعلم ان زيارة قبره الشريف من اعظم القربات وارجا الطاعات والسبيل الى اعلا الدرجات ومن اعتقد غير ذلك فقد انخلع من ربقة الاسلام وخالف الله ورسوله وجماعة العلما الاعلام وقد اطلق بعض المالكية وهو ابو عمران الفاسي كما ذكره في المدخل من تهذيب الطالب لعبد الحق انها واجبة قال ولعله اراد وجوب السنن المؤكدة وقال القاضي عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها وروى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي ورواه عبد الحق في احكامه الوسطى وفي الصغرى وسكت عنه وسكوته عن الحديث فيهما دليل على صحته وفي المعجم الكبير للطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان اكون شفيعا له يوم القيامة وصححه ابن السكن وروي عنه صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يغد الي فقد جفاني ذكره ابن فرحون في مناسكه والغزالي في الاحيا ولم يخرجه العراقي بل اشار الى ما اخرجه ابن النجار في تاريخ المدينة مما هو في معناه عن انس بلفظ ما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني الا وليس له عذر ولابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفا والدارقطني في العلل وغرائب مالك واخرين كلهم عن ابن عمر مرفوعا من حج ولم يزرني فقد جفاني ولا يصح وعلى تقدير ثبوته فليس مثل قوله فقد جفاني فانه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفا اذى والاذى حرام بالاجماع فتجب الزيارة اذ ازالة الجفا واجبة وهي بالزيارة فالزيارة واجبة حينئذ وبالجملة فمن تمكن من زيارته ولم يزره فقد جفاه وليس من حقه علينا ذلك فقد وعن حاطب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي ومن مات باحد الحرمين بعث من الامنين رواه البيهقي عن رجل من ال حاطب ولم يسمه عن حاطب وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري او قال من زارني كنت له شفيعا او شهيدا رواه البيهقي وغيره عن رجل من ال عمر لم يسمه عن عمر وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيمة رواه البيهقي ايضا قال العلامة زين الدين ابو الحسين المراغي وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صلى الله عليه وسلم قربة للاحاديث الواردة في ذلك ولقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الاية لان تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته ولا يقال ان استغفار الرسول لهم انما هو في حال حياته وليست الزيارة كذلك لما اجاب به بعض

ايمة

ايمة المحققين ان الاية دلت على تعليق وجدان الله توابا رحيما بثلاثة امور المجي واستغفارهم واستغفار الرسول لهم وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين والمؤمنات لانه صلى الله عليه وسلم قد استغفر للجميع قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فاذا وجد مجيئهم واستغفارهم تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته وقد اجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي واوجبها الظاهرية فزيارته صلى الله عليه وسلم مطلوبة بالعموم والخصوص لما سبق ولان زيارة القبور تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب ولهذا قال بعض العلماء لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنسا وان كان محل الاجماع على الاستحباب زيارة القبور للرجال وفي النسا خلاف الاشهر في مذهب الشافعي الكراهة قال ابن حبيب من المالكية ولا تدع زيارة قبره صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده فان فيه من الرغبة ما لا غنا بك ولا باحد عنه وينبغي لمن نوى الزيارة ان ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلوة فيه لانه احد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال الا اليها وهو افضلها عند مالك وليس لشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة فضل لان الشرع لم يجي ولهذا الامر لا يدخله قياس لان شرف البقعة انما يعرف بالنص الصريح عليه وقد ورد النص في هذه دون غيرها وقد صح ان عمر ابن عبد العزيز كان يبرد البريد للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فالسفر اليه قربة لعموم الادلة ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج من اصحابنا وعبارته اذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزمه الوفا وجها واحدا انتهى ولو نذر اتيان المسجد الاقصى للصلاة لزمه ذلك على الاصح عندنا وبه قال المالكية والحنابلة لكنه يخرج عنه بالصلاة في المسجد الحرام وصحح النووي ايضا انه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة قال ونص عليه الشافعي في البويطي وبه قال الحنفية والحنابلة وللشيخ تقي الدين ابن تيمية هنا كلام بشع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية المحمدية وانه ليس من القرب بل بضد ذلك ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء السقام فشفا صدور المؤمنين وحكى الشيخ ولي الدين العراقي ان والده كان معادلا للشيخ زين الدين عبد الرحمن ابن رجب الدمشقي في التوجه الى بلد الخليل عليه السلام فلما دنا من البلد قال نويت الصلاة في مسجد الخليل ليحترز عن شد الرحال لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة ابن تيمية قال فقلت نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام ثم قلت له اما انت فقد خالفت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وقد شددت الرحل الى مسجد رابع واما انا فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم قال زوروا القبور فقال الا قبور الانبيا قال فبهت ٢ وينبغي لمن اراد الزيارة

ان يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه فاذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به فاليزد الصلاة عليه والتسليم وليسال الله ان ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين وليغتسل وليلبس النظيف من ثيابه وليترجل ماشيا باكيا لما راى وقد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم القوا انفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا اليه فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه ورويناه مما ذكره القاضي عياض في الشفا ان ابا الفضل الجوهري لما ورد الى المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا	فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة	لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وانبئت ان العلامة ابا عبد الله بن رشيد قال لما قدمنا المدينة سنة اربع وثمانين وستمائة كان معي رفيقي الوزير ابو عبد الله بن ابي القاسم بن الحكيم وكان ارمد فلما دخلنا ذا الحليفة او نحوها نزلنا عن الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار فنزل وبادر الى المشي على قدميه احتسابا لتلك الاثار واعظاما لمن حل تلك الديار فاحس بالشفا فانشد لنفسه في وصف الحال

ولما راينا من ربوع حبيبنا	بيثرب اعلاما اثرن لنا الحبا
وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا	شفينا فلا باسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها	ومن بعدها عنا ادلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة	لمن حل فيها ان نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاتها	ونلثم من حب لواطئه التربا
وان بقائي دونه لخسارة	ولو ان كفي تملا الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه	يقيم مع الدعوى ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لا تعدد كثرة	وبعدي عن المختار اعظمها ذنبا

ولما كنت سائرا لقصد الزيارة في ربيع الاخر سنة اثنين وتسعين وثمانمائة ولاح لنا عند الصباح جبل مفرح الارواح المبشر بقرب المزار من شرف الديار تسابق الزوار اليه وتعالوا بالصعود عليه استنجالا لمشاهدة تلك الاثار فبرقت لوامع الانوار النبوية وهبت عرف نسمات المعارف المحمدية فطبنا وغبنا اذ شهدنا اعلام ديار اشرف البرية الامع برق يغتدي ويروح ام النور من ارض الحجاز يلوح وريح الصبا هبت بطيب عرفهم ام الروض في وجه الصباح يفوح اذا ريح ذاك الحي هبت فانها حياة لمن تغدو لها وتروح نرفق بنا يا حادي العيس والنفت فللنور بين الواديين وضوح فما هذه الاديار احمد وذا سنا يغتدي ويروح والا فما للركب هاج اشتياقهم فكل من الشوق الشديد يصيح وانتحطا يا الركب

حتى كانها

حتى كانها حمام على قضب الاراك تنوح وقد مدت الاعناق شوقا وطرفها الى النور من تلك الديار يلوح وان دار من تهوى فزاد اشتياقها ومد معها في الوجنتين سفوح اذا العيس باحت بالغرام ولم تطق جفا فما للصب ليس ينوح ولما قربنا من المدينة واعلامها وتدانينا من معاينة رباها الكريمة واكامها وانتشقنا عرف لطائف ازهارها وبدت لناظرنا بوارق انوارها وترادفت وازادت المنح والعطايا ونزل القوم عن المطايا فانشدت متمثلا

اتيتك زائرا ووددت اني	جعلت سواد عيني امتطيه
وما لي لا اسير على الاماقي	الى قبر رسول الله فيه

ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى اصابت بعض الثرى والجدرات

ايها المغرم المشوق هنيئا	ما انالوك من لذيذ التلاقي
قل لعينيك يهملا سرورا	طال ما اسعداك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا	وجميع الاشجان والاشواق
وامر العين ان تفيض انهمالا	وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وانت محب	ما بقاء الدموع في الاماق

وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسال عن الخبر ويستحب صلاة ركعتين قبل الزيارة قيل وهذا اذا لم يكن مروره من جهة وجه الشريف عليه الصلاة والسلام فان كان استحب الزيارة قبل التحية قال في تحقيق النصرة وهو استدراك حسن قاله بعض شيوخنا وفي منسك ابن فرحون فان قلت المسجد انما يشرف باضافته اليه صلى الله عليه وسلم فينبغي البداءة بالوقوف عنده صلى الله عليه وسلم قلت قال ابن حبيب في كتاب الصلاة حدثني مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قدمت من سفر فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم عليه وهو بفناء المسجد فقال ادخلت المسجد فصليت فيه قلت لا قال فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثم ائت فسلم علي ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلاة وقال ابن الحاج وكل ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم والله اعلم انتهى وينبغي للزائر ان يستحضر من الخشوع ما امكنه وليكن مقتصدا في سلامه بين الجهر والاسرار وفي البخاري ان عمر رضي الله عنه قال لرجلين من اهل الطائف لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ضربا ترفعان اصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا وميتا وروي عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تسمع صوت الوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا تؤذوا رسول

الله صلى الله عليه وسلم قالوا وما عمل علي بن ابي طالب رضي الله عنه مصراعيه الا بالمناصع توقيا لذلك نقله ابن زبالة فيجب الادب معه كما في حياته • وينبغي للزائر ان يتقدم الى القبر الشريف من جهة القبلة وان جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو ابلغ في الادب من الاتيان من جهة راسه المكرم ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم بان يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار ولا عبرة بالقنديل اليوم لان هناك عدة قناديل • وقد روي ان مالكا لما ساله ابو جعفر المنصور العباسي يا ابا عبد الله استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعو ام استقبل القبلة وادعو فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله عز وجل يوم القيامه • وينبغي ان تقف عند محاذاة اربعة اذرع ويلازم الادب والخشوع والتواضع غاض البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه بسلامه كما هو في حال حياته اذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لامته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفا به

فان قلت هذه الصفات مختصة بالله تعالى فالجواب انه من انتقل الى عالم البرزخ من المومنين يعلم احوال الاحيا غالبا وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور في مظنة ذلك من الكتب • وقد روى ابن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك يشهد عليهم • ويمثل الزائر وجهه الكريم عليه السلام في ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظيم حرمته وان اكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه الا كاخي السرار تعظيما لما عظم الله من شانه • وقد روى ابن النجار ان امراة سالت عايشة رضي الله عنها ان اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته فبكت حتى ماتت • وحكي عن ابي الفضايل الحموي احد خدام الحجرة المقدسة انه شاهد شخصا من الزوار الشيوخ اتى باب مقصورة الحجرة الشريفة فطاطا راسه نحو القبة فحركوه فاذا هو ميت وكان ممن شهد جنازته ثم يقول الزائر بحضور قلب • وغض طرف • وصوت • وسكون جوارح واطراق السلام عليك يا رسول الله • السلام عليك يا نبي الله • السلام عليك يا حبيب الله • السلام عليك يا خيرة الله • السلام عليك يا صفوة الله • السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين • السلام عليك يا قايد الغر المحجلين • السلام عليك وعلى اهل بيتك الطيبين • السلام عليك وعلى ازواجك الطاهرات امهات المومنين • السلام عليك وعلى اصحابك اجمعين • السلام عليك وعلى ساير الانبيا وساير عباد الله الصالحين • جزاك الله يا رسول الله افضل ما جزى نبيا ورسولا عن امته وصلى الله

الكبير

عليك كما

عليك كلما ذكرك الذاكرون • وغفل عن ذكرك الغافلون اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك عبده ورسوله وامينه وخيرته من خلقه • واشهد انك قد بلغت الرسالة وادبت الامانة ونصحت الامة وجاهدت في الله حق جهاده • ومن ضاق وقته عن ذلك او عن حفظه فليقل ما تيسر منه او مما يحصل به الغرض • وفي التحفة ان ابن عمر وغيره من السلف كانوا يقتصرون ويوجزون في هذا جدا • فعن مالك ابن انس امام دار الهجرة وناهيك به خبرة بهذا الشان من رواية ابن وهب عنه يقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته • وعن نافع عن ابن عمر انه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد ثم اتى القبر المقدس فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا ابتاه وينبغي ان يدعو ولا يتكلف السجع فانه قد يودي الى الاخلال بالخشوع • وقد حكى جماعة منهم الامام ابو نصر ابن الصباغ في الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله ابن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن ابي سفيان صخر ابن حرب وتوفي سنة ثمان وعشرين ومايتين وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي في مثير العزم الساكن عن محمد بن حرب الهلالي قال اتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست بحذايه فجاء اعرابي فزاره ثم قال يا خيرة الرسل ان الله انزل عليك كتابا صادقا فيه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جيتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك عند الى ربي وانشا يقول

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه • فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفدا لقبر انت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف اعرابي على قبره الشريف • وقال اللهم انك امرت بعتق العبيد • وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف يا هذا تسال العتق لك وحدك هلا سالت لجميع الخلق اذهب فقد اعتقناك من النار

ان الملوك اذا شابت عبيدهم • في رقهم عتقوهم عتق ابرار
وانت يا سيدي اولى بذا كرما • قد شبت في الرق فاعتقني من النار

وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خايبين فنودي يا هذا ما اذنا لك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع انت ومن معك من الزوار مغفورا لكم • وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية ان الله وملايكته يصلون على النبي وقال صلى الله عليك يا محمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي رحمه الله وغيره والاولى ان ينادي يا رسول الله وان كان الرواية يا محمد وقد نبهت على ذلك مع مزيد بيان في كتاب لوامع الانوار في الادعية والاذكار • فان اوصاه احد بابلاغ

عندم

السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فليقل السلام عليك يا رسول الله من فلان ثم ينتقل عن
يمينه قدر ذراع فيسلم على ابي بكر رضي الله عنه لان راسه بحذا منكب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ما جزم به رزين وغيره وعليه الاكثر فيقول السلام عليك يا خليفة
سيد المرسلين • السلام عليك يا من ايد الله به يوم الردة الدين جزاك الله عن الاسلام
والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به • ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيقول السلام عليك يا امير المؤمنين • السلام عليك
يا من ايد الله به الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض
عنا به • ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد السلام على سيدنا ابي بكر وعمر فيحمد الله تعالى ويمجده ويصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم ويكثر الدعا والتضرع ويجدد التوبة في حضرته الكريمة ويسال الله تعالى
بجاهه ان يجعلها توبة نصوحا ويكثر من الصلوة والسلام على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه وقد روى ابو داود من
حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يسلم علي الا رد الله علي
روحي حتى ارد عليه السلام • وعند ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة مرفوعا من صلى
علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته • وعن سليمان بن سحيم مما ذكره القاضي
عياض في الشفا قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله
هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم • ولاشك
ان حياة الانبيا عليهم السلام ثابتة معلومة مستمرة ونبينا صلى الله عليه وسلم
افضلهم واذا كان كذلك فينبغي ان تكون حياته اكمل واتم من حياة سايرهم
فاذا قال سقيم الطبع وردي الفهم لو كانت حياته مستمرة ثابتة لما كان لرد
روحه معنى كما قال الا رد الله علي روحي يجاب عن ذلك من وجوه احدها
ان هذا اعلام بثبوت وصف الحياة وانما الثبوت رد السلام دايما فوصف
الحيوة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند ملزومه او ملزوم
ملزومه فوصف الحياة ثابت دايما لان ملزوم ملزومه ثابت دايما وهذا
من نهايات سحر البيان في اثبات المقصود باكمل انواع البلاغة واكمل فنون البراعة
التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى ومنها ان ذلك عبارة عن اقبال
خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة النبوية الى عالم الدنيا وقوالب الاجساد
الترابية وتنزل الى دايرة البشرية حتى يحصل عند ذلك رد السلام وهذا الاقبال
يكون عاما شاملا حتى لو كان المسلمون في كل لمحة اكثر من الف الف لوسعهم
ذلك الاقبال النبوي والالتفات الروحاني ولقد رايت من ذلك ما لا استطيع
ان اعبر عنه ولقد احسن من سيل كيف يرد النبي صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه في

صلى الله عليه وسلم

مشارق الارض ومغاربها في آن واحد وانشد قول ابي الطيب •
• كالشمس في وسط السما ونورها • يغشى البلاد مشارقا ومغاربا •
ولا ريب ان حاله صلى الله عليه وسلم في البرزخ افضل واكمل من حال الملايكة
هذا سيدنا عزرايل عليه السلام يقبض ماية الف روح في وقت واحد ولا يشغله
قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة الله تعالى مقبل على التسبيح
والتقديس فنبينا صلى الله عليه وسلم يصلي ويعبد ربه ويشاهده لا يزال في
حضرة اقترابه متلذذ بسماع خطابه وقد تقدم الجواب عن قوله تعالى
انك ميت وانهم ميتون في اخر الخصايص من المقصد الرابع وقد روى الدارمي
عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة الا
بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ابن النجار وابن زبالة بلفظ
قال سعيد يعني ابن المسيب فلما حضرت سمعت الاذان في القبر فصليت ركعتين
ثم سمعت الاقامة فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر
المقدس لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال يعني ليالي ايام الحرة • وقد روى
غيره من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الانبيا احيا في قبورهم
يصلون وفي رواية ان الانبيا لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكنهم
يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور وله شواهد في الصحيح منها قوله
صلى الله عليه وسلم مررت بموسى وهو قايم يصلي • وفي حديث ابي ذر في قصة
المعراج انه لقي الانبيا في السموات وكلموه • وقد ذكرت مزيد بيان لذلك في
حجة الوداع من مقصد عباداته وفي ذكر الخصايص الكريمة في مقصد معجزاته
وفي مقصد الاسرا والمعراج وهذه الصلوات والحج الصادر من الانبيا ليس
على سبيل التكليف انما هو على سبيل التلذذ • ويحتمل ان يكونوا في البرزخ ينسحب
عليهم حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور من غير خطاب بتكليف
وبالله التوفيق واذا ثبت شهادة قوله تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون حياة الشهيد ثبت
للنبي صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى • والذي عليه جمهور العلما ان الشهدا
احيا حقيقة وهل ذلك للروح فقط ام للجسد معها بمعنى عدم البلاغة
فيه قولان • وقد صح عن جابر ان اباه وعمرو بن الجموح وكانا ممن استشهد
باحد ودفنا في قبر واحد حتى حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا وكان احدهما
قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه
ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين احد ست واربعين سنة

القصد

من حج

وروي عنه عليه السلام انه قال في شهدا احد والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه رواه البيهقي عن ابي هريرة وقد قال ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزاهرة واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا رواه ابو داود وابن ماجة ونقل ابن زبالة عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كلمه روح القدس لم يؤذن للارض ان تاكل من لحمه

وقد ثبت ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مات شهيدا لاكله يوم خيبر من شاة مسمومة سما قاتلا من ساعته حتى مات منه بشر بن البرا وصار بقاؤه صلى الله عليه وسلم معجزة فكان به الم السم يتعاهده الى ان مات به ولذا قال في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعادني حتى كان الان قطعت ابهري والابهر عرقان يخرجان من القلب يتشعب منهما الشرايين كما ذكره في الصحاح قال العلماء فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة انتهى وقد اختلف في محل الوقوف للدعا فعند الشافعية استقبال وجهه صلى الله عليه وسلم كما ذكرته وقال ابن فرحون من المالكية اختلف اصحابنا في محل الوقوف للدعا ففي الشفا قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف للدعاء ووجهه الى القبر الشريف لا الى القبلة

وقد سال الخليفة منصور مالكا فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى يوم القيمة وقال مالك في المبسوط لا ارى ان يقف عند القبر يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن فرحون ولعل ذلك اختلاف قول وانما امر المنصور بذلك لانه يعلم ما يدعو ويعلم اداب الدعا بين يديه صلى الله عليه وسلم فامن عليه من سوء الادب فافتاه بذلك وافتى العامة ان يسلموا وينصرفوا لئلا يدعوا تلقا وجهه الكريم ويتوسلوا به في حضرته الى الله تعالى فيما لا ينبغي الدعا به او فيما اكره او يحرم فمقاصد الناس وسرايرهم مختلفة واكثرهم لا يعلمون باداب الدعا ولا يعرفها فلذلك امرهم مالك بالسلام والانصراف انتهى ورايت مما نسب للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسكه ولا يقف بالسلام يدعو هناك مستقبل الحجرة ولا يصلي اليها ولا يقبلها فان هذا كله منهي عنه باتفاق الايمة ومالك من اعظم الايمة كراهة لذلك والحكاية المروية عنه انه امر المنصور ان يستقبل القبر وقت الدعا كذب على مالك كذا قال والله تعالى اعلم واما قول الابوصيري في بردة المديح

لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه * طوبى لمنتشق منه وملتثم

فقال شارحها العلامة ابن مرزوق وغيره كان ذلك اشارة الى النوعين المستعملين في

تيمية

الطيب

الطيب لانه اما ان يستعمل بالشم واليه اشار بقوله لمنتشق واما بالتضمخ واليه اشار بملتثم قال واقل ذلك بتعفير جبهته وانفه بتربته حال السجود في مسجده عليه السلام وليس المراد به تقبيل القبر الشريف فانه مكروه ونقل الزركشي عن السيرافي ان طوبى الطيب وكذا قال ابن مرزوق طوبى فعلى من الطيب وهذا مبني على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما لانه كذلك في نفس الامر ادركه من ادركه ام لا واما باعتبار اعتقاد المومن في ذلك فان المومن لا يعدل بشم رايحة تربته عليه الصلوة والسلام شيا من الطيب فان قلت لو كان المراد الحقيقة الحسية لادرك ذلك كل احد والجواب لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل احد بل حتى يوجد الشرط وتنتفي الموانع وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك وانتفا الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لا يدرك رايحة المسك مع ان الرايحة قايمة بالمسك لم تنتف احوال القبر من الامور الاخروية لا جرم لا يدركها من الاحيا الا من كشف له الغطا من الاوليا المقربين لان متاع الاخرة باق وما في الدنيا فان والفاني لا يمتنع بالباقي للتضاد ولا ريب عند من له ادنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره روضة من رياض الجنة بل افضلها واذا كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه السلام الذي هو اطيب الطيب فلا مرية انه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس ورحم الله ابا العباس احمد بن محمد العزفي حيث يقول في قصيدته التي اولها

اذا ما حدى الحادي باجمال يثرب * نكبت المطايا فوق خدي تعبق
فما عبق الريحان الا وتربها * اجل من الريحان طيبا واعبق

ثم قال وانشد له

راحت ركايبهم تبدي روايحها * طيبا فيا طيب ذاك الوفد اشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم * روح اذا نشروا من ذكره فاحا

ولله در القايل

فاح الصعيد بجسمه فكانه * روض تنسم بعرفه المتارج
ما خصه مما يغيره الردى * والروح منه كالصباح الابلج

وقال ابن بطال في قوله عليه السلام المدينة تنصع طيبها هو مثل ضربه للمومن المخلص الساكن فيها الصابر على لاوايها مع فراق الاهل والتزام المخافة من العدو فلما باع نفسه من الله والتزم هذا الامر بان صدقه ونصع ايمانه وقوي لاغتباطه بسكنى المدينة وتقربه من رسوله عليه السلام كما ينصع ريح الطيب فيها ويزيد عبقا على ساير البلاد خصوصية خصت بها بلده رسوله عليه السلام الذي اختار تربتها لمباشرة جسده الطيب الطاهر المطهر وقد جا في الحديث ان المومن يقبر في

التربة التي خلق منها فكانت بهذا تربة المدينة افضل الترب كما انه هو عليه السلام
افضل البشر فلهذا والله اعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلدان انتهى
وينبغي للزائر ان يكثر من الدعا والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به
صلى الله عليه وسلم فجدير لمن استشفع به ان يشفعه الله واعلم ان الاستغاثة
هي طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث منه فلا فرق
بين ان يعبر بلفظ الاستغاثة او التوسل او التشفع او التجوه او التوجه لانهما
من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بصاحب الجاه الي
من هو اعلا منه ۵ ثم ان كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي صلى
الله عليه وسلم كما ذكره في تحقيق النصرة ومصباح الظلام واقع في كل حال قبل خلقه
وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في
عرصات القيامة ۵ فاما الحالة الاولى فحسبك ما قدمته لك في المقصد الاول
من استشفاع ادم عليه السلام به لما اخرج من الجنة وقول الله تعالى له يا ادم لو تشفعت
الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك وفي حديث عمر بن الخطاب عند
الحاكم والبيهقي وغيرهما واذ سال النبي بحقه غفرت لك ويرحم الله ابن جابر حيث قال ۵

به قد اجاب الله آدم اذ دعي ۵	ونجي في بطن السفينة نوح ۵
وما ضرت النار الخليل لنوره ۵	ومن ناره نار العراد تسبح ۵

واما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عليه السلام عند القحط
وعدم الامطار والاستغاثة من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد
العبادات في الاستسقا ومن ذلك استغاثة ذوي العاهات به وحسبك ما رواه النسائي
والترمذي عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا اتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني
قال فامره ان يتوضا فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعا اللهم اني اسالك واتوجه اليك
بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في
وصححه البيهقي وزاد فقام وقد ابصر ۵ واما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته
في البرزخ فهو اكثر من ان يحصى او يدرك باستقصا وفي كتاب مصباح الظلام في
المستغيثين بخير الانام للشيخ ابي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ۵ ولقد كان حصل
لي داء اعيا دواه الاطبا واقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة
الثامن والعشرين من جمادي الاولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها
الله شرفا ومن علي بالعود اليها في عافية بلا محنة فبينا انا نائم اذا رجل معه قرطاس
يكتب فيه هذا دوا الدا احمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الاذن الشريف
النبوي ثم استيقظت فلم اجد بي والله شيا مما كنت اجده وحصل الشفا ببركة
النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ۵ ووقع لي ايضا في سنة خمس وثمانين وثمانمائة

في طريق

في طريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر اذ صرعت خادمتنا غزال
الحبشية واستمر بها اياما فاستغثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فاتاني آت في
منامي ومعه الجني الصارع لها فقال لقد ارسله لك النبي صلى الله عليه وسلم
فعاتبته وحلفته ان لا يعود اليها ثم استيقظت وليس بها علة كانما نشطت
من عقال ولا زالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة في سنة اربع وتسعين وثمانمائة
والحمد لله رب العالمين واما التوسل به صلى الله عليه وسلم في عرصات القيامة فمما
قام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار في حديث الشفاعة فعليك ايها الطالب
ادراك السعادة المؤمل حسن الحال وحضرة الغيب والشهادة بالتعلق باذيال
عطفه وكرمه والتطفل على موائد نعمه والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره
المنيف فهو الوسيلة الى نيل المعالي واقتناص المرام والمفزع يوم الجزع لكافة الرسل
الكرام واجعله امامك فيما نزل من النوازل وامامك فيما يحاول من القرب والمنازل
فانك تظفر من المراد باقصاه وتدرك رضى من احاط بكل شيء علما واحصاه واجتهد
ما دمت بطيبة الطيبة حسب طاقتك في تحصيل انواع القربات ولازم قرع ابواب
السعادات باظافير الطلبات وارق في مدارج العبادات ولج في سرادق المراد

تمتع اذ ظفرت بنيل قرب ۵	وحصل ما استطعت من ادخار ۵
فها انا قد ابحت لكم عطا ۵	وما قد صنت عندي في جواري ۵
فخذ ما شئت من كرم وجود ۵	ونل ما شئت من نعم غزار ۵
فقد وسعت ابواب الندا ۵	وقد قربت للزوار داري ۵
فمتع ناظريك فها جمالي ۵	تجلى للقلوب بلا استتار ۵

ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم خصوصا بالروضة التي ثبت انها
روضة من رياض الجنة كما رواه البخاري قال ابن ابي جمرة معناه تنقل تلك البقعة
بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة ويحتمل ان يكون المراد العمل فيها
يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا
يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة
قال ولكل وجه منهما دليل يعضده ويقويه من جهة النظر والقياس من في مسجده
عليه السلام بالف فيما سواه من المساجد اما الدليل على ان العمل فيها يوجب روضة
في الجنة فلانه اذا كانت الصلاة في مسجده عليه السلام بالف فيما سواه من المساجد
فلهذه البقعة زيادة على غيرها واما كونها بعينها في الجنة وكون المنبر ايضا على الحوض
كما اخبر عليه السلام فان الجذع في الجنة والجذع في البقعة نفسها فالعلة التي اوجبت
للجذع الجنة هي في البقعة سوا على ما اذكره بعد ان شا الله تعالى والذي اخبر
بهذا اخبر بهذا فينبغي حملها على اكمل الوجوه وهو الجمع بينهما لانه قد تقرر من قواعد الشرع

على غيره

ان البقع المباركة ما فايدة بركتها لنا و لا اخبار نبينا لنا الا لتعميرها بالطاعات فان الثواب
فيها اكثر و كذلك الايام المباركة ايضا فعلى هذا يكون الموضع روضة من رياض
الجنة الان و يعود روضة كما كان في موضعه و يكون للعامل بالعمل فيه روضة
في الجنة و هو الاظهر لوجهين احدهما لعلو منزلته عليه السلام و لما خص الخليل عليه
السلام بالحجر من الجنة خص الحبيب عليه الصلاة و السلام بالروضة من الجنة و هنا
بحث لم جعلت هذه البقعة من بين ساير البقع روضة من رياض الجنة فان قلنا
تعبد فلا بحث و ان قلنا لحكمة فحينئذ يحتاج الى البحث و الاظهر انها لحكمة و هي
انها قد سبق في العلم الرباني بما ظهر ان الله عز و جل فضله على جميع خلقه و ان
كل من كان منه بنسبة ما من جميع المخلوقات يكون له تفضيل على جنسه كما
استقري في كل اموره من بدء ظهوره عليه السلام الى حين و فاته في الجاهلية
و الاسلام فمنها ما كان من شان امه و ما نالها من بركته مع الجاهلية الجهلاء
حسب ما هو مذكور معلوم مثل ذلك حليمة السعدية و حتى الاتان و حتى
البقعة التي يجعل الاتان يدها عليها تخضر من حينها و ما هو من ذلك كله معلوم
و كان مشيه عليه السلام حيث ما مشى ظهرت البركات مع ذلك كله و جميع وضع
عليه السلام يده المباركة ظهر في ذلك كله من الخيرات و البركات حسا و معنا كما هو
منقول معروف و لما شاءت القدرة عليه السلام لا بد له من بيت و لا بد له من منبر
و انه بالضرورة يكثر تردده عليه السلام بين المنبر و البيت فالحرمة التي اعطي
اذا كان مشية واحدة بمباشرة او بواسطة حيوان او غيره تظهر البركة و الخير فكيف
مع كثرة تردداه عليه السلام في البقعة الواحدة مرارا في اليوم الواحد طول عمره
من وقت هجرته الى حين وفاته فلم ينلها من الترفيع بالنسبة الى عالمها اعلاها و صفها
و هو انها كانت من الجنة و تعود اليها و هي الان منها و للعامل فيها مثلها فلو كان
مرتبة يمكن ان تكون ارفع من هذه في هذه الدار لكان لها اعلا مرتبة مما ذكرنا
في جنسها **فان احتج** محتج لا فهم له بان يقول ينبغي ان يكون ذلك للمدينة بكمالها
لانه كان عليه السلام يطوها بنفسه مرارا **فالجواب** انه قد حصل للمدينة تفضيل
لم يحصل لغيرها من ذلك ان ترابها شفا كما اخبر عليه السلام مع ما شاركت فيه البقعة
المكرمة من منعها من الدجال و تلك الفتن العظام و انه صلى الله عليه و سلم اول
ما يشفع في اهلها يوم القيمة و ان ما كان بها من الوبا و الحما دفع عنها و انه بورك
في طعامها و شرابها و اشياء كثيرة فكان التفضيل لها بنسبة ما اشرنا اليه اولا بان تردده
عليه السلام في المسجد نفسه اكثر مما في المدينة نفسها و تردده عليه السلام فيما بين
المنبر و البيت اكثر مما سواه من ساير المسجد فالبحث تاكد بالاعتراض لانه جاءت
البركة متناسبة لتكرار تلك الخطوات المباركة و القرب من تلك النسمة المرفعة

انتهى

لاختفائه

لاختفائه الا على اعمى البصيرة فالمدينة ارفع المدن و المسجد ارفع المساجد و البقعة ارفع
البقع قضية معلومة و حجة ظاهرة موجودة انتهى **و قال** الخطابي المراد من هذا الحديث
الترغيب في سكنى المدينة و ان من لازم ذكر الله في مسجدها آل به الى روضة الجنة و سقي
يوم القيامة من الحوض انتهى و تقدم في الخصايص من مقصد المعجزات مزيد لذلك و عند مسلم
من حديث بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه و سلم **قال** صلاة في مسجدي
هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام و قد اختلف العلماء في المراد بهذا
الاستثنا على حسب اختلافهم في مكة و المدينة ايهما افضل فذهب سفيان بن عيينة
و الشافعي و احمد في اصح الروايتين عنه و ابن وهب و مطرف و ابن حبيب الثلاثة
من المالكية و حكاه الساجي عن عطا بن ابي رباح و المكيين و الكوفيين و حكاه بن عبد
البر عن عمر و علي و ابن مسعود و ابي الدردا و جابر و ابن الزبير و قتادة و جماهير
العلماء ان مكة افضل من المدينة فان مسجد مكة افضل من مسجد المدينة لان الامكنة
تشرف بفضل العبادة فيها على غيرها بما تكون العبادة فيها مرجوحة و قد حكى
ابن عبد البر انه روي عن مالك ما يدل على ان مكة افضل الارض كلها **قال**
و لكن المشهور عن اصحابه في مذهبه تفضيل المدينة انتهى و قال مالك المدينة
و مسجدها افضل و مما احتج به اصحابنا لتفضيل مكة حديث عبد الله بن الحمرا انه
سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو واقف على راحلته يقول و الله انك
لخير ارض و احبها الى الله و لولا اني اخرجت منك ما خرجت **قال** الترمذي
حسن صحيح و قال ابن عبد البر هذا اصح الاثار عنه صلى الله عليه و سلم قال و هذا
قاطع و محل الخلاف انتهى فعند الشافعي و الجمهور معناه الحديث الا المسجد الحرام
فان الصلوة فيه افضل من الصلوة في مسجدي و عند مالك و موافقيه الا المسجد الحرام
فان الصلاة في مسجدي تفضله بدون الالف و عن عبد الله بن الزبير قال قال
رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة في مسجدي افضل من الف صلاة فيما سواه من
المساجد الا المسجد الحرام و صلاة في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة في هذا رواه
ابن خزيمة و ابن حبان في صحيحه و زاد يعني في مسجد المدينة و البزار و لفظه
صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يزيد
عليه مائة قال المنذري و اسناده صحيح و مما يستدل به المالكية ما ذكره ابن
حبيب في الواضحة انه صلى الله عليه و سلم قال صلاة في مسجدي كالف صلوة فيما سواه
و جمعة في مسجدي كالف جمعة فيما سواه و رمضان في مسجدي كالف رمضان فيما
سواه و مذهب عمر بن الخطاب و بعض الصحابة و اكثر المدنيين كما قال القاضي عياض
ان المدينة افضل و هو احد الروايتين عن احمد و اجمعوا على ان الموضع الذي
ضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه و سلم افضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما قاله

وفي تفضيل

ابن عساكر والباجي والقاضي عياض بل نقل التاج السبكي كما ذكره السيد السمهودي في المدينة عن ابن عقيل الحنبلي انها افضل من العرش وصرح الفاكهاني بتفضيلها على السموات ولفظه وانا اقول انا وافضل من بقاع السموات ايضا قال ولم ار من تعرض لذلك والذي اعتقده لو ان ذلك عرض على علما الامة لم يختلفوا فيه وقد جاء ان السموات شرفت بمواطي قدميه بل لو قال قايل ان جميع بقاع الارض افضل من جميع بقاع السما لشرفها لكونه صلى الله عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندي الظاهر المتعين انتهى وحكاه بعضهم عن الاكثرين لخلق الانبيا ودفنهم فيها قال النووي الجمهور على تفضيل السماء على الارض اي ما عدا ما ضم الاعضا الشريفة وقد استشكل ما ذكر من الاجماع على افضلية ما ضم اعضاءه الشريفة على جميع بقاع الارض ويؤيده ما قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام في تفضيل بعض الاماكن على بعض من الاماكن والازمان كلها متساوية ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قايمة بهما وقال ويرجع تفضيلهما الى ما ينيل العباد فيهما من فضله وكرمه والتفضيل الذي فيهما ان الله تعالى يجود على عباده بتفضيل اجر العاملين انتهى ملخصا لكن تعقبه الشيخ تقي الدين السبكي بما حاصله ان الذي قاله لا ينفي ان يكون التفضيل لامر اخر فيهما وان لم يكن عمل لان قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه الرحمة والرضوان والملايكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن ادراكه وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون افضل ومحل عمل لنا لانه ليس مسجدا ولا له حكم المسجد بل هو مستحق للنبي صلى الله عليه وسلم وايضا فقد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار ان النبي صلى الله عليه وسلم حي كما تقرر وان اعماله مضاعفة اكثر من كل واحد فلا يختص التضعيف باعمالنا نحن قال ومن فهم هذا الشرح صدره لما قاله القاضي من تفضيل ما ضم اعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم باعتبارين احدهما ما قيل ان كل احد يدفن في الموضع الذي خلق منه والثاني تنزل الرحمة والبركات عليه واقبال الله تعالى ولا اسلمت الفضل للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله عليه وسلم انتهى وقد روى ابو يعلى عن ابي بكر انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض النبي الا في احب الامكنة اليه ولا شك ان احبها اليه احبها الى ربه تعالى وان حبه تابع لحب ربه جل وعلا وما كان احب الى الله فكيف لا يكون افضل وقد قال عليه السلام اللهم ان ابراهيم دعاك لمكة واني ادعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ومثله معه ولا ريب ان دعا النبي صلى الله عليه وسلم افضل من دعاء ابراهيم لان فضل الدعا على قدر فضل الداعي وصح انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وفي رواية بل اشد وقد اجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته اذا راها من حبها وروى

الحاكم انه

الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في احب البقاع اليك اي في موضع تصيره لذلك فيجتمع فيه الحبان قيل ضعفه ابن عبد البر ولو سلمت صحته فالمراد احب اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد الله وفي رواية احب ارض الله الى الله ولزيادة التضعيف بمسجد مكة وتعقبه العلامة السيد السمهودي بان ما ذكر لا يقتضي صرفه عن ظاهره اذ القصد به الدعا لدار هجرته بان يصيرها الله كذلك وحديث ان مكة خير بلاد الله محمول على بدا الامر قبل ثبوت الفضل للمدينة واظهار الدين وافتتاح البلاد منها حتى مكة فقد نالها وانال بها ما لم يكن لغيرها من البلاد فظهر اجابة دعوته وصيرورتها احب مطلقا بعد ولهذا افترض الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم الاقامة بها وحث هو صلى الله عليه وسلم على الاقتداء به في سكناها والموت بها فكيف لا تكون افضل قال وايضا فمزيد المضاعفة فاسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك فالصلوات الخمس بمنى للمتوجه لعرفة افضل منها بمسجد مكة وان انتفت عنها المضاعفة اذ في الاتباع ما يربو عليها ومن هنا شمول المضاعفة للنفل مع تفضيله بالمنزل ولهذا قال عمر رضي الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة مع قوله بتفضيل المدينة ولم يصب من اخذ من قوله بمزيد المضاعفة بتفضيل مكة ثم ان غايته ان للمفضول مزية ليست للفاضل مع ان دعاه صلى الله عليه وسلم بمزيد التضعيف للبركة بالمدينة على مكة شامل للامور الدينية ايضا وقد يبارك في العدد القليل فيربوا نفعه على الكبير ولهذا استدل به على تفضيل المدينة وان اريد من حديث المضاعفة الكعبة فقط فالجواب ان الكلام فيما عداها فلا يرد شي مما جا في فضلها ولا ما بمكة من مواضع النسك لتعلقه بها ولذا قال عمر رضي الله عنه لعبد الله المخزومي انت القايل لمكة خير من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله وامنه وفيها بيته فقال عمر لا اقول في حرم الله وبيته شيا فاشير على عبد الله فانصرف وقد عوضت المدينة عن العمرة ما صح في اتيان مسجد قبا وعن الحج ما جا في فضل الزيارة والمسجد والاقامة بعد النبوة بالمدينة وان كانت اقل من مكة على القول به فقد كانت سببا لاعزاز الدين واظهاره ونزول اكثر الفرايض واكمال الدين حتى كثر تردد جبريل عليه السلام بها ثم استقر بها صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة ولهذا قيل لمالك ايما احب اليك المقام هنا يعني المدينة ام مكة فقال ههنا وكيف لا اختار المدينة وما بها طريق الا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل ينزل عليه من رب العالمين في اقل من ساعة وروى الطبراني حديث المدينة خير من مكة وفي رواية للجندي افضل من مكة وفيه محمد بن عبد الرحمن الرداد ذكره ابن حبان في الثقات وقال كان يخطي وقال زرعة لين وقال ابن عدي روايته ليست محفوظة وقال ابو حاتم ليس بقوي وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل

القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد اي امرني الله بالهجرة اليها
ان كان قاله عليه السلام بمكة او نسبتها ان كان قاله بالمدينة ، وقال القاضي عبد الوهاب
لا معنى لقوله تاكل القرى الا رجوع فضلها عليها اي على القرى وزيادتها على غيرها
وقال ابن المنير يحتمل ان يكون المراد بذلك غلبة فضلها على فضل غيرها اي ان الفضائل
تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى يكون عدما وهذا ابلغ من تسمية مكة ام القرى
لان الامومة لا تمحى معها ما هي له امر لكن يكون لها حق الامومة انتهى ، ويحتمل ان
يكون المراد غلبة اهلها على القرى والاقرب حمله عليهما اذ هو ابلغ في الغرض المسوق
له انتهى ما قاله السيد السمهودي ، وقد اطلت في الاحتجاج لتفضيل المدينة على
مكة وان كان مذهب امامنا الشافعي رحمه الله تفضيل مكة لان هوى كل نفس
اين حل حبيبها ،

على ربع العامرية وقفة ... ليملي على الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار لاهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

على ان للقلم في ارخا تفضيل المدينة مجالا واسعا ، ومنعا لا جامعا ، لكن الرغبة في
الاختصار تطوي اطراف بساطه ، والرغبة في الاكثار تصدق عن تطويله وافراطه
وقد استنبط العارف ابن ابي جمرة من قوله عليه السلام المروي في البخاري ليس من بلد
الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة التساوي بين مكة والمدينة ، قال وظاهر
هذا الحديث يعطي التسوية بينهما في الفضل لان جميع الارض يطؤها الدجال الا
هذين البلدين فدل على تسويتهما في الفضل ؛ قلت ويؤيد ذلك ايضا من وجوه
النظر لانه ان كان خصت المدينة بمدفنه عليه السلام واقامته بها ومسجده فقد
خصت مكة بمسقطه عليه السلام ومبعثه منها وهي قبلته ومطلع شمس ذاته المبارك
مكة ومغربها المدينة واقامته بعد النبوة على المشهور من الاقاويل بمكة مثل اقامته
عليه السلام بالمدينة عشر سنين في كل واحدة منهما كذا قاله ، وانت اذا تاملت قوله
عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث سعد ياتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه
وقريبه هلم الى الرخا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج احد
رغبة عنها الا اخلف الله فيها خيرا منه ظهر لك ان فيه اشعارا بذم الخروج من المدينة
بل نقل الشيخ محب الدين الطبري عن قوم انه عام ابدا مطلقا وقال انه ظاهر اللفظ
وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على
لأواء المدينة وشدتها احد من امتي الا كنت له شفيعا يوم القيامة او شهيدا وفيه
عن سعيد مولى المهري انه جاء الى ابي سعيد الخدري ليالي الحرة واستشاره في الجلا من المدينة
وشكا اليه اسعارها وكثرة عياله واخبره انه لا يصبر على جهد المدينة ولأوائها
فقال ويحك لا امرك بذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر احد

على لأوائها

على لأوائها الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة واللأوا بالمد الشدة والجوع
واو في قوله الا كنت له شفيعا او شهيدا الاظهر انها ليست للشك لان هذا الحديث
رواه جابر ابن عبد الله وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابو سعيد وابو هريرة واسماء
بنت عميس وصفية بنت ابي عبيد عنه صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد اتفاق
جميعهم او رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة بل الاظهر انه قاله
عليه السلام وتكون او للتقسيم وتكون شهيدا لبعض اهل المدينة وشفيعا
لباقيهم اما شفيعا للعاصين وشهيدا للمطيعين واما شهيدا لمن مات في حياته
وشفيعا لمن مات بعده او غير ذلك وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين او
للعالمين في القيامة على شهادته على جميع الامم فتكون لتخصيصهم بهذا كله علو
مرتبة او زيادة منزلة وحظوة واذا قلنا او للشك فان كانت اللفظة الصحيحة
شهيدا اندفع الاعتراض لانها زائدة على الشفاعة المدخرة لغيرهم وان كانت اللفظة
الصحيحة شفيعا فاختصاص اهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع
الامة ان هذه شفاعة اخرى لغير العامة وتكون هذه الشفاعة لاهل المدينة بزيادة
الدرجات وتخفيف الحساب او بما شاء الله من ذلك او باكرامهم يوم القيامة بانواع
الكرامات لكونهم على منابر او في ظل العرش او الاسراع بهم الى الجنة او غير ذلك من
خصوص الكرامات كيف لا يتحمل المشقات من يحب ان يتمتع بسيد اهل الارض والسموات
ونيل ما وعده به من جزيل المثوبات وجسيم الهبات وانجاز وعده الصادق هو
وشفاعته وشهادته وبلوغ قصده في المحيا والممات وكم عسى يكون شدة المدينة
ولأواها والى متى تستمر مشقتها وبلواها لو تاملت يا هذا لوجدت في البلاد
ما هو في الشدة وشظف العيش مثلها او اشق منها واهلها مقيمون فيها وربما
يوجد فيهم من هو قادر على الانتقال فلا ينتقل وقوي على الرحلة فلا يرتحل ويؤثر
وطنه مع امكان الارتحال والقدرة على الانتقال على ان المدينة مع شظف
العيش بها في غالب الاحيان قد وسع الله فيها على بعض السكان حتى من اصحابنا
من غير اهلها ممن استوطنها وحسن فيها حاله تنعم بها باله دون سائر البلدان
فان من الله على المرء بمثل ذلك هنالك والا فالصبر للمؤمن اولى ، فمن وفقه الله
تعالى صبره في اقامته بها ولو على جمر من الجمر فيتجرع مرارة غصتها ويجتلي عروس منصتها
ويلتمي بزوار لأواها ليوقى من مصائب الدنيا وبلاياها ، وقد روى البخاري
من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الايمان ليارز الى المدينة
كما تارز الحية الى جحرها اي تنقبض وتنضم وتلتجئ مع انها اصل في انتشاره فكل
مؤمن له من نفسه سائق اليها في جميع الازمان لحبه في ساكنها صلى الله عليه
وسلم فاكرم بسكانها ولو قيل في بعضهم ما قيل فقد حظوا بشرف الجوار وكم بهذا

لحبيب الجليل فقد ثبت لهم حق الجوار وان عظمت اساتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار وقد عم عليه الصلاة والسلام في قوله ما زال جبريل يوصيني بالجار ولم يخص جارا دون جار وكلما احتج بر بحجج من رمي بعض عوامهم السيئة بالابتداع وترك الاتباع فانه اذا ثبت ذلك في شخص منهم فلا يترك الكرامة ولا ينقص احترامه فانه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار كيف ما دار بل يرجى ان يختم له بالحسنى ويمنح بهذا القرب الصوري قرب المعنى

فيا ساكني اكناف طيبة كلكم … الى القلب من اجل الحبيب حبيب

ولله در ابن جابر حيث قال

فلا يتحول ساكن منكم الى … سواها وان جار الزمان ولو شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما … وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم … فها انتم في بحر نعمته غرقا
تزورن رسول الله في كل ساعة … ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جئتموا لا يغلق الباب دونكم … وباب ذوي الاحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم … ولا يمنع الاحسان حرا ولا رقا
بطيبة مثواكم واكرم مرسل … يلاحظكم فالدهر حركم وفقا
فكم نعمة لله فيها عليكم … فشكرا ونعم الله بالشكر تستبقى
امنتم من الدجال فيها بحوله … ملايكة يحمون من دونها الطرقا
كذاك من الطاعون انتم بمأمن … فوجدا لليالي لا يزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم … وان جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموت تحت رحماه انتم … وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقى
فيا راحلا منها لدنيا يريدها … اتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
اتخرج من جوار النبي وحوزه … الى غيره تسعى مثلك قد حمقا
لئن سرت تبغي من كريم اعانة … فاكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم وليس بزايد … ولو سرت حتى كدت تخترق الافقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه … ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش في حمى خير الانام ومت به … اذا كنت في الدارين تطلب ان ترقى
اذا مت فيما بين قبر ومنبر … بطيبة فاعرف اين منزلك الارقى
لقد اسعد الرحمن جار محمد … ومن جار في بزخاله فهو الاشقى

وقد روى الترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها ورواه الطبراني في الكبير من حديث سبيعة الاسلمية وفي البخاري من

ذكر عدم دخول الدجال والطاعون المدينة باب كون الطاعون شهادة

حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون وفيه عن ابي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها سبعة ابواب على كل باب ملك قال في فتح الباري وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة مع كونه شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته وانما المراد ان ذلك يترتب عليه وينشأ عنه لكونه سببه فاذا استحضر ما تقدم في الفصل الثامن من انه طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم دخوله اياها فان فيه اشارة الى ان كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة ومن اتفق دخوله فيها لا يتمكن من طعن احد منهم وقد اجاب القرطبي في المفهم عن ذلك فقال المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع في غيرها كطاعون عمواس والجارف وهذا الذي قاله يقتضي انه دخلها في الجملة وليس كذلك فقد جزم ابن قتيبة في المعارف وتبعه جمع منهم الشيخ محيي الدين النووي في الاذكار بان الطاعون لم يدخل المدينة اصلا ولا مكة ايضا لكن نقل جماعة انه دخل مكة في الطاعون العام الذي كان في سنة تسع واربعين وسبعمائة بخلاف المدينة فلم يذكر احد انه وقع الطاعون بها اصلا واجاب بعضهم بانه عليه السلام عوضهم عن الطاعون بالحمى لان الطاعون ياتي مرة بعد مرة والحمى تكرر في كل حين فيتعادلان في الاجر ويتم المراد من عدم دخول الطاعون قال الحافظ ابن حجر ويظهر لي جواب اخر بعد استحضار الذي اخرجه احمد من رواية ابي عسيب بمهملتين اخره موحدة بوزن عظيم رفعه اتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام وهو ان الحكمة في ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان في قلة من اصحابه عددا ومددا وكانت المدينة وبية كما في حديث عايشة ثم خير صلى الله عليه وسلم في امرين يحصل بكل منهما الاجر الجزيل فاختار الحمى حينئذ لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج الى جهاد الكفار واذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى بالمدينة يضعف اجساد الذين يحتاجون الى التقوية لاجل الجهاد فدعا بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة اصح بلاد الله بعد ان كانت بخلاف ذلك ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل في سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المؤمن من النار ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق اجابة دعوته وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة المتطاولة وكان منع دخول الطاعون من خصايصها ولوازم دعايه صلى الله عليه وسلم بالصحة وقال بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لان الاطباء من اولهم الى اخرهم عجزوا ان يدفعوا الطاعون عن بلد بل قرية وقد امتنع الطاعون من المدينة هذه الدهور الطويلة انتهى ملخصا والله اعلم ومن خصايص المدينة ان غبارها شفاء من الجذام والبرص بل من كل داء رواه ازرين العبدري في جامعه من حديث سعد وزاد في حديث ابن عمر عجوتها شفاء من السم

وَنقل البغوي عن ابن عباس في قوله تعالى لنبوّئنهم في الدنيا حسنة انها المدينة وذكر
ابن النجار تعليقا عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت
المدينة بالقرآن وروى الطبراني في الاوسط باسناد لا بأس به عن ابي هريرة
يرفعه المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وارض الهجرة ومثوى الحلال والحرام
وبالجملة فكل المدينة ترابها وطرقها وفجاجها ودورها وما حولها قد شملته
بركته صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه اليها
والى الصلاة في بيوتهم ولذلك امتنع مالك رحمه الله من ركوب دابة في ارض
كان صلى الله عليه وسلم يمشي فيها بقدميه صلى الله عليه وسلم وينبغي ان ياتي
مسجد قبا للصلاة فيه والزيارة فقد كان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا
وماشيا رواه مسلم وفي رواية يأتي بدل يزور فيصلي فيه ركعتين وعنده
ايضا ان ابن عمر كان ياتيه كل سبت ويقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم ياتيه
كل سبت وعند الترمذي وابن ماجة والبيهقي من حديث اسيد بن ظهير الانصاري
يرفعه صلاة في مسجد قبا كعمرة وقال الترمذي حسن غريب وقال
المنذري لا يعرف لاسيد حديثا صحيحا غير هذا ورواه احمد وابن ماجة من
حديث سهل بن حنيف بلفظ من تطهر في بيته ثم اتى مسجد قبا فصلى فيه صلاة كان
باجر عمرة وصححه الحاكم وينبغي ايضا بعد زيارته صلى الله عليه وسلم ان يقصد
المزارات التي بالمدينة الشريفة والاثار المباركة والمساجد التي صلى فيها عليه السلام
التماسا للبركة ويخرج الى البقيع لزيارة من فيه فان اكثر الصحابة ممن توفي بالمدينة
في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته مدفونون بالبقيع وكذلك سادات اهل
البيت والتابعين فروي عن مالك انه قال مات بالمدينة من الصحابة عشرة الاف
وكذلك امهات المؤمنين سوى خديجة فانها بمكة وميمونة فانها بسرف وقد كان
صلى الله عليه وسلم يخرج آخر الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين
رواه مسلم وقال ابن الحاج في المدخل وقد فرق علماؤنا بين الافاقي والمقيم
في التنفل بالطواف والصلاة فقالوا الطواف في حق الافاقي افضل والتنفل في
حق المقيم افضل قال وما نحن بسبيله من هذا الباب فمن كان مقيما خرج الى زيارة اهل
البقيع ومن كان مسافرا فليغتنم مشاهدته عليه السلام وحكي عن العارف ابن ابي
جمرة انه لما دخل المسجد النبوي لم يجلس الا الجلوس في الصلاة وانه لم يزل واقفا بين يديه
صلوات الله وسلامه عليه وكان قد خطر له ان يذهب الى البقيع فقال الى اين اذهب هذا
باب الله المفتوح للسائلين والطالبين والمنكسرين وروى ابن النجار مرفوعا مقبرتان
مضيئتان لاهل السما كما تضيء الشمس والقمر لاهل الدنيا بقيع الغرقد ومقبرة بعسقلان
وعن كعب الاحبار قال نجدها في التوراة يعني مقبرة المدينة كقبة محفوفة بالنخيل موكل بها ملائكة

كلما امتلأت

كلما امتلأت اخذوا بكفها وما في الجنة واخرج ابو حاتم من حديث ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي البقيع فيحشرون
معي ثم انتظر اهل مكة حتى يحشر بين الحرمين

الفصل الثالث في تفضيله عليه السلام في الآخرة

بفضائل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلي الدرجات وتخصصه بالشفاعة والمقام المحمود
المغبوط عليه من الاولين والآخرين وانفراده بالسؤدد في مجمع جامع الانبيا والمرسلين
وترقيه في جنة عدن ارفع مدارج السعادة وتعاليه يوم المزيد في اعلى معالي الحسنى
وزيادة اعلم ان الله تعالى كما فضل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم في البدء بان
جعله اول الانبياء في الخلق واولهم في الاجابة في عالم الذر يوم الست بربكم
فض له ختم كمال الفضائل في العود فجعله اول من تنشق عنه الارض واول
شافع واول مشفع واول من يؤذن له بالسجود واول من ينظر الى رب العالمين
والخلق محجوبون عن رؤيته اذ ذاك واول الانبياء يقضى بين امته واولهم
اجازة على الصراط بامته واول داخل الجنة وامته اول الامم دخولا اليها
وزاده من لطائف التحف ونفائس الطرف ما لا يحد ولا يعد فمن ذلك انه يبعث
راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته ادم فمن دونه واختصاصه
ايضا بالسجود لله تعالى امام العرش وما يفتحه الله عليه في سجوده من التحميد والثنا
عليه ما لم يفتحه على احد قبله ولا يفتحه على احد بعده زيادة في كرامته وقربه وكلام
الله تعالى له يا محمد ارفع راسك قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع ولا كرامة فوق
هذا الا النظر اليه تعالى ومن ذلك تكراره في الشفاعة وسجوده ثانية وثالثة
وتجديد الثنا عليه والتحميد بما يفتح الله من ذلك وكلام الله تعالى له في كل سجدة يا محمد
ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع فعل المدل على ربه الكريم عليه الرفيع عنده
ذلك منه تشريفا له وتكريما وتبجيلا وتعظيما ومن ذلك قيامه عن يمين العرش ليس احد
من الخلائق يقوم ذلك المقام غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون وشهادته بين الانبيا
وامهم واتيانهم اليه يسألون الشفاعة ليريحهم من غمهم وكربهم وطول وقو فهم
وشفاعته في اقوام قد امر بهم الى النار ومنها الحوض الذي ليس في الموقف اكثر
واردا منه وان المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته ومنها انه
يشفع في رفع درجات اقوام لا تبلغها اعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي
اعلا منزلة في الجنة الى غير ذلك مما زيده تعالى الجبر جلاله وتعظيما وتبجيلا وتكريما
على رؤوس الاشهاد من الاولين والآخرين والملائكة اجمعين ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم فاما تفضيله صلى الله عليه وسلم باوليته

اشقاق القمر المتقدم عنه فروى مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة وانا اول من ينشق عنه القبر
واول شافع واول مشفع وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر رواه الترمذي
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض
ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي البقيع فيحشرون ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين قال
الترمذي حسن صحيح ورواه ابو حاتم وقال حديث حسن وتقدم وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصعق الناس حين يصعقون فاكون
اول من قام فاذا موسى اخذ بالعرش فما ادري اكان فيمن صعق وفي رواية فاكون اول
من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي او
كان ممن استثنى الله رواه البخاري والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتا او رأى
شيئا ففزع منه ولم يبين في هذه الرواية من الطريقين محل الافاقة من اي الصعقتين
ووقع في رواية الشعبي عن ابي هريرة وتفسير سورة الزمر انا اول من يرفع راسه بعد
النفخة الاخيرة والمراد بقوله ممن استثنى الله قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع ان الموتى لا احساس
لهم فقيل المراد الذين يصعقون هم الاحيا واما الموتى فهم في الاستثنا في قوله
الا من شاء الله اي الا من سبق له الموت قبل ذلك فانه لا يصعق والى هذا جنح
القرطبي ولا يعارضه ما ورد في الحديث ان موسى ممن استثنى الله لان الانبيا احيا
عند الله وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق
السماء والارض وتعقبه القرطبي بانه صرح صلى الله عليه وسلم بانه يخرج من قبره
فيلقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا انما هو عند نفخة البعث انتهى ووقع في
رواية ابي سلمة عند ابن مردويه انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة فانفض
التراب عن راسي فاتي قائمة العرش فاجد موسى قائما عندها فلا ادري انفض التراب
عن راسه قبلي او كان ممن استثنى واختلف في المستثنى من هو على عشرة اقوال
فقيل الملائكة وقيل الانبيا وبه قال البيهقي في تاويل الحديث في تجويزه بان يكون موسى
ممن استثنى الله قال ووجهه عندي انهم احيا كالشهدا فاذا نفخ في الصور النفخة الاولى
صعقوا ثم لا يكون ذلك موتا في جميع معانيه الا في ذهاب الاستشعار وقيل
الشهدا واختاره الحليمي قال وهو مروي عن ابن عباس فان الله تعالى
يقول احيا عند ربهم يرزقون وضعف غيره من الاقوال وقال ابو
العباس القرطبي صاحب المفهم الصحيح انه لم يات في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل
وتعقبه تلميذه في التذكرة فقال قد ورد حديث ابي هريرة بانهم الشهدا وهو الصحيح

وعن ابي هريرة

وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال جبريل عليه السلام عن هذه
الاية من الذين لم يشا الله ان يصعقوا قال هم شهدا الله صححه الحاكم وقيل هم حملة
العرش وجبريل وميكائيل وملك الموت ثم يموتون واخرهم ملك الموت وقيل
هم الحور العين والولدان في الجنة وتعقب بان حملة العرش ليسوا سكان الارض
السموات
لان العرش فوق السموات كلها وبان جبريل وميكائيل وملك الموت من الصافين
المسبحين ولان الحور العين والولدان في الجنة وهي فوق السموات ودون
العرش وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقا فلا شك انها بمعزل عما خلقه الله للفنا
ثم انه وردت الاخبار بان الله تعالى يميت حملة العرش وملك الموت وميكائيل ثم
يحييهم واما اهل الجنة فلم يات خبر ظاهر انها دار خلود فالذي يدخلها
لا يموت فيها ابدا مع كونه قابلا للموت فالذي خلق فيها اولى ان لا يموت فيها
ابدا فان قلت كل شي هالك الا وجهه يدل على ان الجنة نفسها تفنى ثم
تعاد ليوم الجزا وتموت الحور ثم يحيون اجيب بانه يحتمل ان يكون معنى قوله
كل شي هالك اي انه قابل للهلاك فيهلك ان اراد الله به ذلك الا هو سبحانه فانه
قديم والقديم لا يمكن ان يفنى انتهى ملخصا من تذكرة القرطبي ويويد القول بعدم
موت الحور قولهن نحن الخالدات فلا نموت كما في الحديث المراد من قولهن الخلود
بعد القيامة ولا يقال لانه لا خصوصية فيه والاوصاف المشتركة لا ساها لها
والله اعلم وفي كتاب العظمة لابي الشيخ بن حيان من طريق وهب بن منبه من قوله
خلق الله الصور من لولو بيضا في صفا الزجاجة ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق
به ثم قال كن فكان اسرافيل فامره ان ياخذ الصور فاخذه وبه ثقب بعدد كل روح
مخلوقة ونفس منفوسة فذكر الحديث وفيه ثم تجتمع الارواح كلها في الصور ثم يامر
الله اسرافيل فينفخ فيه فيدخل كل روح في جسدها فعلى هذا فالنفخ يقع في الصور
ثم يامر الله اسرافيل فينفخ فيه ولا يصل النفخ بالروح الى الصور وهي للاجساد
فاضافة النفخ الى الصور الذي هو القرن حقيقة والى الصور التي هي للاجساد
مجازا وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا
اصغى ليتا ورفع ليتا ثم يرسل الله مطرا كانه الطل فينبت منه اجساد الناس ثم
ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والليت بكسر اللام وبالمثناة التحتية ثم الفوقية
صفحة العنق وهما ليتان واصغى امال واخرج البيهقي بسند قوي عن ابن مسعود
موقوفا ثم يقوم ملك الصور بين السما والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى لله
خلق في السموات والارض الا مات الا من شا ربك ثم يكون بين النفختين ما شا
الله ان يكون واخرج ابن المبارك في الرقاق من مرسل الحسن بين النفختين اربعين سنة
الاولى يميت الله بها كل حي والاخرى يحيي الله بها كل ميت ونحوه عند ابن مردويه من

ابن عباس وهو ضعيف وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا
مستشفعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي
ولوا الحمد يومئذ بيدي وانا اول ولد ادم على ربي يطوف على الف خادم كانهم
بيض مكنون او لؤلؤ منثور رواه الدارمي وقال الترمذي حديث غريب
ولم يقل وانا امامهم لان دار الاخرة ليست دار تكليف وفي حديث رواه
صاحب كتاب حادي الارواح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيمة
وبلال بين يديه ينادي بالاذان وفي كتاب ذخائر العقبى للطبري مما عزاه لتخريج
الحافظ السلفي من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبعث الانبيا
على الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة على ناقتي العضبا والقصوى
واحشر انا على البراق خطوها عند اقصى طرفها ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة
واخرجه الطبري والحاكم بلفظ تحشر الانبيا على الدواب وابعث على البراق ويبعث
بلال على ناقة من نوق الجنة فنادي بالاذان محضا وبالشهادة حقا حتى اذا
قال اشهد ان محمدا رسول الله شهد له المؤمنون من الاولين والاخرين وعند ابن
زنجويه في فضايل الاعمال عن كثير ابن مرة الحضرمي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره حتى توافي به المحشر
وانا على البراق خصصت به من دون الانبيا ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة
ينادي على ظهرها بالاذان حقا فاذا سمعت الانبيا واممها اشهد ان محمدا رسول الله
قالوا ونحن نشهد على ذلك وذكر الشيخ زين الدين المراغي مما عزاه لابن النجار في تاريخ
المدينة عن كعب الاحبار والقرطبي وابن ابي الدنيا عن كعب انه دخل على عايشة
رضي الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من فجر يطلع
الا نزل سبعون الف من الملايكة حتى يحفون بالقبر ويضربون باجنحتهم ويصلون
على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك
يحفون بالقبر ويضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم
سبعون الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتى اذا انشقت عنه الارض
خرج في سبعين الفا من الملايكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم وفي نوادر الاصول
الحكيم الترمذي من حديث ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويمينه على ابي بكر وشماله على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس
احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري رواه الترمذي وفي رواية جامع الاصول
عنه انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى وفي رواية كعب حلة خضرا وفي البخاري

من حديث ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم يحشرون حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق
نعيده وانا اول الخلايق يكسى يوم القيامة ابراهيم واخرجه البيهقي وزاد واول
من يكسى من الجنة ابراهيم يكسى حلة من الجنة ويوتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يوتى
بي فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر وفيه انه يجلس على الكرسي عن يمين العرش ولا يلزم
من تخصيص ابراهيم عليه السلام بانه اول من يكسى حلة ان يكون افضل من نبينا صلى
الله عليه وسلم على انه يحتمل ان يكون نبينا عليه السلام خرج من قبره في ثيابه التي
مات فيها والحلة التي يكساها يومئذ حلة الكرامة بقرينة اجلاسه عند ساق العرش
فيكون اولية ابراهيم في الكسوة بالنسبة كيفية الخلق واجاب الحليمي بانه يكسى
ابراهيم اولا ثم يكسى نبينا عليهما السلام على ظاهر الخبر لكن حلة نبينا اعلى واكمل
فيجبر بنفاستها ما فات من الاولية وفي حديث ابي سعيد عند ابي داود وصححه
ابن حبان انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعند الحارث بن ابي اسامة واحمد
ابن منيع فانهم يبعثون في اكفانهم ويتزاورون في اكفانهم وجمع بينه وبين ما في البخاري
بان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا او يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الانبيا واول من
يكسى ابراهيم عليه السلام او يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم
عند ابتدا الحشر فيحشرون عراة ثم يكون اول من يكسى ابراهيم وحمل بعضهم حديث ابي سعيد
على الشهدا فيكون ابو سعيد سمعه من الشهدا فحمله على العموم واما ما رواه الطبري
في الرياض النضرة وعزاه للامام احمد في المناقب عن مخدوج بن زيد الذهلي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لعلي اما علمت انك يا علي انه اول من يدعى به يوم القيمة
بي فاقوم عن يمين العرش في ظله فاكسى حلة خضرا من حلل الجنة ثم يدعى بالنبيين بعضهم
على اثر بعض فيقومون سماطين عن يمين العرش ويكسون حللا خضرا من حلل الجنة الا
وان امتي اول الامم يحاسبون يوم القيامة ثم انشر اول من يدعى بك فيدفع لك
لوايي وهو لوا الحمد تسير به بين السماطين ادم وجميع خلق الله تعالى يستظلون بظل
لوايي يوم القيمة وطوله مسيرة الف سنة وسنانه ياقوتة حمرا قبضته
قبضة بيضا زجه درة خضرا له ثلاث ذوايب من نور ذوابة في المشرق وذوابة في المغرب
والثالثة في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني
الحمد لله رب العالمين الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر الف سنة وعرضه
مسيرة الف سنة فيسير باللوا والحسن عن يمينك والحسين عن شمالك حتى تقف بيني وبين ابراهيم
عليه السلام في ظل العرش ثم يكسى حلة من الجنة والسماطان من الناس والجل الجانبان ورواه
ابن سبع في الخصايص بلفظ قال سال عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لوا الحمد
صفته قال طوله مسيرة الحديث فقال الحافظ قطب الدين الحلبي كما نقله عنه المحب

ابن الهمام انه موضوع بين لو وضع كان والله اعلم بحقيقة لوا الحمد وفي حديث ابي سعيد عند الترمذي
بسند حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر
وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوائي الحديث واللوا الراية
وفي عرفهم لا يمسكها الا صاحب الجيش ورئيسه ويحتمل ان يكون بيد غيره باذنه اذ هذه
الحالة اشرف وفي استعمال العرب عند الحروب انما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك من
القتال بل يقاتل بها ممسكا لها اشد القتال ولذا لا يليق بامساكها كل احد بل مثل
علي رضي الله عنه لا يعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
وانما اضاف اللوا الى الحمد لله هو الثنا على الله بما هو اهله لان ذلك هو منصبه في ذلك
الموقف دون غيره من الانبيا وقد اختلف في هيئة حشر الناس ففي البخاري من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاثة
طرايق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة
على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا
وتصبح حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث رواه الشيخان وقد مال الحليمي الى ان هذا الحشر
يكون عند الخروج من القبور وجزم به الغزالي وقيل انهم يخرجون من القبور بالوصف
المذكور في حديث ابن عباس عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم
تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا
فاعلين ثم يفترق حالهم من ثم الى الموقف كما في حديث ابي هريرة ويحشر الكافر على وجهه
قال رجل يا رسول الله كيف يحشر على وجهه قال اليس الذي امشاه على الرجلين
في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة اخرجه الشيخان وفي حديث
ابي ذر عند النسائي مرفوعا ان الناس يحشرون ثلاثة افواج فوجا راكبين طاعمين
كاسين وفوجا تسحبهم الملايكة على وجوههم وفوجا يمشون ويسعون وفي
حديث سهل بن سعد مرفوعا تحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضا عفرا كقرصة
النقي ليس فيها علم لاحد رواه الشيخان وفي حديث عقبة بن عامر عند الحاكم رفعه
تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم
من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ منكبه
ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده الجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على
راسه وله شاهد عند مسلم من حديث المقداد ابن الاسود وليس بتمامه وفيه تدنو
الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم
في العرق وهذا ظاهر في انهم يستوون في وصول العرق ويتفاوتون في حصوله فيهم
فان قلت الشمس محلها السما وقد قال الله تعالى يوم نطوي السما كطي السجل
للكتاب والالف واللام في السما للجنس بدليل والسموات مطويات بيمينه فما طريق الجمع

تعمهم ح

فالجواب بجواز ان يقام بنفسها دانية من الناس في المحشر لتقوى هوله وكربه عافانا
الله من كل مكروه وقال ابن ابي جمرة ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك ولكن
دلت الاحاديث الاخرى على انه مخصوص بالبعض وهم الاكثر ويستثنى الانبيا
والشهدا ومن شا الله فاشدهم الكفار ثم اصحاب الكباير ثم من بعدهم واخرج ابو
يعلى وصححه ابن حبان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب
العالمين قال مقدار نصف يوم من خمسين الف سنة فيهون على المؤ
من كتدلي الشمس الى ان تغرب واخرج احمد وابن حبان نحوه من حديث ابي سعيد والبيهقي
في البعث عن ابي هريرة تحشر الناس قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السما
فيلجمهم العرق من شدة الكرب وفي البخاري من حديث ابي هريرة عنه صلى الله
عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا
ويلجمهم العرق حتى يبلغ اذانهم وعند البيهقي من حديث ابن مسعود اذا حشر
الناس قاموا اربعين عاما شاخصة ابصارهم الى السما لا يكلمهم والشمس على
رؤوسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر وفي حديث ابي سعيد عند احمد انه يخفف
الوقوف عن المؤمن حتى تكون الصلاة مكتوبة وسنده حسن والطبراني من حديث
ابن عمر ويكون ذلك اليوم اقصر على المؤمن من ساعة من نهار وجا عن عبد الله ابن
عمرو بن العاص ان الذي يلجمه العرق الكافر اخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عنه
قال يشتد كرب الناس ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق قيل له فاين المؤمنين قال
على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام وبسند قوي عن ابي موسى قال الشمس فوق
رؤوس الناس يوم القيامة واعمالهم تظلهم واخرج ابن المبارك في الزهد وابن
ابي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال تعطى الشمس يوم
القيامة حر عشر سنين وتدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون
حتى يرشح العرق في الارض قامة ثم ترتفع حتى يغرغر الرجل زاد ابن المبارك
في روايته ولا يضر حرها يومئذ مؤمنا ولا مؤمنة قال القرطبي المراد
ان يكون كامل الايمان لما يدل عليه حديث المقداد وغيره انهم يتفاوتون في
ذلك بحسب اعمالهم وفي رواية عند ابي يعلى وصححها ابن حبان ان الرجل ليلجمه
العرق يوم القيامة حتى يقول يا رب ارحني ولو الى النار وهو كالصريح في
ان ذلك كله في الموقف ومن تامل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها وذلك
ان النار تحف بارض الموقف وتدني الشمس من الرؤوس قدر ميل فكيف تكون
حرارة تلك الارض وماذا يرويها من العرق حتى ان كل احد لا يجد الا قدر موضع
قدميه فكيف يكون حال هؤلا في عرقهم مع تنوعهم فيه ان هذا مما يبهر
العقول ويدل على عظم القدرة ويقتضي الايمان بامور الاخرة وان ليس للعقل

مبنين

فيه مجال ولا يعترض على ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة وانما يوخذ بالقبول فتامل رحمك الله شدة هذا الازدحام والانضمام والاتساق والالتصاق والاجتماع والانس والجان ومن يجمع معهم من سائر اصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزاد في حرها ويضاعف في وهجها ولا ظل الا ظل عرش ربك بما قدمته مع ما انضاف الى ذلك من حر الانفاس لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكرب ولا ريب ان هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة الالتهاب والماء اعز موجود واعظم مفقود فلا منهل مورود الا حوض صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا كذبه ولا مشرب لامته سواه ولا يبرد اكبادهم الا برد الشربة منه كما وردت وبه الظما وتشفي من الصدا وتذهب بكل دا فلا يظما شاربها ولا يسقم بعدها ابدا وفي حديث انس عند البزار من شرب منه اي من الحوض شربة لم يظما ابدا ومن لم يشرب منه لم يرو ابدا وزاد في حديث ابي امامة عند احمد وابن حبان ولم يسود وجهه ابدا وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه الحاكم اكثر الناس عليه ورودا فقراء المهاجرين وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الشيخين حوضي مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظما ابدا قال القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض يكون بعد الصراط وذهب اخرون الى العكس والصحيح ان للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والاخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرا وتعقبه الشيخ ابن حجر بان الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه فغاية ما يوخذ من كلام القرطبي ان الحوض يكون قبل الصراط لان الناس يردون من الموقف عطاشا فيرد المومنون الحوض وتتساقط الكفار في النار بعد ان يقولون ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كانها سراب فيقال الا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها وفي حديث ابي ذر عند مسلم ان الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة وهو حجة على القرطبي لا له لان الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمومنون يمرون عليه لدخول الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض وظاهر الحديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها وقال القاضي عياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب منه لم يظما بعدها ابدا يدل على ان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار لان ظاهر حال من لا يظما ان لا يعذب بالنار ولكن يحتمل ان من قدر عليه التعذيب منهم ان لا يعذب فيها بالظما بل بغيره وعن انس قال سالت رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن تشفع

وسلم ان تشفع لي يوم القيامة فقال انا فاعل ان شاء الله قلت فاين اطلبك قال اول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم القك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم القك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا اخطي هذه الثلاث مواطن رواه الترمذي وقال حسن غريب وفي حديث ابن مسعود وعند احمد ثم اوتى بكسوتي فالبسها فاقوم عن يمين العرش مقاما لا يقومه احد فيغبطني به الاولون والاخرون قال ويفتح لهم من الكوثر الى الحوض الحديث وقد بين في حديث عمرو بن العاص عند البخاري ان الحوض مسيرة شهر وزاد فيه وابو مسلم من هذا الوجه وزواياه سوا وهذه الزيادة كما قاله في فتح الباري تدفع تاويل من جمع بين مختلف الاحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول وفي حديث ابي سعيد عند ابن ماجة رفعه ان لي حوضا ما بين الكعبة وبيت المقدس وفي حديث ابي بردة عند الطبراني وابن حبان في صحيحه ما بين ناحيتي حوضي كما بين ايلة وصنعا الى بصرى مسيرة عرضه كطوله وفي حديث انس عند الشيخين كما بين صنعا والمدينة وفي حديث عتبة بن عبد السلمي عند ابن حبان في صحيحه ما بين صنعا الى بصرى وفي حديث ابي امامة عند الطبراني ما بين عدن وعمان بضم المهملة وتشديد الميم وقال ابن الاثير في النهاية في حديث الحوض من مقامي الى عمان هي بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقا فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين انتهى وهذه المسافات كلها متقاربة وظن بعضهم انه وقع اضطراب في ذلك وليس كذلك واجاب النووي عن ذلك بانه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكبيرة فالاكثر ثابت بالحديث فلا معارضة وحاصله يشير الى انه اخبر اولا بالمسافة اليسيرة ثم اعلم بالمسافة الطويلة فاخبر بها كان الله تفضل عليه باتساعه شيا بعد شي فيكون الاعتماد على ما يدل على اطولها مسافة فان قلت هل كان لكل نبي من الانبيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض هناك يقوم عليه كنبينا والجواب انه اشتهر اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بالحوض قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف ان يعلمه ويصدق به ان الله تعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الاحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي اذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين امثالهم ومن بعدهم اضعاف اضعافهم وهلم جرا واجتمع على اثباته السلف واهل السنة من الخلف انتهى لكن اخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو امته ولكل نبي حوض منهم من ياتيه الفيام ومنهم من ياتيه العصبة

ومنهم من يأتيه الواحد ومنهم من يأتيه الاثنان ومنهم لا يأتيه احد واني لاكثر الانبيا تبعا
يوم القيامة وفي اسناده لين **فان قلت** فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر
الذي يصب من مائه في حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان به عليه في
انا اعطيناك الكوثر انتهى ملخصا من فتح الباري والقيام كما في الصحاح الجماعة من الناس
لا واحد له من لفظه والعامة تقول قيام بلا همز **وفي** رواية مسلم من حديث ابي هريرة
رفعه **قال** يرد علي امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل
عن ابله قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون علي غرا
محجلين من اثار الوضوء قالوا والحكمة في الذود المذكور انه صلى الله عليه وسلم يريد ان
يرشد كل احد الى حوض نبيه كما تقدم ان لكل نبي حوضا فيكون هذا من جملة انصافه عليه
السلام ورعاية اخوانه من النبيين لا انه يطردهم بخلا عليهم بالماء ويحتمل ان يكون
يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والله اعلم **وفي** حديث انس انه صلى الله عليه وسلم
قال الحوض اربعة اركان الاول بيد ابي بكر الصديق والثاني بيد عمر الفاروق والثالث
بيد عثمان ذي النورين والرابع بيد علي ابن ابي طالب فمن كان محبا لابي بكر مبغضا لعمر
لا يسقيه ابو بكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمان لا يسقيه علي رواه ابو سعد
في شرف النبوة والغيلاني **واما تفضيله** صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام
المحمود فقد قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اتفق المفسرون على
ان كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع
انسانا في شيء ثم احرمه كان عارا والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا في شيء ثم
لا يعطيه ذلك وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على اقوال احدها انه الشفاعة
قال الواحدي اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه
الاية هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وقال الامام ابن الخطيب اللفظ مشعر بذلك
لان الانسان انما يصير محمودا اذا احمده حامد والحمد انما يكون على الانعام وذلك الانعام
لا يجوز ان يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلا في الحال وقوله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم ان حمد الانسان على سعيه في التخلص عن العقاب
اعظم من سعيه في زيادة من الثواب ولا حاجة به اليها لان احتياج الانسان
في دفع الالام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة
الى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من قوله عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العذاب على ما هو مذهب اهل السنة ولما ثبت
ان لفظ الاية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا ثم وردت الاخبار الصحيحة
في تقرير هذا المعنى كما في البخاري من حديث ابن عمر **قال** سئل رسول الله صلى الله عليه

عن المقام المحمود

عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة وفيه ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي
الشفاعة الى فذلك المقام المحمود فاذا ثبت هذا فيجب حمل اللفظ عليه قال ومما يؤيد
هذا الدعاء المشهور وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون ونصب
مقاما على الظرفية وابعثه يوم القيامة فاقمه مقاما محمودا او على انه مفعول
به وضمن معنى ابعثه معنى اقمه ويجوز ان يكون حالا ابعثه حال انه ذا مقام قال
الطيبي وانما نكره لانه افخم واجزل اي مقاما محمودا بكل لسان وقول النووي ان
الرواية ثبتت بالتكبير وانه كان حكاية للفظ القران متعقب بانه جاء في هذه
الرواية بعينها بالتعريف عند النسائي قال ابن الجوزي الاكثر على ان المراد بالمقام
المحمود هو الشفاعة وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه القول الثاني قال حذيفة
يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم
فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك
بين يديك وبك واليك ولا ملجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
قال فهذا هو المراد من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
رواه الطبراني قال ابن منده حديث مجمع على صحة اسناده وثقة رجاله قال الرازي
والقول الاول اولى لان سعيه في الشفاعة يفيد اقدام الناس على حمده فيصير محمودا **واما**
ما ذكر من الدعاء فلا يفيد الا الثواب اما الحمد فلا فان قيل لم لا يجوز ان يقال انه تعالى يحمده
على هذا القول فالجواب لان الحمد في اللغة مختص بالثناء المذكور في مقابلة الانعام فقط
فان ورد لفظ الحمد في غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز القول الثالث مقام تحمد
عاقبته قال الامام فخر الدين وهذا ايضا ضعيف للوجه الذي ذكرناه القول
الرابع قيل هو اجلاسه عليه السلام على الكرسي وعن مجاهد انه قال يجلسه معه على
العرش قال الواحدي وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادي
بفساد هذا التفسير ويدل عليه وجوه الاول ان البعث ضد الاجلاس
يقال بعثت البارك والقاعد فانبعث وقال بعث الله الميت اي اقامه من قبره
فتفسير البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد وهو فاسد والثاني يوجب انه تعالى
لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم لكان محدودا
متناهيا ومن كان كذلك فهو محدث تعالى الله علوا كبيرا والثالث انه تعالى
قال مقاما محمودا ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لا موضع القعود
والرابع اذا قيل ان السلطان بعث فلانا فهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح
مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه فثبت ان هذا القول ساقط
لا يميل اليه الا قليل العقل عديم الدين انتهى وتعقب القول الثاني بانه تعالى

يجلس على الكرسي كما اخبر جل وعلا عن نفسه المقدسة بلا كيف وليس اقعاد محمد صلى الله عليه
وسلم على العرش موجبا له صفة الربوبية او مخرجا له عن صفة العبودية بل
رفع لمحله وتشريفا له على خلقه • واما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان الذين
عند ربك ورب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكل هذا ونحوه عائد على الرتبة
والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان وقال شيخ الاسلام ابو
الفضل العسقلاني قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة
النقل ولا من جهة النظر • وقال ابن عطية هو كذلك اذا حمل على ما يليق به قال
وبالغ الواحدي في رد هذا القول ونقل النقاش عن ابي داود صاحب السنن انه
قال من انكر هذا فهو منهم وقد جاء عن ابن مسعود عند الثعلبي وعن ابن عباس عند
ابي الشيخ قال ان محمدا يوم القيامة يجلس على كرسي الرب بين يدي الرب فيحتمل
ان تكون الاضافة اضافة تشريف وعلى ذلك يحمل ما جاء عن مجاهد وغيره •
ويحتمل ان يكون المقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور وان يكون الاجلاس
هي المنزلة المعبر عنها بالوسيلة • كذا قاله بعضهم • ويحتمل ان يكون الاجلاس
علامة الاذن في الشفاعة واختلف في فاعل الحمد من قوله تعالى محمودا فالاكثر
على ان المراد اهل الموقف • وقيل النبي صلى الله عليه وسلم اي انه يحمد عاقبة
ذلك المقام بتهجده في الليل • والاول ارجح لما ثبت من حديث ابن عمر بلفظ مقاما
محمودا يحمده اهل الجمع كلهم • ويجوز ان يحمل على اعم من ذلك اي مقاما يحمد القائم
فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات واستحسن هذا
ابو حيان وايده بانه نكره فدل على انه ليس المراد مقاما مخصوصا انتهى فان
قلت اذا قلنا بالمشهور ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة فاي شفاعة هي
فالجواب ان الشفاعة التي وردت في الاحاديث في المقام المحمود نوعان • النوع
الاول العامة في فصل القضاء • والثاني في الشفاعة في اخراج المذنبين من النار
لكن الذي يتجه رد هذه الاقوال كلها الى الشفاعة العظمى العامة فان اعطاءه لواء الحمد
وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك صفات للمقام المحمود
الذي يشفع فيه ليقضى بين الخلق • واما شفاعته في اخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك
وقد انكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في اخراج من دخل من المذنبين وتمسكوا
بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين • وقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا
شفيع يطاع • واجاب اهل السنة بان هذه الآية في الكفار • وقال القاضي عياض مذهب
اهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا لصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا • وقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى
ولقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا المفسر بها عند الاكثرين كما قدمته وقد

جاءت الاثار

جاءت الآثار التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين وعن
ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك
بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسألت الله ان يؤتيني الشفاعة فيهم
يوم القيامة ففعل وفي حديث ابي هريرة لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها واريد ان اختبئ
دعوتي شفاعة لامتي في الآخرة • وفي رواية انس فجعلت دعوتي لامتي • وهذا من مزيد
شفقته علينا وحسن تصرفه جعل دعوته المجابة في اهم اوقات حاجاتنا فجزاه الله عنا
افضل الجزاء • وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة قال شفاعتي
لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه • وعن ابي زرعة عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة هل
تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم
الداعي • وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول
الناس الا ترون الى ما انتم فيه الى ما بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول
بعض الناس لبعض ابوكم آدم فيأتونه فيقولون يا آدم انت ابو البشر خلقك الله
بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملائكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا تشفع لنا
الى ربك الا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فقال ان ربي غضب اليوم غضبا لم
يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري • اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح
انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا الا ترى الى ما نحن فيه
الا ترى الى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد كانت لي دعوة قد دعوت بها على قومي نفسي نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم عليه السلام فيقولون
انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم
ان ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني كنت كذبت
ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى عليه
السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس
الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولن يغضب بعده مثله واني قد قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول
الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد • الا ترى ما نحن فيه
اشفع لنا الى ربك فيقول عيسى ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله
ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا

عنى

محمد فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبيا
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الى ربك
فانطلق فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثنا
عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع
راسي فاقول امتي يا رب امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه
من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب الحديث
رواه البخاري ومسلم قال في فتح الباري وقد استشكل قولهم لنوح انت اول
الرسل من اهل الارض فان ادم نبي مرسل وكذا شيث وادريس وهم قبل نوح
ومحصل الاجوبة عن ذلك ان الاولية مقيدة بقوله اهل الارض لان ادم ومن
ذكر معه لم يرسلوا الى اهل الارض وان الثلاثة كانوا انبيا ولم يكونوا رسلا
والى هذا احتج ابن بطال في حق ادم وتعقبه القاضي عياض بما صححه ابن حبان من حديث
ابي ذر فانه كالصريح في انه كان مرسلا وفيه التصريح بانزال الصحف على شيث وهو
من علامات الارسال ومن الاجوبة ان رسالة ادم كانت الى بنيه وهم موحدون
ليعلمهم شريعته ونوح رسالته كانت الى قوم كفار يدعوهم الى التوحيد وذكر الغزالي
في كشف علوم الاخرة ان بين اتيان اهل الموقف ادم واتيانهم نوحا الف سنة وكذا
بين كل نبي ونبي الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ولم اقف لذلك
على اصل قال ولقد اكثر في هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول لها فلا يغتر بشي
منها ووقع في رواية حذيفة ان الخليل عليه السلام قال لست بصاحب ذاك
انما كنت خليلا من وراء وراء بفتح الهمزة بلا تنوين ويجوز البنا على الضم للقطع عن
الاضافة نحو من قبل ومن بعد واختاره ابو البقا قال الاخفش يقال لقيته من
ورا بالضم وقوله اذا انا لم اومن عليك ولم يكن لقاؤك الا من ورا ورا
ويجوز فيهما النصب والتنوين جوازا جيدا قاله ابو عبد الله الابي ومعناه لم اكن
في التقريب والادلال بمنزلة الحبيب وقيل مراده ان الفضل الذي اعطيته كان
بسفارة جبريل ولكن ايتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة وكرروا اشارة الى نبينا
صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة فكانه قال انا من
ورا موسى الذي هو من ورا محمد وسبق مزيد لذلك في الخصايص واما ما ذكر من
الكلمات الثلاث فقال البيضاوي الحق انها انما كانت في معاريض الكلام لكن لما كانت
صورتها صورة الكذب اشفق منها استقصارا لنفسه عن الشفاعة لان من كان
اعرف بالله واقرب اليه منزلة كان اعظم خوفا واما قوله عن عيسى انه لم يذكر ذنبا
فوقع في حديث ابن عباس عند احمد والنسائي اني اتخذت الها من دون الله وفي
حديث ابن عباس عن ابيه حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اني لقائم انتظر امتي عند

الصراط اذ جاءني عيسى فقال يا محمد هذه الانبيا جاءتك يسالونك لتدعو الله ان يفرق
جمع الامم الى حيث شا لعظم ما هم فيه فافادت هذه الرواية تعيين موقف النبي
صلى الله عليه وسلم حينئذ وان هذا وصف من كلام اهل الموقف كله يقع عند نصب
الصراط بعد تساقط الكفار في النار وان عيسى هو الذي يخاطب نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم وان جميع الانبيا يسالونه في ذلك وفي حديث سلمان عند ابن ابي
شيبة يأتون محمدا فيقولون يا نبي الله انت فتح الله بك وختم وغفر لك ما تقدم
وما تأخر وجئت في هذا اليوم وترى ما نحن فيه فقم فاشفع لنا الى ربنا فيقول
انا صاحبكم فيجوش الناس حتى ينتهي الى باب الجنة فان قلت ما الحكمة في
انتقاله صلى الله عليه وسلم من مكانه الى الجنة اجيب بان ارض الموقف لما
كانت مقام عرض وحساب كانت مكان مخافة واشفاق ومقام الشافع يناسب ان يكون
في مقام اكرام وفي حديث ابي بن كعب عند ابي يعلى رفعه فاسجد له سجدة يرضى بها عني
ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني وفي حديث ابي بكر الصديق فينطلق اليه جبريل فيخر
ساجدا قدر جمعة فيقال يا محمد ارفع راسك وفي رواية النضر بن انس فاوحى الله الى
جبريل ان اذهب الى محمد فقل له ارفع راسك وعلى هذا فالمعنى يقول الله على لسان جبريل
والظاهر انه صلى الله عليه وسلم يلهمهم التحميد قبل سجوده وبعده وفيه ويكون في
كل مكان ما يليق به فانه ورد في رواية فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا اقدر عليها
ثم اخر ساجدا وفي رواية البخاري فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني وفي رواية
ابي هريرة عند الشيخين فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله من محامده
وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع راسك الحديث وفي رواية
البخاري من حديث قتادة عن انس ثم اشفع فيحد لي حدا ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة
قال الطيبي اي يبين لي كل طور من اطوار الشفاعة حدا اقف عنده فلا
اتعداه مثل ان يقول شفعتك فيمن اخل بالجماعة ثم فيمن اخل بالصلاة ثم فيمن شرب
الخمر ثم فيمن زنا وهكذا على هذا الاسلوب والذي يدل عليه سياق الاخبار
ان المراد به تفضيل مراتب المخرجين في الاعمال الصالحة كما وقع عند احمد من يحيى القطان
عن سعيد بن ابي عروبة وفي رواية ثابت عند احمد فاقول اي رب امتي امتي فيقول اخرج من
كان في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة ثم حبة خردل فذلك المقام المحمود وفي رواية
ابي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير قال القاضي عياض
قيل معناه اليقين واما قوله في رواية انس عند البخاري فاخرجهم من النار فقال
الداودي كان راوي هذا الحديث ركب شيا على غير اصله وذلك ان اول الحديث ذكر
الشفاعة في الاراحة من كرب الموقف وفي اخره ذكر الشفاعة في الاخراج من النار يعني وذلك
انما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة

في النار ثم تقع بعد ذلك الشفاعة في اخراج وهو اشكال قوي وقد اجاب عنه
النووي ومن قبله القاضي عياض بانه قد وقع في حديث حذيفة وابي هريرة فياتون محمدا
فيقوم ويؤذن له بالشفاعة وترسل معه الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط
يمينا وشمالا انتهى فيقفان في ناحية الصراط قال القاضي عياض فبهذا يتصل
الكلام لان الشفاعة التي لجا الناس اليه فيها هي لاراحة الناس من كرب الموقف
ثم يجيء الشفاعة في الاخراج انتهى والمعنى في قيام الامانة والرحم انهما لعظم شانهما
ومخافة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان للامين والخائن وللواصل
والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل وقد وقع في حديث ابي هريرة
بعد ذكر الجمع في الموقف الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد ثم تمييز المنافقين من
المؤمنين ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه فكان الامر باتباع كل
امة ما كانت تعبد هو اول فصل القضاء والاراحة من كرب الموقف وبهذا تجتمع
متون الاحاديث وتترتب معانيها انتهى وظهر انه صلى الله عليه وسلم اول ما يشفع
ليقضي بين الخلق وان الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط بعد ذلك وان العرض
والميزان وتطاير الصحف يقع في هذا الموطن ثم ينادي لتتبع كل امة ما كانت تعبد
فيسقط الكفار في النار ثم تمييز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند
كشف الساق ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفا نور المنافقين
فيسقطون في النار ايضا ويمر المؤمنون عليه الى الجنة فمن العصاة من يسقط
ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة وقد قال
النووي ومن قبله القاضي عياض الشفاعات خمس الاولى في الاراحة من هول
الموقف الثانية في ادخال قوم الجنة بغير حساب الثالثة في ادخال قوم حوسبوا
واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا الرابعة في اخراج من ادخل النار من العصاة
الخامسة في رفع الدرجات انتهى فاما الاولى وهي التي لاراحة الناس من هول الموقف
فيدل عليها حديث ابي هريرة وغيره المتقدم وحديث انس عند البخاري ولفظه
يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا
فياتون ادم فيقولون انت الذي خلقك بيده ونفخ فيك من روحه وامر
الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته
ايتوا نوحا وذكر اتيانهم الانبياء واحدا واحدا الى ان قال فياتوني فاستاذن على
ربي واذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال لي ارفع راسك سل تعطه
وقل تسمع واشفع تشفع فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني الحديث واما الثانية
وهي ادخال قوم الجنة بغير حساب فيدل عليها ما في اخر حديث ابي هريرة عند البخاري
ومسلم الذي قدمته فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال يا محمد ادخل

من امتك

من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة قال ابو حامد والسبعون
الالف الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان ولا ياخذون صحفا وانما
هي براة مكتوبة لا اله الا الله محمد رسول الله هذه براة فلان ابن فلان قد غفر له
وسعد سعادة لا شقا بعدها ابدا فما مر عليه شيء اسر من ذلك المقام واما
الثالثة وهي ادخال قوم حوسبوا ان لا يعذبوا فيدل على ذلك قوله في حديث
حذيفة عند مسلم ونبيكم على الصراط يقول رب سلم الرابعة وهي في اخراج
من ادخل النار من العصاة فدلائلها كثيرة وقد روى البخاري عن عمران بن
الحصين مرفوعا يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون
الجهنميين واما الخامسة وهي رفع الدرجات فقال النووي في الروضة
انها من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك مستندا والله اعلم
وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه ابي
طالب في تخفيف العذاب لما ثبت في الصحيح ان العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في
غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح ايضا من طريق ابي سعيد انه
صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح
من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وزاد بعضهم سابعة وهي الشفاعة لاهل المدينة
لحديث سعد رفعه لا يثبت احد على لاوائها الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة
وتعقبه الحافظ ابن حجر بان متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس الاول وبانه لو عد مثل
ذلك لعد حديث عبد الملك بن عباد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اول من
اشفع له اهل المدينة ثم اهل مكة ثم اهل الطائف رواه البزار واخرى لمن زار قبره
الشريف واخرى لمن اجاب المؤذن ثم صلى الله عليه وسلم واخرى في التجاوز عن تقصير
الصلحا لكن قال الحافظ انها مندرجة في الخامسة وزاد القرطبي انه اول شافع
في دخول امته الجنة قبل الناس ويدل عليه ما رواه
وزاد في فتح الباري اخرى فيمن استوت حسناته وسيئاته ان يدخل الجنة لما اخرجه
الطبراني عن ابن عباس قال السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد برحمة الله والظالم
لنفسه واصحاب الاعراف يدخلون بشفاعته صلى الله عليه وسلم وارجح الاقوال في
الاعراف انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وشفاعة اخرى وهي شفاعته فيمن
قال لا اله الا الله ولم يعمل خيرا قط لما في رواية الحسن عن انس فاقول يا رب ائذن لي فيمن
قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لاخرجن من النار
من قال لا اله الا الله فالوارد على الخمسة اربعة وما عداها لا يرد كما لا يرد الشفاعة
في التخفيف عن صاحب القبرين وغيره ذلك لكونه من جملة احوال الدنيا انتهى فان قلت

فاي شفاعة ادخرها صلى الله عليه وسلم لامته اما الاولى فلا يختص بهم بل لاراحة الجمع
كلهم وهي المقام المحمود كما تقدم وكذلك باقي الشفاعات الظاهر انه يشاركهم فيها بقية
الامم والجواب انه يحتمل ان المراد الشفاعات العظمى التي للاراحة من هول
الموقف وهي وان كانت غير مختصة بهذه الامة لكن هم الاصل فيها وغيرهم تبع لهم
ولهذا كان اللفظ المنقول عنه صلى الله عليه وسلم فيها انه قال يا رب امتي امتي
قد ما فيهم فاجيب وكان غيرهم تبعا لهم في ذلك ويحتمل ان تكون الشفاعة الثانية
وهي التي في ادخال قوم الجنة بغير حساب وهي المختصة بهذه الامة فان الحديث الوارد
فيها تدخل من امتي الجنة سبعون الفا الحديث ولم ينقل ذلك في بقية الامم
ويحتمل ان يكون المراد مطلق الشفاعة المشتركة بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه
الامم يشاركونهم فيها او في بعضها لا ينافي ان يكون عليه السلام اخر دعوته شفاعة
لامته فلعله لا يشفع لغيرهم من الامم بل تشفع لهم انبياؤهم ويحتمل ان تكون الشفاعة
لغيرهم تبعا كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى وعن بريدة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اني لارجوا ان اشفع يوم القيامة عدد ما على الارض من شجرة
ومدرة رواه احمد وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن
آخر الامم واول من يحاسب يقال اين الامة الامية ونبيها فنحن الاخرون
الاولون رواه ابن ماجة وفي حديث ابن عباس عند ابي داود الطيالسي مرفوعا
فاذا اراد الله ان يقضي بين خلقه نادى منادي اين محمد وامته فاقوم وتتبعني امتي
غرا محجلين من اثر الطهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن الاخرون الاولون
واول من يحاسب ويفرج لنا الامم عن طريقنا وتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون
انبيا كلهم وقد صح ان اول ما يقضى بين الناس في الدما وفي البخاري عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه انه قال انا اول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمن للخصومة
يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش قال ابو ذر وفيهم
نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم الاية وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره
فيما افناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما
ابلاه رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي البخاري من حديث عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب وروى البزار عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج لابن ادم يوم القيامة ثلاثة دواوين
ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله
لاصغر نعمة احسبه قال في ديوان النعم خذي ثمنك من عملك الصالح فيستوعب عمله الصالح
وتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح فاذا اراد الله

اذنهم خزنا

ان يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك قال ووهبت لك
نعمي وروى الامام بسند حسن عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليختصمن كل شي حتى الشاتان فيما انتطحتا وعن انس بينا رسول الله صلى الله عليه
جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما اضحكك يا رسول الله بابي انت وامي
قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي
من اخي فقال الله كيف تصنع باخيك ولم يبق من حسناته شي قال يا رب فليحمل من
اوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم
يحتاج الناس ان يحمل عنهم من اوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك فانظر فقال
يا رب ارى مداين من ذهب وقصورا من فضة مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا ولاي صديق هذا
ولاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك
قال انت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب فاني قد عفوت عنه قال
الله تعالى خذ بيد اخيك وادخله الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك
اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المسلمين رواه الحاكم والبيهقي في
البعث كلاهما عن عباد بن شيبة الحبطي عن سعيد بن انس عنه فقال الحاكم صحيح
الاسناد كذا قال وقد نقل لو ان رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف
دانق لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه وقيل يوخذ بدانق سبع مائة صلاة
مقبولة فتعطى للخصم ذكره القشيري في التحبير ثم بعد انقضا الحساب يكون وزن الاعمال
للجزا فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن لاظهار
مقاديرها ليكون الجزا بحسبها وقد ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع وجاءت
السنة بلفظ الافراد والجمع فقيل ان صورة الافراد محمولة على ان المراد الجنس
جمعا بين الكلامين وقال بعضهم يحتمل ان يكون تعددها بتعدد الاعمال
فيكون هنا موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله ورد هيت
طايفة الى انها ميزان واحد يوزن بها والجمع وانما ورد في الاية بصيغة الجمع
للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد وهو نظير قوله كذبت قوم نوح المرسلين
والمراد رسول واحد وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون واختلف في كيفية
وضع الميزان والذي جاء في اكثر الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار
عن يسار العرش ثم يؤتى بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى فتوضع كفة الحسنات
مقابل الجنة وكفة السيئات مقابل النار ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
واختلف ايضا في الموزون نفسه فقال بعضهم توزن الاعمال نفسها وهي
وان كانت اعراضا الا انها تجسم يوم القيامة وقيل الموزون صحايف الاعمال
ويدل عليه حديث البطاقة المشهور وقد رواه الترمذي من حديث عبد الله بن

عمرو بن العاصي يرفعه بلفظ ان الله يستخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيمة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء فان قلت ان شان الميزان ان توضع في كفته شيء وفي الاخرى ضده فتوضع الحسنات في كفة والسيات في كفة والذي يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان ياتي عبد واحد بالكفر والايمان معا حتى يوضع الايمان في كفة والكفر في اخرى اجاب الترمذي الحكيم بانه ليس المراد وضع شهادة التوحيد في كفة الميزان وانما المراد وضع الحسنة المترتبة على النطق بهذه الكلمة مع سائر الحسنات ويدل لما قاله قوله عليه السلام بلى ان لك عندنا حسنة ولم يقل لك عندنا ايمانا وقد سئل عليه السلام عن لا اله الا الله امن الحسنات هي فقال من اعظم الحسنات اخرجه البيهقي وغيره ويجوز كما قاله الطبري في التذكرة ان تكون هذه الكلمة هي اخر كلامه في الدنيا كما في حديث معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفي التحبير للقشيري قيل لبعضهم في المنام ما فعل الله بك قال وزنت حسناتي فرجحت السيات على الحسنات فسقطت صرة في كفة الحسنات فرجحت فحللت الصرة فاذا فيها كف تراب القيته في قبر مسلم وفي الخبر اذا خفت حسنات المؤمن اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى فيها حسنا ثم فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك وما احسن خلقك فمن انت فيقول انا نبيك محمد وهذه صلاتك علي وقد وفيتك اياها احوج ما تكون اليها ذكره القشيري في تفسيره وذكر الغزالي انه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة ترجح بها ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله تعالى له رحمة منه اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فما يجد احدا يكلمه في ذلك الامر الا قال له انا احوج لذلك منك فييأس فيقول له رجل لقد لقيت الله فما وجدت في صحيفتي الا حسنة واحدة وما اظنها تغني عني شيئا خذها هبة فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله له ما بالك وهو اعلم فيقول يا رب اتفق من امري كيت وكيت قال فينادي الله تعالى بصاحبه الذي وهبه الحسنة فيقول له تعالى كرمي اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة وكذا تستوي كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى

له لست من اهل الجنة ولا من اهل النار فياتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب اف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق فيؤمر به الى النار قال فيطلب الرجل ان يرد الى الله تعالى فيقول الله تعالى ردوه فيقول الله له ايها العبد العاق لاي شيء تطلب الرد الي فيقول الهي اني سائر الى النار وكنت عاقا لابي وهو سائر الى النار مثلي فضعف علي عذابي وانقذه منها قال فيضحك الله تعالى ويقول عققته في الدنيا وبررته في الاخرة خذ بيد ابيك وانطلقا الى الجنة وقد روي حذيفة ان صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام وهو الذي يزن الاعمال يوم القيامة واختلف ايضا في كيفية الرجحان والنقص فقال بعضهم ان الراجح ان الموزون في الاخرة يصعد عكس ما في الدنيا واستشهد في ذلك بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب الاية قال الزركشي وهو غريب مصادم لقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وهل توزن الاعمال كلها ام خواتيمها حكي عن وهب بن منبه انه قال انما يوزن من الاعمال خواتيمها واستدل بقوله عليه السلام انما الاعمال بخواتيمها وذكر الحافظ ابو نعيم عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قضى لاخيه المؤمن حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له وقال بعض اهل العلم فيما حكاه القرطبي في التذكرة ولن يجوز احد الصراط حتى يسال عن سبع قناطر فاما القنطرة الاولى فيسال عن الايمان بالله وشهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا جاز ثم يسال في القنطرة الثانية عن الصلوة فان جاء بها تامة جاز ثم يسال في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسال في القنطرة الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسال في الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز الى القنطرة السادسة فيسال عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز ثم يسال في السابعة وليس في القناطر اصعب منها فيسال عن ظلامات الناس وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون انا وامتي اول من يجوز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى فتخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو الحديث رواه البخاري وفي حديث حذيفة وابي هريرة عند مسلم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز اعمال العباد حتى ياتي الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مامورة تاخذ من امرت به فمخدوش ناج ومكردس في النار وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار اليها في الحديث حفت النار بالشهوات فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوات سقط في النار قال ابن العربي ويوخذ

من قوله فخدوش الي اخره ان المارين على الصراط ثلاثة اصناف ناج بلا خدش وهالك
من اول وهلة ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو • وفي حديث المغيرة عند الترمذي
شعار المومنين على الصراط رب سلم رب سلم • ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار
المومنين ان ينطقوا به بل تنطق الرسل يدعون للمومنين بالسلامة فيسمى ذلك
شعارا لهم وفي حديث ابن مسعود فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطي
نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين ايديهم الحديث وفيه فيمرون على قدر نورهم
فمنهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم
من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم
من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يحبو على وجهه ويديه
ورجليه يجر يدا وتعلق يد ويجر رجلا وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك
حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها وقال الحمد لله الذي اعطاني ما لم يعط احدا اذ
نجاني منها بعد اذ رايتها الحديث رواه ابن ابي الدنيا والطبراني • وروى مسلم
قال ابو سعيد بلغني ان الصراط احد من السيف وادق من الشعر ولابن المبارك
من مرسل عبيد بن عمير ان الصراط مثل السيف وبجنبيه كلاليب انه ليوخذ بالكلاب
الواحد اكثر من ربيعة ومضر • واخرجه ابن ابي الدنيا من هذا الوجه وفيه
والملائكة على جنبيه يقولون رب سلم • وعن الفضيل بن عياض بلغنا ان الصراط
مسيرة خمسة عشر سنة خمسة الاف صعود وخمسة الاف هبوط • وخمسة الاف مستوى
ادق من الشعر واحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من
خشية الله ذكره ابن عساكر في ترجمته • قال في فتح الباري وهذا معضل لا يثبت
قال • وعن سعيد بن ابي هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعر على بعض الناس
ولبعض الناس مثل الوادي الواسع اخرجه ابن المبارك وهو مرسل او معضل
وقد ذهب بعضهم الى ان المراد من قوله تعالى وان منكم الا واردها الجواز
على الصراط لانه ممدود على النار • وروي عن ابن عباس وابن مسعود وكعب
الاحبار انهم قالوا الورود المرور على الصراط • وقيل الورود الدخول • وعن
ابي سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مومن وقال بعضنا
يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلنا انا اختلفنا
في الورود فقال يردونها جميعا فقلت انا اختلفنا في ذلك فقال بعضنا
لا يدخلها مومن وقال بعضنا يدخلونها جميعا فاهوى باصبعيه الى اذنيه وقال
صمتا ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى
بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى
ان للنار او قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين

رواه احمد والبيهقي

رواه احمد والبيهقي باسناد حسن واخرج ابن الجوزي كما ذكره القرطبي في التذكرة رفعه
ان الزوي على الصراط كثيرا واكثر من يزل عنه النساء قال فاذا صار الناس على طرفي
الصراط نادى ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط •
وليقف كل عاص منكم وظالم فيا لها من ساعة ما اعظم خوفها واشد حرها
يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفا هينا ويتاخر عنها من كان فيها عظيما
مكينا ثم يوذن لجميعهم بعد ذلك في الجواز على الصراط على قدر اعمالهم فاذا
عصف الصراط بامة محمد صلى الله عليه وسلم نادوا وامحمداه وامحمداه فيبادر
عليه السلام من شدة اشفاقه عليهم وجبريل اخذ بحجزته فينادي صلى الله عليه
وسلم رافعا صوته امتي امتي لا اسالك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيام
عن يمين الصراط ويساره ينادون رب سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت
الاوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم
بالسلاسل والاغلال وينادونهم اما نهيتم عن كسب الاوزار اما انذرتم كل
الانذار • اما جاءكم النبي المختار • ذكره ابن الجوزي في كتابه روضة المشتاق •
وقد جاء في حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال من احسن الصدقة
في الدنيا جاز على الصراط رواه ابو نعيم • وفي الحديث من يكن المسجد بيته ضمن الله له
بالروح والرحمة والجواز على الصراط الى الجنة • وروى القرطبي عن ابن المبارك
عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم القيمة جمع الله الانبياء نبيا نبيا وامة وامة
ويضرب الجسر على جهنم وينادي اين احمد وامته فيقوم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله ابصار
اعدائه فتهافتون في النار يمينا وشمالا ويمضي النبي صلى الله عليه وسلم
والصالحون معه فتتلقاهم الملائكة فيرونهم على الطريق على يمينك على شمالك
حتى ينتهي الى ربه فيوضع له كرسي عن يمين العرش ثم يتبعه عيسى عليه السلام على
مثل سبيله ويتبعه برها وفاجرها حتى اذا كانوا على الصراط طمس الله ابصار
اعدائهم فتهافتون يمينا وشمالا الحديث • واعلم ان في الاخرة صراطين
احدهما مجاز لاهل المحشر كلهم الا من دخل الجنة بغير حساب او يلتقطه
عنق النار فاذا خلص من خلص من الصراط الاكبر حبسوا على صراط اخر لهم
ولا يرجع الى النار احد من هولاء ان شاء الله لانهم قد عبروا الصراط الاول
المعروف على متن جهنم • وقد روى البخاري من حديث ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة
والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا
هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم

أهدى في الجنة بمنزلته منه بمنزلة كان في الدنيا • وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم بأنه أول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها • ففي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أكثر الناس تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة وفيه أيضا من حديث أنس قال صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك • ورواه الطبراني وزاد فيه قال فيقوم الخازن ويقول لا أفتح لأحد قبلك ولا أقوم لأحد بعدك فقيامه له صلى الله عليه وسلم خاصة فيه إظهار لمزيته ومرتبته وأنه لا يقوم لخدمته أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم • وقد أقامه الله تعالى في خدمة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وروى سهل بن أبي صالح عن زياد النميري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من يأخذ بحلقة الجنة ولا فخر وهو في مسند الفردوس لكن من حديث ابن عباس • وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر • قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم وذكر الحديث إلى أن قال فيأتوني فأنطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي فيرحبون فيقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك الحديث رواه الترمذي وقال حسن • وفي حديث سلمان فيأخذ بحلقة الباب وهي ذهب فيقرع الباب فيقال من هذا فيقول محمد فيفتح • وفي حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى باب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه وسلم كما فعلوا عند العرصات عند استشفاعهم إلى الله تعالى في فصل القضاء ليظهر شرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر كلهم في المواطن كلها • وروى أبو هريرة مرفوعا أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أن امرأة تبادرني فأقول لها ما لك فتقول أنا امرأة قعدت على أيتامي رواه أبو يعلى ورواته لا بأس بهم وقال المنذري إسناده حسن إن شاء الله • وقوله تبادرني أي تدخل معي أو تدخل في إثري • ويشهد له حديث أنا وكافل اليتيم في الجنة وقال بإصبعيه السبابة والوسطى رواه البخاري من حديث سهل بن سعد قال ابن بطال حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ولا منزلة في الجنة أفضل من ذلك انتهى • ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة كما في الحديث قبله ووجه التشبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم من شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلا لهم ومرشدا وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه ويعلمه ويحسن أدبه • وعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا • اتخذ إبراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى روح الله قال آخر وآدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وهو كذلك وموسى كليم الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر رواه الترمذي • وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وقائدهم إذا وفدوا وشافعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون • رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له • وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة رواه مسلم • وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون ونحن الأولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولا الجنة فهذه الأمة أسبق الأمم خروجا من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش وأسبقهم إلى فصل القضاء وأسبقهم إلى الجواز على الصراط وأسبقهم إلى دخول الجنة وهي أكثر أهل الجنة • روى عبد الله بن الإمام أحمد من حديث أبي هريرة لما نزلت هذه الآية ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال صلى الله عليه وسلم أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة قال الطبراني تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري • وفي حديث بهز بن حكيم رفعه أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون • وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي قال الدارقطني غريب عن الزهري • فإن قلت ما يقول في الحديث الذي صححه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب قال أصبح رسول الله

صلى الله عليه وسلم قد غابكم لا نعال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة قط الا سمعت
خشخشتك امامي الحديث اجاب عنه ابن القيم بان تقدم بلال بين يديه صلى
الله عليه وسلم انما هو لانه كان يدعوا الى الله اولا بالاذان ويتقدم اذانه
بين يديه صلى الله عليه وسلم فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم قال وقد
روي في حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه
بالاذان فيتقدم بين يديه كرامة له صلى الله عليه وسلم واظهارا لشرفه وفضيلته
لا سبقا من بلال له وروى ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني باب الجنة الذي تدخل منه امتي
فقال ابو بكر يا رسول الله وددت اني كنت معك حتى انظر اليه فقال صلى الله عليه
وسلم اما انك يا ابا بكر اول من يدخل من امتي فقد دل هذا الحديث على ان لهذه
الامة بابا مختصا يدخلون منه الجنة دون سائر الامم فان قلت من اي ابواب
الجنة يدخل النبي صلى الله عليه وسلم والجواب انه قد ذكر الترمذي الحكيم
ابواب الجنة كما نقله عنه القرطبي في التذكرة فذكر باب محمد صلى الله عليه وسلم
وهو باب الرحمة وهو باب التوبة فان قلت كم عدة ابواب الجنة فاعلم
ان في حديث ابي هريرة عند الشيخين مرفوعا من انفق زوجين في سبيل الله دعي من
الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من
باب الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان
من اهل الصيام دعي من باب الريان وروى الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي
الله عنه مرفوعا ما منكم من احد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم قال اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية بزيادة من قال القرطبي
وهو يدل على ان ابواب الجنة اكثر من ثمانية قال وانتهى عددها الى ثلاثة عشر
بابا كذا قال فان قلت اي الجنان يسكنها النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم منحني الله
واياك التمتع بذاته القدسية في الحضرة الفردوسية ان الله تعالى قد اتخذ من الجنان
دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان والله
يختار من كل نوع اعلاه وافضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمدا صلى الله عليه وسلم
وربك يخلق ما يشاء ويختار وفي الطبراني من حديث ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ينزل الله تعالى في اخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولى
منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينظر في الساعة الثانية
في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها احد الا الانبياء والشهداء
والصديقون وفيها ما لم يره احد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط اخر ساعة من الليل
فيقول الا مستغفر يستغفرني فاغفر له الا سائل يسألني فاعطيه الا داع يدعوني فاستجيب

له حتى يطلع الفجر وفي حديث انه راى جنة عدن ومنازل المرسلين منها واري منازله فوق
منازلهم وروى ابو الشيخ عن شمر بن عطية قال خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها
كل يوم خمس مرات فيقول ازدادي طيبا لاوليائي ازدادي حسنا لاوليائي فتامل
هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولافضل ذريته اعتبارا بتفاوتها
واظهارا لفضل ما خلقه بيده وشرفه وتمييزه بذلك عن غيره وروى الدارمي عن
عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ثلاثة
اشيا بيده خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي
وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث وفيه ابو معشر نجيح بن عبد الرحمن تكلم فيه
وروى الدارمي ايضا عن عبد الله بن عمر خلق الله اربعة اشيا بيده العرش والقلم
وعدن وادم عليه وسلم ثم قال لسائر الخلق كن فكان وعنه ايضا عن ميسرة
قال ان الله لم يمس شيا من خلقه غير ثلاث خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس
جنة عدن بيده فجنة عدن اعلا الجنان وسيدتها وهي قصبة الجنة وفيها الكثيب الذي
تقع فيه الرؤية وعليها يدور ثمانية اسوار بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة عدن من الجنان
جنة الفردوس وهي اصل البستان وهي اوسط الجنان التي دون عدن وافضلها ثم جنة الخلد
ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى وهي التي يأوي اليها جبريل والملائكة وعن مقاتل تأوي
اليها ارواح الشهداء ثم دار السلام لانها دار السلامة من كل مكروه ثم دار المقامة
واعلم ان للجنة اسماء عديدة باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذاتها فهي
مترادفة من هذا الوجه ومختلفة باعتبار صفاتها فاسم الجنة هو الاسم العام
المتناول لتلك الذوات وما اشتملت عليه من انواع النعيم والسرور وقرة العين
وهذه اللفظة مشتقة من الستر ومنه سمي البستان جنة لانه يستر داخله بالاشجار
والجنان كثيرة جدا كما قال صلى الله عليه وسلم لام حارثة لما قتل ببدر وقد اتت
يا رسول الله الا تحدثني عن حارثة فان كان في الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت
في البكاء عليه يا ام حارثة انها جنان في الجنة وان ابنك قد اصاب الفردوس الاعلى
وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فذكرهما ثم قال ومن دونهما جنتان فهذه
اربع وقال عليه السلام جنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وجنتان من فضة انيتهما وما فيهما
رواه الشيخان من حديث ابي موسى الاشعري وقد قسم بعضهم الجنان بالنسبة الى الداخلين
فيها ثلاثة جنة اختصاص الهي وهي التي يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم ومن
اهلها اهل الفترات ومن لم يصل اليه دعوة رسول الجنة الثانية جنة ميراث
ينالها كل من دخل الجنة من المؤمنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لو دخلوها
والجنة الثالثة جنة الاعمال وهي التي ينزل الناس فيها باعمالهم فمن كان افضل من غيره في وجوه
التفاضل كان له من الجنة اكثر وسواء كان الفاضل دون المفضول او لم يكن غير انه فضله

في هذا المقام لهذه الحالة فما عمل من الاعمال الا وله جنة ويقع التفاضل فيها بين اصحابها بحسب
ما يقتضي احوالهم قوله صلى الله عليه وسلم يا بلال بم سبقتني الى الجنة الحديث فعلم انها كانت
جنة مخصوصة فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم الا وله جنة مخصوصة
ونعيم خاص ينال من دخلها وقد يجمع الواحد من الناس في الزمان الواحد عبادات من
العبادات فيوجد في الزمان الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك فقد
تبين ان نيل المنازل والدرجات والجنان بالاعمال واما الدخول فلا يكون الا
برحمة الله تعالى كما في البخاري ومسلم من حديث عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لن يدخل الجنة احد عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمته اي يلبسنيها ويسترني بها ماخوذ من غمد السيف وهو غلافه وعند الامام
احمد باسناد حسن من حديث ابي سعيد الخدري لن يدخل الجنة احد الا برحمة الله
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقال بيده فوق
راسه يعني ان الجنة انما تدخل برحمة الله وليس عمل العبد مستقلا بدخولها وان كان
سببا ولهذا اثبت الله دخولها بالاعمال في قوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون ونفى صلى الله عليه وسلم دخولها بالاعمال في قوله لن يدخل احد منكم
الجنة بعمله ولا تنافي بين الامرين لما ذكره سفيان وغيره قالت كانوا يقولون النجاة
من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمة الله واقتسام المنازل والدرجات بالاعمال
ويدل له حديث ابي هريرة ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم رواه الترمذي
قال ابن بطال محمل الاية على ان الجنة تنال المنازل فيها بالاعمال فان درجات الجنة
متفاوتة بحسب تفاوت الاعمال ومحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ثم
اورد على هذا الجواب قوله تعالى سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فصرح بان
دخول الجنة ايضا بالاعمال واجاب بانه لفظ محتمل بينه الحديث والتقدير ادخلوا منازل
الجنة وقصورها بما كنتم تعملون وليس المراد بذلك اصل الدخول ثم قال ويجوز ان
يكون الحديث مفسرا للاية والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم وتفضله
عليكم لان اقتسام منازل الجنة برحمة الله وكذا اصل دخول الجنة برحمته حيث الهم
العاملين فاما نالوا به ذلك ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله وقد
تفضل الله عليهم ابتدا بايجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم واشار الى نحوه القاضي عياض
فقال وان من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل
بعمله وانما هو بفضل الله ورحمته وقال غيره لا تنافي بين ما في الاية والحديث لان
الباء التي اثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وان لم
تكن مستقلا بحصوله والباء التي نفت الدخول هي باء المعارضة التي يكون فيها احد
العوضين مقابلا للاخر نحو اشتريت منه بكذا فاخبر ان دخول الجنة ليس في مقابلة

نزلوا فيها

عمل احد

عمل احد وانه لولا رحمة الله لعبده لما ادخله الجنة لان العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب
بمجرده دخول الجنة ولا يكون عوضا لانه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم
نعمة الله بل الجميع العمل لا يوازي نعمة واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر على
تلك النعمة بقية ولم يقم بها فلذلك لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم
وهو غير ظالم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا من اعمالهم كما في حديث ابي بن كعب عند ابي
داود وابن ماجة وهذا فصل الخطاب مع الجبرية النفاة للحكمة والتعليل القايلين
بان القيام بالعبادة ليس الا لمجرد الامر من غير ان يكون سببا للسعادة في معاش ولا
معاد ولا لنجاة المعتقدين ان النار ليست سببا للاحراق ولا الماء سببا للارواء
او التبريد والقدرية الذين يثبتون نوعا من الحكمة والتعليل القايلين بان
العبادات شرعت اثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وانها بمنزلة استيفا
الاجير اجرته محتجين بان الله تعالى يجعلها عوضا كما في قوله تعالى ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون وبقوله عليه السلام حاكيا عن ربه تعالى يا عبادي انما هي اعمالكم
احصيها لكم ثم اوفيكم اياها وهولاء الطايفتان متقابلتان اشد التقابل وبينهما
اعظم التباين فالجبرية لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزا البتة والقدرية جعلت
ذلك كله بمحض الاعمال وثمنا لها والطايفتان جايرتان منحرفتان عن الصراط
المستقيم الذي فطر الله عليه عباده وجاءت به رسله ونزلت به كتبه وهو ان الاعمال
اسباب موصلة الى الثواب والعقاب مقتضيات لها كاقتضا ساير الاسباب
لمسبباتها وان الاعمال الصالحة من توفيق الله تعالى ومنته وصدقته
على عبده ان اعانه عليها ووفقه لها وخلق فيه ارادتها والقدرة عليها وحببها
اليه وزينها في قلبه وكره اليه اضدادها ومع هذا فليست ثمنا لجزائه وثوابه
بل غايتها ان تكون شكرا له تعالى ان قبلها سبحانه وبهذا نفى عليه السلام دخول الجنة
بالعمل ردا على القدرية القايلين بان الجزا بمحض الاعمال وثمنا لها واثبت
سبحانه وتعالى دخول الجنة بالعمل ردا على الجبرية الذين لم يجعلوا للاعمال
ارتباطا بالجزا فتبين انه لا تنافي بينهما اذ توارد النفي والاثبات ليس على معنى
واحد فالمنفي استحقاقها بمجرد الاعمال وكون الاعمال ثمنا وعوضا لها
ردا على القدرية والمثبت الدخول بسبب العمل ردا على الجبرية والله يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم وقال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر محمل الحديث على ان العمل
من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولا واذا
كان كذلك فامر القبول الى الله تعالى وانما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه وعلى
هذا فمعنى قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اي تعملونه من العمل المقبول ولا يضر
هذا ان تكون الباء للمصاحبة او للالصاق او المقابلة ولا يلزم من ذلك

ان يكون سببه قال ثم رأيت النووي جزم بأن ظاهر الآيات ان دخول الجنة بسبب الأعمال
والجمع بينهما وبين الحديث ان التوفيق والهداية للإخلاص وقبولها إنما هو برحمة الله
وفضله فيصح انه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بسبب
العمل وهو من رحمة الله تعالى انتهى• وروى الدارقطني عن ابي امامة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال نعم الرجل انا لشرار امتي فقالوا فكيف انت لخيارها
قال اما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم واما شرار امتي فيدخلون الجنة بشفاعتي
ذكره ابن عبد الحق في العاقبة• واما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالكوثر
وهو على وزن فوعل من الكثرة سمي به هذا النهر العظيم لكثرة مائه وآنيته
وعظم قدره وخيره فقد نقل المفسرون في تفسير الكوثر اقوالا تزيد على العشرة ذكرت
كثيرا منها في المقصد السادس من هذا الكتاب واولاها قول ابن عباس انه الخير
الكثير لعمومه لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم ولا معدل
عنه فقد روى مسلم وابو داود والنسائي من طريق محمد بن فضيل وعلي بن
مسهر كلاهما عن المختار بن فلفل عن انس واللفظ لمسلم قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما
قلنا ما اضحكك يا رسول الله قال نزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر• فصل لربك وانحر• ان شانئك هو الابتر• ثم قال أتدرون ما الكوثر
قلنا الله ورسوله اعلم• قال انه نهر وعدنيه ربي عز وجل الحديث لكن فيه اطلاق الكوثر
على الحوض• وقد جاء مجملا في حديث البخاري ان الكوثر هو النهر الذي يصب عند البخاري
وعند احمد ويفتح نهر الكوثر الى الحوض• وعند مسلم يغث فيه يعني الحوض ميزابان
يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من ورق• وقوله يغث بالغين المعجمة
اي يصب• وفي البخاري من حديث قتادة عن انس قال لما عرج بالنبي
صلى الله عليه وسلم الى السماء قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف فقلت
ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر• ورواه ابن جرير عن شريك ابن ابي نمر قال سمعت
انس بن مالك يحدثنا قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل فاذا هو
بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال يا جبريل ما هذا
النهر قال هو الكوثر الذي خبأ لك ربك• ورواه احمد عن انس ان رجلا قال يا رسول
الله ما الكوثر قال نهر في الجنة اعطانيه ربي لهو اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
وعن ابي عبيدة عن عائشة قال سألتها عن قوله انا اعطيناك الكوثر•
قالت نهر اعطيه نبيكم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم رواه البخاري
وقوله شاطئاه اي حافتاه وقوله در مجوف اي القباب التي على جوانبه• وروى
النسائي بلفظ قالت نهر في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها•

حافتاه

للأعمال

حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت وبطنان
بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون ووسط بفتح المهملة والمراد بأعلاها
اي ارفعها قدرا والمراد اعدلها• وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل رواه احمد وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح
وروي عن ابن عباس في قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه
سبعون الف فرسخ ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل شاطئاه اللؤلؤ
والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الانبياء رواه ابن ابي الدنيا موقوفا
وعن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال نهر في الجنة
اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها
كاعناق البخت او اعناق الجزر قال عمر انها لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم آكلها انعم منها رواه الترمذي وقال حسن والجزر بضم الجيم والزاي
جمع جزور وهو البعير• قال الحافظ ابن كثير قد تواتر يعني حديث الكوثر من طرق
تفيد القطع عند كثير من ائمة الحديث• وكذلك احاديث الحوض قال وهكذا
اروي عن انس وابي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف ان الكوثر نهر في
الجنة• واما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة العالية
الرفيعة والفضيلة فروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي
فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في
الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة• قال الحافظ عماد الدين بن كثير الوسيلة علم على اعلى منزلة
في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي اقرب امكنة
الجنة الى العرش• وقال غيره الوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب يقال توسلت
اي تقربت ويطلق على المنزلة العلية كما قال في هذا الحديث فانها منزلة في الجنة على
انه يمكن ردها الى الاول فان الواصل الى تلك المنزلة قريب من الله فيكون كالقربة
التي يتوسل بها• ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق عبودية لربه
واعلمهم به واشدهم له خشية واعظمهم له محبة كانت منزلته اقرب المنازل الى الله
تعالى وهي اعلى درجة في الجنة وامر صلى الله عليه وسلم امته ان يسألوها له لينالوا
بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الايمان وايضا فان الله تعالى قدرها له باسباب
منها دعاء امته له بما نالوه على يده من الهدى والايمان• واما الفضيلة فهي المرتبة
الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل ان يكون منزلة اخرى او تفسيرا للوسيلة• وعن ابي سعيد الخدري

فا

فائدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوسيلة درجة عند الله عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة رواه في المسند وذكر ابن ابي الدنيا وقال درجة في الجنة ليس في الجنة اعلا منها فسلوا الله ان يؤتينيها على رؤوس الخلايق ، وروى ابن مردويه عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم فسلوا الله لي الوسيلة قالوا يا رسول الله من يسكن معك قال علي وفاطمة والحسن والحسين لكن قال الحافظ عماد الدين ابن كثير انه حديث غريب منكر من هذا الوجه ، وعند ابن ابي حاتم من حديث علي ايضا انه قال على منبر الكوفة ايها الناس ان في الجنة لؤلؤتين احدهما بيضا والاخرى صفراء ، فاما الصفرا فانها الى بطنان العرش والمقام المحمود من اللؤلؤ البيضا سبعون الف غرفة كل بيت منها ثلاثة اميال وغرفها وابوابها واسرتها وسكانها من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته والصفرا مثل ذلك هي لابراهيم عليه السلام واهل بيته وهو اثر غريب كما نبه عليه الحافظ ابن كثير ايضا ، وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال اعطاه الله تعالى في الجنة الف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من طريقه ، ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف فهو في حكم المرفوع خاتمة عن عايشة قالت جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انك لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من اهلي واحب الي من ولدي واني لاكون في البيت فاذكرك فما اصبر حتى اتيك فانظر اليك فاذا ذكرت موتي وموتك عرفت اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين واني اذا دخلت الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه السلام حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الاية ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا رواه ابو نعيم ، وقال الحافظ ابو عبد الله المقدسي لا اعلم باسناد هذا الحديث باسا كذا نقله في حادي الارواح ، وذكر البغوي في معالم التنزيل بلفظ يعني نزلت هذه الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي وجع ولا مرض غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية ، وكذا ذكر ابن ظفر في ينبوع الحياة لكن قال ان الرجل هو عبد الله بن زيد الانصاري الذي راى الاذان وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة

لان هذا

لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية ، وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس ان رجلا قال يا رسول الله متى الساعة قال وما اعددت لها قال لا شي الا اني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشي فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وارجو ان اكون معهم بحبي اياهم وفي الحديث الالهي الذي رواه حذيفة كما عند الطبراني بسند غريب الله تعالى قال ما تقرب الي عبدي بمثل ادا ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث ، وفيه من الزيادة على حديث البخاري ويكون من اوليائي واصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهدا في الجنة فلله درها من كرامة بالغة ، ونعمة على المحب سابغة ، فالمحب يرتقي في درجات الجنات على اهل المقامات ، بحيث ينظر اليه كما ينظر الى الكوكب الغابر في افق السموات لعلو درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيته معه وان المرء مع من احب ولكل عمل جزا وجزا المحبة المحبة والوصول والقرب من المحبوب ، رؤيت امراة مشرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل لها بماذا قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه نوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه ، وانظر قوله تعالى طوبى لهم وحسن ماب ، وان طوبى اسم شجرة في الجنة غرسها الله بيده تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وان اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل مؤمن منها غصن ، فما من جنة من الجنان الا وفيها من شجرة طوبى ليكون سر كل نعيم ونصيب كل ولي من سره عليه السلام وانه صلى الله عليه وسلم ملا الجنة فلا ولي يتنعم في جنته الا والرسول متنعم بنعمته لان الولي ما وصل اليه ما وصل اليه من النعيم الا باتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قايما به في تنعمه وكذا ابليس ملا النار فلا عذاب لاحد من اهلها الا وابليس لعنه الله سر تعذيبه ومشارك له فيه ، وفي البحر لابي حيان عند تفسير قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا قيل هي عين في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم تفجر الى دار الانبيا والمؤمنين واذا علمت هذا فاعلم ان اعظم نعيم الجنة واكمله التمتع بالنظر الى وجه الرب تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وقرة العين بالقرب من الله ورسوله مع الفوز بكرامة الرضوان التي هي اكبر من الجنان وما فيها

كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر ولا ريب ان الامر اجل مما يخطر ببال او يدور في خيال
ولا سيما عند فوز المحبين في روضة الانس وحظيرة القدس بمعية محبوبهم الذي هو
غاية مطلوبهم فاي نعيم واي لذة واي قرة واي فوز يداني تلك المعية ولذتها
وقرة العين بها وهل فوق قرة العين بمعية الله ورسوله نعيم فلا شيء والله اجل ولا
اكمل ولا اجمل ولا اجلا ولا احلا ولا اعلا ولا غلا من حضرة يجمع فيها المحب احبابه في
مشهد مشاهد الاكرام حيث يتجلى لهم حبيبهم ومعبودهم الاله الحق جل جلاله
خلف حجاب في اسمه الجميل اللطيف فينفهق عليهم نور يسري في ذواتهم فيبتهجون في
جمال الله وتشرق ذواتهم بنور ذلك الكمال الاقدس بحضرة الرسول ويقول
الحق جل جلاله سلام عليكم عبادي ومرحبا بكم اهل ودادي انتم المؤمنون الامنون
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون انتم اوليائي وجيراني واحبابي انا الله الجواد
الغني وهذه داري قد اسكنتكموها وجنتي قد ابحتكموها وهذه يدي مبسوطة
ممتدة عليكم وانا ربكم انظر اليكم لا اصرف نظري عنكم انا لكم جليس وانيس فارفعوا
الي حوائجكم فيقولون ربنا حاجتنا اليك النظر الى وجهك الكريم والرضى عنا فيقول
لهم جل جلاله هذا وجهي فانظروا واليه فابشروا فاني عليكم راض ثم يرفع الحجاب ويتجلى
لهم فيخرون سجدا فيقول لهم ارفعوا رؤسكم فليس هنا موضع سجود يا عبادي
ما دعوتكم الا لتمتعوا بمشاهدتي يا عبادي قد رضيت عنكم فلا اسخط عليكم ابدا
فما احلاها من كلمة وما الذها من بشرى فعندها يقولوا الحمد لله الذي اذهب عنا
اذهب عنا الحزن وادخلنا دار المقامة في فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها
لغوب ان ربنا الغفور شكور وهذا يدل على ان جميع العبادات تزول في الجنة الا
عبادة الشكر والحمد والتسبيح والتهليل والذي يدل عليه الحديث الصحيح انهم
ذلك كالهام النفس كما في مسلم من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأكل
اهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشا
ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس يعني تسبيحهم وتحميدهم
يجري مع الانفاس فليس من تكليف والزام وانما هو عن تيسير والهام ووجه التشبيه
ان تنفس الانسان لا بد له منه ولا كلفة ولا مشقة في فعله فكذلك يكون ذكر الله
الله تعالى على السنة اهل الجنة وسر ذلك ان قلوبهم قد تنورت بمعرفته وابصارهم
قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم سوابغ نعمه وامتلات افئدتهم بمحبته وخالطته
فالسنتهم ملازمة لذكره وقد اخبر الله تعالى عن شانهم في ذلك في قوله تعالى في
كتابه العزيز وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة
حيث نشاء فنعم اجر العاملين وقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

قال الجامع

قال جامعه ومؤلفه احمد بن الخطيب القسطلاني

غاملني الله بما يليق بكرمه فهذا اخر ما جرى به قلم المدد من هذه المواهب اللدنية وسطرته يد
الفيض من المنح المحمدية وذلك وان كثر القليل في جنب شرفه الشامخ ويسير مما كرمه الله
به من فضله الراسخ ولو تتبعنا ما منحه الله به من مواهبه وشرفه به من مناقبه لما وسعت
بعض بعضه الدفاتر ولكلت دون مرماه الاقلام وجفت المحابر وضاقت عن جمعه الكتب
وعجزت عن حمله النجب وعلى تفنن واصفيه لنعته يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
والى الله تعالى اضرع ان يجعله خالصا لوجهه الكريم مخلصا من شوائب الريا ودواعي التعظيم
وان ينفعني به والمسلمين والمسلمات في الحياة وبعد الممات سائلا من وقف عليه من
انار الله بصيرته وجبل على الانصاف سريرته ان يصلح بحلمه عثاري وزللي ويسد بسداد
فضله خطائي وخللي فالكريم يقيل العثاره ويقبل الاعتذاره خصوصا عن مثلي مع قصر
باعه في هذه الصناعة وكساد سوقه بالدين من مزجاة البضاعة وما ابتلي به من شواغل
الدنيا الدنية والعوارض البدنية وتحمل من الاثقال التي لو حملها رضوى لتضعضع
او نزلت على ثبير لخشع وتصدع لكنني اختلست غفلة الظلام الغاسق والليل الواسق
فسرقته من ايدي العوائق والليل يعين السارق واستفتحت مغالق المعاني بمفاتيح
فتح الباري واستخرجت من مطالب كنوز العلوم نفائس الدراري حامدا لله
تعالى على ما انعم والهم وعلم ما لم اكن اعلم مصليا مسلما على رسوله محمد اشرف
انبيائه وافضل مبلغ لانبائه وعلى اله واصحابه واحبابه وخلفائه صلاة لا ينقطع
مددها ولا يفنى امدها قال مؤلفه حفظه الله وختم بالصالحات عمله وقد انهيت كتابة
النسخة المنقول منها هذه النسخة المباركة النافعة ان شاء الله تعالى في خامس
عشر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وثمانمائة ومن المسودة
في الثاني من شوال سنة ثمان وتسعين وثمانمائة والله
اسال ان ينفع به جيلا بعد جيل وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم
في سنة
١٠٧٩

معالق

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بعنب
وكفى عبده